

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٥ | الجزء : ١ | مايو - أغسطس ٢٠٢٢ م


١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربّية بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدارا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السّيد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النحو والصّرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرزّاق بن فراج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصّديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	قراءة في تحقيق شرح شواهد المغني للسيوطي على نسخ خطية **د. صالح بن مرشود بن مبارك الصاعدي**	٩
٢)	قولة: (ما أغفله عنك شيئاً) في كتاب سيبويه نظر في روايتها، ومحاولة لتأويلها **د. فهيد بن رباح بن فهيد الرَّبَّاح**	٧٣
٣)	من مظاهر البنية العميقة في كتاب سيبويه تمثيل لا يُتكلم به أنموذجا **د. عبد المؤمن محمود أحمد**	١٤١
٤)	تَشْظِيَةُ اللُّغَةِ (بحثٌ في الفكرِ اللُّغويّ ونقدِ الْمَنهج) **أ.د. عبد العزيز بن سالم الصَّاعديّ**	١٨٩
٥)	صيغ جموع التكسير في العربية بين تكامل النظام والثراء الدلالي دراسة صرفية دلالية على آيات القرآن الكريم **د. سعيد بن محمد بن عيضة العمري**	٢٦٣
٦)	الزمان والمكان وتماسك النص في سورة يُوسُف **د. حنفي أحمد بدوي علي**	٣٠١
٧)	فاعليَّة الإشاريَّات المكانيَّة في التشبيهات النَّبويَّة **د. سارة عبد الملك الشريف**	٣٤١
٨)	الشاعر منشِدا –دراسة تنظيرية تطبيقية نحو تلقي النص بصوتِ شاعرِهِ **أ.د. ماهر بن مهل الرحيلي**	٣٨٧

م	البحث	الصفحة
٩)	حُسْنُ الصِّياغةِ في فَنِّ البلاغةِ تأليفُ الإمام العالم أبي محمد إبراهيم بن الشيخ الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم الجَعبري دراسةً وتحقيقًا **د. بدر بن طاهر الطرقي العنزي**	٤٢٣
١٠)	تحليل الخطاب القضائي بلاغيا –دراسة وصفية تطبيقية **د. سعيد بن يحي العواجي**	٤٩١
١١)	تشكيل المقدمة بين الآمدي والقاضي الجرجاني –دراسة مقارنة **د. محمد بن أحمد بن محمد العريني**	٥٤٥
١٢)	مصطلح "الإحالة" في كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) **د. عبد العزيز بن عبد الله الخراشيّ**	٥٧٧
١٣)	فاعلية برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. عبد الرحمن ضيف الله حمدان الهرساني**	٦١٣
١٤)	تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة **د. محمد بن سلمان بن مصلح الحربي**	٦٨٧
١٥)	توظيف السياق اللغوي في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها –مقاربة نصِّية تحليلية **د. بدر بن علي العبد القادر**	

قراءة في تحقيق شرح شواهد المغني للسيوطي على نسخ خطية

Reading in the investigation of the book Sharḥ Shawāhid Al-Mughni's by Al-Suyouṭī on written copies

د. صالح بن مرشود بن مبارك الصاعدي

أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: halmuteru@ksu.edu.sa

المستخلص

يقوم هذا العمل على قراءة شرح شواهد المغني للسيوطي المطبوع والمحقق وموازنتهما بالنسخ المخطوطة، وذكر الاختلاف بين المطبوع والمخطوط الذي يؤثر في النص والمعنى متجاوزًا ما استدركته الرسالة العلمية، والاكتفاء بما خالف المخطوط ولم تصلحه الرسالة العلمية مشيرًا إلى ذلك في موضعه.

وقد قسمت العمل وفق جل عيوب التحقيق المعروفة على النحو الآتي: السقط والزيادة، والتقديم والتأخير، والتصحيف والتحريف، والتغيير والتبديل.

ووصل البحث إلى عدم سلامة نص الكتاب المطبوع والرسالة العلمية، وأن هذا التحقيق ليس تحقيقًا دقيقًا؛ فقد وقع فيه جل عيوب التحقيق.

الكلمات المفتاحيَّة: المغني، السيوطي، شواهد، اللبيب، شرح.

Abstract

This work is based on reading the book Sharḥ Shawāhid Al-Mughnī by Al-Suyouṭī the printed and investigated and balancing it with manuscript copies. mentioning the difference between the printed and the manuscript, which affects the text and the meaning beyond what the thesis made up for, and sufficed with what contradicted the manuscript and the thesis did not fix it, indicating that in its place.

The work was divided according to most of the known defects of the investigation, as follows: omission and excess, advance and delay, correction and distortion, change and alteration.

The research concluded that the text of the printed book and the thesis were not valid, and that this investigation is not an accurate investigation; It has fallen into most of the flaws of investigation.

keywords: Al-Mughnī, Al-Suyouṭī, evidences, Al-Labīb, an explanation.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من كتب التراث التي عُنيت بشرح الشواهد عناية كبيرة، شرح شواهد المغني للسيوطي، فقد نقل فيه المؤلف أقوالا للعلماء كثيرة، وانفرد بالنقل عن كتب مفقودة، لم تصل إلينا.

طُبع الكتاب بالمطبعة البهية بمصر سنة ١٣٢٢هـ، بتصحيح الشيخ محمد محمود ابن التلاميد الشنقيطي، ثم طبعته لجنة التراث العربي بتعليق أحمد ظافر كوجان، بالاعتماد على الطبعة السابقة مع إصلاح أخطاء تلك الطبعة وتقويم اعوجاجها، كما ذكر في المقدمة، ونشرته دار مطبعة الحياة ببيروت.

وحُقق الكتاب في رسالة علمية تقدم بها الباحث أحمد إبراهيم الجدبة إلى كلية الآداب بجامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان، لنيل درجة الدكتوراه سنة ١٤١٧هـ.

واعتمد الباحث في تحقيقه على أربع نسخ مخطوطة، والنسخة المطبوعة بتعليق أحمد ظافر كوجان.

ثم وجدت البغدادي في شرح شواهد الشافية قد نقل نصًا لأبي علي الفارسي في أحد الشواهد عن شرح شواهد المغني للسيوطي، وذكر محققو الكتاب أنهم رجعوا إلى النسخ المطبوعة والخطية من شرح شواهد المغني للسيوطي فلم يجدوا هذا النقل عند الكلام على هذا الشاهد.

وقد طلبت هذا النقل في الرسالة العلمية فلم أجده، فبدأت بالبحث عنه في النسخ المخطوطة فوجدته في إحداها بنصه كما ذكر البغدادي.

ومن هنا بدأ الشك في سلامة نص شرح شواهد المغني؛ إذ وجدت مواضع كثيرة غير هذا الموضع فيها سقط كثير وتغيير كبير.

ولم تكن الرسالة العلمية أحسن حالًا من النسخة المطبوعة؛ فقد وجدت فيها

أيضًا سقطًا كبيرًا، وتغييرًا كثيرًا، وهذا ما جعلني أقوم بهذا العمل.

ومنهجي في هذا العمل يقوم على قراءة الكتاب المطبوع موازنة بالنسخ المخطوطة، وذكر الاختلاف بينهما الذي يؤثر في النص والمعنى متجاوزًا ما استدركته الرسالة العلمية، والاكتفاء بما خالف المخطوط ولم تصلحه الرسالة العلمية مشيرًا إلى ذلك في موضعه.

وعملت على نسختين مخطوطتين؛ هما: نسخة جامعة الملك سعود التي رمزت لها بالرمز (س)، ونسخة مكتبة فيض الله أفندي التي رمزت لها بالرمز (ف)، وقد صرَّح الناسخ أنه فرغ من نسخها في سنة ٩٩٢هـ، مع الرجوع إلى مصادر الكتاب أو المصادر التي نقلت القول عند الحاجة.

والذي دفعني إلى هذا العمل أني وجدت مواضع اختلاف كثيرة بين المخطوط والمطبوع، وتحقيق الكتاب في رسالة علمية يقلل فرصة تحقيقه تحقيقا علميا لمجرد وجود ذلك في عناوين الرسائل إلا أن يثبت أن ذلك التحقيق لم يقم على إخراج النص وخدمته كما يجب.

وهدفي خدمة التراث؛ ليثق الباحثون في صحة ما ينقلونه من نصوصٍ عن شرح شواهد المغني للسيوطي.

وقد قسمت العمل وفق جل عيوب التحقيق المعروفة على النحو الآتي: السقط والزيادة، والتقديم والتأخير، والتصحيف والتحريف، والتغيير والتبديل، وما ورد من النصوص فيه أكثر من خلل وضعته في أول مبحث وبيَّنت كل ما فيها لمنع التكرار.

ثم ختمت ذلك بالخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

السقط والزيادة

وهما أخطر ما تتعرض له النصوص(١).

السقط:

في شرح شواهد المغني للسيوطي الكثير من مواضع السقط، بلغت بحسب إحصائي (٣٣٤) موضعًا، تبدأ بحرف وتصل إلى صفحات، استدركت الرسالة العلمية من هذه المواضع (١٩٦) موضعًا، وما بقي ساقط من المطبوع والرسالة، وهو (١٣٨) موضعًا، وفيما يأتي بيان بهذه المواضع، وهي المواضع المؤثرة في المعنى، وسأضع السقط بين معقوفين:

- **ص١١، س٣**: وأمالي ثعلب [وأمالي بن دريد] وأمالي الزجاجي
كذا في (س ١/ب، وف ٢/ب)
- **ص١١، س١٥**: [و]مقاتل الفرسان له، [و]تهذيب الخطيب التبريزي
في (س ٢/أ).
- **ص١٤، س١٦**: ولا تذكره بأمر قبيح [ثم رأيت المصنف قال في تذكرته: أورد الخفاف البيت بلفظ: إذا قيل من في الناس شر قبيلة أشارت كليب؛ ففيه ثلاث مخالفات: من في الناس، وقبيلة منصوبًا، وكليب مرفوعًا، ثم قال الخفاف: وقبيلة نصب على التمييز، وكليب بتقدير: هي كليب، وفي المجمل أورده على وجه آخر، فليراجع. انتهى].
في (س ٣/أ، وف ٣/ب).
- **ص٢١، س١٤**: فأتى بهما حجرًا [فندم] حتى همَّ بقتل الغلام
في (س ٥/ب، وف ٦/أ).
- **ص٣٥، س١٥**: واستشهد أبو حيان بالبيت على تقديم المفعول [له] على عامله ردًا على منع ذلك.

(١) ينظر: تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص٧٧.

في (س ١١/ب، وف ١١/أ)، ويؤيده ما بعده.

– **ص٣٦، س٣**: وهو محل الاستشهاد، [لكن قال شارح الهاشميات: وذو الشيب خبر، وليس باستفهام، والمعنى: لم أطرب شوقًا إلى البيض ولا طربت لعبًا مني وأنا ذو الشيب، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإن كان قبيحًا به، ولكن طربي إلى أهل الفضائل والنهى، قال: وهذا كما قال الكميت في موضع آخر:

قد تفتن الكاعب الربحلة ذا الشيب ويغتر صيده اليلب

يقول: فالشيخ قد يعثر صيده ويفتن وإن كان لا ينبغي له انتهى، وتلهني من اللهو، يقال: ألهاه يلهيه إلهاءً ولهوت عنه أهو لهوًا].

في (س ١١/ب، وف ١١/أ)[1].

– **ص٤٢، س٣**: والثريا [اسم المرأة] المذكورة.

في (س ١٤/أ).

– **ص٤٩، س١١**: وأنشد البيت، [قال ابن الحاجب في شرح المفصل: الياء هنا ليست للنسب، وإنما هو دوَّار، وقال ابن عصفور في شرح المقرب: العرب قد تدخل على الصفة ياء النسب ومن ذلك قوله: والدهر بالإنسان دوَّري، أي دوَّر]

في (س ١٦/ب، وف ١٦/أ).

– **ص٥٥، س١١**: قال [في] تقصير الاسم...

في (س ٢٠/أ، وف ١٩/أ)[2].

– **ص٥٩، س١١**: تزود مثل زاد أبيك [فينا فنعم الزاد زاد أبيك] زادا

كذا في (س ٢١/ب)، وفي (ف ٢٠/ب): تزود مثل زاد أبيك، ولم يتمه

– **ص٦١، س٢**: وفي الأغاني [عن عوانة]: أن قيس بن الملوح...

---

(١) النص نقله البغدادي (شرح أبيات مغني اللبيب ٣١/١) عن السيوطي.

(٢) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٧٦١/٢.

في (س ٢٢/أ، وف ٢١/ب)[١].

– **ص٦٢، س١٦**: قال القالي: [أنشدنا أبو بكر بن دريد قال:] أنشدنا عبد الرحمن عن عمه

في (س ٢٣/أ، وف ٢٢/أ)[٢].

– **ص٦٨، س٩**: ابن ليلى عبد العزيز بن مروان، [قال ابن دريد في أماليه: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: محمد بن علي لكثيِّر: تزعم أنك من شيعتنا، وتمدح آل مروان، قال: إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب وآخذ أموالهم، وقال في عبد الملك يعني:

يقلب عيني حية بمحارة أضاف إليها الساريات سبيلها].

في (س ٢٥/أ، وف ٢٤/أ).

– **ص٧٠، س١٩**: وأهلِك بكسر اللام مضارع هلك بفتحها، [وذكر السخاوي في شرح المفصل أن سيبويه أنشده بلفظ: لا تتركيني وسطهم أسيرا].

في (س ٢٦/أ، وف ٢٥/أ)، والبيت ليس في كتاب سيبويه.

– **ص٧٢، س٦**: فركبوا في طلبه فلحقوه، فحمل عليه ابن جرموز فطعنه طعنة خفيفة، فحمل عليه الزبير، [فقال: الله الله يا زبير]، فكف عنه، ثم سار وأغفى الزبير فطعنه ابن جرموز طعنة أثبتته فوقع

كذا في (س ٢٦/ب، وف ٢٥/أ)، وفي المطبوع سقط وتقديم وتأخير.

– **ص٧٥، س١٥**: وأقوت: أقفرت وخلت، [وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة]

في (س ٢٧/أ، وف ٢٦/ب).

– **ص٧٩، س٦**: وأخرج [ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا في كتاب

(١) ينظر: الأغاني ١٩/٢.

(٢) ينظر: الأمالي ٢١٩/٢.

الأشراف وابن عساكر] من وجه آخر عن الشعبي...
في (س ٢٨/ب، وف ٢٧/ب).

- **ص٨٤، س١٣**: السروات: جمع [سراة]، وسراة جمع سرى
في (س ٣١/أ، وف ٢٩/ب).
- **ص٨٨، س١١**: يحشى [تبنًا] تراه الناقة
في (س ٣٢/أ، وف ٣٠/ب).
- **ص٩٠، س٧**: وفي الأغاني: هو ثابت بن كعب، [وقيل بن عبد الرحمن بن كعب]، ويلقب ثابت قطنة.
في (س ٣٣/أ، وف ٣١/ب)[١].
- **ص١٠٨، س٤**: [وتنكير] منالًا للتعظيم أي منالًا عظيمًا.
في (س ٣٨/ب، وف ٣٧/أ).
- **ص١١٢، س٣**: من قوله: "ثم رأيت في كتاب جامع الأمثال" إلى قوله: "بين مكة والحجاز انتهى".
في (س٤٠/ب-٤١/أ، وف ٣٨/ب – ٣٩/ب) سقط كبير.
- **ص١١٢، س١٢**: [وهو] من النوادر؛ لأن فعله أورق.
في (س ٤١/ب، وف ٣٩/ب).
- **ص١١٢، س١٥**: قال ابن يعيش: العاطية التي تتناول [أطراف] الشجر مرتعية.
في (س ٤١/ب، وف ٣٩/ب)[٢].
- **ص١١٥، س٥**: يعود قطاه إليه أبدًا، [قال أبو عثمان الأشناندانى في كتاب معاني الشعر: أراد أنه ماء بعد ماء فالقطاة إذا وردته شربت وأصدرت حتى إذا صارت إلى نصف الطريق خافت قلة ما في حواصلها لبعد الطريق

(١) ينظر: الأغاني ١٤/١٦٧.
(٢) ينظر: شرح المفصل ٨/٨٣.

فرجعت من نصف الطريق وشربت عللًا ثم طارت إلى فراخها، والهاء في قطاة راجعة إلى المنهل]، فوافى عليه: أي على المنهل.

في (س ٤٢/ب، وف ٤٠/ب).

– **ص١٢٧، س٦**: [قاله] في الصحاح.

في (س٤٦/ب، وف ٤٤/ب)[1].

– **ص١٢٧، س١٨**: قال: صدقت، [وأنشد:

ورج الفتى للخير ما أن رأيته على السن خيرا لا يزال يزيد

تقدم الكلام عليه في شواهد إن المكسورة الخفيفة].

في (س ٤٦/ب – ٤٧/أ، وف ٤٥/أ).

– **ص١٣٧، س١٥**: وأرساغها: [جمع رسغ بالضم وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل].

في (س ٤٩/ب، وف ٤٧/ب).

– **ص١٤٠، س٤**: [وبعد هذه الأبيات:

ولكنني أقبلت من جانبي قسَا أزور فتى نجدا كريما يمانيا

مِن آلِ أبي موسى ترى القَومَ حَولَه كأنهم الكروان أبصرن بازيا

مرمّين من ليث عليه مهابة تفادي أسود الغاب منه تفاديا

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكن هيبة هي ماهيا]

وفي أبيات هذه القصيدة:

في (س ٥٠/ب، وف ٤٨/ب).

– **ص١٤٤، س١**: قوله: [كذبتْكَ] عينُك

سقطت الكاف من المطبوع، وهي في (س ٥١/ب، وف ٤٩/ب)، وفي البيت السابق.

(١) ينظر: الصحاح ٥٩٦/٢.

– **ص١٤٤، س٤**: [ولكنه] قاله ليقبح صنيعهم.
في (س ٥١/ب، وف ٤٩/ب).

– **ص١٤٧، س٥**: هو لأبي جهل [ارتجز وهو يقاتل] في وقعة بدر.
في (س ٥٣/أ، وف ٥١/أ).

– **ص١٥٠، س٨**: [قال في البسيط: ليلاة لغة في ليلة، ونقل ابن جني في ذي القد عن أبي علي أنه أراد: وكل ليلة، ثم أشبع فتحة اللام فصارت ليلاة].
في (س ٥٤/أ)[1].

– **ص١٥٩، س٩**: والمعنى: أي شيء تصب [في] أفق من البوارق تشم.
في (س ٥٧/أ، وف ٥٥/أ).

– **ص١٦٣، س٢٢**: والقصور: جمع قصر [وهو المنزل بيت من حجر قاله في القاموس، وعزى التبريزي والسخاوي وابن يعيش هذا البيت إلى أبي النجم، قال ابن يعيش: وأراد بأسيرها نفسه كأنه في أسرها لعشقه إياها، قال السخاوي: ويروى: خلَّص أم العمرو من أسيرها، ثم رأيت في كتاب نظم الفرائد وحصر الشرائد لمهلب بن الحسن بن بركات المهلبي نسبة هذا البيت أيضًا إلى أبي النجم وأورده بعده:

وغيرة شَنعاء من غيورها فالسحر لا يفضي إلى مسحورها

وقال: أسيرها نفسه، والشنعاء القبيحة، وغيورها زوجها، ومسحورها قلبه، أي لا يحيق فيه ما يسحر، ولا يصل إلى ما تسحر به من الكلام].
في (س ٥٨/ب، وف ٥٦/أ).

– **ص١٦٤، س١٩**: نصب رأيت بمعنى علمت مفعولين [الأول الوليد] والثاني قوله: مباركًا.
في (س ٥٩/أ).

– **ص١٧٣، س٤**: قال التبريزي [والمرزوقي]: قوله: هل الوجد استفهام

(١) نقله البغدادي عن السيوطي في شرح شواهد المغني، ينظر: شرح شواهد الشافية ١٠٣/٤.

بمعنى النفي.

في (س ٦١/ب، وف ٥٩/أ)[١].

– **ص١٨٨، س١٠**: عم لبيد [بن ربيعة، فلم يلتفت إليهم النعمان، وأراهم جفوة، وقد كان يقربهم ويكرمهم]، وكان الربيع بن زياد العبسي جليسه وسميره.

ف (س ٦٦/أ، وف ٦٣/أ، ب).

– **ص١٨٩، س٩**: فقد ذكرت به [و]الركب

في (س ٦٦/أ، وف ٦٣/ب)، وبه يستقيم البيت.

– **ص١٩٣، س٦**: لذي الرمة [وعزاه ابن يعيش في شرح المفصل للفرزدق] وقبله:

في (س ٦٧/ب).

– **ص١٩٨، س١٧**: بن قاسط، [قال ابن الشجري: يصف سنة ذات جدب، فرعي الغنم وترك رعيها سواء]، قال ابن يسعون:

في (س ٦٩/أ)[٢]. ويدل عليه قوله: "قال ابن يسعون" قبله وبعده.

– **ص١٩٩، س١**: ويحتمل أن يريد [البقعة] التي وصفها بالجدب.

في (س ٦٩/أ، وف ٦٦/ب).

– **ص٢٠٥، س١٧**: قاله شارح أبيات الإيضاح، [وقال الأعلم معنى غمزت لينت وهذا مثل، والمعنى إذا اشتد على جانب قوم رمت تليينهم حتى يستقيموا]

في (س ٧١/أ)[٣].

– **ص٢٠٧، س٧** بعده: [وفي أمالي القالي: أنشدنا ابن دريد قال: أنشدنا أبو

(١) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي٢/٨٤، وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٢٦٧.

(٢) ينظر: أمالي ابن الشجري ٣/٧٢.

(٣) ينظر: تحصيل عين الذهب ص٤٠٢.

حاتم قال: أنشدنا الأصمعي لأعرابي:

أمَا والذي لا يَعلمُ الغيبَ غَيرُه ومَنْ هو يُحيي العَظمَ وهو رَميمُ

لقَد كُنتُ أطْوِي البطنَ والزادُ يُشتهَى محافَظةً من أنْ يُقالُ لَئيمُ

وإنِّي لَأسْتحيي رِفَاقي دُونَه ودُونَ يدي داجي الظلامِ بَهيمُ]

في (س ٧١/ب، وف ٦٨/ب)[١].

- **ص٢١٢، س١٤**: في أبيات أخر، [قال الأعلم: يروى: عادية بالمهملة، وهي المستطيلة، وبالمعجمة وهي التي تغدو للغارة، وغادية أعم؛ لأنها تكون بالغداة وغيرها، ويجوز رفع التجشؤ على البدلية من موضع الاسم المنفي، ونصبه على الاستثناء المنقطع، قال: وقوله ألا طعان ألف الاستفهام داخلة على لا للتقرير].

في (س ٧٣/ب)[٢].

- **ص٢١٨، س١١**: صوت لا يفصح به، [قال الأعلم: وأصل البغام للظبي فاستعاره للناقة، وصف ناقة أناخها في فلاة لا يُسمع فيها صوت إلا صوتها، وأراد بالبلدة الأولى ما يقع على الأرض من صدرها إذا بركت، وبالبلدة الأخيرة الفلاة والبلد الذي أناخها به].

في (س ٧٥/ب)[٣].

- **ص٢٢١، س١٣**: وقوله: بشفاعة [أي بذي شفاعة].

في (س ٧٦/أ، وف ٧٣/أ)[٤].

- **ص٢٢٤، س١٠**: تحية الملوك [في] الجاهلية

في (س ٧٧/أ، وف ٧٣/ب).

---

(١) ينظر: ذيل الأمالي ص٢٧-٢٨.

(٢) ينظر: تحصيل عين الذهب ص٣٥٥.

(٣) ينظر: تحصيل عين الذهب ص٣٦٧.

(٤) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٦٢/٢، والخزانة ٦١/٣.

– **ص٢٣٤، س١٠**: والهدير: صوت الحمام [من غير استعارة، ولهن هدير جملة في موضع جر على النعت لحمامات أي بكاء حمامات هوادر].
في (س ٨٠/أ، وف ٧٦/ب– ٧٧/أ).

– **ص٢٣٥، س٢**: لكن أنا لا أقليك، [وقال السخاوي: يجوز التقدير لكنه إياك لا أقلي، فحذف ضمير الشأن، وحكاه الأندلسي عن بعض الحواشي، ثم قال: ولو روي لكنِ اجتزاء بالكسرة عن الياء لكان وجهًا سديدًا، ثم حذف الضمير كما حذف الضمير في قوله:

إِنَّ مَن لَامَ فِي بني بنتِ حسَّا نَ ألمهُ وأعصه فِي الخطوبِ

ولو قلت أجعل الضمير المنفصل اسمًا، ولا أقلى خبرًا وأرتكب إجراء المنفصل مجرى المتصل وأحذف الراجع إلى اسم لكن لكنت لعمري متعسفا، وقال الخوارزمي: حذف هنا الاسم كما حذف في قوله: ولكن زنجي عظيم المشافر]
في (س ٨٠/أ، ب)[1].

– **ص٢٣٥، س٤**: [قال الأندلسي في شرح المفصل هو للفرزدق]، تنظرت: انتظرت في مهلة.
في (س ٨٠/ب).

– **ص٢٣٩، س٧**: [قال الأعلم: استشهد سيبويه بالبيت على حذف خبر إن لعلم السامع، والمعنى أن لنا محلًا في الدنيا ومرتحلًا عنها إلى الآخرة، وأراد بالسفر من رحل من الدنيا، يقول في رحيل من رحل ومضى مهل، أي: لا يرجع، ويروى مثلًا، أي في من مضى مثل لمن بقي أي سيفنى كما فني، قال ابن يعيش: ويروى وإن للسفر إذ مضوا مهلا، ومعناه أن لنا محلًا يعني في الدنيا إذا عشنا وإن لنا مرتحلًا إلى الآخرة، وأراد بالسفر المسافرين من الدنيا إلى الآخرة من الدنيا، فيقول: في رحيل من رحل ومضى مهل، أي: لا

(١) ينظر: الخزانة ١١/٢٣٠، ٢٣١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢/١٤٤، ١٤٥.

يرجع، وقيل: إن في السفر يريد من قدَّم للآخرة فاز وظفر والمهل: السبق انتهى، وقال ابن الحاجب في أماليه: معناه أن لنا محلًا في الدنيا وارتحالًا بالموت، ولنا فيمن مضى من قبلنا يعني: موت من يموت مهلة لا أنا نبقى بعدهم وهو معنى الإمهال، وقال غيره] السفر بفتح السين وسكون الفاء في (س ٨١/أ، ب)[١].

- **ص٢٥٣، س٣**: والباء في [ببيض] الصفاح
في (٨٤/ب، وف ٨٢/أ)[٢].
- **ص٢٥٧، س٥**: قال: قلت: لنا جفنات، والجفنات ما دون العشر، [ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت: الغر، والغرة بياض يكون في الجبهة]، ولو قلت: البيض لكان أكثر اتساعًا.
- في (س ٨٦/أ، وف ٨٣/ب).
- **ص٢٦٩، س١**: [في أمالي القالي عن ابن الأعرابي أن أهجى بيت قالته العرب:

وقَد عَلمتْ عرسَاكَ أنَّكَ آئبٌ تُخبّرُهم عَن جَيشهم كُلَّ مَربعِ

أخبر أن من عادته أن ينهزم فيتحدث بخبر جيشه].
في (س ٨٩/ب، وف ٨٦/ب)[٣].
- **ص٢٨١، س٨**: وقع بينه وبين الحصين [نفرة] فعيره بذلك.
في (س ٩٣/أ).
- **ص٢٨١، س١٣**: وتغورت النجوم: [غربت]، ويروى: تعرضت.
في (س ٩٣/أ، وف ٩٠/أ).

---

(١) ينظر: تحصيل عن الذهب ص٢٨٩، وشرح المفصل ١٠٤/١، وأمالي ابن الحاجب ٣٤٦/١.
(٢) ينظر: أمالي ابن الشجري ٣٨٣/١.
(٣) ينظر: أمالي القالي ١٤٢/٢.

– **ص٢٨١، س٢٠**: وهي دائمة على هذا أبدا [والصفَّاح بالضم والتشديد الحجر العريض قاله في الصحاح]، وقوله: نطوف ... البيتين.
في (س ٩٣/أ، وف ٩٠/أ).

– **ص٢٨٩، س٣**: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– [في سفر، فأصابنا مطر]، فأمرنا أن نصلي على ظهور رواحلنا ففعلنا.
في (س ٩٥/ب، وف ٩٢/ب)[١].

– **ص٢٨٩، س١٧**: كان شعراء أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم– عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، [وقال البخاري في الأدب المفرد: حدثنا محمد بن الصَّبَّاح، حدَّثنا شَرِيك، عن المقدام بن شُرَيح، عن أبيه قال: قلت لعائشة – رضي الله عنها: أكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم يتمثَّل بشيء من الشعر؟ فقالت: كان يتمثَّل بشيء من شعر عبد الله بن رواحة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، وقال أيضًا: حدَّثنا محمد بن الصَّبَّاح حدَّثنا الوليد بن أبي ثور، عن سماك، عن عكرمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: هل سمعتِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم يتمثَّل شعرًا قط؟ فقالت: أحيانًا، إذا دخل بيته يقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، وحدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان عن ليث عن طاووس عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: إنها كلمة نبي: ويأتيك بالأخبار من لم تزود].
في (س ٩٦/أ، وف ٩٢/ب)، ومن قوله: "قال البخاري" إلى ما قبل قوله: "وحدثنا أبو نعيم" في الرسالة[٢].

– **ص٣١٤، س١٣**: [أقفر: خلا]، والتعانيق والثقل: موضعان.
في (س ١٠٢/ب).

– **ص٣٣١، س٣**: [يا أوس] لو نالتك أرماحنا

(١) ينظر: تاريخ دمشق ٨٦/٢٨.
(٢) ينظر: شرح شواهد المغني (الرسالة) ص٣٩٨.

في (س١٠٧/ب)[١].

– **ص٣٣٤، س١٧**: أشعر أهل المدن [أهل] يثرب.

في (س١٠٩/أ)[٢].

– **ص٣٣٥، س١٧**: وأخرج [البيهقي في شعب الإيمان و] ابن عساكر

في (س١٠٩/ب)[٣].

– **ص٣٦٧، س١**: بفتح المهملة [وسكون النون، وقال: هو نبت طيب الريح، وسبلة بالمهملة] والموحدة: المطر.

في (س ١٢٠/أ، وف ١٠٥/أ)[٤].

– **ص٣٧٠، س١٢**: [وراجيا: خبر زال]، ويؤوسًا: حال من ضمير فعدت.

في (س ١٢٠/ب، وف ١٠٥/ب).

– **ص٣٧١، س١٦**: أو للعطف على [الصحيفة] فهي عاطفة.

في (س ١٢١/أ، وف ١٠٦/أ).

– **ص٣٨٣، س٦**: يعني أنهم [مثل آبائهم] الأشراف المتقدمين...

في (س ١٢٥/أ، وف ١٢٠/أ).

– **ص٣٩٠، س١١**: وحيث مقطوعة عن الإضافة [أي من حيث هبت، وإنما قلنا ذلك لئلا يلزم بطلان الإضافة] إذ المضاف إليه لا يعمل في[ما] قبل المضاف.

في (س ١٢٧/أ، وف ١٢٢/أ).

– **ص٣٩٧، س١٣**: توفي أبو طالب في النصف من شهر شوال [من] السنة العاشرة

---

(١) ينظر: النوادر ص٢٦٨.

(٢) ينظر: الأغاني ٩٧/٤.

(٣) ينظر: شعب الإيمان ٤٠/١١، وتاريخ دمشق ١٨٠/٢١.

(٤) ينظر: المقاصد النحوية ١٢٧٠/٣.

في (س١٢٨/ب، وف ١٢٣/ب).

– **ص٣٩٩، س٤**: أي وإن تطاول زمانها، [أي لا تذهب في وقت من الأوقات].

في (س ١٢٩/أ، وف ١٢٤/أ).

– **ص٤٠٦، س١٣**: والمؤبّل: [بضم] الميم وفتح الهمزة وتشديد الموحدة.

في (س ١٣١/ب، وف ١٢٦/أ).

– **ص٤٢٣، س٤**: ومخامص: جمع مخمصة، [وهي المجاعة لحقته لإيثاره صحبته على نفسه بالزاد].

في (س ١٣٦/أ، وف ١٣٠/أ)[١].

– **ص٤٥٢، س٩**: في الكتاب الرابع مستشهدًا به على [على مجيء الجملة عارية عن ضمير ذي الحال إذا كانت من الأحوال التي حكمها حكم الظروف].

في (س ١٤٥/أ).

– **ص٤٦٣، س١٤**: في موضع الصفة لمنزل [أي منزل] كائن في سقط اللوى.

في (س ١٤٨/أ، وف ١٤١/أ).

– **ص٤٧٥، س٩**: [هو للحطيئة]، أخرج أبو الفرج...

في (س ١٥١/ب، وف ١٤٤/ب).

– **ص٤٨٩، س١**: أخرج [الخرائطي] في مكارم الأخلاق

في (س ١٥٥/ب)[٢].

– **ص٥٠٣، س٥**: استشهد به سيبويه على إدخال مثل [على] الكاف ضرورة.

في (س ١٥٩/ب، وف ١٥١/ب).

---

(١) ينظر: الخزانة ٤١٨/٥.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق ١٥١/١٦.

– **ص٥٠٧، س٤**: وكي لغة في كيف [كسو لغة في سوف] أي كيف تجنحون أي تميلون.
في (س ١٦٠/ب، وف ١٥٢/ب)[١].

– **ص٥١٠، س٧**: أي كلبًا ذا بؤس، [وهو مفعول، ويحتمل أن يكون حالا للداعي أي ذا بؤس، ويجوز أن يكون يريد دعاه عن بؤس] يشبه الجنون.
في (س ١٦١/ب، وف ١٥٣/ب)[٢].

– **ص٥٢٩، س١٦**: أول كل قصيدة منها بانت سعاد، [وقد رأيت أن أذكر هنا ما رأيت من مطالع القصائد التي أولها بانت سعاد] على قلة ما اطلعت عليه من ذلك.
في (س ١٦٦/ب، وف ١٥٨/ب).

– **ص٥٤٠، س٢٠**: وجعل يبكي [وينشج أحر نشيج].
في (س ١٧٠/أ، وف ١٦٢/أ)[٣].

– **ص٥٥٥، س٥**: لعبد الله [بن معاوية بن عبد الله بن] جعفر بن أبي طالب.
في (س ١٧٤/ب، وف ١٦٥/ب)[٤].

– **ص٥٦١، س٨**: على أن الياء [التي] هي لام الفعل المؤكد بالنون قد تحذف وتبقى الكسرة دليلًا عليها.
في (س ١٧٦/أ، وف ١٦٧/أ).

– **ص٥٦٩، س٢٣**: لو قتل [أخي] يوم اليمامة كما قتل أخوك ما بكيته أبدا.
في (س ١٧٨/ب، وف ١٦٩/ب).

---

(١) ينظر: المقاصد النحوية ١٨٥٧/٤، والخزانة ١٠٧/٧.

(٢) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٣٢٤/٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ١٦٩٧، والقول أكثره للمرزوقي.

(٣) ينظر: الأغاني ١٣٦/٩.

(٤) ينظر: الكامل ١٧٢/١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٦٦/٤.

– **ص٥٧٥، س٨**: وناء: بالنون، نهض [بمشقة وجهد].
في (س ١٨٠/أ)[١]
– **ص٥٧٥، س١٠**: وقوله: ألا انجلي [استشهد به أهل الأصول على ورود صيغة أفعل للتمني والانجلاء] الانكشاف.
في (س ١٨٠/أ، وف ١٧٠/أ).
– **ص٥٨٤، س٤**: والفتى بدل من صاحب [التخيل على لغة تميم في إبدال المنقطع].
في (س ١٨٣/أ، وف ١٧٢/ب)[٢].
– **ص٥٨٥، س٩**: عرض سعد في هذا البيت [بالحارث] بن عباد.
في (س ١٨٣/ب، وف ١٧٣/أ).
– **ص٥٩٢، س٤**: قولها: إخلاف النجوم [تريد أخلفت النجوم] التي يكون بها المطر.
في (س ١٨٦/أ، وف ١٧٥/ب)[٣].
– **ص٦٢٦، س١٠**: وأصفار: جمع صفر، [وكان الربيع في صفر].
في (س ١٩٦/أ، وف ١٨٤/ب).
– **ص٦٣٣، س٩**: قال الجرمي: بدأ [فقال:] لا تشلل.
في (س ١٩٨/أ، وف ١٨٦/ب)[٤].
– **ص٦٣٣، س١٦**: كأنه في شهر حرام، [وكانوا لا يهيجون أحدًا في الشهر الحرام].
في (س ١٩٨/أ، وف ١٨٦/ب)[١].

(١) ينظر: الصحاح ٧٨/١.
(٢) ينظر: تخليص الشواهد ص ٢٩٧.
(٣) ينظر: أمالي القالي ٨٩/١.
(٤) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ١٦/٥.

– **ص٦٤٨، س٧**: وبين يقوم ويسمع تنازع [في الفاعل وهو الفيل، والرابط بينهما مجرور الباء، وليس بين أرى وأسمع تنازع] في المفعول وهو ما لو يسمع.

في (س ٢٠٣/أ، وف ١٩١/أ)[٢].

– **ص٦٤٨، س١١**: وقوله: لظل يرعد (يقتضي) ثبوت الفعل ودوامه، و[لو] قال: لا أرعد لم يقتض ذلك.

في (س٢٠٣/أ، وف ١٩١/أ).

– **ص٦٤٨، س١٥**: والخبر [غيرها، و] الثالث: أن تعلقها بتنويل.

في (س ٢٠٣/أ، وف ١٩١/أ).

– **ص٦٥٢، س١٧**: قد أكثروا في الثريا [فلم يأتوا] بمثل قول امرئ القيس:

في (س ٢٠٤/ب، وف ١٩٢/ب)[٣].

– **ص٦٦٥، س٧**: والرصف: بفتح الراء والصاد المهملة الحجارة [المرصوفة بعضها إلى بعض].

في (س ٢٠٩/أ، وف ١٩٦/ب).

– **ص٧١٤، س٢**: الفاقرة: قاصمة الظهر، [والاجتداع جدع الأنف والأذن].

في (س ٢٢١/أ، وف ٢٠٨/ب).

– **ص٧١٧، س٥**: وقيل: إنها موصول اسمي والعائد محذوف [أي بما لستما به أي بسببه].

في (س ٢٢/أ، وف ٢٠٩/ب)[٤].

---

(١) ينظر: النوادر ص١٥٥، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٦/٥. والكلام لأبي زيد وليس للسكري.

(٢) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ٥٠/٥.

(٣) ينظر: الكامل ٢٦/٣.

(٤) ينظر: المقاصد النحوية ٣٨٨/١.

– **ص٧٢٠، س١٢**: أي [لم] يرده ولم يرجعه.
– في (س ٢٢٣/أ، وف ٢١٠/ب)[١].
– **ص٧٢٣، س٨**: قولها: نتنصف، أي نستخدم [والمنصف الخادم] انتهى.
في (س ٢٢٤/أ، وف ٢١١/أ)[٢].
– **ص٧٢٧، س٦** بعده: [والمسلعة البقر التي علق فيها السلع].
في (ف ٢١٢/أ)، وفي (س ٢٢٥/أ): بعضه[٣].
– **ص٧٦٥، س٢٠**: والرقاع: [جمع] رقعة
في (س ٢٣/أ، وف ٢٢١/ب).
– **ص٧٦٥، س٢٣**: ولواحق: خبر [هي] (مقدم).
في (س ٢٣٥/أ، وف ٢٢١/ب): خبر هي مقدر[٤].
– **ص٧٦٦، س١١**: والويلات: التعسات، [وليس] (دعاء) عليه
في (س ٢٣٥/ب، وف ٢٢٢/أ): وليس بدعاء عليه
– **ص٧٩٧، س٢**: قال [ابن يعيش] يحتمل أن يكون ثم منادى محذوف.
في (س ٢٤٢/ب، وف ٢٢٩/أ)[٥].
– **ص٧٩٧، س٣**: أن تكون [يا] لمجرد التنبيه
في (س ٢٤٢/ب، وف ٢٢٩/أ)[٦].
– **ص٨١٢، س٦**: وهما صفتا جمل [مقدر، وأورده أبو زيد بلفظ: زفيان ميلع، وقال: الزفيان: السريعة، والميلع: الجواد الخفيفة].

(١) ينظر: المقاصد النحوية ١٢٧٦/٣.
(٢) ينظر: أمالي ابن الشجري ٤٥١/٢.
(٣) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ٢٩٥/٥، حيث نقل النص عن السيوطي.
(٤) ينظر: المقاصد النحوية ١٢٣٢/٣.
(٥) ينظر: شرح المفصل ٢٤/٢.
(٦) ينظر: شرح المفصل ٣٨٦/١.

في (س ٢٤٦/ب، وف ٢٣٢/ب)[١].

– **ص٨٢٦، س١٤**: والأظماء: جمع ظمء [وهي مدة بقاء الإبل والظباء بلا شرب، والورد هنا الواردون].

في (س ٢٥١/أ، وف ٢٣٧/أ).

– **ص٨٣٩، س٩**: فيما عزاه [المعافى بن زكريا في كتاب الجليس] والثعلبي في تفسيره.

في (س ٢٥٤/ب، وف ٢٤١/أ)[٢].

– **ص٨٤١، س١**: وما راعني [فعل ماض] ويسير فعل مضارع من السير.

في (س ٢٥٥/أ).

– **ص٨٤٤، س٥**: (فإن) [يلزق] طرفه (مخرج) النون ثم يصوت به.

في (س ٢٥٥/ب، وف ٢٤٢/أ): بأن يلزق طرفه بمخرج النون[٣].

– **ص٨٤٤، س١١**: استشهد به المصنف هنا [على تعلق الظرف والجار والمجرور بما فيه رائحة الفعل].

في (س ٢٥٦/أ، وف ٢٤٢/أ)[٤].

– **ص٨٤٩، س٩**: [وقوله: ولا يَكُ موقفٌ منك الوداعَا. قال الزمخشري: هو دعاء بأن لا يكون الوداع له منها في موقف، كأنه قال: قفي ودعينا إن عزمتِ على فرقتنا، فلا كان منك الوداع لنا في موقف].

في (س ٢٥٧/ب، وف ٢٤٣/ب)[٥].

– **ص٨٦٨، س١٧**: [وقال الزمخشري: يروى بالنصب عطفًا على اسم إن،

---

(١) ينظر: النوادر ص٣٩٩.

(٢) ينظر: الجليس الصالح ص٣٩.

(٣) ينظر: العين ١/١٤٤.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ٢/٥٦٨.

(٥) ينظر: شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٢٩٨، فالنص فيه.

وقوله: لغريب خبر عن أحدهما، اكتفى به عن الآخر، والرفع على تقدير الياء خبر، كأنه قال: فإني بها وقيار، فعطفه على الموضع].

في (س ٢٦٣/ب، وف ٢٤٩/ب)[١].

– **ص٨٧١، س٥**: [وقال الزمخشري: هذا البيت يروى بالنصب مع أبيات منصوبة، وبالجر مع أبيات مجرورة، فمن رواه بالجر روى معه: أكلتم أرضنا ...الأبيات، ومن رواه بالنصب روى معه:

أَدِيرُوها بَني حَربٍ عَليكُم وَلا تَرمُوا بها الغَرضَ البَعِيدا

وقال ابن فلاح في المغني: طعن في نقل سيبويه، وقيل: هذا البيت من قصيدة مجرورة، وهذا ساقط عن سيبويه؛ لأنه سمعه من أبيات منصوبة].

في (س ٢٦٤/ب، وف ٢٥٠/أ)[٢].

– **ص٨٧١، س٩**: للرياحي يهجو قومًا، [وكذا قاله أبو عبيدة في كتاب أيام العرب وسماه زيد بن عمرو]، ووقع في شرح أبيات الإيضاح...

في (س ٢٦٤/ب، وف ٢٥٠/أ).

– **ص٨٧١، س١٥**: فقال الأحوص ذلك، [والقصيدة بضع وعشرون بيتًا].

في (س ٢٦٤/ب، وف ٢٥٠/ب).

– **ص٨٧٧، س٩**: وبطن اللوى: بكسر اللام موضع [قال الزمخشري... تقدم شرحه في شواهد رب].

في (س ٢٦٦/ب –٢٦٧/ب، وف ٢٥٢/أ – ٢٥٣/أ)، سقط بقدر صفحتين من المخطوط.

– **ص٨٧٧، س١١** بعده: [هو لجرير، وصدره:

حَمَيتَ حَمَى تَهامةَ بَعدَ نَجدٍ

وتقدمت الإشارة إلى القصيدة التي منها هذا البيت في حرف الهمزة، قال

(١) ينظر: شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢٤٤/١ – ٢٤٥.

(٢) ينظر: الخزانة ٢٦٢/٢.

السخاوي في شرح المفصل: حميت صفة لشيء، وبمستباح خبر ما، ولا يصح نصب شيء في المعنى لأمرين؛ أحدهما أنه لا يقال: وما حميت شيئًا بمستباح، كما لا يقال: ما أنت رجلاً بقائم؛ لأن الباء إنما تدخل في الخبر، وبمستباح هنا صفة، والثاني: أنك لو قدرت سقوط الباء لكان التقدير: وما حميت شيئًا مستباحًا، فلا يكون لحمايته أثر؛ لأنه إنما حمى محميًّا، وأنشد:

ويومًا شهِدنَاه سُليمًا وعَامِرا

هو لرجل من بني عامر، وتمامه:

قَليلًا سِوى الطَّعنِ النِّهالِ نَوافلُه

قال السخاوي: يروى ويومًا بالنصب وكذا قليلًا، ويوم بالجر وكذا قليل، أراد: شهدنا فيه سليمًا وعامرا، ولكنه عدى الفعل بنفسه إلى الضمير فنصبه نصب المفعول به توسعًا].

في (س ٢٦٧/ب، وف ٢٥٣/أ).

– **ص٨٨٠، س١٣**: تقدم شرحه في شواهد إلى [ضمن قصيدة أبي كبير، وأنشد:

فَمَن تَكُنِ الحضَارةُ أعجَبَتْهُ فَأيُّ رجالِ بَاديةٍ تَرانَا

هو للقطامي، وبعده:

ومَن رَبطَ الجِحاشَ فإنَّ فينَا قَنًا سُلبًا وأفْراسًا حِسَانا

قال التبريزي: المراد بالحضارة أهل الحاضرة، فحذف المضاف يدل على ذلك قوله: فأي رجال بادية؛ لأن التفضيل إنما يصح بين البدويين والحضريين، يقول: من أعجبه رجال الحضر فأي رجال البدو نحن إذا حصلت الرجال، والمعنى: أي أناس نحن وإن كنا من أهل البدو، والمراد التمدح، ويروى: قنًا سُبكًا وسُلبًا، فالسلب الطويل صفة الواحد، وقد يوصف الجمع بصفة الواحد إذا كان على بابه، وسلب جمع سلوب، أي تسلب الأنفس، يقول: من ربط الحمر واقتناها وكان عيشه منها فإنا أرباب الغزو].

في (س ٢٦٨/ب، وف ٢٥٤/أ)[١].

– **ص٨٨٥، س١٠**: بعد الشاهد: ٧٥٦، سقط مقدار صفحة من المخطوط (س) من قوله (س ٢٧٠/أ)، س٢: "قال الأندلسي" إلى قوله (س ٢٧١/أ)، س٣: "أراك تجورها"، وفيه ثلاثة شواهد.

وهو في (ف ٢٥٥/ب –٢٥٦/أ).

– **ص٨٨٦، س٨**: وجملة أنا طالبه صفة لدين، [وأورد الزمخشري البيت: وما زرت سلمى، وقال: سلمى اسم جبل طيء، نزل الفرزدق بامرأة من طيء، فقالت له: ألا أدلك على رجل يعطي ولا يليق شيئًا، قال: بلى، فدلته على المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي، وكان مروان بن الحكم خاله، وبعث به مروان على صدقات طيء، ومروان عامل معاوية حينئذٍ على المدينة، فرحب به وأعطاه عشرين أو ثلاثين بكرة، فأعطى الطائية بكرة، وقال هذه القصيدة والمعنى المتعب. انتهى].

في (س ٢٧١/أ، وف ٢٥٦/أ، ب)[٢].

– **ص٨٩٠، س٢**: [يَأْتِي الشَّبابُ الأَقْوَرِينَ وَلا تَغبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقالَ حَكَمْ

وهو آخرها، قال ابن يعيش: التلبب: لبس السلاح، والخميس: الجيش، والنعم: الإبل، قال الفراء: وهو مذكر لا يؤنث، يقال: هذا نعم وارد، والمعنى: أنه يتأسف على الغزو ولا سيما وقت إقبالهم على الغنائم، فيقول الجيش: نع، أي: هذا نعم فاطلبوها إلا أنه حذف للعلم به].

في (س ٢٧٢/أ، ٢٥٧/أ)[٣].

– **ص٨٩١، س١١**: وأضافه إلى كرمان، وهي بلاد ثلج، [وهي بفتح الكاف، قال أبو علي في الشيرازيات: لا يتعلق الظرف وهو بعيد الكرى بالفعل وهو

(١) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ١٢٩/١.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٩٩٧/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٣٧/٧.

(٣) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ١٤٢/٧.

جاد؛ لضعفه في المعنى، ولكن التأويل: لو شئت جادنا ثلج بعيد الكرى، أي: لا يغيره النوم، كقولهم: مررت بسرج خزٌّ صُفَّته، فالعامل في الظرف ثلج، وإن تقدم عليه].

في (س ٢٧٢/ب، وف ٢٥٧/ب)[١].

- **ص٩٠٠، س١٦**: والنصب على أنه مفعول معه [وحسبك] مبتدأ وسيف خبره.

في (س ٢٧٥/ب، وف ٢٦٠/ب).

- **ص٩٠٧، س١**: [والحصى العدد الكثير، قال يعقوب: وأصله أن يراد مثل الحصى، وهو في موضع نصب، كزيد الأفضل أبا، والكاثر بمعنى الأكثر والكثير أو الغالب بالكثرة، قال صاحب الغرر: يقال: كاثرونا فكاثرناهم أي: زدنا على عددهم فنحن كاثرون]، وقال شارح ديوان الأعشى:

في (س ٢٧٦/أ، وف ٢٦١/أ).

- **ص٩١١، س١**: وعلى أنه ليس اسمًا مفردًا [وزنه فعلى كما قال يونس].

في (س ٢٧٧/ب، وف ٢٦٢/أ).

- **ص٩١١، س١٧**: قد كنت أمشي... البيت [الثمل: بفتح المثلثة وكسر الميم ولام، الذي أخذ منه الشراب، والسكر: بفتح السين وكسر الكاف صفة مشبهة بمعنى السكران].

في (س ٢٧٧/ب، ٢٧٨/أ، وف ٢٦٢/ب)[٢].

- **ص٩٢٤، س١٧**: لا يعمل فيه ما قبله [إلا] الابتداء.

في (س ٢٨٣/أ، وف ٢٦٧/ب)[٣].

- **ص٩٣٥، س١٠**: [وكذا أنشده شراح المفصل] يقال: بغيته:

---

(١) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ١٥٣/٧.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٦٨٥/٢.

(٣) ينظر: المصباح لابن يسعون ٢٨٣/١.

في (س ٢٩٢/ب، وف ٢٧٦/أ).

– **ص٩٣٦، س١٦**: أي ترضى [به، وكذا جملتا الشرط والجزاء في الثاني أي وإن كان فقيرا رضيت به].

في (س ٢٩٢/ب، وف ٢٧٦/ب).

– **ص٩٣٩، س٤**: [شاعر] فحل [عاش نحو مئتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه].

في (س ٢٩٣/ب، وف ٢٧٧/ب).

– **ص٩٤٥، س١٩**: ويحتمل أن يكون المراد: [كالذين] كانوا، فحذف النون تخفيفًا.

في (س ٢٩٥/ب، وف ٢٧٩/ب)[١].

– **ص٩٧٠، س٣**: وبعد: ظرف، وبُعد: ضد القرب، [وبينهما جناس محرف]

في (س ٣٠٥/ب، وف ٢٨٦/ب)[٢].

(١) ينظر: شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣٤.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٨٩٧/٢.

الزيادة:

كما في شرح شواهد المغني سقط، وقعت فيه زيادة أيضًا، والزيادة تكون حرفًا أو كلمة أو أكثر، وسأضع ما وقع فيه الزيادة بين قوسين، وإن كانت زائدة كاملة وضعتها بين معقوفين:

- **ص٥٨، س١١**: وفلان يزور (بإلماما):
في (س ٢١/أ، وف ٢١/أ): وفلان يزورنا إلماما.
- **ص٦٣، س٣**: ونسيمها: (وضميرها للمجنون)
في (س ٢٣/ب): ضميرها للجنوب
- **ص١٠١، س١٥**: ليكونن (وأول) من يرجع
في (س ٣٦/ب، وف ٣٥/أ): ليكونن أول من يرجع.
- **ص١٥٧، س٨**: هل ينجو أحد [من أحد] من الهرم
في (س ٥٦/ب، وف ٥٤/ب): هل ينجو أحد من الهرم.
- **ص٢٠٤، س١٨**: فأقاد منه [فأقاد] في أيام أبي جعفر المنصور.
في (س ٧١/أ، وف ٦٨/أ).
- **ص٢٢١، س١٣**: (قاله) المرزوقي والتبريزي.
في (س ٧٦/ب، وف ٧٣/أ): قال المرزوقي والتبريزي[1]:
- **ص٢٢٤، س٩**: (وأسقطت) قوله: فبت ...البيت.
في (س ٧٧/أ، وف ٧٣/ب): وأسقط.
- **ص٢٣٦، س١٧**: أن أي لا تكون إلا استفهاما [ما] (أوجزأ).
في (س ٨٠/ب، وف ٧٧/أ): أن أي لا تكون إلا استفهاما أو جزاء.
- **ص٢٤٨، س٧**: قولها: تعرقني الدهر، [البيت، العظم بما عليه من اللحم، وجمعه عراق، وهو أحد الأسماء التي جاء جمعها على فُعال بضم الفاء عن

(١) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٦٢/٢.

ابن السكيت]، يقال: تعرقت العظم

ليست في (س ٨٤/ب، وف ٨١/ب)، وذكر في حاشية شرح المغني المطبوع أنها مزيدة من ابن الشجري، ولم يثبتها محقق أمالي ابن الشجري في المتن؛ لأنه وجدها في حاشية الأصل(١).

– **ص٣٠١، س٢**: (والدان) موضع معروف.

في (س ٩٩/أ، وف ٩٦/أ): ودان.

– **ص٣٢٩، س٥**: [العبسي بن] قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي

في (س ١٠٧/أ).

– **ص٣٦٢، س١١**: و[كان] ليس في قيس فحل أقدم من طفيل.

في (س ١١٨/ب، وف ١٠٣/ب).

– **ص٤١١، س٣**: لا يلزم [من] وصف المجرور برب.

في (س ١٣٣/أ، وف ١٢٧/ب).

– **ص٤٢٠، س١٤، ١٥**: عن محمد بن [أبي] فضالة النحوي: تقدم عمر بن الخطاب [إلى الشعراء] أن لا (يشيب) رجل بامرأة إلا جلده.

في (س ١٣٥/ب): محمد بن فضالة ... إلى الشعراء ... يشبب(٢).

– **ص٤٦٧، س٥**: وما بعده بدل منه أو [بدل] تأكيد

في (س ١٤٩/أ، وف ١٤١/ب).

– **ص٤٨٤، س٨، ٩**: فمر به زيد الخيل [الطائي فأخذه، ودار طيء متاخمة لدور بني عبد الله بن غطفان] فسأله: من أنت؟

ليست في (س ١٥٤/ب، وف١٤٧/أ)، وذكر في حاشية شرح المغني المطبوع أنها مزيدة من القالي.

ولكن النص لا يحتاجها.

---

(١) ينظر: أمالي ابن الشجري ٣٦٩/١.

(٢) ينظر: الأغاني ٢٤٩/٤.

– **ص٥٩١، س٨**: لا والله [و]الذي أسأله أن يصلحك.
في (س ١٨٥/ب)[١].

– **ص٧٣٠، س١**: وذلك أن كسيرًا (ليكون) خبرًا ليزال فيكون المعنى:
في (س ٢٢٦/أ): يكون[٢].

– **ص٧٣٢، س٦**: [أ]ويحصل الترقي أيضا.
في (س ٢٢٦/ب)[٣].

(١) ينظر: أمالي القالي ٨٨/١، والجليس الصالح ٧٨.
(٢) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٦٣٧/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣٠٤/٥.
(٣) ينظر: تلخيص الشواهد ص٢٤٥.

التقديم والتأخير

وقع في شرح شواهد المغني تقديم وتأخير في الجمل والفقرات، ولم أثبت منه إلا ما كان له تأثير على المعنى والسياق.

– **ص٢٧، س٨**: ترتيب الأبيات.

في (س ٨/أ، وف ٧/أ): بيت الشاهد قبل البيت الأخير(١).

– **ص١٠٥، س٧**: استشهد به على تأنيث المضاف فعل المذكر لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه.

في (س ٣٧/ب، وف ٣٦/أ): استشهد به على تأنيث فعل المضاف إلى المذكر لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه.

– **ص١٢٧، س٤**: "وقدره في الصحاح: إنه قد كان كما يقلن".

في (س ١٤٦/ب، وف ٤٤/ب): "وقدره في الصحاح: ..." موقعها في س٤، بعد: "أي كذلك"، والسياق يقتضيها.

– **ص١٩٩، س٦**: أو قدر في (مكان) ضمير الشأن للمبتدأ، وهو ورفعه على الخبر لأن لا يسرحوا (واو) بمعنى الواو وفيه الشاهد.

في (س ٦٩/أ، وف ٦٦/ب): أو قدر في (كان) ضمير الشأن، ورفعه على الخبر للمبتدأ وهو أن لا يسرحوا، و(أو) بمعنى الواو وفيه الشاهد(٢).

– **ص٣٣١، س١٤، ١٥**: وقيل: اسم (مرسلة) (على جهة واحدة). وعاند: بمهملتين ونون، العرق الذي يخرج دمه.

في (س١٠٨/أ): وقيل: اسم فرس له. وعاند: بمهملتين ونون، العرق الذي يخرج دمه على جهة واحدة(٣).

---

(١) وهو موافق لشرح السكري ١/٤٣.

(٢) ينظر: المصباح لابن يسعون ١/٥٨٠.

(٣) ينظر: المقاصد النحوية ٢/٩٢١.

– **ص٣٤٢، س٦**: "وكانت تحية الجاهلية".

في (س ١١٢/أ) تأخيرها إلى س٨، بعد: "ومق يمق".

ولعله الصواب.

– **ص٥٠٧، س١٤**: حدثنا محمد: حدثنا سلام بن يونس قال:

في (س ١٦٠/ب، وف ١٥٢/ب): حدثنا محمد بن سلام: حدثنا يونس قال[١]:

– **ص٥٧٨، س٥**: "ونصبه على أنه خبر كان المقدرة، أي ومذ كنت وليدا".

كذا في (س ١٨١/أ، وف ١٧١/أ)، ولعل الصواب: تأخيرها بعد: "والوليد: الصبي" كما في المقاصد النحوية[٢].

– **ص٦٥٩، س١٦**: وقيل: على تقدير كان، والجملة خبر كان (الثانية).

في (س ٢٠٦/ب، وف ١٩٤/ب): وقيل: على تقدير كان الشأنيّة، والجملة خبر كان[٣].

– **ص٧٧٤، س١**: تقديم العنوان: "حرف الواو".

في (س ٢٣٧/أ، وف ٢٢٣/ب) تأخيره قبل: "على رَبعين مسلوبٍ وبالِ"

(١) ينظر: أخبار النحويين ص٢٨.

(٢) ينظر: ١٢٦٠/٣.

(٣) ينظر: شرح ابن الناظم ص٥٠٦.

التصحيف والتحريف

يقصد بالتصحيف والتحريف تغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط؛ بنقط الحروف المتشابهة أو تغيير شكل الحروف المتقاربة في رسمها، وهما أكبر آفة منيت بها الآثار العلمية[1]، وهذه المواضع التي وقع فيها التصحيف والتحريف في المطبوعة والرسالة، وتجاوزت ما أُشير إلى تصويبه في الحاشية أو في آخر الكتاب، ووضعت الكلمة بين قوسين مع بيان الصواب:

- **ص٩، س٢١**: لكونها مستعذبة (النظر) مستحسنة
في (س ١/ب، وف ٢/أ): مستعذبة النظم مستحسنة
- **ص١٤، س٢١**: (وابن) سعيد
في (س ٣/أ، وف ٣/ب): وأبي سعيد
- **ص٢٦، س١٦**: امرؤ القيس بن (كلام) بن رزام العقيلي
في (س ٧/أ): بن كلاب[2].
- **ص٢٨، س٢٠**: (فناسب) لذلك الوصف (فعدى) بمن
في (س ٨/ب، وف ٨/ب): مناسب لذلك الوصف معدي بمن
- **ص٢٨، س٢١**: فتحصل المساواة (من) الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما.
في (س ٨/ب، وف ٨/ب): فتحصل المساواة بين الاسم ...
- **ص٣٦، س٥**: ولم تطربني البنان المخضوبة لأبي (حبيب) اللهو بالنساء.
في (س ١١/ب، وف ١١/أ): مجتنب.
- **ص٣٨، س٥**: وأخرج عن محمد بن عقير...
في (س ١٢/ب، وف ١١/ب) وأخرج عن محمد بن عقبة...[1]

(١) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها ص٦٧.
(٢) وكذا في المؤتلف والمختلف ص١٣.

– **ص٤٣، س٢**: قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في (أمانيه)
في (س١٤/أ، وف ١٣/ب): في أماليه.

– **ص٤٤، س٢١**: لحذف العائد المنصوب (بين) جملة الصفة
في (س ١٥/أ، وف ١٤/أ): لحذف العائد المنصوب من جملة الصفة.

– **ص٥٤، س١٦**: سمع أباه وأبا هريرة و(عقيل) بن حنظلة
في (س ١٩/ب، وف ١٩/أ): ودغفل بن حنظلة[٢]

– **ص٥٥، س٣**: وذكره (البردعي) في الأسماء المفردة
في (س ٢٠/أ، وف ١٩/أ): البرديجي[٣]

– **ص٥٦، س٢**: رؤبة بن العجاج بن (شدم) الباهلي
في (س ٢٠/أ، وف ١٩/ب): العجاج بن شدقم[٤].

– **ص٧١، س١٣**: عن خالد بن سميرة
في (س ٢٦/أ، وف ٢٥/أ): خالد بن سمير[٥].

– **ص٧٥، س٤**: إلى حمام (شارع) وارد الثمد
في (س ٢٧/ب، وف ٢٦/أ): حمام شراع.

– **ص٨١، س١٢**: ولهم شاعر يقال له: ذياد، بالذال، ابن (عرير)
في (س ٢٩/أ، وف ٢٨/ب): بن عزيز[٦]

– **ص٩٠، س١١**: كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم (العقير)
في (س ٣٣/أ، وف ٣١/ب): يوم العقر[١].

---

(١) وكذا في تاريخ دمشق ٢٣٢/٥٠.
(٢) وفي تاريخ دمشق ٢١٢/١٨، والثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٢٧٣/٤.
(٣) ينظر: طبقات الأسماء المفردة ص٩٢.
(٤) ينظر: المؤتلف والمختلف ص١٥٤.
(٥) ينظر: الطبقات الكبرى ١٠٣/٣.
(٦) ينظر: المؤتلف والمختلف ص١٦٧.

– **ص٩٢، س٢**: سؤالك نقبا بين حزمي شعبعب
في (س ٣٣/ب، وف ٣٢/أ): سوالك.
– **ص٩٩، س١١**: قال (الخطيب): وليس له إلا حديث واحد
في (س ٣٥/ب): قال الخطابي[٢].
– **ص١٠٦، س٨**: عامر بن (بر)
في (س ٣٨/أ): عامر بن برد[٣].
– **ص١٠٨، س١٠**: وعندي إن صحت الرواية بالقاف إنه من إعطاء (الترب).
في (س ٣٩/أ، وف ٣٧/أ): من إعطاء القوت.
– **ص١٠٨، س١٥**: (ويقال) بالفاء من قولك: انتفل من الشيء انتفى منه وتنصل.
في (س ٣٩/أ، وف ٣٧/أ): ونفال بالفاء.
– **ص١٣٦، س٨**: وأصله في إقطاع (البلاد) فاستعاره
في (س٤٩/أ، وف ٤٧/أ): وأصله في إقطاع الإبل فاستعاره[٤].
– **ص١٣٦، س١١**: والكواثب: جمع كاثبة بالمثلثة، (وهو) أعلى الظهر من الدابة.
في (س ٤٩/ب، وف ٤٧/أ): وهي أعلى الظهر من الدابة.
– **ص١٣٨، س١٧**: (أو) تقديره: أشعيث بن سهم.
في (س ٥٠/أ، وف ٤٨/أ): إذ تقديره: أشعيث بن سهم.

---

(١) ينظر: الأغاني ١٤/١٧٦.
(٢) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ١/١٣٤.
(٣) ينظر: الخزانة ١٠/٣٩٠، وشرح أبيات مغني اللبيب ١/١٥٢.
(٤) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٢/١٥٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٣٩١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣/٢٧٩.

– **ص١٣٩، س١١**: إذا ذهب في الزمن المسمى (بالروح)، وهو من زوال الشمس إلى الليل.

في (س ٥٠/ب، وف ٤٨/ب): في الزمن المسمى بالرواح[١].

– **ص١٤٦، س٨**: وإنما (تسد) بأنفها وتمنع لبنها.

في (س ٥٢/ب، وف ٥٠/ب): تشمه بأنفها[٢].

– **ص١٤٧، س١٩**: قال في الصحاح: (الأثاث) في أسنان الإبل كلها بالهاء

في (س ٥٣/أ، و٥١/أ): الإناث[٣].

– **ص١٥٢، س٧**: ثم (أبان) المرفوع عن المنصوب.

في (س ٥٤/ب، وف ٥٢/ب): ثم أناب.

– **ص١٥٢، س٩**: (كأن) ضللت لم ينفعك علمك.

في (س ٥٥/أ، وف ٥٢/ب): فإن ضللت لم ينفعك علمك.

– **ص١٥٥، س١٠**: وقد (وردت) القصة في تاريخ الخلفاء

في (س ٥٦/أ، وف ٥٤/أ): أوردت، ويؤيد ذلك أن تاريخ الخلفاء له[٤].

– **ص١٥٧، س١٩**: أورده المصنف في (حذف) اللام مستشهدًا به على ورود اللام للقسم والتعجب معا.

في (س ٥٧/أ، وف ٥٤/ب): في حرف اللام.

– **ص١٦١، س١٢**: فليس من وصل أن الموصولة الاسمية.

في (س ٥٧/ب، وف ٥٥/ب): فليس من وصل ال الموصولة بالجملة الاسمية.

– **ص١٦٢، س١٥**: بدليل الإخبار عنه (لصوت) الحمار.

في (س ٥٨/أ، وف ٥٥/ب): بصوت الحمار.

---

(١) ينظر: الصحاح ٣٦٨/١.

(٢) ينظر: الصحاح ١٥٣٠/٤.

(٣) ينظر: الصحاح ٩٣٧/٣، والمزهر ٧٤/٢.

(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء للمؤلف ص١١١.

– **ص١٦٦، س٩**: قال في الصحاح: (الغرار أن) شفرتا السيف، وكل شيء له حد فحده غراره.

في (س ٥٩/أ، وف ٥٧/أ): الغراران شفرتا السيف، وكل شيء له حد فحده غراره[١].

– **ص١٦٧، س١٦**: ضرب هذا مثلًا (نفسه) و(لئن) رام مقاومته في الشعر والفخر (لابن) اللبون، وهو الفصيل ...

في (س ٦٠/أ، وف ٥٧/أ): ضرب هذا مثلًا لنفسه ولمن رام مقاومته في الشعر والفخر لأن ابن اللبون، وهو الفصيل ...[٢]

– **ص١٧٠، س١٦**: سرعة (تقصي) الأوقات مدة الوصال بينهما.

في (س ٦١/أ، وف ٥٨/ب): سرعة تقضي الأوقات مدة الوصال بينهما[٣].

– **ص١٧٢، س١٩**: لعابد بن المنذر العسيري

في (س ٦١/ب، وف ٥٩/أ): لفائد بن المنذر القشيري[٤]

– **ص١٧٣، س٦**: (وحتى) لا يرجع إلى معلوم

في (س ٦١/ب، وف ٥٩/أ): وحبي لا يرجع إلى معلوم، وفي شرح الحماسة للتبريزي والمرزوقي: وحبك[٥].

– **ص١٧٧، س٢**: بحيث (تغيب) حيال الرأس

في (س ٦٢/ب، وف ٦٠/أ): بحيث تصير حيال الرأس[٦].

– **ص١٨٥، س٩**: والنواهق: (العمارة) في الوجه

---

(١) ينظر: الصحاح ٧٦٨/٢.

(٢) ينظر: تحصيل عين الذهب ص٢٧٦.

(٣) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٦٧/٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٢٣٢.

(٤) ينظر: الحماسة البصرية ١٢٣٤/٣، والأشباه والنظائر للخالديين ٢٨٢/٢.

(٥) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ٨٤/٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٢٦٨.

(٦) ينظر: الخزانة ٣٧٠/١١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣٦٥/١.

في (س ٦٥/أ، وف ٦٢/ب): العظمان في الوجه[١].

– **ص١٩٢، س٢٣**: فهو غث (وغيث).

في (س ٦٧/ب، وف ٦٤/ب): فهو غث وغثيث.

– **ص١٩٣، س٨**: ويروى: (تهاض) [بدار] من هاض العظم: كسره بعد الجبر.

في (س ٦٧/ب، وف ٦٤/ب): نهاض بدار.

– **ص١٩٣، س٩**: والمعنى: (عكس) وتفرق إما [ما] بدار تخرب وإما بموت أموات.

في (س ٦٧/ب، وف ٦٤/ب): تكسر وتفرق إما دار تخرب وإما بموت أموات.

– **ص١٩٧، س٧**: أم قد (كفى) ما بلغت من خبر

في (س ٦٨/ب، وف ٦٥/ب): أم قد كفاني ما بلغت من خبر

– **ص١٩٩، س١٧**: احتجوا على ورود أو بمعنى الواو (يقول) الأسدي:

في (س ٦٩/ب، وف ٦٦/ب): بقول الأسدي:

– **ص٢٠٤، س٩**: ومعنى قوله: لا بد منهما على سبيل (المتعاقب)

في (س ٧٠/ب، وف ٦٧/ب): التعاقب.

– **ص٢١٣، س١٢**: لأنه لا يجيز مراعاة (المحل) اسمها، (أجرى إلا) مجرى ليت.

في (س ٧٤/أ، وف ٧١/أ): لأنه لا يجيز مراعاة محل اسمها إجراء لها مجرى ليت[٢].

– **ص٢٢١، س٩**: فيقدر كان (الثانية)، أي فهلا كان الشأن نفس ليلى شفيعها.

في (س ٧٦/أ، وف ٧٣/أ): فيقدر كان الشأنيّة[٣].

– **ص٢٢٧، س١٤، ١٥**: معناها (البيتين)، فعلى هذا (يكون) في البيت

---

(١) ينظر: الخزانة ١٠٧/١١، نقل النص عن السيوطي.

(٢) ينظر: تخليص الشواهد ص٤١٩، وشرح أبيات مغني اللبيب ٩٣/٢.

(٣) ينظر: المساعد ٢٢٠/٣.

(على) (بأنها) (مبنية) (أن عليه) مجرورها وليست قسمًا آخر.

في (س ٧٨/ب، وف ٧٥/أ): معناها التبيين، فعلى هذا تكون في البيت على بابها مبينة لفاعلية مجرورها وليست قسمًا آخر.

– **ص٢٢٨، س١٢**: لأن حُبُك منصوب (بقواعد).

في (س ٧٨/ب، وف ٧٥/ب): لأن حُبُك منصوب بعواقد.

– **ص٢٥١، س١١**: وقيل: بل (النهس) بمقدم الفم.

في (س ٨٤/ب، وف ٨١/ب): وقيل: بل النهش بمقدم الفم(١).

– **ص٢٥٢، س٤**: أن يكون (بالحزأ والكشط).

في (٨٤/ب، وف ٨١/ب) أن يكون بالحز أو الكشط.

– **ص٢٥٢، س٥**: والأوجه الأربعة تأتي في (نص) قرعا وغمزا.

في (٨٤/ب، وف ٨١/ب): والأوجه الأربعة تأتي في نصب قرعا وغمزا.

– **ص٢٥٨، س٣**: فوجدت الخنساء حين (قلبت) من عنده

في (س ٨٦/ب): أقبلت، وفي (ف ٨٤/أ): أقفلت، والذي في الأغاني: قامت(٢).

– **ص٢٧١، س١**: وإنما (صار باقية) من قبل الحمار.

في (س ٩٠/أ، وف ٨٧/أ): وإنما صارتا فيه من قبل الحمار(٣).

– **ص٢٨١، س١٥**: (فان) سقيته معرقة.

في (س ٩٣/أ، وف ٩٠/أ): بأن سقيته معرقة(٤).

– **ص٢٨٥، س١٥**: فقال في قصيدة (لسميَّة):

في (س ٩٤/أ، وف ٩١/أ): في قصيدة ميميَّة.

---

(١) ينظر: أمالي ابن الشجري ٣٦٩/١.

(٢) ينظر: الأغاني ١٢٤/٤، وينظر: المزهر ١٥٨/١.

(٣) ينظر: المقاصد النحوية ١٣٣٢/٣.

(٤) ينظر: شرح الحماسة للمرزوقي ٨٩٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٣٨/٢.

– **ص٣٠١، س٧**: و(اليمن): لغة في أيمن.
في (س ٩٩/ب، وف ٩٦/أ): وليمن.
– **ص٣١٧، س٦**: بالمعلاة (بين) رهاط.
في (س ١٠٣/ب): من رهاط[١].
– **ص٣١٧، س١٥**: فألفيت عند (سُواعا)
في (س ١٠٣/ب): سواع.
– **ص٣٢٤، س١**: فشرب مصدر (مضافا) إلى فاعله.
في (س١٠٥/ب): مصدر مضاف.
– **ص٣٢٧، س١١**: وثاو: من ثوى إذا (قام).
في (س ١٠٦/ب): أقام.
– **ص٣٣٠، س٣**: على زيادة (الياء) في الفاعل.
في (س١٠٧/ب): الباء.
– **ص٣٣٠، س٦**: في (محب) نصب.
في (س١٠٧/ب): في محل.
– **ص٣٣٢، س٤**: ليكون (أحشركم).
في (س ١٠٨/أ): أخس له[٢].
– **ص٣٣٨، س٢**: وإيانا: (متعد جر) المصدر المضاف إلى فاعله.
في (س ١١٠/ب): وإيانا: مفعول حب المصدر المضاف إلى فاعله.
– **ص٣٣٩، س١١**: (المتسبب) عن النهي.
في (س١١١/أ): للتسبب[٣].
– **ص٣٣٩، س١٤**: (والياء) زائدة.

(١) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص١٢٠.
(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٢/٩٢١.
(٣) ينظر: تخليص الشواهد ص٩٠.

في (س١١١/أ): والباء[١].

– **ص٣٤٢، س٧**: على (فعال) وعد يعد.

في (س ١١٢/أ): على مثال[٢].

– **ص٣٤٢، س١١**: وقال الأصمعي: (مو دعا) بالنعيم

في (س ١١٢/أ): هو دعاء[٣].

– **ص٣٤٧، س١٤**: (قال) الفارسي (:) وأورده في الإيضاح شاهدًا على ذلك

في (س ١١٤/ب، وف ٩٩/ب): قاله الفارسي، وأورده في الإيضاح شاهدًا على ذلك.

– **ص٣٤٨، س٦**: على (أبيات) الميم في أنعم

في (س ١١٤/ب، وف ٩٩/ب): على إثبات.

– **ص٣٤٨، س١١**: إذا خرق (، شغفان) قلبه

في (س ١١٤/ب، وف ٩٩/ب): إذا خرق شغاف قلبه.

– **ص٣٥٠، س١١**: (ولاشي. على) هنا قولان:

في (ف ١٠٠/أ): ولأبي علي[٤].

– **ص٣٥١، س٢**: والبيت (بين) تأكيد المدح (بالشبه) الذم.

في (س ١١٥/أ، وف ١٠٠/ب): والبيت من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

– **ص٣٦٢، س١٠**: وكان أكبر من (النابغة).

في (س ١١٨/ب، وف ١٠٣/ب): وكان أكبر من النابغتين[٥].

– **ص٣٦٧، س٥**: و(الحث): حاذرت وأشفقت.

---

(١) ينظر: تخليص الشواهد ص٩٠.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٤/٢٠١٠.

(٣) ينظر: المقاصد النحوية ٤/٢٠١٠.

(٤) ينظر: الخزانة ٢/٣٢١.

(٥) ينظر: الخزانة ٩/٤٧، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣/٧١.

في (س ١٢٠/أ): ألحت[١].

– **ص٣٩٤، س٤**: واستشهد سيبويه (في هذا) البيت على إدخال النون في ترفعن ضرورة.

في (س ١٢٧/ب، وف ١٢٢/ب): بهذا البيت.

– **ص٣٩٧، س٢٤**: ما زالت قريش (كاتمة) عني حتى توفي أبو طالب.

في (س ١٢٨/ب، وف ١٢٣/ب): كافة، وفي دلائل النبوة: كاعة[٢].

– **ص٣٩٩، س٤**: فسكن (الأمر) للضرورة.

في (س ١٢٩/أ، وف ١٢٤/أ): اللام.

– **ص٤٠٤، س١٤**: والمعنى: أن هذا الثور (لهذا الرجل) طولًا أي مرتفعًا.

في (س ١٣٠/ب، وف ١٢٥/ب): كهذا الجبل.

– **ص٤١٦، س٦**: ثم (خفق) في أيديهم فإذا هو قد مات.

في (س ١٣٤/أ): ثم حفت[٣].

– **ص٤١٧، س٧**: في ليلة لا يطلع فيها عليهما ويخبر (بجمالهما) إلا الكواكب.

في (س ١٣٤/ب): بهما، وفي تحصيل عين الذهب: بحالهما[٤].

– **ص٤١٩، س٨**: سعد العشيرة بن (منحج) الزبيدي المذحجي.

في (س ١٣٥/أ): مذحج[٥].

– **ص٤٢٥، س٧**: حدثنا (الرياحي) قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب

في (س ١٣٧/أ): الرياشي[١].

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق ٢٦٣/١١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢٧٢/٥.

(٢) ينظر: ٣٥٠/٢.

(٣) ينظر: الأغاني ٨٩/٢٤.

(٤) ينظر: ص٣٥٦.

(٥) ينظر: المقاصد النحوية ٣٤٣/١.

– **ص٤٤٥، س١**: كما قاله عبد الواحد (الطراح) في كتابه.
في (س ١٤٣/أ، وف ١٣٦/ب): الطواح[٢].
– **ص٤٦٨، س٢٠**: حذف رب وبقاء (علها) بعد الواو.
في (س ١٤٩/أ، وف ١٤٢/ب): عملها.
– **ص٤٧٠، س١٠**: قد خرج متنزهًا بقرابته وحشمه وأهله و(غاشيته) وجلسائه، ونزل في أرض (ضحضح) في عام قد كثر (وسيمه).
في (١٥٠/أ، وف ١٤٣/أ): وحاشيته ... صحصح ... وسميه[٣].
– **ص٥٠٣، س٨**: وأورده المصنف في التوضيح شاهدًا على نصب (ضمير) مفعولين.
في (س ١٥٩/ب، وف ١٥١/ب): صير[٤].
– **ص٥٠٥، س٩**: أي رماد في (جانب) الموضع.
في (س ١٦٠/أ، وف ١٥٢/أ): في جانبي الموضع.
– **ص٥٠٨، س١٢**: و(كان) منصوب (بما).
في (س ١٦٠/ب، وف ١٥٣/أ): وكل منصوب بمانحا.
– **ص٥٠٨، س١٤**: والتصريح بأن (وجد) كيما ضرورة.
في (س ١٦١/أ، وف ١٥٣/أ): والتصريح بأن بعد كيما ضرورة.
– **ص٥١٥، س٦**: محمد بن (الذؤيب) النهشلي (النقيمي)
في (س ١٦٢/أ، وف ١٥٤/أ): محمد بن ذؤيب النهشلي الفقيمي[٥].
– **ص٥٢٩، س٨**: والتقدير: (محل،) لوجهين، أحدهما:

(١) ينظر: ذيل الأمالي ص١٠٤.
(٢) ينظر: تخليص الشواهد ص٣١٤، والمقاصد النحوية ٦٧٨/٢.
(٣) ينظر: تاريخ دمشق ١٠٧/٤٠.
(٤) ينظر: أوضح المسالك ٥٢/٢.
(٥) ينظر: الشعر والشعراء ٧٥٥/٢.

في (س ١٦٦/ب، وف ١٥٨/أ): محتمل لوجهين[١].

– **ص٥٣٤، س١٨**: شبه صفاء أنسابهم (لصفاء) المطر.

في (س ١٦٨/ب): بصفاء المطر.

– **ص٥٣٨، س٦**: بقطيع لي فيه الرائمة (اللبون).

في (س ١٦٩/ب، وف ١٦١/أ): البو[٢].

– **ص٥٤٠، س١٠**: لقد خشيت أن يموت قيس ولم (يدرك) خلفا وقد حرم الولد.

في (س ١٧٠/ب، وف ١٦٢/أ): ولم يترك.

– **ص٥٤٥، س١٧**: والمكنع بالنون، من التكنيع، وهو (التبعيض).

في (س ١٧٢/أ، وف ١٦٣/ب): التقبيض[٣].

– **ص٥٥٦، س٢**: الأبيرد بن (معد) بن عمرو

في (ف ١٦٦/أ): بن المعذر[٤].

– **ص٥٧٥، س١٠**: لأن البعير ينهض بكلكله، (أو لاسم يجوزه).

في (س ١٨٠/أ، وف ١٧٠/أ): لأن البعير ينهض بكلكله أولًا ثم بجوزه.

– **ص٥٧٥، س١٤**: يقال: أغرت (الحيلة:) إغارة، وحبل شديد الغارة: أي شديد الفتل.

في (س ١٨٠/ب، وف ١٧٠/أ): أغرت الحبل[٥].

– **ص٥٨٤، س١**: قال الترمذي: والتخيل الخيلاء.

في (س ١٨٣/أ، وف ١٧٢/ب): قال التبريزي: والتخيل الخيلاء[١].

---

(١) ينظر: شرح بانت سعاد ص٢٩٢.

(٢) ينظر: مجالس ثعلب ٥١/٦، وتاريخ دمشق ٣٨٣/٤٩.

(٣) ينظر: المقاصد النحوية ١٧٠٤/٤.

(٤) ينظر: الأغاني ٨٧/١٣.

(٥) ينظر: المقاصد النحوية ١٧٤٤/٤.

– **ص٥٨٥، س٤**: (فقال) (حر) لقاح، بالفتح، إذا لم يدينوا ولم يصبهم (شيئًا).

في (س ١٨٣/ب، وف ١٧٣/أ): يقال: حي لقاح، بالفتح، إذا لم يدينوا ولم يصبهم سباء[٢].

– **ص٥٨٦، س٣**: تزوج قيس بن عاصم المنقري (بنفوسة) بنت زيد الفوارس الضبي.

في (س ١٨٣/ب، وف ١٧٣/أ): منفوسة بنت زيد[٣].

– **ص٥٩٠، س١**: هذه ليلى الأخيلية (الذي) مات توبة (الفاجيّ) من حبها.

في (س ١٨٥/أ، وف ١٧٤/ب): التي...الخفاجي[٤].

– **ص٥٩٣، س١٢**: قال أبو القاسم (الزجاج) في أماليه:

في (ف ١٧٥/ب): الزجاجي[٥].

– **ص٥٩٣، س١٤**: ولا كان بينهم نسب (شانك).

في (س ١٨٦/أ، وف ١٧٥/ب): شابك[٦].

– **ص٥٩٧، س١٧**: وهذا (أشهر) في الضرورة وأقرب.

في (س ١٨٧/ب، وف ١٧٦/ب): أسهل[٧].

– **ص٦٠٦، س١٠**: ومرتعها قريب (من) موضع الحال.

في (ف ١٧٩/أ): في موضع الحال[١].

---

(١) ينظر: شرح الحماسة للتبريزي ١٩٢/١.

(٢) ينظر: الصحاح ٤٠١/١، وشرح شواهد المغني ٧٧٠/٢، فقد ذكره مرة أخرى.

(٣) ينظر: الأغاني ٤٧/١٤.

(٤) ينظر: أمالي القالي ٨٧/١، والجليس الصالح ص٧٧.

(٥) ينظر: أمالي الزجاجي ص٧٧.

(٦) ينظر: أمالي الزجاجي ص٧٧.

(٧) ينظر: تحصيل عين الذهب ص٣٨٨.

– **ص٦١٣، س٤**: (الباءة): المنزل.

في (س ١٩٢/أ، وف ١٨٠/ب): والمباءة: المنزل[٢].

– **ص٦٢٣، س١٨**: لا تثبت مودتهن لأحد سريعات (الصوم).

في (س ١٩٥/ب، وف ١٨٤/أ): سريعات الصرم.

– **ص٦٢٧، س١**: وهو (الرجل) بأداته.

في (س ١٩٦/ب، وف ١٨٥/أ): الرحل.

– **ص٦٤٨، س٦**: وعلى قوله: ففي البيت حذف (، الثامن).

في (س ٢٠٣/أ، وف ١٩١/أ): حذف ثامن.

– **ص٦٧٠، س٢**: إذا (عقر قبتها) لئلا تبرح لما يرام من (نحوها).

في (س ٢٠٩/ب، وف ١٩٧/أ): إذا عرقبتها لئلا تبرح لما يرام من نحرها[٣].

– **ص٦٧٠، س٥**: وإنما كسرت النون لتسلم (الميم).

في (س ٢١٠/أ، وف ١٩٧/أ): الياء.

– **ص٦٧١، س٩**: وإن كان (غير) موجب.

في (س ٢١٠/أ، وف ١٩٧/ب): تغير موجب[٤].

– **ص٦٧٢، س٧**: بل (إن) الغابن ولا أدري أهم على ما أنا عليه أم لا

في (س ٢١٠/ب، وف ١٩٨/أ): بل أنا الغابن[٥].

– **ص٦٨٦، س٥**: آثار الناس وما (سردوا).

في (س ٢١٤/أ، وف ٢٠١/ب): وما سوّدوا[٦].

---

(١) ينظر: المقاصد النحوية ٦٨٤/٢.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ٦٦٤/٢.

(٣) ينظر: المقاصد النحوية ١٩٧٨/٤.

(٤) ينظر: المقاصد النحوية ١٠٨٤/٣.

(٥) ينظر: تخليص الشواهد ص١٤٠.

(٦) ينظر: شرح أدب الكاتب ص٣٠٧.

– **ص٦٨٧، س٤**: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد (بدل العهد) فيه.

في (س ٢١٤/ب، وف ٢٠١/ب): أن قد بدا لعمه فيه[١].

– **ص٧١٠، س١٤**: (بعد نص) بكفره

في (س ٢٢٠/أ، وف ٢٠٧/ب): تعريض بكفره[٢]

– **ص٧١٠، س١٥**: لأنه قبيح مشوَّه (الحال) للقذر.

في (س ٢٢٠/أ): آكال للقذر[٣].

– **ص٧٢٢، س١٧**: ويكون (من أحفا).

في (س ٢٢٣/ب، وف ٢١١/أ): مزاحفًا[٤].

– **ص٧٢٤، س١**: صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا، (وبقيت) ملأنا.

في (س ٢٢٤/أ): بت، ولعل الصواب: وشتت ملأنا[٥].

– **ص٧٣٠، س٧**: ويكون (كان) مع ما في (خبرها) يخرج عن الربط بما هو معها.

في (ف ٢١٣/أ): ويكون كأن مع ما في حيزها[٦].

– **ص٧٥٩، س٢**: أخبرنا أبو عثمان عن (النوري)

في (س ٢٣٣/ب، وف ٢٢٠/أ): عن الثوري.

– **ص٧٨٠، س٧**: ورأيت في تاريخ ابن عساكر بسنده إلى ابن (رواحة): إنه للطرماح.

---

(١) ينظر: دلائل النبوة ١٧٨/٢.

(٢) ينظر: المصباح لابن يسعون ٦٣٨/١.

(٣) ينظر: المصباح لابن يسعون ٦٣٩/١.

(٤) ينظر: الخزانة ٢٣٤/١١.

(٥) ينظر: الجليس الصالح ص١٢٤، والخزانة ٦٩/٧.

(٦) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٦٣٧/٢.

في (س ٢٣٨/ب): ابن ماجة، ولعل الصواب: ابن داجة[١].

– **ص٧٨٠، س٨**: وفي شواهد (من) للزمخشري: إنه لحسان.

في (س ٢٣٨/ب): شرح شواهد سيبويه للزمخشري، وفي (ف ٢٢٥/أ): شرح شواهد أبيات الكتاب للزمخشري.

– **ص٧٨١، س٤**: و(كل) رواه أبو الحسن الأخفش

في (س ٢٣٩/أ، وف ٢٢٥/أ): وكذا.

– **ص٧٩٩، س١٧**: حتى (عصوا)

في (س ٢٤٣/ب، وف ٢٢٩/ب): حتى عشوا، وفي الأمالي: حتى يمسوا[٢].

– **ص٨١٢، س١٤**: وفيه (زخاف الخبر).

في (س ٢٤٦/ب، وف ٢٣٢/ب): وفيه زحاف الخبن[٣].

– **ص٨١٤، س١٣**: لأن المعلق أبطل (عليه) لفظا لا محلا.

في (س ٢٤٧/ب، وف ٢٣٣/ب): عمله.

– **ص٨٣١، س١٠**: هي كلمة (التفضيل) الواقعة في نحو: [جاء] إما زيد،

في (س ٢٥٢/ب، وف ٢٣٨/أ): التفصيل...

– **ص٨٥٩، س١٢**: عباد بن زياد بن (أمية)

في (س ٢٦١/أ، وف ٢٤٧/أ): بن أبيه[٤]

– **ص٩١٤، س١٦**: وشد فوق بعضهم (بالأردية)

في (س ٢٧٩/أ، وف ٢٦٣/ب): بالأروية[٥].

– **ص٩٢٧، س٤**: والمهاة: (البلق) والبقرة الوحشية.

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق ٤٦٧/٢٤.

(٢) ينظر: ٤٧/٢.

(٣) ينظر: المصباح لابن يسعون ٥٧٧/١.

(٤) ينظر: المقاصد النحوية ٤٠٩/١.

(٥) ينظر: شرح الحماسة للمرزوقي ص٦٥٦.

في (س ٢٨٩/أ، وف ٢٧٣/أ): البلورة[١].

– **ص٩٣٠، س٣، ص٩٣١، س٣**: زفر بن الحارث بن (معان)

في (س ٢٩٠/أ، وف ٢٧٤/أ): معاذ[٢].

– **ص٩٤٣، س٩**: و(يردد) قوله تعالى:

في (س ٢٩٤/ب، وف ٢٧٨/ب): ويرده[٣].

– **ص٩٤٤، س٢**: ذكر ابن (الغواص) في شرح ألفية ابن معطي.

في (س ٢٩٥/أ، وف ٢٧٨/ب): ابن القواس.

– **ص٩٤٥، س١٦**: (يرونهم) إلى الصلة بعد القطيعة.

في (س ٢٩٥/ب، وف ٢٧٩/ب): يردونهم.

– **ص٩٥٤، س١٤**: فأخذه الطاعون كما (ثبت) ذلك في كتاب المعجزات.

في (س ٢٩٨/أ، وف ٢٨١/ب): بينت[٤].

– **ص٩٥٥، س٨**: وهي في (زود) لها جرب.

(في س ٢٩٨/ب، وف ٢٨٢/أ): ذود.

– **ص٩٦٨، س٤**: رفيع بن سلمة المعروف بديار صاحب أبي عبيدة.

في (س ٣٠٤/ب، وف ٢٨٥/ب): بدماد، ولعل الصواب: بدماذ[٥].

(١) ينظر: تخليص الشواهد ص١٢٢.

(٢) ينظر: جمهرة أنساب العرب ٢٨٦/١، وتاريخ دمشق ٣٤/١٩.

(٣) ينظر: تخليص الشواهد ص٤٨٣.

(٤) ويؤيده أن الكتاب للسيوطي.

(٥) ينظر: العقد الفريد ٣١٦/٢، وطبقات النحويين ص١٨١، وإنباه الرواة ٦/٢، ومعجم الأدباء ١٣٠٧/٣.

التغيير والتبديل

ويقصد به التغيير والتبديل الذي يخرج بالكلمة أو بالكلمات عن صورتها الصحيحة مما لا يدخل في التصحيف والتحريف، ووضعت الكلمة بين قوسين:

- **ص١١، س١٣**: ومعاني (الشعراء) لأبي عثمان
في (س ٢/أ، وف ٢/ب): ومعاني الشعر لأبي عثمان
- **ص١١، س١٥**: (والمرقص) لمحمد بن المعلى الأزدي
في (س ٢/أ، وف ٢/ب): والترقيص لمحمد بن المعلى الأزدي
- **ص١٩، س٥**: وصف رمحًا لين (المتن).
في (س ٤/ب، وف ٥/ب): وصف رمحًا لين الهز[١].
- **ص٤١، س٢٣**: لأنه بدل اللفظ بفعل (قيل له موضع)
في (س ١٣/ب، وف ١٣/أ): بفعل مهمل لم يوضع[٢].
- **ص٥٧، س١٣**: يعود (الحلم) منك على قريش
في (س ٢١/أ): يعود الفضل منك على قريش
وكذا ذكره في ص٥٦.
- **ص٧٨، س٨**: ويروى: (من) إن بديت
في (س ٢٨/ب، وف ٢٧/ب): ما إن بديت
- **ص١١٦، س٢٠**: قال المصنف في شواهده: الأصل (إلا) أن كنت ذا نفر فخرت
في (س ٤٣/أ، وف ٤١/أ): لأن كنت ذا نفر فخرت[٣].

(١) كذا في تخليص الشواهد ص٥٠٥.
(٢) ينظر: شرح التسهيل ١٨٣/٢.
(٣) ينظر: تخليص الشواهد ص٢٦٥.

– **ص١٥٥، س١**: الحمد لله (الذي) لم يأتني أجلي
في (س ٥٦/أ، وف ٥٣/ب): الحمد لله إذ لم يأتني أجلي
– **ص٢٨٥، س٣**: وعاديا: هو أبو السموأل، كان له (حصنين أحدهما) يقال له الأبلق.
في (س ٩٤/أ، وف ٩١/أ): كان له حصن بتيماء يقال له الأبلق[١].
– **ص٢٩١، س١٤**: (أتانا) بالهدى بعد العمى فقلوبنا
في (س ٩٦/ب، وف ٩٣/أ): أتى بالهدى...
– **ص٣٠١، س١٠**: الميل والتكاسل من شدة (البين).
في (س ٩٩/ب): من شدة السير[٢].
– **ص٣٣٩، س١**: أي إنه (من) أسباب اللعن.
في (س١١١/أ): أبى[٣].
– **ص٤١٢، س٥**: فيا رب إن لم تقسم الحب (بيني وبينها)
في (س ١٣٣/أ): بيننا[٤].
– **ص٥٦١، س٣**: وجلدة: بفتح الجيم وسكون اللام (الواحدة،) الجلاد.
في (س ١٧٦/أ، وف ١٦٧/أ): واحدة الجلاد[٥].
– **ص٥٨٣، س٩**: أراهط: (جمع رهط أرهط، جمع رهط)، كأنهم قالوا: رهط وأرهط. ثم قالوا أراهط.
في (س ١٨٣/أ، وف ١٧٢/ب): أراهط: جمع جمع، كأنهم قالوا: رهْط وأرْهُط،

(١) ينظر: المقاصد النحوية ٢/٧٤٧.
(٢) ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب ٢/٢٧٤.
(٣) ينظر: تخليص الشواهد ص٩٠.
(٤) ينظر: مغني اللبيب ص٨٦.
(٥) ينظر: المقاصد النحوية ١/٣٢٥.

ثم قالوا: أراهط[1].

– **ص٦٥٢، س٨**: استشهد به (سيبويه) في شرح الفصيح

في (س ٢٠٤/ب، وف ١٩٢/أ): ابن درستويه.

– **ص٧٢٠، س١٢**: وقيل: (يحير) من حيث الجواب.

في (س ٢٢٣/أ، وف ٢١٠/ب): تمييز[2].

– **ص٩٤٦، س٧**: وهي وأخواتها قد (يوصفن) في الشعر توسعًا موضع (منازعة).

في (س ٢٩٦/أ، وف ٢٧٩/ب): ... يوضعن في الشعر توسعًا موضع صار.

(١) ينظر: المقاصد النحوية ٦٧٢/٢.

(٢) ينظر: المقاصد النحوية ١٢٧٧/٣.

الخاتمة

بعد قراءة شرح شواهد المغني المطبوع والرسالة العلمية وموازنتهما بالنسخ الخطية التي حصلت عليها خلص البحث إلى جملة من النتائج؛ أهمها:

١. أن من حقق الكتاب وأخرجه للقراء بذل جهدًا كبيرًا في تصحيح النص، ووفق كثيرًا في عمله، وما ملحوظاتي هذه إلا إتمام لهذا العمل وإكمال له، وليس قدحًا فيه، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الصواب.

٢. شرح شواهد المغني المطبوع لا يمكن الاطمئنان إلى سلامة نصه، ولابد من إعادة تحقيقه تحقيقًا دقيقًا على نسخ مختارة.

وكتاب السيوطي هذا له نسخ كثيرة في أماكن مختلفة من العالم في مكتبات عربية وتركية، وبعضها كُتب في عصر المؤلف، في القرن العاشر، جمعت عددًا منها، سائلًا الله أن يعينني على تحقيق الكتاب، وإخراجه بما يليق به.

٣. وقع في شرح شواهد المغني جل عيوب التحقيق من السقط والزيادة، والتصحيف والتحريف، والتقديم والتأخير، والتغيير والتبديل، وكان ذلك في مواضع كثيرة تؤثر في استقامة النص وفهم معناه.

٤. استدركت الرسالة العلمية جزءًا مما وقع في المطبوع وبقي الكثير من هذه العيوب مشتركًا بين المطبوع والرسالة، ولعل ذلك راجع إلى أن الباحث اعتمد على نسخ متقاربة في أماكنها وتاريخ نسخها، كما اعتمد كثيرًا على النسخة المطبوعة؛ فقد رجَّح في خاتمة الرسالة أن النسخة المطبوعة اعتمدت على نسخة (د) من نسخه، وهذا يعني أنه استخدم النسخة (د) والنسخة المطبوعة عن (د) حسب قوله[١].

٥. في شرح شواهد المغني المطبوع وكذلك الرسالة العلمية زيادات من مراجع السيوطي، وكثير منها لا يحتاجها النص والسياق، ولعل السيوطي تجاوزها

(١) ينظر: شرح شواهد المغني (الرسالة) ص١٢٢٣.

قصدًا منه؛ لأنه ينقل كثيرًا بالمعنى.

٦. هذه الملحوظات التي دونتها هي ملحوظات على شرح شواهد المغني المطبوع والرسالة العلمية؛ فلم أذكر إلا ما كان مشتركًا بينهما.

وختاما: الله أسأل أن يقدم هذا البحث جديدا، وأن يلقى القبول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحابته أجمعين، والتابعين بإحسان.

المصادر والمراجع

الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

الأعلم، يوسف بن سليمان، تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

الآمدي، الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه: د. ف. كرنكو، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

البرديجي، أحمد بن هارون، طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، تحقيق: سكينة الشهابي، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط١، ١٩٨٧م.

البصري، علي بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

البغدادي، عبد القادر، شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دمشق، دار المأمون للتراث، ط٢، ١٤٠٧هـ–١٩٨٨م.

البغدادي، عبد القادر، شرح شواهد الشافية (مع شرح شافية ابن الحاجب)، حققهما: محمد نور الحسن وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

البكري، أبو عبيد، ذيل الأمالي والنوادر، بيروت، دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م.

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

التبريزي، يحيى بن علي، شرح الحماسة، دار القلم، بيروت.

ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، ط٢.

الجواليقي، موهوب، شرح أدب الكاتب، تحقيق: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٥م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

ابن الحاجب، عمرو بن عثمان، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: د. فخر قدارة، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

ابن حزم، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الخالدان، أبو بكر محمد، وأبو عثمان سعيد، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، مصر، لجنة التأليف والترجمة.

الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤م.

الزجاجي، عبد الرحمن، أمالي الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

أبو زيد، سعيد بن أوس، النوادر في اللغة، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، بيرون، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر،

ط١، ١٩٦٨م.
السكري، الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة المدني.
ابن سلام، محمد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني.
السيرافي، الحسن بن عبد الله، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٢٧٢هـ – ١٩٦٦م.
السيرافي، يوسف بن الحسن، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: د. محمد علي الريح هاشم، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الفكر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، اعتنى بتصحيحه: الشيخ محمد محمود الشنقيطي، القاهرة، المطبعة البهية بمصر، ١٣٢٢هـ.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، تحقيق: أحمد إبراهيم الجدبة، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، بكلية الآداب بجامعة أم درمان الإسلامية، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، تحقيق: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، مخطوطات جامعة الملك سعود، برقم (٢٢٨).
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، مخطوطات مكتبة فيض الله

أفندي، برقم (١٩٥٦).
ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود الطناحي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ.
ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: د. محمد كامل بركات، دمشق، دار الفكر، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
العيني، محمود بن أحمد، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (شرح الشواهد الكبرى)، تحقيق: د. علي محمد فاخر، ود. أحمد محمد توفيق السوداني، ود. عبد العزيز محمد فاخر، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
الفراهيدي، الخليل، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، د. ت.
القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، بيروت، دار الكتب العلمية.
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.
ابن قطلوبغا، قاسم، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، صنعاء، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط١.

المبرد، محمد بن يزيد، الكامل، عارضه بأصوله وعلَّق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

المرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ابن الناظم، بدر الدين بن مالك، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

هارون، عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، شرح قصيدة بانت سعاد، تحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، القاهرة، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن

المبارك، ومحمد علي حمد الله، بيروت، دار الفكر، ط٥، ١٩٧٩م.

ابن يسعون، يوسف بن يبقى، المصباح لما اعتم من شواهد الإيضاح، تحقيق: د. محمد الدعجاني، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب.

Bibliography

Al-Asfahani, Abu Al-Faraj, **Al-Aghāni**, investigation: Dr. Ihsan Abbas, Dr. Ibrahim Al-Saʿāfin, and Bakr ʿAbbas, Beirut, Dār Sadir, 3rd edition, 1439 AH -2008

Al-Aʿlam, Youssuf Bin Suleiman, **Taḥṣīl 'Ayn al-dhahab min ma'dan Jawhar al-adab fī 'ilm majāzāt al-'Arab**, Investigation: Dr. Zuhair ʿAbd al Muhsin Sultan, Beirut, Al-Resala Foundation, 2nd edition, 1415 A.H. - 1994.

Al-Āmidi, Al-Hasan bin Bishr, Al-Muʾtalif wa al-Mukhtalif fi Asmā al-Shuʿarā wa Kunāhum wa al-Qābihim wa Ansābihim wa baʿd Sheʿrihim, reviewed by: Dr. F. Karnko, Beirut, Dār Al-Jeel, 1, 1411 AH - 1991.

Al-Bardiji, Ahmad bin Haroun, Tabaqāt al-Asmā al-Mufradah min al-Sahābah wa al-Tābiʿin wa Ashāb al-Hadith, investigation: Sakina Al-Shihabi, Damascus, Dār Talass for Studies and Translation, I 1, 1987.

Al-Basri, ʿAli bin Abi Al-Faraj, Al-Ḥamāsa al-Basriyah, Investigation: Dr. ʿĀdil Suleiman Jamal, Cairo, Al-Khanji Library, 1st edition, 1420 AH – 1999.

Al-Baghdadi, Abd al-Qadir, Khizānat al-Adab wa lub Lubāb Lisān Al-ʿArab, investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Cairo, Al-Khanji Library, 1st edition, 1406 AH - 1986.

Al-Baghdadi, Abd al-Qadir, **Sharh Abyāt mughni al-Labib**, investigation: Abd al-ʿAziz Rabah, and Ahmad Youssuf Al-Daqqaq, Damascus, Dār Al-Maʾmoun Heritage, 2, 1407 AH-1988.

Al-Baghdadi, ʿAbd al-Qadir, Sharh shawahid al-Shāfiya (maʿa sharh shāfiyat Ibn al-Hajib), investigated by: Muhammad Nour Al-Hasan and others, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1402 AH-1982.

Al-Bakri, Abu ʿUbaid, Dhail Al-Amālī wa Al-Nawādir, Beirut, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmia.

Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Husain, Dalāʾil al-Nubuwwah wa Maʿrifat Ahwāl Ṣāhib al-Shariʿah, Investigation: Dr. Abd al-Muʿti Qalʿaji, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyya and Dār Al-Rayyan Heritage, 1, 1408 AH - 1998 AD.

Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Hussein, Shuab al-iman, investigation: Dr. Abdul Ali Abdul Hamid Hamid, Riyadh, Al-Rushd Library, 1, 1423 AH - 2003.

Al-Tabrizi, Yahya bin Ali, Sharh al-hamassa, Dār Al-Qalam, Beirut.

Tha'lab, Ahmad bin Yahya, **Majālis Thaʿlab**, investigation: ʿAbd al-Salam Haroun, Egypt, Dār Al Maʿārif, 2nd edition.

Al-Jawāliqi, Mawhoub, Sharh Adab al-Kātib, investigation: Dr. Taiba Hamad Boodai, Kuwait University Press, 1, 1995.

Al-Jawhari, Ismail bin Hammad, Al-Sihāh Tāj Al-Lugha wa Sihāh Al-ʿArabiya, investigation: Ahmad ʿAbd al-Ghafour ʿAttar, Beirut, Dār Al-ʿIlm for Millions, 3rd edition, 1404 AH - 1984.

Al-Hamawi, Yaqout, Muʿjam al-Oudabā, investigated by: Dr. Ihsan Abbas, Dār al-Gharb al-Islami, 1, 1993.

Ibn Al-Hājib, ʿAmr bin Uthman, **Amāli ibn Al-Hājib**, investigation: Dr. Fakhr Qudāra, Beirut, Dār Al-Jeel, 1409 AH - 1989.

Ibn Hazm, ʿAli bin Ahmad, **Jamharat Ansāb al-ʿArab**, Investigation: A Committee of Scholars, Beirut, Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1, 1403 AH - 1983.

Al-Khālidān, Abu Bakr Muhammad, and Abu Othman Saʿeed, **Al-Ashabah wa al-Nazāʾir min Ashʿār al-Mutaqadimīn wa al-Jāhiliya wa al-Mukhadramīn**, investigated by: Dr. al-Sayyid. Muhammad Yousuf, Egypt, Authoring and Translation Committee.

Al-Zubaidi, Muhammad bin Al-Hasan, **Tabaqāt al-Nahwiiyn wa al-Lughawiyīn**, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dār Al-Maʿārif, 2nd edition, 1984.

Al-Zajjāji, ʿAbd Al-Rahman, **Amāli Al-Zajjāji**, investigation: ʿAbd Al-Salam Haroun, Beirut, Dār Al-Jeel, 2, 1407 AH - 1987.

Abu Zaid, Saʿeed bin Aws, **Al-Nawādir fi al-Lugha**, investigated by: Dr. Muhammad Abdul Qadir Ahmad, Byron, Dār Al-Shoroug, 1, 1401 AH - 1981 AD.

Ibn Saʿd, Muhammad, **Al-Tabaqāt Al-Kubrā**, investigation: Ihsan Abbas, Beirut, Dār Sadir, 1, 1968.

Al-Sukkari, Al-Hassan Bin Al-Husain, **Sharh Ashār al-Hudhaliyīn**, investigated by: Abdel-Sattar Ahmad Farraj, Cairo, Al-Madani Press.

Ibn Salam, Muhammad, Tabaqāt Fuhoul al-Shuʿarā, investigation: Mahmoud Muhammad Shakir, Jeddah, Dār Al-Madani.

Al-Sīrāfi, Al-Hasan bin ʿAbdillah, **Akhbār al-Nahawiyīn al-Basariyīn**, investigation: Taha Muhammad Al-Zayni, and Muhammad Abd al-Munʿim Khafaji, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, 1272 AH - 1966.

Al- Sīrāfi, Yousuf bin Al-Hasan, **Sharh Abyāt Sībawayh**, investigation: Dr. Muhammad Ali Al-Reeh Hashem, Cairo, Al-Azhar Colleges Library, and Dār Al-Fikr, 1394 AH - 1974.

Al-Suyouṭī, ʿAbd al-Rahman bin Abi Bakr, **Al-Muzhir fi ʿUloum al-Lugha wa Anwāʿiha,** investigated by: Muhammad Ahmad Jad Al-Mawla Bey, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, and Ali Muhammad Al-Bajawi, Beirut, Al-Asriya Library, 1986 AD.

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Taāikh al-Khulafa**, investigation: Hamdi Al-Demerdash, Nizar Mustafa Al-Baz Library, 1st edition, 1425 AH - 2004.

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Sharh Shawāhid al-Mughni,** took care of its correction: Sheikh Muhammad Mahmoud Al-Shanqiti, Cairo, Al-Bahiya Press in Egypt, 1322 AH.

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Sharh Shawāhid al-Mughni**, investigation: Ahmad Ibrahim Al-Jadba, a thesis for a doctorate degree, at the Faculty of Arts at Omdurman Islamic University, 1417 AH - 1996 AD.

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Sharh Shawāhid al-Mughni**, investigation: Ahmad Dhafer Kojan, Arab Heritage Committee, 1386 AH - 1966.

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Sharh Shawāhid al-Mughni**, Manuscripts of King Saud University, No. (228).

Al-Suyouṭī, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, **Sharh Shawāhid al-Mughni**, Manuscripts of Faydullah Affendi Library, No. (1956).

Ibn al-Shajari, Hibatullah Ibn ʿAli, **Amāli Ibn al-Shajari**, investigated by: Dr. Mahmoud Al-Tanahi, Cairo, Al-Khanji Library, 1st edition, 1413 AH - 1992.

Ibn Abd Rabuh, Ahmad bin Muhammad, **Al-ʿIqd al-Farīd,** Beirut, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1st edition, 1404 AH.

Ibn ʿAsākir, ʿAli Ibn Al-Hasan, **Tārīkh Madinat Dimashq wa dhikr Fadlaha wa Tasmiyat min Hallahā min al-Amāthil aw Ijtāza be Nawāhīhā min Wāaridīhā wa Ahliha**, Investigation: Omar Ibn Gharamah Al-Amrawi, Beirut, Dār Al-Fikr, 1st edition, 1415 AH - 1995.

Ibn Aqil, ʿAbdullah bin ʿAbd al-Rahman, **Al-Musāʿid ʿalā Tashil al-Fawāʾid,** investigation: Dr. Muhammad Kamel Barakat, Damascus, Dār Al-Fikr, publications of the Center for Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage, College of Sharia and Islamic Studies, Mecca, 1400 AH - 1980.

Al-ʿAinī, Mahmoud bin Ahmad, Al-Maqāsid al-Nahwiya fi Sharh Shawāhid Shurouh al-Alfiya (sharh al-shawahid al-kubrā), investigation: Dr. ʿAli Muhammad Fakhir, Dr. Ahmad Muhammad Tawfiq Al-Sudani, Dr. ʿAbd al-ʿAziz Muhammad Fakhir, Cairo, Dār Al-Salām for printing, publishing, distribution and translation, 1, 1431 AH - 2010.

Al-Farāhīdī, Al-Khalil, **Kitāb Al-ʿAin**, investigation: Dr. Mahdi Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samuarrāʾī.

Al-Qālī, Ismail bin Al-Qasim, **Al-Amālī**, Beirut, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmia.

Ibn Qutaiba, Abdullah bin Muslim, Al-shier wa al-shu'ara, investigation: Ahmad Muhammad Shakir, Dār Al Maʿārif.

Ibn Qatlubagha, Qasim, **Al-Thiqāt mimman lam yaqaʿ fi al-Kutub al-Sitta**, investigation: Shadi bin Muhammad bin Salem Al Numan, Sana'a, Al-Nu'man Center for Research and Islamic Studies, 1st edition, 1432 AH - 2011.

Al-Qafati, ʿAli bin Yousuf, **Inbāh al-Ruwāt ʿalā Anbāh al-Nuhāh**, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dār Al-Fikr Al-ʿArabi, 1st edition, 1406 AH - 1986.

Ibn Malik, Muhammad bin ʿAbdillah, **Sharh al-Tashīl**, investigation: Dr. ʿAbd al-Rahman Al-Sayyid, and Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoon, Hejra for printing, 1st edition, 1410 AH - 1990.

Ibn Malik, Muhammad bin ʿAbdillah, **Sharh al-Kāfiya al-Shāfiya**, Investigation: Dr. ʿAbd al-Munʿim Ahmad Haridi, from the publications of the Center for Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, 1st ed.

Al-Mubarrid, Muhammad ibn Yazid, **Al-Kāmil**, who opposed it with its origins and commented on it: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dār al-Fikr al-Arabi, 3rd edition, 1417 AH - 1997.

Al-Marzougi, Ahmad bin Muhammad, **Sharh Dīwan al-Ḥamāsa,** investigation: Ahmad Amin, and Abdel Salam Haroun, Beirut, Dār Al-Jeel, 1, 1411 AH - 1991.

Al-Muafa bin Zakaria, **Al-Jalīs al-Ṣāleh al-Kāfī wa al-Anis al-Nāsih al-Shāfi**, investigated by: ʿAbd al-Karim Sami Al-Jundi, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1, 1426 AH - 2005.

Ibn al-Nāzim, Badr al-Din ibn Malik, Sharh ibn al-Nāzim ʿalā Alfiyat ibn Malik, investigation: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1, 1420 AH - 2000.

Abu Naim, Ahmad bin ʿAbdillah, **Dalāʾil al-Nubuwwah**, investigation: Dr. Muhammad Rawas, Qalʿaji, and ʿAbd al-Bar ʿAbbas, Beirut, Dār Al-Nafāʾis, 2nd edition, 1406 AH - 1986.

Haroun, ʿAbd al-Salām, **Tahqiq al-Nusous wa Nashriha**, Cairo, Al-Khanji Library, 7th Edition, 1418 AH - 1998.

Ibn Hisham, Abdullah bin Yousuf, **Awdah al-Masālik ilā Alfiyat ibn Malik**, with ʿIdat al-Sālik ilā Tahqiq Awdah al-Masālik: by Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, 5th edition, 1399 AH - 1979.

Ibn Hisham, ʿAbdullah bin Yousuf, **Takhlis al-Shawāhid wa Talkhis al-Fawāʾid**, investigation: Dr. Abbas Mustafa Al-Salihi, Beirut, Dār Al-Kitab Al-Arabi, 1, 1406 AH - 1986.

Ibn Hisham, ʿAbdullah bin Youssuf, **Sharh Qaṣīdat Bānat Suʿād**, investigation: Dr. ʿAbdullah ʿAbd al-Qadir Al-Taweel, Cairo, Islamic Library, 1, 1431 AH - 2010.

Ibn Hisham, ʿAbdullah bin Yousuf, **Mughni al-Labib ʿan Kutub Al-Aʿāreeb**, investigated by: Dr. Mazin Al-Mubarak, and Muhammad Ali Hamdallah, Beirut, Dār Al-Fikr, 5th edition, 1979.

Ibn Yasʿoun, Yousuf bin Baqi, **Al-Misbāh limā Iʿtam min Shawāhid al-Īdāh**, investigated by: Dr. Muhammad Al-Dajani, Deanship of Scientific Research at the Islamic University, 1, 1429 AH - 2008.

Ibn Yaʿīsh, Yaʿīsh Bin ʿAli, **Sharh al-Mufaṣṣal**, Beirut, ʿĀlam Al-Kutub.

قولة: (ما أغفله عنك شيئاً) في كتاب سيبويه
نظر في روايتها، ومحاولة لتأويلها

The Saying "Ma Agfalaho Anka shaya" In Sibawayh's Book
Looking at Its Narration and Attempt at Its Interpretation

د. فهيد بن رباح بن فهيد الرَّباح

أستاذ النَّحو والصَّرف المساعد بكليَّة اللغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة

البريد الإلكتروني: fhrabah@gmail.com

المستخلص

يكشف هذا البحث حكايةَ قولةٍ مأثورةٍ دار حولها وفيها إشكال فهمٍ، يدركه من نظر في الأوجه الإعرابية الَّتي خرِّجت عليها القولة وفسِّر به معناها.

وعند محص النَّظر في توليف الكلام فيها يخالجك شكٌّ تحاول كشفه؛ فينهدم أمره لذهاب أصحابه، وبقاء ما رووه؛ فيلزمك حينئذٍ إسعاف الأمر بالظَّنِّ وربتما إعسافه.

وقد جهدت في هذا البحث محاولاً كشف الإشكال وفكَّ الاشتجار فعساني قد فعلتُ، ومفاتحه إلحام القولة جملة واحدة وحقيقتها جملتان، وفي ظنِّي أنَّه قد ركبها التَّحريف والتَّصحيف فكان أن اكتنف هذه القولة ذلك، وهو خلل من آثار الوجادة.

الكلمات المفتاحيَّة: مفعول به/ مفعول مطلق/ الأخفش/ حذف الفعل/ تصحيف.

Abstract:

This research examined the story of an old proverb that the people who created it are gone a long time ago. There have been discussions about it and misunderstanding led to exaggeration in interpreting it. It could be better understood when looking at the grammatical aspects that the expression was interpreted based on.

Allah has helped us in this research to find out the problem and remove the misinterpretation of the proverb. The key point of the proverb was one sentence and in fact, it was two sentences. Due to the change in the proverb, correction would take place and so it was characterized by confusion, misinterpretation and correction. The three aspects of defects resulted from al-wajada.

Keywords: one sentence, two sentences, doubtful, commission and correction.

المقدِّمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على مَن لا نبيَّ بعده.

قولة وردت في كتاب سيبويه أشكلت قديماً مبنىً ومعنىً، ولما أن راجعتُ ما ذكره النَّحويُّون فيها وجدت فيها اختلافاً كبيراً في معناه وفي إعرابها فدفعت نفسي قُدُماً إليها، فعزمت أمري أن أدلي بدلوي مع الدِّلاء، فعساني أن آتيَ بشيءٍ مفيدٍ، وإن كانت الأخرى فحسبي أن قد حاولتُ.

حديث (**ما أغفله عنك شيئاً**) حديث ذو شعبٍ ومثانٍ، هي عبارة نقلها سيبويه في كتابه ينسُبها إلى العرب، جُهلت فلم يُعلم أهي مثل أم حكمة، أم هي من شارد العبارات، أو هي قولة من قالات العرب الطيَّارة السَّيَّارة؟ ألها قصة وحكاية اختطفت منها اختطافاً، فبقيت ونسِي أصلها والقصَّة؟!

وقد جاء أمر هذه القولة من العرب في اختزالها على سَنَنهم في الإغماض بالرَّمز والتَّلغيز إن ثَمَّ خطبٌ، فحياتهم ولقاءاتهم كصحراء جزيرتهم مكشوفة مبسوطة، فإذا كان الوضع لا يحتمل ظاهر البيان يلمِّحون إليه بالرَّمز؛ فيأتي كلامهم كالألغاز مضمراً في زِيٍّ مظهرٍ، يدركه البصير منهم، ويجهله الدَّخيل عليهم وإن كان بينهم، فالخبير من بطانتهم يدرك المغزى والمراد= هذا من عجيب تصرُّفاتهم، ودقيق فعالهم، فلله درُّهم ودرُّ لغتهم!

ولما أن ظهر كتاب الأمالي للزَّجَّاجيِّ بتحقيق أد. محمَّد خير البقاعيِّ حرصتُ على قنية الكتاب، وأطرقت أقلِّب النَّظر فيه، فوقعت عيني على ذكره لمسألة (ما أغفله عنك شيئاً) وما ساقه فيها من توضيح أعاد بي عهداً قديماً للمسألة، فأنشطني ذلك للنَّظر في دقائق المسألة وتفاسيرها، فجعلتُ ما ذكره الزَّجَّاجيُّ أصلاً، وقصرت النَّظر في التَّفسير بما جاء في رواية الزَّجَّاجيِّ كيما لا يستطيل البحث، وإن كنتُ لم أغفل ما ذُكِر خارج الرِّواية.

والقولة من كتاب سيبويه، وشرَّاح الكتاب يكتفون بقالة السَّيرافيُّ عنه: "**هذا الحرف ما فسَّره من مضى إلى أن مات المبرِّد، وفسَّره أبو إسحاق الزَّجَّاج بعد**

ذلك"[(١)]، وقد قال فيها أبو الحسن الأخفش: أنا مذ ستين سنة أسأل عن هذا فما وجدت أحداً يعرفه[(٢)].

وبخصوص الدِّراسات السَّابقة لها فقد أورد عنها د. عبد المجيد الجار الله في كتابه (**جهود الزَّجَّاج في دراسة سيبويه**)، ذكراً للتَّفاسير، ومناقشة، وعالجها معالجة نحويَّة بالتَّرجيح بين الأقوال.

وقد جاء بحث عنوانه: (**إشكاليَّة فهم مسألة: "ما أغفله عنك شيئاً" عند سيبويه**)، أعدَّه: أد. محمد الطَّريحيُّ، أ. سارة عبد الرِّضا، والبحث بعيد عن النَّظر في أصل القولة، وإنَّما باشر سرد التَّفاسير وإشكاليَّة فهم القولة، وذكر من التَّفاسير ستَّةً، وجاء فيه ذكر أمر التَّصحيف عرضاً، وسرد صواب المسألة سردَ قولٍ، ثُمَّ صدف عنه[(٣)]، فليس من مشروع بحثهما الاختيار والتَّصحيح.

وأمَّا مَن خصَّ القولة بعناية تامَّة فهو المستشرق **جمس بلاَّمي** (James A. Bellamy)، إذ كتب بحثاً عنوانه (نصٌّ صعبٌ في كتاب سيبويه) مسطور باللغة الإنقليزيَّة، نشِر في مجلَّة الجمعيَّة الشَّرقيَّة الأمريكيَّة[(٤)]، وعنى بالنَّصِّ الصَّعب هذه القولة، وبنى بحثه على وقوع خللين في النَّصِّ تحريف واختلاط، وأنَّ قولة (ما أغفله عنك شيئاً) جملتان، (ما أغفله) جملة، و(عنك شيئاً) جملة ثانية، وكلاهما حدث فيه تحريف كتابة وسوء قراءة، وقول المستشرق هذا لا أوافقه على أوَّله وأوافق على ما في

(١) شرح كتاب سيبويه (ط. بيروتيَّة):٢/ ٤٦١، والنُّكت للشَّنتمريِّ: ١/ ٥١١.

(٢) حاشية جاءت على مخطوطة (ابن يبقى) بإزاء القولة. انظر: المصوَّرات (**المطلب الأوَّل/ المبحث الأوَّل**).

(٣) انظر: إشكاليَّة فهم مسألة (ما أغفله عنك شيئاً):١٩، وفي ذلك قولهما: "وهذا الرَّأي منقول عن الخليل"؛ أي: أنَّ المعنى الصَّحيح منقول عن الخليل. وهذا مشكلٌ، ثُمَّ بعقبه يذكر الباحثان أنَّ الخليل أغفل ذلك واستدركه سيبويه، فإن أغفل ذلك فكيف يكون هذا الرَّأي له! فههنا استشكال توجيه واضطراب عرض، وفوق ذلك لم يوثِّقا ذلك، وهذا مشكل أيضاً.

(٤) انظر: Vol.88, No 2 (Apr-Jun, 1968)، pp. 239- 243

الجزئيَّة الثَّانية، وسيأتي توضيح ذلك في (**المبحث الثَّالث**).

وقد ذكر د. محمَّد كاظم البكَّاء في بحثٍ له هو (شرح المسائل المشكلة في كتاب سيبويه) المنشور في العام (١٩٨٩م) في مجلَّة كليَّة الفقه/ جامعة الكوفة، العدد (٣)، اعتراضه رأي المستشرق، وذكر أنَّه سينشر ردَّه عليه[(١)]، ولم أجد لردِّه خبراً بعدُ مع حرصي وتنقيبي في أوعية المظانِّ، وسؤال أخلامي عن ذلك.

وقد ذكر العلماء في تفسير هذه القولة ما زاد على عشرة أقوال، وهذه الأقوال مبناها فيما أحسب عن اجتهاد لا عن أثرٍ، وبعد لأي في النَّظرِ فيها قرَّ لديَّ أنَّ ذلك أثرٌ من آثار الوجادة، قد تتابع الأواخر بالتَّسليم بصحَّة قراءة أوائلهم، متلمِّسين كشف ما أبانوه من غموضٍ لحق النَّصَّ وهلاك أصحابه، فليس للقوم بعدُ إلَّا بذل الوسع في محاولة كشف معناها وتوجيهها نحويًّا إعرابيًّا، فجالوا بذلك محاولين غاية المحاولة، وخالِفُهم يوافق سالِفَهم أو يخالفه حيناً، فيحكم بأنَّ الأقوال في فسرها لا تليق بالمسألة.

وإذا انفتح لأحدٍ رأيٌ ما، ولم يُرَ فيه طعن فيمن سَبَق ولا هتم لجهد من غَبَر، بل يورد ما ظهر له مواردَ الاجتهاد، فلا مانع من ذكره دون المساس بأعراض العلماء السَّابقين، والمسألة عريضة اجتهاد، وهم مدفوع عنهم الجهل، والعصمة مرفوعة عن الجميع.

وخطَّة دراستي للقولة حسب ما يأتي:

- **المقدِّمة:** سُقت فيها حديثاً عن كنه استشكال القولة، وابتحاثها ومحاولة فسرها، والمخطَّط الَّذي سرت عليه.
- **التَّمهيد: بنيتُه على نقطتين هما:**

النُّقطة الأولى: قالات عن العرب غوامض.

النُّقطة الثَّانية: حديث كتاب سيبويه.

(١) انظر منه: المسألة السَّادسة: ٣٩٥.

- **المبحث الأول: نصُّ القولة ومتنها في بابها**. وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأوَّل**: نصُّ القولة في متن كتاب سيبويه.
  - **المطلب الثَّاني**: نصُّ القولة برواية الزَّجَّاجيّ.
- **المبحث الثَّاني: مناقشات التَّفسير والإعراب**. وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأوَّل**: تفريد الأقوال الشَّارحة لقولة سيبويه برواية الزَّجَّاجيّ.
  - **المطلب الثَّاني: الأقوال والأعاريب**. وفيه نقطتان:

النُّقطة الأولى: جماع الأقوال الشَّارحة لقولة سيبويه.

النُّقطة الثَّانية: أعاريب قولة سيبويه عند النَّحويّين.

  - **المطلب الثَّالث: المسائل والأحكام**. وفيه نقطتان:

النُّقطة الأولى: استنطاق الأقوال الشَّارحة أحكاماً وآراءً.

النُّقطة الثَّانية: فرش المسائل الواردة برواية الزَّجَّاجيّ.

- **المبحث الثَّالث: البيان والتَّصحيح لرواية نصِّ القولة**. وفيه مطلبان:
  - **المطلب الأوَّل**: تحرُّف النَّصِّ وتصحُّفه والتَّخليط فيه. وفيه نقطتان:

النُّقطة الأولى: التَّحريف والتَّخليط.

النُّقطة الثَّانية: التَّصحيف.

  - **المطلب الثَّاني**: صحيح القولة وتصحيحها.
- **الخاتمة**.
- **ثبت المصادر والمراجع**.

والله وليُّ التَّوفيق، ومنه تعالى الإعانة والتَّسديد.

التَّمهيد

لما أن كان موضوع هذا البحث دائراً أمره على شيئين: قولةٍ، وكتاب عالمٍ؛ لذا استحسنت أن أجعل مهاد الكلام فيه بتطريف الحديث بشيءٍ من العبارة ذات الإشارة إلى ما وراءها، عن كلام العرب وعن ضوابطه، فمن كلامهم وملاحن قولهم ما جاء قالاتٍ سيَّارةً، ومسكوكاتٍ لفظيَّةً عجيبة، وأمَّا ضوابط كلامهم وروابطه فقد حواه سيبويه في كتابه؛ لذا جاء التَّمهيد ملاطفاً حديثه بهذين الأمرين، وقد عقدتهما نقطتين.

النَّقطة الأولى: قالات عن العرب غوامض.

جاء في المرويّ عن العرب مقولات غامضة في المعنى، وفي التَّركيب، عسيرة في الإعراب غامضته، والمعنى والإعراب مرتبطان، والأخذ بالظَّاهر وإغفال المعنى معيبٌ في الإعراب[(١)].

يرجع بعض غموض مثل ذلك إمَّا إلى اندثار مناسبته، وإمَّا أنَّها لواقعة خاصَّةٍ، فانتشر اللفظ وجهلت المناسبة، وإمَّا أنَّه راجع إلى مدوِّن اللغة فقد يُعنى بتدوين اللفظ، ولا يحفل بتدوين المناسبة.

وقد قال ابن فارس: **"باب القول على أنَّ لغة العرب لم تنتهِ إلينا بكلِّيتها، وأنَّ الَّذي جاءنا عن العرب قليل من كثيرٍ، وأنَّ كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله"**[(٢)].

وعلى ذلك فلا يُستغرب من قولة مَن تعذَّر من انغلاق فقه هذه القولة، والاعتذار بهلاك من كان يعرفها، والآخر يذكر أنَّه لم يشرحها أحدٌ إلى أن جاء المبرِّد، وقبله من قال بجهله لها مثل الأصمعيّ.

فهذه الغوامض هي مؤونة على المنقِّب في التُّراث، فحيناً يجد لها توضيحاً

(١) انظر: مغني اللبيب؛ لابن هشامٍ: ٦/ ٧- ٣١٦.

(٢) الصَّاحبيُّ: ٥٨.

كاشفاً، وحيناً ينعمي أمرها، فيُجتهد في ذلك فقد يُسدَّد وقد يقصر دون ذلك، فمن الغوامض ما يأتي:

١– قولهم:" دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنِ"[(١)].

وقع في فسرها اختلاف في لفظها وفي حقيقة معناها، ووجه إعرابها وتخريجها وَفق كلام العرب بالنَّظر على مطَّرد كلامهم، ذكر شيئاً منه ابن السِّيد[(٢)].

٢– قولهم:" أتانا صَكَّةَ عُمَيٍّ"[(٣)].

هذه كسابقتها فقد وقع في لفظها ومعناها وإعرابها إشكال وخلاف.

٣– قولهم:" وقوَّلٌ إلَّا دهٍ فلا دهٍ"[(٤)].

هذه أيضاً مشكلة في فكِّ مبناها ومعناها وإعرابها، حتَّى عدَّها ملك النُّحاة[(٥)] من المتعباتِ إلى يوم الحشر.

٤– قولهم:" ذات الزُّمَين، وذات العُوَيم"[(٦)].

كسوابقها ممَّا هو مشكل معنى ومبنى.

وحيناً يحار المفسِّر فيها، فما أحسن قول البغداديِّ! والبغداديُّ هو مَن هو في كثرة الاطِّلاع، وحسن التَّروِّي، وجودة التَّأتِّي لكلام العرب، فقال عن قولهم: (**قام** يشتمني/ **قرَّبت** تهجونا/ **قعد** يفعل كذا): **"ليس هناك قيام ولا قعود ولا ذهاب، ولكن هذه استراحات من العرب، وتطريحات منها في القول"**[(٧)].

---

(١) انظر: المسائل والأجوبة لابن السَّيد: ١/ ٢٨٦.

(٢) انظر: المسائل والأجوبة: ١/ ٢٨٧ – ٢٩٣.

(٣) انظر: أمالي ابن الشَّجريِّ: ٢/ ٥٧٩، والاستدراك لجامع العلوم للباقوليِّ: ٤٥٤– ٤٦٩.

(٤) سفر السَّعادة للسَّخاويِّ: ٢/ ٨٣٢– ٨٣٧.

(٥) هو أبو نزار الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار (ت ٥٦٨هـ): إنباه الرُّواة للقفطيِّ: ١/ ٣٤٠.

(٦) الأمثال لأبي عبيد: ٣٧٨، ٣٧٩، والصَّاحبيُّ لابن فارس: ٢٢.

(٧) خزانة الأدب: ٥/ ١٣١.

النُّقطة الثَّانية: حديث كتاب سيبويه.

كتاب سيبويه حديثه لا يبلى على قدمه، والكتاب فيه خبايا ومبهمات أكبر أسبابها أنَّه لم يقرأ على مصنِّفه، بل وجد بعد رحيله، وكُتب في عهدٍ وزمانٍ ورجالٍ غير الرِّجال والزَّمان والعهد اللاحق له، والكتاب حاوٍ لعلوم العربيَّة. إليه المنتهى في النَّحو، عرفه البصريُّ وألفه الكوفيُّ.

تمرُّ الأجيال وتتلاحق الأحقاب والكتاب مازال روضاً خصيباً، وميداناً رحيباً لمن رام أخذ العلم علم العربيَّة النَّحو من أصوله على أصوله. وفي الكتاب مع القياس والتَّعليل والتَّحليل نفائس من مكنونات فصحاء العرب الفصحاء، فمن ذلك ما جاء في كلامه عن الحذف من قولة: **"ما أغفله عنك شيئاً"**.

هذه القولة عسُرت على الأذهان، ووقعت منها الحيرة عند الجلَّة من العلماء فضلاً عمَّن دونهم= استشكالاً لمعناها، وكشفاً عن مبناها، والقوم لم يؤتوا من جهلٍ، فالجهل عنهم مدفوع، ولكنَّ المأخذ هو أنَّهم لم يأخذوا خبرها من مدوِّنها ولا من شيخه الخليل، بل أخذوها وجادةً.

وأمر الوجادة مشكل، وقد جاء في ذكر سبب علوِّ المبرِّد على ثعلبٍ في علم كتاب سيبويه أنَّ المبرِّد قرأه على العلماء وثعلباً قرأه على نفسه[(١)]، فالقراءة على النَّفس وإن كانت أيسر مركباً فهي مورطة مصحِّفة، والعلم المتنخَّل هو ما أخذ إجازة.

ومن اللطائف أنَّ لسيبويه خطًّا مميَّزاً خاصًّا، وقد يكون سبباً في قراءة النَّصِّ على غير لفظه، قال الفارسيّ: **"قال أبو بكرٍ: قال أبو العبَّاس: أخبرني المازنيُّ قال: رأيت بخطِّ سيبويه في آخر كتابه عند رجلٍ من بني هاشمٍ يقال له: عبد السَّلام بن جعفرٍ، للفرزدق:**

فما سُبق القيسيُّ من ضعف حيلةٍ * ولكن طفت عَلماءِ قُلفة خالدِ**

(١) انظر: طبقات النَّحويّين واللغويّين للزُّبيديّ: ١٥٦، ومعجم الأدباء لياقوت الحمويّ: ٢/ ٥٤٣.

يريد: على الماء"[(١)].

ولا أعلم سبباً يدعو إلى رسم (على الماء) كذا بالصُّورة الَّتي في البيت إلَّا متابعةً لسيبويه كما رسمها؛ لأنَّ النُّطق يُلزم إسقاط لام (على) خطًّا لا إسقاط همزة الوصل من (الماء)، فألف الوصل تسقط في الدَّرج؛ فكان حقُّها (عَ الماءِ) أو بالوصل (عَالماءِ)، وإن كان سببُ الوصل أنَّ حرف الجرِّ أصبحت بنيته حرفاً واحداً، وما كان كذلك يوصل بما بعده فذاك، وإن كان قد يوقع في الالتباس بجمع عالم، ودفع اللبس من مقاصد الرَّسم[(٢)]، ولعلَّه لما لم يكن عندنا العين حرف معنى كالفاء أراد التَّفريق بينهما؛ أي: بين ما له وجود وما لا وجود له، فرسم العين (عَلماء) كما تنطق بإسقاط ما لا ينطق، بخلاف الفاء التي ترسم ملصقة بهمزة الوصل (فالماء).

ومثل (عَلماء) قوله: "**عَلماء بنو فلانٍ**"[(٣)]، فإسقاط همزة الوصل خطًّا هنا مشكل، وقريب منه (**بلحارث، بلعنبر**) هكذا، والأصل: بنو الحارث، بنو العنبر، وكذا:(**ويكأنَّ، ويلمِّه**)؛ أي: وي كأنَّ، ويلٌ لأمِّه ونحوهما، وكلُّ هذا من شذوذات الرَّسم والهجاء[(٤)].

جاء عند الأمير في حاشية المغني: "**وكان الزَّمخشريُّ يرسم (عالماء) بالألف**

(١) التَّعليقة على كتاب سيبويه: ٥/ ٢١٩، وانظر: الحلل في شرح أبيات الجمل لابن السِّيد: ٤١٦، وحواشي كتاب سيبويه: ٤/ ١٩٩٤، ١٩٩٧، ٢٠٠٠.

(٢)انظر: أدب الكاتب لابن قتيبة: ٢١٥، وكتاب الكُتَّاب لابن درستويه: ٨٤، وكتاب الخطِّ للزَّجَّاجيِّ: ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١.

(٣) كتاب سيبويه: ٤/ ٤٨٥، وانظر: المقتضب للمبرِّد: ١/ ٢٥١، وأمالي ابن الشَّجريِّ: ٢/ ١٨٠.

(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٤٨٤، وأدب الكاتب لابن قتيبة: ٢٤١– ٢٤٢، وكتاب الكُتَّاب لابن درستويه: ٦١– ٦٣، وأمالي ابن الشَّجريِّ: ٢/ ١٨٠ –١٨٤، ومغني اللبيب لابن هشامٍ: ٤/ ٤٢١–٤٢٢، وأصول الإملاء؛ د. عبد اللطيف الخطيب: ٩٧.

بعد العين قياساً على: فالماء وكالماء"[(١)]، فتبيَّن أنَّ غير الزَّمخشريّ يرسمها بإسقاط همزة الوصل خطًّا.

وجاء عند ابن جنّي: **"قال لي أبو عليّ كان لأبي إسحاق كتاب سيبويه في أجزاءٍ طروسٍ عتيقة، كان يقال: إنَّ كُرَّاساً منها بخطِّ سيبويه، وكان فيها: (زيدون وعمرون) بواو صغيرةٍ بعدها نون، وكلاهما في نفس السَّطر مع الحرف"**[(٢)].

وللرَّأي أثر في اختلاف صور الرَّسم، وهو مؤثِّر في القارئ وجادةً بخلاف الآخذه إجازةً من مصنَّفه، وترى ذلك واضحاً فيما حكاه ابن جنّي في حديثه عن ألف (يا) من (يالا)[(٣)] فقال: **"وهذا الحديث الَّذي نحن الآن عليه هو الَّذي سوَّغ عندي أن يُكتب نحو قوله:**

يال بكرٍ أنشروا لي كليباً

ونحو ذلك مفصولة اللام الجارَّة عمَّا جرَّته"[(٤)].

وأمر كتاب سيبويه واقع بين خطٍّ خاصٍّ به وبين تلقِّيه وجادةً، واجتماع هذين محطُّ أشكل في العناية بالنَّصّ قراءته، فعلى جلالة الكتاب وما فيه من نفائس لسان العرب لم يخلُ من شوائب كدَّرت صفاءه؛ فالجُلَّى أنَّه لم يقرأ على سيبويه قراءة تلقٍ، ولا سَلِم من عوارض اعترضت طريقه، بل أشدُّها اعتباط صاحب الكتاب في أَشُدِّه قبل تحبيره وتقديمه.

(١) انظر ذلك في: موسوعة قواعد الكتابة العربيَّة؛ د. عبد اللطيف الخطيب: ١/ ١٠٥.

(٢) الخاطريَّات (الجزء الثَّاني)؛ د. سعيد بن محمَّد القرنيّ: ٦٢.

(٣) هذه الكلمة قطعة من بيت شعرٍ شهير عند أهل اللغة:

فخير نحن عند النَّاس منكم * إذا الدَّاعي المثوِّبُ قال: يالا.**

(٤) الخصائص: ٣/ ٢٢٩.

المبحث الأوَّل: نصُّ القولة ومتنها في بابها

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: نصُّ القولة مرويَّةً في بابها حسبما أورده الإمام سيبويه

إيراد نصِّ القولة من بابها في سياقها باعتماد الطَّبعة البولاقيَّة والهارونيَّة، ومرفق مصوَّرات لموضع القولة من أربع مخطوطاتٍ للكتاب(١)، وَهُنَّ من عتيقِ نسخ كتاب سيبويه.

*** ترجمة الباب وبيانه:

" **هذا بابٌ من الابتداء يضمر فيه ما بُني**(٢) **على الابتداء**"(٣).

قال سيبويه في كتابه بعد التَّرجمة:" **وذلك قولك: لولا عبد الله لكان كذا وكذا= أمَّا (لكان كذا وكذا) فحديث معلَّق بحديث (لولا)، وأمَّا (عبد الله) فإنَّه حديث (لولا)، وارتفع بالابتداء كما يرتفع بالابتداء بعد ألف الاستفهام؛ كقولك: أزيدٌ أخوك؟ إنَّما رفعتَه على ما رفعت عليه (زيدٌ أخوك)، غير أنَّ ذلك استخبار وهذا خبر، وكأنَّ المبنيَّ عليه الَّذي في الإضمار كان في مكان كذا وكذا؛ فكأنَّه قال: لولا عبد الله كان بذلك المكان، ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا، ولكن هذا حُذف حين كثر استعمالهم إيَّاه في الكلام= كما حُذف الكلام من (إمَّا لا)، زعم الخليل– رحمه الله– أنَّهم أرادوا إن كنت لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا إمَّا لا، ولكنَّهم حذفوه لكثرته في الكلام.**

ومثل ذلك: (حينئذٍ الآن) إنَّما تريد: واسمع الآن، و(ما أغفله عنك شيئاً)؛

---

(١) ثلاث مصوَّراتٍ منهنَّ قد دفعهنَّ إليَّ مشكوراً أد. سليمان العيونيُّ، الأستاذ بكلِّيَّة اللغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعودٍ الإسلاميَّة، وهو مَن هو عنايةً بمخطوطات كتاب سيبويه.

(٢) "ما يُبنى": في هارون.

(٣) بولاق: ١/ ٢٧٩، هارون: ٢/ ١٢٩.

أي: دع الشَّك عنك؛ فحُذف هذا لكثرة استعمالهم.

وما حُذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثيرٌ، ومن ذلك: هل من طعامٍ؟ أي: هل من طعامٍ في زمانٍ أو مكانٍ، وإنَّما تريد[(١)]: هل طعامٌ؟ فـ(من طعام) في موضع (طعام)، كما كان (ما أتاني من رجلٍ) في موضع (ما أتاني رجلٌ)، ومثله جوابه: ما من طعامٍ"[(٢)].

وكذا الحال جاء في طبعة (أد. البكَّاء)، وقد ذكر أنَّه عمد إلى نسخٍ عوالٍ في تحقيقه، فلم أجد في موضع النَّصِّ في طبعته ما يخالف ما جاء في طبعتي (بولاق) و(هارون)، ولا ذكر فرقاً بين النُّسخ ولا أشار إلى ذلك لا بتوافق ولا بتخالف، وهو لا يخفى عليه أنَّ فيها خلافاً قديماً، وقد سلف حديثٌ أنَّ له مزيدَ نظر فيها خصِّيصى، وقد ساق في الحاشية إشارةً لما ذكره السَّيرافيُّ عنها فحسب[(٣)].

*** **مصوَّرات مخطوطات الكتاب:**

أ– نسخة الكنديّ (المكتبة الوطنيَّة في باريس: ٥٠٦٨)، وهي منسوخة بتأريخ: ٥٩٣هـ، وهذا تأريخ قراءة النُّسخة على أبي اليُمن تاج الدَّين زيد بن الحسن بن زيد الحِميَرِي الكنديّ (ت ٦١٣هـ)، وصاحب النُّسخة هو الإمام أبو جعفر أحمد بن عليّ بن أبي بكر عتيق بن إسماعيل القرطبيُّ (ت ٥٩٦هـ):

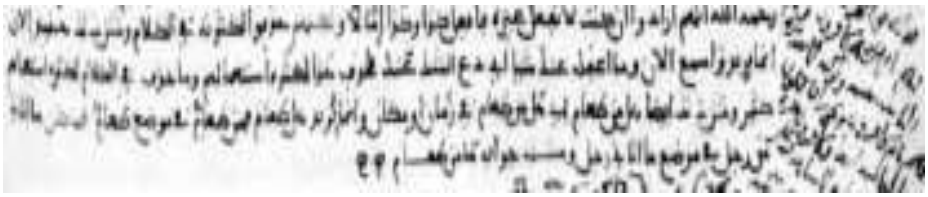
(١) "يريد" بالياء: في هارون.

(٢) كتاب سيبويه (بولاق): ١/ ٢٧٩، (هارون): ٢/ ١٢٩ –١٣٠.

(٣) انظر: كتاب سيبويه (البكَّاء): ٢/ ٢١٧.



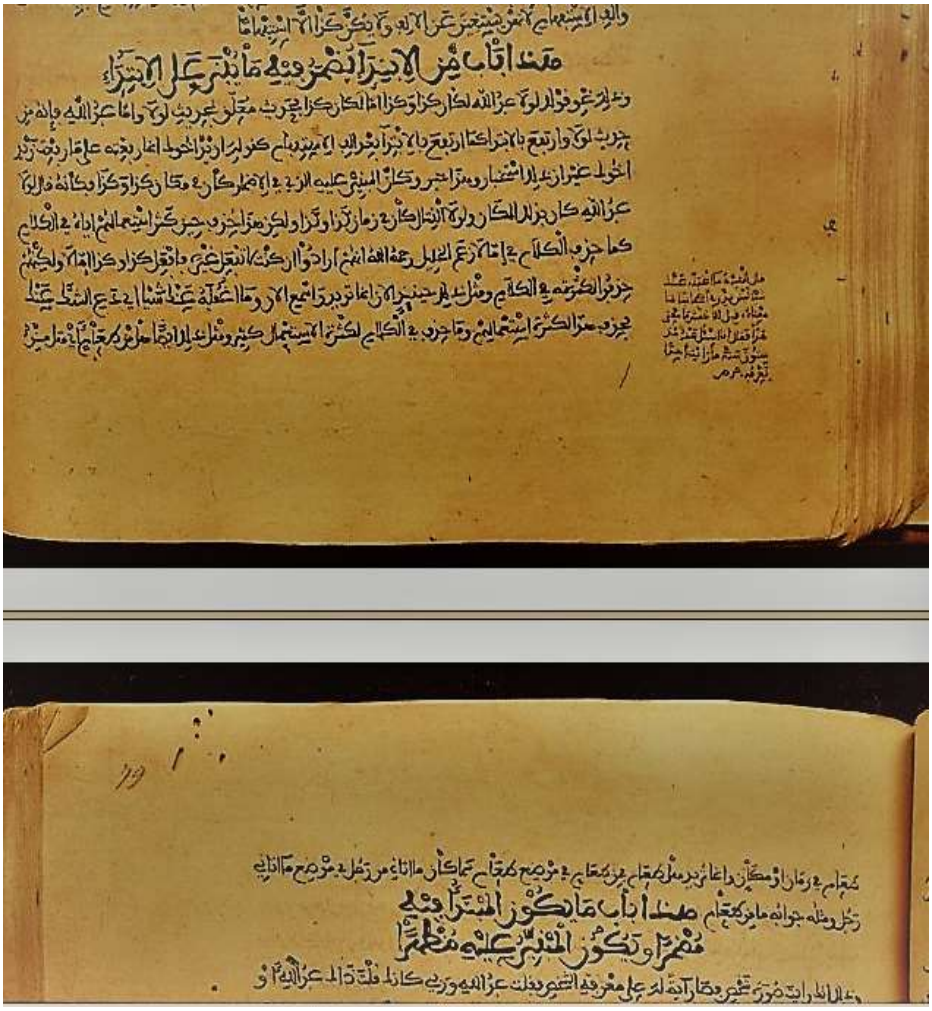
النَّصُّ مكبَّراً:



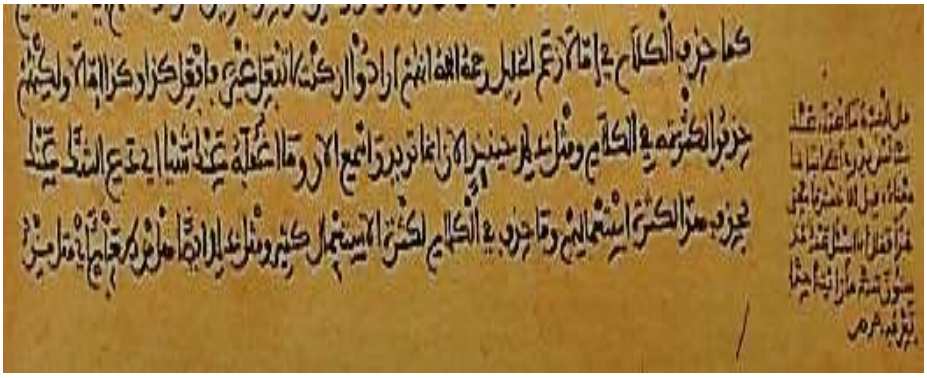
ب- **نسخة ابن يبقى (الإسكوريال)**[1] **رقم (١)**، هذه النُّسخة مكتوبة بتأريخ: ٢٧/ ذي القعدة/ ٦٢٩هـ، وناسخها أبو عليٍّ حسن بن أحمد بن عليّ بن

(١) مصوَّرة مخطوطة (ابن يبقى) قد دفعها إليَّ من قبلُ مشكوراً أ. صلاح القثاميُّ، وهو نبيل نابه، وله عناية بالمخطوطات، وفَّقه الله ويسَّر أمره.

يبقَى الخولانيُّ، وهي منقولة عن أصل نسخة أبي نصرٍ هارون بن موسى القيسيّ النَّحويّ (ت ٤٠١هـ) المقروء على الإمام أبي عبد الله محمَّد بن يحيى الرَّباحيّ المتوفَّى السَّنة (٣٥٨ هـ):



النَّصُّ مكبَّراً ومعه الحاشية:



- **تنبيه:**

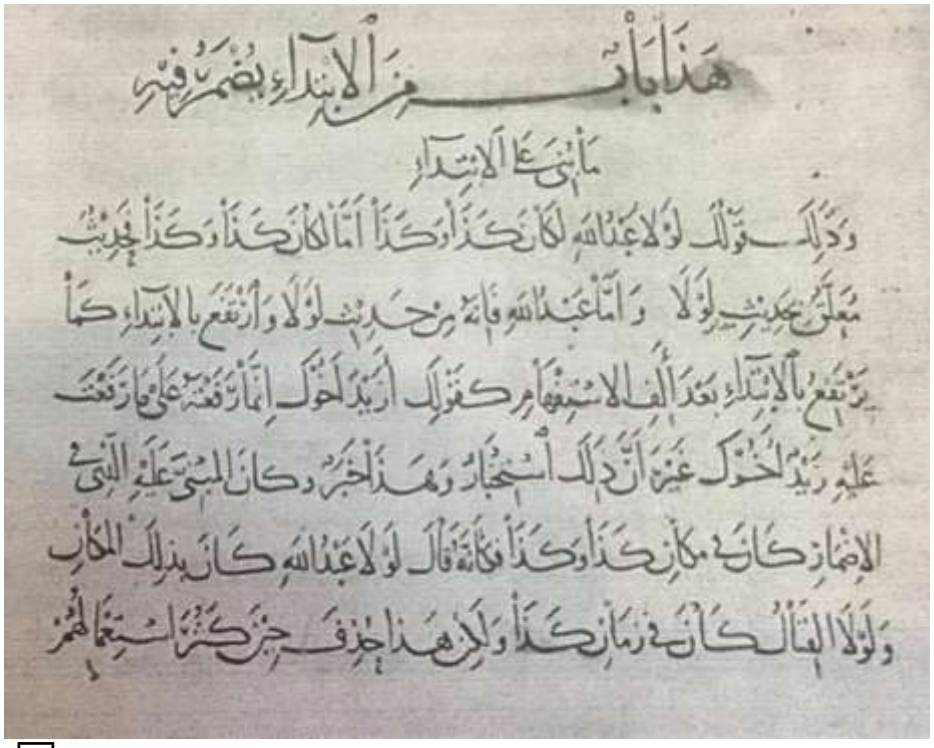
يلاحظ وجود تعليق حاشيةٍ بإزاء النَّصِّ الَّذي فيه القولة، ونصُّه الآتي:

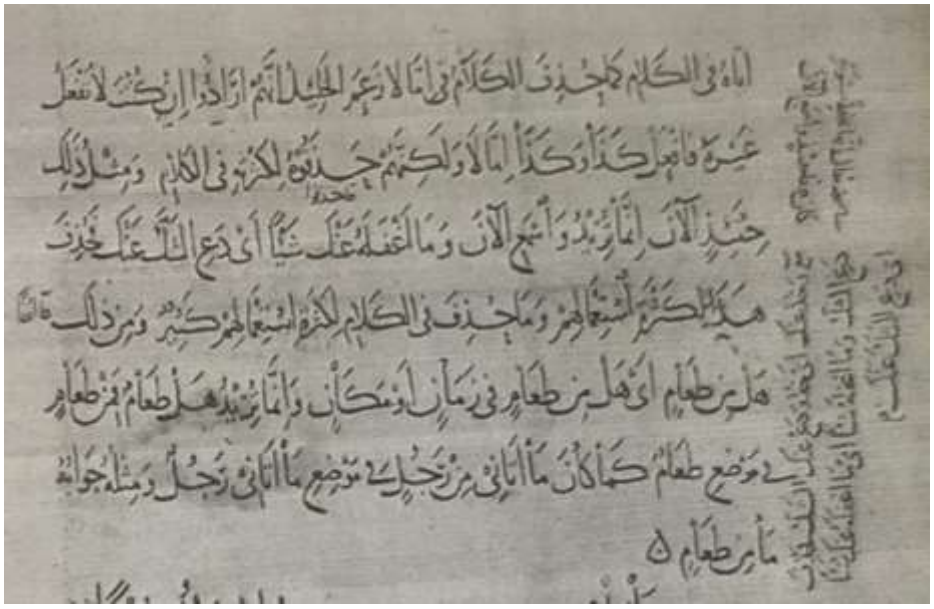
"قال المبرِّد: ما أغفله عنك شيئاً= ليس يدري أصحابنا ما معناه. قيل للأخفش: ما معنى هذا؟ فقال: أنا أسأل عنه مذ ستُّون سنة ما رأيت أحداً يعرفه"[(١)].

ت- **نسخة ابن معافى**[(٢)] **(مكتبة جوروم حسن باشا: ٢٥٦٣)**، وهي منسوخة بتأريخ: ٦٤٧هـ:

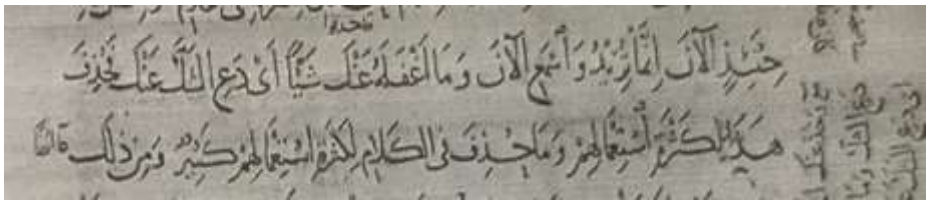
(١) انظر: حواشي كتاب سيبويه: ٢/ ٥٦٤.

(٢) مصوَّرة مخطوطة (ابن معافَى) قد دفعها إليَّ من قبلُ مشكوراً سعادة الدُّكتور: عبد المجيد بن صالح الجار الله، الأستاذ المشارك بكلِّيَّة اللغة العربيَّة بجامعة الإمام محمَّد بن سعودٍ الإسلاميَّة، جزاه الله خيراً.

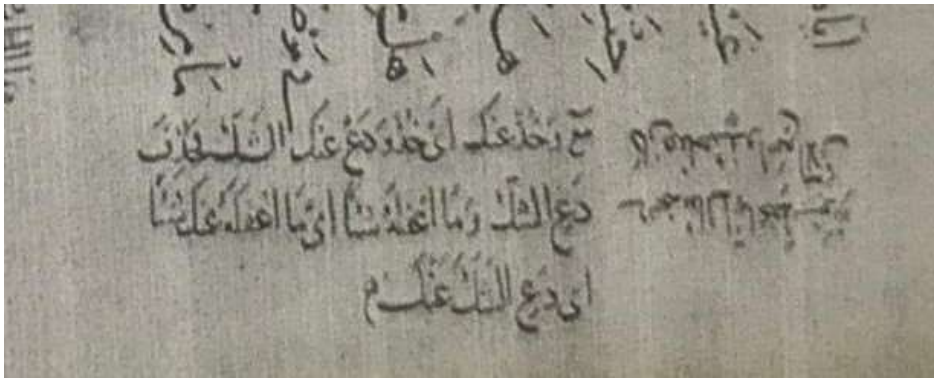

هذا باب من الابتداء يضمر فيه
ما بني على الابتداء
وذلك قولك لولا عبد الله لكان كذا وكذا أما لكان كذا وكذا فجيء
بعد لولا وأما بعبد الله فإنه مرتفع بلولا وارتفع بالابتداء كما
يرتفع بالابتداء بعد ألف الاستفهام كقولك أزيد أخوك إنما رفعته على ما رفعت
عليه زيد أخوك غير أن ذلك استخبار وهذا خبر وكان المبني عليه الذي في
الإضمار كان في مكان كذا وكذا فكأنه قال لولا عبد الله كان بذلك المكان
ولولا الفعل كان في زمان كذا ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم

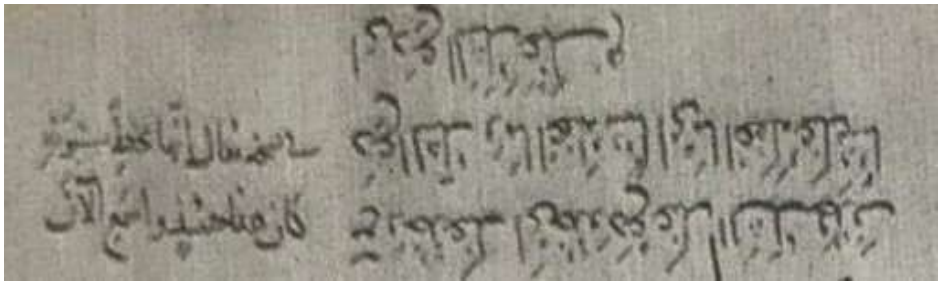


نصُّ القولة مكبَّراً:



الحواشي مكبَّرة:





- **تنبيهٌ:**

يوجد تعليقان في الحاشية على متن الكتاب بإزاء (ما أغفله عنك شيئاً)، وهذا نصُّه وقراءته:" **في نسخةٍ يقال: إنَّها بخطِّ سيبويه: كان هذا حينئذٍ واسمع الآن**".

"**(مع): وخذ عنك أي: خذ ودع عنك الشَّكَّ، فحذف (دع الشَّكَّ). وما أغفله شيئاً؛ أي: ما أغفله عنك شيئاً؛ أي: دع الشَّكَّ عنك**"[(١)].

(مع): هو رمز يظهر لي أنَّه للمعقليِّ وهو مجهول العين[(٢)]، وهو أحد رموز الحواشي على كتاب سيبويه، وقد جهد أد. سليمان العيونيُّ في محاولة كشفه[(٣)].

ث- **نسخة الفاتح (٥٠٦٢)**، وهي منسوخة بتأريخ: ١٨/ شوَّال/ ١١٤٣هـ، وناسخها: عليّ يحيى الشَّافعيُّ، وهي منقولة من إحدى النُّسخ الزَّمخشريَّة، ولعلَّها من نسخة ابن معافى.

□

(١) انظر هاتين الحاشيتين في: حواشي كتاب سيبويه: ٢/ ٥٦٤.

(٢) انظر: جهود الأخفش الأوسط في دراسة كتاب سيبويه (ر. دكتوراه)، د. فهيد الرَّباح: ١/ ٩٠.

(٣) انظر: حواشي كتاب سيبويه؛ جمعها وصنعها: أد. سليمان العيونيُّ: ١/ ٨١، ١١٩- ١٢١، ١٨٥- ١٨٧.





النَّصُّ مكبَّراً ومعه الحاشيتان:



- **تنبيهٌ:**

يلاحظ وجود تعليقٍ في الحاشية على متن الكتاب عند قولهم:(حينئذٍ الآن) وما بعده، وهما نصُّ تعليق الحاشيتين السَّابقتين من نسخة (ابن معافى).

هذا ما جاء في المخطوطات وما فيها هو ما في المطبوع من الكتاب، إذ نسخة الكتاب الَّتي كتبها سيبويه لا يُعلم أين حلَّ بها القدر؟ ولو بلغت هذه الأعصر لفكَّت كثيراً من معضلات الكتاب ومنغلقات كَلِمِه، ولكان فيها اليقين من صوابيَّة هذه القولة من عدمها.

المطلب الثَّاني: نصُّ قولةِ سيبويه برواية الزَّجَّاجيِّ مع لواحقها

جاء عند الزَّجَّاجيِّ قوله: "**مسألة: قال سيبويه في كتابه: (ما أغفله عنك شيئاً)؛ أي: دع الشَّكَّ عنك. واختلف العلماء في مراد سيبويه في هذه المسألة وشرحها؛ فقال الأخفش سعيد بن مسعدة: أنا مذ عقلت أسأل عن هذا فلم أجد من يعرفه على الحقيقة. وكان يونس يقول: ذهب من يعرف هذا، والسَّبب في هذا أنَّ هذا كلامٌ جرى كالمثل، وفيه حذفٌ قلَّ استعماله مظهراً فمضى من كان يعرفه. وقال المازنيُّ: غرض سيبويه في هذا بيِّنٌ لأنَّه قال: (ما أغفله عنك شيئاً)؛ أي: دع الشَّكَّ؛ فالنَّاصب لـ(شيءٍ) الفعل المذكور وهو (أغفل)؛ تقديره: ما أغفله عنك غفلةً، فنصب (غفلةً) على المصدر، ثُمَّ يضع (الشَّيء) مكان المصدر.**

وقال الأخفش: ليس هذا الكلام بتعجُّبٍ، إنَّما معنى الكلام: الَّذي أغفله عنك شيئاً؛ أي: قليلاً، أمرٌ من الأمور، فيكون خبر المبتدأ مضمراً، ويكون (ما) بتأويل (الَّذي) على الخبر، ثُمَّ يُقبل على صاحبٍ له فيقول له: دع عنك الشَّكَّ ممَّا خبَّرتك به لأنَّه حقٌّ.

وكان الزَّجَّاجُ يقول: لم أر من هذه التَّفاسير شيئاً يليق بالمسألة. وإنَّما شرحها على الحقيقة على ما شرحه لنا أبو العبَّاس المبرِّد قال: تقدير هذا الكلام أن يكون رجلٌ له صديق مناصحٌ له، وله عدوٌّ مكاشح له ومظهرٌ له المودَّة نفاقاً ومسِرٌّ العداوة. فقال له صديقه: إنَّ فلاناً عدوٌّ لك، فقال: ما هو بعدوٍّ لي، ولكنَّه صديقٌ، فقال له صديقه في الحقيقة: هيهات، ليس الأمر كما قدَّرت، وإنَّه لعدوٌّ عليك[1]**، ثُمَّ أقبلَ عليه فقال: ما أغفله عنك؛ أي: إنَّ عدوَّك غافلٌ عنك، ولو علم أنَّك هكذا واثقٌ به لأهلكك. ثُمَّ قال له بعد ذلك: شيئاً، فنصبه بفعل مضمرٍ كأنَّه قال: فكَّر شيئاً وانظر شيئاً؛ أي: إنَّك لو فكرت أدنى فكرٍ ونظرت**

(١) هكذا جاءت في: أخبار أبي القاسم: ٢١٧، لو قيل: (عدوٌ لك) كسابقه ولاحقه لكان أحسن إلَّا إن أراد أنَّه يعدو عليه فذاك.

أدنى نظرٍ بان لك أنَّه عدوٌّ لك، ولم تركن إليه بعد هذا. و(شيء) يستعمل موضعَ ما يقلُّ مقداره جدًّا؛ كقولك: هذا الدِّينار يزيد قيراطاً وحبَّتين، فإذا كان مقدار الزِّيادة يسيراً جدًّا قيل: هذا الدِّينار يزيد شيئاً. وكذلك وضَعَ الرَّجل (الشَّيء) في مسألته مكان أدنى نظرٍ وفكرٍ؛ فغمض هذا الكلام لمَّا قلَّ استعمال هذا المضمر الَّذي ذكرنا في كلامهم= فهذا هو معنى قول سيبويه بعقب (ما أغفله عنك شيئاً): دع الشَّك.

هذا واضح بيّن، وهو معنى المسألة في الحقيقة، وهو من المضمرات الَّتي تخفى على من لم يسمعها مظهرةً، ألا ترى أنَّ النَّاصب لـ(شيءٍ) ليس المذكور في أوَّل الكلام، وإنَّما ذكر سيبويه هذا الكلام في باب (لولا) والمضمر بعدها.

ونظيره قول العرب:(كان ذلك حينئذٍ، الآن) ألا ترى أنَّ (حينئذٍ) زمانٌ قد مضى، و(الآن) زمانٌ أنت فيه، وإنَّما معنى الكلام: كان ذلك حينئذٍ، واستمع أنت إليَّ الآن. أَوَلا ترى أنَّ المضمر الَّذي يتَّصل به (الآن) غير الكلام المذكور أولاً، وكذلك المضمر في باب (لولا) لأنَّك إذا قلت: لولا زيدٌ لأكرمتك، فإنَّما ترفع زيداً بالابتداء ولا خبر له في الظَّاهر، وإنَّما الخبر مقدَّر مضمر، والتَّقدير: لولا زيدٌ أهابه وأجلُّه أو ما أشبه ذلك لأكرمتك، فاللام جواب والخبر مضمر على ما ذكرت لك، ولا بدَّ من هذا الإضمار وإلَّا كان الكلام غير مستقيم.

والمضمر في كلام العرب أكثر من أن يُحصى إلَّا أنَّه يحيط به أصول ثلاثة: مضمر يجوز إظهاره وإضماره؛ كقولك لرجل رأيته يضرب رجلاً: الرَّأس، تريد: اضرب الرَّأس، أو رأيت قوماً يتوقَّعون الهلال ثُمَّ كبَّروا؛ فقلت: الهلالَ= تريد أبصروا الهلال، أو ترى رجلاً في زيِّ سفرٍ، فقلت: مكَّةَ وربي؛ أي: تريد مكَّة.

وإن شئت أظهرت هذا المضمر، وإن شئت أضمرته. قال الأصمعيُّ: قال رجلٌ من بني تميم يوم جَبَلة واستقبلهم بعيرٌ أعور: يا بني تميم أأعورَ وذا نابٍ؟ أي: تستقبلون أعورَ وذا نابٍ على جهةِ التَّطيُّر. قال: ثُمَّ قلتُ لبعض الأعراب: أتعرف بمكان كذا وكذا وَجذاً، وهو موضع يمسك الماء، فقال: نعم،

وِجاذاً؛ أي: أعرف به وِجاذاً.

ومضمر لا يجوز إظهاره وهو قولك: أزيداً ضربته؟ أعبدَ الله أكرمته؟ وما أشبه ذلك، وهو منصوب بفعلٍ لا يظهر. قال الشَّاعر:

أثعلبةَ الفوارسِ أم رياحاً * عَدلت بهم طُهيَّةَ والخشابا؟**

وكذلك قول الآخر:

أصبحت لا أحمل السِّلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا**

والذِّئبَ أخشاه إن خلوت به * وحدي وأخشى الرِّيح والمطرا**

وكذلك ما أشبهه منصوبٌ بفعل مضمر لا يجوز إظهاره. وكذلك قولهم: إيَّاك والشَّرَّ، وإيَّاك والمراء! منصوب بفعلٍ لا يظهر.

وكذلك قوله:

إيَّاك إيَّاك المراء فإنَّه * إلى الشِّرِّ دعاءٌ وللشَّرِّ جالبُ**

لا يجوز إظهار النَّاصب لـ(إيَّاك)، و(المراءَ) منصوب بفعلٍ مضمرٍ غير الَّذي نصب (إيَّاك)، والتَّقدير: دع المراء، وإظهاره جائزٌ.

ونظائر هذا المضمر الَّذي لا يجوز إظهاره كثيرٌ في كلامهم، وهو نحو قوله: (ما أغفلك[1] عنك شيئاً) في تركهم إظهار النَّاصب للشَّيء، واستعمالهم إيَّاه مضمراً على ما فسَّرتُ لك.

ومضمر لا يجوز أن يستعمل إلَّا بعد موافقة المخاطب عليه، وذلك أن تصير إلى رجلٍ لم يخطر بباله ضربُ زيدٍ ولا إكرامه فغير جائزٍ أن تقول له: زيداً؛ فتنصبه بفعلٍ مضمرٍ لأنَّه لا دليل عليه= فعلى هذه الأوجه الثَّلاثة إضمار الأفعال في كلام العرب، فقس عليه إن شاء الله"[2].

هذا نصُّ رواية الزَّجَّاجيّ لقولة سيبويه، وتفاسيرها.

□

(١) كذا جاءت بالكاف في: أخبار أبي القاسم: ٢١٩.

(٢) الأمالي من الفوائد والأخبار: ٣/ ١٠٦٤– ١٠٦٩.

المبحث الثَّاني: مناقشات التَّفسير والإعراب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: تفريد الأقوال الشَّارحة لقولة سيبويه برواية الزَّجَّاجيّ.

جاء في رواية الزَّجَّاجيّ عدَّة شروح للقولة، سأعرضها هنا منفردة لتقليب النَّظر فيها، أمَّا جميع الأقوال الشَّارح فسأوردها أجمع في (**المطلب الثَّاني/ المسألة الأولى**)، وأمَّا ما جاء في رواية الزَّجَّاجيّ فهنَّ ثلاثة تفسيرات.

- **التفسير الأوَّل: قول الأخفش.**

قال الأخفش مجيباً مَن سأله عنها: أنا مذ عقلت أسأل عن هذا، فلم أجد أحداً يعرفه على الحقيقة. وجاء في حاشيةٍ على الكتاب:" **قيل للأخفش: ما معنى هذا؟ فقال: أنا أسأل عنه مذ ستُّون سنة ما رأيت أحداً يعرفه**"[(١)].

وجاء في تفسيره خبرٌ مرويٌّ عن شيخه وشيخ شيخه يونس إذ ذكر عنه أنَّه يذكر ذهاب من كان يعرف هذا، وأنَّه كلام جرى كالمثل.

- **التَّفسير الثَّاني: قول الأخفش الصَّغير.**

وفي المرويّ عن الأخفش[(٢)] أنَّه لا يرى الكلام تعجُّباً، فـ(ما) عنده موصوليَّة لا

(١) انظر: الحاشية في نسخة (ابن يبقى)، قسم المصوَّرات النُّسخة (ب).

(٢) جعله د. عبد المجيد الجار الله التَّفسير الرَّابع لقولة سيبويه. انظر: جهود الزَّجَّاج في دراسة كتاب سيبويه: ١/ ٤٥٦، ونسبته له مستشكل عندي، على أنَّه هو الأظهر لسبقه بذكر قول الأخفش الأوسط، وقد ذكر ابن السَّرَّاج أنَّ الأخفش عنى به الأوسط يرى موصوليَّة (ما) في صيغة التَّعجُّب. انظر: الأصول: ١/ ١٠٠، وللأخفش الأوسط ثلاثة أقوال في تفسير (ما) هذه، منها الموصوليَّة، ووالوصفيَّة، والنَّكرة التَّامَّة. انظر: التَّذييل والتَّكميل لأبي حيَّان: ١٠/ ١٨٣، ١٨٤.

تعجبيَّة، و(شيئاً) بمعنى: قليلاً، ثُمَّ يخاطب صاحبه: بأن لا يشكَّ فيما خبَّره به[(١)].

التَّعليق:

تحدَّث أولاً بطريق الرِّواية فحكم بجهله لهذا الأمر عنده وعند شيخه وأهل عصره، وعلَّله بهلاك من كان يعرفه، وهو كلام كالمثل، فلمَّا حاول في الأمر من جهة الرِّواية فأعوزه أدار حديثه جهة الصِّناعة تفسيراً للقولة؛ هذا على اعتبار أنَّ القول الثَّاني له لا للأخفش الصَّغير.

وقد ظهر في هذا الشَّرح اضطرابٌ، فـ(ما) مبتدأ بلا خبر ظاهرٍ، فالخبر محذوف ولم يقدِّره، ولم يُعلِم إن كان هذا موضعاً من مواضع حذف الخبر وجوباً! وإن قيل: قد قدَّره بقوله: "أمر من الأمور"، وعلى هذا يكون الكلام بتمامه:" الَّذي أغفله عنك شيئاً... أمرٌ من الأمور"، ومعنى (شيئاً) قليل، فيقال: هذا كلام لا معنى قيِّماً له، كأنَّه كلام ساذج، فقطعاً ما من فعلٍ إلَّا له سببٌ، وعلى هذا التَّقدير يبقى الاعتراض وارداً، إذ المذكور مبتدأ بلا خبرٍ، ومن غير حكم على حذف الخبر هنا.

والكلام انقلب من الخبر إلى الخطاب[(٢)]؛ فيقول: لا تشكَّ فيما خبَّرتك به، وعند النَّظر لم تجده خبَّره بشيءٍ؛ لأنَّ الفائدة في الخبر والخبر لم يُذكر، ثُمَّ يَذكر أنَّ (عنك) من أسلوب آخر هو لخطاب صاحبه، فالكلام فيه اضطراب والتَّركيب قلق، فلا غرو في صحَّة مقولة الزَّجَّاج لما أن قال: **"لم أرَ من هذه التَّفاسير شيئاً يليق بالمسألة"**.

---

(١) ههنا أمر ذو بالٍ، أنَّني لو لم أجعله للأخفش الصَّغير، وجعلته للأوسط ذلك لا يعارض القول الأوَّل المنقول عنه، وغاية الأمر أنَّ أمر قوله الأوَّل هو من حيث الرِّواية عن العرب وعن شيوخه، وأمَّا هذا القول فمؤدَّى نظره فيه من جهة الدِّراية، وقد يكون المراد الأخفش الصَّغير غير أنَّ الأوسط هو المشهور عنه في كتب النَّحو الحكم بموصوليَّة (ما) التَّعجبيَّة ومنعوتيَّتها، وقد يكون ما اشتهر عن الأوسط هو للأصغر في هذا.

(٢) الالتفات فن من فنون كلام العرب، لكن لا على طريقة إيقاعه قبل التَّمام كما ههنا. انظر: معجم البلاغة العربيَّة، أد. بدوي طبانة: ٦١٤–٦١٧، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطوُّرها، أد. أحمد مطلوب:١/ ١٧٣.

- **فيه فائدتان:**

الأولى: فيه دليل على أنَّ الأخفش لم يطَّلع على كامل كتاب سيبويه، وما ذكره من عرض سيبويه عليه ما يكتبه[(١)] أنَّه من باب المبالغة. وهو من سيبويه تحفٍ بتلميذه وبعلمه.

الثَّانية: لعلَّ هذه المسألة ممَّا دعا يونس للاطِّلاع على كتاب سيبويه؛ ولذا طلب كتاب سيبويه[(٢)] توثُّقاً، وإفادةً، ومحصاً.

- **التفسير الثَّالث: قول المازنيّ.**

ذكر المازنيُّ أنَّ غرض سيبويه بيّنٌ، وناصب (شيئاً) هو (أغفل)، والمراد بـ(شيئاً) غفلةً؛ أي: ما أغفله عنك غفلةً.

التَّعليق:

قول المازنيّ مبنيٌّ على تبيُّنٍ للفحوى والسِّياق والباب لا بياناً للصَّنعة، فيمكن الحكم عليه أنَّه من تفسير المعاني، لا من تفسير الإعراب الَّذي يُنحى به إلى الصِّناعة.

- **التَّفسير الرَّابع: قول الزَّجَّاج.**

صدَّر الزَّجَّاج تفسيره بمقولة صادقة على ما سبق من تفسيراتٍ أنَّها غير لائقةٍ بالمسألة؛ لأنَّه لم يجدها طبقاً لما تُكُلِّم به، وروي عن سيبويه لتشرُّد التَّركيب والمعاني؛ لذا حاول جمع الأمر وسلكه بما يخدم اللفظ، ويحكي المعنى المراد بتشريح الباب الموردة فيه هذه القولة معوّلاً على شيخه المبرِّد، والزَّجَّاجيُّ رواها عن شيخه كأنَّه مسلِّم بها، أو هي عنده أسلم التَّفاسير؛ لأنَّ ما قبلها لا مقنع فيه عند شيخه الزَّجَّاج.

وقولي: إنَّه مسلِّم بقول شيخ شيخه أو هي عنده أسلم التَّفاسير ذلك أنَّه ذكرها بعد نقده للسَّوابق فدلَّ ذلك على موافقته لها، ولذا زادها بسطاً، وفرَّع عليها مسائل من أنواع المحذوفات الَّتي سمَّاها (المضمرات)، وذكر أنواعها في العربيَّة، وحكم على

(١) انظر: مراتب النَّحويّين؛ لأبي الطَّيِّب اللغويّ: ١١٢.

(٢) انظر: بغية الوعاة للسِّيوطيّ: ٢/ ١٩١.

مقولة سيبويه عن العرب أنَّها ممَّا يجب الحذف فيه لذا عدَّها من المضمرات الَّتي لا تأتي مظهرةً مطلقاً، ولأنَّها لا تظهر مطلقاً خفيت على الجلَّة من العلماء.

وراح يبسط هذا المضمر ويذكر تقديره مظهراً، وكيف أنَّه نصب (شيئاً) مع حذف ناصبه، ونظَّره بـ(حينئذٍ الآن) وما يفسَّر هذا القول عليه، وأنَّه ورد في باب (لولا) وهي باب حذفٍ يحذف فيه الخبر.

التَّعليق:

ممَّا يلاحظ على ما رواه الزَّجَّاج عن المبرِّد، وأخذ به الزَّجَّاجيُّ أنَّه مبنيٌّ كذلك على الظَّنِّ والتَّحكِّي للقولة. ولم أره ينهض بمعنى يحسن السُّكوت عليه، أو يأتي وِفاق اللفظ المطروح. وأحسن ما فيه هو تفسره (شيئاً) بفعلٍ محذوفٍ.

وبالنِّسبة لتشبيهه بأسلوب التَّحذير، أو التَّنظير به مع أنَّ سيبويه أورد القولة في باب (لولا) **قلتُ**: المنظَّر له والمنظَّر به يجتمعان في وجود الحذف فيهما، ويختلفان في نوع المحذوف ووظيفته النَّحويَّة، وفي المذكور وإعرابه، وجَمْعُ سيبويه لها في هذا الباب من باب وجود الحذف في كلٍّ لا من حيث نوع المحذوف ونوع التَّقدير. فـ(لولا) المحذوف منها الخبر، والمذكور مبتدأ، و(حينئذٍ الآن) المحذوف فيها فعل، والمذكور المعمول الظَّرف، و(شيئاً) المذكور مفعول مطلق أو به، والمحذوف فعلٌ، فالرَّابط بين الجميع هو وقوع الحذف لا نوع الحذف، ولا نوع المحذوف، ولا حكمه، ولا وظيفتَي المحذوف والمذكور النَّحويَّة.

المطلب الثَّاني: الأقوال في القولة والأعاريب

وفيه نقطتان:

النُّقطة الأولى: جماع الأقوال الشَّارحة لقولة سيبويه.

يقول أبو سعيدٍ السِّيرافيُّ:" **هذا الحرف ما فسَّره مَن مضى إلى أن مات المبرِّد، وفسَّره أبو إسحاق الزَّجاج بعد ذلك، فقال: معناه على كلام قد تقدَّم، كأنَّ قائلاً** ..."[(١)]، وقد وَقَعَ في فسر هذه القولة قولٌ كثير ومختلف[(٢)]، يتقارب ويتحالف حيناً ويتباعد ويتخالف حيناً آخر.

والتفاسير الواردة فيها وجدتها تنيف على عشرةٍ ما قولاً فتفسيراً، وهنَّ الآتي:

١- **يونس:** جهل معناها، وما انكشفَ له مبناها، فيروَى عنه أنَّه قال: ذهب من كان يعرف هذا؛ لأنَّه كلام جرى مجرى المثل، وفيه حذفٌ قلَّما استعمل ظاهراً[(٣)].

٢- **الأخفش وتفسيره:** جهل الأخفش المعنى أيضاً، وشرع يفسِّره كما في رواية أخرى أو هي للأخفش الصَّغير كما يظهر.

فقد قال: **"أنا مذ عقلت أسأل عن هذا فلم أجد من يعرفه على الحقيقة"**[(٤)].

- وروي عنه: **"أنا مذ ولدت أسأل عن هذا"**[(٥)].

---

(١) شرح كتاب سيبويه (ط. بيرونيَّة):٢/ ٤٦١، وكتاب سيبويه (بولاق): ١/ ٢٧٩ حاشية، والنُّكت للشَّنتمريّ: ١/ ٥١١، وأمالي ابن الشَّجريّ:٢/ ٥١٥.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٩٠، وأمالي ابن الشَّجريّ: ٢/ ٥١٤- ٥١٥، وجهود الزَّجَّاج في دراسة كتاب سيبويه؛ د. الجار الله: ١/ ٤٥٤- ٤٥٧، وإشكاليَّة فهم مسألة (ما أغفله عنك شيئاً) عند سيبويه؛ د. الطَّريحي/ أ. عبد الرِّضا: ١٧- ١٩.

(٣) انظر: الأمالي للزَّجاجيّ: ٣/ ١٠٦٤.

(٤) الأمالي للزَّجاجيّ: ٣/ ١٠٦٤.

(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٩٠.

- وروي عنه أيضاً: **"أنا أسأل عنه مذ ستون سنةٍ ما رأيت أحداً يعرفة"**[(١)].

٣- **قول المازنيّ وتفسيره:** قد استبهم المازنيُّ أمرها وذكر سؤاله الأخفش عنها، والأخفش سأل الأصمعيَّ وأبا زيدٍ وأبا مالكٍ[(٢)] عنها فقالوا:" **ما ندري ما هو**"[(٣)].

٤- وأمَّا تفسيره له فقد قال ما معناه: إنَّ غرض سيبويه بيّن؛ أي: النَّاصب لـ(شيئاً) الفعل المذكور، وهو نائب عن المصدر (غفلةً)، وأصل الكلام: ما أغفله عنك غفلةً.

٥- **تفسير المبرِّد:** فسَّره المبرِّد بأنَّ القولة مركبة من جملتين هما: **"ما أغفله عنك"**، والأخرى: **"شيئاً"** منصوبةً، وفي الكلام حذفٌ واجب لا ينهض إلَّا باستحضاره.

وقد أخذ به تلميذه الزَّجَّاجُ[(٤)].

٦- **تفسير الزَّجَّاج:** روي للزَّجَّاج قولٌ في هذه القولة معدودٌ ممَّا قاله المبرِّد، وذلك أنَّ هذه القولة تأتي جواباً لكلامٍ سابقٍ، فعلى المعنى كأنَّ قائلاً قال: **"زيدٌ ليس بغافل عنِّي، فقال المجيب بلى: ما أغفله عنك، شيئاً"**[(٥)]، ونصب

(١) جاء هذا النَّصُّ حاشية على نسخة (ابن يبقى) لكتاب سيبويه. انظر: قسم المصوَّرات من هذا البحث.

(٢) هو: عمرو بن كِركِرة الأعرابيُّ النُّميريُّ (ت ٢٤٨هـ). انظر: إنباه الرُّواة للقفطيَّ: ٢/ ٣٦٠.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٩٠، وأمالي ابن الشَّجريّ: ٢/ ٥١٤، والصَّحاح للجوهريّ: (عقل): ٥/ ١٧٧٢.

(٤) انظر: الأمالي من الفوائد والأخبار: ٣/ ١٠٦٥- ١٠٦٦.

(٥) شرح كتاب سيبويه (ط. بيروتيَّة):٢/ ٤٦١، والنُّكت للشَّنتمريّ: ١/ ٥١١، وأمالي ابن الشَّجريّ:٢/ ٥١٥.

(شيئاً) بفعل مقدَّر؛ أي: انظر شيئاً؛ أي: انظر قليلاً[(١)].

٧- **توجيه ابن السَّرَّاج وتفسيره:** ذكر أبو عليٍّ الفارسيُّ في ذلك أمراً أنَّه ساءل شيخه أبا بكرٍ عن هذه القولة، فكان ممَّا ذكره له أنَّ المبرِّد لم يفسِّره، وأنَّه يجوز في (ما) الاستفهام، ويمتنع النَّفي لانعدام الفعل من فاعل، والوجه عنده أنَّها تعجُّبٌ، ونصبُ (شيئاً) بفعل آخر كالفعل (دع)، وصحَّح أنَّها كلامان بإيراد سيبويه لقولهم: "حينئذٍ الآن" و"إمَّا لا"، وهما كلامان، فهذه مثلهما كلامان[(٢)].

٨- **تفسير الأخفش الصَّغير**[(٣)]: أنَّ معنى الكلام: الَّذي أغفله عنك شيئاً؛ أي: قليلاً، والخبر محذوف، و(دع عنك الشَّكَّ) كلام جديد.

٩- **قول ابن جنّي:** يمنع ابن جنّي إعراب (شيئاً) مفعولاً مطلقاً للفعل (أغفل)؛ لأنَّ ذلك جاء في أسلوب تعجُّبٍ، والتَّعجُّب مستغنٍ بتعجبيَّته عن تأكيده بالمصدر[(٤)].

١٠- **تفسير الزَّمخشريَّ:** وصَفَ إنساناً بالغفلة، فقال: ما أغفله! ثُمَّ قال للمخاطب: عنك شيئاً؛ أي: دع عنك شيئاً من الشَّكِّ يُضرب للشَّديد

(١) انظر: جهود الزَّجاج؛ د. الجار الله:١/ ٤٥٢.

(٢) انظر: البغداديَّات: ٢٦٩.

(٣) المشهور في كتب النَّحو أنَّ الأخفش الأوسط هو الَّذي يحكم على (ما) التَّعجبيَّة بالموصوليَّة، وقد يكون الأخفش الصَّغير آخذاً في ذلك بقول الأوسط، وقد يكون للأخفش الصَّغير، وشُهر أنَّه للأوسط؛ لذا أوردته فيما سبق أنَّه قول للأوسط، وإن كان لهما فالأوسط سابق للأصغر.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور: (شيأ): ١/ ١٠٤.

الغفلة[(١)].

١١- **حكايته عند أبي نصر الجريطيّ وتفسيره الأوَّل**: تفسير أبي نصرٍ حكاية حالٍ لتلك العبارة إذ ذكر أنَّ هذا جاء في جواب شكايةٍ عن رجلٍ يشكو من صاحبٍ له غافلٍ عنه، فقال المشكّي: (ما أغفله) نفياً أنَّه متغافل عنك قصداً، وأردف قوله بـ(عنك شيئاً)، ومعناه: دع عنك شيئاً، فحذف الفعل وكنَّى عن الشَّكِّ بـ(شيئاً)[(٢)].

١٢- **تفسير أبي نصرٍ الثَّاني**: كالأوَّل غير أنَّ المشكُوَّ رجل ذو غفلةٍ، فيكون: ما أغفله على التَّعجُّب[(٣)]، والباقي كالسَّابق.

١٣- **حكايته عند أبي العلاء المعرّيّ وتفسيره**: ذكر المعرّيُّ حكايةً أنَّ صديقاً يبرُّ صديقه وعوَّده ذلك، ثُمَّ قطع المبرَّة عنه فشكى من حاله هذه، فقال له سامعٌ: ما أغفله عنك! شيئاً. و(شيئاً) منصوب بفعلٍ محذوفٍ تقديره: فكِّر شيئاً؛ أي: تفكيراً قليلاً. وأنَّ (ما أغفله!) تعجُّب ويحتمل الاستفهام[(٤)].

١٤- **قول المستشرق بلَّامي**: أصلها: ممَّا أغفله الخليل مقولةُ العرب: (عنك شكًّا). وقد حدث في النَّصَّ تحريفان إذ تحرَّفت (ممَّا) إلى (ما)، وتحرَّف (شكًّا) إلى (شيئاً).

هذه جماع ما وقفتُ عليه في تفسير هذه القولة، ولستُ بصدد دراسة هذه الأقوال ومناقشتها نحويًّا ولغويًّا، فالبحث رائمٌ ما نقله الزَّجَّاجيُّ إذ البحث مبنيٌّ عليه.

---

(١) انظر: المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٣١٣، برقم: ١١٢٠.

(٢) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ١٤٥.

(٣) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ١٤٥.

(٤) انظر: أمالي ابن الشَّجريّ: ٢/ ٥١٥.

والنَّظر عندي في أصل القولة لا في تفسيرها، وإنَّما سأعقد مفاتشة لما جاء في رواية الزَّجَّاجيّ.

النُّقطة الثَّانية: أعاريب قولة سيبويه عند النَّحويّين.

جاء في إعراب هذه القولة عددٌ من الأعاريب، وهي منقسمة أنَّ القولة جملةٌ أو جملتان، وعلى هذين القسمين جاءت الأعاريب، ودونكها مجملةً غير مفصَّلةٍ:

القسم الأوَّل: الجملة الواحدة.

إعراب القولة باعتبارها جملةً واحدة:

- (ما) تعجبيَّة، و(شيئاً): مفعول مطلق للفعل المذكور، نائب عن المصدر (غفلةً أو غفولاً).

القسم الثَّاني: الجملتان:

من عدَّه جملتين جماع ما فيه خمسة أوجهٍ أعربيَّة:

١- (ما) تعجبيَّة، و(شيئاً) مفعول به منصوب بفعلٍ محذوفٍ؛ تقديره: (دع) على الطَّلب.

٢- (ما) تعجبيَّة، و(شيئاً) مفعول مطلق منصوب بفعلٍ محذوفٍ؛ تقديره: (انظر، فكِّر) على الطَّلب.

٣- (ما) موصوليَّة، و(شيئاً) مفعول به للفعل محذوف، وكُنِّي به عن (قليلاً)، وتقدير الفعل كسابقه، والخبر محذوف مفهوم.

٤- (ما) استفهاميَّة، و(شيئاً) مفعول به منصوب بفعل محذوف؛ تقديره (دع).

٥- (ما) تعجبيَّة، و(شيئاً) كنَّى به عن (شكًّا)، وناصبه فعل محذوف؛ تقديره: (دع).

هذه خلاصة أعاريب هذه القولة حسبما جاء في تفاسيرها، والإعراب فرع المعنى، ولغموض المعنى وإشكاليَّته كان هذان الاعتباران، فبعضهم نزع إلى بناء الكلام على أنَّ القولة جملة واحدة، وآخرون بنوها على أنَّها جملتان.

المطلب الثَّالث: ما ورد في القولة من المسائل والأحكام.

وفيه نقطتان.

النُّقطة الأولى: استنطاق الأقوال الشَّارحة أحكاماً وآراءً.

استنطاق الأقوال مقصور على ما جاء في رواية الزَّجَّاجيِّ، وقد ألمعت سابقاً بعلَّته في المقدِّمة، وجاء في روايته ثلاثة أقوالٍ، هي:

الأوَّل: منسوب للأخفش.

- **الأحكام والآراء فيه:**

١- ما جاء فيه هي محاولات فهمٍ لا كشف عن معنى نصٍّ، بدأه بالاستغراب والاستعجاب من القولة.

٢- جحد فهمه له ومعرفته به.

٣- الحكم بهلاك مَن يفهمه عن شيخه يونس.

٤- التَّعلُّل بأنَّ هذا قول جارٍ مجرى المثل عن يونس، وكما هو معلوم أنَّ الأمثال لها قصَّتُها فإذا لم تعرف جُهل تفسير المثل، وفي هذا القول تعذير.

٥- محاولة الأخفش تفسيرها وتوضيحها يظهر أنَّه اجتهاد منه؛ أي: منه دراية، وهو حدُّ علمه فيها لا رواية تحمَّلها عن شيوخه فيؤدِّي خبرها.

٦- تبيانه أنَّ الأسلوب خبر لا تعجُّب، وهو مبتدأ بلا خبرٍ، ومراده بالإضمار الحذف، ومفعول به حُذف ناصبه، فهو مكوَّن من جملتين أوَّلهما خبريَّة، والأخرى طلبيَّة[(١)].

- **التَّعليق:**

للمتلقِّي ألَّا يقبلَ ما فسَّره به؛ لأنَّ فيه حذوفاً، فلا يُحذف شيءٌ من الكلام إلَّا إذا عُلم بقرينة حال أو مقال، ولا في ما علقه على القولة من حكمه بجهله بلفظها ومعناها كشفٌ لغطاءٍ أو بيان لمعانٍ، وغاية ما فيه ذكره بذلَ الوسع، وكدَّ الذِّهن

(١) ما في (٥، ٦) ينسب للأخفش الصَّغير متابعة للأوسط أو انفراداً، وقد سلف حديثه.

محاولاً كشفاً وفسراً؛ لأنَّه –على حدِّ قوله– مذ خلق أو مذ ستين سنةً يسأل عنه، وهو واقع حال هذه القولة في درك المرام، ومعرفة المقصود.

- **التَّعقيب:**

أوَّل الكلام كان للأخفش ووسطه وتعليلاته كانت لشيخه يونس، وقصاراه أنَّ ذلك مبنيٌّ على التَّوقُّع والظَّنِّ، والعذر بذهاب من كان يعرف ذلك، وآخر الأعذار أنَّ ذلك كالأمثال، وختامه إن كان له أو للأخفش الصَّغير تخريجه على ما لا تسلمه الصِّناعة، فلم يذكر من أيِّ مواضع حذف الخبر وجوباً إن كان وجوباً أو جوازاً إن كان جوازاً[(١)]، وحريٌّ والحال هذه الإشارة إلى الوجوب إن وجوباً وللجواز إن جوازاً، وأيضاً أغفل حكم حذف الفعل النَّاصب لـ(شيئاً).

- **الفائدة:**

يستفاد بأنَّ الأخفش لم يطَّلع على كامل كتاب سيبويه في حياة شيخه سيبويه، وأنَّ مقولة الأخفش إنَّ سيبويه كان يعرض عليه ما يؤلِّفه من كتابه[(٢)] هي في معرض المبالغة من صنيع سيبويه معه.

ولو اطَّلع الأخفش على كلِّ ما في الكتاب لما أشكلت عليه هذه القولة، ولو اطَّلع آنئذٍ عليها لسأل عنها سيبويه أو الخليل؛ لأنَّ سيبويه بدأ تأليف الكتاب في حياة شيخه الخليل ولعلَّه السَّبب في تلمذه الأخفش على سيبويه[(٣)]، ولكان قد علم

(١) يقول ابن مالك:

وبعد (لولا) غالبا حذف الخبرْ *** حتمٌ، وفي نصِّ يمين ذا استقرّْ

وبعد واو عيِّنت مفهوم (معْ) ***كمثل: كلُّ صانع وما صنعْ

وقبل حالٍ لا تكون خبرا *** عن الَّذي خبره قد اضمرا

ألفيَّة ابن مالك (د. العيونيّ): ٨٩، الأبيات: (١٣٨، ١٣٩، ١٤٠)، وانظر: وشرح المفصَّل لابن يعيش: ١/ ٢٢١– ٢٢٧، والتَّذييل والتَّكميل لأبي حيَّان: ٣/ ٢٧١– ٢٨٧.

(٢) انظر: مراتب النَّحويِّين لأبي الطَّيب اللغويِّ: ١١٢.

(٣) انظر خبر ذلك في: جهود الأخفش الأوسط في دراسة كتاب سيبويه (ر. دكتوراه)؛ د. فهيد =

معناها أو صحَّح مبناها.

قد يستنبط منه أنَّ مسألته عن هذه القولة من دواعي نظر يونس في كتاب سيبويه، على أنَّ المشهور والمرويَّ أنَّه طلب الكتاب للتَّأكد ممَّا نقله سيبويه عنه[(١)]، ولا يمنع أن يكون من دوافعه أيضاً الإفادة ممَّا فيه.

- **نوع التَّفسير:**

إنَّ ما ذُكر من تفسير هو اجتهاد من صاحبه لا مرويٌّ عن غيره، وما خبَّر به ورواه عن نفسه وعن شيخه يونس هو الجهل بهذا الكلام، وعموماً هو اجتهاد لا رواية لتفسير مأثور من سابقيه.

الثَّاني: تفسير للمازنيّ.

المازنيُّ تلميذ للأخفش، والأخفش تلميذ ليونس، فالمازنيُّ له تفسير غير تفسير شيخه وشيخ شيخه.

- **الأحكام والآراء فيه:**

١– ذكر المازنيُّ استبانة غرض سيبويه.

٢– أنَّ ناصب (شيئاً) هو (أغفل).

٣– أنَّ المراد بـ(شيئاً) هو المصدر؛ أي: غفلةً.

٤– معنى الجملة عنده هو: ما أغفله عنك غفلةً.

- **التَّعليق:**

لم يذكر المازنيُّ وجه استبانة الغرض، ولا كيف كان (شيئاً) بمعنى: غفلة، ولا كيف يكون وجه تفسير سيبويه لها بقوله: دع الشَّكَّ عنك! وما وجه ذلك؟ وفيه أنَّه على قوله لا يكون فيه حذف، وحديث سيبويه كان في الحذف قصداً. وقصارى جهد المازني أنَّه من الكناية عن (غفلة) بـ(شيء)، فهو فسَّرها بمذكوراتٍ وغيَّر في

=

الرَّباح: ١/ ٢٣– ٢٤.

(١) انظر: بغية الوعاة للسِّيوطيِّ: ٢/ ١٩١.

الألفاظ فحسب، وهذا خلاف موارد قول الإمام الَّذي أوردها في المحذوفات.

كأنَّ الرِّواية هنا تجعل المازنيَّ هو الَّذي يذكر هذا عن الأخفش بأنَّ (ما) ليست تعجبيَّة كما يوهمه ظاهر اللفظ، بل هي موصوليَّة، وأنَّ معنى الكلام: الَّذي أغفله عنك شيئاً؛ أي: شيئاً قليلاً؛ أي: أمراً قليلاً، والخبر محذوف. ثُمَّ يقول لصاحبه: دع عنك الشَّكَّ من خبري إيَّاك بغفلته عنك.

وعلى هذا يكون ما رواه عن الأخفش مخالفاً لما فسَّر به كلام سيبويه، فإن كان هو رواه فهو لم يعقِّب عليه بشيءٍ، ويتعقَّبه بتضعيفه أو بتقويته.

- **التَّعقيب:**

يمكن الإيراد على تفسير المازنيّ بالآتي:

١- سيبويه فسَّره بـ(دع الشَّكَّ)؛ أي: أنَّ شيئاً منصوب بفعلٍ محذوفٍ لا بالمذكور، والباب المورد فيه الكلام حاكم بذلك.

٢- أنَّ العطف على (حينئذٍ الآن) فيه دليل على مخالفة تفسير المازنيّ لمراد الإمام، وذلك بأنَّ (شيئاً) معناه: غفلة، وتفسير سيبويه بعد (شيئاً) بـ:(دع الشَّكَّ عنك) تخالف ذلك.

- **الفائدة:**

١- يفهم من كلام المازنيّ وما ذكره عن الأخفش أنَّ تفسيرهما هو من تفسير المعنى لا تفسير الإعراب.

٢- هذا التَّفسير على قول الأخفش فيه حذف واضطراب تركيب، إذ ما من داعٍ لحذف الخبر، وقد يُجاب بأنَّ هذا مذهبٌ له. وأمَّا نصب (شيئاً) فلا داعي له إذ لو رُفع على الخبريَّة لـ(ما) الموصولة لكان – على سذاجة الخبر من جهة المعاني– له وجه من جهة الصَّناعة، أمَّا التَّخريج على وجهٍ لا يخدم المعنى ولا يسير على وِفاق الصَّناعة فهذا معدول عنه إذا لم يكن مردوداً، ومن أجل ذلك التجأ إلى الحذف ليستقيم له الكلام، ولولاها لما استقام له الكلام غير أنَّ الحذوف لا قرينة دالَّةً عليها إلَّا من أجل تصحيح التَّركيب= فجاء الدَّور.

- **نوع التَّفسير:**

إنَّ ما ذُكر من تفسير هو اجتهاد من صاحبه لا مرويٌّ عن غيره، وكذا ما رواه عن الأخفش فهو اجتهاد أيضاً لا رواية.

الثَّالث: قول الزَّجَّاج.

الزَّجَّاج شيخه المبرِّد، والزَّجَّاجيُّ معتدٌّ بقول شيخه عن شيخه، وغيره وصفه بعدم الليق، وبسط ما جاء به شيخه، وفرَّع عليه بالمسائل والأحكام.

- **الأحكام والآراء فيه:**

١- أنَّه حَكَم على ما سبقه من تفسيرٍ بعدم الاعتبار، ولا القناعة بما جاء فيها.

٢- أنَّ القول المنتخب المختار عند الزَّجَّاجيِّ هو قول المبرِّد شيخ شيخه.

٣- أنَّ هذا القول جاء على تقديرات؛ أي: أنَّ التَّفسير قائم على حذوفٍ كما جاء في سابقه.

٤- أنَّه بناه على حكايةٍ للقولة الَّتي أوردها الإمام سيبويه، ويظهر أنَّا منسوجة.

٥- أنَّ (شيئاً) منصوب لا على الفعل السَّابق أوَّل القولة، بل هو بفعلٍ محذوفٍ لكلامٍ جديدٍ مستأنفٍ.

٦- أنَّ (شيئاً) بمعنى القليل غير المعتدِّ به غير مسلَّم به، فغير المعتدِّ به لا يُذكر، وسيأتي حديثه.

٧- اعتذاره من الجهل بهذه القولة، والغموض فيها مرجعه إلى قلَّة الاستعمال، وأنَّه من المضمرات؛ أي: المحذوفات الَّتي تخفى على مَن لم يسمعها مظهرة.

٨- استعانته على تقدير الحذف والقول بها بما ذكره الإمام سيبويه في ذلك أنَّه في باب (لولا) محذوفة الخبر، وأنَّه كمثل: (كان ذلك حينئذٍ الآن)؛ أي: كان ذلك حينئذٍ واستمع أنت إليَّ الآن، فهو مبنيٌّ على جملتين وزمانين فكذلك ما ههنا.

- **التَّعليق:**

أطال الزَّجَّاج النَّفس في شرحه لهذه القولة كما رواه عنه تلميذه الزَّجَّاجيُّ، وسار بشرحه إيَّاها بخطواتٍ هي الآتي:

١- حكم على التَّفاسير بعدم الليق؛ أي: كلُّها غير ناهضةٍ عنده بالبيان، وغير

كاشفة للمعنى على وجه مرضيٍّ.

٢- أنَّه ذكر أنَّ ما سيورده هو تفسير لقول المبرِّد فيها.

٣- حاول ببسطٍ شرح المعنى قبل توجيه الإعراب، وبسطه إيَّاه ساقه مساق سرد قصَّة مثلٍ، وحاله فيها والحكم عليها يقرب أن يحكم عليه بما حكم هو به على قول غيره، وهو عدم الليق بالمسألة غير أنَّه أطال الحديث بتشقيق قصَّة المثل المتخيَّلة؛ لأنَّ هذه القصَّة من عندياتِّه لا من مرويَّاته، ودليل العنديَّة أنَّه بناها على تخييلٍ ذكره:(كأنَّ شخصاً كان له)، ونصُّ قوله:" **تقدير هذا الكلام أن يكون رجل له صديق ... إلخ**"= فهذا من باب التَّخرُّص ومحاولة التَّفسير بالاجتهاد لا بمرويٍّ مأثور.

٤- رام تخريج النَّصِّ إعرابيًّا وتوجيهه نحويًّا؛ فكان جهده تفسير معنى لا حقيقة إعراب.

٥- لما أن أدَّاه التَّوجيه إلى الكلام على المضمرات؛ أي: المقدَّرات من العوامل انساق الحديث واستطرد بذكر المقدَّرات الواجبة الحذف والجائزته والممتنعته.

٦- نَسَبَ قولة: (ما أغفله عنك شيئاً) إلى قسم المضمر؛ أي: المحذوف الَّذي لا يجوز إظهاره.

- **التَّعقيب:**

لا أعلم أكان ذلك للزَّجَّاج قصداً أم لا؟! أنَّ مذمَّته للأقوال السَّابقة في تخريج هذه القولة ليس راجعاً إلى التَّخريجات النَّحويَّة والتَّقديرات بقدر ما هو راجع إلى نوع حبكة حكاية القولة وسرديَّتِها، فإن صحَّ ذلك فليس هذا بمعدلة قولٍ ولا صواب حكمٍ؛ لأنَّ ما ذكره المبرِّد من حكايةٍ يسترشد بها إلى الفهم، ليست هي حقيقة الأمر، إذ لا تعدو أن تكون كالحكاية الأخفشيَّةِ والمازنيَّةِ.

فحكاية المبرِّد تمتاز بالطُّول وتلافيف قولٍ وسرديَّةٍ في نظم الأحداث، وتمتاز بجعله القولة كلامين، فعلى مختار الزَّجَّاجيِّ تكون الجملة الأولى: ما أغفله عنك! كأنَّه أرادها تعجُّباً على أنَّ الزَّجَّاج وكذا الزَّجَّاجيَّ لم يوضَّحا ذلك. والجملة الأخرى:

(شيئاً) مفعول به لفعلٍ طلبيٍّ محذوفٍ، فكلاهما جملة إنشائيَّة، إحداهما غير طلبيَّة والأخرى طلبيَّة.

شرحُ الزَّجَّاجيِّ له أو لشيخه هو شرح معنى وتفسير لا وجه إعراب يراعي الصِّناعة، وفي الأصول أنَّ ما لا يحتاج إلى تقدير أولى ممَّا يحتاج إليه، وكلَّما كان التَّقدير أقلَّ كان أولى ممَّا يطول تقديره[(١)].

وجاء فيه ذكر أنواع المحذوفات الَّتي سمَّاها مضمراتٍ، وأحكام حذفها الممتنع منها والواجب والجائز، وأمثلة لكلِّ نوعٍ.

- **الفائدة:**

ما ذكره الزَّجَّاج لا يخرج عمَّا ذكره المازنيُّ مخلوطاً بقول الأخفش، فقول الزَّجَّاج هو خلطة بينهما، وهو لا يخرج عمَّا قالاه، فهو من تفسير المعنى لا تفسير الإعراب.

- **نوع التَّفسير:**

إنَّ ما ذُكر مِن تفسيرٍ هو اجتهادٌ من صاحبه لا مرويٌّ عن غيره، وكذا ما رواه عن المبرِّد، فالمبرِّد كذلك هو اجتهاد منه لا نقل رواية.

هذا استنطاق ما جاء في الأقوال الشَّارحة من أحكام حسب رواية الزَّجَّاجيِّ، والتَّعليق التَّعقيب عليها بذكر الفائدة فيها، والعائدة منها ونوع التَّفسير.

النُّقطة الثَّانية: فرش المسائل الواردة برواية الزَّجَّاجيِّ.

جاء في رواية الزَّجَّاجيِّ لهذه المسألة وتفسير القولة وِفاق رأي المبرِّد وحكايته عددٌ من المسائل الَّتي تحتاج إلى عرض ومناقشةٍ، وهنَّ الآتي:

- **المسألة الأولى.**

أنَّه حكم بجملتين لهذه المسألة (ما أغفله عنك) جملة، و(شيئاً) جملة ثانية، ونظَّره بـ(حينئذٍ الآن)، وهما جملتان (حينئذٍ) جملة و(الآن) جملة أخرى، ولذا جاء

(١) انظر: أسرار العربية للأَنباريِّ:١/ ١٦٥، والإنصاف للأنباريِّ (د. جودة):٢٠٩، وفيه خلل، وضبطه في: الإنصاف (محيي الدِّين): ١/٢٤٩.

تفسيرها: كان ذلك حينئذٍ، واستمع إليَّ أنت الآن؛ لذا حكم بالجملتين لعبارة (ما أغفله عنك شيئاً).

الرَّأي:

عند النَّظر في الباب الَّذي أورد فيه سيبويه القولة تجده باب إضمارٍ؛ أي: حذف فحسب، دون تحديد نوع المحذوف سواء أكان كلمة أم جملة أم جملاً أم كلاماً، فقد ساق ما ساق فيه لبيان وقوع الحذف في تلك القولات فحسب، وذلك أنَّه بنى الباب على الحذف في (لولا) والمحذوف الخبر، والخبر المحذوف منها مفردٌ؛ فدلَّ أنَّ استدلاله على أنَّها جملتان غير دليل، ويردُّه أصل الباب أنَّه باب (لولا)، وما أدَّاه النَّظر عندي خالف هذا، وسيأتي توضيحه.

- **المسألة الثَّانية.**

جاء في الرِّواية أنَّ مقدار الزِّيادة إذا كان يسيراً جدًّا يُطلق عليه (شيئاً).

قلتُ: هذا غير مسلَّم به عند النَّظر إذ الشَّيء إذا كان محتقراً لا يؤبه به لا يعتدُّ لا يُذكر أصلاً فهو مطَّرح لا يخصُّ بكلمة شيء؛ وذلك لأنَّ كلمة (شيءٍ) هي أنكر النَّكرات[(١)]، وهي توصف بـ(القلَّة، والكثرة)؛ فيقال: هذا شيء قليل وهذا شيء كثير، فدلَّ قولهم هذا على عدم قصر (شيء) على معنى قليل جدًّا، ولا هو به مخصوص، بل هم يقولون (قلَّما) ويريدون به النَّفي[(٢)]، قال سيبويه في أصليَّة المذكَّر وفرعيَّة المؤنَّث ما نصُّه: **"ألا ترى أنَّ (الشَّيء) مذكَّرٌ يقع على كلِّ ما أخبر عنه"**[(٣)] فلم يذكر أنَّه يُطلق على المقدار المتقالِّ جدًّا.

ولا ينهض قوله هذا قولاً ولا تفسيره ذا تفسيراً بالنَّظر إلى ما أدَّى إليه هذا

(١) انظر: المقتضب للمبرِّد: ٣/ ١٧٦، والأصول لابن السَّرَّاج: ١/ ١٤٨، والتَّذييل والتَّكميل لأبي حيَّان: ٢/ ١٠٢.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٢٢.

(٣) كتاب سيبويه: ١/ ٢٢.

البحث من أنَّ لفظ (شيئاً) ليس في حقيقته ولا لفظه هو كلمة (شيءٍ)، بل حدث فيها تحريف كما سيأتي بيانه.

- **المسألة الثَّالثة.**

لما ذكر المحذوفات وسمَّاها المضمرات بدأ بذكر المحذوف الجائز الإظهار، ومثَّل له بما يُحذف إذا عُلم أو كانت فيه قرينة معنويَّة أو لفظيَّة دالَّة عليه، فذكر نصب (الرَّأس، والهلال) مفعولين لمن يرغب في ضرب إنسان أو لمستهلين، أو جواباً لسؤال عن منصوب.

هذي المسألة من المسائل الَّتي يُسلَّم بها، فهي ممَّا يجوز فيه حذف النَّاصب لوجود قرينة[(١)].

- **المسألة الرَّابعة.**

ممَّا ذكره أيضاً ما يجب فيه الحذف؛ أي: يُذكر المفعول به ويحذف ناصبه وجوباً، وذكر لذلك مثالين:

أحدهما: هي مسألة من مسائل الاشتغال الواجبة النَّصب؛ كقولك: أزيداً ضربته؟ أعبد الله أكرمته؟

هذه المسألة ممَّا لا يختلف مع الزَّجَّاجيِّ فيها.

والمثال الثَّاني: مسألة التَّحذير، ومثَّله بقوله: إيَّاك والشَّرَّ! وإيَّاك والمراء! وذكر ممَّا ذكر أنَّ النَّاصب لـ(إيَّاك) منصوب بفعل لا يظهر، وأمَّا (المراء) فمنصوب بفعلٍ آخر غير النَّاصب لـ(إيَّاك) وأن إظهاره جائز، وهذا أمر منازع فيه.

الرَّأي:

بالنَّسبة للنَّاصب في أسلوب التَّحذير إذا كان بـ(إيَّاك) أو بالتَّكرار أو بالعطف فواجب الحذف ولا يجوز إظهار النَّاصب معه، وأمَّا إذا كان أسلوب التَّحذير بالإفراد فجائز الحذف.

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ١/ ٢٥٧-٢٥٨، وشرح التَّسهيل لابن مالك: ٢/ ١٥٥- ١٦٠، والتَّذييل والتَّكميل لأبي حيَّان: ٧/ ٤٤- ٤٦، وأوضح المسالك لابن هشامٍ: ٢/ ١٦٤.

والزَّجَّاجيُّ لما ذكر أنَّه يجوز إظهاره لم يمثِّله مظهراً، وعلى قوله ورأيه يكون التَّقدير: إيَّاك ودع المراء.

ذكر سيبويه أنَّ مثل (إيَّاك والأسد) لا يجوز فيه الإظهار[(١)]، وقال في الإفراد: **"فلو قلتَ: نفسَك أو رأسَك أو الجدار كان إظهار الفعل جائزاً"**[(٢)]، وجاء في ترجمة الباب عنده قوله: **"هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه"**[(٣)]، والأمر كذلك عند النَّحويِّين أنَّ الجائز منه المفرد فحسب، وأمَّا المسبوق بـ(إيَّاك) والمكرَّر والمعطوف فواجب الحذف[(٤)].

- **المسألة الخامسة.**

هي مسألة لا يُختلف فيها مع الزَّجَّاجيِّ، وذلك امتناع حذف ما لا قرينة حاليَّة فيه، ولا مقاليَّة، ولا سياقيَّة، ولا مسبَّق بسؤالٍ، ولا في أمرٍ، أو نهيٍ، ونحو ذلك ممَّا مرَّ ذكره في واجب الحذف وجائزه.

مثَّله الزَّجَّاجيُّ بـ: **"أن تصير إلى رجلٍ لم يخطر بباله ضرب زيدٍ ولا إكرامه فغير جائز أن تقول له: زيداً؛ فتنصبه بفعل مضمر لأنَّه لا دليل عليه"**[(٥)]، وللحذف شروط وتفصيلات[(٦)].

(١) انظر: كتاب سيبويه: ١/ ٢٤٧.
(٢) كتاب سيبويه: ١/ ٢٧٥.
(٣) كتاب سيبويه: ١/ ٢٧٣.
(٤) انظر: المقدِّمة الجزوليَّة: ٢٧٠، وشرح المقدِّمة الجزوليَّة الكبير: ٣/ ١٠٨٣، وشرح التَّسهيل لابن مالكٍ: ٢/ ١٦٠، والتَّذييل والتَّكميل: ١٤/ ٩٣- ٩٤.
(٥) الأمالي من الفوائد والأخبار: ٣/ ١٠٦٩.
(٦) انظر: مغني اللبيب؛ لابن هشامٍ: ٦/ ٣١٧- ٣٥٤.

المبحث الثَّالث: البيان والتَّصحيح لرواية نصِّ القولة

وفيه مطلبان.

المطلب الأوَّل: تحرُّف النَّصِّ وتصحُّفه والتَّخليط فيه

التَّشابه بين هجاء حروف العربية سبب ظاهر في وقوع التَّصحيف والتَّحريف، وإنَّك لو نظرت مثلاً إلى:(ب، ت، ث، ي، ن)، و(ج، ح، خ)، تجدها على صورة واحدة يفرقها النَّقط، ولذا صَنَعَ الحريريُّ (ت ٥١٦هـ) من هذا أدباً في إحدى مقامته[(١)]، قال:

زيَّنت زينب بقدٍ يقدُّ *** وتلاه ويلاه نهدُ يهدُّ[(٢)]

وهذا أوضح مثالٍ على وقوع ذلك وحدوثه.

ويوفي هذا الأمر حقَّه حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ) إذ يقول: **"واضع الهجاء لم يحكم وضعه، ويكون الاحتراس من التَّصحيف لا يدرك إلَّا بمعرفة اللغة، وعلم مقدِّمات الكلام، ومعرفة ما يصلح أن يأتي بعدها ممَّا يشاكلها، وما يستحيل مصاقبته لها"**[(٣)]، وقد وقع في التَّصحيف أئمَّة في العربيَّة وغيرهم[(٤)].

ولقد أدَّاني النَّظر في قولة:(ما أغفله عنك شئياً) غلبة ظنٍّ إلى أنَّه قد وقع فيها تحريفٌ جلَبَ تخليطاً، فعمي أمرها وخفي على أكابر أجلَّة من العلماء؛ فقد قال شيخهم: **"ذهب مَن كان يعرف هذا"**[(٥)]، وقد حاولوا كشفها فما انكشفت لهم،

(١) هي المقامة السَّادسة والأربعون المسمَّاة: الحلبيَّة.

(٢) مقامات الحريريّ: ٣٧٩.

(٣) كتاب التَّنبيه على حدوث التَّصحيف: ٣٣.

(٤) انظر: تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف؛ للصَّفديّ: ١/ ٢- ٤.

(٥) القائل: هو يونس بن حبيب الضَّبيُّ ولاءً (ت ١٨٢هـ). الأمالي من الفوائد والأخبار: ٣/ ١٠٦٤.

حتَّى ذكر قائلهم أنَّه لم يرَ في هذه التَّفاسير مقنعاً[(١)]، وآخر يقول معتذراً أنَّه كلام قلَّ مَن يستعمله فنسي تقديره[(٢)].

ومَن نظر في الأقوال يدرك تشرُّدها لكلمة قائمة حسبما هو ظاهر من القولة، غير أنَّ عدم التئام أطراف هذه الكلمة أنهك المعرب النَّحويَّ، والمفسِّر اللغويَّ؛ فنفرت كلماتهم في بسط معناها وإعراب مبناها.

وإنكار وقوع التَّحريف أبداً في كتاب سيبويه، ودفع التَّصحيف عنه قطعاً كلام غير علميٍّ، وهو دفعٌ انفعاليٌّ عاطفيٌّ، والاعتضاد بأنَّ العلماء تواردوا عليه لا يمنع من وقوع شيء منه، على أنَّ ذلك التَّوارد دافعٌ وقوعه دفعاً كبيراً ومقلِّل منه كثيراً.

ولا أدلَّ على ذلك من الاختلاف في قراءة نصِّ الكتاب، وكذا اختلاف النُّسخ، ومردُّ ذلك أنَّ الكتاب وُجِد وجادةً بعد رحيل سيبويه، ونسخه مَن نَسَخَه مِن نسخةٍ عليها حواشي الأخفش، وهو ما جعل النُّسَخ تختلف بحسب النَّاسخ، وأمر الكتاب مقطوع به أنَّه لم يُقرَأ على مصنِّفه، أو يطَّلع عليه كاملاً، فضلاً عن أخذه عنه إجازة.

وإذا كان الأمر كذلك والكتابة في ذلك العصر المتقدَّم لم تصل بعدُ إلى درجة عاليةٍ من الإتقان وكمال الحرفة، ولم يَذكر أحدٌ حسن سيبويه أو سوئه، بل ذُكر أنَّ له خطًّا خاصًّا يتميَّز به؛ أي: رسمٌ خاصٌّ له، وضبطٌ خاصٌّ به، وقد أشرت إلى خبر ذلك في التَّمهيد، ومن المعلوم تشاكل الحروف في الخطِّ العربيّ فمثلاً (ج/ ح/ خ) رسمها واحد ابتداءً ووسطاً وطرفاً فرقها النُّقطة فحسب، ومثلها (ب/ ت/ ث/ ن/ ي) كذلك، والياء تخالفها طرفاً.

وأمر التَّصحيف والتَّحريف قد دخل نصوصاً أزكى من كتاب سيبويه، وأدعَى ألَّا يقعَ فيها الخطأ، وهي الأحاديث النَّبويَّة؛ لوجود موانع زاجرة من التَّحريف،

(١) ذاكر ذلك هو الزَّجَّاج.

(٢) قائل ذلك هو الأخفش الأوسط.

والنَّهي عن الكذب على رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام، ولكن يقع المسبَّب إذا وجد السَّبب.

والأحاديث تُتَلقَّى مشافهةً في التَّحمُّل، ومع ذلك وقع فيها التَّصحيف والتَّحريف، وقد صُنِّفت في ذلك كُتُبٍ من مثل كتاب تصحيف المحدِّثين للدَّارقطنيّ (ت ٣٨٥هـ) وللعسكريّ (ت ٣٨٢هـ)، وكذا الخطَّابيُّ (ت ٣٨٨هـ)، فكيف الحال بمن يأخذ من الصُّحُف وجادةً؟[١]، ولو ذهبت في تتبَّع الأغلاط الَّتي وقع فيها كبارٌ وأئمَّةٌ ومِن عليةِ القوم لوجدت لذلك شواهد وأمثلةً، يقلّ عديدها عالياً ويتكاثر نازلاً.

فهذا الأمر واقع حالٍ، فلا يدفع بالدَّفع العاطفيّ، والتَّحريف والتَّصحيف ليس عيباً منقِصاً قيمة صاحبه كالخطأ النَّحويّ أو الغلط الصَّرفيّ، بل غايته أن يقرأ اللفظ على غير مراد كاتبه، وتشرح العبارة على غير رأي مصنِّفها، وعليه ينتقل اللفظ من لفظٍ مُرادٍ إلى لفظٍ آخر، وفي الغالب أن يكون اللفظ المتصحِّف مصاقباً للمصحَّف عنه في الرَّسم والصَّورة، ومن غير الغالب أن يكون بعيداً عن الأوَّل في الرَّسم والصُّورة، وذلك قد يقع إذا كان الخطُّ المقروء سيئاً، فقد يقرأ مصحَّفاً إلى كلمة أخرى مخالفة في اللفظ والمعنى، قد يقبلها السَّياق، وأمَّا إذا نفاها السِّياق فالعالم يتفطَّن لها بسبب علمه في الفنِّ الَّذي يقرأ فيه، وأكثر ما يكون منه ما يقع في الأسماء والأعلام.

هذا، ومَن لهم عناية بكتاب سيبويه يقطعون بأنَّ نصوص كتاب سيبويه قد داخلها غيرها من حواشي الأخفش وجماعة، وقد استقرَّ الكتاب عند الأخفش بعد وفاة سيبويه، فكأنَّه ميراث ورثه عن شيخه، وعلَّق عليه بحواشٍ مبيِّنات، وأمثلة، ومستدركات، ضُمَّ بعضها إلى الكتاب غفلةً، وقد أذاع الأخفش الكتاب وتعالم أهل العلم به، فوفدوا إليه وأُخذوه عنه، وهو الطَّريق الوحيدة إلى الكتاب.

ولما انتسخ النَّسَّاخ الكتاب داخلته بعض الحواشي إمَّا أنَّها غير معلَّمة[٢] وإمَّا

(١) قد جاء النَّهي من الأخذ من الصُّحُف، فقد قيل: **"لا تأخذوا القرآن من المصحفيّين ولا العلم من الصُّحفيّين"**. انظر: شرح ما يقع فيه التَّصحيف والتَّحريف للعسكريّ: ١٠

(٢) انظر مثلاً: كتاب سيبويه (هارون): ٤/ ١٤٠ حا (٤)، ١٤٤ حا (٢).

لجهل النَّاسخ، فعدَّت منه واختلط أمر المتن بالحاشية في مواضع[(١)]، فكان هذا مشكلاً جدًّا لذا تفطَّن العلماء لذلك، فالخالفون للأخفش لهم حواشٍ على الكتاب غير أنَّ حواشيهم كانت معلَّمة برموزٍ لها، ميَّزت المتن عن الحواشي، ولذا مخطوطات الكتاب ملأى بهذه الرُّموز مع تبيانٍ كاشفٍ، وبعضها بلا تبيان[(٢)]، ومَن يتتبَّع مخطوطات الكتاب يعلم ذلك[(٣)]، وقد تعدَّدت نسخ كتاب سيبويه وكانت له نسخ مشرقيَّة ومغربيَّة، وقد عُني بأمر ذلك، ودُرست أنواعها وسماتها وطرقها[(٤)]، وسأسوق شاهداً على الإقحام، فقد جاء في الكتاب: "**وقال أبو عمر: أقول في (ظروفٍ) هو جمع (ظريف) كسِّر على غير بنائه، وليس مثل(مذاكير)، والدَّليل على ذلك أنَّك إذا صغَّرت قلت: ظريّفون، ولا تقول ذلك في (مذاكير)**" [(٥)]، وأبو عمر هو الجرميُّ.

على كلِّ حالٍ فدفع وقوع التَّحريف والتَّصحيف والإقحام أبداً عن كتاب سيبويه خاصَّةً، وهو كتاب وُجد بعد رحيل مصنِّفه وعُلِم ما فيه وجادةً، وهو كتاب على غير سابق مثالٍ، ولا له أصل يُطابق عليه= قولٌ غير ناهضٍ، وحكمٌ غير مسلَّمٍ به، بل الأدعى والحال هذه وقوع مثل ذلك، والحمدى أنَّ ذلك ندر فيه، وما كان

(١) انظر: الأشباه والنَّظائر للسُّيوطيّ: ٤/ ٥٧.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق كتاب سيبويه (هارون): ٤٧، وجهود الأخفش في دراسة كتاب سيبويه؛ د. فهيد الرَّباح (ر. دكتوراه):١/ ٩٠-٩٥.

(٣) انظر: مقدَّمة حواشي كتاب سيبويه؛ أد. سليمان العيونيّ.

(٤) انظر: تعدد نسخ كتاب سيبويه وأثره؛ د. عبد الله عثمان يوسف، وكتاب سيبويه بين أيادي المستشرقين والعرب؛ د. جون بيكولا درويل، وَ أ. يوسف السِّنَّاريّ، وحواشي كتاب سيبويه؛ أد. سليمان العيونيّ.

(٥) كتاب سيبويه (بولاق):٢/ ٢٠٨، و(هارون): ٣/ ٦٣٦- ٦٣٧، و(البكَّاء):٥/ ٣١٥ حا (٢).

ذلك ليكون نادراً لولا قوَّة عارضة الورثة من علماء العربيَّة، وحرصهم، ودقَّتهم، وفطنتهم، وحذقهم في تخصُّصهم، وذلك أنَّ العلماء تنخَّلوه، ومع ذلك الكمال عزيز، والجهد البشريُّ ناقص، فقد يقع ما يُخاف منه، وقد يفوت الدَّركَ شيءٌ في طيَّات ذلك ولا سيَّما في كتابٍ ذي مجلَّداتٍ، ووقوع مثل ذلك في موضع أو موضعين أو في مثال أو مثالين لا يضير، فمثلاً بناء: فَعَيلل: (خفيدد/ حفيلل) وقع في أمثلة هذا البناء خلاف عريض، مردُّه إلى التَّحريف والتَّصحيف الَّذي تعرَّض له مثالا هذا البناء، هذا والأمر في بناءٍ لا في عبارة، وقد حشد د. الدَّاليُّ في معالجة اللفظ وتصحيحه حواشي ذات عدد[(١)]، وما تعقَّبه به د. العريفيُّ مثلها أيضاً يقطع بوقوع ذلك[(٢)]، على أنَّ البناء أدعى إلى قلَّة الخلاف فيه لانضباطه شكلاً ولحفظ مثاله، ومع ذلك وقع فيه من الاختلاف ما وقع، وكان أن لا يقع مثل ذلك في مثله أولى.

وإن من سبب أصيلٍ لكلِّ هذا فسببه الوجادة أو هي أعلى أسبابه، وذلك أنَّ الأخفش قرأه وجادةً، وأقرأه غيره وأوَّل قارئ عليه الكتاب الكسائيُّ[(٣)].

وبعدُ، فيمكن معالجة القولة لتصل بهذه القولة إلى لفظ العبارة الحقيقيَّة، أو لعلَّه الأقرب إلى الحقيقة ببيان حسب النِّقاط الآتية:

النُّقطة الأولى: التَّحريف والتَّخليط.

لا يقطع بالأصحِّ من الآراء مع احتدام الاختلاف ما دامت نسخة كتاب سيبويه الأصل مفقودة، فما قيل ويقال إن هو إلَّا غلبة ظنٍّ ومؤدَّى نظرٍ، وقد غلب على ظنِّي عند النَّظر أنَّ في القولة اجتزاء وتخليطاً وتحريفاً، فقد تحرَّفت هذه العبارة عن أصلها، وحقيقتها تكوُّنها من جملتين: إحداهما خبرٌ وتفسير، والأخرى نقلٌ ورواية،

(١) انظر: تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية للسجستانيّ، تحق: أد. محمَّد الدَّاليّ: ١٤٣– ١٤٧ حا (٨٩).

(٢) انظر: تفسير أبنية سيبويه وغريبه للجرميّ، أد. سيف العريفيّ: ٢٦٠– ٢٦٧.

(٣) انظر: مراتب النَّحويّين لأبي الطَّيِّب: ١٢٠، وإنباه الرُّواة للقفطيّ: ٢/ ٢٧٣، وتذكرة النُّحاة لأبي حيَّان: ٦٩٠.

فالتَّفسير (ما أغفله)، والرِّواية (عنك شكًّا)، وعلى ضوء ذلك يكون التَّصحيح.

أمَّا الكلام على التَّحريف فبيانه حسب الآتي:

أولاً: (ما أغفله): هذه العبارة هي تتمَّة لما قبلها، وليست بأوَّل الكلام، فأوَّل الكلام هو قولةُ (حينئذٍ الآن) وتفسيرُها، وجملة (ما أغفله) هي من تفسير قولة (حينئذٍ الآن)، الَّتي فسَّرها الخليل.

وترتيب كلام سيبويه موافقاً التَّفسير يكون أصل الكلام مصحَّحاً الآتي: **(ومثل ذلك حينئذٍ الآن إنَّما تريد: كان ذلك حينئذٍ واسمع الآن ما أغفله، عنك شكًّا؛ أي: دع الشَّكَّ عنك= فحذف هذا لكثرة استعمالهم)**، فتحرَّفت (شكًّا) إلى (شيئاً)، وزيدت الواو بعد (الآن) ليستقيم الكلام للقارئ؛ فانفصلت (ما أغفله) من تبعيَّة ما قبلها.

ويدلُّ على وجود حذف واستشكال تفسير واختلاف تقدير ما جاء في أحد الحواشي ما نصُّه: "**(مع): وخذ عنك أي: خذ ودع عنك الشَّكَّ، فحذف (دع الشَّكَّ). وما أغفله شيئاً؛ أي: ما أغفله عنك شيئاً؛ أي: دع الشَّكَّ عنك**"[(١)]، هنا ذكر فعلين (خذ، ودع)، وشرحهما بـ" أي: خذ ودع عنك الشَّكَّ"، ولم يذكر المأخوذ، وربَّما أراد: خذ ما أغفله، ودع عنك الشَّكَّ.

وهذا الكلام من الإمام قُرئ وجادةً (ما أغفله)، وأدخل معه (عنك شيئاً)، ولأنَّ الفعل (غفل) يُعدَّى بـ(عن)، ووافق مجيء (عنك) بعد عبارة (وما أغفله) الَّتي قرئت مستأنفة بعد زيادة الواو عليها، فثبت ذلك أنَّه متعلِّق بالفعل (غَفَلَ).

ولا أجدني أوافق المستشرق فيما اختار حين ذكر أنَّ أصل (وما أغفله) هو (وممَّا أغفله)، ومعناه: وممَّا أغفل الخليل ذكره؛ أي: لما أن ذكر (إمَّا لا، وحينئذٍ الآن) أغفل ذكر (عنك شيئاً)؛ فتحرَّفت (ممَّا) إلى (ما)، وإن كان قوله له وجه من الصِّحَّة من جهة صلاحية المعنى، لكن يفسد هذا أن ليس من معهود سيبويه مع شيخه الخليل

(١) انظر من البحث (المبحث الأوَّل/ المطلب الأوَّل)، وانظر: حواشي كتاب سيبويه: ٢/ ٥٦٤.

وصفه بالإغفال، والآخر أنَّ التَّراكيب الَّتي ورد فيها حذف عن العرب ليست هذه الثَّلاثة فحسب؛ ليقال ذكر الخليل اثنين وأغفل الثَّالث فاستدركه عليه، إذ المقام ليس مقام حصرٍ، فهذه مسكوكات الأمثال ملأى بالحذوف.

ثانياً: (عنك شيئاً):

هذه العبارة كما أسلفتُ هي الأصل لذا مثَّل بها سيبويه، قد وقع فيها تحريف أيضاً، والصَّحيح أنَّ (**عنك شيئاً**) جملة واحدة، وليس (عنك) متعلِّقة بـ(أغفل)، وقد لحقها هي أيضاً التَّحريف والتَّخليط، فـ(شيئاً) تحرَّفت عن (شكًّا)، ودليل ذلك ما وضَّح به الإمام ذلك بقوله:" **دع الشَّك عنك**"، غير أنَّ (شكًّا) أصبحت (شيئاً)، فصورة الكلمتين متقاربتان، وهو ما ذكره المستشرق بلاَّمي وأجدني موافقاً له في هذه الجزئيَّة، إذ رسم الكاف قُرِئ همزة وقرئت وجادةً (شيئاً)، وخطُّ سيبويه قد ذكرت طرفاً من سماته في التَّمهيد، فانحرفت صورة العبارة وانتقلت إلى معانٍ جديدة، ولكن بقي التَّفسير كاشفاً لهذا اللفظ الخفيّ، فصحيح العبارة:(عنك شكًّا)، وعبارة الشَّرح لما كانت كلمة (الشِّك) فيها معرَّفة ليست منكَّرة لم تلتبس بسبب الخطِّ.

وأمَّا مسألة تعريف الشَّكِّ فقد ذكر المستشرق أنَّ المشهور في كلام العرب تعريف مفعول: (دع) كقولهم: **دع عنك لومي**[(١)]، وقد تأتي نكرة كقولهم: **دع عنك نهباً**[(٢)]، فذكر أنَّ العادة أن يعرَّف ما بعد (دع)، وقد يأتي نكرة، وهذا توجيه غير وجيهٍ، ولا رافع للاعتراض. قلتُ: مجيئه نكرة كثير إن لم يكن أكثر بدليل قولهم: **دع**

(١) هذه الكلمة جزء بيت لأبي نواس، وهو بتمامه:

دع عنك لومي فإنَّ اللوم إغراء *** وداوني بالَّتي كانت هي الدَّاءُ.

(٢) هذا جزء من بيت لامرئ القيس، والبيت بتمامه هو:

دع عنك نهباً صيح في حَجراته *** ولكن حديثاً ما حديث الرَّواحلِ.

عنك قوماً[(١)]**، ودع عنك داراً**[(٢)].

وعندي أنَّ (الشَّكَّ) للعهد الذِّكري من (شكًّا) الَّتي في القولة، فإن قيل: لا؛ فيقال: إذن ما معنى قول الإمام تفسيراً له بعقبه: **"أي: دع الشَّكَّ عنك"**، وغيَّر باللفظ وأخَّر الظَّرف ليبيّن المراد ويشرحه، وإلَّا فلا معنى للتَّفسير بـ(أيٍّ)! وأيُّ شيء يفسِّره إذا لم يكن عبارة (عنك شكًّا) إذ لا علاقة بين شيءٍ وبين الشَّكِّ، هذا بخلاف العلاقة البيِّنة والواضحة بين شكٍّ والشَّكِّ، ومعلوم أن تكرار اللفظ منكَّراً دليل المغايرة، وذكره معرَّفاً بـ(ال) العهديَّة دليل التَّكرار للفظ المنكَّر الأوَّل.

وعلى التَّسليم بصحَّة العبارة وسلامة التَّركيب فما يكون معنى **"عنك شيئاً"** أو ما معنى **"ما أغفله عنك شيئاً"**، و(شيءٌ) أنكر النَّكرات، وكلُّ دقيق وجليلٍ هو شيءٌ، ومن أجل ذلك ثقل على الشُّرَّاح فسرها حتَّى قال بعضهم: إنَّ (شيئاً) معناه (غفلة)، وهو قول معترض لا ينهض. ولو استجيزت سلامة التَّركيب لكان (شيئاً) جديراً بالرَّفع، وهو من بعدُ معنى ساذج، ينزَّه عنه الفصيح، فكيف بمن يقعِّد الكلام ويؤصِّله أمثال الإمام؟! وعلى ذلك لا التَّفسير بـ(أيٍّ) ناهضٌ، ولا نصب (شيئاً) ناهض أيضاً، لا من جهة دلالة المعنى ولا صناعة الإعراب، ولو رُفع على الخبريَّة لم ينهض من جهة المعنى، جاء في حواشي نسخة (ابن معافى)[(٣)] لكتاب سيبويه قوله:**"(مع): وخذ عنك؛ أي: خذ ودع عنك الشَّكَّ، فحذف (دع الشَّكَّ). وما أغفله شيئاً؛ أي: ما أغفله عنك شيئاً؛ أي: دع الشَّكَّ عنك"**.

---

(١) هذا جزء من بيت للنَّابغة الذِّبيانيّ:

فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم *** هم ألحقوا عبساً بدار القعاقعِ.

(٢) هذا جزء من بيت لحسان، والبيت بتمامه:

دع عنك داراً قد عفا رسمها *** وابك على حمزة ذي النَّائلِ.

(٣) انظر: المبحث الأوَّل، فقرة مصوَّرات المخطوطات، نسخة (ج).

أمَّا الأخذ بأنَّ "**ما أغفله**" كلام، و"**عنك شكًّا**" كلام آخر فصحيح؛ لأنَّه بهذا يستقيم التَّركيب، ويصلح عليه الإعراب، ويلتئم بسِّياقه، غير أنَّه بقي محاولة معرفة السَّبب في حدوث ذلك، فلعلَّ السَّبب الَّذي أدَّى إلى جمع الكلامين وخلطه وعدِّه كلاماً واحداً، وأدَّى إلى قراءة (شكاً) بالتَّحريف (شيئاً)= هو تقارب صورة (شكًّا) و(شيئاً) برسم الحرف، وكذا نوع الخطِّ، وكذلك تلقي كتاب سيبويه وجادةً.

ثالثاً: (ما أغفلك): جاء في رواية الزَّجَّاجيِّ بهذا النَّصِّ؛ أي: بالخطاب، وذلك قوله: "**هو نحو قوله: (ما أغفلك عنك شيئاً) في تركهم إظهار النَّاصب للشَّيء**"[(١)]= فهذا أيضاً من التَّحريف الَّذي لحق هذه القولة، وصوابه أن يكون بالغيبة:(ما أغفله) حسب ما في كتاب سيبويه، وجاء أيضاً في أطراف رواية الزَّجَّاجيِّ نفسها.

النُّقطة الثَّانية: التَّصحيف.

وذلك واقع في (ما أغفله) حين جاءت عند الجوهريِّ[(٢)] بالقاف المثنَّاة المعجمة الفوقيَّة، فذكر أنَّها (**ما أَعْقِلُهُ عنك شيئاً**) بهذا الضَّبط ضُبِطَت في تحقيق (عطَّار).

وقد نبَّه ابن برِّيٍّ على هذا التَّصحيف فقال: "**الَّذي رواه سيبويه:(ما أغفله عنك) بالغين المعجمة والفاء، والقاف تصحيف**"[(٣)]، ونقل مثله الفيروزأباديُّ فذكر أنَّه لا كما نقله الجوهريُّ بالقاف والعين إنَّما هو بالفاء والغين، أمَّا القاف والعين فتصحيف[(٤)].

(١) الأمالي من الفوائد والأخبار: ٣/ ١٠٦٩.
(٢) انظر: الصَّحاح: عقل: ٥/ ١٧٧٢.
(٣) كتاب التَّنبيه والإيضاح: عقل: ٤/ ٢٠١.
(٤) انظر: القاموس المحيط: (عقل).

المطلب الثَّاني: صحيح القولة وتصحيحها

سلف بيان ما اعتور القولة من إشكال، ولتصحيح القولة لا بدَّ من النَّظر في المبنى والمعنى، فالألفاظ إن هي إلَّا قوالب للمعاني.

أولاً: تصحيح مبناها.

بعد ما أوردته من بيانٍ كاشفٍ تكون صُبابة القول في تصحيح (ما أغفله عنك شيئاً) أنَّها مقتطعة من سابقها، وعند وصلها به تكون (كان ذلك حينئذٍ، واسمع الآن ما أغفله، عنك شكًّا)؛ أي: دع عنك الشَّكَّ.

ثانياً: فسر معناها.

هذه القولة مكونة من جملتين هما:(ما أغفله)، وجملة:(عنك شكًّا)، فالأولى مرتبطة بما سبقها من التَّفسير، وأمَّا الجملة الثَّانية (عنك شكًّا) فهي المسموع عن العرب، وقد حُذف منها فعل الأمر (دع)؛ لذا فسَّرها الإمام بـ(دع الشَّكَّ عنك). وعلى ذلك فمعنى قولهم: (حينئذٍ الآن) هو: كان شكُّكَ في الأمرِ؛ أي: المتحدَّث عنه حين إذ كان ذلك قائماً، واسمع الآن ما أغفله، ودع الشَّكَّ عنك.

وبعد، فلا أقول إنَّه احتجن أمر هذا عن المتقدِّمين وفُتح عليَّ، ولكن أقول هي محاولة تفسير، وحسبي معيناً وباعثاً على هذا ما قاله الزَّجَّاج: **"لم أر من هذه التَّفاسير شيئاً يليق بالمسألة"**[(١)]، وكفى بذلك باعثاً حثيثاً!

(١) الأمالي من الفوائد والأخبار؛ للزَّجَّاجيّ: ٣/ ١٠٦٥.

الخاتمة:

ما فرط هو احتراث القولة وابتحاثها، وما يُستخلص منه أجمُله بالآتي:

١– أنَّه إذا جاء عن العرب نصٌّ، ووضَّحه وفسَّره المتقدِّمون فيجب إعمال النَّظر فيه، أهو رواية عن العرب أم هو اجتهاد منهم؟ فإن كان الأمر روايةً فالتَّسليم به، وإذا كان الأمر درايةً كأمر هذه القولة، فهو بذل وسع يصيبون غالباً وقد تكون الأخر، فلا مانع حينئذٍ من المشاركة وإعمال النَّظر فيما قالوه وَفق ما قعَّدوا له، وكذلك لا إشكال في التَّبصُّر في النَّقل نفسه خصوصاً إذا كان قد تلقِّي وجادةً.

٢– أصل الكلام مبنيٌّ على شرح قولة:(**حينئذٍ الآن**)، إذ شرحها هو: **كان شكُّكَ فيه حين إذ كان ذلك قائماً، واسمع الآن ما أغفله، ودع الشَّكَّ عنك، فـ(عنك شكًّا)** جاءت موضَّحة ما سبقها، وفيها حذف الفعل، فهي شارحة وهي شاهدٌ.

٣– أساس الخلاف في هذه القولة وجه الاختلاف جاء من أخذ القولة وجادةً، فكتاب الإمام سيبويه لم يقرأ كاملاً على سيبويه، ولا أُخذ عنه إجازةً.

٤– أنَّ العالم الكبير والأستاذ الجليل إذا وقع منه زلل عمَّ ذلك مَن أخذ عنه، بل ربَّما سار إلى أجيالٍ وقد ينسرب أحقاباً، وقد تنعمي الحقيقة وتزوى، وتُستبقَى غير الحقيقة، ولعلَّ من أمثلة ذلك ما قرأه الأخفش في كتاب سيبويه، وسئل عنه من قولة: (ما أغفله عنك شيئاً)، وهو أيضاً سأل عنها.

٥– أنَّه من الخطأ عند النَّظر في قراءة أمرٍ غامضٍ التَّسبيق أن يُعلم السَّائلُ المستجهلُ للنَّصِّ مَن يسأله بقراءتِه هو، فذلك مؤثر على المسؤولِ، بل يترك خالي الذِّهن فلا يُعلم بقراءة غيره، ومصداق ذلك ما ظهر من صنيع الأخفش مع أشياخه حيث قرأ النَّصَّ بنفسه، ثمَّ راح يسأل أشياخه يونس

والأصمعي وأبا زيدٍ وأبا مالكٍ الأعرابيَّ عن معنى قراءته هو للنَّصِّ، فهو يلقَّنهم قراءته ويسألهم أخبروني معناها؟ فأظهروا جميعاً الجهل بهذه العبارة، وهم مَن هم عِلماً ودَركاً، ولو أعطاهم النَّصَّ وجعلهم هم يقرؤونه لربما كان قد صُحِّحت العبارة في حينها.

٦- الاختلاف في التَّخريج على جملة أو على جملتين مؤثِّر في الإعراب؛ لأنَّه إذا كان جملةً سيكون كلاماً واحداً، وإذا كان جملتين سيكون كلامين، وخلاصة الكلام أنَّه إنشاءٌ لا خبر إذا كان جملةً، وكذلك الحال إذا كانا جملتين؛ فالأولى إنشاء غير طلبيٍّ والثَّانية إنشاء طلبيٌّ، ومَن قال بالنَّفي فهو خبرٌ لا إنشاء، وهو معترض.

٧- أنَّ حكم المازنيّ بأنَّ مراد سيبويه بيّنٌ وتخريجه له- إذا لم يخرَّج على تفسير المعاني لا تفسير الإعراب- هو مخالف لأصل الباب؛ لأنَّه بتخريج المازنيّ لا يكون في المثال حذفٌ، وفيه الكناية عن المصدر بكلمة (شيء) فحسب، وهذا غير مراد الإمام لا من الباب ولا من إيراد المثال.

٨- أنَّ أخذ الزَّجَّاج بقول المبرِّد ومتابعة الزَّجَّاجيّ له إذا لم يكن من أجل حبكة قصَّة مورد القولة، فهو لا يخرج عمَّا قاله الأخفش وغيره، الَّذي وصمه بعدم الليق.

٩- أنَّ لسيبويه خطًّا مميَّزاً يختلف في نسقه ورسمه وضبطه عن كتابة غيره من معاصريه، وقد سقت من ذلك خبراً في التَّمهيد.

١٠- أنَّ الخطَّ العربيَّ معرَّض لوقوع التَّحريف والتَّصحيف فيه، وذلك لاعتماده على النَّقط وضبط الشَّكل، وليس هذا معيباً إذ كلُّ اللغات في خطوطها معايب ومثالب تعروها نطقيَّةً كانت أو هجائيَّة، والكمال عزيزٌ، ولأجل ذلك حرص الكاتبون على تجويد الحرف العربيّ حتَّى غدا رونقاً بهياً، فمن حسُن خطُّه سلم النَّاقل منه والقارئ له من آفة التَّحريف والتَّصحيف.

١١– أنَّ أسباب التَّحريف الَّذي لحق القولة مردُّه إلى تلقِّي الكتاب وجادة، وإلى الخطِّ الخاصِّ بسيبويه، وإلى خصوصيَّة رسم الحرف العربيِّ.

١٢– أنَّ ما وصلت إليه لا أعدُّه فتحاً، بل محاولة تفسير وغلبة ظنٍّ، أرجِّي أن تكون صواباً، وذلك قولي إنَّ أصل (ما أغفله عنك شيئاً) جملتان، والمعنى: أي: دع الشَّكَّ عنك، واسمع الآن ما أغفله.

١٣– بنى سيبويه الباب على جملٍ فيها حذف هي:

- لولا عبد الله.
- إمَّا لا.
- حينئذٍ الآن.
- عنك شكًّا.

ختاماً أرجو أن أكون قد أصبتُ فيما كتبتُ، ووفِّقت فيما رُمتُ.

اللهمَّ اختم بالسَّعادة آجالنا، واقرن بالعافية غدوَّنا وآصالنا، واصبب سجال عفوك على ذنوبنا. والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع:

الأصفهانيُّ، حمزة بن الحسن. (١٤١٢هـ= ١٩٩١م). **كتاب التَّنبيه على حدوث التَّصحيف**. تحقيق: محمَّد أسعد طلس. ط (٢). بيروت/ لبنان. دار صادر.

الأعلم الشَّنتمريُّ، يوسف بن سليمان. (١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م). **النُّكت في تفسير كتاب سيبويه**. تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان. ط (١). الكويت. معهد المخطوطات العربيَّة.

الأنباريُّ، أبو البركات عبد الرَّحمن بن محمَّد. (١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م). **أسرار العربيَّة**. (تحقيق: د. محمَّد راضي محمَّد مدكور وزميله). ط (١)، الكويت.

الأنباريُّ، أبو البركات عبد الرَّحمن بن محمَّد. (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين**، (تعليق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد). بيروت/ لبنان. المكتبة العصريَّة.

الأنباريُّ، أبو البركات عبد الرَّحمن بن محمَّد. (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين**. تحقيق: د. جودة مبروك. ط (١). القاهرة/ مصر. مكتبة الخانجيّ.

الباقوليُّ، عليُّ بن الحسين. (١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م). **الاستدراك على أبي عليٍّ في الحجَّة**. (تحقيق: أد. محمَّد أحمد الدَّاليّ). ط (١). الكويت/ مركز سعود البابطين.

ابن برّيٍّ، عبد الله بن أبي الوحش. (١٤٣١هـ= ٢٠١٠م). **كتاب التَّنبيه والإيضاح عمَّا وقع في الصَّحاح**. تحقيق: أ. عبد الصَّمد محروش. ط (٢). القاهرة/ مصر. طبعة مجمع اللغة العربيَّة.

البغداديُّ، عبد القادر بن عمر. (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون. ط (٤). القاهرة/ مصر. مكتبة الخانجيّ.

البكَّاء، أد. محمَّد كاظم. (١٩٨٩م). **شرح المسائل المشكلة في كتاب سيبويه** (بحث). مجلَّة كليَّة الفقه/ جامعة الكوفة، العدد (٣).

الجار الله، د. عبد المجيد بن صالح. (١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م). **جهود الزَّجَّاج في دراسة كتاب سيبويه**؛ د. عبد المجيد بن صالح الجار الله ط (١). الرِّياض. دار التَّدمريَّة.

الجزوليُّ، عيسى بن عبد العزيز. (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م). **المقدَّمة الجزوليَّة**. تحقيق: د. شعبان عبد الوهَّاب محمَّد، ط (١).

ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان بن جنِّي. (د ت). **الخصائص**. تحقيق الأستاذ: محمَّد عليّ النَّجَّار. القاهرة/ مصر. دار الكتب المصريَّة.

ابن جنِّي، أبو الفتح عثمان بن جنِّي. (١٤١٧هـ). **الخاطريَّات (ج ٢)** (رسالة. م). تحقيق: د. محمَّد بن سعيد القرنيّ، مكَّة المكرَّمة. كليَّة اللغة العربيَّة/ جامعة أم القرى.

الجوهريُّ، إسماعيل بن حمَّاد. (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م). **الصَّحاح (تاج اللغة وصحاح العربيَّة)**. تحقيق: أد. أحمد عبد الغفور عطَّار. ط (٣). بيروت/ لبنان. دار العلم للملايين.

الحريريُّ، أبو محمَّد القاسم بن عليّ. (١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.). **مقامات الحريريّ**. بيروت / لبنان. دار بيروت للطِّباعة والنَّشر.

الحمويّ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (١٩٩٣م). **معجم الأدباء**. تحقيق: أد. إحسان عباس. ط (١). بيروت/ لبنان. دار الغرب الإسلاميّ.

أبو حيَّان، أثير الدِّين محمَّد بن يوسف. (١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م). **تذكرة النُّحاة**. تحقيق: د. عفيف عبد الرَّحمن. ط (١). بيروت/ لبنان. مؤسسة الرِّسالة.

أبو حيَّان، أثير الدِّين محمَّد بن يوسف. ج (١): عام: ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م/ ج (٦): عام: ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م). **التَّذييل والتَّكميل في شرح كتاب التَّسهيل**؛ لأبي حيّان (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: أد. حسن هنداوي. ط (١). الأجزاء من (١-٥). دمشق/ سوريا. دار القلم، وما بعد ذلك من الأجزاء، الرِّياض. دار كنوز إشبيليا للنَّشر والتَّوزيع.

الخطيب، أد. عبد اللطيف محمَّد. (١٤١٤= ١٩٩٤م). **أصول الإملاء**. ط (٣). دمشق/ سوريا. دار سعد الدِّين.

الخطيب، أد. عبد اللطيف محمَّد. (١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.). **موسوعة قواعد الكتابة العربيَّة**. ط (١). الكويت. دار العروبة.

ابن درستويه، عبد الله بن جعفر. (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م). **كتاب الكُتَّاب**. تحقيق: أد. إبراهيم السَّامرائيّ وَ د. عبد الحسين الفتليّ. ط (١). حولّي/ الكويت. دار الكتب الثقافيَّة.

الدَّينوريُّ، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم. (١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م). **أدب الكاتب**. (تحقيق: أد. محمَّد أحمد الدَّالي). ط (٢). بيروت/ لبنان. مؤسسة الرِّسالة.

الدَّينوريُّ، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم. (١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م). **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق الأستاذ: السَّيِّد أحمد صقر. ط (٢). القاهرة/ مصر دار التُّراث.

الرَّباح، د. فهيد بن رباح. (١٤٣٩/ ١٤٤٠هـ). **جهود الأخفش الأوسط في دراسة كتاب سيبويه** (رسالة. د). الرِّياض. كليَّة اللغة العربيَّة/ جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة.

الزُّبيديُّ، محمَّد بن الحسن. (١٣٧٣هـ= ١٩٥٤م). **طبقات النَّحويّين واللغويّين**. تحقيق الأستاذ: محمَّد أبو الفضل إبراهيم. ط (١). القاهرة/ مصر. مكتبة الخانجيّ.

الزَّجَّاجيُّ، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن إسحاق. (١٤٠١هـ= ١٩٨٠م). **أخبار أبي القاسم الزَّجَّاجيُّ**، (تحقيق: د. عبد الحسين المبارك). (ط١). بغداد/ العراق، دار الرَّشيد.

الزَّجاجيُّ، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن إسحاق. (١٤٤٢هـ= ٢٠٢١م). **الأمالي من الفوائد والأخبار**، (تحقيق: د. محمَّد خير البقاعيّ). بيروت/ لبنان، دار الغرب الإسلاميُّ.

الزَّجَّاجيُّ، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن إسحاق. (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م). **كتاب الخطَّ**؛ تحقيق: أد. تركي بن سهوٍ العتيبيُّ ط (٢). بيروت/ لبنان. دار صادر.

الزَّمخشريُّ، جار الله محمود بن عمر. (١٣٨١هـ = ١٩٦٢م). **المستقصى في أمثال العرب**. ط (١). حيدرأباد الدَّكن/ الهند. طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة.

السِّجستانيُّ، أبو حاتم سهل بن محمَّد. (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م). **تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية**. تحقيق: أ د. محمَّد أحمد الدَّالِيّ. ط (١). دمشق/ سوريَّا. دار البشائر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

السَّخاويُّ، علي بن محمَّد. (١٤٣٣هـ= ٢٠١٢م). **سفر السَّعادة وسفير الإفادة**. تحقيق: أد. محمَّد أحمد الدَّاليُّ. ط (٣). بيروت/ لبنان. دار صادر.

ابن السَّرَّاج، أبو بكر محمد بن السَّري. (١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م). **الأصول في النَّحو**. (تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ). ط (٢). بيروت/ لبنان. مؤسسة الرِّسالة.

أبو سعيد السِّيرافيّ؛ الحسن بن عبد الله. (١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.). **شرح كتاب سيبويه**. تعليق: أحمد حسن مهدي وَعليّ سيِّد عليّ. ط (١). بيروت/ لبنان. دار الكتب العلميَّة.

ابن سلَّام، أبو عبيد القاسم بن سلَّام. (١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م). **كتاب الأمثال**. تحقيق: د. عبد المجيد قطامش. ط (١). نشر مركز إحياء التُّراث/ جامعة الملك عبد العزيز، دار المأمون للتُّراث.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٣١٧هـ= ١٨٩٩م). **الكتاب (كتاب سيبويه)**. مصر. مطبعة بولاق.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م). **الكتاب (كتاب سيبويه)**. تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون. مصر/ القاهرة. مطبعة المدنيّ، نشر مكتبة الخانجيّ.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٤٣٥هـ = ٢٠١٥م). **الكتاب (كتاب سيبويه)**. تحقيق أ د. محمَّد كاظم البكَّاء. ط (١). بيروت/ لبنان. مكتبة زين الحقوقيَّة والأدبيَّة.

ابن السِّيد البطليوسيُّ، عبد الله بن محمَّد. (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م). **الحلل في شرح أبيات الجمل**؛ تحقيق: د. مصطفى إمام. ط (١). القاهرة/ مصر. الدَّار المصريَّة للطِّباعة.

ابن السِّيد البطليوسيُّ، عبد الله بن محمَّد. (١٤٤٠هـ= ٢٠١٩م). **المسائل والأجوبة**. تحقيق: د. مصطفى عدنان العيثاويّ. ط (١). المدينة المنورة. نشرة نادي المدينة النبويَّة الأدبيّ.

السُّيوطيُّ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر. (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م). **الأشباه والنَّظائر في النَّحو**. (تحقيق: أ د. عبد العال سالم مكرم). ط (٣). القاهرة/ مصر. الشَّركة الدَّوليَّة للطِّباعة مدينة ٦ أكتوبر، نشر عالم الكتب.

السُّيوطيُّ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر. (١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م). **بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنُّحاة**. تحقيق الأستاذ: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ط (١). بيروت/ لبنان. المكتبة العصريَّة.

السُّيوطيُّ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر. (د ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تحقيق: محمَّد أحمد جاد المولى وزميليه، ط (٣). القاهرة/ مصر. دار التُّراث.

ابن الشَّجريّ، أبو السَّعادات هبة الله بن علي. (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م). **أمالي ابن الشَّجريّ**. (تحقيق: أد. محمود محمَّد الطَّناحيّ). ط (١) القاهرة/ مصر، مكتبة الخانجيّ.

الشَّلَوبين، أبو عليٍّ عمر بن محمَّد. (١٤١٤هـ= ١٩٩٤م). **شرح المقدِّمة الجزوليَّة الكبير**. تحقيق: أد. تركي بن سهو العتيبيّ. ط (٢). بيروت/ لبنان. مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة.

الصَّفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م). **تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف**. تحقيق: أ. عبد الله بن عبد الكريم المفلح. ط (١). الرِّياض. طبعة جامعة الملك سعود.

طبانة، أد. بدوي أحمد. (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.). **معجم البلاغة العربيَّة**. ط (٣). الرِّياض. دار الرِّفاعيّ.

الطّريجي، أد. محمَّد جواد محمَّد سعيد وَ أ. سارة كاظم عبد الرِّضا. (٢٠/ ٦/ ١٤٣٧هـ= ٣٠/ ٥/ ٢٠١٦م). **إشكالية فهم مسألة (ما أغفله شيئاً) عند**

سيبويه(بحث). **مجلَّة** كليَّة العلوم الإسلاميَّة، كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ جامعة بغداد، العدد (٤٥)، الجزء الأوَّل.

أبو الطَّيِّب اللغويّ، **عبد الواحد بن عليٍّ**. (١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م). **مراتب النَّحويّين**. تحقيق الأستاذ: محمَّد أبو الفضل إبراهيم. ط (٢). بيروت/ لبنان. دار الفكر العربيّ.

العريفي، أد. سيف بن عبد الرَّحمن. (ربيع الآخر ١٤٢٤هـ). **تفسير أبنية سيبويه وغريبه للجرميّ دراسة واستدراك**(بحث). **مجلَّة** جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، العدد (٤٢).

العيونيُّ، أد. سليمان بن عبد العزيز. (١٤٤٢هـ= ٢٠٢١م). **حواشي كتاب سيبويه**. ط (١). مكة المكرَّمة. دار طيبة الخضراء.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس. (١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م). **الصَّاحبيُّ**. تحقيق الأستاذ: السَّيد أحمد صقر، ط (١)، القاهرة/ مصر. طبعة عيسى البابيّ الحلبيّ.

الفارسيُّ، أبو عليٍّ الحسن بن أحمد. (١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م). **البغداديَّات = (المسائل المشكلة)**. تحقيق: صلاح الدِّين عبد الله السّنكاويّ. ط (١). العراق. مطبعة العاني.

الفارسيُّ، أبو عليٍّ الحسن بن أحمد. (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م). **التَّعليقة على كتاب سيبويه**. تحقيق: أ د. عوض بن حمد القوزيّ. ط (١). الرِّياض. مطابع الحسينيّ.

الفيروزأباديُّ، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب. (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م). **القاموس المحيط**. عناية: محمَّد عبد الرَّحمن المرعشليّ. ط (٢). بيروت/ لبنان. دار إحياء التراث العربيّ.

القفطيُّ، أبو الحسن عليُّ بن يوسف. (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م). **إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة**، (تحقيق الأستاذ: محمَّد أبو الفضل إبراهيم). ط (١). بيروت/ لبنان، المكتبة العصرية.

ابن مالك، محمَّد بن عبد الله. (١٤٣٢هـ). **ألفيَّة ابن مالك في النَّحو والتَّصريف**.

(تحقيق: أد. سليمان بن عبد العزيز العيونيّ). (ط ١). الرّياض. دار المنهاج.

ابن مالك، محمَّد بن عبد الله. (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م). **شرح التَّسهيل**؛ تحقيق: د. عبد الرحمن السَّيد وَد. محمَّد بدوي المختون. ط (١). مصر. هجر للطباعة والنَّشر.

المبرِّد، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد. (د ت)، **المقتضب**. تحقيق: أد. محمَّد عبد الخالق عضيمة. مصر. عالم الكتب.

مخطوطات كتاب سيبويه:(نسخة الكنديّ: المكتبة الوطنيَّة في باريس: ٥٠٦٨، ونسخة "ابن يبقى" الإسكوريال رقم (١)، ونسخة "ابن معافى" مكتبة جوروم: ٢٥٦٣، ونسخة الفاتح: ٥٠٦٢).

مطلوب، أد. أحمد مطلوب أحمد. (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م). **معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوّرها**. ط (٢). بيروت/ لبنان. مكتبة لبنان ناشرون.

ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرَّم الأنصاريُّ. (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م). **لسان العرب**. ط (٣). بيروت/ لبنان، دار صادر.

أبو نصر المجريطيُّ، هارون بن موسى. (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م). **شرح عيون كتاب سيبويه**. تحقيق: د. عبد ربّه عبد اللطيف. ط (١). القاهرة/ مصر. مطبعة حسَّان.

ابن هشام الأنصاريُّ، عبد الله بن يوسف. (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م). **أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك**. (تعليق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد). بيروت/ لبنان. المكتبة العصريَّة.

ابن هشام الأنصاريُّ، عبد الله بن يوسف. (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: أد. عبد اللطيف محمَّد الخطيب. ط (١). الكويت. المجلس الوطنيّ للثَّقافة.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن عليٍّ. (١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م). **شرح المفصَّل**. تحقيق: أد. إبراهيم محمد عبد الله. ط (١). دمشق/ سوريا. طبعة دار سعد الدِّين.

A Difficult Passage in Sibawwayhi, James A. Bellamy, Journal of the American Oriental Society. Vol. 88, No. 2 (Apr-Jun, 1968).

Bibliography

Asfahanī, Hamza bin Al-Ḥasan. (1412 AH 1991). **Kitāb al-Tanbīh ʿalā Ḥudūth al-Taṣḥīf.** Investigated by: Muhammad Asʿad Ṭalas. (2nd edition) Beirut / Lebanon: Dār Ṣadir

al-Aʿlam al- Shantmrī, Younus bin Sulaiman. (1407 AH 1987). **Al-Nukkat fi Tafsir Kitāb Sībawaih.** Investigated by: Dr. Zuhair ʿAbd al-Muḥsin Sultan. I (1) Kuwait. Institute of Arabic Manuscripts.

Anbārī, Abu Al-Barakāt ʿAbd al-Rahman bin Muhammad. (1436 AH 2015). **Asrār al-ʿArabiyyah.** (Investigated by: Dr. Muhammad Rāḍī Madkour and his colleague). (1st edition), Kuwait.

Anbārī, Abu Al-Barakāt ʿAbd al-Rahman bin Muhammad. (1400 AH/1980). **Al-Inṣāf fi Masāʾil al-Khilāf Baina al-Baṣriyīn wa al-Koufiyīn.** (commentry by: Muhammad Muḥyi al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd). Beirut / Lebanon. Al-Maktabat al-ʿAṣriyyah).

Anbārī, Abu Al-Barakāt ʿAbd al-Rahman bin Muhammad. (1423 AH 2002). **Inṣāf fi Masāʾil al-Khilāf Baina al-Baṣriyīn wa al-Koufiyīn.** Investigated by: Dr. Jawdat Mabrouk. (1st Edition) Cairo/ Egypt: Maktabat al-Khanji.

al-Bāqoulī, ʿAli bin Al-Ḥasan. (1428 AH 2007). **Al-Istidrāk ʿalā Abi ʿAli fī al-Ḥujjah**. (Investigated by: Prof. Muhammad Ahmad al-Dālī). (1st edition) Kuwait / Saud Al-Babatain Center.

Ibn Barrī, ʿAbdullah bin Abi Al-Wahsh. (1431 AH 2010). **Kitāb al-Tanbīh wa al-Īḍaḥ ʿammā Waqaʿa fī al-Ṣiḥaḥ**. Investigated by: ʿAbd al-Ṣamad Maḥroush. (2nd edition) Cairo/Egypt Arabic Language Academy.

al-Baghdad ī, ʿAbd al-Qādir bin ʿOmar. (1418 AH 1997). **Khizānat al-Adab wa Lub Lubāb Lisān al-ʿArab.** Investigated by: Professor ʿAbd al-Salam Haroun. (4th edition). Cairo/Egypt: Maktabat al-Khanji.

al-Bakkāʾ, Prof. Muhammad Kāẓim (1989). **Sharḥ al-Masāʾil al-Mushkilat fī Kitāb Sībawaih** (research). Journal of the Faculty of Jurisprudence / University of Kufa, Issue (3).

al-Jār Allāh, Dr. ʿAbd al-Majīd bin Ṣāleḥ, (1435 AH 2014). **Juḥūd al-Zajjāh fī Dirāsat Kitāb Sībawaih.** Dr. ʿAbd al-Majeed bin Ṣaleḥ al-Jār Allah (1st edition). Riyadh: Dār Al-Tadmuriyya.

Al-Jazoulī, ʿĪsa bin ʿAbd al-ʿAziz. (1408 AH 1988). **Al-Muqaddimat al-Jazouliyyah.** Investigated by: Dr. Shaʿbān ʿAbd al-Wahhāb Muhammad, (1st edition).

Ibn Jinnī, Abu Al-Fath ʿUthman bin Jinnī. **Al-Khaṣāʾiṣ.** Investigated by: professor Muhammad ʿAli Al-Najjār. Cairo/Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah).

Ibn Jinnī, Abu Al-Fath ʿUthman bin Jinnī. (1417 AH). **Al-Khāṭiriyyāt** (V 2). Investigated by: Dr. Muhammad bin Saʿeed Al-Qarni, Makkah al-Mukarramah: Faculty of Arabic Language/ Umm al-Qura university.

al-Jawharī, Ismail bin Ḥammād. (1404 AH - 1984). **Al-Ṣiḥāḥ (Tāj al-al-Lugha wa Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah).** Investigated by: Prof.

Ahmad ʿAbd al-Ghafour ʿAṭṭār. (3rd edition) Beirut / Lebanon: Dār Al-ʿIlm lil Malāyīn.

al-Ḥarīrī, Abu Muhammad al-Qāsim bin ʿAli.(1398 AH - 1978). **Maqāmāt al-Ḥarīrī.** Beirut/Lebanon. Beirut House for Printing and Publishing.

Al-Ḥamawī, Abu ʿAbdullah Yaqout bin Abdullah. (1993). **Muʿjam al-Oudabā**. Investigated by: Prof. Ihsan ʿAbbas. (1st edition) Beirut / Lebanon: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Abu Hayyān, Athīr al-Dīn, Muhammad bin Yousuf. (1406 AH - 1986). **Tadhkirat al-Nuḥāt.** Investigated by: Dr. ʿAfīfī ʿAbd al-Rahman. (1st edition) Beirut / Lebanon : Muassat al-Risālah.

Abu Hayyān, Athīr al-Dīn, Muhammad bin Yousuf. (Vol. 1): Year: 1418 AH 1997 / (Vol. 6): year: 1426 AH (2005). **Al-Tadhyīl wa al-Takmīl fī Sharḥ Kitāb al-Tashīl**. Investigated by: Hasan Hindāwī. (1st edition) Parts of (1-5). Damascus/Syria: Dār al-Qalam, and later parts, Riyadh. Dār Kunouz Ishbīliya for Publishing and Distribution.

Khatib, Prof. ʿAbd al-Latif Muhammad. (1414 AH - 1994). ʾ**Usoul al-Imlāʾ** (3rd edition). Damascus/Syria: Dār Saʿd Al-Dīn.

Khatib, Prof. ʿAbd al-Latif Muhammad. (1432 AH 2011). **Mawsouʿat Qawāʿid al-ʿArabiyyah.** (1st edition) Kuwait. Dār Al-ʿUrouba.

Ibn Durustuwaih, ʿAbdullah bin Jaʿfar. (1397 AH - 1977). **Kitāb al-Kuttāb.** Investigated by: Prof. Ibrahim Al-Sāmurāʾī and Dr. ʿAbd al-Ḥusain al-Fatlī. (1st edition) Ḥawlī/Kuwait. Dār al-Kutub al-Thaqāfiyyah.

al-Dīnawarrī Ibn Qutaiba ʿAbdullah bin Muslim. (1420 AH - 1999). **Adab al-Kātib.** (Investigated by: Muhammad Ahmad al-Dālī). (2nd edition) Beirut / Lebanon: Muassat al-Risāla.

al-Dīnawarrī Ibn Qutaiba ʿAbdullah bin Muslim. (1393 AH - 1973). **Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān.** Investigated by:Professor: Muhammad Ahmad Saqr (2nd edition) Cairo/Egypt: Dār al-Turāth.

al-Rabāḥ, Dr. Fuhaid bin Rabāḥ. (1439/1440 AH). **Juhūd al-Akhfash al-Awsaṭ fī Dirāsat Kitāb Sībawaih** (a Ph.D. dissertation). Riyadh: Faculty of Arabic Language / Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University.

al-Zubaidī, Muhammad bin Al-Ḥasan. (1373 AH - 1954). **Ṭabaqāt al-Nahwiyīn wa al-Lughawiyīn.** Investigated by: Professor: Muhammad Abu al-Faḍl Ibrahim. (1st edition) Cairo/Egypt: Maktabat al-Khanji.

al-Zajjājī, Abu Al-Qasim ʿAbd al-Rahman bin Isḥāq. (1401 AH - 1980). **Akhbār Abi al-Qāsim al-Zajjājī.** (Investigated by: Dr. ʿAbd al-Husain Al-Mubārak). (1st edition) Baghdad / Iraq: Dār Al-Rasheed.

al-Zajjājī, Abu Al-Qasim ʿAbd al-Rahman bin Isḥāq. (1442 AH - 2021). **Al-Amālī mina al-Fawāʾid wa al-Akhbār.** (Investigated by: Dr. Muhammad Khair al-Baqāʿī). Beirut / Lebanon: Dār Al-Gharb Al-Islāmi.

al-Zajjājī, Abu Al-Qasim ʿAbd al-Rahman bin Isḥāq. (1430 AH 2009). **Kitāb al-Khaṭṭ.** Investigated by: Prof. Turki bin Sahw Al-

ʿOutaibī. (2nd edition). Beirut / Lebanon: Dār Sādir.

Al-Zamakhsharī, Jār Allāh Mahmoud bin ʿUmar. (1381 AH - 1962). **Al-Mustaṣā fī Amthāl al-ʿArab.** Hyderabad Deccan/India: Ṭabʿat Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah.

al-Sijistānī, Abu Ḥātim Sahl bin Muhammad. (1422 AH - 2001). **Tafsīr Gharīb Mā fī Sibawaih min al-Abniyyah.** Investigated by: Dr. Muhammad Ahmad al-Dāli. (1st edition) Damascus/Syria: Dar Al-Bashāʾir for printing, publishing and distribution.

al-Sakhāwi, ʿAli bin Muhammad. (1433 AH - 2012). **Sifr al-Saʿāda wa Safīr al-Ifāda.** Investigated by: Prof. Muhammad Ahmad al-Dālī. (3rd edition) Beirut / Lebanon: Dār Sādir.

Ibn al-Sarrāj, Abu Bakr Muhammad bin al-Sarrī. (1407 AH - 1987). **Al-ʿUṣoul fi al-Naḥw.** (Investigated by: Dr. ʿAbd al Husain Al-Fatlī). (2nd edition) Beirut / Lebanon: Muassat al-Risālah.

Abu Saʿeed Al-Sīrāfīr, Al-Ḥasan bin ʿAbdullah. (1429 AH 2008). **Sharḥ Kitāb Sībawaih.** Commentry: Ahmad Ḥasan Mahdi and ʿAli Sayyid ʿAli (1st edition) Beirut / Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ibn Sallām, Abu ʿUbaid Al-Qasim bin Sālim. (1400 AH 1980). **Kitāb al-Amthāl**. Investigated by: Dr. ʿAbd al Majīd Qatamish. (1st edition) the Center for reviving the heritage/King Abdul Aziz University, Dār Al-Maʾmoun.

Sībawaih, Abu Bishr ʿAmr bin ʿUthman bin Qunbur. (1317 AH - 1899). **Al-Kitāb. (Kitābu Sībawaih).** Egypt: Maṭbaʿat Bolāq.

Sībawaih, Abu Bishr ʿAmr bin ʿUthman bin Qunbur. (1408 AH - 1988). **Al-Kitāb. (Kitābu Sībawaih)**. Investigated by: Professor ʿAbd al-Salām Haroun. Egypt/Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī, Maktabat al-Khanji.

Sībawaih, Abu Bishr ʿAmr bin ʿUthman bin Qunbur. (1435 AH 2015). **Al-Kitāb. (Kitābu Sībawaih).** Investigated by: Prof. Muhammad Kāẓim al-Bakkāʾ. (1st edition) Beirut / Lebanon: Maktabat Zain al-Ḥuqouqiyyah wa al-Adabiyyah.

Ibn al-Sayyid al-Baṭliyoushī, ʿAbdullah bin Muhammad. (1399 AH 1979). **Al-Ḥulal fī Abyāt al-Jumal.** Investigated by: Dr. Mustafa Imam. (1st edition) Cairo/Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Ibn al-Sayyid al-Baṭliyoushī, ʿAbdullah bin Muhammad. (1440 AH 2019). **Al-Masāʾil wa al-Ajwibah.** Investigated by: Dr. Mustafa ʿAdnān Al-ʿĪthāw. (1st edition) Medina. Publication of Nādī al-Madinah al-Nabawiyyah Al-Adabi.

Al-Suyouṭi, ʿAbd al-Rahman bin Abu Bakr. (1423 AH 2003). **Al-Ashbāh wa al-Naẓāʾir.** (Investigated by: Dr. ʿAbd al-ʿĀl Salim Mukram). (3rd edition) Cairo/Egypt: The International Printing Company, 6th of October, ʿĀlam al-Kutub.

Al-Suyouṭi, ʿAbd al-Rahman bin Abu Bakr. (1427 AH 2006). **Bughyat al-Wuʿāt fi Ṭabaqāt al-Lughawiyīn wa al-Nuḥāt**. Investigated by: Prof. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (1st edition). Beirut / Lebanon: Maktabat al-ʿAṣriyyah.

Al-Suyouṭi, ʿAbd al-Rahman bin Abu Bakr. **Al-Muzhir fi ʿUloum al-Lugha wa Anwāʿihā.** Investigated by: Muhammad Ahmad Jād Al-

Mwla and his colleagues. (3rd edition). Cairo/Egypt: Dār al-Turāth.
Ibn al-Shajarī, Abu al-Saʿādāt, Hibat Allah bin ʿAli. (1413 AH 1992). **Āmālī Ibn al-Shajarī.** (Investigated by: Dr. Mahmoud Muhammad al-Ṭanāḥī. (1st edition). Cairo/Egypt: Maktabat Al-Khanjī.
al-Shaloubīn, Abu ʿAli ʿOmar bin Muhammad. (1414 AH 1994). **Sharḥ al-Muqaddimat al-Jazouliyyah al-Kabir.** Investigated by: Prof. Turki bin Sahw Al-ʿUtaib. I (2nd edition) Beirut / Lebanon: Muassat al-Risālah.
al-Ṣafadī, Salāḥ al-Dīn Khalil Aybak. (1437 AH - 2016). **Taṣḥīḥ al-Taṣḥīf wa Taḥrīr al-Taḥrīf**. Investigated by: ʿAbdullah bin ʿAbd al-Karīm Al-Muflih. (1st edition) Riyadh: King Saud University printing.
Ṭabāna, Dr. Ahmad Badawī. (1408 AH - 1988). **Muʿjam al-Balāgha al-ʿArabiyyah.** (3rd edition) Riyadh: Dār Rifāʿī.
Al-Ṭarījī, Dr. Muhammad Jawad Muhammad Saʿeed and Sārah Kāzim ʿAbd al- Riḍā (20/6/1437 AH) 30/5/2016). **Ishkāliyat Fahmi Masʾalat (mā Afghalahu Shaiʾan) ʿenda Sībawaih.** (research) Journal of the College of Islamic Sciences, College of Islamic Sciences / University of Baghdad, Issue (45), Part I.
Abu Al-Ṭayyib al-Lughawī, ʿAbd al-Wāhid bin ʿAli. (1394 AH - 1974). **Marātib al-Naḥwiyīn.** Investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (2nd edition) Beirut / Lebanon: Dār Al-Fik Al-ʿArbbi.
Al-ʿArīfī, Prof. Saif bin ʿAbd al-Rahmān. (Rabi II 1424 AH). **Tafsīr Abniyat Sībawaih wa Gharībih li al-Jarrmī Dirāsatun wa Istidrāk** (research). Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University Journal, Issue. (42).
Al-ʿUyounī, Prof. Suleiman bin ʿAbd al-ʿAziz. (1442 AH 2021). **Ḥawāshī Kitāb Sībawaih.** (1st edition). Makkah al-Mukarramah. Dār Ṭaibat al-Khaḍrā.
Ibn Fāris, Abu al-Ḥasan Ahmad bin Fāris. (1397 AH - 1977). **Al-Ṣāḥibī**. Investigated by: al-Sayyid Ahmad Ṣaqr. (1st edition), Cairo/Egypt: Ṭabʿat ʿIsa Al-Bābī al-Ḥalabī.
Al-Fārisī, Abu ʿAli Al-Ḥasan bin Ahmad. (1403 AH - 1983). **Al-Baghdādiyāt = (al-Masāʾil al-Mushkilah).** Investigated by: Ṣalāḥ Al-Dīn ʿAbdullah Al-Sankāwī. (1st edition) Iraq: Al-ʿĀnī Printing.
Al-Fārisī, Abu ʿAli Al-Ḥasan bin Ahmad. (1416 AH - 1996). **Al-Taʿlīqa ʿalā Kitāb Sībawaih.** Investigated by: Dr. ʿIwaḍ bin Ḥamad Al-Qawzī. (1st edition) Riyadh: Maṭābiʿ al-Ḥusainī.
Al-Fairouzabādī, Majd al-Dīn Muhammad bin Yaʿqoub. (1424 AH - 2003). **Al-Qāmūs al-Muḥīṭ.** Investigated by: ʿAbd al-Rahman Al-Marʿshalī. (2nd edition) Beirut / Lebanon: Dār Al-Ihyā Al-Turāth Al-ʿArabi.
Al-Qafaṭī, Abu al-Ḥasan ʿAli bin Yousuf. (1424 AH - 2004). **Inbāh al-Ruwāt ʿalā Anbāh al-Nuḥāt.** (Investigated by: Prof. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim). (1st edition) Beirut/Lebanon: Maktabat al-Aṣriyyah).
Ibn Mālik, Muhammad bin ʿAbdullah. (1432 AH). **Alfiyat Ibn Mālik fi al-Nahw wa al-Taṣrīf.** (Investigated by: Dr. Sulaiman bin

ʿAbd al-ʿAziz Al-ʿUyounī) (1st edition) Riyadh: Dār al-Minhāj.

Ibn Mālik, Muhammad bin ʿAbdullah. (1410 AH - 1990). **Sharḥ al-Tashīl**. Investigated by: Dr. ʿAbd al-Rahman and Dr. Muhammad Badawī al-Makhtoun. (1st edition) Egypt: Hijr for Printing and Publishing.

al-Mubarrid, Abu al-ʿAbbās Muhammad bin Yazīd. **Al-Muqtaḍab**. Investigated by: Prof. Muhammad ʿAbd al-Khāliq ʿUḍaima Egypt: ʿĀlam al-Kutub.

Manuscripts of The Book of Sībawaih: (A copy of al-Kandī: the National Library of Paris: 5068, and the copy of "Ibn Yabqā" Escorial No. 1, the copy of "Ibn Muʿāfā" Jurum Library: 2563, and a copy of Fātiḥ: 5062.

Maṭloub, Prof. Ahmad Maṭloub Ahmad. (1414 AH - 1993). **Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-Balāghiyya wa Taṭawuruhā.** (2nd edition) Beirut / Lebanon: Maktabat Lebanon.

Ibn al-Manẓour, Abu al-Fadl, Muhammad bin Mukarram al-Anṣārī. (1414 AH - 1994). **Lisān al-ʿArab**. (3rd edition) Beirut/Lebanon: Dār Sādir.

Abu Nasr al-Majrītīt, Hāroun bin Musa. (1404 AH - 1984). **Sharḥ ʿUyoun Kitāb Sībawaih.** Investigated by: Dr. ʿAbd Rabih ʿAbd al-Laṭīf. (1st edition) Cairo/Egypt: Maṭbaʿat Ḥassān.

Ibn Hishām Al-Anṣārī, ʿAbdullah bin Yousuf. (1415 AH - 1994). **Awḍah al-Masālik ilā Alfiyat Ibn Mālik.** (Commentary: Muhammad Muhyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd) Beirut / Lebanon: Maktabat al-ʿAṣriyyah.

Ibn Hishām Al-Anṣārī, ʿAbdullah bin Yousuf. (1421 AH - 2000). **Mughnī al-Labīb ʿan Kutub al-Aʿārīb.** Investigated by: Prof. ʿAbd Laṭīf Muhammad Al-Khaṭīb. (1st edition) Kuwait: al-Majlis al-Waṭanī li al-Thaqāfa.

Ibn Yaʿīsh Abu al-Baqā ʿAli. (1434 AH) **Sharḥ al-Mufaṣṣal**. Investigated by: Prof. Ibrahim Muhammad ʿAbdullah. (1st edition) Damascus/Syria: Dār Saʿd Al-Deen.

James A. Bellamy. ***A Difficult Passage in Sibawwayhi***, *Journal of the American Oriental Society. Vol. 88, No. 2 (Apr-Jun, 1968).*

من مظاهر البنية العميقة في كتاب سيبويه، تمثيل لا يُتكلم به: أنموذجا

One of The Manifestations of Deep Structure In Sibawayh's Book, An Unspoken Example As Case Study

د. عبد المؤمن محمود أحمد

الأستاذ المشارك بكلية الآداب – جامعة الجوف- السعودية

البريد الإلكتروني: moamenmahmoud352@gmail.com

المستخلص

البنية العميقة مصطلح حداثي في الدرس اللغوي الحديث، ارتبط بالنظرية التوليدية التحويلية التي قامت على يد تشومسكي، وهي نظرية قائمة في تحليلها للتركيب النحوي على افتراض مستويين للتركيب: مستوى قبلي، يُعَبَّرُ عنه بالبنية العميقة، وهو الأصل المتصوَّر، ومستوى بعدي، يُعَبَّرُ عنه بالبنية السطحية، وهي الصورة المنطوقة.

وقد اهتم نحاتنا القدامى بهذا في كتبهم، وإن لم يصرحوا بمصطلح البنية العميقة، فظهرت مظاهرها التحليلية في كتبهم، من حديثهم عن التقدير والتأويل، والحذف، والزيادة، والإضمار، والحمل على المعنى، والتضمين، والعدول...، وفي مقدمتهم سيبويه الذي شافه الأعراب، ووقف على كلامهم، ثم فسَّر وحلّل هذا الكلام، فهو أبو عذرها وممتطى صهوتها، فظهر في كلامه حديث عن الأصالة والفرعية، والتقدير، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى ... وغير ذلك، ومن كلامه وتحليلاته استقى الحداثيون هذه النظرية.

وقد اخترت من مظاهر هذا التحليل عنده مصطلح (تمثيل لم يُتكلم به)، وهو مصطلح كرره سيبويه في كتابه، معبّرًا به عن التقدير والتأويل للتركيب النحوي بإرجاعه إلى صورة ذهنية مسبوقة لهذه الصورة المنطوقة، معبّرًا عن الصورة الأولى بالأصل، ثم يردف ذلك بأن هذا التقدير لمجرد التمثيل وتقريب الصورة، لكنه لا يُتَكَلَّمُ به.

وكان الهدف من هذا البحث التعريف بهذا المصطلح السيبويهي، الذي تفرد به إمامنا سيبويه، والوقوف على مواضعه باستخدام المنهج الوصفي القائم على جمع مواضع هذا المصطلح، وتحليلها، وبيان أثرها.

الكلمات المفتاحية: سيبويه- البنية العميقة- التأويل والتقدير- تمثيل لا يُتكلم به.

Abstract:

Deep structure is a modernist term in the modern linguistic lesson, associated with the transformational generative theory that was established by Chomsky, a theory based in its analysis of grammatical structure on the assumption of two levels of structure: a prior level expressed by the deep structure, which is the perceived origin, and a dimensional level expressed by the surface structure, which is spoken image.

Our earlier grammarians took interest in this in their books, even though they did not categorically mention the term deep structure, but its analytical manifestations appeared in their books, from their talk about appreciation, interpretation, omission, addition, pronoun, connotation, implication, and reversal..., and foremost among them is Sibawayh, who spoke with the classical Arab Bedouins, and was cognizant of their words, then interpreted and analyzed these words, for he is the father of in the field and its arbiter, so the talk about originality and offshoot appeared in his words, and assumption, and forwarding and delaying, and connotation ... and other things, and it was from his words and analysis that the modernists derived this theory.

The researcher chose from his manifestations of this analysis the term (an example that was not spoken), a term repeated by Sibawayh in his book, expressing the assumption and interpretation of the grammatical structure by returning it to a mental image preceded by this spoken image, expressing the first image in the original, then it is added that this assumption is just for representation and bring the picture closer, but it is not spoken.

The aim of this research was to define this Sibawayhi term, which was unique to our Imam Sibawayh, and to identify its places using the descriptive approach based on collecting, analyzing, and showing the impact of this term.

Keywords: Sibawayh - the deep structure - interpretation and assumption - an unspoken example.

.

مقدمة البحث.

كتاب سيبويه أكبر من أن يتكلم عنه بيان أو يسطره بنان، بحر لا ساحل له، كان وما زال معينا ثرًّا للدراسات اللغوية المعاصرة، وإذا كانت النظرية التحويلية التوليدية –التي قامت على يد تشومسكي ١٩٥٧ وتغني بها الدارسون والباحثون يمنة ويسرة– لها دور مميز في التحليل اللغوي للتراكيب والجمل، فكتاب سيبويه هو الذي أرسى ذلك كله، فلم يكتف بوصف كلام العرب كما جاء عنهم، بل راح يفسره ويتأوله ويعلله، في مرحلة تالية لجمعه ووصفه، مستخدمًا آليات التفسير والتحليل وعباراته، (كأنه قال...، كأنك قلت...، وإنما المعنى كذا...، ويدلك على...، وجرى مجرى كذا، إنما أردت....، وإنما أريد...، وإن شئت قلت....) وهو القائل:" فقف على هذه الأشياء حيث وقَفوا ثم فسِّرْ"(١)، وربما كان أعرف بمرادات العرب في كلامها من العرب أنفسهم.

ومصطلح البنية العميقة يعد أحد دعائم نظرية تشومسكى التحويلية، وهو يفترض ثنائية لغوية للتركيب بِرَدِّ صورته المنطوقة إلى صورة ذهنية قائمة على التخيل والتصور والحدس والتخمين، وقد تجلى ذلك بوضوح في كتاب سيبويه –وإن لم يصرح بذلك المصطلح– من خلال تحليله للتركيب وافتراضه مستوى قبليًّا في محاولة لتفسير دلالته، معبّرا عن ذلك بمصطلحات متعددة، كالأصل، والحدّ، والوجه، والتمثيل الذي لا يتكلم به...

أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياره.

تظهر أهمية هذا البحث في الكشف عن مظاهر البنية العميقة لدى نحاتنا العرب، وعلى رأسهم سيبويه للوصول إلى أن ما ظهر في اللسانيات الحديثة والنظريات اللغوية المعاصرة إنما هو وحي مستمد من تراثنا، الذي غضضنا الطرف عما فيه، وصرنا نتغنى بكل جديد وحديث.

وأما سبب اختيار الموضوع فنابعة من أهميته السابقة، ويضاف إليها إبراز

(١) سيبويه، الكتاب١/٢٦٦.

مستوى التحليل لدى سيبويه، وبيان بعض مصطلحاته في ذلك.

هدف البحث، وتسميته.

يهدف هذا البحث إلى عرض مفهوم (تمثيل لا يتكلم به) وتحليل التراكيب المصاحبة له، وصلة ذلك بالبنية العميقة في محاولة لقراءةٍ تأويليةٍ للتركيب النحوي، ولذا سميته بـ(من مظاهر البنية العميقة في كتاب سيبويه: تمثيل لا يتكلم به أنموذجا).

أسئلة البحث.

يقوم هذا البحث على سؤال جوهري هو: ما المراد بتمثيل لا يتكلم به في كتاب سيبويه، وينبثق عنه سؤالان فرعيان:

أ- ما المراد بالبنية العميقة، وما مظاهرها في كتاب سيبويه؟

ب- ما علاقة هذا المصطلح (تمثيل لا يتكلم به) بالبنية العميقة؟

الدراسات السابقة.

لم أقف على دراسة تعرضت لمفهوم (تمثيل لا يتكلم به) وأنماطه وصلته بالبنية العميقة في كتاب سيبويه، لكن جدير بالذكر أن هناك ثلاث دراسات سابقة ربما تتصل بها، مع اختلافها عن دراستي هذه، وهي:

-دراسة عن البنية العميقة عند النحاة العرب للدكتور عبد الله جاد الكريم، عنوانها:" البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب" درس فيها مظاهر البنية العميقة عند النحاة العرب، لكنه لم يتعرض فيها للبنية العميقة عند سيبويه.

- دراسة عن البنية العميقة في كتاب سيبويه، عنوانها:" مفهوم البنية العميقة في كتاب سيبويه في ضوء مجالات التحليل النحوي" عرض فيها الباحث لدراسة مستويات التحليل عند سيبوبه (مجال التصنيف، ومجال العمل، ومجال البنية، والمجال الدلالي، والمجال القبلي) -متأثرا بما عرضه د حسن عبد الغني الأسدي في كتابه مفهوم الجملة في كتاب سيبويه- لكنه لم يتعرض لمفهوم تمثيل لا يتكلم به وأنماطه في الكتاب، ولهذا فهي تختلف عن دراستي هذه.

- دراسة للدكتور حسن عبد الغني الأسدي بعنوان (مفهوم الجملة في كتاب

سيبويه) تعرض فيها لمنهج سيبويه في التحليل النحوي، ومفهوم الجملة العربية، وعناصرها، وبنائها، وفهمها، وكان مما أشار إليه في فهمها مصطلح تمثيل لا يتكلم به في كتاب سيبويه، وإن لم يقم بتتبع مواضعه كما فعلت.

منهج البحث.

أما منهج البحث فهو المنهج الوصفي التام القائم على تتبع أنماط التمثيل الذي لا يتكلم به في كتاب سيبويه وتحليلها.

خطة البحث.

جاء البحث في تمهيد ومبحثين، تسبقهما مقدمة، وتقفوهما خاتمة، أما التمهيد فعنوانه :(مفهوم البنية العميقة ومظاهرها في الدرس النحوي)، وأما المبحث الأول فجاء بعنوان: (البنية العميقة في كتاب سيبويه)، ثم جاء المبحث الثاني بعنوان: (مفهوم تمثيل لا يتكلم به لدى سيبويه) ثم ختمته بخاتمة، وضحت فيها أهم نتائج البحث وثماره.

التمهيد: مفهوم البنية العميقة، ومظاهرها في الدرس النحوي.

أولا – مفهوم البنية العميقة

أول ما ظهر مصطلح البنية العميقة كان على يد تشومسكي رائد نظرية النحو التحويلي التوليدي، فهي تعتبر إحدى دعائم نظريته التحويلية، التي تفترض ثنائية البنية اللغوية، بمعنى أن التركيب له صورتان: صورة ذهنية في ذهن المتكلم، غير منطوقة، وصورة منطوقة، وهي ما آل إليه التركيب، فالصورة الذهنية يُعَبَّرُ عنها بالبنية العميقة(الأصل المتصوَّر)، وهي قائمة على افتراضات أولية لتشكّل التركيب ، فيه إعمال للفكر والحدس والتخمين، ومن هنا يمكن أن نتصور البنية العميقة بأنها بنية نحوية كامنة للجملة في نفس المتكلم غير البنية المنطوقة، وتعين على فهم البنية السطحية، وعليه فهي "شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تُشتق منه البنية السطحية، من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية"(١).

أما الصورة المنطوقة فهي المظهر الخارجي للجملة، أو الكلام المنطوق فعلا، ويُعبَّر عنه بالبنية السطحية، وعليها يجري معنى التركيب، وقواعد النحو والإعراب.

وهذا من خصائص اللغة العربية، "فإن كثيرا من الكلمات تحمل مستويين: أحدهما غير منطوق به، والآخر منطوق به، والأول يتحكم في الثاني المنطوق، ويوجه تفسيره؛ لأنه مراد حكمًا وتقديرًا"(٢).

وتعبير (تشومسكي) عن الأصل المتصوَّر والصورة المنطوقة بالبنية العميقة والبنية السطحية، عبّر عنه (سوسير) بمصطلحي اللغة والكلام، فهناك تقارب بين المصطلحات، "فاللغة عند سوسيرر مجموعة القواعد الذهنية التي تكونت في أذهان الجماعة، وهي التي ينبغي أن تُدرس، وأما الكلام فمن عمل الفرد، وقد يوافق عمله ما

(١) أحمد مؤمن؛ اللسانيات النشأة والتطور؛ ديوان المطبوعات الجامعية، ط٥، ٢٠١٥، ص: ٢١١.
(٢) عبد الله أحمد جاد الكريم، البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب. ص: ٦.

اختزن في الذهن وقد يخالفه، فإذن لا جدوى من دراسته"[١].

ثانيا- وجود ما يماثلها في الدرس النحوي القديم.

أ-الأصل والفرع.

أول ما يماثل مصطلح البنية العميقة والسطحية في الدرس النحوي مصطلح الأصل والفرع، لأن البنية العميقة إذا كانت قائمة على افتراض صورة للتركيب في ذهن المتكلم، فهي ترتبط بالأصل، كما ترتبط السطحية بالفرع، والأصل له مرادات كثيرة، وأعني به هنا "الصيغة الافتراضية المجردة في مجال التغييرات الطارئة على الكلمات، والفرع هو الصيغة المتولدة من الأصل"[٢]، وهذا واسع في كلامهم، فـ"لا يُنكَرُ أن يكون في كلامهم أصول مقدرة غير ملفوظ بها، إلا أنها مع ذلك مقدرة" [٣].

نجد ذلك على مستوى البنية المفردة في حديثهم عن الاشتقاق بأنواعه: الصغير والكبير والأكبر، والإبدال، والإعلال، والإدغام، والزيادة في بنية الكلمة، والتعويض، والقلب المكاني، والمبني للمجهول، والعَلَم المرتجل والمنقول، والمفرد والمركب، والمصدر الصريح والمؤول، والعَدْل، والترخيم، واستتار الضمير، وبساطة الحروف وتركيبها، فهذا كله، وغيره، يتعلق بالأصالة والفرعية، ويدل على اهتمام النحاة بالبنية العميقة، وإن لم يصرحوا بمصطلحها.

وفيما يتعلق بالتركيب فيتمثل الأصل والفرع في مظاهر كثيرة، منها ما يتعلق بالحذف والإضمار، ولاسيما في الأبواب المتعلقة بالعامل، كالاشتغال، والتنازع، وإعمال (أنْ) المضمرة، وأسلوب الاختصاص، والتحذير والإغراء، والنداء، والقَسَم، وكذا في حديثهم عن الزيادة، والتقديم والتأخير، والتضمين، والاستغناء.

وبالجملة، فمظاهر البنية العميقة المتعلقة بحديثهم عن الأصالة والفرعية في

(١) محمد سعيد صالح الغامدي، اعتراضات ابن يعيش على آراء الزمخشري. رسالة دكتوراه ص: ٧٣.

(٢) د. عبد الحميد النوري؛ مقولة الأصل والفرع في النحو العربي ص: ٥١٩؛ مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية؛ العدد السادس؛ ١٤٣٦-٢٠١٤.

(٣) ابن جني؛ المنصف؛ شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ٣٤٨/١.

الدرس النحوي كثيرة، لا يسع المقام لتفصيلها هنا[١].

ب- التقدير والتأويل.

مما يماثل البنية العميقة والسطحية في الدرس النحوي القديم حديثهم عن التقدير والتأويل الذي هو صرف اللفظ أو النص عن ظاهره، إما بالتأويل، أو بالتقدير، لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي، وكلاهما خلاف الأصل والظاهر، لجأوا إليه بسبب مخالفة بعض الظاهر للأقيسة والقواعد المستنبطة من النصوص الصحيحة، فحرصوا على تخريجها وتوجيهها؛ لتوافق هذه الأقيسةَ والقواعدَ، لئلا يؤدِّي هذا إلى تغيّر القواعد، أو زحزحة صحتها واطرادها، ومظاهر التأويل كثيرة، تمثل شجاعة العربي- كما سماها ابن جني- وهي: الحذف، والزيادة ، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف[٢].

أما التقدير فأبرز صوره تقدير الجملة، وذلك شائع في النحو، حيث يُقدّرون الجملة في أبواب كثيرة، كالقَسَم، وكذلك في الأمر، والنهي، والتحضيض، والتحذير، والإغراء، وكذلك تقدير الشرط، نحو: (الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا)، كأَنه قال: إن كان الذى عَمل خَيرا جُزِيَ خيرا، وإن كان شرّا جُزِيَ شرًّا؛ لأن حرف الشرط يقتضي الفعل مضمرًا أو مظهرًا[٣].

أو تقدير أجزاء الجملة، يمكن أن نجد ذلك في أبواب متفرقة، مثل: الابتداء، والإضافة، والعطف، والنعت، والاستثناء[٤].

فالظاهر يمثل البنية السطحية، وخلاف الظاهر بالتأويل أو التقدير، يمثل البنية العميقة.

(١) انظر تفصيل الحديث عن ذلك في: البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب. ص:١١.

(٢) انظر: ابن جني؛ الخصائص ٣٦٢/٢.

(٣) انظر: سيبويه، الكتاب ٢٥٨/١.

(٤) انظر: على أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي. ص: ٢٠٦.

المبحث الأول- البنية العميقة في كتاب سيبويه

كتاب سيبويه غنيٌّ بصور البنية العميقة المتعددة؛ لأنه إذا كان المنهج التوليدي التحويلي قائمًا على تحويل البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال قواعد توليدية تحويلية، كقواعد الحذف، والتعويض، والإحلال، والتوسع، والاختصار، والزيادة، والترتيب(١)، فإننا نلحظ ذلك عند سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه، بل في أول ورقاته، حين يقول:" هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض. اعلم أنّهم مما يَحذفون الكلم وإنْ كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويَستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتَّى يصير ساقطاً. وسترى ذلك إن شاء الله"(٢).

وفي مواضع كثيرة يذكر التركيب الأصلي للتركيب (البنية العميقة) والتركيب البديل الذي طرأ عليه بعض التغيير (البنية السطحية)، وفيما يلي أمثلة ذلك:

في معرض الإحلال أو النيابة التي تعني الانتقال من مستوى تركيبي إلى مستوى آخر، معبّرًا عنه بالاتساع لغرض الإيجاز والاختصار، يقول:" صِيدَ عليه يومانِ. وإنَّما المعنى صِيدَ عليه الوحشُ في يومينِ، ولكنّه اتَّسع واختَصر"(٣).

فـ (صيد عليه يومان) بنية سطحية، وبنيتها العميقة كما وضح سيبويه (صيد عليه الوحش في يومين)، ثم حدث حذف وإحلال، فأُسْنِدَ الفعل إلى الظرف، وجُعل الظرف مرفوعا بـ(صِيَد)، "وهو مجاز واتساع؛ لأن الظرف لا يصاد وإنما يصاد فيه"(٤).

وأمثلة هذا الاتساع في الكتاب كثيرة، فقد أَكَّد سيبويه أَنَّ السعة في الكلام أكثر من أَنْ يحصيها، واعتمد في الاتساع على قرينة فهم المخاطب للمعنى، وعدم وجود أيّ لَبْسٍ في المعنى الذي يصله، فيقول:" ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٢٤-٢٥.
(٢) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٢١١.
(٣) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٢٤-٢٥.
(٤) السيرافي؛ شرح الكتاب؛ ٢/١٠٥.

لعلم المخاطَب بالمعنى"[١].

وهذه العبارة على بساطتها ووجازتها خطيرة الأبعاد في دلالتها النافذة، فقد يفهم من كلام سيبويه أن سعة الكلام، أي: الانتقال من مستوى إلى مستوى، أو التجاوز في إيقاع العلاقات النحوية بين ما لا تقع فيه عادة، أو إن شئت كسر قانون الاختيار بين المفردات بالطريقة المسموح بها لا يسوغه إلا فهم المخاطب[٢].

وفي سياق إعادة ترتيب الجملة يقول: "وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيداً. فعبدُ الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذَهبَ، وشغَلْت ضربَ به كما شغلتَ به ذهَب، وانتصب زيدٌ لأنه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل. فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخراً في اللفظ. فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً (يُهِمّانِهم) و(يَعْنِيانهم)"[٣].

فقد ذكر سيبويه التركيب الأصلي: ضرَب عبدُ الله زيدا، ثم أعقبه بذكر البنية المحوّلة منه: ضرَب زيدا عبدُ الله، فإنهم قدّموا المفعول على الفاعل لدلالة الإعراب عليه، فلم يضرّ من جهة المعنى تقديمه، واكتسبوا بتقديمه ضربًا من التوسّع في الكلام؛ لأن في كلامهم الشّعر المقفّى والكلام المسجّع، وربما اتفق أن يكون السجع في الفاعل فيؤخّرونه، أو نوعًا من العناية والاهتمام بالمقدَّم، كما ذَكَر[٤].

كما أن سيبويه أدار كتابه على النظر في الكلام وتراكيبه بوصف الواقع اللغويّ كما هو، كما وقف عليه، ثُمَّ القيام بتفسير هذا الواقع، وتحليله، مستخدما آليات التفسير والتحليل وعباراته، (كأنه قال...، كأنك قلت...، وإنما المعنى كذا...،

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٢١٢.

(٢) د. حماسة عبد اللطيف؛ النحو والدلالة ص: ٨٧.

(٣) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٣٤.

(٤) السيرافي؛ شرح الكتاب؛ ١/٢٦٣.

ويدلك على...، وجرى مجرى كذا، إنما أردت....، وإنما أريد...، وإن شئت قلت....).

فتراه يقول:" وتقول: أَذَكَرٌ أن تلد ناقتك أحب إليك أم أنثى، كأنّه قال: أَذَكَرٌ نِتاجُها أحَبُّ إليك أم أُنْثَى. فأَن تَلِدَ اسمٌ، وتَلِدُ به يَتمُّ الاسمُ كما يتمُّ الذي بالفعل، فلا عَمَلَ له هنا كما ليس يكون لصلةِ الذي عمل"(١).

فقد بيّن البنية السطحية هنا (أن تلد) والعميقة (نتاجها) مستخدما أداة التفسير (كأنه قال) أي: كأنه قال: " أذكرٌ ولادة ناقتك إياه أحب إليك أم أنثى؟ "، وأن هذا الفعل(تلد) لا يجوز أن ينصب الاسم المتقدم (أَذَكَرٌ)؛ لأن ما بعد " أنْ " لا يعمل فيما قبلها، فلم يتسلط الفعل على ما قبلها كما لم يتسلط على ما قبل " الذي " إذا كان في صلة " الذي ".

وعبارَتَه المذكورةَ أعلاه (كأنه قال) إنّما تدلّ على تقريب المعنى بألطف الألفاظ، وهو لفظ (كأنّ) الذي يدلّ على المقاربة والاحتمال، وقَد عبّر سيبويه عن هذا الاحتمال بأداة التشبيه (كأنّ)، وجاء المعْنى على أنّه: يُحتملُ ويُفترَضُ أن هذا أصل التركيب قبل تحويله.

ويفسر لنا البنية العميقة والسطحية لجملة الاشتغال بقوله:" وإن شئت قلت: زيداً ضربتُه، وإنَّما نصبهُ على إضمار فعلٍ هذا يفَّسره، كأنّك قلتَ: ضربتُ زيدًا ضربتُه، إلاّ أنّهم لا يُظهِرون هذا الفعلَ هنا للاستغناءِ بتفسيره. فالاسمُ ها هنا مبني على هذا المضمَرِ"(٢).

وغير هذا كثير من النصوص التي يعبر فيها بالبنية العميقة المتمثلة في أصل التركيب، والبنية السطحية المتمثلة في التركيب البديل، وهذا التركيب البديل ما كان ليُكتشف وجوده إلا من خلال الوقوف على التركيب الأول، فلولا وجود التركيب الأصلي ما انتبهنا إلى سبب اللجوء إلى التركيب البديل.

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/١٣١.

(٢) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٨١.

بل لا يكتفي سيبويه بتوضيح التركيب الأصلي للتركيب البديل، إنما يعلل لنا في بعض المواضع أفضلية التركيب البديل، فيقول:" وقد يجوز أن تقول: عبدُ الله أظنُّه منطلقٌ، تجعلُ هذه الهاء على ذاك، كأَنَّك قلت: زيدٌ منطلقٌ أظنُّ ذاك، لا تجعل الهاء لعبد الله، ولكنّك تجعلُها ذاك المصدرَ، كأَنه قال: أظنُّ ذاك الظنَّ، أو أظنُّ ظنّى. فإنّما يَضعُف هذا إذا ألغيتَ، لأنَّ الظنَّ يُلْغَى في مواضعِ أَظنُّ حتى يكونَ بدلاً من اللفظ به، فكرِهَ إظهارُ المصدرِ ههنا، كما قَبُحَ أن يظهر ما انتصب عليه سَقْياً، ولفظك بذاك أحسن من لفظ بظني "(١).

فالبنية السطحية هنا (عبدُ الله أظنُّه منطلقٌ) ، وبنيته العميقة(عبد الله أظن ظنا منطلق، أو : عبد الله أظن ظني منطلق) فالهاء هاء المصدر "الظن" وليست عائدة على "عبد الله" ولهذا رُفِع على الابتداء، وإذا قلت: "عبد الله أظنه منطلق" فهو أجود من أن تقول: " عبد الله أظن ظنًّا منطلق" و "أظن ظنّي منطلق؛ لأن الفعل "أظنه" مُلغَى عن العمل هنا، وفي إلغائه قبحٌ؛ لأنه مؤكد بضمير المصدر، والإتيان بضمير المصدر كالإتيان بالمصدر إذ كان كناية عنه، والمصدر مؤكد للفعل، لكن قبحه أخف من التصريح بالمصدر نفسه، وإذا كان يقبح إلغاء الفعل، مع الإتيان بضمير المصدر فأقبح من ذلك أن تصرح بالمصدر، ثم تلغيه؛ لأن التصريح بالمصدر كتكرير الفعل، فلذلك كان أقبح(٢).

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/١٢٥.

(٢) ابن يعيش؛ شرح المفصل؛ ١/٣٠٧.

المبحث الثاني-مفهوم تمثيل لا يُتكلم به، وصلته بالبنية العميقة.

من صور البنية العميقة في كتاب سيبويه تعبيره في تحليله لبعض التراكيب بقوله:" تمثيل لا يُتكلم به" أو ما شابهه في التعبير، وهو من آليات التفسير عنده –التي استقى طرفها من شيخه الخليل– لبيان الأصل البنيوي أو الدلالي للتركيب.

فهو يمثل جانبا من جوانب التحليل النحوي لدى سيبويه، الهدف منه بيان أصل التركيب للوصول إلى ما طرأ على هذا الأصل من تغييرات، وهذا له صلة بالبنية العميقة، "فهو يقوم على إرجاع التركيب إلى حالة سابقة غير متكلَّمٍ بها، متقارَبٍ بينها، وهو المستوى الافتراضي الذي يصوغ فيه سيبويه تركيبا غير مستعمل، هو الأصل، ويكون التركيب موضع الدراسة فرعا عنه لخضوعه لما يطرأ عليه من تحويلات"(١).

كما أن سيبويه يريد بيان المعاني المقصودة من هذه التراكيب تجنبا لما قد يصيبها من لبس وغموض، وهو نفسه ما يرومه التحويليون، إذ من بين ما يقصدونه من وراء الحديث عن تلك البنية بيان المقصود من التعبيرات المنطوقة أو المكتوبة، لبيان التحويل الذي طرأ عليها، وأدى إلى ظهور الكلام على هذا "السطح" الذي يتعامل معه اللغوي(٢).

وجَعْلي الأصول المفترضة والمعبَّر عنه بالتمثيل الذي لا يتكلم به الذي استعمله سيبويه، وغيره من آليات التفسير من قبيل البنية العميقة، موافَقَةٌ لمن يفسّرها بأنها تشمل ذلك، كما هو واضح من تعريف تشومسكى لها بأنها "التركيب الذي يكون عقليا خالصا وينقل التكوين الدلالي للجملة، كما أنها نظام من الافتراضات المنظمة بطرق مختلفة، أي افتراضات أولية لتشكل المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل أو غيرهما"(٣).

ولست مع مَن أخرج مثل هذا من البنية العميقة، وجَعَل تفسيرها قاصرا على

(١) د. حسن عبد الغني الأسدي؛ مفهوم الجملة عند سيبويه؛ ص: ٢٤٩.

(٢) انظر: د. أحمد سليمان ياقوت؛ التراكيب غير الصحيحة نحويا في كتاب سيبويه؛ ص: ١٥٨

(٣) دلال العطرة؛ البنية العميقة والبنية السطحية وأثرهما في تعليمية اللغة العربية تلميذ سنة أولى ابتدائي – أنموذجا– . ص ١٤.

أنها المرحلة الأولى التي تتشكل فيها الجملة أو العبارة في ذهن المتكلم بلغته الأم بطريقة سريعة غير مفكَّر فيها، وأن البنية السطحية هي مرحلة الإخراج والإنجاز التي تصبح فيها العبارة جاهزة للنطق بها، وعليه فكل كلام له هاتان البنيتان.

فتعريف تشومسكي السابق يدل على ما ذكرته أولا، ولا سيما في كتاب سيبويه، فقد ركز في كتابه على مبنيين للجمل: "مبني ظاهرى للجمل، ومبنى باطني لها، فالمبنى الباطني العميق يتميز بالعلاقات المعنوية التي تكون واضحة فيه تماما، أما المبنى الظاهري أو الخارجي السطحي، فهو يمثل شكل هذه العلاقات بترتيب كلماته على أنماط مختلفة، وتنظم قواعد الاستنباط للغة العلاقة بين المعنيين، فتنطبق على المعنى العميق، وتحوله إلى مبنى السطحي ،وتدعى هذه العملية بالتحويل، وتسمى القواعد المنظمة لها بالقواعد التحويلية"(١)، وهو ما قامت عليه نظرية تشومسكي(نظرية النحو التوليدي التحويلي)، فهل بعد ذلك يمكن أن تكون البنية العميقة قاصرة فقط على الصورة السريعة العفوية للجملة قبل النطق بها؟ أم أنها تشمل ما هو أبعد من ذلك من مظاهر الافتراض، والتقدير، والتأويل، والأصل والفرع...

الأنماط التركيبية المصاحبة لهذا التعبير في كتاب سيبويه.

في البداية أقول: ورد هذا التعبير (تمثيل لا يُتكلم به) في كتاب سيبويه على النحو التالي:

- كأنَّك قلت في التمثيل (١/ ١٥٣).
- فهذا تمثيل ولا يتكلم به (١/ ٣١٢، ٩٢/٢).
- وكأَنّ قوله ... وإن لم يُتكلَّم ...زعم الخليل رحمه الله أنّ هذا تمثيلٌ يمثَّل به (٣٢٣/١).
- فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام (١/ ٣٥٣).

(١) السابق. ص ٦.

- وذا تمثيل وإن لم يُتكلم بلا مُسْلِمَيْك (٢/٢٧٨).
- فهذا تمثيل وإن كان يقبح في الكلام (٢/١٩).
- ...في التمثيل، ولكنهم لا يتكلمون (٢/٢٨١).
- وإنما ذكرت هذا للتمثيل (٢/٣٨٧).
- لأمثّل لك، وإن كان لا يستعمل في هذا الموضع (٢/٣٤٨).
- ولكن أردت أن أمثل لك (١/٣٠٠).
- ولكنه تمثيل، كما مثّلْتُ في باب التحقير (٤/٢٩٠).

وبالنظر في مواضع هذا التعبير، نجد أن سياقاته متعددة، تبعًا للتحليل الذي ارتبط به، فقد يأتي في سياق:

- بيان معنى التركيب بتقريبه لتركيب آخر.
- أو الإشارة به إلى تقدير العامل.
- أو بيان علة ما.
- أو الإشارة إلى استقامة التركيب وتصحيحه.
- أو الإشارة به إلى قبح المستوى الافتراضي الأصلي للتركيب.
- أو نيابة شيء عن شيء.
- أو تشبيه شيء بشيء في الاستعمال.
- أو التنظير في المعنى والإعراب.
- أو الحمل على المعنى في أصل التركيب.
- أو بيان ما يحتمله التركيب من أوجه الإعراب واختيار أقواها.
- أو بيان متعلقات التركيب.
- أو تفسير تعدية الفعل.
- أو التنظير ببنية التصغير في عدم الحذف.

وفيما يلي بيان ذلك:

ولنبدأ أولا بـ(تمثيل غرضه تقريب معنى التركيب).

ذكر سيبويه في باب التعجب قوله:" ...وذلك قولك ما أَحْسَنَ عبدَ الله. زعم الخليلٌ أنه بمنزلة قولك: شيء أحسنَ عبدَ اللهِ، ودَخَلَه معنى التعجُّب، وهذا تمثيل ولم يُتَكلَّم به"(١).

هذا النص يؤكد ما ذكرته سابقا من أن سيبويه استقى خيوط هذه النظرية في إرجاع التركيب إلى مستوى قبليٍّ من شيخه الخليل معبرًا عنه بالزعم، والتعبير بالزعم– كما فسره ابن عطية– بمعنى الإخبار، لا يستعمل إلا مع قول انفرد به صاحبه، حيث تبقى عهدة الخبر على المخبِر(٢)، وكأن سيبويه يُلقي بعهدة هذا التفسير والتحليل على شيخه الخليل.

فسيبويه نظر إلى العلاقة البنائية للتركيب من حيث طلب الفعل للمفعول به، فجعله طالبا للمفعول وإن لم يجر مجرى الفعل في تصرفه وتمكنه، كما يظهر ذلك من عنونته للباب بقوله: هذا باب ما يَعْمَلُ عَمَلَ الفعل ولم يَجْرِ مَجرى الفعل ولم يَتمكَّن تمكُّنَه، أما الخليل فنظرته للتركيب كانت أعمق ببيان معنى تقريبي للتركيب قبل تحويله لإفادة التعجب، في أنه بمنزلة (شيء أحسن عبد الله) في التقدير والإعمال والجعل، أي: شيء جعله حسنا، وهذا التفسير من باب تقريب المعنى للمتعلم– كما ذكر ابن عقيل–فهو تصور مفترض لم تتحدث به العرب، ولذا قال سيبويه: " تمثيل لا يتكلم به".

جاء في الجمل المنسوب إلى الخليل قوله:" قَوْلهم: مَا أحسن زيدا، وَمَا أكْرم عمرا، هُوَ فِي التمثال بِمَنْزِلَة الْفَاعِل وَالْمَفْعُول بِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: شَيْء حسّن زيدا"(٣).

وتعبير سيبويه (تمثيل لا يتكلم به) يقصد به أن هذا المستوى الافتراضي لهذا التركيب إنما هو صورة ذهنية تخيلية، لم تنطق بها العرب في إفادة معنى التعجب، ولم

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٧٢.

(٢) انظر: ابن عطية؛ المحرر الوجيز؛٢/٧٢، ٣/٥٢٣.

(٣) الجمل في النحو ص: ٧٨.

تتكلم به، مع صحة هذا التركيب نحويا، لذا تم تحويله إلى (ما أحسن عبد الله)؛ لأن (ما) مناسبة للتعجب، ولا يكون التعجب في غيرها؛ "لإبهامها، والشيء إذا أبهم، كان أفخم لمعناه، وكانت النفس متشوفة إليه لاحتماله أمورا"(١).

ولم يستعملوا (الشيء) في إفادة التعجب رغم إبهامه؛ لأن (الشيء) ربما يستعمل للتقليل، فلو قلت: (شيء أحسن زيدا)، لجاز أن يُعتقد أنك تقلل المعنى الذي حسّن زيدا، كأنك قصرت حسنه على جهة دون سائر جهات الحسن، فتجنبوا التعبير بـ(شيء) لهذا الوجه، بخلاف قولك: " ما أحسن عبد الله "، "فقد جعلت الأشياء التي يقع بها الحسن متكاملة في (عبد الله)" (٢).

كما أن الغالب على قولك: (شيء حسّن زيدا)، أنه إخبار عن معنى مستقر، وما تتعجب منه ينبغي أن يسرك في الحال، فأما ما قد استقر وعرف، فلا يجوز التعجب منه، فلهذا خصت من بين سائر الأسماء بالتعجب عن معنى مستقر(٣).

وتمثيل الخليل (ما أحسن) بمنزلة (شيء أحسن) يشير إلى اسمية(ما)؛ لأنها موضوعة موضع(شيء)، وهو اسم، وأن تركيب التعجب تركيب اسمي، وقد نظّر سيبويه لجعلها وحدها اسما بقول العرب:" إني مما أن أصنع، أي: من الأمر أن أصنع، وأيضا (غسلته غسلا نعما) أي: نعم الغسل(٤).

ولم يخالف أحد من النحويين في جعلها اسما، بل دلّلوا على اسميتها بعود الضمير في (أفعل) عليها، والضمير لا يعود إلا على الاسم، حتى الكسائي الذي شذ عن الإجماع في إعرابها مبتدأ وارتأى أنه لا موضع لها، لم يشذ عن كونها اسمًا(٥).

كما يشير أيضا إلى أن (ما) نكرة بمعنى (شيء)، ومن ثم فسرها سيبويه بذلك،

(١) ابن يعيش؛ شرح المفصل؛ ٤/٤١٢.
(٢) انظر: السيرافي؛ شرح كتاب سيبويه؛ ١/٣٥٤.
(٣) انظر: ابن الوراق علل النحو؛ ص: ٣٢٣.
(٤) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٧٣.
(٥) انظر: مذهب الكسائي في التذييل والتكميل في شرح التسهيل؛ ١٠/١٨٠.

فذهب إلى أنها نكرة تامة غير موصوفة ولا موصولة؛ لأنها بمعنى (شيء)[١]، وابتُدئ بها رغم إبهامها؛ لأن المقصد منها التعجب، وليس الإخبار المحض[٢].

مدى ملائمة هذا التمثيل والتفسير للواقع اللغوي.

إذا كان تفسير الخليل هذا سار عليه كثير من النحاة، فقد أنكره بعضهم، مُسوّغين أنه إذا كان تفسير الخليل لتركيب التعجب (ما أحسن زيدا) بمنزلة (شيء أحسن زيدا) لوجب أن يكون التقدير في قولنا: (ما أَعْظَمَ الله): شيء أعظم الله، وهذا لا يجوز؛ لأن الله تعالى عظيم، لا بِجَعْلِ جاعل[٣].

حكى الأنباري أن بعض أصحاب المبَرِّد قَدِمَ من البصرة إلى بغداد قبل قدوم المبرد إليها، فحضر في حلقة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، فسئل عن هذه المسألة، فأجاب بجواب أهل البصرة، وقال: التقدير في قولهم "ما أحسن زيدًا" شيء أحسن زيدًا، فقيل له: ما تقول في قولنا "ما أعظم الله"؟ فقال: شيء أعظم الله، فأنكروا عليه، وقالوا: هذا لا يجوز؛ لأن الله تعالى عظيم لا بِجَعْلِ جاعل، ثم سَحَبُوه من الحلقة وأخرجوه[٤].

وهذا قياس في غير محلّه، فليس بالضرورة أن يكون معنى قولهم (شيء أعظم الله) صيّرته كبيرًا عظيمًا، بل وَصَفَهُ بالعظمة، فهو عظيم لنفسه لا لشيء جعله عظيمًا، فرقًا بينه وبين خلقه، كما يقول الرجل إذا سمع الأذان: كَبَّرْتَ كبيرًا، وعَظَّمَتَ عَظِيمًا، أي وصفته بالكبرياء والعظمة، فكذلك ههنا[٥].

ويمكن أن يقال أيضا بأن الألفاظ الجارية منا على معان، لا تجوز على الله تعالى، فإذا رأينا تلك الألفاظ مجراة عليه حملناها على ما يجوز في صفاته ويليق به. فيكون المراد بقولهم "ما أعظم الله" الإخبار أنه عظيم، لا شيء جعله عظيمًا

(١) انظر: سيبويه؛ الكتاب١/٧٢، وابن الصائغ؛ اللمحة في شرح الملحة؛١/ ٥٠٥.
(٢) انظر: العكبري؛ اللباب في علل البناء والإعراب١/١٩٦.
(٣) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب ١/٣٥٤.
(٤) انظر: الأنباري؛ الإنصاف في مسائل الخلاف١/١١٩.
(٥) انظر: السابق.

لاستحالته؛ وإن كان ذلك يقدَّر في غيره لجوازه وعدم استحالته[١].

كما أبطل الدكتور إبراهيم السامرائي تفسير الخليل هذا لتركيب التعجب؛ لكون التعجب أسلوبا إنشائيا، كالتمني والترجي والدعاء، ولا يمكن أن يفسر بجملة خبرية[٢].

وهذا يردنا إلى تفسير الفراء، حيث فسر (ما أحسن عبد الله) بأن أصله (ما أحسنُ عبد الله؟) وأن "أحسن" اسمٌ، كان مضافا إلى " عبد الله "، وكان المعنى فيه الاستفهام، ثم إنهم عدلوا عن الاستفهام إلى الخبر، فغيّروا " أحسن " ففتحوه، ونصبوا " عبد الله "، فرقا بين الخبر والاستفهام[٣].

ومن تفسير الفراء هذا استقى ابن درستويه القول باستفهامية (ما)، بل فسّر قول الخليل على ذلك، بأن معنى قول الخليل في: (ما أحسن زيدا) أنه استفهام دخله معنى التعجب كأنه الذي من حقّه أن يقال فيه: (أي شيء حسّنه) يريد من خلال هذا أن يُرجع قول الفراء إلى قول الخليل[٤].

وأقول: إن تفسير الخليل من باب التقريب، ولذا قال: إنه بمنزلة شيء أحسن... وتفسير الفراء هذا قول لا دليل عليه، وهو أيضا يفسد؛ فالاسم المبتدأ إذا كان خبره اسما مفردا رُفع، والتفريق بين المعاني لا يوجب إزالة الإعراب عن وجهه، ولأن صيغة الاستفهام لم يثبت فيها التغيير والنقل إلى شيء آخر بخلاف الصيغ الخبرية[٥].

٢- وقد يكون تعبيره بالتمثيل لبيان معنى التركيب للوصول إلى وجه إعرابه، كما في حديثه عن معنى (لبيك، وسعديك) فيقول:" ...فكأَنّه إذا قال الرجلُ للرجل: يا فلانُ، فقال: لَبَّيك وسَعْدَيْك، فقد قال له: قُرْباً منك ومتابعة لك. فهذا تمثيل وإن

(١) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب ١/٣٥٥.
(٢) انظر: إبراهيم السامرائي؛ النحو العربي نقد وبناء؛ ص: ١١٦.
(٣) انظر: ابن الحاجب؛ الإيضاح في شرح المفصل؛ ٢/ ١٠٣.
(٤) انظر: أبا حيان؛ التذييل والتكميل في شرح التسهيل ١٠: ١٨٠-١٨١.
(٥) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب؛ ١/٣٥٥.

كان لا يُستعمل في الكلام، كما كان بَراءةَ الله تمثيلاً لسبحانَ اللهِ ولم يُستعمل"[١].

فـ(لبيك، وسعديك) من المصادر المنصوبة بفعل مضمر من غير لفظها، ونظرا لأنها ليس لها فعل مستعمل، ولا يمكن أن يُفهم هذا الفعل من لفظهما، إذ كانا غير متصرفين، ولا هما مصادر معروفة، كما يفهم من (سقيا ، ورعيا) وتقديره: سقاك الله، ورعاك الله، ، فلا يحسن أن تقولَ: أُلَبُّك لَبًّا وأُسْعِدك سَعْداً، فلمّا لم يَكُنْ ذاك فيه التمس لهما شيء من غير لفظه، ففسر (لبيك، وسعديك) بـ: قربا منك ومتابعة، كأنك قلت في "لبيك": داومت وأقمت، وفي "سعديك": تابعت، وطاوعت، وأن هذا التمثيل أو التفسير لا يُتكلم به، لأن الغرض منه بيان وجه نصبه، كما ذكر معني سبحان الله: براءة الله، ليبين وجه نصبه[٢].

ومثله أيضا: (مررت بهم طرًّا)، حيث فسّر نصبها على الحال، كنصب (جميعا) على الحال؛ لأنهما بمعنى واحد، فقال: "ومررتُ بهم طُراً"، أي: جميعاً...كأنّه قال: مررتُ بهم جميعاً. فهذا تمثيلٌ وإن لم يُتكلّم به"[٣].

ومثل ذلك أيضا في نصبه (حسبَه) على الحال، في قوله:" هذا عربيٌ حسبَه"؛ على أنه بمعنى المصدر (اكتفاء)، كأنه قال: (هذا عربي اكتفاء)، ولزمته الإضافة كما لزمت (جَهده وطاقته) المنصوب على الحال، ثم يردفه بقوله:" وهذا تمثيل ولا يتكلم به"[٤]، وكذا أيضا نصبه (سواء) على الحال في قولك:" هذا درهمٌ سواءً"؛ على أنه في معنى (استواء)، فكأنك قلت: هذا درهم استواء، "فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به"[٥].

ثانيا– تمثيل غرضه الإشارة إلى تقدير العامل.

من ذلك قوله:" وإذا نصبتَ (زيداً لقيتُ أخاه)، فكأنّه قال: (لا بست زيدا

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٣٥٣.
(٢) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٣٥٢.
(٣) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٣٧٦.
(٤) سيبويه؛ الكتاب؛ ٢/١١٨.
(٥) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/١١٩.

لَقِيتُ أخاه)، وهذا تمثيلٌ ولا يُتكلَّم به"[١].

عرض سيبويه بنيتين للتركيب: بنية سطحية (زيدا لقيت أخاه)، وبنية عميقة (لابست زيدا لقيت أخاه)، وواضح من نصه أن هذا التركيب يجوز فيه نصب(زيد) ورفعه، فالنصب على تقدير عامل، موافق للعامل الظاهر معنى لا لفظا، وهو (لابس)، ثم فُسِّرت الملابسة بملابسة خاصة، إذ الملابسةُ العامةُ لم تُرَد هنا، وإنّما أُريدَ الملابسةُ الخاصة، وهو قولك: لقيت أخاه، "فلابست بحسبِ القصد ، إنّما معناه: لقيت الأخَ, فاتّفَقا من جهة المعنى المقصود، وإنّما قدّروا (لابستُ) ليكون مسلّطًا على زيد، فيصحَ المعنى ويَتَنَزّل على نصب اللفظ"[٢]؛ لأنّه إذا وقع على شيء من سببه فكأنّه قد وقع به.

ويجوز فيه الرفع على الابتداء فتقول: زيد لقيت أخاه، والرفع أحسن وأجود، كما وصف سيبويه[٣]؛ لأنك لو نصبت زيدا لقدّرت له فعلا على خلاف لفظ الظاهر، كما أن رُتَبَ النصب متفاوتة، فالنصب فيما عمل العامل في ضميره أقوى من النصب فيما عمل في سببه ، فـ (زيدًا لقيته) في النصب أقوى من (زيدًا لقيت أخاه)؛ لأن "التفسير فيما عمل العامل في ضميره بنفسه يكون باللفظ والمعنى من غير أن يدخل الكلام مجاز، وفيما عمل في سببه بنفسه يكون باللفظ على المجاز، فتقدر: لابست زيدًا لقيت أخاه، فتجعل ملاقاتك أخا زيد ملابسة له مجازًا"[٤].

وتقدير سيبويه الفعل بـ(لابس) الموافق للعامل في المعنى لا اللفظ، دليل على أنه لا يشترط موافقة العامل لفظا ومعنى بل تكفي الموافقة المعنوية؛ لأن الموافقة اللفظية لا تُحَقّق في كل تقدير، ومن هنا قَدَّر (لابس) مع (لقى) و(جاوز) مع (مرّ) في نحو: زيدا مررت به، أي: جاوزت زيدا مررت به.

وتعبير سيبويه هنا (تمثيل لا يتكلم به) إشارة منه إلى عدم صحة التكلم بهذا

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٨٣.

(٢) الشاطبي؛ المقاصد الشافية٣/٨٠.

(٣) انظر: سيبويه؛ الكتاب؛ ١/٨٤.

(٤) التذييل والتكميل في شرح التسهيل٦/٣٥٦.

التمثيل؛ لأن العامل المقدر في باب الاشتغال لا يظهر، فلا يُتكلم به، لأنه صار نسيًا مَنْسِيًّا، وقد فسره الظاهر المذكور، فصار عوضا عنه وبديلا منه، فلا يجمع بينهما؛ لأن الجمع ينافي العوضية، كما ذكر سيبويه:" إلاّ أنّهم لا يُظهِرون هذا الفعلَ هنا للاستغناءِ بتفسيره. فالاسمُ ها هنا مبني على هذا المضمَرِ"(١).

وقد زعم بعضهم أنه يجوز إظهاره(٢)، والجمع بينه وبين ذلك المفسّر، فتقول: ضربتُ زيدًا ضربتُه. واستدلّ على ذلك بقول الله سبحانه في الحكاية عن يوسف عليه السلام: "إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ"(سورة يوسف:٤)، فجمع بين (رأيتهم لي ساجدين)، وبين (رأيتُ) الأوّل.

ويجاب عليه بأنّ الآية ليست من باب الاشتغال؛ لأنّ (رأيتُ) الثاني في الآية إنّما جاء توكيدًا لـ(رأيت) الأوّل بعد ذكره، فالتكرير على سبيل التوكيد للطول بالمفاعيل، كما كُرِّرَ (إنكم) في قوله تعالى: "أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ"(سورة المؤمنون:٣٥) لطول الفصل بالظرف وما تعلق به(٣)، وأمّا (رأيته) في قولك: (زيدًا رأيته) فلم يُؤتَ به للتأكيد، بل هو الأصل في الكلام، والتقدير: (رأيت زيدا رأيته)، فتقدير (رأيت) الأول إنّما هو تقديرٌ صناعيٌّ بعد ثبوت الثاني وبنائه على التأسيس، فلو فرضنا ظهورَ الأول لم يَبْقَ هذا الثاني ملفوظًا به؛ إذ لم يقصد التأكيد، فهذا فرقُ ما بينهما(٤).

ومن مواضعه أيضا في الكتاب تنظير سيبويه إضمار الفعل المتروك إظهاره في قوله تعالى: "انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ"(سورة النساء: ١٧١)، فَحَمل نصب (خيرًا) على إضمار فعل، كأن المعنى: انتهوا وائتوا خيرا، وإنما فسّر ذلك على المعني؛ لأنَّك قد عرفتَ أنّك إذا قلت له: انْتَهِ، أنَّك تحمله على أمرٍ آخَرَ، فلذلك انتَصب، وحذَفوا الفعل.

(١) سيبويه؛ الكتاب؛ ٨١/١.

(٢) انظر: الشاطبي؛ المقاصد الشافية؛ ٦٧/٣.

(٣) انظر: أبا حيان؛ البحر المحيط٦/٢٣٨.

(٤) انظر: الشاطبي؛ المقاصد الشافية؛ ٦٧/٣.

ثم نظّر له من الكلام بقوله: (انْتَهِ يا فلانُ أَمْراً قاصِداً) على أن التقدير: انته وائت أمراً قاصدا، وهو يقصد التنظير في حذف الفعل، وليس في حكم الحذف؛ لأن الحذف في الأول واجب؛ لكونه "جاريا مجرى المثل في كثرة الاستعمال؛ فامتنع الإظهار ولزم الاقتصار"(١)، ولعلم المخاطَب أنّه محمولٌ على أمرٍ، حين قال له: انتَهِ، فصار بدلاً من قوله: "ائت خيراً "، أما المثال الذي نظّر به فيجوز لك فيه إظهارُ الفعل، ولذا قال:(وإنَّما ذكر ذلك لك ذا لامثَّلَ لك الأوّلَ به)(٢)، وقد غفل الزمخشري عن كلام سيبويه، فجعل الآية والمثال في الحذف سواء(٣).

ثالثا- تمثيل غرضه الإشارة به إلى بيان علة ما.

ومن ذلك قوله:" وإنما ذهبت النون في (لا مُسلمَيْ لك) على هذا المثال، جعلوه بمنزلة ما لو حُذفت بعده اللام كان مضافاً إلى اسم وكان في معناه إذا ثبتت بعده اللام، وذلك قولك: (لا أباك)؛ فكأنهم لو لم يجيئوا باللام قالوا: (لا مُسلمَيْك) فعلى هذا الوجه حذفوا النون في (لا مُسلمَي لك)، وذا تمثيلٌ وإن لم يُتكلم بلا مسلمَيْكَ"(٤).

أشار سيبويه إلى أن الإضافة علة حذف النون من (لا مسلميْ لك)، على تقدير زيادة اللام في (لك)، والكاف مضاف إليه، ولم يعتد باللام لزيادتها، فهي مقحمة بين المتضايفين، فكأن أصله (لا مسلمِيْك) الذي لا يُتكلم به، كما لم يعتد باللام في (لا أبا لك) فنُصب بالألف؛ لأنه مضاف، وأصله (لا أباك)، وقد نطق بهذا الأصل في قول مسكين الدارمي:

وقد مات شمّاخٌ وماتَ مزَرِّدٌ ... وأيُّ كريمٍ لا أباكَ يمتَّعُ(٥).

وسبب اختصاص اللام بالزيادة هنا دون غيرها مناسبتها للإضافة؛ لأن الإضافة

(١) انظر: ناظر الجيش؛ تمهيد القواعد ٤/١٧٥٥.
(٢) سيبويه؛ الكتاب ١/٢٨٤.
(٣) انظر: الزمخشري؛ المفصل/٧٣.
(٤) سيبويه؛ الكتاب٢/٢٧٨.
(٥) من الطويل، لمسكين الدارمي، في ديوانه. ص: ٣١، والكتاب٢/٢٧٩.

تضمنتها وإن كانت محذوفة، تقول: غلام زيد، أي: غلام لزيد[1]، فلهذا أظهروها في (لا مسلمي لك).

وقد أرجع سيبويه هذا التركيب إلى (لا مسلميك) ليبين علة حذف النون، وعليه يكون خبر (لا) محذوفا؛ لأن المضاف والمضاف إليه لا يكون كلاما تاما، فلابد من إضمار الخبر، تقديره: (لا مسلمين مملوكان لك)، ويكون (لك) تبيينا، أما إذا ذكرت النون فقلت: لا مسلمين لك، كان (لك) هو الخبر.

وإشارة سيبويه إليه بقوله: (وذا تمثيل لا يتكلم به)، إلى أن تركيب (لا مسلميك) تفسير لعلة حذف النون؛ لكنه في الكلام مرفوض؛ لأن اللفظ (مسلميك) دون اللام يصير معرفة، و(لا) لا تعمل في المعارف، فلما كان اللفظ معرفة بالإضافة استقبحوا ذلك، ففصلوا بينهما باللام؛ ليكون دليلا على أن الاسم نكرة.

دليل ذلك ما ذكره الرماني:" تقول: لا مسلمي لك، على تقدير: لا مسلميك، ولا يجوز هذا المقدّر؛ لأنه لا دليل يدل على التنكير كما تدل اللام بإيجابها الانفصال، حتى يكون بمنزلة (ضارب زيد) الذي هو على تقدير الانفصال في: ضاربٌ زيداً"[2].

رابعا– تمثيل غرضه الإشارة إلى استقامة التركيب وتصحيحه.

عُني سيبويه في كتابه بما يستقيم به التركيب ويصح، وقد بدأ كتابه متحدثا عن ذلك، "فالمستقيم من الكلام ما استقام نحوا ودلالة، بأن سار على نظام اللغة الذي وضعه العرب لأنفسهم لا تناقض فيه ولا خلل، ويقابله المحال الذي خالف النظام اللغوي، نظما ومعنى وتوجيها وضبطا وقصدا"[3].

وفي سياق هذا يأتي سيبويه ببعض التقديرات ليبين هذه الغاية، ثم يعبر عنه بأنه من قبيل التمثيل الذي لا يتكلم به، فيقول مثلا في باب الفاء التي ينتصب المضارع

(١) انظر: ابن الوراق؛ علل النحو؛ ص: ٤٠٩.

(٢) الرماني؛ شرح كتاب سيبويه؛ ص: ٣٦٢.

(٣) على رمضان؛ التركيب اللغوي بين الاستقامة والإحالة؛ ص: ٤.

بعدها بـ(أن) مضمرة وجوبا في نحو (لا تأتيني فتحدثني): " كأنك قلت: ليس يكون منك إتيانٌ فحديثٌ، فلما أردت ذلك استحال أن تضم الفعل إلى الاسم، فأضمروا (أن)، لأن (أن) مع الفعل بمنزلة الاسم، فلما نووا أن يكون الأول بمنزلة قولهم: لم يكن إتيانٌ، استحالوا أن يضموا الفعل إليه، فلما أضمروا أن حسن؛ لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم ... ولولا أنك إذا قلت: (لم آتك) صار كأنك قلت: (لم يكن إتيانٌ)، لم يجز (فأحدثك)، كأنك قلت في التمثيل:(فحديث). وهذا تمثيل ولا يتكلم به بعد (لم آتك)، لا تقول: (لم آتك فحديثٌ). فكذلك لا تقع هذه المعاني في الفاء إلا بإضمار (أن)" (١).

ردّ سيبويه هنا البنية السطحية (لا تأتيني فتحدثني) إلى بنية عميقة (ليس يكون منك إتيان فحديث، أو لم يكن إتيان فحديث) ليستقيم التركيب ويصح؛ لأن الفعل المنصوب بـ(أن) مضمرة بعد الفاء في تأويل الاسم ، ولا يعطف الاسم على الفعل ذلك؛ لأن عطف اللفظ على اللفظ يقتضي تشريكه معه في معناه المختص به، أو في عامله المختص به، وهذا المعنى يُوجِبُ ألا يُعطَف الاسم على الفعل، ولا الفعل على الاسم؛ لأن عوامل الأسماء لا تطلب الأفعال، ولا العكس، ومعاني الأسماء لا تقتضيها الأفعال، ولا العكس، فلا يصح عطف اللفظ على ما ليس من جنسه ولا من شكله، حتى إن المازني والمبرد والزجاج منعوا عطف الاسم على الفعل وعكسه؛ لأن العطف أخو التثنية، فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر(٢).

فلتحقيق المماثلة بين المتعاطفين قدّر له مصدرا متصيّدا من لفظ الفعل على تقدير (لم يكن إتيان فحديث)، ولهذا أضمروا (أن)، "لأنّ (أنْ) مع الفعل بمنزلة الاسم، فلما نووا أن يكون الأول بمنزلة قولهم: لم يكن إتيانٌ، استحالوا أن يضموا الفعل إليه، فلما أضمروا (أنْ) حَسَنٌ؛ لأنه مع الفعل بمنزلة الاسم"(٣).

(١) سيبويه؛ الكتاب ٢٨/٣.

(٢) انظر: المبرد: المقتضب٣٨٧/٤ وابن السراج: الأصول في النحو ٣٥٧/٢، وأبا حيان: ارتشاف الضرب٢٠٢٢/٤.

(٣) سيبويه؛ الكتاب ٢٨/٣.

وليس المماثلة في الاسمية أو الفعلية فحسب، بل أراد سيبويه تحقيق الموافقة بين الصيغتين (لم آتك)، و(تحدثني)، وهما مختلفان في الدلالة الزمنية، ولولا تقديره بـ(لم يكن إتيان) لما صحّ عطف (فأحدثك) عليه، وهذا معني قوله:" ولولا أنك إذا قلت (لم آتك) صار كأنك قلت: لم يكن إتيانٌ، لم يجز فأحدثك، كأنك قلت في التمثيل فحديث"(١).

وهذا التمثيل أو التقدير لا يُتكلم به؛ فلم يصرحوا بالمصدر المتصيد هنا ليشاكل بالثاني الأول, وليُؤذَن بأنه محمول على مدلول عليه لم يُذكَر، وكذلك لا يصرح بذكر المصدر، فلا يجوز: ما تأتيني فحديث، ولاسيما أن البنية السطحية (لا تأتيني فتحدثني) أوجز وأخصر من البنية العميقة(لم يكن منك إتيان فحديث)، ولا تحتمل المعاني التي يمكن أن تدل عليها الجملة الظاهرة، فالتركيب الظاهر– على نصب الفعل بعد الفاء– له معنيان:" أحدهما أن يكون الإتيان سببا للحديث، وهو منفي نفيا مطلقا، والحديث ممتنع لعدم سببه، فكأنه قيل: أنت لا تأتيني فكيف تحدثني، ولو أتيتني حدّثتني، والثاني أن يكون الإتيان منفيا بقيد اقتران الحديث به، كأنه قيل: ما تأتيني إلا لم تحدثني، أو لا تأتيني محدثا، أي: منك إتيان كثير بلا حديث"(٢)، وهذه المعاني لا تستفاد من البنية العميقة.

والذي يدل على أن الاسم هنا معطوف على اسم قوله:" فالنصب ههنا في التمثيل كأنك قلت: لم يكن إتيانٌ فأن تحدث، والمعنى على غير ذلك... فأن تحدث في اللفظ مرفوعةٌ بيكن؛ لأنّ المعنى: لم يكن إتيان فيكون حديث"(٣).

فقوله: (مرفوعةٌ) يدل على أن الفاءَ عاطفةٌ عطفت اسمًا على اسمٍ، والكلامُ جملةٌ واحدةٌ، ومن شأن العرب إذا أزالوا الكلام عن أصله إلى شيءٍ آخر غيروا لفظه وحذفوا منه شيئًا، وألزموه موضعًا واحدًا، ولم يصرفوه وجعلوه كالمثَل؛ ليكون ذلك

(١) سيبويه؛ الكتاب ٣/٢٨.
(٢) انظر: ابن مالك؛ شرح التسهيل ٤/٣٠.
(٣) سيبويه؛ الكتاب ٣/٣٠.

دليلًا لهم على أنهم خالفوا به أصل الكلام، فقد دل ما قال سيبويه: على أن النفي إنما وقع على المصدرين اللذين دل عليهما الفعلان، وإنما جاءوا بالفعل بعد الفاء وهم يريدون الاسم؛ لأن الظاهر الذي عُطِفَ عليهِ فعلٌ, فكانَ الأحسن أن يعطفَ فعلٌ على فعل ويُغيّر اللفظُ, فيكون ذلكَ التغيير دليلًا على المصدرين(١).

ونظّر سيبويه جعل (لم آتك ولا آتيك) وما أشبهه بمنزلة الاسم في التقدير، حتّى كأنهم قالوا: لم يك إتيانٌ، بقول الشاعر:

مَشائيمُ ليسوا مُصْلِحِينَ عشيرةً ... ولا ناعِبٍ إلاَّ ببَيْنٍ غُرابُهَا(٢).

فَحَمَل الثاني(ناعب) بالعطف على مقدّر لم يُذكر، فهذا على قياس حمل الثاني بالعطف في الفاء على مقدر لم يذكر، وإن كان في المثال الذي معنا أقوى لأن دلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة (ليس) على الباء في الخبر(٣).

ومما يلحق بهذا أيضا ما ذكره في الباب نفسه:" وتقول: ألا تقع الماءَ فتسبح، إذا جعلت الآخر على الأول، كأنك قلت: ألا تسبح. وإن شئت نصبته على ما انتصب عليه ما قبله، كأنك قلت: ألا يكون وقوعٌ فأن تسبح. فهذا تمثيلٌ وإن لم يتكلم به"(٤)، وقوله:" لا تأته فيشتمك؛ فتمثيله على: لا يكن منك إتيانٌ فشتيمةٌ"(٥).

خامسا- تمثيل غرضه الإشارة إلى قبح المستوى الافتراضي الأصلي للتركيب.

قد يكون غرض سيبويه من قوله (تمثيل لا يتكلم به) الإشارة إلى وجه لا يجوز غيره في التركيب الظاهر، ومن ذلك قوله في باب ما يجرى عليه صفةُ ما كان من سببه:" فإن قلت: مررتُ برجلٍ مخالطِه داء، وأردتَ معنى التنوين جرى على الأول،

(١) انظر: ابن السراج؛ الأصول في النحو ١٨١/٢.
(٢) من الطويل: للأخوص الرياحي؛ في الكتاب ١٦٥/١.
(٣) الرماني؛ شرح كتاب سيبويه؛ ص: ٨٦٢.
(٤) سيبويه؛ الكتاب ٣٤/٣.
(٥) سيبويه؛ الكتاب ٥٢/٣.

كأنك قلت: مررتُ برجل مخالطٍ إياه داء. فهذا تمثيل، وإن كان يقبحُ في الكلام"[1].

فسيبويه هنا يتحدث عن إعراب النعت السببي إذا التبس بضمير الموصوف، وأنه يجري على الأول في إعرابه كالمنون تقول:(مررت برجل مخالطه داء)، فـ(مخالطه) بالجر نعت لـ(رجل)، كما تقول: (مررت برجل مخالطٍ داء)، فتجريه على الأول في إعرابه، فقاس المضاف على المنون، ولذا افترض سيبويه أنك إذا قطعته عن الإضافة ونونته، فقلت: (برجل مخالطٍ إياه داء)، لجرى على الأول في إعرابه، فكذا يجري عليه إذا كان منونا.

ثم وصف هذا التمثيل الافتراضي بالقبح، وقبحه في أن التنوين في (مخالطٍ إياه داء) يؤدي إلى ترك الإضافة، وفيه طول، لما فيه من انفصال الضمير مع إمكان اتصاله، وهم يفرون مما فيه طول.

وما ذهب إليه سيبويه من جريان الثاني في الإعراب على الأول خلاف ما ذهب إليه عيسي بن عمر ويونس بن حبيب، في النعت المضاف إلى ضمير الموصوف–وإن كانوا متفقين في إجراء المنون– فعيسى بن عمر لا يجريه على الأول كالمنون، بل يلتزم رفعه على الابتداء سواء كان الوصف علاجا، نحو: كالضارب في: (مررت برجل ضاربه رجل)، أو غير علاج، كالمخالط في نحو: (مررت برجل مخالطه داء) – حالا كما مُثِّلَ، أو مستقبلا نحو (سأمر برجل ضاربه رجل)، وينصبه إذا كان غير علاج.

وأما يونس فيلتزم نصبه على الحال إذا كان حالا، ويرفعه على الابتداء إذا كان مستقبلا[2].

وسيبويه مع إجازته الجر في هذه الصفات على الإتباع لما قبله، لا يمنع أيضا ما ذهب إليه عيسى ويونس من الرفع والنصب، وإنما منع التزام النصب والرفع، والتفصيل الذي فصّلاه.

(١) سيبويه؛ الكتاب ١٩/٢.

(٢) انظر: أبا حيان؛ ارتشاف الضرب ١٩١٠/٤-١٩١١.

والقياس والسماع يعضدان ما ذهب إليه سيبويه، أما القياس: فَجَعْلُ المنون وغيره على حدّ واحد، فحال المضاف كحال المنون، فكما حملوه إذا كان الوصف للأول نحو: (مررت برجل قائم، وبرجل ضارب غلامه)، وهذا باتفاق، فكذلك ينبغي أن يكون في النعت السببي (مررت برجل مخالطه داء)[١].

وأما السماع فقوله:

ونظرْنَ من خَلَل الخدور بأعيُنٍ مَرضى مُخالطها السّقامُ صِحاحِ[٢]

بجر(مخالطها)، صفة لـ (أعين)، فأضاف اسم الفاعل وأجراه صفة للأول، والوصف (مخالطه)هنا لسبب الموصوف لا للموصوف؛ لما فيه من نيّة التنوين وإغفال الإضافة، ولذا جرى مجرى الفعل، ورفع ما بعده (السقام)، وهو وصف غير علاجي، ودال على الحال[٣].

سادسا- تمثيل غرضه نيابة شيء عن شيء.

من ذلك مثلا قوله: " وما جاء منه لا يَظهر له فِعلٌ فهو على هذا المثال نصب، كأنك جعلت (بهراً) بدلاً من (بَهَرَك اللهُ)، فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلَّم به"[٤].

إشارة سيبويه هنا إلى أن (بهرَك اللهَ) بنية عميقة لـ(بهرا) ثم تم تحويلها باستعمال المصدر (بهرًا) مناب الفعل، ولهذا اختُزل الفعل، ولا يجوز إظهاره، فهو من المصادر المنصوبة على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره، كما أنه مصدر لا يتصرف لملازمته النصب.

وتعبير سيبويه بـ(تمثيل ولا يتكلم به) يشير به إلى أمرين:

-أنه لا يُتكلم بفعل هذا المصدر؛ لأن هذا المصدر جاء بديلا عنه ونائبا وعوضا منه، فلا يجمع بينهما، وإنما لم يظهر الفعل هنا؛ لأن المصدر قام بوظيفة

(١) انظر: ناظر الجيش؛ تمهيد القواعد٧/٣٣٧٤.

(٢) من الكامل؛ لابن ميادة، في الكتاب٢/٢٠، وخزانة الادب٥/٢٤.

(٣) انظر؛ ابن السيرافي؛ شرح أبيات سيبويه ١/٣٦٩.

(٤) سيبويه؛ الكتاب ١/٣١٢.

مزدوجة، حيث دل على الحدث الذي يدل عليه الفعل، بالإضافة إلى قوته في التعبير عن الحدث، فهو أعمق وأبلغ في الدلالة على الحدث من الفعل، ولهذا فلا حاجة إلى إظهار الفعل.

– قد يكون مراد سيبويه بهذا التعبير أن هذا المصدر ليس له فعل مستعمل، فهو منصوب بفعل مهمل، ليس موضوعا في لسان العرب، ولهذا جيء بالمصدر بدلا عن الفعل، وهذا بناء على تفسير سيبويه له(١)، حيث فسّرها بمعنى: (تبًا، وتعسًا) في قول ابن ميادة:

تَفاقَدَ قومى إذ يَبيعون مُهجِتى ... بجارِية بَهْراً لهمْ بعدها بَهْرَا(٢).

أي: (تبًا وتعسًا)، فيكون من قبيل المصدر الذي لا فعل له.

وجعل ابن طاهر وابن عصفور (بهرا) هنا بمعنى غَلَبًا أو قَهْرًا(٣)، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا تحبّها قلت بهرا ... عدد الرّمل والحصا والتّراب(٤).

أي: غلبني حبها غَلْبةً، فيكون له فعل مستعمل.

سابعا– تمثيل غرضه تشبيه شيء بشيء.

مما ورد في باب المصادر المنصوبة بفعل لا يستعمل إظهاره قوله:" فـ(قِعْدَك الله) يَجرى هذا المجرى، وإن لم يكن له فِعْل، وكأن قوله: (عَمْرَك الله، وقِعْدَك الله)، بمنزلة (نَشْدَك الله)، وإن لم يُتكلَّم بـ(نَشْدَك الله)، ولكن زعم الخليل رحمه الله أنّ هذا تمثيلٌ يمثَّل به"(٥).

(عَمْرَك اللهَ) منصوب بفعل من لفظه، تقديره: (عمّرتك الله) بمنزلة (نشدتك

(١) سيبويه؛ الكتاب ٣١١/١.

(٢) من الطويل؛ لابن ميادة في الكتاب ٣١١/١.

(٣) انظر: أبا حيان؛ التذييل والتكميل في شرح التسهيل١٦١/٧، والسيوطي؛ همع الهوامع ١٠٥/٢.

(٤) من الخفيف؛ ديوانه ص: ٤٣١، والكتاب ٣١١/١.

(٥) سيبويه؛ الكتاب ٣٢٣/١.

الله نشدًا)، وأن (قِعْدَك) تجري هذا المجرى في نصبها بفعل مضمر، فهو مصدر وضع موضع الفعل، بمنزلة:(عمرك الله)، إلّا أنّ(عَمْرك) له فعل، و(قِعْدَك) لا فعل له، والمعنى: سألت الله تقعيدك، أي: حفظك، والقعيد الحافظ أو الحفيظ؛ كما في قوله تعالى: "عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ"(سورة ق : ١٧).

ومراد سيبويه بقوله:" وكأن قوله عَمْرَك الله وقِعْدَك الله بمنزلة نَشْدَك الله وإن لم يُتكلَّم بنَشْدَك الله، ولكن زعم الخليل رحمه الله أنّ هذا تمثيلٌ يمثَّل به" أنهما يستعملان في القسم كما يستعمل (نشدتك الله)، فهما من القسم غير الصريح[١]؛ لأنهما لم يوضعا للقسم، وإنما كُسيا معناه عند الاستعمال، فهما بمنزلة (نشدك الله) في معنى اليمين، وإن لم يتكلم بـ(نشدك الله)المصدر في القسم، كما تكلموا بـ(عمرك الله، وقعدك الله).

ومعنى (عمرك الله) في القسم واضح، كأنه قال: أقسم عليك بعمرك الله، أو بتعميرك الله، أي: بإقرارك له بالدوام والبقاء، أما معنى (قعدك الله) أو (قعيدك الله) أي: (الله مقاعدك، وملازمك، ورقيب عليك)، ثم جرى مجرى (عمرك الله) فَضُمِّن معنى القسم أحيانًا، فيكون حلفا، أو استحلافا بمراقبة الله له وملازمته إياه[٢]، وهذا معني قول سيبويه السابق: "فقِعْدَك الله يَجرى هذا المجرى وإن لم يكن له فِعْل".

ومن ذلك أيضا تشبيه (كذا)، و(كأين) في أنهما كنايتان عن العدد، ويعملان النصب فيما بعدهما، بمنزلة (كم) الاستفهامية، فيقول: " وقال الخليل: كأنهم قالوا: له كالعدد درهما، كالعدد من قرية، فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به"[٣].

ثامنا- تمثيل غرضه التنظير في المعنى والإعراب.

قد يكون الغرض من تعبيره بالتمثيل الذي لا يتكلم به التنظير به في معنى تركيب وإعرابه، كما في: "وزعم الخليل رحمه الله، حيث مثّلَ نَصْبَ وحدَه وخمستَهم،

(١) انظر: أبا حيان؛ التذييل والتكميل في شرح التسهيل ٣٣٢/١١، والسيوطي؛ همع الهوامع ٤٩٨/٢.

(٢) انظر: أبا حيان؛ ارتشاف الضرب؛٤/١٧٩٦، والسامرائي؛ معاني النحو٤/١٦٨.

(٣) سيبويه؛ الكتاب ١٧١/٢.

أنّه كقولك: أَفردتهم إفراداً. فهذا تمثيل، ولكنه لم يُستعمل في الكلام.

ومثل خمستَهم قول الشماخ:

أتتني سليم قضَّها بقضيضها ... تُمسِّح حولي بالبقيع سَبَالها[1].

كأَنّه قال: انقضاضَهم، "أي" انقضاضاً. ومررتُ بهم قضهم بقضيضهم، كأَنّه يقول: مررتُ بهم انقضاضاً. فهذا تمثيل وإن لم يُتكلَّم به، كما كان إفراداً تمثيلا"[2].

نقل سيبويه عن الخليل أن (وحده، وخمستهم، وقضّهم) أسماء وضعت موضع المصادر، وقد جاءت في موضع الحال ولفظها معرفة، على تأويلها بالنكرات، فإذا قلت: (مررت به وحده)، أي: أفردته بمروري إفرادا، فهو حال من الفاعل عنده، ونظير (وحده):(خمستهم) في وضعه موضع المصدر، ونصبه على الحال، حيث مثّله بـ (أفردته إفرادا)، وهو تمثيل لا يُتكلم به، الغرض منه إفادة (خمستهم) معنى المصدرية، والحالية.

وهذه لغة الحجازيين في نصب الأعداد المضافة إلى الضمير من (ثلاثتهم إلى عشرتهم) على الحال، لوقوعها موقع النكرة، وبنو تميم يعربونها توكيدا لما قبله، فإذا قلت: (مررت بالقوم خمستهم)، فحال عند الحجازيين وتوكيد عند التميميين[3].

والفرق بين النصب والإتباع في المعنى أنك إذا قلت: (مررت بالقوم خمستهم) فنصبت على الحال، حصل تقييد المرور بكونهم خمسة، فلا يجوز أن يكون مرّ بأكثر من خمسة، وإذا أتبعت جاز أن يكون مررت بغيرهم، وجاز أن يكون مررت بهم خاصة[4].

وقد بيّن سيبويه هذا الفرق، حيث قال: وزعم الخليل أنه إذا نصب (ثلاثتهم) فكأنه يقول: "مررت بهؤلاء فقط لم أجاوز هؤلاء، كما أنه إذا قال: (وحده) فإنّما يريد

(١) من الطويل؛ للشماخ بن ضرار، في ديوانه: ٢٩٠.

(٢) سيبويه؛ الكتاب ١/٣٧٤.

(٣) انظر: سيبويه؛ الكتاب ١/٣٧٣-٣٧٤.

(٤) انظر: المبرد؛ المقتضب٣/ ٢٣٩، وناظر الجيش؛ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائده/ ٢٢٦٣.

أن يقول: مررت به فقط لم أجاوزه، وزعم أن الذين يجرّون – يعني بني تميم – فكأنهم يريدون أن يعمّوا كقولهم: (مررت بهم كلّهم) أي: لم أدع منهم أحدا"(١).

ثم ذكر سيبويه أن مثل (خمستهم) (قضّهم) في جواز النصب على الحال والإتباع على التأكيد، وأنه اسم وضع موضع المصدر، فَأَوّل (قضهم) في معنى (انقضاض)؛ لأنه مشتق منه.

ومما يلحق بهذا التمثيل الذي غرضه التنظير في المعنى والإعراب أيضا قوله: " وتقول: لو أنه ذاهبٌ لكان خيراً له، فأنَّ مبنيَّة على لو كما كانت مبنيَّة على لولا، كأنك قلت: لو ذاك، ثم جعلت أنَّ وما بعدها في موضعه فهذا تمثيل، وإن كانوا لا يبنون على لو غير أنّ، كما كان (تسلم) في قولك: (بذي تسلم) في موضع اسم، ولكنَّهم لا يستعملون الاسم؛ لأنّهم مما يستغنون بالشيء عن الشيء حتَّى يكون المستغنى عنه مسقطاً"(٢).

فقد جعل سيبويه (أنّ) وما بعدها هنا في تأويل الاسم المرفوع على الابتداء، ونظّره بقوله:" كأنك قلت: لو ذاك"، ثم جعلتَ أنّ وما بعدها في موضع هذا الاسم المرفوع على الابتداء، وهذا (لو ذاك) تمثيل لا يُتكلم به؛ لاختصاص (لو) بالفعل، وعلى الرغم من اختصاصها بالدخول على الفعل، كاختصاص (إن) الشرطية، إلا أنه جعل(أنّ) ومعموليها مبتدأ؛ لانفراد (لو) عن (إن) الشرطية بمباشرة (أنّ)، خلافا لمن أعرب المصدر المؤول هنا فاعلا بفعل محذوف تقديره: لو ثبت؛ ليطّرد اختصاصها بالفعل(٣).

وما ذهب إليه سيبويه هو الأظهر؛ لأن الإضمار على خلاف الأصل، وقد يكون الشيء في موضع على حال، فيُخالف به في آخر عن تلك الحال إلى حال أخرى، ونظّر هذا الاختصاص والتفرّد بـ (غدوة) مع (لدن)، ولا ينصبون بعد (لدن) إلا (غدوة): وبـ(تسلم) في: اذهب بذي تسلم، فأضافوا إلى الفعل والمراد

(١) سيبويه؛ الكتاب ١/٣٧٣-٣٧٤.

(٢) سيبويه؛ الكتاب ٣/١٢١.

(٣) نُسب إلى المبرد والكوفيين وكثير من النحويين. انظر: المرادي؛ الجنى الداني/٢٧٩.

الاسم، لكنهم لا يستعملون مع (ذي) إلا الفعل، ولهذا نظائر، ف (أن) بعد (لو) من هذا القبيل[١].

ومما يلحق بذلك أيضا تنظيره حذف التنوين، وهو مُرادٌ، في قوله:" أيضا قوله: "لى عِشْرون مِثْلَه ومائةُ مثلِه، فأَجروا ذلك بمنزلة عشرين درهما ومائة درهمٍ. فالمِثْلُ وأخَواتُه كأَنّه كالذى حُذف منه التنوينُ فى قوله مِثْلٌ زيدا وقَيدٌ الأوابد. وهذا تمثيل"[٢].

أعرب سيبويه (مثل) فيما سبق تمييزا بمنزلة (درهم) في قوله: "عشرين درهما، ومائة درهمٍ"، لأنه نكرة، والإضافة فيه على نية الانفصال، فلم تعرّفه الإضافة لما تقدّر فيه من معنى التنوين، ولهذا قال سيبويه:(كأنه حذف منه التنوين في قولك: مثلٌ زيدًا، أو قيدٌ الأوابدَ)، وهذا تمثيل لا يُتكلم به، قصد به التنظير في إرادة الانفصال.

ومنع الكوفيون التمييز بها لإبهامها، فلا يبين بها[٣]، والصواب الجواز؛ لأن الإضافة بيّنت المراد، فالضمير في "مثله" يُعلم على من يعود، فكأنه قال: مما يبين لهذا الشخص، ولا شك أن في هذا إفادة[٤].

تاسعا– تمثيل غرضُه الحمل على المعنى في أصل التركيب.

من ذلك مثلا قوله:" وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ خلا زيدا، وأتاني القومُ عدا عمرا، كأنك قلت: جاوز بعضُهم زيدا. إلا أن خلا وعدا فيهما معنى الاستثناء، ولكني ذكرت (جاوز) لأمثل لك به، وإن كان لا يُستعمل في هذا الموضع"[٥].

ذكر سيبويه هنا استعمال (عدا، وخلا) في الاستثناء على ضرب من الحمل والتأويل؛ لأنهما في الأصل ليسا فعلي جحد ونفي؛ فيكون كالاستثناء في الخلاف الذي بين ما قبله وما بعده، وإنما دلّا على الاستثناء بضرب من التأويل والحمل على معنى المجاوزة؛ ومعناها: الخروج عن الشيء والتخليف له، "فلما لحقه معنى المفارقة والانفصال

(١) انظر: الشاطبي؛ المقاصد الشافية ١٨٥/٦.
(٢) سيبويه؛ الكتاب ٤٢٧/١.
(٣) انظر: السيوطي؛ همع الهوامع؛ ٣٣٧/٢.
(٤) انظر: أبا حيان؛ التذييل والتكميل؛ ٢١٨/٩.
(٥) سيبويه؛ الكتاب ٣٨٤/٢.

صار فيه معنى الخروج عن الشيء، فضمنوه ذلك، وأدخلوه في الاستثناء"[1].

فإذا قلت (قام القوم خلا زيدًا) فمعناه: (خلا بعضهم زيدًا)، أي: (جاوز بعضهم زيدًا)، فانظر كيف أرجع البنية السطحية (خلا زيدا) إلى بنية عميقة (خلا بعضهم زيدا) على تقدير المرفوع (بعضهم)، كما يقدر في الاستثناء بـ (ليس ولا يكون)، تقول: (حضر القوم ليس زيدا أو لا يكون زيدا)، أي: (ليس بعضهم ولا يكون بعضهم).

فاستعمال (عدا وخلا) في الاستثناء، حملا على معنى (جاوز)، وبرغم أن(جاوز) أبين وأجلى في معنى المخالفة والمفارقة، إلا أنه لم يستثن بها، وهذا معنى قول سيبويه:" ولكني ذكرت جاوز لأمثل لك به، وإن كان لا يُستعمل في هذا الموضع"، فاللفظان قد يجتمعان في معنى، ويختص أحدهما بموضع لا يشاركه فيه الآخر؛ كالعُمر والعَمر في البقاء، ثم يختصّ العَمر-بالفتح- باليمين. وله نظائر كثيرة تجري هذا المجرى[2].

عاشرا- تمثيل غرضه بيان ما يحتمله التركيب من أوجه الإعراب، واختيار أقواها.

ومن ذلك مثلا قوله:" وبعض العرب يقول: (هو لك الجماء الغفير) يرفع كما يرفع (الخالص)، والنصبُ أكثر، لأن (الجمّاء الغفير) بمنزلة المصدر، فكأنه قال: (هو لك خُلوصاً). فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلم به"[3].

هذا النص لسيبويه ورد في باب ترجم له بقوله:" هذا باب ما ينتصب فيه الخبر"، وفكرته تقوم على أنه إذا وجد اسم مخبر عنه مع ظرف أو جار ومجرور، وقد صحبهما اسم آخر، وتمت الفائدة مع الظرف أو المجرور، جاز نصب هذا الاسم على الحالية، وجعل المستقر في الظرف هو الخبر، وإن لم تتم الفائدة بالظرف، جاز رفعه على الخبرية، وجعل الظرف لغوا، ومثّل له سيبويه بـ (هو لك خالصا ، وخالص، وفيها

(١) انظر: أبا حيان؛ التذييل والتكميل في شرح التسهيل ٣١١/٨.
(٢) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب ٩٧/٣.
(٣) سيبويه؛ الكتاب ٩١/٢.

عبد الله قائما ، وقائم) ثم ذكر أن (هو الجماء الغفير) من هذا القبيل، فبعض العرب يرفع (الجماء) فيجعلها الخبر، كما (في هو لك خالص)، والأكثر النصب على الحال، لأن (الجماء) اسم بمنزلة المصدر، والنصب في المصدر على الحال أكثر من الرفع، ونظّر كونها اسما وضع موضع المصدر بـ (خلوص) الموضوعة موضع (خالص) فإذا قلت: هو لك خالصا، كأنك قلت: هو لك خلوصا، لكنه تمثيل لا يتكلم به، لأنهم لم يتكلموا بـ(هو لك خلوصا) المصدر، وإنما تكلموا بالوصف(خالصا).

حادي عشر– تمثيل غرضه بيان متعلَّقات التركيب.

قد يكون الغرض من تعبيره بتمثيل لا يتكلم به تفسير بعض متعلقات التركيب، كما في باب الاشتغال، من ذلك مثلا قوله:" وتقول: (أَعبدُ الله ضرب أخوه غلامَه) إذا جعلت الغلامَ في موضع (زيد) حين قلت: (أعبدُ الله ضرب أخوه زيدا)، فيصيرُ هذا تفسيرا لشيء رَفَعَ عبدَ الله؛ لأنّه يكون مُوقِعا الفعلَ بما يكون من سببه كما يوقِعُه بما ليس من سببه، كأنّه قال في التمثيل وإن كان لا يُتكلَّمُ به: (أَعبدُ الله أَهانَ غلامَه أو عاقبَ غلامَه)، أو صار في هذه الحال عند السائل وإن لم يكن، ثُم فسَّر"[1].

فالاسم المتقدم الواقع بعد همزة الاستفهام في بعض تراكيب الاشتغال إذا عاد عليه ضميران مختلفان، أحدهما مُلتَبس بسبب الاسم المتقدم المرفوع ، والآخر مُلْتَبس بسببه المنصوب، نحو : أعبد الله ضرب أخوه غلامه، فقد عاد على (عبد الله) ضميران، أحدهما ملتبس بمرفوع وهو (أخوه) ،والآخر ملتبس بمنصوب (غلامه)، فإذا راعينا سببه المرفوع (أخوه) رفعنا المتقدم على الابتداء أو فاعل لفعل يفسره المذكور، وجُعل المنصوب كالأجنبي لأن الذي من سبب (عبد الله) فاعل والذي ليس من سببه مفعول فيرفع إذا ارتفع الذي من سببه كما ينصب إذا انتصب، فإنما جعل هذا المضمر بيان ما هو مثله، كأنك قلت : أعبد الله أهان غلامه، أي هو ، والمعلوم أنه إذا كان العائد على الاسم ضمير رفعٍ رُفِعَ الاسم المتقدم، فيصيرُ هذا تفسيرا لشيء رَفَعَ (عبدَ الله) لأنّه يكون مُوقِعا الفعلَ بما يكون

(١) سيبويه؛ الكتاب ١٠٣/١.

من سببه كما يوقِعُه بما ليس من سببه.

وقول سيبويه: "كأنه قال في التمثيل- وإن كان لا يتكلم به- " أعبد الله أهان غلامه، أو عاقب غلامه".

يريد: وإن كان لا يتكلم به في هذا المعنى الذي ذكره، وهو قولك: " أعبد الله ضرب أخوه غلامه "، وإنما جعله توضيحًا لتقدير الرفع في " عبد الله " في هذا الكلام، ولا يؤدي عن معناه بعينه(١).

وإذا روعي الضمير السبب المنصوب(غلامه) نصب الاسم المتقدم، كأنك قلت: أعبد الله ضرب أخاه غلامُه، فجعلت غلامه فاعلا وأخاه مفعولا، كأنه جعله تفسيراً لفعلٍ غلامُهُ أوقعَهُ عليه، لأنّه قد يوقع الفعلَ عليه ما هو من سببه كما يوقِعُه هو على ما هو من سببه.

ثاني عشر- تفسير تعدية الفعل.

قد يكون الغرض من التعبير بـ(تمثيل لا يتكلم به) تفسير التعدية في الفعل، أو التنظير به في تعدية فعل بآخر، من ذلك قوله:" وعلى ذلك دَفعتُ الناسَ بعضَهم ببعضٍ، على قولك: دَفَعَ الناسُ بعضُهم بعضاً. ودخولُ الباء ههنا بمنزلة قولك: ألزمتُ، كأنَّك قلت في التمثيل: أَدْفَعْتُ، كما أنكَ تقول: ذهبتَ به " من عندنا " وأَذهبتَه من عندنا، وأخرجتَه " معك " وخرجتَ به معك"(٢).

وضح سيبويه أن الباء تقوم في تعدية الفعل مقام الهمزة، وأن الفعل (دفع) هنا تعدي إلى نصب المفعول الثاني (ببعض)بالباء، وأنها بمنزلة الهمزة،كأنك قلت : أدفعت- لكن لا يتكلم به بالهمزة؛ لأنه لم يُسمع عنهم.

والفرق بينهما في التعدية أن "أصل التعدية بالباء أن يكون ذلك في الفعل اللازم: نحو: (ذهبت به)، فإذا كان متعديا فقياسه أن يُعَدَّى بالهمزة، تقول: طَعِمَ زيد

(١) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب ٤١٦/١.

(٢) سيبويه، الكتاب١٥٣/١.

اللحم، ثم تقول أطعمت زيدا اللحم"[١].

وتفسير سيبويه (دَفعتُ الناسَ بعضَهم ببعضٍ، على قولك: دَفَعَ الناسُ بعضُهم بعضاً.) يجعل المنصوب هنا مفعولا به في اللفظ فاعلا من جهة المعنى.

ولا يبعد في قولك: دَفعتُ الناسَ بعضَهم ببعضٍ، أن يكون المعنى: دفعت بعض الناس ببعض، فتكون الباء للآلة، أي: للاستعانة، بمعنى: استعنت في دفع بعض الناس ببعض، فلا يكون المجرور بها مفعولا به في المعنى، بل الذي يكون مفعولا به هو المنصوب، إلا إذا كانت نسبة الفعل إليها على سبيل المجاز، كما أنك تقول في: كتبت بالقلم، كتبت القلم[٢].

ثالث عشر– التنظير بالتصغير في عدم الحذف من بنية الكلمة.

قد يكون الغرض من تعبيره بتمثيل لا يتكلم به التنظير في عدم الحذف من بنية الكلمة، من ذلك مثلا قوله:" فأما بنات الأربعة فكل شيء جاء منه على مثال سفرجل فهو ملحق ببنات الخمسة؛ لأنك لو أكرهتها حتى تكون فعلا لاتفقا، وإن كان الفعل لا تكون بنات الخمسة، ولكنه تمثيل كما مثّلتُ في باب التحقير"[٣].

فمراد سيبويه أنك لو بنيت فعلا من بنات الخمسة(سفرجل) لما حذفت منه شيئا، قلت: سَفَرْجَلَ يسفرجل تشبهه بـ(تدحرج يتدحرج)، مع أنه لا يبني فعل من بنات الخمسة، ولذلك عبر عن افتراض ذلك بالإكراه، فيكون حاله في عدم الحذف بحال الاسم (سفرجل) في التصغير والتكسير، فكما تقول في التصغير سفيرجل، وفي الجمع سفارجل، تشبيها بصناديق وصنيديق، فكذلك لو اشتققت من (سفرجل) وما ألحق به نحو: (حبوكر) فعلا لقلت: سفرجلت، وحبوكرت، من غير حذف، وهذا افتراض لا يتكلم به[٤].

(١) انظر: أبا حيان، البحر المحيط٢/٥٩٥.

(٢) السابق.

(٣) سيبويه؛ الكتاب ٤/٢٩٠.

(٤) انظر: السيرافي؛ شرح الكتاب٥/١٨٨، والفارسي؛ التعليقة٤/٢٩٦.

خاتمة البحث.

في نهاية هذه الدراسة نقف على أهم النتائج، التي منها:

١-تفترض النظرية التحويلية ثنائية لغوية للتركيب صورة ذهنية في ذهن المتكلم، غير منطوقة يعبر عنها بالنية العميقة، وهي قائمة على افتراضات أولية لتشكّل التركيب، فيه إعمال للفكر والحدس والتخمين، وصورة منطوقة، وهو ما آل إليه التركيب، يعبر عنها بالبنية السطحية.

٢-يتم تحويل التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال سلسلة من القواعد التحويلية، كالحذف، والاختصار، والتعويض، والتوسع، والزيادة، وإعادة الترتيب.

٣-أهم سمات البنية السطحية الإيجاز والاختصار والسهولة واليسر والوضوح، بينما سمات البنية العميقة تكمن في أنها تفسير للبنية السطحية، فهي تعتمد على المعنى دون اللفظ، كما أنها تختلف من تصوّرٍ إلى تصور، فليس لها شكل محدّد.

٤-مظاهر البنية العميقة وقواعد تحويلها تنبه إليها النحاة العرب، ولا سيما سيبويه، وسبقوا به غيرهم، وتحدثوا عنها في كتبهم، ومن معينهم استقى الغرب نظرياتهم.

٥-مفهوم (تمثيل لا يتكلم به) في كتاب سيبويه جزء من آليات التفسير -التي استقى طرفها من شيخه الخليل- لبيان الأصل البنيوي أو الدلالي للتركيب، فهو يمثل جانبا من جوانب التحليل النحوي لديه، الهدف منه بيان أصل التركيب للوصول إلى ما طرأ على هذا الأصل من تغييرات، وهذا له صلة بالبنية العميقة، فهو يقوم على إرجاع التركيب إلى حالة سابقة غير متكلَّمٍ بها، متقارَبٍ بينها، وهو المستوى الافتراضي الذي يصوغ فيه سيبويه تركيبا غير مستعمل، هو الأصل، ويكون التركيب موضع الدراسة فرعا عنه لخضوعه لما يطرأ عليه من تحويلات.

٦- بالنظر في مواضع هذا التعبير، نجد أن سياقاته متعددة، تبعا للتحليل الذي ارتبط به، فقد يأتي في سياق بيان معنى التركيب بتقريبه لتركيب آخر، أو الإشارة به إلى تقدير العامل، أو بيان علة ما، أو الإشارة إلى استقامة التركيب وتصحيحه، أو الإشارة به إلى قبح المستوى الافتراضي الأصلي للتركيب، أو نيابة شيء مناب شيء، أو تشبيه شيء بشيء في الاستعمال، أو التنظير في المعنى والإعراب، أو الحمل على المعنى في أصل التركيب، أو بيان ما يحتمله التركيب من أوجه الإعراب واختيار أقواها، أو بيان متعلقات التركيب، أو تفسير تعدية الفعل، أو التنظير ببنية أخرى في عدم الحذف من الكلمة.

المصادر والمراجع:

الأسدي، حسن عبد الغني جواد. (٢٠٠٧). **مفهوم الجملة عند سيبويه**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٣م). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** (ط١). (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (١٩٩٧ م). **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. (ط٤). (تحقيق عبد السلام هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي.

جاد الكريم، عبد الله أحمد. **البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب**؛ شبكة الألوكة. أضيفت بتاريخ ٢٠١٥/٩/٢. من موقع: https://www.alukah.net/library/0/91248.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٣٧٩هـ). **الخصائص**. (تحقيق محمد على النجار). القاهرة: المكتبة العلمية.

المنصف شرح كتاب التصريف. (١٣٧٣هـ). (ط١)، (تحقيق إبراهيم مصطفي، عبد الله أمين). القاهرة: دار إحياء التراث القديم.

ابن الحاجب، عثمان بن عمر (١٤٣١هـ). **الإيضاح في شرح المفصل**. (ط ٢). (تحقيق إبراهيم محمد عبد الله). دمشق: دار سعد الدين.

أبو حيان، محمد بن يوسف (١٤١٨ هـ). **ارتشاف الضرب من لسان العرب**. (ط ١). (تحقيق رجب عثمان محمد). القاهرة: مكتبة الخانجي.

البحر المحيط في التفسير (١٤٢٠ هـ). (تحقيق صدقي محمد جميل). بيروت: دار الفكر.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. (١٤٤٠هـ) (ط ١). (تحقيق حسن هنداوي). دمشق: دار كنوز إشبيليا.

الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن (١٤٠٥هـ). **الجمل في النحو (المنسوب إليه)**. (ط

١). (تحقيق فخر الدين قباوة). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزمخشري، أبو القاسم. (١٩٩٣م). **المفصل في صنعة الإعراب**. (ط ١). (تحقيق علي بو ملحم). بيروت: مكتبة الهلال.

السامرائي، إبراهيم. (١٤١٨هـ). **النحو العربي نقد وبناء**. (ط١). الأردن: دار عمار.

السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٠ م). **معاني النحو**. (ط ١). الأردن: دار الفكر.

ابن السراج، أبو بكر محمد. **الأصول في النحو**. (ط ١). (تحقيق عبد الحسين الفتلي). بيروت: مؤسسة الرسالة.

سيبويه؛ عمرو بن عثمان. (١٤٠٨هـ). **الكتاب**. (ط ٣). (تحقيق عبد السلام هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن السيرافي، يوسف بن أبي سعيد. (١٣٩٤هـ). **شرح أبيات سيبويه**. (تحقيق محمد علي الريح). القاهرة: دار الفكر.

السيرافي، أبو سعيد. (٢٠٠٨ م). **شرح كتاب سيبويه**. (ط ١). (تحقيق أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. (تحقيق عبد الحميد هنداوي). القاهرة: المكتبة التوفيقية.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى (١٤٢٨ هـ). **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**. (ط ١). (تحقيق د محمد إبراهيم البنا، وآخرين). أم القرى: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي.

ابن الصائغ، محمد بن حسن. (١٤٢٤هـ). **اللمحة في شرح الملحة**. (ط ١). (تحقيق إبراهيم سالم الصاعدي). المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

عبد اللطيف، محمد حماسة. (١٤٢٠هـ). **النحو والدلالة**. (ط ١). القاهرة: دار الشروق.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق. (١٤٢٢ هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (ط ا). (تحقيق عبد السلام عبد الشافي). بيروت: دار الكتب العلمية.

العكبري، أبو البقاء (١٤١٦هـ). **اللباب في علل البناء والإعراب**. (ط ١). تحقيق (عبد الإله النبهان). دمشق: دار الفكر.

العطرة، دلال. (٢٠١٩). **البنية العميقة والبنية السطحية وأثرهما في تعليمية اللغة العربية تلميذ سنة أولى ابتدائي – أنموذجا**. متطلب تكميلي لنيل شهادة الماجستر، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

البيومي، على رمضان (٢٠١٨). **التركيب اللغوي بين الاستقامة والإحالة دراسة في النحو والدلالة**. مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. السعودية. المجلد٢٠، العدد (٢) (٩١-١٧٩).

الغامدي، محمد سعيد صالح. (١٤١٩هـ). **اعتراضات ابن يعيش على آراء الزمخشري**. رسالة دكتوراة غير منشورة. كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الفارسي؛ الحسن بن أحمد (١٤١٠هـ). **التعليقة على كتاب سيبويه**. (ط ١). (تحقيق عوض القوزي). القاهرة: مطبعة الأمانة.

مؤمن، أحمد. (٢٠١٥). **اللسانيات النشأة والتطور**. (ط٥). القاهرة: ديوان المطبوعات الجامعية.

ابن مالك، محمد بن عبد الله (١٤١٠هـ). **شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**. (ط١). (تحقيق عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون). القاهرة: دار هجر.

المبرد، محمد بن يزيد. **المقتضب**(١٤١٥هـ). (تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة). القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

أبو المكارم، على (٢٠٠٨). **الحذف والتقدير في النحو العربي**. (ط١). القاهرة: دار غريب.

ناصر العريفي، سيف بن عبد الرحمن. (١٤١٨ هـ) **تحقيق شرح الرماني على كتاب**

سيبويه (من باب الندبة إلى نهاية باب الأفعال). رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

ناظر الجيش، محمد بن يوسف (١٤٢٨ هـ). **شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**. (ط١). (تحقيق علي محمد فاخر وآخرين). القاهرة: دار السلام.

النوري، عبد الحميد (١٤٣٦هـ). **مقولة الأصل والفرع في النحو العربي**. مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية؛ العدد (٦) (٥١٦-٥٤٢).

ابن الوراق، محمد بن عبد الله. (١٤٢٠ هـ). علل **النحو**. (ط ١). (تحقيق محمود جاسم). الرياض: مكتبة الرشد.

ياقوت، محمود سليمان. **التراكيب غير الصحيحة نحويا في كتاب سيبويه**. (ط٢). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

ابن يعيش، علي بن يعيش(١٤٢٢هـ). **شرح المفصل**. (ط١). (تقديم إميل بديع يعقوب). بيروت: دار الكتب العلمية.

Bibliography

Al-Asadī, Ḥasan ʿAbd al-Ghani Jawād. (2007). **Mafhūm al-Jumla ʿenda Sībawaih**. (1st edition). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Anbārī, ʿAbd al-Raḥmān bin Muhammad. (2003). **Al-Inṣāf fī Masāʾil al-Khilāf bayna al-Naḥwiyīn al-Basriyīn wa al-Kufiyīn.** (1st edition). (Investigated by: Muhammad Muḥyi al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd). Beirut: al-Maktaba al-ʿAṣriyya.

Al-Baghdadī, ʿAbd al-Qādir bin ʿAmr. (1997). **Khizanat al-Adab wa Lub Lubāb Lisān al-ʿArab**. (4th edition). (Investigated by: ʿAbd al-Salām Ḥaroun). Cairo: Maktabat al-Khanji.

Jād al-Karim, ʿAbdullāh Aḥmad. **Al-Binya al-ʿAmīqa wa Makānatuha ladā al-Nuḥāt al-ʿArab**; al-Alouka website. Added on 2/9/2015: https://www.alukah.net/library/0/91248.

Ibn Jinnī, Abu al-Fath ʿUthmān. (1379). **Al-Khaṣāʾiṣ**. (Investigated by: Muhammad ʿAlā al-Najjār). Cairo: al-Maktaba al-ʿIlmiyyah.

- **al-Munṣif Sharḥ Kitāb al-Tasrīf.** (1373). (1st edition), (Investigated by: 'Ibrahim Mustafi, ʿAbdullāh Amīn). Cairo: Dār Iḥyā al-Turāth al-Qadīm.

Ibn al-Ḥājib, ʿUthmān bin ʿAmr (1431). **Al-Īḍāḥ fi Sharḥ al-Muffaṣal** (2nd edition). (Investigated by: Ibrahim Muhammad ʿAbdullah) Damascus: Dār Saʿd al-Dīn.

Abu Ḥayān; Muhammad bin Yousuf. (1418) **Irtishāf al-Ḍarrb min Lisān al-ʿArab.** (1st edition). (Investigated by: Rajab ʿUthman Muhammad) Cairo: Maktabat al-Khanji.

- **al-Baḥr al-Muḥīṭ fi al-Tafsir** (1420). (Investigated by: Ṣidqi Muhammad Jamīl). Beirut: Dār al-Fikr.
- **al-Tadhyīl wa al-Takmīl fi Sharḥ Kitāb al-Tashīl** (1440) (1st edition). (Investigated by: Ḥasan Ḥindāwī). Damascus: Dār Kunouz Ishbīliya.

Al-Khalīl bin Ahmad, Abu ʿAbd al-Rahmān (1405 AH) al-**Jumal fi al-Naḥw (al-Mansoub ilayhi)** (1st edition). (Investigated by: Fakhr al-Dīn Qabāwa). Beirut: Muʾasasat al-Risāla.

Al-Zamakhshari, Abu al-Qāsim (1993). **Al-Mufaṣṣal fī Ṣanāʿat al-Iʿrāb** (1st edition) (Investigated by: ʿAli Bou Mulham). Beirut: Maktabat al-Hilal.

Al-Sāmurāʾī, 'Ibrahim (1418), **al-Naḥw al-ʿArabi Naqd wa Binā**ʾ (1st edition) Jordan: Dār ʿAmmār.

Al-Sāmurāʾī, Fāḍil Ṣaleḥ (2000). **Maʿāni al-Naḥw** (1st edition). Jordan: Dār al-Fikr.

Ibn al-Sarrāaj, Abu Bakr Muhammad. **Al-ʾUṣūl fi al-Naḥw** (1st edition). (Investigated by: ʿAbd al-Ḥusain al-Fatli). Beirut: Muasasat al-Risala.

Sībawaih; ʿAmru bin ʿUthman (1408 AH). **Al-Kitāb**. (3rd edition). (Investigated by: ʿAbd al-Salām Haroun). Cairo: Maktabat al-Khanji

Ibn al-Sīrāfī, Yousuf bin Abi Saʿīd.(1394 AH). **Sharḥ Abyāt Sībawaih**. (Investigated by: Muhammad ʿAli al-Rīḥ). Cairo: Dār al-Fikr.

Al-Sīrāfī, Abi Saʿīd. (2008). **Sharḥ Kitāb Sībawaih**. (1st edition). (Investigated by: Ahmad Ḥasan Mahdili, ʿAli Sayyid ʿAli). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Suyouṭi, Jalāl al-Dīn. **Hamʿu al-Hawāmiʿ fi Sharḥ Jāmiʿ al-Jawāmiʿ**. (Investigated by: ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwi). Cairo: al-Maktabat al-Tawfiqiyya.

Al-Shātibī, 'Ibrahim bin Musa (1428 AH). **Al-Maqāsid al-Shāfiya fi Sharḥ al-Khulāṣa al-Kāfiyya**. (1st edition). (Investigated by: Muhammad Ibrahim al-Bana and others). Umm al-Qurā: institute of scientific researches and revival of the Islamic heritage.

Ibn al-Ṣāʾigh, Muhammad bin Ḥasan. (1424 AH). **Al-Lumḥa fi Sharḥ al-Mulḥa**. (1st edition). (Investigated by: Ibrahim Sālim al-Ṣāʾidī). Al-Madinah al-Munawara: deanship of scientific research at Islamic University.

ʿAbd al-Latīf, Muhammad Ḥamāsa. (1420 AH). **Al-Nahw wa al-Dalāla**. (1st edition). Cairo: Dār al-Shurouq.

Ibn ʿAṭiyya, Abu Muhammad ʿAbd al-Ḥaq. (1422 AH). **Al-Muhararr al-Wajīz fi Tafsir al-Kitāb al-ʿAziz**. (1st edition). (Investigated by: ʿAbd al-Salam ʿAbd al-Shāfi). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-ʿUkbari, Abu al-Baqāʾ (1416 AH). **Al-Lubab fi ʿIlal al-Binā wa al-Iʿrāb**. (1st edition). Investigated by: ʿAbd al-Ilāh al-Nabhān). Damascus: Dār al-Fikr.

Al-ʿIṭra, Dalāl (2019). The deep structure and the superficial structure and their impact on the teaching of the Arabic language for a first-year primary student - as a model. (in Arabic) A supplementary requirement to obtain a master's degree, Faculty of Arts, University of Mohamed Khider, Algeria.

Al-Bayoumī, ʿAli Ramaḍān (2018). **Al-Tarkīb al-Lughawī bayna al-Istiqāma wa al-Iḥāla Dirāsa fi al-Naḥw wa al-Dilāla.** Journal of Linguistics Studies, King Faisal Center for Research and Islamic Studies. Saudi Arabia. Volume 20, Issue (2) (91-179).

Al-Ghamidi, Muhammad Saʿīd Ṣāleh. (1419 AH). **Iʿtirāḍāt Ibn Yaʿīsh ʿalā Ārā al-Zamakhshari.** Unpublished Ph.D. dissertation. College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

Al-Fārisī, al-Ḥasan bin Ahmad (1410 AH). **Al-Taʿlīqa ʿalā Kitābi Sībawaih** (1st edition). (Investigated by: ʿIwaḍ al-Qawzi). Cairo: Matbaʿat al-Amāna.

Muʾmin, Ahmad. (2015). **Al-Lisāniyyāt al-Nashʾah wa al-Taṭawwur**. (5th edition). Cairo: Diwan al-Matbouʿāt al-Jāmiʿiya.

Ibn Mālik, Muhammad bin ʿAbdillāh (1410 AH). **Sharḥ Tashīl al-Fawāʾid wa Takmīl al-Maqāṣid**. (1st edition). (Investigated by: ʿAbd al-Rahman al-Sayyid, Muhammad Badawi al-Makhtoun). Cairo: Dār Hijr.

Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazīd. **Al-Muqtaḍab** (1415 AH). (Investigated by: Muhammad ʿAbd al-Khaliq ʿUẓaima). Cairo: the supreme council for Islamic affairs.

Abu al-Makārim, ʿAli (2008). **Al-Ḥadhf wa al-Taqdīr fi al-Naḥw al-ʿArabi**. (1st edition). Cairo: Dār Gharib.

Nāṣir al-ʿArīfī, Saif bin ʿAbd al-Rahman. (1418 AH) **Ta hqīq Sharḥ al-Rumānī ʿalā Kitāb Sībawaih (min Bāb al-Nudba ilā Nihāyat Bāb al-Afʿāl)**. Unpublished Ph.D. dissertation. Imam Muhammad bin Saud University, Riyadh.

Nāẓir al-Jaish, Muhammad bin Yousuf (1428 AH). **Sharh al-Tashīl al-Musammā Tamhīd al-Qawāʿid be Sharḥ Tashīl al-Fawāʾid**. (1st edition). (Investigated by: ʿAli Muhammad Fākhir and others). Cairo: Dār al-Salam.

Al-Nawrī, ʿAbd al-Ḥamīd (1436 AH). **Maqoulat al-Aṣl wa al-Farʿi fi al-Nahw al-ʿArabī**. The Arabic Language Academy on the World Wide Web; Issue (6) (516-542).

Ibn al-Warrāq, Muhammad bin ʿAbdullah. (1420 AH). **ʿIlal al-Nahwu**. (1st edition). (Investigated by: Mahmud Jāsim). Riyadh: Maktabat al-Rushd.

Yāqout, Mahmoud Sulaiman. **Al-Tarākīb Ghayr al-Ṣaḥīḥa Nahwiyyan fi Kitāb Sībawaih**. (2nd edition). Alexandria: Dār al-Maʿrifa al-Jāmiʿiya.

Ibn Yaʿish, ʿAli bin Yaʿish (1422 AH). **Sharḥ al-Mufaṣṣal** (1st edition) (Forward by: Email Badīʿ Yaʿqoub). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

تَشْظِيَةُ اللُّغَةِ
(بحثٌ في الفكرِ اللُّغويّ ونقدِ الْمَنهج)

Fragmentation of language
(Research in linguistic Thought and Criticism of the Curriculum)

أ.د. عبد العزيز بن سالم الصَّاعديّ

الأستاذ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: abdalazizalsadi@hotmail.com

المستخلص

موضوع البحث: تشظية اللغة في ضوء الفكر اللغوي ونقد المنهج اللغوي السائد في تحصيل اللغة وإيعابها في المستهدفين.

أهدافه: نقد تشظية اللغة، وتقديم موازنة بين منهج القدامى والمحدثين في دراستها، وتجلية أسباب التشظية وثمراتها الْمُرَّة، وتلمس الحلول لهذه المشكلة.

منهجه: المنهج الوصفي بمسحة نقدية ذات نبرة عالية في نقد الواقع والمنهج السائد.

ومن نتائج البحث: تشظيةُ اللغة قصورٌ فكريٌّ وخللٌ منهجيٌّ، يخالف طبيعة اللغة، والتكامل اللغوي يُعدُّ مسايرةً لطبيعتها، وأنَّ دراسة (اللُّغة) يُعَدُّ وسيلةً لدراسة العلوم النَّظرية وعلى رأسها علوم الشَّريعة، والربط بين اللغة ونصوصها لازم حتمًا.

ومن توصياته: دعوة إلى الموازنة بين تطبيق القدامى في دراسة اللغة فكرًا ومنهجًا، وتدريس اللغة في كليات الألسن المعاصرة، وسدّ الخلل المنهجي والفكري في إيعاب اللغة في دارسيها، وترسُّم الفكر السليم الذي طبَّقوه ووصلوا إلى المعادلة المتوازنة في تحصيل اللغة مَلَكَةً وصنعةً؛ لانطلاقهم من رؤية صحيحة وفكر سديد ومنهج متكامل رشيد يراعي بنائية اللغة وتكاملها، وتتطابق فيه دراستها مع ممارستها.

الكلمات الدالة (المفتاحية): (تشظية اللغة، تكامل اللغة، الفكر اللغوي، المنهج، الإجراء اللغوي، الصنعة، الْمَلَكَة).

Abstract

Research Subject: Fragmentation of language in light of linguistic thought and criticism of prevailing linguistic approach in language acquisition and its distortion among the targets.

Its Objectives: To criticize the fragmentation of the language, present a balance between the method of the ancients and moderns in studying it, clarify the causes of fragmentation and its bitter fruits, and finding solutions to this problem.

Approach: Descriptive Approach with a critical tinge with a high tone in criticizing the reality and the prevailing Approach.

Findings of the Research: Fragmentation of language is an intellectual shortcoming and a methodological defect that contradicts the nature of language, linguistic integration is considered to be in keeping with its nature, and that the study of (language) is a means to study the theoretical sciences, especially Sharia sciences, and the link between language and its texts is Imperative.

Recommendations: a call for a balance between application of the ancients in the study of language in thought and approach, and teaching of language in contemporary colleges of linguistics, to bridge the methodological and intellectual defects in language defects in its students, to draw sound thought that they applied and reached a balanced equation in acquisition of language in terms of skill; Because they set out from a correct vision, sound thought, a rational integrated approach that takes into account the structure and integration of the language, in which its study matches its practice .

Keywords: (language Fragmentation, Language Integration, Linguistic Thought, Method, Linguistic Procedure, Skills, Acquisition).

الْمُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعدُ:

فتشظية اللغة وتفتيتها إلى مستويات متنافرة ومزاحمة الأساليب بفروع الصنعة قضيةٌ فكريةٌ منهجيةٌ، الخلل يبدأ فيها من التصور والتطبيق، والإصلاح يبدأ أيضًا من هناك، وذلك بتصحيح التصورات المشوهة ومراجعة التطبيقات الخاطئة، فنحن إذًا بحاجة ملحة إلى تصور تام مكتمل ومنهج سديد منضبط لإعادة الأمور إلى نصابها.

وهي في صلبها قضية نقديةٌ لما هو سائد في تعلُّم العربية وتعليمها، تُشخِّص الواقع الذي تعيشه كليات الألسن العربية وتقوم بنقده؛ بغية إصلاحه، وتجاوز أخطائه؛ لأنه واقعٌ مؤلمٌ ومعاضل؛ حيث إننا نرتكب جرمًا كبيرًا في حقّ اللغة عندما نُشَظِّيها ونمزعها أشلاءً، ونجزّئها إلى مستوياتٍ يُعزَل كلّ مستوى منها عن الآخر، فلا علاقةَ لصوتها ببنيتها، ولا لتراكيبها بدلالاتها، **"متوهمين أنَّ العلمَ الحقيقيَّ يكمن في التعرُّف على الجزئيات وحدها دون ربط لشذراتها، أو فهم لعلاقاتها ببعضها، وليس هذا ضربًا من الفساد في الرؤية والتناول فقط، بل هو ضربٌ من قصور التفكير، وهو أمر لا بد أن يُسلِمَ إلى انعدام القدرة على الإدراك الصحيح والفهم السوي"**[(١)].

فتشظية اللغة مضادٌّ للفكر اللغوي السَّليم، ومخالف للمنهج الذي ينبغي أن يُتَّبَعَ في دراستها وتعلُّمها وتعليمها وغرسها في اللِّسان، وفي الفكر، وفي اليد، وكذلك في قرائح الناشئة.

---

(١) علي أبو المكارم، **التعليم والعربية "رؤية من قريب"** (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨)، ص.٢١.

نعم لابد من تقسيم الموضوعات والقضايا اللغوية عبر الوقفات التعليمية والتدرج في ذلك، فليس في هذا خلاف ولا إشكال؛ فهو أمرٌ بدهي، ولكن يجب أن يتم ذلك عبر استصحابٍ لمنظومة اللغة التكاملية وإيعابها بكمالها في عقول المتلقين بدلاً من تشظيتها التي ألفناها، وتناسينا ذلك الاستصحاب للتكامل اللغوي حتى نسيناه، ولم نعد قادرين عليه بالربط بين قواعد اللغة ونصوصها، ولذا فاتنا انتظامها في منظومةٍ موحّدةٍ متّسقةٍ في العقول والألسنة والأيدي.

فتشظية اللغة إلى مستويات معزولة عن بعضها لا شك أنه عيبٌ منهجيٌّ وفكريٌّ خطيرٌ في الدراسة المعاصرة للغة، بل وصلنا إلى مرحلة طمسه من قاموس عيوبنا، فغدونا لا يعيب بعضُنا بعضًا بأنه لا يقيم لسانه وقلمه إن نطق أو كتب، أو لا يعرف شيئًا في جوانب البلاغة أو تذوق الأدب والشعر، أو لا يعرف جوانب اللغة الأخرى التي ليست داخلةً في تخصصه الدَّقيق، فهذا في عُرفنا الأكاديمي اليوم ليس بعيبٍ؛ لأنه لا يلزمه صناعةً وقانونًا وظيفيًّا، ولكنه في الحقيقة يعيبه فكرًا وفقهًا وغايةً.

وهذا البحث إنما يشير إشارات ويضع علامات على الطريق تهدي السائرين، في مجال نقد الفكر والمنهج اللغوي السَّائد، وإلا فهذه القضية محلُّ بحثٍ أوسع ونظرٍ نقديٍّ في الفكر المنهجي أعمق، ولعلَّ اللهَ أن يَمُنَّ به[1].

وهذا البحث يُوصِّف الظاهرة ويشخِّصها برؤية فكرية ومنهجية، ويوازن بين نهج الأوائل ونهج كليات الألسن المعاصرة، كما أنه يترسَّم حلولاً لهذه القضية، فيعود بالقارئ إلى ما سبق عند القدماء، مسترشدًا بفكرهم ومناهجهم وطرائقهم في التعاطي مع اللغة دراسةً وتعليمًا، وينظر إلى واقعهم اللغوي المصحح لفكرهم ومنهجهم، ويقرّر جناية عزل اللغة عن محيطها ونصوصها وعلومها، خاصةً علوم الشريعة واستنباطاتها، ويرسم جانبين متضادين من المعادلة في مبحثيه الأول والثاني: الجانب الأول: خطورة تشظية اللغة، والجانب

(١) لعله الخطوة التالية بعد هذا البحث بحول الله وقوته.

الثاني: سلامة لغة النصوص والتكامل باللغة.

كما يقدم في مبحثه الثالث موازنةً موجزةً بين منهج الأوائل في تحصيل اللغة وتكاملها، وبين منهج المعاصرين في تشظيها، مع بيان نتائج المنهجين، ويقدم لفتات وإشارات موجزة أيضًا لحل هذه المشكلة في المبحث الرابع.

ويحاول هذا البحث الإشارة إلى ربط اللغة بنصوصها وسياقاتها وتكامل بنائها، ويوازن بين نهج السَّلف ومنهج المحدثين، ويبين ثمرات كلٍّ، ومنطلقاته الفكرية والمنهجية.

ومن تساؤلات البحث التي يثيرها؛ محاولاً الإشارة إلى الإجابة عنها ما يلي:

١- ما طبيعة العربية؟ وهل تشظيتها ملائم لطبيعتها؟

٢- متى بدأت تشظية اللغة؟ وما جذور هذه المشكلة؟ هل بدأت قديمًا، أو أنها حديثة؟

٣- ما توصيف هذه المشكلة (مظاهرها، وأسبابها)؟

٤- إذا كان الوجه المقابل لتشظيتها هو (تكامل اللغة)، فما مظاهره؟ وما مزاياه وثمراته؟

٥- كيف نوازن بين تطبيق القدامى في دراسة اللغة فكرًا ومنهجًا، وبين تدريس اللغة في كليات الألسن المعاصرة؟ وكيف نستقرئ الثمرات والمعطيات، ونرصد الوقائع لتطبيق الرؤيتين والمنهجين؟

٦- هل من حلول عاجلة وآجلة، فردية ومؤسسية واجتماعية لعلاج هذه الظاهرة، وسد الخلل والنقص في الرؤية والفكر والمنهج؟

وعلى هذه التساؤلات انقسمت محاور البحث ومفاصله، فجاءت كما يلي:

يتكوّن البحث من تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والموضوعات.

التمهيد: طبيعة اللغة التكاملية، وجذور المشكلة وتفاقمها.

١- في المفهوم والمحددات: (التشظية، نظريتا الوحدة والفروع، مدخل التكامل، الدراسات البينية).
٢- بنائية اللغة مكتملة وتأبى التشظي.
٣- الجذور القديمة للمشكلة.
٤- دور كليات الألسن المعاصرة في تفاقم المشكلة.

المبحث الأول: تشظية اللغة: فكرًا ومنهجًا.
١- مظاهرها.
٢- أسبابها.

المبحث الثاني: تكامل اللغة: فكرًا ومنهجًا.
١- مقدمة في الفكر والمنهج.
٢- المواشجة بين أجزاء اللغة.

المبحث الثالث: دراسة اللغة بين تكامل منهج القدامى وتنظير وتشظية المحدثين لها.
١- منهج القدامى في دراسة اللغة.
٢- تدريس النحو بين رؤية ونقد ابن خلدون وابن مضاء وابن هشام، وبين صنيع كليات الألسن المعاصرة.
٣- تشظية اللغة منهج المحدثين.

المبحث الرابع: محاولات لحلول مشكلة التشظية.
١- مدخل عام في توصف الحل.
٢- الحلول الفردية.
٣- الحلول المؤسسية.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.
فهرس المصادر.
فهرس الموضوعات.

وأمَّا منهج البحث: فقد سلك هذا البحث المنهج الوصفي، مع شيء من المقارنات، مضافًا لها مسحةً نقديةً ذات نبرة عالية تطلبتها طبيعة القضية الفكرية والمنهجية.

وقد قام هذا البحث على توصيف لهذه الظاهرة، واتَّكأ كثيرًا على تشخيص الواقع ونقده، ويرتكز على جملةٍ صالحةٍ من المصادر ومظان المادة العلمية.

الدراسات السابقة: نال المنهج اللغوي كثيرًا من النقد، وتعددت فيه الدراسات النقدية قديمًا وحديثًا، **فمن الدراسات القديمة:**

– الوصية التي وجهها الجاحظ للمعلم بأن يترفق بالصبيان في تعليم النحو قائلاً: "**أمَّا النَّحو فلا تشغل قلبَ الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السَّلامة من فاحش اللحن، ومن مقدر جهل العوام في كتابٍ كتبَهُ، وشعرٍ إن أنشده، وشيءٍ إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلةٌ عما هو أولى به، ومذهلٌ عما أُريد عليه من رواية المثل والشَّاهد والخبر الصادق والتَّعبير البارع**"، إلى أن قال: "**وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولاَ يضطر إليه شيء**"(١).

– نقدهم للإسراف في التعليل والمبالغة في فلسفة النحو ومنطقته، كنقد أبي علي الفارسي لأبي الحسن الرماني بقوله: "**إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء**"(٢).

– نقدهم للغموض في طرح قضايا اللغة، وشاهده قصة الأعرابي الذي "**وقف على مجلس الأخفش، فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه، فحار وعجب، وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا**"(٣).

---

(١) الجاحظ، **الرسائل الأدبية** (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١)، ٣٨/٢.

(٢) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤/١٩٩٣)، ١٨٢٦/٤.

(٣) أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة** (بيروت: المطبعة العصرية، ١٤٢٤)، ص٢٥٣.

– تنبُّههم إلى ضرورة تيسير تعليم اللغة، فكان من نتيجة ذلك أن ألفت مختصرات كثيرة في اللغة عمومًا وفي النحو خصوصًا، خالية من التوجيه وتشعب الخلافات والعلل الفلسفية والمنطقية، كمقدمة خلف الأحمر، والتفاحة لابن النحاس، والجمل للزجاجي، واللمع لابن جني، والكافية والشافية لابن الحاجب، والمفصل والأنموذج للزمخشري، وغيرها كثير.

– عنايتهم بتقسيم العلوم وترتيبها لتحقيق التكامل بينها، ومعرفة القدر اللازم من كل علم، كمقالة الفارابي في إحصاء العلوم، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، ومفتاح العلوم للسكاكي، وإرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم لابن الأكفاني، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة، وكشف الظنون لحاجي خليفة، وغيرهم ممن اعتنى بتصنيف العلوم.

– النقد اللغوي الذي أثاره علماء الأندلس حول دراسة اللغة، كالرؤية اللغوية المذهلة التي قدمها ابن خلدون في مقدمته، وثورة ابن مضاء على النحاة بسبب نظرية العامل والعلل الثواني والثوالث، وابن رشد القرطبي في نقده لمنهج التأليف النحوي، وتيسيره باختيار الضروري الذي يحتاجه طالب النحو، وابن حزم في نقده للتعليل، ويضاف لهم ابن هشام من البيئة المصرية في اتجاهه التطبيقي لتيسير النحو وتهذيبه مما عَلِق به في كتابه المغني، وغيرهم كثير.

ومن الدراسات الحديثة:

– ما ذكره التربويون وعلماء المناهج في كتب طرق تدريس اللغة العربية، من أمثال: عبدالعليم إبراهيم في "**الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية**"، وعبدالعزيز عبدالمجيد في كتابه "**اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها**"، وحسين سليمان قورة في "**تعليم اللغة العربية دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية**"، ومحمد صالح سمك في "**فن التدريس للغة العربية**" وفتحي علي يونس ومحمود كامل الناقة في "**أساليب تعليم اللغة العربية**"، وغيرهم ممن كتبَ في طرق التدريس والمناهج، حيث بيَّنوا في مؤلفاتهم مزايا نظرية

الوحدة، في مقابل نظرية الفروع في تعليم اللغة، وكذا حديثهم عن المنهج التكاملي الذي يجمع بين النظريتين(١).

– نقد المنهج اللغوي السائد من قبل اللغويين المحدثين، كمصطفى إبراهيم في إحياء النحو، وشوقي ضيف في تيسير النحو تنظيرًا وتطبيقًا في سلسلة كتب متعددة.

– ما قدَّمه بعض اللغويين من حلول عملية تطبيقية لتيسير دراسة اللغة على شكل مؤلفات موجزة ومختصرة خالية من بعض شوائب الصنعة، مثل: محمد عيد في النحو المصفى، ومصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية، وعلى الجارم ومصطفى أمين في النحو الواضح، وعبده الراجحي في التطبيق النحوي والصرفي، وعباس حسن في النحو الوافي، وكثير غيرهم(٢)، وستظل الجهود مستمرة مادامت المعضلة قائمة، وهي معضلةٌ كبرى ملاحظةٌ في مختلف الأزمنة وفي مختلف البيئات اللغوية، وهي معضلةٌ يجب أن تحل.

وأما هذا البحث (**تشظية اللغة، بحث في الفكر اللغوي ونقد المنهج**) فإنه يدور حول قضية واحدة محددة من قضايا المنهج اللغوي ونقده، وهي قضية تجزئة اللغة إلى مستوياتٍ، وتمزيعها مُزعًا، تدرس فيه اللغة بعيدًا عن الغايات المنشودة والثمرات المطلوبة منها، وإغفال جانب الغاية من الملكة اللغوية وركزها في اللسان نطقًا وتعبيرًا، وفي اليد كتابة وتحريرًا، وفي الفكر فهمًا وتحليلاً.

كما أنه يمسُّ طغيان الجانب الصناعي في دراسة اللغة ومزاحمته لأساليبها مما يحجبها عن عقول وأفكار وألسنة وأقلام المتلقين لها.

والله الموفق والهادي، ومنه الإعانة والسداد.

---

(١) سيرد في ثنايا البحث ذكر هذه المصادر مضافًا لها مصادر أخرى غير ما ذكر هنا.

(٢) ينظر: علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (القاهرة: دار الشواف، ١٩٩١)، ص٣٢٦،٣٢٧.

التَّمهيد: طبيعة اللغة التكاملية، وجذور المشكلة وتفاقمها.

١– في المفهوم والمحدِّدات:

– **التشظية:** الشِّين والظَّاء والحرف المعتل أصلٌ يدل على تصدع الشيء من مواضع كثيرة، حتى يصير صدوعًا متفرقةً، من ذلك: الشّظية من الشّيء: الفلقة، يقال: تشظَّتِ العصا، إذا كانت فلقًا، قالت فروة بنت أبان بن عبد المدان:

يا من أحسَّ بُنَيَّ اللَّذينِ هما كالدُّرتينِ تشظَّى عنهما الصَّدَفُ

والجمع الشظايا، يقال: تشظي الشيء، إذا تطاير شظايا.

فأصل بناء شظيت العود والعصا تشظيةً، الواحدة شظية: إذا كسرتَهُ قصدًا، والقصد: القطع،

ويقال: شظيت القوم تشظيةً، أي فرَّقتهم، فتشظّوا أي تفرَّقوا، قال الشاعر:

فَصَدَّهُ عَنْ لَعْلَعٍ وبَارِقٍ ضَرْبٌ يُشَظِّيهِم عَلَى الخَنَادِقِ

أي يفرقهم، ويشق جمعهم(١).

ومن دلالات التشظية: تفريق ما لا يقبل التجزئة ويأباها بناؤه، ولذا يتشظى ولا ينقسم أو يتفرق، ومن يتأمل قضيتنا يجد ذلك جليًّا، فتشظية اللغة: أي تفتيتها عند إرادة إيعابها، وهذا قطعٌ لأجزائها وتشظية لبنائها مما

(١) ينظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧)، ٢/ ٨٦٩، والفارابي، **ديوان الأدب** (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٤٢٤/٢٠٠٣)، ١٣٣/٤، والأزهري، **تهذيب اللغة** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)، ١١/ ٢٧٣، والجوهري، **الصحاح** (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧/١٩٨٧)، ٦/٢٣٩٢– ٢٣٩٣)، وابن فارس، **مقاييس اللغة** (القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩/١٩٧٩)، ٣/ ١٨٩، وابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤)، ١٤/ ٤٣٤.

يباين طبيعتها، فدراستها ينبغي أن تشاكل ممارستها حفاظًا على بنيتها وبنائها.

– **نظرية الوحدة ونظرية الفروع**: نظريتان تربويتان منهجيتان في تدريس اللغة العربية والتأليف لمناهجها، والمراد بنظرية الوحدة: "**أن ننظرَ إلى اللغة على أنها وحدةٌ مترابطةٌ متماسكةٌ، وليست فروعًا مفرقةً مختلفةً**"(١)، والمراد بنظرية الفروع: "**أننا نقسِّم اللغةَ فروعًا، لكل فرعٍ منهجُه وكتبُه وحصصُه**"(٢)، ولكل من النظريتين أسسه النفسية والتربوية واللغوية، ولكل منهما مزاياه وعيوبه، ولذا حاول بعضهم التوفيق بينهما.

– **مدخل التّكامل (Integrative entrance)**: هو أحد الاتجاهات الحديثة في تعليم مهارات اللغة الأربع: (الاستماع والقراءة والتحدث والكتابة)، وهو "**تنظيم تزول** منه **الحواجز بين المواد الدراسية، وتقدم الخبرات المتفرقة في صورة متكاملة، يدرك معها المتعلمون العلاقات بين الخبرات**"(٣)، ويرتكز هذا المدخل على النصوص اللغوية، والمواقف التعبيرية الأدائية، وفنون الأداء اللغوي، وقواعد اللغة، وألوان النشاط اللغوي المصاحب(٤).

– **الدراسات البينية (Interdisciplinary)**: وهي مرحلة من مراحل

---

(١) عبدالعليم إبراهيم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية** (القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧)، ص.٥٠.

(٢) عبدالعليم إبراهيم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية** (القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧)، ص.٥١.

(٣) محمد رجب فضل الله، **الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية** (القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٣/٢٠٠)، ص.٢٨.

(٤) ينظر: أحمد عبده عوض، **مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية** (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢١/٢٠٠٠)، ص.٢٣.

تطور العلم تلت مرحلتي: الموسوعية[١] والتخصصية، وهي دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية، "**وهي عمليةُ تفاعلٍ وتبادلٍ للمعارف بين تخصصاتٍ مختلفةٍ، وهو تبادلٌ قد يفضي إلى أن تتكاملَ التخصصاتُ المتداخلةُ، فتكون تخصصًا جديدًا، والبينيةُ هي تضايفٌ يحدث بين مكونين أو أكثر، يكون كلُّ مكونٍ منها منتميًا إلى علمٍ من العلوم، أو تخصصٍ من التخصصات**"[٢].

٢– بنائية اللغة مكتملة وتأبى التشظي:

اللغة العربية مثل بقية اللغات "**مكونة من أنظمة لغوية، هي النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي للغة ... بين بعضها وبعض علاقات عضوية معينة، وكذلك أوجه خلاف بين كل واحدة منها وبين الأخرى، بحيث تؤدي كل واحدة منها في النظام وظيفة تختلف عما تؤديه الأخرى، فللنظام إذًا تكامل عضوي، واكتمال وظيفي، يجعله جامعًا مانعًا، بحيث يصعب أن يستخرج منه شيء أو يضاف إليه شيء**"[٣]، فالعربية في

(١) وهذه النزعة –أعني الموسوعية– هي التي تجلت في الحضارة الإسلامية قرونًا عديدة، حيث برز فيها أعلام جمعوا بين علوم متعددة، وكان لهم نتاج علمي في تلك العلوم المتعددة، نذكر منهم: الخوارزمي، والرازي، وابن حزم، وابن تيمية، وابن حجر، والغزالي، وابن القيم، والسيوطي، والنووي والشاطبي، وابن خلدون، وغيرهم. ينظر: نور الدين بنخود، **دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات** (الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧)، ص.٥.

(٢) صالح بن عبدالهادي رمضان، **التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها** (الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧)، ص ص.١٥، ١٦.

(٣) تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها** (القاهرة: عالم الكتب، ط٦، ١٤٣٠/٢٠٠٩)، ص.٣١٢.

طبيعتها تبدو كتلةً واحدةً في بنائها وفي النطق بها؛ فهي لغةٌ سياقيةٌ لا تقبل التَّجزئة، وتأبى الانشطار؛ نظرًا لتكاملها؛ "**وهذا التكامل يرجع إلى كون اللغة مجموعة من النُّظم التي تتكامل فيما بينها، وتستكنهها علاقات وصلات متبادلة فيما بينها... كما يرجع إلى كون الأداء الوظيفي للغة يعكس هذا التكامل**"(١)، فأنت لا تنطق اللغة أصواتًا ولا حروفًا مجزَّأةً، ولا كلماتٍ مرصوصةً، ولا أساليبَ نحويةً مصنوعةً، وإنما تنطقها كُلّاً مكتملاً: فكرًا، وصوتًا، وبنية، وتراكيب، ودلالةً، ومعجمًا، وقصدًا، وأسلوبًا، وتقديمًا وتأخيرًا، ونظامًا لغويًّا، فاللغة لا تقع إلا كُلِّيَّةً: تعبيرها وتحريرها.

وهكذا ينظر لها أهل اللغة وكل من تعرَّض لها بالدرس والتحليل والنقد، يقسّمون موضوعاتها ويتدرجون فيها، ولكن لا يغيب عنهم لحظةً واحدةً ربطُ كل ذلك في كليات منتظمة تشاكل طبيعة اللغة وبنيتها التكاملية، "**ولقد تبنه القدماء اللغويون إلى وحدة اللغة؛ فتناولوها في أماليهم ومؤلفاتهم على أنها كيان موحد، وبنيان ذو لبنات متراصة، تستند كل لبنة على الأخرى، وتشد أزرها، وتؤدي معها الغاية المطلوبة، وهي التعبير الصحيح بأسلوب سليم**"(٢).

وهذا إمام العربية الخليل بن أحمد يتحدث عن العلل النحوية فيرى أن اللغة أشبه بالبناء المتكامل قائلاً: "**فمثلي في ذلك مثل رجلٍ حكيمٍ دخلَ دارًا محكمةَ البناء، عجيبةَ النَّظم والأقسام؛ وقد صحَّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة**"(٣).

---

(١) أحمد عبده عوض، **مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية** (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢١/٢٠٠٠)، ص.٢٢.

(٢) عبدالفتاح حسن البجة، **أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة** (عمَّان: دار الفكر، ١٤٢٠/٢٠٠٠)، ص.٢١٦.

(٣) أبو القاسم الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو** (بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٤٠٦/١٩٨٦)، ص.٦٦.

وابن خلدون فيلسوف من خارج الصنعة اللغوية ينظر إلى اللغة نظرةً تكامليّةً، فهي عنده بناءٌ متكاملٌ له أركان أربعة يشد بعضها بعضًا، وهي: (**النَّحو، واللُّغة، والبيان، والأدب**) [1]، وهذه الفروع أو الأركان يقوم عليها بناء اللغة ويستتم في وسائله وغاياته، فهي معرفةٌ تراكميةٌ منتظمةٌ، وما تقسيمها في بنيتها إلى مستويات عند دراستها إلا للإدراك والإحاطة.

إنَّ تشظية اللغة وتمزيعها مُزَعًا وقِطَعًا لهو أمرٌ يخالف بنيتها وممارستها وكُتَلِيَّتِها التي هي عليها؛ فالرشد في الفكر اللغوي وفي المنهج اللغوي: أن تكون دراستُها مواكبةً لطبيعتها وممارستها، وليكُنْ تناولُها تكامليًّا ومناسبًا لبنيتها، ولندرسها كما نمارسها ونستخدمها، كما كان يمارسها أهلُها العرب في جزيرتهم قريحةً ومَلَكَةً؛ لأنّ العربية تأبى أن تعطي قيادها لغير منهجٍ سديدٍ، وفكرٍ رشيدٍ يتوافق مع طبيعتها، ولهذا لما هُدِي علماؤنا الأوائل لهذا المنهج الرشيد كانت نتائجُهم مبهرةً في الإجراء وفي الصناعة، وأزهرت اللغة ودراستها في عقولهم، وفي أفكارهم، وأثمرت في ألسنتهم، وفي أقلامهم، بينما ضلَّ عنه الأواخر فكانت فقرًا في الفكر وخللاً في المنهج.

فاللغة كلٌّ متكاملٌ، يكون في الفكر والوجدان، ويكون في اليد واللسان، ويكون في التحرير والبيان، ويكون في إعادة الصياغة وحسن الانتزاع، هذه هي اللغة، أما ما عدا ذلك فلا يكون لغة، وإنما هو صناعةٌ وجزءٌ من الصناعة بل وجزئياتٌ فرعية أخرى متفرعة من الصناعة التي تضخمت حتى أصبحت هي اللغة عند كثير من مناهج دارسيها وفكرهم الذي يتصورونها من خلاله!!

والتشظي هو من نصيب المتلقي بفكرٍ سقيمٍ، ومنهجٍ معوّجٍ، وإلا فاللغة محفوظة في مكانٍ عَلِيٍّ، وترفض التشظية؛ لأنها تفقدها الغرض منها والعائد في وجدان وعقول وألسنة المتلقين.

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٢٨/٣.

"وليس عيبًا في اللغة العربية أن تتميز فيها هذه الفروع على أساسٍ من معانيها ومدلولاتها ووظائفها الحيوية في الإطار اللغوي العام... وإن تكاتفت جميعًا على العمل وحدةً متكاملةً في تحقيق الأهداف اللغوية وتحسين الأداء اللغوي"(١)، فإذا ما جزَّأنا موضوعاتها وقضاياها كان ذلك ضمن تقديمها للمتلقي بنيةً لغويةً متماسكةً، فإذا اُضطُرَ الْمُحْدَثُونَ لإجراء خطواتٍ تبسيطيةٍ في بداية تلقي اللُّغة لتسهيل إيعابها بتدرج وروية، فلتكن هذه الخطوات حذرةً ومتسقةً وتكامليةً، ومتنبهةً للطبيعة التكاملية للغة، ومع التخطيط المستقبلي أنها تتكامل في نهاية دراسة اللغة، وهدف اللغة **"هو تمكين المتعلم من فهم التعبير السليم الواضح الذي يستمع إليه، أو ينطق به، أو يقرؤه، أو يكتبه، وتقويمه، ولا يتحقق هذا الهدف في المتعلم إلا إذا اكتسب ملكة اللغة"**(٢)، وهذا التصور والفكر ينبغي أن يكون حاضرًا عند فرزها إلى مستويات وقضايا بغيةَ التيسير في فهمها وإدراكها.

٣- الجذور القديمة للمشكلة:

والسؤال: متى بدأت تشظية اللغة؟ هل بدأت قديمًا بإدخال العلل والفلسفة والمنطق في القرن الرابع، أو أنها بدأت مع الأكاديميات والتعليم الحديث وعبر كليات الألسن العربية؟

يبدو أنَّ الأمرين معًا لهما صلة بإخفاء الأساليب والتراكيب اللغوية البهية تحت ركامها، فالقضية لها صورتان: **الصورة الأولى**: مزاحمة اللغة

---

(١) حسين سليمان قورة، **تعليم اللغة العربية دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية** (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٢)، ص.٦١.

(٢) علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (القاهرة: دار الشواف، ١٩٩١)، ص.٣٤١.

وأساليبها وتراكيبها بالصنعة حتى طغت عليها وكادت أن تزيحها لفرط الإيغال في الصنعة، **والصورة الثانية:** هي تفتيتها إلى مستويات وجزئيات تحت ذريعة دراستها وتسهيلها، وجلي أنَّ الصورة الأولى هي الجذور القديمة للمشكلة والتي استمرت إلى اليوم، وأنَّ الصورة الثانية مستحدثة مستجدة مع ظهور الكليات اللغوية اللسانية وتصميم المناهج بحسب المستويات الدراسية الصغرى والمتدرجة من مراحل التعليم العام إلى الجامعة وما بعدها، وكان هدفها في بداية الأمر التسهيل والتيسير، ثم ما لبث هذا الهدف أن تلاشى حتى أصبح الفصل والتجزئة والتشظية هدفًا ثابتًا يعاني منه المعلم والأستاذ الجامعي قبل الطالب، ولهذا صور وأنماط شتى.

وأمَّا أصول الصنعة والإيغال في تفريعاتها فقد بدأت مبكرًا منذ القرن الرابع، عند أبي بكر بن السراج، وأبي القاسم الزجاجي، وأبي علي الفارسي، وأبي عيسى الرُّمّانيّ، وغيرهم ممن أترفوا صنعة النحو واللغة وفلسفوها مع بقاء الإجرائي من اللغة وأساليبها هدفًا أساسيًّا قائمًا، ولكن ما لبث الأمر بعد ذلك أن ظهرت الصنعة والإيغال فيها منذ أواخر القرن الرابع وما بعده، **"فجاءت تَرِكَتُنا النحويةُ محملةً بعبءٍ ثقيلٍ من الأفكار الغريبة عن الدراسة اللغوية الخالصة، ومنتفخةً بدقائق الفروع والمجادلات، والأقيسة والتعليلات، وخرجت دراسة النحو عن الغرض الذي وضع من أجله، وهو خدمة اللغة العربية في مستوياتها المختلفة: قولاً وقراءةً وكتابةً"**[(١)]؛ فأدى الإيغال في الصنعة إلى مزاحمة جمال الأساليب وبهائها، وإزاحة الهدف من إجرائية اللغة وإيعابها في الألسن، إلى دراستها صناعةً بحتةً، ثم استمر الأمر كذلك شيئًا فشيئًا حتى غدا النحو صناعةً محضةً، والإجرائي من اللغة لا يحصل عن طريقها، وإنما عن طريق الاتصال بالأساليب والسياقات العربية

(١) علي أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (القاهرة: دار الشواف، ١٩٩١)، ص.٣٤١.

الفصيحة، ومن رغب في ذلك وأدرك أهميته عاد إلى كتب القدماء يتعلم عليها، ويحصل اللغة عنها وعن طريق منهج أهلها وفكرهم وتصورهم.

هذا موجز الحديث هنا تمهيدًا لتوصيف القضية، وأمَّا استقصاء القضية تاريخيًّا فهذا بحث آخر، وفيه دراسات سابقة يمكن تتبعها.

٤- دور كليات الألسن المعاصرة في تفاقم المشكلة:

إنَّ تشظيةُ اللُّغة بهذا الإيغال قد نشأ حديثًا مع ظهور الأكاديميات والدِّقة في التَّخصص في الأقسام العلمية؛ حيث لم يُوفَّق كثيرٌ من الأقسام اللغوية والبلاغية والأدبية والمؤسسات الألسنية في دراسة اللغة ببعديها: التخصصي الدَّقيق، والنظرة الكلية لغاياتها وإيعابها في الفرد فهمًا وصياغةً؛ لأنهم أوغلوا في هذا الفصل وادّعاء التخصص، وتناسوا غايةَ علومِ اللِّسان، فشَظَّوْا اللغة ووسَّعوا الشروخ بين مستوياتها وبين قواعدها وأساليبها **"فتباعدت الفروع وتباينت، واشتدَّ انفصالُ كلٍّ منها عن الآخر، وغدا كلُّ فرع دنيا قائمةً بذاتها"**[(١)]، حتى أصبحت اللغةُ جملةً من قواعد منعزلة، وأصبحت مُنْبَتَّةَ الأوصال لا رابطَ فيما بينها، كلٌّ ينهش منها مُزْعَةً، ويعدو بها إلى رأس جبلٍ، ويقول: اللغة معي وعندي، فصاحب الأصوات يقول: اللغة معي، وصاحب اللهجات والبنية والصرف يكتفي ببعض أبوابها، وأقسام البلاغة معزولة عن أقسام اللغة، وأقسام النحو بعيدة عن أقسام الأصوات، فهذا كله خللٌ منهجيٌّ لم يكن عائده حميدًا على اللغة وركزها في الذات، ولهذا نجد كثيرًا من المتخصصين يتقن الأبواب التي درسها، أو كتب فيها، أو تخصص فيها، ولكنه يعجز عن إجرائها والربط بينها وبين بقية الأبواب، فقد يكون مختصًّا في الأصوات ولكنه لا يفقه شيئًا من النحو، أو

(١) نهاد الموسى، **الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية** (عمَّان: دار الشروق، ٢٠٠٣)، ص.٧٢.

يكون مبرزًا في الصرف ولكنه لا يفهم شيئًا في الدلالة، فكليات الألسن زادت الطين بلة بذريعة تسهيل تحصيل اللغة مع الوعد بتحصيلها كاملة في المراحل اللاحقة، لقد قيل لنا عندما كُنَّا طلابًا ندرس في المرحلتين المتوسطة والثانوية: هذه مرحلةٌ أولى تصلون فيها لاحقًا في الكلية إلى جمع اللغة كتلةً واحدةً، وعندما أتينا إلى الكلية قالوا: هذا الجمع سيكون في الماجستير، فأنتم لازلتم في تحصيل الجزئيات، وعندما وصلنا إلى الماجستير قالوا: هذا التكامل سيكون في الدكتوراه، وعندما وصلنا إلى الدكتوراه ثم كتبنا أبحاث الترقية بل وإلى أن نَقضِي يبدو أن هذا هو الخط الذي سنسير عليه، ولقد ارتضيناه، ولم نعد نحسن غيره حتى ألفناه، وجعلنا اللغة وظيفة وصناعة لا علاقة لها بمقاصدها وغاياتها، ومن تأمل الواقع وقاسى الوقائع أدرك ذلك حتمًا حتى غدا عُرفًا وديدنًا لا نكير عليه بيننا، وأصبح تحصيل العائد من اللغة نافلةً مستحسنةً في أحسن الأحوال عند الكثير، ووُكِل تحصيل ذلك العائد إلى الجهد الذاتي الفردي نافلةً لمن شاء.

وهذا التَّشظّي فكرٌ مستجدٌّ غير راشدٍ ولا ناضجٍ، والممارسون له **"يهدمون مفهوم طبيعة اللغة، والغرض منها، ويخالفون المبدأ السليم الذي درج عليه العلماء العرب القدماء في تناولهم اللغة، ويضربون عُرض الحائط مناداة التربويين المحدثين بضرورة تعليم اللغة بشكلٍ متكاملٍ كما تؤدى في الواقع بين أفراد المجتمع"**[(١)]، فمتى وقع هذا التَّشظّي؟ هذا يحتاج منا استقصاءً: فهل وقع ذلك بداعي الأنظمة الأكاديمية؟ أو بداعي التخصصات الجامعية؟ أو أنَّ كليات الألسن ومناهجها أوقعتنا في هذا ونحن لم ننتبهْ، بداعي التعمق، وبداعي أننا نتكامل فيما بيننا في معرفة هذا التخصص، وكل فردٍ يأخذ جزئية ما؟ وعند التأمل نجد أن هناك تخصصاتٍ

(١) عبدالفتاح حسن البجة، **أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة** (عمَّان: دار الفكر، ١٤٢٠/٢٠٠٠)، ص.٢١٦.

لا تقع إلا مكتملةً، فلا تَتِمُّ لها ثمرةٌ في الفرد إذا كان لا يعرف إلا جزئياتها، ومنها علم اللسان واللغة، وفي جامعاتنا اليوم لا تصبح متخصصًا في النحو إلا إذا كنت محيطًا بتلك الجزئيات صناعةً لا مَلَكَةً، فكأن الفرد ومعرفته الذاتية سُحِقت وذابت في تلك المؤسسة التي ينتمي إليها، أي أنَّ مجموع كليات الألسن في بلدٍ ما بمجملها أساتذةً وتخصصاتهم المختلفة تمتلك علم الآلة وعلم الوسيلة، ولكن أفراد تلك المؤسسة لا يمتلكون الآلة والوسيلة كاملةً في ألسنتهم وأيديهم وعقولهم، فأصبح هناك أفرادٌ وذواتٌ معطوبةٌ، فكأنهم مجموعةُ ذواتٍ تُشكِّل فردًا واحدًا، ولكن عند التأمل نجد أنَّ الفردَ هو المطالب بأن يجري اللغة في لسانه وقلمه وفكره، وليس المؤسسة أو القسم، فالفرد هو الناطق محرِّرًا ومعبِّرًا وليس الكيان والكلية والجامعة، فما الصنيع؟! وأين المخرج؟!

إنَّ دور الجامعات هو إبقاء الفنّ اللغوي متصلاً بكماله في الذوات، ونقله عبر الأجيال، واتصال البحث العلمي في اللغة وتنميته خدمةً للغرض والغاية التي أسست من أجلها كليات الألسن، وأما ما عدا ذلك فهو تشظيةٌ للغة وتمزيعٌ لها، فندرسها صناعةً محذلقةً لا تثمر في اللسان واليد والعقل، ونحن بهذا نوهم أنفسنا بأن هذا إيغالٌ في التخصص الدقيق حتى يتقنه الناس، ولكن هذا له عائدٌ سيءٌ جدًّا على الدارسين بادِّعاء امتلاك اللغة وناصيتها، ونحن في الواقع لم نمتلك إلا صناعةً إجرائيةً لا تفيدنا، ولا تميِّزُ بها دارسَ اللُّغة عن غيره، بل نحن في الحقيقة لا نملك حتى الصنعة، بل نحوز أجزاءً ونتفًا يسيرةً منها، والواقعُ شاهدٌ والشواهد كثيرة.

المبحث الأول: تشظية اللُّغة: فكرًا ومنهجًا.

١– مظاهرها:

إنَّ ما نفعله اليوم في كليات الألسن ودراسات اللُّغة على مستوى التعليم بمراحله المختلفة، وعلى مستوى الأبحاث، وعلى المستوى الأكاديمي، والمناقشات والنقد، جُلُّه –إن لم يكن كلُّه– قائمٌ على تجزئة اللغة صناعةً مرحليَّةً وقسمةً تحاصُصِيّةً، وأخذها مستوياتٍ مستقلةً لا روابطَ بينها، وتمزيعها مُزعًا في أهداف وظيفية صناعية، تدرس اللغة بعيدًا عن غاياتها وثمراتها، "**وهذا الواقع الذي انتهي إليه تدريسُ اللغة فروعًا يلغي أسسَ الوحدة في فروع اللغة وينقضُها نقضًا، وهو لا يخالفُ الأسسَ العلميةَ الموضوعيةَ في الوحدة التي تقررها طبيعةُ اللغة وحسب، فهو أيضًا يلغي الجانبَ الوظيفيَّ لتعلم اللغة، ويتنافى مع الأسس النفسية والتربوية الصحيحة في تعليمها**"[(١)]، لقد تناسينا الغاية من الملكة اللغوية وإيعابها في اللسان واليد والفكر، تعبيرًا وتحريرًا، ووقفنا عند حفظ قواعدها، بل بعض قواعدها فحسب.

وهذا خللٌ منهجيٌّ، وقصورٌ فكريٌّ، وليس من العلم وطرق تحصيله في شيء ألبتة، وليس له صلة ببنائية اللغة وطبيعتها، إنما هو شيءٌ اصطنعناه وألفناه ونقوم به مرارًا وتكرارًا ولا نفكر: لماذا نعمله؟ ولا نفكر: كيف نعمله؟ ولا ننقد أنفسنا: لماذا نعمل هكذا؟ ولا نرصد الواقع ونقيس النمو والتحصيل حتى نعرف: ما الذي أنتجناه خلال عقد من الزمن من أعمارنا أو عقدين أو ثلاثين عامًا أو أربعين عامًا من خلال هذه الطريقة؟ فنحن نخرّج طلابًا ودكاترة وألسنيين وفقهاء، ولكنهم يعجزون إلا عن هذه الجزئية الصناعية التي تخصص فيها والتي يعرف فيها ما أُجرِيَ في صناعتها، ويعرف ربما أمثلتها محفوظةً،

(١) نهاد الموسى، **الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية** (عمَّان: دار الشروق، ٢٠٠٣)، ص.٧٣.

ولكنه لا يستطيع إجراءَها في أمثلةٍ أخرى مناظرةٍ؛ لأنه يفتقد فقهَها، ويفتقد تحصيلها في ذاتها، في تنميط وسطحية وظيفية شكلية حدّ السخرية، واستقرئوا الواقع، واستنطقوا الوقائع، فلست مبالغًا، بل ناقدًا ومشخِّصًا يبتغي الدواء الناجع، وما أنا إلا مريض ضمن المرضى، نستصرخ الدواء، ونأمل الشفاء.

وهذا الخطُّ الذي ألفناه خطٌّ مغايرٌ تمامًا للرُّشد العلمي والفكر اللغوي الذي بناه أسلافنا، بل لن ينتج لغةً لا في لسان ولا في قلمٍ ولا في فكرٍ وعقلٍ، وإنما نحصِّل صناعةً تستهوينا وتغرينا وتجذبنا لنتقنَ دقائقها وفروعها؛ لنَبُزَّ بها غيرَنا؛ لأننا نفهمُها ولا يفهمُها الآخرون، أو نتقنُها ولا يتقنُها الآخرون ، وليس وراء ذلك شيءٌ، إننا نجمع جزئياتٍ صناعيةً لا روابطَ بينها لا تسمن ولا تغني من جوعٍ في تحصيل اللغة وفي ركزها في اللسان وفي العقل وفي الوجدان وفي القلم، لقد غلَّبنا إتقان الصناعة على حساب امتلاك الأساليب والتراكيب والإجراء اللغوي حتى لم يعد العِيّ والحَصَر عيبًا يغضُّ من دارس اللغة مادام يتقن بعض جوانب الصناعة فيها.

ومع كل جهودنا في الألسنيات وفي الكليات وفي الأقسام إلا أننا نعجز عن إدراك الآلة وعلم اللسان وإيعاءه في الذات فقط؛ حيث وقفنا عند جزئيةٍ من اللغة، فتجد الرجل يُدَرِّسُ مثلاً (باب الاشتغال والتنازع)، وربما شغله هذا عن (باب الفاعل) وغيره من الأبواب، فأخذ (باب الاشتغال والتنازع) وقرأه وأحكمه صناعةً، ثم يُدَرِّسه لطلابه سنةً تلو سنةٍ، ويخرج من الدُّنيا وهو لا يتقن إلا (باب الاشتغال والتنازع)، فأين بقية الأبواب؟ وأين بقية التراكيب؟ وأين الأبنية؟ وأين المعجم؟ وأين الأساليب؟ وأين الذائقة؟ وأين البلاغة والتذوق والتحرير والتعبير؟ وأين؟ وأين؟ إن هذا اللغوي لم يحصِّل من اللغة شيئًا إجرائيًا في فكره ويده ولسانه؛ لأنه لم يقصد ذلك، وكلنا هكذا، كلٌّ يحرص على أن يدرِّس ما أتقنه حتى لا نحضِّره مرةً أخرى، وكلما بدأ يُدَرِّسه في بداية كل عام ربما بدأ يقلب أوراقه ويحضِّره مرةً أخرى؛ لأنه قد نسيه؛ لأنه ليس في وجدانه، وليس في عقله، وإنما هو إجراءٌ صناعيٌّ وظيفيٌّ يحفظه حفظًا، ثم

يستعيده عند الحاجة إليه، فأي لغةٍ تحصّل بهذه الطريقة؟! هل يعقل أن يكون (باب الفاعل أو الحال) ثم جزئيةٌ في باب الفاعل أو في باب الحال هي ما يشغل المدرس طوال عمله الأكاديمي أو طوال تدريسه، ويقاتل ويصالح ويخاصم بحسب ما يُسنَد إليه، فإذا أُسند إليه منهجٌ آخر غير هذا المنهج أَنِفَهُ؛ لأنه لا يتقنه، فأيُّ لغة هذه التي يدرّسها هذا المدرس اللُّغوي وهو لا يتقن إلا هذه الجزئية ونحوها، ولِكُلٍّ منا جزئياتُه، ويحرص عليها كلّ عام عند توزيع المهام، وهذا كله في باب واحدٍ من أبواب النحو، فما بالك بأبواب النحو الكاملة؟ وما بالك بالصرف؟ ثم ما بالك بالمعجم؟ وما بالك بالأسلوب والذَّائقة والنقد والبلاغة وعلم المعاني؟ أين هذا كله؟! وهذا المجموع كله هو علم لغة، أو علم وسيلة، أو علم آلة، فمتى يدلف إلى الغاية من هذه الوسيلة؟ متى يتقن تناول النصوص وتفكيكها وتفريعها والاستنباط منها وبها؟

إنَّ ما نقوم به اليوم في كليات الألسن **"تمزيقٌ للغة يفسد جوهرها، ويخرجها عن طبيعتها، فهذا التمزيق يُعدُّ تفتيتًا للخبرة اللغوية التي يكتسبها التلاميذ، ولعلَّ هذا من أسباب عجزهم عن استعمال اللغة في المواقف الحيوية استعمالاً سليمًا من جميع الوجوه"**[1]، فهو عملٌ صناعيٌّ بحتٌ، لا علاقةَ له باللسان، فرضته ظروف محددة؛ حيث تجد الإنسان قد نال أعلى الشهادات في التخصص وهو لا يتقن كتابة سطرين في تعزية أو تهنئة، فإذا أراد أن يعبّر دلف إلى شخص آخر يكتب له كما نصَّ على ذلك ابن خلدون في نقد بيئته وزمانه بقوله: **"ولذلك نجد كثيرًا من جهابذة النُّحاة والْمَهَرَة في صناعة العربيّة المحيطين علمًا بتلك القوانين إذا سُئِل في كتابة سطرين إلى أخيه، أو ذي مودّته، أو شكوى ظلامة، أو قصد من قصوده أخطأَ فيها عن الصّواب، وأكثرَ من اللّحن، ولم يجدْ تأليف الكلام لذلك والعبارة عن**

(١) عبدالعليم إبراهيم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية** (القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧)، ص.٥٢.

المقصود على أساليب اللّسان العربيّ"[1]، فقد تجد هذا النوع من اللغويين الذين ذكرهم ابن خلدون حاز علم الصناعة كاملاً، وربما قد نال أعلى الشهادات في الألسن، ولكن كيف عجز عن كتابة سطرين؟ لا تعجب من مبالغة ابن خلدون؛ فقد أراد لفت النظر بجدية إلى قضية فكرية منهجية أساسية؛ فإن ما حصَّله أمثال هذا هو الصناعة فقط، والفرق بين الصناعة وبين السَّليقة والملكة واضحٌ جليٌّ.

وللإنصاف فإن هذه التشظية الفكرية المنهجية القاصرة ليست حِكرًا على دراسة العربية، بل هي بلاءٌ عامٌّ في كل التخصصات الممتدة، ومنها علوم الشريعة، ففي علم الفقه تجد الأكاديمي يختصُّ في قسم العبادات ويأخذ رسالة في (كتاب الصلاة) ومن الصلاة يأخذ جزئية نوافل الصلوات مثلاً، ثم يدرس جزئية في الجزئية، فتكون صلاة الضُّحى عنوانًا لرسالته، يقضي فيها عمره، وهذا معاذ الله أن يكون تقليلاً من النوافل ومنها صلاة الضحى، ولكن السؤال: أين بقية أبواب الصلاة؟! وأين بقية أبواب العبادات؟! وأين أبواب المعاملات وفقهها؟! بل أين أبواب السياسة الشرعية؟! أليس كل ذلك فقهًا؟! فأي جزئيات هذه التي تشظِّي ما لا يقبل التشظية، وتجزّئ ما لا يقبل التجزئة؟! فانظُر القصور الفكري والعيب المنهجي الذي يتجذَّر كلما أوغلنا في التخصص وتشظية العلم.

نعم، لا بأس أن يتخصّص في قضيةٍ فقهيّةٍ أو لغويّةٍ ثم يعمّقها أحفوريًّا، ولكن يتم ذلك ضمن إطارها العام، وضمن فقهها العام، وضمن الشمولية والدائرة الأشمل، وضمن اكتمال الصورة، سواء في تخصصه الفقهي أو اللغوي، أو في مفهوم الوسيلة والغاية، فالخلل فكريٌّ منهجيٌّ له تمظهراتٌ في شتى أنواع العلوم، والنقص والقصور يظهر في الذَّوات الذين ينتسبون إلى التَّخصص وهو منهم براء

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٤٧/٣.

إلا بحسب ما يزعمونه لأنفسهم في رؤيةٍ قاصرةٍ ونهجٍ وظيفيٍّ منمَّطٍ لا يستطيعون منه فكاكًا، وتجذَّر ذلك وترسَّخ مع ظهور التخصصات الدقيقة ضمن الجامعات في العصور الحديثة.

٢– أسبابها:

هذا العيب المنهجيّ الخطير في دراسة اللغة له أسباب متعددة، منها ما يلي:

أ– المبالغة في التخصص الدقيق: فالأكاديمية والوظيفة والترقيات والألقاب العلمية هي التي جَلَبَتْ مثلَ هذا النهج في كلياتنا وفي طلابنا وفي معلمينا وفي إداراتنا التعليمية وفي مناهجنا التربوية والدراسية، فقد انفصلت اللغة أو فُصِلت بداعي التَّعمُّق وتحت سحر التخصص، وكان لذلك جوانبُ سلبيةٌ كبيرةٌ، حيث حَجَبَتْ عنا العائد اللغوي أو العائد الفقهي أو العائد الذاتي من العلم، وأضحى عائدُنا من اللغة لا شيءَ إذا قِيس بالجهد المبذول فيه، وما حصَّلناه من اللغة رغم طول المدة الدراسية هباءٌ وسرابٌ بقيعةٍ نجري خلفه، ربما ساعدَ عليه الجانب الوظيفي، وجانب الترقيات، وجانب الألقاب، ولكنه بالنسبة للتحصيل العلمي والحكم عليه بعائده في الذات وفي القلم وفي والفكر وفي اللسان هو لا شيءَ، ولو حاكم كلٌّ منا ذاته محاكمةً صادقةً لعَلِمَ أنه لا يحمل من اللغة شيئًا ذا بالٍ، رغم أنه ربما حاز فيها أعظم الألقاب، بسبب أنه انقطع لتخصصه الدقيق فقط، وترك بقية اللغة.

إنَّ نظام الدراسة الأكاديمية والمبالغة في التخصص الدقيق استحال في بعض أوجهه ضررًا محضًا، ولا أدري ما الثمرة التي يحصِّلها المتخصص من التخصص اللغوي إذا كان لا يتقن المهارات اللسانية والملكات اللغوية الأساسية؟ فأيُّ لغةٍ هذه التي تكون جزئية يقضي فيها سنوات طويلة، ثم يخرج ولم يحصّل لغةً، فيكون عَيِيًّا في لسانه وفي خطابه وفي قلمه وفي تفكيكه، ثم يقول: هذه هي اللغة، ثم لا يعاب عليه حَصرُه وعِيُّه مادام يتقن بعض أوجه

الصنعة، فوقع ضحيةً لخلل المنهج، وقصور الفكر اللغوي الذي أحال اللغةَ صناعةً فلسفها ابن خلدون في مقدمته؛ فليُتأمَّل.

إنَّ التخصص الجزئي الدقيق يصلح في علوم كالطب، فتتخصص في شيءٍ محدَّدٍ ولكن مع إحاطة عامة في الطب العام، فتتخصص في القلب، أو في العين، أو في الأذن والحنجرة، ولكن مع إلمامك بشيء عام في الطب، وأمَّا في اللغة فإنك لا تستطيع ذلك بطريقةٍ صحيحةٍ، ولا تقع لك بهذا المنهج، فهنا معضلةٌ، كيف تحلُّها؟

لقد تركَتْ الجامعات حلَّها للأفراد، أو رحَّلَتْ حلَّها، أو تعامَتْ عنه، أو أنَّ مناهجَ كلية الألسن تنظر إلى ما يحقق للمؤسسة أهدافها وأنها بمجموع أفرادها محققةً للتخصص، ولكنها في تحقيق ذلك في الفرد وكيف يَتِمُّ له ذلك فقد تركَتْهُ منفردًا، ولابد أن يدرك الفرد أنَّ هذا يحتاج إلى جهده الخاص، ولن يجبر النقص إلا عن طريق جهدٍ خاصٍّ بالفرد، والأفراد طبعًا متفاوتون هنا، فالنوايا تحضر، والمقاصد تحكم.

وقد يعتذر البعض بأنَّ التخصص الدقيق يراد منه تسهيل دراسة اللغة وتحصيلها، وزيادة العناية بلون معين في قت معين[1]، ولكنْ في الحقيقة وفي رصد الواقع: فإنَّ التخصص لم يثبت شيئًا من الحجة في هذا؛ لأننا لم نحصل حتى التَّخصص؛ لأنَّ التَّخصص جزَّأناه إلى تفريعاتٍ صغيرةٍ يقضي الإنسانُ فيها عمره كاملاً، فلا يقوم ذلك في لسانه، ولا في فكره، ولا في يده، فلا يحصِّل إلا صناعةً في تلك الجزئية لا تغني ولا تسمن من جوعٍ في تحصيل

(١) ينظر: عبدالعليم إبراهيم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية** (القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧)، ص.٥٣، وجودت الركابي، **طرق تدريس اللغة العربية** (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦م)، ص.٢٦، وعبدالفتاح حسن البجة، **أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة** (عمَّان: دار الفكر، ١٤٢٠/٢٠٠٠)، ص.٢١٦.

علم الوسيلة أو الآلة، فما بالُك أن ينتقل منه إلى علم النَّصِّ أو فقه النَّصِّ أو خدمة الشَّريعة؛ فتكون اللُّغةُ إطارًا لنتاجه العلمي شرعيًّا كان أو اجتماعيًّا أو علميًّا بحتًا، فلم نحصِّل علم اللسان والوسيلة، فضلاً عن علوم الغاية والنص؛ فماذا حقَّق لنا التخصص الدقيق إذًا؟!

ب– الإيغال في الصناعة وإهمال الملكة: ولنكن دقيقين في التعبير؛ فقد قلنا: (**الإيغال في الصناعة**) ولم نقل: (**الصناعة**)، فالمذموم هو الإيغال في الصناعة لا الصناعة بذاتها، والسؤال هنا: ما أهمية الصنعة؟ وكيف نحققِّها ونحقق النافع منها مع تحصيل غائية اللغة في اللسان والقلم والفكر؟ وهل أصبح الإيغال في تشظية اللغة عائقًا دون تحصيلها في اللسان والفكر والقلم؟

إنَّ تولي نفرٍ من المتخصصين للصناعة اللغوية أمرٌ مطلوبٌ، ولكن المذموم هو الإيغال في هذه الصناعة على حساب تنمية الملكة اللغوية؛ ففي كليات الألسن تمَّ فصلُ الصناعة عن السَّليقة والملكة، وقُدِّمت اللُّغة كلّها صناعةً، وبات السائد هو الانقطاع في الصناعة إلى جزئياتٍ حادّةٍ جدًّا وضيقة جدًّا، والانهماك في جزئياتٍ من أبواب مختصة ليست هي اللَّغة ولا طريق تحصيلها، فنحن لم نجزِّئِ اللغةَ إلى مستوياتٍ فحسب، بل نحن جزَّأنا المستوى إلى جزئياتٍ أصغر، والمسائل إلى جزئياتٍ أصغر، وانقطعنا إليها، نريد أن نُحْكِمَها لأنه سهلٌ إحكامها، وسهلٌ التفاخر بها، ولكن أن نقصد إلى أن ذلك يَبِين في ألسنتنا، ونتحدث بطريقةٍ مختلفةٍ عن الآخرين تميّزنا بامتلاك اللغة، فهذا –للأسف الشديد– ليس في أذهاننا؛ والأشياء لا تقع لك حتى تقصدها.

وتمزيع اللغة في دراستها صناعةً وتشظيتها هذا هو شأن أهل الصناعة الذين يتفاخرون بأنهم يعرفون أجزاءً معينةً من تفريعات الصنعة لا يعرفها غيرهم، **ولكن هنا يحسن تقييد تنبيه مهم** ألا وهو أنه لا بأسَ أن يعتني قومٌ بالصناعة وتفريعاتها، بل هو مطلبٌ وفرضُ كفايةٍ، كما أن تعلم العربية ذاتها

إجرائيًّا واجب كفائي على الأمة كما نص على ذلك غير واحدٍ ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- حين قال: "**معلومٌ أنّ تعلُّمَ العربية وتعليمَ العربية فرضٌ على الكفاية، وكان السلف يؤدّبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمرَ إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ أن نحفظ القانون العربي، ونُصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنّة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً**"(١).

إنَّ حفظَ القانون اللغوي للعربية ومعرفةَ قوانين الملكة اللغوية ومقاييسها وكلّ ما يتفرع عنها من فروع وجوانب صناعية -أمرٌ محمودٌ مرغوبٌ فيه، ولكن ثمرته لغير أهل الفن والاختصاص ضئيلةٌ، فالصناعة وتفريعاتها الدقيقة ليست لكل أحدٍ، وليس كلُّ أحدٍ يهتم بها، وهي ليست أولويةٌ أولى، ولكن لا بأس أن يقوم بها فئةٌ من اللغويين كفرض كفايةٍ عن بقية الأمة، وهم أهل الصناعة الذين ينوبون عن الأمة بإبقاء هذا الفنّ متصلاً، **وهنا سؤال تعجبي**: مَنْ قال: إنَّ اللُّغةَ بوصفها علمَ لسان وآلة هي خاصةٌ بأهل الصناعة فقط؟! لأنه إذا احتكرنا اللغة لأنفسنا وجعلناها منصبَّةً على الصناعة فحسب، فقد حيَّدنا علمَ الآلة وعلم اللسان، وارتكبنا الجهالةَ والتَّجهيل في قضية النصوص ومعرفتها وتفكيكها واستنباطها؛ لأنَّ الناس: إمَّا مؤلفون، وإما قارئون، وكلا الطرفين محتاجٌ ضرورةً إلى علم اللسان، والمؤلفون الذين يؤلفون العلوم ويصوغونها هم قلةٌ، وهم رأس المثلث، والقاعدة العريضة هم القُرَّاء، فعلينا أن نُفَقِّهَ الناسَ: كيف يؤلفون ويعبّرون ويحرّرون؟ والأهم من هذا كله: كيف يفهمون ويفقهون؟ فغير المتخصصين في اللغة لا يعرفون تلك المصطلحات الخاصة بالصناعة وتناول اللُّغة مجزأةً، وإنما يهتمون بفهم المعنى ودلالة النص ومقاصد النص،

(١) ابن تيمية، **الفتاوى** (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦/١٩٩٥)، ٣٢/٢٥٢.

وهذا هو الذي ينبغي أن يُجذّر في هذه القضية؛ حتى يصح التصور والفكر، ويسدد المنهج، وتكون الفائدة اللغوية شاملة لأطياف المجتمع العلمي من أهل النظر والبحث والذين لكثير منهم عناية باللغة حتى لو لم يكونوا أهل تخصص، فقد تجد أحيانًا طبيبًا أو مهندسًا أو عسكريًّا أو نحوهم يتقنون من اللغة إجرائيًّا ومَلَكَةً أكثر مما يتقنه أهلها المتخصصون فيها، والطبيب الرازي خيرُ مثالٍ من عالمنا القديم، ومحمود سامي البارودي خيرُ مثالٍ من عالمنا الحديث؛ ذاك لأنهم أخذوا الجانب الإجرائي، وتركوا الإيغال في الصناعة؛ فكان عائدُهم من اللغة مذهلاً، وهذا الذي يعني هذه الشريحة من المجتمع، وهم السواد الأعظم والأغلب في المجتمع قياسًا على أهل التخصص والمهتمين بالصناعة.

ج– غياب فقه البدايات وفلسفة الأولويات: كل دراس يعلم أنَّ دراسة العربية بوصفها علمَ آلةٍ ولسانٍ تُعدُّ مقدمةً ووسيلةً لدراسة الشريعة والعلوم النظرية، ولكن السؤال: أين يعمل علم الآلة؟ وما مجال عمل علم الوسيلة والآلة؟ أين يكون تطبيقه ويظهر نفعه؟

إنَّ من أسس الفكر اللغوي معرفة فلسفة البدايات، بأي شيء بدأ الأوائل في تعلم العلم؟ ومعرفة طريقتهم في تناول العلوم، وإدراك السرّ في تفريقهم بين علم الآلة وعلم الوسيلة، وعلوم الغايات والمقاصد، حيث صنَّفوا علم اللغة ضمن دائرة علوم الآلة[1]، وفي ذلك يقول الإمام أبو حامد الغزالي: **"إنَّ علمَ اللُّغة سِلَّمٌ ومرقاةٌ إلى جميع العلوم، ومَنْ لا يعلم اللُّغة العربية فلا سبيلَ إلى تحصيل العلوم؛ فعلمُ اللُّغة أصلُ الأصول"**[2]؛ إذ لا غنى لأحدٍ

(١) ينظر: السيوطي، **إتمام الدراية لقراء النقاية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤/١٩٨٥)، ص.١٨٠، وحاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١)، ١/ ٥٠، ومحمد صديق خان، **أبجد العلوم**، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣/٢٠٠٢)، ص.٤٤.

(٢) الغزالي، **المستصفى** (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٢٤) ، ١/١٧.

عنه، فهو لازمٌ للجميع حتى يصحّ فهمُه وتصوراتُه وفقهه واستنباطه، مثل لزوم علم الشريعة ونصوصها للجميع، فعلوم اللسان ليست مختصَّةً بأهل اللغة فحسب، بل كل من يطلب العلم لا بد أن يبدأ به ويلم بقدر منه بما يحقق له الفهم الصحيح والتعبير السليم بقدرٍ مُرْضٍ يضمن صواب ما يفهم وصحة ما يعبر به.

وأمَّا حالنا اليوم فإننا -بكل أسفٍ وحسرةٍ- أسأنا الفهم والتَّصوُّر؛ لأننا جعلنا اللغةَ غايةً في ذاتها، ودرسناها دراسةً مُنْبَتَّةً تبقيها في جانب الصناعة معرفةً لصقيَّةً نزعم أنها لغةٌ، فلم ندرك الغاية أساسًا، ولم نَنْتَهِ بعدُ من اللغة حتى ندلف منها إلى المقاصد الأخرى، ولم نقفْ عند هذا الخلل وحده، بل أتبعناه بخللٍ منهجيّ يشطرها في بنيتها، ويشظيها في بنائها، وينتقي من الصنعة جوانب ضيقة، نكتفي بها في التدريس والاختبار طلابًا ومعلمين بحسب ما يفرضه علينا الشَّأنُ الوظيفيُّ الواجبُ، فجعلنا اللُّغةَ مُزَعًا بيننا، لا فكرَ يجمعها ويكاملها في ذاتها، ولا فكرَ يتكامل بها مع غيرها من العلوم الأخرى، حتى أصبحتِ اللُّغةُ في دراستنا لها صناعةً منبتَّةً عن غاياتها، ثم لم ندرك من تلك الصناعة إلا أقلّها.

د- التغافل عن التكامل بين اللغة والشريعة: من أسس الفكر اللغوي العميق: إدراك فلسفة التكامل بين العلوم النظرية وعلى رأسها علوم الشريعة من جهة، وعلم اللغة من جهة أخرى، وقد أفلح علماؤنا الأوائل عندما تناولوا العلوم مترابطةً مكتملةً، فأخذوا اللُّغةَ علمَ لسانٍ وآلةٍ، فبدأوا باللغة أولاً وطلبوها سواء كان بالهجرة إلى البادية قديمًا، أو بتحصيلها عن طريق العلم؛ حتى تستقيم في اللسان، وفي الفكر، وفي اليد كتابةً وتحريرًا؛ بوصفها علم وسيلة وآلة ولسان، ثم يدلفون إلى العلوم والفنون الأخرى بعد أن أتقنوا علم اللسان متّكِئِينَ على النصوص الشرعية، فتعاضد لهم اللُّغة وتجذرها في العقل والفؤاد واللسان والقلم، فأجروا اللغة في النصوص، وقدَّموا للشريعة خدمة جليلة، وذلك النَهجُ يعضّد ويرسخ تلك اللغة في اللسان، وفي اليد، وفي الفكر، وفي

الوجدان؛ لمزاوجته بين التنظير والتطبيق.

يقول الذهبي: **"النحويون لا بأسَ بهم، وعلمهم حسنٌ محتاجٌ إليه، لكن النحويَّ إذا أمعن في العربية، وعَرِي عن علم الكتاب والسنة بقي فارغًا بطَّالاً لعَّابًا، ولا يسأله الله –والحالة هذه– عن علمه في الآخرة، بل هو كصنعةٍ من الصنائع كالطّب والحساب والهندسة لا يُثاب عليها ولا يعاقب إذا لم يتكبرْ على الناس، ولا يتحامق عليهم، واتقى الله تعالى، وتواضع وصان نفسه"**(١).

وفي زماننا هذا نرى أنَّ الهممَ قد قَصُرَتِ وضعُفت، وأصبح غالبُ المتخصصين في اللُّغة لا يفقهون الشَّريعة، أو لا يشتاقون إلى فقهها، أو لا يهتمون بها كثيرًا، إلا مَنْ وُفِّقَ لهذا، وبُورك له في وقته وجهده، وفَقِهَ الفقهَ الصَّحيحَ في الفكر اللغوي، وطبَّق المنهج السديد، وعَلِمَ بأنَّ هذا أمرٌ من الأهمية بمكانٍ؛ فإنَّ دراستك للعربية تثمر وتزهر بقدر تعمُّقك في دراسة الشَّريعة؛ فهي نصوصها الأولى التي تؤدي إليها، وما جُرِّب ونجح فهو العلم اليقيني والمنهج الصحيح.

هـ– عدم القصد لثمرة اللغة: معلومٌ أن اللغة لا تُمَارَسُ لذاتها، فأنت لا تتحدَّث لمجرد الحديث فقط، ولكن لمضمون الحديث ولغايته وثمرته، فمن المنهج أن تكون دراسة اللغة غائية كما هي ممارستها، نَعَمْ تدرس اللغة لذاتها لمقاصد علمية محدَّدة عند المتخصصين، ولكن عموم الباحثين يمارسونها ويدرسون القدر الواجب منها لمقاصد أخرى، وهذه قضيةٌ أخرى.

إن كثيرًا من دارسي اللغة يدلفون إلى كليات الألسن دون أن يكون لهم قصد وهدف من دراسته للغة، فإن الدارس ما لم يقصدْ من اللغة إلى أن تَبِيْنَ في لسانه وقلمه وفكره، فلن يُحصِّلَها إجرائيًّا، أي أنه ما لم يقصدْ أن تكون دراستُه إجرائيةً تحقِّق شيئًا ذاتيًّا فيه أو في لسانه أو في قلمه، فإنه لن يحصل

(١) الذهبي، **زغل العلم** (الكويت: مكتبة الصحوة الإسلامية، ١٤٠٤)، ص ص.٣٩،٤٠.

على هذا؛ تبعًا لقانون: (**إنَّ الأشياءَ لا تحدث حتى تقصد إليها**)[1]، فالصناعة وتفريعاتها تقع في المرتبة الدنيا وهي الغاية الصغرى في دراسة اللغة، وأما الغاية الكبرى فهي أن تَبِيْنَ اللغة في لسانك وفي قلمك وفي فكرك وفي تفكيك وفي إنشائك وفي تحريريك وفي تعبيرك، هذا هو الهدف، وهذا هو العائد الذاتي، ولكن هذا الهدف ما لم تقصدْ إليه وتنمّيه وتتعاهده وتراقب نُمُوَّهُ فلن يقع لك ذلك الهدف، وأنت مطالبٌ بسدّ هذا النقص بذاتك، فدراسة اللغة في كليات الألسن الآن لا تسعفك بهذا، وإنما تعلِّمُك جوانب جزئية من الصناعة اللغوية والنحوية؛ فأنت بهذا لم تحصل الإجراء اللغوي والعائد من اللغة، ولم تكتمل لديك الصنعة اللغوية بكافة مستوياتها، وما أبعد مَنْ دَرَسَ جزئياتٍ صناعيةً متفرقةً يحفظها ويذاكرها كلّ تحضير أو درس أو تدريس عن هذه المقاصد التي لم تخطر له على بال لكي يحصلها؛ لانشغاله بأدائها وظيفةً! وهذا حرمانٌ ما بعده حرمان.

ولذا يجب أن يثور في رأس كل متعلم ومعلم للغة سؤال مفصلي مهم وهو: ما العائدُ الذاتيُّ على لسانه وفكره وقلمه من الدرس اللغوي الذي قضى فيه عقودًا من عمره؟ ثم بعد الإجابة عن السؤال عليه أن يقيس ذلك العائد، وأن يراقبه، ويراقب نموه فيه، ويعتنيه عنايةً فائقةً، فالانتباه والتنبه والقصد هو البداية لذلك الفكر الرشيد والمنهج السديد الذي نبحثه هنا ونبحث عن تحقيقه ونأمل تحقيقه عند كل دراس للعربية أو معلم لها.

وعلم اللغة علمٌ استثماريٌّ طويل الأمد لا يَبِين مباشرةً في اللسان وفي

(١) في مقدمة ابن خلدون إشارة لهذا القانون، وذلك في قوله: "ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من **يغفل عن التّفطّن لهذا**؛ فيحصل على علم اللّسان صناعة، ولا يحصل عليه ملكة، وأمّا المخالطون لكتب المتأخّرين العارية عن ذلك إلّا من القوانين النحويّة مجرّدة عن أشعار العرب وكلامهم، **فقلّ ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها**؛ فتجدهم يحسبون أنّهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب، وهم أبعد النّاس عنه". ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١١٤٨/٣.

الفكر وفي اليد إلا بعد مرحلةٍ ممتدة من الزمن، وهذا من الإدراك لطبيعة العلم والفكر الذي يحكمه والمنهجية التي يستلزمها، فعلم اللغة لا تستطيع قياسَ نموه إلا بعد أن تتضلَّع منه، ويتروَّى منه وجدانُك وعقلُك وفكرُك، فيصبح لا يؤودك كيف تبدأ وكيف تكتب وكيف تفكر، بل أصبحت تلك ملكات مركوزة فيك، فأنت مثمرٌ على كل حالٍ، فإذا تحدَّثت انثالت عليك المعاني انثيالاً، لا تؤودك الصناعة، ولا تعجزك الألفاظ، فثروتك اللغوية زاخرة، وتراكيبك زاهيةٌ، وأساليبك دالةٌ؛ لأنك رجلٌ قد أحكمت الصنعة على أصولها، واستثمرتها واستصحبتها طويلاً حتى ألفت صحبتها، وبدأت تجني ثمارها.

المبحث الثاني: تكامل اللغة: فكرًا ومنهجًا.

وهو منهج الأسلاف والفكر الذي انطلقوا منه في تحصيل اللغة، ولذا نصدّر المبحث هنا بحديث في الفكر والمنهج، ومداره على أخذ المسار الذي يساير طبيعة اللغة وبنائيّتها؛ حسمًا لمادة التشظي وإزالةً لها.

١- حديث في الفكر والمنهج:

إنَّ تكاملَ اللغة ومسايرةَ طبيعتها هو الفكر اللغوي الراشد، والمنهج المسدد، وهو الذي يبرأ دارسُ اللُّغة من علة تشظيتها وتمزيعها تحت ذريعة تسهيل تحصيلها، وهذه هي الصورة المقابلة للحديث في المبحث السابق(١)، حيث كان الحديث عن توصيف (تشظية اللغة) ، وتقرَّر فيه: (أنَّ تشظيةَ اللُّغة ليست من الفكر في شيء)، فكما أنَّ الفكرَ يُجلَّى ويُبنى ببيان ما هو الفكر والرشد في أمرٍ ما، فكذلك يُبنى الفكر ويُجلَّى بنفي ما ينافي الفكر والرشد، وبضدها تتميز الأشياء، فإذا سبق لنا: إنه ليس من الفكر تشظية اللغة وتمزيعها بحجة المستويات اللغوية، أو بحجة الدراسة، أو بحجة التخصص الدقيق، ثم التنافس على تلك الأجزاء، وكلٌّ يدعي أن اللغة معه، واللغة براءٌ من هؤلاء القوم جميعًا، فإننا هنا سنُتَمِّمُ الطرفَ الآخر للمعادلة، وهو المنهج المتَّبع في ذلك، ببيان ما هو المقابل لتشظية اللغة؟ وما هو المعادل لها؟ وما هو الشيء الذي ينبغي أن يسودَ فكرًا ومنهجًا وتصورًا وتطبيقًا، ويُقصَد إليه قصدًا؟

إن من الفكر والرشد مقاربة دراسة اللغة لطبيعتها وتكاملها وشدة تماسك أجزائها: صوتًا وبنيةً وتراكيب وصياغات وسياقًا، بحيث تكون دراستها مطابقة لممارستها؛ فاللغة في العقول والأذهان وفي الأفكار وفي الأيدي وفي الألسنة، يأخذها من أخذها بكليتها كما هي، فاللغة ترتكز في وجدان من يحترمها كما هي طبيعتها وبنيتها وتكاملها، فيدرسها ويمارسها على حدٍّ سواء

(١) ينظر هذا البحث: ص.٢١٣-٢٢٤.

مسايرًا لطبيعتها، يمزج القواعد بالتطبيق، والصناعة بالأساليب.

وهذا ما عليه الأسلاف قديمًا في أخذهم وتناولهم للغة، حيث كانوا يأخذونها كُلّاً مكتملاً؛ بوصفها علمَ لسانٍ وعلمَ آلةٍ وعلمَ وسيلةٍ، وينظرون في الغاية من دراسة اللُّغة والهدف المرجو تحقيقه من وراء دراستها، ولهذا تجد أنَّ كل من تحدَّث في تحصيل اللُّغة بإخلاصٍ وتعبُّدٍ وصدقٍ وورعٍ، عَلِمَ أنَّ اللغة يُفترَض أن يُلِمَّ بها إلْمامًا إجرائيًّا كلُّ باحثٍ وكلُّ دارسٍ للعلوم الشرعية أو العلوم اللغوية أو الاجتماعية أو من له صلةٌ بالدعوة والخطابة والتأليف ونحوهم من القُرّاء والمتفقهة.

وهذا هو المنهج النافع في دراسة اللغة، وهو أن تُؤخذ اللُّغة بطبيعتها، في نصوصها وسياقاتها ومساقاتها، وتمارس بكُلّيّتها: بنيةً وصوتًا وصرفًا ونحوًا ودلالةً وسياقًا وأسلوبًا وبلاغةً، ولما تحدث الشاطبي عما تتوقف عليه صحة الاجتهاد في الشريعة قال: "**الأقربُ في العلوم إلى أن يكون هكذا: علمُ اللغة العربية، ولا أعني بذلك النحوَ وحده، ولا التصريفَ وحده، ولا اللغةَ، ولا علمَ المعاني، ولا غيرَ ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المرادُ جملةُ علوم اللسان**"(١)، فعلوم اللغة ينبغي أن تؤخذ جملةً؛ فلا يفصل علم المعاني عن علم النحو، ولا الأسلوب عن الدلالة، ولا المعجم عن البنية الصرفية، إنما تُلِمُّ بالمستويات كُلّاً مكتملاً، ويجيّر تلك الدراسة المجزَّأة إلى مستويات لمرحلة أسمى في تحصيلها، وهو تعميقها في الوجدان وفي الفكر وفي اللسان وفي القلم، تحريرًا وإنشاءً، وتفكيكًا وتركيبًا، وفهمًا واستنباطًا؛ لأنَّ اللُّغة لها طرفان، الأول: التحرير والتعبير، والثاني: الفهم والتفكيك والاستدلال والاستنباط، فأنت باللغة تنشئ وتحرّر وتعبّر، كما أنك باللغة تفهم وتستنبط وتستدل، فهذه مجموعة مهارات لا تقع إلا مكتملة، ولا تتمّ إلا مجتمعة، فكل ذلك متلازم لا ينفك، فإذا استطعت أن تعبّر وتحرّر وتصوغ وتؤلف، استطعت أن تفكك

(١) الشاطبي، **الموافقات** (الرياض: دار ابن القيم، ط٣، ١٤٢٧/٢٠٠٦)، ٥٢/٥.

وتستنبط وتفقه وتستدل؛ لأنك تمارس اللغةَ كتابةً وخطابةً وتأليفًا وصياغةً، كما أنك تقرأ ما كتبه غيرك فتحتاج إلى تفكيكه، ومعرفة دلالاته، والفكر الذي يحمله ذلك النص، فهاتان -أعني التحرير والفهم- مهارتان مختلفتان، قد تجتمعان في شخصٍ واحدٍ على حدٍّ سواء، فهذا فضل كبير، وقد يكون عند شخصٍ ميزةٌ في إحداهما أكثر من الأخرى، ولكنهما معًا متظافرتان، إذا وُجِدت إحداهنَّ وُجِدت الأخرى بقدرٍ معينٍ، وقد يكمل الرجل في الطَّرفين، ولكنه لا يعدم خيرًا إذا حاز على شيءٍ ما في الطرف الآخر، وعليه أن ينظر في نقصه في أيهما فيجبره، وإذا امتلك الإنسانُ ناصيةَ اللغة امتلك تحريرَها وصياغتَها والتأليفَ بها، كما يمتلك تفكيكَها واستنباطَها والاستدلالَ بها وفهم المراد بها.

ومن نظر إلى علماء الكلام والاعتقاد قديمًا في قضية الجدل والمحاورة والمجادلة والمداحضة والمناكفة عند الحِجاج، عَلِمَ أنه مبنيٌّ على المهارة اللُّغوية، وهذا ما ينبغي أن نتبحَّر فيه ونمتلك ناصيته؛ لأنَّ اللُّغة ليست حِكرًا على اللغويين، وإنما يتطلّبها كلُّ من له مسيس علاقةٍ بالشرع أو بنصوصه أو بالفقه أو بالتفسير أو بالعقيدة أو بالحديث، أو بكل مناحي الحياة دعوةً وخطابةً وإصلاحًا وتربيةً، تؤدّب ولدك باللغة، وتسوس زوجك باللغة، وتعلّم طلابك باللغة، فالإنسان لسان كما قال الشاعر:

وَكَائن تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ[1]

وبالتالي فالإنسان مخبوء تحت لسانه، ومهارة اللغة تتم بأن تعرفها كُليّةً، فإذا تم لك ذلك حُزْتَ قصب السبق فيها.

(١) زهير بن أبي سلمى، **ديوانه** (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٦/٢٠٠٥)، ص. ٧١.

٢– المواشجة بين أجزاء اللغة:

"الصلة بين فروع اللغة هي صلة جوهرية طبيعية؛ لأن الفروع جميعها متعاونة على تحقيق الغرض الأصلي من اللغة، وهو إقدار المتعلم على أن يستخدم اللغة استخدامًا صحيحًا للإفهام والفهم"(١)، وهذا المحور يحاول الإجابة عن السؤال التالي: كيف نواشج بين مستويات اللغة؛ لتكون مدعاةً لتكاملها وبيان جمالها وتمام سحرها، بدلاً من أن تكون وسيلةً لتشظيتها وسلب الهدف من تحصيلها؟ **"لأنَّ هذه الفروع تتواشج وتترابط؛ لتُقدِرَ مَن يستعمل اللغة على استخدامها بطريقة سليمة في المواقف الطبيعية التي لا تتعدى أن يقرأ قراءة سليمة، ويكتب كتابة صحيحة، ويتحدث حديثًا مضبوطًا، ويستمع استماعًا واعيًا"**(٢).

وبداية نقول: إن لتعلم اللغة وسيلتين وطريقتين: **الأولى:** أن تتعلمها وتوعيها في ذاتك بدءًا من الوحدات الصغرى: صوتًا وبنيةً وصرفًا ونحوًا، ثم دلالةً وأسلوبًا وصياغةً، فهذا ترقٍّ من الأصغر إلى الأكبر، **والثانية:** أن تبدأ من النهاية وهو النص أو المضمون أو الموضوع، ثم تنظر كيف جاءت عليه التراكيب والصياغات والنحو والبنية الصرفية، وهذا تدرج من الأكبر إلى الأصغر.

والطريقتان متواشجتان، فالطريقة الأولى تؤدي إلى الطريقة الثانية، والعكس صحيح، ومع هذا فإنَّ الأمر فيه تفصيل بحسب السن والمرحلة والهدف، فالإنسان غالبًا إذا كان في أول نشأته طفلاً أو يتعلم لغةً ثانيةً، فإنهم يبدأون معه من الوحدات الصغرى حتى يصلوا إلى النص كاملاً، فإذا وصلوا إلى الوحدة الكبرى وهي النص كاملاً فعليهم أن يَكُرُّوا مرةً أُخرى، فينظروا في

(١) عبدالعليم إبراهيم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية** (القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧)، ص.٥٣.

(٢) وليد جابر، **أساليب تدريس اللغة العربية** (عمَّان: دار الفكر، ط٣، ١٩٩١)، ص.٣٦.

الغرض والموضوع وينظروا كيف جاءت عليه المستويات الأخرى، هذا هو التكامل في اللغة، فليست دراسةُ المستويات لذاتها أو لتجذير الفصل بها، وإنما دراستها في تكوين كُتلّيّتها ومواكبة دراستها لممارستها واحترام طبيعتها؛ حتى تحصل الْمُكْنَةُ اللُّغوية وهو ما يسميه تشومسكي (**الكفاية اللغوية**)[1]، وسماه ابن خلدون (**الْمَلَكَة**)[2]، ويطلق عليها علماؤنا (**امتلاك ناصية اللغة**) واكتناز الذخيرة اللغوية في أساليب العربية وتراكيبها وسياقاتها، وقبل ذلك فقه مفرداتها وصيغها وأبنيتها، ويسبقه التمرس بذائقة حروفها وجرس أصواتها، وعندها تكون مستويات اللغة مدعاة لتكاملها، بدلاً أن تكون وسيلة لتشظيتها ودراستها دراسة وظيفية قاصرة على الصنعة، بل تقتصر على جوانب محددة من الصنعة فحسب.

فهذا خطَّان في التعلم، ينبغي أن يوازن بينهما، أو يواشج بينهما، أو يدلف الدارس إليهما معًا، ولا تناقض بينهما، فهما وسيلتان تؤديان إلى غاية واحدة، فيتعلم كيف يبدأ بأصوات اللغة وصرفها ونحوها وأساليبها، ويمارس اللغة أحيانًا من القمة وهو موضوعها وغرضها، وكيف جاءت التراكيب على ذلك الغرض، وكيف جاء النحو والإعراب والبنية الصرفية واختيار المفردات لتواكب ذلك الغرض، وهذا من امتلاك ناصية اللغة في دراستها وتفكيكها بعد امتلاكها في نطقها وتحريرها، وينبغي أن يكون عند الدارس تلك المرونة ويرمي بثقله

---

(١) وهي معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها، وهي قدرة المتكلم –المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية والمعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته. ينظر: ميشال زكريا، **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية** (بيروت: المؤسسة الجامعية، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦)، ص ص.٣٢، ٣٣.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ٣/١١٤٠.

وجهده بأن يمهر في الأنماط كلها، فيمارسها بأجزائها حتى يكون عنده تلك الأفعوانية المنهجية، والمرونة الفكرية التي لا يؤوده معها كيف يبدأ؛ لأنَّ اللغةَ مادةٌ عقليّةٌ ينبغي أن تتريض بها، وتروّضها وتمتلك ناصيتها، فلا ينبغي أن تسيرَ فيها على نمطٍ واحدٍ لا تنحرف عنه، وإنما تواكب عدةَ نماذج وعدةَ خياراتٍ حتى تمهرَ فيها مهارةً شديدةً، فلا يؤودك الأمر بعد ذلك محرّرًا أو معبّرًا، أو مفككًا أو مستدلاً أو مستنبطًا، ولا يؤودك أن تبدأ فيها عند تفكيكها وتحليلها من صوتها، أو بنيتها، أو تراكيبها وسياقاتها، أو من الموضوع والغاية من النص، وكل هذا كما ترى لا يتم إلا لمن امتلك ناصيتها بفكرٍ راشدٍ وتصوّرٍ صحيحٍ ومنهجٍ سديدٍ قصد إليه قصدًا، واعتناه عنايةَ مَنْ يدرك قيمة امتلاك ناصية اللغة والمهارة في علوم اللسان واليد، ولكن هذانِ الهدفانِ عَصِيَّانِ على من مارس تشظية اللغة، ونظر إليها صناعةً جزئيةً وظيفيةً ليس إلا.

المبحث الثالث: دراسة اللغة بين تكامل منهج القدامى وتنظير وتشظية المحدثين لها

١- منهج القدامى في دراسة اللغة:

تبين لنا مما سبق أن دراستنا للغة دراسةٌ قاصرة، ومنهجنا فيها لا يخلو من خلل منهجي، يحتاج إلى وقفات جادة مع النفس، ويحتاج إلى إعادة نظرٍ، ويحتاج إلى سبر أغوار مناهج القدماء في كيفية إدراكهم للغة، وكيفية تحصيلهم لها، فنحن بحاجةٍ إلى فكرٍ ومنهجٍ وتصوُّرٍ لدراسة اللغة وإيعابها في الذوات؟ **والسؤال هنا بداية:** هل كان لدى القدامى فكرٌ مؤصّلٌ ومنهجٌ محدّدٌ في دراسة اللغة؟ وكيف نوازن بين منهج القدامى والمحدثين وفكر القدامى والمحدثين، وقياسهما بالنتائج في الواقع بالوقائع والثمرات؟

ويتجلى منهج القدامى في تعاطيهم مع اللغة في الأمور التالية:

أ- الإدراك بأنَّ اللغة وسيلة لا غاية: لا يخفى على أهل المعرفة عمومًا واللغوية خصوصًا أنَّ علمَ اللُّغة علمُ وسيلةٍ، وعلمُ آلةٍ، وهو مشاعٌ لكل أحدٍ، والناس شركاء فيه، بل هو مطلب وضرورة مطلوبة من كلّ أحدٍ له صلةٌ بالعلم أن يبدأ به، وقد كان القدامى يأخذون هذه الآلة وهذه الوسيلة في بداية طلبهم للعلم ويدَّرِعون بها، ويهتمون لها، وهي سلاحٌ في ألسنتهم، وفي أقلامهم، وفي فكرهم، وهذه هي فلسفة البدايات في طلب العلم عند القدامى، فقد كان الأسلافُ -رَحِمَهُمُ اللهُ جميعًا- يبدأون بدراسة اللغة قبل أي علم، ظهر هذا جليًّا في القديم عندما كانوا يرسلون أطفالهم إلى البادية، كما حصل من قريش رغم فصاحتها، وغير خفيٍّ على الدَّراس قصة حليمة السعدية -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- مع أنَّ بيئةَ قريش بيئةُ لغةٍ وفصاحةٍ وبيانٍ، ثم كان منهجًا متبعًا بعد تدوين العربية، كما يبرز هذا التوجه في عصرنا الحاضر في إرسال الآباء لأبنائهم إلى الالتحاق بحلقات تحفيظ القرآن الكريم؛ تعبُّدًا وتطلُّبًا لإقامة ألسنتهم.

والناظر لحالنا اليوم يجد أننا أخذنا علم اللغة علمَ غايةٍ ومقصَدٍ بذاتها وَحْدَها، ودرسناها دراسةً مُنْبَتَّةً تبقيها في جانب الصناعة معرفةً لصقيَّةً نزعم أنها لغةٌ، ولم نقفْ عند هذا الخلل وحده، بل أتبعناه بخللٍ منهجيّ يشطرها في بنيتها، ويشظيها في بنائها، وينتقي من الصنعة جوانب ضيقة، نكتفي بها في التدريس والاختبار طلابًا ومعلمين.

ومن ثَمَّ نجح علماؤنا الأوائل في فهمها وأخذها وتعلُّمها وتعليمها والتأليف فيها، وخدمتها خدمةً صحيحةً، ونجحوا في تأصيلها في نفوسهم تأصيلاً صحيحًا؛ لأنهم أدركوا أنها علمُ لسانٍ، وعلمُ آلةٍ، وعلمُ وسيلةٍ، يخدم أغراضًا أخرى، وهي بقية المعارف العلمية الأخرى.

ب– الانتقال من الوسيلة إلى التطبيقات: لما فرغ القدامى من إتقان الآلة وهي علوم اللسان العربي وامتلاكهم لجوهر اللغة وتحصيل الملكة، أخذوا يجابهون بهذه الآلة العلوم الأخرى، وخاصة علوم الشريعة والعلوم النظرية المتعددة؛ ليكون الطالب فقيهًا، أو متخصصًا في العقيدة أو التاريخ أو الاجتماع أو متقنًا للخطابة أو الدعوة إلى الله أو بارعًا في استنباط النصوص واستكناهها؛ لأن اللغة تحتاجها تركيبًا، وتحتاجها تفكيكًا، فأينما ولَّيْتَ وجهَك فأنت تحتاج اللغة لتُرَكِّبَ الكلام وتؤلفه وتنسجه، وكذلك تحتاج اللغة لتفهم المكتوب وتفككه وتستنبط منه وتفرّع فيه وتستكنه طاقاته الدلالية واستنباطاته الوارد فيه، فاستطاع القدامى أن يستنطقوا العلوم كافة ويستكنهوها ويفرّعوها في فلسفةٍ قائمةٍ على التكامل بين الوسيلة والغاية، واستثمار الآلة في مكانها اللائق، وأما نحن فكيف نحصّل هاتين الثمرتين –أعني التركيب والتفكيك– ونحن لا نتقن علم الآلة وهو تخصصنا، ولا نمتلك علم اللسان مكتملاً، وليس عندنا الذخيرة اللغوية الكافية على مختلف مستويات اللغة؟!

لقد أدرك القدامى الوسيلة، وأدركوا الغاية، وأدركوا من الغايات ما شاء الله

أن يدركوا، وجمعوا بين أكثر من فنّ، وجسَّروا بين العلوم والفنون[١]، وجمعوا علومًا مختلفةً مع تحصيل آلتها ووسيلتها ولسانها، وهي اللغة التي بدأوا بها حتى أحكموها، فكان منهجهم مسايرًا لطبيعة اللغة، يجمع الإجراء والصناعة اللازمة، قال الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ-: "**من تبحَّر في النحو، اهتدى إلى جميع العلوم**"[٢]، وقال الفرّاء: "**قلَّ رجلٌ أنعم النظر في العربية، وأراد علمًا غيره، إلا سَهُل عليه**"[٣]، فالتبحر في النحو وإنعام النظر في العربية غرضه الاستعانة به للولوج إلى جميع العلوم، ومن تتبع نصوص القدماء علم منهجهم، وأدرك فكرهم.

ج- جَمْعُ اللغويين القدامى بين الصناعة والملكة: لقد أتقن القدامى الصناعة اللغوية لأهداف وغايات خدمة النص الشرعي، فبعد أن تمت لهم آلة اللسان في أيديهم وألسنتهم انطلقوا صوب النص الشرعي والنصوص الأدبية لإعمال هذه الآلة فيها، ولهذا استهل المبرد كتابه الكامل بمقدمة موجزة معبرة: "**هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبًا من الآداب، ما بين كلامٍ منثورٍ، وشعرٍ مرصوفٍ، ومثلٍ سائرٍ، وموعظةٍ بالغةٍ، واختيارٍ من خطبةٍ شريفةٍ، ورسالةٍ بليغةٍ، والنّيّةُ فيه أن نفسّرَ كلَّ ما وقع في هذا الكتاب من كلامٍ غريبٍ، أو معنى مستغلقٍ، وأن نشرحَ ما يعرِضُ فيه من الإعراب شرحًا شافيًا، حتى يكون هذا الكتابُ بنفسه مكتفيًا، وعن أن يرجعَ إلى أحدٍ في تفسيره مستغنيًا**"[٤].

---

(١) وهو الآن تحت مسمى (الدراسات البينية) وقد سبق إليه الأسلاف. ينظر هذا البحث: ص.١٠.

(٢) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦/١٩٨٦) ، ٤٠٧/٢.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤/١٩٩٣) ، ١٧/١.

(٤) المبرد، **الكامل في اللغة والأدب** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٣٤/ ٢٠١٣)، ١/١-٢.

وانظر المزاوجة في نص المبرد بين القاعدة والإجراء، وبين التقعيد والتطبيق جنبًا إلى جنب، حتى إنك لا تجد فصلاً بينهما، وأعدْ تقليب نصه لتعلم الفكر الذي ينطلق منه، وهو ذات الفكر السائد لديهم الذي نمَّى الذائقة، وركز اللغة في ألسنتهم وأقلامهم عقولهم وأقلامهم وأفكارهم.

ومما ذكره أبو علي القالي في مقدمة كتابه الأمالي قوله: "**وأودعته فنونًا من الأخبار، وضروبًا من الأشعار، وأنواعًا من الأمثال، وغرائبَ من اللُّغات، على أني لم أذكرْ فيه بابًا في اللغة إلا أشبعته، ولا ضربًا من الشّعر إلا اخترته، ولا فنًّا من الخبر إلا انتخلته، ولا نوعًا من المعاني والمثل إلا استجدته، ثم لم أُخلِه من غريب القرآن، وحديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحدٌ، وفسرت فيه من الإتباع ما لم يفسره بشرٌ**"(١).

وفكر القالي هنا ينطلق من ذات فكر المبرد السابق، وهو نهج جميع المتقدمين، وهو فكر ونهج غرس اللغة في الألسنة والأقلام: تحريرًا وتفكيكًا وتركيبًا وإعادة هيكلة، فهذا نهج أثبت فعاليته، وصدقت نتائجه، فلِمَ لا يُعاد إنتاجه بصورة ملائمة للجيل الحالي، وتستفرغ العقول والأفكار والجهود في إنجازه وتطبيقه ومتابعته؟!

وليس الأمر مقصورًا على مَن ذُكِرَتْ مقولاتهم هنا من القدماء، بل هو منهجٌ ساد قرونًا، وأنتج أجيالاً تأخذ اللغة إجراءً بوصفها ضرورةً وعلمَ لسانٍ وآلةٍ لا بد منه لكل متصل بالعلوم النظرية بحال، "**فقد أدرك القدماء حقيقة تكامل اللغة، وهذا ما تؤكده مؤلفات عبدالقاهر الجرجاني والزمخشري وابن جني والمبرد وابن قتيبة وابن خلدون والسكاكي وغيرهم؛ حيث جاء تعاملهم مع اللغة من إدراك التكامل والترابط بين أجزاء القالب الأدبي،**

(١) أبو علي القالي، **الأمالي** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤/ ١٩٢٦) ، ٣/١.

وإدراك العلاقات داخله"[1].

د- التكامل المعرفي عمومًا، ومع الشريعة خصوصًا: من الفكر اللغوي: النظر إلى النِّتاج العلمي في منظومة العلم بكليته، سواء اللغوي أو غير اللغوي، وهذه المنظومة العلمية أيضًا بكاملها غير منفصلة عن الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية السائدة في المجتمع، ومن هنا نجد هذه المنظومات متناغمةً، وهذا هو الفكر، وفلسفة المنهج وبناؤه على رشد، فكل ذلك يستلزم النظر فيما يحكم المجتمع من منظومة مكتملة تتكامل ويؤثر بعضها في بعض، وهذه النظرة الكلية تعين على إدراك الأمور إدراكًا صحيحًا، بحيث تدرك إدراكًا متأنّيًا ليس منبتًّا عن تعليلاته وتفسيراته، فعلوم اللغة لا تنفصل عن المنظومة العلمية المعرفية العامة في كافة البيئات، فالدرس اللغوي لم يتم بمعزلٍ عن الشريعة، فعلم اللغة مرتبطٌ بعلوم الشريعة ارتباطًا وثيقًا، ولكنه يسبقها؛ لأنه وسيلةٌ لها، فلم يكونوا يدرسون اللغة دراسةً منفصلةً، وإنما دراسةٌ مقدّمةٌ لدراسةٍ أخرى، وسيلة لغاية، يجعلون اللغة هي التَّمهيد، وهي اللِّسان، وهي الآلة، ولاحقًا يتم العمل على علمٍ آخر شرعيّ، فقهيّ، أو أصوليّ، أو حديثي، أو غيرها، فلسانُه العربية، وآلته العربية، ووعاؤه العربية، وهذا فقهٌ فكريٌّ متقدّمٌ؛ لشموله وإحاطته وسعة أفقه في التأصيل، فيترافد علم اللسان وعلم النص، فيحصلان معًا، ويتظافران تنظيرًا وتطبيقًا، ثم يعمد خلاصة أهل الفن اللغوي لإبقاء الصنعة اللغوية وتفريعاتها حيَّةً متصلة عبر القرون، ويقف البقية حيث كفاهم أهل الصنعة هذا الفرض الكفائي.

وهذا هو واقع علمائنا الأوائل، فإنهم لم يفقهوا فقهًا نظريًّا فقط بأنَّ اللُّغةَ من الدِّين، بل طبَّقوا ذلك تطبيقًا علميًّا إجرائيًّا، فتظافر الفكرُ والتنظيرُ مع التَّطبيق والإجراء على أنَّ اللُّغة من الدِّين، فكما نعيب على دارس الشريعة

(١) أحمد عبده عوض، **مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية** (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢١/٢٠٠٠)، ص.٢٤.

الذي لا يفقه اللغة ونَسِمُه بأنَّ عنده قصورًا في اللِّسان، وفي الآلة، وفي الفهم، فكذلك نعيب على دارس اللغة الذي لا يفقه شيئًا من الشَّريعة، فكيف يتسنى له أن يكون جاهلاً بأبسط ما ينبغي أن يُحَصَّل في الشريعة، فهذا ليس من الفكر في شيءٍ، وليس من التصور الصحيح في شيءٍ، فكلا الأمرين خارمٌ لتمام المعرفة أو التَّصوُّر الصحيح؛ ذاك لأن المنظومة العلمية مترابطة، فعالم الشَّريعة الذي لا يفقه في اللغة شيئًا عنده قصورٌ مهنيٌّ في الآلة، وفي اللِّسان، وفي علم الوسيلة، وعالم اللُّغة الذي لا يتقن الكُليَّات في الشريعة عنده قصورٌ مُزْرٍ في حقِّه في جانب التكامل المعرفي.

ومن هنا تتجلى لك بكل وضوحٍ إجابة هذا السؤال: لِمَاذا كان معظمُ علماء اللغة الأوائل مفسِّرين وفقهاء وعلماء شريعة ومفتين وقضاة؟ ولِمَاذا كان معظمُ علماء الشريعة والفقه لغويين؟ وانظر البيئة الأندلسية نموذجًا ومثالاً رغم بُعْدِ المكان وتفاوت الزمان؛ فلازالت الصورةُ في الأندلس إبان الحضارة الإسلامية فيها على ما كانت عليه في المشرق، بأن يكون العالِمُ فقيهًا وقاضيًا ومفسِّرًا ولغويًّا، ينظرون إلى اللغة على أنها علمُ وسيلةٍ وعلمُ آلةٍ، ولم يحصلْ عندهم الانفصالُ أو التَّشظِّيّ اللغوي المعرفي الذي يسود في عصرنا الحاضر بداعي التخصص، ولكنه كان عِلْمًا على نسق الأوائل، وعلى نسق المشارقة في منظومة العلم بكامله، وفي تراتبيته وتدرُّج مراحله، وهكذا يوصي مؤرخ وفيلسوف الأندلس ابن خلدون كما سيأتي، ومن قرأ مقدمته علم فكره ومنهجه.

ومن نِتاج البيئة الأندلسية والمصرية أسماء لامعة كابن مضاء وابن هشام وابن خلدون، وهي بيئةٌ لا زالت مشرقيةَ الهوى، تأخذ العلوم بمجملها، فتنتظم العلوم في الفرد، يأخذ من علم اللغة الوسيلةَ والآلةَ ما أمكنه أن يُقِيمَ به فهمًا ومنهجًا وفكرًا واستنباطًا واستدلالاً في العلوم الأخرى، فيثمر على الأقل علم اللسان عنده أو علم الآلة، ومن تتبع نصوص علماء الأندلس ومنهم ابن خلدون عَلِمَ مقدارَ حفاوته بالمنهج والفكر اللغوي في المشرق الإسلامي، وثناءَه على كتاب سيبويه ونحو

المشارقة الذين يزاوجون القواعد بالنصوص ويجرونها فيها ومن خلالها.

وإذا أضفت إليهم ابن حزم الظاهري[١]، وكذا ابن رشد القرطبي[٢]، علمت مقدار رشدهم وفكرهم، وسدادهم في مناهجهم في تحصيل علوم الآلة واللسان.

ولازال هذا الأمر كذلك في بيئة العلم المحتسبة، وعليه النَّماذج الحديثة المعاصرة، فهناك مدارس خاصة في بعض البيئات العربية والإسلامية تأخذ علم اللسان بمجمله، وربما حلقات العلم في المساجد أو التثقيف الشخصي أو جوانب محددة تأخذ المعرفة اللغوية بمجملها، وهذا هو العلم الذي يُحصَّل بنيةٍ صالحةٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ- ويثمر، فالشمولية في المنهج تحتاج إلى نية وقصد؛ لأنه لا يقع لك الشيء بثمرته إلا بهذه الطريقة، سواء المثوبة والأجر، أو المنفعة وظهور الأثر في دراسة اللغة، وهذه النماذج المضيئة هي بداية الحلول لمعضلة إيعاب علم اللسان في الأجيال المعاصرة.

هـ- إدراكهم للقدر الواجب من دراسة اللغة: من الفكر اللغوي أن نقول: إنَّ اللغة علمٌ لا بد منه، ولا يستغني عنه فقيهٌ ولا فيلسوفٌ ولا مؤرخٌ ولا متحدِّثٌ باللغة العربية في العقيدة أو الفتيا أو في غيرها من مناحي العلوم الشرعية والإنسانية[٣]، وإلا أصبح عنده جهلٌ وتسطيحٌ، وربما أفسد كثيرًا من التصورات، وأدار الأمور على غير وجهها، وأفسد الدلالات، وفي ذلك يقول

(١) ابن حزم الظاهري، **رسالة مراتب العلوم** (بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٣)، ص ص.٦١-٩٠.

(٢) ابن رشد القرطبي، **الضروري في النحو** (القاهرة: الصحوة، ١٤٣١/٢٠١٠).

(٣) عقد ابن فارس بابًا لذلك بعنوان: (باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية) ، ينظر: ابن فارس، **الصاحبي** (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٥/٢٠٠٥) ، ص ص. ٥٥-٦١، وكذا ابن جني عقد بابًا بعنوان: (باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) ، ينظر: ابن جني، **الخصائص** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٧٠/١٩٥٢) ، ص ص.٣/٣٤٥-٣٥٥.

أبو أيوب السختياني: **"عامةُ من تزندقَ بالعراق لقلةِ علمِهم بالعربيّةِ"**[(١)]، ولعل قول عمر –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– وأمره أن لا يقرئ القرآن إلا عالم بالعربية فيصلٌ في هذا[(٢)]، وذلك إثر قول الإعرابي عندما سمع رجلاً يلحن في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[(٣)] بالجر، فقال ما قال، والأمر معلومٌ لكل لغوي، ومثله قصة الأعرابي مع المؤذّن، والقصص كثيرةٌ، واستعراض سريع لكتب نشأة النحو تعطيك المزيد من الشواهد.

إن اللغة واجبةٌ على كل أحدٍ له اتصال بعلوم الشريعة، وله اتصال بفقهها، وله اتصال باستنباطها وبيان معانيها، وعظًا أو إرشادًا أو فقهًا أو إفتاءً أو تأليفًا، أو ردًّا، تعقيبًا أو تصويبًا، وجدلاً ومناظرةً، ونحوه من فنون القول وعلوم اللسان، وتتبَّعْ في ذلك منهجَ العلماء فيه ونِتَاجَهم تنبئك الوقائعُ وتخبرك الشَّواهدُ.

لقد أدرك القدامى أن هناك حدًّا أدنى في علم اللِّسان، وعلم الوسيلة، وعلم الآلة، لا غنى لأحدٍ عنه، كما أدركوا أن هناك حدًّا أدنى من علم الشَّريعة لا غنى لأحدٍ عنه، كما أنَّ هناك حدًّا زائدًا أو فائضَ قوةٍ يمكن لأحد الطرفين أن ينصرف إلى ما برع فيه أكثر من اللُّغة أو من الشَّريعة، وفي هذا القدر الفائض تتكامل الجهود، وتتعاضد التخصصات، بعد أن يكون كلُّ فردٍ قد أوعى في ذاته الحدَّ الواجب في كل العلوم النظرية اللسانية والشرعية، وفي هذا القدر الفائض من فائض القوة يتخصص طائفة من الأمة في تفريعات العلوم وصناعاتها ودقائقها؛ حتى يبقى الفن متصلاً فرضًا كفائيًّا يقوم به القادرون الراغبون عن بقية الأمة؛ بشرط أن يُعمِلوا الإجراء اللغوي في ألسنتهم وعقولهم وأقلامهم قبل غيرهم؛ فهم

---

(١) أبو حاتم الرازي، **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية** (اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤١٥/ ١٩٩٤) ، ص.١٢٤.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤/ ١٩٦٤) ، ١/٢٤.

(٣) التوبة: ٣.

أولى به، وهو عليهم أوجب؛ حتى تزهو الصناعة بهم.

٢- تدريس النحو بين رؤية ونقد ابن خلدون وابن مضاء وابن هشام، وبين صنيع كليات الألسن المعاصرة.

وهذه لفتةٌ ودعوةٌ صادقةٌ إلى الموازنة بين فكر ابن مضاء ومنهج ابن هشام وتنظير ابن خلدون من جانب، وتدريس النَّحو في كليات الألسن المعاصرة من جانب آخر، والأندلس بيئة نوعية لها اتصال منهجي وفكري بالبيئة المشرقية، كما أنها حلقة وصل وسيطة بين المتقدمين والمتأخرين في تسلسل المنهج وتدرج الفكر العلمي واللغوي منه خاصة.

هذه نماذج ثلاثة من البيئة الأندلسية في تقديم طريقة جديدة في عرض المادة النحوية، والمساهمة في تدريس النحو بطريقة أقرب إلى ذهن المتلقي، مقتصرة على الأهم فالأهم، في قالب نحوي يناسب كل من يطلب علم النحو سواء من المتخصصين أو مَنْ هم خارج الدائرة النحوية.

النموذج الأول: ابن مضاء والثورة على العلل النحوية:

ابن مضاء فقيهٌ وقاضٍ دخل من هذا الباب ناصحًا أن لا تستغرق وقتَك كلَّه فيما هو خارج عن الإجراء اللساني من تفريعات الصنعة النحوية، ودعا إلى عدم الإيغال في الصناعة وعدم الإيغال في دقائق المسائل، على حساب تضييع ما كان واجبًا من علم وسيلة ولسان أو غاية ومقصد، وقد بيَّن قصده قائلاً: "**وقصدي في هذه الكتاب أن أحذفَ من النَّحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه**"(١)، وقد دعا في كتابه إلى الاستغناء عن أمور ثلاثة: الأول: نظرية العامل، وهذا ربما لا يُتفق معه فيها، والثاني: العلل الثواني والثوالث، والثالثة: تمارين التصريف، وهاتان محلّ نظرٍ وتفصيلٍ بحسب حال المتلقي ونوعية الدارس.

(١) ابن مضاء القرطبي، **الرد على النحاة** (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦)، ص.٦٧.

فابن مضاء ثار على العلل الثواني والثوالث؛ لأنه رآها تحجب النحو، ورآها شيئًا يمكن أن يشتغل به أفراد فرض كفاية، ولكنها ينبغي ألا تكون في كل النحو المتاح لكل أحدٍ، فتُخَلَّصُ القواعد وتُصَفَّى من هذه العلل، ويمحض النحو الصافي الإجرائي علمَ آلةٍ ووسيلةٍ.

ولا شك أن ابن مضاء لديه ترتيبٌ للأولويات في الدراسة الشرعية عمومًا وفي النحو خاصة، لاسيما وهو قاضٍ وفقيهٌ، وهذا فكرٌ تعبُّديٌّ ورشدٌ منهجيٌّ، ومحل انتقاده هو الإيغال في هذا الجانب التعليلي الصناعي على حساب الثمرة وامتلاك اللغة؛ لأنه مدرك لضرورة علم اللغة لكل مشتغل بعلوم الشريعة، فينبغي ألا يحجب تحت ركام الصنعة الكثيف بما يعيق عن تحصيله، وتترك دقائق الصنعة لطائفة محددة تقوم به فرضًا كفائيًّا؛ ليتصل الفنّ اللغوي ويبقى حيًّا في أجيال الأمة.

وللإنصاف فإن ابن مضاء لم يدعُ إلى إلغاء النَّحو كلية، ومن قرأ كتابه علم سعة باعه في النحو، ويكفي ثناءَه على النحاة في أول كتابه بقوله: "**وإني رأيْتُ النَّحويين –رحمة الله عليهم– قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك الغاية التي أمّوا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها، فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها، وانحطت رتبة الإقناع حججها، حتى قال شاعر فيها:**

تَرنُو بطرفٍ ساحرٍ فاترٍ أضعفَ من حجةِ نحويّ

على أنها إذا أخذت المأخذ المبرأ من الفضول، المجرد عن المحاكاة والتخييل، كانت أوضح العلوم برهانًا، وأرجح المعارف عند الامتحان

ميزانًا، ولم تشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون"[1]، هذا نصه بتمامه أوردته لترى ثناءه على النحويين وترحمه عليهم وثناءه على صناعة النحو، وهو في نصه هذا ينطلق من ناحيةٍ تعبُّديّةٍ، ومن ناحيةٍ منهجيّةٍ فكريّةٍ، ومن هنا لم يُفْهَمِ ابنُ مضاء حقَّ الفهم، فثار عليه النحاة ولم يسلم من بعض المعترضين عليه بأنه فقيهٌ قاضٍ، فكيف ينتقد هذه الصنعة وهو ليس من أهلها؟! ولكنه في الحقيقة فقيهٌ، وعنده علمٌ باللغة عظيمٌ، وهو قاضٍ، ولعل الإنصاف ديدنه إن شاء الله لاسيما وهو خارج الصنعة النحوية.

كما أن ابن مضاء –وللإنصاف أيضًا– لا يخطِّئ مبدأ التعليل النحوي؛ حيث لم يطالب بإلغاء العلة الأولى، بل إنه في بعض المواضع يعترف ويقر بالعلة الثانية إذا كان مقطوعًا بها، فهو في نقده للعلل يبحث عن جانب الممارسة في اللغة، وعمَّا يعين المتلقي أن يتكلم بطريقة صحيحة فصيحة، وينادي بتيسير قواعد اللغة على المتلقي، ولهذا انتقد ابن مضاء الإيغال في العلل: الثواني والثوالث وغيرها، فيقول: إن الأولى ألا يصرف الوقت والجهد في علل النحو: الثواني والثوالث وما عداها من دقائق الصنعة، ثم يصبح هذا الذي يعرف تلك الدقائق في العلة وغيرها جاهلاً بقضايا أخرى في الفقه وفي الجوانب اللغوية الأخرى الأساسية، فما الفائدة أن تعرف دقائق الصنعة اللغوية، وأنت تعجز عن إجرائها في لسانك في منطلقاتها الأساسية؟! هذا ما نادى به ابن مضاء.

النموذج الثاني: ابن هشام وهيكلة النحو:

وضع ابن هشام كتابه (المغني) فكان كتابًا نوعيًّا في الفكر النحوي، حيث عرض النحو بطريقةٍ مختلفةٍ، وأعاد هيكلته، وأعاد إنتاج النحو بطريقةٍ حاصرةٍ منضبطةٍ، عن طريق التفكير في منطلقاته من نظام الجمل بنوعيها، الاسمية: أركانها،

(١) ابن مضاء القرطبي، **الرد على النحاة** (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦)، ص.٦٧.

وتوابعها، وما يتعلق بها، ثم الجملة الفعلية: أركانها، وتوابعها، وما يتعلق بها، وجعل قسمًا للأدوات بين الجملتين وأركانهما تربط بينها، ثم الجمل التي لها محل والتي لا محل لها من الإعراب، ووضع تتمات وملحقات لما ندَّ عمَّا سبق[1]، وهكذا هيكل النحو، وهي هيكلةٌ إجرائيةٌ عمليةٌ في تحصيل النحو غائية الهدف، وقد كان ابن هشام هو المتضلع في اللغة يستطيع إعادة بنائها على نسق مكتمل وشامل وموجز كلي، وبالتالي تسنى له ذلك عن طريق القالب أو المنهج أو تقديم المعرفة، إذًا هذه طريقة من طرائق تدريس النحو أثبتت فعاليتها ونجاعتها، ولعل الزمخشري في (المفصل) قريبٌ من هذا الفكر والمنهج.

ولهذا نال ابن هشام وكتابه المغني ثناء ابن خلدون، فقال عن كتابه بأنه: **"استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصّلة، وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصّناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها، وسمّاه بالمغني في الإعراب، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرها"**[2]، ويعدّ كتابه المغني كتاب نحوٍ تجديديٍّ في العرض والمنهج والتركيز على الأمور العامة في النحو مع هيكلة منظمة له، وبهذا باين فيه ما كان سائدًا قبله من منظومات الألفية وشروحها الطويلة، إلى ابتكار نحويٍّ جديدٍ على غير مثالٍ سابقٍ.

هذا مع سيرورته على نهج المنظومات كما في (أوضح المسالك)، وعلى التدرج في تحصيل النحو واللغة، ولعله بهذا يقدم خيارات متعددة في المنهج والفكر وطرائق دراسة اللغة ليقول: إن تفاوت الناس في القدرات واختلافهم في مقدار الهدف من دراسة اللغة مما يحسن مراعاته، ويلتفت فيه إلى الفوارق الفردية بين المتلقين.

---

(١) ابن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (دمشق: دار الفكر، ط٦، ١٩٨٥)، ص.١٣.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٣١/٣.

النموذج الثالث: ابن خلدون واكتساب اللغة، والفرق بين الملكة والصناعة:

نقد ابن خلدون قضية الإيغال في الصنعة، وفرَّق بين الصنعة وبين الإجراء، ولهذا يشنِّع على الإيغال في الصنعة، ونَقَدَ المغاربة للإيغال في الصنعة وتضييع الجانب الإجرائي أو الثمرة من اللغة أو التحصيل اللغوي في اللسان وفي القلم وفي الفكر وفي التفكيك والتركيب والصياغة، فعيبٌ خطيرٌ عنده أن تتقن الصناعة، وأنت تجهل الصياغة.

وابن خلدون قرَّر هذا فأثنى على المشارقة الذين يتعلَّمُون اللغة إجرائيًا من خلال كلام العرب، ثم يقول: إن المغاربة أقلُّ رتبةً في هذا الباب، وأما الأفارقة فهو دائمُ النقد لهم، ويقول: إنهم يحفظون اللغة حفظًا، ويأخذونها جزئيات صناعية لا علاقة لها بممارستها، ولهذا هو دائمُ الانتقاد لهم[1]، حتى قرر: أنَّ بعضَ من يعرف النحو معرفةً صناعيّةً تامّةً يعجز عن كتابة سطرينِ في التهنئة أو في التعزية أو في الاعتذار، أو ربما ذهب إلى رجل آخر ليس عنده تلك الصناعة أو المعرفة الصناعية في اللغة فطلب منه أن يكتب له شيئًا من التهنئة أو شيئًا من الكلام المتصل حتى يكون أجود[2]، فابن خلدون يدرك إدراكًا تامًّا بأن الصناعة النحوية لا تنتج لغةً، وكأنه يوصِّف حال كثير من دارسي العربية ومعلميها في عصرنا الحاضر.

ولهذا كان دائم النصح بقراءة النحو في الكتب التي فيها شواهد من كلام العرب أو معتمدة على كلام العرب كنحو سيبويه، وهو عظيم الإجلال لكتاب سيبويه، وهذا الجانب عنده جَلِيٌّ ظاهرٌ[3].

---

(١) المرجع نفسه (١١٤٨/٣).

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٤٧/٣.

(٣) المرجع نفسه (١١٣٠/٣، ١١٤٨).

والخلاصة: أن ابن مضاء في ثورته على العلل انطلق من فكر واضح ومنهج محدد، ونظَّر في كتابه ببعض الأمثلة، ووعد بتأليف كتابٍ كاملٍ، ولا ندري هل وفَّى بذلك وضاع كتابُه أم لم يسعفه العمر، وأما ابن هشام فإنه طبَّق فكرة ابن مضاء في كتابه (المغني)، واستطاع أن يقدم النحو بطريقة تسهِّل على الدارسين تلقيه إجرائيًّا، وأما ابن خلدون فانتقد الإغراق في الصنعة وقدَّم حلولاً للتعاطي الصحيح مع المعرفة اللغوية، حيث فلسف أساس مشكلة الإغراق في الصناعة وفقدان الملكة، فقدم حلولاً إجرائيةً، فهو لم يقدِّمْ كتابًا كما فعل ابن هشام، ولم يقدِّمْ تسهيل النحو أو تشذيبَه كما فعل ابن مضاء، ولكنه فلسف الأمر، ونظر فيه من ناحيةٍ فلسفيةٍ فقال: اللغة ينبغي أن تكون إجراءً لسانيًّا، ولا ينبغي أن تكون صناعةً.

فهؤلاء الثلاثة (ابن مضاء وابن هشام وابن خلدون) في نسقٍ واحدٍ كلُّهم يثور على الجانب الصناعي الموغل في الصناعة بطريقةٍ أو بأخرى، كلٌّ بطريقته، فأين هذا من تشظية اللغة كما هي في كليات الألسن العربية الآن؟!!

٣– تشظية اللغة منهج المحدثين:

وهو طريق مباين لمنهج وفكر المتقدمين، فوازن بينهما وقس النتائج والوقائع؛ ليظهر لك الأمر ويتضح.

إننا الآن بحاجةٍ إلى غربلةِ فكرنا المعرفي ومنهجنا سواء اللغوي أو الفقهي أو غيرهما، كما أننا بحاجة إلى التجسير بين فروع العلم(١)؛ لأنَّ الجامعات والكليات والأقسام ونحو ذلك في كل العالم العربي الآن تقرأ علوم اللغة منفصلةً، فلا تنتظم المنظومة المعرفية في نسقها، فتجد المتخصص في فنٍّ من الفنون لا يجيدُ غيرَه، بل تجد المتخصص في اللغة مثلاً –وهي علمٌ مكتمل ومن

(١) ويسمى حديثًا بـ(الدراسات البينية) وقد اختطه الأسلاف وسبقوا به غيرهم، ينظر هذا البحث: ص.٢٠٤–٢٠٥.

العلوم المترابطة- لا يعرفُ بعضَ أجزائها الأخرى، بل يستغرق في جزئيةٍ يتشبَّثُ بها طوالَ حياته العلمية، ومن هنا استحالت كل المعارف صنعةً ووظيفةً، وهذا بخلاف الفكر الرشيد الذي كان سائدًا عند المشارقة والمغاربة وعند غيرهما من البيئات الزاهية، وبالتالي أصبح العلمُ لا يثمر، ولا يوصل إلى الغرض؛ لأننا جعلنا الوسيلةَ والآلةَ غايةً بذاتها، ثم جعلناها أجزاءً فلا نُتِمُّها ولا نقف عليها تامَّةً ولا نصل إلى كُنْهِها، وإنما نأخذ بجزئيةٍ صغيرةٍ من هذه الفنون الخاصة التي هي في ذاتها وسائلُ وآلاتٌ، فنأخذ بجزئيةٍ منها ثم لا نُتِمُّ تلك الجزئية، وكلٌّ يطير بما لديه في رسالته العلمية أو في تخصصه فيقول: هذا هو العلم، وهذه هي اللُّغة، وهو لم يُحصِّلْ حتى الآلة والوسيلة، فضلاً عن أن يَحْصُلَ له أن يُطبِّقَ تلك الآلة أو يُعمِل تلك الوسيلة في الغاية أو في الثمرة أو في الاستثمار بها ليجلي ما في النص ويستبطنه.

وأصبحنا لا نعيب النحوي بأنه لا يعرف شيئًا في جوانب البلاغة مثلاً أو تذوق الأدب والشعر، أو حتى في جوانب اللغة الأخرى التي ليست تخصصه الدقيق، فهذا ليس بعيبٍ عندنا؛ لأنه لا يلزمه صناعةً وقانونًا، ولكنه يعيبه فكرًا وفقهًا وغايةً، كما أنه لا يعاب البلاغي والأسلوبي إذا فاتته قواعد العربية، فإذا كان هذا حالنا فما الذي ركزناه في عقولنا وألسنتنا وأيدينا إذًا؟!

فهذا عيبٌ منهجيٌّ وفكريٌّ خطيرٌ في الدراسة المعاصرة للغة؛ بداعي التخصص والتَّعمُّق، ولكن في الحقيقة عند التأمُّل فيه تجده عيبًا منهجيًّا خطيرًا لا يجعل الأفراد ينجزون حتى التخصص الدقيق الذي لديهم فيه قصورٌ عجيبٌ كما هو واقعٌ، وكأنهم بمجموعهم قسمٌ من الأقسام اللغوية أو الأدبية أو كليات الألسن على امتداد الدولة القُطْرِيّة الواحدة أو على امتداد العالم العربي تقوم بهذه المهمة، وكيف تُحصِّلُ لغةً لم ترتكزْ في اليد والقلم والفكر، فكأنَّ الهمةَ ضعُفَتْ فلا يستطيع الإنسان حتى أن ينجزَ علمَ الآلة، وهذا فكرٌ سائدٌ ينبغي إعادة النظر فيه بنقدٍ وتقويمٍ، وهو عيبٌ فكريٌّ منهجيٌّ وقعنا فيه، وينبغي أن يُصلَحَ، ولكن كيف يُصلَحُ في

ظل ضعف التحصيل، وضعف الفكر، وقلة الوقت، وقلة الجهد المبذول، وانعدام القيميّة الاجتماعية لدراسة اللغة وممتلكي ناصيتها؟!

وأخطر من ذلك كله: استحالة العلوم مِهَنًا ووظائفَ يأخذها أهلها صنعةً وحِرفةً يتكسَّب بها ليس إلا، فمتى وقع الخلل؟ وكيف وقع إذًا؟ متى تَمَّ فصلُ علم الآلة والوسيلة واللسان عن النصوص واستنباطها كما هو حالنا اليوم فلا نستطيع فعل الأوائل؟ إننا أُصِبْنا بعيبٍ خطيرٍ، وهو دراسة التخصص للأفراد في جزئيةٍ واحدةٍ منه فقط، وربما في تفاصيل تلك الجزئية، بل ربما في بعض عناوين خاصة من الدروس يدرِّسها الأستاذ مدةَ مهنته قبل أن يتقاعد، يحرص عليها ولا يريد عنها بديلاً، ثم لا يتقن غيرها إلا إذا كان يقرأ قراءاتٍ أخرى هنا أو هنا، أو يحاول أن يسد النقص الذي عنده بجهود ذاتية، وسواء كان أستاذًا أو طالبًا، فالنقصُ مُتَفَشٍّ في الجميع.

هذا خللٌ منهجيٌّ ينبغي أن يُصلَحَ، كيف يُصلَحُ مع أن المعادلة فيها صعوبة نوعًا ما؟ كيف يُصلَحُ هذا الخلل في الأفراد حتى يتمَّ لهم الاكتمالُ العلمي في شيءٍ لا يَتِمُّ إلا بكمال أجزائه أو بتمام أجزائه، إمَّا أن يقع بكليته أو لا يقع؟ كيف يَتِمُّ هذا ونحقِّقُه مع تحقيق هدف الجامعات أيضًا وهو أن يكون هناك تعمُّقٌ في جزئيةٍ من الجزئيات حول قضية من القضايا؟ وهذا مطلبٌ فكريٌّ صحيحٌ ومنهجيٌّ صائبٌ، **إذًا ما المعادلة؟! كيف نجمع بين تخصص يتطلب الشمول ويحتاج إلى العمق، وتخصص مختلف في طبيعته، وممتد في طبيعته؛ لأنه استثمار طويل المدى؟**

ولعل المبحث القادم يحاول تلمس المخارج والحلول.

المبحث الرابع: محاولات لحلول مشكلة التشظية

١- مدخل عام في توصف الحل:

لا أحدَ يماري في أن الدارسين للغة اليوم عندهم نقصٌ شديدٌ في جانب تحصيل اللغة كعلم وسيلةٍ يُقصَد إلى غاية، وقبل الشروع في ذكر حلول لقضية البحث (تشظية اللغة) يحسن بنا أن نقسّم الدارسين قسمين: **الأول**: أهل التخصص، وهؤلاء حتى يكونوا أهل تخصص بصدق عليهم تبعتان: الأولى: الإحاطة بالصنعة ودقائقها، والثانية: تحصيل اللغة ملكةً وسليقةً في اللسان واليد والفكر.

ولكن القصور -ويا للغرابة- في الوجهين؛ حيث لم يحصّلوا الصنعة، وإنما جمعوا نتفًا يسيرةً وجزئياتٍ قليلةٍ وقفوا عندها، ثم لم يتقنوها إلا حفظًا ومراجعةً بأمثلةٍ محددةٍ يستذكرونها بين الفينة والفينة، ولا يحتملون الخروج عنها، ولا قياس غيرها عليها، وأما الملكة وإيعاء اللغة في اللسان واليد والفكر فهذا هدف ليس في مقاصد كثير منهم، فكيف يقع لهم؟! فما الذي حصّلوه إذًا؟!

والقسم الثاني: هم كلُّ من له تماسٌّ مع العلوم الشرعية والنظرية، وهؤلاء عليهم أن يهتموا بالجانب الإجرائي التطبيقي وإيعاء اللغة في الذوات، وتبقى الصناعةُ الأساسية نافلةً لمن أراد منهم ورغب.

وعندئذٍ ينوب أهل الاختصاص عن غيرهم في إبقاء الصناعة حيَّةً دون افتقادهم للجانب الإجرائي، ويوعى اللسان واللغة في الطرفين معًا، وهذه مقاربة ومخرج لسد خلل المنهج والقصور الفكري فيه، وهي تستلزم تبعات من مثل: تصميم المناهج، وإعادة هيكلتها، واتصال طالب اللغة بنصوصها وسياقاتها في مساقاتها المختلفة.

وهذا البحث هدفه الإشارة إلى رأس مشكلة تشظية اللغة، ولفت النظر إليها، وبيان آثارها وسلبياتها العديدة، مع طرح بعض الحلول العاجلة، وأمَّا الحلول العملية الجذرية فإنها تحتاج إلى وقفةٍ صادقة مع النفس على المستوى

الفردي، وزمنٍ ممتدٍّ يراعي طبيعة اللغة وبناءها، وأما على المستوى الجماعي والمؤسسي فالواجب إعادة النظر في كل ما يتعلق بدراسة اللغة ومناهجها ومعلميها وطريقة تدريسها، مع حضّ الناشئة عليها، وإعلاء قيمتها علميًّا واجتماعيًّا في منظومةٍ متكاملةٍ، مع اتصال طالبيها قاطبة بنصوصها اتصالاً ذاتيًّا: قراءةً وكتابةً وتحريرًا وتعبيرًا وتفكيكًا وتركيبًا.

هذه فقط بدايات الحلول، ولكن الحلول تحتاج إلى أبحاثٍ قويةٍ، وأهم من الأبحاث تطبيق ذلك عمليًّا وبجدّيّةٍ تامةٍ يكون أساسُها إعلاءَ القيمة اللغوية كما هي دائمًا في مكانٍ عَلِيٍّ، وهناك حلولٌ عاجلةٌ، وحلولٌ آجلةٌ، وهناك حلولٌ فرديةٌ، وحلولٌ جماعيةٌ نشير فقط إليها هنا إشارة عابرة، وهي محل بحث ونظر، وتتطلب عناية فائقة في دراسات وأبحاث معمقة.

٢– الحلول الفردية: الحل الفردي ينطلق من الدارس نفسه، وذلك بأن يجبر النقص بنفسه لتحصيل اللغة، فالنصيحة التي تسدى لكل متعلّم أو معلّم للغة أن يسدوا هذا النقص بأنفسهم؛ لأنهم سيجدونه قطعًا، وكثيرٌ من الطلاب يسألني، وأنا قبلهم أسائل نفسي: كيف أحصّل اللغة؟ وكيف أمتلك ناصية اللغة؟ فأقول لي ولهم: هذا نقصٌ لا بد أن تسده بنفسك بجهدٍ شخصيٍّ، ومن كان يعتقدُ أن كلية الألسن أو مدرسي اللغة ومناهجها ستوعب اللغةَ في لسانه وفي عقله وفي قلمه بدون قصدٍ منه ولا جهدٍ مضاعفٍ ذاتي يبذله بتماسه مع النصوص –فهو واهمٌ أشد الوهم، نعم كلية اللغة تعطيك اللغة صناعةً، ولكن لا تمكنك من امتلاك ناصية اللغة كما امتلكها الأوائل؛ لأنَّ فاقدَ الشَّيء لا يعطيه، فكيف يعطيك ناصيةَ اللغة تحريرًا وتعبيرًا مَنْ يفتقدها أصلاً؟! فالكلية والمعلم اللغوي يعطيك الصناعة فقط، بل أجزاء منها، ومع مرور الأيام والتعود على أخذ الجزئيات فقط يصبح ذلك فكرًا ومنهجًا لك، وهذا من الخلل الجلي.

وابن خلدون خطَّ خطًّا جميلاً بإرشاد المتعلم أن يحفظ أساليب العرب، وأن يدلف إلى تعلُّم اللغة من خلال أساليب العرب، قال ابن خلدون: "**ووجه**

التّعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها: أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم، من القرآن والحديث وكلام السّلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين أيضًا في سائر فنونهم، حتّى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم، ولقّن العبارة عن المقاصد منهم، ثمّ يتصرّف بعد ذلك في التّعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخًا وقوّةً، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطّبع والتّفهّم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التّراكيب، ومراعاة التّطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال"(١).

وملخص توجيه ابن خلدون ومشاركته في حل هذه المشكلة عدة أمور، وهي ما يلي:

١- **الحفظ**: أي حفظ كلام العرب القديم: من القرآن، والحديث، وكلام السّلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين أيضًا في سائر فنونهم.

٢- **الاستعمال**: أي التّعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم.

٣- **الإكثار**: سواء من حفظ كلام العرب أو من استعماله.

٤- **سلامة الطّبع والتّفهّم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التّراكيب.**

٥- **مراعاة التّطبيق بين التراكيب وبين مقتضيات الأحوال.**

وفي موضع آخر ذكر ابن خلدون أن من قرأ كتاب سيبويه تعرف على

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٤٦/٣.

أساليب اللغة؛ لأنه يعطيك القاعدة من خلال المثال، أو من خلال النص، قال ابن خلدون: "**وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرًا بحال هذه الملكة، وهو قليلٌ واتّفاقيٌّ، وأكثرُ ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه؛ فإنّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط، بل ملأَ كتابَه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزءٌ صالحٌ من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكفَ عليه والمحصِّلَ له قد حصل على حظٍّ من كلام العرب، واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته، وتنبَّهَ به لشأن الملكة فاستوفى تعليمَها، فكان أبلغَ في الإفادة، ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التَّفطُّن لهذا** [1]**، فيحصل على علم اللّسان صناعةً، ولا يحصل عليه ملكةً، وأمّا المخالطون لكتب المتأخّرين العارية عن ذلك**[2] **إلّا من القوانين النحويّة مجرّدةً عن أشعار العرب وكلامهم، فقلَّ ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة، أو ينتبهون لشأنها، فتجدهم يحسبون أنّهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب، وهم أبعدُ النّاس عنه**"[٣].

وهذا نصٌّ نفيسٌ لابن خلدون بيَّنَ فيه المشكلةَ وحلَّها، وما يهمنا هنا تنبيهه على كتاب سيبويه، بأنه مليءٌ بأمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، وهذا جزءٌ صالحٌ من تعليم الملكة اللغوية، مع الانتباه أن ابن خلدون قسَّم المتعاملين مع كتاب سيبويه إلى قسمين: **الأول**: من خالط كتاب سيبويه، ولكنه لم يقتصر على قوانين الإعراب، بل حصل على حظٍّ من كلام العرب، وحفظه، مع يقظته الشديدة لشأن الملكة فاستوفى تعليمَها، فكان أبلغَ في الإفادة.

والقسم الثاني: من خالط كتاب سيبويه، ولكنه يغفل عن التَّفطُّن لهذا النصوص، فضلاً عن حفظها والإفادة منها، فيحصل على علم اللّسان

(1) لا تقع لك الأشياء حتى تتفطن لها وتقصد إليها.

(2) ذلك: يقصد مرويات العرب وشواهدهم.

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، ص.١١٤٨.

صناعةً؛ لاقتصاره على قوانين الإعراب فقط، ولكنه بإغفاله شواهد كلام العرب لا يحصل ملكة علم اللسان.

ثم أشار ابن خلدون إلى **قسم ثالث** هو أقل رتبة من القسمين السابقين، وهم المخالطون لكتب المتأخّرين التي اقتصرت على القوانين النحويّة، وخلت من أشعار العرب وكلامهم، فهؤلاء لا ينتبهون لأمر ملكة علم اللسان، فتجدهم يحسبون أنّهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب، وهم أبعدُ النّاس عنه.

إذًا الحل الفردي: أن تحرص أنتَ على أن تجبر النقص الحاصل، وتعرف طرقه ووسائله وما يستلزمه منك ذاك، وفي نص ابن خلدون إشارة لهذه الفردية في قوله: "**ووجه التّعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها: أن يأخذ نفسه**"، فهذه كلها من جوانب النقص الذي ينبغي على طالب اللغة معلِّمًا أو متعلِّمًا أن يجبر نقصه فيها بنفسه.

وأنا في هذا البحث أنصح نفسي وكلَّ دارسٍ للغة بهذا الحل السَّابق، فإنَّ من دلف إلى كلية الألسن وأراد أن يتعلم اللُّغة في لسانه وفي قلمه فلا يطمع في ذلك، ولا مطمعَ له في ذلك ما لم يصح لديه الفكر والتصور، ويحسن التصور، ويتموضع بشكلٍ يسمح له بتحصيل ذلك، نعم سيُعلَّمه الأساتذة والمناهج صناعةً كما تعلَّموا أو تمنهجوا على من درَّسهم فيدرسونه، ونحن من ضمن المنظومة ننقد أنفسنا كما ننقد الآخرين، ولكن الدارس عليه أن يحصِّل اللغة في لسانه وفكره وقلمه، وليس هناك أدعى من حفظ القرآن صغيرًا، والتضلُّع منه كبيرًا، والاتصال به قراءةً وممارسةً وفهمًا وتفكيكًا وتدبُّرًا، وكذلك السنة النبوية، وكذلك كلام العرب شعرًا ونثرًا، وكذلك الكلام والنطق الفصيح وتعوُّده، وممارسة الكلام بالفصحى، نعم عليه أن يُعَوِّدَ نفسَه على أن ينطق كثيرًا بالفصحى ويتحدث بها، ويخاطب بها، ويسمعها أيضًا، "**والسَّمعُ أبو الملكات اللسانية**" كما يقول ابن خلدون[1].

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤،

٣– الحلول المؤسسية: وهذا يحتاج إلى إعادة العمل فيما كان يطبقه القدماء من طريقة دراسة اللغة مرتبطة بالنصوص: قرآنًا وسنةً وشعرًا ونثرًا، مربوطةً بالشريعة، ولقصد غرض الشريعة، ولقصد غرض النص اللغوي، واستكناهها في النصوص، وحفظ تلك الأبيات والحكم والأمثال والشواهد والمعلقات، والتضلُّع من كلام العرب حتى تصبح اللُّغة سليقةً، ثم تُجْرَى الصناعة كشيءٍ رديفٍ، وعندئذٍ تزهر الصناعة، ويجمل مكانها، وقبلها تحصل اللغة، وتظهر في اليد واللسان، وما أجمل وأحسن اجتماع الغرضين!

أقول ذلك؛ لأنَّ كثيرًا من المحاولات الأخرى كانت عديمة الجدوى، قليلة الثمرة؛ فالحلول القاصرة لا تحقق نتيجة لفقدانها المنهجية الفكرية، فما تقدمه بعض كليات الألسن من مناهج موجزة ومبتسرة تحت بند (المهارات اللغوية) أو (التحرير العربي) لا يفي بالغرض؛ لقصوره المنهجي، وضعف المحتوى فيه، ولوقوعه في ذات الفصل بين نصوص اللغة وتقعيدها؛ إذ يساق التقعيد ويؤتى عليه بأمثلة مجتزأة لا تغني غناء نصوص اللغة وبنائها ولا تسد مسدها.

ومما لا شك فيه أن هذه الحلول يجب أن تنطلق من إزاحة سبب المشكلة وإزالته، وهو الإيغال في تشظية اللغة، فحسم الداء يكون بقطع مادته لاسيما إذا استفحل، وقد استفحل، فقد غاب عنا فقه النصوص ومذاق الأساليب، ولم نعد قادرين على الربط والمواشجة بين قواعد اللغة ونصوصها، وجذّرنا الفرق بين القاعدة والتطبيق، كما قسّمنا القواعد صناعيًّا وليس ضمن فقه النصوص؛ فغاب عنا انتظام المنظومة وتكاملها.

إنّ مما يسهم في حل مشكلة تشظية اللغة هو أن نفهم ونشير هنا إلى أساس المشكلة كما سبق في المبحث الأول[1]، فالمشكلة في تقديم اللُّغة كلّها صناعة، وفصل الصناعة عن السَّليقة والملكة، والانقطاع إلى الجزئياتٍ الضيقة،

٢٠٠٦)، ١١٢٩/٣.

(١) ص.١٥-٢٤.

وتقسيم اللغة إلى مستويات بلا رابط بينها بذريعة تسهيلها، والسؤال هنا بل الأسئلة: كيف نعظم الفوائد من الصنعة، ونجمع إليها تحصيل اللغة؟ وكيف المواءمة بينهما؟ كيف المواءمة بين ضرورة الصنعة وتقسيم اللغة إلى مستويات، وبين الحفاظ على الملكة والذائقة والسليقة والمكنة اللغوية وإيعاب اللغة في الذات؟ وكيف نوازن بين الصنعة والملكة؟ كيف نحصل الصنعة ولا يفوتنا العائد الإجرائي من دراسة اللغة؟

هذه التساؤلات ونحوها مما يجب أن يلفت النظر، ويركز العناية لدى الباحثين والدارسين ومصممي المناهج.

إن الواجب علينا هو الجمع بين الصناعة والملكة، وأن يكون قصدنا من الصناعة أن تثمر في ألسنتنا وأقلامنا، فلا بد من القصد والعناية؛ لأنَّ الأشياء لا تقع لك حتى تقصدها.

إنَّ دارسَ اللُّغة إن لم تظهر ثمرة دراسته للغة ويبزُّ فيها الآخرين ويتميز عنهم فهو ليس دارسَ لغةٍ، فكما أنَّ المهندس مهارته في هندسته وتخطيطه للمدن والمباني، والطبيب مهارته في مبضعه ووصفته الطبية، والتاجر مهارته في إنتاجه المالي ونماء تجارته، فكذلك اللُّغوي مهارته في لسانه وعقله وقلمه، فإن لم يَبِنْ ويظهر فَرْقُهُ عن الآخرين بهذه الأشياء الثلاثة وهي القلم واللسان والفكر، وما يستلزمه ذلك من تحريرٍ وتعبيرٍ واستنباطٍ وتفكيكٍ وإعادة تركيبٍ -فهذا لم يحصِّل ثمرات دراسته للغة، فليس دارسَ لغةٍ، وإنما هو دارسُ صناعة اللُّغة، أو صناعة النَّحو، أو أجزاء من تلك الصناعة، والتفريق بين الصناعة والملكة ذكره ابن خلدون، وهو أنَّ الخياطة شيءٌ، وصناعتها شيءٌ آخر، فيمكن أن تتقن الصناعة، ولكنك لا تتقن الخياطة[1]، وكذلك مهنة الطب، وكذلك مهنة ركوب الخيل، وكذلك مهنة النجارة، وكل المهن كذلك هي

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦)، ١١٤٧/٣.

صنيعةٌ من ضمن الصنائع لها أصولها النظرية، وإذا كنا نحن دارسي اللغة ندرسها نظريًّا، إذًا من الذي يتقنها إجرائيًّا ويمتلكها صناعةً ويدرسها عمليًّا؟! يدرسها عمليًّا ويمارسها إجرائيًّا أولئك الذين حفظوها في نصوصها، فبانت في ألسنتهم، مع معرفتهم بقواعد العربية.

ومن الحلول لمنع تشظية اللغة: أن نفقه أن اللغة لا تتكوّن في الإنسان جزئية، بل تقع كُلّيّةً تامّةً، نَعَمْ تتكوَّن صناعةً، بأن تعرفَ مصادرَ هذه الجزئية وماذا قِيل فيها ودقائقها...إلى آخره، ولكن هذه الجزئية أنت عند النطق وعند الفهم وعند التفكيك لا تعتمد في فهمك وتفكيك ولسانك وكتابتك وقلمك على هذه الجزئية التي درستها، وإنما تعتمد على اللغة في ممارستك لها صياغةً ومناقشةً وشرحًا وخطابًا، فهمًا وإفهامًا، بمستوياتها العامة: صوتًا وبنية ونحوًا وتركيبًا ودلالة وأساليب وبلاغة وفصاحة ... إلى آخره.

إذًا هذه قضية الفصل بين الصناعة والملكة، ونحن هنا نهيكلها، ونجذّرها في أُطُرها العامة، وهي مشكلةٌ عويصةٌ، قديمةٌ حديثةٌ متجدّدةٌ، وستبقى مشكلةً عامةً، يَحلُّها الجادُّون بوعيٍ وفكرٍ وجهدٍ شخصيٍّ يترسمون فيه طريقةَ القدماء في تحصيل اللغة وإجرائها؛ لأن تحصيل اللغة بطريقة القدماء استثمار طويل الأمد، يحتاج إلى مراقبةٍ، يحتاج إلى مواكبة النمو، وعدم الانقطاع، والتماس مع النصوص برغبة؛ مما ينمي الذائقة، ويعين على امتلاك ناصية اللغة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

سنقتصر هنا على بعض الأفكار والنتائج التي وردت في البحث طلبًا للإيجاز:

- تشظية اللغة قضية فكرية ومنهجية، الخلل يبدأ فيها من التصور والتطبيق، والإصلاح يبدأ أيضًا من هناك، والنظر في مناهج المتقدمين والمتأخرين يقدم الدليل الجلي في هذا.
- الكل يدرك بلا خلاف أنه لابد من أن تقسّم الموضوعات اللغوية والنحوية ليمكن إيعابها بتدرج وروية، وليس هذا محل إشكال أبدًا، ولكن الإشكال بدأ عندما فقدنا استصحاب طبيعة المنظومة اللغوية وكُتليّتها وانتظامها ضمن نصوصها وأساليبها في طبيعتها: الممارسة والمنظومة، فنجح الأوائل حيث أخفقنا، وأخفقنا لأننا استمرأنا الفصل والتشظية واستسهلناهما حتى لم نعد قادرين على دراسة اللغة كما نمارسها.
- لقد افتقدنا إلى المعادلة والتوازن بين التدرج في إيعاب اللغة والحفاظ على طبيعتها، حتى نسينا الجمع بين القواعد والتطبيق، ففقدنا الإجراء اللغوي في أساليب العربية وتراكيبها، ولم نحصل الصناعة بتمامها، وافتقدنا القدرة على تطبيق القواعد على كل مسموع إلا مسموعًا حفظناه وألفناه، وهذا مظهر من مظاهر تشظية اللغة، وثمرة مرة بما كرّسناه من الإيغال في تمزيعها.
- لقد غاب عنا فقه النصوص اللغوية ومذاق أساليب اللغة؛ بفعل تشظيتها وتشطيرها، حتى لم نعد قادرين على الربط والمواشجة بين قضايا اللغة وأبوابها وقواعدها وبين نصوصها، وجذّرنا الفرق بين القاعدة والتطبيق، وغاب عنا انتظام المنظومة اللغوية وتكاملها.
- اللغة بناء مكتمل يأبى التشظي والانشطار، ولا يثمر في الفكر واللسان واليد إلا باكتمالها، هذه طبيعتها، وهذه بنائيتها؛ فيجب المشاكلة بين

دراستها وممارستها.

- مُورِسَ الفصلُ والتشظي تحت بند التسهيل، ثم ساد واستمر واستمرأ، بينما اللغة تأباه ولا تحتمله بنيتها؛ فهي إما أن تكون مكتملة إجرائية أو لا تكون.
- لا يجادل أحد في خطورة تشظية اللغة ومزاحمة الأساليب بالصناعة، وتسبب ذلك في ضعف تحصيلها في اللسان والفكر والقلم بوصفه سببًا أساسيًّا في الضعف اللغوي، وانعدام ركز اللغة في الألسن والعقول.
- تحولت اللغة بفضل التشظي إلى شأن وظيفي ليس إلا، منبتًّا عن النفع الذاتي ومراقبة النمو اللغوي في اللسان.
- أصبحت الصناعة وجزئيات مختارة منها لا رابط بينها هي الهم الأعظم للسواد الأعظم من دارسي اللغة، وهذه الجزئيات حتمتها الضرورة الوظيفية بوصفها محط بحث واجب أو منهج يجب تدريسه.
- ولكن حتى الصناعة لم تتم، بل أجزاء محددة في فرعيات معينة هي محط عناية الدارس في رسالته أو في منهجه الذي يدرسه، فقل أن تجد من لديه إلمام تام واستحضار متصل لكل أجزاء الصناعة اللغوية والنحوية.
- التخصص الدقيق والإيغال فيه وبعض خطط ومناهج كليات الألسن العربية فاقمت المشكلة، ولطالما كانت الحلول مجتزأةً وسطحيةً وغير جادة؛ ولذا افتقدت الفعالية.
- ما تقدمه بعض الكليات اللغوية من محاولات لسد هذا النقص بمواد مثل (المهارات اللغوية) و(التحرير العربي) شابه ذلك العوار المنهجي الذي تلبس بتدريس اللغة ذاتها.
- اللغة علم لسان ووسيلة وآلة، فكيف تعمل هذه الوسيلة والآلة ونحن لم نتقنها بعد؟! فضلاً عن أن ندلف إلى علوم الغايات والمقاصد.
- منهج القدامى كان أسلم وأحكم وأنجع، وهو دراسة اللغة من خلال نصوصها، والوقائع والشواهد شاهدة، ويلمون بأطراف جليّة من الصناعة تركزها القاعدة دون أن تُغَيِّبَ الهدف الإجرائي تحت ركامها.
- منهجية وفكر الأوائل أثبتت نجاعتها في الإجراء وفي الصناعة،

ومنهجية الأواخر لم تحصل لا إجراء ولا صناعة، فكيف نجح الأوائل في ألا يكون تقسيم الموضوعات والقضايا عائقًا للجمع بين الغايتين: القاعدة والإجراء؟ والجواب: أن ذلك منطلق من رؤية وفكر ومنهج متكامل يراعي بنائية اللغة وتكاملها وطبيعتها، افتقده المحدثون بعد ذلك.

- اللغة مشاعة للجميع ينبغي ألا تحجب بالصنعة ولا بالتشظية، وهذا ما تفطن له العلماء خارج دائرة التخصص الضيقة، وساندهم فيه المنصفون والمتعمقون من أهل الفنّ.
- الصنعة في غاية الأهمية، فليكن لها رجالها الذين يضمنون اتصال الفن وحياته، ولا يكلف الجميع بها، وهذا أحد الحلول التي تجمع الغايات، وتفصل بين أصناف الناس باعتبار الحد الواجب والفائض في اللغة لكل من الصنفين.
- فائض القوة والحد الواجب في اللغة، وانقسام الناس على ذلك، يحسن أن يتم برشد وفكر صحيح ومنهج سديد، تتكامل فيه الجهود بحسب القدرات والشغف والاهتمام.
- فالناس صنفان: متخصصون، ومحتاجون للغة إجرائيًّا ضرورة عليمة، وآخرون محتاجون هذا القدر بطريق الأولى وهم أهل التخصص مع قيامهم بفرض الكفاية في فروع الصناعة وفائض القوة اللغوية.
- ينبغي على أهل الصنعة أن يكونوا من أمهر الناس في إجرائية اللغة وتحقيق العائد منها؛ لتصح لهم صناعتها وتزهو بهم؛ حتى لا يبدو عوارهم بمعرفتهم الصنعة وإضاعتهم إجرائية اللغة.
- نحن بحاجة إلى فكر ونهج ورؤية في تعليم اللغة وتعلُّمها يوائم بين ممارستها ودراستها، ينطلق من بنيتها وطبيعتها، وهذا كله كان عند القدامى فأثمرت اللغة لديهم إجراءً وصناعةً، وافتقدنا ذلك كله فلم نحصل إجراءً لسانيًّا ولا صناعة لغوية.
- اللغة ضرورة لكل متصل بالعلوم الدينية والشرعية والنظرية، ويجب أن يكون ما يحقق إجراءها مشاعًا لعموم أهل العلم والنظر، وهذا يتم عبر تصميم مناهج تراعي إجرائيتها بعيدًا عن تشظيتها وعن مزاحمة

الصنعة لأساليبها، وسيكون أهل التخصص هم أكثر الناس انتفاعًا بمثل هذه المناهج.

- لا مفر من دراسة اللغة ودراسة الشريعة وترابطهما معًا، وعندها تكون علوم الشريعة ونصوصها تطبيقًا للقاعدة اللغوية تنميها وتنمو بها إذا اعتنى الدارس ذلك وقصده.
- ليس هناك ميدان أوسع للتطبيق الإجرائي للغة ومواشجة القواعد مع النصوص، من علوم الشريعة، فهذا ارتباط عضوي راسخ، ولو استثمر بمنهجية منطلقة من فكر وتصور واضح لظهرت الثمرات والنتائج.
- ويضاف إليه قراءة اللغة من أمهات مصادرها متصلة إجرائية لإقامة اللغة في الألسن، والدأب في ذلك في الأنشطة الصفية وغير الصفية دأبًا يقوم على إعلاء قيمة اللغة في المجتمع؛ إشاعة للذائقة اللغوية، وجعل ذلك ميدانًا للتنافس والتميز؛ لتبرز الظواهر النادرة من دارسي اللغة والمطبوعين عليها، وهؤلاء هم المستهدفون حقيقة حتى وإن كانوا القلة، فتأثيرهم سيكون عميقًا، وقد سبق تقسيم الناس حسب القدرات والأهداف(١).
- ما يقدم من حلول فردية وذاتية عند بعض الجادين أفرادًا ومؤسسات بترسم طبيعة اللغة ومشاكلة دراستها بممارستها في اقتداء واهتداء لنهج المتقدمين –يعطي أوضح دلالة على إمكانية العودة إلى تحصيل الملكات اللغوية بفكر ومنهج ورؤية؛ إذ تجد عند غير المتخصصين من الملكات والمهارات اللغوية ما يفتقده أهلها.
- إعلاء قيمة الجدية وأخذ النفس بالعزائم، ومباينة الاستسهال والتسطيح وأخذ الأمر وظيفة.

(١) ينظر هذا البحث: ص.٣٨.

المصادر والمراجع

إبراهيم، عبدالعليم. **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية**. القاهرة: دار المعارف، ط١٨، ٢٠٠٧.

ابن أبي سلمى. زهير. **ديوانه**. بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٦/.٢٠٠٥.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. **الفتاوى**. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦/١٩٩٥.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٧٠/١٩٥٢.

ابن حزم، علي بن أحمد الظاهري. **رسالة مراتب العلوم**. بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٣.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. القاهرة: نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٦.

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي. **جمهرة اللغة**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.

ابن رشد، أبو الوليد القرطبي. **الضروري في النحو**. القاهرة: الصحوة، ١٤٣١/٢٠١٠.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **الصاحبي**. القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٥/٢٠٠٥.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **مقاييس اللغة**. القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٩/١٩٧٩.

ابن مضاء، أحمد بن عبدالرحمن القرطبي. **الرد على النحاة**. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.

ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤.

ابن هشام، عبدالله بن يوسف الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. دمشق: دار الفكر، ط٦، ١٩٨٥.

أبو المكارم، علي. **التعليم والعربية "رؤية من قريب"**. القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٨.

أبو حاتم، أحمد الرازي. **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**. اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤١٥/ ١٩٩٤.

الأزهري، محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.

البجة، عبدالفتاح حسن. **أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة**. عمَّان: دار الفكر، ١٤٢٠/٢٠٠٠.

التوحيدي، أبو حيان. **الإمتاع والمؤانسة**. بيروت: المطبعة العصرية، ١٤٢٤.

الجاحظ، عمرو بن عثمان. **الرسائل الأدبية**. بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح**. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤،

١٩٨٧/١٤٠٧.

الحموي، ياقوت. **معجم الأدباء**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤/١٩٩٣.

الحنبلي، ابن العماد. **شذرات الذهب**. بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦/١٩٨٦.

الذهبي، شمس الدين. **زغل العلم**. الكويت: مكتبة الصحوة الإسلامية، ١٤٠٤.

الركابي، جودت. **طرق تدريس اللغة العربية**. دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦.

الزجاجي، أبو القاسم. **الإيضاح في علل النحو**. بيروت: دار النفائس، ط٥، ١٤٠٦/١٩٨٦.

السيوطي، جلال الدين. **إتمام الدراية لقراء النقاية**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤/١٩٨٥.

الشاطبي، أبو إسحاق. **الموافقات**. الرياض: دار ابن القيم، ط٣، ١٤٢٧/٢٠٠٦.

الغزالي، أبو حامد. **المستصفى**. القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٢٤.

الفارابي، إسحاق بن إبراهيم. **ديوان الأدب**. القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٤٢٤/٢٠٠٣.

القالي، أبو علي. **الأمالي**. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤/١٩٢٦.

القرطبي، محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤/ ١٩٦٤.

المبرد، أبو العباس. **الكامل في اللغة والأدب**. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٣٤/ ٢٠١٣.

الموسى، نهاد. **الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية**. عمَّان: دار الشروق، ٢٠٠٣.

بنخود، نور الدين. **دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات**. الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧.

جابر، وليد. **أساليب تدريس اللغة العربية**. عمَّان: دار الفكر، ط٣، ١٩٩١.

حسان، تمام. **اللغة العربية معناها ومبناها**. القاهرة: عالم الكتب، ط٦، ١٤٣٠/٢٠٠٩.

خان، محمد صديق. **أبجد العلوم**. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣/٢٠٠٢.

خليفة، حاجي. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١.

رمضان، صالح بن عبدالهادي. **التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها**. الرياض: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٧.

زكريا، ميشال. **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية**. بيروت: المؤسسة الجامعية، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦.

سمك، محمد صالح. **فن التدريس للغة العربية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥.

عبدالمجيد، عبدالعزيز. **اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها**. القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٦١.

عوض، أحمد عبده. **مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية**. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢١/٢٠٠٠.

فضل الله، محمد رجب. **الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية**. القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٣/٢٠٠٠.

قورة، حسين سليمان. **تعليم اللغة العربية دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية**. القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٢.

مدكور، علي أحمد. **تدريس فنون اللغة العربية**. القاهرة: دار الشواف، ١٩٩١.

يونس، فتحي علي والناقة، محمود كامل. **أساليب تعليم اللغة العربية**. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٧.

Bibliography

Ibrāhīm, ʻAbd al-ʻAlīm. **al-Muwajjih al-Fannī li mudarrisī al-Lughah al-ʻArabīyah.** Cairo: Dār al-Maʻārif, 18th edition, 2007.

Ibn Abī Salmá. Zuhayr. **Dīwānuh**. Beirut: Dār al-Maʻrifah, 2nd edition, 1426 AH/2005.

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān. **al-Khaṣā'iṣ**. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1370 AH/1952.

Ibn Ḥazm, ʻAlī ibn Aḥmad al-Ẓāhirī. **Risālat Marātib al-ʻUlūm**. Beirut: al-Mu'assasah al-ʻArabīyah, 1983.

Ibn Khaldūn, ʻAbd-al-Raḥmān ibn Muḥammad. **Muqaddimah Ibn Khaldūn**. Cairo: Nahḍat Miṣr, 4th edition, 2006.

Ibn Durayd, Muḥammad ibn al-Ḥasan al-Azdī. **Jamharat al-Lughah**. Beirut: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, 1987.

Ibn Rushd, Abū al-Walīd al-Qurṭubī. **al-Ḍarūrī fī al-naḥw**. al-Cairo: al-Ṣaḥwah, 1431/2010.

Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad. **al-Ṣāḥibī**. al-Cairo: Mu'assasat al-Mukhtār, 1425 AH/2005.

Ibn Fāris, Abū al-Ḥusayn Aḥmad. **Maqāyīs al-Lughah**. Cairo: Dār al-Fikr, 1399 AH/1979.

Ibn Maḍā', Aḥmad ibn ʻAbd-al-Raḥmān al-Qurṭubī. **al-Radd ʻalá al-Nuḥāh**. Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1427 AH/2006.

Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. **Lisān al-ʻArab**. Beirut: Dār Ṣādir, 3rd edition, 1414 AH.

Ibn Hishām, Abdullāh ibn Yūsuf al-Anṣārī, **Mughnī al-labīb ʻan kutub al-Aʻārīb**. Damascus: Dār al-Fikr, 6th edition, 1985.

Abū al-Makārim, ʻAlī Education and Arabic "Vision from a close" (in Arabic). Cairo: Dār Gharīb, 2008.

Abū Ḥātim, Aḥmad al-Rāzī. **al-zīnah fī al-kalimāt al-Islāmīyah al-ʻArabīyah**. Yemen: Yemeni Studies and Research Center, 1415 AH/1994.

al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad. **Tahdhīb al-Lughah**. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 2001.

al-Bajjah, ʻAbd al-Fatāḥ Ḥasan. **Uṣūl Tadrīs al-ʻArabīyah bayna al-Naẓarīyah wa-al-Mumārasah**. Oman: Dār al-Fikr, 1420 AH/2000.

al-Tawḥīdī, Abū Ḥayyān. **al-Imtāʻ wa-al-Mu'ānasah**. Beirut: al-Maṭbaʻah al-ʻAṣrīyah, 1424 AH.

al-Jāḥiẓ, ʻAmr ibn ʻUthmān. **al-Rasā'il al-Adabīyah.** Beirut: Dār al-Jīl, 1991.

al-Jawharī, Ismāʻīl ibn Ḥammād. **al-Ṣiḥāḥ**. Beirut: Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, ṭ4, 1407/1987.

al-Ḥamawī, Yāqūt. **Mu‘jam al-Udabā’**. Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1414 AH/1993.

al-Ḥanbalī, Ibn al-‘Imād. **Shadharāt al-Dhahab**. Beirut: Dār Ibn Kathīr, 1406 AH/1986.

al-Dhahabī, Shams al-Dīn. **Zaghl al-‘Ilm**. Kuwait: Maktabat al-Ṣaḥwah al-Islāmīyah, 1404 AH.

al-Rikābī, Jawdat. **Ṭuruq Tadrīs al-Lughah al-‘Arabīyah**. Damascus: Dār al-Fikr, 2nd edition, 1406 AH/1986.

al-Zajjājī, Abū al-Qāsim. **al-Īḍāḥ fī ‘Ilal al-Naḥw**. Beirut: Dār al-Nafā’is, 5th edition, 1406 AH/1986.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. **Itmām al-Dirāyah li-Qurrā’ al-Nuqāyah**. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1404 AH/1985.

al-Shāṭibī, Abū Isḥāq. **al-Muwāfaqāt**. Riyadh: Dār Ibn al-Qayyim, 3rd edition, 1427 AH/2006.

al-Ghazālī, Abū Ḥāmid. **al-Mustaṣfá**. Cairo: Maṭba‘at Būlāq, 1324 AH.

al-Fārābī, Isḥāq ibn Ibrāhīm. **Dīwān al-Adab**. Cairo: Mu’assasat Dār al-Sha‘b, 1424 AH/2003.

al-Qālī, Abū ‘Alī**. al-Amālī**. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 2nd edition, 1344 AH/1926.

al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. **al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān**. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 2nd edition, 1384 AH/1964.

al-Mubarrid, Abū al-‘Abbās. **al-kāmil fī al-Lughah wa-al-Adab**. Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 2nd edition, 1434 AH/2013.

al-Mūsá, Nihād. **Methods, curricula and models in teaching Arabic**. (In Arabic), Oman: Dār al-Shurūq, 2003.

Benkhoud, Nour al-Dīn. **The Guide to Inter-Arab Studies in Language, Literature and Humanities**. (In Arabic), Riyadh: Center for Studies of Arabic Language and Literature at Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1437 AH.

Jabir, Walid. **Methods of teaching Arabic** language (in Arabic). Amman: Dar Al-Fikr, 3rd Edition, 1991.

Hasan, Tamām. **Arabic language meaning and structure** (in Arabic). Cairo: ʿĀlam al-Kutub, 6th edition, 1430 AH/2009.

Khān, Muḥammad Ṣiddīq. **Abajada al-‘Ulūm.** Beirut: Dār Ibn Ḥazm, 1423/2002.

Khalīfah, Ḥājjī. **Kashf al-Ẓunūn ‘an Asāmī al-Kutub wa-al-Funūn**. Baghdād : Maktabat al-Muthanná, 1941.

Zakaria, Michel. **Generative and Transformational Linguistics and Arabic Grammar, Linguistic Theory** (in Arabic). Beirut: University Foundation, 2nd edition, 1406 AH/1986.

Samak, Muḥammad Ṣāliḥ. **Fann al-tadrīs lil-lughah al-'Arabīyah**. Cairo: Maktabat al-Anglo al-Miṣrīyah, 1975.

'Abd-al-Majīd, 'Abd-al-'Azīz. **al-lughah al-'Arabīyah uṣūluhā al-nafsīyah wa-ṭuruq tadrīsihā**. Cairo: Dār al-Ma'ārif, 3rd edition, 1961.

'Awaḍ, Aḥmad 'Abduh. **madākhil Ta'līm al-lughah al-'Arabīyah, dirāsah masḥīyah naqdīyah**. Makkah al-Mukarramah: Umm al-umm al-Qura university, 1421 AH/2000.

Faḍl Allāh, Muḥammad Rajab. **al-Ittijāhāt al-Tarbawīyah al-Mu'āṣirah fī Tadrīs al-Lughah al-'Arabīyah**. Cairo: 'Ālam al-Kutub, 2nd edition, 1423 AH/2000.

Qūrah, Ḥusayn Sulaymān. **Ta'līm al-lughah al-'Arabīyah Dirāsāt taḥlīlīyah wa-mawāqif taṭbīqīyah**. Cairo: Dār al-Ma'ārif, 2nd edition, 1972.

Madkūr, 'Alī Aḥmad. **Tadrīs Funūn al-lughah al-'Arabīyah**. Cairo: Dār al-Shawwāf, 1991.

Madkūr, 'Alī Aḥmad. **Tadrīs Funūn al-lughah al-'Arabīyah**. Cairo: Dār al-Shawwāf, 1991.

Yūnus, Fatḥī 'Alī and Nāqah, Maḥmūd Kāmil. **Asālīb Ta'līm al-lughah al-'Arabīyah**. Cairo: Dār al-Thaqāfah, 1977.

صيغ جموع التكسير في العربية
بين تكامل النظام والثراء الدلالي
دراسة صرفية دلالية على آيات القرآن الكريم

The Forms of Broken Plural in Arabic
between the Integration of System and Semantic Enrichness
A Semantic & Morphological study on the verses of the Noble Qur'an

د. سعيد بن محمد بن عيضة العمري

أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بالمخواة–جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: Dr.SAEED.A@outlook.sa

المستخلص:

أكد البحث، الذي جاء بعنوان: (**صيغ جموع التكسير في العربية بين تكامل النظام والثراء الدلالي: دراسة صرفية دلالية على آيات القرآن الكريم**) أهمية صيغ جموع التكسير المختلفة في تركيب الجملة، وأن تنوع الصيغ جاء قصد الدقة في الدلالة على المعاني المختلفة، وبيان بطلان الدعاوى التي تنادي بتجريد الصرف من صيغ جموع التكسير المختلفة، والرد على من ادعى من الصرفيين افتقاد وجاهة تقسيمها إلى جموع للقلة وأخرى للكثرة. وأن جموع التكسير سمة من سمات العربية، ونظام متكامل ومصدر من مصادر الثراء اللغوي والدلالي، ومظهر من مظاهر السعة الوظيفية للعربية، الذي انفردت به عن اللغات الأخرى. وقد اتبع البحث منهج التحليل الوصفي بأدواته وركائزه، تطبيقا على آيات القرآن الكريم، مسجلا في نهايته النتائج التى توصل إليها، ومن أهمها:

- أن جموع التكسير – على اختلاف صيغها – لها مكانة مهمة في معنى الجملة والتركيب اللغوي، ولا تنوب إحداها عن غيرها من صيغ جموع التكسير كما زعم بعض الباحثين.
- أن تنوع جموع التكسير مظهر من مظاهر الثراء الدلالي في العربية، فعن طريقها يجد الناظم والناثر ماينا سبه لبناء نصه، فهي حالة تمثل نشاطا للبنية.
- لنا الحق في أن نقيس ما نحتاجه من غير العربية من الألفاظ المولدة على صيغ جموع التكسير، التي استقصاها القدماء، وفق قواعد الضبط العربي، وما وافق النظام اللغوي العربي.
- أن نظام كل لغة نابع من اللغة ذاتها ومقوماتها وخصائصها، وليس بالمقارنة بغيرها.

وأوصى الباحث في نهاية البحث الباحثين بالإقبال على صيغ جموع التكسير ودراستها دراسة واعية، تكشف أبعاد توظيفها وفاعلية استخدامها؛ فهي مجال خصب للدراسة، والتجلية بكشف جماليات البنية الصرفية وتنوعها، ورفض التسليم بالمقولة التي تقول إن أغلبها خارج عن القياس.

الكلمات المفتاحية: البنية، جموع التكسير، الثراء، الدلالة، القرآن الكريم، النظام.

Abstract:

The research, which was titled: "The Forms of Broken Plural in Arabic between the Integration of System and Semantic Enrichness: A Semantic & Morphological study on the verses of the Noble Qur'an" confirmed the importance of different Forms of Broken Plural in the syntax of the sentence, and that the diversity of the formulas was intended to be accurate in indicating the different meanings, and to explain the invalidity of the lawsuits calling for stripping the exchange of the formulas of the different fracturing groups, and the response to those who claim from the exchange groups lack of relevance Divide it into the multitudes for the few and the other for the many. And that the breaking masses are a feature of Arabic, an integrated system and a source of linguistic and semantic richness, and an aspect of the functional capacity of Arabic, which is unique to it from other languages. The research followed the descriptive analysis method with its tools and pillars, applying it to the verses of the Noble Qur'an, recording at the end of the results it reached. The different types of deconstructions has an important place in the meaning of the sentence and the linguistic structure, and none of them is a substitute for the other, as some researchers claim. - That the diversity of the taksir groups is a manifestation of the semantic richness in Arabic, because through it the organizer and the prose find what is suitable for the construction of his text, as it is a state that represents the activity of the structure. - We have the right to measure what we need from non-Arabic expressions generated on the formulas of the taksir plural, which the ancients investigated, in accordance with the rules of Arabic control, and what agreed with the Arabic linguistic system. - The system of each language stems from the language itself, its constituents and characteristics, and not in comparison with others. At the end of the research, the researcher recommended that researchers turn to fracking groups and study them consciously, revealing the dimensions of their employment and the effectiveness of their use. It is a fertile field for study and manifestation, and it refuses to accept the saying that most of it is beyond measure.

Key words: Structure, Broken Plural, Enrichness, Semantics, The Holy Quran, System.

المقدمة:

إن لغة العرب لغة القرآن، التي لا تزال عامرة بكنوز البحث وروافد المعرفة، وأسرار لا تكاد تنتهي. ولقد كنت من فترة أتأمل في دراسات بعض اللغويين المعاصرين فاستوقفتني بعض الآراء، ومنها:

أولاً: من ينادي بتجريد الصرف من صيغ جموع التكسير، وأن مكانها متن اللغة؛ إذ إن الصرف معني ببيان القيم التي يحملها البناء، وهي قيم ليست بالصورية اللفظية، وإنما هي خواص صرفية يظهر أثرها في التركيب، مستدلاً باستعمال صيغة معينة من صيغ جموع التكسير دون أخرى، فما ترتب على ذلك شيء في الجملة، وما اختلف المعنى(١).

ثانياً: الرأي الذي ينادي بعدم الإلتزام بصيغ مخصوصة للقلة أو الكثرة، وأن هذا التقسيم يحمل في أثنائه ضعفاً، وهو ما ذهب إليه كل من الدكتور إبراهيم أنيس(٢)، والدكتور محمد أبو الفتوح(٣).

ولذا كانت فكرة البحث لبيان فائدة جمع التكسير في دراسة الجملة، وأثره في المعنى من جانب، وكذلك ما يمثله التنوع في صيغ جموع التكسير من دلالات خاصة، تمثل تجددا بنيويا دلاليا لها، ولدعم ذلك جاء الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم؛ فهو أوثق نص يمكن الاستشهاد به للرد على آرائهم أولاً، وبعداً عن الإطالة بسرد الشواهد من كلام العرب ثانياً، وتكمن أهمية الموضوع في:

١ – كشف جانب من جماليات البنية اللغوية للقرآن الكريم.

٢ – إظهار خصوصية أحد أبرز أبواب النظام الصرفي في العربية وعلاقته بالسياق.

---

(١) ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، مصر، دار المعارف، ط: ٩، ١٩٨٦ م، ص ٢٣٧.

(٢) ينظر: إبراهيم أنيس، أسرار العربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط: ٣، ١٩٦٦ م، ص ١٣٧.

(٣) ينظر: محمد أبو الفتوح علم الصرف دراسة وصفية، القاهرة، دار المعارف، ط:١، ١٩٨٦م.، ص١٣.

٣ – إبراز آراء جهود اللغويين المنصفين لخصوصية النظام الصرفي وجهودهم، وكذلك تحليل آراء المخالفين لذلك.

٤ – جمع المتفرق مما يتعلق بإشكالية صيغ جموع التكسير في القرآن الكريم وتوظيفها الصرفي والدلالي.

الدراسات السابقة:

وقعت على دراسات لها علاقة بجمع التكسير وهي:

١– تنوع صيغ الجمع للمفرد الواحد في القرآن الكريم (دراسة صرفية دلالية)، إعداد: نعيمة فواجلية، وهي في الأصل رسالة ماجستير، جاءت في مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: تعريف الجمع وأنواعه.

الفصل الثاني: تفسير ظاهرة تعدد صيغ جموع التكسير ذات المفرد الواحد وتوجيه ورود (ثلاثة قروء).

٢ – جموع القلة والكثرة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم إعداد: عتارسية أمينة وهي في الأصل مذكرة مكملة لنيل الماجستير، جاءت في مقدمة، ومدخل وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: حوى الدراسة النظرية، واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جموع التكسير عند علماء الصرف وتعريفه، وسبب التسمية.

المبحث الثاني: جموع القلة والكثرة.

المبحث الثالث: ظاهرة التبادل اللغوي في العربية.

الفصل الثاني: (التطبيق).

٣ – دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة، إعداد الأستاذ الدكتور: مفتن اللامي، والمدرس المساعد: عباس إسماعيل سيلان، وجاءت في مقدمة، وتمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: دلالات جموع التكسير العامة في نهج البلاغة.

المبحث الثاني: أثر القرائن في توجيه دلالات جموع التكسير.

٤ – الفروق الدلالية في أبنية الكثرة، إعداد د. العدوي محمد راضي، وجاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تعدد صيغ الجموع.

المبحث الثاني: صيغتا عباد وعبيد.

المبحث الثالث: صيغتا إخوان وإخوة.

٥ – نظرات في جموع التكسير، د. مجيد خير الله الزاملي «مطبوع».

وكل هذه الأبحاث تناقش صيغا معينة من وجهتها الصرفية وسياق استعمالها، ويتميز هذا البحث بمناقشة حقيقة وضع هذه الصيغ في حقل الصرف العربي، والرد على الآراء التي تسعى لنزعها من موقعها في عالم الصرف، وكشف الجانب الدلالي، الذي يقدمه التغاير بين دلالات القلة والكثرة وخصوصية توظيف هذه الصيغ.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث (**صيغ جموع التكسير في العربية بين تكامل النظام والثراء الدلالي: دراسة صرفية دلالية على آيات القرآن الكريم**) أن يأتي في أربعة مباحث، مسبوقة بمقدمة ومدخل، ومتبوعة بخاتمة يقفوها ثبت بالمصادر والمراجع.

ذكرت في المقدمة فكرة البحث وأهميته وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهجه، ثم جاء مدخل لهذا الباب الصرفي، وتلاه أربعة مباحث، سلطت الضوء في المبحث الأول على تنوع صيغ الجمع والمفرد واحد؛ مراعاة للعدد من حيث القلة والكثرة، وفي المبحث الثاني تنوع صيغ الجمع والمفرد واحد؛ لإضافة معنى إلى جانب القلة أو الكثرة.

وفي البحث الثالث صيغ الجمع التي تستعمل للقلة والكثرة على السواء، وخصصت المبحث الرابع لبيان آراء اللغويين المعاصرين تجاه جمع التكسير بين رافض للتنوع ومؤيد له، ثم بينت رأيي في الموضوع، ذاكرا ما استندت عليه.

ثم ذيلت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة، وما رآه

الباحث أثناء البحث في مصنفات الصرفيين وأهل اللغة، وأرفقت البحث بثبت بالمصادر والمراجع التي أفدت منها.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي بأداتي الرصد والتحليل، وذلك باختيار نماذج تؤيد ما ذهبت إليه، ثم تحليلها بعد ذكر الوزن الصرفي وبيان دلالاتها؛ ليخرج البحث بصورته ومحققًا هدفه المنشود.

فالله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العربية، وأن يكون حلقة من سلسلة حلقات متواصلة في دراسة الصرف العربي، التي تكشف عن فضل وأصالة هذا العلم، وضوابط الصرفيين في بنائه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدخل:

تعريف جمع التكسير:

عرفه العلماء تعريفات عديدة منها:

تعريف أبي علي الفارسي حيث قال: «ما جمع واحده عليه جمعًا مطردًا وقيس في أكثر الأمر ما لم يسمع منه على ما سمع»(١).

وهو عند الزمخشري: «ما ينكسر فيه بناء الواحد كرجالٍ وأفراس ونِعمّ ذوي العلم وغيرهم» (٢).

وعرفه الأشموني بأنه: «هو الاسم الدال على أكثر من اثنين بصورة تغيير لصيغةِ واحده لفظًا أو تقديرًا »(٣).

وعرفه من المحدثين الدكتور عبده الراجحي بقوله: «ما يدل على ثلاثة أو أكثر، مع تغير ضروري لمفرده عند الجمع»(٤).

سبب تسميته:

تحدث الصرفيون عن سبب تسميته، وبينوا أنه يعود إلى أن مفرده لا يسلم عند الجمع؛ بسبب التغيير الذي يحدث عليه عند صياغة الجمع، فنقول تكسرت حروفه(٥). يقول أبو علي عن هذا: «هذا الضرب من الجمع ، سمّي جمعًا مكسرًا على

(١) أبو علي الفارسي، المسائل الحلبيات، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط: ١، ١٩٨٧ م، ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) جار الله الزمخشري، الأنموذج في النحو، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، القاهرة، مكتبة الآداب، ط: ١، ١٩٩٠ م، ص ٩٨.

(٣) أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني، تحقيق: حسن محمد، بيروت، الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٨ م، ٣ / ٣٧٨.

(٤) الدكتور عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، مصر، دار المعرفة الجامعية، ط: ٢، ص ١٠٩.

(٥) ينظر: يوسف عطا الربعي، الوافي في قواعد الصرف العربي، لبنان، بيروت، الأهلية للنشر، ط: ١، ٢٠١٠، ص ١٣٧.

التشبيه بتكسير الآنية ونحوها؛ لأن تكسيرها، إنما هو إزالة التئام الأجزاء التي كان لها قبل، فلما أزيل النظم، وقل الفّند في هذا الجمع أيضاً عما كان عليه واحده، سموه مكسرًا»[١].

والسبب –نفسه – عند ابن الأنباري[٢]؛ وعليه فإن علة التسمية التغيير الذي يطرأ للمفرد عند جمعه. فالتكسير هو كسر قاعدة القياس كما في التثنية والجمع.

أقسامه:

ينقسم جمع التكسير إلى قسمين:

الأول: جمع القلة، وسماه سيبويه أدنى العدد[٣]، وعرفه الزمخشري بأنه: «العشرة فما دونها »[٤] ، وتبعه المرادي حيث قال: « مدلول القلة بطريق الحقيقة ، من ثلاثة إلى عشرة »[٥]. وعليه فإن معنى القلة ينحصر بين الثلاثة والعشرة.

وله أربعة أوزان، هي: «أَفْعُل»، و«أَفْعَال» و«أَفْعِلة» و«فِعْلَة»[٦]. يقول سيبويه: «فأبنية أدنى العدد (أَفْعُل) نحو : أَكْلُب وأَكْعُب. (أَفْعَال) نحو: أَجْمَال

(١) أبو علي الفارسي، التكملة، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، بيروت، عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٩٩ م، ص ٤٠٨.

(٢) ينظر: ابن الأنباري، أسرار العربية، تحقيق محمد حسن شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧ م، ص ٥٦.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط: د. ت،٣/ ٤٨٩– ٤٩٠.

(٤) جار الله الزمخشري، المفصل، تحقيق: خالد إسماعيل حسان، القاهرة، مكتبة الآداب، ط: ٢، ٢٠٠٩ م، ص ٢٣٣.

(٥) أبو محمد بدر الدين المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط: ١، ٢٠٠١، ٣ / ١٣٧٨.

(٦) ينظر: أبو القاسم الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، الأردن، دار الأمل، د. ط، د. ت، ص ١٧٢.

وأَعْدَال وأَحْمَال، و(أَفْعِلة) نحو: أَجْرِبةٍ وأنْصِبة وأَغْرِبة، و(فِعْلة) نحو: غِلْمة وصِبْيَة وفِتْيَة وإخوة وولدة »[١].

الثاني: جمع الكثرة، وسماه سيبويه أكثر العدد[٢].

واختلف الصرفيون في تعريف هذا القسم وتحديدًا في بدايته، فمنهم من يرى أنه ما فوق الثلاثة إلى ما لا نهاية[٣] ، ومنهم من يرى أنه ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية[٤].

وأوزانه كثيرة، فقد حدد الصرفيون المطرد منها بثلاثة وعشرين وزنًا على الأغلب[٥]. وبعضهم أوصلها إلى أكثر من ذلك [٦].

(١) سيبويه، الكتاب، ٣ /٤٩٠.

(٢) ينظر السابق نفسه.

(٣) ينظر: آدما طربية، معجم الجموع في اللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، ط: ١، ٢٠٠٣، ص ٨٤.

(٤) ينظر: أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الأشموني، مرجع سابق، ٣ / ٣٧٩.

(٥) ينظر: الشيخ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، الدمام، مكتبة المتنبي، ط: ١، ١٤٤٢هـ، ص ١١٧.

(٦) ينظر: سيبويه، مرجع سابق، ٣/٤٩٠-٦٢١.

المبحث الأول: تنوع صيغ الجمع للمفرد الواحد مراعاة للعدد من حيث القلة أوالكثرة

استخدم العرب صيغا مختلفة من جمع التكسير للمفرد الواحد، وذلك لدلالة الجمع على القلة تارة، وعلى الكثرة تارة أخرى، وقد ورد هذا التنوع في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

١ – (أَفْعُل – وفِعَال):

جمع بَحْر على أَبْحُر وبِحَار، وكلتا الصيغتين جمع تكسير للمفرد (بَحْر)، غير أن الغرض الدلالي لكل صيغة منهما مختلف عن الأخرى.

وجمع (أَبْحُر) بزنة (أَفْعُل) يدل على القلة، يؤيده قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله﴾ [لقمان: ٢٧].

فالعدد سبعة يكون تمييزه دالاً على القلة(١).

وجمع (بِحَار) بزنة (فِعَال) يدل على الكثرة، وقد جاء في التنزيل ما يؤيده، قال– تعالى–: ﴿وإذا البحار سجّرت﴾ [التكوير: ٦]. وقال–تعالى–: ﴿وإذا البحار فجّرت﴾ [الانفطار: ٣].

ولعل ما يؤكد دلالتها على الكثرة تضعيف العين في الفعل (سجِّرت) و(فجِّرت)، عن هذا يقول ابن جني: «تكرير العين في المثال دليلاً، على تكرير الفعل»(٢).

٢ – أفعَل – وفُعُول:

مما تعددت صيغ جموع التكسير فيه (شَهْر) حيث ورد فيه (أَفْعُل) للدلالة على القلة، ومنه قوله –تعالى–: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ [البقرة: ١٩٧] ومنه قوله –

(١) هذا ما تقتضيه الصنعة الصرفية، أما سياق الآية فيقتضي خلاف ذلك.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصاص: تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢١ هـ، ٢٠١/١.

تعالى-: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين﴾ [التوبة: ٢]. فوزن أفعل يدل على القلة.

وجمع على (شُهُور) بزنة (فُعُول) للدلالة على الكثرة، قال تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ [التوبة: ٣٦].

٣ – فُعُول – وأَفْعَال:

أُلُوف وآلاف جمعا تكسير للمفرد ألف وكل صيغة منهما تدل على معنى، فجمع (أُلُوف) بزنة (فُعُول) يدل على الكثرة، قال –تعالى-: ﴿الم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وصيغة (آلاف) بزنة (أَفْعَال) تدل على القلة، قال –تعالى-: ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة﴾ [آل عمران: ١٢٥].

٤ – فِعْلَة – وفِعْلاَن:

فتية وفتْيَان جمعان لفتى، وتدل صيغة (فِتْية) على القلة، قال –تعالى-: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ [الكهف: ١٠]، وقال –تعالى-: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣].

ومهما كان عددهم فإنهم ضمن القلة.

وصيغة (فتيان) بزنة (فِعْلان) دالة على الكثرة قال–تعالى-: ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ [يوسف: ٦٢].

٥ – أَفْعُل – وفِعَل:

أنْعُم ونِعَم جمعان لنعمة، فصيغة (أنْعُم) بزنة (أَفْعُل) تدل القلة، قال –تعالى-: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ [النحل: ١١٢]، وقال –تعالى-: ﴿شاكراً لأنعمه﴾ [النحل: ١٢١]. أما صيغة (نِعم) بزنة (فِعل) فتدل على الكثرة، قال –تعالى-: ﴿وأسبغ عليكم نِعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: ٢٠][(١)].

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، ٣٣/٨.

٦ – أفعِلَة – وأفاعل

ورد في جمع سوار صيغتان: أسْوِرَة بزنة (أَفْعِلَة)، قال –تعالى-: ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب﴾ [الزخرف: ٥٣] فصيغة (أسْوِرَة) هنا تدل على القلة، قال أبو حيَّان: وأماثلة القلة: «أفعل»، و «أفعال»، و «أفعلة»[(١)]؛ وعلى ذلك جاءت أسورة جمع سوار نحو : خمار وأخمرة. و(أساور) بزنة (أفاعل) تدل على الكثرة، قال –تعالى: ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ [الإنسان: ٢١].

فصيغة منتهى الجموع تدل على الكثرة.

وعليه فإن تعدد صيغ جموع التكسير للمفرد الواحد ليست من باب التكرار، وإنما لكل صيغة معنى ودلالة تختلف عن الأخرى، وهذا مما اتسمت به العربية.

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨، ١/٤٠٥.

المبحث الثاني: تعدد صيغ الجمع والمفرد واحد لإضافة معنىً إلى جانب الكثرة أو القلة

جاء الحديث في المبحث السابق عن سبب تنوع صيغ الجمع للمفرد الواحد إذا كان الغرض منه الدلالة على الكثرة أو على القلة، وفي هذا المبحث نجد أن السبب لم يعد مقصوراً على الكثرة أو على القلة، وإنما الغرض من تنوع الجمع عائد إلى إضافة معنى إليهما أو إلى أحدهما، كما سيأتي:

١ – فِعَال – وأَفْعِلَاء:

مثاله: شِدَاد وأشِدَّاء، فكلاهما جمع للمفرد (شديد)، وكلاهما يدلان على الكثرة، لذا لابد من بيان سبب آخر غير الكثرة والقلة دعا إلى هذا التنوع.

وبالنظر في ورود هاتين الصيغتين في القرآن الكريم، نجد أنهما أفادتا معنى إضافيًّا إلى الكثرة، قال—تعالى-: ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ [النبأ: ١٢]، وكذلك قال – تعالى-: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم: ٦].

يتبين من الآيتين السابقتين أن صيغة الجمع (شداد) بالإضافة إلى دلالتها على الكثرة دلت على معنى إضافي وهو المتانة والإحكام في الأولى[١]، وضخامة الأجساد وقوتها، وطباعهم غليظة ، وتركيبتهم في غاية الشدة ، وقد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين[٢].

فكلتا الصيغتين تتضمنان دلالة على الشدة والضخامة والقوة. أما صيغة الجمع أشداء فقد وردت في القرآن الكريم في قوله –تعالى-: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مكتبة جدة، دار القلم، ط٥، ١٤٠٦ هـ، ٤١٠/٣

(٢) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩ م، ٧٢/٧

فصيغة الجمع (أشداء) بزنة (أَفْعِلاَء) دلت بالإضافة إلى الكثرة على معنى الشدة مع الكفار وهي أمر معنوي، يقول الطبري: «أشداء على الكفار أي: غليظة عليهم قلوبهم»(١).

٢ – فِعَال – وفَعِيْل

ومنه عِبَاد وعبيد: كلاهما جمع للمفرد عَبْد بزنة (فَعْل).

ودلالتهما من حيث العدد حسب تصنيف الصرفيين على الكثرة وإنما تنوعت صيغتي الجمع لهذا المفرد لإضافة معنى إلى جانب الكثرة ، فصيغة عباد خص الله تعالى بها المؤمنين الصالحين المتقين وللدلالة على معنى الإنسان عمومًا، قال–تعالى-: ﴿أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [النمل : ١٩]، وقال– تعالى-: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً تلك الجنة نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ [مريم : ٦٣]، وقال –تعالى-: ﴿ وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾ [النمل: ١٥].

وقال –تعالى-: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإن قريب أجيب دعوة الداعي﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال –تعالى-: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ٢٦]، وقال – تعالى-: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء: ٢٦]، قال الزمخشري: «مكرمون: مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم»(٢).

وبتتبع جمع (عباد) في القرآن الكريم تجد أنه لا يخرج عن هذه المعاني السابقة إلا في موضع واحد في قوله –تعالى-: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [النور: ٣٢]، وكان خروجه لنكتة بلاغية مفادها: «زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال والنساء من أحرار رجالكم ونساءكم»(٣)، وخص الصالحين

(١) محمدبن جرير الطبري: جامع البيان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ٧٢/٧.
(٢) جار الله الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، دك، ط١، ١٩٩٧ م، ١١٢/٣.
(٣) ينظر: محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ٢ / ٣٣٧.

ليحصن لهم دينهم ويحفظ لهم صلاحهم، ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين يشفق مواليهم عليهم وينزلوهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة(١). ولعل ما يؤكد هذا التعدد في صيغ الجمع والمفرد واحد؛ لاقترانه بمعنى خاص هذه القراءة: ﴿من عبيدكم﴾(٢).

أما صيغة عبيد؛ فمنها ما ورد في القرآن الكريم للدلالة على جمع العبد بمعنى المملوك والرقيق، وإنزال الكفار والفجار منزلة العبيد لاتباعهم الباطل والشهوات قال –تعالى–: ﴿وإن الله ليس بظلام للعبيد﴾ [آل عمران: ١٨٢]، [الأنفال: ٥١] [الحج: ١٠] وقال –تعالى–: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله –تعالى–: ﴿وما أنا بظلام العبيد﴾ [ق: ٢٩]. وقيل: «ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه»(٣).

وورد عند القفطي ما يشير إلى اختصاص لفظ العبيد واقترانه بقابلية التملك والعبودية والرق، فيقال عبيد فلان ولا يقال عباد فلان بقوله:" ثُمَّ قالوا العبيد اسم يشارك فِيهِ المخلوق الخالق فِي التسمية لأنه يقال عبيد الله وعبيد فلان والعباد اسم اختص الله بِهِ فيقال عباد الله ولا يقال عباد فلان فتسموا بالعباد"(٤).

وليس أدل على هذا الاختصاص في اللفظما أشار إليه قوله– تعالى–: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله﴾ [آل عمران: ٧٩]. حيث علق صاحب سير أعلام النبلاء على هذه الآية بقوله: "فما لم يكن لنبي الله لم يكن لغيره"(٥).؛ أي: كما لا يكون للنبي عباد لا يكون

(١) ينظر: محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، ٦ / ٥٥١.
(٢) هي قراءة مجاهد وأبي الحسن، محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق ٦/ ٥٥٣.
(٣) جار الله الزمخشري، مرجع سابق، ٢ / ٢٢٩.
(٤) جمال الدين أبو الحسن علي القفطي إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص ١٣٣.
(٥) شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٦م،١٢٧/١١.

للناس أيضا، أما العبيد؛ فيشترك فيه الحق والناس، فهم فيه سواء، فيقال: عبيد الله وعبيد فلان.

يتضح مما سبق أن دلالة الصيغتين ليست واحدة، فصيغة (عباد) جاءت للدلالة على المؤمنين القانتين والإنسان بمعنى الإنسانية، أما صيغة عبيد؛ فجاءت للدلالة على معنى المملوكين والكفار والفجرة.

٣ – فُعُول – وفُعْلاَن:

ومنه: ذكور وذكران فكلاهما جمع لمفرد (ذكر)، وصيغة الذكران جمع كثرة يقول أبو حيان: «والذكران جمع ذكر مقابل الأنثى»(١).

ووزن الجمع «فُعْلاَن» قليل وروده، إذ لم يرد في القرآن الكريم إلا أربع مرات في كلمات: ذكران، ركبان، رهبان، وعميان.

وعلى ذلك جاء قوله –تعالى-: ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وقال –تعالى-: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا﴾ [التوبة: ٣١].

في حين أننا نجد أن صيغة «فُعُول» تدل على الكثرة ومنه قوله –تعالى-: ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ [الأنعام: ٣٩]، وعليه فإن تنوع صيغ جموع التكسير للمفرد «ذَكَر» جاء وفقًا لما تقتضيه الدلالة، يقول أبو السعود: «الذكر بفتحتين: خلاف الأنثى، بجمع قياساً على ذُكْران بالضم كحمل وحملان...وسمع – أيضًا- جمعه على ذكور»(٢).

وقال –تعالى-: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

وكذلك نقل ابن منظور قول كراع: «ليس في كلام العرب «فَعَل» يُكسّر على

(١) محمد بن يوسف أبو حيان، مرجع سابق ٧ / ٤٧.

(٢) عباس أبو السعود، الفيصل في ألوان الجموع، مصر، دار المعارف، د.ط، ١٩٧١ م، ص ٣٢٠.

«فُعُول» و«فُعْلان» إلا الذكر»[1].

وعلى الرغم من عدِّ صيغة الجمع «ذُكْران» جمع كثرة؛ فإن ورودها في سياق الآية –التي تصف فعل قوم لوط وإتيانهم للذكران من بني آدم ومخالفتهم لطبيعة الخلق؛ إذ لا يماثلهم أحد في صنيعهم – يدل على الغرابة والندرة وقلة الحدوث، فهم لا يأتون جميع الذكور وإنما يأتون صنفًا خاصًّا، تبغيه أنفسهم، وهو معنى إضافي دلت عليه الصيغة. وهذا من إعجاز القرآن الكريم؛ إذ أتى بهذا التغير للدلالة على القلة عن طريق استخدام جمع قليل وروده.

٤ – فِعْلَة – وفِعْلاَن:

ومنه: إخْوَة وإخْوَان، فإخوة في موازين الصرفيين جمع قلة، وإخوان فيها جمع كثرة، قال الزمخشري: «إخوة وأخوات في أخ، و«فِعْلَة» لغة. و«فِعْلان» للكثرة» [2]، قال –تعالى–: ﴿وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السُدُس﴾ [النساء: ١١].

ووردت صيغة إخوان في قوله –تعالى–: ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال –تعالى–: ﴿فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الزمخشري: «ألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخواناً متراحمين ومتناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف، وهو الإخوة في الله»[3]

فكلتا الصيغتين جمع تكسير لأخ، وقد جاء هذا التنوع لإضافة معنى إلى القلة في صيغة إخوة وهو الدلالة على النسب، في مقابل ذلك نجد أن صيغة إخوان

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ذ، ك، ر) ٦ / ٣٧.
(٢) جار الله الزمخشري، مرجع سابق، ٢ / ٤٥٧.
(٣) المرجع نفسه: ١ / ٤٢٤.

أضافت معنى إلى الكثرة وهو أخوة الدين، فتغير دلالة الصيغة قرينة بسياق ورودها.

وقد نزلت إحداهما منزلة الأخرى، كما في قوله –تعالى–: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الجمرات: ١٠]؛ فجيء بصيغة إخوة في هذا الموضع للدلالة تنزيل أخوة الدين منزلة أخوة النسب، وربما كانت أقوى، فجيء بصيغة القلة للدلالة على أن أخوة النسب قلة.

كذلك جاء استعمال صيغة إخوان للكثرة للدلالة على أخوة النسب في قوله –تعالى–: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن﴾ [النور: ٣١].

وفي هذا دلالة على شمولية صيغة "إخوان" لأخوة الدين والصداقة والنسب. فصيغة الكثرة توافق التوسع في حد العلاقة، مقارنة باستعمال صيغة القلة في تخصيصها وقصرها على حد معين يرتبط بالسياق وما يترتب عليه من أحكام شريعة.

وعليه فإن الدلالة كانت الباعث الرئيس والسبب الداعي إلى تنوع صيغ جموع التكسير المفرد «أخ».

المبحث الثالث: ما لا يجمع إلا على صيغة واحدة للقلة أو الكثرة

١- أَفْعَال

من الألفاظ ما لا يجمع إلا جمع قلة نحو (يوم) فإنه يجمع على (أيام) بزنة (أَفْعَال) ولكنه يستعمل للدلالة على القلة والكثرة على السواء:

حيث جاء قوله –تعالى-: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال –تعالى-: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال–تعالى-: ﴿وهو الذي خلق السنوات والأرض في ستة أيام﴾ [الأعراف: ٥٤]. ففي هذه الآيات دل الجمع «أيام» بزنة «أَفْعَال» على القلة. ودليل ذلك قرينة العدد المحدد المذكور قبله.

كما أن اللفظ نفسه استعمل في الدلالة على الكثرة، ومنه قوله– تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ [يونس: ١٠٢]، وقال –تعالى-: ﴿كلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤]، وقال – تعالى-: ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٥].

٢- فُعُول

وكما أن من الألفاظ ما لا يجمع إلا جمع قلة، فكذا منها ما لا يجمع إلا جمع كثرة ويستعمل للقلة والكثرة على السواء، نحو: (قُلُوب) بزنة (فُعُول) و(رِجَال) بزنة (فِعَال) قال –تعالى-: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾ [الكهف: ١٤] وأصحاب الكهف قلة، ومن استعماله (قلوب) للدلالة على الكثرة قوله –تعالى-: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ [البقرة: ٧].

٣- مَفَاعل

من الألفاظ التي لاتجمع إلا على صيغة منتهي الجموع بزنة (مَفَاعِل) مسجد، وإن كانت الصيغة تميل في جلِّ الدلالات إلى الدلالة على العموم والكثرة. وهذه الصيغة تجمع على مساجد وقد يدل على القلة أو الكثرة ويكون الفيصل في تحديد

المعنى القرائن والسياق، ومن ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

ولعل ما يدعم تنوع الصيغة بين القلة والكثرة هو تغير المقصود بها عند المفسرين، نحو ما قال القرطبي: "وَأَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ هُنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَمَحَارِيبَهُ. وَقِيلَ الْكَعْبَةُ، وَجُمِعَتْ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ الْمَسَاجِدِ أَوْ لِلتَّعْظِيمِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ سَائِرُ الْمَسَاجِدِ"(١).

أما دلالة صيغة منتهى الجموع على العموم توافقا مع الكثرة فجاء غالبا نحو ما جاء في قوله–تعالى–: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وكذلك قوله –تعالى–: ﴿أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وهذه ثلاثة مباحث في صيغ جموع التكسير بنوعيه تجلِبُ وراءَها من المعاني والدلالات ما هو أدق وأشمل مما نجده في أي نظام لغوي غير النظام الموجود في العربية، بل عجزت عنه أنظمة اللغات الأخرى.

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن"تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م، ٢/٧٦.

المبحث الرابع: جمع التكسير في نظر المعاصرين بين القبول والرفض

كانت مسائل الصرف عند القدامى، تضمها كتب النحو؛ لشدة ارتباط العلمين، يقول ابن جني: «التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتابًا في النحو إلا والتصريف آخره»(١).

والقدامى عند تناولهم لأبواب الصرف ومسائله، ومنها جموع التكسير، لم ينبهوا – على قدر الاستقصاء والبحث– إلا على مسألتين:

الأولى: الفصل بين تكسير الصفة وتكسير الاسم، وكذلك الفصل بين تكسير المذكر والمؤنث، وكذلك في نصهم على «أن البناء التكسيريّ يفيد ما يكسر عليه من المفردات»(٢) ، وكذلك تصنيف الجموع، واستغناء بعضها ببناء الآخر.

الثانية: اكتفى بعضهم بأن مرجعية جموع التكسير السماع(٣).

وسار على النهج –نفسه– بعض المعاصرين والمحدثين ؛ إذ تناولوا جموع التكسير في دراساتهم ، فبينوا نوعيه من حيث القلة والكثرة ، والنص على أن أبنية التكسير سماعية – في الغالب– مع الإشارة إلى قياس بعضها ، وبيان المطرد، والقليل والكثير(٤)؛ إلا أن بعضًا منهم قلل من أهمية جمع التكسير ، وذلك في أثناء دراساتهم اللغوية الحديثة ومنهم: الدكتور كمال بشر، الذي يرى أن صيغ جموع التكسير تناسب متن اللغة لا الصرف، مستنداً إلى أن الصرف معنيٌّ بالقيم التي يحملها البناء أو الوزن ، وهي ليست بالقيم الصورية اللفظية ، وإنما هي خواص صرفية يظهر أثرها في التركيب

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، المنصف، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٩ م، ص ٣٤.

(٢) انتصار عبد الله عبد القادر: آراء القدماء والمحدثين في جمع التكسير دراسة صرفية، السودان، جريدة رسالة العلماء، ع ٢٢، ٢٠١٥. ٩٥-٩٧.

(٣) ينظر: رضي الدين الإستراباذي، شرح الشافية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٨٢م، ١ / ٨٩.

(٤) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، مصر، دار المعارف، ط: ٣، ٤ / ٦٢٥ – ٦٨٢.

، وخلص في نهاية كلامه إلى أنها – في نظره – بعيدة من حقل الصرف، لصيقة بمتن اللغة ، مستدلاً بما نص عليه الصرفيون: أن جموع التكسير سماعية على الصحيح لا قياسية ، فليست في مجموعها تخضع لقواعد ثابتة مطردة(١).

وكذلك الدكتور إبراهيم السامرّائي؛ إذ يذهب إلى أن جموع التكسير تمثل مراحل بدائية في تاريخ اللغة، وأن كثرة صيغها يمكن أن ترد إلى صيغ محدودة، وأن كثرة الصيغ ناتج عن اختلاف اللهجات؛ إذ يقول: «وسبب هذه الكثرة راجع إلى اختلاف الأقوام واختلاف اللهجات»(٢).

ومن المحدثين الذين ذهبوا إلى ضعف تصنيف جموع التكسير إلى جموع للقلة، وأخرى للكثرة الدكتور إبراهيم أنيس؛ إذ يرى أن فكرة القلة والكثرة واختصاص كل منها بصيغ، لا ينبغي أن يلتزم به في اللغة العربية؛ ولا ينفع – كما يرى – للعرب الاستغناء بأحدهما عن الآخر في بعض التراكيب اللغوية لنكتة ما؛ لأن هذا الاستغناء يحمل في أثنائه ضعف هذا التقسيم(٣). كما رأى أن ما في العربية من شواهد لجمع الجمع لا يكفي لتكوين ظاهرة لغوية(٤).

وما ذهب إليه من مسألة القلة والكثرة نجده عند الشيخ ظاهر خير الله إذ يرى أن تقسيم جموع التكسير على «قلة» و«كثرة» مما لا أصل له في اللغة، بدليل عدم اتفاقهم على عدد جموع القلة(٥).

وتابعهم في هذا الرأي بعض الباحثين نحو الدكتور محمد أبو الفتوح بقوله: «وإذا

(١) ينظر: كمال محمد بشر، مرجع سابق، ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٢) إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٦ م، ص ٧٢.

(٣) ينظر: إبراهيم أنيس، مرجع سابق، ص ١٣٧

(٤) ينظر: إبراهيم أنيس، أسرار العربية، ص ١٣٧.

(٥) ينظر: ظاهر خير الله، المنهاج السوي في التخريج اللغوي، بيروت، مطبعة الاجتهاد، دت، ١٩٢٨ م، ص ٧٠ – ٧١.

نظرنا إلى القلة والكثرة في جموع التكسير نظرة واقعية بعيدة عن افتراضات الصّرفيين، وجدنا أن هذه القضية يمكن هدمها من أساسها فجموع التكسير نوع واحد لا نوعان»[١]؛ مستدلاً لرأيه بالاستغناء ببعض الصيغ عن الآخر دون النظر للقلة أو الكثرة[٢].

وعلى النقيض من هؤلاء نجد من المحدثين من أكد على أهمية جمع التكسير في العربية منهم الدكتور عبد الصبور شاهين إذ يقول: «إن الجمع من أهم الأبواب الصرفية التي تتجلى فيها ظاهرة التحول الداخلي في الكلمة العربية»[٣].

والدكتور عباس حسن في كتابه النحو الوافي تحدث عن جمع التكسير وبين مسائله دون أن ينتقص من أهميتها في شيء[٤].

وكذلك الدكتور مجيد خير الله الزاملي الذي نقل بعض الجموع من دائرة الشذوذ – كما يرى الصرفيون – إلى دائرة القياس[٥].

ومن الباحثين المحدثين الذين أكدوا أهمية جموع التكسير الدكتور عبده الراجحي، إذ يرد على من ينادي بحذف باب جمع التكسير من الصرف لعدم الفائدة منه فيقول: «إن الدرس الصرفي لجمع التكسير مهم جداً، وبخاصة فيما نحتاجه الآن عند استعمالنا ألفاظًا مولّدة أو وافدة علينا، فإننا في الحق نقيس جمعها على الجموع التي استقصاها القدماء، ثم أنها ليست مبتوتة الصلة بدراسة الجملة»[٦].

(١) محمد أبو الفتوح: علم الصرف دراسة وصفية، القاهرة، دار المعارف، ط: ١، ١٩٨٦ م، ص ١٥١ – ١٥٢.

(٢) ينظر: المرجع نفسه.

(٣) عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٩٧٤م، ص ١٣٣.

(٤) ينظر: عباس حسن، مرجع سابق، ٤ /٦٢٥ –٦٨٢.

(٥) ينظر: مجيد خير الله الزاملي: نظرات في جموع التكسير، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦م، ص ٢٠ – ٢٣.

(٦) عبده الراجحي: مرجع سابق، ص ١٢٤.

ومن المستشرقين براجشتراشر: إذ يرى أن الجمع مما تنفرد به اللغة العربية، ولا يشاركها فيه إلا الحبشية[1].

- **تعليق:**

بعد استعراض موقف العلماء والباحثين فإن - الراجح وفق ما سبق عرضه البحث- أن جمع التكسير مظهر من مظاهر تكامل النظام اللغوي في العربية على جهة خاصة، ودليل على دقتها في اختيار اللفظ المناسب للدلالة على معنى مخصوص يقترن بسياق الاستعمال الوارد فيه، كما أن فيه دلالة على اتسام العربية بالمرونة والاتساع، وانسلال الصيغ المختلفة وتوليدها من المادة الواحدة. ولعل فيما سبق عرضه يؤكد ما رجح من آراء. فقد تناول البحث صيغ الجمع المختلفة للمفرد الواحد، وكذلك عرض بيان دلالتها من حيث القلة أو الكثرة، أو إضافة معنى إلى أحدهما تبعا للسياق، كما بينت الجموع التي تستعمل بصورة واحدة في القلة أو الكثرة. وقد قصرت الشواهد على آيات القرآن الكريم؛ لأنها أوثق الشواهد، التي تعرض نظام العربية، وتكشف سنن أهلها في كلامهم، وطرائقهم في التعبير باستعمال صيغ هذه الجموع. كما أن السياق القرآني يتميز عن أي سياق آخر في رصف مبانيه، ودقة لغته في تصرفها واستعمالاتها؛ فهو أنسب نص لتحقيق ما صبا البحث إليه من هدف منشود وبيان مراد مقصود.

وعليه يمكن الرد على مَنْ قلل من أهمية جمع التكسير سواء بالمطالبة بتجريد كتب الصرف منه، أو من ناحية أنواعه من حيث القلة أو الكثرة بإيضاح عدة أمور:

١ - أن ما قاله الصرفيون من أن اختصاص الجمع بالقلة أو الكثرة، إنما هو فيما وجد له صيغتان: إحداهما للقلة والأخرى للكثرة.

أما إذا لم يكن له إلا صيغة واحدة، فإنها حينئذ تستخدم للقلة والكثرة ويكون

(١) ينظر: براجشتراشر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٢ م، ص ١٠٦.

الفيصل في تعيين الدلالة قواعد العربية والقرائن، يقول أبو البقاء الكفوي: «أوزان جمع القلة للقلة إذا جاء للمفرد وزن كثرة، وإذا انحصر جمع التكسير فهي للقلة والكثرة، كذا ما عدا الستة للكثرة، إذا لم ينحصر فيه الجمع، وإلا فهو مشترك»(١).

٢ – قد يؤثَر أحدهما في الآخر لسبب ما، كقلة الاستعمال كقوله –تعالى–: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ [لقمان: ٢٧]، فمجيء صيغة جمع القلة (أَقْلاَم)(أَفْعَال) بدلاً من صيغة جمع الكثرة (قِلاَم)(فِعَال) هنا؛ لأن جمع الكثرة قليل الاستعمال فهو أشبه بالمهمل، والقرآن الكريم لا يلجأ إلى قليل الاستعمال إلا إذا كان وراءه غرض معنوي أو تناسب لفظي(٢).

٣ – أن ما جاء من استعمال صيغ القلة في موضع الكثرة ، ليس فيه هدماً لتقسيم الصرفيين ؛ بل هو من سنن العرب وطرائقها في التعبير عن المعاني بواسطة المغايرة بين الصيغ ، يقول ابن جني : « وعذر ذلك عندي أنه قد كثر عنهم وقوع الواحد على معنى الجمع جنساً، كقولنا : أهلك الناس الدنيار والدرهم ، وذهب الناس بالشاء والبعير ، فَلَمَّا كثر ذَلِك جاؤوا فِي مَوْضِعه بِلَفْظ الْجمع الَّذِي هُوَ أدنى إِلَى الْوَاحِد أَيْضا أَعنِي جمعي السَّالِم وَعلم –أَيْضا– أَنه إِذا جِيءَ فِي هَذَا الْموضع بِلَفْظ الْكَثْرَة لا يتدارك معنى الجنسية فَلَهوا عنه، وأقاموا على لفظ الواحد تارة، ولفظ الجمع المقارب للواحد تارة أخرى؛ إراحة لأنفسهم من طلب ما لا يدرك، ويأسًا منه، وتوقفًا دونه ، كقوله: (المتقارب)

رأى الهمّ يفضي إلى آخر ... فصيّر آخره أوّلا(٣)

ومثل الجمع بالواو والنون والألف والتاء مجيئهم في هذا الموضع بتكسير القلة،

(١) أبو البقاء الكفوي: الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٥٦٢

(٢) ينظر: العدوي محمد راضي: الفروق الدلالية في أبنية الكثرة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المرج، العدد الأول، المجلد الأول، ٢٠١٣ م، ص ٩٩.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ١١٦/٢، منسوب إلى محمود الوراق، عيون الأخيار، بيروت، المكتبة العصرية، ٣ / ٦٢.

كقوله تعالى: ﴿وأعينهم تفيض من الدمع﴾ [التوبة: ٩٢].

وقول حسان–رضي الله عنه–: (الطويل)

..... **وأسيافنا يقْطرن من نجْدة دما**[١]

ولم يقل عيونهم، ولا سيوفهم»[٢].

وقبل ابن جني ابن قتيبة، الذي عقد بابًا في كتابه «تأويل مشكل القرآن» أسماه: مخالفة ظاهر اللفظ معناه، وبين فيه ما ذهب إليه البلاغيون في باب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، ومنها وضع صيغة موضع أخرى.

٤– فات المؤيدين لعدم أهمية تنوع جموع التكسير من حيث القلة والكثرة عدة أمور:

الأول: أن المعتبر في دلالة الجمع على القلة نكرات الجموع؛ إذ إن دلالتها لا تتعدى الكمية من الثلاثة إلى العشرة؛ لتنكيرها[٣].

الثاني: أن ما يعرف منها بأل الجنس أو الإضافة يكون صالحاً للقلة والكثرة معاً[٤].

وفي هذا تأكيد أهمية دراسة صيغ جموع التكسير ضمن الجملة والتركيب، ووظيفتها في الدلالة على المعنى لا مجردة منها، ومن ثم ارتباط النحو بالصرف.

الثالث: أن استعمال صيغ الكثرة في موضع صيغ القلة، إنما يكون لدواعٍ بلاغية ودلالية، ولا يتنافى مع معنى القلة؛ وأن من الصرفيين من يرى أن الكثرة تبدأ من ثلاثة

---

(١) تامه:

لنا الجِفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُحى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجدة دما

ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ٨/ ١٨٨ والمرزباني، الموشح، ص ٦٠، وابن رشيق، العمدة، ٢٠٧/١، وهو بلا نسبة عند أحمد بن فارس في الصاحبي في فقه اللغة، ص ١٦٥.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، د. ت، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٣) عبد الرحمن إسماعيل: تيسير الصرف بمضمون كتاب شذا العرف في فن الصرف، مكة المكرمة، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، د. ت، ص ٢١٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق نفسه.

إلى ما لا نهاية[1].

الرابع: أنه قد يجبر المتكلم بالعربية إلى استعمال صيغة مكان أخرى؛ لدواعي مثل المحافظة على الوزن الشعري أو تناسق الفواصل، ولنا في قول حسان السابق: (الطويل)

لَنا الجِفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُحى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرنَ من نَجدة دما

خير دليل إذا استعمل «أسيافنا» بزنة «أَفْعَال» للقلة بدلاً من «سيوف» بزنة «فُعُول»؛ فالأخير أنسب لمقام الفخر، ولكنه لجأ لذلك حفاظاً على الوزن أولاً، ثم إن أسيافنا من الناحية الصوتية تناسب المقام لما فيها من استطالة الصوت وارتفاع يحدث من الصائت «الألف»، ومعوضًا ما فاته من الدلالة على الكثرة بإضافة جمع القلة إلى ضمير الكثرة «نا» فأصبح دالاً عليها، وفي هذا خير رد على الواهمين بعدم أهمية تناوب الصيغ، ووظيفة جمع التكسير في التركيب والدلالة على المعنى بالطرق المتبعة في العربية وأساليبها.

الخامس: أن مجيء صيغ الكثرة في موضع صيغ القلة لايتنافى مع قواعد النحاة، فالقسمة العقلية تقتضي أن تكون القلة جزء من الكثرة.

السادس: أن جمع التكسير سمة من سمات العربية البارزة ، فتكاد تكون اللغة الوحيدة التي وجد فيها مراحل التمييز الدقيقة والتدرج بين فكرة الإفراد والجمع، ففيها : المفرد ، والمثنى، والجمع، كل له نظامه البنائي الكامل، بخلاف غيرها كالإنجليزية مثلاً، لا يوجد بها مثنى قياسي وليست جموعها تدل على المعاني بالدقة التي تدل بها العربية على معانيها، بل إنها تستعمل العدد كمساعد في الدلالة على المعنى أثناء التعبير عن المثنى نحو: (Two Books) للدلالة على «كتابين»، و(Three Fishes) للدلالة على «ثلاثة سمكات»، ولا غرابة في تمييز العربية من هذه الناحية فهي لغة اشتقاقية ولغة شعر.

السابع: أن نظام كل لغة نابع من ذات اللغة ومن استعمال أهلها لها وطرائقهم

(١) ينظر: عبدالرحمن إسماعيل، مرجع سابق، ص ٢١٦.

في التعبير، فليس جميع اللغات تحتكم إلى ذات النظم والقوانين.

ثامنا: تمثل صيغ جموع التكسير و تنوعها بين الكثرة والقلة حالة من المغايرة (المخالفة) للقياس المطرد الذي تحفل به الجموع القياسية، وهذه الحالة موجودة في لغات عدة، فهناك كلمات إنجليزية وألمانية عديدة تستعمل ألفاظا تجمع على غير قياس (جمع شاذ)، وهي أشبه ما تكون بجمع التكسير في العربية نحو[1]: Men, Women, Mice, Geese. فالمغايرة مع القياس المطرد تمثل إضفاء نوع من المرونة للبنية الصرفية، كما تكشف خصائص الاشتقاق والتداخل بين اللغات.

وعليه فإن ما ذهب إليه هؤلاء من التقليل من أهمية جمع التكسير يحتاج إلى إعادة نظر، وأن جمع التكسير من الأهمية بمكان من بناء الجملة في العربية، وله فائدته في دراسة التركيب، وفي الدلالة على المعاني بأوزان خاصة لكل معنى، بالإضافة لعلاقة الجمع بالفعل وأحكامه، كما أن هناك أوزاناً تقتضي أن تكون ممنوعة من الصرف.

كل هذا يؤكد أن نظام الجمع في اللغة العربية نظام متكامل، ومظهر من مظاهر الثراء اللغوي والاتساع اللفظي، إذ به يجد الناظم والناثر من الألفاظ ما يناسبه في الدلالة على مراده، كما أننا بأوزان التكسير نستطيع أن نقيس عليها ما نحتاج إلى استعماله من ألفاظ مولدة أو وافدة؛ إذ لنا الحق في القياس على الجموع التي استقاها القدماء[2].

كما أن تنوع أوزان هذه الجموع يسمو ببلاغة النصوص ودقتها في الدلالة على المعاني، بخلاف لو استعملت صيغ محددة كما يرى المنادون بعدم أهمية هذا التنوع، ولما بلغت بلاغة هذه النصوص مبلغها.

(١) الجمع القياسي في الإنجليزية بزيادة (s) أو (es)، وما خالف ذلك كان جمعا على غير قياس (irregular plural) نحو: (Men/Man، (Mice/Moues) (Women/Woman) (Geese/Goose)).

(٢) ينظر: عبده الراجحي، مرجع سابق، ص ١٢٤.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرحلة مع جموع التكسير في هذا البحث، المعنون بـ « **صيغ جموع التكسير في العربية بين تكامل النظام والثراء الدلالي: دراسة صرفية دلالية على آيات القرآن الكريم**»، الذي نال جهداً ووقتاً ليس بالقصير ، حرصاً على تأكيد فكرة الموضوع الخاصة و تجنب ما سبق عرضه، فإشكالية البحث تكمن في الرد على من ينفي أحقية هذه الصيغ في الحقل الصرفي من جانب أهمية تنوع صيغ جموع التكسير وعظم توظيفها السياقي، وبيان دقتها في الدلالة على المعاني من جانب آخر، و قد أكد ذلك الشاهد القرآني دلالة و توظيفا مستدلاً بأوثق ما يمكن أن يكون طمأنة للنفس و ترجيحا للموقف و الرأي. كذلك التنويه إلى أنها من مظاهر ثراء العربية وسعتها، وبيان وهم مَنْ نادى بتجريد الصرف منها ونقلها إلى حقول أخرى، أو نادى بعدم وجاهة القول بدلالتها على القلة أو الكثرة. وما كان لهذا البحث بما يتناوله من إشكالية أن يؤسس دون الإفادة من الدراسات التي سبقته في جموع التكسير من جوانب عديدة غير الجانب الذي تطرق له هذا البحث، وبناء على ما تمت دراسته يمكن إيجاز النتائج الآتية:

١ – أن دلالة صيغ جموع التكسير تختلف من صيغة لأخرى، وأن لكل صيغ معنى تتميز به عن الأخرى، سواء من حيث العدد، أو إضافة معنى إليه.

٢ – أن جموع التكسير لها مكانة مهمة في معنى الجملة والتركيب اللغوي، وليس كما يرى بعض الباحثين أن إحداها تنوب عن غيرها من صيغ جموع التكسير.

٣ – أن تنوع صيغ جموع التكسير مظهر من مظاهر ثراء اللغة العربية، فعن طريقها يجد الناظم والناثر ما يناسبه لبناء نصه.

٤ – لنا الحق في أن نقيس ما نحتاجه من غير العربية من الألفاظ الموافقة لصيغ جموع التكسير المختلفة التي استقصاها القدماء، وبما يلائم النظام الصرفي العربي.

٥ – أن نظام كل لغة ينبع من اللغة ذاتها، ولا يكون بالمقارنة بغيرها. وهذه خصوصية وتفرد إيجابي، يرتبط بعوامل لغوية وبيئية وثقافية مختلفة.

٦ – أن مما يدل على أهمية صيغ جموع التكسير في التركيب، الدلالة على الكثرة بما عرف عند النحاة من دخول «أل» الجنس على اللفظ أو إضافته إلى ضمير الكثرة، وهذا أبلغ رد على من يرى عدم أهميتها في التركيب.

٧ – قد يضطر المتكلم لاستبدال صيغة بأخرى، لظروف خارجة عن إرادته كالوزن والقافية، ولا يعنى هذا استقرار دلالة هذه الصيغة، بل من قبيل الاستعمال الخاص.

٨ – أن تحديد الدلالة على القلة أو الكثرة، لا يكون إلا إذا وجد للمفرد أكثر من جمع، وإلا فدلالة الجمع عليهما على السواء.

٩ – أن اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بواسطة الجموع، فلو نظرنا للغة الإنجليزية –مثلاً – وجدنا أنها لا تفرق في الجمع على أساس الجنس بين مذكر أو مؤنث، ولا عاقل أو غير عاقل، أو عن طريق العدد بين المفرد والمثنى والجمع، نحو ما هو متبع في العربية.

١٠ – أن تنوع الجموع في العربية مظهر غناء وثراء وتوسع وليس من باب الإطناب، وأن لكل نوع أهميته في الخطاب الاستعمالي أو التأثير النفسي للمستعمل والمتلقي، بخلاف غيرها من اللغات التي تميل إلى الاختصار في هذا الموضوع مثل الإنجليزية والألمانية.

التوصيات:

وفي الختام لا يسعني سوى تقديم عدة توصيات بحثية، تمثل ملحوظات خاصة، ارتبطت بإشكالية هذا البحث، وأهمها ما يأتي:

١ – الإقبال على جموع التكسير ودراستها من جوانب مختلفة فهي مجال خصب وجدير بالدراسة في كتب التراث خاصة ما يتعلق بعلاقة الصرف بالدلالة.

٢ – عدم التسليم بالقول الذي يرى أن جموع التكسير أغلبها خارج على مقتضى القواعد الصرفية، بل لابد من استقصاء علة هذه المخالفات في نظام الجمع في العربية وعلاقة الاطراد بالمخالفة في مثل هذه الأبواب.

٣ – تتبع آراء القدماء في جموع التكسير، لإكمال ما لم يتم بيانه من قبلهم، لتتم الفائدة، وتبيان المعرفة؛ لأن اللاحق يبدأ من حيث انتهى السابق.

٤– كشف خصوصية صيغ جموع التكسير في الحديث النبوي لتأكيد ما عرض من آراء في هذه القضية.

الله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الإستراباذي، رضي الدين: شرح الشافية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٨٢ م.

إسماعيل، عبد الرحمن: تيسير الصرف بمضمون كتاب شذا العرف في فن الصرف، مكة المكرمة، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط١، د. ت.

الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد: شرح الأشموني، تحقيق: حسن محمد، بيروت، الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٨ م.

ابن الأنباري، أبو البركات: أسرار العربية، تحقيق محمد حسن شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧ م.

أنيس، إبراهيم: أسرار العربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط: ٣، ١٩٦٦ م.

براجشتراشر، جوتهلف: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٢ م

بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، مصر، دار المعارف، ط: ٩، ١٩٨٦ م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصاص: تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢١ هـ.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، د. ت.

المنصف، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٩ م.

حسن، عباس: النحو الوافي، مصر، دار المعارف، ط: ٣، ٤، د.ت.

الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف، الدمام، مكتبة المتنبي، ط: ١، ١٤٤٢هـ.

أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.

أبو حيان، محمد بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب

عثمان محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط:١ ،١٩٩٨م.

خير الله، ظاهر: المنهاج السوي في التخريج اللغوي، بيروت، مطبعة الاجتهاد، د.ط، ١٩٢٨ م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي، مصر، دار المعرفة الجامعية، ط: ٢، د.ت.

راضي، العدوي محمد: الفروق الدلالية في أبنية الكثرة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المرج، العدد الأول، المجلد الأول، ٢٠١٣ م.

الربعي، يوسف عطا: الوافي في قواعد الصرف العربي، لبنان، بيروت، الأهلية للنشر، ط: ١، ٢٠١٠م.

الزاملي، مجيد خير الله: نظرات في جموع التكسير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٦ م.

الزجاجي، أبو القاسم: الجمل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، الأردن، دار الأمل، د. ط، د. ت،

الزمخشري، جار الله: الأنموذج في النحو، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، القاهرة، مكتبة الآداب، ط: ١، ١٩٩٠ م.

الزمخشري، جار الله: المفصل، تحقيق: خالد إسماعيل حسان، القاهرة، مكتبة الآداب، ط: ٢، ٢٠٠٩ م.

الزمخشري، جار الله: الكشاف، دار إحياء التراث العربي، د.ك، ط١، ١٩٩٧ م.

السامرائي، إبراهيم: التطور اللغوي التاريخي، من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٦ م.

أبو السعود، عباس: الفيصل في ألوان الجموع، مصر، دار المعارف، د.ط، ١٩٧١ م، ص ٣٢٠.

سيبويه، بشر بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، د: ط، د. ت.

شاهين، عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، ارسالة، ط: ١، ١٩٧٤ م.

الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، مكتبة جدة، دار القلم، ط٥، ١٤٠٦هـ.

الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط. د.ت.

طربية، آدما: معجم الجموع في اللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، ط: ١، ٢٠٠٣م.
ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد: العقد الفريد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٨٤م.
الفارسي، أبو علي: المسائل الحلبيات، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط: ١، ١٩٨٧ م.
التكملة، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، بيروت، عالم الكتب، ط: ٢، ١٩٩٩م.
أبو الفتوح، محمد: علم الصرف دراسة وصفية، القاهرة، دار المعارف، ط: ١، ١٩٨٦ م.
القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن"تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩ م.
الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨ م.
محمد، انتصار عبد الله عبد القادر: آراء القدماء والمحدثين في جمع التكسير دراسة صرفية، جريدة رسالة العلماء، السودان، ع ٢٢، ٢٠١٥ م .
المرادي، أبو محمد بدر الدين: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط: ١، ٢٠٠١م.
ابن منظور، محمد: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
الوراق، محمود: عيون الأخيار، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، د.ت.

Bibliography

TThe Glorious Qur'aan.

Al-Istirbaadi, Radiyyudeen: Sharh Al-Shaafiyyah, Beirut, Daar Al-Kutub Al- 'Ilmiyyah, 1st ed., 1982.

Isma'il, 'Abdul Rahmaan: Tayseer Al-Sarf bi Madmuun Kitaab Shadaa Al- 'Arf fi Fann Al-Sarf, Makkah, Maktabah Ihyaa Al-Turaath Al-Islaami, 1st ed., N.D.

Al-Ashmouni, Abu Al-Hassan Nuurudeen 'Ali bin Muhammad: Sharh Al-Ashmouni, Investigation: Hassan Muhammad, Beirut, Al-Kutub Al- 'Ilmiyyah, 1st ed., 1998.

Ibn Al-Anbaari, Abu Al-Barakaat: Asraar Al-'Arabiyyah, Investigation: Muhammad Hassan Shamsudeen, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1997.

Anees, Ibrahim: Asraar Al- 'Arabiyyah, Cairo, Al-Anglo Library, 3rd ed., 1966.

Braggstracher, Gotthelf: The Evolution of Grammar in Arabic Language (Arabic), translated by Ramadan Abdel-Tawab, Cairo, Al-Khanji Library, 1st Edition, 1982.

Bishr, Kamaal: Studies in Linguistics (Arabic), Daar Al-Ma'aarif, 9th ed., 1986.

Ibn Jinni, Abu Al-Fath 'Uthmaan: Al-Khasaais: Investigation: 'Abul Hameed Hindaawi, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1421 AH.

Al-Muhtasib fi Tabyeen Wujuuh Shawaadh Al-Qiraa'aat wa Al-Eedooh 'Anhaa, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1999.

Al-Munsif, Investigation: Muhammad 'Abdul Qaadir Ahmad 'Ataa, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1999.

Hassan, 'Abaas: Al-Nahw Al-Waafi, Egypt, Daar Al-Ma'aarif, 3rd ed., N.D.

Al-Hamlaawi, Ahmad: Shadaa Al-'Arf fi Fann Al-Sarf, Dammam, Maktabah Al-Mutanabbi, 1st ed., 1442 AH.

Abu Hayyaan, Muhammad bin Yusuf: Al-Bahr Al-Muheet, Investigation: 'Abdul Razaaq Al-Mahdi, Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, 1st ed., 1998.

Abu Hayyaan, Muhammad bin Yusuf: Al-Bahr Al-Muheet, Irtishaaf Al-Darb min Lisaan Al-'Arab, Investigation: Rajab Uthman Muhammad, Cairo, Maktabah Al-Khaanji, 1st ed., 1998.

Khayrullaah, Dhaahir: Al-Minhaaj Al-Sawiyy fi Al-Takhreej Al-Lugawiyy, Beirut, Al-Ijtihaad Press, N.E., 1928.

Al-Dhahabi, Shamsudeen Abu 'Abdillaah Muhammad: Siyar A'laam Al-Nubalaa, Daar Al-Hadeeth, Cairo, 2006.

Al-Raajihi, 'Abdou: Al-Tatbeeq Al-Sarfi, Egypt, Daar Al-Ma'rifah Al-Jaami'iyyah, 2nd ed., N.D.

Raadi, Al- ‘Adawi Muhammad: Al-Furuuq Al-Dalaaliyyah fi Abniyah Al-Kathrah, Journal of Science and Humanities, Al-Maraj University, 1st issue, volume 1, 2013.

Al-Rib’i, Yusuf ‘Ataa: Al-Waafi fi Qawaa’id Al-Sarf Al-‘Arabi, Lebanon, Beirut, Al-Ahliyyah for Publication, 1st ed., 2010.

Al-Zaamili, Majeed Khayrullah: Nadharaat fi Jumuu’ Al-Takseer, Beirut, Daar Al-Kutub Al- ‘Ilmiyyah, 1st ed., 2016.

Al-Zajaaji, Abu Al-Qaasim: Al-Jumal fi Al-Nahw, Investigation: ‘Ali Tawfeeq Al-Hamd, Jordan, Daar Al-Amal, N.E, N.D.

Al-Zamakshari, Jaarullaah: Al-Anmuudaj fi Al-Nahw, Investigation: Husni ‘Abdul Jaleel Yusuf, Cairo, Maktabah Al-Aadaab, 1st ed., 1990.

Al-Zamakshari, Jaarullaah: Al-Mufassal, Investigation: Khaalid Isma’il Hassaan, Cairo, Maktabah Al-Aadaab, 2nd ed., 2009.

Al-Zamakshari, Jaarullaah: Al-Kashaaf, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-‘Arabi, 1st ed., 1997.

Al-Saamraai, Ibrahim: Historical Linguistic Evolution (Arabic), publications of Institute of Researches and Arabic Studies, Cairo, 1966.

Abu Al-Su’uud, Abaas: Al-Faisal fi Alwaan Al-Jumuu’, Egypt: Daar Al-Ma’aarif, N.E., 1971.

Seebawayh, Bishr bin Qunbur: Al-Kibaab, Investigation: ‘Abdul Salam Haaroun, Beirut, Daar Al-Jeel.

Shaheen, ‘Abdul Sabuur: The Phonetic Approach to the Arabic Structure (Arabic), Beirut, Risaalah, 1st ed., 1974.

Al-Saabuuni, Muhammad ‘Ali: Safwah Al-Tafaseer, Maktabah Jeddah, Daar Al-Qalam, 5th ed., 1406 AH.

Al-Tabari, Muhammad bin Jareer: Jaami’ Al-Bayaan, Beirut, Daar Al-Kutub, N.E., N.D.

Tareebah, Aadama: Mu’jam Al-Jumuu’ fi Al-Lugha Al-‘Arabiyyah, Maktabah Lubnaan Naashiruun, 1st ed., 2003.

Ibn ‘Abdil Rabbi, Abu ‘Umar Ahmad bin Muhammad: Al-‘Aqd Al-Fareed, Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, N.E., 1984.

Al-Faarisi, Abu’Ali: Al-Masaail Al-Halabiyyaat, Investigation: Hassan Hindaawi, Damascus, Daar Al-Qalam, 1st ed., 1987.

Al-Takmilah: Investigation: Dr. Kaadhim Bahr Al-Marjaan, Beirut, ‘Aalam Al-Kutub, 2nd ed., 1999.

Abu Al-Futuuh, Muhammad: The Science of Etymology: Descriptive Study. Cairo, Daar Al-Ma’aarif, 1st ed., 1986.

Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr: Al-Jaami’ li Ahkaam Al-Qur’aan, “Tafseer Al-Qurtubi”. Investigation: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Utaifis, Daar Al-Kutub Al-Misriyyah, Cairo, 3rd ed., 1964.

Al-Qifti, Jamaaluddeen Abu Al-Hassan ‘Ali: Ikhbaar Al-‘Ulamaa bi Akhbaar Al-Hukamaa, Investigation: Ibrahim Shamsudeen, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut, 2005.

Ibn Katheer, Abu Al-Fidaa Isma’eel: Tafseer Al-Qur’aan Al-‘Adheem, Daar Taibah, 2nd ed., 1999.

Al-Kafawi, Abu Al-Baqaa Ayyub bin Musa: Al-Kuliyyaat, Beirut, Muassasah Al-Risaalah, 2nd ed., 1998.

Muhammad, Intisaar ‘Abdullaah ‘Abdul Qaadir: Aaraa Al-Qudamaa wa Al-Muhadditheen min Jam’ Al-Taktheer Diraasah Sarfiyyah, Risaalatul ‘Ulamaa Newspaper, Sudan, issue 22, 2015.

Al-Muraadi, Abu Muhammad Badrudeen: Tawdeeh Al-Maqaasid wa Al-Masaalik bi Sharh Alfiyyah Ibn Maalik, Investigation: ‘Abdul Rahmaan ‘Ali Sulaymaan, Cairo, Daar Al-Fikr Al’Arabi, 1st ed., 2001.

Ibn Mandhuur, Muhammad: Lisaan Al-‘Arabi, Daar Saadir, Beirut, N.D.

Al-Warraaq, Mahmuud: ‘Uyuun Akhbaar, Beirut, Al-Maktabah Al-‘Asriyyah, 1st ed., N.D.

الزمان والمكان وتماسك النص في سورة يُوسُف[1]

Time, place and the coherence of the text in Surat Yusuf

د. حنفي أحمد بدوي علي

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: hanafib2010@yahoo.com

(١) (هذا البحث مدعوم من عمادة البحث العلمي في جامعة الملك خالد، رقم المشروع: GRP/40/4)

المستخلص

يعتمد البحث على النظرية الكلية في المعالجة اللغوية للسورة القرآنية؛ حيث تعالج القضايا اللغوية في السورة بربط اسم السورة بمضمونها وإبراز أثر الزمان والمكان في الترابط النصي للقرآن بصورة عامة وسورة يوسف بصورة خاصة. ويهتم البحث بتوضيح أصول التماسك النصيّ في التراث اللغوي العربي، وتوضيح المقصود بالتماسك النصيّ عند المحدثين.

الكلمات المفتاحية: الزمان ـ المكان ـ التماسك النصي ـ سورة يوسف.

Abstract

The research is based on the overall theory of the linguistic treatment of the Qur'anic Surah. It deals with the linguistic issues in the surah by linking the name of the surah to its content and highlighting the role of time and place in the textual interconnection of the Qur'an in general and Surat Yusuf in particular. The research is concerned with establishing the origins of textual cohesion in the Arab linguistic heritage, and explaining what is meant by textual cohesion among modern scholars.

Keywords: time - place - textual coherence - Surat Yousuf.

المقدمة:

إنّ النظرية الكلية التي تشمل أبعاد السورة كلها أمر يحتاج كثيرًا من التأني في القراءة والتأمل في الفهم. ومن أهم عناصر التحليل، معرفة الفكرة الرئيسة أو الموضوع الرئيس للنص.

وإذا عدنا إلى مؤلفات التفسير فإننا نكاد نلمس أن التفاسير التي اعتمدت على الوحدة النصية منطلقًا لها قليلة، ولعل السمة البارزة لكتب التفسير القديمة باستثناء محاولات قليلة منها السيوطي في كتابه "أسرار ترتيب القرآن"، هي تفسير الآية الواحدة ثم الانتقال إلى الأخرى، دون البحث عن الخيط الناظم للآيات في السورة الواحدة، حيث تُحلل كل آية منفصلة عن الأخرى، معالجتها لغويًّا ونحويًّا وبلاغيًّا... للوصول إلى مراد الآية.

المنهج المستخدم:

أستخدم في البحث المنهج الوصفي؛ حيث سألتزم بالآتي:

١- جمع الكلمات الدالة على الزمان والمكان وآياتها في سورة يوسف ثم يحللها، ويبين أثرها في تماسك النص، والربط بين أجزائه.

٢- توثيق النصوص بذكر المرجع، واسم المؤلف، والجزء والصفحة، والدار، ومكان النشر، والطبعة، وسنة النشر.

٣- في حالة نقل قول أو رأي بالنص أضع النص المقتبس بين علامتي اقتباس "....." وأبين المصدر أو المرجع بالطريقة السابقة.

٤- ألتزم في كتابة النصوص القرآنية بخط مصحف المدينة الإلكتروني.

أهداف البحث:

١- توضيح أهمية التماسك النصيّ في سورة يوسف.

٢- بيان التماسك بين اسم السورة ومضمونها.

٣- بيان دور الزمان والمكان في ترابط النص في سورة يوسف.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة تبحث (الزمان والمكان في سورة يوسف)، أو في نصّ قرآني أو شعري آخر، وإن كانت هناك دراسات عن التماسك النصيّ عن طريق الإحالة أو غيرها من عناصر التماسك النصي؛ ومن تلك الدراسات:

١- أثر الترابط النصيّ في فهم في فهم الدلالة، سورة الأعراف أنموذجًا، رسالة ماجستير، إعداد: نورية لعرباوي، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م، وجاءت آليات الاتساق في الدراسة ممثلة في: الإحالة، والعطف، والحذف، والتكرار.

٢- من التماسك النصيّ في سورة يونس، إعداد: حسين راضي العايدي، مجلة جامعة الأزهر، غزة، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠١٣م، وجاءت دراسة التماسك في الدراسة متمحورة حول الحذف والإحالة في سورة يونس.

٣- التماسك النصي في قصيدة (حديقة الغروب) للقصيبي، د. نورة ضبيان الجهني، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، المجلد ٦، العدد ٢، ٢٠٢٠م، وطبقت الباحثة عنصر الإحالة في التحليل النصيّ للقصيدة.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في محاور، هي:

المبحث الأول: التماسك النصي في التراث العربي، وعند المحدثين.

المبحث الثاني: التماسك النصي في الإطار الكلي لسورة يوسف.

المبحث الثالث: الزمان وتماسك النص في سورة يوسف.

المبحث الرابع: المكان وتماسك النص في سورة يوسف.

الخاتمة.

المبحث الأول: التماسك النصي في التراث العربي

التماسك النصي له جذور وأصول في التراث النقدي العربي، حيث تحدث عنه علماء النقد العربي فنجد سيبويه، حيث يقول في باب ما يكون في اللفظ من الأغراض في إشارة إلى الحذف – من عناصر السبك النحوي –. ودوره في سبك النص: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون."(١)

ويذكر الجاحظ أن: "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج؛ فيُعلم بذلك أنه أفرغ إفراغًا جيدًا وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان".(٢)

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى دور الحذف النحوي في سبك النص اللغوي بقوله: "هو باب دقيق المسالك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن".(٣)

ويذكر أبو الإصبع المصري، في باب سماه (الانسجام) في كتابه (بديع القرآن) وعرفه بقوله: "هو أن يأتي الكلام متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور، والبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير

(١) الكتاب لسيبويه: ١/٢٤- ٢٥.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: جـ ١/ ٦٧.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣١، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت ٢٠٠٤م.

في القلوب ما ليس بغيرها."(١)

ولا يختلف هذا التعريف عند أبي الإصبع، ولا هذه الإشارات عند غيره في التراث العربي عمّا ذكره المحدثون، ومن ذلك قول دافيد كارتر: "السبك يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ..."(٢)

وعليه فالسبك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضًا بين العلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، ومن ثم يحيط السبك بالنص كاملًا داخليًا وخارجيًا.(٣)

ولأن توالي الجمل يشير إلى مجموعة من الحقائق، وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقة المعنوية بين مجموع هذه الحقائق؛ ذلك أن أدوات الربط تظهر عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحًا؛ لأنها المصدر الأساسي لخاصية النص. وعليه فأحاول الكشف عن بعض صور الانسجام النصي في سورة يوسف معتمدًا على" الربط التضميني الذي يتم من خلال التجاور البسيط، والربط الواضح الذي يجري من خلال وسائل تركيبية قوية يمكن أن تكون حرف عطف أو ظرف."(٤)

وتختص الدراسة بالبحث في السبك النصي بين مضمون السورة واسمها، ودور

(١) ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن: ١٦٦، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، د. ت.

(٢) David Cartar 1987, Interpreting anaphrsing natural language texts,Ellis Horwood, limited England, P 32.

(٣) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:٩٧/١، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة .٢٠٠٠م.

(٤) انظر: براون وديول، تحليل الخطاب: ٢٣٤،٢٣٥، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود١٩٩٧م.

الزمان والمكان في تماسك وترابط أحداث قصة يوسف.

التماسك النصيُّ عند المحدثين:

يذكر هالدي ورقية حسن أن "السبك يلعب دورًا خاصًا في خلق النص".(١)

ويذهب محمد خطابي في إطار حديثة عن النصية إلى أن (النص وحدة دلالية، وليست الجملة إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص. أضف إلى ذلك أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصًا يمكن أن يطلق عليه النصية، وهذا يميزه عما ليس نصًا. فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة".(٢)

ويعرف الدكتور/ تمام حسان التماسك النصيّ بقوله: "التماسك النصي في ضوء علم اللغة الحديث هو الترابط العضوي بين عناصر نص ما، بحيث يبدو الموضوع في صورته النهائية نظامًا متكاملًا، وبناءً متعاضدًا، حيث تربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، ويعتمد المبدع أو الكاتب على الدليل الذي يدعم به الحقائق ويؤيدها، ويربط بينها لتكون في النهاية موضوعًا تسلسلت أفكاره، وترابطت في شكل منطقي مقنع أسلمت فيه الفكرة إلى ما بعدها، وصار النص كالبناء المنطقي".(٣)

التماسك "هو نظام كليّ للجمل أو الكليات والوحدات النصية، بمعنى أنها تتماسك وتترابط حتى يتكون منها النص، فهو متكون من جمل أو كليات يمكن قهم أجزائها انطلاقًا من أجزاء النص الأخرى وتفهم على أحسن وجه انطلاقًا من بنية

(١) Hallday and Ruqaia hassan p 299

(٢) محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٦ المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

(٣) د. تمام حسان، الأصول دراسة أبيستمولية للفكر اللغوي: ١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

المجموعة".(١)

وتأتي هذه الدراسة في محاولة لكشف بعض الروابط النصية التي تمثل نماذج لتماسك النص في سورة يوسف، وذلك للوصول إلى اكتشاف بنية النص Structure of the text. حيث يرى روبرت دي بوجراند أن: "اللسانيات مطالبة بضرورة متابعة الأنشطة الإنسانية في التخاطب إذ إن جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهومًا ومقبولًا لدى الآخر في اتصال مزدوج."(٢)

إن الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص في دراسة النص اللغوي يساعد على فهم النصوص بصورة أوضح، وأشمل فتفتح آفاقًا للمعنى لم تكن من قبل مقروءة.

إن النص وحدة متكاملة تشدها خاصية الترابط، حيث يقوم النظام الكلي للنص على مبدأ التماسك المتمثل في الخاصية الدلالية الجامعة للخطاب التي يعنى التحليل اللساني في النص بوصفها وتحديدها في ضوء نحو النص.

ويتجاوز التحليل اللساني النصي في ضوء نحو النص نظرية التحليل النحوي التقليدي والأسلوبية، حيث تتجلى مهامه في دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، وتعطي عرضًا لمكونات النظام النصي، وإن كانت مبعثرة يجب على المحلل اكتشاف الآلية الحدسية والعرفية التي تمكنه من إيجاد فتيل الربط لتكوين البناء المتميز ... وهذا يعني أن فتيل الربط هو ذلك الرابط المضمر مقابل الروابط المتجلية في تشكيله السطحي التي كانت تهتم بها الدراسات التقليدية.(٣)

(١) د. صلاح فضل، مظاهر النقد المعاصر: ٥١ – ٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م

(٢) روبرت دي بوجراند النص والخطاب والإجراء:١٢٦، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.

(٣) د. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٢، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر، لو نجمان، ١٩٨٨م.

فدراسات نحو النص لا يمكن أن تكون مجتزأة عن النحو التقليدي حيث يكون النحو التقليدي الركيزة الأساسية في التحليلات النصية. ويشير إلى ذلك الدكتور سعد مصلوح بقوله: "كان التراث النحوي السابق الأساس الفعلي الذي بنيت عليه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعب في أفكارها وتصوراتها، وقدمت دراسات خاصة بأجزاء الجملة ومتواليات الجمل ولم تخرج عن الظواهر التي يختص بها نحو الجملة، ونظرًا لقصور نحو الجملة عن تفسير الظواهر لجأوا إلى الإشارة إلى وحدة أكبر من الجملة يمكن أن تكون وحدة النص. غير أن نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية، إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها.

لقد عني الدرس اللساني النصي في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، مثل: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير .... وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة.[1]ويعد الترابط ـ بأشكاله ـ بين أجزاء النص معيارًا أساسيًّا من معايير النصية، كما يذكر ذلك الدكتور: أحمد عفيفي فيقول: "وتتحقق للنص نصانيته حسب درسلر، وديبو غراند من خلال معايير سبعة، وجعل معيار(السبك) الربط النحوي الأول، و(الحبك) التماسك الدلالي الثاني، حيث يتحقق البناء بوجود هاته المعايير، وهذا لا يعني وجودها في كل نص، ولذلك لم تعد تراعي الجوانب النحوية فحسب، بل يشترك في النص جوانب أخرى بعضها يتعلق بالدلالة بمفهوم واسع."[2] تعتبر عملية التحليل للنص موضع الدراسة "عملية فك البناء لغويًا

(١) د. سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٨، جامعة الكويت، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد: طه نجم، وعبده بدوي١٩٩٠م.

(٢) د. أحمد عفيفي، نحو النص :٤٠، مكتبة زهراء الشرق، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

وتركيبيًا من أجل إعادة بنائه دلاليًا"[١]. والعرض للقضايا التركيبية يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي وكذلك علم اللغة النصي، فإذا كان اتجاه البحث الافتراضي إلى التحليل، فإن الاتجاه في دراسة الاستعمال إلى التركيب، وإذا كانت الغاية من التحليل هي الوصف، فإن الغرض من التركيب هو الاتصال..... وليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر. فالاعتراف بالنصية لا يلغي الدراسات التحليلية، ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية.[٢]

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف منهج في التحليل النصي للقصيدة "تنظير وتطبيق": ١٠٨، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني ١٩٩٦م.

(٢) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء:٤٠، ترجمة د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.

المبحث الثاني: التماسك النصي في الإطار الكلي لسورة يوسف

الترابط بين السورة وبين اسمها:

يمثل اسم السورة وسبب نزولها محورًا أساسيًّا من المحاور النصية التي أعتمد عليها في إظهار تماسك النص القرآني، فمن اسم السورة يربط القارئ بين هذا الاسم، وبين المحتوى العام للسورة القرآنية، والمرحلة التالية لمعرفة اسم السورة، معرفة مناسبة هذه السورة. هذه الأسباب التي تربط بين تراكيب السورة ونصها العام، والأحداث الخارجية أو الجو المحيط لأحداثها، هذه الأحداث نجد آثارها واضحة في جمل النص القرآني وتراكيبه. وإذا رجعنا إلى سورة يوسف نجد أن اسم السورة يرتبط وينسجم انسجامًا تامًا مع نصها؛ فالسورة من بدايتها تتحدث عن قصة نبي الله يوسف – عليه السلام – منذ طفولته إلى نبوته، والسورة من أولها إلى آخرها تتحدث عنه وعن أخوته وحالهم مع يوسف، ومع أبيهم يعقوب – عليه السلام – ولم تذكر قصة يوسف – عليه السلام – إلا في هذه السورة حيث ذكرت كاملة بتفاصيلها في هذه السورة؛ ليكون التماسك والربط بين السورة واسمها في أقوى صورة.

حين ننظر إلى سياق السورة – حيث تمثل السياق الخارجي الذي يسهم في بيان المرجعية الخارجية– نجد أنها ترتبط بالموضوع الرئيس للسورة؛ وذلك في إطار التماسك الخارجي للنص القرآني لسورة يوسف، حيث نجد ترابطًا كبيرًا بين السورة وسبب نزولها، والأحداث المحيطة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

بل هناك انسجام بين الآية الأولى وبقية السورة حيث؛ تمثل الجملة الأولى معلمًا أساسيًّا يقوم عليه اللاحق من السورة، وكذلك الحكمة الأولى في تلك الجملة تمثل معلمًا تقوم عليه السورة نفسها.

فبالرجوع إلى سبب نزول هذه السورة حيث تذكر لنا المصادر أن السورة مكية، وأن سبب نزولها ما قاله سعد بن أبي وقاص: "أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه سلم فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: لو قصصت علينا، فنزل "نحن نقص عليك" فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا لو حدثتنا، فأنزل الله" نزل أحسن الحديث".(١)

ويذكر القرطبي قول العلماء في الحكمة من القصص القرآني: ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا ما لم يتكرر".(٢)

فالسورة تأتي من بدايتها في سياق التحدي للكفار والمشركين بالقرآن عامة، وهذه السورة بخاصة. هذه القصة التي لم تتكرر في القرآن في غير هذا الموضع من الكتاب العزيز، هي في سياق الإعجاز القرآني للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي في إطار الإجابة على من طلب القصص عامة وقصة يوسف خاصة. واسم السورة ينسجم انسجامًا تامًا مع آياتها. فهي تتحدث عن حياة نبي الله يوسف – عليه السلام – وما لاقاه من ابتلاء، ثم تذكر الآيات عاقبة من يصبر من الأنبياء على ما ابتلاه الله به من مشقة وعناد في قومه – وتلك سنة الأنبياء جميعًا – بأن النصر آت للأنبياء حتمًا من الله. وتختم السورة متوجهة بخطاب النبي محمد– صلى الله عليه وسلم لتسليته على عناد المعاندين وكفر الكافرين بقوله تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

وذلك ربطًا لنهاية السورة مع بدايتها فالبداية – في سبب نزولها – هي الطلب من

(١) على بن أحمد الواحدي، أسباب النزول: ٢٦٩. ٢٧٠، تحقيق: عصام بن عبد المحسن اللحيدان، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١١٨/٩

النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي بسورة معجزة في سياقها لا عهد للعرب بها. ومع ذلك فلم يؤمنوا، فتخفف الآية في نهاية السورة من وقع العناد من المشركين على نفس النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك تحقيقًا لانسجام وترابط بداية السورة وأحداث القصة مع نهايتها، فتخفف السورة من حزن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب عناد الكافرين.

ولو نظرنا في الآية الافتتاحية للسورة {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف:١] لوجدنا أن هذه الآية تنسجم مع اسم السورة ومع الأحداث السابقة على نزول السورة أو أسباب نزولها، ومع أحداث السورة نفسها؛ فالحروف المقطعة في بداية السورة تنسجم مع سبب نزولها في الرد على الطلب أو السؤال الذي طُلب من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقص عليهم قصصًا. فتبدأ السورة بتأكيد أن هذا القرآن – ومنه سورة يوسف – يتكون من اللفظ العربي ومن الحرف العربي الذي يعرفه العرب، ويتكلمون به، ومع ذلك فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ومثل هذا القصص القرآني المعجز في لفظه، وفي معناه؛ حيث لم تعهد هذه القصة في بادية العرب من قبل، ولم يتلق النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – هذه القصة من معلم، بل جاءت على لسانه معجزة في لفظها وسرد أحداثها بدون معرفة مسبقة منه هو ولا قومه.

ولو أمعنا النظر في الجملة الافتتاحية في الآية نفسها من السورة؛ لوجدنا ارتباطًا وتوافقًا بينها وبين السورة وأحداث القصة الواردة فيها، فجملة: "تلك آيات الكتاب المبين" تشير في لفظها إلى القرآن عامة وهو "الكتاب" وإلى سورة يوسف ضمنًا لأنها جزء من الكتاب، تشير هذه الجملة – في تحد للمعاندين – وقبل ذكر أحداث القصة الواردة – إلى إعجاز هذا الكتاب وما فيه من قصص وأحداث، وبأنه واضح لا لبس فيه ولا غموض وتردف الآيات بعد ذلك – في تماسك تام للآيات – أن هذا الكتاب جاء

بلسان من يتحداهم، وأن قصصه هي أحسن القصص. فالتماسك بين الآية الأولى بما فيها من جملة استهلالية وبين أحداث السورة وآياتها واضح المعالم ما يجعلها في غاية الحبك Coherence. والتماسك بين الجملة الافتتاحية وبين آيات السورة نستطيع أن نطلق عليه إحالة المدى البعيد – كما سماها زتسيسلاف وازنياك – حيث تكون الإحالة بين الجمل المتصلة والجمل المتباعدة.[١]

(١) انظر: زتسيسلاف وازنياك، مدخل إلى علم لغة النص مشكلات بناء النص :٦٠، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

المبحث الثالث: الزمان وتماسك النص في سورة يوسف

تعمل الإحالة على خلق نوع من التماسك النصي. وتنقسم الإحالة إلى عدة أشكال منها الإحالة إلى سابق (قبلية) Anaphore: وتكون عندما تحيل إلى عنصر لغوي متقدم، فالإحالة بناء جديد للنص،

وإحالة إلى اللاحق(بعدية):Cataphora تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها .... الإحالة حسب الظرفية الزمانية (الآن، غدًا) والمكانية (هنا، هناك) حيث الظرف في هذه الحالة محيلًا على زمان أو مكان.(١)

وتهتم الدراسة بالإحالة الزمانية والمكانية، وأثر ذلك في تماسك النص القرآني في سورة يوسف؛ وذلك لدور الزمان والمكان في ربط النص، وتكوين صورة متكاملة ومنسجمة الملامح للقصة القرآنية في سورة يوسف.

"إن صفة التتابع والتواصل والترابط بين الأجزاء المكونة للنص؛ تحقق للنص استمرارية من منظور نحو النص.... وعليه فالسبك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضًا بين العلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، ومن ثم يحيط (السبك) التماسك بالنص كاملًا داخليًا وخارجيًا."(٢)

فالزمان والمكان من العوامل المهمة في انسجام النص، والربط بين أجزائه المتباعدة ليكوّن من تلك المتباعدات صورة متقاربة حاضرة في ذهن المخاطب أو القارئ.

واستُخدم الزمان والمكان بشكل كبير في سورة يوسف؛ ما ساعد في جعل المخاطب في سياق الزمان أو المكان رابطًا للزمن الماضي أو المستقبل بالصورة الذهنية في الوقت الحاضر.

ومن استخدام الزمان، قوله – تعالى –: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا

(١) السابق: ٦٠.

(٢) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٩٧/١.

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين} [يوسف:٣] فهذا خطاب من الله – عز وجل – إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يربط بين حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول القرآن، وحاله بعد أن كرمه الله بالقرآن، فالضمير في قوله – تعالى – "من قبله"، يعود على لفظ الكتاب في الآية قبلها. فالزمان هنا يجعل المخاطب بالآية، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعيش بالحالة النفسية – وقت الخطاب – الجو النفسي من الحيرة وعدم معرفته بآيات الكتاب العزيز قبل نزول القرآن، يربط تلك الحالة بحالته بعد أن اختص بالكتاب العزيز؛ ليشعر فضل ربه عليه بعد التكريم بالقرآن. هذا الربط الزماني لحال النبي – صلى الله عليه وسلم – ينسجم مع الجو العام المصاحب للسورة وسبب نزولها، وكذلك ينسجم مع الآية الاستهلالية في السورة، والتي تتحدى بآيات القرآن فصحاء العرب ومن خلفهم من العالمين بأن يأتوا بمثل هذا الكتاب الذي خص الله به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

ومن الربط الزماني قوله – تعالى –: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيم}[يوسف:٦]، وهذا الربط الزماني جاء على لسان يعقوب – عليه السلام – في إطار حديثه لابنه يوسف عندما قص عليه رؤياه، وعلم أبوه من ذلك أنه نبي فذكَّره بنعمة الله عليه وتفضيله له على بقية أخوته، حيث اصطفاه الله نبيًا، كما خص الله أبوية، أي: أجداده إبراهيم وإسحاق في زمن مضي؛ ليستحضر يوسف عظم نعمة الله عليه، فهو المختار كما اختِير أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام. وذكر صاحب نظم الدرر أنه: "لَمّا كانَ وُجُودُهُما لَمْ يَسْتَغْرِقِ الماضِي، أدْخَلَ الجارَّ فَقالَ :﴿مِن قَبْلُ﴾ أيْ: [مِن] قَبْلَ هَذا الزَّمانِ".(١)

(١) برهان الدين أبو الحسن بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: جـ ١٩/١٠، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م

هذا التركيز الزماني من يعقوب في خطابه لابنه يوسف يجعل المخاطب يتأهب لما يلاقيه الأنبياء من ابتلاء على قدر النعمة التي منَّ الله بها عليهم. فيعقوب باستخدامه لظرف الزمان ربط السياق العام لحال للأنبياء وما يلاقونه من مشقة بحال ابنه الذي بدت عليه بشارات النبوة؛ ليتهيأ نفسيًا لتلك المسئولية وهذا الفضل.

وليس بعيدًا من ذلك قوله – تعالى – على لسان إخوة يوسف عندما أرادوا التخلص منه: {اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِين} [يوسف:٩]، فالمتحدث من أخوة يوسف يربط بين الحالة النفسية لإخوته أثناء حديثهم، وبين حالتهم في المستقبل بعد أن يتخلصوا من يوسف، وذلك ليتحفزوا ويتهيؤوا نفسيًا للتخلص من يوسف. فربط حالتهم الآنية بحالتهم بعد التخلص من يوسف عن طريق ظرف الزمان "بعده" الذي يعمل على تواصل الحالة النفسية لهم، من شعورهم بتفضيل أبيهم ليوسف الآن، إلى أن يتخلصوا من يوسف وبعد ذلك سيكون الإحساس الأفضل بعد تخلصهم من سبب ضيقهم وغضبهم وهو يوسف.

ومنه قوله –تعالى–: {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون} [يوسف:١٢]

فالظرفية في (معنا)، والتي ذكر ابن هشام أنّ (مع) إذا جاءت مضافة فهي للظرفية، وتفيد مكان الاجتماع [١] و(غدًا) جاءت في سياق التهيئة النفسية ليعقوب؛ لكي يوافق على إرسال يوسف مع إخوته، فطمأنوه بأن يوسف سيكون في كنفهم ورعايتهم باستخدام (معنا) وتعجلوا في طلبهم كي لا يغير أبوهم رأيه فقالوا (غدًا) فاختاروا زمنًا قريبًا؛ كي لا تكون هناك فرصة لأبيهم كي يغير رأيه مستغلين الحالة النفسية التي وافق أبوهم فيها على طلبهم. فالزمان والمكان عاملان أساسيان في تنفيذهم وحبكهم لخطتهم، ولتنفيذ ما في أذهانهم على أرض الواقع.

(١) ابن هشام، مغني اللبيب: ١/٣٣٣.

ومن ذلك قوله – تعالى – على لسان إخوة يوسف لأبيهم: {قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُون} [يوسف:١٤]

فاستخدامهم للزمان جاء لطمأنة أبيهم على أخيهم يوسف، وأنهم يصبحون خاسرين لشيء غال عليهم في الوقت الذي يضيع منهم يوسف، أما وقت وجوده معهم فهم رابحون، وكأنهم يحبون وجوده معهم، فأراد إخوة يوسف أن يربطوا بين وقت وجود يوسف معهم وبين سعادتهم، على عكس وقت تغيبه عنهم. كل ذلك للتأثير على نفسية أبيهم ليتركه يذهب معهم.

ومن استخدام الزمان والمكان عاملًا من عوامل التماسك في سياق السورة قوله – تعالى –: {وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُون قَالُواْ يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِين} [يوسف:١٧]

فلفظ (عشاءً) جاء مناسبًا لإتمام إخوة يوسف خطتهم للتخلص من أخيهم، والظهور بمظهر البريء أمام أبيهم، حيث جاءوا إلى البيت متأخرين ليوهموا أباهم أنهم تأخروا بسبب فقدهم ليوسف، وحزنهم عليه، فلوا جاءوا مبكرًا لظن أنهم دبروا التخلص منه، فتأخروا لتنطلي الحيلة على أبيهم، واستمروا في استخدام الزمان لخداع أبيهم بالمكان "عند" ليربطوا بين يوسف والمكان الذي فُقد فيه. فقد كان بعيدًا عنهم عند أمتعتهم، وهم كانوا يتسابقون فجاء الذئب فأكله، فالمكان استخدم أيضًا في تبرئتهم لأنفسهم، فجعلوا وجوده عند المتاع – مع عدم وجودهم في المكان –– هو سبب أكل الذئب له – فالمكان الذي وجد فيه يوسف هو سبب ضياعه كما أرادوا أن يثبتوا لأبيهم.

ومن ذلك قوله – تعالى –: {ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِين} [يوسف:٣٥].

فالزمان في الآية والمتمثل في (بعد)، و(حين) يقوم بربط أحداث قصة يوسف الماضي منها بالمستقبل. فالزمان في الآية يربط ما حدث بعد ظهور دليل براءة يوسف من

التهمة الذي ألصقت به، وبين وضعه بعد البراءة في السجن إلى زمن قادم لا يُعلَم مقداره. فوضعه في السجن مرتبط بزمن براءته، حيث جاء تاليًا لظهور دليل براءته.

ومن استخدام الزمان في ربط أحداث القصة في السورة، قوله – تعالى –: {قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا} [يوسف:٣٧]

فالكلام يأتي على لسان يوسف، وهو في السجن يتحدث مع صاحبيه في السجن – اللذين طلبا منه تعبير رؤيتيهما – فبدأ معهما بإظهار معرفته ببعض الأشياء التي أيده الله بها دليلًا على نبوته، بأن يخبرهم بالأشياء قبل وقوعها، فاستخدم يوسف – عليه السلام – الظرفية الزمانية دليلًا على نبوته، فبرهن بالزمان وأحداثه التي لم تقع بعدُ على نبوته، بأن ربط ما يقع في المستقبل بما لم يقع بعدُ، ولكنه سوف يحدث. هذا الربط يهيئ المخاطبين نفسيًا – صاحبيه في السجن – للأحداث القادمة وكأنهما يرونها واقعًا أمام أعينهم أثناء الكلام معه.

ومن التماسك الزماني بين أحداث قصة يوسف قوله – تعالى –: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون} [يوسف:٤٥]

فالزمان في الآية (بعد أمة) يختص بصاحب يوسف الذي نجا من التهمة التي كان متهمًا بها. والذي ربط بين حاله وهو في حضرة الملك، وبين حاله وهو في السجن مصاحبًا ليوسف، وأخذ منه عهدًا أن يذكره عند الملك بأنه وضع في السجن ظلمًا. فربط الرجل بين حاله في زمن مضى، وحاله في الزمن الحاضر، ما دفعه إلى تذكر يوسف في السجن؛ فربط بالزمن بين رؤيا الملك وبين رؤياه الخاصة التي فسرها له يوسف من قبل.

ومن ذلك قوله – تعالى – على لسان يوسف: {ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُون * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُون} [يوسف:٤٨، ٤٩]

حيث يربط يوسف – عليه السلام – في تفسيره لرؤيا الملك بين المشكلة المتوقع

حدوثها في المستقبل، وبين الحل لها. فالجفاف سوف يحدث لمدة سبع سنوات بعد سبعة أعوام من الرخاء – فجعل يوسف – أثناء حديثه لرسول الملك – يهيئ المخاطبين نفسيًا لهذه الأوقات القادمة من الشدة والجفاف؛ ليتفاعلوا الآن نفسيًا مع الخطر القادم، حتى يستطيعوا وضع حلول ناجعة له، فشعورهم بالمشكلة يحفزهم على إيجاد الحلول. فالزمان في الآية عمل على تحقيق التماسك بين المشكلة المستقبلية وإيجاد حل لها. فيوسف – عليه السلام – ربط بين زمن المشكلة في المستقبل، وبين حالهم الآن، وبين الحل الذي يمكن أن يكون في المستقبل. هذا التماسك التام بين أحداث القصة عامة وبين تفسير الرؤيا جعل الصورة متكاملة متماسكة أمام القارئ وكأنها لوحة متكاملة العناصر يراها المخاطب أمام عينيه.

ومن ذلك ما جاء على لسان الملك مخاطبًا يوسف: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِين} [يوسف:٥٤].

فاستخدام ظرف الزمان (اليوم)، ومعه ظرف المكان (لدينا) في خطاب الملك ليوسف، للربط بين زمان ومكان التمكين، والعزة ليوسف، بوجوده في معية الملك في هذا اليوم، لا في معية غيره – وإن كان العزيز – فلا مكانَ غيره، سواء عند العزيز أم عند أهله أم في السجن. فهذا الربط بين الأوقات والأماكن التي مر بها يوسف قبل أن يعرفه الملك فيه تسلية من الملك وتخفيف لآلام يوسف النفسية بسبب شعوره بالظلم.

ومنه قوله – تعالى –: {وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِين} [يوسف:٥٩]

فاستخدام (لمَّا) الحينية الدالة على زمن وقوع الفعل (قال ائتوني)، ربطت (لمَّا) بين قول يوسف لإخوته بأن يأتوا له بأخيهم من أبيهم، وبين تجهيز الرحال لإخوته، فطلبه منهم جاء بعد تجهيز أخوته؛ لأنه لو طلب منهم ذلك قبل تجهيز الرحال لأوقع ذلك الحَزَنَ في نفوس إخوته. فتوقيت يوسف لطلبه بعد أن اطمأن إخوته على ميرتهم، ففضل

الطلب منهم متأخرًا مراعاة للحالة النفسية لإخوته حتى لا يظنوا أنه لن يعطيهم شيئًا؛ فيغتموا، وهذا من برّ يوسف بإخوته حتى بعد ما فعلوه معه.

ومن ذلك قوله – تعالى – على لسان يعقوب لبنيه: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين} [يوسف:٦٤]

فالآية تأتي في سياق حديث يعقوب مع بنيه عندما جاءوا وأرادوا أن يأخذوا أخاهم الصغير بنيامين، بناءً على طلب العزيز في مصر – أخوهم يوسف – ولكنَّ أباهم ربط حالهم في الحاضر بحالهم في الماضي عندما أخذوا يوسف وهو صغير ولم يرجعوا به، وقالوا إن الذئب قد أكله. فربط يعقوب بين موقفهم مع يوسف، وطلبهم الحالي بأخذ أخيه. فاستخدام يعقوب عليه السلام لظرف الزمان (قبل) جعل صورة فعلهم بيوسف وحزن أبيهم على فقده قديمًا حاضرة في أذهانهم؛ لتأنيبهم على فعلتهم وتحذيرهم من تكرارها مع أخيهم الأصغر.

فالزمان هنا ربط بين ما فعله أخوة يوسف معه من قبلُ، وبين موقفهم الآني من طلبهم لأخذ أخيهم، وجعل يعقوب يستحضر آلامه على فقد يوسف.

ومن التماسك الزماني في سورة يوسف باستخدام الأداة (**لَمَّا**)، قوله – تعالى –: {وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}[يوسف:٦٨]

في الآية نفسها زمان، ومكان استخدما في الربط والانسجام بين أحداث القصة التي تتحدث عنها السورة. (لمَّا) ربطت بين زمان وقوع الفعل وهو دخولهم، ومكان هذا الدخول وهو المكان الذي أمرهم أبوهم أن يدخلوا منه مصر، أي، يدخلون من أكثر من باب، ولا يدخلون مجتمعين في باب واحد.

فالربط بين الزمان وهو وقت دخولهم إلى مصر، والمكان بكلمة (حيث)، والتي بينّ

ابن هشام أنّها "ظرف للمكان باتفاق النحاة، والغالب فيها أن تكون في محل نصب على الظرفية، أو خفض بمن، وتلزم الإضافة إلى الجملة (الفعلية والاسمية). [1] فالمكان هو الأبواب التي يدخلوا منها، هذا الربط يتماشى مع الحالة النفسية ليعقوب – عليه السلام – وهو الذي أمرهم بذلك حيث كان يخشى عليهم الحسد. فالحالة النفسية ليعقوب هي المحرك لاستخدام الزمان والمكان اللذين ينسجمان تمام الانسجام مع حالة يعقوب النفسية، وكذلك مع أبنائه الذين اتبعوا أمره في الزمان وهو وقت دخولهم مصر، والمكان وهو عند أبواب مصر؛ مراعاة للحالة النفسية لأبيهم.

ومن الترابط النصي في قصة يوسف قوله – تعالى –: {وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون} [يوسف:٦٩]

فربطت (لمَّا) الحينية ترحيب يوسف بأخيه الأصغر بقدوم إخوته من البادية، ودخولهم عليه في طلبهم للميرة. وكذلك ربطت الموقف الحالي بطلب يوسف لهم أن يأتوا بأخيهم الذي من أبيهم معهم.

وكذلك قامت لما الحينية بدور في ترابط النص القرآني في قوله – تعالى –: {فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون} [يوسف: ٧٠]

فتدبير يوسف هذه الحيلة لأخيه الصغير ليستبقيه معه، بجعل أداة الشرب (السقاية) في رحل أخيه مرتبطًا بتجهيز الرَّحل بالحنطة، وغيرها كي يضع السقاية في هذه البضاعة. ف (لما) تدل على الوقت الذي اختاره يوسف لتنفيذ حيلته، وهو تال لتجهيز الرحل بمتطلباته، وهذا يجعل المتأمل لسياق الآيات يتخيل يوسف وكأنه يقف أمام الرحل وينتهز وقت غفلة من إخوته فيضع السقاية في رحل أخيه الأصغر؛ ما يجعل المستمع والقارئ يعايش القصة وكأنه مشارك في أحداثها، أو كأنها تعرض أمامه على المسرح.

(١) ابن هشام، مغني اللبيب: جـ ١/١٣١– ١٣٢.

واستكمالًا للصورة التي يساعد في تشكيلها الزمان والمكان نمعن النظر في قوله – تعالى –: {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم} [يوسف:٧٦]

فاستخدام الظرفية الزمانية (قبل) في سياق الآية التي تدل على زمن البحث عن صواع الملك حيث سبق البحث في أمتعة إخوة يوسف؛ لأنه يعلم أن الشيء المفقود ليس فيها، فبدأ بها أولًا ولم يبدأ بوعاء أخيه ليُحكم حيلته على إخوته. فاستخدم الزمان هنا لكيلا يشك إخوته في حيلته، فتتهيأ نفوسهم لقبول الظروف الجديدة والمتهم فيها أخوهم الأصغر بالسرقة. وتكمل الآية الحديث باستخدام ظرف المكان "فوق" والدال على علو المنزلة والمكانة، فتعقيب الآية بذكر الفوقية يؤكد على علم الله الذي هو فوق كل صاحب علم وحيلة، وأنه مطلع عليه، وذلك أدعى إلى التواضع ممن أعطاه الله علمًا، وتذكير له بمن علَّمه وهو الله فلا يصيبه الغرور أو الكبر عندما يشعر بقدر نفسه البشرية ودونيته من الله – سبحانه –.

ومن استخدام الظرفية الزمانية لترابط مكونات القصة القرآنية في سورة يوسف قوله – تعالى – على لسان إخوة يوسف: {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُون} [يوسف:٧٧]

فالآية تربط باستخدام الزمان ما حدث مع بنيامين – وهو أخو يوسف لأبيه وأمه، ولكنه أخو بقية إخوة يوسف لأبيهم – عندما استخرج المفتش صواع الملك من متاعه. فما كان من إخوة يوسف إلا أنهم ربطوا بين الحادثة الحالية، وبين حادثة مضت في صغرهم عندما اتهموا يوسف في صغره بالسرقة، وكان قد اتهم بالسرقة في حيلة من صنع

عمته التي كانت تريد أن يظل معها وظهرت براءته.[1] ومع ذلك يستخدمون تلك الواقعة لتبرئة أنفسهم، ونسبة فعلته هذه بما فعل أخوه يوسف من قبله، دون أن يعلموا أن المخاطب هو يوسف فاستخدام الزمان هنا أدى إلى استرجاع الصورة القديمة أمام يوسف وأمام إخوته، أمام يوسف بالسلب حيث ذكرته بالاتهام الباطل الذي اتهم به في صغره، وشعر معه بالألم النفسي، وها هو الآن يسترجع الألم النفسي ذاته، ليس له شخصيًا فحسب، بل يشعر بألم أخيه بالاتهام الباطل، أما من ناحية إخوة يوسف فاستخدام الزمان هنا بالنسبة لهم عامل إيجابي فهم يشعرون بشيء من الراحة النفسية عندما ينتقصون من قدر يوسف الذي فضله أبوهم عليهم، فما فتئوا يذكرون ذلك الموقف ليوسف، وإن كانت براءته قد ظهرت وهم يربطون إساءة بنيامين – المزعومة – بأخيه يوسف قبله . فالزمان هنا يربط الحالة النفسية ليوسف وإخوته، كلٌ حسب نفسيته وما بداخله.

إن صفة التتابع والتواصل والترابط بين الأجزاء المكونة للنص تحقق للنص استمرارية من منظور نحو النص، حيث تتجسد هذه الظاهرة في ظاهر النص، الذي يقصد به الأحداث اللغوية المنطوقة أو المسموعة أو المكتوبة في تعاقبها الزمني؛ فينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًا إلا إذا تحقق لها من وسائل الانسجام أو السبك ما يجعل النص محافظًا على كينونته واستمراريته. فالربط بين أحداث الماضي والحاضر في سياق القصة أخرجها من ذاكرة النسيان إلى الحاضر المرئي المعاش؛ ما جعل النص مترابط العناصر الزمانية – الماضي والحاضر – والمكانية – البادية التي كان يعش فيها يوسف في صغره، ومصر التي يعيش فيها الآن – هذه العناصر ربطت سياق القصة – قديمًا وحديثًا – أمام يوسف وأخوته.

ومن ذلك قوله – تعالى –: {فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ

(١) انظر تفصيل ذلك في: تفسير القرطبي: ٢٣٩/٩.

يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين} [يوسف:٨٠]

ظرف الزمان (قبل) يربط بين أحداث الموقف الحالي الذي يعيشه إخوة يوسف من أخذ أخيهم الأصغر متهمًا بالسرقة وبين أخذهم العهد مع أبيهم بالمحافظة على أخيهم، وعدم تفريطهم فيه كما فرطوا في أخيه قبله.

فالظرفية هنا تذَّكِر إخوة يوسف بهذا العهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام أبيهم يعقوب، فتذكرهم بموقفهم مع أبيهم إذا رجعوا إليه بدون أخيهم، وماذا يفعل معهم أبوهم. فهذا الربط يستحضر الحالة النفسية لأبناء يعقوب أمام أبيهم لو لم يرجعوا بأخيهم معهم، وتربط بين عهدهم السابق مع أبيهم وبين موقفهم الحالي الذي تركوا فيه أخاهم في مصر، وتربطهم بما فعلوا مع يوسف قبل ذلك. وهذا نوع من الإحالة بين عناصر القصة وجملها المتباعدة زمانًا ومكانًا.

ومن الربط بالزمان قوله – تعالى – على لسان يوسف لإخوته بعد أن عرفوه: {قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين} [يوسف:٩٢]

فالزمان في سياق الآية التي جاءت على لسان يوسف باستخدامه ظرف الزمان "اليوم" لتحديد وقت عفوه عنهم في الحاضر بعد ظلمهم له في الماضي. "وإنْ كانَ هَذا الوَقْتُ مَظِنَّةَ اللَّوْمِ والتَّأْنِيبِ، فَإذا انْتَفى ذَلِكَ فِيهِ فَما الظَّنُّ بِما بَعْدَهُ!". [1] وهذا الظرف يربط في الوقت نفسه بين حالة يوسف اليوم من العزة والعفو عنهم، وحاله قبل ذلك مع إخوته وظلمهم له وقسوتهم عليه.

فالزمان هنا يربط الموقف الحالي بين يوسف وإخوته، وبين موقفهم معه في صغره. هذا الربط يجعل الصورة متكاملة مترابطة دائمًا بين أحداث القصة قديمها وحديثها، ترابطًا للأحداث لدى أفراد القصة، ولدى القارئ أو المستمع.

ومن الربط الزماني باستخدام "لمَّا" قوله – تعالى –: {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ

(١) البقاعي، نظم الدرر: ١٠/ ٢١٠.

آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِين} [يوسف:٩٩]

فأداة الشرط الدالة على الظرفية الزمانية عملت على الربط بين تكريم يعقوب وزوجه وطمأنتهما على يوسف؛ بدخولهم مصر وذهابهم إلى يوسف ورؤيته؛ لأنهما لم يريا يوسف منذ زمن، وكانت حياتهم في البادية فيها شدة، وزاد عليها القحط في زمن يوسف، ولكن كل ذلك تغير في الوقت الذي جاءوا فيه إلى مصر وذهبوا إلى يوسف.

فالربط بين تغير أحوال إخوة يوسف ووالديه مرتبط بالوقت الذي تواجدوا فيه داخل مصر عند يوسف والذي تغيرت حاله أيضًا بدخوله مصر صغيرًا.

ومن ذلك قوله – تعالى – على لسان يوسف مخاطبًا يعقوب: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم} [يوسف:١٠٠]

فاستخدمت الآية أكثر من زمان ومكان للربط بين أحداث قصة يوسف مع إخوته، ومع أبيه بتأويل أبيه للرؤيا التي رآها يوسف في صغره. فمازالت ذكريات يوسف مع تلك الرؤيا التي رآها صغيرًا، وعبرها له أبوه، وحذره أن يقصها على إخوته، فيُذكِّر يوسف أباه بهذه الرؤيا التي عبرها أبوه قبل سنين طويلة؛ فيؤكد يوسف لأبيه وإخوته صدق تلك الرؤيا، ثم يعرج على إخوته في عتاب رقيق وتذكير لهم بما فعلوا معه في صغره، ويستخدم في ذلك الظرف "بيني وبين أخوتي" ليذكر إخوته بفعلهم معه وتدخل الشيطان بينهم، وكأن الشيطان مجسد بالفعل مع أخوته في كيدهم له.

فالظرفية هنا تربط بين الحاضر الذي يعيشه يوسف، وبين الماضي الذي أراد إخوته أن يجعلوه فيه من الهلاك أو الضياع، فالربط للقصة جعلها متشابكة الأوصال وإن تباعدت الأزمان، وافترقت الأماكن بين أحداثها.

ومن الربط بالزمان قوله –ـ تعالى –ـ مخاطبا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: {وَمَا

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُون} [يوسف:١٠٩]

فاستخدام الزمان في الآية لربط الأحداث التي يمر بها النبي صلى الله عليه وسلم بالأحداث التي مر بها الأنبياء من قبله، ومنهم يعقوب ويوسف. وفي هذا ربط بين أول السورة وبين آخرها حيث تحدثت السورة في آياتها الأول عن القصص في القرآن وهذه القصص كانت للأنبياء مع أقوامهم، وهؤلاء الأنبياء جميعًا كانوا قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم فتربط الآيات عن طريق ظرف الزمان مقدمة السورة مع نهايتها. فبدأت بالحديث عن الأنبياء وقصصهم، وانتهت بالحديث عن الأنبياء وقصصهم، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وتربط الآية في آخر جزء منها بالزمان بين أقوام الأنبياء وما فعل الله بالمعاندين منهم، والمعاندين من المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بالربط بين هذه الآية وبداية السورة أو سبب نزولها، حيث كان سبب نزول السورة هو سؤال للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقص عليهم قصصًا، فبعد أن انتهت أحداث القصة التي طلبوها، تأتي الآية لتربط بين المعاندين السابقين للأنبياء ومصيرهم وبين المعاندين الآن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. فربط المعاندين للنبي بغيرهم من الأقوام السابقين له تأثير على المكنون النفسي للمشركين، ففيه ترهيب لنفوسهم من العناد والكفر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذي نزل عليه هذا القرآن المشتمل على هذه القصص وتذكير لهم بما فعل الله بالكافرين قبلهم. فذكر القصص في القرآن الذي تحدثت عنه الآيات في بداية السورة، والذي كان أحد أسباب نزول السورة، وربط ذلك بالموقف الحاضر من المعاندين يحمل على الرهبة للمعاندين والتهديد لهم من رب العالمين.

ومن الربط بالزمان قوله – تعالى – تأكيدا على صدق القرآن: {لَقَدْ كَانَ فِي

قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون} [يوسف:١١١]

استخدمت الآية الزمان لتحقيق الربط بين القرآن – وهو الكتاب الذي جاءت فيه قصة يوسف – وبين ما قبله من الكتب السماوية، فالربط بالظرفية الزمانية للوقت المصاحب لذكر قصة يوسف وهو الزمن الذي أرسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وبين أزمان الأنبياء السابقين، وأن النبي جاء مصدقًا لجميع الرسل السابقين الذين يشبهونه في صدق دعوتهم لله وتبليغهم لرسالات ربهم، فالزمان ورد في الآية لاستحضار صورة الأنبياء السابقين، ونصر الله لهم أمام المعاندين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فتحضر في أذهانهم عاقبة الظالمين فيرتدعوا، أو لا تكون لهم حجة على الله يوم القيامة.

إحصاء الزمان في سورة يوسف

الزمن الماضي	الزمن الحاضر	زمن المستقبل
﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾	﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾	﴿ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾
﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾	﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾	(﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾	﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾
﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾		﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾		﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾
﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾		﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾
﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ)		﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾		
﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾		
﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾		
﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾		
﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ		

﴿ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾		
﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾		
﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾		
﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾		

بالنظر في الجدول السابق نجد أن الربط بالزمن الماضي هو الغالب في قصة يوسف؛ وهذا يتناسب مع سرد قصة حدثت في الماضي، ونجد بعد ذلك الربط بزمن المستقبل لأحداث ستحدث مرتبطة بأحداث الماضي وقد تكون نتيجة مرئية لأحداث الحاضر في سورة يوسف، ثم يأتي الزمن الحاضر؛ لتسليط الضوء على حاضر يوسف؛ الذي اقتصر على الحديث عن حال يوسف بعد أن مكنه الله من خزائن الأرض، وكأن الأصل في وجود الإنسان – خاصة الأنبياء –. هو الابتلاء، ووردت آية واحدة في الزمن الحاضر مخاطبة الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقص عليهم قصصًا، موكدة لهم أن هذا القرآن ليس مفترى ولا كذبًا كالقصص التي اعتاد عليها الناس.

المبحث الرابع: المكان وتماسك النص في سورة يوسف

يتكامل الزمان والمكان في تماسك النص وترابطه، حيث يساعدان في جعل النص وحدة متكاملة "فالنص كلٌ تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والاستلزام، إذ يؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النص، ويفسر هذا بوضوح مصطلحي (الوحدة الكلية)، و(التماسك الدلالي)."[1] وتُعد المكانية من وسائل السبك النصي التي تربط بين المتقدم والمتأخر مكانيًا في السياق النصي. لقد كان للمكان في نص سورة يوسف دور كبير في تحقيق النصية، والترابط بين أجزاء التركيب النصي؛ ما جعل النص وحدة مترابطة الأنحاء.

– ومن الربط المكاني في سورة يوسف، قوله تعالى: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم} [يوسف:٢٥]

– جاء في لسان العرب أنّ " لَدَى معناها معنى عند، يقال: رأَيته لدَى باب الأَمير، وجاءني أَمر من لَدَيْك، أَي: من عندك، وقد يحسن من لَدَيْك بهذا المعنى، ويقال في الإِغراء: لَدَيْك فلانًا كقولك عليكَ فلاناً"[2]

فالظرف (لدى) وضح غاية يوسف وهدفه وهو الهرب من الباب الذي غلقته المرأة.

– ومن الربط المكاني في سورة يوسف قوله – تعالى – على لسان الشاهد ببراءة يوسف:

{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِين* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِين * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم} [يوسف: ٢٦، ٢٧، ٢٨]

(١) ابن منظور، لسان العرب: مادة: لدى.

(٢) د. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص:١٠٨.

فاستخدم الشاهد المكان رابطًا ودليلًا على صدق يوسف أو كذبه. فمكان تمزق قميص يوسف هو البرهان والدليل على البراءة أو الإدانة، وحدد المكان الذي يشير إلى إدانة يوسف وهو شق قميص يوسف من الأمام، فالمكان يكون دليل على إدانته، ولو وجد أن القميص قد شُق من الخلف فهذا دليل على براءة يوسف.

فشق القميص من الأمام يجعل المستمعين يستحضرون طريقة شق القميص في أذهانهم، وكأنهم يشاهدون مقاومة امرأة العزيز ليوسف ما جعلها تشق ثوبه من جهة صدره، وهذا ما لم يجدوه. أما شق القميص من الخلف -. وهذا ما وجدوه في قميصه – يجعلهم يستحضرون صورة امرأة العزيز وهي تطارد يوسف وهو يجرى من أمامها فتجذبه من ثوبه من الجهة الخلفية، فكان المكان في سياق القصة هو الدليل القاطع على صدق يوسف. فالمكان هو الرابط لأحداث القصة خاصة الجزء الذي لم يشاهده أحد إلا يوسف وامرأة العزيز. والجزء النهائي من القصة عندما جاء زوج المرأة عند الباب فبادرت المرأة باتهام يوسف بأنه أراد بها سوءًا، ولكن المكان كشف عن الجزء المخفي من القصة وجعل الغائب عن القصة كالشاهد لها، لكون المكان دليلًا عقليًا مقنعًا مستحضرًا للصورة الغائبة كأنها مشاهدة.

ومن الربط بالمكان قوله – تعالى – على لسان أحد صاحبي يوسف في السجن: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين} [يوسف:٣٦].

فالرؤيا ربطت بالمكان – وهو الفوقية – ما سيحدث لهذا الرجل في المستقبل، وهو أنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه التي هي فوق جسده. فالمكان ربط بين سجن الرجل وبين ما سيحدث له في المستقبل من عقاب الصلب وأكل الطير من رأسه كما فسر ذلك يوسف.

ومن ذلك قوله – تعالى –: {مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون} [يوسف:٤٠].

استخدام ظرف المكان في سياق الآية على لسان يوسف – عليه السلام – في وصفه للآلهة التي يعبدها صاحباه اللذان سألاه عن تعبير رؤيتيهما، فوصف تلك الآلهة بأنها دونية في المكانة، والمكان، والمنزلة، لا تقترب من الإله الحق وهو الله. فاستخدم الظرفية المكانية للدعوة إلى الله بإظهار علو مكانته وانخفاض مكانة أي معبود سوى الله، فربط بين الله العلي، وبين مكانة آلهتهم الدونية. ولم يستخدم لفظ "غير" مثلًا ليربط بين ما يعبدون من آلهة، وبين مكانتها الدونية؛ لأن الغيرية تحتمل المماثلة في شيء ما، أما "دون" تدل على الفرق بين علو الله، وانحطاط ما دونه من معبودات.

ومن الظرفية المكانية التي عملت على تحقيق تماسك بين اللفظ والمعنى لدى المتلقي والسامع قوله – تعالى – على لسان يوسف لصاحبه وهو خارج من السجن: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين} [يوسف:٤٢]

فالمكانية في الآية في سياق طلب يوسف لصاحبه الخارج من السجن بأن يذكر قصة يوسف، ولكن أين يذكره؟ طلب يوسف ذكر قصته في مكان يُنصر فيه يوسف من ظلمه، وذلك في حضرة الملك. فالمكان استخدم الآية مرة أخرى لرفع الظلم عن يوسف، كما استخدم قبل ذلك في إثبات براءته. فهذا الربط يتم من خلال وسائل تركيبة قوية متمثلة في ظرف المكان. ولأن الجمل تشير إلى مجموعة من الحقائق؛ فعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقة المعنوية بين مجموع هذه الحقائق، ذلك أن أدوات الربط تظهر عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحًا؛ لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص. فالظروف

تعمل على الربط بين تلك الجمل المكونة للنص وعن طريقها نستطيع الكشف عن بعض أوجه الانسجام أو التماسك النصي.

ومنه قوله – تعالى – على لسان يوسف لأخوته: {فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُون} [يوسف:٦٠]

ذكر ابن هشام أن: (عند) ظرف للمكان وتفيد الحضور الحسي والمعنوي والقرب، ولا تقع إلا ظرفا، وقد تجر بـ(من)، وتلتقي مع (لدى) في مواضع، وتفترق عنها في أنها تكون ظرفا للأعيان والمعاني، ولا تقتضي الحضور، كما هو شأن (لدى) [(١)]. فذكر يوسف أن العطاء والميرة عنده هو ليوضح منزلته عند ملك مصر، فهو المسئول عن الاقتصاد والتصرف في الغذاء خلال تلك السنوات، فالظرفية هنا تحمل معنى الفخر والتشريف والتمكين ليوسف عليه السلام.

ومن الربط بالمكان والزمان معًا في سورة يوسف قوله – تعالى – على لسان يوسف: {قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُون} [يوسف:٧٩]

فيربط يوسف في حديثه مع إخوته بين عقوبة من وجد عنده الشيء المفقود – صواع الملك – وبين من تحل عليه العقوبة المتفق عليها بينهم في بداية حديثهم. فالظرفية المكانية هي سبب وقوع العقاب في سياق الآية، في الرابط بين الذنب والعقوبة.

وأكمل يوسف – عليه السلام – استخدام الظرفية في ربط أحداث القصة والحيلة التي دبرها ليأخذ أخاه الصغير معه. فاستخدم الزمان ليتكامل الربط بالزمان والمكان لتحقيق التماسك بين الأحداث السابقة واللاحقة، فالوقت الذي تقع فيه العقوبة لغير الجاني هو الذي يقع فيه الظلم، ويوسف يبرئ نفسه من الظلم وكأنه يربط بين الأحداث الآنية، وبين ظلم أخوته له قبل ذلك. فالزمان هنا ربط بين أحداث القصة وإن كانت

(١) ابن هشام الأنصار، مغني اللبيب: ١/ ١٥٥ – ١٥٧.

متباعدة الأوقات والأحداث، وهذا من سمات تماسك النص الناتج عن استخدام الزمان، والمكان في النص على صورة تجعل النص مثل الكائن المتماسك الأعضاء.

ومن ذلك قوله – تعالى –: {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُون} [يوسف:١٠٢]

هذه الآية في سياق توجيه الخطاب من الله – سبحانه – إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليربط الأحداث مع النبي، وسبب نزول السورة مع أحداث القصة نفسها باستخدام المكان الذي جرت فيه أحداث القصة في قوله (لديهم)، فالظرفية المكانية تربط بين مكر المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم وبين مكر إخوة يوسف. فالنبي لم يشاهد إخوة يوسف وهم يدبرون ليوسف المكائد، ولكن الله نجاه منهم. وتربط الآية النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسيًا بتلك المكائد وكأنه يشاهدهم، وذلك للتخفيف من معاناته صلى الله عليه وسلم لعناد قومه.

إحصاء المكان في سورة يوسف

المكان القريب	المكان البعيد
﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم** ﴾	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾
﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾
﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	
﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي	

أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾	
﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾	
﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾	
﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾	

بالنظر في ورود المكان في سورة يوسف نجد أن استخدام المكان القريب جاء أكثر من استخدام المكان البعيد؛ وذلك لتقريب القصة وأحداثها من المخاطبين، وكأنهم مشاركون فيها عن قرب.

وما جاء من الزمن البعيد في موضعين أحدهما يبين علو قدر الله عن كل ما يعبد سواه، والآية الثانية تخاطب النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لتوضح له أن الابتلاء هو سنة الأنبياء مهما تباعدت أماكنهم وأزمانهم وقد يأتي هذا الابتلاء من أقرب الناس كما فعل إخوة يوسف. فالمكان في السورة كان له دور كبير في تماسك النص.

الخاتمة

- من خلال التحليل النصي لسورة يوسف -. اعتمادًا على الزمان والمكان - نجد أن الزمان والمكان من العوامل النصية التي ساعدت على تماسك النص القرآني للقصة في سورة يوسف.
-كذلك عمل الزمان والمكان على التماسك الخارجي لسياق السورة الذي ربط بين السورة وأحداثها، وبين سبب نزولها والأحداث السابقة لنزول السورة، هذه الأحداث التي وقعت مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- تعدد ورود الزمن في قصة يوسف بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وكان الزمن الماضي للظرف هو الأكثر ورودًا متماشيًا مع أحداث القصة التي كانت قد وقعت في زمن يسبق زمن قصها على من طلبها زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويأتي بعده الزمن المستقبل لأحداث ستحدث مرتبطة بأحداث الماضي وقد تكون نتيجة مرئية لأحداث الحاضر في سورة يوسف، ثم يأتي الزمن الحاضر؛ لتسليط الضوء على حاضر يوسف عليه السلام الذي اقتصر على الحديث عن حال يوسف بعد أن مكنه الله من خزائن الأرض، وكأن الأصل في وجود الإنسان - خاصة الأنبياء -. هو الابتلاء، ووردت آية واحدة في الزمن الحاضر مخاطبة الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقص عليهم قصصًا، بأن هذا القرآن ليس مفترى ولا كذبًا كالقصص التي اعتاد عليها الناس.
- الربط بالزمان في سورة يوسف أكثر استخداما من الربط بالمكان؛ حيث تتحدث الآيات عن أحداث وقعت في زمن مضى.

التوصيات:

- الاهتمام بدراسة النص القرآني بصورة كلية، وليس بدراسة آياته منفصلة.
- تطبيق عناصر الزمان والمكان ودورها في تماسك النص في بقية سور القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة الأوقاف السعودية.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ت)، مطبعة المدني، القاهرة.

براون وديول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود،١٩٩٧م.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م.

الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت ٢٠٠٤م.

دكتور: أحمد عفيفي: نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، جامعة القاهرة ،٢٠٠١م.

١٠-- **دكتور: تمام حسان،** الأصول دراسة أبيستمولية للفكر اللغوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

دكتور: سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد: طه نجم، وعبده بدوي ١٩٩٠م.

دكتور: سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، لونجمان ١٩٨٨م.

دكتور: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٠م.

دكتور: صلاح فضل: مظاهر النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

دكتور: محمد حماسة عبد اللطيف: منهج في التحليل النصي للقصيدة "تنظير وتطبيق"، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني ١٩٩٦م.

دكتور: محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.

زتسيسلاف وازنياك: مدخل إلى علم لغة النص مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

سيبويه: عمرو بن عثمان: الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض السعودية، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الواحدي، على بن أحمد: أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن اللحيدان، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م.

Bibliography

al-Qur'ān al-Karīm.

Ibn Abī al-Iṣba' al-Miṣrī: **Badī' al-Qur'ān**, investigated by: Ḥanafī Muḥammad Sharaf, Nahḍat Miṣr lil-Ṭibā'ah wa-al-Tawzī'.

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram: **Lisān al-'Arab**, Ṭab'ah al-Awqāf al-Sa'ūdīyah.

Ibn Hishām al-Anṣārī, Jamāl al-Dīn: **Mughnī al-Labīb 'an kutub al-A'ārīb,** investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, Maṭba'at al-madanī, Cairo.

Brown and Deol: **Discourse analysis**, (in Arabic), translation and commentary: Muhammad Lutfi Al-Zulaitni, and Munir Al-Triki, King Saud University, 1997.

al-Biqā'ī, Burhān al-Dīn Abū al-Ḥasan ibn 'Umar: **Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar**, Dār al-Kitāb al-Islāmī, 1984.

al-Jāḥiẓ : 'Amr ibn Baḥr: **al-Bayān wa-al-Tabyīn**, investigated by: 'Abd al-Salām Hārūn, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, 1998.

Dr. Aḥmad 'Afīfī : **Naḥwa al-Naṣṣ**, Maktabat Zahrā' al-Sharq, Cairo university, 2001.

Dr.: Tammām Ḥassān, **Origins: Epistemological Study of Linguistic Thought,** (in Arabic), General Egyptian Book Organization, 1982.

Dr.: Sa'd Maṣlūḥ: min Naḥwa al-jumlah ilá Naḥwa al-naṣṣ, Kuwait university, Memorial Book, Department of Arabic Language, Prepared by: 1990.

Dr. Sa'īd Ḥasan Buḥayrī : **Linguistics of text concepts and directions**, (in Arabic), Maktabat Lubnān, Longman 1988.

Dr.: Ṣubḥī Ibrāhīm al-Fiqī: **Textual linguistics between theory and practice**, Dār Qibā' lil-Nashr wa-al-Tawzī', Cairo, 2000.

Dr. Ṣalāḥ Faḍl: **Maẓāhir al-naqd al-mu'āṣir,** al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Ammah lil-Kitāb, 1997.

Dr. Muḥammad Ḥamāsah 'Abd al-Laṭīf: **Manhaj fī al-Taḥlīl al-naṣṣī lil-qaṣīdah "tanzīr wa-taṭbīq",** Fuṣūl Journal, vol. 15, Issue 2, 1996.

Dr. Muḥammad Khaṭṭābī : **Lisānīyāt al-naṣṣ madkhal ilá insijām al-khiṭāb**, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, Beirut, 1st edition, 1991.

Robert de Beaugrand: **text, discourse, and procedure,** (in Arabic), translated by: Tammām Ḥabnbczsān, 'Alam al-Kutub, Cairo, 1998.

Ztislav Wozniak: **An Introduction to Text Linguistics, Problems of Text Structure,** (in Arabic), Translation: Sa'īd Buḥayrī, Mu'assasat al-Mukhtār lil-Nashr wa-al-Tawzī' 2003.

Sībawayh : 'Amr ibn 'Uthmān : **al-Kitāb**, investigated by: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Ammah lil-Kitāb.

al-Qurṭubī, Abū 'Abdillāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr: **al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān**, investigated by: Samīr al-Bukhārī, Dār 'Alam al-Kutub, Riyadh, Saudi, 1423 AH / 2003.

al-Mubarrid, Muḥammad ibn Yazīd : **al-Muqtaḍab**, investigated by: Muḥammad 'Abd al-Khāliq 'Uḍaymah, the supreme council for Islamic affairs.

al-Wāḥidī, 'Alá ibn Aḥmad : **Asbāb al-Nuzūl**, investigated by: 'Iṣām ibn 'Abd al-Muḥsin al-Luḥaidān, Dār al-iṣlāḥ, Dammam, 1992.

فاعليَّة الإشاريَّات المكانيَّة في التشبيهات النَّبويَّة

The Effectiveness of the Demonstrative Pronouns
That Indicate the Place in the Similes of the Hadith of the Prophet

د. سارة عبد الملك الشريف

أستاذ الأدب القديم والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية اللغات والترجمة بجامعة جدة

البريد الإلكتروني: saalshreef@uj.edu.sa

المستخلص

يتميَّز الحديث النَّبويّ بقيمته التبليغية؛ لما يحمله من: دلالاتٍ شرعية، ومقاصد عظيمة، جاء التعبير عنها بطرقٍ مختلفة، من أهمها التشبيه، إذْ كان له أثرٌ ظاهر في نقل المعنى وتمثيله، فإن كانت البلاغة هي: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"؛ فالتشبيه يعدُّ وسيلة مهمَّة لتحقيق هذه المطابقة، وله دور فاعل في نجاح العملية التخاطبية، من خلال العلاقة بين المشبَّه والمشبَّه به، وما تحدثه هذه العلاقة التصويرية من أثرٍ في نفس المتلقي، فتتشكل بذلك علاقة تداولية، ومن هنا وقع الاختيار على التداولية الإشارية منهجًا لدراسة فاعلية المفردة الإشارية المكانيَّة، وفهمها في تشبيهات البيان النَّبويّ، حيث تمثِّل التداولية آلية من آليات التحليل اللساني، التي أسهمت مؤخرًا في تحليل النَّص، ضمن إطارِ الاهتمام بتطوُّر الدرس البلاغي، ويتجه هذا البحث إلى استكشاف هذا الإجراء التحليلي، وأثره في الكشف عن دور المؤشرات المكانيَّة، في تبليغ المقاصد، وإسهامها في انسجام النَّص داخل الخطاب النَّبويّ، في ظلِّ تداولية الصورة التشبيهية مع مراعاة خصوصية مقاصد الخطاب النبوي، وقد جاء عرض البحث وفق أنواع الإشاريات المكانية: أسماء الإشارة، الظروف المكانيَّة، المؤشرات المكانيَّة.

وقد خَلُص هذا البحث إلى نتائج من أهمِّها: أن الإشاريات المكانيَّة لها حضورٌ لافتٌ في الخطاب النَّبويّ؛ ممَّا يعكس تنوُّع الأساليب والوسائل في الحديث النَّبويّ الشريف؛ بُغية تحقيق أهداف الخطاب، وإنجاز مضامين البعد التخاطبي، تبعًا للسياق، والمقام الذي استدعى ذلك التوظيف الإشاري، وقد جاء التأشير المكاني في التشبيهات النَّبويّة؛ مُبينًا للدور التواصلي بين الإنسان، ومفردات الحياة؛ فالمعينات الإشارية أعطت فهمًا خاصًّا للمعنى، عبر تحديدها المكاني، مرتبطة بسياقاتها المرجعية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الإشاريَّات المكانيَّة، التشبيهات النَّبويّة.

Abstract

The prophetic hadith is distinguished by its informative value, due to what it carries in terms of legal connotations, and great purposes. They were expressed in different ways, of which the most important include simile, which plays an important role in transmitting the meaning and demonstrating it; hence, if Rhetorics is: "the conformation of speech to the reality". Simile is a means of achieving this conformation, and it has its role in the conversational process success through the relationship between the likened and what it is likened to, which leads to the meaning. It also shows the effect that this figurative relationship has on the recipient's soul and thus representing a pragmatic relationship. Hence, the descriptive pragmatics approach was chosen as a method to study the effectiveness of the spatial denoting singularity, and its understanding in the metaphors of the Prophetic statement, where pragmatics is one of the mechanisms of linguistic analysis, which recently contributed to the analysis of the text, within the framework of interest in the development of the rhetorical lesson, and this research is directed to explore this procedure. Analytical, and its impact on revealing the role of spatial indicators in conveying the objectives, and their contribution to the harmony of the text within the prophetic discourse. In light of the deliberativeness of the simile, taking into account the specificity of the purposes of the prophetic discourse, the research was presented according to the types of spatial indices: sign names, spatial conditions, spatial indicators.

This research concluded with results, the most important of which are: that spatial signs have a remarkable presence in the prophetic discourse; Which reflects the diversity of methods and means in the noble Prophetic hadith; In order to achieve the objectives of the discourse, and to accomplish the contents of the conversational dimension, according to the context and the place that called for that indicative employment. The spatial indication came in the prophetic similes; Indicating the communicative role between humans and the vocabulary of life; Auxiliaries give a special understanding of meaning, through their spatial identification, linked to their reference contexts.

Keywords: pragmatics, spatial indices, prophetic similes.

المقدمة

يعدُّ التعبير وبلوغ المقاصد المهمَّة الأولى للغة؛ ومن هنا نشأت التواصلية بين المتكلم والسامع، والتي يحدِّدها الاستعمال، وفي النَّص علاقة تداولية للمعنى، تجعل فهم المتلقي مُرتهنًا بمنطوق المتكلم، فهو في حالة تفسيرٍ له؛ مستمعًا، أو ناقدًا.

وقد تعاقب على دراسة اللغة في النَّص عدَّة تيارات لسانية مختلفة، ومن أشهرها: "التيار التداولي"، الذي يربط النشاط اللغوي بمستعمليه، وفق المقامات التي يُنجَز ضمنها الخطاب. وقد اهتمت اللسانيات التداولية في جوهرها بالمقاصد الإبلاغية وما أطلق عليه "النظرية القصدية"(١)؛ فالتداولية تميل إلى دراسة وظيفة اللغة أكثر من أبنيتها فـ" التداولية جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات"(٢)، في لحظة الكلام، وما يتولَّد عنها من دلالات تُعبِّر عن مقاصد الخطاب، وذلك بتحديد مراجع الألفاظ، وأثرها في إيصاله، ولمعرفة تأويل العناصر التي ترد في خطابٍ ما، كان من الضروري أن نَعْرِف من هو المتكلم؟ ، ومن هو المستمع؟ ، وزمان ومكان إنتاج الخطاب"(٣)، وهي ذاتها مكونات الأسلوب البلاغي، ومن هنا عمد الجهد النقدي الأدبي المعاصر، إلى الإفادة من العلوم المختلفة، وخاصَّة علوم اللغة في سعيٍ حثيثٍ؛ للاقتراب من فهم النَّص، فدخلت بذلك التداولية مجال تحليل الخطاب الأدبي.

---

(١) ينظر: دلال وشن محمد خان ، **القصدية في الموروث اللساني العربي (دارسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية)**، دكتواره العلوم في علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة: ١٤٣٧هـ، المقدمة رقم الصفحة : ب.

(٢) فيليب بلاشيه، **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، ت: صابر حباشة، (اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص ١٩.

(٣) محمد خطابي، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، (بيروت: المركز الثقافي؛ ١٩٩١م)، ص ٢٩٧.

ويجدُر بنا هنا أن نقف عند علاقة التداولية بعلوم البلاغة – وهو مجال هذا البحث – فمن الباحثين من يرى أن" البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم، والسامع؛ بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محدَّدة للتأثير على بعضهما "(١)، فتدرس البلاغة استعمال اللّغة، أثناء عملية التواصل، بقصد تبليغ الرسالة، والتأثير في السامع، وهو ما تدرسه التداولية، فيشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة، على أنَّها أداة تبليغ وتأثير، وتواصل بين المتكلمين، فتعَدُّ بذلك أدوات البلاغة وسائل لتحقيق هذا الهدف من خلال بعدها التداولي.

ومن النصوص القائمة على البعد التواصلي الأحاديث النبوية حيث صورة النصّ الحديثيّ الفنّية تقوم على مجموع الأدوات والعَناصر، التي يُبْنَى منها شكل النّص، وما فيه من دلالات معنويّةٍ وخطراتٍ نفسيّةٍ، تربط بين الحديث وسامعه في صور مُتفرّدة تُطوّع اللّغة للتعبير عن المواقف، والمشاعر، والمحاور بوسائل في: التّعبيرِ، والتّصويرِ، كالتّشبيه، والاستعارة والكناية (2)، فيُستخدم التشبيه في الخطاب النَّبويّ؛ لاستمالة السامع إلى المعنى، والتأثير في نفسه؛ ولذلك كان التشبيه وسيلةً تصويريةً مؤثرةً في المعنى، وعاملة على تجليتِهِ وتقويته (٣).

فالحديث النَّبويّ يتميَّز بقيمته التبليغيَّة، باعتبار ما يحمله من: دلالاتٍ، ومقاصد عظيمة، جاء الكشف عنها من خلال التشبيه، الذي يحقِّق دورًا مهمًّا في نقل المعنى، وفق تعريف البلاغة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"؛ فالتشبيه وسيلة تحقيق هذه المطابقة، وجزءٌ منها، وله دوره في نجاح العملية التخاطبيَّة، وفاعلية خاصَّة، من خلال العلاقة بين المشبَّه والمشبَّه به، الموصلة للمعنى، وماتحدثه هذه العلاقة

(١) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان؛ ١٩٩٦م)، ص ١٢٣ -١٢٤.

(2) ينظر: محمد الصباغ، **التصوير الفني في الحديث النبوي**، (المكتب الإسلامي؛ ١٩٨٣م) ، ص ٣٩.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بو درع، **نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث**، كتاب الأمة .، العدد ١٥٤– السنة الثالثة والثلاثون، ١٤٣٤هـ، ١٢٢.

التصويرية من أثرٍ في نفس المتلقي، فتمثِّل بذلك علاقة تداولية، فـ" القيمة التداولية للتشبيه ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالهدف من إيراده في الكلام؛ إذ يكسبه وضوحًا، وبيانًا، وتوكيدًا، وإيجازًا. وكل هذه المعاني يتوخاَّها المتكلم في نظمه الحديث؛ رغبة منه في تأكيد المعنى، عن طريق التصوير والإقناع الحسِّي، فالصورة التشبيهية، ينبغي أن تكون مطابقة للواقع، مُدركةً بالحواس" (١)، وتشارك المفردة المكانيَّة في بناء البنية التشبيهية، في البيان النَّبويّ؛ حيث يُشكِّل المكان بأبعاده: الفنية، والإيحائية جزءًا من بناء الصور النَّبويّة؛ إذ يظهر ذلك في ناحيتين: "الأولى: من حيث المكان طرفاً في إنتاج الصورة، أو أي جزءٍ منها، والثانية: في البعد المكاني "المسافة المتخيلة" للصورة"(٢)، ومن هنا اختارت الباحثة التداولية الإشارية (٣)، منهجًا لدراسة فاعلية المفردة الإشارية المكانيَّة، وفهمها في تشبيهات البيان النَّبويّ، باعتبارها – أعني التداولية الإشارية – آلية من آليات التحليل اللساني، التي كان لها دور في تحليل النَّص، في ظلِّ الاهتمام بتطوُّرالدرس البلاغي في العصر الحديث، فيجتهد هذا البحث في استكشاف هذا الإجراء التحليلي، ودوره في الكشف عن المؤشرات المكانيّة؟، وماتحقِّقه في جانب انسجام النَّص داخل الخطاب النَّبويّ، في ظلِّ تداولية الصورة التشبيهية، ويأتي اختيار هذا الموضوع بغية الكشف عن جمالية الإشارة المكانيَّة في بنية التشبيه النَّبويّ من خلال التركيز على فاعلية الإشاريَّات المكانيَّة؛ حيث تركِّز الدراسات على مفردة المكان في السِّياق القصصي، بينما لهذه المفردة أدوارٌ، وسياقاتٍ متعددة، وفي جانب

(١) خليفة بو جادي، **في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر**. (الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع؛ ٢٠١٢)، ص.٦٠.

(٢) علي متعب جاسم ومنى شفيق توفيق، **فاعلية المكان في الصورة الشعرية سيفيات المتنبي أنموذجاً**، العدد الأربعون مجلة ديالى؛ ٢٠٠٩م، ص ٥.

(٣) يرى أغلب الباحثين أن الإشاريات خمسة أنواع، هي: الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانيَّة، والإشاريات الاجتماعية والإشاريات الخطابية أو النصية. ينظر: محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، الإسكندرية: دار المعرفة؛ ٢٠٠٢م، ص١٧.

التشبيه تركّز آليات التحليل المعهودة على تحليل العناصر الرئيسة: المشبَّه، والمشبَّه به، بينما الألفاظ المكوِّنة لبنية التشبيه لا تُعطَى حقها في بيان دورها، وقد تعدَّدت الدراسات حول لغة الخطاب النَّبويّ وفق المنهج التداولي؛ لذا تمَّ الاقتصار على ذكر الدراسات المختصَّة بالإشاريات كدراسات سابقة لهذا البحث وهي كالآتي:

– **الإشاريات في القصص النَّبوي (دراسة تداوليَّة)**، أمل حسين خبراني – مجلة كلية الأداب – جامعة السويس، ع ١٧، ج١٧، ٢٠١٩م.

– **الإشاريات في الخطاب النَّبوي الشريف (مناقب الأنصار.. رؤية تداولية)**، رشا عبدالرؤوف عبدالفتاح الحبيشي– حولية كلية اللغة العربية بجرجا– جامعة الأزهر، ع٢٥، ج٢، ١٤٤٢هـ –٢٠٢١م

– **الإشاريات اللُّغوية ومقاصدها في الخطاب النَّبوي الشريف**، حياة بن مستاري– نجاة بوزيد – مجلة النَّص– ع ٢، ج ٧، ٢٠٢١م.

ركَّزت الدراسات السابقة على دورأنواع الإشاريات في الخطاب النبوي مقتصرة على مضامين معينة للكشف عن بُعْدَها التبليغي، بينما هدف هذه الدراسة التركيز على تداولية الصورة التشبيهية من خلال تحليل فاعلية الإشاريات المكانية في البناء التشبيهي، والدور الذي تحقِّقه في إيصال المعنى والتأثير في المتلقي، ولا يهدف البحث إلى إحصاء التشبيهات التي وردت بها إشاريات مكانية، وإنما الكشف عن دور تداولية استعمالها في نماذج تمثِّل هذه الظاهرة في الخطاب النَّبويّ.

– الإشاريَّات المكانيَّة:

يقوم البحث التداولي على عدَّة مفاهيم لدراسة الظواهر اللغوية : وهي: الإشارة، والاستلزام الحواري، والافتراض المسبَق، والأفعال الكلامية، وكما أشرنا يقتصر الحديث هنا على الإشاريَّات المكانيَّة، ودورها في بناء الكلام؛ فاللغة العربية وغيرها من اللغات تعتمد في خطابها على عدد من القواعد، والمنظمات، والمعينات، ومنها: الإشاريَّات، فالإشاريَّات تُعَدُّ عنصرًا من عناصر التداولية، ويُقصد بها كلّ ما يُشير إلى: ذات، أو موقع، أو زمن...، وتترابط مع مفهوم المشير؛ إذ يُفهم عادة من:

إشارية تعيين مكان، وهوية الأشخاص، والأشياء، والعمليات، والأحداث، والأنشطة، بالنسبة للسياق المكانيّ، والزّمانيّ، الذي أنشأه، وأبقاه عمل التلفظ(١)، فيظهر هنا تنوع المشيرات؛ فالإشارة بأصنافها المختلفة: تضمُّ بعدًا زمانيًا أومكانيًا، بنسب متفاوتة، وتتحكم فيها عناصر ذات دورٍ مشاركٍ في عملية التخاطب، كوضع المخاطِب، ومقصديَّته، والمخَاطب، وتأويله الذهني، وما يُحيط بذلك من ظروفٍ خارجيَّةٍ؛ ممَّا يحدِّد اتجاه التأشير، ومضمونه الكمّيّ والنَّوعيّ(٢).

وتعتمد العناصر الإشارية في استعمالها وتفسيرها على معرفة السامع و المخاطب بمكان المتكلِّم وقت التكلم، أو مكانٍ آخرَ، وبذلك يكون لتحديد المكان دورٌ في اختيار العنصر الإشاري قربًا، أو بعدًا، أو جهةً، ولا يمكن تفسير ما يشير إليه هذا النوع من المشيرات إلا بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السِّياق الماديّ المباشر، الذي قيلت فيه (٣)؛ فاختيار الإشاريَّات المكانيَّة له أهمية كبرى في تكوين الخطاب؛ فالمكان الذي يشير إليه كلام المتكلم له دور في إيصال المعنى المطلوب للمتلقي؛ لأن المكان يمثَّل بعدًا أساسيًّا، يحسُّ به الإنسان، ويؤثِّر في وجوده، وكينونته، وإحساسه أسبق من إحساسه بالزمان المرتبط بأبعادٍ ذهنيَّةٍ شعوريَّةٍ ، ولكن إدراكه للمكان يقترن بأبعادٍ حسِّيَّةٍ وماديَّةٍ (٤)، فـ "يعدُّ التأشير المكاني عنصرًا مهمًّا، في الخطاب؛ لضرورة تحديد البعد المكاني لسيرورة الخطاب، وقد يستنبط فهم هذا البعد من الطَّبيعة النَّمطيَّة للخطاب، حسب ارتباطاته الخارجيَّة، بعلاقاتٍ مقاميَّة

(١) ينظر: نادية النجار، **الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي**، (مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع؛ ٢٠١٣م)، ص ٨٧.

(٢) ينظر: يوسف السيساوي، **الإشاريات مقاربة تداولية ضمن كتاب التداولية، (علم استعمال اللغة)**. (الأردن: عالم الكتاب الحديث؛٢٠١١ م)، ص ٤٤١.

(٣) ينظر: محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، (مصر: دار المعرفة؛ ٢٠٠٢ م)، ص٢٠

(٤) ينظر: عبد الله خضر حمد، **روائع قرآنية: دراسة في جماليات المكان السردي**، (بيروت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع؛١٤٣٨هـ)، ص١٢١.

تنبئ بالإطار المكانيّ، الذي يتجسَّد فيه الخطاب، وبهذا يكون التأشير المكاني، محمولًا في كلّ خطاب، وإن لم يتضمَّنه بشكلٍ مباشرٍ ومحدَّدٍ؛ لأن كلَّ خطابٍ أو قولٍ يقدِّره التَّداوليون، ضمن ثلاثيَّة الأبعاد التَّأشيريَّة الشَّخصيَّة والزَّمانيَّة والمكانيَّة"(١). وسيتم عرض أنواع الإشاريَّات المكانيَّة على النحو الآتي:

أولاً: أسماء الإشارة

من أشكال الإشاريَّات المكانيَّة:أسماء الإشارة، وتقع على العاقل وغيره، وأعلام الأشخاص، وأسماء الأشياء؛ لتوضِّح مدى القُرب، والبعد من المتكلم، فهي عناصر لغوية، لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، و إنّما تُحيل إلى عنصر آخر، فتكتسي دلالتها بالعودة إلى ما تُشير إليه ؛ لذا تسمّى عناصر مُحِيلة (٢)، والبنية الإحالية لها دورها في بناء النصّ، فالإحالة من أهم أدوات الاتساق النَّصي(٣)، فتضطلع أسماء الإشارة بدور تداولي من خلال ماتُحِيل إليه، وتسمَّى المبهمات (٤)، و" الأصل في اسم الإشارة: أن يُشار به إلى محسوس مشاهد، قريب، أو بعيد. وإن أُشير إلى ما يستحيل إحساسه: نحو:(ذلكم الله) (٥)، أو إلى محسوس

(١) دلخوش جار الله حسين دزه يي، **التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية**، (مجلة جامعة زاخو، إقليم كردستان العراق: جامعة صلاح الدين، كلية اللغات، قسم اللغة العربية؛ تشرين الثاني ٢٠١٥م، العدد ٢، مجلد ٣)، ص ٤٥٣-٤٥٤

(٢) ينظر: محمد الخطابي، **لسانيات النص**، الطبعة الثانية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛٢٠٠٦ م)، ص ١٦.

(٣) ينظر: الأزهر الزناد، **نسيج النص بحث فيمايكون فيه الملفوظ نصًّا**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي؛ ١٩٩٣م)، ص١٨.

(٤) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، (مصر: مكتبة الخانجي؛ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٢/٥، ٧-٨.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٥

غير مشاهد نحو: (تلك الجنة) (١)؛ لتصييره كالمشاهد "(٢)، وتعدُّ أسماء الإشارة أكثر الإشاريَّات المكانيَّة وضوحًا (٣)، ومن أمثلة التأشير باسم الإشارة، في بنية التشبيه النَّبويّ الأحاديث الآتية:

– قال الرسول ﷺ : "كَافِلُ اليَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَاْ وَهُوَ كَهَاْتَيْنِ فِي الجَنَّةِ" وأشار مالك بالسبابة والوسطى (٤)

– قال ﷺ : "مَنْ عَاْلَ جَاْرِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَاْ جَاْءَ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ أَنَاْ وَهُوَ هَكَذَا، وَضَمَّ أَصَاْبِعَهُ"(٥)

– قال ﷺ : "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا" وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا (٦).

يوضح الجدول الآتي عناصر التركيب الإشاري في بنية هذه التشبيهات:

بنية المشبَّه	بنية المشبَّه به الإشارية
كَافِلُ اليَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَاْ وَهُوَ	كَهَاْتَيْنِ
مَنْ عَاْلَ جَاْرِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَاْ جَاْءَ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ أَنَاْ وَهُوَ	هَكَذَا
بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ	هَكَذَا

(١) سورة مريم آية ٦٣

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، **كتاب الكليات . . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة؛١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، ص١٧٣.

(٣) ينظر: محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص ٥٤.

(٤) رواه مسلم، والحديث موجود في: أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورات القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، الطبعة الثالثة، (بيروت: طبعة دار إحياء التراث العربي؛ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ١١٣/١٨، ومالك من رواة الحديث.

(٥) رواه مسلم، والحديث موجود في صحيحه بشرح النووي، ١٨٠/١٦؛ وموجود في: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، **صحيح سنن الترمذي المعروف بالجامع الكبير**، تحقيق: د. بشار عواد، (بيروت: دار الغرب الإسلامي؛١٩٩٦م) باب البر والصلة، ٤٧٦/٣

(٦) رواه مسلم، المصدر السابق، ٨٨/١٨-٨٩

في بيان أجر كافل اليتيم جاء قوله ﷺ : **"كَافِلُ اليَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَاْ وَهُوَ كَهَاْتَيْنِ فِي الجَنَّةِ"**، فتظهر قيمة الإحالة المرجعية التي يحملها اسم الإشارة **(هاتين)** من خلال تصوُّر البعد التخيلي؛ للتقارب الشكلي في المؤشر الحركي، الذي يقرب المسافة بين الرسول ﷺ وكافل اليتيم في الجنة؛ جزاء عمله العظيم؛ لتصبح متمثلة في المسافة ذاتها بين السبابة والوسطى ، فترتسم لدى السامع صورة معتمِدة، على رؤية بصرية، محسوسة، ومشاهدة، في زمن التلفظ؛ ممَّا يزيل إبهام اسم الإشارة عند عدم حضور المخاطب؛ لمعرفة المخاطَب لهذه الهيئة، في شكل اليد، وتقارب أصابعها، الذي يكاد يختفي؛ فكاف التشبيه، و اسم الإشارة **(كَهَاْتَيْنِ)** تحملان معنًى خاصًّا ، بحسب قول سيبويه في تركيب كاف التشبيه: "وإنما تجيء الكاف للتشبيه، فتصير وما بعدها بمنزلة شيءٍ واحدٍ"(١)، فالصورالتشبيهية التحقيقية المتمثِّلة في صفة التقارب الشديد يكون إدراك معانيها أقرب لذهن المتلقي؛ لأن الصفة في المشبه (أنا وهو) والمشبه به (هاتين)هي حقيقة في الوصف (٢)، فيظهر الدور الذي تؤدّيه الإشاريَّات في بناء الصورة التشبيهية، فقد أدى المركب الإشاري المكوَّن من اسم الإشارة اللفظي والإشارة الحركية الدور البياني في تصوير المشبه، فعبَّرت الصورة بدقة أكثر من اللفظ ، فلو جاء التعبير بلفظٍ آخر يدلُّ على المجاورة و القرب الشديد لم يكن للعبارة من الرونق والبهاء ، كما في قوله: (أَنَاْ وَهُوَ كَهَاْتَيْنِ)، فالإشارة جعلت المتلقي ينظر إلى تجاور هذين الأصبعين مستحضرًا ما تستلزمه من معانٍ سامية، ممَّا يوسع أفق المعنى الدلالي لبنية التشبيه (٣).

(١) سيبويه، الكتاب، ١٧١/٢.

(٢) ينظر: عبد الخالق البوطاني، **بلاغة التشبيه في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي**، (دار غيداء للنشر؛ ٢٠٢٠م) ، ص٥٢-٥٣.

(٣) ينظر: سعيد أحمد جمعة، **بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق**، (مركز تفسير للدراسات القرآنية ؛٢٠٠٥م)، https://vb.tafsir.net

وتكتمل جملة البناء الإشاري من خلال الإشارة المكانيَّة في قوله:(**فِي الجَنَّةِ**)؛ حيث يجتمع حسن الجوار، وعلو المنزلة، في أعظم مكان ومبتغى كلّ مسلم؛ ممَّا يحقِّق البعد التواصلي المبنى على وقع الإشارة التخيلي، في نفس المتكلم؛ لحثِّ المخاطب؛ حاضرًا في زمن التلفظ، أم سامعًا في زمن آخر، على كفالة اليتيم؛ طلبًا لهذا القرب المكاني من الرسول الكريم ﷺ؛ حيث تهفو نفس المؤمن إلى منزلة مجاورته ﷺ، وهنا مناط القيمة التبليغيَّة.

وفي قوله ﷺ: "**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ**"[1] أدت الإشارة بلفظ (**هَكَذَا**) دورًا تصويريًا يدلُّ على عظمة جزاء هذا العمل (**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا**)، وهو مجاورة الرسول ﷺ؛ من خلال صورة تجاور أصابعه الكريمة في الإشارة الحركية (**وَضَمَّ أَصَابِعَهُ**)، ومن هنا نرى أنَّ بعض التشبيهات النَّبويّة الكريمة المتضمنة اسم إشارة اعتمدت على عنصر الحركة مع التأشير؛ فقد يكون المشبه به مقترنًا بحركةً، أو إشارةً، فيعدُّ حسن الإشارة باليد أوالرأس، من تمام حسن البيان باللسان[٢]، فالإشارة مؤدية للوظيفة ذاتها مع اللسان، وهي الوظيفة التواصلية بغية إيصال الأفكار من المرسل إلى المرسل إليه [٣].

وتدلُّ الإشارة بعد قوله ﷺ : "**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا**" (**يُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا**) على ارتباط الإشارة بالمعاني العظيمة في الخطاب النَّبويّ؛ حتى تستوعب الأذهان المعاني الكبرى؛ ممَّا يدل على فاعليةٍ أسماء الإشارة في النَّص؛ حيث الإشاريَّات جميعها، تلتقي في مفهوم التعيين، وتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة

(1) سبق تخريجه.

(٢) ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر؛ د. ت.)، ٧٨ص

(٣) ينظر: سليم حمدان، **أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي – دراسة في ضوء اللسانيات التداولية**، (جامعة باتنة ١؛ ٢٠٠٩)، ص ٦٨.

إليه [١]؛ فالإشارة النَّبويّة متناسبة مع ما يقتضيه المقام، وهو ما ينسجم مع القاعدة البلاغية (مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين)؛ ممَّا يحقق نجاح عملية التواصل، وإنجاز التأثير، فجاءت إشاراته عفويَّة، موحية، ومعبِّرة، وكان لتشكيل هذه الصور من جميع جوانبها النفسية، والواقعية أبعد الأثر على مستمعيه (٢)، ففي أحاديث كثيرة، تأتي الإشارة مؤكدةً للفظ ، ومدعمةً له، فيصل المعنى إلى القلب ويستقُّر، من طريقين مختلفين وكلٌّ منهما تؤكد الأخرى(٣)، وقد أقرَّ علماء البلاغة واللغة، وأجمعوا على بلاغة الإشارة و أثرها في النفس، وهي هنا خصيصة من خصائص بلاغة الرسول ﷺ في التعبير، والتصويرالفنِّي الانفعالي (٤)، فدخول الإشارة دائرة البيان دليل على قدرتها في نقل المعنى و توضيحه، فتلتقي مع غرض التشبيه الأوَّل وهو: البيان، والإيضاح ؛ لذا يُستعان بالإشارة في الصورة التشبيهية؛ لتتحوَّل إلى صور مشاهدة محسوسة، تراها العيون، وتتلمَّسها الأيادي (٥).

وفي مثال آخر: كان للتأشير المكاني، دوره في وصول معنى التعظيم والترهيب، ففي خُطْبتِهِ يوْم النَّحر بِمنىً في حجَّةِ الوَدَاعِ قال ﷺ : **"إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالَكم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا"**[٦]

(١) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص ١١٦.

(٢) ينظر: مروة إبراهيم شعبان قوتة، **الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية)** ، (رسالة ماجستير) ، (غزة: الجامعة الإسلامية/كلية الآداب قسم اللغة العربية؛ ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ، ص١٨.

(٣) **بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق**، مرجع سابق، https://vb.tafsir.net.

(٤) صابر عبد الدايم يونس، **الحديث النبوي رؤية فنية جمالية**، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة؛ ٢٠٠١م)، ص ١٩.

(٥) ينظر: **بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق**، مرجع سابق، https://vb.tafsir.net.

(٦) رواه مسلم، ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في موضعين: ١٨٢/٨، ١٦٩/١١.

البنية التشبيهية الإشارية

إنَّ دِماءَكُم، وأمْوالكم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا

↓

في شَهْرِكُمْ هَذَا

↓

في بَلَدِكُمْ هَذَا

في هذا الخطاب النَّبويّ، شبَّه ﷺ حرمة الدماء والأموال، بحرمة يوم عرفة، في شهرالحج، في مكة المكرمة. ووجه الشبه هنا، مُنتزع من بيئة زمانية ومكانية تتَّسم بمعرفة خاصة لدى المتلقي بعناصر التأشير، وما تحمله من دلالات؛ مما دلَّ على "شدَّة الحرمة القاطعة، لكلِّ أمل في انتهاكها. والغرض من التشبيه: بيان مقدار تلك الحرمة "[1]، و يوضح هذا المقدار تكرار التأشير باسم الإشارة (هذا) في كلِّ موقع؛ ليميز المشار إليه أكمل تمييز؛ لتضاف إليه هذه الأوصاف العظام؛ تقريبًا للحرمة المؤكدة [2].

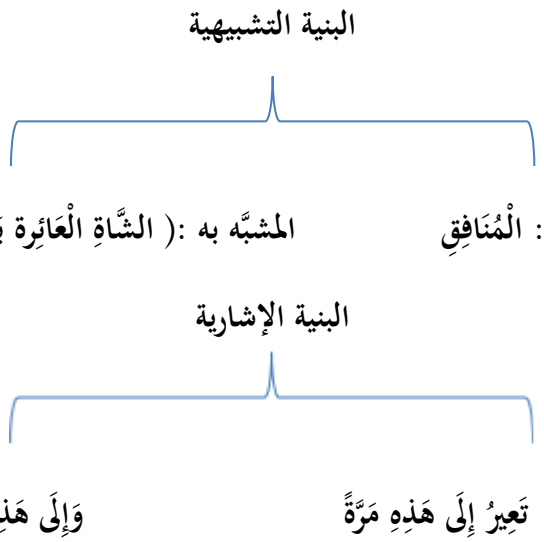
تعاضد إشاري يَظهَر في هذا البناء المشدِّد لبيان الحرمة؛ استنادًا على معرفة المتلقي؛ لقيمة الإشاريات المسبقة: الزمانية، والمكانيَّة في زمن التلفظ ، وفي أيِّ زمن **(يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا، في بلَدِكُم هَذَا)**؛ فكان تعظيم المسلم لها، وسيلة الخطاب؛ ممَّا يضمن استمرارية العملية التواصلية، في الارتباط بزمن ومكان ثابت وقد

(١) أحمد عيضة أحمد الثقفي، **التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية**، (رسالة ماجستر)، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى؛ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٢٣٥.

(٢) ينظر: محمد محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، الطبعة الرابعة، (القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر؛ ١٩٩٦م).

دلَّ على شدَّة التحريم: استخدام (في) حرف الظرفية للدلالة على شمول التحريم، وإحاطته للزمان والمكان، كما يُحيط الظرف بمظروفه، وقد شدَّد عليه الصلاة والسلام، في ذلك التحريم، واتخذ التشبيه طريقًا؛ لبيان ذلك التحريم، وتحديد مقداره؛ ليحذِّر الأمة من انتهاك حرمتي الدماء، والأعراض. (١)

وفي وصف تذبذب المنافقين قال ﷺ: "**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ** الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً "(٢).



مثلت العناصر التأشيرية في الحديث النبوي مكونًا لفظيًّا توضيحيًّا، يعضِّد تشكيل الخطاب المجسِّد لصورة المنافق الواقعة بين اسمي الإشارة، بما فيهما من: توازنٍ، وتصويرٍ حركيٍّ متماثل مع سلوك الْعَائِرة الذي يُقصد به تصوير حال المنافق، في عدم الثبات على الحقِّ، فهو متردِّد بين الطَّائفتين: من المؤمنين، والمشركين متبعاً هواه،

(١) ينظر: التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٢) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٢٨/١٧، والعائرة: المترددة الحائرة.

فشُبِّه"بتردد الشاة العائرة، وهي التي تطلب الفحل، فتتردَّد بين الثلتين، ولا تستقر على حالٍ، ولا تثبت مع إحدى الطائفتين"(١)، فالظرف (بين) السابق للفظي الإشارة، يوحي بحركية التعبير الإشاري؛ حيث تنتقل حركة فِكر المخاطب، من المعنوي إلى البصري؛ بحثًا عن موقع المنافق، فاقتران الحركة باسم الإشارة، يظهر دورها في تجسيد المعنى، في صورة محسوسة مدركة، فتتحقَّق الوظيفة التخييلية للتأشير باسم الإشارة بالإضافة إلى "وظيفته الإشارية؛ فيضاعف من إحساس المتلقي، بدلالة علاقة الإسناد المتكونة من: اسم الإشارة، وما يرتبط به"(٢)، فيظهر المعنى في صورة المحسوس بالبصر، على الرغم من أن المشار إليه، غير متحقِّق فعلًا، أو غير موجود في الواقع، فتعمل دلالة اسم الإشارة الحسيَّة، على تأكيد المعنى، واستحضاره في صورة محسوسة أمام المتلقي(٣).

فتظهر فاعلية التأشير فيما يمكن وصفه بالصورة الإشارية التشبيهية حيث يكون استعمال اسم الإشارة فنيًا، أقام حيزًا مكانيًّا متخيلًا؛ ممَّا يسهم في زيادة المساحة الدلالية التي يُنتجها النَّص، فيما يستحضره المتلقي ذهنيًا؛ لسدِّ الفجوة الدلالية التي حدثت بسبب غيابه الفعلي، فالمسوغ لحلول اسم الإشارة محل المشار إليه، إمكانية استحضاره في ذهن المتلقي وتمثّله (٤)، وقد أشار البلاغيون إلى ذلك حيث يُؤتى بالمسند إليه اسم إشارة؛ لقصد تميزه أو إحضاره في ذهنَّ السامع حسًّا، فيتحقَّق بذلك كمال التمييز بالعين والقلب، و لا يتحقَّق ذلك إلا باسم الإشارة ؛ لأن الإشارةً

(١) محمد رفعت زنجير، **دراسات في البيان النبوي**، (سوريا: دار اقرأ؛ ٢٠٠٧م)، ص ٦٠.

(٢) سعد أبو الرضا، **في البنية والدلالة: وضعية العلاقات في البلاغة العربية**، (الإسكندرية: منشأة المعارف؛ ١٩٨٧م)، ص ١١١.

(٣) ينظر: محمد صلاح زكي أبو حميدة، **البَلاغَةُ والأُسْلُوبِيَّة عِنْدَ السَّكَّاكِي ٦٢٦هـ**، (غزة: جامعة الأزهر (رسالة دكتوراه)؛ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص٩٩.

(٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص ٩٦-٩٧.

الحسيةً أقوى، فحاسة البصر وحضور المشار إليه لا يتأتى معها اشتباه[١].

فيتَّضح من الاستعمال النَّبويّ، الدور الدلالي لأسماء الإشارة، إلى جانب دورها الإحالي؛ فقد تحدَّث العلماء عن التعريف باسم الإشارة، وجعلوا لذلك أغراضاً كثيرة منها: " المدح، أو الذم، أو لبيان حاله: في القرب، أو البعد، أو التوسط. وقد يكون التعريف باسم الإشارة، غرضه التنبيه على ما سبق ذكره في الكلام.. وغير ذلك "[٢]، وهو ما يتحقَّق في التأشير بأسماء الإشارة في الخطاب النَّبوي، وقد تحمل أسماء الإشارة المكانيَّة بعدًا نفسياً؛ حيث تنطوي أسماء الإشارة على ما يمكن تسميته بالمسافة العاطفية بعدًا، أو قربًا، فيُنادى القريب بما للبعيد من أسماء، والعكس، فتحاكي مايدور في نفس المتكلم، ويود إيصاله للمخاطب ممَّا يجعل التأشير بها علامة من علامات البلاغة، أثناء التخاطب، فيوضِّح للمتلقي مدى انفعال المتكلم، ويصوِّر الدلالة المقصودة بأوجز لفظ، ويؤدي دوره في سبك النَّص، وحبكه، وتماسك أجزائه.

ثانيًا: الظروف المكانيَّة

ومن أنواع الإشاريَّات المكانيَّة التأشير بالظروف، و"الظرف ما كان وعاءً لشيء، وتسمى الأواني ظروفًا؛ لأنها أوعية لما يُجعل فيها، وقيل للأزمنة، والأمكنة؛ لأنَّ ظروف الأفعال توجد فيها فصارت كالأوعية لها"[٣]، فيعرَّف ظرف المكان على أنَّه: "كل اسم دلَّ على مكان وقوع الفعل متضمِّنًا معنى (في) مثل: فوق، تحت، خلف، أمام، يمين، شمال، فرسخ، ميل، وغيرها"(٤)، فتأتي أهمية الإشارة المكانيَّة الظرفية من كونها موضع الحدث، فالحوادث والأماكن مقترنان، فالمكان المجرَّد لا وجود

(١) ينظر: أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده؛ ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، ص١٥.

(٢) **بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق**، مرجع سابق، https://vb.tafsir.net.

(٣) موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، **شرح المفصل**، (مصر: إدارة الطباعة المنيرية؛ د. ت.)، ٤١/٢.

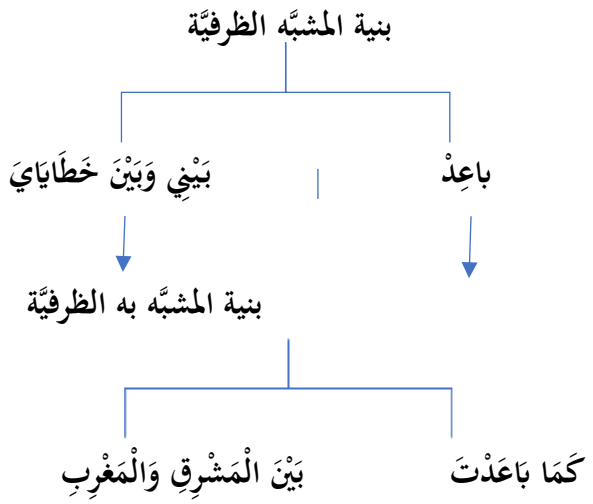
(٤) أحمد عبد المنعم يوسف وسليمان محمود قنديل، **معا لدراسة قواعد النحو الصرف**، (القاهرة: دار نهضة مصر للنشر والتوزيع؛ ٢٠١٥م)، ص٢٣٣.

له، فلا يوجد مكان لا تقع فيه أحداث جديدة، أو تستمر فيه أحداث قديمة [١]، فيتَّضح ما للظرف من أهمية كبيرة في الجملة العربية؛ فلا يكتمل المعنى إلا بحضوره؛ فالظرف لا يأتي إلا لمعنى سواءً أكان مؤسسًا للمعنى أم مؤكدًا له [٢]، وفي استعماله لبناء المعنى دورٌ دلالي ينبع من وظيفته التأشيرية، ومن أمثلة هذا النوع من التأشير، في سياق التشبيهات النَّبويّة قوله ﷺ:" **اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ** "[3]، ويمكن تمثيل البنية الإشارية التشبيهية لهذا الحديث في الشكل الآتي:

(١) ينظر: علي بن سليمان اليمني، **كشف المشكل في النحو**، تحقيق: هادي عطية مطر، (بغداد: مطبعة الإرشاد؛ ١٩٨٤م)، ص٤٦٥.

(٢) ينظر: بشير راضي أحمد رواجبة، **الظروف في ديوان الأعشى**، (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا (رسالة الماجستير)؛ ٢٠٠٧م)، ص ٢٧.

(3) رواه مسلم، والحديث موجود في صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (٥) باب (٢٧) ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ٢٧٠/١. ينظر: الإمام مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى، **صحيح مسلم**، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، (دار طيبة؛ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)؛ والحديث في صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب (٨٩) باب ما يقول بعد التكبير، ص١٨٣-١٨٤، ينظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، **صحيح البخاري**، (دمشق بيروت: دار ابن كثير؛ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).



في بناء هذا الدعاء النَّبويّ، جاء تصويرالمباعدة بمؤشراتٍ مكانيةٍ حسيَّةٍ، أسهمت في قوة المنجز الدلالي المصوِّر لرغبة المؤمن، وحرصه على البعد عن الخطايا، ونفوره من الوقوع فيها، وتحقيق النقاء من الذنوب، وتكمن قيمة الإحالة الظرفية هنا: في: معرفة المخاطب وعلمه المسبق، بالحمولة الدلالية للمسافة بين العناصرالواقعة، بعد المؤشرالظرفي (بين)، فيمكن للمخاطب تصوُّر مدى كراهية المؤمن الوقوع في الذنب، من خلال قياس التباعد بين المؤشر المكاني الأوَّل (المشرق)، والمؤشرالمكاني الثَّاني (المغرب)، إضافة إلى ماتُوحي به مفردة (بَاعِدْ)"بمعنى: (أَبْعِدْ)، فالمفاعلة أفادت المبالغة والتكثير، فالملفوظ الإشاري الظرفي له دوره التخييلي؛ حيث تركِّز هذه العملية الإشارية على: "أن التقاء المشرق والمغرب مستحيل، فكأنه أراد ألَّا يبقى للخطايا منه اقتراب بالكليَّة"[1] ، فيتَّضح من ذلك دور البناء الإشاري في بنية المشبَّه به.

(1) موسى شاهين لاشين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (دار الشروق؛ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٢٨٦.

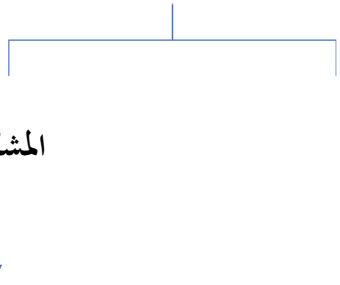
وتنوَّعت دلالات ألفاظ الإشارة الظرفية كما في قوله ﷺ :**"مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"**(١)

يفسِّر التشبيه هنا علاقة الإنسان بالدنيا، فقوله: (كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) "تشبيه تمثيلي ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثمَّ خصَّ الراكب. ومقصوده أن الدنيا زُينت للعيون والنفوس، فأخذت بهما استحسانًا ومحبة، ولو باشر القلب معرفة حقيقتها ومعتبرها لأبغضها ولما آثرها على الآجل الدائم" (2)، فيظهر لنا ماتحمله هذه الصورة من بعد إشاري في ذكرالظرف (تحت) وما يؤديه في تركيب هذه الصورة، وما يحيل إليه من دلالاتٍ، تدلُّ على دقة اختيار الملفوظ الظرفي؛ مقترنًا بالظل المخبَرعنه؛ لينجز في النفس تخييلًا موجزًا لرحلة طويلة الدنيا جزء منها، فيقع الظرف (تحت) موقعًا مركزيًا في بنية الصورة التشبيهية كما يظهر في الشكل الآتي:

(١) رواه الترمذي في باب ٤٤ من أبواب الزهد، رقم الحديث ٢٣٧٧، ١٦٨/٤؛ وهو موجود في سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا رقم ٤١٠٩، ١٣٧٦/٢، ينظر: أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني بن ماجه، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية؛ د. ت. ن).

(2) محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر؛ ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م)، ٥/ ٤٦٤.

بنية التشبيه



ويوضح إبهام هذا الملفوظ الإشاري (تحت) ذكر مفردة الشجرة كدلالة مكانية، والتي لا تعدَّ مكان استقرار، فقد ارتبطت المفردات المكانيَّة في تركيب المشبَّه به، بماتحمله خصائص الرحلة فخرجت الألفاظ عن المعنى المادي المحسوس لتحمل أبعاد أخرى ؛ إذ ليس المقصود تحديد المكان فقط ، وهو ماتسعى إليه هذه الإشارايات المتنوعة من تحقيق الدور الإبلاغي، للمؤشرات اللفظية في بناء تداولية الصورة.

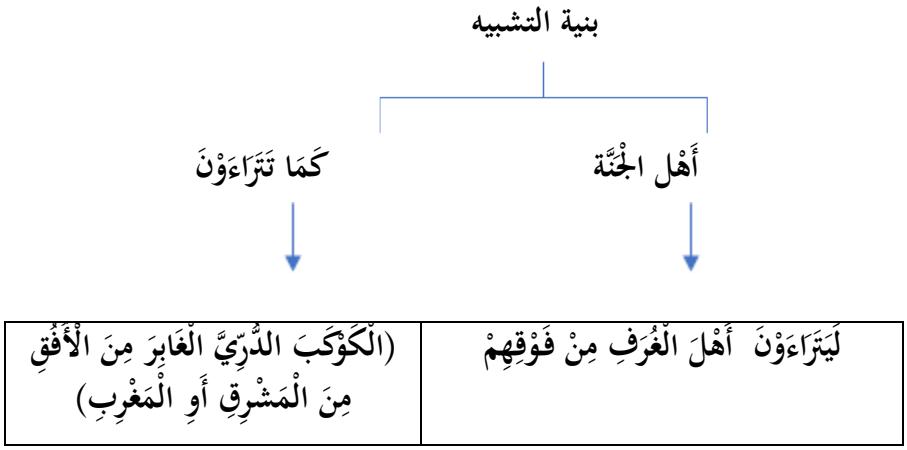
قَالَ ﷺ: " **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** "(١).

يأتي التأشير المكاني هنا؛ للترغيب في هذه المكانة العالية، فتقع مفردة التأشير الظرفي (فوق)، في مركز التشبيه الذي حوى وصفًا لمنزلة من نعيم الجنة، معتمدًاعلى بنية مكانية، لها تأثيرها النفسي، ووقعها في نفس السامع، فيشتاق لتحقيق هذه المكانة .

يأتي التأشير المكاني هنا؛ للترغيب في هذه المكانة العالية، فتقع مفردة التأشير الظرفي (فوق)، في مركز التشبيه الذي حوى وصفًا لمنزلة من نعيم الجنة،

(١) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦٩/١٧.

معتمدًاعلى بنية مكانية، لها تأثيرها النفسي، ووقعها في نفس السامع، فيشتاق لتحقيق هذه المكانة.



وقد جاء نظم المشبَّه به، مشتملًا على مفردات مكانية، تجسِّد رسمًا لصورة المكانة، التي حصدها أهل الغُرف، فكانت الإشارة دقيقة في موضعها من البناء التشبيهي، الذي اعتمد على الوصف المكاني؛ لتقدير علو مكانتهم؛ استحقاقًا لهذا الفضل.

وقد جاء نظم المشبَّه به، مشتملًا على مفردات مكانية، تجسِّد رسمًا لصورة المكانة، التي حصدها أهل الغُرف، فكانت الإشارة دقيقة في موضعها من البناء التشبيهي، الذي اعتمد على الوصف المكاني؛ لتقدير علو مكانتهم؛ استحقاقًا لهذا الفضل.

وفي سياق التشبيه التمثيلي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **"مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ، عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي،**

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ " (١)

جاء تركيب هذا التشبيه التمثيلي مكونًا من عدَّة عناصر، منها العنصر المكاني الذي يشكل وسيلة تصويرية لتقريب المعنى حيث شبَّه النبي ﷺ المداهن في حدود الله بمن هو في أعلى السفينة، وشبه الواقع في تلك الحدود في أسفلها، وشبه انهماكَه في تلك الحدود وعدمَ تركه لها بمن ينقر أسفل السفينةِ وفي ذلك هلاكهم، ولن تكون النجاة إلا بنهيه و منعه من النقر، والأخذ على يديه فينجو الناهي والمنتهي، يقابل عدم نهي الناهي إهلاكهم إياه وأنفسهم، وكأن السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين(٢)، فيأتي التأشير المكاني الظرفي جزءًا من حركة الأحداث، فتحمل دلالة التأشير، الاتصال المكاني بين الأعلى والأسفل؛ فالسفينة هنا مكان الحدث، وهي القاسم المشترك بين الفريقين؛ فخراب جزء، يؤدي لخراب الجزء الآخر. ويمثل الظرف **(أسفلها)** الموقع الذي يؤدي تضرره إلى الهلاك؛ فقاع السفينة هو موضع سلامتها، بينما تمثِّل مفردة **(أعلاها)** مهمة الحماية، فيأتي هذا التقابل المكاني بين المؤشرين الظرفيين، وسيلةً لغوية تجسد دور المكان في البنية التشبيهية، وقدرته في بناء المعنى وإيصاله لذهن المتلقي، فجاءت الصورة معتمدة على العلاقات المكانية المتضادة، فجمعت بنية التشبيه التمثيلي بين عناصر متعارضة: المشرق، والمغرب، فوق، تحت، أعلى، أسفل(٣)، فالإشارة المكانيَّة جاء توظيفها توظيفًا تداوليًّا دقيقًا، مُتسع الأفق بما حملته الإشارة، من: أهمية، ودلالات إيحائية المكان في حياة الإنسان.

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات رقم (٣٠) من باب القُرعة في المشكلات، رقم الحديث (٢٦٨٦)؛ كما رواه الترمذي في باب الفتن رقم (١٢)، ٤٤/٤

(٢) ينظر: دراسات في البيان النبوي، ص ١٢٣.

(٣) ينظر: سهام سديرة رابح دوب ، **بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف**، (قسنطينة: جامعة منتوري/ كلية الآداب واللغات/ قسم اللغة العربية وآدابها (رسالة ماجستير في الأدب العربي ؛ ٢٠٠٦م)، ص ١٢٢.

ثالثًا: المؤشرات المكانيَّة

من أنواع الإشاريَّات: الإشارة لمكانٍ بالاسم، ففي الإشاريَّات المكانيَّة: يقتضي الخطاب وجود المرسل في مكان ما حين التلفُّظ (بالخطاب)، ولا ينفك المرسل عن المكان عند التلفُّظ، وهذا ما يضفي على هذا النوع من الملفوظات الإشارية فاعليةً تُسهم في إنتاج خطابٍ متميّز، فيه تتحدَّد المواقع، والحدث الكلامي، من خلال الانتساب إلى نقاط مرجعيَّة، عن طرق التسمية، أو الوصف، أو تحديد الأماكن(١)، وهو ما يسمى (**بظرف المكان المختصّ**)، و هو كل اسم دلَّ على مكان معين، ومحدود بحدود أربعةٍ، أي ما له حدود تحصره ونهايات تُحيط به (٢)، فالتأشير المكاني عنصر من عناصر العملية التخاطبية، والمؤشرات المذكورة بطريقة تحديد الاسم، لها دورها الدلالي، المرتكز على علاقة الإنسان بالمكان كمرجع يبني عليه السامع مقاصد الخطاب، وما توحي به؛ فالمكان لا تقتصر دلالته اللفظية لدى المتلقي على كونه منظرًا طبيعيًا، فهو يعبّر عن حالة نفسية يُستعاد عن طريقها دلالات، وأبعاد تتعدَّى حدود اللفظ ، فالإشاريَّات – كما سبق تعريفها عناصر لغوية ترتبط بمدلول ثابت؛ ولذلك تسمى بالمبهمات كونها لا تدلُّ على غائب عن الذاكرة، أو عن النظر الحسِّي؛ لذا يقتضي الإلمام بمعناها معرفة العناصر السِّياقية المحيطة بعملية التلفظ ، فتكون في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب، حضورًا عينيًّا، أو حضورًا ذهنيًّا، من أجل إدراك مرجعها (٣)

فيأتي الغرض التداولي من توظيف المفردة المكانيَّة، معتمدًا على المعرفة المشتركة، بين المتكلم، والسامع للخصائص الدلالية، لهذا العنصر؛ فيعمل المؤشر المكاني دوره في موضعه من التشبيه. ومن أمثلة ذلك ذكر مفردة (البيت) في الخطاب

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٨٤.

(٢) ينظر: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية؛ ١٩٩٨م)، ١٥٦/٢.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ٨- ٨٠.

النَّبويّ، فقد تنوعت طرائق التأشير بها، فكان لها موقعها، وفاعليتها في بناء الصوة التشبيهية، بما تلقيه من ظلال دلالية وتصويرية على المعنى. كما جاء في استحباب جعل الصلاة النافلة في البيت؛ حيث يقول عليه الصلاة والسلام: **"اجْعَلُوْا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوْهَا قُبُورًا"**(١)، وفي حديث آخر قال ﷺ: **"لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ مَقَابِرَ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِيْ تُقْرَأُ فِيْهِ سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ "**(٢).

البيوت	المقابر
حياة – أنس – راحة – طمأنينة – اتساع	موت – وحشة – ظلام – ضيق – مغلق

يظهر من هذا التقابل المكاني، الجامع بين إيحاء صفات (البيوت)، مكان المكوث الدنيوي، وما يخالفها (القبور) مدى علاقة الإنسان بالمكان، فتظهر فاعلية المكان، في رسم بنية التشبيه، فجاءت الإشارة المكانيَّة، قائمة على التحول الدلالي المكاني، بين عناصر الإشارة المكانيَّة (البيت – القبر)، و ما تُحيل إليه من خصائص شكلية، ذات بعد نفسي متعارف عليه لدى السامع والمتكلم، وهو ما بُني عليه الغرض من هذا الحديث، وهو التنفير من خلو البيوت من الصلاة وقراءة القرآن؛ لئلا تتحوَّل إلى قبور،" وهناك إيحاء في هذا التشبيه، بما أن البيوت التي هذا حالها كالمقابر، فأهلها كالموتى الذين لا يطمع في نفعهم ولا يؤنس بهم" (٣)، وقد بُنيت الصورة على حذف الأداة (**لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ مَقَابِرَ**)، فالتشبيه البليغ جعل التحوُّل المكاني، بين المشبَّه والمشبَّه به من غير واسطة، ممَّا يقوي صورة تحوُّل البيوت؛ لتصبح في صورة مكان آخر، مخالف تمامًا، فالتأشيرهنا يركز على الانتقال المتخيَّل من خلال تغييرالخصائص المكانيَّة المعروفة للبيت، فيفقد المكان صفاته المرجعية، فيتحوَّل من

(١) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦٧/٦.

(٢) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦٨/٦؛ وهو موجود في سنن الترمذي، رقم (٢٨٧٧) من باب فضائل القرآن، ٧/٥.

(٣) التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ١٩.

مكان الحياة إلى مكان الموت، وهو ما يجسده أيضًا التأشير في قوله ﷺ : **"مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِيْ يُذْكَرُ اللهُ فِيْهِ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيْهِ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ"**(١).

ومن بديع بلاغته ﷺ في هذه الأحاديث: اختياره للألفاظ المكانيَّة، المناسبة لمقامات الكلام، فـ(البيت) مفردة شمولية، التعبير بها هنا مُتسع الدلالة؛ كونها مجاز يذكر المحل؛ تعبيراً عن أحوال من فيه، وتكرَّر هذا التعبير في قوله ﷺ: **"الْبَيْتُ الَّذِي لَا يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ، كَمَثَلِ الْبَيْتِ الْخَرِبِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ"** (٢)، فأدَّت الإشارة المكانية (البيت) وظيفتها الدلالية، من خلال العلاقة المجازية، الدالة على شمولية الحال، لكلِّ ما يحتويه البيت الخالي من عبق القرآن، وتؤدي مفردة (مقابر) وما فيها من إيحاء: بالوحشة، والانقباض، والشعور بالخوف، والأسى، والحزن دورًا دلاليًّا لا تؤديه مفردة أخرى، فالسِّياق وما فيه من معان تضيفها الكلمات بعضها لبعض تساهم في بناء إشارية المكان .

وتأتي مفردة (الجبل) جزءًا من بناء الصورة، في الحديث النَّبويّ "فالجبل عنصر من عناصر التشبيه القرآني جاء لبيان الارتفاع والحجم، والشكل الخارجي"(٣)، فكانت هذه الصفات، هي مصدر الإحالة المرجعية للتأشير به، وقد تكرَّرت مفردة

(١) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٦٨/٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب (١٨) من فضائل القرآن، رقم الحديث (٢٩١٣)، ٣٥/٥، وروايته فيه: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)؛ ورواه الدارمي في كتاب فضائل القرآن رقم (٢٩) من باب فضائل القرآن، ص٧٥٥، وروايته فيه كرواية الترمذي، وهناك رواية أخرى لهذا الحديث: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم، فإني لا أعلم شيئًا أصفر من خير، من بيتٍ ليس فيه من كتاب الله شيء. وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرِب كخراب البيت الذي لا ساكن له)، ينظر: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن عبد الصمد الدارمي، **المسند الجامع (سنن الدارمي)**، تحقيق: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري آل باعلوي، (مكة المكرمة: دار البشائر الإسلامية؛ ١٤٣٤هـ).

(٣) التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

(الجبل)، في مواضع تشبيهية كثيرة؛ اعتمادًا على خصائص هذا المكوّن المعروفة؛ حيث بُني التأشيرعلى المعرفة المشتركة بين المخاطب والمخاطب به، وإثارة الجانب التخييلي، من خلال تصوُّر المعنى؛ مرتبطًا بما يُحيل له هذا اللفظ.

قال ﷺ : **"إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوْبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ قَالَ بِهِ هَكَذَا"** وأشار بيده على أنفه(١)

في هذا الحديث قياس لما يحمله قلب المؤمن من مخافة عاقبة الذنوب؛ وفق مدلول لفظ (الجبال) عنصرًا مكانيًّا يحيل بإشارته المرجعية؛ لدلالاتٍ عدة، فهو مضرب المثل حجمًا، وثباتًا، وأضخم ما تقع عليه العين، كما في قوله ﷺ:**"مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ؛ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيْرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيْرَاطَانِ"**. قِيْلَ: وَمَا الْقِيْرَاطَانِ؟ قَالَ: **"مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيْمَيْنِ"**(٢)، وقوله ﷺ: **"مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِيْنِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِيْ كَفِّ الرَّحْمَنِ؛ حَتَّى تَكُوْنَ أَعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلْوَهُ.(أو فَصِيْلَهُ)"**(٣)، وقال ﷺ: **"ضِرْسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ**

(١) رواه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، رقم (٤) من باب التوبة، رقم الحديث (٦٣٠٨)، ص١٥٤٧؛ سنن الترمذي، رقم (٤٩) من كتاب القيامة، رقم الحديث (٢٤٩٧)، ٢٧٢/٤.

(٢) رواه النسائي، ينظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر؛ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، رقم (٧٩) من كتاب الجنائز، حديث رقم (٢١٣٣)، ٤٥١/٢.

(٣) رواه مسلم، ينظر كتاب الزكاة، رقم (٦٢) من باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، الحديث رقم (١٠١٤)، ص٤٥٠؛ ورواه الترمذي، ينظر: سنن الترمذي، كتاب الزكاة، رقم (٢٨) من باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم الحديث (٦٦١)، ٤١/٢؛ ورواه النسائي، ينظر: سنن النسائي، كتاب الزكاة، رقم (٥) من باب الصدقة من غُلول، رقم الحديث (٢٣١٦)، ٤٦/٣؛ ورواه ابن ماجه، ينظر: سنن ابن ماجه، كتاب الزكاة، رقم (٢٨) من باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم الحديث (١٨٤٢)، ٥٩٠/١.

جِلْدِهِ مَسِيْرَةُ ثَلَاثٍ"[1] فتداولية التأشيربالجبل بُنيت هنا على خصائص الجبل التي يعرفها المتكلم، فكان لها دورها في إثارة خياله، ومن هنا تنشأ فاعلية المؤشر المكاني، في بنية التشبيه؛ بغية تحقيق الأثر، المراد إحداثه في نفس المخاطب؛ ترهيبًا، أوترغيبًا؛ ممَّا يجعل المؤشرالمكاني لفظًا مُنجزًا، عندما تُستثمَر طاقاته الإشارية، فقد أكسب الخطاب قوةً في إنجاز مقصده، من خلال مايؤديه اللفظ في البنية الخطابية، من تأثير نفسيٍّ، مرجعه الأثر الجمالي للتفاعل إيجابًا مع بنية الصورة، فجاءت الإشارة المكانيَّة بليغة في موضعها.

كما ورد استعمال التأشير المكاني المتَّصف بالحركة في مفردة (النهر) كما في قول رسول الله ﷺ **:"مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ"**[2]، فمن خلال تأمُّل البنية الإشارية في الحديث، نجد الدِّقَّة في اختيار (النهر) مؤشِّرًا دلاليًّا مكانيًّا ؛ ممَّا حقق علاقة التناسب بين المشبَّه ، والمشبَّه به.

الصلوات الخمس	نهرٍ جارٍ غمْرٍ
	القرب
	الكثرة
	النقاء
	الاستمرار

(١) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة، رقم (٤٤) من باب الجنة وصفة نعيمها، رقم الحديث (٢٨٥١)، ص١٣٠٧.

(٢) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧٠/٥؛ ورواه الترمذي، ينظر: كتاب الأمثال، رقم (٥) من باب مثل الصلوات الخمس، حديث رقم (٢٨٦٨)، ٥٤٨/٤-٥٤٩.

من خلال الشكل السابق ينطلق السامع بخياله، مكونًا حلقة وصل بين ركني التشبيه، من خلال العلائق الدلالية. فخصائص المكان (النهر) المشبّه به، التي تبعث في النفس جماليات عدَّة؛ ينتقل بها إلى (الصلاة) المشبَّه، وما تحقّقه في النفس والجسد من جمال؛ ممَّا يحثّ الإنسان على الحفاظ عليها، وتأتي مفردة (باب) جزءًا من بناء الصورة المكانيَّة الموحية بقرب هذا النهر، ممَّا يعضِّد المعنى؛ فالمتلقي يشعر بالقرب المكاني لموقع الصلاة في حياته، كموقع النهر من باب بيته في الصورة التشبيهية، وهنا تكمن فاعلية الإشارة.

والمكان المفتوح له دلالاته قال ﷺ: "**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ. فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟**" (١).



يمثِّل التشبيه موضع الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر المدة، وفناء اللذات، بينما يقابل ذلك دوام الآخرة، ودوام لذاتها ونعيمها فما ذلك إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر (٢)، فيعتمد التشبيه على الصورة الذهنية المتخيلة لكميَّة الماء المفقودة من اليم التي تشكِّل نسبة الدنيا للآخرة، فالخصائص المكانيَّة المعروفة

(١) رواه مسلم، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٧٩/١٧؛ ورواه الترمذي، ينظر: رقم (١٥) من كتاب الزهد، رقم الحديث (٢٣٢٣)، ١٥١/٤-١٥٢؛ ورواه ابن ماجه، ينظر: كتاب الزهد، رقم (٣) من باب مثل الدنيا، حديث رقم ٤١٠٨، ١٣٧٦/٢.

(٢) ينظر: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المسمى: "المنهاج شرح الجامع الصحيح"**، الطبعة الثانية، (مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع؛ ١٩٩٤م/١٤١٤هـ)، ٢٨٠/١٧

لدى السامع عن اليم المتسع هي التي جعلت من الإشارة المكانيَّة ذات فاعلية في بناء العلاقة التصويرية ، و" كأنه – ﷺ– يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ، ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أو لا ؟ وهذا تمثيل على سبيل التقريب وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي ؟ "(١)، وهنا تقع فائدة التأشير في تحقيق العملية التواصلية.

وقال ﷺ: " مَثَلُ **الْقَلْبِ كَرِيشَةٍ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ**"(٢)

جاءت الإشارة بالمكان المفتوح هنا موضحة سرَّ اختيار الألفاظ المكانية في سياق التشبيه، فالصورة الواصفة لحال القلب، وتقلُّبه، وتغيّره جاءت مرتبطةً بدلالة الاتساع المكاني في قوله: (**أرض فلاة**)؛ فهي أرض متسعة، تخلو من العوائق؛ ممَّا يرسم حركة المشبه (القلب)، وكثرة تقلّبه، تشبيهًا بحركة المشبه به (**كريشة**)؛ حيث جاء تصوير المثل هنا، بمعنى الصفة (**كصفة ريشة**) واحدة، تقلبها الرياح بأرضٍ خاليةٍ من العمران، ولذلك دلالته الخاصة على سرعة وكثرة التقلب فإنَّ الرياح أشد تأثيراً فيها (٣)، فيأتي التعبير بلفظ (**فلاة**)؛ معززًا لبناء الصورة التشبيهية، وفاعلًا في رسمها ، وكما في قوله ﷺ: "**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى**

(١) شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (مكة المكرمة: الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز؛ ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٣٢٦/٩.

(٢) رواه ابن حنبل، ينظر، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ومحمد رضوان العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع؛ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، هذا الحديث رواه أبو موسى الأشعري، وقد رُوِي بروايتين: الأولى: وهي الحديث رقم (١٩٦٦١)"إنما سُمِّي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشةٍ معلَّقةٍ تُقلِّبها الريح ظهرًا لبطن"، ٤٣١/٣٢. والثانية: ورقمها (١٩٧٥٧) "إن هذا القلب كريشةٍ بفلاة من الأرض يقيمها الريح ظهرًا لبطن"، ٥٢٩/٣٢-٥٣٠.

(٣) ينظر: شرح الطيبي، مرجع سابق، ٢٧٨/١.

رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، وقَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ" (١)، فالتأشير المكاني جزء من صورة قياسية تشبيهية، تنقل المعنى من خلال إثارة دلالة اللفظ في الذهن؛ تحقيقًا للهدف التواصلي بين المتكلم والمستمع، في الوصول لتصوّر الفكرة؛ فهذا "التشبيه بدأ بقصة بتمهيد ومعنى، يقرّر فكرة فرح الله – تبارك وتعالى – بتوبة عبده، حين يتوب إليه، بصورة تشدّ المستمع، مستخدمًا عليه الصلاة والسلام أفعل التفضيل"(٢)؛ ثمَّ يأتي تجسيد المعنى، مرتكزًا على الوصف المكاني (بِأَرْضٍ فَلَاة)؛ ممَّا يحقق زيادة في يأس العبد من إيجاد الراحلة، وكذلك يزيد فرحته عند إيجادها؛ ليصل المتلقي من خلال اللفظ إلى تصور هذه الفرحة، فتُسهم المفردة الإشارية، في تحقيق البعد النفسي التأثيري، لـ (أفعل التفضيل) فيما أضافته للصورة من أبعادٍ تخييلية.

وكان للتأشير بدلالات المكان المغلق دوره **في قوله ﷺ :"إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا"** (3) حيث شبَّه الخطاب النبوي الإيمان، وفرار الناس من آفات المخالفين، والتجاءهم إلى المدينة، بصورة انضمام الحيَّة، وانقباضها في

(١) رواه مسلم، وهذا الحديث روي بروايات متعددة، ينظر: رقم (٧) من كتاب الرقاق، حديث رقم (٢٧٤٤)، ص١٢٥٨-١٢٥٩، وحديث رقم (٢٧٤٥)، ص١٢٥٩، وحديث رقم (٢٧٤٧)، ص١٢٥٩-١٢٦٦٠؛ ورواه الدارمي، ينظر: كتاب الرقاق، رقم (١٩) من باب لله أفرح بتوبة العبد، حديث رقم (٢٩٣٤)، ص٦٥٠.

(٢) التشبيه في صحيح مسلم، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(3) رواه البخاري، ينظر: رقم (١٩) من كتاب فضائل المدينة، باب (٦) من الإيمان يأرز إلى المدينة، حديث رقم (١٨٧٦) ، ص٤٥٢؛ورواه مسلم، ينظر: كتاب الإيمان، رقم (٦٥) من باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين، ص٧٨؛ ورواه الترمذي، ينظر رقم (١٢) من كتاب الإيمان، رقم الحديث (٢٦٣٠) ، ٣٧٢/٤.

جحرها، وقد يكون اختيار هذه الدابة كونها أشد فرارًا، وانضمامًا من غيرها [1] ، ممَّا يصوِّر علاقتها بالمكان، فتعتمد الصورة على ما تجسده العلاقة المكانيَّة بين الحية، والجحر، الذي تراه مأمنها الحصين؛ تصويرًا لفرار الناس وتحصنهم، فالتعبير النَّبويّ يُكثر استخدام الوظيفة التأشيرية للمكان، الذي يؤدي أدوارًا تواصلية في الخطاب، من خلال العلاقات المكانيَّة.

و يظهر في الخطاب النبوي دور المفردة المكانيَّة وفاعليتها في بناء المشهد التصويري، ومنه ما قاله رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ، وَتُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبنة، فَيَطُوفُ النَّاظِرُونَ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ، إِلَّا مَوْضِعَ اللَّبِنَةِ، لَا يَعِيبُونَ غَيْرَهَا، فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، فَتَمَّ الْبُنْيَانُ، وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ**" [2] يتكئ المؤشر المكاني على صفة الجمال في المكان (**القصر**)، وما يلقيه من تصوّرٍ نفسي جمالي، فهي الزاوية التي انطلقت منها فاعلية المكان التأشيرية في القول النَّبويّ؛ تعبيرًا عن تمام الرسالات، وإشارة لموقع النبوة باكتمال جمال هذا القصر، وبيان علاقة الرسالة المحمدية بما قبلها، فهو مكان متعارف عليه في ذهن السامع بما يحمله من خصائصَ جماليةٍ، تتناسب مع التعبير عن أعظم الأمور، وهو أمر الرسالات الدينية، فأعطى اللفظ لبنية التشبيه؛ جمالاً تصويريًا، واكتمالًا في المعنى.

(١) ينظر: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن**، (بيروت: دار الكتب العلمية؛ ٢٠٠٢م)، ٣٥٣/١.

(2) رواه البخاري، ينظر: كتاب المناقب، رقم (١٨) من باب خاتم النبيين ﷺ، وورد هذا الحديث بروايتين رقمهما: (٣٥٣٤)، (٣٥٣٥)، ص٨٧٣؛ ورواه مسلم، ينظر: كتاب الفضائل، وورد هذا الحديث بروايات أربع، رقم (٧) من باب كونه ﷺ خاتم النبيين، حديث رقم (٢٢٨٦)، ص١٠٨٥؛ ورواه الترمذي، ينظر: كتاب المناقب، رقم (١) من باب فضل النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٦١٣)، ٩/٦.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا ، فَجَعَلَ يُنَادِي: **"يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ "** – لِبُطُونِ قُرَيْشٍ – حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا؛ لِيَنْظُرَ مَا هُوَ؟، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: **"أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟"** قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: **"فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"** فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)[1]، يتضح في هذا الحديث تأثير دخول المؤشر المكاني في البناء التمثيلي، وهو ما يمكن تصوُّره من خلال الجملتين في الشكل الآتي:

خيلا تريد أن تُغير عليكم ← بنية غير مكانيَّة

خيلا بالوادي تريد أن تُغير عليكم ← بنية مكانيَّة

هذا الاستبدال اللفظي بين البنيتين، يجعلنا نتساءل عن الدور الذي تضفيه المفردة المكانيَّة في تركيب التشبيه التمثيلي، من خلال مرجعية اللفظ فيما يختصُّ به من صفاتٍ؛ فعدم رؤية ما في الأودية، وخفائها، يجعل من تصديق الإنذار لدى المتلقي، أمرًا ذا تأثير على المخاطب؛ خاصة أن المخاطب في حالٍ: بين تصديقٍ، وإنكار، فالألفاظ المكانيَّة تكتسب بعدًا مجازيًّا في حيّز الاستخدام التصويريّ، بما تخلعه على المعنى من دلالاتٍ، مرجعها خصائصها الطبيعية، وهو جزء من دور الألفاظ التداولي، الذي تُبنى عليه الصورة التشبيهية، و"هذا ما أكَّده البلاغيون، عندما انتبهوا إلى أن صور التشبيه المستمدة، من عناصرَ كونيةٍ، أو نفسية عامة، يشترك في

(١) رواه مسلم، ينظر: كتاب الإيمان، رقم (٨٩) من باب وأنذر عشيرتك الأقربين، وورد بروايات متعددة، منها: حديث:٣٤٨- (٢٠٤)، ص١١٤، وحديث رقم ٣٥٥(٢٠٨)، ص١١٥-١١٦؛ ورواه الترمذي، ينظر: كتاب الزهد، رقم (٧) من باب ما جاء في إنذار النبي ﷺ ، ١٤٣/٤؛ ورواه النسائي، ينظر: كتاب الوصايا، رقم (٦) من باب الوصايا إذا أوصى لعشيرته الأقربين، بروايات مختلفة: حديث رقم (٦٤٤٢)، (٦٤٣٨)، ٦٤٣٩)، (٦٤٤٠)، ١٥٩/٦-١٦١.

إدراكها والإحساس بها كافة المتذوقين، إنَّما تكون من العناصر التي هي أحفظ لبقائها وحيويتها، وتأثيرها في أجيال الناس والأمم"[(١)]، فكانت المؤشرات المكانيَّة قوية في بناء التشبيه؛ ممَّا جعلها وسيلة تواصلية فعالة في الخطاب النَّبويّ.

ولا تقتصر الإشارة المكانيَّة على ذكر المكان الجغرافي، بل هناك ألفاظ لها إيحاءات مكانية ضمنيَّة، وهي من الكثرة في خطابه ﷺ؛ ممَّا يجعلها مدار دراسة مقترحة، توسع النظرة لفاعلية المفردة المكانيَّة، في البيان النَّبويّ، ودورها في تشكيل تداولية الصورة، ومن أمثلة ذلك: ما جاء عن النبي ﷺ أنَّه قال: **" الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ"** [(٢)]

المُخَاطَب	المكان	مسافة مكانية	إشارة مكانية ضمنية
أَحَدِكُمْ	الجَنَّةُ	أَقْرَبُ	شِرَاكِ نَعْلِهِ
	النَّارُ	أَقْرَبُ	شِرَاكِ نَعْلِهِ

"الشراك أحد سيور النعل، التي تتكوَّن على وجهها"[(٣)]، ويأتي اختيار هذه المفردة (شِرَاكِ)؛ للدلالة على المسافة المؤشر لها؛ ولخصوصيتها في ذهن السامع، ونفسه؛ فهي قريبة من حياته، يراها في يومه، فيمثِّل هذا الاقتراب المكاني وجه الشبه، فالمقصود به شدَّة القرب من النار، يماثل ذلك القرب من الجنة، وهو تقدير للمسافة المتلاشية التي لا تكاد توجد، ومن جماليات التأشير هنا: التوازن في التأشير المكاني؛ ممَّا

(١) محمد أبو موسى، **التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان**، الطبعة الثانية، (دار التضامن للطباعة، ١٩٨٠م)، ص١٥٧-١٥٨.

(٢) رواه البخاري، ينظر: كتاب الرقاق، حديث رقم (٦٤١٢)، ص ١٥١٨، وكذلك في مناقب الأنصار والمدينة، حديث رقم (٣٧٧٦)، ص٣٧٧٦.

(٣) مجد الدين المبارك بن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (دار إحياء الكتب العربية؛ ١٩٦٣م) ،٢/٤٦٦-٤٦٧.

يجعل المخاطب بين خيارين متوازنين في موقفه، فعبارةُ (مِثْلُ ذَلِكَ) إشارة إلى المذكور، أي: النار مثل الجنة، في كونها أقرب من شراك النعل، فجاء التعبير؛ تحقيقًا للمساواة في البعد الإشاري، فلا حجة لمن اختار، فالتقريب الإشاري دليل على أن الطاعات الموصلة إلى الجنَّة، والمعاصي المقربة من النَّار قد تكون في أيسر الأشياء [(١)]، فيسيرٌ من الخير قد يكون سببًا لدخول الجنة، وقليلٌ من المنكر قد يكون سببًا لدخول النار، ممَّا يُرغِّب المسلم في كلِّ أسباب الجنة، وتجنُّب جميع أسباب النار، فالقربُ هنا قربٌ معنوي[(٢)]، وقد استُعمِلت الإشارة المكانيَّة هنا استعمالًا تداوليًّا، يؤكد تواصلية الخطاب النَّبويّ.

اكتسبت تداولية الصورة من خلال استخدام الإشاريَّات المكانيَّة، قيمًا جمالية، تختزل المعاني بألفاظٍ، لها دلالتها من خلال سياقها النَّصي الواردة فيه، فالبحث في لغة البيان النَّبويّ، وعمق ما ترمي إليه، من تحقيق البعد التواصلي في العملية التخاطبية يكشف، ويؤكد أن الحديث النَّبويّ، يتميز جملة وتفصيلاً، عن بقية النصوص البشرية الأخرى؛ لما يحمله من دلائل أسلوبيةٍ تتنوع لتناسب طبيعة الخطاب من ناحية، وطبيعة المخَاطَبِ من ناحية أخرى[(٣)]، فقد أضافت تداولية الخطاب الإشاري النبوي معانيَ تصويريةً ودلاليةً، تدلُّ على التفاعل القائم بين المفردات، في سياق النص التشبيهي، المكتنز بالطاقات الإيحائية؛ حيث تشكل كلُّ مفردة لبنةً من البنية الكليَّة للتشبيه.

(١) ينظر: بدر الدين العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الله محمود محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية؛ ٢٠٠١ م

(٢) ينظر: محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر) ، ٣/٣٦٠.

(٣) ينظر: الأحاديث القدسية دراسة بلاغية، ص ١٧.

وقد خلُص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أبدأ أولًا: بالنتائج، وأُجمِلها فيما يلي:

- الحضور الجمالي الذي تتمتَّع به المفردة الإشاريَّة في الخطاب النَّبويّ؛ ممَّا جعل منه خطابًا دقيقًا في التعبيرعن المراد، فقد أفاد المنجز التصويري من التعابير الإشاريَّة، كونها مستمدَّة من البيئة، وتتسم بالبساطة والوضوح، فكان للمفردة الإشاريَّة فاعلية في بناء النَّص النَّبويّ، بوصفه خطابًا إنجازيًّا قصديًّا، هدفه: الإبلاغ، والإفهام، والإقناع.
- للإشاريَّات المكانيَّة المختلفة حضورٌ لافتٌ في الخطاب النَّبويّ؛ ممَّا يدل على تنوُّع الأساليب والوسائل في الحديث النَّبويّ الشريف؛ بغية تحقيق أهداف الخطاب، وإنجاز مضامين البعد التخاطبي، تبعًا للسياق، والمقام الذي استدعى ذلك التوظيف الإشاري.
- تعدُّد مفردات الإشارة بالمكان المختص في بنية التشبيه النَّبويّ؛ لما يحققه هذا النوع من مؤشر دلالي، وتصويري له فاعليته، ودوره في اتساق النَّص.
- تعدَّدت النصوص التي تحوي عنصرين إشاريين فأكثر في النَّص التشبيهي، فقد تتضافر الإشاريَّات المكانيَّة فيما بينها في بناء تداولية التشبيه، وفي دراستها ما يكشف عن الوظيفة الدلالية لهذه الوسيلة اللغوية، وإسهامها في بيان مقاصد المتكلم، ودورها في تحقيق فاعلية نجاح العملية التخاطبية.
- جاء التأشير المكاني في التشبيهات النَّبويّة مُبينًا للدورالتواصلي بين الإنسان، ومفردات الحياة؛ فالمعينات الإشارية أعطت فهمًا خاصًا للمعنى، عبر تحديدها المكاني، مرتبطة بسياقاتها المرجعية.

ثانيًا: التوصيات:

- تتعدَّد الإشاريَّات الضمنيَّة المكانيَّة في الخطاب النَّبويّ؛ حيث يأتي التعبير الإشاري بها فاعلًا في بناء الصورة، ممَّا يجعلها مجال دراسة واسعة؛ تتبّع جوانبها الجمالية، وتقف على مزيدٍ من أسرارها وأنماطها.
- توجيه الباحثين في مجال تحليل النَّص، إلى دراسة الخطاب النَّبويّ، بآليات تحليل جديدة، تكشف عن استعمال الملفوظ المكاني، وما يحقِّقه من دورٍ في عملية التواصل، ودوره التعبيري في السِّياقات المختلفة.

المصادر والمراجع

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). **صحيح البخاري**. دمشق بيروت: دار ابن كثير.

بلانشيه، فيليب. (٢٠٠٧م). **التداولية من أوستين إلى غوفمان**. ترجمة: صابر حباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع).

بو جادي، خليفة. (٢٠١٢م). **في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر**. الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.

بو درع، عبد الرحمن. (١٤٣٤هـ). **نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث**، كتاب الأمة العدد ١٥٤- السنة الثالثة والثلاثون.

البوطاني، عبد الخالق. (٢٠٠٢م). **بلاغة التشبيه في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي**. دار غيداء للنشر.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (١٩٩٦م). **صحيح سنن الترمذي المعروف بالجامع الكبير**، تحقيق: د. بشار عواد. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (د. ت.). **البيان والتبيين**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر.

جاسم، علي متعب/ وتوفيق، منى شفيق. (٢٠٠٩م). **فاعلية المكان في الصورة الشعرية (سيفيات المتنبي أنموذجاً)**. العدد الأربعون مجلة ديالى.

جمعة، سعيد أحمد. **بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق**. استرجعت بتاريخ ١٥/ ١٢/٢٠٢٠م من موقع: https://vb.tafsir.net

حمد، عبد الله خضر. (١٤٣٨هـ). **روائع قرآنية: دراسة في جماليات المكان السردي**. بيروت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

حمدان، سليم. (٢٠٠٩م). **أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي – دراسة في ضوء اللسانيات التداولية**. جامعة باتنة ١.

أبو حميدة، محمد صلاح زكي. (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م). **البلاغة والأُسلوبِيَّة عند السَّكَّاكِي ٦٢٦هـ**. غزة: جامعة الأزهر (رسالة دكتوراه).

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ومحمد رضوان العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

خان، دلال و شن محمد. (١٤٣٧هـ). **القصدية في الموروث اللساني العربي (دارسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية)**، دكتواره العلوم في علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، بسكرة:).

خطابي، محمد. (١٩٩١م). **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**. بيروت: المركز الثقافي.

(٢٠٠٦م). **لسانيات النص**. الطبعة الثانية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن عبد الصمد. (١٤٣٤هـ). **المسند الجامع (سنن الدارمي)**، تحقيق: نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري آل باعلوي. مكة المكرمة: دار البشائر الإسلامية.

دزه يي، دلخوش جارالله حسين. (٢٠١٥م). **التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية**، (مجلة جامعة زاخو، إقليم كردستان العراق: جامعة صلاح الدين– كلية اللغات– قسم اللغة العربية؛ تشرين الثاني، العدد (٢)، مجلد (٣).

أبو الرضا، سعد. (١٩٨٧م). **في البنية والدلالة: وضعية العلاقات في البلاغة العربية**. الإسكندرية: منشأة المعارف.

رواجبة، بشير راضي أحمد. (٢٠٠٧م). **الظروف في ديوان الأعشى**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا (رسالة الماجستير).

الزناد، الأزهر. (١٩٩٣م). **نسيج النَّص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصًّا**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي).

زنجير، محمد رفعت. (٢٠٠٧م). **دراسات في البيان النبوي**. سوريا: دار اقرأ.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة. مصر: مكتبة الخانجي.

السيساوي، يوسف. (٢٠١١م). **الإشاريات مقاربة تداولية ضمن كتاب التداولية، (علم استعمال اللغة)**. الأردن: عالم الكتاب الحديث.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤م). **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**. بيروت: دار الكتاب الجديد.

الصباغ، محمد. (١٩٨٣م). **التصوير الفني في الحديث النَّبويّ**. بيروت: المكتب الإسلامي.

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز. طبعة أخرى: (٢٠٠٢م). بيروت: دار الكتب العلمية.

فضل، صلاح. (١٩٩٦م). **بلاغة الخطاب وعلم النَّص**. مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

قوته، مروة إبراهيم شعبان. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **الأحاديث القدسية (دراسة بلاغية)**، (رسالة ماجستير). غزة: الجامعة الإسلامية/ كلية الآداب قسم اللغة العربية.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). **كتاب الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

لاشين، موسى شاهين. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**. دار الشروق.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني. (د. ت. ن). **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء الكتب العربية.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م). **تفسير المراغي**. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى.

(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). **صحيح مسلم بشرح النووي**. الطبعة الثالثة. (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

(١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). **صحيح مسلم**. تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي. دار طيبة.

المناوي، محمد عبد الرؤوف. (١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م). **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**. الطبعة الثانية. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

طبعة أخرى. (د. ت. ن.). **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر).

أبو موسى، محمد. (١٩٨٠م). **التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان**. الطبعة الثانية. دار التضامن للطباعة.

النجار، نادية. (٢٠١٣م). **الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي**. مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.

نخلة، محمود أحمد. (٢٠٠٢م). **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. الإسكندرية: دار المعرفة.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار. (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). **سنن النسائي الكبرى**. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

النووي، محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف (٢٠٠٣م). **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المسمى: "المنهاج شرح الجامع الصحيح"**. الطبعة الثانية. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

طبعة أخرى. (١٩٩٤م/١٤١٤هـ). **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المسمى: "المنهاج شرح الجامع الصحيح"**، الطبعة الثانية. مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (د. ت.). **شرح المفصل**. مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

اليمني، علي بن سليمان. (١٩٨٤م). **كشف المشكل في النحو**. تحقيق: هادي عطية مطر. بغداد: مطبعة الإرشاد.

يوسف، أحمد عبد المنعم / وقنديل، سليمان محمود. (٢٠١٥م). **معًا لدراسة قواعد النحو الصرف**. القاهرة: دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.

يونس، صابر عبد الدايم. (٢٠٠١م). **الحديث النبوي رؤية فنيَّة جمالية**. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة.

Bibliography

Blānshīh, Fīlīb. (2007). **al-Tadāwulīyah min awstyn ilá ghwfmān**. tarjamat: Ṣābir Ḥabāshah. al-Lādhiqīyah: Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzī‘).

Bū Dir, ‘Abd al-Raḥmān. (1434). **Naḥwa qirā’ah naṣṣīyah fī Balāghat al-Qur’ān wa-al-ḥadīth**. Kitāb al-ummah, al-‘adad 154-al-sanah al-thālithah wa-al-thalāthūn.

Bū Jādī, Khalīfah. (2012). **fī al-lisānīyāt al-Tadāwulīyah muqāranah bayna al-Tadāwulīyah wa-al-shi‘r**. al-Jazā’ir: Bayt al-Ḥikmah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

al-Bukhārī, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā‘īl ibn Ibrāhīm ibn al-Mughīrah. (1423 / 2002). **Ṣaḥīḥ al-Bukhārī**. Dimashq Bayrūt: Dār Ibn Kathīr.

Al-Buṭāny, ‘Abd al-Khāliq. (2002). **Balāghat al-tashbīh fī Kitāb Riyāḍ al-ṣāliḥīn min kalām Sayyid al-Mursalīn**. lil-Imām al-Nawawī. Dār Ghaydā’ lil-Nashr.

al-Dārimī, Abū Muḥammad ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Raḥmān ibn al-Faḍl ibn ‘Abd al-Ṣamad. (1434). **al-Musnad al-Jāmi‘ (Sunan al-Dārimī)**. taḥqīq : Nabīl ibn Hāshim ibn ‘Abd Allāh al-Ghamrī Āl Bā‘alawī. Makkah al-Mukarramah: Dār al-Bashā’ir al-Islāmīyah.

Dāzzah Yayy, Dilxoş Jārāāllh Ḥusayn. (2015). **al-T’shir wa-al-tabā‘ud bayna al-qudamā’ wa-al-muḥadathīn muqārabah tadāwulīyyah**. (Majallat Jāmi‘at Zākhū, Iqlīm Kurdistān al-‘Irāq: Jāmi‘at Ṣalāḥ al-Dīn-Kullīyat allghāt-Qism al-lughah al-‘Arabīyah; Tishrīn al-Thānī, al-‘adad (2), mujallad (3).

Faḍl, Ṣalāḥ. (1996). **Balāghat al-khiṭāb wa-‘ilm al-naṣṣ.** Miṣr: al-Sharikah al-Miṣrīyah al-‘Ālamīyah lil-Nashr Lūngmān.

Ḥamad, ‘Abd Allāh Khiḍr. (1438). **Rawā’i‘ Qur’ānīyah: dirāsah fī jamālīyāt al-makān al-sardī.** Bayrūt: Dār al-Qalam lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

Ḥamdān, Salīm. (2009). **Ashkāl al-tawāṣul fī al-turāth al-balāghī al-‘Arabī dirāsah fī ḍaw’ al-lisānīyāt al-tadāwulīyyah**. Jāmi‘at Bātnah 1.

Abū Ḥamīdah, Muḥammad Ṣalāḥ Zakī. (1433 / 2012). **al Balāghatu wāl’uslūbīyah ‘inda al-Ssakkākī 626h**. Ghazzah: Jāmi‘at al-Azhar (Risālat duktūrāh).

Ibn Ḥanbal, Abū ‘Abd Allāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal al-Shaybānī al-Dhuhlī. (1420 / 1999). **Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal**. taḥqīq: Shu‘ayb al-Arnā’ūṭ wa-Muḥammad Na‘īm al‘rqswsy wa-Muḥammad Raḍwān al‘rqswsy. Barut: Mu’assasat al-Risālah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

al-Jāḥiẓ, Abū ‘Uthmān ‘Amr ibn Baḥr. (D. t.). **al-Bayān wa-al-tabyīn**. taḥqīq wa-sharḥ : ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. al-Ṭab‘ah al-thāniyah. Bayrūt : Dār al-Fikr.

Jāsim, ‘Alī Mut‘ib / wa-Tawfīq, Munā Shafīq. (2009). **Fā‘ilīyyat al-makān fī al-ṣūrah al-shi‘rīyah (Sayfiyyāt al-Mutanabbī unmūdhajan)**. al-‘adad al-Arba‘ūn Majallat Dīyālá.

Jum‘ah, Sa‘īd Aḥmad. **Balāghat al-ishārah bayna al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq**. isturji‘t bi-tārīkh 15/12/2020m min Mawqi‘ : https : / / vb. tafsir. Net.

al-Kafawī, Abū al-Baqā’ Ayyūb ibn Mūsá al-Ḥusaynī alqrymy. (1419h / 1998M). **Kitāb al-kullīyyāt mu‘jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah**. taḥqīq : ‘Adnān darwīsh wa Muḥammad al-Miṣrī. Bayrūt : Mu’assasat al-Risālah.

Khān, Dalāl wa Shan Muḥammad. (1437). **al-Qaṣdiyyh fī al-mawrūth al-lisānī al-‘Arabī (dirāsah fī al-usus al-naẓarīyyah wa-al-ijrā’īyyah lil-balāghah al-‘Arabīyyah)**. Duktuārh al-‘Ulūm fī ‘ulūm al-lisān al-‘Arabī, Jāmi‘at Muḥammad Khayḍar Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt Qism al-Ādāb wa-al-lughah al-‘Arabīyah, Baskarah).

Khaṭṭābī, Muḥammad:

(1991m). **Lisānīyyāt al-naṣṣ madkhal ilā’ insijām al-khiṭāb.** Bayrūt: al-Markaz al-Thaqāfī.

(2006m). **Lisānīyyāt al-naṣṣ**. al-tab‘ah al-thāniyah. al-Dār al-Bayḍā’: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī.

Lāshīn, Mūsá Shāhīn. (1423 / 2002). **Fatḥ al-mun‘im sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim.** Dār al-Shurūq.

Ibn Mājah, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Yazīd al-Rab‘ī al-Qazwīnī. (D. t. N). **Sunan Ibn Mājah**. taḥqīq : Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, Miṣr : Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah.

al-Manāwī, Muḥammad ‘Abd al-Ra’ūf.

(1391 / 1972). **Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr min aḥādīth al-Bashīr al-Nadhīr.** al-Ṭab‘ah al-thāniyah. Bayrūt : Dār al-Ma‘rifah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

Ṭab‘ah ukhrā. (D. T. N.). **Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr min aḥādīth al-Bashīr al-Nadhīr.** al-Ṭab‘ah al-thāniyah, (Bayrūt : Dār al-Fikr).

al-Marāghī, Aḥmad ibn Muṣṭafā. (1365 / 1946). **Tafsīr al-Marāghī.** Miṣr: Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Awlādihī.

Abū Mūsā, Muḥammad. (1980). **al-Taṣwīr al-bayānī dirāsah taḥlīlīyyah li-masā’il al-Bayān**. al-Ṭab‘ah al-thāniyah. Dār al-Taḍāmun lil-Ṭibā‘ah.

Muslim, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj ibn Muslim al-Qushayrī al-Nīsābūrī.
(1404h / 1984m). **Ṣaḥīḥ Muslim bi-Sharḥ al-Nawawī.** al-Ṭab‘ah al-thālithah. (Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī).
(1427h / 2006m). **Ṣaḥīḥ Muslim**. taḥqīq: Abū Qutaybah Naẓar ibn Muḥammad al-Fāryābī. Dār Ṭaybah.
al-Najjār, Nādiyah. (2013). **al-Ittijāh al-tadāwulyy wa-al-wasīṭ fī al-dars al-lughawī.** Miṣr : Mu’assasat Ḥawras al-Dawlīyyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
Nakhlah, Maḥmūd Aḥmad. (2002). **Ā’fāq jadīdah fī al-baḥth al-lughawī al-mu‘āṣir**. al-Iskandarīyah : Dār al-Ma‘rifah.
al-Nawawī, Muḥyī al-Dīn Abū Zakarīyyā Yaḥyá ibn Sharaf.
(2003). **Ṣaḥīḥ Muslim bi-Sharḥ al-Imām al-Nawawī, al-musammá : "al-Minhāj Sharḥ al-Jāmi‘ al-Saḥīḥ"**. al-Ṭab‘ah al-thāniyah. Dimashq: Dār al-‘Ulūm al-Insānīyyah.
Ṭab‘ah ukhrá. (1994 / 1414). **Ṣaḥīḥ Muslim bi-Sharḥ al-Imām al-Nawawī, al-musammá : "al-Minhāj Sharḥ al-Jāmi‘ al-Saḥīḥ".** al-Ṭab‘ah al-thāniyah. Mu’assasat Qurṭubah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.
al-Nisā’ī, Abū ‘Abd al-Raḥmān Aḥmad ibn ‘Alī ibn Shu‘ayb ibn ‘Alī ibn Sinān ibn Baḥr ibn Dīnār. (1421 / 2001). **Sunan al-Nisā’ī al-Kubrá.** taḥqīq: Ḥasan ‘Abd al-Mun‘im Shalabī. Bayrūt: Mu’assasat al-Risālah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.
Qwtah, Marwah Ibrāhīm Sha‘bān. (1428 / 2007). **al-Aḥādīth al-Qudsīyyah (Dirāsah Balāghīyyah)**. (Risālat mājistīr). Ghazzah : al-Jāmi‘ah al-Islāmīyah / Kullīyat al-Ādāb- Qism al-lughah al-‘Arabīyah.
Rwājbah, Bashīr Rāḍī Aḥmad. (2007). **al-Zurūf fī Dīwān al-A‘shá**. Nābulus: Jāmi‘at al-Najāḥ al-Waṭanīyyah Kulliyat al-Dirāsāt al-‘Ulyā (Risālat al-mājistīr).
al-Ṣabbāgh, Muḥammad. (1983). **al-Taṣwīr al-Fannī fī al-Hadīth al-Nnabwī**. Bayrūt: al-Maktab al-Islāmī.
al-Shihrī, ‘Abd al-Hādī ibn Ẓāfir. (2004). **Istirātījīyāt al-Khiṭāb Muqārabah lughawīyyah Tadāwulīyyah**. Bayrūt: Dār al-Kitāb al-jadīd.
Sībawayh, Abū Bishr ‘Amr ibn ‘Uthmān ibn Qanbar. (1408 / 1988). **al-Kitāb**. taḥqīq: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. al-Ṭab‘ah al-thālithah. Miṣr: Maktabat al-Khānjī.
al-Sysāwy, Yūsuf. (2011). **al-’Shāriyyāt Muqārabah Tadāwulīyyah Dimna Kitāb al-Tadāwulīyyah, (‘Ilm Isti‘māl al-Lughah).** al-Urdun: ‘Ālam al-Kitāb al-ḥadīth.
al-Ṭībī, Sharaf al-Dīn al-Ḥusayn ibn ‘Abd Allāh ibn Muḥammad.

- (1417 / 1997). **Sharḥ al-Ṭībī ‘alá Mishkāt al-Maṣābīḥ al-musammá al-Kāshif ‘an Haqā’iq al-Sunan**. taḥqīq: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. Maktabat Nizār Muṣṭafá al-Bāz
- Ṭab‘ah ukhrá: (2002). Bayrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ‘Īsá ibn Sūrat. (1996). **Ṣaḥīḥ Sunan al-Tirmidhī al-ma‘rūf bi-al-Jāmi‘ al-Kabīr, taḥqīq**: Dr. Bashshār ‘Awwād. Bayrūt : Dār al-Gharb al-Islāmī.
Ibn Ya‘īsh, Muwaffaq al-Dīn Ya‘īsh ibn ‘Alī. (D. t.). **Sharḥ al-Mufaṣṣal.** Miṣr: Idārat al-Ṭibā‘ah al-Munīrīyyah.
al-Yamanī, ‘Alī ibn Sulaymān. (1984). **Kashf al-Mushkil fī al-Naḥw.** taḥqīq: Hādī ‘Aṭīyah Maṭar. Baghdād: Maṭba‘at al-Irshād.
Yūnus, Ṣābir ‘Abd al-Dāyim. (2001). **al-Ḥadīth al- Nabawy**ī **Ru’yah Fanīyyah Jamālīyyah.** al-Iskandarīyyah: Dār al-Wafā’ li-Dunyā al-Ṭibā‘ah.
Yūsuf, Aḥmad ‘Abd al-Mun‘im / wa- Qindīl, Sulaymān Maḥmūd. (2015). **Ma‘an li-Dirāsat Qawā‘id al-Naḥ wa al-Sarf.** al-Qāhirah: Dār Nahḍat Miṣr lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
al-Zannād, al-Azhar. (1993). **Nasīj al-Naṣṣ: Baḥth Fīmā Yakūn Fīhi al-Malfūẓ Naṣṣan.** al-Dār al-Bayḍā’ : al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī).
Zinjīr, Muḥammad Rif‘at. (2007). **Dirāsāt fī al-Bayān al-Nabawī.** Sūriyā : Dār ’Iqra’.

الشاعر منشِدا

دراسة تنظيرية تطبيقية، نحو تلقي النص بصوتِ شاعرِه

When a poet recites his poetry

A theoretical and applied study, on receiving poetry via a poet's voice

أ.د. ماهر بن مهل الرحيلي

أستاذ في قسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: dr.maher.alrehaily@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث بيان أهمية إنشاد الشاعر نفسه لقصيدته، ومدى تأثير ذلك على فهم النص الشعري وتحليله، والبحث في ذلك كله يحاول رصد الملحوظات والانطباعات التي تشير إلى حرص متلقي الشعر على سماع النصوص من أفواه شعرائها أنفسهم، وقد أشار إلى بعضها في بعض مرويات النقد القديم.

ولما كانت الفكرة غير مطروقة على هذا النحو في النقد الحديث ومجرد إشارات عابرة في النقد القديم، حرص البحث على بيان الأسس النظرية لهذا التلقي مضمنا بعض النماذج من باب الاستشهاد، وأتبعه بنماذج تطبيقية للشاعر السعودي يحيى رياني، لحرصه على إنشاد قصائده بنفسه.

وقد وازن البحث بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي في بعض المواطن من باب تبيين بعض السمات الفنية المتعلقة بموضوع البحث.

الكلمات المفتاحية: تلقي الشعر، إنشاد الشعر، يحيى رياني، الشعر الشعبي، الشعر الفصيح.

Abstract:

This research shows the importance of the poet himself singing his poem, and the extent of its impact on understanding and analyzing the poetic text.

Since the idea was not discussed in this way in modern criticism and only passing references in ancient criticism, the research was keen to explain the theoretical foundations of this reception, including some models, and followed it with practical examples of the Saudi poet Yahya Rayyāni, for his keenness to sing his poems himself.

The research has balanced between eloquent poetry and folk poetry in some sides in order to clarify some of the technical features related to the subject of the research.

Keywords: receiving poetry, reciting poetry, Yahya Rayyāni, folk poetry, eloquent poetry.

"والشعر الفاخر حسن،... فإن كان من قول المنشد وقريضه، ومن نحته وتحبيره، فقد بلغ الغاية، وأقام النهاية"

أبو عثمان الجاحظ(١)

(١) رسائل الجاحظ: تحقيق عبدالسلام هارون، ٣/ ١٢٥-١٢٦، دار الجيل-بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين.

وبعد: كنت قد أنجزت عددا من الدراسات حول النص الأدبي قارب خمس عشرة دراسة، استعنت فيها بمناهج نقدية مختلفة فرضتها طبيعة التجربة الأدبية والنص والموضوع، وشعرت بعدها أنني بحاجة إلى البحث في مجال جديد، يضيف إلى تجربتي البحثية والمكتبة الأدبية.

مر وقت ليس بالقصير في تأمل الموضوعات ذات العلاقة بالأدب والنقد، توقفت عند بعضها كثيرا، وجاوزت البعض الآخر سريعا، محتكما في ذلك كله إلى الجدة والطرافة.

استمر هذا الهاجس ملحّا، حتى مررت بتغريدة للشاعر السعودي يحيى رياني، كان يلقي أبياتا له بأسلوب جاذب جدا، أعدت الاستماع إليه أكثر من مرة، وفي كل مرة كانت الأسئلة تتواثب، وأسترجع من الذاكرة تجارب شعرية قد تكون مشابهة في طبيعتها التواصلية مع المتلقي.

وتساءلت: هل اهتممنا في منجزنا النقدي بإنشاد الشاعر شعره، وإذا اهتممنا فعلا، فهل نُظر إلى عملية الإنشاد بوصفها جزءا متصلا بالنص أدبيا، أو منفصلا عنه لا علاقة لها إلا بالأداء المسرحي وجمالياته؟

وبعد تأمل عميق، واسترجاع لما كتب في هذا الشأن، أجد أن دراسة القصيدة الشعرية المنشَدة بصوت شاعرها لم تحظ بالعناية النقدية الكافية، والدراسة التي أعنيها أن تكون دراسةً تعتمد على معايير نقدية تأخذ الإنشاد بعين الاعتبار، بوصفه عملا موازيا يكشف لنا جوانب من النص ويتيح لنا التعمق فيه أكثر.

ولأن القصيدة بصوت شاعرها تعد أدبا شفاهيا، فقد يتبادر إلى ذهن القارئ أسبقية بعض الأطروحات العلمية والاهتمامات المجتمعية حول الأدب الشفاهي، فأقول إن المنهج مختلف تماما، وما ترمي إليه هاته الدراسات والاهتمامات بعيد عن مرمى البحث هنا، فهناك من تنطلق دراسته من كون الشفاهية الوسيلة الأولى للغات، وأن اللغة الشفاهية ذات خصائص وسمات تختلف عن الكتابية، وينطلق من هذه

النظرية إلى بناء مفاهيم متفرعة عديدة وذلك كما يتجلى في كتاب "الشفاهية والكتابية"(١)، وإذا التفتنا إلى دراسة أخرى للأستاذ علي الجندي "الشعراء وإنشاد الشعر"(٢) نجدها اشتملت على مقدمات مفيدة وإشارات مثرية في فصوله الأولى، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بتاريخ الإنشاد والمجيدين من الشعراء وأثر الإنشاد على المتلقين، إضافة إلى طبيعة العلاقة بين الشعر العربي والإنشاد، وقد اتجه الكتاب بعد ذلك –وهو الجزء الأكبر– نحو معايير جمالية حول جودة الإنشاد، كعذوبة الصوت ومظهر الشاعر المنشد واختيار البحور والقوافي المناسبة والتصريع وغير ذلك، وهي مباحث مهمة ومفيدة لا شك، ولكنها تختلف عن وجهة هذا البحث الذي يعنى بجوانب الإنشاد التي تعين على تحليل النص وفهمه أكثر، لا جماليات الإلقاء.

وهناك كتاب نقدي اشتمل على مبحثين مهمين، وهو بعنوان "في اللسانيات والنقد، أوراق بينية" للدكتور سعد مصلوح، وكان أول المبحثين بعنوان: جماليات القصيدة الصوفية بين الإنشاء والإنشاد، تأملات في لامية ابن الفارض"(٣)، وقد أفدت من مقدمات المبحث، ومنهجية التفكير في تلقي الإنشاد، إلا أن الدراسة ذات منحى آخر، ألصق بجماليات الأداء المسرحي، وتنطلق من كون الموسيقا وآلاتها جزءا لصيقا بالإنشاد ، وأن المنشد كائن آخر مختلف عن المنشئ صاحب النص، وهو خلاف متكأ هذه الدراسة التي تقوم على تلقي النص منشدا بصوت شاعره دون اعتبار للموسيقا المصاحبة إن وجدت. أما المبحث الثاني فهو بعنوان "الصوتيات وجماليات القصيدة"من تأليف: أ. و. دي جروت، وترجمة د. سعد مصلوح(٤)، وهو على رغم اختلاف المنهج عن هذا البحث إلا أنه يؤيد فكرة اعتبار العناصر المساندة

(١) **الشفاهية والكتابية**: تأليف والتر ج أونج، ترجمة د. حسن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصفور، عالم المعرفة–الكتارب رقم ١٨٢، فبراير ١٩٩٤م.

(٢) **الشعراء وإنشاد الشعر**: علي الجندي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧م.

(٣) انظر: **في اللسانيات والنقد، أوراق بينية**: د. سعد عبدالعزيز مصلوح، ١٢٣–١٥٤، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ٣٣٧–٣٧٥.

للنص الشعري المنشَد جزءا من القصيدة فنيا، كالفراغات الكتابية والمؤثرات الصوتية على سبيل المثال، بحيث ينظر إلى هذه العناصر كلها عملا واحدا.

ومما لا شك فيه أن ثمة دراسات عنيت بالصوت عنصرا من عناصر الأسلوب، من حيث الحروف وأنواعها والمدود إضافة إلى كل ما يعرف بالإيقاع الداخلي ومدى مواءمة كل ذلك للمقام والمعنى، وهو طرح قديم متجدد، ومهم في التلقي الأدبي، ولكنه يظل دارسا للصوت الكامن في النص المكتوب لا الصوت الإنشادي الذي يصافح أسماعنا ويأخذنا إلى مستويات أخرى أعمق ربما.

إذن فكل الجهود السالفة مهمة، وأفاد منها البحث، إلا أنها تفترق عنه على وجه من الوجوه، ولكون هذا الموضوع جديدا في رؤيته، فمن المنطقي أن يكون منهجه كذلك، وسأبين كنهه وخطواته في المهاد النظري وفي الإجراء أيضا، وهو منهج يقف مساندا غيره من المناهج النقدية المتعارف عليها سواء السياقية أم النصية وينفتح عليها ولا يتعارض معها.

بقي أن أؤكد أن الشعر الفصيح هو ميدان الدراسة، ولكنني قد أوازن بينه وبين الشعر الشعبي في مواطن مفيدة للبحث. وسأتخذ من تجربة الشاعر السعودي يحي رياني نموذجا تطبيقيا للدراسة، مع الاستعانة بنماذج أخرى داعمة في المقدمات التنظيرية، إلا أن يحي هو النموذج الأساس للدراسة، لوضوح سمات الإلقاء التفاعلي عنده في التلقي، ولتعدد النماذج أيضا، ولكون نصوصه مكتوبة لا تتضمن من السمات الفنية والمعنوية كما هي منشدَة، مما يبين أثر الإنشاد في تلقي النص الشعري.

والمأمول بعد ذلك كله أن تلقى هذه الدراسة عناية المختصين، بالنقاش والإضافة، وأن تلفت عناية الشعراء إلى أهمية الإنشاد.

ماهر بن مهل الرحيلي–المدينة المنورة

ديسمبر/ ٢٠٢١

المحور الأول: تحولات القصيدة ومواكبة التلقي

بدأت القصيدة الجاهلية خطابا شفاهيا بعيدا عن الكتابة غالبا، لأسباب معروفة تاريخيا أهمها: أن العرب أمة تعتمد على الذاكرة والرواية ولا تلجأ إلى الكتابة إلا في أمور تتعلق بالعهود والصلح والتوثيق ونحو ذلك(١)، وتلقت –تبعا لذلك–الذائقةُ النقدية الشعرَ مرويا في ذاك الحين، فكان الاستحسان والاستهجان مبنيا على السماع لا القراءة.

استمرت القصيدة مروية بصوت شاعرها، ورواة آخرين كثر سواء من القبيلة نفسها أم من خارجها على اختلاف في طبقاتهم (٢)، وهنا انفصلت القصيدة عن شاعرها جزئيا، فبعد أن كانت تسمع من شاعرها في الأسواق والمجالس أصبحت تروى على ألسنة الرواة أيضا، مما أبعدها عن الذات المبدعة.

وفي مرحلة لاحقة، وبعد أن ازدهر تدوين الشعر بعد منتصف القرن الثاني الهجري، أصبح الشعر نصا مكتوبا يقرأ إضافة إلى أنه مسموع، فبعد أن كان يسمع من صاحبه أصبح يسمع من الرواة، والآن صار يدون أيضا ثم يقرأ في تطور جديد، وقد يدون اعتمادا على أكثر من رواية، فتختلف الصيغ باختلاف الروايات، وحينئذ يزداد بعد القصيدة عن ذاتها المبدعة أكثر فأكثر.

ورغم هذا التطور الجديد، إلا أن مجالس الخلفاء ما زالت ترحب بالشعراء، وصدر فيها كثير من الأحكام النقدية على قصائد أنشدها شعراؤها، سلبا وإيجابا، وهنا لا تغيب عنا أسماء خلفاء امتلكوا ذائقة شعرية عالية منهم –مثلاً– عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد والمأمون وسيف الدولة الحمداني وغيرهم، وشعراء كبار أيضا،

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: د. ناصر الدين الأسد، ٥٩–٧٦، ١٨٧–٢٢١، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٦، والعصر الجاهلي: د. شوقي ضيف، ١٣٨–١٦٣، دار المعارف بمصر، ط٨.

(٢) انظر تفصيل الحديث في طبقات الرواة: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: د. ناصر الدين الأسد،٢٢٢–٢٥٤.

كجرير والفرزدق والأخطل وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم.

ولايفوتنا في هذا السياق قصة استنشاد المأمون قصيدة دعبل الخزاعي التائية في آل البيت من الشاعر نفسه، وقد استعفاه دعبل من إنشادها خوفا على نفسه، ولكن المأمون أصر عليه ووهبه الأمان، وصرح أنه يعرفها ورواها، فلما سمعها منه بكى حتى اخضلت لحيته وجرت دموعه على نحره[١]، فالحرص على استنشاد القصيدة من شاعرها مباشرة ثم التأثر بها رغم معرفته لها، كل ذلك دليل على عظم أثر الإنشاد من الشاعر نفسه.

وإذا نظرنا إلى هذه المجالس على أنها وجه من وجوه المنتديات الشعرية، فلنا أن نقول إن ظاهرة إنشاد الشعر في منتدياته استمرت حتى العصر الحديث في الشام ومصر، فعلى سبيل المثال، جل شعر شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران تقريبا، سمع في المحافل أولا ثم قرئ في الصحف ثانيا[٢]، وقد كان لإنشاد الشعر ميزة عظيمة عند الناس، يتزاحمون عليه مع علمهم أن القصيدة ستنشر فيما بعد، كما ذكر علي الجندي[٣].

والذاكرة التاريخية تحفظ لنا أيضا أن الملك عبدالعزيز وأبناءه –رحمهم الله –من بعده كانوا يستمعون لحوليات الحج التي تلقى من شعراء المملكة الكبار، وفي مقدمتهم الغزاوي صاحب الحوليات الكثيرة[٤]، وفي مفتتح مؤتمر الأدباء السعوديين الأول بمكة عام ١٣٩٤هـ، يصف علي العمير مشهد تقدم أحمد الغزاوي إلى المنبر وإنشاده قصيدة شعرية فيقول: "فما هو إلا أن انتصب أمام (المايكرفون) وبدأ يلقي قصيدته حتى اضطربت الصالة، ودوى التصفيق، وابتهجت النفوس، وانشرحت الخواطر،

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه: عبد علي مهنا، ٢٠/ ١٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: الشعراء وإنشاد الشعر: ٢٩.

(٣) انظر: المرجع نفسه:٢٨.

(٤) انظر: التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي: ماهر الرحيلي،١٧٤، مكتبة كنوز المعرفة–جدة، ط١، ١٤٢٨هـ.

وافترت الابتسامات...لقد تفوق شيخنا الغزاوي على نفسه، على شيخوخته سواء بطريقة إلقاء القصيدة أو بالقصيدة نفسها."(١)

السؤال هنا، ألم يكن لسماع القصيدة من أفواه شعرائها مباشرة دور في كل هذا؟ وفي سياق آخر، ما الذي يجعل القصيدة الشعبية مثلا أقرب للناس من القصيدة الفصحى في يومنا الحالي؟ بالتأكيد السبب ليس اللغة وحدها، لأن كيفية وصولها للسمع كفيل بتغير نتيجة تلقيها.

ولعلي لا أبعد في القول إذا قلت إن الشاعر إحساسا بحاجته إلى نقل قصيدته بصوته–ضمن عوامل أخرى بالطبع– ابتدع شعر التفعيلة، لأنه شعر يكتب كما ينبغي أن يسمع، وشاعره يسطره في تفاعيل تختلف في طولها وعدد تفاعيلها بحسب الدفقة الشعورية التي يشعر بها وتنقذف على لسانه، ففي سطر تفعيلتان وفي آخر خمس تفعيلات وهكذا.

وفي تطور آخر لهذا الأمر أجد القصيدة العربية التناظرية أصبحت تكتب أيضا كما ينبغي أن تسمع، فلم يعد للشطرين قالب واحد لا يمكن تجاوزه، بل أصبحنا نجد البيت الواحد يكتب ربما في ستة أسطر أو سبعة، حتى إنه ليختلط الأمر أحيانا هل هي قصيدة تفعيلة أم تناظرية! هذا كله إلى جانب استعمال النقاط وعلامات الترقيم، والحروف المقطعة، التي تنظم قراءة النص.

وفي نظرة تأملية أفقية، يمكن أن نربط بين تلقي النص الشعري بصوت شاعره وبين السُلطات الثلاث التي أوجدتها مناهج النقد المتعددة، وهي سلطة المؤلف وسلطة النص وأخيرا سلطة القارئ. فتلقي القصيدة بصوت شاعرها يعزز من سلطته (المؤلف) إلى جانب سلطة النص وسلطة القارئ، لأنه يمعن أكثر في حالةٍ مصاحبةٍ للنص (الإنشاد) خاصةٍ بقائله المؤلف، وتلقيها بصوت غيره أو مكتوبة يبقي على سلطتي النص والقارئ ولا يتعارض معهما. هذا يعني أن القصيدة الملقاة بصوت شاعرها لا تلغي سلطة على حساب أخرى، وتجمع بينها جميعا دون استثناء، وهي نقطة مميزة إلى

(١) على الماشي: علي محمد العمير، ٩، دار العمير للثقافة والنشر، ط١، ١٤٠٢.

جانب نقاط أخرى يمكن بيانها لاحقا.

إننا في عصر الرقمية أصبحنا ندعو إلى التوجه إلى دراسة القصيدة الرقمية التي تشتمل على نص وصوت وصورة وربما فيديو، وهو أمر مواكب بلا شك، ولكن أظن أننا قفزنا متجاوزين القصيدة المنشَدة بصوت شاعرها، وهي قفزة ليس لها ما يبررها بحال، فالتطور المنطقي هو أن نكون قد درسنا القصيدة المدونة ثم المنشدة ثم الرقمية.

الأمر الأخير الذي ينبغي أن أشير إليه، أن الإنشاد في هذه الدراسة لا يعني بالضرورة وقوف الشاعر في المحافل المنبرية ومواجهة الجماهير، ذلك أن التسجيل الصوتي أو استعمال وسائل التواصل الاجتماعي وبث الإنشاد على الفيديو أو إنشاده لنص شعري في مقابلة تلفزيونية ما، كل ذلك يطابق رؤية البحث أيضا ويؤدي الغرض على أكمله.

المحور الثاني: لماذا القصيدة المُنشَدة؟

العناية بدراسة القصيدة المنشدة بصوت شاعرها، يجعل الشعراء يبذلون المزيد من العناية والتدرب على هذه الممارسة، والتعرف عليها عن كثب، إذ إنها نوع من الاتصال، له معاييره ووسائله، وإنشادها الذي يوصل أثرها إلى المتلقين يعد موهبة فريدة (١).

والسؤال هنا، لماذا ندفع الشعراء إلى إنشاد قصائدهم؟ وما الذي يدعو إلى الاهتمام بالقصيدة الملقاة بصوت شاعرها؟ ألا يكفي أن نمعن النظر في النصوص المدونة والمنشورة؟ يمكن الإجابة عن ذلك من خلال نقاط عدة:

١. تعميق التلقي:

إن إلقاء الشاعر لنصه بفرادة، يحقق لقصيدته تميزا لا يمكن إنكاره، وقبولا لدى جمهور أعرض عن الشعر الفصيح مدة من الزمن، ذلك أن الإلقاء يعبر عن النص من خلال تجسيد العاطفة بالصوت أو لغة الجسد، وقد يضيف علامات وإشارات ليست

(١) انظر: الشعراء وإنشاد الشعر:٩.

في النص ولكنها تضيف إلى فهم المتأمل في النص، كالضحك والبكاء الخفيفين، وإضافة عبارات ليست من النص، كقول النفي المؤكد مثلا "لا لا لا".

والهدف حينئذ ليس جمالية الإلقاء وإن لم تكن مرفوضة، وإنما الصدق والفرادة فيه هما المعول عليهما حتى وإن لم يكن الإلقاء جميلا في مخارج الحروف ووضوح الصوت ورقي الملبس، لأن هذا سيؤدي إلى فهم النص أكثر إن كان النص يقتضيه.

فعلى فرض تلعثم الشاعر في جزء معين من النص في أثناء إنشاده، فإن هذا ليس محمودا عند المهتمين بالأداء المسرحي الجمالي، ولكنه في ضوء هذه الدراسة قد يكون معينا على فهم النص على نحو أفضل.

٢. معالجة الإلقاء المكرر:

التقليد سمة وجدت بين الشعراء منذ القدم، وتطورت في بعض الأحايين إلى ما عرف بالسرقة الشعرية قديما والتعالق النصي أو التناص حديثا، هذا من حيث النص نفسه، ولكن الأمر لم يتوقف هنا، فالمتأمل في طريقة إلقاء بعض الشعراء لقصائدهم سيجد تشابها كبيرا إلى حد التوحد، ولولا اختلاف الأصوات لربما لم نفرق بين ملقيها. إن هذا التشابه ربما يتسرب إلى النص وربما صدر عنه أيضا، والفرادة في الإلقاء تعني صدقا أكثر وتعبيرا أدق يطابق إحساس الشاعر في أثناء تخلق القصيدة، وهو المراد. إن تنبيه الشاعر أنه يشبه فلانا من الشعراء يدفعه إلى المغايرة والتمايز في الإلقاء بلا شك، ومن ثم إلى التمايز في النص أيضا.

ولا ننسى أن الإعلام الجديد وتطبيقاته ربما كانوا سببا في هذا التشابه والاستنساخ، فالتجارب أصبحت تنتشر فيما يشبه القرية الصغيرة، وهنا تبرز أهمية الوعي لدى الشاعر، في صنع فرادة خاصة به. ولعله من الطريف أن أشير على سبيل المثال إلى أن طريقة محمد إبراهيم يعقوب في إنشاده وجدتها مستنسخة لدى أكثر من شاعر رغم اختلاف التجارب!

٣. توثيق العلاقة بالمتلقي:

ازدهار القصيدة المنشَدة يعني ازدهارا في المشهد الثقافي أيضا، في الاحتفالات والمجالس الشعرية، والندوات والأمسيات، والمناسبات الوطنية. إن توافر عنصر الإنشاد

التفاعلي الجاذب في إيصال النص الشعري من شأنه أن يقنع السامع بالمضمون إن كان فلسفيا، ويشركه في المشاعر إن كان عاطفيا. إن من أهم أسباب تفوق الشعر الشعبي على الفصيح جماهيريا، ارتباطه بسماع المتلقين أكثر من قراءتهم، والواقع يشهد أنه أكثر انتشارا صوتيا من الفصيح في اليوتيوب والمجالس والتسجيلات والاحتفالات وفيما انتشر مؤخرا تحت مسمى "الشيلات".

إننا لن نجد من سيقول: إن الشعر الشعبي تأثر بتفوق الرواية وتنازل لها عن عرشه، ربما لأن الشعر الشعبي ما يزال لصيقا بنفوس متلقيه ولم يتزعزع، وثانيهما أن الرواية وجدت في الشعر الفصيح ثغرة واضحة، وهي ضعف علاقته بالمتلقي، التي يمكن التغلب عليها بتعزيز إنشادها بصوت صاحبها.

إن إنشاد القصيدة يفيد بدءا أن هناك طلبا للمشاركة من الشاعر، وإلا لم يكن للإنشاد معنى، ولم يكن هناك داع إليه، ولاكتفى الشاعر بنصه الشعري في الديوان مكتوبا كما حصل من كثير من الشعراء.

لنا أن نتساءل هنا عن سبب تعلق فئة عريضة من المتلقين غير المتخصصين في الأدب، بقصائد محمد الثبيتي، وترديدها بشكل ملحوظ في تويتر على سبيل المثال، لا أظن أنهم تعرفوا على أسرارها الفنية العميقة، ولكنهم مشدوهون بطريقته الفريدة والصادقة في إنشاده لهذه القصائد.

٤. حيوية النقد التفاعلي والذاتي:

لا يخلو الإنشاد من حالات ذوقية مصاحبة تعود بالنفع على النص المنشَد، الشاعر المنشِد قصيدتَه سيلتقط مواطن استحسان الجمهور بلا شك، وسيتعرف على مواطن الغموض التي لم يستسغها السامعون، كما سيحيط بالمواطن العادية التي مرت مرور الكرام دون استثارة إعجابهم، وقد يجد طلبا مفاجئا بسماع نص معين، أو إعادة مقطوعة ما من قصيدته، وكل ما سبق لن يتأتى إلا إن كان في منبر حي أمام جمهور بطبيعة الحال، فالمقام "تفاعلي يسلك المنشد والجمهور في علاقة متبادلة تقوم على الأخذ والرد، وعلى الإثارة والاستجابة، وتحسس مؤشرات الاستحسان التي تحفز

المنشد على الإعادة والتنويع والترديد والتجويد"[١]. أما من يسجل نصه الشعري في استديو مثلا، فسوف لن يعدم ملاحظة من الفني إن لم يخرج النص كما يجب، كما أن استماعه لنصه ناقدا ذاتيا ربما يدفعه إلى إعادة التسجيل.

والشاعر الذي يلقي قصيدته مرارا سيتعرف على خصائصها وسماتها أكثر فأكثر، سيكون أكثر وعيا بطولها وقصرها، ومواطن التكرار المملة أو الجميلة العذبة، بمقدمتها وخاتمتها ومدى مناسبتهما للمتلقي، سيكون أكثر حساسية للحروف الصعبة في النطق أو الثقيلة، وأعمق فهما لمناسبة الجرس لمضمون القصيدة وموضوعها. كما أنه سيلحظ ما إذا كان يقرأ جميع شعره بالأسلوب نفسه دون تغاير أم أنه يراعي المقامات الخاصة بكل قصيدة.

كل ما مضى تعزيز للذائقة النقدية وتفاعلها بين المبدع والمتلقي أو المبدع وذاته الناقدة.

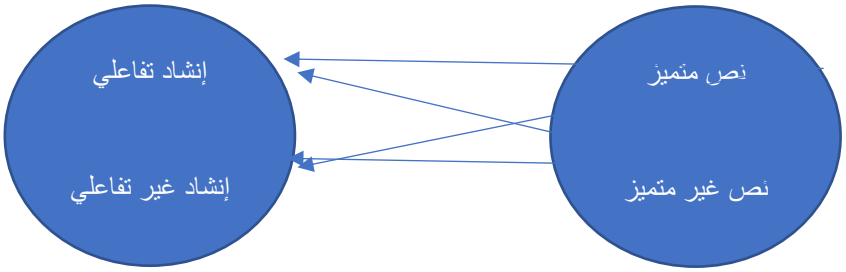
المحور الثالث: الشعرية والشاعرية.

تتوزع سمات الشعر على كل من الشاعر ونصه، والمنطق يفرض أن يطلق عليها في جانب الشاعر شاعرية، وفي جانب النص شعرية، فالتكثيف والانزياح وتراسل الحواس مثلا جميعها عناصر شعرية، أما البواعث واللاوعي والعوامل النفسية مثلا فهي عناصر شاعرية. من هنا يمكن عد الإلقاء وسماته عناصر شاعرية تلتقي بشعرية النص، وتؤلف معها صورة كبرى للشاعر ونصه معا، ومما يؤكد هذا الارتباط بين الشاعر وشعره حادثة سماع أبي العلاء المعري لرائية أبي الحسن التهامي الشهيرة في رثاء ابنه، وذلك حين عرف أن منشدها هو صاحبها، فلما سئل كيف عرفه قال: "سمعت منه القصيدة سماعا يدل أنه صاحبها بخلاف سماعي إياها من غيره"[٢].

(١) في اللسانيات والنقد، أوراق بينية: أ.د. سعد مصلوح، ١٣٦.

(٢) **أوج التحري عن حيثية ابن المعري**: يوسف البديعي، ١٣٩، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٤.

كم من شاعر لم يوف قصيدته حقها فهبط بها، وكم من آخرين استطاعوا أن يخلقوا لقصائدهم هالة كبيرة دون أن تكون مميزة بحق، وفي الجانب الآخر هناك الكثير من الشعراء الذين لم يضروا نصوصهم ولم ينفعوها أيضا لأنهم كانوا يلقون قصائدهم وفق النمط المكرر الرتيب، وفي التوضيح أدناه بيان لاحتمالات اتساق الإبداع الفني مع إنشاده.



فهناك أربعة احتمالات، ولا يهمنا منها النص غير المتميز إذا أنشد بطريقة غير تفاعلية، إذ إن أثر الإنشاد هنا لا يتضح بحال من الأحوال.

ولا ننسى أن هناك شعراء أبدعوا نصا وإلقاء، فنالوا الميزتين، كمحمود درويش في عدة نصوص مثل "قال المسافر للمسافر"(١)، إذ جسّد الإنشاد العواطف الكامنة في النص من خلال تتابع بعض الألفاظ بتسارع ملحوظ مع اختلاف درجات الصوت، وكمحمد الثبيتي في نصه "بوابة الريح"(٢) إذ يعد مثالا لقوة الأداء إلقاء ونصا، ومن خلال إلقائه يمكننا أن نعي تماما، مدى قناعته بوحدة القصيدة لا وحدة البيت الواحد، يتبين لنا ذلك من وصله المتكرر للأبيات بصورة لافتة للنظر. فهو ينظر لقصيدته كلا واحدا لا يتجزأ بحال.

(١) https://www.youtube.com/watch?v=oPWa5kdF7Ao الدقيقة الثامنة.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=HHzhQJ-0Uc8&t=56s .

محمد عبدالباري في "ما لم تقله زرقاء اليمامة" نموذج آخر للشعر الجيد نصا وإلقاء، والمتأمل سيلحظ كثرة الوقفات في هذا النص التي بلغت في أحد أبياته ست وقفات وهو قوله:

لا تبتئس فالبئر يوم واحد وغدا تؤمرك الرياح على القرى

ولم يخل بيت من هذه الوقفات، وهي تدل على أن النص تأملي وجداني بامتياز، وتدل أيضا على أن صاحب النص يعي ذلك فقدمه بالطريقة المناسبة، كل ذلك مع ابتسامة الشاعر الخفيفة التي تواكب الحزن الشفيف، وهدوئه مع حركة اليدين المعبر عن البوح النفسي(١). وما قيل هنا يمكن أن يقال أيضا عن نص "رام الله" للشاعر أحمد بخيت(٢).

هشام الجخ، استطاع بأدائه المسرحي الذكي أن يخدم نصوصه ببراعة، فعلى سبيل المثال نجد قصيدته "التأشيرة"(٣) التي ألقاها في برنامج أمير الشعراء، قد حفلت بتقنيات في الإلقاء أكثر منها في النص، مثل تنغيمه الطفولي لـ "بلاد العرب أوطاني وكل العرب إخواني" تجسيدا لمشاعر الطفولة، إضافة إلى تجسيده للألم الساخر من واقع العروبة، وظهور نبرة الحزن المتهدجة قصدا في مقاطع من نصه. كل هذه التقنيات التي استثمرها ببراعة جعلت صلاح فضل في تعليقه على القصيدة يصفه بـ(الكاريزما) الشديدة والتمثيل المتقن. وهما صفتان لا علاقة لهما بالشعرية، أو بالنص، وشديدتا الصلة بالإلقاء. والحق أن نص "التأشيرة" لا يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه من شهرة لولا براعة الإلقاء والأداء المسرحي، الذي جسد مشاعر القصيدة بامتياز، ويصدق على هذه القصيدة وصف علي الجندي لبعض الشعر أنه يحسن مسموعا لا مقروءا(٤).

(١) https://www.youtube.com/watch?v=ZK4NYSPm1QM&t=74s

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=seFlmRiss44&t=80s .

(٣) https://www.youtube.com/watch?v=BQe41B8eytY .

(٤) انظر: الشعراء والإنشاد الشعري: ١٨.

منذ مدة ليست بالبعيدة، ألقى الشاعر السعودي حيدر العبد الله قصيدة وطنية أمام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان حفظه الله، وقد كان رد الفعل من عامة المستمعين على وسائل التواصل الاجتماعي سلبيا جدا، ولا تعنيني المبالغة في حكمهم هنا بقدر ما يعنيني أن سبب عدم تقبل الناس للقصيدة كان طريقة إلقائه ولم يكن النص ذاته، بل إن النص منفصلا عن ظروف إنشاده جدير بالاستحسان كما عبر عن ذلك مثلا يحيى رياني في تغريدة فيديو مصحوبة بتعليق:

" " سُكنانا "

أكثر قصيدة ضحك عليها الشعب السعودي.

لكن هل كانت فعلا مضحكة؟؟

ربما تغير رأيك الآن"(١).

وحين أنشد الإعلامي خالد مدخلي النص نفسه بصوته، ونشر إنشاده في تويتر معلقا:

"مع التحية والتقدير للشاعر #حيدر_العبدالله

وجدت في النص ما دعاني لقراءته،

ووجدت في القلب مليكنا سلمان."(٢)

لقي استحسانا كبيرا وتفاعلا جماهيريا فاق الأربعة آلاف ما بين إعجاب وإعادة تغريد، فما الذي اختلف هنا والنص لم يختلف؟ إنه الإنشاد، وأزعم أنه لو قدر لهذا الإنشاد أن يكون للشاعر نفسه لحصدت القصيدة إعجابا أكبر.

أمير الشعراء في زمانه، أحمد شوقي، كان يعلم أن إلقاءه سيهبط بقيمة شعره على اختلاف في سبب ذلك، فكان يوعز لغيره بإلقائه إن لزم الأمر، وهذا ما حصل في حفل مبايعته بإمارة الشعر، وهو الحفل الذي حضره كبار الشعراء من عدة دول عربية، هل يوجد زمن أو مكان أولى بصوته من هذا الحدث التاريخي المهم؟، بالطبع

(١) انظر: https://twitter.com/ryany_2015/status/1291723837432901634.

(٢) انظر: https://twitter.com/khalid76/status/803284857514246144.

لا. ولكنه شوقي الذي يعرف الشعر ويقدّر تلقيه، فأوعز إلى صديقه الشاعر حافظ إبراهيم بإلقاء قصيدته بدلا عنه(١).

من زاوية أخرى، نجد شعراء في إلقائهم، لا يضيفون شيئا إلى شعرهم، فيبقى الحكم على النص وحده، وكأننا لم نسمعه منشَدا بصوت صاحبه، وهؤلاء الشعراء هم السواد الأعظم، وبعضهم شعراء مجيدون في نصوصهم، والمشكلة عند هؤلاء أنهم يقرؤون أي قصيدة بالطريقة ذاتها دون تغيير، وفي رأيي أن هؤلاء وإن لم يهبطوا بمستوى شعرهم، إلا أنهم لم يسهموا في تقريب الشعر الفصيح إلى الجمهور أيضا.

حين نلتفت مرة أخرى إلى النموذج الآخر المنافس للفصيح، الشعر الشعبي، نجد شعراءه يتمايزون في الإلقاء، وقصائد الشاعر الواحد تتمايز فيما بينها أيضا، مما أوجد شخصية مستقلة لكل شاعر ولكل مجموعة من النصوص على الأقل، وهذا الاستقلال يجذب السامع ويغريه على الإقبال لا النفور. فلقصائد الحماسة نغمة لا نجدها في إلقاء قصائد الغزل أو الحزن أو التأمل. والشاعر الشعبي إن تفرد، فهو متفرد إلقاء ثم نصا، بمعنى أن الإلقاء كان هو سبب قبوله وذيوعه، ويزيدان بقدر قوة النص بطبيعة الحال، والذي يستعرض أسماء المتفردين من شعراء الشعبي سيجد من المحال عدم استعراض صورهم في ذهنه وهم يلقون نصوصهم. هل من الممكن أن نتذكر خلف بن هذال على سبيل المثال دون استحضار إلقائه الحماسي الثائر في نصوصه المدحية والحماسية؟

إن هذه البصمة الخاصة من خلال الإلقاء حلقة مفقودة ضمن أخريات في الشعر الفصيح، وحين نلتفت إلى شاعرين هما: الأمير عبد الرحمن بن مساعد ومهذل الصقور، نجدهما نقلا طريقة إلقائهما من الشعبي–الذي نجحا فيه– إلى الفصيح، فكانا قريبين إلى الجمهور المتلقي بصورة واضحة، فمهذل مثلا في قصيدته الشعبية "يا حظي العاثر"(٢) يؤدي بنفس التلقائية والقوة في قصيدته بالفصحى "أنا كالقيامة ذات

(١) انظر: الشعراء والإنشاد الشعري:٧٨– ٨٢.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=edAkZxeVROw .

يوم آتِ"[1]، والفيديو المنشور في اليوتيوب يكشف لنا نجاحه في جذب جمهوره، فضلا عن العدد الكبير للحضور.

الأمير عبدالرحمن بن مساعد أيضا، نجح في نقله أجواء القصيدة الشعبية وتقنياتها في الإلقاء إلى القصيدة الفصيحة مع العاطفة الصادقة، كل ذلك ضمن لها قدرا كبيرا من القبول، والاندماج الشعوري، ومديحه لسمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان يعد مثالا واضحا.[2]

المحور الرابع: الأسس النظرية.

يحسن بنا ونحن مقبلون على خوض هذه التجربة النقدية الجديدة، أن نتفق على أسس أرى من الضروري استعراضها والتعرف عليها وإجلاء أي شك معرفي حولها:

١. جمالية الإنشاد مثرية وليست شرطا.

ما الإضافة التي سيزودنا بها إلقاء الشاعر لقصيدته؟

هل هي جودة صوته؟ أم دلالة صوته على حالة نفسية معينة؟

هل هي صحة مخارج الحروف؟ أم تلعثمه في بعض مواطن القصيدة محتمل الدلالة على شيء نفسي معين؟

هل هي اعتدال قامته وتأنقه؟ أم هيأته أيا كانت التي تصف حاله؟

هل هي ثقته وجهوريته؟ أم ارتعاش صوته وانقطاع نفسه في بعض المواطن؟

ما يهمنا فعلا هي الإجابة الثانية في كل تساؤل مما سبق، مع الأخذ في الحسبان أن الجماليات لا تتعارض مع ما يهمنا من خصائص إلقائية تميط اللثام عن النص.

لكل إنشاد تلقٍ مستقل، وإن كان النص واحدا.

(١) https://www.youtube.com/watch?v=aygpgS_-oyo .

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=FMkWZOjFuZI .

يحدث للنصوص–الشهيرة على وجه الخصوص– أن تلقى بصوت شاعرها في أكثر من مناسبة، فكيف نتعامل مع هذا التعدد؟ يمكننا في هذه الحال أن نعد كل إلقاء موضوعا مستقلا خاضعا لتلق مستقل، وربما يكون تأثر الشاعر بنص معين له في وقت ما، أكثر من أي وقت مضى أو العكس، فتظهر دلالات جديدة تضيء النص لم تكن موجودة فيما سبق أو لحق.

يحصل هذا الأمر في اليوتيوب كثيرا عند استعراض بعض القصائد المنشدة، في أكثر من مناسبة، ولكل مناسبة جوها الخاص، فقد تكون مقابلة تلفزيونية ثم نسمعها مرة أخرى في حفل كبير، أو تسجيل خاص في استديو، وبين كل مناسبة وأخرى قد نجد فرقا واضحا وقد لا نجد.

الانفتاح على كل المناهج، ولا تعارض.

نقد القصيدة الصوتية منفتح على جميع المناهج السياقية والنصية، فهو يستصحب معطيات المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي في أثناء سماع الشاعر يلقي قصيدته، ولا يمكن بحال أن يتجاهلها، سواء كانت مطروقة قبلا أم ليست كذلك، وهذا يعني أن ناقد القصيدة المنشدة لابد أن يهضم جميع ما قالته هذه المناهج أو بعضها عن هذه القصيدة، أو يتخذها هو منهجا إن لزم الأمر، تزامنا مع نقدها في شكلها الصوتي. والأمر السابق ينطبق على المناهج النصية المحايثة أيضا، من أسلوبية وبنيوية وسيميائية وغير ذلك، والدراسات التداولية مفيدة أيضا في كشف بعض الجوانب، وحسبنا من ذلك كله ألا تعارض. ومن جانب آخر لابد من استصحاب التشكيل البصري للنص المكتوب والفراغات وعلامات الترقيم، وملاحظة مدى الانسجام بين ما كتب وما ألقي، والمفترض أن يكون في الإلقاء إضافات عن المكتوب.

٢. الإنشاد المقولب ليس موضوعا للدراسة.

القصيدة التي لا تحمل نفَس صاحبها إنشادًا لا تدخل معنا بحال، لأن الهدف الأساس الذي من أجله لجأنا إلى الإنشاد هو التعمق أكثر في سمات النص من خلال الأداء المصاحب للصوت. ولذا فلا نتفاجأ إن كان كثير من النصوص الملقاة خارج

نطاق هذا المنهج الذي أتحدث عنه. أما ما يدعو الشعراء لسلك هذا القالب المكرر في الإلقاء، فهو عدم الخبرة، وربما كان لضعف العاطفة دور في هذه الرتابة، كما قد يكون السبب رهبة الموقف ومواجهة الجماهير وهو سبب وُجد عند بعض المشاهير، ولذا فإن من المستحسن أحيانا سماع القصيدة من شاعرها في حوار مغلق أو تصوير شخصي من الشاعر نفسه لإعطاء قراءات أدق.

٣. المؤثرات البصرية والموسيقا لا علاقة لها بهذا المنهج.

ما يصاحب الإلقاء من الموسيقا أو الفيديوهات أو المؤثرات على وجه العموم، ينبغي ألا يؤثر في تلقينا للقصيدة الصوتية من شاعرها، ومنطقيا يمكن تعليل هذا الأمر، فكما أن القصيدة بصوت غير شاعرها ليس داخلا معنا لكون الصوت لا يمثل الشاعر صاحب القصيدة، فكذلك الحال بالنسبة لهذه المؤثرات البعيدة عن ذات الشاعر. وبطبيعة الحال كل ذلك يمكن نقده في إطار نقد القصيدة الرقمية الذي يحتفي بما يصاحب النص من مؤثرات ولا يعبأ بصاحب الصوت هل هو الشاعر نفسه أم شخص آخر، ونقد القصيدة الرقمية مرحلة لاحقة لنقد القصيدة الصوتية، فكل نقد للقصيدة الصوتية يمثل جزءا كبيرا من النقد الرقمي ولا عكس.

المحور الخامس: معايير التلقي.

تعرفنا فيما مضى على الأسس النظرية لهذا التلقي الذي يعنى بالقصيدة نصا وصوتا، ونجد أنفسنا الآن على عتبة الدخول إلى إجرائه، إن نقد القصيدة بصوت شاعرها من شأنه أن يزودنا بخصائص فنية للنص المسموع، يمكن أن نجعلها على مستويين: **خصائص مؤكدة، وخصائص مضيفة.** فالمؤكدة يمكن التوصل إليها بدءا بقراءة النص وحدها، ولكن الصوت أكدها. أما المضيفة فهي ما أفادنا به الصوت من سمات للنص لم نكن لنتعرف عليها لولا الإنشاد.

وكلا المستويين يمكن بلوغهما عن طريق:

١. الصوت.

يدخل الصوت ضمن لغة الجسد عادة في الدراسات المعنية، ولكني آثرت فصله هنا لما له من دور كبير جدا في الإلقاء. حيث يمثل العامل الأهم والأبرز للدخول إلى عالم النص الملقى بصوت صاحبه. وهناك جوانب معينة هي التي تهمنا في ملاحظة الصوت، كدرجة ارتفاعه وانخفاضه، وقوته ورقته، ومواءمته لمعنى النص أو مجافاته، وثباته على مستوى واحد أو توتره، إضافة إلى ملاحظة نطق الحروف والألفاظ، كل هذه الجوانب من شأنها أن تأخذ بأيدينا أكثر إلى فهم عالم النص.

٢. لغة الجسد.

تدخل لغة الجسد بقوة بوصفها وسيلة تواصل في مقابلة الآخر أيا كان، ولذا فهي ما زالت وسيلة هامة في الإنشاد، لأنه –على نحو ما– مقابلة مع الآخر (المتلقي). يمكن الإفادة من معطيات علم لغة الجسد في ملاحظة حركة اليدين وطريقة ثباتهما وهيأتهما، بالإضافة إلى طريقة الجلوس أو الوقوف ومدى أريحية الشاعر المنشِد، وهيأة العينين في أثناء الإنشاد ومدى تركيزهما وطريقة حركتهما، إضافة إلى ملامح الشاعر واحتمال تغيرها في بعض مواطن القصيدة. كما يدخل في لغة الجسد العادات التي تظهر على المنشد لا إراديا، ويمكن حينئذ تحليلها نفسيا والتعرف أكثر على شخصية الشاعر المنشِد بالتوازي مع النص الشعري، فالفرزدق والطرماح والمتنبي مثلا كانوا يأبون إنشاد شعرهم وقوفا[١]، مما يشي بالنرجسية والثقة المفرطة.

٣. السرعة.

الشاعر الذي يلقي القصيدة ببطء يمكن أن يرسل إلينا رسالة أن نصه تأملي، حتى وإن كان في الغزل أو المديح مثلا، إنه نص يدعونا إلى فهمه على مهل دون تعجل. أما الشاعر السريع في إلقائه فربما يدلل ذلك على هيجان مشاعره، وأنه ثائر فيما قال، وهذه السرعة تدل على نحو ما على أننا بانتظار نص طويل، استشعر صاحبه هذا الطول في أثناء كتابته، وإذا تباين النص في بعض أجزائه بين السرعة

(١) انظر: الشعراء وإنشاد الشعر: ٤٥–٥٣.

والبطء، فلابد حينئذ من الوقوف عند ذلك التباين وأسبابه، والتي يمكن أن يكون من أيسرها إرادة الشاعر لفت الانتباه إلى عبارة أو مقطع معين. مما يمكن أن يقال هنا مثلا إن محمود درويش مثلا يؤْثر الإنشاد البطيء غالبا في قصائده، مما يدعو للتأمل.

٤. الوصل.

وليس المراد هنا دراسة الوصل، ذلك المبحث البلاغي المعروف في علم المعاني، ولكن المقصود دراسة سبب وصل بعض الشعراء صوتيا لعجز بيت ما مثلا بصدر البيت الذي يليه، أو الوصل بين الشطرين وكأنهما شطر واحد تماما، ولهذا أسباب محتملة، منها أن يكون الشاعر ممن انطلق فنيا من فكرة وحدة القصيدة لا وحدة البيت، ومنها أن يكون لدى الشاعر دفقات شعورية قوية جدا جعلته يصل ما يمكن أن يقرأ منفصلا، أو أن يكون الشاعر في خضم قراءة ما يراه فكرة واحدة لا يمكن تجزئتها. يمكن القول إن الثبيتي ممن استثمروا الوصل في إنشادهم.

٥. العبارات والإشارات التفسيرية.

قد نسمع من صوت الشاعر ما ليس مثبتا في النص المكتوب، وهذا يعد إضافة تفسيرية منه لا ينبغي أن تهمل، فالشاعر الذي يضحك أو يتنهد أو يضيف عبارة جديدة، إنما يهدينا إشارات من الممكن أن تساعدنا على فهم النص واستقرائه بشكل جيد. من يقرأ أبياتا غزلية ويضحك في وسطها، ربما نفهم من ضحكته أن حياة الحب التي استغرقها كانت لاهية وذات ذكريات عابثة ربما، وربما كانت هذه الضحكة دليلا على عدم صدق عاطفته، وربما كان يستذكر تجربة حب فشلت بعد تاريخ هذه القصيدة فتحمل ضحكته على السخرية المتألمة، كل ذلك يحكمه النص ولغة الجسد والصوت أيضا مع استصحاب حياة الشاعر. وهذا الملمح لا يظهر إلا عند الشعراء المقتنعين بدور الإنشاد في توصيل نصوصهم، مثل يحيى رياني كما سأبين بعد قليل.

٦. الوقفات الصامتة.

لماذا يقف الشاعر حين يلقي قصيدته؟ يستجمع شجاعته ربما، ومن الممكن أنه يمر بنقطة تأثر لم يستطع تجاوزها عاطفيا، ومن الممكن أيضا أنه يريد لفت الانتباه من

المتلقين. وكما أن المساحات الفارغة في النص المكتوب عند السيميائيين لها دلالات، فكذلك السكتات الصوتية حين إلقاء القصيدة. وهذا يذكرني بنص للغزاوي، ففي قصيدته –كما يذكر الشاعر حسين عرب–التي ودع بها الملك عبدالعزيز . رحمه الله . وأنشدها أمامه في الميناء، وقد كانت بعثة الشرف المصرية حاضرة ومن بين أعضائها عباس محمود العقاد، وكان مطلعها:

أمامك من حفظ الإله دروعُ وخلفك شعب طامح وربوع

وعندما وصل الشاعر في إنشاده إلى البيت:

وأخشى الذي نخشاه في مصر أنها...

توقف قليلاً، وأعاد هذا الشطر مرتين، مما استرعى انتباه الجميع خشية أن يكون الشطر الآخر مما يجب ألا يقال في مثل هذا المقام، فإذا به يعيد البيت كاملاً:

وأخشى الذي نخشاه في مصر أنها تشاركنا فيك الهوى فنضيع

وهنا افترت المباسم، وعلت أصداء التصفيق. (١)

٧. التكرار.

التكرار المثبت في النص كتابة لا يعنينا هنا، لأن المنهج الأسلوبي لن يمر عليه مرور الكرام، والذي يهمنا هنا هو تكرار الشاعر لبعض الكلمات والجمل والأشطر والأبيات مما هو ليس مكررا في النص المكتوب، ويمكن دراسة التكرار هنا بنفس منهج دراسته في النص، إذ الدواعي والأسباب لن تتغير كثيرا، إلا في حال استزادة الجمهور، حينها سيكون السبب خارجيا لا علاقة له بالنص نفسه.

وفي شاهد الغزاوي قبل قليل رأينا كيف كان لتكراره الشطر الأول دون الثاني أثر تشويقي كبير، وهو تشويق مشوب بشيء من القلق نتيجة لطبيعة الموقف أمام الملك ووجود شخصيات سياسية من دول مختلفة، فالإنشاد في مثل هذه المواقف عادة

(١) انظر القصيدة ومناسبتها: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د. مسعد عيد العطوي، القسم الثاني/ ١١٢٥، ط١، ١٤٠٦هـ.

ما يكون نمطيا حذرا، ولكن خبرة الغزاوي في الشعر وإنشاده كان لها دور في هذا التوظيف الذكي للتكرار.

المحور السادس: يحي رياني نموذجا.

التطبيق صنو التنظير، ونصيره وداعمه، وقد حرصت على بيان كل ما عنّ للذهن في المحاور السابقة.

سأتخذ من يحي رياني نموذجا للتطبيق كما أسلفت في المقدمة، من خلال نصين منشورين في تويتر، نالا من التفاعل الجماهيري أرقاما عالية تقارب الألف لكل منهما، ففي نص "ذاب الهوى" (١) نواجه نصا وجدانيا تعمه الحسرة والحزن، يدل عليهما المعجم الشعري من مثل: ذاب– ندما–ينزف–دما–خيبة–عمى–ظما–عبثا–الهم –الألما–يكسر– آذوا–ظلما.

والشاعر –كما تبين الأبيات المكتوبة–في صراع مع قلبه المتسامح مع هذا المحبوب الذي سئم منه، ولذا فهو عاجز عن اتخاذ موقف صارم يريحه من عناء هذا الحب من طرف واحد، وفي آخر ثلاثة أبيات تعلو لغة العقل وتتمكن مسيطرة على الموقف، فنجد الشاعر يخاطب قلبه رادعا بلغة لا تخلو من سلطة، ودعاء بالقطع والكسر، ولكننا نفاجأ بالشطر الأخير يدعو فيه الشاعر لمن ظلمه بالحفظ، وهو اختلاف في السياق صادم، لعل له ما يفسره! كل ذلك يمكن استجلاؤه من خلال الأبيات مكتوبةً.

ومن حيث الأسلوب والصور فإن الأبيات تشتمل على خصائص عديدة ولكنني لن أتعرض لها في هذا المقام، لأن ذلك لن يتعارض مع تحليل إلقاء الشاعر، ولأن ما بينته أعلاه من استنطاق النص كافٍ لبيان التقاطع بينه وبين صوت الشاعر،

(١) https://twitter.com/ryany_2015/status/1279469767187972097 .

ويمكن الإشارة بإيجاز إلى نقاط محدودة، كتكراره يكفيك يكفيك، وهو تكرار يحمل في طياته الملل الذي ملأ قلبه من سلوك محبوبه، وقوله "أبوك يا قلب" وهو هنا يتناص مع أسلوب شعبي يقال في مقام التقريع والملام، وهما موجهان لقلبه، واستعمال الدعاء على الحب والمحبوب في البيتين الأخيرين دليل انكساره وعجزه وتضرره، إلا أنه يفاجئنا –كما أسلفت– أنه في الشطر الأخير صار يدعو له لا عليه!.

والشاعر اعتمد على أسلوب المقابلة بصورة جلية، وهو أسلوب يناسب المضمون ويقنع المتلقي بمدى الظلم الذي وقع على هذا الشاعر المحب.

إذا انتقلنا إلى النص مسموعا بصوت شاعره فإننا نجد أنفسنا بإزاء مستويين من الخصائص الفنية مقارنة بما تم استجلاؤه من النص مكتوبا، وهي كالآتي:

- خصائص مؤكدة: تبين لنا من النص المكتوب أن الشاعر يتحسر ويتألم، وهو أمر أراد الشاعر توكيده للمتلقي من خلال صوته وأدائه أيضا، فالمد في عنوان القصيدة "ذاب الهوى" وإصداره للصوت الذي يصدر عادة في الحوارات المحكية على سبيل التألم، بالإضافة إلى السكتة في بداية البيت الثاني، قبل "شخصا تعلقته" وبعد قوله "لا حيا" في البيت نفسه، كل ذلك يؤكد شعور الحسرة. وانقطاع النفَس في البيت السادس حين قال "لا تحفل بمن سئما" يناسب وصول الأمر ذروته، وأنه لابد من اتخاذ موقف صارم، كما أن لغة الجسد كانت مؤازرة لهذه المضامين والأحاسيس، كالحركة التصويرية بيده حين نطقه لعنوان القصيدة، وكإشارته بالسبابة حين يدعو على الحب والمحبوب بهيأة تدل على الغضب والوعيد. وهذه المؤكدات لا يمكن عدها من تحصيل الحاصل، لأنها بمنزلة المؤكدات البلاغية وليست أقل مرتبة.

- خصائص مضيفة: أضاف صوت الشاعر قيما نقدية جديدة لا يمكن أن تتبين في المكتوب، فتكرار "أدري" صوتيا لا كتابيا مرتين في البيت الخامس، وبصوت خفيض منكسر، اعتراف ضمني منه بضعفه في اتخاذ موقف حاسم، والنص مكتوبا قد ينبئنا أن الدراية هنا من باب إظهار ذكائه وإحاطته بكل شيء، ولكن الصوت مكررا حسم الأمر. وتكرار "أبوك" مرتين في البيت الذي يليه بصوت مختلف، مظهر لحجم المعاناة مع هذا القلب الذي لا يتخذ موقفا أبدا! أما الشطر الأخير فإن حيرتنا ستنجلي تماما من عدم اتساق المعنى بين الدعاء على الحب والمحبوب والدعاء له بالحفظ فجأة، وذلك حين يخبرنا الشاعر بصوته أن الشطر الأخير كان في أساسه "الله يلع...." ولكن قلبه ينتصر أيضا هنا، ويدفعه إلى الاستغفار (غير المكتوب) وتغيير الدعاء من اللعن إلى الحفظ. وهذا التغيير الذي لا يمكن معرفته إلا صوتا نموذج صريح جدا في الدلالة على أهمية استبطان النص باستصحاب صوت شاعره.

وفيما يلي نص القصيدة مع الإشارة إلى مواطن الخصائص الصوتية المؤكدة والمضيفة التي عرضت لها :

ذاب الهوى

ذاب الهوى ومضت أيامه ندما ... والقلب ينزف من كل الجهات دما

شخصا تعلقته والعمر أوله ... يا خيبة الحظ لا حيا ولا ابتسما

منحته نور حب لا يضل به ... فعدت منه بما يكفي الطريق عمى

سقيته من وصال الحب أعذبه ... وملء روحي من جهد العطاء ظما

يحب غيري أدري..لا يطاوعني ... قلبي بفرقته.. من بعد أن علما

أبوك يا قلب..ماذا ترتجي عبثا ... يكفيك يكفيك .. لا تحفل بمن سئما

الله يقطع حبا ما وجدت به ولا فؤادي إلا الهمَّ والألما
والله يكسر من آذوا خواطرنا والله يحفظ من نهوى ولو ظلما

وفي توزعها على الأبيات يتبين لنا أن الصوت لن يقدم لنا قيمة في كل بيت وشطر على وجه اللزوم، وعلى الناقد أن يقف متأملا بروية لاستظهار هذه القيم.

وفي قصيدته الأخرى "تقول عمي"[١]نجد استثمارا واضحا للوقفات والتكرار مع وسائل أخرى إذ يقول:

تقول عمي إذا نادت مقدرةً أراك في سنِّهِ أو مشبهًا خالي
تلطفت حلوتي بالقول محسنةً فأحرجتني ولاتدري بأحوالي
رأت برأسي بعض الشيب حق لها فالشيب يشمت حسادي وعذالي
ما شبت من كبر والله سيدتي وإنما شبت من همي وترحالي
أنا بعمر أخيها.. والعنا قدرٌ يبدل الدهر مر العيش بالحالي
صارحتها ذات يومٍ في محادثةٍ وكدت أحضن بالأشواق جوالي
لمحت أني بها أصبحت منشغلا وليتها فهمت مقصود أشغالي
قالت عزيزٌ وهذا اللطف يغمرني ولا عدمتك شكرا.. عمي الغالي
تقول عمي ولكني أقول لها لا يعرف الحب لا عمي ولا خالي

فالقصيدة تجسد شعورا ذاتيا في مواجهة الزمن، الذي تظهر علاماته على الملامح وخاصة الشَعر، وهي تجربة تذكرنا بغازي القصيبي إذ يقول[٢]:

تهامسَ الغيدُ "ياعمي!" ..فوا أسفا أصير عمّاً .. وكنت اليافعَ الغزلا؟!

إلا أن ثمة فرقا بين الشعورين، فتوجُع القصيبي من العمر الحقيقي، وأما يحيى فهو متوجع من علامات الشيب المبكرة التي جعلته يبدو على غير حقيقته الزمنية. ولذا

(١) https://twitter.com/ryany_2015/status/1335298352154611718 .
(٢) للشهداء: غازي القصيبي, ١١, المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت, ط١, ٢٠٠٢م.

فالقصيدة حوارية حجاجية بالواقع (أنا بعمر أخيها)، (وإنما شبت من همي وترحالي). والأبيات عفوية غير متكلفة، كعادة الشاعر، وهي قصة شعرية قصيرة، يجري الحوار فيها بانسياب عذب، نلمح في جنباته مرارة واضحة، وشعورا بوطأة الزمن وأحداثه الجسام.

والعلامات المثبتة في النص تتوزع على جانبين مهمين أيضا:

- خصائص مؤكدة: الإنشاد الناجح هو الذي يؤكد الإشارات التي تصلنا من النص مقروءا، وهذا ما نجده في هذه القصيدة التي أنشدها شاعرها بوعي عال. شعرنا من خلال النص بإحساس الشاعر كما أسلفت بالمرارة تجاه الزمن، الذي باكره بعلامات الشيب وهو لما يزل في مرحلة عمرية قبل ذلك كما يرى، فالوقفة عند لفظة الشيب في البيت الثالث، واختفاء ابتسامته الخفيفة في البيت الرابع مع تغير ملامحه تغيرا طفيفا، بالإضافة إلى تغير نغمة الصوت في الشطر الثاني منه (وإنما شبت من همي وترحالي) مع الوقفة عند (همي)، وحركة يده الشديدة نسبيا في قوله (وكدت أحضن بالأشواق جوالي) منبئ أن روحه مازالت متقدة بالمشاعر التي لا تعرف الشيب، وحركتها أيضا التي تدل على بعد المطلب حين قال (وليتها فهمت مقصود أشغالي) مع الوقفة على (فهمت) إذ إن الأمر كله يستدعي فهم الآخر لحاله، وأخيرا تآزُر ثلاث وقفات في البيت الأخير إضافة إلى الوقفتين الطبيعيتين نهاية الشطر الأول ونهاية البيت، وذلك عند (تقول عمي) و (لكني أقول لها) و(لا يعرف الحب) و (لا عمي) و (لا خالي)، كل ذلك بالتأمل يضع أيدينا على مواطن الإحساس بالعمر.
- خصائص مضيفة: أوضح لنا الإنشاد روحا تهكمية ساخرة في الأبيات، وهو تهكم منبعه الوجع والتعجب، وليس الإضحاك بحال من الأحوال، فحركة اليد المراوحة حين أنشد (أو مشبها خالي) في البيت الأول، وتكرار (أنا بعمر

أخيها) مع الوقفة في التكرار على (أنا)، وقوله حكاية عنها (قالت عزيز وهذا اللطف يغمرني) بنغمة باردة تشي بأنه ناقل لكلام لا عاطفة فيه، وتكرار (شكرا عمي الغالي) مع اختلاف نغمة الصوت بوضوح يشير إلى السخرية. إن معنى السخرية في الأبيات لم يكن ليبدو بهذا الوضوح لولا سماعنا للقصيدة منشدة بصوت شاعرها.

يتبين لنا من خلال النموذجين السالفين ليحيى رياني كيف أن الإنشاد يجلي النص للمتلقي أكثر ويقدمه مقربا بحيث يجعل المتلقي متفاعلا بدرجة أكبر، وهذا التفاعل من شأنه إضافة خصائص للنص لم تكن لتُعرف أو تعرف بدرجة من الشك لولا الإنشاد.

الخاتمة

بعد هذه المحاولة النقدية لفهم النص الشعري المنشَد بصوت الشاعر، يمكن التأكيد على النتائج التالية:

١. بدأت القصيدة شديدة الصلة بشاعرها حين كان سماعها منه هي وسيلة تذوقها، ثم انفصلت جزئيا حين تناقلها الرواة في مرحلة لاحقة، وأصبحت أكثر انفصالا حين صارت تُتلقى مكتوبة.

٢. استشعر متذوقو الشعر أهمية تلقيه سماعا أيضا، وهذا ما تؤكده الأخبار الأدبية منذ العصور الأدبية الأولى حتى العصر الحديث، وإن اختلفت صور التلقي ما بين مجالس ومنابر ومحافل.

٣. يمتاز الشعر الشعبي بجماهيرية وإقبال أعلى من الشعر الفصيح، وكان من أسباب ذلك أنه يصل لمتذوقيه إنشادا أكثر منه كتابة، وأن طرق إنشاده تتمايز بين شعرائه فأصبح الإنشاد خصيصة شعرية لكل شاعر منهم غالبا، ومما يؤكد هذا الامتياز نجاح من نقلوا تجربة إنشادهم في الشعبي إلى الفصيح كالأمير عبدالرحمن بن مساعد ومهذل الصقور.

٤. من الأسباب المحتملة لكتابة الشاعر شعر التفعيلة، وقصيدة الشطرين على هيئة قصيدة التفعيلة استشعاره لحاجته إلى نقل القصيدة بصوته، وذلك لأن الكتابة تطابق طريقة الإنشاد في الوقفات وتوزيع العبارات.

٥. النقد الأدبي الحديث توجه إلى القصيدة الرقمية إضافة إلى القصيدة المكتوبة، وهو بهذا لم يعط القصيدة المنشدة حقها من الدرس، وهي تعد مرحلة وسطى بين المكتوبة والرقمية.

٦. الإنشاد لا يقصد به وقوف الشاعر في المحافل المنبرية ومواجهة الجماهير فحسب، فالتسجيل الصوتي أو على الفيديو، وإنشاد الشاعر لنص شعري في مقابلة تلفزيزنية ما، كل ذلك من الإنشاد الذي يدرسه منهج الدراسة.

٧. ينبغي أن نوجد منهجا نقديا يتمركز على القصيدة المنشدة لعدة أسباب هي: زيادة الإحاطة بعمق النص، ومعالجة الإلقاء الممسوخ المكرر، وتوثيق العلاقة بالمتلقي عموما، وإثراء النقد التفاعلي والذاتي.

٨. تباين الشعراء في قصائدهم نصا وإنشادا، فهناك النص المتميز الذي حظي بإنشاد تفاعلي كنصوص درويش والثبيتي وعبدالباري وبخيت مثلا، والنص المتميز الذي كبا به الإنشاد المقولب الرتيب كمعظم الشعراء، وهناك النص غير المتميز الذي حقق له الإنشاد هالة جماهيرية كبيرة كنص "التأشيرة" للجخ مثلا، أما النص غير المتميز الذي مُني بإنشاد غير تفاعلي فلا يهمنا في الدراسة.

٩. من أهم الأسس النظرية لنقد القصيدة المنشَدة بصوت شاعرها، أن جمالية الإلقاء مثرية وليست شرطا، وأن لكل إنشاد تلقيا مستقلا، وإن كان النص واحدا، كما أن الدعوة لإيجاد منهج للتعاطي مع القصيدة المنشَدة بصوت شاعرها لا يتعارض مع مناهج النقد السياقية والنصية، بل يضيف إليها إن وجد الإنشاد المناسب، إضافة إلى أن الإلقاء المقولب المكرر ليس موضوعنا، وكذلك المؤثرات والموسيقا، بل في نقد القصيدة الرقمية.

١٠. يعد الصوت ولغة الجسد والسرعة والوصل والعبارات التفسيرية والوقفات والتكرار، كل ذلك يعد من مواطن اهتمام نقد القصيدة المنشَدة ومعاييره.

١١. هناك خصائص فنية مؤكدة وخصائص أخرى مضيفة تتبين بعد تلقي القصيدة المنشَدة وفق مقترح الدراسة، فالمؤكدة ترسخ ما تلقته الذائقة القرائية، والمضيفة تتيح لنا معرفة سمات فنية جديدة لم تكشفها قراءة النص مكتوبا، وهذا ما بينته من خلال تحليل نموذجين للشاعر السعودي يحيى رياني.

١٢. صلاحية القصيدة لأن تكون موضوعا لهذا المنهج النقدي ليس تميزا لها بالضرورة، ولكنه يتيح لنا أن نتذوقها بعمق أكبر.

هذه أهم النتائج التي يمكن ذكرها، ولعلي أخصص دراسات تطبيقية أخرى، تتعمق في تذوق نصوص منشدة لشعراء مختلفين.

ختاما آمل أن يكون هذا الجهد فاتحة لاجتهادات أخرى ونقاش علمي مثمر، وأوصي الباحثين بتسليط الضوء على الشعراء المجيدين نصا وإنشادا ليخرجوا بنتائج جديدة تثري الساحة الأدبية، وذلك مثل محمود درويش ومحمد الثبيتي وفاروق جويدة ومحمد عبدالباري وغيرهم.

هذا والله من وراء القصد، والحمدلله رب العالمين أولا وآخرا.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب المطبوعة:

أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د. مسعد عيد العطوي، ط١، ١٤٠٦هـ.

الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

أوج التحري عن حيثية ابن المعري: يوسف البديعي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٤.

التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي: ماهر الرحيلي، مكتبة كنوز المعرفة–جدة، ط١، ١٤٢٨هـ.

رسائل الجاحظ: تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل–بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

الشعراء وإنشاد الشعر: علي الجندي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧م.

الشفاهية والكتابية: تأليف والتر ج أونج، ترجمة د. حسن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصفور، عالم المعرفة–الكتاب رقم ١٨٢، فبراير ١٩٩٤م.

العصر الجاهلي: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٨.

على الماشي: علي محمد العمير، دار العمير للثقافة والنشر، ط١، ١٤٠٢هـ.

في اللسانيات والنقد، أوراق بينية: د. سعد عبدالعزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

للشهداء: غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٦.

ثانيا: مواقع الشبكة العنكبوتية:

https://www.youtube.com/watch?v=oPWa5kdF7Ao
https://www.youtube.com/watch?v=HHzhQJ-0Uc8&t=56s
https://www.youtube.com/watch?v=ZK4NYSPm1QM&t =74s
https://www.youtube.com/watch?v=seFlmRiss44&t=80s
https://www.youtube.com/watch?v=BQe41B8eytY
https://twitter.com/ryany_2015/status/1291723837432901634.
https://twitter.com/khalid76/status/803284857514246144.
https://www.youtube.com/watch?v=edAkZxeVROw
https://www.youtube.com/watch?v=aygpgS_-oyo
https://www.youtube.com/watch?v=FMkWZOjFuZI
https://twitter.com/ryany_2015/status/1279469767187972097
https://twitter.com/ryany_2015/status/1335298352154611718..

Bibliography

Aḥmad al-Ghazzāwī wa-Āthāruh al-Adabīyah : Dr. Musʿad ʿEĪd al-ʿAṭawī, 1st ed., 1406 AH.

al-Aghānī: Abū al-Faraj al-Aṣfahānī, Sharaḥahu its footnotes wrote by: ʿAbd ʿAlī Muhannā, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2nd ed., 1412 AH.

Awj al-Taḥarrī ʿan Ḥaithiyah Ibn al-Maʿarrī: Yūsuf al-Badīʿī, Maṭbaʿat al-Taraqqī, Dimashq, 1944.

al-Tajribah al-Shiʿrīyah bayna Aḥmad Shawqī wa-Aḥmad al-Ghazzāwī: Māhir al-Ruḥaylī, maktabat Kunouz al-Maʿrfah - Jeddah, 1st ed., 1428 AH.

Rasā'il al-Jāḥiẓ: investigated by: ʿAbd al-Salām Hārūn, Dār al-Jīl-Beirut, 1st ed., 1411 AH.

al-shuʿarā' wa Inshād al-Shiʿr : ʿAlī al-Jundī, Dār al-Maʿārif, Egypt: 1967.

al-Shafāhīyah wa al-Kitābīyah: Walter J Ownj, translation of Dr. Ḥasan al-Bannā ʿIzz al-Dīn, revised by Dr. Muḥammad ʿUṣfūr. ʿĀlam al-Marifa –al-Kitāb No: 182, February 1994.

Dr. Shawqī Ḍayf, al-ʿAṣr al-Jāhilī. Dār al-Maʿārif, Egypt, 8th edition.

Alī Muḥammad al-ʿUmayr, ʿAlā al-Māshī. Dār al-ʿUmayr lil-Thaqāfah wa-al-Nashr, 1st edition, 1402 AH.

D. Saʿd ʿAbd-al-ʿAzīz Maṣlūḥ. fī al-Lisānīyāt wa al-Naqd, Awrāq bayniyyah: ʿĀlam al-Kutub, Cairo, 1st edition, 2017.

Websites:

https://www.youtube.com/watch?v=oPWa5kdF7Ao
https://www.youtube.com/watch?v=HHzhQJ-0Uc8&t=56s
https://www.youtube.com/watch?v=ZK4NYSPm1QM&t =74s
https://www.youtube.com/watch?v=seFlmRiss44&t=80s
https://www.youtube.com/watch?v=BQe41B8eytY
https://twitter.com/ryany_2015/status/1291723837432901634.
https://twitter.com/khalid76/status/803284857514246144.
https://www.youtube.com/watch?v=edAkZxeVROw
https://www.youtube.com/watch?v=aygpgS_-oyo
https://www.youtube.com/watch?v=FMkWZOjFuZI
https://twitter.com/ryany_2015/status/1279469767187972097
https://twitter.com/ryany_2015/status/1335298352154611718.

حُسْنُ الصِّياغةِ في فَنِّ البلاغةِ

تأليفُ الإمام العالم أبي محمد إبراهيم بن الشيخ الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم الجَعبري

دراسةً وتحقيقًا

Husn Al-Siyaagah fi Fann Al-BAlaagah (Good Wording in the Art of Rhetoric)
By Al-Imam Al-'Aalim Abu Muhammad Ibrahim bin Shaykh Al-Imam Siraajudeen Abu Hafs 'Umar bin Ibrahim Al-Ja'buri
Study and Investigation

د. بدر بن طاهر الطرقي العنزي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية والآداب

بجامعة الحدود الشمالية

البريد الإلكتروني: badr3144@hotmail.com

المستخلص

فكرةُ الدراسة تحقيقٌ لكتابٍ بلاغيٍّ ثمين، والدافعُ إلى تحقيق الكتاب تقدُّم عصره، فهو من القرن الثامن الهجري، وكذلك نبوغُ مؤلِّفه، وتميّزُهُ في عددٍ من العلوم الشرعية والعربية، منها: الفقه، والأصول، والقراءات، والمنطق، والبلاغة؛ فهو عالمٌ من أبرز علماء القرن الثامن الهجري، ومُقرئٌ من أشهر القُراء المقرئين في العالم الإسلامي، وقد كان مفتي مدينة الخليل في فلسطين، وعالمها الذي يتوارد إليه طلبة العلم من جميع البقاع؛ للتتلمذِ عليه، والإفادة من علمه ودرسه. ومن أسباب تميّزِ الكتاب أنَّه غيرُ مطبوع، ولا توجد منه إلا نسخة فريدة، وهذا يزيدُ من قيمة تحقيق الكتاب، وأهمية دراسته، وإخراجه للدارسين والباحثين؛ ليُخدمَ بالشرح والتحليل والاستنباط والاستقراء، وكذلك دراسةُ منهج المؤلف، وقيمة إضافاته في الحقل البلاغي. ومن مزايا الكتاب إيجازه واختصاره؛ فهو مناسبٌ للحفظ كما نصَّ على ذلك المؤلِّف في مقدمة الكتاب؛ فهو كتابٌ موجزٌ، وفيه إشاراتٌ قيمةٌ، مع حاجته إلى شرحٍ وتعليق. ومن مزايا الكتاب استثمارُ المؤلّف لآراء كبار علماء البلاغة في التنظير، والتطبيق، والتفريع، والاختيارات، والترجيحات؛ فالدراسةُ تحقيقٌ لكتاب: **حُسن الصياغة في فنِّ البلاغة** للجَعبري، مع بعض التعليقات الموجزة من الباحث، والمقارنة مع بعض كتب البلاغة المعاصرة للمؤلّف حسب الحاجة. وقد اقتضت طبيعةُ البحث تقسيمه إلى مقدمةٍ، وفصلين، الأول منهما تضمّن مبحثًا لدراسة المؤلف، والآخر لدراسة الكتاب. وتضمَّن الفصل الثاني تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًا وفقَ قواعد التحقيق عند أهل الفنِّ، مع التعليق على بعض مسائله، وذُيّل البحث بقائمةٍ للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: حسن، الصياغة، فنٌّ، البلاغة، الجعبري.

Abstract

The idea behind the study is the investigation of a valuable rhetorical book, and the motivation for the investigation of an old book, since it was from the 8th century of hijra, and the expertise of its author, and being exceptional in several Shari'ah and Arabic sciences, including: Jurisprudence, Fundamentals of Jurisprudence, Qur'an Readings, Logic, and Rhetoric. He was among the most outstanding scholars of the eighth century of hijra, and a reciter among the most popular reciters of the Islamic world, he was the Mufti of Galilee in Palestine, and its scholar that was travelled to from several places in order to learn from him and to benefit from his knowledge and class. And among the reasons why the book was outstanding is that it has never been printed, and it only has one unique manuscript, and this will add to the value of the book's investigation, and the importance of studying it, and producing it for students and researches; in order that it will be served with commentary and analysis and inference and induction, and the study of the author's methodology, and the value of his additions to the field of rhetoric. And among the distinctions of the book is being brief and succinct; it is appropriateness for memorization as stated by the author in its introduction, it is a brief book, and it includes valuable points, with its need for commentary and annotation. And among its distinctions is the author's judicious usage of the opinions of great scholars of Rhetoric in theorization, and application and branching, and choosing, and weightings. Hence, the study is the investigation of the book: **Husn Al-Siyaagah fi Fann Al-Balaagah** (Good Wording in the Art of Rhetoric) by Al-Ja'bari, with some brief commentaries from the researcher, and comparison with some books of Rhetoric contemporary with the author. The nature of the research necessitates dividing it into an introduction, and two chapters. The first: includes a topic on the study of the author, and another on the study of the book. And the second topic includes the investigation of the book scholarly based on the rules of investigation by the specialists in this field, including commentary on some of its issues, and the book was appended with bibliography.

Keywords: Good, wording, art, rhetoric, Al-Ja'buri

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ علم البلاغة من العلوم التي تحتاجُ إلى مزيد بحثٍ واستقراء في مؤلفاتها، ومتابعة مناهج البلاغيين، وبيان أثرهم وتأثرهم، وتقليدهم وابتكارهم؛ لأنَّ علم البلاغة من العلوم المرتبطة بحقولٍ أخرى كالتفسير، وعلوم القرآن، والنحو، والنقد، وأصول الفقه، والمنطق. وهذا يؤكدُّ قيمة متابعة التأليف فيه، واستقراء مراحل استقلالية العلم، والبحث في تنوع المناهج البلاغية، والمدارس البيانية، والدوافع التي دفعت البلاغيين إلى التصنيف.

ومن القرون الهجرية التي كان التأليف البلاغيُّ فيها يعيشُ مرحلةً مختلفةً تطويلًا وإيجازًا، شرحًا وتحشيةً، مراجعةً وتعقيبًا القرنُ الثامن الهجري. وطبيعةُ المرحلة تتطلبُ من الباحثين التنقيب عن هذه التصانيف؛ لتحقيقها وإخراجها، وتناولها بالشرح والتحليل والاستنباط والاستقراء.

ويُعدُّ الإمام الجَعبري من أشهر علماء القرن الثامن الهجري؛ لتميّزه في عددٍ من العلوم الشرعية والعربية، منها: القراءات، والتجويد، والفقه، والأصول، والبلاغة. ولمؤلفاته قيمةٌ كبرى عند المختصين، وآراؤه العلمية محطُّ العناية والاهتمام بين الدارسين.

وكتاب **حُسن الصياغة في فنِّ البلاغة** من الكتب البلاغية المخطوطة التي لم تُطبع، ولا يوجد من المخطوط إلا نسخة فريدة فيما وقفتُ عليه، وفي الكتاب إضافاتٌ علميةٌ تستحقُّ الدراسة والعناية والاهتمام؛ لقيمة المؤلّف العلمية، ولأهمية مرحلة الكتاب الزمنية، ولتميّزِ الكتاب صناعةً وتنظيرًا واختيارًا وإيجازًا.

ولهذه المعطيات عزم الباحث على تحقيق الكتاب وإخراجه، مع دراسةٍ للمؤلِّف والكتاب تتسمُ بالإيجاز، وتعليقات مختصرة على الكتاب؛ لإمداد المكتبة البلاغية بهذا الكتاب المهم، ولإتاحته للباحثين إفادةً ودراسةً وتعقيبًا وتعليقًا.

أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: مكانة المؤلف الإمام الجعبري العلمية، وتنوعه المعرفي، وإضافاته القيمة، وتفننه في عددٍ من العلوم الشرعية والعربية.

ثانيًا: القيمة العلمية لعصر المؤلف، وهو القرن الثامن الهجري؛ فهو من القرون التي امتازت بالتصانيف البلاغية، وتنوع التوجهات التأليفية، وتباين المدارس العلمية.

ثالثًا: أنَّ الكتاب المحقّق لم يُسبق له الطباعة، وليس منه إلا نسخة فريدة مخطوطة؛ فهو بحكم المفقود عند أهل التخصص. وهذا من الأسباب التي دفعت الباحث إلى خوض غمار تحقيق الكتاب ودراسته.

رابعًا: قيمة الكتاب العلمية رغم إيجازه واختصاره؛ لثراء مادته العلمية، وتنوع مصادره.

أهداف البحث:

أولًا: إخراج كتاب **حسن الصياغة في فنِّ البلاغة** إخراجًا دقيقًا، وتحقيقًا موضوعيًّا وفقَ قواعد التحقيق المعتمدة عند أهل الفنِّ.

ثانيًا: خدمة النصِّ بالتعليق والإيضاح على وجه الإجمال والإيجاز؛ لفكِّ المغلق، وإيضاح المبهم.

ثالثًا: التعريف الموجز بالمؤلف، مع بيان شيءٍ من سيرته بإيجاز؛ لأهمية ذلك في فنِّ التحقيق.

رابعًا: التعريف بالمخطوط، وبيان نسبة الكتاب للمؤلف، والقيمة العلمية له.

خامسًا: تتبعُ مصادر المؤلف في كتابه؛ لبيان قيمة الكتاب، ومنطلقاته العلمية والمنهجية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء والاستفسار من مراكز الدراسات العلمية، والجامعات، وسؤال المختصين لم أجد من سُبق له تحقيق هذا الكتاب(١).

(١) تواصلَ الباحث مع مركز الملك فيصل، ومكتبة الملك فهد الوطنية، وأُفيد بعدم تحقيق الكتاب. ولدى الباحث خطاباتٌ رسميةٌ بهذا الشأن؛ للتأكيد أنه الإخراجُ الأولُ لهذا الكتاب الفريد.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمةٍ، وفصلين، وقائمةٍ بالمصادر والمراجع، على النحو الآتي:

❖ **المقدمة:** وتتناول فكرة الدراسة وأهميتها، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث وهيكلته.

❖ **الفصل الأول: دراسةٌ موجزةٌ للمؤلّف والكتاب، فيه مبحثان.**

❖ **المبحث الأول:** دراسةُ المؤلف الإمام الجَعبري، وفيه:

❖ اسمه، ونسبه، وكنيته، ومولده.

❖ شيوخه.

❖ تلاميذه.

❖ آثاره العلمية.

❖ ثناءُ العلماء عليه.

❖ وفاته.

❖ **المبحث الثاني:** دراسة الكتاب (حُسن الصياغة في فنِّ البلاغة)، وفيه:

❖ تحقيق عنوان الكتاب، وتوثيق نسبته لمؤلّفه.

❖ مصادر المؤلّف في كتابه.

❖ قيمة الكتاب العلمية.

❖ وصف النسخة الخطية، مع نماذج منها.

❖ **الفصل الثاني:** النصُّ المحقّق.

❖ قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

أولًا: قسم الدراسة: سيكون منهج الدراسة المنهج الوصفي، مع الإفادة من المنهج التاريخي.

ثانيًا: قسم التحقيق: منهج الباحث على النحو الآتي:

١ــ نسخُ الكتاب وفق قواعد الإملاء الحديثة، مع الالتزام بعلامات الترقيم وذلك

اعتمادًا على نسخة الكتاب الفريدة (نسخة جامعة طهران الإيرانية).

٢ــ توثيقُ النصوص والأقوال من مصادرها الأصيلة.

٣ــ التعليق في الحاشية على ما يحتاجُ إلى تعليق، مع مراعاة طبيعة الأبحاث العلمية المحكمة من ناحية الالتزام بالإيجاز(١).

٤ــ شرحُ الكلمات الغريبة، والمصطلحات الواردة في الكتاب التي تحتاجُ إلى مزيد إيضاح.

(١) ينوي الباحث – إن شاء الله – شرح الكتاب شرحًا يوضّح العبارة، ويبيّن المغلق، ويربط المباحث بعضها ببعض، مع الاستشهاد والتمثيل، والإفادة من الكتاب الأصل: رسم البراعم في علم البلاغة.

الفصل الأول: دراسةٌ موجزةٌ للمؤلف والكتاب:

المبحث الأول: دراسةُ المؤلف الإمام الجعبري [1]:

١ــ اسمه، ونسبه، وكنيته، ومولده:

هو الإمام برهان الدين[2] إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الرّبعي الجعبريّ الخليليّ السلفيّ[3]، يُكنى أبو محمد، وقيل: أبو إسحاق، ولد في حدود سنة (٦٤٠هـ) في قلعة جعبر.

٢ــ شيوخه:

تلقَّى الجعبري عن جملةٍ من أهل العلم في شتى الفنون والمعارف، ورحل لتلقي

(١) تُنظر ترجمته في: الذهبي، محمد بن أحمد، "**معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**"، تحقيق: بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح عباس، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ)، (٢: ٧٤٣)، صلاح الدين، محمد بن شاكر، "**فوات الوفيات**"، تحقيق: إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م)، (١: ٣٩). اليافعي، عبد الله بن أسعد، "**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**"، وضع حواشيه: خليل المنصور، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، (٤: ٢١٤)، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "**البداية والنهاية**"، تحقيق: عبد الله التركي، (ط١، الجيزة: دار هجر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، (١٨: ٣٥٠)، الجزري، محمد بن محمد، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، تحقيق: ج. برجستراسر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ)، (١: ٢١)، العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**"، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. (ط٢، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، (١: ٥٥)، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (ط١، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، (٨: ١٧١).

(٢) وقيل: تقي الدّين. ينظر: العسقلاني، "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**"، (١: ٥٥).

(٣) كذا نسبه ابن الجزري، قال: "السلفي: بفتحتين؛ نسبةً إلى طريق السلف". ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القرّاء**"، (١: ٢١).

العلم في بعض الأقطار، وقد صنّف مصنفًا في ذكر شيوخه، سماه: "عوالي مشيخة برهان الدين الجعبري"، ومن أبرز مَن أخذ عنهم:

١-إبراهيم بن محمود البغدادي، أبو إسحاق، المتوفّى سنة (٦٤٨هـ)[١].

٢-يوسف بن خليل الدمشقي، أبو الحجاج، المتوفّى سنة (٦٤٨هـ)[٢].

٣-علي بن عثمان الوجوهي، أبو الحسن، المتوفّى سنة (٦٧٢هـ)[٣].

٤-عبد الصمد بن أحمد البغدادي، أبو أحمد، المتوفّى سنة (٦٧٦هـ)[٤].

٥-عبد الله بن إبراهيم الجزري، أبو محمد، المتوفَّى سنة (٦٧٩هـ)[٥].

٣_ تلاميذه:

اكتسب الجَعبري مكانةً علميةً عاليةً، فتصدّر للتدريس والإقراء في مدينة الخليل

(١) هو: إبراهيم بن محمود بن سالم بن مهدي، أبو محمد وأبو إسحاق، الأزجي، البغدادي، يُعرف بابن الخير الحنبلي، توفي سنة (٦٤٨هـ). ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ٢٧).

(٢) هو: يوسف بن خليل بن عبد الله، الدمشقي، أبو الحجاج، محدّث حلب، وتخرج بالحافظ عبد الغني، وشيوخه نحو: خمس مئة نفس، توفي سنة (٦٤٨هـ). ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "**طبقات الحفاظ**"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ص٤٥٥.

(٣) هو: علي بن عثمان بن محمود، أبو الحسن، البغدادي، الوجوهي، أخذ عن: الفخر الموصلي، توفي سنة (٦٧٢هـ). ينظر: الذهبي، "**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**"، (٣: ١٣٤٤). ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ٥٥٦).

(٤) هو: عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش، أبو أحمد، البغدادي، أخذ عن: الفخر الموصلي، وعبد العزيز الناقد، وغيرهما، توفي سنة (٦٧٦هـ). ينظر: الذهبي، "**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**"، (٢: ٦٦٥). ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ٣٨٨).

(٥) هو: عبد الله بن محمد بن محمود، أبو محمد، الجزري، أخذ عن: علي بن مفلح، وأبي عمرو بن الحاجب، وغيرهما، توفي سنة (٦٧٩هـ). ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ٤٠٣). ابن العماد، "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"، (٧: ٦٣٤).

زمنًا طويلًا بعد استقراره فيها، وقد وفد إليه جمعٌ من طلبة العلم يأخذون منه، وينهلون من معارفه، ومن أشهر تلاميذه:

١- محمد بن أحمد الذَّهبيُّ، أبو عبد الله، المتوفّى سنة (٧٤٨هـ)[١].

٢- محمد بن جابر الوادي آشي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة (٧٤٩هـ)[٢].

٣- أبو بكر بن أيدغدي، الشهير بابن الجندي، المتوفّى سنة (٧٦٢هـ)[٣].

٤- محمد بن علي بن اللبان، أبو المعالي، المتوفّى سنة (٧٦٧هـ)[٤].

٥- إبراهيم بن عثمان البعلبكيُّ، أبو العبَّاس، المتوفّى سنة (٧٤٠هـ)[٥].

٤_ مؤلّفاته:

خلّف الجَعبري إرثًا علميًّا كبيرًا، يليق بمكانته العلمية التي تبوّأها بين علماء عصره، وقد صنَّف كتابًا ذكر فيه مؤلَّفاته حتَّى سنة (٧٢٥هـ)، بلغ فيها عدد

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي، قرأ على: الفاضلي، وطلحة الدمياطي، من مؤلفاته: **معرفة القراء الكبار، وسير أعلام النبلاء**، توفي سنة (٧٤٨هـ). ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (٢: ٧١). ابن حجر العسقلاني، "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**"، (٥: ٦٦).

(٢) هو: محمد بن جابر محمد، القيسي، الوادي آشي، أبو عبد الله، أخذ عن: عيسى حماد، وأحمد بن موسى البطراني، وغيرهما، توفي سنة (٧٤٩هـ). ينظر: الذهبي، "**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**"، (٣: ١٤٩٦). ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (٢: ١٠٦).

(٣) هو: أبو بكر بن أيدغدي بن عبد الله الشمسي الشهير بابن الجندي، شيخ مشايخ القراء بمصر، قرأ على التقي الصائغ، والعشر على إبراهيم بن عمر الجعبري، والثمان على أبي حيان، توفي سنة (٧٦٩هـ). ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ١٨٠). ابن حجر العسقلاني، "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**"، (١: ٥٢٧).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن علي، أبو المعالي، الدمشقي، أخذ عن: ابن نحلة، وابن بضخان، وغيرهما، توفي سنة (٧٦٧هـ). ينظر: ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (٢: ٧٢).

(٥) هو: إبراهيم بن عثمان بن كامل، البعلبكي، أخذ عن: الموفق النصيبي أيضًا، وبقي إلى بعد (٧٤٠هـ). ينظر: الذهبي، "**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**"، (٣: ١٥٢٣). ابن الجزري، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، (١: ١٩).

المصنَّفات ما ينيف على مئة مصنَّف، فقال في آخر الكتاب: "ومجموع الكلِّ أصلًا وفرعًا، نظمًا ونثرًا، نيِّفٌ ومئة تصنيف، وهذا ما فتح الله تعالى عليَّ من تأليف العلوم الشَّرعيَّة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة"(١)، ومن أبرزها:

١-روضة الطَّرائف في رسم المصاحف.

٢- كنز المعاني في شرح حرز الأماني.

٣- حُسن المدد في معرفة فنّ العدد.

٤- وصف الاهتداء في الوقف والابتداء.

٥- خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثَّلاث.

٦- الإجزاء في معرفة الأجزاء.

٧-حسنُ الصّياغة في فنّ البلاغة(٢).

٨- رسمُ البراعة في علم البلاغة(٣).

٥_ ثناء العلماء عليه:

حظي الجَعبري بمكانةٍ علميةٍ واسعةٍ عند أهل العلم، وقد ساعده على ذلك تصدّره للتدريس في مدينة الخليل مدةً طويلة، وكذا كثرة مؤلّفاته التي راجت ولاقت استحسانًا عند روّاد العلم والمعرفة، وقد احتفتْ كتب التراجم بالثناء عليه، فمن ذلك:

١-قال الوادي آشي: "الشَّيخ الفقيه المقرئ الخطيب قاضي بلد الخليل، عليه وعلى

(١) إبراهيم بن عمر الجعبري، "**الهبات الهنيَّات في المصنَّفات الجعبريَّات**"، تحقيق: جمال السيد الشايب، (ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص٤٤.

(٢) وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وله قيمةٌ علميةٌ تتمثّل في تقدم زمنه، وبلاغة إيجازه، وإفادته من العلوم الأخرى تنظيرًا وتطبيقًا.

(٣) وهو الكتاب الأصل الذي اختصره المؤلّف في كتابه: حسن الصياغة في فن البلاغة. وهو مخطوط، غير مطبوع. تتوفر نسخة منه لدى الباحث. ويمتاز بكثرة الشواهد القرآنية والشعرية في كلِّ المباحث البلاغية التي تناولها في كتابه، كما أنَّه استثمر آراء كبار علماء البلاغة في تقريراته واختياراته. وهو جديرٌ بأن ينبري له أحد الباحثين تحقيقًا ودراسةً.

نبيّنا أفضل الصَّلاة والسَّلام"[١].

٢- وقال تاج الدِّين السُّبكيُّ[٢]: "كان فقيهًا، مقرئًا، متفنِّنًا، له التَّصانيف المفيدة في القراءات، والمعرفة بالحديث وأسماء الرِّجال"[٣].

٣- وقال الصَّفديُّ[٤]: "كان ذا وجهٍ نيِّر، وخُلُق خيِّر، وشيبةٌ نوَّرها الإسلام، وحَبَّرها خدمة العِلْم الشَّريف بالأقلام، ولعبارته رونق وحلاوة، وعلى إشارته وحركاته طلاوة"[٥].

٦_ وفاته:

توفي الجَعبري يوم الأحد الخامس من شهر رمضان سنة (٧٣٢هـ)، عن اثنين وتسعين عامًا، ودُفن في مدينة الخليل بفلسطين –رحمه الله وغفر له–.

---

(١) آشي، محمد بن جابر الوادي، "**برنامج الوادي آشي**"، تحقيق: محمد محفوظ، (ط١، بيروت: دار المغرب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٤٧.

(٢) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تاج الدين، أبو نصر، السبكي، الشافعي، عني بالرواية، وسمع من: المزي، وأثير الدين أبي حيان، وغيرهما، من مؤلفاته: الطبقات الكبرى، وشرح مختصر ابن الحاجب، توفي سنة (٧٧١هـ). ينظر: **الدرر الكامنة**، (٣: ٢٣٢). الحنفي، يوسف بن تَغرِي بَرْدي، "**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**"، حققه: محمد محمد أمين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، (٧: ٣٨٥).

(٣) السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، "**طبقات الشافعية الكبرى**"، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، (الجيزة: ط٢، دار هجر، ١٤١٣هـ)، (٩: ٣٩٩).

(٤) هو: خليل بن أيبك بن عبد الله، صَلَاح الدّين، الصَّفَدِي، ولد سنة (٦٩٦هـ)، أخذ عن: الشهاب محمود، وابن سيد النَّاس، وسمع بمصر من: يونس الدبوسي، وغيرهم، من مصنفاته: الوافي بالوفيات، وأعوان النَّصْر في أعيان العصر، وغيرهما، توفي سنة (٧٦٤هـ). ينظر: السبكي، "**طبقات الشافعية الكبرى**"، (١٠: ٥). محمد بن علي الشوكاني، "**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**"، (بيروت: دار المعرفة)، (١: ٢٤٣).

(٥) صلاح الدين خليل الصفدي، "**أعيان العصر وأعوان النصر**"، تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، (١: ١٠٣).

المبحث الثاني: دراسة الكتاب

١_ تحقيق عنوان الكتاب، وتوثيق نسبته لمؤلفه:

جاء على غلاف النسخة الخطية عنوان الكتاب، وكذلك ذكره المؤلف في مقدمته، فقال: " وبعد: فلمَّا منّ الله تعالى بإكمال رسم البراعة في علم البلاغة، وكنت بالغثُ في بسطه؛ ليُفهم، شفعته بحسن الصياغة في فنّ البلاغة؛ ليُحفظ"(١).

وأمّا إثبات نسبة الكتاب لمؤلّفه فصريحٌ من وجهين:

الأول: ما جاء على غلاف النسخة الخطية، وهو: "كتاب حُسْن الصِّياغة في فَنِّ البلاغة: تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الكامل برهان الملّة والدّين أبي محمد ابن الشيخ الإمام سراج الدّين أبي حفص عمر بن إبراهيم الجعبري–برّد الله مضجعه–".

الثاني: أنّ الجعبري ذكر **حسن الصياغة في فنِّ البلاغة** ضمن مؤلفاته التي عدّها في كتابه الهبات الهنيّات في المصنّفات الجعبريات(٢)، وهذا دليلٌ كافٍ على إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

٢_ مصادر المؤلف في كتابه:

اعتمد الجعبري في كتابه حسن الصياغة في فنِّ البلاغة على الأصل الذي اختصره منه، وهو كتاب رسم البراعة في علم البلاغة؛ لكنّه ذكر بعض المصادر في تضاعيف كتابه، إمّا بتسمية الكتاب، وإمّا بذكر مؤلفه فقط، وهي:

١–الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه، المتوفّى سنة (١٨٠هـ).

٢–معاني القرآن، ليحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، المتوفّى سنة (٢٠٧هـ).

٣–الخصائص، لعثمان بن جنّي الموصلي، المتوفّى سنة (٣٩٢هـ).

٤–سقْط الزّند، لأحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، المتوفّى سنة (٤٤٩هـ).

٥–دلائل الإعجاز، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانيّ، المتوفّى سنة (٤٧١هـ).

---

(١) الجعبري، "**حسن الصياغة في فنِّ البلاغة**"، (١/أ).

(٢) ينظر: الجعبري، "**الهبات الهنيّات في المصنّفات الجعبريات**"، ص٢٨.

٦-أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني.
٧-الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، المتوفّى سنة (٥٣٨هـ).
٨-مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر بن محمد السّكاكي، المتوفّى سنة (٦٢٦هـ).
٩-مفتاح المفتاح، لمحمود بن مسعود الشيرازي، المتوفّى سنة (٧١٠هـ).
١٠-الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بالخطيب القزويني، المتوفّى سنة (٧٣٩هـ).
١١-التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني[1].

٣_ قيمة الكتاب العلمية:

أولًا: مكانة الجَعبري العلمية المتميزة، ومؤلفاته العميقة المتداولة بين الباحثين والدارسين.

ثانيًا: إيجاز الكتاب واختصاره، وهذا يحقّقُ الهدف المنشود عند المؤلف في تسهيل حفظه، وتيسير ضبطه.

ثالثًا: تميّز القرن الثامن الهجري في التأليف والتصنيف في كتب البلاغة؛ فهو من مصادر القوة للكتاب؛ لمعاصرته عدد من كبار البلاغيين، وإفادته من تصانيفهم.

رابعًا: استثمار علم القراءات والتجويد في بيان المباحث البلاغية. وهذا ظهر على عبارات المؤلّف ومصطلحاته واختياراته.

خامسًا: استثمار علم أصول الفقه في بيان المباحث البلاغية. وهذا ظهر على عبارات المؤلّف ومصطلحاته واختياراته.

سادسًا: استثمار علم المنطق في بيان المباحث البلاغية. وهذا ظهر على عبارات المؤلّف ومصطلحاته واختياراته.

(١) مصادر المؤلف تدلُّ على عمق الكتاب؛ لأنَّها مصادر أصيلة في اللغة والبلاغة والنقد، وهي مصادر مؤسسة في علوم العربية.

سابعًا: تنوع مصادر المؤلف في كتابه، ورجوعه إلى مصادر أصيلةٍ في علم البلاغة كعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والقزويني.

ثامنًا: تفرّدهُ بمنهج خالف فيه علماء البلاغة مخالفةً نسبية؛ لاختلاف المنطلقات، وأثر تفننه على مؤلّفه.

٤_ أبرز المآخذ على الكتاب:

أولًا: غياب الشواهد القرآنية والشعرية في الكتاب غيابًا ملحوظًا، وهذا مؤثر في الدرس البلاغي على الجانبين: التنظيري والتذوقي.

ثانيًا: استغلاق العبارة في بعض المواضع، وصعوبة الوصول إلى المعنى المراد؛ لحرص المؤلف على الإيجاز والاختصار.

ثالثًا: ورود أسماء علماء بعد بعض الاختيارات دون ربط ذلك في السياق الوارد فيه، مما كلّف المحقق جهدًا كبيرًا في معرفة سبب إيراد اسم العالم في هذا السياق.

رابعًا: الانتقال من البلاغة إلى بعض العلوم الأخرى دون الحاجة إلى ذلك كانتقال المؤلف في حديثه عن الخبر عند البلاغيين إلى تقسيمه عند المحدثين إلى صحيح وضعيف.

٥_ وصف النسخة الخطية، مع نماذج منها:

يوجد من الكتاب نسخة خطية فريدة، تحتفظ بها المكتبة المركزية في جامعة طهران الإيرانية، تحت رقم: (٧٠٤٧/ ١)، تقع في (١٧) لوحة، في كلِّ لوحةٍ صفحتان، ويبلغ عدد الأسطر في كل لوحة: ١٨ سطرًا تقريبًا، والنسخة ضمن مجموع، من ورقة (١ب– ١٧أ)، كُتبت في القرن الثامن الهجري تقديرًا في أوائل جمادى الآخرة بمدينة الخليل في فلسطين. والمخطوط كُتب بخطٍ مشرقي، وناسخه هو فخر الدين ابن نظام الدين الحسيني الجرجاني.

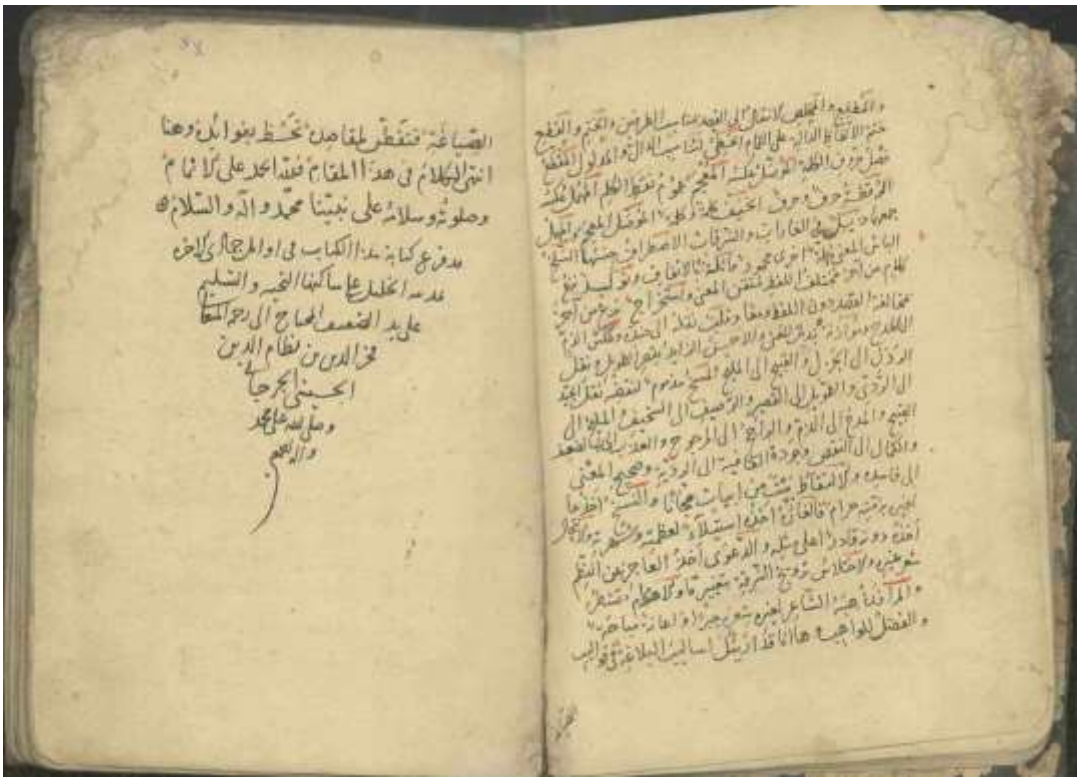
النموذج الأول



النموذج الثاني



النموذج الثالث



الفصل الثاني: النصُّ المحقّق

/[١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ حمدًا على إعلامنا البيان(١)، وإلهامنا التبيان، وصلواتُهُ وسلامُهُ على محمد المرسل لتكمُل الأديان، المفضَّلُ بإعجازِ القرآن، وعلى آلهِ وصحبهِ، وتابعيهم بإحسان ما أضاء القمران، **وبعد:**

فلمَّا منَّ الله تعالى بإكمال **رسم البراعة في علم البلاغة**(٢)، وكنتُ بالغتُ في بسطه ليُفهَم(٣)، شفعته **بحُسنِ الصِّياغة في فنِّ البلاغة** ليُحفَظ(٤)، ومن ثَمَّ اجتهدتُ في اختصارِهِ، نائيًا عن تكراره، جامعًا لفوائده، مُجرِّدًا عن شواهده(٥)، على سَننه في الترتيب والتهذيب(٦)، وعلى الله توكلتُ، وإليه أنيب.

الفصاحةُ لغةً: الخلوصُ من **الشوائب**(٧). **والبلاغة:** الوصولُ إلى القصد.

---

(١) هذا اجتهادٌ من المؤلّف في أن تكون المقدمةُ مناسبةً للعلم الذي يتحدث عنه؛ فذكر البيان والتبيان؛ لمناسبتهما لعلم البلاغة. ويجري هذا في مقدماته لعلوم البلاغة الثلاثة في كتابنا هذا: المعاني والبيان والبديع.

(٢) هذا الكتاب هو الأصل، وهو مخطوطٌ إلى الآن، وكتابنا الذي بين أيدينا هو مختصره.

(٣) وذلك بكثرة الشواهد القرآنية والشعرية، والإطناب في ذكر الأمثلة، مع الشرح والإيضاح.

(٤) لذلك جاء الكتاب موجزًا مختصرًا؛ ليسهل حفظه واستظهاره. وهذا منهجٌ معروفٌ عند علماء الشريعة والعربية؛ فالمتون والمختصرات لحفظها وضبطها، واستحضارها عند التدريس والمناقشة.

(٥) امتاز كتابه الأصل **رسم البراعة في علم البلاغة** بكثرة الشواهد القرآنية والشعرية كثرةً لافتةً للانتباه، أمَّا كتابنا **حسن الصياغة في فنِّ البلاغة** فقد جرّدهُ المؤلّفُ من الشواهد تجريدًا تامًّا؛ للإيجاز والاختصار.

(٦) هذا منهج المؤلف في كتابنا، ويتمثّلُ في الآتي: الاختصار، الابتعاد عن التكرار، تجريد الكتاب من الأدلة والشواهد الواردة في الأصل.

(٧) عادةُ البلاغيين ابتداء مصنفاتهم البلاغية بالحديث عن الفصاحة والبلاغة، والعيوب المخلة بهما. ويتأكدُّ هذا المنهج عند مدرسة السكاكي. ينظر مثلًا: محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، "**التلخيص في علوم البلاغة**"، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، (ط١، =

والكلمةُ الفصيحةُ العربيةُ: متناسبةُ المادةِ المشهورةِ،(١) القياسيةِ(٢)، أو ولذَّةُ السمع(٣)(٤). **والكلامُ**: فصاحةٌ جُزئيةٌ، وتناسبهما، والتأليف(٥)، والظهور(٦)(٧). **والمتكلِّمُ**(٨): ملَكتُهُ إيَّاها(٩)، وصحةُ أدواته(١٠)؛ فانفردت عن البلاغة بالأول(١١). **وعلمُ الأدب**: مُعرِّفُ سمْتِ كلامِ العرب. فمُعرِّفُ التركيب الأول: علمُ الاشتقاقِ الكبير، والنزع منه لمعنًى نسيًا: الصغيرُ، وتعديتُها: المقاييسُ(١٢)، وكيفيةُ اللفظ بها:

=

القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٠٤م)، ص ٢٤.

(١) وعكسُ هذا الشرط الغرابة، وهي التي نصَّ عليه البلاغيون في مصنفاتهم. ينظر: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، "**الإيضاح في علوم البلاغة**"، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ص ١١.

(٢) وعكسُ هذا الشرط مخالفة القياس، وهو الذي نصَّ عليه البلاغيون في مصنفاتهم. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١١.

(٣) وعكسُ هذا الشرط الكراهة في السمع، وهي التي نصَّ عليها البلاغيون في مصنفاتهم. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١٣.

(٤) هذه شروط الكلمة الفصيحة، وعكسها العيوب المخلة بفصاحة الكلمة. وقد خالف المؤلّفُ البلاغيين بعدم ذكر العيوب، إنَّما ذَكرَ الشروط، وفي الأصل مثَّل للكلمات التي تخالف هذه الشروط المعتبرة. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٢/ب).

(٥) وعكس هذا الشرط ضعف التأليف، وهو الذي نصَّ عليه البلاغيون في مصنفاتهم. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١٣.

(٦) وعكس هذا الشرط التعقيد، وهو الذي نصَّ عليه البلاغيون في مصنفاتهم. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١٣.

(٧) هنا شروط الكلام الفصيح، وعكسها العيوب المخلة بفصاحة الكلام؛ فالكلام الذي يخالف أحد هذه الشروط لا يُعدُّ فصيحًا حسب رأي الجَعبري.

(٨) أي: المتكلم الفصيح.

(٩) أي: الفصاحة. والمؤلّفُ يسير على طريقة البلاغيين في بيان فصاحة المتكلم بعد الحديث عن الفصاحة والبلاغة من حيث التعريف، والعيوب المخلّة بهما.

(١٠) أي: أدوات المتكلم الفصيح.

(١١) أي: الفصاحة.

(١٢) أي: المقاييس الصرفية.

الأبنيةُ[١]، وفهم معناها اللفظي: اللغةُ، وأحوالُ أبنيتها: التصريفُ، وما لآخرها للمعنى الناشئ عن التركيب الإسنادي: النحو، وصحيح الشِّعْر ومكسورُه: العَروضُ، ومقاطعُه: القوافي، ومطابقةُ فصيحة الحال، وما يستلزمه من الظهور، ويتبعه من التحسين: علمُ البلاغةِ[٢]، وموضوعُها التراكيبُ[٣]؛ فلكلِّ مقامٍ مقالٌ، ولكلِّ مخاطبٍ حالٌ باعتبار المراتب والعوارض، فربما ركَّ البليغُ، وتنافرت النسبتان، ويعلو إلى الإعجاز[٤] وما يليه، ويسفُلُ إلى حدٍّ لو نزل ركَّ، وبينهما رُتبٌ تتفاوت في الإنشاء.

وبدأتُ بالعامِّ والشرطية، /[٢/أ] فبالخاصِّ والمشروطية، وشبهُ المركَّب، فبالعرضي لتبعيَّته[٥].

النوع الأول: علم المعاني

علم المعاني: علمٌ يُفيدُ معرفةَ خواصِّ تراكيب الكلام المطابق لمقتضى الحال بالتتبُّع[٦][٧]، وانحصر في ثمانيةٍ: خبرٌ، فإسنادٌ[٨]، ومُسنَدٌ إليه[٩]، وبه[١٠]، والفعليُّ

(١) أي: أبنية التصريف.

(٢) وهو العلمُ المقصودُ من هذا التأليف، وذكرُ المؤلف لعلوم العربية؛ لارتباط بعضها ببعض.

(٣) وهنا يبينُّ المؤلف التدرج في العلوم العربية من الأدب، إلى الصرف، إلى النحو، إلى الشعر، إلى البلاغة. وهذا يبينُّ ترابط علوم العربية وتعاضدها؛ لتحقيق الغاية المنشودة من تحصيلها.

(٤) والإعجاز أعلى درجات البلاغة والفصاحة عند البلاغيين. ومراد المؤلف أنَّ للبلاغة درجات، وللفصاحة مراتب تتفاوت حسب المتكلم، وطبيعة الكلام وبيانه.

(٥) هذه خطة فصول الكتاب كما يرسمها المؤلف قبل البدء بعلوم البلاغة الثلاثة، وما يتبعها من مباحث متعلقةٍ بها.

(٦) تعريف علم المعاني عند الجعبري.

(٧) التتبع ليس بعلم، ولا صادقٌ عليه ذلك؛ فلا يصحُّ شيءٌ من العلوم به. ينظر: الخطيب القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٢٢.

(٨) أحوال الإسناد الخبري.

(٩) أحوال المسند إليه.

(١٠) أحوال المسند.

يتعلَّق بحصرٍ[١]، ودونه[٢]، أو إنشاءٌ متنوّع[٣]، والجُمَل متناسبةٌ ومتباينةٌ[٤]، والبليغُ بزيادة، ودونها[٥][٦].

الخبرُ ضروريٌّ أو نظري كلامٌ بنسبةٍ خارجيَّةٍ، وتُجوِّز بتسمية أحد جُزئيه به[٧]، صدقٌ إن طابقَ الواقعَ، وإلَّا كذبٌ[٨]، أو مطابقُ اعتقاد المخبِر أو ظنِّه وعدمه[٩]، وصحيحٌ نقلُ العدل الضابط بلا قادحٍ، وإلا ضعيفٌ[١٠].

الإسنادُ الخبري: ومحذوفه أعمُّ من الإخبار، والخبرُ ملزومٌ للحُكْم، وهو لازمُه، غير مساوٍ وإن قصد المخبرُ إفادةَ المخاطَب، جاهلَ الحكم؛ ففائدتُه[١١]. وإعلامه بعلمه فلازمه[١٢]، وتمتنع تلك بدون ذي بلا عكسٍ[١٣]، فإن خاطب خاليًا كفى

(١) أحوال متعلقات الفعل.

(٢) القصر.

(٣) الإنشاء. ويعني بالمتنوع: النداء، والاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني.

(٤) الوصل والفصل. ومما يُميّز الجَعبري في مؤلفه ألفاظه الخاصة، وتعبيراته المختلفة عن المتداول عند البلاغيين. وهذا من أثر العلوم الأخرى عليه كالقراءات، والفقه، والأصول، والمنطق.

(٥) الإيجاز والإطناب والمساواة.

(٦) مباحث علم المعاني الثمانية، والتزم المؤلِّفُ بترتيبها في دراسة هذا النوع من أنواع علم البلاغة.

(٧) لأنَّ الخبر عند البلاغيين: خبرٌ وإنشاء؛ فالمؤلّفُ يرى أنَّ تسمية الخبر أحد قسمي الخبر (الكلام) من باب التجوّز والمجاز.

(٨) هذا رأي الجمهور.

(٩) هذا رأي النظّام.

(١٠) يعني بالأخير تقسيمُ الخبر إلى صحيح وضعيف بغضِّ النظر عن الصدق والكذب.

(١١) أي: فائدة الخبر.

(١٢) أي: لازم الفائدة.

(١٣) أي: تمتنعُ لازم الفائدة عن فائدة الخبر، ولا تمتنعُ فائدة الخبر عن لازم الفائدة. قال السكاكيُّ: "والأولى بدون هذه تمتنع، وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة". يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، "**مفتاح العلوم**"، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، (ط٢، بيروت: =

إطلاقه[١]، أو مترددًا حَسُن تأكيدُه طلبيٌّ[٢]، أو منكرًا وجب فإنكاريٌّ[٣][٤]، فالتواكيدُ[٥] بحسبها كالمخاطب.

أحوالُ المُسنَد إليه: قُدِّمَ للتوقُّف عليه، وهو المبتدأ، وانعكس في الفعليَّة للعمل، وهو الفاعل[٦]؛ فإثباتُه للأصلِ والتأسيسِ[٧]، وبيان نوعه، وقصُور القرينة، وقصْد تعيين المنوع، والتشوق، والتلذُّذ، والتبرُّك، وإيثار الخطاب، والتعظيم، والإهانة، والبَلادة، والتعريض[٨].

وحذفُه[٩] إيجازًا مدلولًا عليه، مرادٌ ومَنسِيٌّ وجوبًا؛ للخلف والنقل، ولئلَّا يجتمعا، وتنبيهًا على الاتصال، وجوازًا لتخلفهِ وتعيُّنِهِ، والقرينة أقوى، وتخيُّلها، واعتماد الظهور والعموم، والإجلال، والغَيرة، والضيق، والاهتمام، وتجنُّب التكرار، والاختبار، وجواز الإنكار، /[٢/ب] وخوفًا منهُ وعليه، والإهانة، والبُغض[١٠].

=

دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، ص ١٦٦.

(١) النوع الأول من أضرب الخبر، وهو الابتدائي.

(٢) أي: سمي: طلبيًا.

(٣) أي: سمي إنكاريًّا.

(٤) هذه أضرب الخبر الثلاثة: الابتدائي، الطلبي، الإنكاري.

(٥) أي: ترتب التواكيد.

(٦) وهذا تبيينٌ لاصطلاح النحويين والأصوليين والمناطقة في حدِّ المسند إليه. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٤/ب).

(٧) أي: مع قصد التأسيس نحو قوله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ** ﴾ سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٨) هذه الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه كما استقرأها البلاغيون في مصنفاتهم. والقيمة البلاغية تكمن في تلمس هذه الأغراض، ومراعاتها عند الاختيار والتعبير.

(٩) بيَّن المؤلف أنَّ حذف المسند إليه من خصائص العربية؛ لما فيه من الحذف بدلالة العدم على الوجود. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٤/ب).

(١٠) هذه الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه كما ذكرها البلاغيون في مصنفاتهم.

وتعريفه ليفيد الإخبارَ عنه، وقد يُقصَدُ تعظيمُ الفائدة، وكلمَّا نَدَرَ الاحتمال كان أقوى[١]، وكلمَّا زاد المسندُ تخصيصًا زاد الحُكْم بُعْدًا، فيتعلَّق بمراتبه، وبضمّ تابعٍ وعمادٍ.

الإضمارُ[٢]: كونُ المقام حكايةً، وقد يطَّرد[٣] فيعمُّ، وقصْدُ معهودٍ غائبٍ، والأول أولى، ولا صارفَ ولو تقديرًا وذهنًا، ووضعُهُ موضعَ الظاهِرِ تعظيمًا[٤]؛ اعتمادًا على تاليه. وعكسُه[٥] لزيادة التقريرِ، والتوريعِ، وتقوية الداعي، والاستعطاف، وصحة النعت. وينتقلُ كلٌّ من المراتب إلى أخوَيه مذكورًا، أو مقدَّرًا، أو يتوارثُ الأصل والفرعُ. وسُمِّي التفاتًا؛ تعظيمًا، وتأدُّبًا، وتخصيصًا، واهتمامًا، وتتميمًا، ومبالغةً، وتنبيهًا، وتوبيخًا، وعنايةً، وتعجُّبًا، وتحيُّرًا.

العلميَّةُ[٦]: لتعيُّنه ذهنًا ابتداءً بخاصٍّ، وتعظيمًا، وتبرُّكًا، وتأكيدًا وتلذُّذًا، وإهانةً ولو كنايةً.

والصِّلَةُ[٧]: لتعيُّنها طريقًا عندهما، وزيادةَ تقريرٍ، وتفخيمًا، وإيماءً إلى بناء الخبر، فعرضَ تعريضُ تعظيمِ شأنِ الخبرِ وتحقيقه، وعكسُه، وتنبيهًا على الخطأ[٨]، وتسليةً، وتوجيهًا[٩] إلى واردٍ، واستهجانًا.

---

(١) أي: فائدة التعريف أقوى.
(٢) أي: التعريف بالإضمار.
(٣) أي: يطّرد الحكمُ.
(٤) أي: وضعُ المضمر موضع المظهر.
(٥) أي: وضع المظهر موضع المضمر.
(٦) أي: التعريف بالعلمية.
(٧) أي: التعريف بالموصولية.
(٨) أي: تنبيه المخاطب على الخطأ.
(٩) أي: توجه ذهنه. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٦/ب).

والإشارةُ(١): لتعيُّنها في ذهن المخاطب حسًّا، وكمال تميُّزه، وتعظيمًا، وعكسُه(٢)، وتنبيهًا على اتِّصافه بطَرَفيه، وعلى فطانته وبلادته ولو تعريضًا(٣)، وتهكُّمًا، وتنبيهًا على المراتب، وقد ينوبُ المضمرُ لامتيازه بأعجُوبةٍ.

وباللام(٤): كذلك لمعهودٍ خارجيٍّ، أو ذهنيٍّ، أو حاضر، والماهيةُ من حيث هي، فلا متوحِّدة، ولا متعدِّدة للقبول، وباعتبار تشخُّصها كالنكرة، ولا يخلفُها كلٌّ، وباعتبار كُليَّتها فيخلفُها، ولشمولها الإفرادَ صَحَّ الاستثناءُ حقيقةً في الجنس مطلقًا، وخصَّ العرفُ، وباعتبار خصائصه، واستغراقُ الواحدِ أشملُ من /[٣/أ] الجمع، ولا ينافي استغراق الأفراد؛ لدخوله عليه مجرَّدًا عن الوحدة، والمعنى: كلُّ فردٍ لا مجموعُها، ورجلٌ غير الرَّجل. وجُرِّدت غلبةً وتنبيهًا، فلزمت السابقةُ، وجازت المسبوقةُ(٥).

---

(١) أي: التعريف بالإشارة.

(٢) أي: التحقير.

(٣) والتعريض أبلغ من المباشرة، والتلميح أبلغ من التصريح.

(٤) أي: التعريف باللام.

(٥) قال السكاكيُّ: "واعلم أنَّ القول بتعريف الحقيقة باللام واستغراقها مشكلٌ إذا قلنا بتعريف الحقيقة القصد إليها، وتمييزها من حيث هي هي لزم أن يكون أسماء الأجناس معارف؛ فإنَّها موضوعة لذلك، وأنَّه قول لم يقل به أحد، ولئن التزمه ملتزم ليكذبن في امتناع نحو رجع رجعي السريعة والبطيئة، وذكر ذكرى الحسنة أو القبيحة، وإنَّما لم أقل رجوعا السريع وذكرا الحسن؛ قصراً للمسافة في التجنب عن حديث التنوين ما هي، ولئن ذهبت على أنَّ في نحو رجل وفرس وثور اعتبار الفردية فليس فيها القصد على الحقيقة من حيث هي هي ليلزمنك المصادر من نحو ضرب وقتل، وقيام وقعود، ورجعي وذكرى؛ فليس فيها ذلك بالإجماع، ولزم أن يكون اللام في الرجل أو نحو الضرب؛ لتأكيد تعريف الحقيقة إذا لم يقصد العهد، وأنه قولٌ ما قال به أحد، وإذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة القصد إليها حال حضورها، أو تقدير حضورها لم يمتر عن تعريف العهد الوارد بالتحقيق أو بالتقدير؛ لأنَّ تعريف العهد ليس شيئاً غير القصد على الحاضر في الذهن حقيقةً أو مجازًا". السكاكي، "**مفتاح العلوم**"، ص ٢١٤.

والكلّيُّ: الطبيعيُّ خارجيٌّ، وفي العقلي والمنطقي خلافٌ [١].

والإضافة[٢] معنًى لتعيُّنها مطلقًا، أو أخصر، أو القصور، أو الطول، أو لطرقه، وتعظيم المضاف، وإليه[٣]، وخارجٌ، وذمًّا وإهانةً، ولغيرٍ، وكفى أدنى ملابسةٍ.

وتنكيره[٤] لوحدة الشخصِ[٥]، والنوع، والجهل، والتجاهل، والخوف منه، وعليه، والكثرة، والقلة، والتعظيم، والتحقير، وإتْباعُه لأحدِ معانيه: النعتُ. وهو أخصُّ من **الوصف**[٦] معرفةً لكشف حقيقة، ورفع عروض الشيوع، والمدح، والذَّمّ، والتوكيد، ونكرةٌ لمنفكةٍ لتخصيصه وتوكيده، وترتيب حكم لفظي، فعلًا أو قوةً، وتعيين الجنس أو العدد، وشُرِط تحقُّقه؛ ليمكن إثباتها لغيرها.

التأكيدُ[٧] لتقريره نسبةً وشمولًا، وتقويته، وتصحيح العطف، ودفعِ توهُّم المجاز، وعدم الإصغاء، والسهو، والنسيان ولو ترادفٍ، وأجازها الكوفيُّ في النكرة[٨].

والإبدال منه[٩] لنيَّة تكرير الحكم، قصدًا لزيادة التقرير، والإيضاح، والأول

(١) وهذا من تأثير المنطق على الدرس البلاغي؛ فمصطلحات المناطقة وشواهدهم حاضرة في كتابنا هذا، والأمثلة التي ساقها في الأصل تؤكدُّ هذا. ويعني بالخلاف الخلافُ بين الفلاسفة. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٧/ب).

(٢) أي: التعريف بالإضافة.

(٣) أي: تعظيم المضاف إليه.

(٤) أي: تنكير المسند إليه.

(٥) أي: للإفراد.

(٦) أي: وصف المسند إليه.

(٧) أي: تأكيد المسند إليه.

(٨) أي: المذهب الكوفي. قال ابن عقيل في شرح الألفية: "ومذهب الكوفيين جواز توكيد النكرة المحدودة؛ لحصول الفائدة بذلك، نحو: صمتُ شهرًا كله". **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، (٢: ٢١١)؛ ففي الكلام حذفٌ تقديره: وأجاز المذهب الكوفي توكيد النكرة.

(٩) أي: الإبدال من المسند إليه.

مُوَطِّ، والانتقال، وتدارك البذاء، والغلط، والأفصح بل[١]، ولا يقعُ في بليغٍ[٢].

وعطفُ البيانِ[٣] لإيضاحه بمرادفٍ أشهر حينئذٍ، وطَرَدَه الفارسيُّ في النكرةِ نصًّا على الوحدة والعدد.

والنسقُ[٤] تفصيلًا مختصرًا بالمسؤول، والمسند[٥]، والمعقّب، والمتراخي، والمدرّج إلى الغاية مبالغةً في قوّة، أو ضعفٍ، أو علوٍّ، أو دنوٍّ، فآخر جزء، والجارّةُ ملاقيةٌ.

والمظهرُ على المضمر[٦] تعظيمًا، وتدارُكًا، وتنبيهًا /[٣/ب] على الخطأ، وشكًّا، وتشكيكًا، وإباحةً، وتخييرًا لا تفسيرًا.

وإطلاقُه منها لفظًا اعتمادًا على السياق في أحدها. ومعنى اقتضاء الحال: عُرُوّه عنها؛ لفوات معانيها.

وتقديمه[٧] أصالةً، وتشريفًا، وتفؤُّلًا، وتعظيمًا، ومَسرَّةً[٨]، وقصْد اتصافه، وتقوية الحكم واستمراره، ووجوبًا إذا تضمَّن مُصدِّرًا، أو التبس، أو ضمير شأنٍ، أو إخبارٌ عن الذي والْ. وتأخيره أصالةً وجوبًا للبصري[٩]، وتوسُّعًا، وإذا خلفه المسندُ[١٠].

---

(١) كقولك: هذا بغلٌ بل فرسٌ. ينظر: **رسم البراعة في علم البلاغة** للجَعبري، (٨/ب).

(٢) أي: لا يقعُ في كلامٍ بليغٍ.

(٣) أي: بيان المسند إليه.

(٤) أي: العطف على المسند إليه.

(٥) أي: تفصيل المسند.

(٦) بدأ المؤلِّفُ هنا بذكر صور تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وذكر الصورة الأولى: وضع المظهر موضع المضمر.

(٧) أي: تقديم المسند إليه.

(٨) أي: لتعجيل المسرة.

(٩) أي: تأخير المسند إليه وجوبًا في المذهب البصري، وهي حالات وجوب تقديم الخبر حيث يجب تأخير المبتدأ، مثل إذا كان المبتدأ نكرةً، والخبر جار ومجرور، هنا يقدّم المسند، ويؤخر المسند إليه وجوبًا، مثل: في الدار رجلٌ؛ فالمسند هنا خلف المسند إليه وجوبًا، ووجب لذلك التأخير. ينظر: **شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك**، (١: ٢٣٩).

(١٠) بهذا ختم الحديث عن أحوال المسند إليه.

أحوالُ المسند: وهو في الاسمية خبرُ المبتدأ وإن نُسِخ[١]، وفي الفعلية الفعلُ.

إثباته[٢]: أصالةً في السعة، وتقديرًا، وعدم فهمه[٣]، واحتمال تقديره، ومقام البسط، ولذَّةً، وتعظيم المسنَد إليه، والتعجُّب منه[٤][٥]، وتعريضًا بجهل المخالف، وإهانةً.

وحذفه: علمًا به وجوبًا مخلوقًا لمجرد الكون، وجواز الأول، وأقوى[٦]، أو يُخلّ تقديمًا، وتأخيرًا، وضيقًا[٧]، وتعلُّقُ غرضٍ.

وتنكيره: أصالةً، وحكايةً، وغيرَ معهودٍ، وتعظيمًا، وخطأً، وقضاء حقِّ المسند إليه.

وتعريفه: بأحدهما لتشخيصه عند السامع لأحد الأمرين، وقصرًا، ومبالغةً، ولزومُ رتبته عند لزوم المسنَد إليه؛ ذلك للتدافع. وجوازه: أصالةً[٨]، وترتيبه عليه، وأهمّ[٩].

ووجوب تقديمه: تضمُّنُه مصدرًا، مفردًا، وتصحيحًا، وتخصيصًا. وجوازُه: أهميَّته، وبشارةً، وتشويقًا، وتفؤُّلًا، وتنبيه المخبَر به أوَّلًا، وقصْد التجرُّد، والتخصيص. وإتْباعه: لأحد معانيه مطلقًا. **وإضافته:** لأحد معانيها. **وإطلاقه منها:** لعدم

---

(١) أي: دخلت عليه إحدى النواسخ: إنَّ وأخواتها، كان وأخواتها، ظننتُ وأخواتها.

(٢) أي: ذكر المسند.

(٣) لعمومه. وهو التعريض بغباوة السامع.

(٤) قال السكاكيُّ: "أو قصد التعجيب من المسند إليه بذكره، كما إذا قلت: زيدٌ يقاومُ الأسد، مع دلالة قرائن الأحوال". السكاكي، "**مفتاح العلوم**"، ص ٢٠٧.

(٥) لقرينةٍ. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٩/ب).

(٦) كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٩.

(٧) أي: ضيق المقام.

(٨) أي: للأصل.

(٩) لعلها: وكونه أهم. هكذا في الأصل. ينظر: في الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٠/أ).

مقتضاها. **واسميَّته**: للاستمرار، وعموم الأزمنة. **وفعليَّته**: تقييدًا بأحدها[١]. **والمُحقِّق**: الحالُ، والمستقبلُ لإفادةِ التجدُّدِ، وإضمارُ فاعله وإظهاره بقسمَيه[٢] /[٤/أ] على مقتضَى الحال، وإفراده لكونه فعليًّا غير سببيٍّ، وقُصِد مجرَّدُ الحكم.

وجمليَّتهُ: تقويةً للحكم لمجرَّد التركيب، وكونه سببيًّا، أو فعلًا يطلبُ الإسناد إلى تاليه، ولا بُدَّ للأجنبية من رابطٍ ولو تقديرًا، وبابُه العمومُ. **وتنويعُها**[٣]: لأحد الأمرين. **وظرفيَّتها**: اختصارًا واحتمالًا، وتقابلُ الأصلان[٤]، وحذفُ أحدهما تكثيرُ الفائدة، وحذفُهما لهما، وأبلغُ، وقُدِّم المصحِّح من المحتَملين، وعُدَّ حكمهما إلى غيرهما بالعلَّة الجامعة ممَّا أريتك[٥].

متعلقات الأفعال وفروعها:

كلُّ جملةٍ تنحلُّ إلى مفردين ولو تقديرًا، وحُذف كلٌّ فذًا وتوأمًا، واستلزام الفعلِ الفاعلَ جعله كآخر أجزائه، فإثبات الفعل وهو المعلّق طلبُ المقامِ لفظه أصالةً، ولا صارفَ، وعمّ، واهتمامًا، وبسطًا.

وحذفُهُ مع القرينة اختصارًا سماعيٌّ مثلًا[٦]، وقياسيٌّ مفسِّرًا بعد مختصٍّ، وغالبٍ، وطالبٍ، أو حرف جرٍّ ابتداءً، واقترانًا، وكونًا، وجوازًا معها دونه جوابَ مقامِ بسطٍ، ومقدَّرٍ، فالفاعلُ مقدَّمٌ له، وهو واحدٌ، ولا يُحذَفُ نسيًا؛ فإن استقلَّ معنى الفعل به فلازمٌ، أو تعلَّق بمحلٍّ حقيقةً فمتعدٍّ إلى مفعول به، ولو بوسطٍ، ويتعدَّدُ.

والمفعولُ ما تضمَّنه الفعلُ حدثًا، وزمنًا، والتزمه مكانًا، واستدعاه محلًّا، وحاملًا، ومصاحبًا.

---

(١) أي: أحد الأزمنة الثلاثة.

(٢) وجوبًا وجوازًا.

(٣) أي: فعليةُ الجملة واسميتها.

(٤) أصلا المسند.

(٥) بهذا ختم المؤلِّفُ الحديث عن أحوال المسند.

(٦) أي: كونه مثلًا.

والحقيقيُّ المطلقُ، ولها رُتبٌ تظهر في النيابةِ، ففائدة تقييد الفعل بأحدهما ومشبهها تكميلُ الفائدةِ، وعُدِّي اللازمُ سماعًا بالهمزة والتضعيف. والقاصرُ بحرف جَرٍّ حُذِفَ سماعًا، فاحفظ معانيه(١)، ويتعارض، ويلزم /[٤/ب] كلٌّ من الفاعل والمفعول به رتبَتَه لاتصال الفاعل، وعدم قرينةٍ، وينعكس لاتصال مجرَّد المفعول، والتفسير، والفاصلة. وجاز كلٌّ اهتمامًا، وبُعْدًا، وتبكيتًا، وخوف اللبس. وتقديمُ المفعول به على الفعل إرشادًا، واهتمامًا، وتخصيصًا، وبعض المفاعيل على بعضٍ عمومًا(٢)، وتخصيصًا، واهتمامًا، والقرينة.

وإثباته أصالة التلبُّس في بسطٍ وزيادةِ تقريرٍ، وإنكارٍ، أو تعظيمًا، وامتنانًا، وأدبًا، وتلذُّذًا، وفاصلةً، وتعجُّبًا، وقصور ا لقرينة.

وحذفُه مرادًا(٣) اختصارًا في مقامه معها(٤)، وتعميمًا، وتأدُّبًا، وتنزيهًا، وفاصلةً، ونسيًا؛ لتعلُّق الغرض بالمصدر، وقصْد حال الفاعلِ، وخَلاصًا من طول المستَوى، وإيهام ترجيح المتساوي، أو في الخطابيِّ، والجهل به، والإيهام، والمبالغة، والتبكيت، والاحتقار، ولئلَّا يوهم غير القصْد بداءً، والحصول، ودفع المواجهة، والتكرار، والفاصلة، وبالمطلق لتأكيده، فيوحِّد إلَّا للنوع، ونائبه فيجب حذفه في الدعاءِ، والتكرير إلَّا إذا تجرَّد تأكيدًا، ونوعه وعدده، وفيه لزمانه ومكانه، ومعه للمشارك، وله للعلة الغائبة. وبالحال: لبيان هيئةٍ متلبسةٍ، وتأكيدًا، والتمييزُ مبالغةً، وبالشَّرطِ تعليق أمرٍ إلى آخر لزوميًّا واتفاقيًّا، ووضعُه الاحتمالُ والاستقبال، فلا يُعدَل إلَّا لراجحٍ معارضٍ تختلفُ بأدواته، وهذا التركيبُ يُنزِّلُها منزلةَ الأجزاء، فيتعلَّق الإيجاب والصدقُ ومقابِلاهُما بالرَّبط، ويتعدَّد فيتلازم فللأول، وبالعطف لهما. وجاز رفع الحشو، ونصبُ

(١) تأكيدٌ المؤلِّف على حفظ معانيها؛ لأنَّها سماعية. والأصل في السماعي أنَّه يُحفظ. وهذا يتناسُب مع مقصدية تأليف الكتاب؛ ليسهُلَ حفظه وضبطه.

(٢) للتعميم.

(٣) أي: عن قصد.

(٤) مع القرينة.

المعطوف، ويجري مجراه في الاحتمال، «فإنْ» و«بما» للمستقبل، وجزْمتهما، وقلَّ رفعُ الثاني عكس انفراده بالمضارعة. وتُجوُّز بالماضي للتهيؤ، والرغبة، والتفؤُّل، /[٥/أ] وتقديرِ وقوعهِ، والتعريضِ، وبالأمر لأنه أنصُّ، وبالاسمية مبالغةً، وبالواجب تجاهُلًا، وشكِّ المخاطب وتجهيله، وإبهام وقته، وفرض المستحيل، والتوبيخ.

و«إذا» و«بما» للزمان المحقَّق المستقبل، والأفصحُ المضيُّ. و«إذ ما» كإن فيهما، وأشد إبهامًا، وعن سيبويه مكانيٌّ[(١)]. و«متى» و«بما» لعموم الوقت المستقبل المحتمل. و«إيان» و«بما» أبلغُ. و«أين» و«حيث» و«بما» لعموم المكان كذلك. و«أنّى» لعمومه، وحال الشرط. و«مَن» لتعميم العقلاء كذلك. و«ما» عامَّةً[(٢)]، و«مهما» أعمُّ بالنون. و«أي» و«بما» وأخِّرت تعميمًا، وأعربت، ولا تضافُ في المعرفة إلى واحدٍ. و«لو» الامتناعيَّة للمضي كذاك[(٣)]، وتعيَّن فعليةً جمليتها؛ لتعليق ما امتنع بامتناع غيره، وإثباتُ لام الثاني المثبت أكثرُ، عكسُ النفي، والإثباتُ في سياقها نفيٌ، وبالعكس عكس «لولا»، وقد يكون لربط مقدَّرٍ، وهو ثابتٌ على كلِّ حالٍ؛ للزوم نقيضه لسياقٍ[(٤)] أو حالٍ، وقد يكون مضارعًا؛ لتحقِّق الوقوع، أو لغرض استمرار الامتناع، أو استحضار من نُسب إليه، أو وقعَ عليه، وصورةٌ بديعةٌ، وفائدةُ الأسماء الإيجاز.

القصرُ: الحصر[(٥)]، والنسبةُ لمجرَّد الحكم، فإن قُصِد زائدٌ بُيِّن، ويكون بين كلٍّ

(١) ذكر المالقي أنَّ (إذ) تكون حرفًا عند سيبويه في باب الشرط والجزاء بشرط اقتران (ما) بها؛ فإذا صرنا إلى الشرط قلنا: إذا ما تقم أقم، وإذا ما جئت فاضرب زيدًا. ينظر: المالقي، "**رصف المباني في شرح حروف المعاني**"، ص ٦٠. هذا يعني أنَّ إذ تستعمل ظرف زمان، وظرف مكان عند سيبويه. (مكاني) أي: ظرف مكان.

(٢) تأتي للعاقل، وغير العاقل.

(٣) لأنَّه من حيث وضعها لتعليق ما امتنع بامتناع غيره. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٤/أ).

(٤) أي: لقرينة سياق.

(٥) الحصرُ للنحوي، والتخصيصُ للأصولي. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٤/ب).

من المتعلقين[(١)]، والمشتبهين، والمتشابهين حقيقةً ومجازًا مبالغةً، وأُوّلَ الممتنعُ والمنفيُّ المفارقُ المتوهِّم **قصرُ إفرادٍ** إن ميَّز شركةً شرطُه عدمُ تنافي الوصفين، **وقلبٍ** إن عكسَ المخاطبُ فيُنافِيها، **وتعيينٍ** إن رفعَ إبهامَ المتساوي، وهو أعمُّ[(٢)].

وطرقه ستةٌ: عطفُ النسَق، والمحصورُ فيه المثبتُ، قصرُ الموصوف على الصفة إفرادًا لمعتقدها، وقلبًا لمعتقد عكسِه، وتعيينًا لمتوهِّم تساوى أحدهما، والنفي والاستثناء ألَّا يلزم مستثنًى منه عامًّا مناسبًا وصفًا وجنسًا لمصِرٍّ على /[٥/ب] إنكاره ولو تقديرًا، والمحصور مباشرها بقصرِه عليها، حملًا للغبيِّ على الذكيِّ، وعكسُه.

وأجاز الكسائيُّ تقديمَ المحصورِ[(٣)]، وابنُ الأنباري في المفعول[(٤)]، وإنَّما، وغلبَ

(١) كالصفة والموصوف، والنعت والمنعوت، والفعل والفاعل والمفعول.

(٢) أنواع القصر الثلاثة: الإفراد، والقلب، والتعيين.

(٣) يقصد به تقديم الفاعل المحصور؛ فقد جاء في كافية ابن الحاجب: فلو قدمت الفاعل مع إلا، فقلت: ما ضرب إلا زيدٌ عمرًا منعها البصريون...وأجاز الكسائي والفراء وجماعة، واحتجوا بقوله: ما عاب إلا لئيم فعلَ ذي كرم، وجاء في حاشية الكتاب في هذا الشاهد أنَّ الشاهد فيه ما عاب إلا لئيم فعلَ، حيث قدّم الفاعل المحصور بإلا، وهو لئيم، ومفعوله فعل ذي كرم. ينظر: صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم، "**النجم الثاقب في شرح كافية ابن الحاجب**"، تحقيق: محمد جمعة حسن نبعة، (صنعاء: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ١٨٦. والشاهد الشعري متداول في كتب اللغويين والنحويين، ينظر: السيوطي، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، (٢: ٢٦١)، وشرح الأشموني، (٢: ٥٧).

(٤) أي: وافق الكسائي في تقديم المفعول. وقد ورد جواز ذلك في شرح ابن عقيل، قال: "وأما المحصور بإلا ففيه ثلاثة مذاهب: أحدها، وهو مذهب أكثر البصريين، والفراء، وابن الأنباري: أنه لا يخلو إما أن يكون المحصور بها فاعلًا أو مفعولًا، فإن كان فاعلًا امتنع تقديمه؛ فلا يجوز ما ضرب إلا زيد عمرا، فأما قوله: فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا فأوّل على أنَّ ما هيجت مفعول بفعل محذوف والتقدير درى ما هيجت لنا، فلم يتقدم الفاعل المحصور على المفعول؛ لأنَّ هذا ليس مفعولًا للفعل المذكور، وإن كان المحصور مفعولًا جاز تقديمه، نحو ما ضرب إلا عمرا زيد.

الثاني: وهو مذهب الكسائي أنه يجوز تقديم المحصور ب إلا فاعلًا كان أو مفعولًا.

=

كفُّها، والمحصورُ تاليها، وشرطُها السابقُ إلَّا في التقديم لمنكرٍ لا يُضِرُّ، أو يجب بإلَّا، أو يعلمه المخاطبُ جليًّا، والتعريضُ. والتزمَ هنا الترتيب خوفَ اللبسِ، والتقديمُ لردِّ مخاطبك إليك في إحدى مخالفتين، ويكون في النفي أيضًا، ومنه قصر الموصوف على الصفة، وعكسُه(١). واللام في الخطابيّ(٢) حقيقةٌ، وتنوعٌ، ومبالغةٌ حيث لا عبرة بغيره، وقد يخرج تنبيهًا على شهرته، ولاستحقاقه ذهنًا لا يُنكر، وظهرَ في الصفة فكثُر، ويستغرقُ(٣).

والفصلُ: عمادٌ للكوفي(٤)، صيغةُ مرفوعٍ منفصلٍ مطابقٍ لتعيين الخبر الملبس بالصفة وشبهه، ولعلّهُ مُقوٍّ له فيه، وربما أكَّد نِسَبُها تشترك في أنَّ المخاطب يحقق صواب المخاطب، وينفي خطأه، ففي القلب كون الموصوف على أحد الوصفين، أو الوصف لأحد الموصوفين، والإفراد يثبت صوابه في بعضٍ، وينفي خطأه في آخر.

وتتمايزُ في أنَّ دلالةَ الأول بالوضعِ والآخرُ بالفحوى، والأول ينصُّ فيه المثبتُ والمنفيُّ أصالةً، والبواقي على المثبت.

ولا يُجامعُ العطفُ الاستثناءَ لسبق نفيه؛ بل الآخر كأنَّما للضمني بشرط ألَّا

=

الثالث: وهو مذهب بعض البصريين، واختاره الجزولي الشلوبين أنه لا يجوز تقديم المحصور ب إلا فاعلًا كان أو مفعولًا".**شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، (٢/ ١٠٤).

(١) أي: قصر الصفة على الموصوف.

(٢) يحترز بالخطابيّ عن المقام البرهاني. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٥/ب).

(٣) المستغرقةُ، نحو قولهم: أنت الشجاع، أي: كلهم. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٦/ب).

(٤) المقصود به ضمير الفصل، يسمّى فصلًا هذا في اصطلاح البصريين، وقال الخليل وسيبويه سمي فصلًا؛ لفصله الاسم الذي قبله عمَّا بعده، والكوفيون يسمونه عمادًا؛ لكونه حافظًا لما بعده حتى لا يسقط عن الخيرية كالعماد للبيت، الحافظ للسقف من السقوط. ينظر: ابن الحاجب، "**شرح الرضي على الكافية**"، ص ٤٥٦.

يختص الموصوف، أو لا يَحسُن حسنَ غيره، وميَّز (إنَّما) على العطف بعقل الحكمين معًا، وأحسنُها التعريضُ، و«ما إلَّا» و«إنما»، وأن يقاربا فلم يترادفا، فذي أقوى في التخصيص(١)، وتلك في نفي الاشتراك(٢).

تنبيهٌ(٣): التقدُّمُ والتأخُّرُ بالذاتِ، والطبعِ، والوضعِ، والزمنِ، والشرفِ؛ كالمعية معنويٌّ؛ لقبول الشيء أحوالًا تعتقب عليه كصحَّته للحملِ والوضع، وكونه فاعلًا ومفعولًا، والذاتي(٤) ترتُّبه لفظًا لترتُّبهِ /[٦/أ] ذهنًا(٥)، والتقديمُ والتأخيرُ(٦) لفظيٌّ، فتغايرا(٧)، فتقديمُ صيغة العموم على حرف السلب ينتجُ عموم السلب، ويناقضُه لإثبات الخاص، وتأخيرُها عنه يُنتِج سلبَ العُموم فلا يناقضُه، ونفيُّ العمومِ يقتضي خصوصَ الإثبات على القول بدليل الخطاب، والحقُّ أنه كما لا يقتضي عمومَ السلب، لا يقتضي خصوصَ الإثبات. وإذا اتصل النفيُ بكلامٍ فيه قيدٌ توجّه إليه، والموجبةُ المعدولةُ المهملةُ في قوَّة الجزئية السالبة المستلزمة سلب الحكم عن المجموع دون كلِّ واحدٍ واحدٍ؛ فإن سُوِّرت كانت لنفي كلِّ شخصٍ شخصٍ، ولو أُخِّرت انعكسَ؛ لأنَّ السالبةَ المهملةَ لوُرُود موضوعها كليًّا في سياق النفي في قوَّة السالبة الكليَّة المفضية سلبَ الحكم عن كلِّ فردٍ دون المجموع، فإن سُوِّرت انعكسَ، وإلا يلزم رجحان التأكيد على التأسيس، وفيه نظرٌ لعدم تحقُّق العدول والتحصيل في

(١) يعني: إنَّما.

(٢) يعني: وما إلا.

(٣) في الأصل: تكميل. وهو منهجٌ عند المؤلف بعد بعض الأنواع والمباحث البلاغية؛ لزيادة التوضيح والشرح بشأن بعض المسائل التي تتطلبُ ذلك. وهي منهجيةٌ نفيسة في مثل هذه الكتب التي تستهدف التعليم والتدريب والتقعيد.

(٤) أي: التقدم الذاتي.

(٥) كالمبتدأ في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية.

(٦) كالصلة والتابع.

(٧) لذا جاء اعتبار كلٍّ من حالتي ذا لا ذاك كما تقدم. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (١٦/ب).

السالبة؛ لاحتمال تقدير السالب قبل الرابط فسالبةٌ محصلةٌ[1][2]. **ج** ليس هو **ب**، وبعده فموجبةٌ معدولةٌ. **ج** هو ليس **ب**. وتقديمُ الاسم إلى النافي على الفعل لنفي الفاعل، وتأخيره عنه لنفي الفعل، وكذا الاستفهام، وللإنكار، والتوبيخ، ونفي الفعل بنفي أقسامه أبْلَغُ، ومع المضارع لإنكار الفعل والفاعل إهانةً وتعظيمًا؛ تنبيهًا للفاعل على سُوءِ فعله ليرجع، وقد يُنزَّل الظنُّ منزلةَ محاولٍ محالٍ، والمفعولُ كالفاعلِ، والحالُ أشبه بالمضي من الاستقبال، وتأخيرُ الخبر المنفي آكدُ من تقديمه، والمثبت كالمنفي، وتأخير النكرة عن الفعل لمجرَّد الحكم، وتقديمها عليه للوحدة والنوع، ويلزم تقديمُ الاسمِ للعمومِ والخصوص[3].

الإنشاءُ: تضمينُ الجملة الخبريَّة معنى الطلب[4]، /[٦/ب] ومن ثَمَّ غلَب في الفعليّة، ويقتضي مطلوبًا معدومًا حينئذٍ، إمَّا ألَّا يستدعي إمكانَ الحصول ذاتًا ماضيًا وآتيًا، أو قرينه، وهو أعمُّ من يستدعي ألَّا يمكن تنبيهًا على أنَّ التنويعَ دائرٌ بين الأعمِّ ونقيضِه فقط، وفرعُه التمنّي، أو يستدعي ما في الخارج للذهن تصوُّرًا أو

(١) وهذا من أثر علمي أصول الفقه والمنطق على المؤلّف؛ فله مؤلّفاتٌ في أصول الفقه، منها: مشتهى النهول في علم الأصول؛ ومن هنا قام بتوظيف المصطلحات الأصولية والمنطقية في المباحث البلاغية؛ للعلاقة الوطيدة بين هذين العلمين مع علم البلاغة؛ ولوجود مجموعةٍ من المباحث المشتركة بين البلاغة وأصول الفقه على وجه التحديد. ينظر مثلًا: محمد بن عبد الله الزركشي، "**البحر المحيط في أصول الفقه**"، (ط١، دار الكتبي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، (٤: ٨٩).

(٢) يبحثُ علماء البلاغة قاعدة عموم السلب، وسلب العموم في علم المعاني، وذلك ضمن باب التقديم والتأخير، وتحديدًا عند الكلام عن الأغراض البلاغية؛ لتقديم المسند إليه إذا اجتمع في الجملة أداةٌ تدلُّ على العموم، وأداةٌ تدلُّ على النفي. والسلب المراد به النفي، والعموم المراد به الشمول والاستغراق. ينظر: يحيى بن حسين الظلمي، "**قاعدة عموم السلب وسلب العموم وتطبيقاتها الأصولية**"، *مجلة الجمعية الفقهية السعودية*، (٢٣)، ٢٠١٦م، ص ٨٣.

(٣) عنايةُ المؤلف واضحةً ظاهرةً في ذكر الأغراض البلاغية رغم اختصار كتابه؛ ففي كلِّ مبحثٍ بلاغيٍّ يؤكدُّ الأغراض البلاغية التي تكمنُ خلف الأسلوب تعدادًا، مع بيانٍ مختصر. وهذه قيمةٌ إضافيةٌ للكتاب؛ لأنَّ البلاغة تكمنُ خلف هذه المعاني الثواني.

(٤) الإنشاء طلبي، وغير طلبي.

تصديقًا، وفرعه الاستفهام أو عكسُه. وفرعُه الأمر، والنهي، والنداءُ، وتحقيقُ المطالب في المدخل[١].

التمنّي: وموضوعه «ليت»[٢]، ونوّنت باعتبار المصدر[٣]، وتجوّزَ بـ«هل» تعذُّرًا، وبـ«لو» مصدريةً مع ودّوا[٤] ودونها، ونوّنت، وبـ«لعلَّ»، و«علَّ»، و«لعَنَّ»[٥]، وجُرَّت لبُعدِ المرجوّ. واحتمل تركيب «هلَّا» و«لولا»؛ لتأكيد تقديم المضِي، وسؤال الأعلى في الاستقبال، واستبطاء الأدنى.

والاستفهامُ: طلبُ فهمٍ مفقودٍ حينئذٍ وضعًا، وموضوعُه الهمزةُ، وهي الأصل فيه؛ لتقدُّمها على العاطفِ ولو لطلبِ تصوّرٍ، أو تصديقٍ، ويليها مسؤولها في المسنَد إليه، والمسندِ، والمفعولِ، وتُجوّزَ بها تقريرًا، وإنكارًا، وتكذيبًا، وتوبيخًا، واستبعادًا، وتهديدًا، ونفيًا[٦].

و«هل» للتصديق، ولذا اقتضت الفعلَ، واستقبالَ المضارع، والعدولُ لنكتةٍ بسيطة

---

(١) هذه أساليب الإنشاء الطلبي، وهي: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء. وسمَّاها المؤلفُ فروعًا.

(٢) أي: أداته؛ فأداة التمني: ليت، وأداة الترجي: لعلَّ.

(٣) أي: تحويل كلمةٍ ليست اسمًا إلى اسمٍ يجري عليه ما يجري على الاسم العادي، ومنها: (ليت، ولو)، ومنه قول الشاعر: ليت شعري وأين منّي ليتٌ إنَّ ليتًا وإنَّ لوًّا عناءُ، يقول ابن مالك في الكافية: وإن نسبت لأداة حكمًا فاحكِ أو أعرب واجعلنها اسمًا. ينظر: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، "**حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، (١: ٥٦).

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ سورة القلم، آية: ٩.

(٥) ورد في (لعلَّ) اثنتا عشرة لغة، منها ما ذكره المؤلف. ينظر: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، "**الجنى الداني في حروف المعاني**"، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ٥٨٢.

(٦) هذه الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام بالهمزة.

ومركَّبة، وتجرَّدت كـ«قد»، فجامعتها، وتُجوِّز بها توبيخًا، وتنديمًا، وتقريعًا، وأمرًا[١].

و«أم» المتصلة للتصوُّر، المعادلةُ لهمزتِه يلي كلٌّ منهما ما يلي الآخر من المبهمين بـ أو، ولتعيينه، والمنقطعة غيرها للتصديق، ولذا عادَلَت «هل» كـ بل، فالهمزة. ونابت الهمزة التصوريَّة من سؤالٍ عن جنس ذوي العلم وأشخاصه، وتحقيرًا وتهوُّلًا. و«ما» عن وصفهم، ومطلق الجنس، وإنكارًا، وتقريرًا، وإيناسًا، وانتظارًا، وتضجُّرًا، وتعظيمًا. و«أنَّى» لميز أحد المتشاركين ذاتًا وعرضًا، وتعظيمًا. و«كيف» مبهمٌ عن الأحوال، وتعجُّبًا، وإنكارًا، وتوبيخًا، وإباحةً. /[٧/أ] و«متى» عن الزمان عمومًا[٢]، واستبعادًا، وجحدًا. و«أيان» عن المستقبل تفخيمًا. و«أين» عن المكان، وتقريعًا، وتنبيهًا عن الضلال. و«أنَّى» كذا[٣]، واستبعادًا، وكـ«كيف» في غيره. و«كم» عن العدد، وتوبيخًا، واستبطاءً، وتهديدًا.

وصُدِّرَ[٤] اهتمامًا وتنبيهًا، فلا يتقدَّم عليه شيءٌ من متعلِّقِه، وحَقُّ جوابه المطابقةُ، وأعمُّ للمرشدِ[٥].

الأمر: طلبُ الفعل من المكلَّف الغائب بلامه الجازمة المكسورة، وربما سكنت متصلةً، والمخاطب بصيغة «افعل»، واسمها مع الاستعلاء، والعلوّ دعاءٌ من الأدنى، التماسٌ من المِثْل، وجُمعا للعموم، والأصحُّ أنه حقيقةٌ في الوجوب، وأنَّه للفورِ[٦]، وأنَّه

(١) هذه الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام بـ (هل).

(٢) أي: أنَّ الأصل فيها أنَّها للسؤال عن الزمان.

(٣) أي: كـ (أين) في بعض مواضعها.

(٤) أي: أنَّ أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام.

(٥) الأصل أن يأتي الجواب مطابقًا للاستفهام، وقد يزيد الجواب عن الاستفهام بقصد الاسترشاد.

(٦) هذا ترجيحٌ من المؤلف أنَّ الأمر للفور، وليس للتراخي، والخلاف قائمٌ بين الفقهاء في ذلك. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، "**المحصول**"، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م). ويقول السكاكي: "والأمر والنهي حقهما الفور، والتراخي يوقف على قرائن الأحوال؛ لكونهما للطلب، ولكون الطلب في استدعاء تعجيل المطلوب =

لا يقتضي التكرارَ بمجرَّده. وتجوُّز[١] بالندبِ، والإباحةِ، والدعاءِ، والتلطُّفِ، والإلزامِ، والامتنانِ، والإرشادِ، والتكوينِ، والتهديدِ، والإهانةِ، والتحقيرِ، والتسخيرِ، والتسويةِ، والتأديبِ، والتمنّي.

النهي: طلبُ كفٍّ بلا الناهية الجازمة مع أحدهما، وعمَّت، وشذَّ فصلُها، والفورُ ثَمَّ أظهر، وليس أمرًا بضدِّه المنحصِرِ في الأصحّ، والحقُّ إن كانا لقطع الواقع؛ فالمدَّةُ، أو اتصاله؛ فالاستمرارُ. وتجوّز[٢] بالدعاءِ، والإباحةِ، والتنبيهِ، والإرشادِ، والتأنّي، والتذكيرِ، والرجاءِ، وبيانِ العاقبة، والتهديدِ، واليأسِ، والتعريضِ، والتعطُّفِ، والعرضِ.

والتحضيضُ[٣] آكدُ تفرُّعًا من الاستفهام، وما بعدها من المجزومات، أجوبتها الفارسي لشرطٍ مقدَّرٍ.

النداءُ: المنادى مطلوبُ الإقبال بحرفٍ ينوبُ فعلَ الإنشاء ولو تقديرًا، أو ناب الميم ياء، وأحدث فيه نوع تخصيصٍ، وجرّد عنه[٤] فنُدِب بياءٍ تفجُّعًا، وميّز بواوٍ جُرّد له.

وتعارَض الإنشاءُ والخبر[٥] لنكتةٍ لنفي تفاوتِ الخبرِ، وللرضى /[٧/ب] بطلبٍ، ومبالغةِ التساوي، والتعجُّب، ثمَّ كراهة تكذيب الطالب[٦]، والتأدُّب،

=

أظهر منه في عدم الاستدعاء له عند الإنصاف والنظر". السكاكي، "**مفتاح العلوم**"، ص ٣٢٠. ويخالفه القزويني بقوله: "والحقُّ خلافه؛ لما تبين في أصول الفقه". القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١٦٢.

(١) الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر، وقد ذكر المؤلّف في الأصل شواهد على كلّ غرضٍ. ومن منهجه في كتابه الأصل كثرة الشواهد القرآنية والشعرية على جميع المباحث والأساليب والفنون والمسائل والأغراض.

(٢) الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي.

(٣) أي: العرضُ.

(٤) أي: عن الطلب.

(٥) وقوع الخبر موقع الإنشاء.

(٦) في الأصل: وحملُ المخاطب على المطلوب كراهة تكذيب الطالب. ينظر: الجعبري، "**رسم**

=

والتفؤُّل، ويسري إلى كلٍّ منهما بعضُ أحكامِ الآخرِ بالجامع، ويُمنع بالفارق.

الوصل والفصل[1]: المعنويُّ أثناءُ الكلام، ومن ثَمَّ بايَن الوقفَ، وهو غيرُ اللفظيِّ وإن دَارَ عليه، والخطيُّ وإن نزعا إليه، ويتعلُّق بالمشترِكِ، وهو واو العطفِ، وهو لمطلقِ الجمعِ، لا للجمع المطلقِ، ولا للترتيب خلافًا للفرَّاء[2]، ولا ينافيه، ولا المعية، وعطفُ

=

البراعة في علم البلاغة"، (٢٠/أ).

(١) تمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فنٌّ منها عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بدقائقه إلا من أوتي فهم كلام العرب، ورُزق إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا، لذلك قصرَ بعض العلماء البلاغةَ على معرفة الفصل من الوصل. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ١٦٥.

(٢) قال ابن يعيش: " اعلم أنَّ الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي والعرض يكون جوابها مجزومًا، وعند النحويين أنَّ جزمه بتقدير المجازاة، وأنَّ جواب الأمر والأشياء التي ذكرناها معه هو جواب الشرط المحذوف في الحقيقة؛ لأنَّ هذه الأشياء غير مفتقرة إلى الجواب، والكلامُ بها تامّ. ألا ترى أنك إذا أمرت، فإنّما تطلب من المأمور فعلاً؟ وكذلك النهي، وهذا لا يقتضي جوابًا؛ لأنَّك لا تريد وقوفَ وجود غيره على وجوده، ولكن متى أتيتَ بجواب، كان على هذا الطريق، فإذا قلت في الأمر: "إيتِني أكرمْك"، و"أحْسِنْ إلي أشكرْك"، فتقديره بعد قولك: "إيتني إن تأتني أكرمك"، كأنك ضَمِنْت الإكرامَ عند وجود الإتيان، ووعدت بإيجاد الإكرام عند وجود الإتيان، وليس ذلك ضَمانًا مطلقًا، ولا وَعدًا واجبًا، إنما معناه: إن لم يُوجَد لم يجب، وهذه طريقة الشرط والجزاء. والنهي قولك: "لا تَزُرْ زيدًا يُهِنْك" على تقديرِ: إن لا تزره يهنك، ولذلك قال النحويون: إنه لا يجوز أن تقول: "لا تَدْنُ من الأسد يأكلْك"؛ لأنَّ التقدير: "لا تدن من الأسد إلا تدن من الأسد يأكلك"، وهذا محال؛ لأنَّ تباعُده لا يكون سببًا لأكله؛ لأنه يُعاد لفظُ الأمر والنهي، ويُجْعَل شرطًا وجوابه ما ذكر بعد الأمر والنهي، وإذا قلنا: "أكرِمْ زيدًا يكرِمْك"، فالذي تضمره من الشرط "إن تكرم زيدًا". ولو قلت: "لا تدن من الأسد يأكلُك بالرفع"، جاز؛ لأنَّ معناه: يأكلُك إن دنوت منه، وكذلك لو قلت: "لا تدن من الأسد فيأكلَك" بالفاء والنصب؛ لأنه يكون تقديره: "لا يكن دُنُوٌّ فأكلٌ". والاستفهام: "أين بيتُك أزُرْك؟ " كأنه قال: "أين بيتك؟ إن أعْلَم مكانَ

=

المفرد يشترك في الإعراب والمعنى، والجُمل فيه، والمفردُ غيرُ الواحد، والكلم المسرودةِ غير مركَّبةٍ محكيَّةٍ، أو مركَّبة غير صفاتٍ نُسِقت، أو صفاتٍ اتبعت، وكفى ضميرُها، وجاز قطعُها، وعطف غير الأولى، وفَصُحَ إن تقابلت، وترتيبها الخاصُّ، فالعامُّ، فالأعمُّ، والجملة المولية بالمفرد مثله، والصريحةُ إذا تلتها أخرى إن كانت جوابًا كفى الرابطُ، أو غيره، فإن كمل تلبُّسهما فمحلُّ الوصلِ، أو تباينهما فالفصل، أو تذبذب، فهنا تحيَّر البليغُ؛ لتشعُّب التجاذب.

وشرطُ العطفِ تقدُّمُ متبوعٍ مقصودٍ مُغايرٍ لتالي العاطف، والتشاركُ في أمرٍ ما، وصلاحيته للخلف، فإن قُصِد زائدٌ جيء بالمقتضى كفاء التعقيب، وقرَّب، وهيَّأ[1]. و«ثُمَّ» المراخي ولو ذكرًا، وتعارضت؛ **فالأول**: التلبُّس الذاتي الكليُّ المقتضِي للوصل، فإن تنزَّلا منزلةَ الواحدةِ أغنى التلازمُ عن الرابط، فالتأكيدُ لرفع المجاز، والبدل لإتمام قاصرٍ بـ«أو» في قطعًا، واستئنافًا، وزيادة اعتناءٍ وغرابةٍ، وعجبًا، /[٨/أ] ولطفًا، وفظاعةً، وقصدًا، وتعبيرًا، وبيانًا.

والثاني: العرضيُّ المتوسِّط بتلبُّسٍ دون تلازمٍ، فتميلُ به الأماراتُ استغناءً وافتقارًا، وقوَّةً وضعفًا، واستواءً، فكونُها جوابًا عن مقتضى سابقه مثله، وسؤال عن سببٍ أو خاصٍّ، وقد تكرَّرت ويبني على صفته، وربما حُذِفَ صدرُه، وكلُّه مجَّانًا، ثمَّ الواو إذا اتفقا إنشاءً، أو خبرًا، أو اختلفا معنًى فقط وعكسه، ورجَّح الوصلَ قوَّة الجامعِ، والفصلَ ضعفُه ولو تقديرًا، وربما قُطِعَ احتياطًا خوفَ توهُّم عطف الأقرب. والمشابهةُ: قد يكون المخبرُ به فيهما شيئًا أو شيئين، إما في المخبر عنهما، أو بهما، أو في كلٍّ منهما

=

بيتك أزرْك"، وتقول: "أأَتَيْتَنَا أمس نُعْطِك اليومَ؟ " معناه: أأتيتنا أمس؟ إن كنت أتيتنا أمس أعطيناك اليوم. وإن كان قولك: "أأتيتنا أمس" تقريرًا، ولم يكن استفهامًا، لم يجز الجزم؛ لأنه إذا كان تقريرًا، فقد وقع الإتيان، وإنما الجزاء في غير الواجب". ابن يعيش، "**شرح المفصل**"، (٤: ٢٧٤).

(١) التهيؤ.

كتضادٍ خاصٍ، وإذا اتفقا وجمعهما عقليٌّ كاتحاد تصوُّرٍ، أو تماثلٍ، أو تضايُفٍ، أو وهميٌّ كشبه تماثُلٍ، أو تضادٍ، أو خياليٌّ كتقارُن ترجّح الوصل، وكالعلَّة والمعلِّ، وهي شتَّى، والأفصحُ اتحادُ الجنس(١) والنوع(٢)، وقد ينعكس لنكتةٍ.

الثالث: الانقطاعُ الكليُّ محلُّ الفصل؛ إذ كلُّ ناءٍ عن صاحبه بجانبه لاختلافهما تحقيقًا، أو تقديرًا، أو اتفاقهما كذلك. وامتنع العطفُ لعدم جامعٍ من أحدهما وجوبًا لاختصاص أحدهما بحكمٍ لا يَشركه الأخرى فيه؛ فقطعٌ، ويحتمل جوابٌ مقدَّر؛ فاستئنافٌ، أو يقتضيه بفحواه؛ فيُنبّه، أو يغني، أو تعظيم، ولئلَّا ينقطع(٣)، أو مع مضادٍ وهميٌّ بعيدٌ، وقد ترد جُمَلٌ معطوفةٌ فتُشطَّر، ثم تعطفُ. الجُرجَانيُّ(٤) لكن كـ «ألَّا» للتعلُّقِ، كالشرط.

وقد /[٨/ب] تُقحَمُ جملةٌ نسبةٌ بينهما(٥) توسُّعًا، فترحّل إلى نسب الطرفين، وهو اعتراض وحشوٌ، وقد يطرأ عليها النقصُ(٦) فيبقى كجزء كلمة، أو ككلمة، فتحلُّ إليها كالحال، ويذكَّر ويؤنَّث، وأصلُها أن تكون مشتقةً نكرةً عارضةً مقارنةً مقيَّدةً مفردةً مثبتةً بلا واوٍ، وانعكست، وكفى ضمير المفردةِ رابطًا، واحتاجت الجملةُ إلى زائدٍ، والواو صالحٌ وليس بصريحِ العطفِ، وسمَّاهُ سيبويه واو إذْ(٧)، وربما عاد الضميرُ

(١) كالاسميتين، والفعليتين، والظرفيتين، والشرطيتين.

(٢) كالمضي والاستقبال.

(٣) الكلام.

(٤) ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، "**دلائل الإعجاز**"، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، (ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م)، ص ٢٤٧.

(٥) أي: بين المعطوفين.

(٦) أي: على الجملة.

(٧) وَاو الْوَقْت، كَقَوْلِك: اعْمَلْ وَأَنت صَحِيح، أَي: فِي وَقت صِحَّتك، والآن وَأَنت فارغ. فَهَذه =

إلى غيرها. واستقرارُ الوجود لا العدم يفتقرُ إلى سببٍ، فالفعلية المثبتة لمجيئها على وضعها كفى ضميرُها، والمنفيَّةُ بهما وأحدُهما، وتركُ الواوِ أرجحُ، ويلزم قد الماضية ولو تقديرًا، والاسمية بهما، أو إن كان المبتدأ ضميرها وجبت، واستويا مع الظرف(١)، وتعيَّنت مع النكرة، وإلَّا ضعُفَ الضميرُ إلَّا لنكتةٍ، ودونها أضعف.

ذيل(٢): الوقفُ قطعُ الصوت زمنًا، فيضادّ الوصلَ(٣)، ويقابلُ الابتداء(٤)، والسكتُ آنًا(٥)، والفصل كالوقف، والأصلُ السكونُ(٦)، وجاز(١) الرَّومُ(٢)،

=

وَاو الْوَقْت، وَهِي قريبَة من وَاو الْحَال. وبعض النحويين يراها هي وَاو الْحَال والابتداء، وَلَيْسَت عاطفة، وَلَا أَصْلهَا الْعَطف، وَزعم بعض الْمُتَأَخِّرين أَنَّهَا عاطفة كواو ربّ، وَإِلَّا لدخل العاطف عَلَيْهَا، وقدرها سِيبَوَيْهٍ والأقدمون ب (إِذْ)، وَلَا يُرِيدُونَ أَنَّهَا بمعني (إِذْ) إِذْ لَا يرادف الْحَرْف الِاسْم، بل إِنَّهَا وَمَا بعْدهَا قيد للْفِعْل السَّابِق كَمَا إِن (إِذْ) كَذَلِك. ينظر: الأزهري، "**تهذيب اللغة**"، (١٥: ٤٨٤)، السيوطي، "**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**"، (٢: ٣٢٦).

(١) لصحة التقديرين. ينظر: الجعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٢٤/أ).

(٢) وهذه طريقةٌ عند المؤلف بأن يختم بعض المباحث البلاغية بذيلٍ، أو تنبيهٍ؛ لبعض التوضيحات والتنبيهات والإضافات المتعلقة بالمباحث السابقة على وجه الإجمال والاختصار.

(٣) هذا هو تعريف الوقف. ينظر: محمد بن محمد ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، تحقيق: علي الضباع، (مصر: المطبعة التجارية الكبرى)، (١: ٢٤٠).

(٤) الابتداءُ في عُرف القرَّاء: هو الشروع في القراءة بعد قطعٍ أو وقفٍ. ينظر: عبد الفتاح عجمي المرصفي، "**هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**"، (ط١، القاهرة: دار الفجر، ١٤٢٦هـ)، ص ٣٩٢.

(٥) السكتُ عبارةٌ عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادةً من غير تنفسٍ. ينظر: ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (١: ٢٤٠).

(٦) ينظر: ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (٢: ١٢٠). عبد الرحمن بن بكر السيوطي، "**الإتقان في علوم القرآن**"، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (مجمع الملك فهد =

والإشمامُ[٣]، والبدلُ[٤]، والحذفُ[٥]، والزيادةُ[٦]، والنقلُ[٧]؛ فهي باعتبار معناها إن لم تنعقد فناقصٌ، أو انعقدت وتجرَّدت فكاملٌ، أو تعلَّقت تعلُّق التبَعِ فتامٌّ، أو العمل فكافٍ، أو التفسير فصالحٌ، أو العلة فمفهومٌ، أو الجواب فجائزٌ[٨]، ومحلُّها الاختيارُ،

=

لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة)، (٢: ٥٦٩).

(١) أي: جاز وقفًا على الكلمة.

(٢) النطقُ ببعضِ الحركة، وقال بعضهم: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها. ينظر: عبد العزيز بن علي ابن الطحّان، "**مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ**"، تحقيق: حاتم الضامن، *مجلة مجمع اللغة العربية الأردني*، (٤٨): ١٤١٥هـ، ص ٢٨٣. محمد بن محمد ابن الجزري، "**التمهيد في علم التجويد**"، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ)، ص ٧٣.

(٣) ضمُّ الشفتين بُعيد سكون الحرف من غير صوتٍ. ينظر: ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (٢: ١٢١). علي بن محمد الضبّاع، "**الإضاءة في بيان أصول القراءة**"، اعتنى به: محمد الحسيني، (ط١، القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٤٢٠هـ)، ص ٤٧.

(٤) جعلُ حرفٍ مكان آخر. ينظر: مكي بي أبي طالب القيسي، "**الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**"، تحقيق: أحمد فرحات، (ط٣، عمَّان: دار عمَّار، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ١٥٢. ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (٢: ١٢٩).

(٥) إلغاءُ الحرف دون خُلفٍ له، ويعبّرُ عنه بالإسقاط. ينظر: ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (٢: ١٤٣). الضبّاع، "**الإضاءة في أصول القراءة**"، ص ٤٩.

(٦) أن يكتب حرفٌ في الرسم من غير أن يكون له مقابلٌ في النطق في الوصل أو الوقف. ينظر: غانم قدور الحمد، "**الميسر في علم رسم المصحف وضبطه**"، (ط٢، جدة: معهد الإمام الشاطبي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص ١٢٥.

(٧) نقلُ حركة الموقوف عليه إلى الساكن قبله. ينظر: ابن الجزري، "**النشر في القراءات العشر**"، (١: ٤٠٨). الضبّاع، "**الإضاءة في أصول القراءة**"، ص ٢٥.

(٨) ما سبق من مصطلحاتٍ هي أقسامٌ للوقف عند الجَعبري، وقد قسّمها إلى ثمانية أقسام: (الكامل، التامُّ، الكافي، الصالح، المفهوم، الجائز، الناقص، المتجاذب). ينظر: إبراهيم بن

=

والوقف ينبّهُ عليها تنبيهًا عرضيًّا، خلافًا للموصِّل(١).

الإيجازُ والمساواةُ والإطناب

كانت العربُ تُوجِزُ ليُحفظ(٢)، وتطيلُ لتُفهَم، وتتوسَّطُ حرصًا عليهما باعتبار المقام، وهذه أمور نسبيَّةٌ(٣)، /[٩/أ] فعَسُر تحقيقُها، فعُمِد في ضبطها المساواةُ، أو مقتضى لائق الحال.

فالإيجازُ: أن يكثُر المعنى للفظ بلا حذفٍ مرادٍ(٤)، والاختصارُ: كذا معه، والإطنابُ: عكسُه(٥)، والبسطُ: إلباسُ المعنى حلَّةَ الترفيل، وكلٌّ بمفردٍ وجملةٍ، والمساواةُ

=

عمر الجعبري، "**وصف الاهتداء في الوقف والابتداء**"، تحقيق: فرغلي عرباوي، (ط١، الجيزة: مكتبة الشيخ فرغلي سيد عرباوي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ١٣٣– ١٣٤.

(١) حديث المؤلّف عن الروم والإشمام انطلاقًا من عنايته الكبرى بعلم القراءات والتجويد؛ فهو ميدانه الأساس، ولمصطلحات القراءات والتجويد أثرٌ واضحٌ في مؤلفه الذي بين أيدينا. وهذه قيمةٌ إضافيةٌ للكتاب؛ فعبد القاهر الجرجاني الذي بدأ حياته نحويًا، استثمر ذلك استثمارًا دقيقًا في مشروعه البلاغي المتمثّل في دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة. وخيرُ دليلٍ على ذلك عنايته بمعاني النحو، ونظرية النظم التي هي توخي معاني النحو بحسب الغرض المطلوب. ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "**دلائل الإعجاز**"، ص ٨١.

(٢) وهذا أصلٌ في البلاغة العربية؛ لأنَّ البلاغة الإيجاز، ومن ثمرات الإيجاز أنّه يحقّقُ استيعاب المتلقي، ويساهم في حفظ الكلام الملقى.

(٣) النسبية في البلاغة بين الإيجاز والإطناب والمساواة؛ لأنَّ الأمر متعلقٌ بالسياق، وبنوعية المخاطب؛ فالإيجاز في سياقه بلاغة، والإطناب في سياقه بلاغة، والمساواة في سياقها بلاغة. ومن هنا تبرز أهمية البلاغة المناسبة حسب السياق الواردة فيه.

(٤) أي: أن تكون الألفاظ قليلة العدد، كثيرة المعنى؛ فالمعاني في الإيجاز أكثر من الألفاظ عددًا ومفهومًا ودلالةً. فهو دلالةُ ذكاءٍ، وأمارةُ بيانٍ، وعلامةُ نضجٍ.

(٥) أي: عكس الإيجاز، وسمي إطنابًا ولم يكن ثرثرةً؛ لأنَّ الإطناب بلاغةٌ في سياقه؛ فزيادةُ الألفاظ لأغراضٍ بلاغية، ومناسبةٍ للسياق.

والطباقُ مماثلتهما كمًّا، ولكلٍّ مقامٌ بليغٌ فيه، ركيكٌ في غيره، فلا تخلَّ ولا تُملَّ[1].

وقد تقدَّم في الأنواع ما يرشدك إلى كلِّ مقامٍ، فالحذفُ[2] حرفٌ، وصفةٌ، وموصوفٌ، ومضافٌ، وإليه، وهما، وجملةٌ فأكثر، وشرطٌ، وجوابٌ، والقسَمُ، ومعطوفٌ عليه.

والبسطُ: تفصيلُ مُجملٍ، وتتميمُ اللذَّة، وخاصٌّ بعد عامٍّ، وتفسيرٌ، وإيغالٌ، وتذييلٌ، وتكميلٌ، وتتميمٌ، واعتراضٌ، وتعظيمٌ، وترغيبٌ، وتكرارٌ مطلقٌ محددٌ[3]، **فالتَقِطْ دُرَرَ المباني من علم المعاني**[4].

النوع الثاني: في علم البيان

الحمدُ لك منك عليك.

علمُ البيان: علمٌ يُعرِّف إيرادَ المعنى بطُرقٍ شتَّى في إيضاح الدلالة بزيادةٍ على الوضعية في مطابقة الكلام والنقص، وهو موضوعُهُ؛ احترازًا عن الخطأ في دلالة المركَّب.

ودلالة اللفظِ على تمام مسمَّاه من حيثُ وضعُه له مطابقةٌ لغويَّةٌ، وعلى لازمه الذِّهنيِّ التزامٌ عقليٌّ، وعلى جُزء مسمَّاه تضمَّن تركبُه[5]. والمعتبرُ هنا الالتزامية؛ لأنَّها

(١) وهذه العبارة لبيان منهج الوسطية في الكلام؛ فالإخلال من عيوب الكلام، والإملالُ عيبٌ آخر، والبلاغة تتوسطُ بينهما بمراعاة السياق، وفهم مقتضى الحال.

(٢) صور الاختصار كما في الأصل. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٢٥/ب).

(٣) صور الإطناب.

(٤) بهذه الجملة ختم المؤلّف النوع الأول (علم المعاني)؛ لأهميته في البلاغة العربية، ولأنَّ له الصدارة عند البلاغيين في مؤلفاتهم وشروحهم ومختصراتهم، وللارتباط الوثيق بين علم النحو وعلم المعاني. وسمَّاها المؤلف دُررًا؛ لأنَّ الأغراض البلاغية في علم المعاني تحتاجُ إعمالَ ذهنٍ، وزيادةَ تأملٍ.

(٥) قال السكاكيُّ: "اللفظة متى كانت موضوعةً لمفهومٍ أمكن أن تدلَّ عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة، ودلالة وضعية، ومتى كان لمفهومها ذلك، ولنسمه أصلياً تعلق بمفهوم آخر أمكن أن تدلَّ عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلاً في مفهومها الأصلي كالسقف مثلًا في مفهوم =

مادَّتُه لتشعُّب اللوازم والملزومات، وتفاوتها وضوحًا وخفاءً، ودلالةُ الملزوم على اللازمِ بيِّنةٌ. وتندرجُ فيها دلالة المركَّب على جزئَيه، ودلالة اللازم على الملزوم بواسطة التساوي، /[٩/ب] والأخصُّ، والمساواةُ بعقلٍ، أو عُرْفٍ، أو اصطلاحٍ، والملزومُ من الجانبين بالأول.

والحقيقةُ: اللفظُ المستعملُ في موضوعهِ بلا تأويلٍ، لغويةٌ، وشرعيةٌ، وعُرفيةٌ[(١)]، وفي الجملة الموضوعة على أنَّ نسبتَها على ما هي في العقل.

والمجازُ: المستعملُ في غير موضوعِهِ لقرينةٍ مانعةٍ، وهي متنوّعة فلا يُوصفُ بأحدهما قبلَه، فالمجازُ انتقالُ الذهنِ من الملزومِ إلى اللازمِ، أو انتقالُه منه إليه على وجهٍ يُنافي إرادةَ الحقيقة.

والكنايةُ: انتقالُه من اللازمِ إلى الملزومِ على وجهٍ لا يُنافيها. ومن ثَمَّة انحصرَ علمُ البيانِ في المجازِ المرسَلِ، والاستعارةِ، والتشبيه، والكناية. والمجاز لغويٌّ في المفرد، عقليٌّ في الجملة على الصحيح[(٢)].

والعلاقةُ: إطلاقُ السبب على المسبّب، والمقيّد على المطلِق، والخاصّ على العامّ، وعكسها، والشكلِ، والصفةِ الظاهرةِ وما كانت، وتؤولُ، وما كلُّ مستعملٍ في

=

البيت، ويسمَّى هذا دلالة التضمن، ودلالة عقلية أيضًا، أو خارجًا عنه كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام، ودلالة عقلية أيضاً، ولا يجب في ذلك التعلق أن يكون مما يثبته العقل، بل إن كان مما يثبته اعتقاد المخاطب إما لعرفٍ، أو لغير عرف أمكن المتكلم أن يطمع من مخاطبه ذلك في صحة أن ينتقل ذهنه من المفهوم الأصلي على الآخر بواسطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده". السكاكي، "**مفتاح العلوم**"، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(١) وهذه أنواع الحقيقة عند الأصوليين. ينظر: عبد الله بن أحمد ابن قدامة، "**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه**"، تحقيق: شعبان إسماعيل، (ط١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، (١: ٤٩٢).

(٢) هذه مباحث علم البيان المستقرة عند المؤلف.

غير موضوعه مجازٌ، ولا كلُّ مجازٍ بليغٌ؛ فتَفَطَّن[١].

المجازُ اللغويُّ المعنويُّ المُرسَلُ الذي لم يُجدَّ فائدةً، وهو على فائدةِ الترادفِ من السعة، وسير الوزن والقافية، وذكر المذكورة، ومنه المستثنى بقسمَيه، ولا تناقضَ، ولا تحصيلَ حاصلٍ.

المجازُ اللغويُّ المعنويُّ المقيّدُ دونه: وضعُ الكلمةِ لمعنًى مقيَّدٌ، فهي دونه مجازٌ.

المجازُ اللغويُّ المعنويُّ المجدّ فائدةً بلا مبالغةٍ.

التشبيهُ: إلحاقُ فرعٍ بأصلٍ اشتركا في أمر، وافترقا في آخَر ولو اعتقادًا بأداته، ولو تقديرًا، وهي «الكافُ»، و«مثل»، والأصلُ أن يليَهما. «وكأنَّ»، ويليها الفرعُ، وأقلُّه وجهٌ، ولا تعمّ، ويتَّفقان ذاتًا لا صفةً، وعكسُه، وطرفاه حسِّيَّان وعقليَّان، وعقليٌّ /[١٠/أ] فحسيٌّ، وعكسُه. والحسيُّ: المستفادُ بالقُوى الظاهرةِ، وبه أتمَّ، ويتبعُها الخياليُّ. والعقليُّ: المستفادُ من قوَّةٍ باطنةٍ تميّزُ بين الواجب، والجائز، والمستحيل، وبه أعمَّ[٢]، ويتبعُه الوهميُّ الوجدانيُّ المدرَك بقوَّةٍ باطنةٍ. وجهتُه: ما به الاشتراكُ ذاتٍ نوعٍ وجنسٍ، أو صفةٍ حقيقيةٍ جسمانيةٍ حسيةٌ أولًا، وثانيًا، وغيرهما، أو عقليةٌ[٣] مجرَّدًا[٤] وغيره[٥] مع صورة وهمٍ أولًا، أو مطموعًا فيه، أو بعيدًا، أو إضافية، وكلٌّ منهما واحدٌ تحقيقًا، فمفردٌ بمفردٍ، حسيّ أو عقليّ، والوجهُ المقبولُ يتأتَّى في الأربعة، والمحسوسُ منحصِرٌ في الحِسَّين، أو تقديرًا، فالحسيُّ طرفاه مفردان، ومركَّبان، ومختلفان، والعقليُّ، أو متعدِّدًا حسيٌّ وعقليٌّ، ويتركَّب[٦]، وقد يتنوَّعُ من التضادِّ مناسبة تمليح أو تهكُّمٍ،

(١) إشارةٌ مهمةٌ من المؤلّف لبيان أنَّ المزية ليست في الحقيقة أو المجاز، بل لمطابقتها لمقتضى الحال، ولحسن توظيفها في السياق.

(٢) أي: العقلي.

(٣) كالكيفيات النفسانية. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٢٩/ب).

(٤) كالذكاء والتيقظ. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٢٩/ب).

(٥) أي غير مجرّد.

(٦) منهما: الحسي والعقلي.

وقد يُصرّح بالجهة ولازمها، وقد تطوى، ويجبُ شمولُها الطرفين، وفائدته: تكميلُ المشبَّه بالمشبَّه به أصلًا، وعكسه تبعًا. **فالأولُ**: إيضاحُ مجهولٍ لإمكان وجوده، فاستدلاليٌّ، وبيانُ حالهِ، وعدمُ نفعه، فأتمَّ، أو معلومٌ لتقرير المشبَّه، أو تزيينه خياليًّا، أو تشويهه، واستظرافه، وندوره. **والثاني**: عودُه إلى المشبَّه به، وهو المعكوسُ[(١)]، فيصيرُ الفرعُ أصلًا، وعكسُه اعتقاد أكمليَّته إيهامًا، واهتمامًا به.

وحالُه: أحكامُه في القبولِ، والردِّ، والقربِ، والبُعدِ، وما يكسوه حُسْنُ السبكِ من بهجةٍ، وعذوبةٍ، وإدراكُ /[١٠/ب] المجملِ أسهلُ من المفصّل، وتكرارُ الشيء على الحسِّ أسهلُ من قلَّته، وحضوره من مناسبِهِ أسرعُ منه من مُنافِرِه، واستحضارُه الواحدَ أسهلُ من المتعدِّد، والنفسُ أمْيَلُ إلى الحسيَّات من العقليَّات[(٢)]، وأقبلُ لما تعرفُ منه لما يُنكَر، ولتجدُّد الصورِ أشهى من مُعادِها[(٣)]. **فسببُ قربِهِ**: التوَحُّدُ والتناسبُ، وعليه حضورُه ذهنًا، وبُعده التعدد، وبُعدهما فيه، وبُعد حضوره ذهنًا، وتركيبه خاليًا، وكلَّما كثُرت أمورُ التركيبِ كان أبعدَ وأغربَ. **وسببُ قبولِه**: صحةُ شروطِه، وأوفى بالغرض المقصود من بيان وجوده، أو حاله، أو قدرها، ويجبُ التساوي في ذا، أو أتمّ محسوسٌ فيه، أو سُلّم الحكمُ في إمكان الوجود، أو تقريرُه بالأبلغ نهاية، والتحسينُ والتقبيحُ، واشتماله على تشبيه شيءٍ بأشياءٍ، أو أشياءٌ بأشياءٍ، مضاعف ومتعدد الطرفين، ملفوف ومفروق، فالأولُ تسويةٌ، والثاني جمعٌ، ومهملُ الجهةِ مجملٌ، ومذكورُها مفصِّلٌ، ومنه مذكورُ وصفِ طرفيه، ومُهمَلُه، ومنه ذكرُ وصفِ الأصلِ، وقد يُغربُ القريبُ.

والمرسلُ مذكور الأداة، والمؤكّد مقدّرُها[(٤)][(١)]، وقد يحذف المشبّهُ كذلك؛ لقُرب

(١) أي: التشبيه المعكوس.

(٢) لأنَّ الأمور الحسية تُدركُ بأحد حواس الإنسان الخمسة؛ فهي قريبةٌ من نفسه، وفهمها واستيعابها أسهل وأيسر.

(٣) لأنَّ الصورة الجديدة تؤثّرُ في المتلقي تركيزًا واندهاشًا، والصور المستهلكة تفتقدُ هذه الجمالية.

(٤) المؤكدُّ محذوفها مرادًا مبالغةً. ينظر: الجعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٣٢/أ).

العهد، وقد ينتزعُ من التضاد تناسبُ تشبيهٍ تمليحًا وتهكُّمًا، وأعلى رتبةٍ حذفُ أداته وجهته[٢]، ثمَّ مع حذف المشبّه، ثم أحدهما[٣]، وإذا علم المقبول فهم منه المردود[٤].

التشابهُ: استواءُ طرفيه في الجهةِ، وهو المستوِي، وشرطُه الطردُ والعكسُ، وفائدتُه الإعلام بتساوي الشركة، فإن تُخيَّل أو تُوهَّم رجحانٌ رجع، وربما قُصد الحملُ.

التمثيلُ: تشبيهُ وصفٍ غير حقيقيٍّ منتزع /[١١/أ] من أمور الاعتبار ترهيبًا وترغيبًا.

المثلُ: تمثيلٌ شائعٌ بليغٌ في واقعةٍ فيُعدَّى إلى نظائرها مقتصرًا على أحد الطرفين استعارةً، ويسري إلى العاري عنه استحسانًا، فيُحكى فلا يُغير، وإن اختلف رُتبهُ.

الاستعارةُ: وبها خالَفت التشبيهَ لإثباتِه مثلَ الأصل، ومكسوة حلية عارية بسببه، منسيّ أحدِ الطرفين، والأصحُّ مجازٌ لغويٌّ، وللشيء مفهومٌ متعارفٌ لأصالته، وغيرُه لفرعيَّتِه، وبناءُ الدعوى على التأويلِ أَخرَجَ الباطلةَ، والقرينةُ أَخرَجَت العاديةَ، والدعوى أَخرَجَت الأعلامَ غيرَ الصالحةِ، ولذا صحَّ التعجُّبُ، وحَسُن النهيُ، ويلزمُ المستعار له ما لزم المستعارَ منه، وأولى.

وهي باعتبار اللقب إن دخل معنى التشبيه في الاستعارة أوَّليًّا **فأصلية**، أو ثانيًا **فتبعية**. والأولى[٥] باعتبار ذاتها **صريحةٌ** إن كان المذكورُ طرفَ المشبَّه به، **ومكنيةٌ** إن كان المشبّه، **والصريحةُ تحقيقيةٌ** إن كان المشبّه المتروك متحقِّقًا حسيًّا أو عقليًّا، **وتخييليةٌ** إن كان غيرَ متحقِّقٍ وهميًّا، **واحتماليةٌ** إن صلح للتحقُّق، وعدمه. **والمرشّحةُ**: المقترنةُ بملائمِ المستعارِ له، **والمجرّدة** المقترنة بملائمِ المستعارِ، **والمطلقةُ**

=

(١) تقسيم التشبيه باعتبار الأداة: المؤكدُّ والمرسل.

(٢) أي: التشبيه البليغ؛ لأنَّه تشبيهٌ حُذف منه وجه الشبه، وأداة التشبيه.

(٣) هذه مراتب التشبيه المرتبطة بأركان التشبيه الأربعة: المشبَّه، والمشبَّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

(٤) تعداد الحالات المقبولة في حذف بعض أجزاء التشبيه يبيّنُ الحالات التي لا تُقبل في الحذف.

(٥) الاستعارة الأصلية.

العاريةُ عنهما، **والتهكُّمية** المستعارُ اسمُ أحدِ الضدين للآخر، أو النقيضين، وباعتبار البناء على التشبيه إن كان الجامعُ بين طرفيها حسيًّا تعيَّن أن يكونا حسيين، أو عقليًّا جازت الأربعة(١)، وباعتبار طرفيها **وفاقيَّةٌ** إن أمكن اجتماعهما، **وعناديَّة** إن امتنع(٢).

والاستعارةُ الأصليةُ شرطُها أن يكون المستعارُ منه اسمَ جنسٍ بالفعلِ، أو القوة، /[١١/ب] أو أقلّ ذواتٍ، والتبعيَّة للأفعال، وفروعها صفاتٌ، فلا توصفُ إلا باعتبار مصادرها مطلقًا، فتستعارُ ثُم يسري إليها بواسطة المادَّة، وقرائنها بالنسبة إلى الفاعل، وإلى المفعول الأول، وإلى الثاني، وإليهما يواليهما، وإلى المجرور، وإلى الجميع.

والحروفُ أبعدُ، فتُستعارُ بواسطةِ متعلِّقاتِ معانيها، وهي ما يُعبَّر به عنها عند تفسيرها، فأفادت معانيها رجعت إليها بنوع ملازمةٍ، ويصحُّ جعلُ التبعيَّة من المكنية بتأويلٍ.

الاستعارة الصريحة التحقيقية القطعية ذكرُ مشبهٍ به موضع مشبهٍ محقَّقٍ في وصفٍ مشتركٍ بين ملزُومين مختلفي الحقيقة متفاوتين تريد التسويةَ بينهما بدعواك إدخالَ الضعيفِ في جنسِ القوي؛ لوجوب تساوِي اللوازمِ حينئذٍ بالقرينة.

والصريحةُ التخييليةُ القطعية(٣) ذكرُه موضعَ مشبّه، وهمِّي متشابهين مسمَّى بالمحقق معها. **والصريحة الاحتمالية** ذكره موضع مشبهٍ له، محقَّقٍ من وجهٍ. **والمكنيَّةُ** ذِكرُ المشبّه، وإرادةُ المشبّه به دالًا عليه بخواصه المساوية، وهي أخصُّ من التخييلية.

والمرشّحةُ: اقترانُ المستعارِ منه بلازمِ صفةٍ، أو تفريعٍ، ومبناهُ سدّ باب التشبيه. **والمجرَّدةُ**: اقترانُ المستعارِ له بلازمِ أحدهما. **والمطلقة والمرسلة**: العارية عنهما(٤).

(١) المراد بالأوجه الأربعة: حسيٌّ وحسي، حسيٌّ وعقلي، عقليٌّ وعقلي، عقليٌّ وحسي.

(٢) أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمرٍ خارجٍ عن ذلك كله. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣١١.

(٣) أي: الاستعارة الصريحة التخييلية القطعية.

(٤) أقسام الاستعارة باعتبار الخارج.

والتهكُّمية والتمليحية: استعارةُ أحد الضدَّين أو النقيضين للآخر بوساطة انتزاع شبه التضادِّ؛ إلحاقًا بالدعوى، وجوبًا في الأصلية والتبعية، والجامعُ بين الطرفين إمَّا داخلٌ فيهما، أو خارجٌ مرّ(١)، فالحسيُّ طرفاه حسيَّان، والعقليُّ حسيَّان وعقليَّان، والمستعارُ منه حسيٌّ، وله عقليٌّ وعكسُه، والقرائن تتوحدُ وتتعدَّدُ، وينبغي أن يكون وجه التشبيه محتملًا جليًا(٢)، وحسن التخييلية بحسب حُسْن المكنيَّة، تابعة، وتشاكُلُها أحسنُ، فإن خفي تعيّن التصريحُ بالتشبيه، والعاميةُ /[١٢/أ] ظاهرةُ الجامع والخاصَّةُ غريبةُ الشبه، أو بحسن تصرفٍ في الأولى، وإذا قوِي شبه الطرفين نسخته، والحقُّ أنَّ الاستعارة صفةُ المعنى، ثم يسري إلى اللفظ، وهي أبلغُ منه لبروزِ الفرع في صورة الأصل؛ لكن قد لا يُقصَد، والحقُّ أنَّ كلًّا أبلغُ في مقامه(٣).

المجازُ اللغويُّ اللفظيُّ: العدولُ عن إعرابِ الكلمةِ الأصلي إلى آخر مستحقٍّ بواسطة حذفٍ جائزٍ، أو بزيادةِ عاملٍ ولو تقديرًا.

المجازُ العقليُّ والحكميُّ في مُفردٍ وجملةٍ، ولازمهما مُثبتٌ وإثباتٌ، والحقُّ أنَّه فيها في مادة مُتيسِّرٌ، وفي أخرى مُتعسِّرٌ، وأخرى مُتعذِّرٌ، والنسبةُ حكمٌ، فيتوقَّفُ على محكومٍ به، وعليه فمنه حقيقةٌ عقليةٌ إسنادُ الفعل، ومعناهُ إلى ما هو له عند المتكلِّم ظاهرًا، ومجازٌ عقليٌّ إسنادُه إلى مُلابسٍ له بتأويلٍ، ويجري في الإنشاءِ وملابساته شتَّى، ويكون في الإثبات وحده في المفعول به وفيه، والمسبِّب والسبب، وفي المثبَت وحده، وفيهما، والقرينة لفظيةٌ ومعنويةٌ، وظاهرةٌ وخفيةٌ. وهو باعتبار طرفيه حقيقتان وضعيَّتان، ومجازان لغويَّان، والمحكوم به حقيقةٌ لغويةٌ، والمحكوم عليه مجازٌ لغويٌّ، والمحكومُ به مجازٌ وضعيٌّ، وعليه حقيقةٌ وضعيةٌ، ومن حقِّه أن يكون للمُسند إليه المتروك نسبةٌ إلى المشبّه بالمسند إليه المذكور.

---

(١) أي: ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين.

(٢) لأنَّ وجه الشبه إن لم يكن محتملًا جليًا فلا قيمة للتشبيه في تحقيق المعنى المراد.

(٣) وهنا قيمة البلاغة في مطابقة الكلام لمقتضى الحال تصريحًا أو تلميحًا، حقيقةً أو مجازًا، إيجازًا أو إطنابًا؛ فالبلاغة العربية ليست قوالب جاهزة في كلِّ سياق.

الكنايةُ: مقابلةُ الصريحِ، وهي غير النحوية، وأصلُها السترُ، وتارةً تعظم؛ فيكنَّى، فيَستلذُّ[(١)] باسمه فيصرّح، وتُوافِقُ المجازَ في انتقالِ الذهن من اللازم إلى الملزوم، ويخالفه في أن تلك تنافي إرادةَ الحقيقة، وذي لا تُنافيه لمعاندة القرينة ثَمَّ، ويُقصَدُ نفسُ الموصوفِ، ونفسُ الصفةِ، /[١٢/ب] وتخصيصه بها مثبتًا وإثباتًا قريبةٌ إن كان بسيطًا، والاختصاصُ عارضٌ، أو انتقل الذهنُ بأقرب بعيدةٌ إن كان مركَّبًا أو بأبعدَ، ودافعه الظاهر ساذجةٌ[(٢)]، والمستكنّ صريحةٌ، واضحةٌ في القرائن الجليةِ، خفية في الغيبة، لطيفةٌ إن تقاربت أسبابُ الاختصاص، وألطفُ إن تأكدت، وتتمايزُ باعتبارِ معانيها؛ فالتعريضُ والاستطرادُ إن كان الاختصاص بالمكنَّى عارضًا، والتلويحُ إن تسلسلت، والرمزُ إن قربت خفية، والإيماءُ والإشارةُ إن كانت جليةً[(٣)]. **والكنايةُ** أخذُها من المجاز بنصيبٍ على حدِّ أخذها من الحقيقة؛ لاستعمالها فيهما، والحقُّ أنَّ كلًّا من الكناية والصريح بليغٌ في مقامه، وكذا المجازُ والحقيقةُ، ولذا جاء في الكتاب العزيز؛ إذ فيه الفصيحُ والأفصحُ؛ ليجمعَ أساليبَ كلامِ العربِ، فاحْوِ يا إنسان غُررَ علمِ البيان[(٤)].

الفنُّ الثالث: في علم البديع

الحمدُ لبديع السماوات والأرض، وصلواتُه على الشفيع يوم العرض[(٥)].

وأصلُه[(٦)] الاختراعُ، وغلب في الحسنِ[(٧)]، وهو علمٌ يُعرِّفُ وجوهَ تحسين الكلامِ

(١) التلذذ باسم المحبوب.

(٢) أي: محضة. هكذا في الأصل. ينظر: الجعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٣٨/ب).

(٣) وهذه فروقٌ لطيفةٌ بين التعريض والاستطراد والتلويح والرمز والإيماء والإشارة؛ للتفريق بينها.

(٤) ختم النوع الثاني (علم البيان) بعبارةٍ تؤكدُّ أهمية العلم، وسماها غررًا؛ لتنوعها في التصوير والبيان والتعبير. وفعل مثل هذا في ختام النوع الأول (علم المعاني)؛ فهو منهجٌ عند المؤلف في مقدمة كلّ نوعٍ وختامه.

(٥) وضع المؤلف لكلِّ فنٍّ من الفنون الثلاثة مقدمةً موجزةً خاصةً به، تتناسب مع اسمِ الفنِّ ومباحثه. والعادة أنَّ البداية بالحمد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ تكونُ في مقدمة الكتاب دون بقية الأبواب والفصول والمباحث والفنون.

(٦) أي: أصل البديع.

(٧) أي وظيفته الغالبة هي تحسين الكلام، والمحسنات البديعية: لفظيةٌ ومعنويةٌ.

الواردِ على سَنَن البلاغةِ، المشتمِل على الفصاحةِ، وينقسمُ إلى **لفظيٍّ** لتحقيقِه، ومتعلقُه الكلمةُ، **ومعنويٍّ** لتحسينه أو تبيينه، ومتعلَّقه الكلامُ، **وخطيٍّ**[(١)]، ومتعلقُه صورةُ الحروفِ مفردةً ومجتمعةً.

اللفظيُّ تعليقُ الكلمةِ معنًى في الحوالة، ثُمَّ تعليقها فيه بآخَر، وقد يجتمعان في واحدٍ متفقين، ومختلفين صدرًا وعَجُزًا.

التعطُّفُ: تعليقُها بمعنًى من نحو الصدرِ، ثمَّ تعليقُها بآخَر من /[١٣/أ] نحو العَجُز، سوى نحو الضرب، وبه فارقه، وكرّرَ[(٢)] وجمعا. **ورد العَجُز على الصدرِ** وقوعُ أخرى المكررتين ولو معنًى أو لفظًا في نحو الفاصلة، والأُولى أولها أو أثناءها، أو وقوع الأخرى في ضرب البيت، والأُولى في أول الأول أو حشوه، أو عروضه، أو أول الثاني أو حشوه خمسة عشر. **التشطيرُ**: اشتمالُ كلٍّ من مصراعي البيت على فقرتين متخالفتين. **التسميطُ**: سجعُ الأجزاءِ لمخالِف الرويّ، فإن عمَّ واختلفتِ الأفاعيلُ؛ فتقطيعٌ، أو ائتلفت؛ فموازنةٌ، أو خصّ؛ فتبعيضٌ، وسجعةٌ على المقاطعِ، وغيرها، ويجتمعان. **التشريعُ والتوشيح**: بناءُ كلِّ بيتٍ من القصيد على قافيتين في تامٍّ، ومجزوٍّ، ومشطورٍ، ومنهوكٍ من بحرٍ وبحرين، ولو من عَروضَين. **التلوينُ**: بناؤُه على صورتين. **التجزئة**: جعلُ مقاطعِ الأجزاءِ على سَجعَتين متداخلتين، أولاهما مخالفُ الرويّ، وآخِريهما موافقةُ آخره مع أوله. **التطريزُ**: اشتمالُ الصدرِ على مخبرٍ عنه، ومتعلِّقين به، والعَجُز على خبر مُقيَّدٍ مثله كرتين. **الاطرادُ**: الانتقالُ من الممدوح ونحوه على نَسبِه مرتَّبًا. **التسجيعُ**: مقاطعُ شَطْرِ الأجزاء الثواني مطلقًا على سجعٍ كالرويّ، والشطر الآخرُ مدمجةُ الموافقةِ بسجعٍ ودونه، وغير مدمجة فيها. **السجعُ**: تعديلُ آخرِ النثر بقرينةٍ، أو تكلُّف التقفية بلا وزنٍ واحدٍ، المعجزُ آيةٌ، ومقطعُها فاصلةٌ، وجملتُها

(١) ينقسمُ علم البديع عند البلاغيين إلى لفظيٍّ، ومعنويٍّ. ويضيف الجعبري قسمًا ثالثًا، وهو الخطي. وللجعبري إضافات، وإشارات، وتعليقات غير مسبوق لها من البلاغيين رغم صغر حجم الكتاب، ورغم عدم تخصصه في البلاغة؛ فالقراءات ميدانه الرئيس.

(٢) أي: المعنى.

/[١٣/ب] سورةٌ(١)، وغيرُه سجعةٌ وفِقرةٌ، ومقطعُها قرينةٌ، وجملتُها إن كان وعظًا خطبةٌ، أو محاورةٌ فمَقامةٌ، أو مكاتبةٌ فرسالةٌ(٢)(٣). وقيل: المخيَّلُ شعرٌ، فالمتفقُ كميَّة ورويًّا مُتوازٍ، والمتفقُ فيها دونه متوازنٌ، وعكسُه مطرّفٌ، ويتساويان، والثانيةُ أو الثالثة أطولُ بلا عكسٍ، وتعديلُ الأجزاء بالأفاعيل بقافيةٍ بيتٌ، وجملتُه قصيدٌ إن تكرر رويُّه وإلَّا فأرجوزةٌ، وكلٌّ من شطريه مصراعٌ، فإن خالف العروضُ الضربَ فمُصمَتٌ، أو تمايلت لرويّ فمقفًى، أو بتغيير فمصرّعٌ، ويُراعَى في الفاصلة والقرينة ما يراعَى في القافية من الحروف والحركات لا الرويّ، وإيرادها على السكون وصلًا دونها. **الترصيعُ**: كونُ أولِ نحو الفقرتين مؤلفًا من مختلفٍ، وفي الثاني مثلها زنةً وترتيبًا وتقفيةً، مع تغايُر غير الضرب. **الازدواج**: توازنُ كلمتين قبل الفاصلة ونحوها. **المزاوجةُ**: الإتيانُ في غير الردِّ بتماثلين معنًى واشتقاقًا من أصلٍ، أو اثنين اجتماعًا وافتراقًا، وجاز أن يقع أحدهما دون الآخر. **المماثلةُ**: التوحُّدُ أو التعدُّدُ بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين باتفاق وزنِ رويٍّ أو أحدهما.

التجنيسُ والجِناسُ: اتفاقُ حروفِ الكلمتين فصاعدًا، أو أكثرها باشتقاقٍ أو أكثر في غير الردِّ متنوعٌ. **التامُّ**: تماثلُ الكميةِ، والهيئةِ، والنوعِ، **والمشنّف** وقوعُه في الطرفين، **والمستوفَى** اتفاقُهما باختلاف النوع، **المركَّبُ** المتشابهُ باتِّحاد الخطِّ،

(١) هذا بيانٌ من المؤلّف في ذكر خصوصية القرآن الكريم؛ لأنَّه اختص بإعجاز آياته، وبتسمية السورة، والفاصلة؛ فلم تُعرف هذه التسميات عند العرب في شعرها ونثرها قبل نزول القرآن الكريم.

(٢) جنس الخطابة قائمٌ على الوعظ، وجنس المقامة يتمثّل في المحاورة، وجنس الرسالة يهدف إلى المكاتبة، وهو تنبيهٌ لطيفٌ من المؤلف؛ لبيان خصوصية كلِّ جنسٍ أدبي في نظامه الجُملي والإيقاعي.

(٣) تعليقٌ دقيق من الجعبري في التفريق بين الفاصلة في القرآن، والسجع في النثر، والقافية في الشعر؛ لأنَّها تختلف حسب اختلاف النصِّ.

و**المفروقُ**[١] دونه، **والمرفوُّ** ببعضِ كلمةٍ، **والملفّقُ** بحرفٍ، **والتبعيضُ** /[١٤/أ] جامعُ الائتلافِ والاختلافِ. **فالمحرّف** اختلاف نوع الحركة، أو حركةٍ وسكونٍ، أو حركةٍ وحرفٍ، **والمغايرُ** باختلافِ النوعِ. **والمذيّلُ** اتفاقُهما بزيادة أحدهما حرفًا مطلقًا، **والمتمّمُ** بأزيد. **والمضارعُ** اختلافهما بحرفٍ مشارِكٍ، أو مقاربٍ، أو مجانسٍ مطلقًا. **والمطرّفُ** بحرفين، **واللاحقُ** بحرف مُتباعدٍ مُنافٍ فأكثر. **والعكسُ** تحويلُ حروف المتشابهين. **والقلبُ**: تحويلُ بعضها. **والمذبذبُ** ما نُوّع إلى نوعين. **التصحيفُ** اختلافُهما لفظًا، واتحادُهما خطًّا مجرَّدًا. **الموصلُ** منه نقلُ صورِ الحروفِ بوصلٍ وفصلٍ. **الملحقُ** الراجعان إلى أصلٍ واحدٍ وشبهته. **والمعنويُّ**: التجنيسُ بمرادفٍ، **والتقديريّ** بدالٍّ غيره[٢].

المطابقةُ والطِباقُ: ذكرُ الضدَّين معنًى أو لفظًا، حقيقةً أو مجازًا، إيجابًا أو سلبًا، إفرازًا وشيوعًا. **المقابلةُ**: ذكر متوافقين فأكثر، ثمَّ تعقبها ضدّها، ولو معنًى؛ فهي أخصُّ، ويتعدَّدُ، ويتضادُّ الجواز بالتعلُّق. **المؤاخاةُ ومراعاة النظيرِ**: جمعُ المتناسباتِ بحفظ المراتبِ[٣]. **المشاكَلةُ**: ذِكرُ الشيء بلفظِ مُشاكِلِه[٤] ولو تقديرًا مناسبةً. **التوشيح والإرصادُ**: ذكرُ شيءٍ أثناءَ الكلامِ يُفهَم مقطعَه، وساعَده عِلمُ الرويّ. **التوسيعُ**: أن يكون أثناءَ الكلامِ مثنًّى، أو معطوفان مفسَّران بمثلها، أو مفردٌ مضافٌ إلى مفهمٍ، وقد يُجرّد ويتعدّدُ. **المدبّجُ**: ذكرُ ألوانٍ تشتملُ على كنايةٍ، أو توريةٍ لقصدِ نحو مدحٍ، وأصلُها البياضُ والسواد للبلقة. **التوريةُ، والإيهامُ، والتخييل، والمغالطةُ** /[١٤/ب] ذكرُ كلمةٍ ذات معنيين: ظاهرٌ، وخفيٌّ[٥]، والمرادُ ذا مبيّنة مع لازم المورَّى

(١) أي: المفرَّق.

(٢) هذه أنواع الجناس التي ذكرها المؤلف بإيجازٍ واختصار.

(٣) وتسمَّى التناسب، والائتلاف، والتوفيق. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣٧٠. والجعبري فرَّق بين التناسب والائتلاف؛ فجعل كلٌّ منهما مصطلحًا بديعيًا مستقلًا.

(٤) تحقيقًا.

(٥) والمراد الخفي أو البعيد، وهنا تكمنُ بلاغة التورية وجمالها.

عنه، ومرشّحة مع لازمِهِ المورَّى به[١]، ومجرَّدة إن تجرَّدت عنهما[٢]، ومهيئة مشتملةٌ على مُصحح بهما. **الاستخدامُ**: ذكرُ كلمةٍ مشتركةٍ، ثمَّ بعدها، أو بطرفيها يُضمّن في كلٍّ أحدُ مفهوميها. **التوهيمُ**: ذكرُ كلمةٍ لتصحيفها مبالغةً اختيارًا. **التعديدُ**: وسياقُ الأعداد توالي الكلمات على قياس عطف الأسماء، واتباعُ الصفات، وقد يتخلَّفُ لمقتضٍ. **القلبُ**: تحويلُ الكلماتِ تقديمًا وتأخيرًا بمعناها وآخَر. **والإسنادُ**: تحويلُ الفاعل والمفعول بالمتعلِّق. والكلامُ، والإضافةُ، والعطفُ، والإعرابُ، والمصراعُ، والتضادُّ. **العكسُ**: تحويلُ الحروفِ طردًا وعكسًا[٣]. **القهقرى والمجنح**: إعادة الأول لمعنًى آخر، أو تقريره، أو حثًّا على الامتثال، وتهديدًا، وتعجبًا، ونفي شكٍّ، وتعظيمًا، واستغرابًا، ومدحًا، ودعاءً، وتوبيخًا، وتهكُّمًا، وتذكيرًا، وجاز عطفُ المتغايرِ وإضافته، ومعنويٌّ تأكيدٌ به وتنبيهًا على الشرفِ، وتعيينًا، وتسليةً، وتثبيتًا. **الالتزام والإعناتُ**: التبرُّع بالمحافظة على حرفٍ، أو حركة غير لازمين، أو تصغيرٍ، أو تشبيهٍ، وغلب في المقاطع. **المعنويُّ**: المحسِّنُ. **اللفُّ والنشرُ**: طيُّ شيئين فأكثر سردًا، ثم بسطُها بمتعلقاتها ترتيبًا وعكسًا ولو تقديرًا[٤]. **القَسَمُ**: للتأكيدِ، وتعظيمًا، وزيادةً، وافتخارًا،

(١) الضرب الأول من أضرب التورية، وهي: التي لا تجامعُ شيئًا مما يلائم المورّى به، وهو المعنى القريب، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ سورة طه، آية: ٥.ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣٧٩.

(٢) الضرب الثاني من أضرب التورية، وهي التي قُرن بها ما يلائم المورَّى به، أمَّا قبلها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة الذاريات، آية ٤٧.ينظر: المصدر السابق، ص ٣٧٩.

(٣) العكس والتبديل أن يقدّم في الكلام جزءٌ، ثمّ يؤخر، ويقع على وجوه. منها: أن يقع بين أحد طرفي جملة، وما أضيف إليه. ومنها: أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين. ومنها: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين. ينظر: المصدر السابق، ص ٣٧٨.

(٤) اللفُّ والنشر هو ذكرُ متعددٍ على جهة التفصيل، أو الإجمال، ثمَّ ذكر ما لكلٍّ واحدٍ من غير تعيين؛ ثقةً بأنَّ السامع يردُّه إليه، وهو على ضربين: فإمَّا أن يكون النشر على ترتيب اللف، =

ومدحًا، ونسبًا، وزهدًا. **المحاورةُ**: مفاوضةُ المتخاطبين وغيرهما بالقول. **ترتيبُ التغيير**: إعادتُه لزومًا مستويًا ومعكوسًا. **التفويف**: جمعُ معانٍ متلائمةٍ في جُملٍ متناسبةِ الأجزاءِ، تامَّةً ومدمجةً. **التسهيمُ**: مناسبةُ الأولِ الآخرَ بحيث يسبق الذهن منه إليه تصديرًا ومقابلةً، وأحسنُه عين القافية، /[١٥/أ] أو الشطرَ، والطردَ، والعكسَ. **التذييلُ**: ذكرُ جملةٍ بعد التمام، وتحقق منطوقه أو مفهومه. **الاعتراضُ والحشوُ**: إدخالُ لفظٍ أثناءَ الكلامِ تنزيهًا، وذمًّا، ورفعُ شكٍّ، وإغناء سؤالٍ، وتقريرًا، واستعطافًا، وتفؤُّلًا، واحترازًا، ودعاءً. **التفريقُ**: مباينة فردي نوعٍ فأكثرَ مدحًا، وغيره. **الجمعُ**: ضمُّ المندرجاتِ في حكمٍ. **التقسيمُ**: تعليقُ نسبةِ منطوقٍ، أو مفهومٍ بذي أجزاءٍ مطلقًا فتستوعبها من المتعلّق، أو مُغنٍ غيره. **الجمعُ، والتفريقُ، والتقسيمُ** جمعُ أشياءٍ، وتفريقُ الضمّ وتقسيمه[1]. **الائتلافُ**: اللفظُ والمعنى، ذكرُ المعنى المفخَّم بلفظٍ جَزلٍ، والرشيقُ: ترقيقٌ، والبدويُّ: تعريبٌ، والمولّدُ: يستعملُ. **واللفظُ** معنًى يصحُّ بألفاظٍ فتذكر بملائم قرينةٍ. **والمعنى**: اشتمالُ الكلامِ على معنًى وأمرين، أحدهما ملائمه؛ فيقويه به. **والوزنُ واللفظُ**: ذكرُ الشاعر معناه لا مع تحويل شاذٍ، أو حذفٍ، أو زيادةٍ، أو معهما. **والوزنُ والمعنى** نزلة القلب الشاذ، وجمع واحدٍ لم يتعدَّد. **والمقطعُ وسابقُه**: أن يدلَّ هو أو بعضُه عليها، وهو التمكينُ. **والاختلافُ** معه جمعُ أشياءَ مؤتلفةِ المعنى، ومختلفة نوعًا، أو وجودًا شيوعًا وإفرازًا. **التوجيهُ** محتملُ المدحِ والذمِّ. **المعنويُّ المبينُ**: حُسنُ البيانِ، سهولةُ كشفِ المعنى إيجازًا وإطنابًا، أحْسَنُ وحَسَنٌ ووسطٌ. **الإيضاحُ**: رفعُ

=

وإمَّا على غير ترتيبه. ينظر: المصدر السابق، ص ٣٨١ – ٣٨٢.

(١) جمع المؤلف المحسنات البديعية الثلاثة متتالية بتعريفين موجزين؛ فالجمع أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكمٍ واحد، والتفريق إيقاعُ تباينٍ بين أمرين من نوعٍ واحدٍ في المدح أو غيره، والتقسيم ذكرُ متعددٍ، ثمَّ إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين. وللبلاغيين أقوالٌ متباينة، وآراء متعددة حول الجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التقسيم والتفريق. وربما هذا السبب وراء جمع المؤلف لها متتابعةً.

لَبْسِ الاحتمالِ، أو خفاءِ الحكمِ. **المذهبُ الكلاميُّ**: قيامُ حجَّةٍ يصدقُ دعواه برهانيٌّ، فيقينيٌّ، وجدليٌّ، وخطابيٌّ[(١)] مرجحان. **حُسْنُ التعليلِ**: ذكرُ علةٍ مناسبةٍ لطيفةٍ مجازًا؛ لإثباتها ممكنة، إيهام التحقُّق عند التعجُّب[(٢)]. **القولُ بالموجَب**: تسليمُ العلةِ، ومنعُ المعلِّ صريحًا ودونَه. **التبيينُ**: ذكرُ مفردٍ مبهمٍ بلا قيدٍ، أو تقاصرٍ، فيرفعُ أحدَ جزأي الجملة /[١٥/ب] بالآخر، أو هو، أو غيره بمخصِّص الأول. **التتميمُ**: ذكرُ قيدٍ بتابعٍ مبالغةَ المعنى، أو رفعُ احتمال ضدٍّ، أو مناسب لفظِ الوزنِ. **المزلزلُ**: قابلُ الضدِّ بتغييرٍ ما. **الاحتراسُ**: إلحاقُ كلامٍ يخل من منطوقه أو مفهومه من مصلح. **المواربةُ**: تداركُ المتكلِّم إصلاحَ خطرٍ طوى عليه بسببه. **المتابعةُ**: ترتيبُ الجمل مواضعها باعتبار معانيها مطلقًا مقامه. **التكميلُ**: رفعُ نقصِ المفهوم بجملة الشمولِ. **التعريضُ والتلويحُ**: دلالةُ مفهوم القصدِ، أو قبولُ الحقِّ بلطيفٍ. **المبالغةُ**[(٣)]: بلوغُ الموصوفِ إلى أقصَى غايتَي القوَّة أو الضعفِ بحيث يُستبعَد، أو يُحالُ لكونه في غير وضعه، أو يُرادفُ، أو شبه تتميمٍ. **فالممكنُ**: الواقعُ عادةً تبليغٌ وإلَّا إغراقٌ. **والمستحيلُ**: المقبولُ عاري الدعوى عن خارجٍ عن قدرته؛ وإلَّا فمردودٌ. **والإيغالُ**: في القافية. **الإفراط**: ضدّها باعتبار النقص، بديعٌ في مقامه. **الاقتصادُ والمساواة**: جمعهما. **الاستطرادُ**: التحوُّلُ إلى معنًى قُصِدَ لعلاقةٍ تبعًا بعدَ توطئة، وكثُر في الذمِّ.

---

(١) أضاف بعد التعريف أنواع الحجج، وذكرُ الأنواع غير متطرقٍ له عند كثيرٍ من البلاغيين في مصنفاتهم التي سلكت مسلك السكاكي في تقسيم علوم البلاغة؛ فهي من إضافات الجعبري في السياق البلاغي.

(٢) وهو أربعة أقسام؛ لأنَّ الوصف إمَّا ثابتٌ المقصود منه بيان علته، أو غير ثابت أُريد إثباته، والأول إمّا ألا يظهر له في العادة علةٌ، أو يظهر له علةٌ غير المذكورة، والثاني إمّا ممكن، أو غير ممكن. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣٩٣.

(٣) المبالغة أن يدَّعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًّا مستحيلًا أو مستبعدًا؛ لئلا يُظنَّ أنَّه غير متناهٍ في الشدة أو الضعف. وتنحصر في التبليغ، والإغراق، والغلو. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣٩٠.

الاستتباعُ: استلزامُ الوصفِ آخر، وسمّي الاستنتاج، وفرّق بالمغايرة(١). **التفريعُ**: اقترانُ المنفيّ بها بأوصافِ مدحٍ، أو ذمٍّ مخبرٌ عنه بأفعل المناسب المعدَّى بمن للمقصود بأحدهما فتتشعبُ مساواتُه، أو يُذكر المقصودُ بصفةٍ تقرَّبُ من أبلغَ منهما، فيذكرُ بها، ويفهمُ الرجحانُ.

استثناءُ تتميمٍ، وتأكيدُ المدحِ بموهمِ الذمَّ. وعكسُه: نفيٌ منقص عن موصوفٍ، ثمَّ إثباتُ مكملٍ توهم نقصًا أو منقّص باعتبار، أو عند المخاطب، أو تثبت صفة مدح، ثمَّ إثبات مكمّل يوهم نقصًا يُستثنى منقطعًا بأخرى، أو يستدرك. **عكسُه**: نفيُ صفةِ مدحٍ، أو ذمٍّ، أو ثبوتُها، ثمَّ يستثنى بأخرى، أو هما. استيفاؤهما بلوغُ غايةِ المدحِ، والذمِّ. **التهكُّمُ**: إيرادُ الكلامِ /[١٦/أ] على غير ظاهره استهزاءً بالمخاطَب وغيره، أو تعريضًا بالغضبِ. **الإدماجُ**: التصريحُ بمعنًى هو كنايةٌ في آخر، ويُقصدُ بديعًا فجيء في ضمنه آخر. **التعليقُ**: ذكرُ تامٍّ توطئةً لآخَر من فنِّه أو غيره، أو تضمينُ الشرط بعدَ التلازُم مبالغةً تعليقَ مدحٍ بمدحٍ، وهجوٍ بهجوٍ. **الإيهامُ**: ذكرُ الشيء مُجملًا تفخيمًا، ومفسرًا بيانًا. **التجاهلُ**: سَوْقُ المعلوم مساقَ المجهولِ؛ لنكتةِ شغفِ الحبِّ، ومبالغةِ المدحِ، والتوبيخ. **الرجوعُ والتدارُكُ**: نقضُ المتكلِّم كلامه إثباتًا ونفيًا من طرقٍ؛ للاعتبارات المجملة(٢). **التخييلُ**: إبرازُ كلامِ المتصوّر في صورةٍ بمعنًى. **الإشارةُ والتلميحُ**: الإيماءُ إلى قصَّةٍ مشهورةٍ مبالغةً. **التجريدُ**: مخاطبةُ نفسك بما لها غير منتقلٍ، أو إبراز شيءٍ من شيءٍ. **الالتفاتُ**: الانتقالُ من رُتب الإظهارِ والإضمارِ لأحدها. **الجدُّ الهَزليُّ**: إحماضًا وسببًا. **الإلغاز**: تعميةُ المعنى ذكاءً للتمرين. **عَقدُ الحلِّ**: نظمُ النثر. **وحلُّ العقدِ**: نثرُ النظم. **الانسجام**: علوُّ النثرِ إلى اتّزانه اتفاقًا بحسن سبكه، وليس شعرًا إلى بيتين. **الاقتباسُ**: إدخالُ شيءٍ من الكتاب أو السُّنَّة في نظمٍ

(١) الاستتباع هو المدح بشيء على وجهٍ يستتبع المدحَ بشيءٍ آخر، ومنه الإدماج وهو أن يضمَّن كلامٌ سيق لمعنى معنىً آخر؛ فهو أعمُّ من الاستتباع. ينظر: المرجع السابق، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) الرجوع هو العودُ على الكلام السابق بالنقض؛ لنكتةٍ. ينظر: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٣٧٨.

أو نثرٍ؛ تيمنًا وتحسينًا. **التضمينُ**: إدخالُ شيءٍ من كلامِ ناظمٍ، أو ناثرٍ في مثلها؛ تزيينًا ومكافأةً عالمًا[(١)]. **الإجازة**: عكسه لهما. **الموارِدةُ ووقوعُ الحافرِ على الحافرِ**: توافقُ المتكلِّمين على لفظِ كلامٍ ومعناه اتفاقًا. **براعةُ الاستهلال**: الابتداءُ بألفاظٍ حسنةٍ، والدلالةُ على القصدِ. /[١٦/ب] **والمطلع والمخلص**[(٢)]: الانتقالُ إلى القصد بمناسب الطرفين. **والختمُ والقطعُ**: ختمُ الألفاظ الدالَّة على التمام. **الخطِّي**؛ لتناسب الدالِّ والمدلولِ. **المقطعُ**: فصلُ حروفِ الكلمةِ. **المُوصِّلُ**: عكسُه. **المُعجَمُ**: عمومُ نقطِ الكَلِمِ. **المُهمَلُ**: عكسُه. **الرقطةُ**: حرفٌ وحرفٌ. **الخيفُ**: كلمةٌ وكلمةٌ. **الموصّلُ المُعجَمُ** والمهملُ جمعها.

ذيلٌ في الغارات والسرقات[(٣)]:

الاصطرافُ: جنسها[(٤)]. **السلخُ**: إلباسُ المعنى حلةً أخرى محمودٌ. **مماثلةٌ** بالاتفاق. **وتوكيدٌ** نزعُ كلامٍ من آخر مختلفُ اللفظِ، مُتقن المعنى. **واستخراجٌ**: نزعٌ من آخر بمخالفة القصد دون اللفظ، ومعًا. **وقلبٌ**: نقله إلى ضدِّه. **وعكسٌ**: الذمّ إلى المدح. **وموازنةٌ**: تبديلُ المعنى، والأحسنُ الزائدُ بقصر الطويل، ونقل الرذل إلى الجزل، والقبيح إلى المليح. **المسخُ**: مذمومٌ لنقضه نقل الجيّد إلى الرديّ، والطويل إلى القصير، والرصيف إلى السخيف، والمليحُ إلى القبيح، والمدحُ إلى الذمّ، والراجحُ إلى المرجوحِ، والعذب إلى الضعيف، والكمال إلى النقص، وجودة القافية إلى الرديَّةِ، وصحيح المعنى إلى فاسده. **والالتقاط**: بيتٌ من أبياتٍ مجَّانًا. **والنسخُ**: أخذُ ما لغيره برُمَّتِه حرامٌ. **فالغارةُ**: أخذُه استيلاءً؛ لعظمتِه وشهرتِه. **والانتحال**: شعرُ غيره. **والاختلاسُ**: ترويجُ

(١) أي: عالما بصناعة التضمين.

(٢) أي: حسن التخلص، وفي القرآن الكريم يقال حسن الانتقال؛ تأدبًا مع كلام الله ﷻ.

(٣) وهذا منهجٌ عند بعض البلاغيين؛ فيختمون مؤلفاتهم بالحديث عن الاحتذاء الشعري، والسرقات الشعرية وأنواعها. ينظر مثلًا: القزويني، "**الإيضاح**"، ص ٤٢٧.

(٤) جنس الأخذ، وهو أنواعٌ. ينظر: الجَعبري، "**رسم البراعة في علم البلاغة**"، (٥٧/أ).

السرقةِ بتغييرٍ ما. **والاهتدام**: تشطرُهُ. **والمرافدةُ**: هِبَةُ الشاعرِ لغيره شِعرَه جبرًا وإعانةً، مباحةٌ، والفضلُ للواهبِ.

وها أنا قد أريتُكَ أساليبَ البلاغةِ في قواليب /[١٧/أ] الصياغة(١)؛ فتفطن لمقاصده، تَحْظَ بفوائده(٢).

وهنا انتهى الكلامُ في هذا المقام، فللهِ الحمدُ على الإتمام، وصلواته وسلامه على نبيّنا محمد وآله والسلام.

قد فرغ كتابة هذا الكتاب في أوائل جمادى الآخرة، بمدينة الخليل على ساكنها التحية والتسليم، على يد الضعيف المحتاج إلى رحمة المتعالي، فخر الدين بن نظام الدين الحسيني الجرجاني، وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

(١) جاء ختام الكتاب موافقًا لعنوانه؛ فالمؤلِّفُ يؤكدُّ أنَّ أساليب البلاغة تحقّقُ حسن الصياغة، لذلك جاء عنوان الكتاب: **حسنُ الصياغة في فنّ البلاغة**.

(٢) هذا تنبيهٌ من المؤلّف في غاية الأهمية؛ لأنَّ تحقيق مقاصد البلاغة يحتاجُ فطنةً وبداهةً؛ فعلم البلاغة يتطلبُ الجوانب المعرفية في التخصص، مع أهمية توقد الذهن، وسرعة البديهة، ومراعاة السياق، ومناسبة المقام؛ فالقصد من هذه الخاتمة أنَّ المتعلم لن يستفيد من هذا الكتاب حتى يمعن النظر في مقاصد البلاغة، وأغراضها البيانية.

المصادر والمراجع

ابن الجزري، محمد بن محمد، "**التمهيد في علم التجويد**"، تحقيق: غانم قدوري الحمد. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

ابن الجزري، محمد بن محمد، "**النشر في القراءات العشر**"، تحقيق: علي الضبّاع، (مصر: المطبعة التجارية الكبرى).

ابن الطحّان، عبد العزيز بن علي، "**مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ**"، تحقيق: حاتم الضامن، *مجلة مجمع اللغة العربية الأردني*، (٤٨)، ١٤١٥هـ.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**"، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (ط١، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، "**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه**". تحقيق: شعبان إسماعيل، (ط١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "**البداية والنهاية**"، تحقيق: عبد الله التركي، (ط١، الجيزة: دار هجر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، "**دلائل الإعجاز**"، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. (ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة:١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

الجزري، محمد بن محمد، "**غاية النهاية في طبقات القراء**"، تحقيق: ج. برجستراسر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ).

الجعبري، إبراهيم بن عمر، "**الهبات الهنيَّات في المصنَّفات الجعبريَّات**"، تحقيق: جمال السيد الشايب، (ط١، القاهرة: مكتبة السنة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

الجعبري، إبراهيم بن عمر، "**وصف الاهتداء في الوقف والابتداء**"، تحقيق: فرغلي عرباوي، (ط١، الجيزة: مكتبة الشيخ فرغلي سيد عرباوي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

الحمد، غانم قدور، "**الميسر في علم رسم المصحف وضبطه**"، (ط٢، جدة: معهد

الإمام الشاطبي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

الحنفي، يوسف بن تَغرِي بَرْدي، "**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**"، حققه: محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة).

الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، "**الإيضاح**"، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).

الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن، "**التلخيص في علوم البلاغة**"، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي. (القاهرة: ط١، دار الفكر العربي، ١٩٠٤م).

الذهبي، محمد بن أحمد، "**معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**"، تحقيق: بشار عواد وشعيب الأرناؤوط وصالح عباس، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، "**المحصول**"، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م).

الزركشي، محمد بن عبد الله، "**البحر المحيط في أصول الفقه**"، (ط١، دار الكتبي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، "**طبقات الشافعية الكبرى**"، تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، (ط٢، الجيزة: دار هجر، ١٤١٣هـ).

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، "**مفتاح العلوم**"، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، "**طبقات الحفاظ**"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن بكر، "**الإتقان في علوم القرآن**". تحقيق: مركز الدراسات

القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).

الشوكاني، محمد بن علي، "**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**"، (بيروت: دار المعرفة).

الصفدي، صلاح الدين خليل، "**أعيان العصر وأعوان النصر**". تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم، (بيروت: ط١، دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

صلاح الدين، محمد بن شاكر، "**فوات الوفيات**"، تحقيق: إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م).

الضبّاع، علي بن محمد، "**الإضاءة في بيان أصول القراءة**". اعتنى به: محمد الحسيني، (ط١، القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٤٢٠هـ).

الظلمي، يحيى بن حسين، "**قاعدة عموم السلب وسلب العموم وتطبيقاتها الأصولية**"، *مجلة الجمعية الفقهية السعودية*، (٢٣)، ٢٠١٦م.

العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، "**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**"، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. (ط٢، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

القيسي، مكي بن أبي طالب، "**الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**"، تحقيق: أحمد فرحات، (ط٣، عمَّان: دار عمَّار، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

المرصفي، عبد الفتاح عجمي، "**هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**"، (ط١، القاهرة: دار الفجر، ١٤٢٦هـ).

الوادي آشي، محمد بن جابر، "**برنامج الوادي آشي**"، تحقيق: محمد محفوظ، (ط١، دار المغرب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

اليافعي، عبد الله بن أسعد، "**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**"، وضع حواشيه: خليل المنصور، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

Bibliography

Al-Suyuuti, ‘Abdul Rahmaan bin Bakr, “**Al-Itqaan fi ‘Uluum Al-Qur’aan”,** Investigation: Center for Qur’anic Studies, (King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur’an).

Al-Dabbaa’, Ali bin Muhammad, “**Al-Idaa’a fi Bayaan Usuul Al-Qiraa’ah”,** , Cared for by: Muhammad Al-Husaini, (1st ed., The Azhari Library, Cairo, 1420 AH).

Al-Safadi, Salaahudeen Khaleel “**A’yaan Al-‘Asr wa A’waan Al-Nasr”,** , Investigation: ‘Ali Abu Zayd and Nabeel Abu ‘Amasha and Muhammad Maw’id and Mahmuud Saalim, (1st ed., Daar Al-Fikr, Beirut: 1418 AH / 1998).

Al-Qazweini, Jalaaludeen Muhammad bin ‘Abdir Rahmaan Al-Khateeb, “**Al-Eedooh”,** Explanation and investigation: Muhammad ‘Abdul Mun’im Khafaaji, (1st ed., Maktabah Al-Ma’aarif, Riyadh: 1426 AH/ 2006).

Al-Zarkashi, Muhammad bin ‘Abdillaah, “**Al-Bahr Al-Muheet fi Usuul Al-Fiqh”, (**1st ed., Daar Al-Kutubi, 1414 AH/ 1994).

Ibn Katheer, Isma’eel bin ‘Umar, “**Al-Bidaayah wa Al-Nihaayah”,** Investigation: ‘Abdullaah bin Al-Turki, (1st ed., Daar Hajar, Jiza: 1418 AH/ 1997).

Al-Sahawkaani, Muhammad bin ‘Ali, “**Al-Badr Al-Taali’ bi Mahaasin man Ba’da Al-Qarn Al-Saabi’”, (**Daar Al-Ma’rifah, Beirut).

Aashi, Muhammad bin Jaabir, “**Barnaamij Al-Waadi Aashi”,** Investigation: Muhammad Mahfouz, (1st ed., Daar Al-Magrib Al-Islaami, Beirut: 1400 AH/ 1980).

Al-Qazwein, Muhammad bin ‘Abdul Rahmaan Al-Khateeb, “**Al-Talkhees fi ‘Uluum Al-Balaagha”,** corrected and explained: ‘Abdul Rahmaan Al-Barquuqi, (1st ed., Daar Al-Fikr Al-‘Arabi, Cairo: 1904).

Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad “**Al-Tamheed fi ‘Ilm Al-Tajweed”,** , Investigation: Gaanim Quduuri Al-Hamad, (1st ed., Muassasah Al-Risaalah, Beirut: 1421 AH).

Al-‘Asqalaani, Ahmad bin ‘Ali Ibn Hajar, “**Al-Durar Al-Kaaminah fi A’yaan Al-Miha Al-Thaaminah”,** Investigation: Muhammad ‘Abdul Mu’eed Daan (2nd ed., Majlis Daairah Al-Ma’aarif Al-‘Uthmaaniyyah, India: 1392 AH/ 1972).

Al-Jurjaani, Abu Bakr ‘Abdul Qaahir bin ‘Abdir Rahmaan bin Muhammad Al-Faarisi Al-Asl, “**Dalaail Al-I’jaaz”,** Investigation: Mahmuud Muhammad Shaakir Abu Fahr, (3rd ed., Al-Madani Press in Cairo, - Daar Al-Madani in Jeddah: 1413 AH – 1992).

Al-Qaysi, Makki bin Abi Taalib, “**Al-Ri’aayah li Tajweed Al-Qiraa’a wa Tahqeeq Lafdh Al-Tilaawah”,** Investigation: Ahmad Farahaat, (3rd ed., Daar ‘Ammaar, Amman: 1417 AH/ 1996).

Ibn Qudaamah, ‘Abdullaah bin Ahmad, “**Rawdah Al-Naazir wa Junnah Al-Munaazir fi Usuul Al-Fiqh”,** Investigation: Sha’baan Isma’eel, (1st ed., Muassasah Al-Rayaan, Beirut: 1419 AH/ 1998).

Ibn Al-‘Imaad, Abdul Hayy bin Ahmad, “**Shadaraat Al-Dahab fi Akhbaar Man Dahab”,** Investigation: Mahmuud Al-Arnaout, (1st ed., Daar Ibn Katheer, Damascus/ Beirut: 1406 AH/ 1986).

Al-Suyouti, ‘Abdul Rahmaan bin Abi Bakr, “**Tabaqaat Al-Huffaaz”, (**1st ed., Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut: 1403AH).

Al-Subki, ‘Abdul Wahaab bin Taqiuddeen, “**Tabaqaat Al-Shaafi’iyyah Al-Kubra”,** Investigation: Mahmuud Al-Tanaahi and ‘Abdul Fattaah Al-Hulw, (2nd ed., Daar Hajar, Jiza: 1413 AH).

Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad, “**Gaayah Al-Nihaayah fi Tabaqaat Al-Quraa”,** Investigation: J. Bergerster, (Ibn Taimiyyah Library: 1351 AH).

Salaahudeen, Muhammad bin Shaakir, “**Fawaat Al-Wafiyyaat”,** Investigation: Ihsaan ‘Abaas, (1st ed., Daar Saadir, Beirut: 1973).

Al-Dhalami, Yahya bin Husain, “**Qaa’idah ‘Umuum Al-Salb wa Salb Al-‘Umuum wa Tatbeeqaatuha Al-Usuuliyyah”,** *Journal of the Saudi Fiqh Society*,(23), 2016.

Fakhrudeen Al-Raazi, Abu ‘Abdillaah Muhammad bin ‘Umar bin Al-Hassan bin Al-Husain Al-Taymi Al-Raazi called, “**Al-Mahsoul”,** Study and investigation: Dr. Jaabir Fayyaad Al-‘Alwaani, (3rd ed., Muassasah Al-Risaalah, Beirut:1418 AH/ 1997).

Al-Yaafi’I, ‘Abdullaah bin As’ad, “**Mirhaat Al-Jinaan wa ‘Ibrah Al-Yaqataan fi Ma’rifat maa Yu’tabar min Hawaadith Al-Zamaan”,** annotated by: Khalil Al-Mansour, (1st ed., Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut: 1417 AH/ 1997).

Al-Tahaan, ‘Abdul ‘Azeez bin ‘Ali, “**Murshid Al-Qaari Ilaa Tahqeeq Ma’aalim Al-Maqaari”,** Investigation: Haatim Al-Daamin, *Journal of Jordanian Council of Arabic Language*,(48), 1415 AH.

Al-Dahabi, Muhammad bin Ahmad, “**Ma’rifat Al-Qurraa Al-Kibaar ‘alaa Tabaqaat Al-A’saar”,** Investigation: Bashaar ‘Awaad and Shu’aib Al-Arnaout and Saalih ‘Abaas, (1st ed., Muassasah Al-Risaalah, Beirut: 1404 AH).

Al-Sakaaki, Yusuf bin Abi Bakr bin Muhammad bin ‘Ali Al-Khawaarizmi Al-Hanafi Abu Ya’qub, “**Miftaah Al-‘Uluum”,** Corrected and annotated by: Nu’aim Zurzuur, (2nd ed., Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut: 1407 AH – 1987).

Al-Hanafi, Yusuf bin Tagri Bardi, “**Al-Manhal Al-Saafi wa Al-Mustawfi ba’da Al-Waafi”,** Investigation: Muhammad Muhammad Ameen, (The Egyptian General Council for Books, Cairo).

Al-Hamd, Gaanim Quduur, "**Al-Maseer fi 'Ilm Rasm Al-Mashaf wa Dabtihi", (**2nd ed., Imam Shatibi Institute, Jeddah: 1437 AH/ 2016).

Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad, "**Al-Nashr fi Al-Qiraa'aat Al-'Ashr",** Investigation: 'Ali Al-Dabbaa', (Egypt: Al-Matba'a Al-Tijaariyyah Al-Kubra).

Al-Ja'buri, Ibrahim bin 'Umar, "**Al-Hibaat Al-Haniyyaat fi Al-Musannafaat Al-Ja'bariyyaat",** Investigation: Jamaal Al-Seyyid Al-Shaayib, (1st ed., Maktabah Al-Sunnah, Cairo: 1425 AH/ 2004).

Al-Marsafi, 'Abdul Fattaah 'Ajami, "**Hidaayah Al-Qaari Ila Tajweed Kalaam Al-Baari", (**1st ed., Daar Al-Fajr, Cairo: 1426 AH).

Al-Ja'buri, Ibrahim bin 'Umar, "**Wasf Al-Ihtidaa fi Al-Waqf wa Al-Ibtidaa",** Investigation: Fargali 'Arbaawi, (1st ed., Maktabah Al-Shaykh Fargali Seyyid 'Arbaawi, Jiza: 1433 AH/ 2012).

تحليل الخطاب القضائي بلاغيا
دراسة وصفية تطبيقية

The Judicial Discourse Analysis
from a Rhetorical Perspective
A Practical Descriptive Study

د. سعيد بن يحي العواجي

أستاذ مساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: sa1400s@hotmail.com

المستخلص

قام هذا البحث بدراسة مفهوم الخطاب القضائي، ومفهوم تحليل الخطاب، والربط بينهما، وبيان إمكانية تحليل هذا الخطاب من منظور البلاغة العربية القديمة، لما يحمله من خصائص بلاغية تتمثل في الحجاج والبناء والاجتماع والتأويل، والكشف عن الأصول العامة للبلاغة التي تساهم في تحديد مآلات الخطاب القضائي كالسياق والإقناع والموازنة والنظم والاستدلال، بالإضافة إلى الاستعانة بمفهوم الاحتجاج البلاغي وأنواعه عند القدماء، وتوصلت الدراسة إلى أهمية توظيف البلاغة في تحليل الخطاب القضائي وعدم الاستغناء عنها، ولم يغفل البحث الجانب التطبيقي، فقد قام الباحث باختيار نصوص قضائية، لكل جانب نظري فيها، وطبق عليها القاعدة البلاغية، فكشف التحليل عن الوقائع الجرمية والمآلات الخطابية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القضائي، تحليل الخطاب، الاحتجاج، البلاغة.

Abstract

This research studied the concept of judicial discourse, and the concept of discourse analysis and the link between them, and indicated the possibility of analyzing this discourse from ancient Arabic rhetorical perspective because of its characteristics including argumentation, structuring, meeting and interpretation, and revealing the general rules of rhetoric that contribute to the identification of judicial discourses such as context, persuasion, balancing, composing/ poetry, and reasoning, in addition to the use of various concepts of rhetorical reasoning according to ancient scholars.

The study concluded by showing the importance of using rhetoric in analyzing judicial discourse and that it should not be ignored.

The research did not overlook the practical aspect. The researcher chose judicial texts, for each theoretical aspect, and applied the rhetorical rule to them. The analysis revealed the criminal facts, the legal innocence, and the outcome of the discourse during litigation.

Keywords: judicial discourse, discourse analysis, reasoning, ancient rhetoric.

المقدمة:

إن البلاغة العربية من أهم العلوم التي تدرس الخطابات اللسانية بشتى اتجاهاتها، وقد استفاد منها كثير من المحللين في الشرح والتفسير والتأويل والتقويم كذلك، ومن ينظر إلى العلوم العربية والشرعية يجد حضور البلاغة واضحا في كثير منها، كأصول التفسير، وتفسير القرآن الكريم، ومصطلح الحديث، وشرح الأحاديث النبوية، وأصول الفقه، واستعانة الفقهاء بها في الفتوى واستخراج الأحكام الشرعية؛ بل إن الدراسات اللسانية المعاصرة الغربية والعربية استعانت بالبلاغة القديمة في تقرير كثير من المفاهيم المترابطة بتحليل الخطاب اللساني أيا كان هذا الخطاب.

والخطاب القانوني والقضائي أحد أهم الخطابات المعاصرة التي تحتاج إلى تحليل خاص بها، وإن كان القانونيون واللغويون قد اهتموا كثيرا بمهارات صياغة الخطاب القانوني، إلا أن الاهتمام بالجانب البلاغي لم يكن حاضرا بكثافة كحضور الجانب النحوي والصرفي وعلامات الترقيم وتعليم أساليب الصياغة وفنونها، ويعود ذلك إلى اعتقاد البعض أن البلاغة العربية تهتم فقط بالجانب الأدبي الجمالي، إلا أن البلاغة العربية بقواعدها وأنظمتها المعرفية وتطبيقاتها، لم تستثن الجانب الإقناعي من دراسة الخطاب، والشواهد في كتب التراث كثيرة جدا.

وبما أن بنية الخطاب القضائي المكتوب باللغة العربية الفصحى لا تخرج عن أنظمة اللغة العربية، فإن أكثر العلوم التي تستطيع أن تقوم بتحليل وشرح وتفسير وتقويم هذه البنية بطريقة علمية هي علوم البلاغة العربية: علم المعاني والبيان والبديع، وقد استخدمها التراث النقدي العربي كأداة في الحكم بين الشعراء والأدباء، ويستطيع أن يستعين بها القاضي والمدعي والمدعى عليه في بيان ما تكنه نفوسهم دون أن يقعوا في سوء الفهم الذي قد يوقع الضرر على أحد الأطراف.

مشكلة الدراسة:

تعالج هذه الدراسة ندرة البحوث اللغوية والقانونية في مجال تحليل الخطاب القانوني بشكل عام والخطاب القضائي بشكل خاص، فقد أشار أحمد الدين العربي

إلى أن " اللسانيات القضائية مجهولة تماما في رواق المحاكم العربية ...، وهذا الجهل مرده إلى عدم شيوع هذا المصطلح في دوائر خدمتهم وإلى عدم اطلاعهم الكافي على جديد اللغة والقانون"(١)، وذكر أن نسبة ١٠ % فقط من أجاب بنعم لمعرفته بهذا العلم، وهذا يعني أن ٩٠٪ لم يمر بهم مطلقا، وقد كانت دراسته موجهة إلى قضاة ومحامين من عشر دول عربية هي: الجزائر وتونس والمغرب ومصر والسودان والأردن ولبنان وقطر والإمارات والسعودية(٢).

وهذا الدكتور صالح العصيمي يقول: " بحثت في المكتبات ...عن أي مؤلف للسانيات الجنائية فلم أجد، فهناك ندرة في وجود أي منتج علمي عربي يخص اللسانيات الجنائية " (٣).

وربما يعود ذلك إلى أن القانونيين ينظرون إلى الفعل الجنائي ولا ينظرون إلى اللغة نفسها إلا في تلك الجرائم التي تكون اللغة فيها دليلا على الجريمة الجنائية كالسب والقذف وغيرهما، متناسين أن تراثنا القضائي قائم على الاستعانة باللغويين والأدباء في الجرائم والجنايات، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحبس الحطيئة الشاعر؛ وذلك بسبب أن الزبرقان بن بدر شكاه لعمر إنه يهجوه في قوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أراه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا، فقال يا أمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين ما هجاه ولكن سلح عليه، فعند ذلك حبسه عمر(٤).

هذه القصة ترشد إلى مسألتين مهمتين: الأولى أن القضاء نصي، والثانية أن للنص خبراءه الذين يستطيعون تحليله وكشف جوانبه.

(١) أحمد الدين العربي، اللسانيات القضائية في الوطن العربي، ص:٥٠.
(٢) المرجع السابق: ص:٤٥.
(٣) صالح العصيمي، اللسانيات الجنائية، ص:١٦.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ص:٩٧.

واللغة العربية فنونها شتى، ومجالاتها واسعة، وربما يغفل البعض الجانب البلاغي وهو الجانب الأهم في التحليل؛ لأنه هو العلم الذي يراعي الخطاب والمخاطَب والمخاطِب، ويراعي أيضا الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للوصول إلى أغراض الكلام ومآلاته، وبما أن هذه صورته فهو من أقرب العلوم لتحليل الخطاب القضائي؛ ولذلك أتى هذا البحث بعنوان: (تحليل الخطاب القضائي بلاغيا، دراسة وصفية تطبيقية).

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذه الدراسة من جانبين:

الجانب القانوني:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تساعد القانونيين في اختيار الأساليب البلاغية المناسبة للصياغة القانونية، وتساعدهم في تحليل الخطاب أثناء الترافع والنقض والاستئناف.

الجانب التخصصي:

يسهم في انفتاح التخصص على مشكلات الخطاب المعاصر بالبحث والاستقراء والاستنباط والتقويم، ويتفاعل مع المجتمع في حل مشكلاته الخطابية.

أسباب اختيار الموضوع:

١– ندرة الدراسات البلاغية في تحليل الخطاب القضائي.

٢– بناء مدخل وصفي تطبيقي يساعد في تحليل الخطاب القضائي.

٣– حل مشكلات الخطاب القضائي المعاصر.

أهداف البحث:

١– التعريف بخصائص الخطاب القضائي من منظور بلاغي.

٢– بيان أصول البلاغة العامة في تحليل الخطاب القضائي.

٣– بيان مفهوم الحجاج وأنواعه في البلاغة العربية.

٤– توظيف البلاغة العربية القديمة في تحليل الخطاب القضائي.

حدود الدراسة:

كتب التراث البلاغي أثناء التنظير والتحليل، أما النصوص القضائية المختارة للتطبيق فهي من الجزء الثالث عشر (لمجموعة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٥هـ)، الصادر عن مركز البحوث في وزارة العدل في المملكة العربية السعودية.

خطة البحث:

تتكون الخطة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

المقدمة وفيها: إشكالية البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، وخطته، ومنهجه.

أما التمهيد ففيه: مصطلحات الدراسة، وفي الفصل الأول: أصول عامة للبلاغة في تحليل الخطاب القضائي، وفي الفصل الثاني: مفهوم الحجاج وأنواعه في البلاغة العربية القديمة، وخاتمة فيها النتائج والتوصيات.

منهج الدراسة:

سوف يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ كما سوف يقوم بتوظيف أدوات البلاغة العربية القديمة أثناء التطبيق.

التمهيد

مصطلحات الدراسة.

الخطاب.

وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم في مواضع عدة، ولعلني أقف عند آيتين في سورة (ص) تتحدث عن نبي الله داود عليه السلام، في الأولى قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ سورة ص [٢٠]

ومعنى فصل الخطاب كما ذكر القرطبي في تفسيره مختلف فيه: فبعضهم يرى معناه: "علم القضاء والفهم به"، وبعضهم يرى أنه: "بتكليف البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه"(٥).

أما الآية الثانية فقد أتت للحديث عن التقاضي بين الخصوم. ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ سورة ص [٢٣] أي "غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو يكاد"(٦).

ويلاحظ أن معنى الخطاب في القرآن هو القول والكلام، ويحدث فيه الغلبة لأحد الأطراف، وقد ورد في سياق التقاضي، ومعرفة أحوال المتخاطبين، ويشير إلى أركان الخطاب: المخاطِب والمخاطَب والخطاب، وتحديد المدعي والمدعى عليه.

أما في اللغة: فهي لا تبتعد كثيرا عن معاني التفسير، ففي لسان العرب "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"(٧)، وفي الصحاح: "وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا"(٨).

ويعرف الخطاب في الاصطلاح بأنه: "مقطع كلامي يحمل معلومات يريد

(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٣/ ٥٥-٥٦.
(٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، م١٤٩١/٤.
(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، م٣٦١/١.
(٨) الرازي، مختار الصحاح، ص:١٠١.

المرسل أن ينقلها إلى المرسل إليه بناء على نظام لغوي مشترك بينهما"[٩].

ويقترح الباحث التعريف التالي: هو عملية كلامية بين طرفين أو أكثر، شفهية أو كتابية، يتكون من أصوات لغوية تتجاور فيما بينها لتشكل جملا متوالية لها دلالة ووظيفة في ذات الوقت.

١– الخطاب القضائي.

بما أن الخطاب القضائي قائم على الحجاج فإنه: "بناء فني متسق المباني والمعاني، يتعالق به ثلاثة قصود: قصد الادعاء بالمقال الذي يختص به المدعي المحاجج، ويعتقد صدق ما يدعيه، ويقيم الأدلة الحجاجية عليه إثباتا له، وقصد الاعتراض الذي هو من أجل حقوق المدعى عليه المحاجج، إبطالا لحق المدعي وقدحا في حقه، وقصد التقويم من قاضي موضوع الدعوى لينظر في الادعاء والاعتراض تحقيقا وتقويما، ليقول كلمة الحق، ويفصل بين المحاجِج والمحاجَج"[١٠].

وبالنظر إلى مفهوم الخطاب بشكل عام، والتعريف السابق للخطاب القضائي، فإن الباحث يرى أن الخطاب القضائي هو: عملية كلامية تحدث في سياق مجلس التقاضي، موضوعه القضية المتنازع عليها، وأدواته الحجج والبراهين المادية والقولية، وأطرافه: القاضي والمدعي والمدعى عليه والشهود في بعض الأحيان.

وبالتالي فإن عناصر الخطاب القضائي تتحدد فيما يأتي:

١– خطاب المدعي.

٢– خطاب المدعى عليه.

٣– الحجج المتلفظ بها من قبل المدعي أو المدعى عليه.

٤– نطق القاضي بالحكم.

٥– خطاب الحاضرين مجلس التقاضي كالشهود والخبراء وغيرهم...

وعلى ضوء ما سبق يكون الخطاب القضائي متوزعا بين عناصره، ونجد أن

(٩) إميل يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، مادة خطب، ص: ٢١٥.

(١٠) د. حسن بن أحمد الحمادي، مكانة الحجاج في صياغة الأحكام القضائية، ص:٥٦.

البلاغة تستطيع أن تحلل هذه الخطابات المتعددة تحليلا علميا.

٢– تحليل الخطاب.

لقد ذكر العصيمي في كتابه (اللسانيات الجنائية) إشكالية المصطلح، فهل يسمى باللسانيات القضائية أم اللسانيات الجنائية، ويذهب إلى أن اللسانيات الجنائية عامة، بينما اللسانيات القضائية تحليل للغة في المجال القضائي(١١).

أما أبرز مناهج تحليل الخطاب بشكل عام، فهي:

١– منهج التحليل اللغوي الخالص ويهتم بالأصوات والتراكيب ... الخ.

٢– منهج التحليل اللغوي النفسي لمعرفة دلالة الألفاظ على نفسية القائل.

٣– منهج التحليل اللغوي الاجتماعي لمعرفة الدلالات العرفية، وآليات الاستعمال الاجتماعي للغة.

٤– منهج تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية(١٢).

ولا شك أن البلاغة العربية القديمة قدمت نظرية متكاملة في تحليل الخطاب، ونجدها لدى الجاحظ وابن قتيبة وأبي هلال العسكري والآمدي والقاضي الجرجاني وعبدالقاهر الجرجاني والسكاكي والخطيب القزيني وغيرهم.

وقد اهتمت المصنفات البلاغية بالحالة النفسية للمتكلم وأثرها على المتلقي، فهي ترجع ملكة الخطاب وقوة أدائه إلى العوامل النفسية كالطبع والذكاء، يقول القاضي الجرجاني: "وقد كان القوم يختلفون، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصعب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع"(١٣).

كما اهتمت البلاغة بالجانب الاجتماعي وترى أن الخطاب مرتبط بالمجتمع وطبقاته، ولكل طبقة في المجتمع لغته الخاصة، فالجاحظ يرى أن" كلام الناس في

(١١) صالح العصيمي، مرجع سابق، ص:٢٩.

(١٢) حسن حنفي، تحليل الخطاب، ص:٢٠.

(١٣) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص:١٧–١٨.

طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[١٤]، وهذه رؤية بلاغية واضحة تدعو إلى تحليل الخطاب وقراءته وفق الحياة الاجتماعية، ومراعاة ذلك في القضاء وغيره.

ولعل الجانب المهم في الخطاب القضائي هو الجانب الحجاجي، ويهدف التحليل البلاغي للاحتجاج إلى مساعدة أهل الاختصاص من قضاة ومحامين وخبراء لغويين على معرفة الظاهر والمضمر من الخطابات المتداولة في المجالس القضائية بين المدعي وبين المدعى عليه، وفهم هذه الخطابات وفق سياقاتها اللغوية والنفسية والاجتماعية.

وعلى ضوء ما سبق يتميز القضاء من منظور البلاغة العربية بأنه خطاب:

١- حجاجي إقناعي.

٢- بنائي.

٣- اجتماعي.

٤- تأويلي.

(١٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/١٤٤.

الفصل الأول: الأصول البلاغية العامة في تحليل الخطاب القضائي

الأصل الأول: مراعاة السياق والمقام.

تراعي البلاغة جميع عناصر الاتصال الخطابي وهم: مرسل الخطاب، والمتلقي، والسياق، وتعد مراعاة مقتضى الحال من أهم الأصول، وقد أولاها البلاغيون عنايتهم، لأن هذا الأصل هو النتيجة النهائية للكلام والهدف منه، والخطاب القضائي لا يخرج عن هذه العملية، ولا شك أن المدعي أو المدعى عليه أثناء المخاصمة سيكون أحدهما مرسلا أو مستقبلا لسياق نصي يجمع بينهما سياق الموقف الذي حدثت فيه الخصومة، وأثناء المحاججة في المجلس القضائي لا بد من أخذ هذه العناصر بعين الاعتبار للوصول إلى نتائج صائبة أثناء النطق بالحكم الشرعي.

أما المتكلم وهو مرسل الخطاب فقد وضعوا له شروطا لتأدية الخطاب ومن أهمها: تمكن المعنى في قلبه، وحسن اختيار الألفاظ المؤدية للمعنى والغرض، مع الإيجاز البعيد عن عيوب الإطالة [١٥].

وأما المتلقي أو المخاطَب: فله أحوال ينبغي مراعاتها حتى " قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع"[١٦]، ولذا ينبغي الموازنة بين المعاني وبين أحوال المستعمين، فلكل حالة مقال يناسبها، وهذا ما يؤكده السكاكي حيث أشار إلى أن مقام الخطاب الذكي يغاير مقام الخطاب الغبي[١٧]، وذلك من أجل الاستحواذ على انتباه المتلقي والتأثير فيه، من أجل الإقناع.

والبلاغيون يؤكدون على أن النصوص القرآنية قائمة على رعاية أحوال المخاطبين، وأحوالهم متعددة: فمنهم المصدق بالبرهان والذي لا يرضيه إلا القياس الصحيح، ومنهم المعاند الذي يحتاج إلى طريقة معينة في الحجاج فتارة بالإقناع وتارة

---

(١٥) أسامة جاب الله، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية، منشور إلكتروني، ص: ٢.

(١٦) ابن رشيق، العمدة، ج١/٢٤٤.

(١٧) السكاكي، مفتاح العلوم، ص:٢٥٦.

بالإلزام، ومنهم السليم فطرته الذي يليق معه الموعظة الحسنة وسياسة البيان[١٨]، ولذلك يتدرج الخطاب القرآني في سبل الإقناع وفق مستويات هذه الأحوال، فالموضوع الواحد يأخذ عدة طرق، وتتنوع أساليب الاحتجاج فيه تبعا للموضوع، ونوع المخاطب، فتارة يكون الاحتجاج قريبا، وتارة يكون بالاستدراج، وتارة بالتسليم العقلي ليستثير ذهنه وتفكيره [١٩].

وأما السياق فإما أن يكون سياقا للنص نفسه، وإما أن يكون سياقا للموقف أو المقام، وكلاهما معتبران في البلاغة العربية القديمة، يقول تمام حسان: "ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرتي "المقام" و "المقال" متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم"[٢٠].

وهذا الأصل منتشر في أغلب كتب البلاغة، فقد عرفه بشر بن المعتمر في صحيفته عندما قال: "ما يجب لكل مقامٍ من المقال"[٢١]، وعند الجاحظ في البيان والتبيين عندما قال: "فبأي شيء بلغت الإفهام ...فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[٢٢] أي في ذلك السياق، ويقول أيضا: "ومن عِلْمِ حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، والحال له وفقا"[٢٣]، فمطابقة الاسم للمعنى إشارة لسياق النص، وموافقة النص للحال إشارة لسياق الموقف، وعند القاضي الجرجاني في الوساطة أثناء حديثه عن الطبع والصنعة، أن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، وهذا يتفق مع الموقف النفسي، ومع الإنشاء الذي يكون من ظروف السياق وملابساته[٢٤]، ويظهر سياق النص عند عبد القاهر الجرجاني في مصطلحات النظم والتأليف والنسق والسياق،

(١٨) زينب كردي، بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، م٣/ ٥٠٨.
(١٩) المرجع السابق، ص:٥٤١.
(٢٠) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٣٣٧.
(٢١) البيان والتبيين، ج١/١٣٦.
(٢٢) المرجع السابق، ج١/٧٦.
(٢٣) المرجع السابق، ج١/٩٢-٩٣.
(٢٤) ينظر: علم الدلالة التطبيقي، ص: ٢٨٠-٢٨١.

ويرى هادي نهر أن "منهجه في دراسة المعنى اللغوي هو ربط الكلام بمقام استعماله"(٢٥)، أما سياق الموقف فنجده عند الخطيب القزويني فقد عرف البلاغة بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"(٢٦).

وآليته فحص سياق النص ومناسبته لسياق الموقف في حديث المتخاصمين، ولعل الأخذ بهذا الأصل يسهم مع القرائن المادية والنصية للقضية في كشف الحقائق والوصول إلى نتائج إيجابية أثناء النطق بالحكم.

نموذج تطبيقي:

المشاركة في مظاهرة ضد الدولة أثناء تشييع جنائز تحتوي على هتافات تخريبية ومناوئة للدولة(٢٧).

وبالنظر إلى دعوى المدعي العام على المتهم، وتأكيد المتهم بالمشاركة في خمس مسيرات أثناء تشييع جنائز قد قتلت بسبب مواجهات مع الدولة، ونفي المتهم بترديد الهتافات، نجد أن القاضي اتكأ في إصدار حكمه على خطابات قيلت بقصد مراعاة أحوال الحاضرين ودفعهم إلى إثارة الفتنة والتخريب، وبناء عليه فإن القاضي يتخذ من السياق سبيلا للوصول إلى الحكم، من خلال ربط النص بسياقه وهو النحو التالي:

- مسيرات تشييع الجنائز سياق خارجي عام.
- الجنائز لأشخاص قتلوا في مواجهة مع رجال أمن الدولة، دليل مادي.
- ترديد هتافات مثل: "دم الشهيد ما يضيع"، سياق لغوي يراعي حال الحاضرين ويهدف إلى إثارة دافعية التخريب لديهم.

وبناء على ذلك فإن القاضي ذهب إلى ثبوت إدانة المدعى عليه، من خلال ربط الخطاب الإرهابي أثناء المسيرات بسياقه الخارجي المراعي لأحوال الحاضرين.

(٢٥) المرجع السابق، ص: ٢٨٢.

(٢٦) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص:٢٠.

(٢٧) ينظر: مجموعة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٥هـ، ج١٣/ ١٦-١٧.

الأصل الثاني: الإفهام والإقناع.

يقول محمد العمري: "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومان أو وظيفتان:

١– البيان معرفة: الوظيفة الفهمية.

٢– البيان إقناع: الوظيفة الإقناعية.

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريحة والوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة"(٢٨).

ولا يخرج الخطاب القضائي عن هاتين الوظيفتين، وخاصة لدى المدعي والمدعى عليه إذ أن استخدام هاتين الوسيلتين استخداما صحيحا يوصلهما إلى كسب القضية.

ففي الإفهام يقول الجاحظ: "والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(٢٩) وبناء على هذا النص فإن غاية الكلام يتمثل في الإفهام؛ لأن هدف اللغة التواصلية حل المشكلات العامة والخاصة بين الناس؛ ولذلك فإن على المتكلم أن يستحضر المستمع في ذهنه قبل وأثناء وبعد الكلام، فقبل الكلام: لكي يرتب جمله ومعانيه ويتخير له الأفضل من المفردات المناسبة، وأثناء الكلام: ترنيم الصوت بما يتناسب مع الحال، وبعد الكلام: كي ينظر في استيعاب المستمع لخطابه.

وفي الخطاب القضائي لا يكون الإنجاز الكلامي إلا من خلال ربط المقاصد بقائلها ومستمعها أثناء التقاضي، ولا يكون إلا بأحد أدوات الإفهام التي قررها الجاحظ، إذ يقول: "أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الحال التي تسمى النصبة"(٣٠)، واللفظ هو البيان عما في النفس بكلام مسموع ومفهوم، والإشارة تكون باليد والرأس والعين والحاجب والمنكبين، كدلالة رفع السيف والسوط التهديد،

(٢٨) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، ص:١٩٤.

(٢٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/٧٦.

(٣٠) المرجع السابق.

فاللفظ والإشارة قد يشتركان مع بعضهما في الإفهام، وقد تنوب الإشارة عن اللفظ، وهي تشبه علم لغة الجسد في عصرنا الحاضر، والخط هو الكتابة، والعقد هو الحساب، أما النصبة فهي الحال الناطقة والمشيرة بغير اليد وتظهر في الكائنات، والجمادات، وأحوال الناس، والوصول إلى فهمها يكون عن طريق التأمل الفكري والعقلي.

أما الإقناع فقد أورد الجاحظ في كتابه شواهد وأخبارا تبين وظيفته(٣١)، ومنها قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: " وأخي هارون هو أفصح مني لسانا"، وقوله: "ويضيق صدري ولا ينطلق لساني"، ثم يعلق الجاحظ قائلا: "رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع"(٣٢)، ومآل هذا التعليق أن الخطاب المقنع يحقق هدفه في استمالة المتلقي وهو هنا القاضي والتأثير على فكره وحكمه.

ونموذجه التطبيقي: كل خطاب يصدر في مجلس التقاضي يستند على القول والإيحاء والحساب وبيان الحال فيعد نموذجا للإفهام والإقناع.

الأصل الثالث: الموازنة بين النصوص.

اهتمت الدراسات البلاغية والنقدية القديمة بالسرقات الشعرية والنثرية، ويتضح هذا الاهتمام من خلال تفكيك الخطابات المدروسة، وتصنيفها إلى عدة مكونات نصية هي: اللفظ واشتقاقاته، والمعنى وتعدده، والتركيب وطرائقه، والتصورات التخيلية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، والمحسنات الكلامية اللفظية منها والمعنوية، لكشف أماكن السرقات بين النصوص، والتوصل إلى نسبة النص إلى قائله.

وتستعين المحاكم الغربية باللسانيات الجنائية المعاصرة في التحليل المقارن للنصوص، للتوصل إلى قرائن تنسب النص إلى مؤلفه، وتفسير الملفوظات محل النزاع، وتفسير المعاني محل الجدل، وتحليل الحقوق الملكية الفكرية من خلال التشابه اللافت

(٣١) محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، ص:١٩٦.

(٣٢) البيان والتبيين، ج١/٧.

بين نصين محل النزاع، وعدد نسبة الكلمات والجمل المتشابه بينهما، ومدى استخدام الكلمات المترادفة، والتطابق في الألفاظ، وتشابه وحدات الخطاب بين النصين كالموضوعات، وتتابعها، والأمثلة، والشروحات، ويقدم اللغويون الجنائيون تحليلا لمستويات اللغة بين النصين وقياسها كالصوت والصرف والتركيب والمعجم الدلالي والتداولي(٣٣).

ولقد قامت الدراسات البلاغية والنقدية قديما بمثل هذا بل كانت أكثر تحديدا، بناء على المعطيات اللغوية في وضع منظومة معرفية محددة لتحديد السرقات بين النصوص، ولعل الدراسات التي اهتمت بالموازنة أكثر تنظيرا وتطبيقا لهذه النظرية من غيرها في فضح الآخذ من المأخوذ، كدراسة الآمدي في كتابه الموازنة، والقاضي الجرجاني في كتابه الوساطة، ولقد درس الدكتور جابر المحمدي الكتابين وحدد معالمها لديهما، حيث قام بتقسيم السرقات عندهما إلى ثلاثة أقسام، هي:

١- ما لا تقع فيه السرقة: كالمعاني المتداولة، واختلاف المعاني(٣٤).

٢- ما تقع فيه السرقة، وهي نوعان: سرقة محمودة: كالأخذ مع الزيادة أو الإحسان أو الإلطاف، أو الأخذ مع الاختصار، وعكس المعنى وقلبه، وسرقة مذمومة: كالأخذ الجلي، وأخذ اللفظ والمعنى معا، والأخذ في إفساد اللفظ والمعنى، والأخذ مع التقصير أو الإساءة والقبح(٣٥).

٣- ضبط المصطلحات من أجل تحديد السرقة وبيان حجمها، ولكل مصطلح مفهومه، وقد توصل الآمدي والجرجاني من خلال هذه المصطلحات إلى عملية نقدية تحليلية شاملة لا يمكن معها أن يفلت السارق من سرقته، مثل: الإغارة، والاجتلاب، والاجتذاب، واللمح،

(٣٣) اللسانيات الجنائية، ص:٥٩-٦٥.

(٣٤) جابر المحمدي، الخصومات الأدبية، ص:٢٠٩.

(٣٥) المرجع السابق، ص:٢١٨.

والاحتذاء، والملاحظ، والنظر، والاتباع، والنقل، والغصب، والنسخ، والسلخ.... الخ[٣٦].

وبالتالي فإن للقضاء أن يستعين بهذه النظرية واستعارتها لكشف كثير من القضايا والجرائم المتعلقة بالملكية الفكرية سواء أكانت علمية أو تجارية، كما أنها تستطيع من خلال هذه المنظومة المعرفية أن تكشف نسبة النص إلى قائله، بالإضافة إلى إمكانية تطبيقها على الجرائم اللغوية والإرهابية، والجرائم اللغوية التي تحدث في مواقع التواصل الاجتماعي.

الأصل الرابع: نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني.

توجه نظرية النظم التحليل إلى دراسة تركيب النص ومآلاته التداولية، وهذا ما يحتاج إليه الخطاب القضائي، فإذا كانت الدراسات التحليلية والشرعية للخطاب القضائي تركز على المعنى في الاحتجاج، فإن هذه النظرية تركز على طريقة التركيب اللغوي وأثره على الإقناع، وبذلك يتجلى دور عبد القاهر الجرجاني في كشف قوة الحجاج بين المتخاطبين.

لقد كان يعرض هذه النظرية في كتابه دلائل الإعجاز مستخدما الأسلوب الاحتجاجي في التأليف، القائم على عرض الدعوى ثم الاعتراض عليها أو تأييدها بالحجج والبراهين، وكثيرا ما نجده يقول: "فإن قال... قيل له"[٣٧]، أو "فإن قالوا ...قيل لهم"[٣٨]، "وإن شككت فتأمل"[٣٩]الخ، وهذا يجعلنا نذهب إلى أن النظرية التي أتى بها الجرجاني، والطريق التي ألف بها هذه النظرية هي احتجاجية خالصة.

والنظم عنده تعليق الكلم بعضه ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض[٤٠]، وهذا

(٣٦) المرجع السابق، ص:٢٧٠.
(٣٧) دلائل الإعجاز، ص:٢٥.
(٣٨) المرجع السابق، ص:٢٩.
(٣٩) المرجع السابق، ص:٤٥.
(٤٠) المرجع السابق، ص:٥٥.

يعني أن الخطاب يأخذ ميزته من التعالق بين الكلمات، وليست الميزة في الكلمة بمعزل عن النسق النصي، ويكون التحليل وفق هذه الرؤية دراسة تركيبية شاملة لمكونات الجملة وعلاقاتها الداخلية، ولا يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى معرفة حالة المؤدي لهذا الكلام النفسية أثناء الكلام، وهو يربط بين الحالة وبين قوة وأداء التركيب، فإذا كانت الألفاظ والمعاني منتظمة وتؤدي دورها في بيان حال المتكلم فإن التركيب يكون سليما وسينعكس على الاحتجاج العقلي وإقناع المخاطب، والعكس، حيث يرى أن النظم الجيد "يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل"(٤١).

وبالتالي فإن محلل الخطاب القضائي بحاجة إلى هذه النظرية التي تراعي مسألة انسجام واتساق الكلام مع بعضه من جهة، ومن جهة أخرى تراعي مدى التوافق بين الخطاب وحالة المتكلم وهو هنا إما المدعي وإما المدعى عليه، ويكون التحليل بقياس حالة المتكلم وحالة النص وأثرهما في الحجاج والإقناع.

إضافة إلى أن عبد القاهر قد ركز في نظريته على ترتيب الفكرة في الذهن وأثرها على النص، حيث يقول: "لما كانت المعاني إنما تتبين بالألفاظ وكان لا سبيل للمرتب لها، الجامع لشملها، إلى أن يعلمك ما صنع ترتيبها بفكره، إلا بترتيب الألفاظ في نطقه"(٤٢)، ويستنتج من هذا أن على محلل الخطاب أن يراقب تلك العلاقة بين ما صنعت الأفكار في ذهن المتكلم وبين ما ينطق به من ألفاظ وجمل، لكي يصل إلى حكمه بين المتخاصمين.

وثمة مسألة أخرى ركز عليها وهي ارتباط النظم بعلم النحو، إذ يقول: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"(٤٣)، وذلك لأن المفاهيم والتصورات والمعاني الذهنية قائمة على القاعدة النحوية، إلا أن البلاغة أوسع

(٤١) أسرار البلاغة، ص:٥.

(٤٢) دلائل الإعجاز، ص:٦٤.

(٤٣) دلائل الإعجاز، ص:٨١.

دائرة في التحليل من النحو؛ وذلك لأن النحو ينظر إلى اللغة والنص من داخلهما، بينما البلاغة تتجاوز الشكل الداخلي للتركيب بالنظر إلى مستويات أخرى كأغراض التركيب الشخصية والاجتماعية، والجوانب الفنية والجمالية، والمآلات التداولية التواصلية ومنها الاحتجاج وأثره على المخاطب، وهو ما يعرف بتوخي معاني النحو، وهو الذي سمي بعلم المعاني لدى البلاغيين.

ومن أهم المسائل التي تحدث عنها عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ويمكن الإفادة منها في تحليل الخطاب هو تطبيقاته العملية على النصوص القرآنية والشعرية، ويأتي التطبيق على الجانب التركيبي والجانب التصويري، أما في الجانب التركيبي يكون النظر في تصرف المتكلم بخطابه أو نصه وما يحدث فيه من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف وإضمار، وتجلية الغرض من هذا التصرف، ولقد أولى الجرجاني الأغراض البلاغية أهمية كبيرة في دراسته للتركيب، فكل تغيير يدخل على تركيب الجملة غرض يختلف عن التركيب الآخر، مما يعني أن تغير أحوال الجمل يؤدي إلى تعدد الأغراض، يقول: "ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم"(٤٤)، وبذلك يحصل الارتباط بين التركيب الداخلي للخطاب وبين إدراك العقل.

أمثلة تطبيقية:

- طلب المدعي من القاضي إلزام المدعى عليه بإزالة ما أحدثه في أرض حكومية من بناء وزراعة نخيل.
- فجرى سؤال المدعي: "هل عليك ضرر خاص بما أحدثه المدعى عليه؟ "
- فأجاب المدعي: "ليس على مضرة خاصة، وإنما الضرر عام"(٤٥).

وتم صرف النظر في القضية بسبب أن الدعوى رفعت من غير ذي صفة تجاه الأرض.

(٤٤) دلائل الإعجاز، ص:٨٧.

(٤٥) مجموعة الأحكام القضائية، ص:٣٩٦.

ويلاحظ أن سبب الحكم بصرف النظر عن القضية واضح من خلال صياغة السؤال بتقديم الخبر (عليك) على المبتدأ (ضرر)... وأتى التأكيد على عدم وجود صفة ذات اعتبار تجاه الأرض من قبل المدعي نفسه في إجابته حيث إنه قام بتقديم الخبر (علي) على المبتدأ (ضرر).

وقد ذهب عبد القاهر إلى أن تقديم المحدَّث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له[٤٦]، وهذا ما تأكد في الجملة السابقة حيث إن السائل يريد أن يصل إلى تأكيد عدم وقوع الضرر على المحدَّث عنه، وأتى الجواب من المدعي وهو المحدَّث عنه بنفي الضرر بذات الأسلوب بحيث إنه أكد عدم وقوع الضرر بتقديم ذاته في الإجابة.

مثال آخر:

- انتحل المتهم صفة رجل أمن فلما تم عرضه على المجني عليه ذكر:

أنه هو الشخص الذي انتحل صفة رجل الأمن وقام بسرقة مبلغ مالي منه[٤٧].

وهذه الصياغة متماسكة البناء تمثل النظم الذي قصده عبد القاهر من خلال اختيار المدعي العام لعدة أساليب في توجيه التهمة على الجاني، ويمكن بيانها فيما يأتي:

اختيار (إن) على لسان المجني عليه في بداية الجملة من أجل تأكيد وقوع الجريمة من المتهم، وهذا ما ذكره عبد القاهر[٤٨]، ثم دخولها على ضمير الشأن وأعده عبد القاهر من المحاسن التركيبية، مثل قول الشاعر(إنه هو الري)، ويصبح الهاء في الجملة القضائية في (إنه) ضمير للأمر، ويكون قوله: (هو) ضمير يشير إلى الفعل بعده (انتحل)، ويكون أصل الجملة : إن الأمر: قد انتحل الشخص صفة رجل الأمن، ثم نجد أنه لم يكتف بالضمير في تحديد المتهم وإنما قام بذكر الضمير (هو) وأتى بعده المحدَّث عنه مباشرة في كلمة (الشخص) ويلاحظ أنها معرفة بأل، وأن الضمير قبله معرف أيضا، وهذا دلالة على عدم توهم المجني عليه في تحديد شخصية المتهم، ثم أتت

(٤٦) دلائل الإعجاز، ص:١٣٣.

(٤٧) مجموعة الأحكام القضائية، م١٣، ص:١٠٥.

(٤٨) دلائل الإعجاز، ص:٣٢٥.

لفظة اسم الموصول (الذي) للدلالة على رفع الوهم[٤٩]، بحيث لو توهم القاضي شخصا ما فإن المدعي العام يخبره بأن المستحق لهذه التهمة هو ذات الشخص الماثل أمامه دون غيره.

ولعلني أكتفي بهذين النموذجين التطبيقيين في هذه المسألة، وعذري أنه يمكن أن يتم تطبيق نظرية النظم عند عبدالقاهر في دراسات لاحقة –إن شاء الله– وأما هذه الدراسة فهي تشير فقط إلى إمكانية تطبيق هذه النظرية وكفاءتها في الوصول إلى نتائج إيجابية أثناء تحليل الخطاب القضائي، وخاصة في دلالات ذكر المسند أو المسند إليه أو حذف أحدهما من السياق، وكذلك التكرار والوصل والفصل، وأساليب القصر، ودلالات الجمل الطلبية إذا خرجت عن المعنى الأصلي ... الخ.

أما الجانب التصويري في الاستعارة والتشبيه فنجده يقوم بدراستها من الناحية التركيبية أولا وذلك لأن الأساس فيها هو التركيب فهو يقول: "في الاستعارة ما لا يمكن بيانه، إلا بعد العلم بالنظم، والوقوف على حقيقته"[٥٠]، ثم يبحث فيها عن سلامتها القياسية بين أطرافها التصويرية من منطلق الاستدلال والاحتجاج العقلي، "فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذن"[٥١]، وأيضا نجده في الجانب التصويري يركز على مسألة المعنى ومعنى المعنى، ولعل هذه المسألة تتضح في تطبيقها على الكنايات، حيث يقول: "وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية، والاستعارة والتمثيل... أو لا ترى أنك إذا قلت هو كثير رماد القدر ... لا تفيد غرض الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه

(٤٩) ينظر: دلائل الإعجاز، ص:١٨٥.

(٥٠) المرجع السابق، ص:١٠٠.

(٥١) أسرار البلاغة، ص:٢٠.

الذي يوجبه الظاهر، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك"(٥٢).

نماذج تطبيقية:

ما يتعلق بالتشبيه والاستعارة فسوف نمثل لها في الفصل الثاني عند الحديث عن الحجة التمثيلية.

أما الكناية فهي تمثل نظرية الجرجاني في معنى المعنى ومن أمثلتها قول المدعي العام عن المدعى عليه أنه: "أعزب، متعلم، عسكري، مفصول من الخدمة"(٥٣)، لكي يثبت عليه تهمة إزعاج السلطات، وهذه كناية عن تهور المدعى عليه وإن لم يقل المدعي العام ذلك، فعبارة مفصول من الخدمة تؤدي إلى معنى ثان ألا وهو تهور المدعى عليه وهي هنا دليل وحجة على ارتكاب المدعى عليه جريمة إزعاج السلطات.

ومنها أيضا محاولة المدعي بإقناع القاضي أن المدعى عليه قام بتزوير توقيعه للحصول على مشيخة القبيلة على الرغم من عدم وجود توقيع للمدعي في الأوراق التي قام بتوقيعها أفراد من القبيلة، وذلك بقوله: "قد حصل على شهادة دراسية بالتزوير"(٥٤).

والشواهد كثيرة في ذلك.

الأصل الخامس: الاستدلال البلاغي عند السكاكي.

ثمة علاقة بين علم البلاغة وبين علم الاستدلال عند السكاكي، من جهتين: الأولى من جهة علم المعاني وخواص تراكيب الكلام، والثانية من جهة التشبيه والاستعارة والكناية، ولقد سوى بين عمل البلاغي وبين عمل صاحب الاستدلال على نحو يجعل الاستعارة والكناية وغيرهما (٥٥)من ضروب القياس المنطقي لإقناع

(٥٢) المرجع السابق، ص:٢٦٢.
(٥٣) مجموعة الأحكام القضائية، م١٣، ص: ٦١.
(٥٤) المرجع السابق، ص:١١٩.
(٥٥)مفتاح العلوم، ص:٥٤٤.

المخاطبين، بالإضافة إلى تعليل الظواهر الكلامية تعليلا منطقيا.

وأرى أن السكاكي قد وضع مقدمات بلاغية لعلم الاستدلال، ولا يمكن استيعابه إلا من خلال هذه المقدمات، ويلاحظ ذلك من خلال مجيء علم الاستدلال في كتابه المفتاح بعد علوم البلاغة مباشرة، ومن خلال تلك الإشارات الاستدلالية أثناء بيانه لعلمي البلاغة والبيان، وقد وضح مجمل هذه المقدمات الدكتور شكري المبخوت في كتابه الاستدلال البلاغي، ويمكن بيان ذلك في النقاط الآتية:

١- الربط بين كيفية التركيب وبين وظيفته التخاطبية والمقام الذي قيلت فيه، ويفاد منه إمكانية تحليل الخطاب القضائي القائم على الربط بين التركيب وبين وظيفته أثناء الخطاب، ويتضح ذلك من قول السكاكي: "وأعني بخاصية التركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب"(٥٦).

٢- الربط بين قصد المتكلم وبين خاصية التركيب، والعلاقة بينهما علاقة لازم بملزوم، بحيث يكون القصد دليلا داخل التركيب(٥٧).

٣- لا بد من مراعاة مقتضى الحال عنده أثناء الاستدلال، وهو الاعتبار الذي يجعل التركيب يتجه إلى صورته دون غيره، فإن كان المخاطب منكرا للحكم فإن الكلام يأتي مؤكدا، وإن كان العكس فلا يحتاج إليه(٥٨).

٤- إن النحو عنده يفيد المعنى الوضعي بينما البلاغة تركز على الدلالات غير الوضعية، وعلاقتها بالمقام ومقتضى الحال يؤدي دلالة أزيد من الدلالة الوضعية(٥٩)، ويستند شكري المبخوت في هذه النتيجة على أمثلة السكاكي المرتبطة بالخطاب الموجه إلى خال الذهن والشاك والمنكر واستخدام المؤكدات اللفظية وعدم استخدامها مع حالة كل مخاطب على حدة.

(٥٦) مفتاح العلوم، ص:٢٤٨.
(٥٧) الاستدلال البلاغي، مرجع سابق، ص: ٧٤.
(٥٨) المرجع السابق، ص:٧٥.
(٥٩) المرجع السابق.

٥- يستند السكاكي على إيجاد القرائن والأمارات النحوية داخل الجملة الدالة على الحد الأدنى من الدلالات التي يستلزمها المقام(٦٠).

٦- يستنتج المبخوت أن علمي المعاني والبيان يعالجان الاستدلالات غير الوضعية إلا أن علم المعاني يبحث في خصائص التراكيب وعلاقاتها بالمقامات التخاطبية، بينما علم البيان يبحث في تعامل منطوق القول وضمنياته التي يقصد إليها المتكلم في مقام من المقامات(٦١).

أما الاستدلال فيعرفه السكاكي بقوله: "هو اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ، أو نفيه عنه بوساطة تركيب الجمل"(٦٢)، ويلاحظ أن الجملة الواحدة لا يعتد بها في الاستدلال، وإنما الاستدلال يكون بجملتين إما خبريتين أو شرطيتين أو مختلفتين خبرا وشرطا(٦٣)، وأما عبارة اكتساب في حد الاستدلال فهي تدل "على الاستنتاج والاستخلاص والاستلزام، أي على عملية عقلية تمكن من الاستدلال على مجهول انطلاقا من قولين معلومين"(٦٤).

ويوضحها السكاكي في قوله: "اعلم أن تركيب الجملتين في الاستدلال برجوع أجزائها إلى ثلاثة من بينها يتكرر واحد وهي مبتدأ المطلوب وخبر المطلوب والثالث المتكرر، لا يزيد على أربع صور في الوضع، إحداها يتكرر الثالث خبرا لمبتدأ المطلوب ومبتدأ لخبره وثانيتها أن يتكرر خبرا لجزئي المطلوب وثالثتها أن يتكرر مبتدأ لهما ورابعتها أن يتكرر مبتدأ لمبتدأ المطلوب وخبرا لخبره"(٦٥)، ويتألف من هذه الجمل بإدخال النفي والإثبات والكل والبعض ستة عشر ضربا استدلاليا يرجعها السكاكي إلى أساس واحد هو:

(٦٠) المرجع السابق، ص:٧٦.
(٦١) المرجع السابق، ص:٨٠.
(٦٢) مفتاح العلوم، ص:٥٤٨.
(٦٣) المرجع السابق، ص:٥٤٩.
(٦٤) الاستدلال البلاغي، ص:٨٢.
(٦٥) مفتاح العلوم، ص:٥٥٠.

١– مجامعة المبتدأ للخبر أو مفارقته له يحتاج إلى ثالث يجمع ويفرق.

٢– يقوم هذا الثالث على أصلين: أحدهما لزوم الشيء لكل آخر أو بعضه ينعكس بعضيا وعناد الشيء لكل آخر ينعكس كليا" وثانيهما عدم انفكاك المستلزَم عن المستلزِم" "فإن كان المستلزَم ثبوت شيئين اجتمعا، وإن كان ثبوت واحد وانتفاء آخر تفرقا"(٦٦).

ويطرح أمثلة لكل تركيب استدلالي . ولعلنا في تحليل الخطاب القضائي نستفيد من نظرية الاستدلال البلاغي عند السكاكي في التراكيب وفي الاستعارة والكناية والمجاز، وفيما يأتي تطبيق لبعض نماذجه على الخطاب القضائي.

فمثلا يلحظ السكاكي أن العلاقة بين المبتدأ والخبر في جملة: "العالم حادث" ليست معلومة الثبوت أو الانتفاء ومن هنا وجب الاعتماد على ثالث واضح الانتساب إلى طرفي الإسناد المبتدأ أو الخبر، وينتج عن ذلك جملا مثل:

- العالم قرين حادث أسندنا المبتدأ إلى هذا الثالث.
- كل قرين حادث حادث، أسند هذا الثالث إلى الخبر وبذلك تم التركيب وتم الاستدلال(٦٧).

ومثل ذلك في تركيب الدليل أن تكون السابقة مثبتة كلية واللاحقة مثلها مثبتة كلية والحاصل ثبوت كلي(٦٨).

–أنت متهم بالمشاركة في تجمعات الشغب.

– كنتُ أمشي في المسيرة وأردد الهتافات (٦٩).

أي: كل متهم بالمشاركة يردد الهتافات

والحاصل: ثبوت ترديد الهتافات لإثارة الشغب. أي ثبوت كلي للقضية عند السكاكي.

مثال آخر لسابقة منفية كلية ولاحقة مثبتة كلية والحاصل نفي كلي(٧٠):

(٦٦) الاستدلال البلاغي، ص:٨٢.

(٦٧) ينظر: مفتاح العلوم، ص:٥٤٨.

(٦٨) المرجع السابق، ص:٥٥٢.

(٦٩) مجموعة الأحكام القضائية لعام، م١٣/١٦.

قال المدعي العام:

- عدم تجاوب المتظاهرات بالانصراف عند طلب الجهات الأمنية منهن ذلك.
- حضور مجموعة من الشباب معهم، وهم المدعى عليهم في القضية(٧١).

الحاصل: نفي كلي أي عدم تجاوب الجميع بالانصراف عند طلب الجهات الأمنية منهم ذلك.

مثال آخر:

- طلب المدعي إلغاء وكالة والدته للمدعى عليها وهي أخته.
- فكان الجواب: لو كان المدعي –وهو الأخ– قام بما أوكل إليه لما قامت والدته بفسخ وكالته(٧٢).

وهذا نموذج للاستدلال الشرطي عند السكاكي وقد فصل فيه، فتارة يكون من جملتين خبريتين وتارة من خبرية وشرطية وهذه إما أن تكون متصلة وإما أن تكون منفصلة، وتارة من شرطية متصلة وخبرية، وتارة من شرطية منفصلة وخبرية، وتارة من شرطيتين متصلتين أو منفصلتين، وتارة تكون من متصلة ومنفصلة، وتارة من منفصلة ومتصلة وتارة تكون من شرطيات(٧٣).

والمثال السابق للاستدلال الشرطي جملتان خبريتان متصلتان الأولى مثبتة والثانية منفية وهذا دليل على نفي كلي سلبي(٧٤) لأهلية المدعي في أن يكون وكيلا عن والدته، أي أن القيام الكلي برعاية الأم لم يتم من قبل الابن فلذلك قامت الأم بفسخ الوكالة له وإسنادها إلى أخته.

(٧٠) مفتاح العلوم، ص:٥٥٣.
(٧١) المرجع السابق، ص:٣٤.
(٧٢) مجموعة الأحكام القضائية، م٣٨٢/١٣.
(٧٣) مفتاح العلوم، ص:٥٩٧-٥٩٨.
(٧٤) المرجع السابق، ص:٥٩٦.

الفصل الثاني: الاحتجاج في البلاغة العربية

مفهوم الاحتجاج في التراث البلاغي.

يدور مصطلح الحجاج ومشتقاته بين عدة معان في المعاجم اللغوية هي: الحج وهو القصد، والمحاجة الغلبة بالحجج، والحجة البرهان، والتحاج التخاصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة(٧٥).

أما معنى الاحتجاج عند البلاغيين فهي لا تبتعد كثيرا عن المعاني المعجمية، فالجاحظ ينقل عن بعض أهل الهند أنهم قالوا: "جماع البلاغة البصر بالحجة... ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر"(٧٦) أي أن هناك عدة طرق لاستخدام الحجة وهي: إما الإفصاح بها، أو الكناية عنها، أو الإضراب عنها، فإذا كان الإفصاح بالحجة وعرا فعلى المخاطب أن يكني عنها، أو يعرض عنها حتى لا تقع عليه الخسارة أثناء المحاججة، وعليه فإن البلاغيين هم أهل الكلام والحجاج ويعرفون مآلاته ومقاصده وما ظهر منه وما خفي، ويستطيعون أن يفرقوا بين القرينة والحيلة أثناء تحليل الخطاب.

وقد بوّب أبو هلال العسكري فصلا بعنوان: (الاستشهاد والاحتجاج) في كتاب الصناعتين ويقصد به صحة الدعوى من خلال أدلتها، يقول: " وهو أن تأتي بمعنىً، ثم تؤكده بمعنىً آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"(٧٧)، وهذا ما يعرف بالأدلة المصاحبة فقد يؤكد القائل دعواه بدليل نقلي أو عقلي أو تمثيلي أو تأملي.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد سماه الاحتجاج العقلي كما يرى ناصر

(٧٥) لسان العرب، مادة (حج)، م٢/٢٢٦-٢٢٨.

(٧٦) البيان والتبيين، ص:٨٨.

(٧٧) الصناعتين، ص:٤٧٠.

السعيدي[٧٨]، فالجرجاني علق على بيت المتنبي

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

بقوله: "فحق هذا أن يكون عنوان هذا الجنس... لأنه دفع للنقض، وإبطال له، من حيث يشهد العقل للحجة التي نطق بها على الصحة"[٧٩] ويلاحظ في تعليق الجرجاني استخدامه للمصطلحات القضائية مثل (دفع النقض، الإبطال، والحجة المنطوقة).

وقد استخدم كثيرا من المصطلحات التي تدور في مجالس القضاء أثناء تحليله للشعر والنثر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد كان يحاكم الشعراء وآراء مخالفيه بها، ومن أهمها:

١- دلائل الإعجاز، فكلمة دلائل مصطلح حجاجي وهو جمع دليل.

٢- كلمتي الحجاج والبيان وقد وردتا في أسرار البلاغة.

٣- يقول في شرح أحد الأبيات: "المدّعى له حاجة أن يصحِّح دعواه ... وقد احتج لدعواه ...، المتوسع في الدعوى من غير بينة".

٤- ومن المصطلحات التي ترددت كثيرا لدى عبد القاهر بصياغات مختلفة في سياقات متباينة: الدلالة والدليل والاستدلال والاقتضاء... مثل قوله: "فلم يدل عليها بلفظها الخاص بها، واعتمد دليل حال غير مفصح.."

٥- يوظف الجرجاني مصطلحات الشك والظن والشبهة والاعتراض أثناء التحليل والتبرير والتعليل[٨٠].

ولعل علم الاستدلال عند السكاكي -والذي بوب له بابا خاصا به- يقارب الحجاج لدى المعاصرين ويؤصله، ولقد اختلف الباحثون حول هذا الباب فمنهم من يرى أن السكاكي استفاد من علم المنطق في بيان الاستدلال ومنهم من يرفض ذلك،

(٧٨) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص:٤٧.

(٧٩) أسرار البلاغة، ص:٣٤٧-٣٤٨.

(٨٠) انظر: الحجاج ومصطلحاته في التفكير البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني، ص:٣٩-٥٣.

وما يهمنا أن الاستدلال عند المناطقة هو: إقامة الدليل لإثبات الخبر، والخبر في علم المنطق والبلاغة أيضا: ما يحتمل الصدق والكذب، والسكاكي يذهب إلى أن الجمل تحمل طبيعة استدلالية /حجاجية، بسبب أن الخبر يستطيع أن ينفي أو يثبت المبتدأ(٨١).

أنواع الحجاج العقلي.

لقد قسم الدكتور ناصر السعيدي الاحتجاج العقلي إلى أربعة أساليب، هي: الاحتجاج بالتمثيل، والاحتجاج بالتعليل، والاحتجاج بالخبر، والاحتجاج بالنظر، ونقل عن قدامة بن جعفر قوله: "إن الظاهر منه غير محتاج إلى تفسير، وإن الباطن هو المحتاج إلى التفسير، وهو الذي يتوصل إليه بـ: القياس، والنظر، والاستدلال، والخبر"(٨٢)، ولذلك يذهب إلى أن الحجة العقلية مختصة بالاحتجاج النظري القائم على التأمل العقلي، أما الأساليب الأخرى فليست عقلية محضة، وكان الأولى أن يقتصر الاحتجاج العقلي على أسلوب النظر، ولكن الأساليب الأخرى لا يمكن تجريدها من التأمل العقلي، وبذلك يتسع المفهوم ليشملها جميعا، ويرى أن شواهد التمثيل والتعليل والتنصيص لا يمكن الاحتجاج بها إلا عن طريق إعمال العقل والقياس الصحيح(٨٣)، ويستشهد ببيتين لأبي تمام يقول فيها:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والبأس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس.

يقول السعيدي معلقا: "فحجة أبي تمام –هنا– تمثيلية، تعليلية، نصية.

تمثيلية؛ لأنه قايس مقايسة منطقية صحيحة. وتعليلية؛ لأنه ذكر العلة المناسبة في تشبيه الأمير بصفات في غيره ممن هم دونه. ونصية؛ لأنها اعتمدت على النص المقدس في سورة النور حين ضرب الله مثلا لنوره ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾

(٨١) عبدالرحمن المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث.

(٨٢) نقد النثر، ص:٤٣.

(٨٣) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص:١.

النور [٣٥]"(٨٤).

وبالنظر فيما ذكره السعيدي يتضح أن التحليل البلاغي ممكن في تحليل الخطاب القضائي، ووجدت مثل ذلك قضية تقدم بها المدعي العام يتهم فيها المدعى عليه بكتابة قصيدة هجاء وسب لجده وأعمامه ونشرها بقصد التشهير بهم، وقد أقر المدعى عليه بصحة نسبة القصيدة إليه وأنه أقدم على ذلك لعدم مساعدتهم له في زواجه، وما يهمني في هذه القضية هو حكم القاضي بإدانة المدعى عليه، يقول فيه: "حيث إن ما قام به المدعى عليه يوقد نار العداوة ويورث الفرقة، ويكون معول هدم بين الأسر مهما كانت مبررات الفاعل، وحيث إن ما أقدم عليه المدعى عليه يعد طعنا وإيذاء لشخص من قيلت فيهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أربى الربا شتم الأعراض وأشد الشتم الهجاء" ....، وحيث إن التساهل في مثل هذه القضايا يهدد الدين والمبادئ الاجتماعية في هذه البلاد التي بُنيت وحدتها على الكتاب والسنة، وحاربت كل ما فيه فرقة، وحيث إن في مثل هذه المواضيع تربية للأجيال على العادات الجاهلية مما يؤدي إلى الفرقة وإحياء العداوات بين الناس، لذا فقد ثبت لدي إدانة المدعى عليه ... وقررت تعزيره"(٨٥).

ويلاحظ في الصياغة القضائية لحكم القاضي استخدامه الحجج البلاغية جميعها: وأتت على النحو التالي:

- الحجة التعليلية: حيث برر الحكم بمبررات العداوة والفرقة وهدم الأسرة وإيذاء الأشخاص.
- الحجة التمثيلية: باستخدام الاستعارات التالية بإسناد النار إلى العداوة والمعول إلى الهدم.
- الحجة النصية: تضمين نص الحديث الشريف في الصياغة القضائية.
- الحجة التأملية: فقد احتج القاضي بتعزير المدعى عليه بحجج عقلية تأملية لم

(٨٤) المرجع السابق، ص:٢.

(٨٥) مجموعة الأحكام القضائية، ١٤٣٥هـ، م١٥٢/١٣.

يدل عليها النص الشرعي السابق، حينما ذكر التساهل مع قصائد الهجاء وأثرها على المجتمع، وعلى وحدة البلاد، مما دل على بعد النظر الحجاجي لدى القاضي.

وأود الإشارة إلى أن هذه الأساليب الأربعة تقع في كلام القاضي وفي كلام المدعي أو المدعى عليه أيضا، وفيما يلي بيان لهذه الأنواع وموضعها من الخطاب القضائي باختصار.

١–الاحتجاج بالتمثيل، أو (الحجة التمثيلية).

المثل والتمثيل "حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"(٨٦)، ويعرف: "بأنه إثبات حكم واحد جزئي لثبوته في جزئي، ولا شك أن التمثيل وسيلة آخر بمعنى مشترك بينهما"(٨٧)، وحجيته "قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره"(٨٨)، والتمثيل عند الأصوليين قياس الفرع على لأصل، وعند المتكلمين قياس الغائب على الشاهد، وسماه الفلاسفة بقياس التمثيل(٨٩)، "وهي عبارة عن الاستدلالات التي يقع التوسل فيها بعلاقة المشابهة في استخلاص النتيجة"(٩٠). وبذلك يكون التمثيل حجة خطابية إقناعية تعتمد على التشبيه والاستعارة.

ولقد استفاض السعيدي في شرح الاحتجاج التمثيلي من منظور بلاغي، فيعود إلى التراث البلاغي ويستشهد بآراء البلاغيين القدماء، فهذا قدامة بن جعفر يقول: "المثل مقرون بالحجة"، وأبو هلال العسكري يرى أن أكثر أمثلة التشبيه تدخل في الاستشهاد والاحتجاج، وعبد القاهر الجرجاني قد أبان في تحليلاته للشواهد الشعرية

(٨٦) في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:٨٢.
(٨٧) التعريفات، ص:١١٢.
(٨٨) المفردات في غريب القرآن، ص ٤٦٤
(٨٩) تجديد المنهج في تقويم التراث، ص:١٧٤.
(٩٠) المرجع السابق.

بأن التشبيه الضمني يحتج به، وابن سنان الخفاجي سمى أمثلة التشبيه بالاستدلال الضمني(٩١).

ووجه الشبه بين الجزأين في تركيب الصورة التمثيلية عند السعيدي إما أن تكون فنية تخيلية وإما أن تكون علمية تقريرية، وفي الاحتجاج العقلي وجه الشبه يكون مقاربا للعلمية والواقع، وبالتالي فإن الخطاب القضائي في دراسته للحجة التمثيلية يفرق بين التخييل والواقع، وكلما ابتعد خطاب المدعي أو المدعى عليه من الواقع القريب فإن الخطاب يحتاج إلى نظر وتأكد من الأدلة المصاحبة له والقرائن الأخرى لقبوله أو رفضه(٩٢).

ويحدد السعيدي ثلاث صور للاحتجاج التمثيلي ويمكن الاعتماد عليها في تحليل الخطاب القضائي وهي:

١- الاحتجاج بالتشبيه التمثيلي ويقصد به ما كان على مذهب السكاكي في انتزاع الشبه من متعدد مركب تركيبا عقليا ليخرج منه الشبه المنتزع من المركب الحسي(٩٣).

٢- الاحتجاج بالتشبيه الضمني ويقع في هذا النوع كثيرا، وذلك لأن التشبيه فيه مضمر ويفهم من الفحوى والتعليل المنطقي للوصف، والفرق بين هذا النوع والذي قبله أن التشبيه التمثيلي هو التشبيه الصريح الذي تظهر فيه علامة التشبيه وتختفي فيه علة المشابهة، أما التشبيه الضمني فتختفي منه علامة التشبيه وتظهر علة المشابهة(٩٤).

٣- الاحتجاج بالاستعارة التمثيلية، وضرب المثل، ومعظم صورها من الحجج العقلية لأنها قياس تام ومعادل موضوعي للقضية، ومثاله: بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى للشخص المتردد، وأيضا: إذا رأيت نيوب الليث بارزة ...

(٩١) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص:٨٧.

(٩٢) المرجع السابق، ص:٨٩-٩٠.

(٩٣) المرجع السابق، ص:٩١.

(٩٤) المرجع السابق، ص:٩٥.

الخ[٩٥].

ويمكن من خلال المبحث الذي شرح فيه السعيدي الاحتجاج التمثيلي أن نضع أربع عمليات إجرائية يستفيد منها محلل الخطاب القضائي في كشف المضامين المقصودة للخطابات القضائية، هي:

١– الوقوف عند التمثيل المستغرب والجديد الطارئ على الذهن من قبل أحد أطراف الخصومة، فدائما ما يحمل في داخله دلائل وحججا تستدعي التأمل والنظر.

٢– الانتباه إلى التمثيل المركب من أكثر من صورة بين طرفي التشبيه أو الاستعارة، ولا شك أن في مثل هذه الصور التركيبية معاني حجاجية عميقة يستخدمها أحد الطرفين للانتصار على الطرف الآخر، وعليه فيجب تفكيك هذه الصور ودراستها دراسة بلاغية تحليلة لمعرفة مضامينها أثناء المرافعة أو الدفاع أو النقض.

٣– أن يكون وجه الشبه عقليا، ولا شك أنه لا مكان للتخييل في الخطاب القضائي.

٤– يستنبط الدليل والحجة من الجامع ووجه العلاقة بين طرفي الأسلوب في التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والمجاز العقلي.

وأمثلتها كثيرة لدى الأصوليين والمناطقة والبلاغيين، باختلاف النظر بين هذه المداخل المعرفية الثلاثة، ولا شك أن الخطاب القضائي يستفيد كثيرا من علم أصول الفقه في تحليل كثير من القضايا المنظورة، بينما نجد أن تغييب الجانب البلاغي قد يؤدي إلى قصور في التحليل، وذلك لأن المنطق وأصول الفقه تنظر إلى الدليل التمثيلي من الخارج بما يوافق النص القانوني، بينما البلاغة تنفذ إليه من خلال النظر إلى اتساق الخطاب وانسجامه من الداخل والخارج.. وذلك بالنظر إلى اللغة ذاتها المستخدمة في إيصال الحجة وفي النظر أيضا إلى انسجام الممثَّل والممثِّل والعلاقة

(٩٥) المرجع السابق، ص:١٠٠–١٠١.

بينهما، للوصول إلى المقاصد وتوجيه القضاء إلى ضبط المعاني المقصودة منها.

نماذج تطبيقية:

سأل المدعى عليه أحد الأشخاص وهو الذي بلغ عليه: متى تفتح المحلات.

فرد: بعد قليل.

قال المدعى عليه: "إذا خلصت الكلاب التي تنبح ويقصد أئمة المساجد"(٩٦).

وتحليل هذا الخطاب على النحو التالي:

المشبه: أصوات أئمة المساجد.

المشبه به: نباح الكلاب.

وجه الشبه: الإزعاج وإثارة الضوضاء.

الواقعة الجرمية: الاستهزاء بالشعائر الإسلامية.

ومن الأمثلة أيضا الاستعارات التي وجدت لدى القاضي في مقدمة هذا الفصل، كقوله: يوقد هجاء الشاعر نار العداوة، ويكون معول هدم الأسرة.

فيلاحظ أنه استعار الإيقاد لفعل المدعى عليه وهو الهجاء، للدلالة على الإيذاء، وأسند النار للعداوة والجامع بينهما تمكن الانتشار، من أجل الدلالة على تمكن انتشار العداوة بين أفراد الأسرة، وبالتالي فإن حجة القاضي في إصدار حكم التعزير على المدعى عليه هو سبب الهجاء في الإيذاء، وتمكن انتشار العداوة المشابهة لانتشار النار بين أفراد الأسرة. وشبه فعل المدعى عليه (الهجاء) بمعول وهو أداة تكسير للدلالة على عنف ألفاظ القصيدة، واستعار للأسرة مفردة الهدم، وجعل الأسرة كالبناء وحذف البناء وأبقى من لوازمه الهدم للدلالة على أثر الجريمة وهي نشر قصيدة الهجاء من أجل التشهير.

مثال آخر:

أراد المدعي أن يثبت أن شكواه على المدعى عليه ليست كيدية كما قررت لجنة حكومية ذلك، فقال المدعي: نفيدكم أن اللجنة... قامت مؤخرا بزيارة خجولة بعد

(٩٦) مجموعة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٤هـ، ج١٥/١٥٣.

طول انتظار ولم تقم ببحث حقيقة الوضع(٩٧).

فالاحتجاج العقلي هنا وقع في (زيارة خجولة) إذ أن المفترض على اللجنة أن تقوم بزيارة تتسم بالجدية والموضوعية للتثبت من الحقائق، ولكنها أتت مخالفة للتوقع، مما جعل المدعي ينبه إلى عدم جدية اللجنة وتهاونها في إثبات الدعوى بإسناد الخجل إلى الزيارة، فوجب الحذر من هذه الزيارة، ليصبح المعنى البعيد: أيها القاضي لا تستند على حكم اللجنة التي قامت بزيارة الجهة المقصودة في مدة يسيرة ويظهر منها عدم الجدية في التثبت من الحقائق.

٢– الاحتجاج بالتعليل، أو (الحجة التعليلية).

تأتي الحجة تحقيقا للمنطق العقلي السليم فالنظر في الأسباب يؤدي إلى نتائج صحيحة وعلل مقنعة، ولذلك ارتبطت العلة بالفلسفة، ومن الفلسفة جمع الأضداد في شيء واحد كقول المتنبي: وأنت الخصم والحكم، وابن المعتز يرى أن الله تعالى أضاف إلى كل مخلوق ضده ليدل على أنه سبحانه واحد، وفي تعليل الأضداد تأتي الحجج منطقية موغلة في العقلية وهي إلى المنهج العلمي أقرب منها إلى منهج الفن الأدبي، ويلحق بها في البلاغة من فلسفة المعاني فلسفة الألفاظ كالجناس بالاشتقاق، مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "عُصيَة عصت ربها، وغفار غفر الله لها"، فاشتق العصيان والمغفرة من جنس اللفظ، ومثل ذلك التشاؤم في تفسير الشاعر للفظ سوسنة أن أولها سوء وآخرها سَنَة، واحتجاج الفرزدق في بيت شعري له على ذل بني خزيمة بأن الخزام مذلة، وفي التفاؤل قلب الشاعر لكلمة كرسي إلى يسرك.... الخ(٩٨).

وقد لا يكون الاحتجاج التعليلي عقليا وإنما بيانيا تفسيريا، وذكر السعيدي في ذلك ثلاثة مواضع هي:

١– إذا كان المعنى مألوفا والتعليل معروفا، مثل تفضيل الإنسان على الحيوان بالعقل.

(٩٧) مجموعة الأحكام القضائية، م١٣/٣٢٦.

(٩٨) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص:١٠٧–١٠٨.

٢- إذا كان التعليل تقسيما، مثل أثر العثرة باللسان أو الرجل، فالأولى فيها الهلاك المباشر، بينما الثانية فيها الهلاك على مهل.

٣- إذا كان التعليل بالتفسير(٩٩).

أما ما يلحق بالحجة التعليلة فقد ذكر منها ما يلي:

١- الحجة التمثيلية، وثمة فرق بين التعليل العقلي والتعليل البياني، وكلما تظافرت حولها الأدلة فهي موغلة في العقلية، مثل حجة أبي تمام في قوله: لا تنكروا ضربي له من دونه ... الخ، وهذا البيت من أمثلة الحجة التمثيلية ويرى السعيدي أن جميع أمثلة التمثيل الضمني هي بمثابة قياسات تعليلية.

التعليل بالأدلة النقلية، فقد تكون الحجة التعليلية مقترنة بدليل نقلي مثل: قول الشاعر:

إذا كنت معتقدا ضيعة فإياك والشركاء الوجوها

لأنك تعلم أن الملو ك إذا دخلوا قرية أفسدوها

٢- التعليل بالإسناد إلى قواعد مسلم بها في علم من العلوم، مثل قول الشاعر:

سرك إن أعلمته ثانيا فاعلم بأن قد آن أن يفشيه

لأن ما أضمر في حالة الإفراد تستخرجه بالتثنية.

٣- الاحتجاج النظري كقول الخنساء في رثاء صخر بأنه أهان حياته في الحرب والعلة النظرية: إن الحياة الحقيقية هي الكرامة التي تبقي النفس عزيزة(١٠٠).

وقد تأتي الحجة التعليلية مجردة من هذه الملحقات، ويزداد أثرها العقلي كلما أوغلت في الغرابة كتحسين القبيح وتقبيح الحسن، كقول الشاعر تعصي الإله وأنت تظهر حبه... الخ، وقد يأتي التعليل موغلا في الفنية ويكون الإمتاع مسيطرا على الفكرة التي يحتج بها، وغالبا ما تكون لدى الشعراء، ويكون الإقناع بها ضرب من

(٩٩) المرجع السابق، ص:١٠٩.

(١٠٠) المرجع السابق، ص:١١٠-١١٢.

التمويه الذي يستثير الوجدان(١٠١).

ولقد تناول البلاغيون الاحتجاج بالتعليل من زاويتين: العلمية والفنية، سواء كان الاحتجاج تحقيقا صادقا أو تخييلا موهما بالصدق، واتجه البلاغيون إلى ثلاث اتجاهات كما يرى السعيدي، هي:

الاتجاه العلمي: وقد وجد عند ابن الأثير حينما ذكر أن الجدل يقع في العلة ومنها: الاعتبار، وأن تكون العلة في صحة الشيء هي في بطلان ضده، أو تكون من اجتماع شيئين أو أكثر مثل إذا أراد الرجل أن يقلب حجرا ثقيلا فلم يطقه فلما تأيدت قوته بغيره قلباه، ومن هذا المعنى يحتج بالتواتر وإن كان كل واحد من المخبرين يجوز عليه الكذب، ومنها العلة التي تأخذ مما يوافق الخصم فلا يطعن فيها، ويرى السعيدي أن المذهب الكلامي الذي جاء الاحتجاج فيه على سبيل التعليل هو من التعليل العلمي كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء [٢٢]، وهذا الباب ذكر عند علماء الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم كالرماني وسماه الباقلاني بآيات الاحتجاج(١٠٢).

الاتجاه الثاني: النظرة المزدوجة العلمية والفنية للتعليل: ويعد ابن سنان الخفاجي من أول البلاغيين الذين نظروا إلى التعليل من جهتيه وسماه (الاستدلال بالتعليل)، والجامع بين شواهده القرآنية والشعرية للتعليل هو الصياغة الأسلوبية، ودرس أسلوب (لو الشرطية)، وهو ما عرف عند الأصوليين بدلالة التمانع، وهو أن يجيء الكلام بصيغة الشرط المبدوءة بلو وهي إما أن يكون الشرط والجواب منفيين ويدل على حدوث الجواب، وجميع الأمثلة التي أوردها الخفاجي في هذه الصيغة من صور القياس العلمي كما يرى السعيدي، الذي يدل عليه أسلوب الشرط ولكنه في الحقيقة يقوم على التخييل والإبهام، ولذلك يرى السعيدي أن الخفاجي مزج بين العلمية والفنية، وإما أن يكون الشرط والجواب مثبتين، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

(١٠١) المرجع السابق، ص:١١٣.

(١٠٢) المرجع السابق، ١١٣-١١٦.

لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء [٢٢] ،وهذه الصورة تختلف عن سابقتها لأن الحجة فيها قياسية حقيقية لا مجال فيها للتخييل، واستمرت هذه النظرة للتعليل عند البلاغيين من بعده كابن أبي الأصبع وبدر الدين بن مالك، وابن الأثير(١٠٣).

الاتجاه الثالث الاتجاه الفني: ويتزعم هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني ولا يشترط ثبوت العلة بمقتضى العقل أو خارج النص؛ لأنها حجة ادعاء تتدرج من الشبيهة بالحقيقة الموهمة بالصدق إلى الموغلة في التخييل، وهي عنده إما تعليل علمي مقارب للواقع الموازي ويكثر في التشبيه الضمني، أو تعليل فني مناف للواقع وهو التعليل التخييلي، وهذا النوع منه ما هو مصرح بعلته الحقيقية ويدعي المتكلم لها علة يخترعها، ومنه ما يكون تضمينا لها وهي ادعاء صفة غير ثابتة وتكون بالاقتضاء لما ادعاه المتكلم، ويتبع ذلك حسن التعليل عند البلاغيين وهو ادعاء للصفة علة مناسبة غير حقيقية، ويستخلص السعيدي قيودا لها: كالادعاء بالصدق والكذب، والرابطة بين العلة والمعلول، ودقة العلة، والمبالغة، والصفة إما أن تكون ثابتة بقصد بيان العلة وفي هذه الحالة إما أن العلة لا تظهر، أو أنها تظهر العلة ولكنها غير مذكورة، وإما أن تكون الصفة غير ثابتة وأريد إثباتها، وفي هذه الحالة إما أن تكون العلة ممكنة وإما أن تكون غير ممكنة، ولقد ذكر الجرجاني لكل هذه الحالات شواهد كثيرة وأحسن الخطيب القزويني بتبويبها وترتيبها، أما التفتازاني فقد فرق بين التعليل المعقول وغير المعقول، وهذا لا يعني أن التعليل التخييلي مباين للاحتجاج لأن التخييل كما يرى السعيدي نشاط عقلي يتجاوز الواقع إلى معان بلاغية واسعة، والخلاصة: إذا كان التعليل مخترعا ومخيلا فهو فني بحسب إيغاله في البعد من الحقيقة، وإذا التمس التخييل علة موجودة في الواقع فإنه يسمى التعليل المشترك لأخذه نصيبا من التخييل ونصيبا من التحقيق(١٠٤).

(١٠٣) المرجع السابق، ١١٦-١١٩.

(١٠٤) المرجع السابق، ١١٩-١٣٠.

نماذج تطبيقية:

أقام المدعي دعواه ضد المدعى عليه، بأنه تقدم ببلاغ كيدي ضده بتهديد والده والتلفظ عليه وطالب بتعزيره وتأديبه، وقال المدعي: قد جرى استدعائي في هيئة التحقيق والادعاء العام، وقد وقعت على التعهد مجبرا لأن المحقق هددني بالسجن، كما أن والدتي كانت منومة في ذلك التاريخ فاضطررت للتوقيع بسبب ذلك، ثم ذكر أثناء الترافع ردا على إصرار المدعى عليه بتهديد والده وإيذائه: كيف أقوم بتهديد والد المدعي وإيذائه والتلفظ عليه، وأنا لم أتوقف عنده بتاتا، وقال المدعي في موضع آخر: وقد ذكر المدعى عليه في هيئة التحقيق أن لديه شاهدين يشهدان عليّ، إلا أنهما لم يشهدا ... الخ، وأقتطع جزءا من نص حكم القاضي والذي يقول فيه: "نظرا لاختلاف الواقعة في بلاغ المدعي عليه عما جاء في إجابته مجلس القضاء، ولأن ما قام به المدعى عليه فيه إضرار بالمدعي ونوع افتراء عليه فقد قررت تعزير المدعى عليه"(١٠٥).

وفي هذا النموذج نجد خطابا قضائيا من قبل المدعي يستند على الحجة التعليلية، القائمة على حسن تركيب النص مع قوة الاحتجاج الإيحائي، وبما أن التعليل "هو تقرير ثبوت المؤثر في إثبات الأثر، والاستدلال هو تقرير ثبوت الأثر لإثبات المؤثر"(١٠٦)، فإنني سأقف عند ثلاث جمل في هذا الخطاب توضح هذه الرؤية عند علي الجرجاني:

الأولى: وقد وقعت على التعهد مجبرا لأن المحقق هددني بالسجن، كما أن والدتي كانت منومة في ذلك التاريخ فاضطررت للتوقيع بسبب ذلك.

ويلاحظ في هذا التركيب عدم نفي المدعي لتوقيعه على ما يدينه بل أثبت ذلك من خلال الأفعال الماضية، ولكن السياق الذي وجد فيه سياق التهديد وسياق تنويم والدته كانت علة للتوقيع، وبالتالي فإن هذا التركيب مع السياق الخارجي للمدعي مع

(١٠٥) مجموعة الأحكام القضائية، ٣٣٦-٣٣٨.

(١٠٦) التعريفات، ص:٨٧.

علة التوقيع هي في حد ذاتها علة وبيان وحجة لبراءة التهمة الموجهة إليه وعدم تهديده لوالد المدعى عليه.

وعلى ضوء هذا التحليل فيمكن تقرير ما يأتي:

التعليل في الجملة الماضية:

- المؤثر: تهديد المحقق بالسجن.
- الأثر: توقيع المتهم بما يدينه.

والاستدلال في الجملة الماضية:

- الأثر: ثبات براءة المتهم.
- إثبات المؤثر: توقيع المتهم على ما يدينه بسبب تهديد المحقق.

الجملة الثانية: وقد ذكر المدعى عليه في هيئة التحقيق أن لديه شاهدين يشهدان عليّ، إلا أنهما لم يشهدا.

العلة هنا ليس في عدم شهادة الشهود فإن هذه متحققة أصلا في الدعوى، ولكن الحجة التعليلية قائمة على الإيحاء، فبما أن الشهود الذين استند عليهم المدعى عليهم في دعواه لم يشهدا بتهديد المدعي لوالد المدعى عليه، فإن المدعى عليه يقصد إيقاع الضرر على المدعي وبالتالي فإن الشكوى المقدمة من قبل المدعي كانت كيدية.

الجلمة الثالثة: كيف أقوم بتهديد والد المدعي وإيذائه والتلفظ عليه، وأنا لم أتوقف عنده بتاتا.

تقوم هذه الجلمة على الاستفهام الاستنكاري أثناء أداء الحجة التعليلة، مما يقوي الخطاب الموجه من المدعي في مجلس التقاضي للفت نظر القاضي إلى عدم وجود تهمة أصلا ضده، وإنما هي كيدية من قبل المدعي، وبيانها فيما يأتي:

التعليل:

- المؤثر: نفي الوقوف عند والد المدعى عليه.
- الأثر: إنكار تهديد والد المدعى عليه.

الاستدلال:

ثبات الأثر: وجود دعوى كيدية ضد المدعي.

المؤثر: إنكار التهديد لعدم وجود مواجهة أصلا مع والد المدعى عليه.

وبناء الاستدلال في الجمل السابقة قائم على:

– التعليل العقلي الواقعي في الجملة الأولى المستند على الصياغة الأسلوبية كما ذكر ابن سنان الخفاجي.

– التعليل العلمي عند ابن الأثير في الجلمة الثانية، فعدم شهادة الشهود مقرر في كتب الفقه ولدى العلماء بأنه علة على عدم صحة الدعوى.

– التعليل التخييلي والفني ولكنه تعليل ليس بعيدا عن الحقيقة كما في الجملة الثالثة، أو هي تعليل علمي مقارب للواقع الموازي والذي يجعله عبد القاهر الجرجاني من ضمن التخييل، ويلاحظ أن السياق العام لنص الحكم يتجه من أوله حتى موقع الجملة الثالثة من هذا النص إلى حضور المتهم مكان التهمة، ولكن الجملة خالفت التوقع، وأتت على سبيل التخييل بحيث إنها افترضت عدم حضور المدعي أصلا لمكان التهمة في ذهن القاضي، ومما ساهم في هذا التخييل استخدام المخاطِب للاستفهام الاستنكاري، مع الاستعانة بأفعال المضارعة التي ساهمت في جعل الجملة أكثر مشهدية وتصويرية.

٣–الاحتجاج بالخبر، أو (الحجة النقلية)

الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب(١٠٧)، وقد يحتاج بوصفه معنى مجردا إلى خبر آخر يكون حجة نقلية مثبتة لصحة معنى الأول، وإذا كان الخبر من النصوص المقدسة فهو مقدم على الحجة التمثيلية والتعليلية والتأملية، لأنها من الأخبار الصادقة المجزوم بصحتها، ويتدرج الاحتجاج بها من حيث القوة فالقرآن أولا ثم السنة الصحيحة ثم الإجماع ثم القياس، وقد أكد هذا التدرج ضياء الدين ابن الأثير، وأشاد شهاب الدين الحلبي بوسائل الحجج النقلية في شحذ القرائح وتفتيق الأذهان للحجج العقلية(١٠٨).

(١٠٧) القرآن والسنة الصحيحة لا يحتملان إلا الصدق.

(١٠٨) الاحتجاج العقلي، ص:١٣١–١٣٢.

ويؤكد السعيدي هذا الرأي لأن الحجج النقلية سبب لإعمال العقل في المعنى المحتج له من النص الصحيح، ويذهب إلى أن البلاغيين يعدون الاحتجاجات الخبرية من أهم الخصائص البلاغية التي يجب على الخطيب والشاعر أن يتحلى بها بشرط أن ينجحا في الاستدلال المؤدي إلى الإقناع(١٠٩).

فالقرآن والسنة يؤثران في النفوس ويقيمان الحجة، ويتوصل إليها بإمعان العقل في النظر فهما ينقضان ما ترسخ في الذهن من أحكام سابقة يعتقد صوابها، وألخص أهم أساليب استخدام الاحتجاج الخبري في الكلام، مما ذكره السعيدي، فيما يلي:

١- الحجة الخبرية تقضي على الحجة الخبرية الأخرى، ومثاله: قول خالد بن صفوان للفرزدق: ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، فرد عليه الفرزدق: ولا أنت بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ القصص [٢٦].

٢- تزييف الأفعال المذمومة بالحجج المقبولة المعقولة، ومثاله: سُئِل متسول عما يفعل، فقال: ما صنع موسى والخضر، أي: أنهما استطعما أهل قرية.

قد تستعمل في غير مواضعها على سبيل المغالطة والقياس الفاسد، ومثاله: ما حكي عن أبي العيناء أنه قيل له: إن ابن حمدون يضحك منك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ المطففين [٢٩](١١٠).

ويخلص إلى أن الحجة النقلية الخبرية تستعمل في الكلام من أجل الوصول إلى معان بلاغية، تستخدم إما للاحتجاج الصحيح، وإما للاحتجاج المغالط الذي يقبح الحسن ويحسن القبيح، وذلك من خلال عزلها عن سياقها والاحتجاج بها في سياق آخر، وكلا الاحتجاجين ضرب من الاحتجاج العقلي إذا استعملت في المعاني المبتكرة التي تنتزع لها الحجة(١١١).

(١٠٩) المرجع السابق، ص:١٣٣.

(١١٠) ينظر المرجع السابق، ص: ١٣٣-١٣٨.

(١١١) المرجع السابق، ص: ١٤١.

نماذج تطبيقية:

مثال: لتوظيف معاني القرآن والسنة في دفع التهمة وإثبات الجرم على المدعي.

أقام المدعي دعواه ضد المدعى عليه؛ طالبا عقوبته بسبب تلفظه عليه وتهديده، فأجاب المدعى عليه قائلا: "ما ذكره المدعي غير صحيح، والصحيح أن المدعي دخل علينا ... في منزلنا المحاط بجدران من بلك والمملوك لوالدي بصك شرعي، ولم يستأذن عند دخوله ولم يراع حرمة المنزل"(١١٢).

هنا دفع المدعى عليه التهمة باستخدام الحجة الخبرية المفهومة من الخطاب، حيث إن الدخول بغير استئذان يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ النور [٢٧]

وقوله: لم يراع حرمة المنزل، إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه"، وكل هذه الأخبار تدين المدعي، ويلاحظ أن البلاغة باستخدام الحجة الخبرية القائمة على نقض الحجة وعلى توظيفها دون الاقتباس الحرفي للخبر من القرآن والسنة، مما أدى إلى نقل التهمة من المدعى عليه إلى المدعي.

مثال آخر لاقتباس النص القرآني حرفيا من أجل إقناع القاضي في الاحتجاج، ما طلبه المدعي من إلزام المدعى عليهما بأداء الشهادة أمام إحدى المحاكم ضد شركة ما، ولأنهما امتنعا استنادا على قوله تعالى: "ولا يضار كاتب ولا شهيد"، فإن المدعي استخدم الحجة الخبرية النقلية لتأييد موقفه فقال: نطلب من فضيلتكم الحكمَ بإلزام المدعى عليهما بأداء الشهادة لقوله تعالى: "ولا تكتموا الشهادة"(١١٣)، وهذه لفتة بلاغية ذكية في المحاججة من قبل المدعي إذ أن الحجة الخبرية النقلية لا يضاهيها إلا حجة خبرية نقلية مثلها.

وثمة مثال آخر للدلالة على بلاغة الاحتجاج الخبري أثناء نقض الحجة المقابلة،

(١١٢) مجموعة الأحكام القضائية، ص: ١٨٢.

(١١٣) مجموعة الأحكام القضائية، ص: ٤٦٣.

باستخدام أسلوب تزييف الأفعال المذمومة بالحجج النقلية المعقولة المقبولة، فقد رد المحامي بهذا الأسلوب تهمة المدعية والتي قالت: إن المدعى عليها قد شوهت سمعتها باتهامها بإقامة علاقات محرمة ، حيث قال: "ما قالته موكلتنا بأن سلوك المدعية لم يعجبها فإن ذلك لم يكن بقصد التشهير أو إساءة السمعة؛ لأن ذلك تم من باب النصح وإزالة المنكر عملا بالحديث الشريف: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ومن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم"(١١٤)، فيلاحظ أن قلب الحجة هنا أتت باستخدام نص الحديث في نقض التهمة وفي تزييف الفعل، وفي تحسين عمل المدعية لإقناع القاضي بعدم وجود التهمة أصلا، ومن هنا أتت بلاغة هذا الأسلوب.

٤–الاحتجاج بالنظر، أو (الحجة التأملية).

ويقصد بالنظر حاسة البصيرة، وهو النظر الفكري بمعنى التأمل الذي يعول عليه في تميز الإنسان عن غيره، والاحتجاج للمعاني يحتاج إلى هذا النظر التأملي الذي يشير إلى الدليل من غير تمثيل أو تعليل أو استشهاد نصي، ليجانس الدليل مع المدلول، ويكون قياسها بالعقل، من خلال الربط العقلي بين الأثر والمؤثر، وبين الشكل والمضمون، ويتوصل بها إلى العلاقة بين الجريمة وسيمياء المشتبه به، واعتبار هذه العلاقة دليلا مساعدا وحجة مبررة لتقديمه أثناء المحاكمة(١١٥).

وكان الجاحظ يرى أن مدار الأمر يرتكز على الأخذ بما يراه العقل لا بما تراه العين، وعلى هذا ذهب مؤلف نقد النثر، وكان العلماء المتأخرون يقصدون بالاحتجاج النظري الاحتجاج العقلي وهو باب في المذهب الكلامي لارتباط النظر فيه بالعقل، ويشير السعيدي إلى أن أول من سماه بالاحتجاج النظري وربطه بالمذهب الكلامي هو جمال الدين ابن النقيب(١١٦).

(١١٤) مجموعة الأحكام القضائية، ص:١٤٠.
(١١٥) الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، ص:١٤٣-١٤٤.
(١١٦) المرجع السابق، ص:١٤٥-١٤٦.

وثمة مظاهر للحجة التأملية سردها الدكتور ناصر السعيدي، ولعلني أختار منها ما يأتي:

١– الاحتجاج التأملي عقلي محض، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يس [٧٩] لمن ينكر البعث بعد الموت، فالاستدلال هنا ليس تمثيلي ولا تعليلي ولا نقلي، بل هو تأمل نظري وتفكر عقلي عند الدكتور ناصر السعيدي (١١٧).

٢– الاحتجاج النظري في القرآن مقسم إلى: إثبات الحق بالحجج ترغيبا فيه، مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق [٥، ٦] فهنا النظر في الخلق ترغيب في الطاعة، وإبطال الباطل بالحجج تنفيرا منه، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ الحج [٧٣] فاستدل بالنظر إلى عجزهم عن الخلق على أنهم لا يصلحون للعبادة(١١٨).

٣– التأمل الدقيق ضد معنى كاد أن يكون مسلما به. فالحكمة تقول: إن الصمت خير من الكلام، فقال أحد الحكماء: كلا؛ إنك تصف الصمت بالكلام، ولا تصف الكلام بالصمت(١١٩).

٤– قد تأتي الحجة التأملية تضليلية، مثل النظر إلى المعاني الموصوفة من جهة واحدة وإهمال أغلب الجهات التي تؤكد النظرة التأملية الصحيحة، مثل قول إبليس: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(١٢٠).

(١١٧) المرجع السابق، ص:١٤٨.
(١١٨) المرجع السابق، ص:١٤٩–١٥٠.
(١١٩) المرجع السابق، ص:١٥٠.
(١٢٠) المرجع السابق، ص:١٥٣.

نماذج تطبيقية:

يقول المحامي: "كيف علمت المدعى عليهما بأسماء هؤلاء الأشخاص وعن علاقتهم بالمدعية إن لم يكن عن طريق المدعية نفسها"(١٢١).

هنا دليل عقلي على براءة المدعى عليهما من تشويه سمعة المدعية، حيث إن المحامي ألزم المدعية بما اشتكت به فهي من شوهت سمعتها أمامهم، وليستا المدعى عليهما، وتلاحظ بلاغة هذا الأسلوب في عدم استخدام المحامي للحجة التمثيلية أو التعليلية أو الخبرية، وإنما استخدم الحجة العقلية التي تجعل القاضي يقف منها وقفة المتأمل بعقله؛ ليصل إلى أن إلزام المدعية بتشويه سمعتها أولى من إلزام المدعى عليهما.

ومثل هذا قول المدعى عليه في قضية أخرى: كيف يكون واجب الإبلاغ كيدا؟! للرد على المدعي الذي اتهمه بأنه قدم دعوى كيدية لجهة عمله.

وفي تأمل هذه العبارة نجد أن المدعى عليه استخدم الاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر غرضه الاحتجاج بالاستنكار المؤدي إلى إنكار التهمة، وإثبات الحق بالحجة من أجل الترغيب فيه، فواجب الإبلاغ حق وليس تهمة ولا كيدا، والوصول إلى هذه الحجة عن طريق التأمل النظري والتفكر العقلي.

(١٢١) مجموعة الأحكام القضائية، ص:١٤٠.

الخاتمة:

نظرا لقلة الدراسات المتعلقة بتطبيق القواعد المعرفية في البلاغة العربية القديمة على الخطاب القضائي، فقد حاولت هذه الدراسة أن تضع مدخلا عاما يسهم في بيان إمكانية التنظير والتطبيق بين البلاغة والقضاء، وقد توصلت الدراسة إلى إمكانية تطبيق البلاغة العربية القديمة في تحليل الخطاب القضائي، وبيانه في النتائج التالية:

١- تساهم البلاغة القديمة في كشف أساليب الخطاب القضائي الإفرادي والتركيبي وفق سياقاته اللغوية والنفسية والاجتماعية.

٢- أهم الخصائص البلاغية الموجودة في الخطاب القضائي أنه: خطاب حجاجي إقناعي، خطاب بنائي، خطاب اجتماعي، خطاب تأويلي.

٣- إمكانية تطبيق الأصول العامة للبلاغة القديمة في كشف مآلات الخطاب القضائي، وتحديد الواقعة الجرمية، وضبط القضية المتنازع عليها بين المتخاصمين، ومعرفة اتجاه خطاب المدعي وخطاب المدعى عليه، وإصابة الحكم من قبل القاضي.

٤- أهم الأصول البلاغية العامة عند القدماء التي اختارها الباحث في تحليل الخطاب القضائي هي: مراعاة السياق، والإفهام والإقناع، والموازنة بين النصوص، ونظرية النظم عند عبد القاهر، والاستدلال عند السكاكي.

٥- كشفت الدراسة عن الروابط المعرفية بين البلاغة القديمة وبين الاحتجاج الموجود في الخطاب القضائي والتي تتركز في أربعة أنواع هي: الحجة التمثيلية، والحجة التعليلية، والحجة الخبرية، والحجة النظرية.

٦- إمكانية تحليل الخطاب القضائي بأدوات البلاغة العربية القديمة، ولقد اختار الباحث نماذج لكل أصل بلاغي ولكل حجة خطابية من مجموعة الأحكام القضائية الصادرة عن وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، لبيان هذه الإمكانية، وإن لم تكن هذه النماذج بتلك الكثافة إلا إنها تعطي مؤشرا في أهمية توظيف البلاغة لكشف الخطاب القضائي.

التوصيات:

أوصي الباحثين بدراسة الخطاب القضائي من منظور بلاغي بعد الاستعانة بالله، في الجوانب التالية:

١- دراسة الأساليب الخبرية والإنشائية في الخطاب القضائي.

٢- دراسة القرائن اللفظية والمعنوية داخل الجمل في الخطاب القضائي.

٣- دراسة خطابات المحامين في أروقة المحاكم دراسة بلاغية أسلوبية إحصائية.

٤- الربط بين الاستدلال عند السكاكي وبين علمي البيان والمعاني.

٥- تأليف نظرية متكاملة مستوحاة من التراث البلاغي مختصة بتحليل الخطاب القضائي.

المصادر والمراجع

الطبري، محمد ابن جرير **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت: مكتبة التبيان، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

الأصفهاني، الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، ت: محمد خليل، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٢٦هـ.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، **الموازنة بين أبي تمام والبحتري**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٤.

بن جعفر، قدامة، **نقد النثر**، ت: طه حسين، عبدالحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ١٣٥٧هـ.

حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، طبعة ١٩٩٤م.

جاب الله، أسامة، **السياق في الدراسات البلاغية والأصولية**، منشور إلكتروني.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٥، ٢٠٠٣م.

الجرجاني، القاضي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ت: محمد إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، ت: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ١٣٧٥هـ.

الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.

الحمادي، حسن بن أحمد، **مكانة الحجاج في صياغة الأحكام القضائية**، بحث محكم، مجلة القضائية، وزارة العدل، المملكة العربية السعودية، العدد الحادي عشر- ربيع الثاني، ١٤٣٦هـ.

حنفي، حسن، **تحليل الخطاب**، أعمال المؤتمر العلمي الثالث، جامعة فيلادلفيا، عمان.

الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، ض: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

السعدي، عبدالرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

السعيدي، ناصر دخيل الله، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية اللغة العربية، ١٤٢٥هـ – ١٤٢٦هـ.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، تحقيق د.عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

عبد الرحمن، طه، **تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي**، دار البيضاء، ط٢، د.ت.

العربي، أحمد الدين، **اللسانيات القضائية في الوطن العربي**، بحث منشور في مجلة الأثر، العدد ٢٩، ديسمبر، ٢٠١٧.

العسكري، أبو هلال، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، ت: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ.

العصيمي، صالح، **اللسانيات الجنائية: تعريفها، ومجالاتها، وتطبيقاتها**، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، سلسلة دراسات ١٨، الرياض، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

العمري، محمد، **البلاغة العربية أصولها وامتدادها**، إفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.

العمري، محمد، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، إفريقيا الشرق، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ.

كردي، زينب عبداللطيف، **بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، ١٤٣٠– ١٤٣١هـ.

المالكي، عبدالرحمن حميد، **الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث**، بحث محكم، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، وحدة النشر العلمي، العدد التاسع عشر، الجزء الثاني، ٢٠١٨م.

المبخوت، شكري، **الاستدلال البلاغي**، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م.

مجموعة الأحكام القضائية لعام ١٤٣٥هـ، وزارة العدل، مركز البحوث، المملكة العربية السعودية، الرياض، ج١٣

المحمدي، جابر، **الخصومات الأدبية في القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، شعبة الأدب والبلاغة، ١٤١٠هـ.

ميلود، عزوز، وبوشيحة براهيم، **الحجاج ومصطلحاته في التفكير البلاغي لدى عبدالقاهر الجرجاني**، بحث محكم، مجلة الدراسات الثقافية والغوية والفنية، عن المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، العدد ٤، ٢٠١٩م.

هادي نهر، **علم اللغة التطبيقي**، دار الأمل، الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ.

يعقوب، إميل، **المصطلحات اللغوية والأدبية**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

Bibliography

Ibn Katheer, Abu Al-Fida Ismaʿil bin ʿUmar, **Al-Bidāyah Wa al-Nihāyah**, Maktabat Al-Maʿārif, Beirut.

Ibn Manẓour, Muhammad Bin Mukaram, **Lisān Al-ʿArab**, Dār Sadir, Beirut.

Al-Asfahani, Al-Raghib, **Al-Mufradāt Fi Gharīb Al-Qurʾān**, by: Muhammad Khalil, Dār Al-Ma'rifah, Beirut, 4th edition, 1426 AH.

Al-Āmidī, Abu Al-Qasim Al-Hasan Bin Bishr, **Al-Muwāzanatu baina Abi Tammam wa Al-Buhtarī**, investigated by: al-Sayyid. Ahmad Saqr, Dār Al-Maʿārif, Egypt, 4th edition.

Bin Jaʿfar, Qudāmah, **Naqdu Al-Nathr**, investigated by: Taha Husain, Abdul Hamid Al-ʿAbbadi, authorship and Translation Committee Press, Cairo, 3rd Edition, 1357 AH.

Jāballāh, Osama, **Al-Siyāq fi Al-Dirāsāt Al-Balāgiyyah wa Al-Usouliyyah**, electronic publication.

Al-Jāhiz, Abu Othman Amr bin Bahr, **Al-Bayān wa Al-Tabyeen**, investigated by: ʿAbd al-Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, 5th edition, 2003.

Al-Jurjānī, Al-Qāḍi, **Al-Wasātah baina Al-Mutanabbi wa Khusoumih**, investigated by: Muhammad Ibrahim and Ali Al-Bajāwi, Maktabat Al-Aṣriyya, Beirut.

Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qahir, Asrār Al-Balāghah, investigated by: Mahmoud Shakir, Dār Al-Madani, Jeddah, 1st edition, 1412 AH.

Al- Jurjānī, ʿAbd al-Qahir, Dalāʾil Al-Iʿjāz, by: Mahmoud Shakir, Al-Khanji Library, Cairo, 1375 AH.

Al- Jurjānī, ʿAli bin Muhammad, **Al-Taʿrīfāt**, investigated by: Ibrahim Al-Abyari, Dār Al-Kitab Al-ʿArabi, Beirut, 4th edition, 1998.

Hasan, Tammam, **Al-Lughah Al-ʿArabiyyah Maʿnāhā wa Mabnāhā**, Dār Al-thaqāfah, Morocco, edition of 1994.

Al Hammadī, Hassan bin Ahmad, **Makānatul Al-Hijjāj fi Siyāghat Al-Ahkām Al-Qadāʾiyyah**, Arbitrated Research, Judicial Journal, Ministry of Justice, Kingdom of Saudi Arabia, Issue Eleven - Rabi` al-Thani, 1436 AH.

Hanafi, Hasan, **Tahlil Al-Khitāb**, Proceedings of the Third Academic Conference, Philadelphia University, Amman.

Al-Khatib Al-Qazwīnī, **Al-Īḍāh fi Uloum Al-Balāghah**, footnotes: Ibrahim Shams Al-Din, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyya, Lebanon, 1st edition, 1424 AH.

Al-Rāzī, Muhammad bin Abi Bakr, **Mukhtār Al-ṣihāh**, revised by: Ahmad Shams Al-Din, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1415 AH.

Al-Saʿdi, ʿAbd al-Rahman, **Tayseer Al-Karīm Al-Rahmān fi Tafsir Kalām Al-Mannān**, Dār Ibn Al-Jawzi, Saudi Arabia, 1st edition, 1422 AH.

Al-Suʿaidi, Nasir Dakhil Allah, **Al-Ihtijaj Al-'Aqli wa Al-Maʿnā Al-Balāghi**, unpublished PhD thesis, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, College of Arabic Language, 1425 AH - 1426 AH.

Al-Sakkāki, Yousuf bin Abi Bakr, **Miftāh Al-ʿUloum**, investigated by: Dr. ʿAbd al-Hamid Al-Hindawi, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1418 AH.

Al-Tabari, Muhammad Ibn Jarir, **Jāmiʿ Al-Bayān ʿan Taʾwīl Āyi Al-Qur'ān**, investigated by: Al-Tibyan Library, Dār Ibn Al-Jawzi, Cairo, 1st edition, 1430 AH.

ʿAbd al-Rahman, Tāha, **Renewing the methodology in evaluating heritage**, (in Arabic). Arab Cultural Center, Dār Al-Bayḍa, 2nd edition, n. d.

Al-ʿArabi, Ahmad Al-Din, **Judicial Linguistics in the Arab World**, (in Arabic). research published in Al-Athar Journal, Issue 29, December, 2017.

Al-ʿAskari, Abu Hilal, **Al-Ṣanāʿatain: Al-Kitābah wa Al-Sheʿr**, investigated by: Mufid Qumeiha, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, 2nd edition, 1404 AH.

Al-ʿOsaimi, Saleh, **Forensic linguistics: definition, fields, and implementations,** (in Arabic). King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, 18 Studies Series, Riyadh, 1st edition, 1441 AH - 2020 AD.

Al-ʿAmri, Muhammad, **Al-Balāghat Al-ʿArabiah Usouluhā wa Imtidāduhā**, East Africa, Morocco, 1999.

Al- ʿAmri, Muhammad, **Fi Balāghat Al-Khitāb Al-Iqnāʿ**, East Africa, Beirut, 2nd edition, 2002.

Al-Qayrawāni, Abu ʿAli Al-Hasan Ibn Rashiq, **Al-Umdah fi Ṣanāʿat al-Sheʿr wa Naqdih**, investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din ʿAbd al-Hamid, Dār Al-Jeel, 5th edition, 1401 AH.

Kurdi, Zainab ʿAbd al-Latīf, **Balāghat Al-Ihtijāj Al-ʿAqli fi Al-Qurʾān**, unpublished Ph.D. thesis, Kingdom of Saudi Arabia, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, College of Arabic Language, Department of Rhetoric and Criticism, 1430-1431 AH.

Al-Maliki, ʿAbd al-Rahman Hamid, Al-Hijāj fi Ḍawʾi Al-Balāghat Al-Qadīmah wa al-Naqd Al-Hadith, a peer-reviewed research, Journal of Academic Research in Arts, Ain Shams University, Girls' College of Arts, Sciences and Education, Academic Publishing Unit, Issue Nineteen, Part Two, 2018.

Al-Mabkhout, Shukri, **Al-Istidlāl Al-Balāghī**, Dār Al-Kitāb Al-Jadeed, Lebanon, 2nd edition, 2010.

Collection of Judicial Rulings for the year 1435 AH, Ministry of Justice, Research Center, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, vol. 13.

Muhammadi, Jabir, **Al-Khusoumāt Al-Adabiyyah fi Al-Qarn al-Rabīʿ Al-Hijri**, Unpublished Master's Thesis, Islamic University of Madinah, Division of Literature and Rhetoric, 1410 AH.

Mailoud, ʿAzzouz, and Bouchiha Brahim, **Al-Hijāj wa Mustalahātuh fi al-Tafkir Al-Balāghī ladā ʿAbd al-Qāhir Al-Jurjānī**, a peer-reviewed research, Journal of Cultural, Linguistic and Artistic Studies, on the Arab Democratic Center, Germany, No. 4, 2019.

Hādī Nahr, **ʿIlmu Al-Lugha al-Taṭbīqī**, Dār Al-Amal, Jordan, 1st edition, 1427 AH.

Yaʿqoub, Emile, **Al-Muṣṭalaḥāt Al-Lughawiyyah wa al Adabiyyah,** Dār Al-'lm Lilmalayin, Beirut, 1st edition, 1987.

تشكيل المقدمة بين الآمدي والقاضي الجرجاني
دراسة مقارنة

Forming the Introduction
between Al-Āmidī and al-Qāḍī Al-Jurjānī
Comparative Study

د. محمد بن أحمد بن محمد العريني

أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة الطائف

البريد الإلكتروني: m.al-oarini@hotmail.com

المستخلص:

تُشكِّل المقدمة أهمية كبرى لمعرفة مُراد الكاتب في مؤلَّفه، وأسباب إنشائه، وطرائق تفكيره، وبناء دراسته، وبرزت الحاجة إلى العودة للتراث النقدي لمعرفة الأسس التي بنى عليها مقدماته التي قلَّ تفتيش الباحثين فيها دراسة واستنباطًا؛ فكان هذا البحث الذي يروم النظر في تشكيل المقدمة بين الآمدي والقاضي الجرجاني من خلال توظيف المنهج المقارن؛ لمعرفة طريقة بنائها وانتظام هيكلها وكيفية البدء بها وتوقيت كتابتها نسبة إلى كتابة المؤلَّف، والتدقيق في الإيحاءات اللفظية التي وجدت عندهما وما كانت تهدف إليه، كما يبتغي هذا البحث الكشف عن وضعهما لمعايير تأليفية أرادا من خلالها إلزام أنفسهما بأسلوب يسيرا عليه في الكتابة، ويُدَقِّق البحث في الألفاظ النقدية التي كانت عند كل واحد منهما وعلاقتها بالأهداف التي يطلبها كل واحد منهما، وتُختم الدراسة باستنتاج الملامح المنفردة التي برزت عند كل واحد منهما، ثم استنباط أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المقدمة-الآمدي-القاضي الجرجاني-الموازنة-الوساطة.

Abstract

The introduction is of great importance to know the author's intention, reasons to write, way of thinking, and study methods in his books. The need to go back to heritage criticism has emerged to know the bases that authors used for their introductions especially since there is less research in this subject, hence, this paper. This research adopted the comparative approach to know the instructions of writing these introductions and the timing, compared to the author's other publications. Additionally, this research is looking into the metaphors and their meanings in al-Āmidī and al-Jurjānī introduction. Furthermore, this research is intending to reveal the lettering standards that they reckon on as a writing style and to examine the criticism articulations that each used, and its relationship with each objective. The study concludes by deducing the individual features that emerged from each of them, and then giving the most important results that resulted from this study.

Keywords: The Introduction – al-Āmidī – al-Qāḍī al-Jurjānī – Comparison – Mediation.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل فوق كل ذي علم عليم، والصلاة على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالنقد في العصر القديم أسس لبناء ما يزال يدين بالفضل لتلك المرحلة، وعند بغية أصحاب المرحلة الآنية تطويرها؛ فإن حق تلك المرحلة على من لحقهم النظر فيها، وإبراز ما تميَّزت به، وجعلها تنهض مبكرًا وتدفع بالحركة النقدية إلى الأمام، ومعالجة أوجه القصور فيها؛ لنظفر بنقد يمكن الاتكاء عليه، والناظر في واقع دراسة المؤلفات النقدية آنذاك يكشف حاجة الدراسات النقدية المعاصرة إلى الالتفات نحو ما كُتب من مقدمات للكتب آنذاك؛ فالمقدمات تُنبئ عن أمور وقضايا تتكشف بالدراسة والتحليل، ومن هنا برزت الحاجة لمثل هذه الدراسة التي عُنيت بتشكيل المقدمة بين الآمدي والقاضي الجرجاني[1]؛ نظرًا إلى أن ما ألَّفاه كان عملًا نقديًّا متقدمًا شغل الباحثين بالدراسة، وسيعتمد الباحث على المنهج المقارن في دراسته.

ولم أجد بعد سؤال الأساتذة الفضلاء والبحث في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات والشبكة العنكبوتية وفي حدود اطلاعي من تناول هذا الموضوع بهذا العنوان وطريقة المناقشة بالبحث والدراسة، لكني وجدت: إحسان عباس في كتابه: (تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة-لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، توجه نحو ميل الآمدي إلى البحتري، كما تعقب الآمدي في تعليقاته، دون تركيز منه على المقدمة؛ فكانت نظرته تتجه نحو أهمية الكتاب في ذلك العصر، وأما في جانب عرضه للقاضي الجرجاني؛ فإنه أشاد بمنهج الوساطة الذي انتهجه وقدرته على العدل، وبعده عن المجادلات التي نشأت حول الشعراء؛ فخرج من أن يكون محسوبًا على طرف، واتجه بعد ذلك بالتحليل إلى متن الكتاب. ووجدت: عبد الرزاق بلال، قد مرَّ على مقدمة الكتابين في كتابه: مدخل إلى عتبات النص، (أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م،

(١) سيُشير الباحث في كل البحث إلى الناقدين هكذا؛ لغرض الاختصار، وأضيفت صفة القضاء للجرجاني؛ لاشتهاره بهذا الاسم، ولتمييزه عن عبد القاهر الجرجاني وغيره منعًا للبس.

لبنان–المغرب)، دون أن يغوص في التفاصيل التي سيناقشها هذا البحث؛ فتوجهت دراسته إلى أسباب التأليف، وطرائق التبويب، وتعليقات موجزة جدًا على بعض العبارات دون الغوص في عمقها، كما أنَّ كتابيهما كان مرورًا على كتب متعددة ولم يعقدا مقارنة مفصلة بين الكتابين الَّذين يُناقِشُهما هذا البحث.

ويُعنى هذا البحث بالمقدمة النظرية التي بدأها الكاتبان في كتابيهما قبل أن يدلفا إلى القضايا الشعرية وشواهدها؛ فهدف البحث النظر في تشكيل المقدمة عند كل منهما؛ نظرًا إلى أهمية الكشف عما تنبئه المقدمات في نفس المؤلفين حول المؤلَّف ومناقشة القضايا التي يدور حولها، كما يُعنى بالنظر في جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما دون الخوض في التطبيق أو الشواهد التي لحقت المقدمة فكانت بمثابة التمهيد؛ فاقتصرت الدراسة على هذا الجانب من المقدمة عند كليهما(١)؛ فالمقدمة عند الآمدي هي التي بدأها بالبسملة ثم الحمد وانتهت قبل أن يشير صراحة إلى قوله: "وأنا ابتدئ"؛ في إشارة منه إلى البدء بالكتاب، وعند القاضي الجرجاني من بداية الكتاب الذي نص فيه صراحة ووضع عنوانًا وَسَمَه بـ(مقدمة)، وانتهى عنده بالبدء بـ"أغاليط الشعراء" الذي كان نوعًا من التمهيد لكتابه. وانتظم البحث في مقدمة، ثم تمهيد عرَّف الباحث فيه بإيجاز بالمؤلِّفين وأهمية كتابهما، ثم خمسة مطالب؛ دار الأول فيها حول بناء المقدمة عندهما، وبحث الثاني الإيحاءات اللفظية لديهما، وناقش الثالث وضع المعايير النقدية لديهما، وتتبع الرابع الألفاظ النقدية عندهما، وخُتم بالملامح المنفردة عند كل منهما، ثم خاتمة بُيِّنت فيها النتائج، فثبت لمصادر البحث ومراجعه.

(١) بدأ الاهتمام بدراسة المقدمات عند الغرب مع (شارل غريفل) ١٩٨٧م، في كتابه: إنتاج الفائدة الروائية، و(هنري ميتران) ١٩٨٦م، في كتابه: خطاب الرواية، و(جيرار جنيت) ١٩٨٧م، في كتابه: عتبات.

التمهيد

١-التعريف بالآمدي:

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي النحوي الكاتب نشأ في البصرة وتوفي فيها سنة: ٣٧٠هـ، كان لغويًا متمكنًا؛ فقد درس على كل من: الأخفش، والحامض، والزجاج، وابن دريد، وابن السراج، وكان شاعرًا، وناقدًا بارزًا ويظهر ذلك من مؤلفاته وأسمائها؛ فله من المؤلفات: كتاب (المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء)، وكتاب (نثر المنظوم)، وكتاب (في أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما)، وكتاب (ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ)، وكتاب (فرق ما بين الخاصّ والمشترك من معاني الشعر)، وكتاب (تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين)، وكتاب (في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه)، وكتاب (تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب: نقد الشعر)، وكتاب (معاني شعر البحتري)، وكتاب (الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام)، وكتاب (فعلت وأفعلت)، وكتاب (الحروف من الأصول في الأضداد)، وكتاب ديوان شعره في نحو مائة ورقة[١].

وتظهر النزعة النقدية على شخصية الآمدي من خلال مؤلفاته؛ فقد بنى أحكامًا نقدية من خلال عناوينه: (ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ)، و(تفضيل شعر امرىء القيس على الجاهليين)، و(تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب: نقد الشعر)، كما تظهر رغبته التأليفية في كتابة ما يطمئن له من خلال عنوانه: (معاني شعر البحتري)، التي انعكست لاحقًا على كتابه مدار البحث؛ (الموازنة بين أبي تمام والبحتري).

٢-التعريف بالقاضي الجرجاني:

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني،

---

(١) يُنظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** (تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، طبعة ١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) ٨٤٧/٢.

كان شاعرًا أديبًا، وعالمًا شرعيًا، استُدعي من قزوين ليتولى أعلى منصب قضائي في الريّ الذي بقي فيه حتى وفاته، ألَّف كتابين اسماهما: (تفسير القرآن المجيد)، و(تهذيب التاريخ) إضافة إلى كتابه مدار البحث: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، وكان من أبرز طلابه: الإمام عبد القاهر الجرجاني، توفي سنة: ٣٩٢هـ[١].

ويظهر من خلال مؤلَّفَيه سعة اطلاعه الديني والتاريخي؛ لتصطبغ عليه صفة العالم الموسوعي الذي يحيط بفنون متعددة، وانعكس ذلك عليه إيجابًا في التأليف.

٣–أهمية الكتابين:

تكمن أهمية الكتابين بأنهما خرجا في فترة مبكرة وسط معارك نقدية محتدمة آنذاك، وفي فترة كان التأليف النقدي يتجه فيها نحو منحى منهجي بفضل هذين العالِمَين؛ "فلهما أحفل الكتب فيه، وأجمعها لأحكامه ومسائله، وهما اللذان لخصا لنا الآراء التي قيلت بالشعر العربي قديمه ومحدثه، ورويا لنا آراء كثير من الناقدين المنتشرين في الأقطار العربية، وزادا عليها. وكان لهما تضلع وتبحر في علوم العرب، ووقوف على الطرق والمناحي المختلفة في فهم الأدب، وذهن منتظم يجمع بين العلم وبين الذوق الصافي في التحليل والتعليل؛ فبلغ بهما النقد الأدبي في المشرق غاية ما بلغ عمقًا وتشعبًا وانفساحًا"[٢] فبدأ ينضج واتضحت قواعده التي اتكأ عليها، "فكتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج؛ ذلك لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة بوحي من الطبيعة وحدها دون تعليل واضح، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة، وكان تعبيرًا عن المعاناة التي لا تعرف الكلل في استقصاء موضوع الدراسة من جميع أطرافه، ولهذا جاء بحثًا في النقد واضح المنهج،

(١) يُنظر: الحموي، مرجع سابق، ١٧٩٦/٤.

(٢) طه أحمد إبراهيم، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري** (لبنان، دار القلم، د–ت) ص.١٤٦.

ليس فيه إلا اليسير من الاستطرادات الجزئية"[1]، فالكتاب رغم ما قيل عنه إلا أنه لبنة مهمة في النقد، ومهد لما بعده من المؤلفات؛ لتتدارك ما أخذ عليه وتستمر فيما أجاده، ولعل أهم لفظ جاء به هو الموازنة؛ فجعل ما يقوم به من قبيل ما يقوم به الميزان؛ ليُقرِّب أحكامه نحو الدقة والعدل.

وأما كتاب الوساطة فقد أجاد صاحبه في تأليفه، فتعهده بعدم الميل نحو أحد؛ أبان الكتاب صدقه، ولعل اشتغاله بالقضاء أورث عنده هذا الأمر، و"كتاب الوساطة يرمز إلى اكتمال القضايا النقدية؛ ذلك هو الوساطة مثل فذ على نزاهة الحكم، وقد أصبح لاعتداله مصدرًا جامعًا لعيوب المتنبي ومحاسنه؛ ويبدو من حشد المؤلف لأهم الآراء النقدية السابقة أن القضايا النقدية الكبرى قد استدارت واكتملت"[2]، وتكمن أهمية الكتاب بأنه استطاع الإحاطة بما سبقه من مؤلفات نقدية فاستوعبها وحواها وتلافى ما حصل فيها من قصور؛ فأخرج كتابًا يخلو مما عيب على ما سبقه، كما يبدو العقل الراجح في صاحبه؛ فلم يُظهر لغة نقدية حادة فيه.

والجامع بين الكتابين أنهما عُقدا للحكم بين آراء مختلفة من قبل ناقدين يُشار إليهما بالبنان؛ فكان الفصل في القول في كل منهما يستلزم ناقدًا متمكنًا يفحص كل ما قيل حول هذه الآراء ويبني الأحكام بعد ذلك، كما أنهما خرجا في قرن واحد؛ فكان الجمع بين الكتابين يُعطي نتائج تنبئ عن ظروف ذلك القرن، وملابسات الآراء النقدية فيه.

المطلب الأول: بناء المقدمة

تنوعت أسماء المقدمة عند الأوائل وطرق بنائها؛ فمنهم من يبدؤها بالبسملة

(١) إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** (لبنان، دار الثقافة، طبعة ٤، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، ص.٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٣٣٥.

كما فعل الآمدي، ومنهم من وسمها صراحة بالمقدمة كما فعل القاضي الجرجاني بعد أن بدأ بالبسملة، ومنهم من يطلق عليها خطبة، أو رسالة، أو صدر وغير ذلك من الإطلاقات التي تعني التقديم قبل البدء.

وقد بدأ الآمدي مقدمته بالبسملة متأثرًا بالمنهج النبوي الذي يبدأ المكاتبات بالبسملة كما في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل[١]، ثم الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله، ثم ذكر كنيته واسمه الكامل؛ ليضع للكلام الذي سيأتي بعد ذكر هذا الاسم وزنه؛ فنسبة الكلام إلى قائل مختص في مجاله يضعه في سياق معرفي يبتعد فيه عن آراء غير المختصين، ويكسبه خصوصية علمية تميزه عن غيره، ثم أردف ذلك باستخدام اسم الإشارة "هذا ما حثثت..."[٢]؛ ليطرح تساؤلًا مفاده: هل كتب المقدمة قبل تأليفه؟ أم بعده؟ ويُمكن الإجابة على هذا التساؤل بالنظر إلى توظيف الفعلين الماضيين في قوله: "رسمت ... وجدت"[٣] التي كتبها بمثابة القرينة حول هذا الأمر؛ ليكون هذا التقديم بعد اكتمال العمل أمامه، وأحسن الآمدي بذكر اسمي الشاعرين بالبدء بكنيتيهما ثم اسميهما الثلاثي؛ لئلا يُفضّل أحدهما بتفصيل على الآخر في نسبه، لكنه عاد في نص لاحق إلى إشارات بُنيت من أحكام لم ينسبها إلى أحد بعينه توحي بتفضيل أحد الطرفين، بقوله: "ووجدت –أطال الله عمرك– أكثر

(١) يُنظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري** (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، لبنان، دار طوق النجاة، طبعة ١، ١٤٢٢هـ)، ٤٧/٤، ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم** (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د–ت)، ١٣٩٦/٣.

(٢) أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري** (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ص.١٩.

(٣) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.

من شاهدته ورأيته من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون"[١]، بينما هو في موضع وضع نفسه حكمًا بين اثنين؛ فكان الأجدر نسبة الأقوال إلى أصحابها وعدم التعريض بما ذكر؛ فهذا يُشعر المتلقي أنّ الأمر مقطوع، والحكم كان بإجماع الرواة آنذاك؛ فبناء حكم قبل البدء بالموازنة يمكن أن يسحب فيه نفس المتلقي نحو تفضيل البحتري مبكرًا ناسبًا هذا الحكم إلى زعم من لم يُسَمِّهم.

ويؤخذ على الآمدي أنه كان يتحدث بسلطة الناقد رغم اتضاح ميله للبحتري على حساب أبي تمام دون أن يحسب للمتلقي رأيه، ولعل السبب يعود لاختصاصه النقدي الذي عُرف عنه آنذاك في زمن لم يكثر فيه أمثاله[٢].

والملاحظُ أيضًا في منهج الآمدي في الكتابة كثرة مخاطبته للقارئ؛ مما يجعل القارئ منشدًّا معه، ويتحدث عن نفسه بصيغة الإفراد، دون جمع؛ فأنبأ هذا عن روح متواضعة عنده، وهذا منهج ينبغي للكاتب أن يتحلى به، فلا يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع؛ فهذا التأليف مرحلة مهمة في النقد، وكتاب سابق في عصره، وقد قدم خدمة جليلة للأدب والنقد، ووضع أسسًا للموازنة ينبغي السير عليها لمن أراد أن يوازن شرط أن يلتزم بها، وألا يحيد عنها لهوى في نفسه، وإن اتضح له الحق لزمه أن يتجرد له.

وبرز الآمدي في أسلوبه الذي ظهر عليه السلامة اللغوية، وخلا من التكلف، ومال إلى الكتابة العلمية التي تخلو من المحسنات البديعية اللفظية، ولم يُظهر هذا الفن في مقدمته رغم أنه أديب متمكن، عدا لفظين؛ كان الأول للدعاء للقارئ، بقوله: "أدام الله لك العز والتأييد، والتوفيق والتسديد"[٣]، والآخر في وصف شعر البحتري وتميزه بـ"قرب المآتي، وانكشاف المعاني"[٤]، وهذا يحسب له؛

(١) المصدر نفسه، ص.١٩.
(٢) يُنظر: عباس، مرجع سابق، ص.٢٥.
(٣) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.
(٤) المصدر نفسه، ص.١٩.

لئلا يصرف المتلقي عن جوهر قوله بتأمل تلك المحسنات؛ فكان أسلوبه سهلًا دون تكلف، ويسيرًا دون تعسر.

وأما عند النظر فيما ورد في الوساطة؛ فقد افتتح القاضي الجرجاني مقدمته بالبسملة، ثم بدأ بذكر مسببين بُنيا على بعضهما يؤديان إلى نتيجة غير محمودة هي: الحسد؛ فقال: "التفاضل –أطال الله بقاءك– داعيةُ التنافس؛ والتنافسُ سبب التحاسد"(١)، ويُلحظ أن الدعاء للمتلقي لم يغب عن بدء كلامه؛ فأعطى هذا تصورًا عن شخصية القاضي الجرجاني المتلطفة مع المخاطب، وفي هذه الافتتاحية إنباء عن سبب ما بُني عليه الكتاب الذي خلُص إلى أنه تجاوز مرحلتين، ووصل إلى نقطة التحاسد مما أجبره على التدخل لوضع كتابه، ووضع صورة فنية تمثيلية بين فقرتين، وأتبع ذلك بحسن التقسيم حينما قسم أهل النقص وأتى على هذين القسمين من كل أطرافهما؛ فالطرف الأول قصُر من تلقاء نفسه، والآخر لم تبلغ به قدراته إلى علٍ؛ فأدى ذلك إلى نشوء الحسد عنده، بقوله: "وأهل النقص رجلان: رجل أتاه التقصيرُ من قبَله، وقعَد به عن الكمال اختيارُه، فهو يساهم الفضلاءَ بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجًا بخِلقَته، ومؤثّلًا في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصُرتْ به الهمة عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستْر ما كشفه العجز عن عورته اجتذابهم إلى مشاركته، ووسمهم بمثل سِمَتِه"(٢)؛ فالعبارات السابقة ملأها بلاغة وحكمة، ووظف فيها عددًا من الفنون البلاغية بغية إيراد رسالته؛ فاستخدم حسن التقسيم كما تقدم، وبرز استخدامه للسجع الذي جاء عفوًا لم يظهر فيه التكلف؛ فلم تتوافق عنده الفاصلة إلا في المواضع التي ناسبها

(١) أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، **الوساطة بين المتنبي وخصومه** (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د–ت)، ص.١.

(٢) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.١.

ذلك، ولم يُكثر منه فيكون ممجوجًا وذلك في كل من: "طبعه-سهمه، خلقته-فطرته، زواله-انتقاله، الأفاضل-الأماثل، نقيصته-مشاركته-سمته"(١)، وكان استخدامه للسجع في كل مقدمته التي تلت ما سبق حسب السياق؛ فلم يتكلفه، والسجع "إذا كان محمولًا على الطبع غير متكلَّف فإنه يجيء في غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام، وإذا تهيَّأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة؛ فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم؛ يستعبد كرائمها، ويستولد عقائمها، وفي مثل ذلك فليتنافس، وعن مقامه فليقاعس"(٢). وباستخدامه هذا فإنه يدرك أن المتلقي "لا غنى له عن الجمال؛ فالجمال يرفد العملية الإقناعية، وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية"(٣)؛ فظهر في بنائه الأسلوب الحكيم الذي وظف فيه أسباب التأليف، ولم يكن توظيفه للبلاغة في مقدمته بدعًا من الآخرين؛ "فقد عني بعض المؤلفين أن يضع لكتابه مقدمة يتأنق فيها، ويسير على نسق الرسائل الفنية؛ فيسجع، ويجانس، ويطابق... وكانوا يرون من الواجب أن يكون للمقدمة جمالها الأدبي، وأن تكون لغتها غير اللغة العلمية الخالصة في بقية أجزاء الكتاب؛ يريدون بذلك أن يؤثروا في نفوس القراء، وأن يشوقوهم إلى قراءة كتبهم"(٤)؛ وهذا ما كان بارزًا عند القاضي الجرجاني.

ويُلحظ أنَّ المقدمة في المؤلَّفين كانت متوازنة فلم تكن مطولة، وجاءت موجزة، وكانت متناسبة مع حجم الكتابين؛ فالمقدمات لا يُستحسن الإطالة فيها بل إنَّها تُعدُّ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نصر الله بن محمد، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ)، ١/١٩٨.

(٣) سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم -من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة- بنيته وأساليبه** (الأردن، عالم الكتب الحديث، طبعة ١، ٢٠٠٨م)، ص.١٢٠.

(٤) أحمد أحمد بدوي، **أسس النقد الأدبي عند العرب** (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م)، ص.٥٩٢.

مأخذًا على المؤلف إن طالت؛ فابن الأثير أخذ على ابن الدهان إطالته في مقدمته واصفًا إياه بأنه "أطال المقدمة، واختصر الكتاب الذي وضعت المقدمة من أجله؛ فكان كمن بنى دارًا فجعل دهليزها ذراعًا وعرضها شبرًا، وكمن صلى الفريضة ركعة واحدة وصلى النافلة عشرًا"(١).

ولم يخرج المؤلِّفان عن الغرض الذي ساقا كتابيهما من أجله في مقدمتهما، وهذا مما يُحمد لهما؛ فكان من يقرأ مقدمتيهما يشعر بالتهيؤ نحو غرض الكتاب دون أن يلحظ بونًا بين المقدمة والمتن.

المطلب الثاني: الإيحاءات اللفظية

تلطف الآمدي مع المتلقي كثيرًا في كتابته؛ فأكثر من الدعاء له منوعًا بأدعيته، وهذا أسلوب يجذب المتلقي نحو الكاتب ويحس بقربه منه حينما يتمنى له الخير؛ فيأخذ رسالة المُرسل بالقبول وينتقل إلى صفِّه دون شعوره وتسهل بذلك عملية نقل الرسالة نحو المتلقي.

وكان لاختيار أدعية الآمدي دلالات تُحدث تأثيرات نفسية إيجابية داخل المتلقي، وتُظهر علاقة بما سيأتي بعدها؛ فدعاؤه بـ"أدام الله لك العز والتأييد، والتوفيق والتسديد"(٢) أردفه بذكر الشاعرين الكبيرين وقد حصل لهما العز والتأييد، وناسب التوفيق والتسديد ما ذكره الآمدي، بقوله: "وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة، وأحسن في اعتماد الحق وتجنب الهوى والمعونة منه برحمته"(٣)؛ فأوجد رابطًا معنويًا بين الدعاء وما لحقه من كلام. وجاء دعاؤه الثاني في

(١) نصر الله بن محمد، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، **الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية** (تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م)، ص.٢.

(٢) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.

(٣) المصدر نفسه.

مقدمته بقوله: "أطال الله عمرك"[1] متبوعًا بدلالة مفادها أنه أكثر من المشاهدات والترحال للبحث والسماع من الرواة؛ فيُشعر المتلقي بأسلوبه هذا أنه قد بلغ سنًا جاوز به المتلقي الذي يُستحسن منه أخذ ما جاء به بالرضا والتسليم؛ نظرًا إلى تجاربه، وكان في الدعاء الأخير بمقدمته: "أدام الله سلامتك"؛ محاولة لنقل المتلقي إلى جانب السلامة الشعرية التي يُفضِّلها وإبعاده عن دونها، لكنه اضطرب في الترتيب الذي رسمه لنفسه مبكرًا حينما قدم أبا تمام وهو التقديم المنطقي زمنيًا، فعاد بعد هذا الدعاء فقدم البحتري؛ ليتبادر لذهن المتلقي أن البحتري الأقرب إلى جانب السلامة الشعرية، فقال: "فإن كنت -أدام الله سلامتك- ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق؛ فالبحتري أشعر عندك ضرورةً. وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة"؛ فالتقديم والتأخير لمكان الشاعرين بذكرهما لا مسوغ له إلا إلصاق البحتري بلفظ الدعاء ليتبادر اسمه أولًا إلى عقل المتلقي؛ فيؤثر في حكمه التفضيلي، ودرج الآمدي على هذا النحو بالتقديم والتأخير بذكر البحتري أولًا ثلاث مرات في مقدمته؛ فكان البحتري الأقرب لذهن المتلقي بعرض محاسنه أولًا دون أن يُبيّن الآمدي سبب هذا الاضطراب في الترتيب الذي ربما كان مقصودًا وضمنيًا في إيحاءاته دون تصريح منه لمراده.

وأما القاضي الجرجاني فكان يؤكد في مقدمته على جانب وجوب العدل والبعد عن الحسد وعدم الإنصاف إيحاءً منه لعلة وضع الكتاب الذي كان بسبب ما وجد من التجني على أبي الطيب المتنبي من خصومه مع تأكيده على عدم الغلو في مدحه؛ فشدد على وجوب الإنصاف في الحكم ولعل هذا نابع من وظيفته القضائية التي تحتم عليه اتباع الحياد.

وقد بدأ مقدمته بلفظة (التفاضل) الموحية بالجوِّ الذي ساد آنذاك وانتهى بـ(التحاسد)؛ فهو جو مشحون يُكتفى فيه بالتلميح دون التصريح، فقال: "وأهل

(١) المصدر نفسه.

النقص رجلان: رجل أتاه التقصيرُ من قبَله، وقعَد به عن الكمال اختيارُه، فهو يساهم الفضلاءَ بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمهِ؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجًا بخِلقَته، ومؤثّلًا في تركيب فطرته، فاستشْعر اليأس من زواله، وقصُرتْ به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ الى حسَد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغَ الأمور في جبر نقيصته، وستْر ما كشفه العجزُ عن عورته اجتذابُهم الى مُشاركته، ووسمُهم بمثل سِمَتِه"(١)؛ فذكره لهذين الصنفين يوحي بوجودهما حقيقة، لكنه لم يشأ أن يشير إلى أحد بعينه، ولعل هذا الفعل يُبيّن أن قصده المعالجة لتلك الأمور دون الخوض في المعارك الجانبية؛ فهدفه البناء لا الهدم، وهو بهذا يجمع آخرين انطبقت عليهم ذات الصفات دون أن يبلغه شأنهم؛ فكانت الإيحاءات عامة وصالحة لكل زمان ومكان قبل تأليف الكتاب وبعده.

والإيحاءات السابقة كانت ممرًا للعبور إلى أنَّ التجاوزات لا تُقبل في ميدان العلم، ولئن لم ينبر أحد في التصدي لما كان يحصل؛ فإنَّ مهمته التي أخذها على عاتقه هي الدفاع عن أهل العلم والأدب، فأورد في مقدمته: "ولم تزَل العلومُ –أيّدك الله– لأهلها أنسابًا تتناصرُ بها، والآدابُ لأبنائها أرحامًا تتواصل عليها، وأدنى الشِّرك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له، والمحاماةُ دونه، وما مَنْ حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممن رَعى حريمه أن يهتك ولا حرمة أولى بالعناية، وأحقُّ بالحماية، وأجدر أن يبذل الكريمُ دونها عِرضَه، ويمتهن في إعزازها مالَه ونفسَه من حُرمة العلم الذي هو روْنَق وجْهه، ووقاية قدْره، ومَنار اسمه، ومَطيّة ذِكره"(٢)؛ فالإيحاءات السابقة تُشير إلى أنَّ التجاوزات في حق المتنبي بلغت حدًّا مُسرفًا في الإساءة إليه والحط من قدره جعلت القاضي الجرجاني يضع العلم في مرتبة متقدمة للعناية والحماية بعد المال والنفس؛ لأنه رأى أنَّ هذه الإساءات إن لم يُذبَّ عنها؛ فإنها تلحق صاحبها أبد الدهر؛ فلذلك تصدى لهذا الأمر بنفسه ووضع نفسه موضع المحامي قبل أن يستشري

(١) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.١.

(٢) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.٢.

هذا الداء دون وضع حد له.

ورفع القاضي الجرجاني من نغمته في حديثه الذي يوحي بغضبه مما كان يحصل آنذاك؛ فقال: "وبحَسَب عِظَم مزيته وعلو مرتبته يعظم حق التشارك فيه، وكما تجب حياطتُه، تجب حياطة المتصل به وبسببه، وما عقوق الوالد البر، وقطيعةُ الأخ المشفِق، بأشنعَ ذِكرًا، ولا أقبح وسْمًا من عقوق من ناسبَك إلى أكرم آبائك، وشاركك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك، ومتَّ إليك بما هو حظك من الشرف، وذريعتُك الى الفخر"(١)؛ فرفع من شأن العلم والأدب وجعله بمثابة الأب والأخ؛ ليوحي أنَّ ما حصل من تجاوز ليس بالأمر الهيّن الذي يمكن قبوله، أو غض الطرف عنه، ولئن كان كل ما ذكر في هذا الإكبار عنده فإنه لا يجعله ينسى حق العلم والأدب عليه من الإنصاف، بقوله: "كما ليس من شرْط صِلَة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميلَ في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حُكم مراعاة الأدب أن تعدِل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرَّف على حكم العدل كيف صرَفك، وتقف على رسْمه كيف وقفَك، فتنتَصِف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهدًا لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة -إذا قامت- محتجًا عنك إذا خالَفْت"(٢)، معللًا بأنَّ الحيف ينقلب على صاحبه، ويؤدي إلى عواقب وخيمة؛ لأنه "لا حال أشدّ استعطافًا للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالةً للنفوس المشمئزة، من توقُّفك عند الشُبهة إذا عرَضت، واسترسالِك للحجة إذا قهرت، والحكمِ على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبيه خصمك على مكامن حيَلك إذا ذهب عنها"(٣)؛ فالموضوعية تُحتِّم على القاضي الجرجاني أن يورد هذا القول؛ لأنه بصدد دفع قول الحساد عن المتنبي، لكنَّ في هذا الدفع خيط دقيق يُخشى على من لم يقف فيه موقف المتَّزن أن ينزل إلى ما عاب به الآخرين نحو الجانب الآخر من الخصوم.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.٢.

(٣) المصدر نفسه، ص.٣.

وما يعلي من شأن الناقد ويجعل لصوته صدى عن غير أن يُعرف بالموضوعية التي يوحي القاضي من طرف خفي أنه يرنو أن يصل إليها، وهو بإيراد ما يتعلق بها يجعل من المتلقي ينجذب نحو الكاتب الذي يُلقي مثل هذا القول؛ فأورد نتائج من التزم بما ذكر آنفًا، بقوله: "ومتى عُرِفْت بذلك صار قولُك برهانًا مسلَّمًا، ورأيك دليلًا قاطعًا، واتهم خصمُك ما علمه وتيقنه، وشكَّ فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإن عدلتهم المحبة، وجَبُن عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميزة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسُن فلم تعرض لك إلا في الفَرْط والنُدرة"(١)؛ فهذه النتيجة تُصَيِّر الخصم حائرًا مرتابًا فيما عنده، وتعلي من شأن من أخذها بالاعتبار، وترتقي بعلمه وقوله.

المطلب الثالث: وضع المعايير

إن أبرز ما يميّز المقدمات بشكل عام طرح مشكلة البحث وهدفه، ورسم منهج البحث؛ ليكون معيار الباحث فيما يكتب واضحًا، وقد بدا ذلك جليًا عند الآمدي؛ فالمشكلة التي من أجلها كتب الموازنة هي جدلية المفاضلة بين شعري أبي تمام والبحتري الذي حصل حولهما نزاع بين أنصار كل طرف حول أيهما أشعر بعد أن وجد هذا النزاع بنفسه كما ذكر(٢)، وأورد أن هدفه الموازنة بينهما بعد أن رسم منهجًا لذلك بيَّنه، بقوله: "ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم أحكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علمًا بالجيد والرديء"(٣)، لكن الآمدي في كلامه السابق جعل مكان الحكم للمتلقي بعد حكمه وبذلك سيكون لحكمه أبلغ التأثير على المتلقي من طرف خفي؛ لكي يحكم

(١) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.٣.
(٢) يُنظر: الآمدي، مصدر سابق، ص.١.
(٣) المصدر نفسه، ص.٢٠.

المتلقي لمن يريد، وكان الأولى ألا يبين ما يعتقد أنه محاسن، أو مساوئ في البداية؛ ليجعل عقل المتلقي خاليًا من أي حكم مسبق، واشترط على من يريد الحكم أن يكون مختصًا عالمًا بجيد الشعر ورديئه.

ووقع الآمدي في اضطراب مع ما أورده حول اختلاف الشاعرين في طريقتهما الشعرية؛ فكيف يوازن بين منهجين مختلفين، ويجري عليهما ميزانًا واحدًا؟ فالبحتري كما ذكر "أعرابي الشعر، مطبوعٌ، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف"(١)، وأبو تمام "شديد التكلف، صاحب صنعة، ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل"(٢)؛ فكان الأولى اختيار شاعرين لهما ذات المذهب الشعري للموازنة بينهما؛ ليُعرف أيهما أشعر، أما في اختيار شاعرين متنافرين في مذهبهما الشعري؛ فإن الحكم سيكون مغايرًا بين النقاد؛ لأن لكل ناقد ما يستهويه من المذاهب الشعرية، وسيرى بذلك أن الشاعر الذي يميل إلى مذهبه فاق قرينه، كما يختلف جسم القصيدة الذي بُني أصلًا عند كل شاعر، وطريقة ذلك البناء.

وأما القاضي الجرجاني فقد بيَّن معياره الذي سيقوم بانتهاجه ضمنيًا بعد أن أبان بأسلوب متواضع أنه لا يكتب ما سيكتبه إلا بصفته صاحب تخصص في هذا المجال؛ فذكر أنه من أهل الاختصاص، بقوله: "وما زلتُ أرى أهل الأدب منذ ألحقتني الرغبةُ بجملتهم، ووصلَت العنايةُ بيني وبينهم"(٣)، وهي إلماحة تُشعر المتلقي أن المرسل ذو باع في هذا المجال؛ فيشعر من حيث لا يعلم بقبول ما سيأتي به مثل الذي يتحدث بمعلومة طبية على ملأ لا يعرفونه، ثم يتبع حديثه بقوله: ولما خرجت من عيادتي؛ فهذا الأسلوب ينقل المتلقي إلى التسليم أكثر من ذي قبل بما سيقول المرسل.

وكان المعيار الضمني الذي أشار إليه في حديثه اختلاف الناس على المتنبي بين

(١) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.٣.

إفراط وتفريط بعد أن قسمهم إلى فريقين بدأهما بمن غلا فيه؛ ليُشعر المتلقي أنه كتب ما كتب لغرض الوساطة لا للرد على من تهجموا على المتنبي؛ فأحسن البدء بالأنصار، فقال واصفًا هذا الفريق بأنه: "مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزِّراية والتقصير، ويتناول من ينقصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثَر على بيت مختلّ النظام، أو نبه على لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر"(١)؛ فهذا الفريق جاوز الحد في مدحه والثناء عليه بحسبه، ولم يكتف بذلك بل توجه إلى كل من انتقد المتنبي وراح يُشنِّع عليه ويحتقره ويصفه بالجهل حتى إن تبيَّن له خطأ ممدوحه؛ فهذا تعصب مذموم، ثم ذكر الطرف الآخر الذي غالى في الإساءة إليه، بقوله: "وعائبٍ يروم إزالتَه عن رُتبته، فلم يسلِّم له فضله، ويحاول حطَّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِه، وإذاعة غَفلاته"(٢)؛ فيوضح أنَّ من عابه لم يبدأ بذلك إلا بعد نجاحه ووصوله إلى مرتبة عالية في الأدب وبذلك يشير إلى سرعة بروز المتنبي؛ فلم يشر إلى أن أعداءه عادوه في بداياته ربما لأنهم لم يستشرفوا بروزه؛ فإسقاط من توافق الناس على بروزه أصعب من إسقاط من كان في بداياته؛ لصعوبة تغيير القناعات لاحقًا.

ولم يحاول القاضي الجرجاني إظهار المتنبي بأنه لا ينقصه أي شيء؛ بل أوضح أنَّ له سقطات وغفلات لكن من تتبعوها أغفلوا فضائله وهذا إجحاف وجور، ثم ذكر أنَّه ليس مع الطرفين، بقوله: "وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه"(٣)؛ فهو بذلك يؤسس لفريق جديد يقوده بنفسه مهمته التوسط بين الفريقين الذي اشتق من هذا الفعل اسم الكتاب؛ فكان البدء بهذه المقدمة إيذانًا منه بتأسيس مرحلة جديدة

(١) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

في هذا الصراع، وبغية وضع ميزان العدل لهذه الخصومة.

المطلب الرابع: إيراد الألفاظ النقدية

كثرت الألفاظ التي أوردها الآمدي في مقدمته التي يمكن أن تكون أحكامًا نقدية؛ لتندرج هذه الألفاظ عند النقاد بعده، فالألفاظ التي أوردها ووصف بها أبا تمام ونسبها إلى رواة لم يسمِّهم كانت: "لا يتعلق بجيده جيد أمثاله-ورديه مطروح مرذول-كان مختلفًا لا يتشابه"(١)؛ فكانت ثلاثة، وكانت تتفاوت بين المدح والذم، بينما جاءت الألفاظ التي كانت من نصيب البحتري، هي: "صحيح السبك-حسن الديباجة-ليس فيه سفساف، ولا رديء، ولا مطروح-صار مستويًا يشبه بعضه بعضًا"(٢)؛ فيُلحظ مما سبق التفاوت الكمي الذي وصل إلى الضعف حينما أطلق على البحتري ستة أحكام مقابل ثلاثة لأبي تمام، والتفاوت المعنوي حينما تفاوتت أحكامه على أبي تمام مقابل أحكام ثابتة للبحتري كانت كلها تدخل في المدح له.

وأكمل مقدمته موردًا عددًا من الأحكام النقدية للبحتري قبل أبي تمام التي نسبها إلى: الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعين وأهل البلاغة، دون أن يسمهم، فقال عن البحتري أن قصائده تتميز بـ"حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني"(٣)، فيما نسب إلى أبي تمام قول "أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام"(٤) من أن لديه "غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورد مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج"(٥) فأجمل من ذكر هذه الأحكام وفصلها، وأعلى منزلة الطوائف التي امتدحت البحتري؛ فكان الإجمال للبحتري؛ ليوحي أن من ذكر هذه الأحكام

(١) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

هم الكثرة بينما القلة والتحديد كانتا من نصيب أبي تمام.

والنقول التي لم ينسبها إلى أحد بعينه هي تعميمات يصعب التأكد من نسبتها حقيقة إلى من نسبها إليهم فربما كانت من عنده أصلًا؛ فالطرفان الذي ذكر أنه استقى منهما هذه الأحكام لم يكونا من ذات النوع؛ ففي نقله عن صاحب أبي تمام، أو صاحب البحتري، دون تحديد هذا الصاحب بعينه؛ انتهاج لمنهج السلامة؛ لئلا يؤخذ عليه ما يريد قوله، أو إضافته.

ويُصرّح الآمدي بمقدمته برأيه دون مواربة؛ فحينما أورد عبارته: "وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة، وذهب إلى المساواة بينهما" رأى أن يعارض الأكثر؛ فتوقف هنا ورد على ما أورد ولم يسلِّم بهذا الحكم، وأطلق حكمه الذي يراه على الشاعرين، بقوله: "وإنهما لمختلفان"(١)؛ فعلل لحكمه عن البحتري بإيراده عددًا من العبارات النقدية، بقوله: "لأن البحتري أعرابي الشعر، مطبوعٌ، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام؛ فهو بأن يقاس بأشجع السلمي ومنصور وأبي يعقوب المكفوف، وأمثالهم من المطبوعين أولى"(٢)؛ فكل عباراته السابقة لم يكن فيها أي عبارة توحي بالانتقاص من شعره، أو بانخفاض منزلته، وعدَّد شعراء جعلهم في منزلته وشعراء لم يُسمِّهم؛ ليُسوّغ حكمه النقدي بإضافته للمطبوعين من الشعراء.

وحينما كان الحديث عن أبي تمام علَّل لحكمه باختلافه عن البحتري، بقوله: "لأن أبا تمام شديد التكلف، صاحب صنعةٍ، ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم؛ لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة، فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه أحق وأشبه، وعلى أني لا أجد من أقرنه به؛ لأنه ينحط عن درجة (مسلم)؛ لسلامة شعر (مسلم) وحسن سبكه، وصحة معانيه، ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا

(١) الآمدي، مصدر سابق، ص.١٩.
(٢) المصدر نفسه.

الأسلوب؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واستعاراته"[١]؛ فحكمه السابق عن أبي تمام الذي ملأه بالإسقاطات[٢] حينما عده بأربع خصال تقلل من قيمته الفنية، وحينما عقد المقارنة بينه وبين الشعراء الآخرين لم يذكر سوى مسلم بن الوليد خلافًا لما فعل مع البحتري، وحتى هذه المقارنة عدل عنها، وفضَّل مسلم الذي جاء به مساويًا لأبي تمام أصلًا، ثم أورد لفظًا يحطُّ من قدر أبي تمام -ينحط-؛ ليوحي أن أبا تمام سيء حتى في طبقته، وهذا ما لم يفعله مع البحتري وكل ذلك "ليس غرضًا ذاتيًا مقصودًا لذاته، وإنما هو وسيلة لغاية أخرى يرتجى الوصول إليها، تلك هي بث مبادئ معينة، أو تقرير آراء خاصة في نفوس القارئين أو السامعين، أو توجيه أذهانهم توجيهًا مقصودًا"[3] توحي أن أبا تمام يقل في المنزلة عن البحتري، ثم خفف من حدة هذا النقد بتفضيله على من لم يُسمِّهم حينما كان المقام مقام ذكر أسماء شعراء مماثلين.

وأما القاضي الجرجاني؛ فقد أدرج ألفاظًا نقدية في مقدمته رفقة ألفاظ تتعلق بجوانب موضوعية ترافق عملية النقد؛ فضم المعجم اللفظي للقاضي الجرجاني ألفاظًا دارت مدلولاتها حول ما بنى مقدمته عليها؛ فكثرت مصطلحاته التي تشير إلى حدة الصراعات الحاصلة آنذاك وما يلحق بها من أفعال غير محمودة؛ فجاءت لديه عبارات ومفردات من قبيل: "التنافس-التحاسد-النقص-التقصير-الكمال-اليأس-الهمة-حسد الأفاضل-انتقاص الأماثل-نقيصته-العجز-عورته-فضيلة-المحاسد-منقبة-تزعجها المنافسة-ألسن الحساد-الامتعاض-المحاماة-يسفك-يهتك-حرمه-الحماية-عرضه-تحيف-الحق-تميل-الإنصاف-الإسراف-العدل-تنتصف-الدعوى-

(١) المصدر نفسه، ص.٢٠.

(٢) يُقصد بالإسقاط هنا: بث الأفكار بين السطور بغية تحقيق أهداف لا يُمكن التصريح بها، يُنظر: جان لابلانش وجان برتراند بونتاليس، **معجم مصطلحات التحليل النفسي** (ترجمة: مصطفى حجازي، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٥م)، ص.٧١.

(3) حامد عبد القادر، **دراسات في علم النفس الأدبي** (القاهرة، المطبعة النموذجية، ١٩٤٩م)، ص.١٩٠.

خصمك–حججه–التعظيم–التفخيم–الزراية–التقصير–الاستحقار–التجهيل–حطَّه–المعتذر–المنتصر–عائب–فضائله–مَعايبه–سقطاتِه–غَفلاته–ظالم–المقصِّر–المفرِط"[1]؛ فالمعجم السابق الذي حوته مقدمته يُنبئ عن معارك أدبية طاحنة ناسب اختيار هذه الألفاظ لوصف كُنهها. وكانت الألفاظ السابقة تنبيهًا منه إلى أن هذه المهمة التي يعزم القيام بها تشوبها المخاطر من فريقين تجاوزا الحد في الحكم على المتنبي فاختار اللفظ الأنسب لما سيقوم به وهو الوساطة.

المطلب الخامس: الملامح المنفردة

ظهر التمثيل عند الآمدي في مقدمته؛ خدمة لأغراضه الإقناعية التي يرجوها، والتمثيل "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك؛ حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائمًا، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة"[2]، ووظف الآمدي التمثيل "الذي تتجلى فيه الطبيعة الاستدلالية؛ إذا يستدل به على غير المسلَّم به أو غير المعلوم، فإن ذهن المتلقي ينتقل معه تدريجيًا من حكم ألفه وأدركه إلى إدراك واقتناع بما لم يألف أو يعرف؛ فتزداد تبعًا لذلك درجة الإذعان والتسليم، وكلما كان التشابه بين عناصر البنيتين في المسار الحجاجي قويًا؛ تزداد وفقًا لها قناعة المتلقي"[3]، وبرز التمثيل عند الآمدي في مقدمته حينما أورد عددًا من الشعراء؛ ليقرب شعرهم إلى طبقات أبي تمام والبحتري، فشبَّه أبا تمام بمسلم بن الوليد وآخرين أعرض عن تسميتهم للإيحاء بأن هؤلاء لا يستحسن ذكرهم؛ لانخفاضهم في الشعر[4].

وحينما ذكر البحتري أورد عددًا من الشعراء يوصفون بالإجادة بالشعر فذكر

(١) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.١.

(٢) عبد السلام عشير، **عندما نتواصل نغيِّر– مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج** (المغرب، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م)، ص.٩٧.

(٣) أميمة صبحي، **حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي** (الأردن، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة ١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص.١٧٨.

(٤) يُنظر المطلب الرابع لمعرفة الأسباب.

أشجع السلمي ومنصور النمري وأبا يعقوب المكفوف الخريمي.

وأما القاضي الجرجاني فلم يُمثِّل شعر المتنبي أو أحد خصومه بشعراء آخرين في مقدمته، فكان حديثه منصبًّا على فضل العلم وشرفه، وعن الحسد وما يتعلق به، لكن القاضي الجرجاني وظف الاستشهاد في مقدمته حينما أورد بيتًا لأبي تمام:

"وإذا أرادَ اللهُ نشْرَ فضيلةٍ طُوِيَت أتاحَ لها لِسانَ حسودِ"(١)

ولم يكتف بإيراده بل وظف جانب النقد مع هذا الإيراد حينما علق على البيت، بقوله: "صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تسترها المحاسد لم تبرحْ في الصدور كامنة، ومنقبةٍ لو لم تُزْعِجْها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحُسَّد تجلوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهَرُها وهي تحاول أن تستُرَها؛ حتى عثَر بها مَن يعرف حقها، واهتدى إليها مَنْ هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسن معرِض، واكتست من فضله أزينَ ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من برّ والدها فنوّهت بذكره، وقدَرت على قضاء حقِّ صاحبها فرفعت من قَدْره"(٢)؛ فالتعليق السابق وظف فيه عددًا من الأساليب البلاغية من تنبيه، واستفهام، واستعارة، وسجع؛ فأنبأ كل هذا عن روح ناقد بليغ يُحسن الاستشهاد في السياق الذي هو بصدده. ويرفع من وتيرة استشهاده حينما يستشهد بالقرآن الكريم؛ فأورد قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦)؛ فالاستناد "إلى أقوال تشكل سلطة مرجعية معترفًا بها، قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه، وهذه الأقوال هي الشواهد،

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي** (تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، طبعة ٥، د–ت)، ص.٣٩٧.

(٢) القاضي الجرجاني، مصدر سابق، ص.١.

وترتبط تحديدًا في التراث العربي الإسلامي بالآيات القرآنية والحديث النبوي"[١]، فهي في معرض إيرادها "حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها، وتواترها"[٢]، وكان لتكوين القاضي الجرجاني الإسلامي أثر في اعتماده على هذه الاستشهادات.

(١) عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة** (لبنان، بيروت، منشورات ضفاف، طبعة ١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م) ص.٢٣٣.

(٢) محمد العمري، **في بلاغة الخطاب الإقناعي– مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية– الخطابة في القرن الأول نموذجًا** (المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة والنشر والتوزيع، طبعة ١، ١٩٨٦م)، ص.٦٥.

الخاتمة

عرضت الدراسة إلى أوجه مختلفة تتعلق بمقدمتي الآمدي والقاضي والجرجاني؛ فناقش المطلب الأول بناء المقدمة الذي كان ينبئ عن قدرة تأليفية نقدية لديهما، وكانت موجزة في هيكلها، ولم تخرج عن غرضيهما التأليفي، وناقش المطلب الثاني الإيحاءات اللفظية التي كانت في مقدمتيهما التي برز فيها الدعاء للقارئ وخُلِص إلى أنَّ الآمدي لم يوظِّف الأسلوب الأدبي في مقدمته في حين أنَّ القاضي الجرجاني تميز بأسلوبه الأدبي الرفيع في مقدمته، وبحث المطلب الثالث كيفية وضعهما للمعايير النقدية التي اتكآ عليها في مقدمتيهما، وتتبع المطلب الرابع الألفاظ النقدية التي وجدت عندهما في مقدمتيهما وخُتِم البحث بالملامح المنفردة التي وجدت عند كل واحد منهما وتميَّز فيها عن الآخر.

وأسفر النظر في تشكيل المقدمة بين الآمدي والقاضي الجرجاني إلى استنتاج عدد من النتائج يمكن إيجازها بما يلي:

- أنَّ طريقة بناء المقدمة عندهما لم تبتعد عن المفهوم المعاصر للمقدمة وما ينبغي ذكره فيها؛ فناقشت ما ستكون عليه الدراسة ومنهجها.
- أنَّ المقدمتين عكستا ما كتباه؛ فالآمدي مال إلى البحتري في مقدمته ودرج على ذلك في كتابه، والقاضي الجرجاني تحدث عن التنافس والحسد وكان كتابه يفْصِل فيما أحدثه الأمران.
- أنَّ المؤلِّفين تفاوتا في النص على وسم المقدمة باسمها؛ فالآمدي بدأ دون وسمها بشيء في حين أنَّ القاضي الجرجاني وسمها صراحة بالمقدمة، واتفقا في البسملة قبل البدء والدعاء للقارئ بين أسطر المقدمة.
- أنَّ أسلوب التلطف في الألفاظ للمتلقي لم يغب عنهما في مقدمتها؛ لاستمالة المتلقي نحو ما يرنو إليه المرسل.
- أنَّ المؤلِّفين لم يغفلا ذكر سبب التأليف في مقدمتيهما وساقا المسوغات المنطقية التي من أجلها عَمِدا إلى التأليف.

- أنَّ الآمدي أورد ألفاظًا في مقدمته كانت أحكامًا نقدية صرفة لم يكن يحسن إيرادها في المقدمة؛ لأن محلها في الخاتمة أو بعد إجراء الموازنة، واتضح ميله من البداية للبحتري.
- أن ألفاظ القاضي الجرجاني في مقدمته أنبأت عن جو مشحون سبق التأليف؛ أسفرت عن تصديه لهذا الجدل وقيامه بالتأليف.
- أنَّ الآمدي وظَّف التمثيل خدمة لأغراضه الإقناعية في مقدمته وتحقيقًا لتفضيل البحتري على أبي تمام.
- أنَّ مقدمة القاضي الجرجاني نُظِمت بأسلوب بلاغي رفيع احتوت على وعظ ارتبط بالحالة النقدية آنذاك وأصَّل لمآلات يُمكن أن تحدث إذا لم يتصدَّ لها المُنصِفون.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم، طه أحمد. (د-ت). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**. لبنان: دار القلم.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب. (١٩٥٨م). **الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية**. (تحقيق حفني محمد شرف). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب. (١٤٢٠هـ). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. (د-ت). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**. (تحقيق محمد عبده عزام)، (ط ٥). القاهرة: دار المعارف.

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. (٢٠٠٦م). **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**. (تحقيق إبراهيم شمس الدين)، لبنان: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري**. (١٤٢٢هـ). (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر)، (ط ١). مصر: دار طوق النجاة.

بدوي، أحمد أحمد. (١٩٩٦م). **أسس النقد الأدبي عند العرب**. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. (١٤١٤ هـ-١٩٩٣م). **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. (تحقيق إحسان عباس)، (ط ١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الدريدي، سامية. (٢٠٠٨م). **الحجاج في الشعر العربي القديم -من الجاهلية إلى القرن**

الثاني للهجرة– بنيته وأساليبه. (ط ١). الأردن: عالم الكتب الحديث.

صبحي، أميمة. (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م). **حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي**. (ط ١). الأردن: عمَّان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

عادل، عبد اللطيف. (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م). **بلاغة الإقناع في المناظرة**. (ط ١). لبنان: بيروت، منشورات ضفاف.

عباس، إحسان. (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**. (ط ٤). لبنان: دار الثقافة.

عبد القادر، حامد. (١٩٤٩م). **دراسات في علم النفس الأدبي**. القاهرة: المطبعة النموذجية.

عشير، عبد السلام. (٢٠٠٦م). **عندما نتواصل نغيّر– مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**. المغرب: الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.

العمري، محمد. (١٩٨٦م). **في بلاغة الخطاب الإقناعي– مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية (الخطابة في القرن الأول نموذجًا)**. (ط ١). المغرب: الدار البيضاء، دار الثقافة والنشر والتوزيع.

القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز. **الوساطة بين المتنبي وخصومه**. (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي)، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

لابلانش، جان. وبونتاليس، برتراند. (١٩٨٥م). **معجم مصطلحات التحليل النفسي**. (ترجمة مصطفى حجازي)، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري. (د-ت). **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم**. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Bibliography

Al-Qurʾān al-Karīm

Ibrahim, Tāha Ahmad. **Tārīkh al-naqd al-Adabī 'inda al-'Arab min al-'aṣr al-Jāhilī ilá al-qarn al-rābi' al-Hijrī. Lebanon : Dār al-Qalam.**

Ibn al-Athīr, Naṣru Allāh ibn Muḥammad, Abū al-Fatḥ, Ḍiyā' al-Dīn, al-ma'rūf bi-Ibn al-Athīr al-Kātib. (1958). **al-istidrāk fī al-radd 'alá Risālat Ibn al-Dahhān al-musammāh be al-Ma'ākhidh al-Kinadīyah min al-ma'ānī al-ṭā'iyyah**. (investigated by: Ḥifnī Muḥammad Sharaf). Cairo: Maktabat al-Anjlū al-Egypt īyah.

Ibn al-Athīr, Naṣru Allāh ibn Muḥammad, Abū al-Fatḥ, Ḍiyā' al-Dīn, (1420 AH). **al-mathal al-sā'ir fī adab al-Kātib wa-al-shā'ir.** (Investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd), Beirut : al-Maktabah al-'Aṣrīyah lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.

Abū Tammām, Ḥabīb ibn Aws al-Ṭā'ī. **Dīwān Abī Tammām be-sharḥ al-Khaṭīb al-Tibrīzī.** (Investigated by: Muḥammad 'Abduh 'Azzām), (5th ed.). Cairo: Dār al-Ma'ārif.

al-Āmidī, Abū al-Qāsim al-Ḥasan ibn Bishr. (2006). **al-Muwāzanah bayna shi'r Abī Tammām wa-al-Buḥturī**. (Investigated by: Ibrāhīm Shams al-Dīn), Lebanon : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl Abū 'Abdullāh al-Ju'fī. **Ṣaḥīḥ al-Bukhārī**. (1422 AH). (Investigated by: Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir), (1st ed.). Egypt : Dār Ṭawq al-najāh.

Badawī, Aḥmad Aḥmad. (1996m). **Usus al-naqd al-Adabī 'inda al-'Arab.** al-Qāhirah : Dār Nahḍat Egypt lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.

al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn Abū 'Abdillāh Yāqūt ibn 'Abdillāh al-Rūmī. (1414AH -1993). **Mu'jam al-'Udabā'**. (Investigated by: Iḥsān 'Abbās), (1st ed). Beirut : Dār al-Gharb al-Islāmī.

al-Duraydī, Sāmiyah. (2008). **al-Ḥijjāj fī al-shi'r al-'Arabī al-qadīm-min al-Jāhilīyah ilá al-qarn al-Thānī li al-Hijrah Binyatuhu wa Asālībuh**. (1st ed). al-Urdun : 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth.

Ṣubḥī, Umaymah. (1436 AH-2015). **Ḥijājīyat al-khiṭāb fī Ibdā'āt al-Tawḥīdī**. (1st ed). Jordan: Oman, Dār Kunūz al-Ma'rifah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

ʿĀdil, ʿAbd al-Laṭīf. (1434h-2013). **The eloquence of persuasion in debate.** (in Arabic). (1st ed). Lebanon: Beirut, Difaf Publications.

'Abbās, Iḥsān. (1404 AH-1983). **Tārīkh al-naqd al-Adabī 'inda al-'Arab**. (4th ed.). Lebanon: Dār al-Thaqāfah.

‘Abd al-Qādir, Ḥāmid. (1949). Dirāsāt fī ‘ilm al-nafs al-Adabī. al-Qāhirah : al-Maṭba‘ah al-Namūdhajīyah.

‘Ashīr, ‘Abd al-Salām. (2006). **When we communicate, we change - an epistemological pragmatic approach to communication mechanisms and arguments.** (in Arabic). Morocco: Casablanca, East Africa.

al-‘Amrī, Muḥammad. (1986). **In the Rhetoric of Persuasive Discourse - A theoretical and applied introduction to the study of Arabic rhetoric (Rhetoric in the first century as a case study).** (in Arabic). (1st ed.). Morocco: Casablanca, Dār al-Thaqāfah, Publishing and Distribution.

al-Qāḍī al-Jurjānī, Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn ‘Abd al-‘Azīz. **al-Wasāṭah bayna al-Mutanabbī wa-khuṣūmih**. (Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, and ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī), Egypt: Maṭba‘at ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh.

Lablanche, Jean. and Pontales, Bertrand. (1985). **A Dictionary of Psychoanalytic Terms.** (Translated by Mustafa Hijazi), Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.

Muslim, Abū al-Ḥasan ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī. **Ṣaḥīḥ Muslim.** (Investigated by: Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī), Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.

مصطلح "الإحالة" في كتاب
(منهاج البلغاء وسراج الأدباء)

The Term "Al-Ihaalah" (Referral) in the Book (Minhaaj Al-Bulagaa wa Siraaj Al-Udabaa)

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخراشيّ

أستاذ الأدب والنّقد المساعد بقسم اللُّغة العربيّة وآدابها بكلّيّة الآداب

بجامعة الملك سعود

البريد الإلكتروني: aalkarashi@ksu.edu.sa

المستخلص

سعى البحث إلى تعيين مصطلح "الإحالة" الذي سكّه حازم القرطاجنّيّ في كتابه: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، وهدف إلى إرسائه في الدرس النقديّ، وإشهاره بين مصطلحاته؛ لما أسفر عنه جرد الدرس النقديّ عند العرب، ومعجمات مصطلحه بوجه عامّ من عدم تناوله، ولما انتهى إليه سبر الدراسات التي تلقّت منهاج البلغاء، أو نقّبت عن المصطلح البلاغيّ والنقديّ فيه من موقف متأرجح بين الإجمال حينًا، والانصراف عنه أو الإغفال أحيانًا؛ فكان أن صحّ العزم على مقاربة هذا المصطلح، وتأهيله بجهاز اصطلاحيّ مستنبط من منظور رائده في ضوء منهج مؤسَّس على التوصيف، والتحليل، وتقييس المصطلح، توخّى استقراء مواطن وروده، وزوى أبعاده؛ ممّا نتج عنه رصد دلالة المصطلح وفضائه، وبيان مفهومه وأركانه، وإدراك أنماطه، وضوابطه، ووظائفه؛ فصار وفاق ما أوصى به البحث أداة ناجعة لمقاربة النقاد والدارسين هذا المنزع من منازع صناعة المعنى في النّصّ.

الكلمات المفتاحيّة: الإحالة، المصطلح النّقديّ، حازم القرطاجنّيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، توظيف التّراث، الاستدعاء والاستلهام.

Abstract

The research sought to identify the term "Al-Ihaalah" (Referral) which was pointed out by Hazem Al-Qirtaji in his book: (Minhaaj Al-Bulagaa wa Siraaj Al-Udabaa), and it aimed to establish it in the critical lesson, and to make it known among his terms; due to what resulted from a survey of the critical lesson of the Arabs, and the lexicons of its terms in general which shows it was not adressed, and what resulted from appraising the studies based on Minhaaj Al-Bulagaa, or searched for the rhetorical and critical term in it from a position that fluctuates between summarizing at times, and withdrawing from it or sometimes omission; this brought the resolve to appraise this term, and qualify it with an idiomatic system deduced from a pioneering perspective in light of an approach based on description, analysis, and standardization of the term, which sought to extrapolate the place of his arrival, and his dimensions. Which resulted in monitoring the significance of the term and its space, clarifying its concept and its pillars, and realizing its patterns, controls, and functions; Thus, what was recommended by the research became an effective tool for critics and scholars to approach this problem of making meaning in the text.

Keywords: Referral, critical term, Hazem Al-Qartajani, Minhaaj Al-Bulagaa wa Siraaj Al-Udabaa, heritage application, summoning and inspiration.

تأطير

إنّ من أهم ما تؤسّس عليه العلوم ضبط حدودها، ومعالمها، ومصطلحاتها، ولعل المصطلح آكد ما يمنح العلم استقلاله واستقراره بما أنه عقد تواصليّ بين المشتغلين في كل حقل علميّ.

ولعلّ من ألطف الإشارات المبكرة الدالة على ابتكار العرب مقولة (مصطلح)، وإدراكهم أهميتها المعرفية في رسم الحدود العلمية، وتجسير التواصل بين المتكلّم والمتلقّي؛ ما وصف به الجاحظ طبقة المتكلمين، وأصول تقاليدهم التواصلية حين قال: "وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسمٌ؛ فصاروا في ذلك سلفًا لكلّ خلف، وقدوة لكل تابع"(١).

وتتفاقم مشكلة المصطلح حين يكون عابرًا؛ أي: أنّ حضوره في غير حقل علميّ كما هو الحال فيما يتناوله هذا البحث الذي يسلط الضوء على مصطلح "الإحالة" في كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّيّ؛ إذ إنّ هذا المصطلح حاضر في الدراسات اللسانية وعلم تحليل الخطاب كما أنه حاضر في الدراسات النقدية، بيد أن هذا البحث لا يتغيّا جرد المصطلح في مظانّ تلك الحقول، ولا تعقّب دلالاته، ومواطن استعماله، بل يهدف إلى إرسائه في معجم المصطلحات النقدية عند العرب مع تنبيه المشتغلين في الحقول المجاورة على أصالته؛ ليكفيهم عبء مقارنته بمفاهيم حافّة مثل: المرجع، أو يكفّ عنهم الإرباك الاصطلاحيّ(٢).

---

(١) الجاحظ، **البيان والتبيين**. تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون. (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)، ١/١٣٩.

(٢) ينظر –مثلًا– اشتغال مريم فرنسيس في المفاضلة بين الإحالة والمرجع: **في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)**. (دمشق: مطابع وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٨م)، ١٣–١٧.
وينظر –كذلك–: **معجم النقد الأدبي**، كامل عويد العامري. (بغداد: دار المأمون، ط١، =

وتعظم أهمية الموضوع (مصطلح "الإحالة" في كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء) حين ينتهي الجرد الاصطلاحيّ في كتب المصطلحات البلاغية والنقدية عند العرب بعامّة، والدراسات التي تناولت القيم النقدية في كتاب "منهاج البلغاء" أو مصطلحاته بخاصّة إلى انصراف جلّها عن تعيين هذا المصطلح لدى حازم؛ فضلًا عن تناوله، أو مقاربته؛ مما سيُكشف عنه في إطار الدراسات السابقة.

ولعل هذا هو السبب الرئيس الذي دفع إلى اختيار موضوع هذا البحث؛ إضافة إلى ما هو بسبب منه نحو:

١- فوات هذا المصطلح النقديّ الأصيل في الدراسات الأدبية والنقدية.

٢- تنبيه الدارسين على ضرورة التنقيب عن المصطلحات ومجالات استعمالاتها في مدونة النقد الأدبي عند العرب.

٣- تزويد دارسي الشعر قديمه وحديثه بمصطلح نقدي أصيل ناجع لقراءة الشعر العربي بما يملك من مفهوم بيّن، وما له من أنماط، وضوابط، ووظائف.

ويسعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ماذا عنى حازم القرطاجنّيّ بـ"الإحالة"؟

٢- كيف تتشكّل "الإحالة" من منظور حازم القرطاجنّيّ؟

٣- لماذا يعتمد الأديب "الإحالة" في صناعة النص؟

=

٢٠١٣م)، (إحالة، مرجع)، ٤٣٨-٣٤٩.

ولعلّ مما يشجع على ذلك ما ندب إليه أحمد المتوكل في سياق تناول مفهوم "الإحالة" في الفكر اللغوي العربي القديم حين قال: "لذلك نجد ظاهرة الإحالة متناوَلة تناولًا أشمل وأدق في البلاغة وأصول الفقه منه في كتب النحو (الصارم)".

الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، (الرباط: دار الأمان، ط١، ٢٠١٠م)، ٨٦.

وهو ما حمل البحث إلى أن يتغيّا تحقيق الأهداف الموالية:

١- إرساء مصطلح "الإحالة" في معجم النقد الأدبيّ عند العرب.

٢- استيعاب مصطلح "الإحالة" ما راج من مفاهيم ومقولات طارفة تندرج في "توظيف التراث".

٣- تبيين حدود مصطلح "الإحالة"، وأنماطه، وضوابطه، ووظائفه في ضوء ما قدّمه رائده حازم القرطاجنّيّ.

ولعلّ هذا يملي ضرورة الإبانة عن منزلة ما يعتزمه هذا البحث من الدراسات السابقة التي لا يراد بها الدراسات النقديّة العامة، أو دراسات تاريخ النقد، بل يقصد بها ما باشر دراسة جهود حازم القرطاجنّيّ، أو المصطلح النقديّ بعامة، أو المصطلح في كتاب منهاج البلغاء بخاصة؛ لذا يمكن تقسيمها على النحو الموالي:

القسم الأول: ما تناول جهود حازم القرطاجنّيّ الأدبيّة والنقديّة والبلاغيّة:

حظيت جهود حازم القرطاجنّيّ الأدبيّة والنقديّة والبلاغيّة بعناية الدارسين والباحثين؛ فتوافرت في ذلك دراسات جمّة[1]؛ منها (حازم القرطاجنّيّ حياته ومنهجه البلاغي) للدكتور عمر إدريس عبدالمطلب غير أن الكتاب تناول إجمالًا في بابه الأول ما يتصل بحياة القرطاجنّيّ، ووزّع بابه الآخر بين قضايا الألفاظ، والمعاني، والمباني، والأسلوب من منظور منهج حازم البلاغيّ، ولعل هذا التناول العام هو الذي حال

(١) يجدر التنبيه على أنّ هذا الجرد ركّز على عناية الدارسين والباحثين بالناتج العلمي لحازم القرطاجنّيّ؛ لذا لم أسلك فيه ما نهد إليه الدارسون ممّا تناول أصول التفكير لديه، أو مصادره من نوع:

- صفوت عبدالله الخطيب، **نظرية حازم القرطاجنّيّ النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية**. (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ط١، ١٩٨٦م).
- منصور محمد علي عبدالرحمن، **مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجنّيّ**. (القاهرة: دار البلاغة للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٧٠م).

دون التقاط مصطلح "الإحالة" في كتاب منهاج البلغاء رغم منازعته حازم القرطاجني في المعاني الجمهوريّة واحتجاجه على كلام تضمّن "الإحالة"[(١)].

وثَمَّ دراسة أخرى (قضايا النقد الأدبيّ عند حازم القرطاجنّيّ) لمحمد أديوان تناولت بالتفصيل والتحليل قضايا فلسفة المعنى، وقضايا المعنى في الخطاب الشعريّ، والتخييل والمحاكاة في الخطاب الشعريّ عند حازم القرطاجنّيّ، وقضايا عروضيّة وإيقاعيّة في الخطاب الشعريّ. واللّافت في هذه الدراسة أنها عرضت للإحالة على المعنى التاريخيّ لإدراك منزع المعنى[(٢)]، لا مفهوم الإحالة مما بسبيله هذا البحث؛ كما أنها ركّزت على الإحالة العلميّة، ولم تولِ الدراسة الإحالة الأدبيّة اهتمامًا يعتبر[(٣)].

كما خلت دراسة د. علي لغزيوي الموسومة بـ(نظريّة الشعر والمنهج النقديّ في الأندلس: حازم القرطاجنّيّ نموذجًا) من أية إشارة إلى مصطلح (الإحالة)، أو إلماعة إلى مفهومه، ونجاعته في صناعة المعنى الشعريّ رغم اعتزام الباحث دراسة ما يتّصل بمصطلحات فنّ الشعر من منظور النقاد الأندلسيّين، وانتجاعه منهج التنظير لدى حازم القرطاجنّيّ[(٤)].

وقد كان منتظرًا من بحث د.قاسم المومني الموسوم بـ(موقف حازم القرطاجنّيّ من الاسترفاد بالشعر) تأصيل مصطلح "الإحالة" باعتبار الاسترفاد بالشعر محايثًا له، وجاريًا في نسقه، ووجهًا من وجوهه غير أنه انصرف عن ذلك، وصرف جهده في

(١) ينظر: د.عمر إدريس عبدالمطلب، **حازم القرطاجنّيّ: حياته ومنهجه البلاغي**. (عمّان: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٩م)، ١٩-٢٠١.

(٢) ينظر: محمد أديوان، **قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجنّيّ**. (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ٢٠٠٤م)، ٦٧.

(٣) ينظر: أديوان، مرجع سابق، ٨٤.

(٤) د.علي لغزيوي، **نظرية الشعر والمنهج النقدي في الأندلس: حازم القرطاجنّيّ نموذجًا**. (فاس: مطبعة سايس، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ٥.

التراشح بين الشعر والخطبة إمّا إقناعًا تارةً، وإمّا تخييلاً تارةً أخرى[١]؛ موردًا باقتضاب ما يعنيه مصطلح "الإحالة" وما يتنوّع منه بلا بسط أو تفصيل[٢].

القسم الثاني: ما تناول المصطلحات الأدبيّة والنقديّة والبلاغيّة:

انتهى جرد معجمات المصطلحات الأدبيّة والنقديّة والبلاغيّة عند العرب إلى فوات الإشارة إلى مصطلح "الإحالة" بوجه عامّ[٣]، أو إثباته مع فوات التنبيه على منظور حازم القرطاجنّيّ إليه بوجه خاصّ[٤]؛ مما يوجب المضيّ قدمًا في إعداد هذا

---

(١) ينظر: د.قاسم المومني، **موقف حازم القرطاجنّيّ من الاسترفاد بالشعر**. مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ، (العدد المزدوج ٢٨-٢٩، شوال ١٤٠٥هـ ربيع الثاني ١٤١٦هـ/ السنة التاسعة تموز –كانون أول ١٩٨٥م)، ١٩٢.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ١٩٥-١٩٦.

(٣) ينظر:

- **معجم البلاغة العربيّة**، د. بدوي طبانة. (جدّة: دار المنارة للنشر والتوزيع/ الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). رصد مصطلح "الاستحالة" معطوفًا على "التناقض" ينظر: باب الحاء، ١٨٣-١٨٦.
- **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، مجدي وهبه، كامل المهندس. (بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م). رُصد مصطلح "الإحالة المزدوجة" الذي يَبِيْنُ عمّا هذا البحث بسبيله. انظر: ١٤.
- عبدالمطلب عبدالمطلب زيد، **المصطلحات النقديّة في التراث العربيّ حتى القرن السابع الهجريّ: دراسة دلاليّة تاريخيّة**. رسالة (دكتوراه)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم البلاغة والنقد الأدبيّ والأدب المقارن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- محمد عزّام، **المصطلح النقديّ في التراث الأدبيّ العربيّ**. (بيروت: دار الشرق العربيّ، د.ط، د.ت).

(٤) ينظر:

- **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**، د. أحمد مطلوب. (بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، د.ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١/٥٥.

=

البحث لاسيما إذا استحضرنا تجرّد المشهد النقديّ منه؛ من ذلك بحث (بناء القصيدة العربيّة في العصر المملوكيّ: "البنية الإحالية") للدكتور يوسف أحمد إسماعيل الذي خلا من أية إشارة إلى ابتداع حازم القرطاجنّيّ مصطلح "الإحالة"، أو الإحالة إليه رغم مباشرة الباحث قراءته النقديّة التي تلتقي في كثير من مفاصلها مع منظور "الإحالة" لدى حازم القرطاجنّيّ؛ إذ قارب موضوع بحثه من حيث الحضور المعجميّ (الدينيّ، والنحويّ، والأسماء)، والنصّيّ (الدينيّ، والشعريّ)، وبمصطلح "البنية الإحاليّة" من غير أن يعزوه إلى حازم، أو يحاول ذلك(١).

ويلحق بذلك افتقار بحث (استخدام المصطلحات النحويّة في الشعر) للباحث: حسن خميس الملخ إلى ضبط المنظور القرائيّ، وتأسيسه على مصطلح "الإحالة" الذي

=

- **معجم النقد العربيّ القديم**، د. أحمد مطلوب. (بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١٩٨٩م)، ١/١٠٠-١٠١.

ويلحق بهذا الجرد في معجمات المصطلحات ورود "الإحالة" بمعنى آخر يغاير ما هذا البحث بسبيله، ومن ثَمَّ يكون من نافلة القول التنبيه على إغفاله جهد حازم في إرساء هذا المصطلح.

ينظر:

- **المعجم الأدبيّ**، جبّور عبدالنور. (بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤م)، ٨.
- **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد علي التهانويّ. تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د.علي دحروج، نقل النص الفارسيّ إلى العربيّة: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د.جورج زيناتي. (بيروت: لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م)، ١/١٠٦-١٠٧.

(١) ينظر: د. يوسف أحمد إسماعيل، **بناء القصيدة العربيّة في العصر المملوكيّ "البنية الإحاليّة"**. (الكويت: حولية الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلميّ، الرسالة ٢٢٠، الحوليّة الخامسة والعشرون، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤-٢٠٠٥م)، ١١.

يستوعب ما اتّجه إليه[١]، وإن كان حازم قد استهجن ذلك كما سيأتي.

القسم الثالث: ما تناول المصطلح النقديّ عند حازم القرطاجنّيّ:

وهنا تمثُل دراسة د. عباس عبدالحليم عباس التي وسمها بـ(المصطلح النقديّ عند حازم القرطاجنّيّ: معجم ودراسة نقديّة)؛ حيث عُنِيت "بجمع مصطلحات كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)... وشرحها وتفسيرها، ثم دراسة مصادرها، والكشف عن مشكلاتها وتحليلها"[٢].

وقد عيّن الباحث مصطلح "الإحالة" لدى حازم القرطاجنّيّ؛ زاعمًا خلطه بين مفهومي الإحالة والاستحالة[٣]؛ ممّا يوجب تحرير "المصطلح" ببيان مفهومه، وأنماطه، وضوابطه، ووظائفه؛ ممّا هذا البحث بسبيل تناوله، والكشف عنه خاصّة إن استحضرنا فداحة قول الباحث: "لقد زجّ حازم بكثير من المصطلحات في كتابه دون أن يقدم لها مفهومًا نظريًا خاصًّا يشرحها ويوضحها كما في مصطلح (الإحالة)..."[٤].

إنّ الناظر إلى ما سلف بيانه من دراسات سابقة لينتهي به الأمر إلى ما سبق

---

(١) ينظر: حسن خميس الملخ، **استخدام المصطلحات النحويّة في الشعر**. (الكويت: المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، مجلس النشر العلميّ، ع٨٩، السنة ٢٣، شتاء ٢٠٠٥م)، ٥٩، ٦١. ويلحظ أنّه عيّن موقف حازم من هذه الظاهرة من غير تعيين للمصطلح. ينظر: المرجع نفسه، ٦٩-٧٠.

(٢) د.عباس عبدالحليم عباس، **المصطلح النقديّ عند حازم القرطاجنّيّ: معجم ودراسة نقدية**. (عمّان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م)، ٥.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ٦٩-٧١.

(٤) المرجع نفسه، ٣٦٨-٣٦٩. واللّافت للنظر أن الباحث لم يسلك مصطلحَي "الإحالة" و"الاستحالة" في مسرد (تعدّد المصطلح للمفهوم الواحد: الترادف) الذي برهن به على عدم نضج الوعي المصطلحيّ لدى حازم، ممّا يملي مراجعة الباحث زعمه خلط حازم بين المصطلحين. ينظر: المرجع نفسه، ٣٩٠-٣٩١.

التنبيه عليه من ضرورة إرساء مصطلح "الإحالة"، وتأصيله لدى حازم القرطاجنّيّ؛ خاصّة حين يطالع مسرد (معجم المصطلحات والألفاظ الغربية) في ذيل سفر (منهاج البلغاء) خِلْوًا من مصطلح "الإحالة"؛ إذ ضمّ الجذر اللغويّ (ح. و. ل) كلًّا من: (أحوال، وحالات، واستحالة)، ولا أدري سبب غياب ما هذا البحث بسبيل استحضاره(١).

أملى ذلك كلّه تدبّر مصطلح "الإحالة" من منظور مصطلحيّ نقديّ يُعنى بضبط تقييس المصطلح، وتأهيله بجهاز اصطلاحيّ ناجع لمقاربة النصوص، والكشف عن طاقته الاصطلاحيّة باستكناه أنماطه، ورصد ضوابطه، وتبيّن وظائفه؛ لذا تأسّس هذا البحث على تأطير، وعرض، وتركيب، تلا ذلك ثبت المصادر والمراجع؛ مراعًى فيه إفراد مدوّنة هذا البحث مصدرًا، ثم سوق ما عداها مرجعًا.

أما التأطير؛ فحوى التعريف بموضوع البحث وتبيين أهمّيّته، وأسباب اختياره، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنزلته منها، والمنظور المنهجيّ، وهيكل بنائه.

وأما العرض؛ فتناول "الإحالة" من حيث: الدلالة والفضاء، والمفهوم، والأنماط، والضوابط، والوظائف.

وأمّا التركيب؛ ففيه إيجاز ما كان من نتائج، وإبراز ما عنّ من توصيات.

واللهَ أسأل العون والتسديد.

عرض

● **الدلالة والفضاء:**

لمادّة (حول) دلالات لغويّة متعدّدة تَعَدُّدَ أبنيتها التصريفيّة، واستعمالاتها اللغويّة غير أنّ ما يعني في هذا الصدد ورود الدالّ (إحالة) بمعنى أوّليّ صالح لتأسيس المصطلح

(١) ينظر: ما أثبته المحقق محمد الحبيب ابن الخوجة في ذيل كتاب **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط٣، ١٩٨٦م)، ٤٠١.

عليه؛ إذ ورد في مجالات لغويّة منها: "أحال الغريمَ: زجّاه عنه إلى غريم آخر... ويقال: أحلتُ فلانًا على فلان بدراهم أحيله إحالةً وإحالًا"(١)؛ فالناظر في هذا الاستعمال يرصد ما تقتضيه (الإحالة) من انتقال بين طرفين يُغني فيه الآخر ما افتقر إليه الأوّل؛ فيوسع له، ويفي عنه، ويجبره.

إنّ دلالة (الإحالة) بما تقتضيه من أنحاء الكلام، وما تعنيه من إفضاء الأول إلى الآخر تمثّل الفضاء اللغويّ لمصطلح "الإحالة" الذي تخلّق شيئًا فشيئًا في الاستعمال الاصطلاحيّ؛ إذ يطالعنا ختام (باب التضمين والإجازة) لدى ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) في قوله: "ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة؛ فيأتي به كأنّه نظم الأخبار، أو شبيه به"(٢). ويعلّق بعدُ بقوله: "فهذا النوع أبعد التضمينات كلّها، وأقلّها وجودًا"(٣).

يفيد قول ابن رشيق لُطف الإحالة، ودقّتها عن التصوّر الذهنيّ، وقلّة ورودها؛ ممّا قد يفسّر تجرّد المدوّنة النقديّة من استعمالها(٤) على نحو ما تمحّضت عند حازم

---

(١) **لسان العرب**، ابن منظور. (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م). مادّة (حول)، ١١/١٩٠.

جدير بالذكر أن د. عباس عبدالحليم لم يلتقط هذا الاستعمال اللغويّ في استهلاله مصطلح "الإحالة"، بل أبعد النجعة؛ واقفًا عند دلالات أخرى لا تتصل بما عناه حازم. ينظر: عباس، مرجع سابق، ٦٩.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. حقّقه، وفصّله، وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد. (بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٢/٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ٢/٨٨.

(٤) لم أظفر باستعمال هذا المصطلح في المنجز النقديّ عند العرب في المشرق، وقد أكّد ذلك معالجةُ "التلميح" الذي هو "أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره" غفلًا من أيّ تعبير أو تصريح بـ"الإحالة".

=

القرطاجنّيّ.

وجدير بالذكر دفع ما ذهب إليه د. عباس عبدالحليم عباس من كون حازم أفاد مصطلح "الإحالة" من عبدالقاهر الحرجانيّ (ت٤٧٤هـ) بقوله: "وأفاده عبدالقاهر الحرجانيّ في مصطلحَي (الإحالة)، و(النظم)، وإن نظر إلى هذا الأخير نظرة خاصّة"(١)؛ لأنّ عبدالقاهر الحرجانيّ لم يستعمل الدالّ اللغويّ (الإحالة)، بل استعمل الفعل في قوله: "... أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان... وأسقطت نسبته من صاحبه، وقطعت الرحم بينه وبين منشئة، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل، ونسب يختصّ بمتكلم"(٢)، وقد عنى الدلالة الأوّليّة المعجميّة؛ إذ ورد في اللسان: "يقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته"(٣).

وأضيف إلى هذه القولة التي اعتمدها د.عباس عبدالحليم؛ واصلًا بين حازم وعبدالقاهر في استعمال (الإحالة) ما ورد في السياق نفسه في كتاب (دلائل الإعجاز)؛ إذ تداول عبدالقاهر (استحالة، ومحال)(٤)؛ مريدًا الدلالة الأوّليّة المعجميّة

=

الخطيب القزوينيّ، **الإيضاح**. حقّقه وعلّق عليه وفهرسه: د. عبدالحميد هنداوي. (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ٣٥٨.

كما أنّ جرد ما قدّمه علي أبو زيد من استقراء البديعيّات بحمولتها الاصطلاحيّة لم يسفر عن "الإحالة" بما أنها تحاور التضمين وما اشتق منه، أو تجاور. ينظر: **البديعيّات في الأدب العربيّ نشأتها –تطوّرها– أثرها**. (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(١) عباس، مرجع سابق، ٣٦٢.

(٢) عبدالقاهر الجرجانيّ، **أسرار البلاغة**. قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر. (جدة: دار المدني، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ٥.

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، مادّة (حول)، ١١/١٨٦.

(٤) ينظر: عبدالقاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**. قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر. (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، ط٥، =

لهما التي تأتلف مع ما ذُكر حيال (أحلت)[١].

وبعدُ؛ فلا يظهر أي صلة بين ما اصطلح عليه حازم "الإحالة"، وما تردّد عند عبدالقاهر من دوالّ مغايرة مبنى ومعنى.

وربّما رفد الفضاء الفلسفيّ لمقولة (الإحالة) الفضاءين اللغويّ والبلاغيّ، وإن لم تجاوز دلالتُها الدلالة اللّغويّة (الاستحالة) التي استعملها عبدالقاهر الجرجانيّ؛ إذ نجد ابن سينا (ت٤٢٧هـ) يقول في معرض سوقه وجوه تقصير الشاعر: "ولا تصحّ المحاكاة بما لا يمكن، وإن كان غيرَ ظاهر الإحالة ولا مشهورها"[٢]؛ ممّا يفسّر استعمال حازم هذا الدالّ (الإحالة) للدلالة على الاستحالة؛ إذ يقول: "فبهذا الترتيب يتبيّن ما يصحّ ويحسن من المبالغة، وما لا يصحّ منها ولا يحسن. فإنّ العلماء بصناعة البلاغة متفقون على أنّ ما أدّى إلى الإحالة قبيح. وقد خالف في هذا جماعة ممّن لا تحقيق عنده في هذه الصناعة ولا بصيرة له بها؛ فاستحسنوا من المبالغة ما خرج عن حدّ الحقيقة إلى حيّز الاستحالة..."[٣].

إنّ رصد هذه الفضاءات اللغويّة والبلاغيّة والفلسفيّة لا تؤسّس مصطلح "الإحالة"، أو تبدي ما يمكن أن يعدّ روافد تكوينه لدى حازم القرطاجنّيّ وحسب، بل ربّما فسّرت دلالةُ (الإحالة: الاستحالة) التي زاحمت ما بيّنا في الفضاءين اللغويّ والبلاغيّ (عند الجرجانيّ)، وترسّخت في الفضاء الفلسفيّ (عند ابن سينا)؛ مراوحةَ "الإحالة" عند حازم بين ما هذا البحث في سبيل تناوله، ودلالة الاستحالة من

=

١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ٣٦٣-٣٦٤.

(١) ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادّة (حول)، ١١/١٨٦.

(٢) ابن سينا، **فنّ الشعر**، ضمن كتاب: **فنّ الشعر، أرسطو طاليس مع الترجمة العربيّة القديمة وشروح الفارابيّ وابن سينا وابن رشد**. ترجمه عن اليونانيّة وشرحه وحقّق نصوصه: عبدالرحمن بدوي. (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ط، ١٩٥٣م)، ١٩٧.

(٣) القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ١٣٣-١٣٤.

جهة[1]، وانصرافَ جلّ الدرس النقديّ عند العرب عن تداولها في معرض تناول صناعة المعنى الشعريّ بما أنها تحيل على عيب من عيوب الشعر، كما هو بادٍ في قولة حازم من حكاية اتّفاق علماء البلاغة في ذلك[2].

● **المفهوم**:

يجيء مصطلح "الإحالة" وليد مشروع نقديّ أسّسه حازم القرطاجنّيّ يعنى بإعادة شعراء زمانه ومن سبقهم بقرنين من الزمان إلى جادّة الشعر التي سلكها الرعيل الأول؛ إذ يقول: "فلم يوجد فيهم [الشعراء] على طول هذه المدة من نحا نحو الفحول، ولا من ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام وإحكام وضعه وانتقاء موادّه التي يجب نحته منها. فخرجوا بذلك عن مهيع الشعر ودخلوا في محض التكلّم. هذا على كثرة المبدعين المتقدمين في الرعيل الأول من قدمائهم..."[3]؛ متّخذًا (المعاني) دعامة من دعائم مشروعه النقديّ التي تنزّل مصطلح "الإحالة" في سياقها؛ إذ عقد "المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيّات التئامها وبناء بعضها على بعض، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها"[4]؛ موضحًا بعدُ منازعَ اجتلاب المعاني، وصنوفَها التي منها المعاني الأُوَل، والمعاني الثواني؛ إذ يقول: "والمعاني الشعرية منها ما يكون مقصودًا في

(١) لذا جانب الصواب د. عباس عبدالحليم حين اتّهم حازمًا بالخلط بين (الإحالة والاستحالة)؛ لأنّ حازمًا استخدم (الإحالة) بمعنى الاستحالة في مجالها اللغويّ، لا الاصطلاحيّ، ولو كان هناك خلط لكان العكس باستعمال (الاستحالة) في سياق مصطلح "الإحالة". ينظر: عباس، مرجع سابق، ٧١.

(٢) لعلّ هذا ما أدّى إلى اقتصار منظور د. أحمد مطلوب في تعيين مفهوم الإحالة بأنه "أن يذكر الشاعر أو غيره معنى يستحيل وقوعه". معجم النقد العربيّ القديم، ١/١٠٠.

(٣) القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ١٠.

(٤) المرجع نفسه، ١١.

نفسه بحسب غرض الشعر، ومعتمدًا إيراده، ومنها ما ليس بمعتمد إيراده، ولكن يورد على أن يحاكى به ما اعتمد من ذلك، أو يحال به عليه، أو غير ذلك. ولنسمّ المعاني التي تكون من متن الكلام، ونفس غرض الشعر المعانيَ الأُول، ولنسمّ المعاني التي ليست من متن الكلام، ونفس الغرض، ولكنها أمثلة لتلك أو استدلالات عليها، أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأُوَل بها، أو ملاحظة وجه يجمع بينهما على بعض الهيآت التي تتلاقى عليها المعاني، ويصار من بعضها إلى بعض المعانيَ الثواني. فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أوائل وثوانٍ"(١).

وكان ممّا افترعه من المعاني الثواني ما أجمله في قوله السابق: "أو يحال به عليه"، ثم فصّل شيئًا منه بعدُ حينَ استحسن إيراد وصفهم المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور؛ لكنّ في قوّتهم وقدرتهم معرفة كيفية وقوعها في الوجود وتحصيلها ممثّلًا بقوله: "كالإحالات على الأخبار القديمة المستحسنة، وطرف التواريخ المستغربة؛ فإنّها حسنة الموقع من النفوس، وفي قوّة جميع الناس أن يحصّلها إذا ألقيت إليه"(٢).

وقد نازعه د.عمر عبدالمطلب فيما دعاه (المعاني الجمهورية)؛ زاعمًا أنّ حازمًا عدل عن رأيه، أو تنازل قليلًا حين استحسن إيراد معانٍ في الشعر غير مفهومة عند الجمهور، بل عدّ هذا اضطرابًا(٣).

والحق أنّ حازمًا لم يعدل عن رأيه، أو يتنازل، أو يضطرب، بل استحسن إيراد المعاني غير المعروفة عند الجمهور؛ معوّلًا على حسن موقعها في نفوسهم، وقوّتهم على تحصيلها، وقدرتهم بعدُ على تصوّرها، ومشترطًا في سبيل ذلك شهرة المعنى، وحسن التعبير، ولافتًا النظر إلى تفاوت التلقّي بين الجمهور؛ مدعمًا رأيه بقياس بديع مأتاه: استحسان إيراد اللفظ المستعذب في الشعر وإن لم يدركه جميع الجمهور؛ مختتمًا رأيه

(١) المرجع نفسه، ٢٣.
(٢) المرجع نفسه، ٢٩. وينظر قبلًا على سبيل الإجمال: ٢١.
(٣) عبدالمطلب، مرجع سابق، ١٩٩-٢٠٠.

باستحسان الإتيان بما يعرف؛ إذ يقول عقب القول السابق: "فيحسن أن يورد في الشعر ما اشتهر من هذا القبيل، ويُعبَّر عنه بحسان العبارات حتى يعرف الخبر منه مفصّلًا. ومن قصّر عن تفهّم شيء من ذلك لم يعوزه وجدان من يُفهمه إياه، كما أنّ اللفظ المستعذب وإن كان لا يعرفه جميع الجمهور مستحسنٌ إيراده في الشعر؛ لأنّه مع استعذابه قد يفسّر معناه، لمن لا يفهمه، ما يتّصل به من سائر العبارة. وإن لم يكن في الكلام ما يفسّره لم يعوز أيضًا وجدان مفسّره لكونه مما يعرفه خاصّة الجمهور أو كثير منهم. والإتيان بما يعرف أحسن"(١).

أفضى بحازم السياق إلى تعيين منزلة "الإحالة" من مفاهيم حافّة حين قال: "والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحث الفكر إلى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو حديث أو مثل. فيبحث الخاطر فيما يستند إليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له معه إيراد ذلك الكلام أو بعضه بنوع من التصرّف والتغيير أو التضمين؛ فيحيل على ذلك أويضمّنه أو يدمج الإشارة إليه..."(٢).

رَكَز حازم مصطلح "الإحالة" بعناية في سياق ما تقدّم؛ ليقدّمه مكتمل الملامح بقوله: "ويُسمّى ما تُسُبِّب إلى ذكره من القصص المتقدمة المأثورة بذكر قصة أوحال معهودة **الإحالة**؛ لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور"(٣)؛ إذ يُجمل قوله أركان الإحالة، وسبب الاصطلاح على هذا الضرب من ضروب صناعة المعنى الشعريّ بـ"الإحالة". أمّا الأركان فهي: (المأثور: الغائب، المعهود: الطارف، الإحالة: العبارة النّصّيّة التي وصلت بينهما، وتسبّبت في إفضاء بعضها إلى بعض). وأمّا سبب الاصطلاح؛ فقد أشهره في صيغة التعليل التي ختم بها قولته.

(١) القرطاجنّي، مرجع سابق، ٢٩. وقد أوسع ذلك إيضاحًا. ينظر: ١٨٨-١٩٢.
(٢) المرجع نفسه، ٣٩. وينظر كذلك: ١٧٣.
(٣) المرجع نفسه، ١٨٩.

إنّ تصدير حازم عبارته بـ"يُسمّى" دليلٌ ساطعٌ على إرسائه "الإحالة" مصطلحًا، يعضّد ذلك تحقُّقُ إشارات متنوّعة تنهض بالإدلال على تقييس هذا المصطلح؛ منها:

- ما تقدّم بيانه من فضاء لغويّ وبلاغيّ وفلسفيّ يعمّق حضور المصطلح، ويرسّخه في الدرس البلاغيّ والنقديّ عند العرب.
- ما تمتاز به صياغته من سهولة التداول والاختصار اللّذين يعدّان من محدّدات صياغة المصطلح(١).
- ما تقدّم سوقه من أقوال تضمّنت اشتقاقاتٍ أو جمعًا مثل: (يُحال، الإحالات، يحيل، محالًا به)، وغيرها؛ لما في تداول صيغ التعبير عن هذا المنزع من منازع صناعة المعنى الشعريّ من تأكيد على قصديّة حازم انتخاب هذا المصطلح الذي ورد مصدرًا "الإحالة"؛ موافقًا كثيرًا من المصطلحات النقديّة عند العرب؛ إذ "حظي المصدر بالنصيب الأوفى من بين أساليب صياغة المصطلح النقديّ عند العرب"(٢).
- استحضار "الإحالة" في سياق تبيين الأساليب التي يتعلّق فيها معنى بآخر، أو يكون سببًا منه؛ ممّا يعكس تمحّضه مصطلحًا حين يعاضد أساليب قارّة من نوع التشبيه أو التعليل أو التتميم في قوله: "وكلاهما [المستقصى من الكلام المرتجل وغير المستقصى] لا يخلو من أن يكون مقرونًا فيه بين المعاني المتعلّقة بالشيء الموصوف وبين معانٍ أُخَر يكون لها به علقة، ولها إليه نسبة

(١) ينظر: د.تمّام حسّان، "**المصطلح البلاغيّ القديم في ضوء البلاغة الحديثة**". مجلّة فصول، المجلّد (٧)، العددان (٣،٤)، أبريل-سبتمبر ١٩٨٧م، ٢١.

(٢) زيد، مرجع سابق، ٩.

على سبيل تشبيه أو **إحالة** أو تعليل أو تتميم أو غير ذلك"[١].

- النّصّ على "الإحالة" -كما تقدّم- في سياق مفاهيم حافّة من نوع: (التضمين، والإشارة)[٢]؛ ممّا يدلّ على استقلال المصطلح، واستقراره في متصوّره الذهنيّ على نحو ما قَدَّم.
- المقابلة بين مصطلح "الإحالة"، ومصطلح قارّ "المحاكاة" بما يميزهما؛ إذ يقول: "فالمحاكاة التامّة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف... ولو أخلّ بذكر أجزاء هذه الحكاية لكانت ناقصةً، ولو لم يورد ذكرها إلّا إجمالًا لم تكن محاكاة، ولكن **إحالة** محضة"[٣].
- الاضطلاع بما يبين أنماط "الإحالة"، وضوابطها، ووظائفها؛ ممّا سيجيء بيانه.
- ائتلاف حاصل الدلالة الاصطلاحية لـ"الإحالة" لدى حازم مع ما استقرّ –لاحقًا– اصطلاحًا من دلالة عامّة فحواها: (إرجاع الشيء إلى الشيء)[٤].

هيّأ السياقُ الداخليّ لـ"الإحالة"، ومن ورائه الدلالة والفضاء، وما انجرّ عن

(١) القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ٢١٣.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ٣٩. وينظر نحوًا منه: ١٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر: أحمد الدمنهوريّ، **حلية اللبّ المصون على الجوهر المكنون**. (القاهرة: دار إحياء التراث العربيّ،د.ط، ١٩٩٤م)، ١٦٥. وقد قسمها قسمين: خفيّة وجليّة؛ مستشهدًا عليها من الذّكر الحكيم.

وقد نبّه على ذلك د. أحمد مطلوب؛ مقتصرًا على سوق كلام الدمنهويّ في تعريف الإحالة في كتابه **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**، ٥٥/١. وعاطفًا بكلام الدمنهوريّ على دلالة الاستحالة بقوله: "وللإحالة معنى آخر هو: إرجاع الشيء إلى الشيء، قال الدمنهوريّ:". **معجم النقد العربيّ القديم**، ١٠٠/١-١٠١.

ذلك من إشارات متنوّعة، القولَ باصطلاح حازم القرطاجنّيّ "الإحالة" بمفهوم خاصّ مؤسَّس على أركان كما بان، وله أنماطه، وضوابطه، ووظائفه كما سيبين؛ كي يتحقق مراد حازم ونداؤه حين قال: "ومن كان له ذهن يتمكّن به -له أن يفصّل ما أجملت في هذا الكتاب ويفرّع ما أصّلت- انتفع بهذا الباب نفعًا كثيرًا في هذه الصناعة؛ إذ لم يمكنَّا نحن أن نتفرغ إلى تفريع ذلك وتفصيله وتمثيله..."[(١)].

● **الأنماط:**

عبّر حازم القرطاجنّيّ بسطوع تامّ عن ضربين للإحالة، لهما أنماط متنوّعة تختلف جماليًّا استحسانًا واستهجانًا؛ فأسّس ضربي الإحالة بقوله: "إنّ المعاني منها ما يُحتاج في فهمه إلى مقدّمة من معرفة صناعة أو حفظ قصة"[(٢)]؛ ملتفتًا إلى جنس (المرجع: النص الغائب) الذي أردف بإيضاحه بقوله: "والمعاني التي يُحتاج في فهمها إلى مقدمة ضربان: ضربٌ يتوقّف فهمه على المعرفة بصناعة ما/ لكون المعنى من تلك الصناعة أو لكون العبارة الدالّة عليه من عبارات أهل تلك الصناعة، وضرب يتوقّف فهمه على حفظ قصة ما لكون المعنى متعلّقًا بتلك القصة"[(٣)].

ثم عقّب بما يشنّع على الضرب الأول من عدم الاستحسان، وعدِّه أشدّ قبحًا من استعمال الألفاظ الساقطة المبتذلة، وإنزالِه منزلة استعمال اللفظ الحوشيّ الذي لا يفهمه -وفاق تعبيره- إلا الأقلّ من خاصّة الأدباء[(٤)]؛ مستثنيًا من ذلك ما فرضه الغرض من وصف أشياء علميّة أو صناعيّة، ومحاكاتها، والتخييل بها؛ مستدلًّا بشواهد شعريّة لأمراء البيان في الشعر العبّاسيّ[(٥)].

ومردّ هذا التشنيع نظرة حازم إلى مثل هذا الضرب من المعاني الذي سلكه

(١) القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ٣٧.
(٢) المرجع نفسه، ١٨٨.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) ينظر: المرجع نفسه، ١٨٨-١٨٩.
(٥) ينظر: المرجع نفسه، ١٩٠-١٩٢.

مقابل الأصيل من الأغراض حين سمّاه الدخيل؛ فقال: "والصنف الآخر وهو الذي سمّيناه بالدخيل لا يأتلف منه كلام عالٍ في البلاغة أصلًا؛ إذ من شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجمهور، وذلك غير موجود في هذا الصنف من المعاني"(١).

ونظرة حازم التصنيفيّة لهذا الضرب من ضروب إيراد المعاني مؤسَّسة على ما قَرَّ لدى البصراء بصناعة المعاني الشعريّة قبله؛ إذ يعقد تفصيل ما ذهب إليه من تصنيف بقوله: "ولو لم يكن في ذلك إلّا أنّ البصراء بهذه الصناعة كأبي الفرج قدامة وأضرابه قد نصّ جميعهم على قبح إيراد المعاني العلميّة والصناعيّة والعبارات المصطلَح عليها في جميع ذلك، ونهوا عن إيراد جميع ذلك في الشعر"(٢).

إنّ مدار النظرة التصنيفيّة لدى حازم، والموقف النقديّ لمن سلفه من بلغاء ونقاد، هو ما يحقّق نجاعة التواصل الأدبيّ مع الجمهور الذي لا يخاطَب إلا بما يعيه، ويفقهه، أو بما يسعه طلب تصوّره؛ لذا رافق هذا التصوّر منظور حازم إزاء الضرب الثاني للإحالة حين استحسن ما أحال على قصة مشهورة بخلاف ما أحال على قصة غير مشهورة؛ فقال: "وأمّا ما يتوقف فهمه على قصة فلا يخلو أن تكون تلك القصة مشهورة أو غير مشهورة؛ فإن كانت القصة مشهورة فذلك حسن، وإن لم تكن مشهورة فإنّ ذلك لا يستحسن"(٣).

(١) المرجع نفسه، ٢٥. وينظر –كذلك–: ٣١.

(٢) المرجع نفسه، ٢٥.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ١٨٨. تجدر الإشارة إلى أنّ القصة والخبر والتاريخ فيما سبق في نصوص المنهاج تجري مجرًى واحدًا في تعبير حازم عن هذا النمط من الإحالة الذي هو قسيم الإحالة العلميّة أو الصناعيّة، وتلتقي كلها حسب تصوّره في كونها إحالة محضة على متن حكائيّ. ينظر: المرجع نفسه، ١٠٦

● **الضوابط:**

أكّد حازم في معرض تناوله "الإحالة" على جملة من الضوابط تكفل تحقّق منظوره إزاء استحسان هذا المنزع من منازع صناعة المعنى الشعريّ الذي تأسّس على بلاغة التواصل الأدبيّ، ونجاعة التخاطب؛ فكان من تلك الضوابط:

– الشهرة والوضوح؛ لتحقيق كنه "الإحالة" بما أنّها إحالة المعهود على المأثور؛ إذ يتطلّب أن يكون المأثور أشهر وأوضح؛ فيتحقّق البيان بالتمثيل الذي تكون فيه المعاني الثواني أبينَ من المعاني الأُوَل؛ حيث يقول حازم: "وحقّ الثواني أن تكون أشهر في معناها من الأُوَل لتستوضح معاني الأُوَل بمعانيها الممثّلة بها..."(١). وقد جعل ذلك واجبًا؛ إذ قال: "فالواجب ألّا يستعمل في الشعر من الأخبار إلا ما شُهِر"(٢).

– التعبير الحسن؛ إذ عطف حازم به على ما تقدّم (الشهرة) في موضع آخر حين قال: "فيحسن أن يورد في الشعر ما اشتهر من هذا القبيل [يريد: الإحالات]، ويعبّر عنه بحسان العبارات حتى يعرف الخبر منه مفصّلًا"(٣)، وما ذاك إلا لتحقيق نجاعة التخاطب وحسن التقبّل، ممّا يأتلف والمأمَّ العامَّ الذي ذهب إليه حازم؛ ما يُعنى بتحسين هيآت العبارات والتأنّق في اختبار موادّها... (٤).

– المناسبة بين طرفي "الإحالة": (المعهود/ النص الحاضر، والمأثور/ النص الغائب)، وذلك في قوله: "وبحثه فيما استند إليه من تاريخ، على أن يناسب بين بعض مقاصد كلامه وبينه..." (٥)، وفي ذلك توكيد لما بين طرفي الإحالة من مشابهة تقتضي شهرة (المتبوع/ المعاني الثواني)؛ ممّا تقدّم بيانه.

---

(١) المرجع نفسه، ٢٣.
(٢) المرجع نفسه، ١٩٠.
(٣) المرجع نفسه، ٢٩.
(٤) ينظر: المرجع نفسه، ٢٢٢.
(٥) المرجع نفسه، ٣٩.

– الإجمال بحيث لا يتابع فيه المعهود تفاصيل المأثور متابعة تسلكه في سبيل المحاكاة التامّة؛ كما نبّه عليه حازم بقوله: "وفي التاريخ استقصاء أجزاء الخبر المحاكى وموالاتها على حدّ ما انتظمت عليه حال وقوعها... فهذه محاكاة تامّة، ولو أخلّ بذكر بعض أجزاء هذه الحكاية لكانت ناقصة، ولو لم يورد ذكرها إلا إجمالًا لم تكن محاكاة، ولكن إحالة محضة"(١).

– التأثير، وهو حاصل ما تقدم من ضوابط، بل الغاية من "الإحالة"، ومن ورائها الخطاب؛ لأنّ المقصود "محاكاة الشيء بما النفوس له أشد انفعالًا حيث يقصد بسطها نحو شيء أو قبضها عنه"(٢)؛ لذا ندب حازم إلى استعمال هذا الضرب من ضروب المعاني محفوفًا بضابط التأثير في قوله: "وأحقّ هذه الأشياء بأن يستعمل في الأغراض المألوفة من طرق الشعر ما عُرف وتُؤثِّر له، أو كان مستعدًّا لأن يُتأثّر له إذا عُرف وكان في قوّة كل واحد من جمهور من جبلّته في الفهم صالحة أن يتصوّر ذلك إذا عُرِّف به، وذلك كالأخبار التي يحيل عليها الشعراء"(٣).

تتضافر هذه الضوابط في صياغة "الإحالة" صياغةً تمكّنها من تحقيق غائيّة الخطاب الأدبيّ من جهة، ومن أداء وظائفها التي أريدت لها من جهة أخرى.

● **الوظائف:**

كشف حازم عن وظيفة "الإحالة" بالمعاني العلميّة، أو الصناعات في استهجان؛ لما في هذا الضرب من خروج بالشعر عن حقيقته ومقصده؛ إذ قال: "وإنما يورد المعاني العلميّة في كلامه من يريد التمويه بأنّه شاعر عالم، وقد بيّنّا أنّه فعل نقيض

(١)المرجع نفسه، ١٠٥-١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ٢١. لا يخفى أنّ "المعرفة" يستوعبها ضابط "الشهرة" المتقدّم؛ لذا لم أشر إليها. ومن جهة أخرى فإنّ مدار القول هنا التأثير؛ مما هو حاصل عن معرفة سابقة أو تعرّف لاحق.

ما يجب في الشعر"[1]؛ معقِّبًا بما يؤكّد خصوصيّة خطابَي الشعر والعلم، واستقلاليّتهما في صرامة؛ إذ يقول: "فلم يثبت له [يريد قوله: شاعر عالم] أنه قال شعرًا إلّا عند من لا علم له. وأمّا العلم فلا يثبت أيضًا للشاعر بأن يودع شعره معاني منه"[2]؛ نادبًا من أراد إظهار حسن تأليفه، وكمال قدرته في صناعة الشعر إلى أن ينتخب ما تَبِيْن فيه حسن صنعته، ويكون له وقع في النفس واستجابة وتأثير[3].

وأمّا "الإحالة" بالتواريخ والقصص والأخبار فقد أجمل وظائفها حازم بأنّها "إمّا أن تكون الإحالة فيها إحالة تذكرة، أو إحالة محاكاة، أو مفاضلة، أو إضراب، أو إضافة؛ وقد تكون من جهات أُخَر غير هذه"[4].

فماذا قصد حازم بكلّ وظيفة من هذه الوظائف؛ وهل هي متعلّقة بمقصد المنشئ؟ أم بالعلاقة بين المعهود/ الحاضر، والمنشود/ الغائب؟ وهل للمنشئ التصرّف في جهات دلالات الإحالة؟ وما الجهات الأُخَر التي من شأنها أن تمدّ بوظائف أخرى؟

تلك الأسئلة وسواها تنشال على من يتملّى إجمال عبارة حازم التي لم تسلم من الإحالة النصية على ما ورد في منهاجه، وما على الناظر إلا أن يتحرّى ما يفصّل هذا الإجمال من تضاعيفه، ويحاول استقراء ذلك، وتدبّر مواطن وروده؛ ليظفر بما يُبيْن وظائف "الإحالة" في متصوّر حازم القرطاجنّيّ.

- **إحالة تذكرة:**

وقد عنى بها "ما فطرت النفوس على الحنين إليه أو التألّم منه، وبالجملة على ما تتأثّر له النفس تأثّر ارتياح أو اكتراث... كالإحالات على الأخبار القديمة المستحسنة

(١) المرجع نفسه، ٣٠.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ٣١.
(٤) المرجع نفسه، ٢٢١.

وطرف التواريخ المستغربة"[١]؛ ممّا يدلّ على ما تؤدّيه (عمليّة الاسترجاع) [٢] من بعد نفسيّ يستميل المتلقّي، ويعمّق الأثر فيه، ويحمله على الاستحسان، ويترك فيه الاستغراب والدهشة، وهو ما وُصف في النقد الحديث بالقدرة على تنشيط المعنى[٣].

– **إحالة محاكاة:**

فصّل حازم القول فيما عناه بإحالة محاكاة غير أنّ تفصيله لا يخلو من التباس وإشكال؛ إذ يقول: "وإذا أوقعت الإحالة الموقع اللائق بها فهي من أحسن شيء في الكلام؛ فَلِتذكُّر ما مضى من الأمور التي يقلّ نظيرها في ما هي عليه من الأوصاف التي تميل إليها النفوس، أو تنفر عنها، موقعٌ عجيبٌ من النفوس. فتتحرّك النفوس بما قد ارتسم فيها من صفة القصة الأولى إلى اعتقاد القصة الأخرى على مثل تلك الصفة. هذا إذا كانت الإحالة على سبيل المحاكاة"[٤].

أمّا الالتباس؛ فناشئ عمّا تستدعيه عبارة (فَلِتذكُّر) من وهم مشاكلة الوظيفة الأولى (إحالة تذكّر) غير أن ذلك مدفوع بكنه "الإحالة" من حيث كونه تذكُّرًا لا تذكرةً؛ إذ اشتغال الذاكرة بوصل المعهود بالمنشود، وكأنّ المنشئ يريد التذكير بما في المنشود/ النص الغائب؛ استدلالًا بما سيصير إليه المعهود/ النص الحاضر؛ فيحمل بذلك المتلقّي على المماثلة بينهما؛ ممّا يُبيْن مأتى اصطلاح حازم "إحالة محاكاة".

وأمّا الإشكال؛ فمأتاه ما تقدّم نصّه حين فرّق حازم بين المحاكاة والإحالة المحضة في قوله: "فالمحاكاة التامّة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل

(١) المرجع نفسه، ٢٨-٢٩.

(٢) ينظر: د.عاطف جودة نصر، **الخيال: مفهوماته ووظائفه**. (القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دراسات أدبيّة، د.ط، ١٩٨٤م)، ٥٥.

(٣) ينظر: د.مصطفى ناصف، **مشكلة المعنى في النقد الحديث**. (عابدين: مطابع الرسالة، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت)، ١٣٤.

(٤) القرطاجنّي، مرجع سابق، ١٩٠.

تخييل الشيء الموصوف... ولو أخلّ بذكر أجزاء هذه الحكاية لكانت ناقصة، ولو لم يورد ذكرها إلّا إجمالًا لم تكن محاكاة، ولكن إحالة محضة"[1]؛ إذ كيف توصف الإحالة بالمحاكاة التي أفردها حازم عنها، وأخرجها منها؟ وهذا الإشكال مدفوع حين تدبُّر القولتين السابقتين؛ لأنّ المراد من إحالة محاكاة هو توافق المعهود/ الحاضر، والمنشود/ الغائب في مجمل المتن الحكائيّ توافقًا يحمل المتلقّي بحدّ تعبير حازم على اعتقاد المماثلة في الصفة؛ ممّا يهب المعهود قوّة قول المنشود على ما فيها من إجمال؛ لامتلاء الذهن بصفة تلك القصة ومجرياتها بخلاف المحاكاة تامّة أو ناقصة التي تعتمد استقصاء الأجزاء أو إخلال ذكر بعضها في النص؛ مما يعني سرد التفاصيل أو شيئًا منها نصًّا. أمّا الإجمال فليس من المحاكاة، بل هو إحالة محضة وإن كانت على سبيل المحاكاة.

إنّ تدبّر هذا الالتباس، وذاك الإشكال يعمّق استقلال الاصطلاح بوضوح من جهة، ويوسّع أفق وظائفه من جهة أخرى ليس بما بان بين "إحالة تذكرة"، و"إحالة محاكاة" وحسب، بل بما انجّر عن "إحالة محاكاة" من وظائف تُبيْن مستوى العلاقة بين المعهود/ النص الحاضر، والمنشود/ النص الغائب؛ قيّد منها حازم ما هو "مفاضلة، أو إضراب أو إضافة"، وقد أكّد كونها بسبب من سابقتها اعتماد التعبير بمصطلح "إحالة" لكلٍّ من "تذكرة، ومحاكاة"، وتجرّد ما وَلِيَ ذلك من التعبير بـ"إحالة"، وكأنّ "إحالة تذكرة" تجاور "إحالة محاكاة"، والأخيرة تحاور ما عداها من "مفاضلة، أو إضراب، أو إضافة" في ضبط مستوى العلاقة بين المعهود والمنشود.

إنّ هذا التفسير لا يعني الإمساك بهدب التعبير، بل له ما يسوّغه ممّا ذهب إليه حازم بعامّة حين أبان عن وجوه التصرّف في معرض تناوله الطريق الثاني لاقتباس المعاني واستثارتها؛ إذ يقول: "والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال هو ما استند فيه بحث الفكر إلى كلام جرى في نظم أو نثر أو تاريخ أو

(١) المرجع نفسه، ١٠٥-١٠٦.

حديث أو مثل. فيبحث الخاطر في ما يستند إليه من ذلك على الظفر مما يسوغ له معه إيراد ذلك الكلام، أو بعضه بنوع من التصرّف والتغيير... فيحيل على ذلك"[١]؛ مشيدًا بإحداث تلك التأثيرات، ومشيرًا إلى أنّ النظرة السكونيّة تورث المنشئ المذمّة؛ إذ يقول: "فأمّا من لا يقصد في ذلك إلّا الارتفاق بالمعنى خاصّة من غير تأثير من هذه التأثيرات؛ فإنه البكيُّ الطبع في هذه الصناعة، الحقيقُ بالإقلاع عنها، وإراحة خاطره ممّا لا يجدي عليه غير المذمَّة والتعب"[٢].

إنّ هذه القولة تكرّس مبدأين: الأول: مراودة المعنى، وتحفيزه في إطار التحوّل الدلاليّ الذي يعرب عن إحدى الطاقات المحركة للأدبيّة[٣]، والآخر: صناعة التجربة الشعريّة؛ إذ "تنشأ التجارب فقط عندما يتمّ تجاوز المألوف أو تقويضه. إنها تنبثق من تغيير أو تحريف ذلك الشيء"[٤].

لذا تأسّس ما وَلِيَ وظيفة "إحالة محاكاة" من "مفاضلة، أو إضراب، أو إضافة"، وسواها على ما سنّه حازم من حسن التصرّف بالإحالة؛ إذ يقول: "وبحثه في ما استند إليه من تاريخ، على أن يناسب بين بعض مقاصد كلامه وبينه؛ فيحاكيه به، أو يحيل به عليه، أو يستشهد في ذلك على الحديث بالقديم، ويتصرّف فيه بالجملة نحوًا من التصاريف التي قدّمنا ذكرها"[٥]؛ لذا شرع هذا التصرف باب وظائف "الإحالة" بما يغاير ما بين المعهود والمنشود من محاكاة؛ فكانت:

(١) المرجع نفسه، ٣٩.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) ينظر: توفيق الزيدي، **مفهوم الأدبيّة في التراث النقديّ إلى القرن الرابع**. (تونس: سراس للنشر، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ١١٧ .

(٤) فولفغانغ إيزر، **فعل القراءة: نظرية جماليّة التجاوب في الأدب**. ترجمة حميد لحمداني، د.الجلالي الكدية. (فاس: منشورات مكتبة المناهل، د.ط، د.ت)، ٨٦.

(٥) القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ٣٩.

- إحالة مفاضلة؛ أي: عقد مفاضلة بين المعهود والمنشود.
- إحالة إضراب؛ أي: الانتقال إلى ضد المنشود فيما اختار المنشئ من معهود.
- إحالة إضافة؛ أي: زيادة المنشئ في المعهود على ما كان في المنشود.

وهذه الوظائف لـ"الإحالة" لا تندّ عن وجوه التصرّف (القلب، والنقل، والزيادة) التي عيّنها حازم في سياق تبيين أساليب الطريق الثاني من طرق اقتباس المعاني(١).

كما أنها تجعل "الإحالة" مفعمة بالمفاجأة؛ لما تحقّقه من كسر رتابة السياق، وإيقاظ شعور المتلقّي، وتحفيزه للمقايسة بين المنشود والمعهود؛ ممّا يعدّ أحد متطلّبات لغة الشعر في إبداع الدلالة(٢).

وجملة القول: إنّ وظائف "الإحالة" ترتكز على البعد النفسيّ من حيث التأثير في الجمهور، والبعد الفنّيّ من حيث صيانة الائتلاف بين المعهود والمنشود، أو صياغة الاختلاف بينهما.

تركيب

سعى هذا البحث إلى تقريب مصطلح "الإحالة" في الدرس النقديّ، وتقريره في علم مصطلحه، فأبان أهمّيّته ومستوى حضوره في المنجز النقديّ، وتبيَّنَ بعد إنعام نظر في كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" دلالته وفضاءه، ومفهومه، وأنماطه، وضوابطه، ووظائفه، وها هو يرصد مجمل نتائجه:

- تكاد تخلو جلّ الدراسات السابقة من الإشارة إلى مصطلح "الإحالة" لدى حازم الذي حظي بانتباه نزرٍ من الدراسات النقديّة والمصطلحيّة غير أنه لم يلق تناولًا واسعًا، أو تبيينًا يعيّن ما زواه هذا البحث.

- التقط البحث الدلالة اللغويّة المعجميّة لمصطلح "الإحالة" من استعمال لغويّ يمثّل كنه الإحالة من حيث الانتقال بين طرفين يُغني فيه الآخر ما افتقر

(١) ينظر: المرجع نفسه.

(٢) ينظر: د.محمد العبد، **إبداع الدلالة في الشعر الجاهليّ: مدخل لغويّ أسلوبيّ**. (القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م)، ٥١-٥٢.

إليه الأول، وهو ما لم يلتفت إليه من قارب (الإحالة) لغةً. وقد رفد هذا الفضاءَ اللغويَّ الفضاءان: البلاغيُّ، والفلسفيُّ؛ ممّا وسمه بصفويّة الدلالة واستقلالها عن مؤدّى الاستحالة.

– أبان البحث منزلة مصطلح "الإحالة" من مشروع حازم القرطاجنّيّ العلميّ؛ فعيّن مواطنه في سياقات عدّة؛ ليبدو مكتمل الملامح، واضح الأركان، وافر الدلائل الاصطلاحيّة.

– رصد البحث ضربَي "الإحالة" في متصوّر حازم القرطاجنّيّ، وما تفرّع عنهما من أنماط، وموقفه النقديّ والجماليّ حيال ذلك.

– صاغ البحث جملة من ضوابط صناعة "الإحالة" التي ترتدّ إلى ما يحقّق بلاغة التواصل الأدبيّ، ونجاعة التخاطب؛ فاستخلص (الشهرة والوضوح، والتعبير الحسن، والمناسبة بين الطرفين، والإجمال، والتأثير) التي تتّسق ومفهومَ الشعرية عند العرب[1].

– كشف البحث عن وظائف "الإحالة" بضربيها؛ مبينًا مأتى النظر في تعيينها، موضحًا مقاصدها، ومِحَكّ تحديدها، وما بينهما من صلات وفروق.

وإذ يُجمل البحث نتائجه؛ فإنّه يوصي بمقاربة المدوّنة الشعريّة بما قرّ عليه مصطلح "الإحالة"؛ لإدراك هذا المنزع من منازع صناعة المعنى الشعريّ بمصطلح أصيل يستوعب ما راج من مفاهيم مركّبة من نوع: (استدعاء الشخصيات)، أو (استلهام الحوادث)، أو (توظيف التراث)، أو ما جرى مجراها من استيحاء، واستحضار، واستخدام، ويكفّ علم المصطلح النقديّ هذه المكاثرة التي لا تسلم من المجّانيّة.

وعلى الله قصد السبيل؛ نعم المولى والوكيل!

(١) عبّر حازم القرطاجنّيّ بمصطلح "الشعريّة" بسطوع تامّ في قوله: "... وكذلك ظنّ هذا أن الشعريّة في/ الشعر إنما هي نظم أيّ لفظ اتّفق كيف اتّفق نظمه وتضمينه أيّ غرض اتّفق على أيّ صفة اتّفق، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع". القرطاجنّيّ، مرجع سابق، ٢٨.

المصدر والمراجع

المصدر:

القرطاجنّيّ، حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط٣، ١٩٨٦م.

المراجع:

أديوان، محمد. **قضايا النقد الأدبيّ عند حازم القرطاجنّيّ**. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ٢٠٠٤م.

إسماعيل، د. يوسف أحمد. **بناء القصيدة العربيّة في العصر المملوكيّ "البنية الإحاليّة"**. الكويت: حوليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلميّ، الرسالة ٢٢٠، الحوليّة الخامسة والعشرون، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

إيزر، فولفغانغ. **فعل القراءة: نظريّة جماليّة التجاوب في الأدب**. ترجمة حميد لحمداني، د.الجلاني الكدية، فاس: منشورات مكتبة المناهل، د.ط، د.ت.

التهانويّ، محمد علي. **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تحقيق: د.علي دحروج، نقل النص الفارسيّ إلى العربيّة: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبيّة: د.جورج زيناتي. بيروت: لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت.

الجرجانيّ، عبدالقاهر:

- **أسرار البلاغة**. قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر. جدّة: دار المدنيّ، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، ط٥،

١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

حسّان، د.تمّام. **"المصطلح البلاغيّ القديم في ضوء البلاغة الحديثة"**. مجلّة فصول، المجلّد (٧)، العددان (٣،٤)، أبريل–سبتمبر ١٩٨٧م.

الخطيب، صفوت عبدالله. **نظريّة حازم القرطاجنّيّ النقديّة والجماليّة في ضوء التأثيرات اليونانيّة**. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ط١، ١٩٨٦م.

الدمنهوريّ، أحمد. **حلية اللبّ المصون على الجوهر المكنون**. القاهرة: دار إحياء التراث العربيّ، د.ط، ١٩٩٤م.

زيد، عبدالمطلب عبدالمطلب. **المصطلحات النقديّة في التراث العربيّ حتى القرن السابع الهجريّ: دراسة دلاليّة تاريخيّة**. رسالة (دكتوراه)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم البلاغة والنقد الأدبيّ والأدب المقارن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

أبو زيد، علي. **البديعيّات في الأدب العربي نشأتها –تطوّرها– أثرها**. بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الزيدي، توفيق. **مفهوم الأدبيّة في التراث النقديّ إلى القرن الرابع**. تونس: سراس للنشر، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ابن سينا. **فنّ الشعر**، ضمن كتاب: **فنّ الشعر، أرسطو طاليس مع الترجمة العربيّة القديمة وشروح الفارابيّ وابن سينا وابن رشد**. ترجمه عن اليونانيّة وشرحه وحقّق نصوصه: عبدالرحمن بدوي. القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، د.ط، ١٩٥٣م.

طبانة، د.بدوي. **معجم البلاغة العربيّة**. جدّة: دار المنارة للنشر والتوزيع/ الرياض: دار الرفاعيّ للنشر والطباعة والتوزيع، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

العامري، كامل عويد. **معجم النقد الأدبيّ**. بغداد: دار المأمون، ط١، ٢٠١٣م.

عباس، د.عباس عبدالحليم. **المصطلح النقديّ عند حازم القرطاجنّيّ: معجم ودراسة نقديّة**. عمّان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.

العبد، د.محمد. **إبداع الدلالة في الشعر الجاهليّ: مدخل لغويّ أسلوبيّ**. القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٨٨م.

عبدالرحمن، منصور محمد علي. **مصادر التفكير النقديّ والبلاغيّ عند حازم القرطاجنّيّ**. القاهرة: دار البلاغة للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٧٠م.

عبدالمطلب، د. عمر إدريس. **حازم القرطاجنّيّ: حياته ومنهجه البلاغيّ**. عمّان: دار الجنادرية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٩م.

عبدالنور، جبّور. **المعجم الأدبيّ**. بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤م.

عزّام، محمد. **المصطلح النقديّ في التراث الأدبيّ العربيّ**. بيروت: دار الشرق العربيّ، د.ط، د.ت.

فرنسيس، مريم. **في بناء النصّ ودلالته (محاور الإحالة الكلاميّة)**. دمشق: مطابع وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٨م.

القزوينيّ، الخطيب. **الإيضاح**، حقّقه وعلّق عليه وفهرسه: د. عبدالحميد هنداوي. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

القيروانيّ، أبو علي الحسن بن رشيق. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. حقّقه، وفصّله، وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

لغزيوي، د.علي. **نظريّة الشعر والمنهج النقديّ في الأندلس: حازم القرطاجنّيّ نموذجًا**. فاس: مطبعة سايس، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

المتوكّل، أحمد. **الخطاب وخصائص اللغة العربيّة: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط**. الرباط: دار الأمان، ط١، ٢٠١٠م.

مطلوب، د.أحمد:

- **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**. بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، د.ط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **معجم النقد العربيّ القديم**. بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١٩٨٩م.

الملخ، حسن خميس. **استخدام المصطلحات النحويّة في الشعر**. (الكويت: المجلة

العربيّة للعلوم الإنسانيّة، مجلس النشر العلميّ، ع٨٩، السنة ٢٣، شتاء ٢٠٠٥م).

ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

المومني، قاسم. **موقف حازم القرطاجنّيّ من الاسترفاد بالشعر**. مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، (العدد المزدوج ٢٨-٢٩، شوّال ١٤٠٥هـ ربيع الثاني ١٤١٦هـ/ السنة التاسعة تموز –كانون أول ١٩٨٥م).

ناصف، د.مصطفى. **مشكلة المعنى في النقد الحديث**. عابدين: مطابع الرسالة، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.

نصر، د.عاطف جودة. **الخيال: مفهوماته ووظائفه**. القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دراسات أدبيّة، د.ط، ١٩٨٤م.

وهبه، مجدي. المهندس،كامل. **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**. بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

Bibliography

Source

Al-Qartajani, Hazem, The curriculum of the rhetoricians and the Siraj of the writers. Presented and authenticated by: Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khoja. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 3rd edition , 1986 AD.

References

Adwan, Muhammed. Issues of literary criticism at Hazem Al-Qartajani . Casablanca: New Success Press, 1st edition, 2004 AD.

Ismail, Dr. Yusuf Ahmed. The construction of the Arabic poem in the Mamluk era "The referential Structure". Kuwait: journal of Arts and Social Sciences, Kuwait University, Scientific Publication Council, Dispatch 220, journal Twenty-fifth 1324 – 1426 AH/ 2004 – 2005 AD.

Iser, Wolfgang. The act of reading: A responsive aesthetic theory in literature. Translated by Hamid LHamdani, Dr. Al-Jalani Al-Kidiyah, Fez: Al-Manahil Library Publications, No Edition, No Date.

Al-Thanawy, Muhammad Ali. Encyclopedia of a Scout of Art and Science. Presentation, supervision and review by: Dr. Rafiq Al-Ajam, verification by: Dr. Ali Dahrouj, translating the Persian text into Arabic: Dr. Abdullah Al-Khalidi, foreign translation: Dr. George Zeithai. Beirut: Lebanon Publishers, 1st Edition, 1996 AD.

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. Statement and clarification. Verification and explanation by: Abdul Salam Muhammad Haroun. Beirut: Dar Al-Jeel, No Edition, No Date.

Al-Jurjani, Abdel-Qaher:

- Secrets of Rhetoric. Read and commented on it by: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shakir. Jeddah: Dar Al- Madany, 1st edition,1412 AH/ 1991 AD.
- Evidence of miracles, read and commented on it by: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker. Riyadh: Al-Maaref Library for Publishing and Distribution/ Cairo: Publisher Al-Khanji Library, 5th edition, 1424 AH/ 2004 AD.

Hassan, Dr. Tammam. The ancient rhetorical term in the light of modern rhetoric. Fosoul Magazine, Volume (7), Issues (3,4), April-September 1987 AD.

Al-Khatib, Safwat Abdullah. Hazem Al-Qartajani Critical and Aesthetic Theory in the Light of Greek Influences.

Cairo: Nahdet al-Sharq library, 1st edition, 1986 AD.

Al- Damanhouri, Ahmed. Ornament of the preserved core of the hidden essence. Cairo: Arab Heritage Revival House, No Edition, 1994

Zaid, Abdul Muttalib Abdul Muttalib. Critical terms in the Arab

heritage until the Hijri seventh century: a historical semantic study. Thesis (PhD), Cairo University, Faculty of Dar Al Ulum, Department of Rhetoric, Literary Criticism and Comparative Literature, 1409 AH, 1989 AD.

Abu Zeid, Ali. The Badiyat in Arabic Literature: Its Origin, Evolution - Its Impact. Beirut: World of Books, 1st Edition, 1403 AH/1983 AD.

Al-Zaidi, Tawfiq. Literary concept in critical heritage to the fourth century. Tunisia: Serras Publishing, 1st Edition,1405 AH/ 1985 AD.

Ibn Sina. The Art of Poetry in a Book: The Art of Poetry, Aristotle Thales with the Old Arabic Translation and Commentaries by Al-Farabi, Ibn Sina and Ibn Rushd. Translated from Greek, explained and verified by: Abd al-Rahman Badawi. Cairo: The Egyptian Renaissance Library, No Edition, 1953 AD.

Tabana, Dr. Bedouin. Dictionary of Arabic Rhetoric. Jeddah: Dar Al-Manara for Publishing and Distribution / Riyadh: Dar Al-Rifai for Publishing, Printing and Distribution, 3rd Edition, 1408 AH / 1988 AD.

Al-Amri, Kamel Owaid. Lead Criticism Dictionary. Baghdad: Dar Al-Mamoun, 1st edition, 2013 AD.

Abbas, Dr. Abbas Abdel Halim. The Critical Terminology of Hazem Al- Qartajani: A Dictionary and Critical Study. Amman: Dar Jalis Al-Zaman for Publishing and Distribution, 1st edition, 2012 AD.

Al-Abed, Dr. Mohammed. Creativity of semantics in pre-Islamic poetry: a linguistic and stylistic approach. Cairo: Dar Al-Maaref, 1st edition, 1988 AD.

Abdel-Rahman, Mansour Mohamed Ali. Sources of critical and rhetorical thinking of Hazem Al- Qartajani. Cairo: Dar Al Balagha for Printing and Publishing, No Edition, 1970 AD.

Abdulmutallab, Dr. Omar Idris. Hazem Al- Qartajani: His Life and Rhetorical Approach. Amman: Dar Al-Janadriyah for Publishing and Distribution, No Edition, 2009 AD.

Abdelnour, Jabbour. Literary dictionary. Beirut: House of Science for Millions, 2nd Edition, ;1984 AD.

Azzam, Muhammad. Critical term in the Arabic heritage. Beirut: Dar Al Sharq Al Arabi, No Edition, No Date.

Francis, Mariam. In the construction of the text and its significance (the axes of verbal reference). Damascus: Ministry of Culture Press, No Edition, 1998 AD.

Qazvini, Al- Khateeb. The clarification, verified and commented on and indexed by: Dr. Abdul Hamid Hindawi. Cairo: Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, 2nd Edition, 1424 AH/ 2003 AD.

Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hassan bin Rashaeeq. Mayor in the merits

of poetry, literature and criticism. Edited, described, and commented on his footnotes: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. Beirut: Dar Al-Jeel, 5th Edition, 1401 AH / 1981 AD.

Laghziwi, Dr. Ali. Poetry Theory and Critical Approach in Andalusia: Hazem Al- Qartajani as an example. Fez : Saiss Press, 1st edition, 1428 AH/ 2007 AD.

Al-Mutawakel, Ahmed. Discourse and Characteristics of the Arabic Language: A Study of Function, Structure and Style. Rabat: Dar Al-Aman, 1st Edition, 2010 AD. In Demand , Dr. Ahmed:

- Dictionary of rhetorical terms and its development. Baghdad: Iraqi Scientific Academy Press, d., 1403 AH / 1983 AD.
- Dictionary of ancient Arabic criticism. Baghdad: House of General Cultural Affairs, Ministry of Culture and Information, 1st Edition, 1989 AD.

Al-Malkh, Hassan Khamis. The use of grammatical terms in poetry. (Kuwait: The Arab Journal for the Humanities, Scientific Publication Council, Issue 89, year 23, winter 2005 AD).

Ibn Manzur, Jamal al-Din. Arabes Tong. Beirut: Dar Sader, 3rd edition, 1414 HD/1994 AD.

Al-Momani, Qasim. Hazem Al-Qartajani ‘s approach on poet roots . Journal of the Arabic Language Academy, Jordan, (double issue 28-29, Shawwal 1405 AH, Rabi` al-Thani 1416 AH / the ninth year, July-December 1985 AD).

Nassef, Dr. Moustafa. The problem of terms meaning in modern criticism. Abdeen: Al-Risala Press, Youth Library, No Edition, No Date.

Nasr, Dr. Atef Gouda. Imagination: Its Concepts and Functions. Cairo: The Egyptian General Book Authority, Literary Studies, No Edition, 1984 AD.

Wehbe, Magdy. Al- Mohandes, Kamel. Dictionary of Arabic terms in language and literature. Beirut: Library of Lebanon, 2nd Edition, 1984 AD.

فاعلية برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

The Effectiveness of A Program Based on Employing Arabic Proverbs To Develop Reading Comprehension Skills Among Non-Native Arabic Language Learners

د. عبد الرحمن ضيف الله حمدان الهرساني

الأستاذ المساعد بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الالكتروني: alhersani@gmail.com

المستخلص

هدف هذا البحث إلى تحديد مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وبناء برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية تلك المهارات لديهم، وقياس فاعليته في تنميتها. ولتحقيق هذه الأهداف أعد الباحث مجموعة من الأدوات تمثلت في بناء قائمة مهارات الفهم القرائي، ثم تصميم برنامج لتدريس تلك المهارات من خلال توظيف الأمثال العربية، وتصميم اختبار لمهارات الفهم القرائي.

وبعد التأكد من ثبات الأدوات وصدقها، قام الباحث بتطبيق تجربة البحث على عينة البحث التي تكونت من (١٤) طالبًا من طلاب المستوى الثالث في برنامج الإعداد اللغوي في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستخدم الباحث المنهجين الوصفي وشبه التجريبي؛ للتحقق من فاعلية برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية (المتغير المستقل) في تنمية مهارات الفهم القرائي (المتغير التابع)، لدى طلاب المستوى الثالث في معهد تعليم اللغة العربية، من خلال مقارنة نتائج مجموعة الدراسة في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار مهارات الفهم القرائي.

وكان من أهم نتائج البحث التوصل إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي، تضمنت (٥) مهارات رئيسة تفرع عنها (١٧) مهارة فرعية، وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي لعينة البحث في مهارات الفهم القرائي، تعزى إلى تطبيق برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية، وفي ضوء هذه النتائج قدم الباحث مجموعة التوصيات والبحوث المقترحة.

الكلمات المفتاحية: برنامج، الأمثال العربية، مهارات الفهم القرائي، متعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى.

Abstract

The aim of this research is to determine the reading comprehension skills, which are needed for learners of Arabic who are non-natives. This research also aims to build a program based on employing Arabic proverbs to develop these skills for the learners, and to measure its effectiveness in developing these skills for them. To achieve these goals, the researcher prepared a set of tools, which are setting up a list of reading comprehension skills, designing a program to teach these skills by employing Arabic proverbs and designing a test for reading comprehension skills.

After ensuring the reliability and validity of the tools, the researcher applied the research experiment to the research sample, which consisted of 14 third-level students in the language preparation program at the Institute of Arabic Language Teaching at the Islamic University of Madinah. The researcher used the descriptive and quasi-experimental approaches in order to verify the effectiveness of a program based on employing Arabic proverbs (Independent Variable) in Developing Reading Comprehension Skills (Dependent Variable), for third level students at the Institute of Arabic Language Teaching. These approaches were used by comparing the results of the study group in the two applications: pre and post to test reading comprehension skills.

One of the most important results of this research was to reach a suggestion of a list of reading comprehension skills, which included 5 main skills and 17 sub-skills, which were branched from the main skills. The research results also indicated that there was a presence of statistically significant differences between the pre and post measurements of the research sample in reading comprehension skills, attributed to the application of a program based on the employment of Arabic proverbs. Finally, in light of these results, the researcher presented a number of recommendations and proposed possible future research.

Keywords: Program, Arabic Proverbs, Reading Comprehension Skills, Arabic language learners who speak other Languages.

الإطار العام

المقدمة:

القراءة واحدة من مهارات اللغة، وهي سبيل لنجاح الفرد في حياته الخاصة والعامة، ونافذة للاطلاع على العالم في شتى الأزمنة. وهي سبيل العلم والمعرفة. وعلى الفرد أن ينمي مهاراته ليفهم ما يقرأه، لاسيما إن كانت قراءته في سبيل تعلم لغة غير لغته الأم.

وقد أشارت الدراسات إلى أن هناك ضعفًا في مهارات القراءة لدى متعلمي العربية من أهلها كدراسة (الحوامدة والبليهد، ٢٠١٦م)[١] أو عند تعلمهم لغة أجنبية كدراسة (أبرار العبدالعالي وهنادي الرشيدي، ٢٠١٧م)[٢].

وتأتي هذه الدراسة لتنمية مهارات الفهم القرائي من خلال برنامج قائم على الأمثال العربية، التي تعد ذات أهمية لمتعلم اللغة، فهي تكسبه اللغة في إطارها الطبيعي، وتكشف له جوانب من خصائص العربية، مع ما تمتاز به من التنوع في الأساليب، من خبر وإنشاء واستفهام، إضافة إلى السهولة والوضوح مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى شعرً ونثرًا، وكل ذلك يسهل للمتعلم حفظها، والاستشهاد بها في أثناء حديثه وكتابته[٣].

(١) محمد فؤاد الحوامدة، وفيصل حمود البليهيد، "فاعلية إستراتيجية القراءة الموجهة في تحسين بعض مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السادس الابتدائي"، (دراسات، العلوم التربوية، ع١، م٤٣، ٢٠١٦)، ص: ١٧٥-١٩٢.

(٢) أبرار بنت عبد العزيز العبد العالي، وهنادي بنت هليل الرشيدي، "تقويم نشاطات التعلم بكتاب اللغة الإنجليزية للصف الثاني الثانوي في المملكة العربية السعودية في ضوء مهارات الفهم القرائي"، (مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع ٣، م ١، إبريل ٢٠١٧).

(٣) محمود أسماعيل صالح، وآخرون، **معجم الأمثال العربية**، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢م)، انظر مقدمة المعجم (ز-ص)

والأمثال العربية جنس أدبي، ومصدر من مصادر اللغة، تحمل في طياتها تجارب حياتية، وملامح ثقافية، والتمثل بها له أثر بالغ في جمال الكلام، وقبوله والإقناع به. وكان اختيار الأمثال في هذه الدراسة؛ لأنها ذات طابع إنساني، ولما تتميز به من الإيجاز الذي يحقق مبدأ التدرج، وهو من المبادئ المهمة في تعليم الناطقين بغير العربية(١).

ومتعلم اللغة سترد عليه حتماً جملة من الأمثال، يسمعها أو يقرأها في مواقف مختلفة، ومعرفته لها، وللموقف الذي تقال فيه، يمكنه من استخدامها في حديثه وكتابته، ويكشف له جانباً من ثقافة اللغة وأهلها، وذلك يتفق مع حقيقة أنه لا يمكن تعليم اللغة بمعزل عن الثقافة.

وعند تطبيق هذا البرنامج لاحظ الباحث تفاعل المتعلمين واهتمامهم، لكون المثل مألوفًا لديهم، فلكلّ أمة أمثالها، إضافة لما تتميز به الأمثال من الإيجاز، وما تضفيه قصة المثل من عناصر الإثارة والتشويق لهم. وكذلك احتواء النصوص المقدمة لهم على كثير من المعاني التي تحقق مهارات الفهم القرائي التي تستهدف هذه الدراسة تنميتها.

ونظرًا لغموض بعض المعاني وغرابة بعض الألفاظ، لجأ الباحث إلى التصرف في صياغة النصوص مع الإشارة لمصدرها الأصلي. وكذلك شرح معنى ما يخفى من الألفاظ من خلال ذكر المعنى المباشر، أو من خلال التدريبات التي تعقب النص، مع مراعاة الضبط بالشكل لكل النصوص المقدمة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المهارات التي تمكنهم من الفهم القرائي، ويزداد هذا الضعف في قراءة النصوص الأدبية حيث لاحظ الباحث من خلال تدريس مقرر النصوص الأدبية ضعف المتعلمين في مهارات الفهم القرائي، فجاءت هذه الدراسة لتسهم في تنمية

(١) رشدي طعيمة ومحمد علاء الدين الشعيبي، **تعليم القراءة والأدب، إستراتيجيات مختلفة لجمهور متنوع**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م) ص:٤٨٩

مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من خلال برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي. وقد أشارت الدراسات إلى الضعف في مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة الناطقين بلغات أخرى منها: دراسة (الحديبي ٢٠١٣) [١] ودراسة (مرسي ٢٠١٨م)[٢] ودراسة (الجنوبي ٢٠٢٠م)[٣].

وللتصدي لهذه المشكلة يطرح الباحث الأسئلة الآتية:

١. ما مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية؟
٢. ما مكونات البرنامج القائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي؟
٣. ما فاعلية البرنامج القائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي؟

أهداف البحث

١. بناء قائمة بمهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.
٢. بناء برنامج قائم على الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي.
٣. قياس فاعلية برنامج قائم على الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي.

(١) علي عبدالمحسن الحديبي، "تأثير استراتيجية أتقن المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، (جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مج ٢٧، ع، ١٠٦، ٢٠١٣م) ص١٩١.

(٢) عمرو مختار مرسي، "برنامج قائم على مدخل القراءة الاستراتيجية لتنمية مهارات فهم المقروء لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". الجمعية التربوية لتدريس اللغات، العدد الثاني يوليو ٢٠١٨م.

(٣) عبدالله أحمد راشد الجنوبي، "أثر استراتيجية التعليم المتمايز في تنمية فهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" مجلة التربية، جامعة الأزهر – كلية التربية، ع١٨٦، ج٢، مصر، ٢٠٢٠م

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث من خلال ما يلي:

١. تعرف المتعلم بالأمثال العربية، وتنمي لديهم مهارات الفهم القرائي.

٢. تنمي الكفاية التواصلية للمتعلم، من خلال تعرف الأمثال، والمواقف التي تضرب فيها، واستعمالها في حديثه وكتابته.

٣. تسهم في فهم الثقافة العربية، وتنمي الذوق الأدبي للمتعلم.

٤. تفتح الطريق أمام الباحثين ومعلمي اللغة ومصممي المناهج في مجال الدراسات الأدبية.

حدود البحث:

التزم هذا البحث بالحدود الآتية:

١. الحدود الموضوعية: مهارات الفهم القرائي والتي قسمت إلى مهارات خمسة متدرجة تبدأ بالفهم الحرفي فالقرائي فالناقد فالتذوقي فالإبداعي.

٢. الحدود البشرية: طلاب المستوى الثالث في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣. الحدود المكانية: معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٤. الحدود الزمنية: طُبّقت تجربة البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٤٣هـ.

مصطلحات البحث:

الأمثال العربية:

الأمثال العربية: المثل: جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها،

من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها(١).

ويعرفها الباحث إجرائيا بأنها: جمل موجزة بليغة قيلت في موقف معين، وتوارثتها الأجيال عند حدوث موقف مشابه.

الفهم القرائي:

يعرفه الباحث إجرائيًّا بأنه مجموعة العمليات والإجراءات العقلية التي يقوم بها المتعلم للوصول إلى المعاني الصريحة والضمنية في الأمثال العربية، وما يتعلق بها من قصة المثل والموقف الذي يضرب فيه.

متعلمو اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى: هم الأفراد الذين ليست اللغة العربية لغتهم الأصلية، ويلتحقون بأحد البرامج المقدمة لتعلمها سواء داخل بلدانهم أم خارجها؛ لفهم النظام اللغوي والمعاني الثقافية للغة العربية واكتسابها وتنظيمها وتخزينها(٢).

ويعرفهم الباحث إجرائيا الأفراد الذين لغتهم الأصلية غير اللغة العربية، والتحقوا ببرنامج تعليم اللغة لدراسة اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، (بيروت: دار الكتب العلمية –،١٩٩٨م) نقلا عن المرزوقي في شرح الفصيح، ص٣٧٥

(٢) علي عبدالمحسن الحديبي، مرجع سابق، ص١٩١.

الإطار النظري للبحث

ينطلق الباحث في عرض الخلفية النظرية من خلال محورين على التفصيل الآتي:

المحور الأول: الأمثال العربية:

في هذا المحور يعرف الباحث بالمثل في اللغة ويعرج على شيء من خصائصه، ويبين أهميته لمتعلم اللغة خاصة، ويختم بإلماحة عن واقع الأمثال العربية في مناهج متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

معنى المثل:

المثل جنس أدبيّ، ويقصد به: "الشَّيْءُ الَّذِي يُضرَب لِشَيْءٍ مِثْلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَه، وَفِي الصِّحَاحِ: مَا يُضرَب بِهِ مِنَ الأَمْثال. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: ومَثَلُ الشَّيْءِ أَيضاً صِفَتُهُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) سورة الرعد، آية:٣٥[(١)].

وللمثل خصائص يختص بها، جمع صاحب العقد الفريد طرفًا منها بقوله: "هي وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدّمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان وعلى كل لسان. فهي أبقى من الشّعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل[(٢)].

ونظرا للأهمية اللغوية للأمثال العربية والقيمة الأدبية؛ فقد حظيت باهتمام العلماء واللغويين، فصنفت فيها المؤلفات، التي تعنى بجمعها وتبويبها وذكر مناسباتها والمواقف التي تضرب فيها.

---

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين (بيروت، دار صادر، ط ٣- ١٤١٤ هـ)، ص٦١١.

(٢) أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، **العقد الفريد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ج٣، ١٤٠٤ هـ) ص٣.

أهمية الأمثال العربية لمتعلم اللغة العربية:

تعد الأمثال العربية مرجعًا لدراسة اللغة والأدب، والتعرف على مظاهر الثقافة العربية عبر تاريخها الطويل. ويلخص الزمخشري أهميتها في قوله عنها: (هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمتها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت عن القرائح السليمة، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح)(١).

كما أن في ضرب المثل توضيح للمعنى، وتقريب له في ذهن السامع، وفي ذلك يقول اليوسي: (إن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعمى عن اللبس)(٢).

وتظهر أهمية الأمثال العربية لمتعلم اللغة، في تنمية ثروته اللغوية من خلال مفردات المثل، وما يصحبه من ذكر لقصته، والموقف الذي يضرب فيه. كما أن المثل بوصفه تركيبًا، يزيد من ألفة المتعلم للتراكيب العربية، ويدعوه لمعرفة المزيد من تراكيب اللغة العربية، إذ ترد الأمثال في تراكيب مختلفة بين النفي والإثبات والاستفهام إلى غير ذلك.

ويذكر الدكتور محمود إسماعيل أن هناك جانبًا تربويًا تتضمنه الأمثال العربية بدعوتها إلى كثير من الأخلاق الحسنة والتحذير مما يضادها(٣).

وتعكس الأمثال العربية كثيرًا من الجوانب الثقافية، التي تشمل عادات العرب

(١) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **المستقصى في أمثال العرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧) ص٢.

(٢) الحسن اليوسي، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: د. محمد حجي، ود. محمد، الشركة الجديدة (المغرب: دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١م) ص٣٤.

(٣) صالح، وآخرون، مرجع سابق، انظر مقدمة المعجم (و).

وتقاليدهم، وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية، والمثل التي يتحلون بها، ولذلك حرص الباحث عند اختيار الأمثال العربية، التي تضمنها البرنامج المقدم لمتعلمي اللغة أن تمثل جوانب متعددة من ثقافة العرب، كالوفاء بالوعد والكرم.

ومن خلال تنفيذ البرنامج لاحظ الباحث حرص المتعلمين على فهم الأمثال، والمواقف التي تضرب فيها، ورغبتهم في توظيفها في أثناء حديثهم وكتاباتهم، وذلك لما تتميز به من الإيجاز الذي ييسر حفظها، والإثارة التي تتضمنها قصة المثل.

واقع تدريس الأمثال في مناهج متعلمي اللغة:

يعد ورود المثل نادرًا في مناهج تعليم اللغة العربية، خاصة في المستوى المبتدئ، وعند ورودها في فإنها لا تحظى بالشرح الوافي، الذي يبين شيئا من خصائصا، أو المناسبة التي قيلت فيها، والموقف الذي يمكن أن تضرب فيه. وفي المستوى المتقدم وتحديدًا في المستوى الرابع، حظيت الأمثال بدرس واحد فقط، في مقرر النصوص الأدبية، وهو درس يجمع بين الأمثال والحكم.

وبما أن الأمثال جنس أدبي، فإن تدريس الأدب في برامج تعليم اللغات الأجنبية عمومًا قد مرّ بمرحلتين، الأولى: كان الأدب فيها محور العملية التعليمية، كما في طريقة النحو والترجمة. أما المرحلة الثانية: فكانت على النقيض من سابقتها، فقد أهمل الأدب، وحلّ محله التركيز على مهارات الاتصال، وكان ذلك إيذانا بظهور طرق جديدة في تعليم اللغة الأجنبية، منها: الطريقة المباشرة والمدخل السمعي والشفوي(١).

المحور الثاني: مهارات الفهم القرائي:

وفي هذا المحور يستعرض الباحث تعريف الفهم القرائي، ويبين مهاراته، ويختم بدور الأمثال العربية في تنمية تلك المهارات.

لم تعد القراءة مجرد القدرة على فك الرموز المكتوبة، إذ ذلك تعريف لمصطلح القراءة في أبسط صورها، أما التعريف الأشمل فهو يتعدى ذلك ليصل إلى فهم

(١) رشدي طعيمة ومحمد علاء الدين الشعيبي، مرجع سابق، ص٤٦٠-٤٦١

مدلولات تلك الرموز، مع القدرة على تحليل النص المقروء ومناقشته ونقده.

والمهارة الأساسية للفهم القرائي، هي ما يمتلكه المتعلم من حصيلة لغوية، تمكنه من إدراك المعنى، سواء المعنى الحرفي المباشر، أو المعنى الضمني الدقيق لما يقرأه من مفردات وجمل ونصوص(١).

وقدمت العديد من التعريفات للفهم القرائي، تبعًا للدواعي والدارسات التي اهتمت بدراسته، ومحاولة تنميته. وقد صنف الدكتور الحديبي تلك التعريفات وفقًا لخمسة محاور، بحسب النظرة إلى الفهم القرائي بوصفه عملية عقلية، أو ربطا بين الرمز المكتوب والمعنى، أو تفاعلًا مع النص، أو استنتاجًا للمعاني التي تضمنها، أو استخدامًا للخبرة السابقة للتوصل إلى المعنى المتضمن في النص(٢).

ومهارة الفهم تتضمن عددًا من المهارات الفرعية، تهدف إلى تحقيق الغرض من القراءة، وقد وجد الاختلاف في تحديد مهارات الفهم القرائي؛ ولذلك صنفت في مستويات، تختلف من ناحية العدد، وتتفق من ناحية الإحاطة بمعظم المهارات. فمن الباحثين من جعلها في ثلاث مستويات، مثل: رشدي طعيمة من خلال التقسيم الآتي:

أولًا: الفهم الحرفي: ويقصد به قراءة السطور.

ثانيًا: الفهم التفسيري: ويقصد به قراءة ما بين السطور.

ثالثًا: الفهم التطبيقي: ويقصد به قراءة ما وراء السطور.

وتندرج تحت كل مستوى من هذه المستويات عدد من المهارات(٣). ووافقه على هذا التقسيم كمال زعفر علي(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص٩١.

(٢) علي عبدالمحسن الحديبي، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٣) رشدي طعيمة ومحمد علاء الدين الشعيبي، مرجع سابق، ص٩٢-٩٣.

(٤) كمال زعفر علي، **القراءة والمحادثة في ضوء منهج تكاملي**، (الدمام، مكتبة المتنبي، ٢٠١١م. ص٣٨-٤٣.

ومنهم من جعلها في أربعة مستويات، مثل: (دراسة الحوامدة: ٢٠١٥) و(الأسعد: ٢٠١٢) و(هاريس وسميث:١٩٧٢)، وغيرهم. وتمثلت هذه المستويات في المستوى الحرفي ويشير إلى المعاني الحرفية المباشرة من النص ثم المستوى الاستنتاجي ويشير إلى القدرة على استخراج المعاني من النص وتفسيرها، ثم المستوى الناقد أو التقويمي ويشير إلى القدرة على إصدار الأحكام التي تتعلق بالنص المقروء وآخرها المستوى الإبداعي الذي يشير إلى قدرة المتعلم على الابتكار والقدرة على الإتيان بالجديد على مستوى اللفظ والمعنى والفكرة وغير ذلك(١).

وكذلك منهم من جعلها في خمسة مستويات، مثل (الحديبي: ٢٠١٣)، وتمثلت هذه المستويات في: الفهم الحرفي والاستنتاجي والناقد والتذوقي والإبداعي.

واختار الباحث التصنيف ذا الخمسة مستويات؛ لاستقلالية كل مستوى بمهارات محددة ودقيقة، بعد إفادته من التصنيفات السابقة، وأعد في ضوء ذلك قائمة بمستويات مهارات الفهم القرائي المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

وعلى الرغم من اختلاف التصنيفات، إلا أنها تتفق في شكلها العام، وتختلف في التفاصيل، كما تتفق في التدرج في المهارات بدءا من الفهم الحرفي، وانتهاء بالفهم الإبداعي.

والغرض من تحديد مهارات الفهم القرائي، إعانة المعلم في تحديد نواتج التعلم التي يستهدفها في النص المقروء، وصياغتها بدقة تمهيدا لقياسها، كما أنها ترشده ليستخدم الطريقة المناسبة في تدريس تلك المهارات، كما تساعده في التركيز على الأنشطة والتدريبات، التي تنمي مهارات الفهم القرائي لدى المتعلمين(٢).

(١) محمد الحوامدة، "فاعلية إستراتيجية الكيتسو في تنمية مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السابع الأساسي في الأردن"، (العلوم التربوية، مج: ٤٨، ع:٣، ٢٠٢١) ص١

(٢) المرجع السابق، ص١.

دور الأمثال العربية في تنمية مهارات الفهم القرائي:

المعنى ركن أساس في كل نصّ أدبي، ويأخذ المعنى أشكالًا مختلفة من حيث الوضوح والغموض، ويدخل في ذلك عوامل كثيرة منها: خبرة القارئ، وألفته للمعاني المطروقة، وسعة ثروته اللفظية. ولذلك يشير مدكور أنّ فهم المعنى مفتاح التذوق للنص الأدبي، فالمتعلم لا يمكنه تذوق الأدب إلا إذا ألمّ بمهارات الفهم القرائي وأدرك العلاقات بينها [(١)]وحينئذ يستطيع فهم ما يقرأ، ويدفعه ذلك إلى المزيد.

ويذكر ابن خلدون أن من أسباب التذوق والإبداع كثرة مطالعة النصوص الجميلة من الكلام العربي، والاستمرار على ذلك دون كلل، وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول نظمًا ونثرًا[(٢)].

ويؤكد ابن خلدون على أهمية الفهم، وأن حفظ النصوص الأدبية شعرا ونثرا دون فهمها لا يحقق له الملكة إذ يقول في معرض حديثه عن الأدب: "لا يخفى على النّاظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه لأنّه لا تحصل الملكة من حفظه إلّا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقّف عليه فهمه"[(٣)].

ويذكر طعيمة أن الاتصال بالكتابات الأدبية ييسر للمتعلم أن يقف على مستويات راقية من الاستخدام اللغوي، سواء من حيث انتقاء المفردات، أو من حيث بناء التراكيب، أو من حيث العلاقات الخاصة التي ينشئها الأديب بين المفردات والتراكيب، فضلا عن أن هذا الاتصال يكسبه قدرة على فهم أسرار اللغة، وإدراك الفروق بين الاستخدامات اللغوية المحدودة التي تعلمها، والاستخدامات المجازية التي

(١) علي أحمد مدكور، **تدريس اللغة العربية**، (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م) تدريس ص١٨٥-١٨٦.

(٢) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (بيروت، لبنان، دار القلم، ١٩٨٧م) ص٥٤٦-٥٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص٧٦٣

يبدع الأدباء في استخدامها(١).

والأمثال العربية بما تتميز به من إيجاز العبارة، وعمق المعنى، ميدان فسيح لتنمية مهارات فهم المقروء لدى متعلم اللغة الناطقين بلغات أخرى، بجانب العديد من المهارات الأدبية والتربوية وغيرها. ولذلك يمكن أن تكون مدخلًا لدراسة شيء من آداب اللغة العربية، التي تعدّ علامة فارقة في إجادة المتعلم للغة العربية.

الدراسات السابقة:

المحور الأول: دراسات عنيت بالأدب في تعليم الناطقين بغير العربية:

١. دراسة العناتي (٢٠٠٩م) بعنوان: "**رؤى لسانية في تدريس القصة للناطقين بغير العربية**".

هدفت الدراسة إلى تقديم طريقة في تدريس القصة للناطقين بغير العربية، منطلقة من تصور نظري مفاده: أهمية القصة في دروس تعليم اللغات الأجنبية. وانبنت على مبحثين، الأول: منزلة الأدب في دروس تعليم اللغات الأجنبية، والثاني: رؤى لسانية في تدريس القصة القصيرة للناطقين بغير العربية، وانطوت الدراسة على نموذج وحدة دراسية مذيلة بنماذج اختبارية لقياس الكفاية اللغوية في العربية.

٢. دراسة البراء (٢٠١٣م) بعنوان: "**الأساليب البلاغية اللازمة لطلاب المستوى المتقدم من الناطقين بغير العربية الواقع والمأمول**"

هدفت الدراسة إلى بيان دور البلاغة في تنمية الذوق لدى متعلمي اللغة الناطقين بغيرها، وتحليل واقع موضوعات البلاغة العربية في الكتب المؤلفة لهم، للوصول إلى تصور بالموضوعات اللازم تدريسها في المستوى المتقدم.

وكان من نتائج هذه الدراسة:

– البلاغة جزء أصيل لا يتجزأ من عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

– تمكن البلاغة المتعلمين من فهم أسرار الإعجاز البلاغي في القران الكريم

(١) رشدي طعيمة ومحمد علاء الدين الشعيبي، مرجع سابق، ص٤٦٨-٤٦٩.

والحديث النبوي.

- لم تتناول الكتب الموجهة لغير الناطقين العربية الموضوعات البلاغية تنظيرا وتطبيقا.

٣. دراسة بساطي(٢٠١٦م) بعنوان "**أسس ومعايير اختيار النصوص الأدبية للناطقين بغير العربية**"

هدفت الدراسة إلى وضع أسس لاختيار النصوص الأدبية المناسبة للناطقين بغير العربية، وتحديد معايير اختيار محتوى هذه النصوص، وتحديد المستوى المناسب لتقديم النصوص الأدبية لمتعلمي اللغة العربية من غير أهلها. واتبعت المنهج الوصفي، وتوصل الباحث للنتائج الآتية: عند اختيار محتوى النصوص الأدبية يجب مراعاة الأسس النفسية والتربوية واللغوية والثقافية للدارسين. وأن يكون المحتوى صحيحا مرتبطا بالأهداف وذا أهمية، وأن يكون متوازنا في شموله، وأن يكون حضاريا مختلفا ومتنوعا يهتم بحاجات المتعلمين، وأن يبدأ بتقديم النصوص الأدبية للناطقين بغير العربية في المستوى المتوسط.

٤. دراسة أبو الدهب (٢٠٢٠) بعنوان: "**فعالية برنامج إلكتروني قائم على توظيف الأمثال العربية في تنمية الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى**".

استهدف البحث إعداد برنامج إلكتروني قائم على توظيف الأمثال العربية، والتحقق من فاعليته في تنمية الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. وتكونت عينة البحث من (٤٠) طالبا من طلاب المستوى الرابع ببرنامج الإعداد اللغوي في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ولتحقيق هذا الهدف؛ استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي للتحقق من فاعلية برنامج إلكتروني قائم على توظيف الأمثال العربية (المتغير مستقل)، في تنمية الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية (المتغيران التابعان)، لدى طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مقارنة نتائج مجموعة الدراسة في

التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار الطلاقة التعبيرية، ومقياس الاتجاه نحو الثقافة العربية على عينة البحث.

وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي لعينة البحث في الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية، تعزى إلى استخدام البرنامج الإلكتروني القائم على توظيف الأمثال العربية، وفي ضوء هذه النتائج قدم الباحث مجموعة التوصيات والبحوث المقترحة.

المحور الثاني: دراسات عنيت بمهارات الفهم القرائي:

١. دراسة الحديبي (٢٠١٣) بعنوان: **"تأثير إستراتيجية (إتقن) المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"**.

هدف هذا البحث إلى قياس تأثر إستراتيجية (اتقن) (اقرأ- تفكر- قوم- ناقش) المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، ولتحقيق هذا الهدف أعدّ الباحث تصورًا مقترحًا لتلك الإستراتيجية، وأعدّ استبانة بمهارات الفهم القرائي اللازمة للمتعلمين، وأعدّ كتاب المتعلم، ودليل المعلم، واختبار مهارات الفهم القرائي.

بلغت عينة البحث مائة وستة وثلاثون (١٣٦) متعلما من طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانقسمت تلك العينة إلى نوعين: عينة استطلاعية عددهم مائة وأربعة (١٠٤) متعلمين، وعينة أساسية بلغ عددهم اثنان وثلاثون (٣٢) متعلما.

تمثلت أهم نتائج البحث في التوصل إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي، تضمنت خمس مهارات رئيسة، انبثق عنها سبع عشرة مهارة فرعية، وذلك كالآتي: الفهم الحرف (٤ مهارات فرعية)، والفهم الاستنتاجي (٥ مهارات فرعية)، والفهم الناقد (٤ مهارات فرعية)، والفهم التذوقي (٣ مهارات فرعية)، والفهم الإبداعي (مهارة فرعية واحدة)، وفيما يتعلق بمدى توافر مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية

الناطقين بلغات أخرى، فقد توصل البحث إلى ضعف مستوى المتعلمين في هذه المهارات. كما توصل البحث من خلال تطبيق اختبار مهارات الفهم القرائي على عينة البحث الأساسية قبل التدريس وفقا لإستراتيجية اتقن وبعده، إلى وجود فرق دال إحصائيا بين متوسطي درجات المتعلمين في التطبيقين: القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي. كما قام الباحث بحساب قيمة حجم التأثير باستخدام معادلتي مربع إيتا، وكارل، وتعدت نسبة حجم التأثير مما يدل على أن استخدام إستراتيجية "اتقن" المقترحة أدى إلى تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٢. دراسة مرسي (٢٠١٨م) بعنوان: "**برنامج قائم على مدخل القراءة الاستراتيجية لتنمية مهارات فهم المقروء لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها**".

استهدفت الدراسة تحديد فاعلية برنامج قائم على مدخل القراءة الاستراتيجية لتنمية مهارات فهم المقروء لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحث بمراجعة الأدبيات التي تناولت بناء برامج اللغة العربية للناطقين بغيرها، والأدبيات التي تناولت مدخل القراءة الاستراتيجية لتنمية مهارات فهم المقروء، وأعد قائمة تتضمن مهارات فهم المقروء المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى المتقدم، وتمثلت أدوات الدراسة في اختبار مهارات فهم المقروء. وتضمن البرنامج وحدتين في اللغة العربية، تهدف إلى تنمية مهارات فهم المقروء، وهي مهارات تستند إلى تحديد الإطار المرجعي الأوربي المشترك للغات، وتضمنت ثلاثة معايير هي: فهم تفاصيل النص المقروء، فهم دلالات النص المقروء، فهم الأدلة والحجج في النص المقروء. وقد تكونت مجموعة الدراسة من مجموعة واحدة، طبق عليها الاختبار قبليا وبعديا وتتبعيا، وقد توصلت الدراسة إلى فاعلية البرنامج في تنمية مهارات فهم المقروء لدى الفئة المستهدفة.

٣. دراسة الشثري (٢٠١٩م) بعنوان: "**أثر القراءة التفاعلية في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمات اللغة العربية لغة ثانية**".

هدفت الدراسة إلى التحقق من تأثير نموذج القراءة التفاعلية في تنمية مهارات الفهم القرائي لمتعلمات العربية لغة ثانية. وطبقت الدراسة المنهج شبه التجريبي عل عينة بلغت (٢٤) متعلمة من متعلمات اللغة العرية لغة ثانية في المستوى المتقدم، وقد اختيرت العينة بطريقة عشوائية وزعت على مجموعتين الأولى تجريبية مكونة من (١٠) متعلمات، والثانية ضابطة مكونة من (١٤) متعلمة. وقد أسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط استجابات أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي على المستوى النقدي والمستويات مجتمعة، وذلك لصالح المجموعة التجريبية. وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد المجموعة التجريبية في الاختبارين القبلي والبعدي لصالح الأداء البعدي؛ لأن المتوسط الحسابي للأداء البعدي أكبر في المستوى النقدي والمستويات مجتمعة. وأوصت الباحثة بضرورة استخدام إستراتيجيات تساعد على تفعيل نموذج القراءة التفاعلية داخل فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

٤. دراسة عبدالرحمن (٢٠١٩م) بعنوان: "**إستراتيجية قائمة على النظرية التداولية لتنمية مهارات الفهم القرائي لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها**".

هدفت الدراسة إلى تطبيق إستراتيجية قائمة على النظرية التداولية لتنمية مهارات الفهم القرائي لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها، تحددت مشكلة البحث في ضعف مهارات الفهم القرائي لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها، وقد استخدم الباحث تصميمًا تجريبيًّا يعتمد عل مجموعة واحدة من دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى المتقدم، كما طبق البحث اختبارًا قبليًّا للمجموعة المختارة، وبعد الانتهاء من التدريس بالإستراتيجية القائمة على النظرية التداولية، تم إعادة اختبار مهارات الفهم القرائي لدارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى المتقدم بعديًّا على طلاب مجموعة البحث.

وبعد اختبار صحة الفرض الرئيس أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة

إحصائية تشير إلى فاعلية الإستراتيجية، ولمزيد من التأكد من فاعلية الإستراتيجية القائمة على النظرية التداولية تم حساب نسبة الكسب المعدل للإستراتيجية ودلت على أن الإستراتيجية القائمة على النظرية التداولية لها فاعلية في تنمية مستويات الفهم القرائي الأربعة وهي: مستوى الفهم الاستنتاجي، ومستوى الفهم الناقد، ومستوى الفهم التذوقي، ومستوى الفهم الإبداعي، لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستوى المتقدم.

٥. دراسة الجنوبي (٢٠٢٠م) بعنوان: **"أثر استراتيجية التعليم المتمايز في تنمية فهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"**.

هدف البحث إلى التعرف على أثر استراتيجية التعليم المتمايز في تنمية الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، واعتمد الباحث المنهج شبه التجريبي، وذلك فيما يتعلق بالإجابة عن أسئلة الدراسة، واستخدم الباحث التصميمات التمهيدية على مجموعة واحدة، واستخدم العينة القصدية، وعددهم (٣٠) طالباً، وقد قام الباحث ببناء قائمة مهارات الفهم القرائي، واختبار الفهم القرائي، ودليل إرشادي (دليل المعلم) لتطبيق بعض استراتيجيات التعليم المتمايز لتنمية الفهم القرائي، وكانت أهم النتائج أن استخدام استراتيجية التعليم المتمايز قد أدى إلى ظهور تحسن إيجابي في تنمية الفهم القرائي لدى الطلاب عينة الدراسة، مما يعنى أن الأداء البعدي للطلاب في اختبار الفهم القرائي قد تأثر بتطبيق استراتيجية التعليم المتمايز، أيضا توصل البحث إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي، وقدم الباحث بعض التوصيات ذات الصلة بموضوعه من أهمها: ضرورة تبني هذه القائمة من المهارات، والانطلاق منها في تعليم اللغة العربية لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى، وجعلها منطلقاً في التدريس والتقويم؛ لأنها تساعد متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها على إثارة تفكيره وجذبه نحو التعلم.

التعليق على الدراسات السابقة:

تتفق الدراسات في المحور الأول في تناول موضوع الأدب في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى حيث طرحت دراسة العناتي رؤية لسانية لتدريس جنس أدبي

تمثل في القصة. ووضعت دراسة بساطي الأسس لاختيار الموضوعات الأدبية لمتعلمي اللغة الناطقين بلغات أخرى، أما دراسة أبو الدهب فقد قامت على جنس أدبي آخر، تمثل في الأمثال العربية ودورها في تنمية الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

وتتفق الدراسات في المحور الثاني في تنمية مهارات الفهم القرائي من خلال إستراتيجية أتقن كما في دراسة الحديبي، أو إستراتيجية التعليم المتمايز كما في دراسة الجنوبي، أو من خلال مدخل القراءة الاستراتيجية كما في دراسة مرسي، أو من خلال القراءة التفاعلية كما في دراسة الشثري، أو من خلال النظرية التداولية كما في دراسة عبدالرحمن.

أما الدراسة الحالية فتتفق مع دراسات المحور الثاني في تنمية مهارات الفهم القرائي، وتختلف عنها بأن التنمية كانت من خلال الأمثال العربية، بوصفها جنسًا أدبيًّا يمثل طبيعة اللغة العربية، مختلفًا بذلك عما عرض من الدراسات السابقة التي اعتمدت إستراتيجيات ونظريات حديثة.

منهج البحث وإجراءاته:

استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج شبه التجريبي؛ للتحقق من فاعلية برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية (المتغير المستقل) في تنمية مهارات الفهم القرائي (المتغير التابع) لدى طلاب المستوى الثالث في معهد تعليم اللغة العربية، من خلال مقارنة نتائج مجموعة الدراسة في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار مهارات فهم المقروء.

مجتمع البحث:

تمثل مجتمع البحث في جميع متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، في المستوى الثالث بالجامعة الإسلامية، وقد بلغ عدد المجتمع بناء على إحصائيات الفصل الأول من العام الدراسي ١٤٤٣هـ (٢٣٠) طالبا.

عينة البحث:

بلغت عينة البحث (١٤) طالبًا، من طلاب شعبة (١١٣) في معهد اللغة العربية

لغير الناطقين بها.

إجراءات البحث:

للإجابة عن أسئلة البحث الحالي اتبع الباحث الإجراءات الآتية:

أولًا: تحديد مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية بلغات أخرى المستوى المتوسط من خلال:

- مطالعة الكتب والدراسات التي تناولت مهارات الفهم القرائي.
- إعداد استبانة أولية في مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية بلغات أخرى المستوى المتوسط، وتضمنت (١٧) مهارة من مهارات الفهم القرائي لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- تحكيم الاستبانة من قبل المختصين في مجال تعليم اللغة للناطقين بلغات أخرى، حيث عرضت على المحكمين، وطلب منهم إجراء التعديلات المناسبة خلال قراءة الاستبانة. وفق ما يأتي:

اختيار ما يرونه مناسبا من حيث:

- اتساق المهارات مع مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها (المستوى المتوسط).
- وضوح كل مهارة وسلامتها علميًا.
- وضوح كل مهارة وسلامتها لغويًا.
- إضافة ما يرونه مناسبا من مهارات لم ترد في الاستبانة.
- حذف المهارات غير المناسبة لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها (المستوى المتوسط).

وقد أشار المحكمون إلى مناسبة الاستبانة لغرضها الذي بنيت من أجله مع إشارتهم لتعديل بعض الصياغات للمهارات.

- إجراء التعديلات التي أشار إليها المحكمون.
- صياغة الاستبانة بصورتها النهائية.

صدق الاستبانة:

بعد عرض الاستبانة على المحكمين والأخذ بتعديلاتهم، جرى التحقق من صدق الأداة.

الاستبانة في صورتها النهائية:

بعد تعديل الاستبانة والأخذ بمقترحات المحكمين فقد تكونت قائمة مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها (المستوى المتوسط) من (١٧) مهارة. ملحق (٢)

ثانيًا: تحديد مدى توافر مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط) من خلال:

- بناء صورة أولية لاختبار مهارات الفهم القرائي لدى معلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، في ضوء قائمة مهارات الفهم القرائي، تمثلت في (١٧) مهارة.
- صيغت تعليمات الاختبار في بدايته لتوضّح للمستجيبين كيفية الإجابة على الاختبار، بالإضافة إلى أن الباحث كان على استعداد للإجابة عن أي استفسار قد يطرحه أفراد عينة البحث حين تطبيق الاختبار.
- صيغت مفردات الاختبار على نحو تغطي فيه جميع المهارات المراد قياسها، وبناءً على ذلك تكون الاختبار من (١٧) فقرة، تقيس كل فقرة منها مهارة محددة من مهارات الفهم القرائي، وجاءت الأسئلة من نوع أسئلة الاختيار من متعدد، إضافة لبعض الأسئلة المقالية.
- عرض الاختبار على المحكمين لضبطه، والتأكد من صدقه، ومناسبته، وفق ما يرونه صوابا من حيث:
  - مناسبة الاختبار للطلاب ومستواهم اللغوي.
  - قياس كل مفردة من مفردات الاختبار لما وضعت لقياسه.
  - صحة التعليمات.
  - إضافة ما يرونه مناسبًا.

وقد أشاروا جميعهم إلى مناسبة الاختبار للغرض الذي بني من أجله، مع

الإشارة إلى تعديل بعض الأسئلة والبدائل في أسئلة الاختيار من متعدد.

- إجراء التعديلات التي أشار إليها المحكمون.
- تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية (١٧) طالبًا، لحساب صدقه وثباته وزمنه.

صدق الاختبار: جرى التأكد من صدق الاختبار من خلال النقاط التالية:

- صدق المحكمين: بعد أن عرض الاختبار على المحكمين والأخذ بتعديلاتهم فقد تأكد الباحث من صدق الأداة وأنها تقيس ما وضعت لأجله.
- الصدق الإحصائي: جاء الجذر التربيعي لمعامل الثبات للمقياس "٠,٨٢٤" والذي يمثل الصدق الإحصائي، وهي قيمة تشير إلى صدق الاختبار.

زمن الاختبار:

تم احتساب متوسط زمن الاختبار من خلال المعادلة التالية:

متوسط زمن الاختبار = (زمن انتهاء أول طالب + زمن انتهاء آخر طالب) ÷ ٢

(٢٠ + ٥٠) ÷ ٢ = ٣٥ دقيقة

وبناء على ذلك فقد كان الوقت المناسب لأداء الاختبار (٣٥) دقيقة.

- صياغة الاختبار في صورته النهائية.

بعد عرض الاختبار على المحكمين والأخذ بمقترحاتهم، وبعد إجراء الاختبار على العينة الاستطلاعية واستخراج ثبات وصدق وزمن الاختبار صيغ الاختبار في صورته النهائية ملحق (٣) والذي تكون من (١٧) فقرة تقيس كل فقرة مهارة محددة من مهارات الفهم القرائي، وذلك استعدادًا لتطبيقه على مجموعة البحث.

- تطبيق الاختبار على عينة من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ للوقوف على مدى توافر مهارات الفهم القرائي لديهم.
- تصحيح الاختبار: حوى الاختبار نوعين من الأسئلة:

أ. اختبار اختيار من متعدد، ذو أربعة بدائل لكل فقرة، ووضعت درجة واحدة لكل اختيار صحيح من تلك البدائل.

ب. اختبار مقالي صحح من قبل الباحث، ووضعت درجة واحدة لكل سؤال مقالي.

وقد تكونت فقرات الاختبار من (١٧) فقرة، وكانت الدرجة الكلية للاختبار (١٧) درجة.

- رصد نتائج التطبيق وتحليلها.

ثالثًا: الوقوف على فاعلية برنامج توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

الصورة الأولية للبرنامج:

قامت الصورة الأولية للبرنامج على نصوص أصيلة من كتاب مجمع الأمثال للميداني، تصرف الباحث في صياغة نصوصها بما يناسب المستوى المتوسط لمتعلمي اللغة، وقد اشتمل على ما يلي: المقدمة، والأهداف العامة للكتاب، ولكل درس. تلا ذلك أربعة دروس قام كل واحد منها على مثل من الأمثال العربية، متبوعًا بقصة المثل والموقف الذي قيل فيه، ثم أتى بعد ذلك التدريبات التي تعزز المهارات المطلوبة في الدرس، وختم كل درس بأسئلة تقويمية للتأكد من تحقق المهارات. وقد روعي في إعداد كتاب الطالب النقاط التالية:

- اختيار الموضوعات بناء على مهارات الفهم القرائي.
- احتواء الموضوعات على الأهداف المراد قياسها.
- طبيعة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- طبيعة مستوى التعليمي للفئة المستهدفة "المستوى المتوسط".
- توضيح المفاهيم المهمة الواردة في كل درس من الدروس.

تحكيم الصورة الأولية للبرامج:

عُرض محتوى البرنامج على عدد من المختصين ملحق (١) لإبداء آرائهم في البرنامج من حيث النقاط التالية:

- مدى تحقيق البرنامج للأهداف العامة والفرعية.
- مدى ملاءمة البرنامج لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها "المستوى المتوسط".
- مدى مراعاة إعداد البرنامج للأسس العلمية في بنائه.
- مدى ملاءمة أساليب التقويم لنواتج التعلم المتعلقة بالدرس.

وبناء على الآراء التي أشار إليها المحكمون والآخذ بها جرى ضبط البرنامج والتأكد من صدقه وتحقيقه لأهدافه.

المواد والوسائل والوسائط والأنشطة التعليمية:

أعد المحتوى وقدم للطلاب في صورة ورقية.

أساليب التقويم:

جاءت أساليب التقويم شاملة لمراحل التقويم على النحو التالي:

التقويم القبلي: وقد قدم في بداية البرنامج لعينة البحث من أجل الوقوف على مستواهم في مهارات الفهم القرائي.

التقويم المرحلي: وقد جاء عقب كل درس مجموعة من التمارين التي تحقق أهداف الدرس، بالإضافة إلى تقويم بعد نهاية كل درس للتحقق من تمكن المتعلم من المهارات المراد تنميتها.

التقويم البعدي: وقد قدم من خلال الاختبار البعدي للوقوف على مستوى عينة البحث في مهارات الفهم القرائي بعد انتهاء البرنامج.

الصورة النهائية للبرنامج:

صيغ البرنامج القائم على توظيف الأمثال العربية بعد التأكد من مناسبته وتغطيته لمهارات الفهم القرائي لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها "المستوى المتوسط"، وتوفير الوسائل والوسائط وأساليب التقويم اللازمة.

رابعًا: تجربة البحث:

طُبِّقت تجربة البحث، وفقا للخطوات التالية:

- اختيار عينة البحث:

اختيرت عشوائيا من طلاب المستوى الثالث بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية الذي يمثل المستوى المتوسط، وتكوّن عدد العينة من (١٧) طالبا.

- التطبيق القبلي لاختبار مهارات الفهم القرائي:

طُبِّق اختبار مهارات الفهم القرائي القبلي على عينة البحث بهدف الوقوف على مستوى أفراد عينة البحث في مهارات الفهم القرائي ومقارنتها لاحقا بمستويات أدائهم

بعد الاختبار البعدي.

- تطبيق البرنامج القائم توظيف الأمثال العربية:

طُبِّق البرنامج على عينة البحث في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٤٣ هـ، واستغرق التطبيق ثلاثة أسابيع، بواقع أربع ساعات في كل أسبوع. وروعي عند تطبيقه:

- تعريف أفراد عينة البحث بأهداف البرنامج، والمدة الزمنية لتطبيقه.
- تقديم فكرة عن الأهداف التي يتضمنها وتوضيح المفاهيم التي تحتاج إلى توضيح فيه، وذلك في بداية كل درس.

- التطبيق البعدي لاختبار مهارات الفهم القرائي:

بعد الانتهاء من البرنامج وتطبيقه على أفراد عينة البحث أُجرِي الاختبار البعدي بغرض التعرف على فاعلية البرنامج القائم توظيف الأمثال العربية في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها.

خامسًا: الأساليب الإحصائية:

تم استخدام المعادلات الإحصائية التالية في البحث وهي كالآتي:

النسبة المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الصدق، ومعادلة زمن تطبيق الاختبار، ومعامل الثبات لألفا كرونباخ، ومعادلة اختبار (ت)، ومعادلة كوهين لحساب حجم الأثر.

نتائج البحث وتفسيرها

جاءت نتائج البحث في ضوء الإجابة عن أسئلته على النحو التالي:

الإجابة على السؤال الأول والذي نصه: ما مهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية؟

توصل الباحث إلى قائمة بمهارات الفهم القرائي اللازمة لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها للمستوى المتوسط وقد بلغت " ١٧" مهارة وهي كما يلي:

أولا: مهارات الفهم الحرفي

١. يميز المثل من بين الأجناس الأدبية الأخرى.
٢. يحدد الشخصيات والأماكن الواردة في قصة المثل.
٣. يحدد المعنى المباشر لمفردات قصة المثل.
٤. يحدد تسلسل الأفكار والأحداث كما وردت في قصة المثل.
٥. يحدد فكرة المثل الرئيسة.

ثانيا: مهارات الفهم الاستنتاجي

١. يستنتج دلالة مفردات المثل من السياق.
٢. يحدد علاقة الترادف والتضاد بين كلمات معطاة.
٣. يوضح العلاقة بين أجزاء النص.
٤. يضع عنوانًا معبرًا لقصة المثل.
٥. يعيد صياغة قصة المثل بأسلوبه.

ثالثا: مهارات الفهم الناقد

١. يميز بين ما يتصل بالموضوع وما لا يتصل.
٢. يبدي رأيه في الأحداث والشخصيات.
٣. يميز بين الحقيقة والرأي فيما يقرؤه.

رابعا: مهارات الفهم التذوقي

١. يتعرف نوع الانفعالات والعواطف التي تسود النص.
٢. يحدد نواحي الجمال في الألفاظ والصور البلاغية.

خامسا: مهارات الفهم الإبداعي.

١. يقترح حلاً لمشكلة تتعلق بالموضوع.
٢. يبتكر موقفًا يضرب فيه المثل.

الإجابة على السؤال الثاني والذي نصه: ما مكونات وحدة مقترحة في الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي؟

أشير إلى مكونات البرنامج في معرض الحديث عن إعداد البرنامج، وقد تكون البرنامج القائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي مما يلي:

- مقدمة تلاها بيان للأهداف العامة للوحدة، ثم بيان لنواتج التعلم في كل درس من دروس الوحدة.
- المثل متبوعًا بقصته والموقف الذي يضرب فيه.
- تدريبات تعزز المهارات الخاصة بكل درس.
- أسئلة تقويمية تؤكد تمكن المتعلم من المهارات المستهدفة.

الإجابة على السؤال الثالث والذي نصه: ما فاعلية الوحدة المختارة من المعجم في تنمية مهارات الفهم القرائي؟

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بإدخال نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) الإصدار (٢٦)، وذلك باستخدام معادلة "ت" لعينتين مرتبطتين، وجاءت النتائج على النحو التالي:

جدول (١)

المتوسط والانحراف المعياري ومتوسط الفروق بين المتوسطين ودرجة الحرية وقيمة "ت" ودلالتها في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار مهارات الفهم القرائي "ن:١٤"

البيان	التطبيق	المتوسط	الانحراف	متوسط	درجة	قيمة	الدلالة

المحور			المعياري	الفروق	الحرية	"ت"	الإحصائية
مهارات الفهم القرائي	القبلي	٦,١٤٢٩	٣,١٠٩٧٢	٣,٨٥٧	٢٤	٦,٦٢٤	٠,٠٠٠
	البعدي	١٠,٠٠٠	٣,٥٩٤٨٧				
مهارات الفهم الحرفي	القبلي	٢,٥٠٠٠	٠,٨٥٤٨٥	٠,٩٢٨	١٣	٢,٣٢٩	٠,٠٣٧
	البعدي	٣,٤٢٨٦	١,٥٠٤٥٧				
مهارات الفهم الاستنتاجي	القبلي	١,٥٧١٤	١,١٥٧٨٧	١,٤٢٨	١٣	٦,٢٧٦	٠,٠٠٠
	البعدي	٣,٠٠٠٠	١,١٧٦٧٠				
مهارات الفهم الناقد	القبلي	٠,٨٥٧١	١,٠٢٧١١	٠,٨٥٧	١٣	٢,٩١٧	٠,٠١٢
	البعدي	١,٧١٤٣	٠,٩٩٤٤٩				
مهارات الفهم التذوقي	القبلي	٠,٩٢٨٦	٠,٦١٥٧٣	٠,٢١٤	١٣	١,١٤٧	٠,٢٧٢
	البعدي	١,١٤٢٩	٠,٧٧٠٣٣				
مهارات الفهم الابداعي	القبلي	٠,٢٨٥٧	٠,٤٦٨٨١	٠,٤٢٨	١٣	٣,١٢٢	٠,٠٠٨
	البعدي	٠,٧١٤٣	٠,٧٢٦٢٧				

من خلال الجدول (١) يتبين أن قيمة "ت" المحسوبة تساوي "٦,٦٢٤"، وهذا يدل على أن هناك فرقًا ذا دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٠٠) بين متوسطي درجات أفراد العينة في التطبيقين (القبلي والبعدي) لصالح التطبيق البعدي، وهذا يشير إلى أن استخدام البرنامج القائم توظيف الأمثال العربية أدى إلى ظهور فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات الفهم القرائي.

كما نلاحظ الفرق بين متوسطات الفروق بين الاختبار القبلي والبعدي لكل قسم من المهارات على حدة، وقد جاءت على الترتيب التالي وفقًا للمتوسط الأعلى: الاستنتاجي فالحرفي فالناقد فالإبداعي، وكانت مهارات الفهم التذوقي هي الأقل ويعزو الباحث ذلك إلى أن التذوق قد ارتبط بمهارات لم يألفها المتعلم، تتعلق بنوع العاطفة التي تسود النص، وتحديد نواحي الجمال والصور البلاغية في النص وهي مهارات تتطلب خلفية نظرية واسعة واطلاع على كثير من الأساليب العربية التي تعزز تلك المهارات لديهم.

وللتعرف على حجم أثر استخدام البرنامج القائم على توظيف الأمثال العربية في تنمية مهارات الفهم القرائي فقد تم حساب قيمة Cohen's d، وذلك باستخدام

المعادلة الآتية:

كوهين = قيمة t / الجذر التربيعي لعدد العينة

ويتم الحكم على قيمة كوهين في ضوء المعايير الآتية:

جدول (٢)

جدول توزيع درجات نتائج قياس حجم الأثر وفق معادلة "مربع إيتا" وتقيم تلك الدرجات

درجة كوهين	حجم التأخير
٠,٢ – ٠,٥	ضعيف
٠,٥-٠,٨	متوسط
٠.٨ وأكثر	قوي

وتم اختيار حساب كوهين للتعرف على حجم فاعلية المتغير المستقل " فاعلية توظيف الأمثال العربية" في المتغير التابع " تنمية مهارات الفهم القرائي"، وبناء على حساب قيمة كوهين جاءت قيمته على النحو التالي:

جدول (٣)

المتوسط والانحراف المعياري وقيمة حجم التأثير ودلالته في التطبيقين (القبلي والبعدي) لاختبار مهارات الفهم القرائي "ن:٢٥"

البيان / المحور	قيمة t	عدد العينة	قيمة كوهين لحجم الأثر	حجم التأثير
اختبار مهارات الفهم القرائي	٦,٦٢٤	١٤	١,٧٧٠	تأثير قوي

ويتضح من الجدول (٣) السابق أن قيمة حجم التأثير باستخدام معادلة كوهين، قد تعدت "٠,٨"؛ مما يشير إلى أن حجم تأثير البرنامج القائم توظيف الأمثال العربية كان قويًا جدا، مما أدى إلى تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهو يؤكد النتائج التي جاءت في الجدول رقم (٢) السابق، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى جانبين الأول أن ما تميزت به الأمثال العربية من مميزات أهمها: الإيجاز والطرافة في قصة المثل، وكونها نوعًا مألوفًا من الأدب العالمي

الذي تشترك فيه الأمم، والثاني: تنوع التدريبات التي تعالج مهارات الفهم القرائي وما تلاها من أساليب مختلفة للتقويم، وهناك عدة عوامل جانبية كان لها أثر في رفع مستوى الأثر كحجم العينة والدراسة الحضورية.

ملخص النتائج

في ضوء ما تم عرضه فيما سبق فقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- إعداد قائمة بمهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها للمستوى المتوسط تكونت من خمس مهارات رئيسة، تفرع عنها (١٧) مهارة فرعية.
- برنامج قائم على توظيف الأمثال العربية لتنمية مهارات الفهم القرائي، تضمن أربعة دروس.
- إعداد منهج لمتعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها يلامس احتياجاتهم ويراعي مستواهم التعليمي.
- وجود فرق دال إحصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٠٠) بين متوسطي درجات عينة البحث التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار مهارات الفهم القرائي لصالح التطبيق البعدي.

ثانيا: التوصيات:

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يأتي:

- تضمين جوانب أدبية في مناهج المتعلمين تعكس الثقافة العربية خاصة في المستويات المتقدمة.
- الموازنة بين تدريس الأدب والبلاغة في المقررات الأدبية لمتعلمي اللغة.
- التعريف بالأجناس الأدبية عند وردوها، وذكر شيء من خصائصها.
- التدرج في تقديم نماذج من الأدب العربي لمتعلم اللغة بما يناسب مستواه اللغوي.

ثالثا: المقترحات:

في ضوء نتائج البحث يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

- فاعلية برنامج مقترح قائم على القصة القصيرة في تنمية التذوق الأدبي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- تصور مقترح لتضمين النصوص الأدبية في مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- فاعلية برنامج مقترح قائم على الطرائف الأدبية في تنمية المهارات الإنتاجية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

المصادر والمراجع

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٩٨٨م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، **لسان العرب**، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين بيروت: دار صادر – ط٣ – ١٤١٤هـ.

أبو الدهب، أبو الدهب البدري علي، "فعالية برنامج إلكتروني قائم على توظيف الأمثال العربية في تنمية الطلاقة التعبيرية والاتجاه نحو الثقافة العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة،٢٠٢١م.

أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، **العقد الفريد – الجزء الثالث العقد الفريد**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ.

بساطي، عمر مصطفى، "أسس ومعايير اختيار النصوص الأدبية للناطقين بغير العربية"، مجلة العربية للناطقين بغيرها، ع ٢٠، يناير ٢٠١٦م.

الجنوبي، عبدالله أحمد راشد، "أثر استراتيجية التعليم المتمايز في تنمية فهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" مجلة التربية، جامعة الأزهر –كلية التربية، ع١٨٦، ج٢، مصر، ٢٠٢٠م

الحديبي، علي عبدالمحسن، "تأثير استراتيجية أتقن المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، مج ٢٧، ع، ١٠٦، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي،٢٠١٣م،

الحوامدة، محمد، "فاعلية إستراتيجية الكيتسو في تنمية مهارات فهم المقروء لدى طلاب الصف السابع الأساسي في الأردن"، العلوم التربوية، مجلد:٤٨، العدد:٣، ٢٠٢١.

الزمخشري، أبو القاسم محمود جارالله، **المستقصى في أمثال العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٨م.

الشثري، نجلاء بنت إبراهيم، "أثر القراءة التفاعلية في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمات اللغة العربية لغة ثانية" بحث منشور في كتاب: اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية (بحوث علمية محكمة)، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الندوات والمؤتمرات ٢٨، السجل العلمي للمؤتمر الدولي الثالث لمعهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود ٢٩ – ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ الموافق ٦-٧ مارس ٢٠١٩م.

صالح، محمود إسماعيل، وآخرون، **معجم الأمثال العربية**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٢م.

طعيمة، رشدي؛ والشعيبي، محمد علاء الدين، **تعليم القراءة والأدب، إستراتيجيات مختلفة لجمهور متنوع**، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

عبد الغني، البراء صفوان، الأساليب البلاغية اللازمة لطلاب المستوى المتقدم من الناطقين بغير العربية الواقع والمأمول، ورقة بحثية مقدمة للملتقى العلمي الأول لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة في الفترة ١٤-١٦ يناير ٢٠١٣م.

عبدالرحمن، محمد شوقي، إستراتيجية قائمة على النظرية التداولية لتنمية مهارات الفهم القرائي لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها، بحث منشور في كتاب: اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية (بحوث علمية محكمة)، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الندوات والمؤتمرات ٢٨، السجل العلمي للمؤتمر الدولي الثالث لمعهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود ٢٩ – ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ الموافق ٦-٧ مارس ٢٠١٩م.

عبدالرزاق، علي أبو لاجي، "الوحدة المعجمية وإشكالاتها الدلالية لدى غير الناطقين بالعربية في نيجيريا"، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ١٧٩، المدينة المنورة، ٢٠١٧م.

علي، كمال زعفر، **القراءة والمحادثة في ضوء منهج تكاملي**، مكتبة االمتنبي، الدمام، ٢٠١١م.

عمادة البحث العلمي "دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، (الجامعة الإسلامية, المدينة المنورة)، ١٤٣٤هـ

عمر، أحمد مختار، **صناعة المعجم الحديث**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٩م.

العناتي، وليد أحمد محمود، "رؤى لسانية في تدريس القصة للناطقين بغير العربية"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج٢٣، ع١، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩م.

مدكور، علي أحمد، **تدريس اللغة العربية**، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.

مرسي، عمرو مختار، "برنامج قائم على مدخل القراءة الاستراتيجية لتنمية مهارات فهم المقروء لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها". الجمعية التربوية لتدريس اللغات، العدد الثاني يوليو ٢٠١٨م

اليوسي، الحسن، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: د. محمد حجي، ود. محمد، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٨١م.

Bibliography

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad, Diwan of the Mubtada and Khabar in the History of the Arabs, the Berbers, and Their Contemporaries of Great Concern, Beirut, Lebanon, Dar Al-Fikr, 1988 AD.

Ibn Manzoor, Muhammad bin Mukarram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din al-Ansari, Lisan al-Arab, Notes: by Yaziji and a group of linguists, Beirut: Dar Sader - Edition 3 - 1414 AH.

Abu al-Dahab, Abu al-Dahab al-Badri Ali, "The effectiveness of an electronic program based on the use of Arabic proverbs in developing expressive fluency and the trend towards Arabic culture among learners of Arabic speaking other languages," Journal of the Islamic University of Educational and Social Sciences, Islamic University: Madinah, 2021 AD.

Abu Omar, Shihab al-Din Ahmed bin Muhammad bin Abd Rabbhi, Al-Aqd Al-Fareed - Part Three, Al-Aqd Al-Fareed, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1, 1404 AH.

Busati, Omar Mustafa, "Basics and Criteria for Selecting Literary Texts for Non-Arabic Speakers", Al-Arabiya Magazine for Non-Arabic Speakers, p. 20, January 2016.

Al Janoubi, Abdullah Ahmed Rashid, "The impact of the differentiated education strategy in developing reading comprehension among learners of Arabic speaking other languages," Journal of Education, Al-Azhar University - College of Education, p. 186, part 2, Egypt, 2020

Al-Hudaibi, Ali Abdulmohsen, "The Impact of the Proposed Atqan Strategy on Developing the Reading Comprehension Skills of Arabic Language Learners Who Native Speakers of Other Languages", Vol. 27, p., 106, Kuwait University, Scientific Publication Council, 2013 AD.

Al-Hawamdeh, Muhammad, "The Effectiveness of the Ketsu Strategy in Developing the Reading Comprehension Skills of Seventh Grade Students in Jordan", Educational Sciences, Volume: 48, Issue: 3, 2021 .

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud Jar-Allah, The Inquisitor in the Proverbs of the Arabs, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, N.d.

Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr Jalal al-Din, Al-Muzhar in the Sciences of Language and its Kinds, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1998 AD.

Al-Shathri, Naglaa Bint Ibrahim, "The Impact of Interactive Reading in Developing Reading Comprehension Skills for Female Learners of Arabic as a Second Language." Research published in the book: Modern Trends in Teaching Arabic as a Second Language (Refereed Scientific Research), King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, 28 Symposia and Conferences, Scientific Record of the Third International Conference of the Institute of Arabic Linguistics at King Saud University, 29-30 Jumada II 1440 AH corresponding

to March 6-7, 2019.
Saleh, Mahmoud Ismail, and others, A Dictionary of Arabic Proverbs, Beirut, Library of Lebanon, 1992.
Toima, Rushdie; Al-Shuaibi, Muhammad Alaa Al-Din, Teaching reading and literature, different strategies for a diverse audience, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2006.
Abdul-Ghani, Al-Bara Safwan, Rhetorical Methods Necessary for Advanced Students of Non-Arabic Speakers, Reality and Hope, a research paper presented to the First Scientific Forum for Teaching Arabic to Speakers of Other Languages, Al-Azhar University, Cairo, January 14-16, 2013 .
Abd al-Rahman, Muhammad Shawqi, a strategy based on pragmatic theory to develop reading comprehension skills among non-native speakers of Arabic, research published in the book: Modern Trends in Teaching Arabic as a Second Language (Refereed Scientific Research), King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, seminars And Conferences 28, Scientific Record of the Third International Conference of the Institute of Arabic Linguistics at King Saud University, 29-30 Jumada II 1440 AH corresponding to March 6-7, 2019.
Abdul Razzaq, Ali Abu Laji, "Lexical unity and its semantic problems among non-Arabic speakers in Nigeria", Journal of the Islamic University, p. 179, Al-Madinah Al-Munawwarah, 2017.
Ali, Kamal Zafar, Reading and Conversation in the Light of an Integrative Approach, Al-Mutanabbi Library, Dammam, 2011 .
Deanship of Scientific Research "Guide to preparing scientific theses and research projects at the Islamic University of Madinah" (Islamic University, Madinah), 1434 AH
Omar, Ahmed Mukhtar, The Modern Dictionary Industry, Cairo, World of Books, 2009.
Al-Annati, Walid Ahmed Mahmoud, "Linguistic insights into teaching the story to non-Arabic speakers", An-Najah University Journal for Research, Vol. 23, Vol. 1, An-Najah National University, 2009.
Madkour, Ali Ahmed, Teaching Arabic, Cairo, Arab Thought House, 2002.
Morsi, Amr Mokhtar, "A program based on the strategic reading approach to develop reading comprehension skills for non-native Arabic learners." Educational Association for Teaching Languages, second issue July 2018
Al-Yusi, Al-Hassan, Zahr Al-Akam in Proverbs and Wisdom, Investigation: Dr. Mohamed Hajji, Dr. Mohamed, The New Company - House of Culture, Casablanca - Morocco, 1981 AD .

ملحق (١)

قائمة المحكمين

م	الأسماء	الدرجة العلمية	التخصص	قائمة المهارات	الاختبار	كتاب الطالب
١	أ.د أبو الدهب البدري علي	أستاذ	مناهج وطرق تدريس اللغة العربية		✔	
٢	أ.د أبو بكر عبدالله شعيب	أستاذ	مناهج وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.		✔	✔
٣	أ.د أحمد طه رضوان	أستاذ	العلوم اللغوية			✔
٤	أ.د خالد هديبان الحربي	أستاذ	التربية			✔
٥	د. خليوي سامر العياضي	أستاذ مساعد	تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	✔	✔	
٦	د. رابح عبدالله العوفي.	أستاذ مساعد	تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	✔		✔
٧	د. محمد سلمان الحربي.	أستاذ مساعد	تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	✔		✔
٩	د. أحمد سالم العلوي.	أستاذ مساعد	تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	✔		✔
١٠	د. محمد مقبل اللهيبي	أستاذ مساعد	علم اللغة التقابلي	✔	✔	✔
١١	د. ماهر دخيل الله الصاعدي.		اللغويات التطبيقية.		✔	
١٢	د. أيمن سويلم الجريشي		تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها		✔	
١٣	د. محمد عبدالهادي الأحمدي		التربية	✔	✔	
١٤	أ. بدر هديبان الحربي		تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	✔		

ملحق (٢)

قائمة مهارات الفهم القرائي

أولا: مهارات الفهم الحرفي

١. يميز المثل من بين الأجناس الأدبية الأخرى
٢. يحدد الشخصيات / الأماكن الواردة في قصة المثل.
٣. يحدد المعنى المباشر لمفردات قصة المثل.
٤. يحدد تسلسل الأفكار/ الأحداث كما وردت في قصة المثل.
٥. يحدد فكرة المثل الرئيسة.

ثانيا: مهارات الفهم الاستنتاجي

١. يستنتج دلالة مفردات المثل من السياق
٢. يحدد علاقة الترادف والتضاد بين كلمات معطاة.
٣. يوضح العلاقة بين أجزاء النص.
٤. يضع عنوانا معبرا لقصة المثل
٥. يعيد صياغة قصة المثل بأسلوبه

ثالثا: مهارات الفهم الناقد

١. يميز بين ما يتصل بالموضوع وما لا يتصل.
٢. يبدي رأيه في الأحداث والشخصيات.
٣. يميز بين الحقيقة والرأي فيما يقرؤه.

رابعا: مهارات الفهم التذوقي

١. يتعرف نوع الانفعالات والعواطف التي تسود النص.
٢. يحدد نواحي الجمال في الألفاظ والصور البلاغية.

خامسا: مهارات الفهم الإبداعي.

١. يقترح حلاً لمشكلة تتعلق بالموضوع.
٢. يبتكر موقفا يضرب فيه المثل

ملحق (٣) الاختبار

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
قسم الإعداد اللغوي

بسم الله الرحمن الرحيم

اختبار مهارات الفهم القرائي لطلاب المستوى الثالث في معهد تعليم اللغة العربية

اسم الطالب: .....

تعليمات الاختبار للطالب

عزيزي الطالب، يهدف هذا الاختبار إلى قياس مهارات الفهم القرائي، وهذا يتطلب منك قراءة التعليمات بدقة قبل أن تبدأ بالإجابة:

- يتكون الاختبار من سؤالين ويتضمن كل سؤال عدد من الفقرات
- اقرأ كل سؤال قراءة جيدة ومتأنية قبل الإجابة عنه.
- فهم المطلوب من السؤال قبل الإجابة عنه.
- عليك أن تختار إجابة واحدة فقط في أسئلة الاختيار من متعدد.
- اجب بإجابة مباشرة للأسئلة المقالية

- زمن الاختبار (٦٠) دقيقة.

السؤال الأوّل: اقْرَأْ النص الآتي، ثمّ أجبْ عن الأسئلة التي تليه.

رَجَعَ بخُفَّي حُنين

كَانَ حُنَينٌ إسْكَافًا مِن أَهْلِ الحِيَرَةِ يَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الأَحْذِيَةِ وإصلاحِها ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ يُرِيدُ شِرَاءَ خُفّيْنِ، فاخْتَلَفَا حَتّى أَغْضَبه، فَأَرَادَ حُنَينٌ غَيْظَ الأعرابيّ، فَلّمَا ارتَحَلَ الأعْرَابِيّ أَخَذَ حنينٌ أحدَ خُفَّيه وطَرَحَه فِي الطَّرِيق، ثُمَّ أَلْقَى الآخَر فِي مَوْضِعٍ آخرَ، فلّمَا مرَّ الأعْرابيُّ بِأَحَدِهِمَا قَالَ: مَا أَشْبَهَ هَذا الْخفّ بِخُفِّ حُنين، وَلَو كَانَ مَعَهُ الآخَرُ لأَخَذْتُهُ، وَمَضَى، فَلّمَا انْتَهى إلى الآخَر نَدِمَ عَلَى تركِه الأَوَّلَ، وقد كَمَنَ لَهُ حنينٌ بِحيثُ لَا يراهُ، فَلمَّا مَضَى الأعَرابيّ فِي طَلَبِ الأوَّل أَخَذَ حنينٌ جَمَلَ الأعْرابيّ وَمَا عَليه فَذَهَب بِهِ، وَأَقْبَلَ الأعرابيَّ وليْسَ مَعُهُ إلّا الخُفَّانِ، فَقَالَ لهُ قومُهُ: مَاذا جِئتَ بِه مِن سَفَرِكَ؟ فَقَالَ: جِئتُكُم بِخُفَّيْ حُنَينٍ، فَذَهَبتْ مَثلاً.

١. "رَجَع بِخفّي حُنين " بالنظر إلى الأجناس الأدبية يعدّ:

أ. مثلا ب. حِكمة ج. شِعرًا د. قصَّة

٢. يقصد بكلمة (الخُفّ):

أ.الحذاء السّاتر للكعبين. ب.اللّباس المُغطِّي للجسم

ج.العِمامة على الرأس د. لباس الزّينة

٣. الفكرة الرئيسية من قول الأعرابي " رَجَع بخفَي حُنين "

أ.اليأس والرجوع بالخَيبة ب.ذمُّ الحِرص على جَمعِ المال

ج.بيان الحُجَّة ووضوح الْمَنطِق د.جَزاءُ الإحسان إلى النّاس

٤. حدّد التَّرتيب الزَّمنيّ الصّحيح للأحداث وفقًا لما وَرَدَ في النَّص:

أ. رجع الأعرابي بالخفّين – غضب حنين على الأعرابي – طرح حنين الخفّ في الطريق

ب. رجع الأعرابيّ بالخفّين – طرح حنين الخفّ في الطّريق – غضب حنين على الأعرابيّ

ج. غضب حنين على الأعرابيّ – طرح حنين الخفّ في الطّريق – رجع الأعرابيّ بالخفّين

د. غضب حنين على الأعرابيّ – رجع الأعرابيّ بالخفّين – طرح حنين الخفّ في الطّريق

٥.ما رأيك بالطّريقة الّتي أخذ بها حنين جَمَلَ الأعرابيّ؟

.....

.....

.....

٦.كلُّ ما يلي وَرَدَ في قِصّة الأعرابيّ مع حنين ما عدا:

أ. أغضبَ الأعرابيُّ حنينًا ب. وَجَدَ الأعرابيُّ خُفَّي حنينٍ في طريقِ عَودتِهِ

ج. رَجَعَ الأعرابيُّ بالخير الكَثَير مِن سَفَرِهِ د. خَدَعَ حنينٌ الأعرابيَّ

٧. الجملة الّتي تُعبّر عن رأيٍ هي:

أ.كان حنينٌ إسكافا ب. ما أشبه هذا الْخفَّ بخفِّ حنين

ج. جئتكم بخفّي حنين د. طَرَح حنينٌ أحدَ خُفَّيه في الطَّريق

٨. معنى (كَمَنَ) في (كَمَنَ حنينٌ للأعرابيّ؛ لِيسرقَ راحلتَهُ):

أ.اختفى ب. نظر ج. قاتَل د. خرج

السّؤال الثّاني: اقْرَأْ النّصّ الآتي، ثمّ أجبْ عن الأسئلة الّتي تليه:

جَزاء سنمار

كانَ سِنمار رَجُلًا رُومِيًّا، بَنَى قَصْرًا مِن أشْهرِ قُصُورِ الحِيرةِ للنّعمان بن امرئ القَيس، سُمِّيَ بالخوَرْنَقَ، ولمَّا فَرَغَ منه شَكَرَهُ عَلَى عَمَلِهِ وَوَصَلَهُ، فقال: لو عَلِمتُ أنَّ المِلِكَ يُحسِن إليَّ هذا الإحسانَ لَبَنَيْتُ له بِنَاءً يَدُورُ مَع الشَّمس كيفما دَارَتْ، فقال له النّعمان: وإنّك لَتَقْدِرُ على أن تبنيَ أفضلَ منه، ولم تَبْنِهِ! فَأَمَرَ به فَطُرِحَ من أعْلاهُ. وَقيلَ: بل قال: إنّي أعلمُ موضعَ لَبِنَةٍ لو زَالتْ لَسَقَطَ القَصْرُ كلُّه. فقال النّعمان: أيعرفُها غيرُك؟ قال: لا. فقال لأدَعَنَّها وما يَعرِفُها أحدٌ؛ ثمذ أُمِرَ به فأُلقيَ من أعلى القَصْر إلى أسفله فتقَطَّع. وإنَّما فَعَلَ ذلك لئلاّ يَبنِيَ مثلَه لغَيرِه، فَضَرَبَت العربُ به المثلَ لمن يَجزي الإحسان بالإساءة.

١. العلاقة بين كلمتي (الوَصل والإحسان):

أ. التّرادف ب. التّضاد ج. الجزئيّة د.الكليّة

٢. الشّعور الذي يدلّ عليه كلام سنمار: " لو علمت أنّ الملك يحسن إليَّ هذا الإحسان لَبنيتُ له بناءً يدور مع الشمس" :

أ. الفَخر ب. الحُزن ج. النَّدم د. القَلَق

٣. من الشّخصيّات الواردة في النّصّ:

أ. الخورنق ب. الحِيرة ج. النّعمان د. بنو سعد

٤. العلاقة بين كلمتي (اللّبنة) و(القصر) هي علاقة:

أ. السّببيّة ب. التّضاد ج. الجزئيّة د. التّرادف

٥. الجانب البلاغي في قوله: (وإنّك لَتقدِر على أن تبني أفضل منه):

أ. التّشبيه ب. التّوكيد ج. التّرادف د. التّضادّ

٦. ما الحلول المناسبة لجارٍ يُقابِلُ الإحسان بالإساءة.

.....

.....

.....

.....

.....

٧. أعَدْ صِياغةَ قِصَّة المثل بأسلوبك.

.....

.....

.....

.....

.....

٨. هات موقفًا من عندك يُضربُ فيه المثل.

.....

.....

.....

.....

.....

٩. اكتب عنوانًا مناسبًا لقصة المثل.

.....

.....

.....

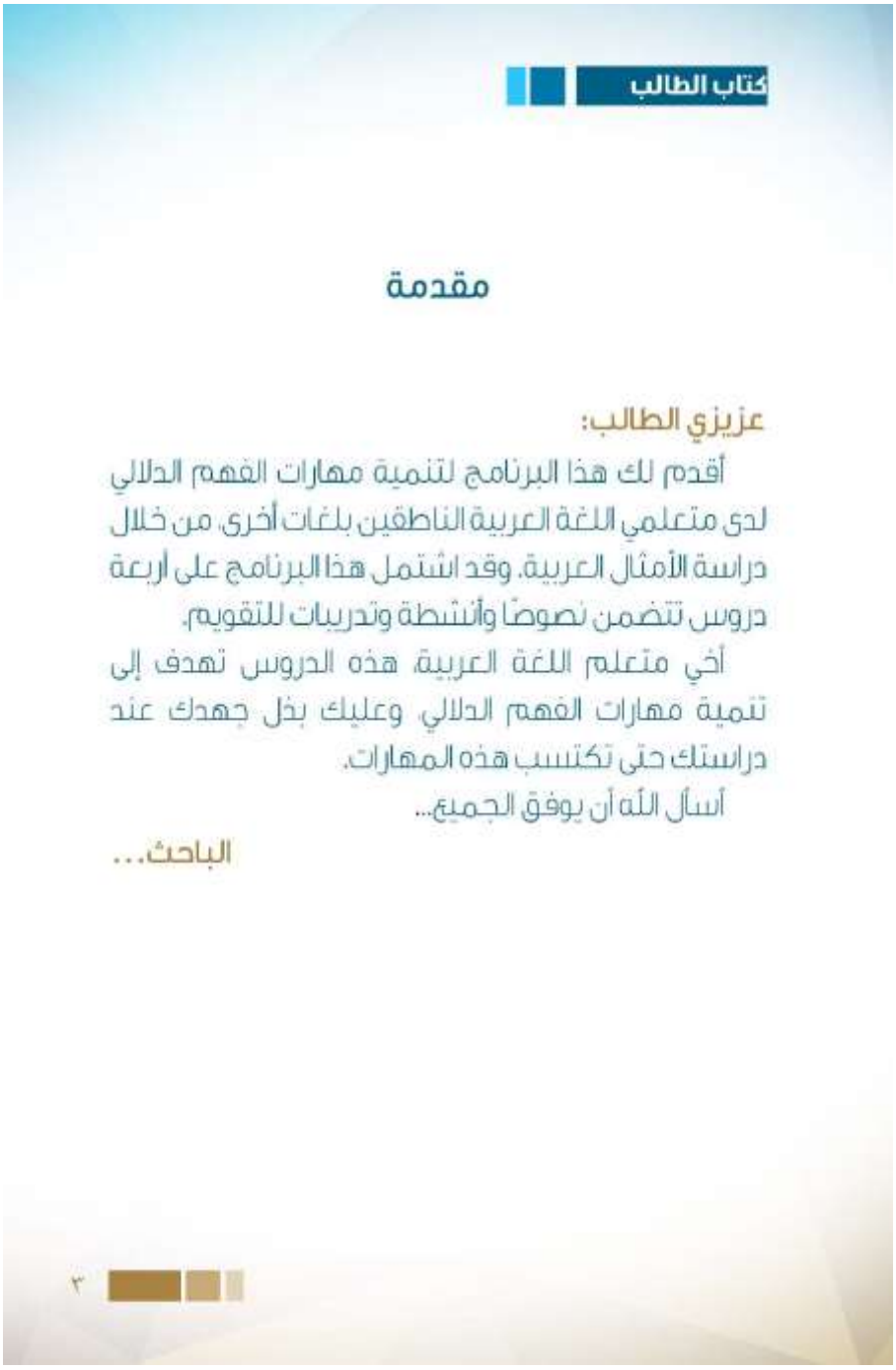
.....

(انتهى الاختبار)

ملحق (٤) كتاب الطالب






كتاب الطالب
مقدمة
عزيزي الطالب:
أقدم لك هذا البرنامج لتنمية مهارات الفهم الدلالي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، من خلال دراسة الأمثال العربية. وقد اشتمل هذا البرنامج على أربعة دروس تتضمن نصوصًا وأنشطة وتدريبات للتقويم.
أخي متعلم اللغة العربية، هذه الدروس تهدف إلى تنمية مهارات الفهم الدلالي. وعليك بذل جهدك عند دراستك حتى تكتسب هذه المهارات.
أسأل الله أن يوفق الجميع...
الباحث...
٣



كتاب الطالب

محتويات الكتاب

م	المحتوى	العنوان	الصفحة
١	المقدمة		٤
٢	هدف الوحدة التعليمية		٦
٣	الدرس الأول		٨
٤	الدرس الثاني		١٣
٥	الدرس الثالث		١٩
٦	الدرس الرابع		٢٣
٧	المصادر والمراجع		٢٨


كتاب الطالب
أهداف البرنامج (نتاجات التعلم)
الهدف العام للبرنامج تنمية مهارات الفهم الدلالي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها من خلال وحدة تعليمية تتضمن مجموعة من الأمثال العربية المعاصرة.
ويتفرع من الهدف العام الأهداف الإجرائية الآتية:
١. يحدد المعنى المباشر لمفردات قصة المثل.
٢. يحدد تسلسل الأفكار والأحداث كما وردت في قصة المثل.
٣. يحدد فكرة المثل الرئيسة.(شاهد الحال الذي يُستعار في المواقف المشابهة).
٤. يميز المثل من بين الأجناس الأدبية الأخرى.
٥. يحدد الشخصيات والأماكن الواردة في قصة المثل.
٦. يستنتج دلالة مفردات المثل من السياق
٧. يحدد علاقة الترادف والتضاد بين كلمات معطاة.
٨. يوضح العلاقة بين أجزاء النص المقروء.
٩. يضع عنوانا معبرا لقصة المثل
١٠. يعيد صياغة قصة المثل بأسلوبه
١١. يميز بين ما يتصل بالموضوع وما لا يتصل.
١٢. يبدي رأيه في الأحداث والشخصيات.
١٣. يميز بين الحقيقة والرأي فيما يقرؤه.


كتاب الطالب
١٤. يتعرف نوع الانفعالات والعواطف التي تسود النص.
١٥. يحدد بعض نواحي الجمال في الألفاظ والصور البلاغية.
١٦. يقترح حلاً لمشكلة تتعلق بالموضوع.
١٧. يبتكر موقفا يضرب فيه المثل.


كتاب الطالب
الدرس الأول
في الصّيفِ ضَيَّعتِ اللّبَن
نشاطات التعلم
أتوقع – بمشيئة الله – بعد هذا الدرس أن أكون قادرًا على أن:
أميّز المثل من بين الأجناس الأدبية الأخرى.
أحدّد فكرة المثل الرئيسة.
أحدّد علاقة التضاد بين كلمات معطّاة
أحدّد نواحي الجمال في الألفاظ والصور البلاغية
٧


كتاب الطالب
الصَيفِ ضَيّعتِ اللَبَن!
كانت امرأةٌ تعيش مع رجلٍ غنيّ وكريم، كأنّه البحر، يُنفِق عليها وعلى من حوله. لكنّه كبيرٌ في السِنّ، فكَرِهت العَيش معه فطلّقها، وكان طلاقُها في وقت اللَبَن.
ثمّ تزوّجتْ من شابّ فَتِيّ وجميل لكنّه كان فقيرًا، فأرْسَلت إلى زوجها الأوّل تَطلُب اللَبَن منه؛ فأجابها: "في الصَيفِ ضيّعتِ اللَبَن"
ويُضرَب هذا المَثَل لمَن يتسرّع في اتّخاذ القَرار ثمّ يَطلُب شيئًا قد فوّته على نفسه.
(مجمع الأمثال (ج ١): ص٦٨) بتصرف
إضاءة
عزيزي الطالب:
الْمَثَلُ ما يُمَثَّلُ بِهِ الشيء: أي يُشَبَّه. ويتميز عن غيره من الكلام بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه.
٨


كتاب الطالب
التدريب الأول: تأمل الأجناس الأدبية الآتية:
المثل
كَلامٌ في جُمْلَةٍ أَوْ جُمْلَتَيْنِ يُمَثِّلُ عِبْرَةً مُسْتَخْلَصَةً مِنْ وَاقِعَةٍ مُعَيَّنَةٍ يُرَدَّدُ في وقائع أُخْرَى مُشَابِهَةٍ لَهَا.
الحكمة
تعبير يتضمن رأياً مُوَافِقاً لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ
الخطبة
كلام يوجه إلى جمهور الناس لغرض معين
القصة
حكاية تؤخذ أحداثها من الخيال أو الواقع أو منهما معاً، وتبنى على قواعد معيَّنة.
التدريب الثاني: (الصيف ضيعت اللبن) بالنظر إلى الأجناس الأدبية يعدّ:
أ- مثلا
ب- حكمة
ج- خطبة
د- قصة
التدريب الثالث: الفكرة الرئيسة للمثل (ضيعت الصيف اللبن):
أ- الزواج في الصيف
ب- المسارعة في الخير
ج- فوائد استغلال الفرص
د- الأثر السيئ للعجلة.



كتاب الطالب

التدريب الرابع: العلاقة بين كلمتي (غني وفقير):

من أشهر العلاقات في المعنى بين الكلمات:
الترادف: دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد. مثل: السعادة والفرح
التضاد: ان يكون للكلمة معنى معاكسا لمعنى الكلمة الأخرى، مثل: الفرح والحزن

أ- التضاد ب- الترادف
ج- الجزئية د- السببية

التدريب الخامس: الجانب البلاغي في (كأنه البحر)

التشبيه: إلحاق أمر بآخر لصفة مشتركة بينهما، ويقوم على ثلاثة أركان: المشبه وأداة التشبيه والمشبه به. نقول: العلماء كالنجوم.

أ- التوكيد ب- الأمر
ج- النهي د- التشبيه

التدريب السادس: أكمل الجدول الآتي

الجملة	المشبه	أداة التشبيه	المشبه به
العالم كالغيث			
الشمس مثل النار			
خالد كالأسد			

١٠



كتاب الطالب

التقويم

عاش حاتم الطائي في الجاهلية قبل الإسلام، وكان رجلًا جوادًا عرف بالكرم حتى أصبح يضرب به المثل في الكرم والجود والسخاء، فقيل: (أكرم من حاتم) وله قصص كثيرة في إكرام ضيوفه من أشهرها أنه جاءته امرأة فقالت له: إني تركت أطفالي يتعاوون كالكلاب من الجوع فذبح فرسه وهو لا يملك غيرها ليشبعها وأطفالها. فعجبًا لهذا الرجل الذي لا يعرف الشح أبدًا.

اقرأ النص السابق، ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

١. (أكرم من حاتم) يعد هذا القول:

أ- مثلا ب- حكمة ج- خطبة د- قصة

٢. الفكرة الرئيسة في النص السابق:

أ. الحياة في الجاهلية ب. كرم حاتم الطائي

ج. الفقر في العصر الجاهلي د. الفرس مصدر للغذاء

٣. العلاقة بين كلمتي (الكرم والبخل):

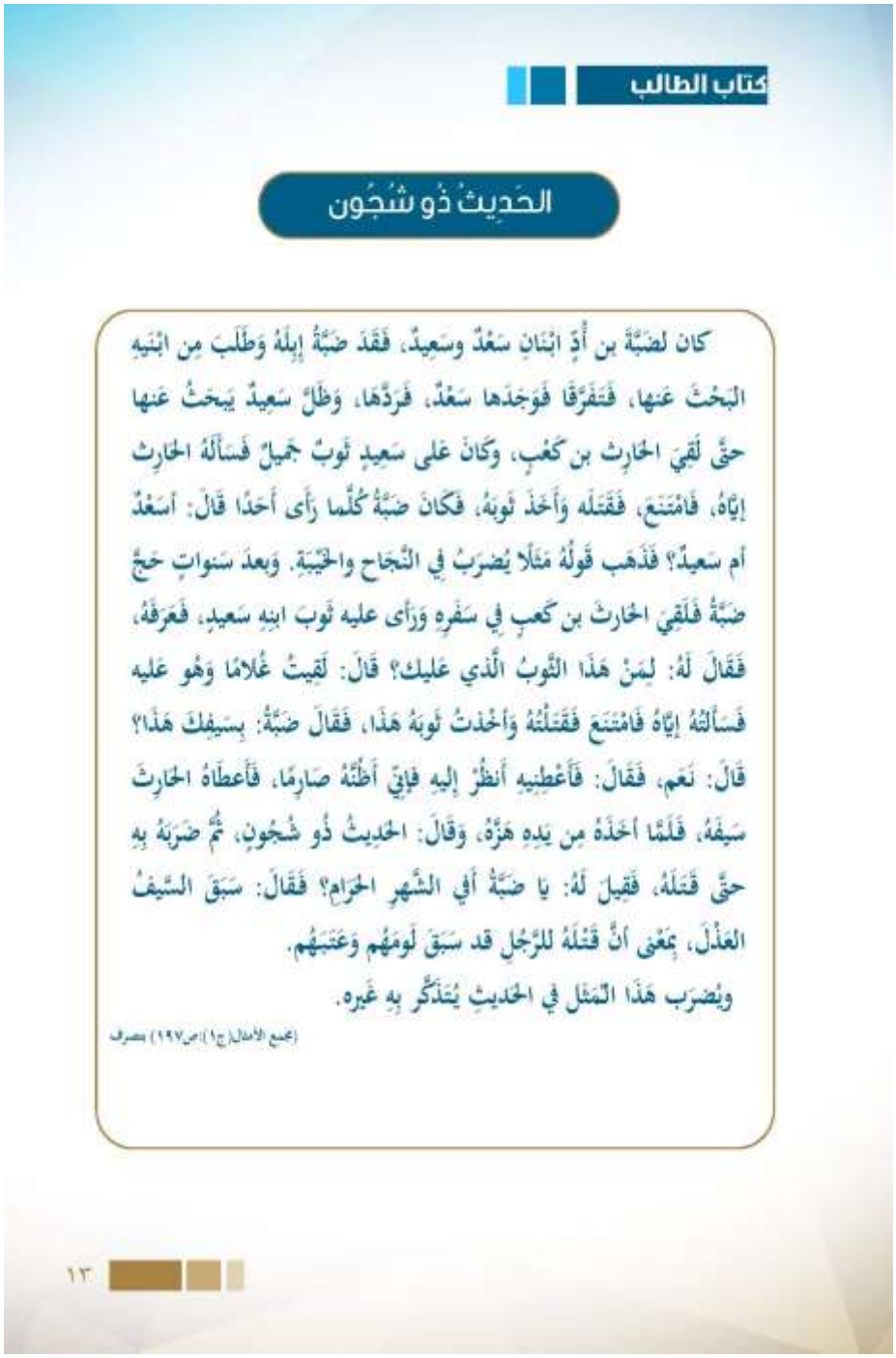
أ. التضاد ب- الترادف ج- الجزئية د- السببية

٤. الجانب البلاغي في (أطفالي يتعاوون كالكلاب):

أ- التوكيد ب- الاستفهام ج- النهي د- التشبيه

١١


كتاب الطالب
الدرس الثاني
الحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ
نتاجات التعلم
أتوقع – بمشيئة الله – بعد هذا الدرس أن أكون قادرًا على أن:
أحدّد المعنى المباشر لمفردات المثل.
أحدّد تسلسل الأفكار والأحداث كما وردت في قصة المثل.
أتعرّف نوع الانفعالات والعواطف التي تسود النص.
أميّز بين الحقيقة والرأي فيما أقرأ.
أوضح العلاقة بين أجزاء النص المقروء.
١٢


كتاب الطالب
الحَديثُ ذُو شُجُون
كان لضَبَّةَ بن أُدٍّ ابْنَانِ سَعْدٌ وسَعِيدٌ، فَقَدَ ضَبَّةُ إِبِلَهُ وَطَلَبَ مِن ابْنَيه البَحْثَ عَنها، فَتَفَرَّقَا فَوَجَدَها سَعْدٌ، فَرَدَّهَا، وَظَلَّ سَعِيدٌ يَبحَثُ عَنها حتَّى لَقِيَ الحَارِث بن كَعْب، وكَانَ على سَعِيدٍ ثَوبٌ جَمِيلٌ فَسَأَلَهُ الحَارِث إِيَّاهُ، فَامْتَنَعَ، فَقَتَلَه وَأَخَذَ ثَوبَهُ، فَكَانَ ضَبَّةُ كُلَّما رَأَى أَحَدًا قَالَ: أَسَعْدٌ أم سَعِيدٌ؟ فَذَهَب قَولُهُ مَثَلًا يُضرَبُ فِي النَّجَاح والخَيْبَة. وَبعدَ سَنواتٍ حَجَّ ضَبَّةُ فَلَقِيَ الحَارِثَ بن كَعبٍ فِي سَفَرِهِ وَرَأَى عليه ثَوبَ ابنِهِ سَعِيدٍ، فَعَرَفَهُ، فَقَالَ لَهُ: لِمَنْ هَذَا الثَّوبُ الَّذي عليك؟ قَالَ: لَقِيتُ غُلَامًا وَهُو عَلَيه فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَامْتَنَعَ فَقَتَلْتُهُ وَأَخَذْتُ ثَوبَهُ هَذَا، فَقَالَ ضَبَّةُ: بِسَيفِكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَم، فَقَالَ: فَأَعْطِنِيه أَنظُرْ إِلَيه فَإِنِّي أَظُنُّهُ صَارِمًا، فَأَعطَاهُ الحَارِثَ سَيفَهُ، فَلَمَّا أَخَذَهُ مِن يَدِهِ هَزَّهُ، وَقَالَ: الحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حتَّى قَتَلَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا ضَبَّةُ أَفِي الشَّهرِ الحَرَامِ؟ فَقَالَ: سَبَقَ السَّيفُ العَذْلَ، بِمَعْنَى أَنَّ قَتْلَهُ لِلرَّجُلِ قد سَبَقَ لَومَهُم وَعَتَبَهُم.
ويُضرَب هَذَا المَثَل فِي الحَدِيثِ يُتَذَكَّر بِهِ غَيره.
(مجمع الأمثال (ج١) ص١٩٧) بتصرف
١٣



كتاب الطالب

تمهيد: اختر الموقف المناسب لضرب المثل (الحديث ذو شجون):

( ) حَدَّثَكَ صَدِيقُكَ عن زِيارَتِهِ للبيتِ الحَرَامِ، فَحَدَّثْتَهُ عن زِيارَتِكَ.

( ) حَدَّثَكَ صَدِيقُكَ عن زِيارَتِهِ للبيتِ الحَرَامِ، فَلَمْ يُعجِبْكَ حَدِيثُهُ.

( ) حَدَّثَكَ صَدِيقُكَ عن زِيارَتِهِ للبيتِ الحَرَامِ، وَلَمْ يُكْمِلْ حَدِيثَهُ لَكَ.

( ) حَدَّثَكَ صَدِيقُكَ عن زِيارَتِهِ للبيتِ الحَرَامِ، فَأَعْجَبَكَ حَدِيثُهُ.

التدريب الأول: معنى كلمة "الحديث" في المثل:

أ- الكلام ب- الجديد ج- الصدق د- العدل

التدريب الثاني: حدد الترتيب الزمني الصحيح للأحداث وفقا للنص:

أ- ضَاعَتِ الإبِلُ – ذَهَبَ الوَالِدُ لِلحَجِّ – قُتِلَ أَحَدُ الوَلَدَيْنِ – قَتَلَ الوَالِدُ قَاتِلَ وَلَدِهِ

ب- ضَاعَتِ الإبِلُ – قُتِلَ أَحَدُ الوَلَدَيْنِ – ذَهَبَ الوَالِدُ لِلحَجِّ – قَتَلَ الوَالِدُ قَاتِلَ وَلَدِهِ

ج- ذَهَبَ الوَالِدُ لِلحَجِّ – ضَاعَتِ الإبِلُ – قُتِلَ أَحَدُ الوَلَدَيْنِ – قَتَلَ الوَالِدُ قَاتِلَ وَلَدِهِ

د- ضَاعَتِ الإبِلُ – قُتِلَ أَحَدُ الوَلَدَيْنِ – قَتَلَ الوَالِدُ قَاتِلَ وَلَدِهِ – ذَهَبَ الوَالِدُ لِلحَجِّ

١٤


كتاب الطالب
تدريب الثالث: في قول الناس: (يا ضبة، أفي الشهر الحرام):
أ- الإنكارُ عليه ب- الرِّضا بفعله ج- الاستفهام د- التأييد له
التدريب الرابع: الجملة التي تعبر عن رأي:
أ- إنّي أظنُّه صارمًا ب- فَقَدَ ضَبَّةُ الإبل.
ج- كان على الغُلام ثوبٌ د- حجَّ ضَبَّةُ.
التدريب الخامس: العلاقة بين الجملتين:
(أبى الغلام أن يعطي الحارث ثوبه؛ فقتله)
من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص:
السّببيّة: تقول ذاكرتُ فنجحتُ، فالنّجاح كان بسبب المذاكرة
الجزئيّة: تقول قرأتُ صفحةً من هذا الكتاب، فالعلاقة بين الصّفحة والكتاب علاقةُ الجزئيّة.
أ- السّببيّة ب- الجزئيّة
ج- التّضاد د- التّرادُف
١٥



كتاب الطالب

التقويم

قالَ صالحٌ: جئتُ إلى الجامعةِ الإسلاميّةِ وأنا لا أعْرِفُ شيئًا من الغربيّةِ فاجتهدْتُ كثيرًا وتفوّقْتُ على كثيرٍ من زملائي. ولمّا انتهيتُ من السّنةِ الأولى عُدتُ إلى بلَدِي فانقطعْتُ عن المُراجعةِ وضيّعْتُ وقْتي. وبعد انقضاءِ الإجازةِ رجعْتُ إلى الدّراسةِ في السّنةِ الثّانيةِ فأخذَ الأستاذُ يُذكّرُنا بما درَسْنا وأنا لا أكادُ أعْرِفُ شيئًا. وكُلّما سألَ الأستاذُ سؤالًا كُنتُ ألومُ نفسي على ما فعلتُ! فأخذَني المُعلّمُ جانبًا ونصحَني بالمُراجعةِ وقالَ: ألمْ تسمعْ ما قالتْهُ العربُ في أمثالِها: آفةُ العِلمِ النّسيانُ. قُلتُ وما معنى ذلك: قالَ: الآفةُ ما يُصيبُ الشيءَ فيُفسِدُه. فشكرتُ أستاذي وقلتُ له: ما كنتُ أظنُّ أنّ المراجعةَ مُهِمّةٌ. ووعدْتُه بالاجتهادِ.

اقرأ النص السابق، ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

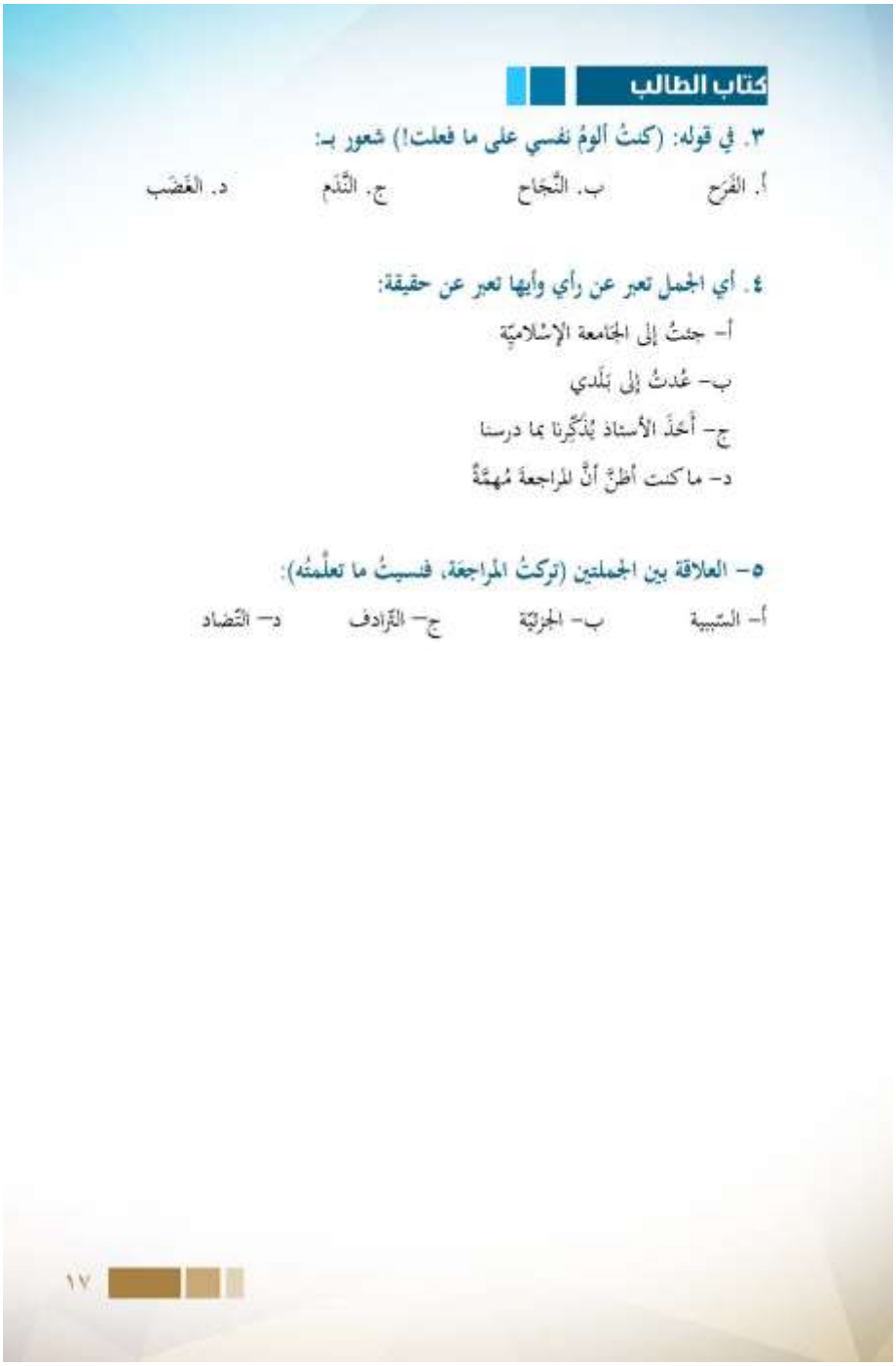
١. معنى كلمة النِّسيان:

أ- قُوّةُ التّذكُّرِ
ب- عَدمُ القُدرةِ على التّذكُّرِ
ج- قُوّةُ الحِفْظِ
د- كثرةُ المعلوماتِ

٢. الترتيب الزمني للأحداث كما وردت في النص:

أ- تَرْكُ المُراجَعَةِ – عادَ إلى بَلَدِهِ – الجُتهَد في دُروسِهِ – تَفَوَّقَ على زُمَلائِهِ
ب- عادَ إلى بَلَدِهِ – تَرْكُ المُراجَعَةِ – الجُتهَد في دُروسِهِ – تَفَوَّقَ على زُمَلائِهِ
ج- الجُتهَد في دُروسِهِ – تَرْكُ المُراجَعَةِ – عادَ إلى بَلَدِهِ – تَفَوَّقَ على زُمَلائِهِ
د- تَفَوَّقَ على زُمَلائِهِ – تَرْكُ المُراجَعَةِ – عادَ إلى بَلَدِهِ – الجُتهَد في دُروسِهِ

١٦



كتاب الطالب

٣. في قوله: (كنتُ ألومُ نفسي على ما فعلت!) شعور بـ:

أ. الفَرَح ب. النَّجاح ج. النَّدَم د. الغَضَب

٤. أي الجمل تعبر عن رأي وأيها تعبر عن حقيقة:

أ- جئتُ إلى الجامعة الإسْلاميّة

ب- عُدتُ إلى بَلَدي

ج- أخَذَ الأستاذ يُذَكِّرنا بما درسنا

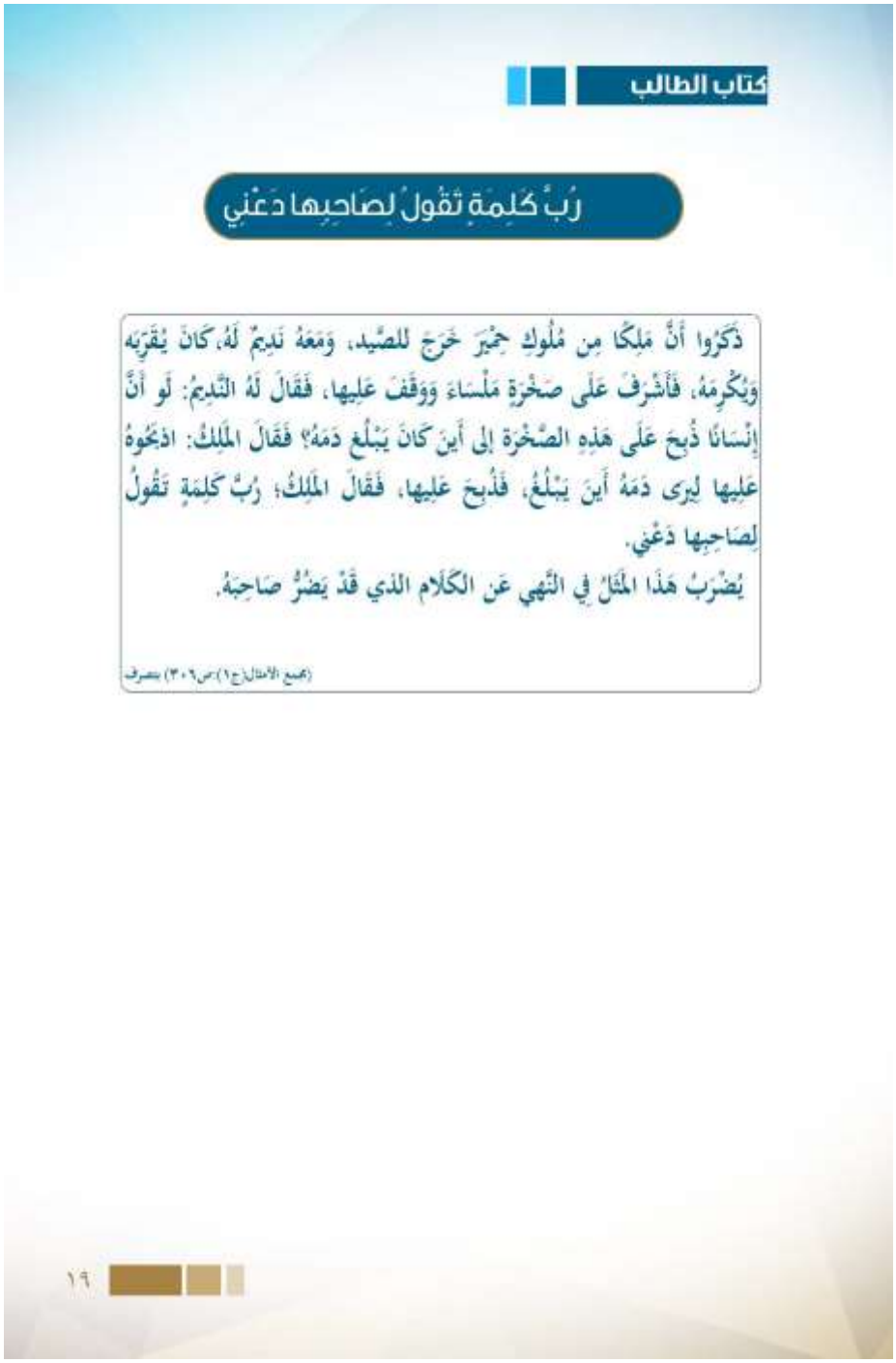
د- ما كنت أظنّ أنّ المراجعة مُهِمَّةٌ

٥- العلاقة بين الجملتين (تركتُ المراجعَة، فنسيتُ ما تعلّمتُه):

أ- السّببية ب- الجزئيّة ج- التّرادف د- التّضاد

١٧


كتاب الطالب
الدرس الثالث
رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِها دَعْنِي
نتاجات التعلم
أتوقع – بمشيئة الله – بعد هذا الدرس أن أكون قادرًا على أن:
أحدّد علاقة الترادف
أستنتج دلالة مفردات المثل من السياق
أميّز ما لا يتصل بالموضوع
١٨


كتاب الطالب
رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي
ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِن مُلُوكِ حِمْيَرَ خَرَجَ للصَّيد، وَمَعَهُ نَدِيمٌ لَهُ، كَانَ يُقَرِّبُه وَيُكْرِمُهُ، فَأَشْرَفَ عَلَى صَخْرَةٍ مَلْسَاءَ وَوَقَفَ عَلَيها، فَقَالَ لَهُ النَّدِيمُ: لَو أَنَّ إِنْسَانًا ذُبِحَ عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَى أَينَ كَانَ يَبْلُغ دَمُهُ؟ فَقَالَ المَلِكُ: اذبَحُوهُ عَلَيها لِيرى دَمَهُ أَينَ يَبْلُغُ، فَذُبِحَ عَلَيها، فَقَالَ المَلِكُ: رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي.
يُضْرَبُ هَذَا المَثَلُ فِي النَّهيِ عَن الكَلَام الذي قَدْ يَضُرُّ صَاحِبَهُ.
(مجمع الأمثال (ج ١) ص ٣٠٩) بتصرف
١٩


كتاب الطالب
التدريب الأول: العلاقة بين كلمتي (دَعْني) و (اتْرُكْني):
أ- التَّضَاد
ب- التَّرَادُف
ج- التَّشْبيه
د- السَّبَبِيَّة
التدريب الثاني: معنى أشرف في قوله: أشرف على صخرة ملساء ووقف عليها
أ- نظر من مكان مرتفع
ب- جلس على الصخرة
ج- وضع يده على الصخرة
د- للصخرة منزلة شريفة
التدريب الثالث
كُلّ مَا يَلي وَرَدَ في قصّةِ المَثَل مَا عَدَا:
أ- طَلَبَ المَلِكُ الصَّيد
ب- خَرَجَ النَّدِيمُ مَعَ المَلِك
ج- قَتَلَ المَلِكُ نَدِيمَهُ بِسَبَبِ كَلِمَةٍ
د- أَحَسَّ النَّدِيمُ بِأَنَّ المَلِكَ سَيَقْتُلُهُ
٢٠



كتاب الطالب

التقويم

١. اختر المَعْنى المُناسِبَ لِكَلِمَةِ (عَيْن) مُستعينًا بالسِّيَاق:

( ) عينُ الطَّالِبِ تُؤلِمُهُ.	للدَّلالَة عَلى الإكرام والحِفظ.
( ) شربتُ من هذه العين.	المكانُ الَّذي تَخرجُ منهُ المياه بصورةٍ طَبيعيّة.
( ) أنتَ على عَيني.	العُضوُ الَّذي يُبصرُ به.
( ) أرسلَ القائدُ عُيونًا لهُ.	الجاسوسُ الَّذي يأتي بالأخبار في الخفاء.

٢. حَدِّد المرادفَ المُناسِبَ لِلكَلِماتِ الآتية:

الإجازَة المَوَدَّة البَشر المَنزل الحَديقة

أ- العُطْلَة ب- النَّاسُ ج- المَحبَّة د-البَيت

٣. مَيِّزْ العِبارَة التي لا تَتَّصِل بالمَوْضُوع:

أ- يَدْرسُ الطُّلابُ في المَعْهَد.

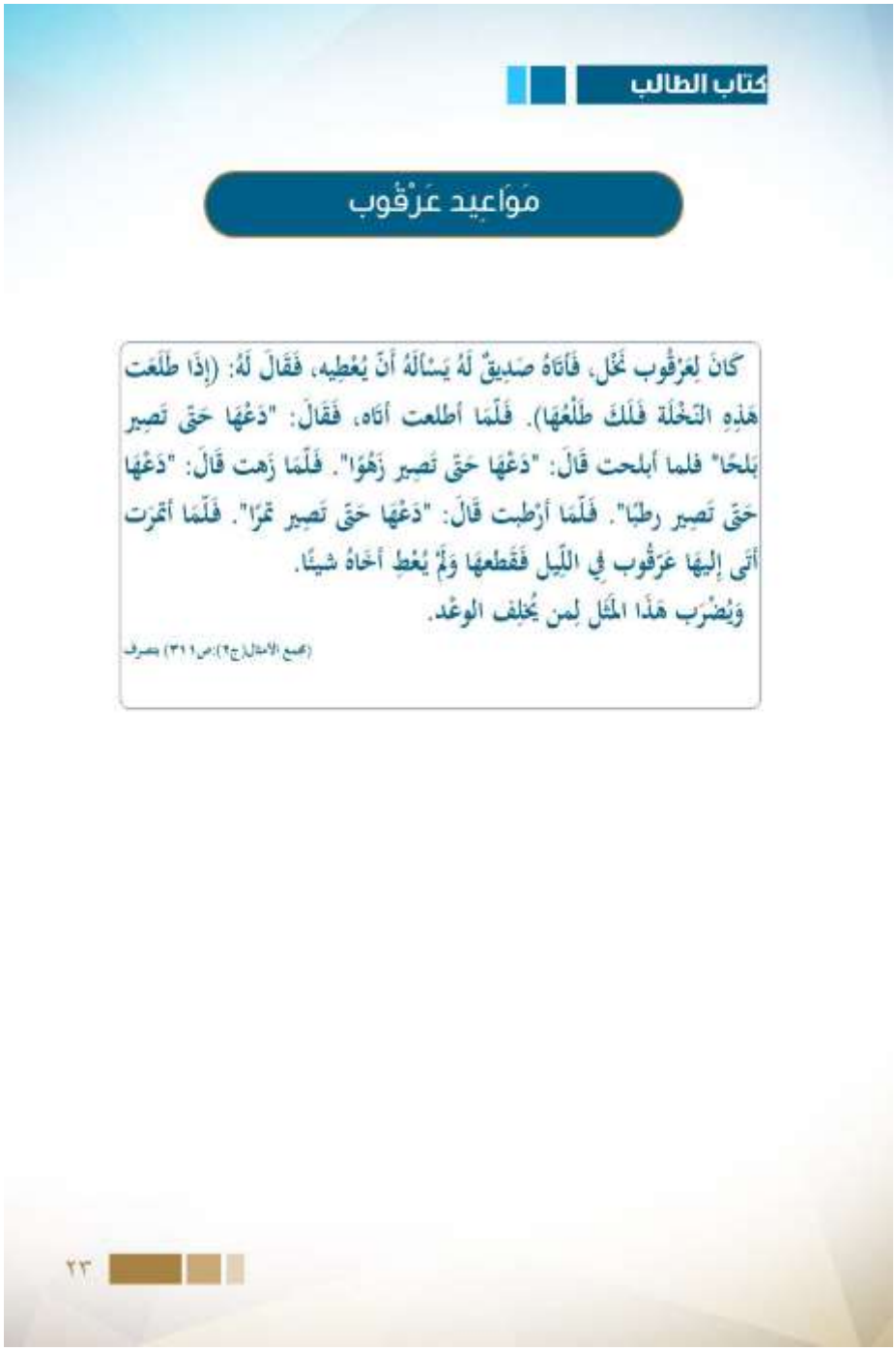
ب- في الجَامِعَةِ كُلِّياتٌ كَثيرة.

ج- بَدَأتِ الدِّرَاسَةُ في شَهْرِ مُحَرَّم.

د- يَصُوم المُسْلِمُون شَهرَ رَمَضَان.

٢١


كتاب الطالب
الدرس الرابع
مَوَاعِيد عَرْقُوب
تلاجات التعلم
أتوقع – بمشيئة الله – بعد هذا الدرس أن أكون قادرًا على أن:
أضع عنوانا معبرا لقصة المثل
أبدي رأيي في الأحداث والشخصيات
أقترح حلاً لمشكلة تتعلق بالموضوع
أبتكر موقفًا يضرب فيه المثل
٢٢


كتاب الطالب
مَوَاعِيد عَرْقُوب
كَانَ لِعَرْقُوب نَخْل، فَأَتَاهُ صَدِيقٌ لَهُ يَسْأَلُهُ أَنْ يُعْطِيه، فَقَالَ لَهُ: (إِذَا طَلَعَت هَذِهِ النَّخْلَة فَلَكَ طَلْعُهَا). فَلَمَّا أطلعت أتاه، فَقَالَ: "دَعْهَا حَتَّى تَصِير بَلَحًا" فلما أبلحت قَالَ: "دَعْهَا حَتَّى تَصِير زَهْوًا". فَلَمَّا زَهت قَالَ: "دَعْهَا حَتَّى تَصِير رطبًا". فَلَمَّا أَرْطبت قَالَ: "دَعْهَا حَتَّى تَصِير تمرًا". فَلَمَّا أتمرت أَتَى إِلَيْهَا عَرْقُوب فِي اللَّيْل فَقَطعهَا وَلَمْ يُعْطِ أَخَاهُ شَيْئًا.
وَيُضْرَب هَذَا المَثَل لِمن يُخلِف الوعْد.
(مجمع الأمثال ج٢):ص٣١٦) بتصرف
٢٣



كتاب الطالب

التدريب الأول: ضَعْ عُنْوَانًا مُعَبِّرًا لِقِصَّةِ المَثَل

.....

.....

.....

التدريب الثاني: دَعْهَا حَتَّى تَصِير بَلَحًا/ رُطَبًا/تَمْرًا. مارأيك في تَصرُفِ عَرْقُوب.

.....

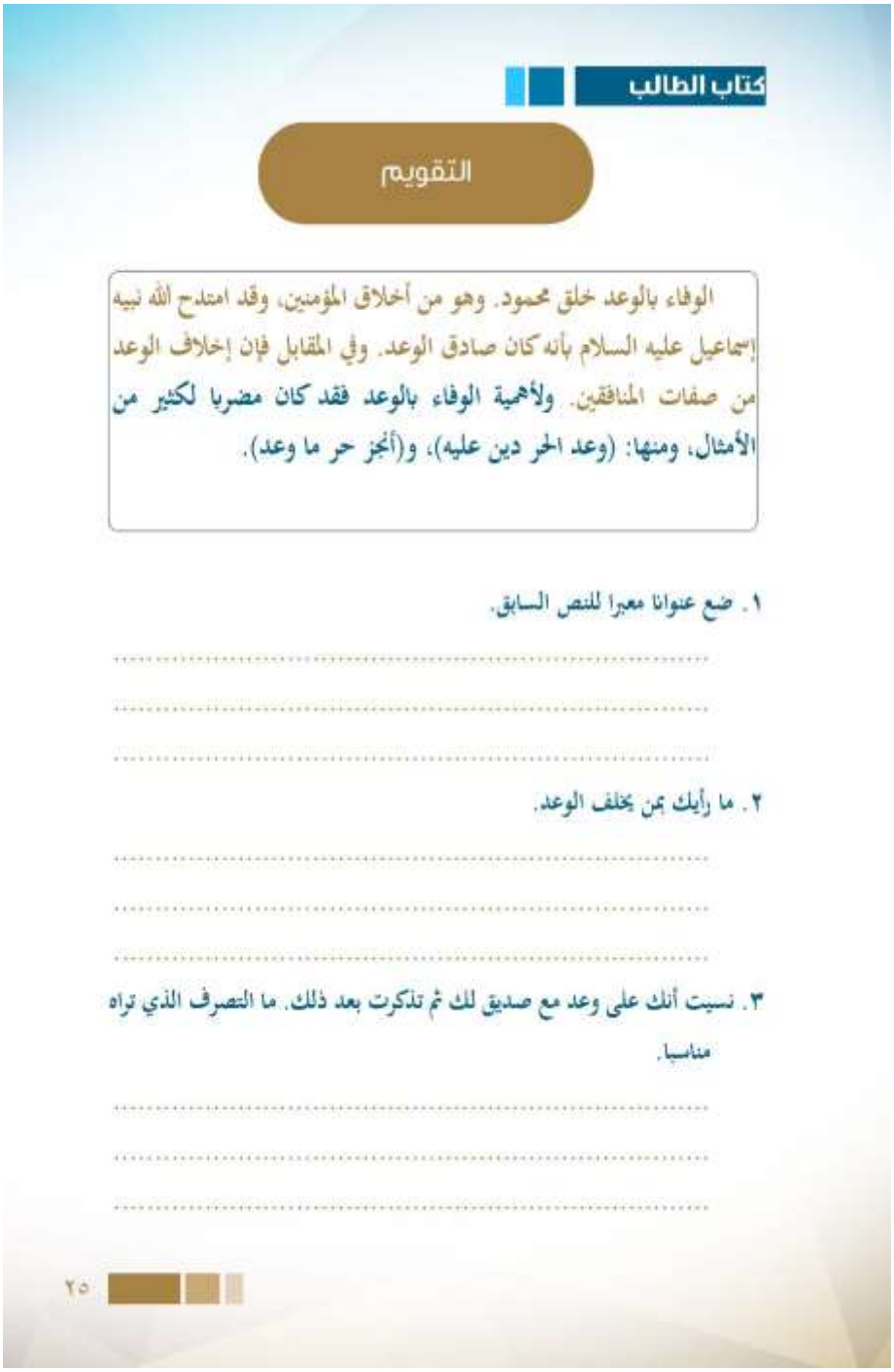
.....

.....

التدريب الثالث
مِن المواقِفِ التي يُضْرَبُ فِيهَا المَثَل:

( ) رَجُل أَهْدَى لِصَاحِبِهِ تَمْرًا.
( ) رَجُل أَخْلَفَ وَعْدًا بينه وبين صَاحِبِه.
( ) رَجُل حَرَصَ عَلَى الوفَاء بِالوعْد.
( ) رَجُل أَكْثَر مِنْ الوعُود.

٢٤



كتاب الطالب

التقويم

الوفاء بالوعد خلق محمود. وهو من أخلاق المؤمنين، وقد امتدح الله نبيه إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد. وفي المقابل فإن إخلاف الوعد من صفات المنافقين. **ولأهمية الوفاء بالوعد فقد كان مضربا لكثير من الأمثال، ومنها: (وعد الحر دين عليه)، و(أنجز حر ما وعد).**

١. ضع عنوانا معبرا للنص السابق.

.....

.....

.....

٢. ما رأيك بمن يخلف الوعد.

.....

.....

.....

٣. نسيت أنك على وعد مع صديق لك ثم تذكرت بعد ذلك. ما التصرف الذي تراه مناسبا.

.....

.....

.....

٢٥


كتاب الطالب
٤. هات موقفا يضرب فيه المثل.
.....
.....
.....
٢٦


كتاب الطالب
المراجع
١. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق:
محمد محيي الدين عبد الحميد،دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٧


كتاب الطالب
تم بحمد الله
٢٨

تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

A proposed conception of the criteria for evaluating language planning for acquiring the Arabic language The Institute of Arabic Language Teaching at the Islamic University of Madinah

بحث علمي مقدم لعمادة البحث العلمي

د. محمد بن سلمان بن مصلح الحربي

أستاذ مساعد بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الالكتروني: moh.91933@gmail.com

المستخلص

هدف البحث إلى بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية، من خلاله يمكن تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية وتطويره في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لبناء التصور المقترح من الأدبيات المتعلقة بالتخطيط اللغوي لاكتساب اللغة ومن ثم تحكيمه والإفادة منه.

وتوصل البحث التصور مقترح لمعايير يمكن من خلالها تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية.

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث أوصى الباحث بعدد من المقترحات والتوصيات التي تفيد في مجال البحث الحالي.

Abstract:

The aim of the research is to build a proposed conception of standards for evaluating language planning for acquiring the Arabic language, through which language planning for acquiring Arabic can be evaluated and developed at the Institute of Teaching Arabic Language in the Islamic University.

The researcher used the descriptive analytical approach to build the suggested perception from the literature related to linguistic planning for language acquisition, and then judged and benefited from it.

The research reached a proposed conception of standards by which language planning for acquiring the Arabic language can be evaluated.

In light of the findings of the research, the researcher recommended a number of suggestions and recommendations that are useful in the current research field.

المقدمة

التخطيط اللغوي هو علم حديث النشأة، حيث إنّ أول من استخدمه مصطلحًا علميًّا هو العالم أوريل فِنراخ، في حلقة دراسية في جامعة كولومبيا عام ١٩٥٧م، وبعده العالم الأمريكي النرويجي الأصل **أينار هَوْغِنْ "Haugen"**، الذي أدخل المصطلح في أدبيات علم اللغة الاجتماعي(١)، في مقالة بعنوان "التخطيط اللغوي في النرويج الحديثة" عام ١٩٥٩م، ولكنّ مفهومه قديم قِدم اللغات نفسها، حيث يوجد العديد من الأمثلة على تدخل الإنسان في اللغات،(٢) ومن ذلك ما فعله خليفة المسلمين **عمر بن الخطاب** – رضي الله عنه– عندما أرسل كتابه إلى أذربيجان يأمرهم بتعلّم اللغة العربية, ذكر فيه: "تعلموا العربية فإنها تُشبب العقل, وتزيد في المروءة"(٣)، ومنه أيضًا ما فعله الخليفة الأموي **عبد الملك بن مروان** المتوفى سنة ٨٦هـ من فرض استعمال اللغة العربية بعد الفتوح الإسلامية، وتعريب الدواوين(٤).

وللتخطيط اللغوي ثلاثة مجالات، هي: تخطيط المتن، وتخطيط منزلة اللغة، والتخطيط للغة في التعليم، ويتناول تخطيط المتن التخطيط المتعلق بإصلاح متن اللغة ألفاظا وصيغا وتراكيب ونظام كتابة، وتخطيط منزلة اللغة، ويتناول منزلة اللغة بين اللغات باعتبارها رمزًا للهوية القومية عند الناطقين بها، والتخطيط للغة في

(١) روبرت.ل.كوبر، **التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي**، ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود، (مجلس الثقافة العام، ب. ت. ٢٠٠٦م) ص: ٦٨.

(٢) لويس جان كالفي، **حرب اللغات والسياسات اللغوية**، ترجمة: حسن حمزة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١) ص: ٢٢٠.

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، **طبقات النحويين واللُّغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م)، ص: ١٢.

(٤) علي محمد محمد الصَّلَّابي، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، (بيروت، دار المعرفة، ط٢ ٢٠٠٨) ٦٦٣/١.

التعليم أو ما يُسميه "**كوبر**" تخطيط الاكتساب(١).

وموضوع هذا البحث يدخل في المجال الأخير من هذه المجالات، وهو تخطيط الاكتساب، مع قصره على تعليم اللغة العربية للناطقين والناطقات بلغات أخرى.

ويهدف التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة إلى زيادة أعداد المتحدثين باللغة، أو المحافظة على عدد المتحدثين بها عند المستويات العالية، وهذا بدوره يساهم في الحفاظ على اللغة من خلال المحافظة على أعداد المتحدثين بها مرتفعة، فاللغة تنمو وتتطور بنمو أهلها وتطورهم، كما تنحسر وتضمحل بالتخلي عنها, كما يساهم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة كذلك في تطور اللغة من خلال الاعتناء بها وتحديثها من خلال تسخير بعض المتحدثين بها جهودهم في تطوير لغتهم والاعتناء بها.

وجاء هذا البحث ليضع تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية، يمكن من خلاله بناء خطة لغوية لتعليم اللغة العربية لغة ثانية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم توفر معايير يمكن من خلالها تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية بحيث يمكننا معرفة واقع التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية ومعرفة الطريق الصحيح الذي يضمن المحافظة على اللغة العربية لغة عالمية.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

كيف نُقَوِّمُ التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية؟

الذي تتفرع منه الأسئلة التالية:

ما هي معايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية؟

---

(١) سعد بن هادي القحطاني، **التعريب ونظرية التخطيط اللغوي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٢م)، (ص:٢١).

ما مدى تطبيق هذه المعايير في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية؟

ما التصور المقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- بناء معايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

٢- قياس مدى تطبيق هذه المعايير في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.

٣- بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: اقتراح تصور لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية.

الحدود المكانية: معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الحدود الزمانية: ١٤٤١/١٤٤٢هـ.

مصطلحات البحث:

معايير: يقصد بالمعيار آراء محصلة لكثير من الأبعاد السيكولوجية والاجتماعية والعلمية والتربوية يمكن من خلال تطبيقها تعرف الصورة الحقيقية للموضوع الواحد المراد تقويمه أو الوصول إلى أحكام عن الشيء الذي نقوم به[١].

ويعرفها الباحث إجرائيا: عبارات تصف ما ينبغي أن يكون عليه التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية.

التقويم: العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة[٢].

---

(١) أحمد اللقاني وعلي الجمل، **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**، (القاهرة: علام الكتب ط٣، ٢٠٠٣م) ص: ٢٧٩.

(٢) عبدالله محمد إبراهيم ونادية محمد شريف، **منهج غير العاديين: لمفهوم التخطيط ونماذج التخطيط وأسس البناء والتطوير**، (الرياض: مكتبة الرشد، , ٢٠١١م)، ص: ١٣٧.

ويعرفه الباحثّ إجرائيا: تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية من غير أهلها.

التخطيط اللغوي:

يعرفه الباحث إجرائيا بأنه: أيّ جهدٍ عمليٍّ متعمد، يكون الهدف منه التأثير في اللغة، أو في سلوك مستخدميها، باختلاف الطريقة المتبعة من مجتمع إلى آخر، وباختلاف القائمين بالتخطيط من السلطات الرسمية إلى تخطيط الرجل في بيته وفي حديثه، وقد يكون التخطيط اللغوي على المستوى القومي أو الدولي أو المؤسسي أو الأسري أو الشخصي.

الاكتساب: هو عملية تلقائية لا شعورية، وهي نفس العملية التي يكتسب بها المتلقن لغته الأم، بحيث أنه لا يستطيع وصف ما اكتسبه على الرغم من إجادته للغة(١).

ويعرفه الباحث إجرائيا بأنه: عملية تلقي اللغة العربية بوصفها لغة ثانية من غير أهلها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

على الرغم من أهمية التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية للناطقين والناطقات بغيرها، من خلال إرشاد القائمين على العملية التعليمية إلى السّير وفق خطط علمية مدروسة، فإنه ليس هناك دراسة علمية اهتمّت ببناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية للناطقين والناطقات بغيرها لا في المعاهد السعودية ولا في غيرها من المعاهد العربية– على حدّ علم الباحث–؛ لذلك سيقوم هذا البحث بدراسة تستهدف بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

أسباب اختيار الموضوع:

(١)محمد خضر عريف، وأنور نقشبندي، **مقدمة في علم اللغة التطبيقي**، (بيروت: دار خضر للنشر والتوزيع، وجدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ص:٣٨.

١- وردت توصية بالتركيز على تخطيط الاكتساب اللغوي بصفته ركيزة في تمكين اللغة في المجتمع. وذلك في الندوة الدولية التي أقيمت في الرياض ١٤٣٧هـ بعنوان: "التخطيط والسياسة اللغوية، تجارب من الدول العربية".

٢- كذلك وردت توصية أخرى بربط أبحاث الدراسات العليا بمسائل التخطيط اللغوي وذلك في الندوة الدولية التي أقيمت في الرياض ١٤٣٧هـ بعنوان: "التخطيط والسياسة اللغوية, تجارب من الدول العربية"

٣- يُعدُّ من الدراسات القليلة في مجال التخطيط اللغوي لتعليم العربية للناطقين بغيرها التي تجرى في بلد عربي.

٤- يفيد القائمين على تعليم اللغة العربية في تحقيق أهدافهم وأهداف الطلاب من التعليم.

٥- يقدم دراسة تقويمية لمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية هي في حاجة إليها لتطوير العملية التعليمية فيها.

٦- يفيد الباحثين والعاملين في مجال التخطيط اللغوي، حيثُ يوفر لهم صورة شاملة عن التخطيط اللغوي في تعليم العربية للناطقين بغيرها، يمكنهم من استخدامها مرجعا لهم.

٧- يفيد العاملين في مجال التقويم، من خلال معرفة أسس التخطيط العلمي المدروس لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في معاهد تعليم اللغة العربية بالجامعات السعودية، يمكنهم من خلاله قياس مدى تحقق أهداف هذه المعاهد.

الإطار النظري:

- **المعايير: مفهومها وأنواعها وفروعها.**

مفهوم المعايير:

عبارة يستند إليها في الحكم على الجودة في ضوء ما تضمنته هذه العبارة من وصف للسلوك والممارسات التي تعبر عن قيم أو اتجاهات أو أنماط تفكير أو قدرة

على حل المشكلات واتخاذ القرارات باعتبارها خطوطا إرشادية تمثل المستوى النوعي للأداء.(١)

أنواع المعايير وفروعها:

تختلف أنواع المعايير باختلاف المجال المستخدمة فيه, وفي مجال التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة تنقسم إلى نوعين(٢):

النوع الأول: معايير خاصة بأهداف التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة.

١- اكتساب اللغة الثانية أو الأجنبية.

٢- اكتساب أفراد المجتمع للغة متحدثة، أو إحياء لغة ما لأغراض خاصة.

٣- ترميم اللغة وصيانتها.

النوع الثاني: معايير خاصة بطرق تحقيق أهداف التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة.

١- توفير فرص تعلم اللغة وتحسينها.

٢- توفير حوافز تعلم اللغة وتحسينها.

٣- توفير فرص التعلم مع الحوافز معا.

- **التقويم: مفهومه وأنواعه، مراحله**

مفهومه: العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة(٣).

عملية إصدار حكم على الشيء أو الشخص في ضوء درجة القياس وفي ضوء الأهداف المحددة وفي ضوء المعلومات الأخرى التي يتم الحصول عليها من مصادر مختلفة.(٤)

---

(١) هيئة تطوير مهنة التعليم، **المعايير المهنية للمعلمين**، (فلسطين: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ٢٠١٠م) ص: ٣.

(٢) كوبر، مرجع سابق، ص:٢٨٨.

(٣) إبراهيم، وشريف، مرجع سابق، ص: ١٣٧.

(٤) رجاء أبو علام، **النظريات الحديثة في القياس والتقويم وتطوير نظام الامتحانات**، (ورقة عمل في المؤتمر العربي الأول للامتحانات والتقويم التربوي: رؤية مستقبلية، القاهرة، المركز =

أنواع التقويم ومراحله:

ينقسم التقويم إلى عدة أنواع وكل نوع يتفرع منه عدة فروع(١):

النوع الأول: التقويم بحسب وقت إجرائه، ويتفرع منه: القبلي والبنائي النهائي والتتبعي.

النوع الثاني: حسب مستوى الشمولية، ويتفرع منه: كلي وجزئي.

النوع الثالث: حسب الجهة القائمة به، ويتفرع منه: جهة رسمية وجهة غير رسمية.

النوع الرابع: حسب طبيعة معالجة البيانات، ويتفرع منه: وصفي ومقارن وتحليلي.

النوع الخامس: حسب المعلومات والبيانات، ويتفرع منه: كمي وكيفي.

النوع السادس: حسب الأهداف، ويتفرع منه: مبني على الأهداف، وغير مبني على الأهداف.

النوع السابع: حسب القائمين به، ويتفرع منه: داخلي وخارجي وداخلي خارجي.

النوع الثامن: حسب العينة، ويتفرع منه: فردي وجماعي.

النوع التاسع: حسب الامتداد السكاني، ويتفرع منه: واسع ومحلي.

- **التخطيط اللغوي: مفهومه وأنواعه وأهدافه ونماذجه**

مفهوم التخطيط اللغوي:

أولًا: التعريفات الأجنبية:

١- عرّفه روبن وجرنود التخطيط اللغوي بأنه: "تغيير في بنية اللغة، وأصواتها، ووظائفها، بهدف إيجاد حلول لمشكلات اللغة وذلك بواسطة إيجاد بدائل جديدة أو تقييم بدائل موجودة واختيار أفضل الحلول لهذه المشكلات"(٢).

=

القومي للامتحانات والتقويم التربوي، ٢٠٠١م)، ص:٩٦.

(١) حمدي شاكر محمود، **التقويم التربوي للمعلمين والمعلمات**، (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص:٣٥.

(٢)كوبر، مرجع سابق، ص:٦٩.

٢- تُعرّفه ايستمان بأنه: القرار الذي يتّخذه مجتمع ما لتحقيق أهداف وأغراض تتعلق باللغة التي يستخدمها ذلك المجتمع، ويحقّق مثل ذلك القرار، سواءً كان يتعلق بحماية اللغة من المفردات الواردة أو إصلاحها أو إنعاشها أو تحديثها، دعم عرى التواصل بين الأمم التي تجمعها لغة واحدة ويعزز الإحساس بالوحدة المناصرة(١).

٣- كوبر يُعرّفه بأنه: التأثير على سلوك الآخرين بشكل متعمد في اكتسابهم للغة وبنية اللغة ووظائفها(٢).

ثانيًا: التعريفات العربية:

٤- وعرّفه معجم اللسانيات الحديثة بأنه: نشاط يشير إلى العمل المنتظم على الصعيد الرسمي أو الخاص، الذي يحاول حلّ المشكلات اللغوية في مجتمع من المجتمعات، ويكون ذلك عادة على المستوى القومي، ومن خلال التخطيط اللغوي يكون التركيز على التوجيه أو التغيير أو المحافظة على اللغة المعيارية أو الوضع الاجتماعي للغة سواء كانت مكتوبة أو منطوقة(٣).

٥- يُعرفه عبدالعزيز بأنه: كلّ الجهود الواعية التي تهدف إلى تغيير السلوك اللغوي لأي جماعة لغوية، ويشمل كل ما يؤدي إلى تغيير السلوك اللغوي من وضع كلمة جديدة إلى وضع لغة جديدة(٤).

٦- ويُعرفه عيساني بأنه: تطبيق عملي للسياسة اللغوية التي تضعها المؤسسات الرسمية للدولة، ويُعرّفه بأنه: مجموعة التدابير المعتمدة والموجهة بالقرارات والإجراءات العملية التطبيقية الكفيلة بتحقيق الأهداف

(١) القحطاني، مرجع سابق، ص:٢٤.

(٢) كوبر، مرجع سابق، ص:٩١-٩٢.

(٣) معجم اللسانيات الحديثة، سامي عياد وآخرونG.I، (مكتبة لبنان ناشرون, ١٩٩٧م)، ص:٧٧.

(٤) محمد حسن عبدالعزيز، "التخطيط اللغوي بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني"، مجلة مجمع اللغة العربيةG.I، بالقاهرة، العدد ١٢١, ٢٠١١م، ص:٧٢.

المسطرة لاستشراف المستقبل[١].

من خلال النظر للتعريفات السابقة يجد القارئ أن هناك قواسم مشتركة بين التعريفات تتمثل في أنّ التخطيط اللغوي يعالج المشكلات اللغوية وغير اللغوية ويكون الهدف منه إما التأثير في اللغة نفسها أو في سلوك مستخدميها أو في كليهما معًا، وبعض التعريفات تصف التخطيط بأنه يبدأ من التفكير في التخطيط مرورًا بصياغة القرارات إلى التطبيق العملي لتلك القرارات، واختلفت التعريفات في القائمين على التخطيط بين قصرها على المؤسسات الرسمية وقصرها على المجتمع.

أنواع التخطيط اللغوي:

من الباحثين مَن يرى أن للتخطيط اللغوي نوعين،[٢] هما:

الأول: تخطيط المتن، وبعضهم يُسمّيه تخطيط الذخيرة اللغوية،[٣] ومنهم مَن يُسمّيه تخطيط بنية اللغة،[٤] ومنهم مَن يُسمّيه تخطيط يستندُ إلى الوثائق والبيانات،[٥] ومنهم مَن يُسميه التخطيط النصّي.[٦]ويتناول تخطيط المتن: التخطيط المتعلق بإصلاح متن اللغة ألفاظا وصيغا وتراكيب ونظام الكتابة.

والثاني: تخطيط المنزلة، وبعضهم يُسميه: تخطيط وضع اللغة،[٧] وبعضهم

(١) عبد المجيد عيساني، "التخطيط اللغوي وأسس اختيار مفردات المقررات الدراسية للغة العربية", مجلة الأثرG.I، العدد ١٩, ٢٠١٤م، ص:٤٧.

(٢) لويس جان كالفي، **السياسات اللغوية**، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ١٤٣٠هـ)، ص: (٢٣).

(٣) القحطاني، مرجع سابق، ص: (٢١).

(٤) بهاء الدين الهادي خير السيد، **أوضاع اللغات السودانية**، (الخرطوم: فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر، ب.ت. ٢٠١٣م)، ص: (١٤).

(٥) آلن ديفيس وكاثرين الدر، **المرجع في اللغويات التطبيقية**، ترجمة: ماجد الحمد وحسين عبيدات، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ب.ط. ١٤٣٧هـ)، الجزء الثاني، ص: (٧٩٩).

(٦) عبد العزيز، مرجع سابق، ٧٢.

(٧) القحطاني، مرجع سابق، ص: (٢١).

يُسميه: التخطيط المحدد للمكانة،[١] ويتناول تخطيط المنزلة: منزلة اللغة بين اللغات باعتبارها رمزًا للهوية القومية عند الناطقين بها.

وهذان النوعان من أنواع التخطيط معروفان منذ زمن بعيد,[٢] ومنهم مَن يضيف نوعًا ثالثًا للنوعين السابقين وهو تخطيط الاكتساب, ويعني الإجراءات التي تهدف إلى تعلّم وتعليم اللغات,[٣] وهو حديث بالنسبة للنوعين السابقين، حيث ظهر في كتاب كوبر عام ١٩٨٩م,[٤] ومن الباحثين مَن يقول: إنّ كوهين ١٩٨٩م هو أول مَنْ تكلّم عن تخطيط الاكتساب,[٥] ويتفق كوبر وكوهين في نفس التاريخ على إضافة تخطيط الاكتساب إلى النوعين السابقين, ومنهم مَن يُسميه تخطيط الانتشار اللغوي,[٦] ومنهم من يرى أن تخطيط الاكتساب يقع ضمن النوعين السابقين.[٧]

وقسّم الفهري تخطيط الاكتساب إلى ثلاثة أنواع فرعية: تعليم اللغة الثانية أو الأجنبية، والمحافظة على لغة مهددة، وإعادة نشر لغة شبه ميته[٨].

ومن الباحثين مَن يضيف نوعا رابعًا لأنواع التخطيط السابقة وهو تخطيط المكانة اللغوية، ويعنى هذا النوع من التخطيط بتحسين الصورة الذهنية للأفراد نحو اللغة[٩].

---

(١) عيساني، مرجع سابق، ص: (٧٢).

(٢) القحطاني، مرجع سابق، ص: (٢١).

(٣) عبدالقادر الفاسي الفهري، **السياسة اللغوية والتخطيط**، (الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية ط١ ١٤٣٥هـ) ص: (١٦).

(٤) القحطاني، مرجع سابق، ص: (٢١).

(٥) الفهري، مرجع سابق، ص: (١٦).

(٦) القحطاني، مرجع سابق، ص: (٢١).

(٧) محمود أحمد نحلة، **التخطيط اللغوي للعربية وقضايا تعليمها وتعلمها**، (المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٣٣هـ)، ص: (٥٦).

(٨) الفهري، مرجع سابق، ص: (١٧).

(٩) محمود عبدالله المحمود، "التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في استراليا: دراسة حالة"، =

وموضوع هذا البحث يدخل في النوع الثالث من هذه الأنواع، وهو تخطيط الاكتساب، وبعضهم يُسميه التخطيط اللغوي في التعليم، ويشمل تخطيط الاكتساب التخطيط لأهل اللغة ولغير أهلها.

وموضوع الباحث في القسم الثاني وهو التخطيط لغير أهل اللغة.

وهذه الأنواع متداخلة ومتكاملة فيما بينها؛ فعلى مستوى الأهداف فالأهداف الناتجة عن تخطيط المتن لازمة أيضا لتخطيط اكتساب اللغة مثلا.

أهداف التخطيط اللغوي:

يمكن تقسيم أهداف التخطيط اللغوي إلى ثلاثة أقسام:

١- أهداف تتعلق بالتخطيط للمنزلة.

٢- أهداف تتعلق بالتخطيط للمتن.

٣- أهداف تتعلق بالتخطيط للاكتساب.

وقسّم كالفي أهداف التخطيط اللغوي إلى نوعين: التأثير في اللغة، والتأثير في اللغات، وقسم أشكال التأثير في اللغة إلى ثلاثة: التأثير على مستوى الخط، والتأثير على مستوى المعجم، والتأثير على مستوى اللهجات.

وقسّم أشكال التأثير على اللغات إلى ثلاثة أيضا: اختيار اللغة الوطنية، وإدارة التعدّد اللغوي، وتوزيع الوظائف اللغوية. وبين في نهاية التقسيم إلى أن هذين النوعين ليسا بمعزل عن بعضهما [(١)].

ومن الواضح أنّ النوع الأول عند كالفي يتعلق بتخطيط المتن، والنوع الثاني يتعلق بتخطيط المنزلة، فيما لم يورد نوعا لتخطيط الاكتساب.

وحدّد رابين ثلاثة أهداف عامة للتخطيط اللغوي[(٢)]:

=

مجلة الدراسات اللغويةG.I العدد الأول من المجلد السابع عشر، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (١٤٣٦هـ)، ص: (١٧٦).

(١) كالفي، مرجع سابق، ص: ٢٢٢-٢٢٤.

(٢) فلوريان كولماس، **دليل السوسيولسانيات**، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩)، ص:٩٣٦-٩٣٧.

١- تحقيق غايات غير لسانية تتعلق بتغيير التوزيع الاجتماعي للغات المتنافسة، مثل انتشار السواحلية في أفريقيا الوسطى والشرقية، وهذا التغيير له نتائج مهمة، من حيث إنّه يحرم عددا من اللغات الفطرية من الاعتراف السياسي بها، وهو داخل فيما يُسمّى تخطيط المنزلة.

٢- المحافظة على أنظمة الخط والكتابة أو تغييرها، أو تشجيع انتشار طريقة نطق خاصة، أو تنوع لساني، قيل: أنّ هذه الأشكال من أشكال التخطيط اللغوي تسعى إلى تحقيق مقاصد شبه لسانية، باعتبار أنّ هذه الأشكال من التدخّلات لها كذلك نتائج سياسية واجتماعية، مثل استعمال الخط السيريلي بدلًا عن الخطّ اللاتيني، حيث يؤدّي هذا الاستبدال إلى تسهيل اكتساب اللغة الروسية التي تستعمل الخطّ السيريلي في جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا، ومن ثمّ تسهيل التماثُل الثقافي ودمج الدول مع بعضها.

٣- تحديث المعاجم، واختيار ألفاظ معيارية وغيرها التي تهدف إلى تعزيز المعيار اللغوي.

والهدفان الثاني والثالث داخلان فيما يُسمّى تخطيط المتن، ولم يعرض لهدف يندرج تحت مفهوم تخطيط الاكتساب.

وحدّدها ناهير بأحد عشر هدفًا[1] ،هي:

١. تحسين جودة اللغة، وذلك عبر تنقيتها، والتنقية نوعان: تنقية خارجية وهي تنقية من العجمة، وحمايتها من تأثير اللغات الأجنبية. وتنقية داخلية وهي تنقية من أخطاء الاستعمال التي تخالف المستوى المعياري للغة.

٢. النهوض بلُغة شبه ميّتة.

٣. إصلاح اللغة، وذلك إما بتغيير النظام الكتابي، أو تسهيل قواعد النحو والصرف والقواعد الإملائية، وتحديث المعاجم، وغيرها من الطرق التي تنهض باللغة لتواكب اللغات العالمية.

---

(١) نحلة، مرجع سابق، ص: (١٢).

٤. تقييس اللغة، ويشمل اختيار لهجة من لهجات عديدة لتكون لغة وطنية أو قومية، ويشمل أيضًا السيطرة على المفردات الجديدة من خلال تطبيق قواعد اللغة عليها، ومن خلال إصدار معاجم جديدة، أو تحديث القديمة منها.
٥. توسيع استعمال اللغة، بجميع الطرق الممكن استخدامها سواء كانت طرق سلمية أو إجبارية.
٦. تحديث المعاجم، بإضافة المفاهيم الجديدة، ويختلف التحديث عن التقييس؛ لأنّ التحديث يشمل المعاجم فقط، أما التقييس فيشمل المعاجم والأبنية والتراكيب.
٧. توحيد الاصطلاح، وذلك بإنشاء مركز قومي معتمد للغة معينة يشترك فيه جميع الدول المتحدثة باللغة، حتى لا يحدث تكرار بين دولة وأخرى.
٨. تبسيط الأسلوب، بالبعد عن المفاهيم المجردة وكثرة استخدام الضمائر بشكل يفضي إلى اللبس في بعض الأحيان.
٩. التواصل اللغوي بين اللغات، في مجتمع يحتوي على أكثر من لغة مستخدمة؛ وذلك بتعزيز استخدام لغة مشتركة تجمع بين أفراد هذا المجتمع.
١٠. حماية اللغة، من الأخطار الداخلية والخارجية.
١١. تقييس اللغات المساعدة، مثل: لغة الإشارة للصم.

ومن الواضح أن الأهداف الثمانية الأولى تدخل في تخطيط المتن وأن الأهداف الثلاثة الباقية تدخل في تخطيط المنزلة، فيما لا يوجد أهداف تتعلق بتخطيط الاكتساب.

ومن الباحثين العرب[١] مَن وضع ستة أهداف للتخطيط اللغوي للعربية، ومنهم أيضا مَن وضع عشرة أهداف[٢] هي:

١- جعلُ اللغة العربية الفصيحة لغة الحياة في البلاد العربية، في التعليم

(١) أحمد الضبيب، **السياسة اللغوية، من كتاب لننهض بلغتنا مشروع لاستشراف مستقبل اللغة العربية**، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط١, ١٤٣٣هـ)، ص: (١٨١).
(٢) عبدالعزيز، مرجع سابق، (ص:٧٨-٧٩).

والبحث العلمي، وجميع مجالات العمل العادية والتخصصية في القطاعين العام والخاص.

٢- ربطُ الانسان العربي بلغته الأم، تأكيدًا لهويته الحضارية، التي تعد اللغة أهم مظاهرها.

٣- كسرُ الحاجز النفسي بين الإنسان العربي ولغته الأم، وجعلها تجري على لسانه صحيحة بسهولة ويسر.

٤- توظيفُ اللغة العربية الفصيحة بوصفها وسيلة مهمة للتكوين العلمي والمعرفي والفكري للإنسان العربي، سعيًا إلى سهولة استيعاب العلوم الحديثة، وتمثلها والانطلاق إلى الإبداع والاختراع.

٥- إعلاء شأن العربية داخل الوطن العربي وخارجه، والعمل على أن تأخذ العربية مكانًا لائقًا بين اللغات العالمية.

٦- الارتقاء باللهجات العامية، وتقريبها إلى اللغة الفصيحة.

يتضح أن الأهداف الخمسة الأولى داخلة في تخطيط المنزلة، والهدف الأخير يدخل في تخطيط المتن، ولم يعرض لأهداف تتعلق بتخطيط الاكتساب.

وحدّد كوبر أهداف تخطيط الاكتساب بثلاثة أهداف[١]:

١- اكتساب اللغة كلغة ثانية أو لغة أجنبية.

٢- إعادة اكتساب أفراد المجتمع للغة، إما كانت بالنسبة لهم لغة محكية، أو إحياء لغة ما لأغراض خاصة.

٣- إدامة اللغة أو المحافظة عليها من خلال ترميمها وصيانتها.

وحدد كابلان وبالدوف (٢٠٠٣) أهم أهداف تخطيط الاكتساب[٢]:

١- تحديد اللغة التي ينبغي تدريسها في المناهج التعليمية.

٢- تحديد كمية وكيفية تدريب المعلمين.

٣- دمج المجتمع المحلي في عملية التخطيط.

---

(١) كوبر، مرجع سابق، ص:٢٨٦.

(2) Kaplan, R. B., &Baldauf, Jr, R.B. (2003) **Language and Language-in-Education Planning in the Pacific Basin**. Dordrecht: Kluwer.

٤- تحديد المواد ونوعية الأدوات والتقنية التعليمية التي ينبغي استخدامها في التعليم.

٥- تأسيس تقييم داخلي وحكومي لمراقبة التقدم.

٦- تحديد التكلفة المالية.

وعلى الرغم من تعدّد تقسيمات الأهداف، فإنها لا تشمل أهداف التخطيط اللغوي غير المعلنة؛ حيث إنّ للتخطيط اللغوي أهدافا غير لغوية قد تكون هي العامل الرئيس في عملية التخطيط اللغوي، وهذه الأهداف قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها من الأهداف.(١)

نماذج من التخطيط اللغوي:

اقتصر الباحث على نماذج لتخطيط الاكتساب؛ لأنه المقصود في هذا البحث.

ويمكن للباحث أن يقسّم النماذج إلى نوعين: تخطيط لتعليم اللغة أو اللغات الرسمية، وتخطيط لتعليم اللغة أو اللغات الأجنبية. والتخطيط اللغوي قد يكون إيجابيًّا أو سلبيًّا، إيجابي، مثل: تعليمها والتحفيز على تعليمها، وسلبي، مثل: تهميشها أو محاربتها والتضييق عليها.

نماذج لتخطيط اللغة أو اللغات الرسمية:

١- تعليم اللغة العربية لأبنائها ولغيرهم، حيث إنّ دساتير الدول العربية تنصُّ على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية، كما تنصُّ على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في جميع المراحل والمقررات، إلا ما دعت الضرورة تعليمه بغيرها.(٢)أما تعليمها لغير أبنائها فلم يرد ذكره في الدساتير، وتقوم به الجامعات والمعاهد بشكل اجتهادي وفردي.(٣)

(١) فلوريان كولماس، **دليل السوسيولسانيات**، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩)، (ص:٩٣٨).

(٢) نحلة، مرجع سابق، ص: (٦٣).

(٣) نحلة، مرجع سابق، ص: (٧٤).

٢- تعليم اللغة العبرية:

تمّ تعليم المهاجرين اللغة العبرية مباشرة فور وصولهم إلى فلسطين المحتلة، من خلال سلسلة من الدروس تقام لهم في مراكز استقبالهم التي يقيمون فيها حتى توفير مساكن ووظائف لهم، وكذلك الحال في المهاجرين السوريين إلى ألمانيا من أتُون الحرب المشتعلة في سوريا هذه الأيام(١).

كما تقيم المجالس البلدية دروسا مكثفة وأخرى غير مكثفة لتعليم العبرية مقابل رسوم رمزية.

وتقدم الجامعات أيضا دروسا لتعليم العبرية لأغراض خاصة للمهاجرين وزوجاتهم ولأطفالهم عندما يذهبون إلى المدارس.

ذلك غير الصحف التي تنشر بلغة عبرية مبسطة، والإذاعة المرئية التي تقيم برنامجا في حلقات بالعبرية المبسطة.

٣- تعليم اللغة الروسية:

فرض المخططون اللغويون في (الاتحاد السوفيتي سابقا) رموز الكتابة السريانية، كما فرضوا الصيغ الصرفية والمعجمية الروسية على غالبية لغات الأقليات غير الروسية لتحديث مفرداتهم.(٢)

٤- تعليم اللغة الإنجليزية:

يوفر المجلس البريطاني مكتبات باللغة الإنجليزية خارج المملكة المتحدة، كما يوفر خبراء لتنظيم فصول ودروس عملية لتدريب مدرسي اللغة الإنجليزية المحليين وإعطائهم دروسا حول تعليم اللغة.(٣)

٥- تعليم اللغتين الفرنسية والألمانية:

يقيم التحالف الفرنسي ومعهد غوتة الألماني أنشطة وأعمالا مماثلة لما يقوم به

(١) كوبر، مرجع سابق، ص: (٢٨٥).
(٢) كوبر، مرجع سابق، ص: (٢٨٣-٢٨٤).
(٣) كوبر مرجع سابق، ص: (٢٨٤).

المجلس البريطاني من أجل ترويج اللغتين الفرنسية والألمانية.[١]

٦- تعليم اللغة الإيرلندية:

من أجل إيقاف هجرة سكان منطقة الجايلتاشت – آخر المناطق الإيرلندية التي ما زال سكانها يتكلمون اللغة الإيرلندية – قامت الحكومة الإيرلندية بتنمية المنطقة اقتصاديا، كما اقترحت الحكومة الإيرلندية إقامة مشروعين في مدينة دبلن لتمكين الناطقين بالإيرلندية من التواصل فيما بينهم ولتوريث اللغة لأطفالهم.[٢]

٧- منعت الصين وسائل الإعلام من استخدام اللغة اليابانية في جزيرة تايوان عندما استعادتها عام ١٩٤٥م ، حيث كانت مستخدمة لمدة خمسين عامًا, وبدأت بترويج اللغة القومية من خلال المدارس, كما سمحت باستخدام لهجات صينية بشكل مؤقت في المدارس, وقامت بإعادة استخدام الكتابات الصينية, وتمسكت بالقراءة الجهرية باللغة الصينية, وذلك بجلب معلمين من الدولة الأم لتدريس اللغة القومية, وتعليم المعلمين أنفسهم الذين كانوا موجودين في الجزيرة ؛ لأنّ المعلمين في الجزيرة كانوا غير قادرين على تعليم اللغة القومية الصينية, كما قاموا باستعمال مبكر للإذاعة المسموعة والصحافة لتوضيح دلالة السياسة اللغوية القومية وهدفها, وتقديم برنامج إذاعي إرشادي لتوضيح طريقة نطق اللغة القومية.[٣]

نماذج لتعليم اللغة أو اللغات الأجنبية:

١- تعليم اللغة الكورية:

أتاحت جامعة كاليفورنيا في ولاية لوس أنجلوس في عام ١٩٨٧م للطلاب الأمريكيين من أصل كوري السفر إلى جامعة سيول الكورية الجنوبية لتعلم

(١) كوبر مرجع سابق، ص: (٢٨٤).

(٢) كوبر مرجع سابق، ص: (٢٨٤).

(٣) كوبر مرجع سابق، ص: (٢٨٤-٢٨٥).

اللغة الكورية لمدة عشرة أسابيع.[١]

٢- تعليم اللغات المختلفة:

قامت استراليا بتعليم لغات الصين وتايوان وكوريا واليابان وسنغافورة في المدارس الثانوية لتحقيق مصالحها الاقتصادية، بإيجاد متكلمين لهذه اللغات في أقرب فرصة[٢].

٣- تطوير اللغة اليابانية لتصبح بإمكانات اللغة الإنجليزية[٣],هذا النموذج في ظاهره يدلّ على تخطيط المتن، ولكنه يؤثر بشكل كبير في تخطيط الاكتساب، لأن تطوير متن أي لغة يساهم في نشرها[٤].

٤- طلب التخلي عن الإسبانية لصالح الإنجليزية في عدد من مدارس الأطفال في كاليفورنيا[٥].

تعليم اللغة العربية في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية:

أنشئ معهد تعليم اللغة العربية في العام ١٣٨٦ / ١٣٨٧هـ، وذلك بناءً على توصية المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة في جلسته الثانية المنعقدة يوم ١٣٨٣/٠٧/٢٩هـ، تحت مسمى (شعبة تعليم اللغة لغير العرب)، والدراسة فيها خاصة للطلاب غير العرب الذين لا يجيدون اللغة العربية؛ وذلك للوصول بهم إلى المستوى الذي يمكنهم من متابعة الدراسة في كليات الجامعة أو المعاهد والدور التابعة لها حسب مؤهلاتهم العلمية. وفي عام ١٤٢٢هـ صدر قرار مجلس التعليم العالي بتعديل مسمى الشعبة ليصبح (معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها).

ويهدف المعهد إلى:

١- الريادة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لنشر اللغة العربية والثقافة

(١) كوبر مرجع سابق، ص: (٢٨٣).
(٢) نحلة، مرجع سابق، ص: (٥٦).
(٣) الفهري، مرجع سابق، ص: (١٧).
(٤) كوبر، مرجع سابق، ص: (٢٨٦-٢٨٧).
(٥) الفهري، مرجع سابق، ص: (١٧).

الإسلامية في العالم، وتزويد الدارسين بالكفايات اللازمة التي تمكنهم في اللغة العربية.

١. التميز في إعداد البحوث العلمية اللغوية وترجمتها ونشرها.
٢. تنفيذ البرامج العلمية وبرامج الدراسات العليا وتنظيم المؤتمرات العالمية والمحلية.
٣. تدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها وتطوير خبراتهم العلمية والعملية أثناء الخدمة.
٤. الإعداد اللغوي لطلاب المعهد للالتحاق بالكليات في الجامعة.
٥. إعداد وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وأساليب تعلمها وتعليمها وإجراء وتشجيع البحوث والدراسات المتخصصة في هذا المجال.

وتعليم اللغة العربية في المعهد هو تعليم لأغراض خاصة (أغراض دينية).

الدراسات السابقة:

١– حجازي، محمود فهمي، التخطيط اللغوي في مصر, ١٤٣٧هـ، هدف البحث إلى تناول النظم الخاصة بالاستخدام اللغوي في التعليم والدولة والإعلام والمجتمع في مصر الصادرة عن الجهات الحكومية ومجمع اللغة العربية والمجالس القومية المتخصصة التابعة لرئاسة الدولة والمجلس الأعلى للثقافة. ولم يذكر المنهج المستخدم في البحث ولكن يمكن استنباط المنهج من مداخل البحث حيث يغلب عليه الجانب التاريخي حيث استعرض القرارات المتصلة بالاستخدام اللغوي منذ بداية قيام الدولة الحديثة في مصر في القرن الميلادي الماضي وصولا إلى القرارات في القرن العشرين، ومن نتائج البحث المتصلة بهذا البحث هي: أن عدد الطلاب الأجانب المستفيدين من برامج تعليم اللغة العربية يبلغ نحو أربعين ألفا، كما يتم إرسال مدرسين للغة العربية إلى الخارج على نفقة الدولة.

٢– **المحمود، محمود عبدالله**، ١٤٣٧هـ، دراسة التخطيط اللغوي في السعودية، الرياض، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الاستخدام الفعلي

لعينة البحث للغة العربية الفصحى، والعامية، واللغة الإنجليزية في سياق الحياة اليومية، بالإضافة إلى استكشاف الاتجاهات بصورة مباشرة وغير مباشرة نحو اللغة العربية بمستوييها الفصيح والعامي، واللغة الإنجليزية، ومعرفة العوامل التي تقف خلف الاتجاهات اللغوية ومقتضياتها للتخطيط اللغوي في السعودية، واستخدمت الدراسة المنهج الكمي والنوعي، فكان من نتائجها: ١- ندرة استخدام العربية الفصحى واللغة الإنجليزية مقارنة بالعامية، ٢- وتظهر الاتجاهات المباشرة تفضيل الفصحى على العامية واللغة الإنجليزية، ٣- بينما الاتجاهات غير المباشرة تفضل اللغة الإنجليزية مقارنة بالعربية الفصحى والعامية.

٣- **السيد، بهاء الدين الهادي خير**، ٢٠١١م، التخطيط اللغوي في السودان ودوره في أوضاع اللغات السودانية، رسالة دكتوراه، الخرطوم، وهدفت الدراسة إلى: الكشف عن ماهية التخطيط اللغوي، وعن دوره في اللغات السودانية بما فيها اللغة العربية، وعن وجوده في اللغات السودانية، وانتهجت الدراسة المنهج الوصفي القائم على الوصف والتحليل، فكان من نتائجها: ١- أن اللغات السودانية على تعددها لم تحظ بتخطيط لغوي علمي، إلا بقدر يسير في اللغة العربية، مما جعلها تنتشر على حساب اللغات السودانية الأخرى، ٢- ونادراً ما يشارك المختصون في علم اللغة في عمليات التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية[١].

٤- **بوكيل، أمينة، ٢٠١٢م**، دراسة ملامح التخطيط اللغوي في إسبانيا، بين الصراع اللساني وحتمية التعايش، وصاغت الباحثة أهداف الدراسة على شكل أسئلة: كيف تجلَّى التخطيط اللغوي في إسبانيا؟ وما هي الخطوات والإجراءات المتبعة لحماية اللغة الإسبانية وتحقيق الانسجام

---

(١) بهاد الدين الهادي خير السيد، **التخطيط اللغوي في السودان ودوره في أوضاع اللغات السودانية**، (رسالة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، ٢٠١١م).

الاجتماعي في إسبانيا؟، لم تذكر منهج الدراسة، فكان من نتائجها: ١- أن التخطيط اللغوي على المستوى الخارجي ظهر مع اكتشاف العالم الجديد ونشر اللغة الأسبانية بدعم من الكنيسة الكاثوليكية، ٢- وارتكز على ثلاثة أسس تتمثل في: تعليم اللغة الإسبانية ونشر الثقافة، وتعزيز الاقتصاد لمواجهة العولمة اللغوية، ٣- وعلى المستوى الداخلي التأكيد على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية ولغة التواصل، والاعتراف بوجود لغات أخرى تستخدم في أماكن وجود متحدثيها(١).

الموازنة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

اتفقت الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في تناولها قضية التخطيط اللغوي، واختلفت عنهم في تناولها قضية التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية، حيث يتوقع من الدراسة الحالية وضع معايير تقويم للتخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية وقياس مدى تطبيقها في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

إجراءات البحث:

- **منهج البحث:**

وتعد منهجية الدراسة من العناصر الأساسية لخطة البحث، ففيها يحدّد الباحث نوع المنهج الذي سيستخدمه في بحثه (٢)؛ ومن هذا المنطلق، اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية؛ لأنّ هذا المنهج غالباً ما يرتبط بدراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية (٣)، وبعضهم يفضّل الاكتفاء بذكر المنهج الوصفي، ولا

(١) أمينة بوكيل، **ملامح التخطيط اللغوي في أسبانيا**، دراسة قدمت في الملتقى الوطني الثاني حول التخطيط اللغوي، (جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر،٢٠١٢م).

(٢) معجم المصطلحات التربوية والنفسية "عربي _ إنجليزي، إنجليزي _عربي"GI. حسن شحاتة، وزينب النجار، مراجعة: حامد عمار. ٢٠٠٣م. ص٢٩٩.

(٣) ربحي عليان، عثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيقية**، =

حاجة لإضافة كلمة تحليلي؛ لأنّ التحليل عملية أساسية في الدراسات العلمية، بصرف النظر عن أنواع مناهجها (١).

- **مجتمع البحث**

تكون مجتمع البحث من أعضاء هيئة التدريس والمدرسين في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وعددهم ١١٣عضوا حسب إحصائيات المعهد.

- **عينة البحث**

تكونت العينة من (٢٧) عضوًا من مجتمع البحث تم اختيارهم عشوائيا.

والجدول التالي يوضح عينة البحث وتصنيفهم:

عينة البحث	العدد	النسبة
أستاذ مشارك	٢	٧,٤
أستاذ مساعد	٢٠	٧٤,٠
محاضر	٤	١٤,٨
مدرس	١	٣,٧
المجمـوع	٢٧	٪١٠٠

- **أدوات البحث.**

استخدم الباحث الاستبانة في التوصل إلى نتائج البحث، وقد تضمنت الاستبانة في صورتها الأولية ما يأتي:

- مقدمة توضح للمحكمين الهدف من إعداد الاستبانة.
- المطلوب من المحكمين إبداء الرأي فيه.
- التعريفات الإجرائية التي وردت في الاستبانة.

وقد اشتملت الاستبانة في صورتها الأولية على أربعة محاور كما اشتملت على ٤٥ معيارا.

=

(١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، ص٤٣.

(١) سعيد إسماعيل صيني، **قواعد أساسية في البحث العلمي**، (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م)، ص:٦٢.

- **الهدف من تصميم الاستبانة:**

يمثل الهدف من تصميم هذه الاستبانة تحديد قائمة بمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية؛ تمهيدا لقياس مدى تطبيق هذه المعايير في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن ثم بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

- **مصادر تصميم الاستبانة:**

تم بناء قائمة بمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية من خلال المصادر التالية:

- الدراسات والأبحاث السابقة التي أجريت في موضوع التخطيط اللغوي.
- المراجع والكتب المختلفة في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- آراء بعض الخبراء والمتخصصين في اللغة العربية، وطرق تدريسها.
- خبرة الباحث التدريسية ودراسته.

- **ضبط الاستبانة:**

عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على المحكمين، بهدف الدراسة الاستطلاعية، وللاسترشاد برأيهم عند إعداد الاستبانة في صورتها النهائية وبهدف إجراء التعديلات المناسبة وفق ما يرونه من حيث ملاءمة العبارات الفرعية للمحاور، والدقة العلمية للعبارات، وكذلك الدّقة اللغوية لها، كما طلب منهم إضافة ما يرونه مناسبًا من عبارات لم ترد بالاستبانة، وبلغ عدد المحكمين للدراسة الاستطلاعية عشرة محكمين.

- **الصدق والثبات للاستبانة:**

صدق الاستبانة:

قام الباحث بالتأكد من صدق الاتساق الداخلي للاستبانة بحساب معامل ارتباط **بيرسون** بين محاور الاستبانة الثلاثة، وذلك باستخدام معادلة **بيرسون** للارتباط:

والجدول يوضح معاملات ارتباط عبارات كل محور من محاور الاستبانة مقارنة بمعامل الارتباط الكلي باستخدام معامل ارتباط بيرسون.

م	محاور الاستبانة	معامل الارتباط
١	مرحلة ما قبل القبول	٠,٧٧*
٢	مرحلة ما بعد القبول	٠,٨٣*

يتضح من الجدول السابق أن الاستبانة يتمتع بدرجة عالية من الصدق، وذلك من خلال قيم معاملات الارتباط (بيرسون) لمحاور الاستبانة الثلاثة حيث نجد أعلى درجة ثبات يمثلها المحور الثاني، وأدنى درجة للمحاور هو المحور الأول.

- **ثبات الاستبانة:**

تم حساب ثبات الاستبانة وتبين أن معامل الفا كرومباخ هو: ٠,٨٩، وهذه درجة عالية الثبات مما يدل على أن الاستبانة صالحة للعينة التجريبية.

- **إعداد الصورة النهائية للاستبانة:**

بعد التأكد من صدق المحكمين، قام الباحث بإعداد الاستبانة لبيان مدى تطبيق هذه المعايير في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية. والجدول التالي يوضح الشكل النهائي الاستبانة:

م	محاور الاستبانة		المؤشرات
١	مرحلة ما قبل القبول		١٥
٢	مرحلة ما بعد القبول	قبل بداية البرنامج	٩
		بعد بداية البرنامج	١٤
المجموع			**٤٥**

- **إجراءات البحث.**

تتمثل إجراءات البحث في:

١- جمع الإطار النظري للبحث.

٢- جمع الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث.

٣- إعداد قائمة بمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية من خلال المصادر والأدبيات في مجال التخطيط اللغوي.

٤- تحكيم القائمة.

٥- تعديل القائمة بناء على آراء المحكمين.

٦- توزيع الاستبيان على أعضاء هيئة التدريس والمعلمين في معهد تعليم

اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للوقوف على مدى توافر معايير التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

٧- بناء تصور مقترح في ضوء ما أسفرت عنه الإجابة عن أسئلة البحث.

- **أساليب التحليل الإحصائي**.

استخدم الباحث عدة أساليب إحصائية لتحليل البيانات التي تمّ جمعها للوصول إلى إجابات لأسئلة البحث، وبالتالي تحقيق أهدافه، وتتمثل في:

- معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل عبارة من جهة ودرجة المحور التي تنتمي إليه.
- المتوسط الحسابي.
- معامل الفا كرومباخ لقياس الثبات.
- النسب المئوية.

نتائج البحث ومناقشتها:

يهدف هذا المبحث إلى الإجابة عن أسئلة البحث وفيما يلي بيان تلك الإجابات:

إجابة السؤال الأول: ما هي معايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية؟

توصل البحث إلى مجموعة من المعايير لتقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية وهي كالتالي:

أولا: معايير مرحلة ما قبل القبول في الجامعة:

- توفير فرص لتعلم اللغة العربية.
- وجود حوافز مادية لطلاب اللغة العربية من الناطقين بغيرها.
- سهولة إجراءات التقديم على برامج تعليم اللغة العربية.
- تعدد اللغات المستخدمة في التقديم.
- زيادة أعداد المقبولين.
- تنوع جنسيات المقبولين.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية عن بعد.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية للجنسين.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية تناسب جميع الفئات العمرية.
- توفير برامج تعليمية للغة العربية في مختلف الدول غير العربية.
- توفر برامج مبسطة وأخرى مكثفة.
- وجود جدول زمني واضح للبرنامج.
- وجود خطة واضحة للبرنامج.
- تبني مؤسسات إقليمية عربية تمول برامج تعليم ونشر العربية.
- برامج إعلامية تساعد في نشر اللغة العربية.

ثانيا: معايير مرحلة ما بعد القبول: وتنقسم إلى قسمين:

١- قبل القبول في البرنامج:

- سهولة إنهاء إجراءات القبول.

- متابعة إجراءات القبول من لحظة القبول وحتى الوصول إلى الجامعة.
- توافر توجيه وإرشاد بلغات متعددة عند وصول المقبولين.
- توافر اختبار تحديد مستوى دقيق.
- توافر مستويات مختلفة تناسب جميع مستويات المتقدمين.
- توافر بيئة تعليمية محفزة للتعلم.
- توافر مصادر تعليمية مختلفة تناسب جميع المتقدمين ومستوياتهم.
- توافر سكن مناسب يساعد على التعلم.
- استقبال الطلاب عند الوصول.

٢– بعد القبول في البرنامج:

- توافر أنشطة تعليمية صفية وغير صفية في أثناء الدوام الرسمي والإجازات.
- تنوع أساليب التقويم المستخدمة.
- توافر وسائل تعليمية متنوعة.
- إجراء اختبارات مرحلية لمعرفة مدى تقدم المتعلم.
- تنوع استراتيجيات التعليم المستخدمة.
- توافر معلمين مؤهلين لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- توافر منهج تعليمي بلغة شائعة وسهلة ومعروض بطريقة شيقة.
- تدرج المحتوى اللغوي بطريقة علمية مشوقة.
- تنمية جميع المهارات اللغوية.
- العناية بالتغذية الراجعة للمتعلمين.
- توافر مصادر تعلم إثرائية للمحتوى التعليمي.
- إقامة برامج مساندة للطلاب المتعثرين.
- مراعاة احتياجات الطلاب اللغوية.
- تقديم برامج إضافية لتعزيز اللغة.

إجابة السؤال الثاني: ما مدى تطبيق معايير التخطيط اللغوي في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية؟

لتحديد فئات الاستجابة فإنّ بيان مدى واقع معايير التخطيط اللغوي

يكون من خلال ما يلي:

- غير موافق بشدة: **١-١,٤٩**
- غير موافق: **١,٥- ٢,٤٩**
- محايد: **٢,٥- ٣,٤٩**
- موافق: **٣,٥-٤,٤٩**
- موافق بشدة: **٤,٥-٥**

أولًا/ مرحلة ما قبل القبول:

الجدول التالي يجيب عن السؤال الأول الذي يتعلق بمدى تطبيق معايير التخطيط اللغوي في مرحلة ما قبل القبول.

يوضح النسب المئوية والمتوسط العام للبيانات والاتجاه لمعايير التخطيط اللغوي في مرحلة ما قبل القبول.

م	العبارة	نسبة الاتفاق %					الوسط الحسابي					الاتجاه
		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	١	٢	٣	٤	٥	
١	توفير فرص لتعلم اللغة العربية.	٥٥,٦	٣٣,٣	١١,١	٠	٠	٤,٤٤					موافق
٢	وجود حوافز مادية لطلاب اللغة العربية من الناطقين بغيرها.	٥٥,٦	٢٩,٦	١١,١	٠	٣,٧	٤,٣٣					موافق
٣	سهولة إجراءات التقديم على برامج تعليم اللغة العربية.	٤٤,٤	٢٦,٦	٢٥,٩	٠	٠	٤,١٨					موافق
٤	تعدد اللغات المستخدمة في التقديم.	٢٢,٢	٢٥,٩	٤٠,٧	١,١	٠	٣,٥٩					موافق
٥	زيادة أعداد المقبولين.	٦٣,٠	١٤,٨	٢٢,٢	٠	٠	٤,٤٠					موافق
٦	تنوع جنسيات المقبولين.	٨٥,٢	٧,٤	٧,٤	٠	٠	٤,٧٧					موافق جدا
٧	توفر فرص لتعلم اللغة العربية عن بعد.	٥١,٩	٢٩,٦	١٨,٥	٠	٠	٤,٣٣					موافق
٨	توفر فرص لتعلم اللغة العربية للجنسين.	٧,٤	١٨,٥	١٨,٥	٢٩,٦	٤٤,٤	١,٩٦					محايد
٩	توفر فرص لتعلم اللغة العربية تناسب جميع الفئات العمرية.	١١,١	١٨,٥	٢٢,٢	٣٣,٣	١٤,٨	٢,٧٧					محايد
١٠	توفير برامج تعليمية للغة العربية في مختلف الدول غير العربية.	١٤,٨	١٨,٥	١٤,٨	٢٥,٩	٢٥,٩	٢,٧٠					محايد
١١	توفر برامج مبسطة وأخرى مكثفة.	١١,١	٣٣,٣	٢٩,٦	٢٢,٢	٣,٧	٣,٢٥					محايد
١٢	وجود جدول زمني واضح للبرنامج.	٥١,٩	٤٨,١	٠	٠	٠	٤,٥١					موافق بشدة
١٣	وجود خطة واضحة للبرنامج.	٤٨,٤	٤٤,٤	٧,٤	٠	٠	٤,٤٠					موافق
١٤	تبني مؤسسات إقليمية عربية تمول برامج تعليم ونشر العربية.	٣,٧	٢٢,٢	٢٩,٦	٢٩,٦	١٤,٨	٢,٧٠					محايد
١٥	برامج إعلامية تساعد في نشر اللغة العربية.	٧,٤	٧,٤	٤٤,٤	٢٩,٦	١١,١	٢,٧٠					محايد
	متوسط معايير تحليل الخطاب في مرحلة ما قبل القبول						٣,٦٧					موافق

الجدول أعلاه يشير إلى أن النسب المئوية والمتوسطات للمحور الأول (مرحلة ما قبل القبول) إلى اتجاه الموافقة في معظم المعايير الخاصة بمرحلة ما قبل القبول، باستثناء بعض المعايير فإنها جاءت محايدة، حيث إن أعلى متوسط حسابي هو المعيار السادس (٤,٧٧)، في حين أدنى متوسط للمعايير هو المعيار الثاني (١,٩٦).

المحور الثاني: مرحلة ما بعد القبول:

أولًا: قبل بداية البرنامج

الجدول التالي يجيب عن السؤال الأول الذي يتعلق بمعايير التخطيط اللغوي في مرحلة ما بعد البرنامج (قبل بداية البرنامج)

يوضح النسب المئوية والمتوسط العامل لبيانات والاتجاه لمعايير التخطيط اللغوي في مرحلة ما بعد القبول (قبل بداية البرنامج)

م	العبارة	نسبة الاتفاق %					الوسط الحسابي					الاتجاه
		موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	١	٢	٣	٤	٥	
١	سهولة إنهاء إجراءات القبول.	٥٥,٦	٢٩,٦	١٤,٨	٠	٠	٤,٤٠					موافق
٢	متابعة إجراءات القبول من لحظة القبول وحتى الوصول إلى الجامعة.	٤٤,٤	٤٠,٧	١٤,٨	٠	٠	٤,٢٩					موافق
٣	توافر توجيه وإرشاد بلغات متعددة عند وصول المقبولين.	٢٩,٦	٢٩,٦	٣٣,٣	٧,٤	٠	٣,٨١					موافق
٤	توافر اختبار تحديد مستوى دقيق.	٣٣,٣	١٨,٥	٢٥,٩	١٨,٥	٣,٧	٣,٥٩					موافق
٥	توافر مستويات مختلفة تناسب جميع مستويات المتقدمين.	٣٧,٠	٤٤,٤	٧,٤	١١,١	٠	٤,٠٧					موافق
٦	توافر بيئة تعليمية محفزة للتعلم.	١٨,٥	١٨,٥	٢٩,٦	٢٩,٦	٣,٧	٣,١٨					محايد
٧	توافر مصادر تعليمية مختلفة تناسب جميع المتقدمين ومستوياتهم.	٣,٧	٢٥,٩	١٤,٨	٥١,٩	٣,٧	٢,٧٤					محايد
٨	توافر سكن مناسب يساعد على التعلم.	٤٨,١	٣٧,٠	١٤,٨	٠	٠	٤,٣٣					موافق
٩	استقبال الطلاب عند الوصول.	٤٤,٤	٤٤,٤	٧,٤	٣,٧	٠	٤,٢٩					موافق
	متوسط معايير تحليل الخطاب في مرحلة ما بعد القبول (قبل بداية البرنامج)						**٣,٨٦**					**موافق**

الجدول أعلاه يشير إلى أن النسب المئوية والمتوسطات للمحور الأول (مرحلة ما بعد القبول) (قبل بداية البرنامج) إلى اتجاه الموافقة في معظم المعايير، باستثناء بعض المعايير فإنها جاءت محايدة، حيث إن أعلى متوسط حسابي المعيار الأول (٤,٤٠)، في حين أدنى متوسط للمعايير هي المعيار السادس (٢,٧٤).

ثانيًا/ بعد بداية البرنامج:

الجدول التالي يجيب عن السؤال الأول الذي يتعلق بمعايير التخطيط اللغوي في مرحلة ما بعد البرنامج (بعد بداية البرنامج)

يوضح النسب المئوية والمتوسط العام للبيانات والاتجاه لمعايير التخطيط

اللغوي في مرحلة ما بعد القبول (بعد بداية البرنامج)

م	العبارة	نسبة الاتفاق %					الوسط الحسابي					الاتجاه
		موافق جدا	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	١	٢	٣	٤	٥	
١	توافر أنشطة تعليمية صفية وغير صفية في أثناء الدوام الرسمي والإجازات.	١٨,٥	٣٣,٣	٢٢,٢	٢٢,٢	٣,٧	٣,٤٠					محايد
٢	تنوع أساليب التقويم المستخدمة.	٣٧,٠	٣٧,٠	١٨,٥	٧,٤	٠	٤,٠٣					موافق
٣	توافر وسائل تعليمية متنوعة.	١١,١	٣٧,٠	٣٧,٠	١١,١	٣,٧	٣,٤٠					محايد
٤	إجراء اختبارات مرحلية لمعرفة مدى تقدم المتعلم.	٢٥,٩	٤٤,٤	١٤,٨	١١,١	٣,٧	٣,٧٧					موافق
٥	تنوع استراتيجيات التعليم المستخدمة.	٣٣,٣	٤٤,٤	٢٢,٢	٠	٠	٤,١١					موافق
٦	توافر معلمين مؤهلين لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.	٥٥,٦	٣٣,٣	١١,١	٠	٠	٤,٤٤					موافق
٧	توافر منهج تعليمي بلغة شائعة وسهلة ومعروض بطريقة شيقة.	٣,٧	٣٧,٠	١٤,٨	٤٠,٧	٣,٧	٢,٩٦					محايد
٨	تدرج المحتوى اللغوي بطريقة علمية مشوقة.	١٨,٥	٢٩,٦	١٨,٥	٢٩,٦	٣,٧	٣,٢٩					موافق
٩	تنمية جميع المهارات اللغوية.	١٨,٥	٤٨,١	٢٢,٢	٢٢,٢	١١,١	٣,٧٤					موافق
١٠	العناية بالتغذية الراجعة للمتعلمين.	١٨,٥	٤٨,١	٢٩,٦	٣,٧	٠	٣,٨١					موافق
١١	توافر مصادر تعلم إثرائية للمحتوى التعليمي.	١١,١	١٤,٨	٣٧,٠	٢٩,٦	٧,٤	٢,٩٢					محايد
١٢	إقامة برامج مساندة للطلاب المتعثرين.	٢٢,٢	٤٨,١	١٨,٥	٣,٧	٧,٤	٣,٧٤					موافق
١٣	مراعاة احتياجات الطلاب اللغوية.	٢٩,٦	٤٨,١	١٤,٨	٣,٧	٣,٧	٣,٩٦					كبير
١٤	تقديم برامج إضافية لتعزيز اللغة.	٢٢,٢	٣٣,٣	٣٣,٣	٣,٧	٧,٤	٣,٥٩					موافق
متوسط معايير تحليل الخطاب في مرحلة ما بعد القبول (بعد بداية البرنامج)							**٣,٦٥**					**موافق**

الجدول أعلاه يشير إلى أن النسب المئوية والمتوسطات للمحور الأول (مرحلة ما بعد القبول) (بعد بداية البرنامج) إلى اتجاه الموافقة في معظم المعايير، باستثناء بعض المعايير فإنها جاءت محايدة، حيث إن أعلى متوسط حسابي المعيار السادس (٤,٤٤)، في حين أدنى متوسط للمعايير هي المعيار السابع (٢,٩٦).

إجابة السؤال الثالث: ما التصور المقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية؟

بعد عرض النتائج التي توصل إليها البحث يقترح الباحث معايير لتقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية، وفق النقاط التالية:

فلسفة التصور:

تقوم فلسفة التصور المقترح على أهداف السياسة اللغوية التي تعنى بالحفاظ على منزلة اللغة بين خرائط اللغات العالمية وضمان بقائها وعدم تأثرها باللغات الأخرى ومن هذه الاهتمامات الاهتمام باكتساب اللغة لزيادة عدد المتحدثين باللغة، وهذا يقوم على اتخاذ القرارات بصورة واعية ومدروسة، وهنا يأتي دور التخطيط اللغوي للتأكد من تنفيذ تلك السياسات ومدى توافرها.

منطلقات التصور المقترح:

يقوم التصور المقترح على عدد من المنطلقات وهي:

١. اكتساب اللغة الثانية أو الأجنبية.
٢. اكتساب أفراد المجتمع للغة متحدثة، أو إحياء لغة ما لأغراض خاصة.
٣. ترميم اللغة وصيانتها.
٤. توفير فرص تعلم اللغة وتحسينها.
٥. توفير حوافز تعلم اللغة وتحسينها.
٦. توفير فرص التعلم مع الحوافز معا.

هدف التصور المقترح:

هدف التصور إلى وضع قائمة بمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية يمكن من خلالها تقويم واقع التخطيط اللغوي في معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها للوقوف على نقاط القوة ونقاط الضعف في

تلك المعايير مما يعين على توجيه الجهود لما يحتاج إلى تحسين فيها.

مصادر التصور المقترح:

اعتمد الباحث على عدد من المصادر في بناء الصور المقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية، وهي:

١. الدراسات السابقة التي تحدثت عن التخطيط اللغوي، مثل دراسة المحمود(١٤٣٧هـ) ودراسة بوكيل (٢٠١٢).
٢. المصادر الأجنبية ككتاب: التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، لروبرت كوبر.
٣. الكتب التي تحدثت عن السياسة والتخطيط اللغوي في الدول العربية، مثل: التخطيط اللغوي في مصر، لمحمود فهمي حجازي، والتخطيط اللغوي في السودان، لبهاء الدين السيد.
٤. بالإضافة إلى خبرة الباحث الإدارية والأكاديمية في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

مكونات التصور المقترح:

تمثلت مكونات التصور المقترح في قائمة معايير تقويم التخطيط اللغوية لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية التي توصل إليها البحث:

أولا: معايير مرحلة ما قبل القبول في الجامعة:

- توفير فرص لتعلم اللغة العربية.
- وجود حوافز مادية لطلاب اللغة العربية من الناطقين بغيرها.
- سهولة إجراءات التقديم على برامج تعليم اللغة العربية.
- تعدد اللغات المستخدمة في التقديم.
- زيادة أعداد المقبولين.
- تنوع جنسيات المقبولين.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية عن بعد.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية للجنسين.
- توفر فرص لتعلم اللغة العربية تناسب جميع الفئات العمرية.

- توفير برامج تعليمية للغة العربية في مختلف الدول غير العربية.
- توفر برامج مبسطة وأخرى مكثفة.
- وجود جدول زمني واضح للبرنامج.
- وجود خطة واضحة للبرنامج.
- تبني مؤسسات إقليمية عربية تمول برامج تعليم ونشر العربية.
- برامج إعلامية تساعد في نشر اللغة العربية.

ثانيا: معايير مرحلة ما بعد القبول: وتنقسم إلى قسمين:

١–قبل القبول في البرنامج:

- سهولة إنهاء إجراءات القبول.
- متابعة إجراءات القبول من لحظة القبول وحتى الوصول إلى الجامعة.
- توافر توجيه وإرشاد بلغات متعددة عند وصول المقبولين.
- توافر اختبار تحديد مستوى دقيق.
- توافر مستويات مختلفة تناسب جميع مستويات المتقدمين.
- توافر بيئة تعليمية محفزة للتعلم.
- توافر مصادر تعليمية مختلفة تناسب جميع المتقدمين ومستوياتهم.
- توافر سكن مناسب يساعد على التعلم.
- استقبال الطلاب عند الوصول.

٢–بعد القبول في البرنامج:

- توافر أنشطة تعليمية صفية وغير صفية في أثناء الدوام الرسمي والإجازات.
- تنوع أساليب التقويم المستخدمة.
- توافر وسائل تعليمية متنوعة.
- إجراء اختبارات مرحلية لمعرفة مدى تقدم المتعلم.
- تنوع استراتيجيات التعليم المستخدمة.
- توافر معلمين مؤهلين لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- توافر منهج تعليمي بلغة شائعة وسهلة ومعروض بطريقة شيقة.
- تدرج المحتوى اللغوي بطريقة علمية مشوقة.

- تنمية جميع المهارات اللغوية.
- العناية بالتغذية الراجعة للمتعلمين.
- توافر مصادر تعلم إثرائية للمحتوى التعليمي.
- إقامة برامج مساندة للطلاب المتعثرين.
- مراعاة احتياجات الطلاب اللغوية.
- تقديم برامج إضافية لتعزيز اللغة.

خاتمة البحث، وتشمل:

- **ملخص البحث**

بعد الانتهاء من تحليل البيانات وتفسيرها تناول الباحث أهم النتائج التي توصل إليها البحث والتي تتمثل في:

أولا: الوصول إلى عدد من المعايير لتقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية، وتشمل:

٣- مرحلة ما قبل القبول في الجامعة.

٤- مرحلة ما بعد القبول في الجامعة، وتنقسم معايير مرحلة ما بعد القبول إلى قسمين:

أ-قبل بداية البرنامج.

ب-بعد بداية البرنامج.

ثانيا: بيان مدى تطبيق هذه المعايير في معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

١- جاء أعلى متوسط حسابي لمعايير مرحلة ما قبل القبول في الجامعة، للمعيار السادس بنسبة (٤,٧٧)، في حين أدنى متوسط للمعايير هو المعيار الثاني بنسبة (١,٩٦).

٢- جاءأعلى متوسط حسابي لمعايير مرحلة ما بعد القبول في الجامعة (قبل بداية البرنامج) للمعيار الأول بنسبة (٤,٤٠)، في حين أدنى متوسط للمعايير هو المعيار السادس بنسبة (٢,٧٤).

٣- جاء أعلى متوسط حسابي لمعايير مرحلة ما بعد القبول في الجامعة (بعد بداية البرنامج) للمعيار السادس بنسبة (٤,٤٤)، في حين أدنى متوسط للمعايير هو المعيار السابع بنسبة (٢,٩٦).

ثالثا: الوصول إلى تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

- **التوصيات**

في ضوء ما توصّل إليه البحث من نتائج يمكن تقديم التوصيات التي يرى الباحث أنّها تفيد في التخطيط اللغوي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهي:

١- الاستفادة من نتائج هذا البحث في معرفة نقاط القوة، ونقاط الضعف لدى معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢- تنمية نقاط القوة وتطويرها، ومعالجة نقاط الضعف التي ظهرت عند معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣- الاستفادة من نتائج هذا البحث عند البدء بتخطيط لغوي في معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٤- الاستفادة من نتائج الأبحاث والدراسات في حقل التخطيط اللغوي.

- **المقترحات:**

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يقترح الباحث بعض الموضوعات التي تصلح مجالًا للدراسة:

١- بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لمتن اللغة.

٢- بناء تصور مقترح لمعايير تقويم التخطيط اللغوي لمنزلة اللغة.

٣- بناء وحدة مقترحة لتنمية مهارات اللغة لدى متعلمي اللغة العربية في ضوء معايير التخطيط اللغوي لاكتساب اللغة.

المصادر والمراجع

إبراهيم، عبدالله محمد وشريف، نادية محمد، **منهج غير العاديين: لمفهوم التخطيط ونماذج التخطيط وأسس البناء والتطوير**، (الرياض: مكتبة الرشد، , ٢٠١١م).

أبو علام، رجاء، **النظريات الحديثة في القياس والتقويم وتطوير نظام الامتحانات**، (ورقة عمل في المؤتمر العربي الأول للامتحانات والتقويم التربوي: رؤية مستقبلية، القاهرة، المركز القومي للامتحانات والتقويم التربوي، ٢٠٠١م).

بهاء الدين الهادي خير السيد، **أوضاع اللغات السودانية**، (الخرطوم: فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر، ب.ت. ٢٠١٣م).

بوكيل، أمينة، **ملامح التخطيط اللغوي في أسبانيا**، دراسة قدمت في الملتقى الوطني الثاني حول التخطيط اللغوي، (جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر،٢٠١٢م).

ديفيس، آلن، والدر، كاثرين، **المرجع في اللغويات التطبيقية**، ترجمة: ماجد الحمد وحسين عبيدات، (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ب.ط. ١٤٣٧هـ).

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، **طبقات النحويين واللُّغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م).

السيد، بهاد الدين الهادي خير، **التخطيط اللغوي في السودان ودوره في أوضاع اللغات السودانية**، (رسالة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، ٢٠١١م).

شحاتة، حسن، والنجار، زينب، معجم المصطلحات التربوية والنفسية "عربي ــ إنجليزي، إنجليزي ــعربي". مراجعة: حامد عمار. ٢٠٠٣م.

الصلابي، علي محمد محمد، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، (بيروت، دار المعرفة، ط٢ ٢٠٠٨).

صيني، سعيد إسماعيل، **قواعد أساسية في البحث العلمي**، (١٤١٥هـ –

١٩٩٤م).

الضبيب، أحمد، **السياسة اللغوية، من كتاب لننهض بلغتنا مشروع لاستشراف مستقبل اللغة العربية**، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ط١, ١٤٣٣هـ).

عبدالعزيز، محمد حسن "التخطيط اللغوي بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني", مجلة مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، العدد ١٢١, ٢٠١١م.

عريف، محمد خضر ونقشبندي، أنور، **مقدمة في علم اللغة التطبيقي**، (بيروت: دار خضر للنشر والتوزيع، وجدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

عليان، ربحي، وغنيم، عثمان محمد، **مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيقية**، (١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م).

عياد، سامي، وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، (مكتبة لبنان ناشرون, ١٩٩٧م).

عيساني، عبدالمجيد "التخطيط اللغوي وأسس اختيار مفردات المقررات الدراسية للغة العربية", مجلة الأثر، العدد ١٩, ٢٠١٤م.

فلوريان كولماس، **دليل السوسيولسانيات**، ترجمة: خالد الأشهب وماجد ولين النهيبي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٩)، (ص:٩٣٨).

الفهري، عبدالقادر الفاسي، **السياسة اللغوية والتخطيط**، (الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية ط١ ١٤٣٥هـ).

القحطاني، سعد بن هادي، **التعريب ونظرية التخطيط اللغوي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية).

كالفي، لويس جان، **السياسات اللغوية**، ترجمة: محمد يحياتن، (الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١ ١٤٣٠هـ).

كالفي، لويس جان، **حرب اللغات والسياسات اللغوية**، ترجمة: حسن حمزة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١).

كوبر، روبرت.ل. **التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي**، ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود، (مجلس الثقافة العام، ب. ت. ٢٠٠٦م).

اللقاني، أحمد والجمل، علي، **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**، (القاهرة: علام الكتب ط٣، ٢٠٠٣م).

محمود، حمدي شاكر، **التقويم التربوي للمعلمين والمعلمات**، (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

المحمود، محمود عبدالله "التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في استراليا: دراسة حالة", مجلة الدراسات اللغوية العدد الأول من المجلد السابع عشر، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (١٤٣٦هـ).

نحلة، محمود أحمد، **التخطيط اللغوي للعربية وقضايا تعليمها وتعلمها**، (المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٣٣هـ).

هيئة تطوير مهنة التعليم، **المعايير المهنية للمعلمين**، (فلسطين: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ٢٠١٠م).

المراجع الأجنبية:

Kaplan, R. B., &Baldauf, Jr, R.B. (2003) **Language and Language-in-Education Planning in the Pacific Basin**. Dordrecht: Kluwer.

Bibliography

Ibrahim, Abdullah Muhammad and Sharif, Nadia Muhammad, The Extraordinary Approach: For the Concept of Planning, Planning Models, and Foundations of Construction and Development, (Riyadh: Al-Rushd Library, 2011).

Abu Allam, Raja, The Modern Theories of Measurement and Evaluation and the Development of the Examination System, (Working Paper in the First Arab Conference on Examination and Educational Evaluation: A Future Vision, Cairo, National Center for Examination and Educational Evaluation, 2001).

Bahauddin Al-HadiKhair Al-Sayed, Status of Sudanese Languages, (Khartoum: Indexing of the National Library during publication, B.T. 2013).

Bokil, Aminah, Features of Language Planning in Spain, a study has been presented in the second national meeting about language planning, (MouloudMammeri University of TiziOuzou, Algeria, 2012).

Davis, Allen, Walder, Catherine, The Reference in Applied Linguistics, translated by: Majid Al-Hamad and Hussein Obaidat, (Riyadh: King Saud University Publishing House, p. 1437 AH).

Al-Zubaidi, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan, the layers of grammarians and linguists, investigated by Muhammad Abu Al-Fazl Ibrahim, (Cairo: Dar Al-Maaref, 2nd edition, 1973 AD).

Mr., Bahauddin Al-HadiKhair, Linguistic planning in Sudan and its role in the situation of Sudanese languages, (PhD thesis, Sudan University of Science and Technology, Khartoum, 2011).

Shahatah, Hasan, and Al-Najjar, Zainab, a dictionary of educational and psychological terms "Arabic-English, English-Arabic". Review: Hamid Ammar. 2003 AD.

Al-Salabi, Ali Muhammad Muhammad, The Umayyad State: Factors of Prosperity and the Repercussions of Collapse, (Beirut, Dar Al-Marifa, 2nd edition 2008).

Chinese, Saeed Ismail, Basic Rules in the Scientific Research, (1415 A.H. - 1994 A.D.).

Al-Zabib, Ahmed, Language Policy, from the book “Let us rise in our language”, a project to explore the future of the Arabic language, (Beirut: Arab Thought Foundation, edition-1, 1433 AH).

Abdul Aziz, Muhammad Hasan, “Linguistic planning between state institutions and civil society institutions”, Journal of the Arabic Language Academy, Cairo, issue-121, 2011 AD.

Arif, Muhammad Khizr and Naqshbandi, Anwar, Introduction to Applied Linguistics, (Beirut: Dar Khizr for Publishing and

Distribution. Jeddah: Dar Al-Qibla for Islamic Culture, Edition-1, 1412 AH-1992 AD).

Olayan, Ribhi, and Ghonaim, Usman Muhammad, Theoretical and Applied Scientific Research Methodologies and Methods, (1420 AH - 2000 AD).

Ayad, Sami and others, A Dictionary of Modern Linguistics, (Library of Lebanon Publishers, 1997).

-Isani, Abdul Majeed, "Linguistic planning and the foundations of choosing the vocabulary of Arabic language courses", Al-Athar magazine, issue-19, 2014.

FloriyanColmas, Sociolinguistics Guide, translated by: Khalid Al-Ashhab and Majdoulin Al-Nuhaibi, (Beirut: Center for Arab Unity Studies, 1st Edition, 2009), (Page No.:938).

Al-Fihri, Abdul Qadir Al-Fasi, Language Policy and Planning, (Riyadh: King Abdullah bin Abdul Aziz Center for Arabic Language Service, 1st edition 1435 AH).

Al-Qahtani, Saad bin Hadi, Arabization and Linguistic Planning Theory, (Beirut: Center for Arab Unity Studies).

Calvi, Louis Jaan, Linguistic Politics, translated by: Muhammad Yahyatin, (Algeria: Arab House of Science Publishers, 1st edition 1430 AH).

Calvi, Louis Jaan, War of Languages and Language Policies, translated by: Hasan Hamza, (Beirut: Center for Arab Unity Studies, 1st edition).

Cober, Robert L. Linguistic Planning and Social Change, translated by: Khalifa Abu Bakr Al-Aswad, (General Council of Culture, B. T. 2006).

Colmas, Floriyan, Sociolinguistics Guide, translated by: Khalid Al-Ashhab and Magdoulin Al-Nuhaibi, (Beirut: Center for Arab Unity Studies, 1st Edition, 2009).

Al-Laqani, Ahmad wal Jamal, Ali, a dictionary of educational terms known in curricula and teaching methods, (Cairo: Allam Al-Kutub, 3rd edition, 2003 AD).

Mahmood, HamdiShakir, The Educational Evalution for Male and Female Teachers, (Hail: Dar Al-Andalus for Publishing and Distribution, issue-1, 1425 AH - 2004 AD).

AI-Mahmood, Mahmood Abdullah, "Linguistic planning and language policy in Australia: a case study", Journal of Linguistic Studies, first issue of the seventeenth volume, Riyadh: King Faisal Center for Research and Islamic Studies, (1436 AH).

Nahla, Mahmood Ahmad, Linguistic Planning for Arabic and its Teaching and Learning Issues, (Al-Madinah Al-

Munawwarah, Deanship of Scientific Research at the Islamic University, 1433 AH).

The Commission for Developing the Teaching Profession (CDTP), Professional Standards for Teachers, (Palestine: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2010).

Foreign Reference:

Kaplan, R. B., &Baldauf, Jr, R.B. (2003) **Language and Language-in-Education Planning in the Pacific Basin**. Dordrecht: Kluwer.

توظيف السياق اللغوي
في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
مقاربة نصِّية تحليلية

Adopting Linguistic Context
in Texts of Teaching Arabic to non-Native Speakers,
Analytical and Textual Approach

د. بدر بن علي العبد القادر

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بقسم علم اللغة التطبيقي

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: badrali176@gmail.com

المستخلص

يناقش هذا البحث موضوع (توظيف السياق اللغوي في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) من حيث عرض السياق اللغوي، وتحديد نوعه، والقرائن المحيطة به، وتوضيح شكل السياق وقيمته الدلالية، متخذًا من سلسلة (تواصل: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)، مدونة للبحث، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي.

وتتمثل أبرز نتائج البحث في:

١. تميز السياقات اللغوية لنصوص السلسة بمفرداتها الواضحة، وتركيبها البسيطة والمتنوعة.
٢. إسهام التنوع السياقي في تكاملية البناء اللغوي لمهارات اللغة وعناصرها.
٣. قدرة القرائن المحيطة بالسياق اللغوي في تحقيق الاقتصاد اللغوي في بناء التراكيب والنصوص.
٤. مساهمة الشكل السياقي في تنوع صيغ الجمل والتراكيب والنصوص بما يتلاءم مع أهداف السلسة.

الكلمات المفتاحية: السياق، السياق اللغوي، النص التعليمي، السياق الصوتي، السياق الصرفي، السياق النحوي.

Abstract

The research discusses the topic of "Applying the Linguistic Context in the Texts of Teaching Arabic for Non-native Speakers" in ways of showing the linguistic context, defining its kind, the evidences related to it, clarifying the shape of the context and significance value, taking the series of "Tawāsul: A series In Teaching Arabic for Non-native Speakers" as a topic for the research using the descriptive analytical approach. The main findings of the research included:

1- The linguistic contexts of the texts of the series are characterized by clarity in vocabulary and simplicity and variation of structure.
2- The variation of contexts helps in completing the linguistic structure of the language and its elements.
3- The evidences related to the linguistic context help in linguistically economizing the structure and the texts.
4- The contextual shape helps in varying the forms of the sentences, structures, and the texts in the way that conform with the aims of the series.

التمهيد:

يُعدُّ مصطلح السياق من الوسائل المهمة التي تؤدي إلى الكشف عن ماهية الكلمة، وذلك من خلال الوضع القائم بين المتكلم والمستمع، فالكلمة لا تحدد دلالتها إلا من خلال علاقاتها الداخلية والخارجية أو البيئة المحيط بها، والسياق هو الذي يفرض قيمته على الكلمة، وهو السبب الرئيس في تحديد المعنى المقصود(١)، و:"إبعاد كل ما خلا من معان ذهنية مرتبطة بهذه الكلمة دون السياق"(٢)، ولأن:" المعنى كله إنما هو وظيفة في سياق "(٣)، فإن: "الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه"(٤).

إن محلل الخطاب حينما يعالج مادته اللغوية بوصفها لغة تواصلية يأتي دور السياق في عملية الفهم من خلال التفاعل بين النص والسياق(٥)، اللغوي الذي يعطي الكلمة أو العبارة معناها الخاص في الحديث أو النص، لإزالته اللبس عن

(١) داود صافية، وبراهيمي سهام، "النظرية السياقية في الدرس الدلالي وأثرها عند العرب"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، ٢٠١٦، ص. ٩.

(٢) إسماعيل بصل، وفاطمة بلة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانيّة (إيران) بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة (سوريا)، م. ٥، ع. ١٨، الصيف ٢٠١٤، ص ص. ١–١٨.

(٣) محمد العبد، العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧)، ص. ٧٨.

(٤) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠)، ص. ٤٣.

(٥) محمد إبراهيم أحمد، "السياق والتناص بين علم لغة النص وعلم أصول الفقه"، حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، م ٤٠، أكتوبر– ديسمبر ٢٠١٢، ص. ١٦٩– ١٩٣.

الكلمة،[١]، لاشتماله على: " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"[٢]،

عليه يناقش هذا البحث موضوع (توظيف السياق اللغوي في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) من حيث عرض السياق اللغوي، وتحديد نوعه، والقرائن المحيطة به، وتوضيح شكله، وقيمته الدلالية متخذًا من سلسلة (**تواصل: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**)، مدونة للبحث، من خلال تقسيمه إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: المدخل النظري، ويتضمن عرضًا نظريًّا لأبرز القضايا ذات العلاقة بالموضوع من خلال ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مفاهيم الدراسة: مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح، مفهوم النصوص التعليمية، مفهوم المقاربة النصية.

المطلب الثاني: نظرية السياق (اللغوي).

المطلب الثالث: السياق اللغوي وعناصره وأقسامه.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمدونة البحث.

المطلب الثاني: توظيف السياق اللغوي في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

وفيه حُلِّلت نصوص كتب السلسة السبعة وفق مستوياتها من حيث عرض السياق اللغوي، وتحديد نوعه، والقرائن المحيطة به، وتوضيح شكله، وقيمته الدلالية.

ولتحقيق أهداف البحث، أُستخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف

(١) خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، (عمَّان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٨)، ص. ٢٦.

(٢) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، (ترجمة: كمال بشر)، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥)، ص. ٥٧.

الظاهرة اللغوية، ويحللها علميًّا؛ للوصول إلى النتائج المستهدفة من البحث[١]، فالتحليل الوظيفي للغة الخطاب يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة[٢]، ثم ختم البحث بأبرز ما خرج به من نتائج علمية.

(١) رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه وأسسه واستخداماته، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧)، ص. ١٥.

(٢) فردينان دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة، (ترجمة: صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة)، (طرابلس، ليبيا: الدار العربية للكتاب)، ص. ١١١–١١٥.

المبحث الأول: المدخل النظري

المطلب الأول: مفاهيم الدراسة:

أولاً: مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح:

يعد المفهوم اللغوي للمصطلحات، الركن الأصيل في تحديد المعنى الاصطلاحي وتوضيحه، والذي لا يتضح إلا من خلال المفهوم اللغوي؛ لذا كان من الضروري بيان المعنى اللغوي من خلال تتبع دلالاته الأولى في مضانها(١)، وعليه: "ينحدر لفظ (context) الذي يترجم عادة إلى اللغة العربية بـ(السياق)، من السابقة اللاتينية (Con) بمعنى (مع) + (text) اللاتينية أيضًا، والتي كانت تعني في الأصل (النسيج)؛ ثم استعملت في معنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم صارت تستعمل في معنى (النص) أي: تلك المجموعة من الجمل المتراصة مكتوبة كانت أو مقروءة"(٢)، فالسياق في اللغة لفظ ذو تشكيلات عديدة"(٣)، تعني: "مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض"(٤)، وقد ذهب الأزهري إلى أن أصله من:" السَّوق معروف، يقول: سقناهم سوقًا...وتقول رأيت فلانًا يسوق سُووقًا، أي: ينزع نزعًا... وساق فلان من امرأته أي: أعطاها مهرها، وساق مهرها سِياقًا... وتساوقت الإبل تساوقًا، إذا تتابعت"(٥)، وقد أضاف الزمخشري معنى آخر فذكر أنه: "من المجاز ساق الله إليه خيرًا...وهو يسوق الحديث أحسن سياق...

(١) أحمد مصطفى الأسطل، "أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ٢٠١١، ص. ٤١.

(٢) عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٩١)، ص. ٤٥.

(٣) العموش، مرجع سابق، ص. ٢٥.

(٤) فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠)، ص. ٦٣.

(٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، (تحقيق: عبد السلام هارون، محمد النجار)، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤)، "مادة ساق"، ٩/ ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤.

وجئتك بالحديث على سَوقِه: على سرده"[١]، وزاد المعجم الوسيط على ما ذكرته معاجم اللغة في أن معنى: "ساق الحديث: سَرده وسلسله. وإليك يُساق الحديث: يوجه... وسِياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[٢]، وأضاف البستاني: "ووقعت هذه العبارة في سِياق الكلام، أي: مُدرجة فيه"[٣]، ويتبين من خلال المعاني اللغوية السابقة سواءً أكانت حسية أم مجازية أنها تؤكد الغاية، وتدور حول معاني التسلسل والإيراد، ومجيء الشيء متتابعًا وملائمًا، وفي كل ذلك يبرز معنى الانتظام والترابط[٤]، فقد دل المعنى اللغوي للسياق على معنى التتابع ولحوق شيء لشيء آخر، واتصاله به، كما الارتباط والانتظام في سلك واحد[٥]، وأن استعمالات العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك[٦].

أما المعنى الاصطلاحي للسياق فيتضح من خلال علاقته بالمعنى اللغوي، فالمدلول الاصطلاحي للفظ، متى كان موصولاً بمدلوله اللغوي، سهل مأخذه على الفهم؛ ومتى كان مفصولاً عنه عسُر على الذهن إدراكه"[٧]، ولذا يرى تمام حسان أن المقصود بالسياق: (التوالي) ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين: الناحية الأولى:

(١) أساس البلاغة، محمود الزمخشري، (تحقيق: محمد السود)، (بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٩٩٨)، "مادة سوق"، ١/ ٤٨٤.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤)، "مادة ساق"، ص. ٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) محيط المحيط، بطرس البستاني، (بيروت: لبنان، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٧)، "مادة سوق"، ص. ٤٤١.

(٤) محمد شتوان، "السياق وتأويل النصوص: نموذج من النص القرآني"، دراسات التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ع ٤٦، ٢٠١٥، ص ص. ٢٩٩– ٣٢٠.

(٥) الأسطل، مرجع سابق، ص. ٤٢.

(٦) فهد الشتوي، "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ٢٠٠٥، ص. ١٣.

(٧) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٥)، ص. ٣٣٤.

توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص)، الناحية الثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف) [١]، فالسياق إذًا: "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينه، ودائمًا ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءًا لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"[٢]، فهو:" علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه"[٣]، ولأن السياق هو المحيط اللغوي الخالص للعلامة في النص، أي: المقول من قبل، وما يقال بعد ذلك[٤]، فإنه يساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين المتكلم والسامع[٥]، لأن: "الكلمة لا يتضح معناها إلا من خلال الاستعمال...(و) لا نستطيع تحديد معناها ما دامت غير مدرجة ضمن سياق معين"[٦]، فمعنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق"[٧]، فحينما تضاف هذه الكلمة إلى الكلام

(١) تمام حسان، قرينة السياق، بحث في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، (القاهرة: مطبعة عبير الكتاب، ١٩٩٣)، ص. ٣٧٥.

(٢) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، (تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦)، ص. ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) محمد الخولي، معجم علم اللغة النظري، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢)، ص. ٥٧.

(٤) العبد، مرجع سابق، ص. ٨٥.

(٥) عبد الواحد حسن، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، (القاهرة: مطبعة الإشعاع، ١٩٩٩)، ص. ٣٠.

(٦) كلود جرمان، وريمون لوبلون، علم الدلالة، (ترجمة: نور الهدى لوشن)، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية ببنغازي، ١٩٩٧)، ص. ٤٤.

(٧) جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، (ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يونيل عزيز)، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص. ٢١٥.

يكون المعنى تتابع الكلام وانتظامه واتصاله لأداء المعنى المراد، فمن خلال السياق تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى(١).

ثانيًا: مفهوم النصوص التعليمية:

تُعرف النصوص أنها:" إبداعات لغوية يستدعيها واقع معين أو وجهة نظر فعلية معينة، ويجب أن تدرك في إطار هذه الخاصية على أنها أبنية للمعنى، ويتركز الاهتمام على مضمون هذه النصوص"(٢)، فهي:" وحدة كلامية مخصصة لأغراض الاتصال من خلال عملية التفاعل بين مستويات مختلفة في البيئتين الداخلية والخارجية للنص"(٣).

والنص التعليمي: "تعده المناهج التربوية منطلقًا للعملية التعليمية / التعلمية بكل أنماطه وأنواعه، لأنه يعتمد سندًا يسمح للمتعلم بأن يوظف مكتسباته وخبراته للكشف عن مكونات النص التركيبية والصرفية والصوتية والدلالية، في سياقها الطبيعي الذي ولدت فيه والغاية في ذلك الفهم والتفسير والتأويل لإعادة بنائه من جديد وفق معيار المتعلم"(٤)،

---

(١) عبد الرحمن المطيري، "السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ٢٠٠٨، ص. ٧١، ٧٢.

(2) Sowinski, B: Textlinguistik Eine Einfuhrung,w.k.Stuttgart. , 1983 .P.17

في: سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، (بيروت: مكتبة لبنان، الجيزة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧)، ص. ١٠٥.

(٣) يوسف عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، (الجيزة: دار الأمين، ١٩٩٤)، ص. ٦٨.

(٤) صالح غيلوس، "إعادة بناء النص التعليمي في ضوء المقاربة النصية: السنة الثالثة ثانوي نموذجًا"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف ٢، الجزائر، ٢٠١٣، ص. ٤٣.

ثالثًا: مفهوم المقاربة النصية:

المقاربة النصية استراتيجية تعتمد النص التعليمي منطلقًا ومُنتهى، فتتميز بالاستقلالية في ممارسة التحليل النصي، وفق أسلوب لغوي منهجي، وتعتمد في تحليل النصوص التعليمية على تناول النص التعليمي في حد ذاته بوصف بنائه وتحليل مكوناته وفق ممارسة تفاعلية لها القدرة على توظيف ودمج المكتسبات القبلية والمعلومات الجديدة في وضعيات دالة، [١]، فالعلاقة بين السياق اللغوي والمقاربة النصية علاقة ارتباط[٢]، تتيح إمكانية رصد العناصر المكونة للنص التي تعين في فهم المعاني، واستيعاب العلاقات الداخلية المتحكمة في اتساقه وانسجامه، وإدراك دلالاته[٣]، وفق خطة منهجية متدرجة ومنتظمة تضمن إمكانية تفكيك النصوص وإعادة بنائها بمختلف أنواعها وحسب خصائصها البنائية والمعجمية[٤]، ولذا فالمقاربة النصية استراتيجية عملية موجهة لتنشيط فروع اللغة من جانبها النصي، حيث تتعامل معه بوصفه بنية كبرى تظهر فيها مختلف المستويات اللغوية والبنائية والفكرية والأدبية والاجتماعية[٥].

المطلب الثاني: نظرية السياق (اللغوي):

صاغت المدارس الغربية فكرة السياق في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى :(الصوتي، والصرفي، والنحوي، والاجتماعي وغيرها)، ووضعوا لها

(١) المرجع نفسه، ص. ٢، ٣.

(٢) عبد الكريم بن ساسي، " السياق اللغوي وأثره في تعليمية اللغة العربية لدى الطفل في ضوء المقاربة بالكفاءات: السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر– باتنة، الجزائر، ٢٠١٠، ص. ٦٣.

(٣) غيلوس، مرجع سابق، ص. ١٤٥.

(٤) اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرفقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي والتكنولوجي، وزارة التربية الوطنية، اللغة العربية وآدابها، آداب– فلسفة، الجزائر، ٢٠٠٦، ص.٢.

(٥) غيلوس، مرجع سابق، ص. ١٤٥.

من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالدرس والتحليل(١)، وعليه فإن السياق يبرز عند دي سوسير (دي سوسير، De Saussure) رائد **المدرسة البنيوية التقليدية (جنيف السويسرية)** من خلال رؤيته:" أن اللغة نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار"(٢)، و:"أن العلاقات والاختلافات القائمة بين عناصر اللغة تدور في نطاق دائرتين متميزتين، تولد كل منهما نوعًا معينًا من القيم؛ وأن التقابل بين هذين النوعين يزيد في تبيان طبيعة كل منهما، فهما يوافقان صورتين من صور نشاطنا الذهني لازمتين معًا، ولا غنى لحياة اللغة عنهما"(٣)، ويعني بهما: دائرة العلاقات السياقية، ودائرة العلاقات الإيحائية، فالعلاقة السياقية: (علاقة حضورية) تقوم على عنصرين فأكثر، كلها متواجدة في الوقت نفسه ضمن سلسلة العناصر الموجودة بالفعل، مثل: (تعليم، علَّم، تعلَّم...) فلها عنصر مشترك بينها هو الجذر، أما العلاقة الإيحائية فتجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية، ضمن سلسلة وهمية موجودة بالقوة، مجالها الذاكرة، مثل: (تعليم، تسليح، تبديل...)، فكلمة تعليم قد تدخل ضمن مجموعة تعتمد عنصرًا مشتركًا وهو الصيغة، وقد يقوم الترابط (الإيحاء) على مجرد التشابه بين المدلولات، مثل: (تعليم، تربية، تمرَّن...) (٤).

فقيمة السياق عنده تبرز في ثنائية (اللغة والكلام) إذ يرى أن: "الكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها، أو لكليهما معًا"(٥)، ويرى: "أن الجملة أحسن نموذج يمثل السياق، إلا أنها من مشمولات اللفظ (الكلام) لا اللغة، أفلا ينجر ذلك أن يكون السياق من

(١) ردة الله بن ردة الطلحي، "دلالة السياق"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧، ص. ١٣٧.

(٢) دي سوسير، مرجع سابق، ص. ٣٧.

(٣) دي سوسير، مرجع سابق، ص. ١٨٦.

(٤) المرجع نفسه، ص. ١٨٧، ١٨٩.

(٥) المرجع نفسه، ص. ١٨٦.

مشمولات اللفظ"[١]، وعليه فإن: "مفهوم السياق لا ينطبق على الكلمات فرادى فحسب، بل وكذلك على مجموعات من الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع (كالكلمات المركبة، والمشتقات، وأجزاء الجمل، والجمل الكاملة)" [٢].

أما **المدرسة اللغوية (الفرنسية)** فقد تناولت موضوع السياق من خلال أطروحات (فندريس،Vendryes) الذي عالج فكرة السياق حينما تحدث عن المشترك في اللغة، وأشار إلى أن للسياق فاعلية في منع تعدد المعاني أو الوظائف أو الدلالات، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد المعنى المراد من اللفظ المشترك[٣]، فهو يرى أن الكلمة نفسها ليست منعزلة، بل مسجلة في الذهن مع كل حالات السياق التي سبق أن أُدخلت فيها، ومع كل الارتباطات التي تصلح للاشتراك فيها، مثل: (بنات وبنين)، و (بنت طيبة)، و (بنت أم)[٤].

وقد أشار إلى أهمية السياق في عناصره اللغوية عند تحليل النصوص، إذ يرى أن: "الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات... إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها، مستعدة

(١) المرجع نفسه، ص. ١٨٨.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٨٧، ١٨٨.

(٣) الطلحي، مرجع سابق، ص. ١٤٢.

(٤) ج فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي. ١٩٥٠)، ص. ٢٣٢.

للخروج والتشكيل بحسب الظروف التي تدعوها "[١]، فقيمة السياق الوظيفية عنده تحديد معنى واحد للكلمة، وتجريدها من المعاني المعجمية الأخرى، وإعطائها قيمة حضورية من خلال سياقها، كما يذهب إلى أن السياق الذي يحدد معنى الكلمة هو سياق ذهني، ومن ثم ينتمي إلى اللغة لا الكلام، وهو بهذا يختلف عن دي سوسير، الذي جعله مرة من عناصر اللغة ومرة ومن عناصر الكلام، أو من عناصرهما معًا [٢].

أما **مدرسة براغ اللغوية (الروسية)** فقد برز موضوع السياق في دراسات (جاكبسون، Jakobson) الذي تمثل اللغة عنده:" النظام الكلي الذي يتواجد ضمنه عدد هائل من الأنظمة الصغرى الفرعية، والتي تتفرع عن هذا النظام الكلي بصورة تشبه أو تماثل فروع الشجرة بالنسبة لأغصانها"[٣]، ويرى: "أن اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها".[٤]، فاللغة عنده وظيفة مرجعية بالنظر إلى السياق التخاطبي[٥]، و:" لكل رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية، أو تفكك رموزها السَّنِنّية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها هذه الرسالة قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب...ولهذا ألح على السياق باعتباره العامل المفعل للرسالة بما يمدها من ظروف وملابسات توضيحية"[٦].

(١) المرجع السابق، ص. ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) الطلحي، مرجع سابق، ص. ١٤٣.

(٣) الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، (الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧)، ص. ٢٨.

(٤) رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، (ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون)، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨)، ص. ٢٧.

(٥) الطلحي، مرجع سابق، ص. ١٤٥.

(٦) بومزبر، مرجع سابق، ص. ٣٠.

ولكي تكون الرسالة اللغوية فاعلة فإنها تقتضي سياقًا تحيل عليه، سياقًا قابلاً لأن يدركه المرسل، وهو إما أن يكون لفظيًّا أو قابلاً لأن يكون كذلك، [١]، باعتباره عاملاً مرجعيًّا داخل الدائرة التواصلية اللفظية المنجزة لخطاب ما[٢]، كما:" يستخلص الأنماط الأساسية للمراجع (السياقات) التي تصلح (كأساس طبيعي لأقسام الخطاب): أي الموجودات مع تعبيرها اللغوي، أي: الاسم، والأحداث المعبر عنها بواسطة الفعل، وأخيرًا كيفيات الوجود والحدوث المعبر عنها في اللغة تباعًا بواسطة الصفة والحال"[٣].

أما **المدرسة السياقية (مدرسة لندن)** فتناولت السياق في إسهامات (فيرث، Firth)، الذي عده الأساس لعلم الدلالة[٤]، وأن دراسة معنى الكلمة تتجاوز أصل الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، ولذا اهتمت المدرسة بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق، والطريقة التي تستعمل بها، فالمعنى هو مجموعة خصائص الكلمة التي لا استقلالية لها ولا ذاتية لدلالتها[٥]، ومعنى الكلمة وفق هذه المدرسة هو حصيلة:" استعمالها في اللغة... (وعليه فإن) المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة"[٦]؛ لأن المعنى:" كُلٌّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية، والنحوية والقاموسية والوظيفة الدلالية لـ(سياق الحال)، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها"[٧].

(١) ياكبسون، مرجع سابق، ص. ٢٧.
(٢) بومزبر، مرجع سابق، ص. ٣١.
(٣) ياكبسون، مرجع سابق، ص. ٦٤.
(٤) بصل، وبلة، مرجع سابق، ص. ٦.
(٥) أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، (سوريا: دار الفكر، ط ٣، ٢٠٠٨)، ص. ٣٥٣، ٣٥٤.
(٦) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (القاهرة، عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٨)، ص. ٦٨.
(٧) محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، (بيروت: دار النهضة العربية ،١٩٧٢)، ص. ٣١٢.

وعليه فهو يرى أن دراسة اللغة بشكل عام، وكذلك دراسة عناصرها من كلمات وأصوات وجمل هي دراسة دلالية لمعاني هذه العناصر، ومهمة البحث اللغوي تكمن في تقصي هذه المعاني دون سواها(١)، بالكشف عن العلاقات بين الوحدات الدلالية، و:"معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحريرها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها، ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة، وأهمية البحث عن ارتباط الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه، أو تعريفه"(٢)، وعلى هذا فـ:"أن الكلمة ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته، وأن وجودها ومعناها شيءٌ نسبي، يمكن ملاحظة كل منهما في سياق غيرهما من الكلمات والمعاني، أو عن طريق التقابل بينهما، وعلى ذلك فإن ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات"(٣)، والمعنى إذ ذاك ليس شيئًا في الذهن أو العقل، ولا علاقة متبادلة بين الصورة السمعية والصورة الذهنية للشيء، أو بين الدال والمدلول، واللفظ والمعنى، بل كما أكد أكثر من مرة وفي أكثر من موضع أن المعنى كله وظيفة في السياق(٤).

(١) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي: دراسة في علم اللغة الحديث، (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦)، ص. ٣٢.

(2) E.A,Nida,Mouton. Componential Analysis of Meaning. (1975).: P.196

في: عمر، مرجع سابق، ص. ٦٨، ٦٩.

(٣) حلمي خليل، الكلمة: دراسة لغوية معجمية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ٣، ١٩٩٨)، ص. ٩٥.

(4) Firth,J.R, The Tongues of men and speech, London. , (1964). P.110

في: غنية تومي، "السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث"، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، ع ٦، ٢٠١٠، ص ص. ١٩٥– ٢٢٨.

المطلب الثالث:

أ- **السياق اللغوي** (Linguistic context):

لقد أكد:"اللسانيون من أصحاب المدرسة الاجتماعية، ومنهم (فيرث، Firth) دور السياق في تحديد المعني، واهتموا بالتحديد الفعلي للكلمة في إطار بعينه. ورأى أصحاب هذه المدرسة أن هذا الاستعمال يحكمه أمران:

الأول: السياق اللغوي، الذي لا ينظر إلى الكلمات بوصفها وحدات منعزلة، أي: أن الكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية. الثاني: السياق غير اللغوي أو الموقف الذي يقال فيه الكلام، أي: الظروف التي يحدث فيها الكلام"(١)، وعليه فإن السياق اللغوي:" مجموعة العناصر المكونة للحدث اللغوي، من فونيمات، ومورفيمات، وتراكيب نحوية، كما يشمل مجموعة العلاقات التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض، علاوة على طريقة الأداء التي تصاحب النطق بهذه العناصر، كالنبر، والتنغيم، والوقف، وبتعبير أعم فالسياق اللغوي يشمل مجموعة قرائن التعليق المقالية سواء أكانت قرائن معنوية أم لفظية"(٢)، و:" يعني به مجموعة الوظائف المستفادة من عناصر أداء المقال التي تحوزها الوحدة اللغوي، أي: الجملة"(٣)، فهو:" يتمثل في الأصوات والكلمات والجمل، كما تتتابع في حدث كلامي معين أو نص لغوي، فالأصوات مثلا تكون عادة خاضعة للسياق الذي تتركب فيه، فيتأثر كل صوت بما يتقدمه أو يأتي بعده من أصوات"(٤).

(1) Ullmann. StephenSemantic, Introduction to science of meaning Basil Blachwell, Oxford., (1962). P.50.

في: كريم حسام الدين، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠)، ٨٣/١.

(٢) عبد الرحمن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر: ١٩٣٢- ١٩٨٥، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.، ٢٠١٣)، ص. ٣٨٧.

(٣) البركاوي، مرجع سابق، ص. ٤٩.

(٤) خليل، مرجع سابق، ص. ١٦١.

ولذا فإن دراسة المعنى من خلال السياق اللغوي ترجح المعنى الدقيق دون أقرانه من المعاني الواردة، ويفهم من خلال تكاتف عناصر الموقف اللغوي في قراءة وظيفية اللغة(١)، ولذا فالسياق اللغوي من موارد الحصيلة اللغوية لأنه:" كلما زادت حصيلة الفرد اللغوية أيضًا تطورت قدرته على استكناه معاني ومدلولات الألفاظ والتراكيب والصيغ اللغوية وإدراك مفاهيمها من خلال سياقاتها المتنوعة، وبالتالي تمكن هذا الفرد من اختراق مجاهل لغوية كثيرة، وهكذا تبقى الحصيلة اللغوية في تنام أو تطور مستمر"(٢).

ب– عناصر السياق اللغوي وأقسامه:

إذا كان السياق اللغوي يُعنى بـ:"البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنيوية الصغرى، أو بالكلمة أو الجملة، ويعني الوحدات التي تسبق وتلي وحدة لغوية محددة"(٣)، أي: في أنظمة اللغة: الصوتية، والصرفية، والنحوية التركيبية، من خلال معناها الوظيفي، للدلالة عن معنى الكلمة وأهميتها في سياقها التركيبي، فإنه يمكن تقسيم تحليل السياق اللغوي في جانبه الوظيفي إلى مستوياته الثلاثة:

أولًا: السياق الصوتي (الفونولوجيا، Phonology):

الصوت هو:"أصغر وحدة ذات طابع صوتي متميز، يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى"(٤)، ويعد الصوت هو المادة الخام للكلمة، فهو مجموعة من الوحدات

(١) دايد عبد القادر، "أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري: الكشاف أنموذجًا"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران١– أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٧.

(٢) أحمد المعتوق، "الحصيلة اللغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٢١٢، ١٩٩٦، ص. ٥٠.

(٣) معجم المصطلحات الألسنية، مبارك مبارك، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥)، ص. ٦١.

(4) Bloomfield,، Language.17 Aufl. London. (1970). P.79

في: البركاوي، مرجع سابق، ص. ٨٠.

الصوتية المؤلفة بطريقة معينة؛ لترمز إلى الأشياء الحسية والأفكار المجردة[١]، ويؤدي:"الصوت...وظيفة هامة في المنطوق، من حيث يتميز المنطوق عما يشابهه بما به من أصوات، وقد يكون معنى المنطوق متوقفًا على صوت واحد من أصواته كالفرق بين: نال ومال" [٢].

أما السياق الصوتي فموضوعه الظاهرة الصوتية بمظهرها الوظيفي في أثناء الإنجاز الفعلي للكلام في سياق لغوي معين، فهو يتعلق بالأصوات اللغوية بوصفها الحامل المادي للأفكار والدلالات في أثناء الإنتاج الفعلي للكلام في الواقع اللغوي[٣]، وتتجلى أهمية الدرس الوظيفي للصوت في عنايته بـــ:" التحولات التي تطرأ على الصوت اللغوي فتفقده بعض خصائصه، أو تكسبه خصائص أخرى"[٤]،فهو:" يهتم بدراسة الصوت اللغوي في سياقه داخل البنية اللغوية من حيث وظيفته وتوزيعه وعلاقة ذلك بالمعنى، والقوانين العامة التي تحكم ذلك، فهو يتعامل مع الأصوات من خلال وجودها في سياق صوتي أو لغوي معين"[٥]، فيكون الصوت في سياقه محور الدراسة والاهتمام؛ و:" يبحث في الأصوات اللغوية من حيث القوانين التي تعمل بموجبها، والدور الذي تقوم به في عملية التواصل اللغوي، والفروقات الوظيفية بينها"[٦]، كما يهتم التحليل الوظيفي للأصوات بدراسة الفونيم المكون للنظام اللغوي،

(١) خليل، مرجع سابق، ص. ٣٣.

(٢) تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦)، ٣٣١/١.

(٣) أحمد حساني، دراسات في حقل اللسانيات التطبيقية: حقل تعليمية اللغة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠)، ص. ١١.

(٤) الصادق آدم، "توظيف السياق في الدرس اللغوي"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٧، ص. ٩٠.

(٥) زين كامل الخويسكي، لسانيات من اللسانيات، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧)، ص. ٤٠، ٤١.

(٦) بسام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٨)، ص. ١٧٧.

باعتباره الوحدة الصوتية أساسَ هذا التحليل، ويعرف الفونيم بأنه:" أصغر وحدة صوتية مجردة تمايزية لا تحمل بحد ذاتها أي معنى"(١).

ويعرف الفونيم باعتبار الدلالة (الوظيفة) التي يؤديها بأنه:" أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني"(٢)، وبأنه:" كل صوت قادر على إيجاد تغير دلالي"(٣)، كما يعد الفونيم المادة الأساس في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل منظومة السياق وفق محتواها الوظيفى، مثل: قال، كال، نام، صام، عليه فإنه ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق، الذي يعد المكان الذي تؤدي فيه الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات، أما قرائن الصوت ذات الدلالة السياقية فتكمن في الفونيمات فوق التركيبية،(٤).

ويُقسم الفونيم إلى نوعين:

١- الفونيم الرئيس وهو الوحدة الصوتية التي تكون جزءًا من أصغر صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق، فهو العنصر الذي يكون جزءًا أساسًا من بِنية الكلمة المفردة، كالباء والتاء بوصفها وحدات لا أمثلة نطقية فعلية، وكذلك الفتحة والكسرة والضمة.

٢- الفونيم الثانوي الذي يطلق على كل ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل، أي: لا يكون جزءًا من بنية الكلمة، وإنما يظهر ويلاحظ في الكلام المتصل، أي: حين تضم كلمة إلى أخرى، أو حين توظف الكلمة المفردة بصورة معينة في جملة بذاتها، ومن أمثلته درجة

---

(١) المرجع نفسه.

)2(Lyons, John, New Horizons in Linguistics, Penguin Books. , (1972) P.80.

في: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧)، ص. ١٧٩.

(٣) Kramsky, Jiri, The Phoneme. (1974) P.36. :.في: المرجع نفسه.

(٤) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، (الأردن: دار صفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٠)، ص. ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٥٣.

الصوت: التنغيم، والنبر، ويسمى النوع الأول الفونيمات التركيبية أو القطعية، والثاني الفونيمات غير التركيبية أو غير القطعية[١]، ويتم توظيف السياق الصوتي في السياق اللغوي من خلال:

١- ظاهرة التأليف:

فإذا أريد للكلمة:"أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج حروفها أن تكون متناسقة، ولا تتسامح اللغة فتتخلى عن هذا المبدأ إلا في أضيق الحدود في حالات الزيادة والإلصاق ونحوها"[٢]، فتسبك الأصوات بعضها إلى بعض في تأليف دقيق متناسب النسج، فتجري في سلاسة وعذوبة، لا تعثر ولا كلفة، ولا توالي أضداد أو أمثال، ولا تنافر في اللفظ ولا زيادة، ولا فضول[٣]، وترتبط ظاهرة التأليف:"بأسلوب توزيع الأصوات على مدارج النطق ... بحيث تجيء الأصوات المؤلفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل، ليس بينها تنافر يؤذي السمع، أو عدم انسجام يفقدها حلاوة النغم وحسن القبول والتلقي"[٤].

٢- ظاهرة النبر:

النبر:" ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حولها من أجزائها"[٥]، بمعنى أنه:"وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام"[٦]، فهو يمنح الكلام أو الجملة معنى وظيفيًّا[٧]، يكمن في معرفة

(١) كمال بشر، علم الأصوات، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠)، ص ٤٩٦، ٤٩٧.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، (الدار البيضاء: المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤)، ص. ٢٦٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٦٣، ٢٦٤، و: محمد سلام، أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٥٢)، ص. ١٠٨.

(٤) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، (القاهرة: دار غريب، ١٩٩٨)، ص. ١٩٦.

(٥) حسان، ١٩٩٤، مرجع سابق، ص. ١٧٠.

(٦) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠)، ص. ١٦٠.

(٧) حسان، ١٩٩٤، مرجع سابق، ص. ٣٠٨.

التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد عند تنوع درجات نبرها، مثل: (كتبَ، كتبتُ، كتبتُهُ)، وعلى مستوى الجملة فإن للنبر وظيفة عند تنوعه وتنوع درجاته، فقد يفيد التأكيد، أو المفارقة، وعلى مستوى الكلام المتصل تتلخص وظيفته في معرفة بدايات الكلمات ونهاياتها،(١)، كما تتمثل وظيفته في تحديد معنى عام في الجملة، كالتوكيد أو التقرير(٢).

٣- ظاهرة التنغيم:

يُعرف التنغيم بأنه:" الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"(٣)، بتكوينه:"تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة. وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة"(٤)، وتبرز وظيفته في أنه: "عنصر هام من عناصر السياق على المستوى الصوتي، فالتنغيم يفرق بين معاني العبارات والكلمات"(٥)، فهو:"يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة".(٦)، كما أنه يفيد في تحديد الإثبات والنفي في الجمل(٧).

ثانيًا: السياق الصرفي (المورفولوجي، morphology):

(١) بشر، ٢٠٠٠، مرجع سابق، ص. ٥١٤، ٥١٥.

(٢) محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، (بيروت: منشورات دار الشروق، ط ٣، ١٩٦٩)، ص. ٢٦٣.

(٣) حسان، ١٩٩٤، مرجع سابق، ص. ٢٢٦.

(4) Robins, R.HGeneral Linguistics. G.B., (1966), P. 148.

في: بسام أغبر، "الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم براوية حفص عن عاصم: سورة البقرة نموذجًا"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤. ص. ٣٩.

(٥) بصل، وبلة، مرجع سابق، ص. ١٣.

(٦) حسان، ١٩٩٤، مرجع سابق، ص. ٢٢٦.

(٧) حسان، ١٩٩٠، مرجع سابق، ص. ١٦٤.

يعد الصرف نظامًا من المعاني التي تعبر عنها المباني، وأن هذه المباني تحقق العلاقات بدورها بواسطة العلاقات[١]، بين تراكيب الجملة، لأن علم:"الصرف...يدرس تركيب المفردات اللغوية وكيفية بنائها وأنواعها المختلفة؛ ولذلك فهو يختلف عن علم النحو الذي يبحث في بناء الجملة وأنواعها ووظائف المفردات فيها"[٢]، و:" موضوعه بنية الكلمة المفردة خارج السياق المعنوي دون أن تتأثر بموقعها في الجملة وحركة إعرابها"[٣]، أما السياق الصرفي فيهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغًا وألفاظًا فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة، فالسياق الصرفي لا يدرس الصيغ والعلامات منفردة بل لاحقة في الكلمات من خلال سياق معين، يؤدي إلى دلالة معينة قد تختلف عن دلالتها الأصلية[٤]، أي:" يتناول البنية التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية"[٥]، فـ"المعاني الوظيفية التي تعبر عنها المباني الصرفية تتسم بطبيعتها بالتعدد والاحتمال، فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى ما دام غير مرتبط بسياق ما، فإذا ارتبط المبنى بسياق ما أصبح نصًا في معنى واحد بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية وقرينة السياق الحالية"[٦]، وتعد المباني الصرفية (الصيغ المجردة، اللواصق، الزوائد) الأبرز في التعبير عن المعاني الصرفية الوظيفية[٧]،

(١) آدم، مرجع سابق، ص. ١٤٠.
(٢) المرجع السابق، ص. ١٤٢.
(٣) عبد القادر مايو، الوجيز في فقه اللغة، (سورية: دار القلم العربي، ١٩٩٨)، ص. ١١٣.
(٤) عواطف المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، (لندن: المملكة المتحدة، دار السياب، ٢٠٠٧)، ص. ٥٨.
(٥) قدور، مرجع سابق، ص. ١٨٥.
(٦) آدم، مرجع سابق، ص. ١٤٠.
(٧) حسان، ١٩٩٤، مرجع سابق، ص. ٨٢.

كما أن له وظيفة تصنيفية باعتبار الوظائف والدلالات وتنوع الصيغ[١]، بالنظر: "إلى بنية الكلمة وقسمها الذي تلتحق به (من أقسام الكلام، ثم إلى تصريفها، وما يكمن فيها من معنى الزمن إن كانت فعلاً، أو معنى التذكير أو التأنيث، أو الإفراد أو التثنية أو الجمع...إلخ"[٢].

وتعد الوظيفة الصرفية وفقًا لنظرية السياق واحدة من الوظائف الحاكمة...التي تُراعى في تحليل النص، ويراد بهذه الوظيفة ما تؤديه الوحدات اللغوية باسم (المورفيمات) أي: الوحدات الصرفية من معان في إطار الكلمة أو العبارة أو الجملة" [٣]، فالمورفيم:" أصغر صيغة (ذات معنى) متكررة الورود، لا نستطيع بالتالي أن نحللها إلى صيغ أصغر ذوات معنى، ومن ثمَّ فإن كل كلمة أو صيغة لا تقبل التقسيم تعد مورفيمًا أو وحدة صرفية"[٤]، ويعد المورفيم (morpheme) أساس التحليل الصرفي، فهو:" أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى، وهي جزء من كلمة أو من تركيب تبين الوظيفة النحوية في الجملة"[٥]، وتصنيف المورفيمات وفق ورودها في السياق إلى:

١- المورفيم الحر: (Free Morpheme).

ويمثل الكلمات المجردة (الجذور) الخالية من الزيادة، والتسكين، والحذف[٦]، وهي التي:" تستعمل في الكلام مستقلة ومنفردة عن أي مورفيم آخر من غير أن تفقد وظيفتها، كما أنها ترد في أي موقع من التركيب بحسب اختيار المتكلم...نحو: ولد، رجل، بنت، والضمائر المنفصلة، وظروف الزمان والمكان،

(١) سمير استيتية، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، (الأردن: عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، ط ٢، ٢٠٠٨)، ص. ١٠٧.

(٢) خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، (جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٤)، ص. ٢٦.

(٣) البركاوي، مرجع سابق، ص. ١٢١.

(4) Bloomfield,. A set of postlates for the seience of ian guage ll. (1926) :P.155 في: المرجع السابق، ص. ١٣٢.

(٥) مبارك، مرجع سابق، ص. ١٨٦.

(٦) محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، (عمَّان: دار المسيرة، ط ٢، ٢٠٠٩)، ص. ٧٢.

وأدوات الاستفهام والشرط وحروف الجر، وحروف العطف، وأدوات النفي والنصب[١].

٢- المورفيم المقيد: (Bound Morpheme).

وهي المورفيمات التي لا تعدو أن تكون علامة لغوية صوتية تضاف إلى المورفيم الحر للحصول على صيغة (بنية) صرفية جديدة منه، أو لأداء وظيفة نحوية[٢]، فـ:"لايمكن استخدامه منفردًا، بل يجب أن يتصل بمورفيم آخر، سواء من المورفيمات الحرة أم المقيدة"[٣]، أي: بمعنى أنها لا تظهر في الكتابة أو الكلام إلا متحدة مع المورفيم الحر، أو متصلة منه بسبب، فهي لا تستعمل مستقلة أو منفصلة عن غيرها، وهي زوائد عن جذر الكلمة، وتقسم المورفيمات المقيدة إلى ثلاثة أنواع:

أ- السوابق (Prefixes): فالمورفيم السابق يتصل بأول الكلمة، مثل: (أل) التعريف، وأحرف المضارعة، والسين الدالة على الاستقبال، وهمزة التعدية.

ب- اللواحق (Suffixes): والمورفيم اللاحق هو الذي يأتي في نهاية الكلمة، مثل: علامة التثنية والجمع، وعلامة التأنيث، والضمائر المتصلة، وياء النسب، ونون الوقاية، وعلامة الإعراب وحروفه.

ج- الدواخل (Infixes): وهي التي تأتي في حشو الكلمة، مثل: التصغير، وألف المفاعلة كما في (قاتل) من قتَل، وألف فعال من الثلاثي الدال على اسم فاعل من الثلاثي الدال على اسم الفاعل، وجمع التكسير، مثل: (رجال)

(١) عبد الغني الأدبعي، "من قضايا المورفولوجيا العربية في التصنيف والشكل الوظيفي"، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، م. ٢٥، ع. ٢، يناير، ٢٠١٧، ص ص. ٢٣٩- ٢٥٩.و: محمود، حجازي، مدخل إلى علم اللغة، (القاهرة: دار قباء، ط ٢، ١٩٩٧)، ص. ٩٢.

(٢) خليل، ٢٠٠٩، مرجع سابق، ص. ٧٣.

(٣) خليل، ١٩٩٨، مرجع سابق، ص. ٥٣.

جمع رجل، وتاء الافتعال، نحو: (استلم) والتضعيف في (فعَّل)[١].

٣- المورفيم الصفري (Zero Morpheme):

و:"هو مورفيم لا يوجد في الكلام المنطوق أو المكتوب، وإنما يكون مستترًا أو مقدرًا، أو محذوفًا لعلة لغوية، ومثاله: الضمائر المستترة، وحركات الإعراب المقدرة"[٢].

ثالثًا: السياق النحوي: (التركيبي، syntax):

يمثل الحلقة الثالثة في متوالية التحليل اللغوي، ويبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجملة، وطريقة بنائها وصلتها بعضها ببعض، والتغيرات الطارئة على عناصرها[٣]، فهو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية، مثل: (الإعراب)، وهو قرينة سياقية، منها الإسناد، والتعدية واللفظية منها كالإعراب[٤]، والرتبة والمطابقة وغيرها، فالجملة تشكل شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، والتي تعتمد في وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق[٥].

وتعود أهمية السياق النحوي إلى أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقيت مختلفة تختلف باختلاف

(١) الأدبعي، مرجع سابق، ص. ٢٤٧، ٢٤٨، وحجازي، مرجع سابق، ص. ٩٢، وخليل، ٢٠٠٩، مرجع سابق، ص. ٧٤.

(٢) محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١)، ص. ١٦٨.

(٣) تومي، مرجع سابق، ص. ٨٤.

(٤) عبد الجليل، مرجع سابق، ص. ٥٥٦.

(٥) آدم، مرجع سابق، ص. ١٧٩.

السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها[١]، لتعلق هذا السياق بالعلائق الوظيفية التي تحدد نمط البنية التركيبية في اللغة[٢]، فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير [٣]. كما يعنى:" السياق النحوي بالبنية النحوية، وعلاقة الكلمات ووظائفها ومواقعها من الترتيب"[٤]، وفيه يتم:" التركيز على الجملة وتركيبها، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وزيادة"[٥]، و:"لا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[٦]، أي: في تراكيب وأنماط سياقية تعين في اكتشاف الدلالات، فـ:"لكل نمط من أنماط السياق خصوصيته، فالسياق النحوي يبرز بوساطة البنية النحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، ومجيء الفعل ماضياً أو مضارعاً، مبنياً للمجهول أو مبنياً للمعلوم"[٧].

(١) عبد اللطيف، مرجع سابق، ص. ١١٣.

(٢) حساني، مرجع سابق، ص. ١١٢.

(٣) عبد اللطيف، مرجع سابق، ص. ١١٣.

(٤) خليل العامري، "السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، م.٩، ع. ٢، ٢٠١٠، ص ص. ٣٧– ٦٣.

(٥) عمايرة، مرجع سابق، ص. ٢٦.

(٦) عبد اللطيف، مرجع سابق، ص. ٩٨.

(٧) العامري، مرجع سابق، ص.٥٥.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

المطلب الأول: التعريف بمدونة البحث

مدونة البحث التي ستجري عليها الدراسة التطبيقية هي سلسلة (**تواصل: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**)، تأليف: أ.د. خالد عبد العزيز الدامغ، د. جمعان بن سعيد القحطاني، أ.د. صالح بن عبد العزيز النصار.

ويتمثل محتوى كتب هذه السلسلة في الموجهات الآتية:

١. بناؤها في ضوء الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات [(١)].
٢. بناؤها وفق أدبيات علم اللغة التطبيقي في تصميم البرامج اللغوية.
٣. الاستناد على المنهجية العلمية لتصميم المناهج اللغوية: (التخطيط، التصميم، التنفيذ).
٤. اعتمادها على منهج دراسة الحاجات اللغوية، والتحليل التقابلي.
٥. مراعاتها مطابقة مخرجات التعلم لكل مستوى من مستويات السلسلة للمخرجات المتوقعة في نفس الدرجة من سلم المستويات المعتمد في الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات في كل من: الاستماع، والقراءة، والكتابة، والتحدث والمحادثة.
٦. مراعاة توسيع الجمهور المستهدف بالسلسلة التعليمية، بحيث لا تقتصر صلاحية استخدامها على بيئة لغوية معينة، بل تشمل طيفًا واسعًا من البيئات اللغوية للراغبين في تعلم اللغة العربية مهما اختلفت بلدانهم ولغاتهم وأديانهم وأعمارهم وبرامج تعلمهم.
٧. أثبتت تجربتها في مدارس ابتدائية وثانوية وجامعات ومراكز لتعليم الكبار في عدد من المجتمعات ذات التنوع العرقي والديني نجاح السلسلة في مراعاة

(١) خالد الدامغ، وجمعان القحطاني، وصالح النصار، الإطار العلمي للتأليف: وثيقة تأليف منهج تواصل، (سراييفوا: البوسنة والهرسك، مركز الملك فهد الثقافي، ٢٠١٥)، ص. ١٢.

الفوارق العمرية والدينية، واستجابتها للحاجات اللغوية المختلفة للمتعلمين، وقدرتها على تحقيق التوازن بين الكفايات اللغوية والتواصلية والثقافية، باعتبار اللغة العربية أداة للتواصل ووعاء للثقافة العربية والإسلامية.

وتتميز مرحلة تخطيط السلسلة في الدراسات والمراجعات الآتية:

١. دراسة مسحية لواقع تعليم اللغة العربية، بما في ذلك واقع المعلمين والمتعلمين، وبيئات التعلم، والكتب التعليمية، والمواد المساندة، وطرق التدريس، وأساليب التقويم، ونواتج التعلم.
٢. دراسة الحاجات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية.
٣. مراجعة دراسات تقابلية للأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية.
٤. مراجعة لأفضل المعاجم اللغوية وطريقة تصميمها، خاصة المعاجم المصورة.
٥. مراجعة مسحية مقارنة لطيف واسع من كتب تعليم اللغات لغير الناطقين بها.
٦. مراجعة علمية للإطار الأوروبي المشترك للغات، والمواد العلمية والدراسات ذات العلاقة به.

وتتميز مرحلة تصميم السلسلة في الإجراءات الآتية:

مرحلة التصميم، وتضمنت هذه المرحلة:

أ– إعداد وثيقة علمية مرجعية للتأليف تتضمن: الإطار النظري للتعليم، واختيار المحتوى وتنظيمه، وتحديد المدى والتتابع، ووصف المواد التعليمية، والمواد المساندة، وطرق التدريس، وأساليب التقييم.

ب– إعداد المواد التعليمية التالية:

- كتاب الطالب – سلسلة من سبعة أجزاء، خُصص الجزء الأول منها(A0) لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، بصفته مدخلاً لتعليم اللغة؛ نظرًا لخصوصية النظام الكتابي للغة العربية، واحتياجات متعلميها. وتغطي الأجزاء الستة الأخرى احتياجات الجمهور الأوسع من متعلمي اللغة العربية بصفتها لغةً

أجنبية، وتنسجم مع برامج تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية. وتتفق مخرجاتها التعليمية مع مخرجات المستويات الستة الأولى من التقسيم ذي المستويات التِّسعة، إحدى الصور المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك للغات، وفق الجدول التفصيل الآتي:

المستوى التمهيدي (الاكتشاف)				**المستوى المتوسط**			**المستوى المتقدم**		
المستخدم المبتدئ				**المستخدم المستقل**			**المستخدم المتمرس**		
A0	A1	A2	A2+	B1	B1+	B2	C1	C2	C2+
√	√	√	√	√	√	√	X	X	X

- المواد التعليمية المساندة – تتكون سلسلة تواصل التعليمية من (٤٣) مادة تعليمية، وفق التفصيل الآتي:

م	المستوى	الكتاب الأساسي	**المواد التعليمية المساندة**				
			1	2	3	4	5
١	A0	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	X	**معجم مصور لمفردات السلسلة**
٢	A1	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	تمارين تحسين الخط	
٣	A2	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	X	
٤	A2+	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	قصص شعبية	
٥	B1	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	قصص شعبية	

٦	B1+	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	قصص شعبية	
٧	B2	كتاب الطالب	بطاقات ومضية	لوحات تعليمية جدارية	تسجيلات صوتية	قصص شعبية	

وقد وقع الاختيار على هذه السلسلة لحداثتها، وتميزها بالآتي:

١- المنهجية العلمية، حيث تمت مراجعة العديد من الأطر العلمية لبناء السلاسل اللغوية، وبناء عليه وقع الاختيار، وتم بناء هيكلية السلسة وتقسيم هرمها التعليمي وتدرجها اللغوي وفق الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتعليم اللغات الأجنبية.

٢- التركيز على الجانب التواصلي، أخذًا بعين الاعتبار تجنب المستويات اللغوية غير الشائعة، حيث اتسمت وحدات السلسلة باللغة الفصيحة القريبة من الواقع التواصلي الحياتي المعاصر.

٣- تكاملية الدخل اللغوي، باعتماد المنهج التكاملي بين المهارات اللغوية الأربع، وتجنب تقديم أي مهارة منفصلة عن المهارة الأخرى.

٤- تغطية الفروقات الفردية في التعلم، بتوفير دواعم تعليمية متنوعة للكتب التعليمية الأساسية، حيث يتبع كل كتاب من الكتب التعليمية الرئيسة أربع منتجات تعليمية أخرى، غير الدواعم العامة للسلسلة، مثل: المعجم المصور، ومعجم الألفاظ المشتركة، وتحسين الخط العربي، وهو ما يساهم في تعزيز التعلم وتسريعه بتنويع مصادره.

٥- عالمية السلسلة من حيث الجمهور المستهدف، فهي ملائمة لأي متعلم بغض النظر عن المعتقد أو الجنس أو العمر أو العرق أو الانتماء.

٦- تهيئة تعلم مشوق محفز للمدرسين والمتعلمين على قضاء وقت تعليمي ممتع، ومن ذلك تضمين الألعاب اللغوية الهادفة في صلب بناء وحدات السلسلة.

٧– التصميم التعليمي المناسب للبرامج المكثفة والموسعة، والإخراج الفني المريح القابل للطباعة والتصوير في أي مكان في العالم [١].

المطلب الثاني: توظيف السياق اللغوي في نصوص تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

يتناول المطلب تحليل توظيف السياق اللغوي في نصوص كتب السلسة، من حيث أنواعه: (السياق الصوتي، السياق الصرفي، السياق النحوي التركيبي)، ويشتمل التحليل على الموجهات الآتية:

١– عرض السياق اللغوي من واقع نصوص الكتاب.

٢– توضيح نوعه من خلال سياقاته.

٣– تفسير القرائن المحيطة به.

٤– تحديد شكله اللغوي، ونوعه.

٥– توضيح قيمته ودوره في إيضاح الدلالة، وتحقيق مقاصد المؤلف.

ويمكن عرض ذلك وفق الآتي:

جدول رقم (١) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب الأول

بحسب الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات فإن هذا الجزء من سلسلة (تواصل) هو مدخل قرائي تمهيدي (صِفْري)، (A0)، يسبق المستوى (A1) في سلم المستويات المعتمدة في الإطار الأوروبي، تم البدء به نظرًا لاحتياجات متعلمي اللغة العربية، وخصوصية النظام الكتابي العربي[٢].

(١) خالد الدامغ، وجمعان القحطاني، وصالح النصار، تواصل: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (كتاب الطالب ١)، (سراييفوا: البوسنة والهرسك، مركز الملك فهد الثقافي، ٢٠١٥)، ص. ٤، ٥، ٩، ١٠.

(٢) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ١)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	**نوعه**	**القرائن المحيطة**	**شكل السياق**	**قيمة السياق الدلالية**
كيف حالكَ؟ بخيرٍ، والحمد لله. (١/٢٦).	التأليف	فونيم رئيس (تركيبي/ قطعي) (الفتحة– حالكَ)	–نص حواري –جملة إنشائية، إخبارية –سياق استفهامي، تقريري	–حسن تآلف الكلمات. –انسجام أصواتها. – خفة حركاتها.
مريم تقرأ الكتابَ يوم السبت. (١/١٢٢).	النبر	– فونيم ثانوي، فوق (تركيبي/ قطعي)، (الكتاب) – النبر على المقطع قبل الأخير (تَا) – نغمة هابطة	– نص قصير –جملة إخبارية –سياق تقريري، توكيدي	–تقرير الجملة. –توكيد معناها. – تحديد زمانها.
هل أنتَ طالبٌ؟ لا. أنا مُعلِّم. أعمَل في مدرسة. (١/١٢٠).	التنغيم	– فونيم ثانوي، فوق (تركيبي/ قطعي)، – تنوع صوتي مصاحب لعلامتي الترقيم: (؟) للاستفهام، (النقطة) للوقف التام. – نغمة هابطة، نغمة صاعدة	–نص حواري –جملة إنشائية، إخبارية –سياق استفهامي، توكيدي	– التفريق بين المعاني. – تقرير الجملة وتأكيد معناها. – تحديد النفي والإثبات.
ثانيًا: السياق الصرفي				
مرحبًا، أنا عدنان. وأنت؟ (١/٩٢).	مورفيم حر	–الضمير المنفصل (أنا)، (أنت) – الاسم (عدنان)	–نص حواري –جملة إخبارية، إنشائية –سياق تعبيري، استفهامي	– توكيد المعنى. – اعتدال المفردات. – تناسب الصيغة التركيبية.
هذه أمي. اسمها أسماء. (١/١١٢).	مورفيم مقيد	–الضمير المتصل (ياء المتكلم) –الضمير المتصل (هاء الغائب)	–نص قصير –جملة إخبارية –سياق تقريري، توكيدي	– ثبوت الدلالة اللغوية. – تحديد معنى السياق. – تحقيق مقاصد الجملة.
أحب اللغة العربية. (١/١١٧).	مورفيم صفري	الضمير المستتر (أنا)	–نص قصير –جملة إخبارية –سياق تعبيري، ترغيبي	– انسجام الجملة. – وضوح الدلالة السياقية. – توكيد ثبات المعنى.
ثالثًا: السياق النحوي				
المعلم يكتب على السبورة. (١/٩٦).	التقديم	–الجملة الاسمية – التقديم. – الابتداء بالمسند إليه (المبتدأ).	–نص قصير –جملة إخبارية –سياق تصريحي، توكيدي	– توجيه الانتباه. – تخصيص الدلالة. – تقرير المعنى.
هو مزارع، هو يعمل في حقل. (١/١٢٠).	التكرار الذكر	– الفصل بالضمير (هو) –القرينة اللفظية الفعل المضارع (يعمل)	–نص قصير –جملة إخبارية –سياق توكيدي، تقريري	– تأكيد ثبوت الفعل. – تقرير المعنى وترسيخه.
الفواكه مفيدة للصحة. (١/١١٧).	الإسناد	–المطابقة في القرينة السياقية – الإعراب	–نص قصير –جملة إخبارية –سياق إعلاني، ترغيبي	–استمالة المتلقي للمعنى. –توجيه الدلالة. –ثبوت صيغة الوجوب في التوجيه الضمني.

جدول رقم (٢) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب الثاني

رُوعي في هذا الجزء من السلسلة تناسب مخرجات التعلم المستهدفة منه مع المخرجات الموصوفة للمستوى (A1) (المستوى التمهيدي أو الاكتشاف) في السلم ذي المستويات التسعة، إحدى الصور المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك للغات، وهو المستوى الأساس الأكثر لاستخدام اللغة بصفة شخصية، حيث يكون المتعلم قادرًا على التفاعل البسيط؛ فيمكنه الإجابة عن أسئلة بسيطة حوله شخصيًّا، المكان الذي يعيش فيه، الأشخاص الذين يعرفهم، الأشياء التي لديه[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٢)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	نوعه	القرائن المحيطة	شكل السياق	قيمة السياق الدلالية
أنا أَدرُسُ اللغةَ العربيةَ. تعالَ معي. (٩٦/٢).	التأليف	-البدء بالضمير (أنا) -فونيم رئيس (تركيبي/ قطعي) (الضمة- أدرسُ)	-نص قصير -جملة إخبارية، إنشائية -سياق ترغيبي، طلبي	-التوافق بين أصوات المفردات. -مراعاة التناسب الصوتي. -تقرير مضمون الرسالة اللغوية.
هل تسكن هنا؟ نعم، أنا جارُكَ الجديد. (٦٥/٢).	النبر	- فونيم ثانوي، فوق (تركيبي/ قطعي)، (نعم، جارَكَ) - النبر على المقطع الأول (نَ) - النبر على المقطع الأول (جَارُ) - تنوع صوتي مصاحب لعلامتي الترقيم: (؟) للاستفهام، (النقطة) للوقف التام. - نغمة هابطة، نغمة صاعدة.	-نص حواري - جملة إنشائية، إخبارية -سياق استفهامي، إخباري	- سلامة البناء اللغوي. - تقرير المعنى وتوكيده. - اعتدال التركيب اللغوي.
ذهب ماجد وهو حزين إلى غرفته ليلعب. (٩٤/٢).	التنغيم	- فونيم ثانوي، فوق (تركيبي/ قطعي)، - نغمة هابطة. -تنوع صوتي مصاحب لعلامة الترقيم: (النقطة) للوقف التام.	-نص طويل -جملة إخبارية -سياق تعبيري، بوحي	- التفريق بين دلالات المعاني. - تقرير معنى الحدث اللغوي. - استحضار الصورة الذهنية لسياق الحديث.
ثانيًا: السياق الصرفي				
هذا هو الدكتور أحمد، يعمل في المستشفى. (١١٥/٢).	مورفيم حر	-الضمير المنفصل (هو) - اسم الإشارة (هذا) - حذف الفاعل للعلم به	-نص قصير -جملة إخبارية -سياق تقريري، توكيدي	-اختصار المعنى وتخصيصه. - إيضاح مقصدية السياق. -تأكيد ثبوت الدلالة اللغوية.
ذهب الطلاب جميعًا للدراسة وبقي ماجد وحده. (١٠٠/٢)	مورفيم مقيد	- (أل) في صيغة الجمع (الطلاب) - حرف الجر (اللام)	-نص طويل -جملة إخبارية -سياق تقريري، تعجبي	-تأكيد المعنى. - مناسبة المفردات للسياق. - حمل الألفاظ لمعانيها.
...كنس المجلس، ورتب غرفة النوم، كتب الطلبات، وذهب إلى السوق. (٧٩/٢).	مورفيم صفري	- الضمير المستتر (هو) - تكرار حذف الضمير	-نص طويل -جملة إخبارية -سياق تعبيري، توكيدي	-توكيد المعنى وتقريره. -تنمية الرصيد اللغوي، من خلال تساوق الأفعال. - وضوح التنوع الدلالي.
ثالثًا: السياق النحوي				
خليل، ما شاء الله! بيت جميل، وحديقة جميلة. (٢/ ٨٢).	المطابقة بين الصفة والموصوف	-الفصل بالجملة الاعتراضية - تساوق الجملتان الوصفيتان	-نص حواري - جملة إخبارية - سياق تصريحي، تعجبي	-ربط مدلول الكلمات بسياقها التعبيري. - انسجام التركيب. - التفريق بين صيغ المفردات.
عندما كان ماجد طفلاً في السادسة من عمره كان يحب كرة القدم. (٩٤/٢).	التكرار الحذف	-تكرار الفعل (كان) لطول الفاصل - الفصل بتحديد العمر. - حذف الفاعل للعلم به.	-نص طويل -جملة إخبارية -سياق توكيدي، تقريري	- توكيد ثبوت الدلالة. -تقرير الحدث اللغوي. - البعد عن التكلف في التعبير.
أصبح ماجد أفضل طالب في المدرسة. مدير المدرسة والمعلمون يحبون ماجد. (٩٧/٢).	صيغة التفضيل المطابقة	- صيغة التحول (أصبح) - صيغة الجمع (يحبون) - الرابط (الواو)	-نص طويل -جملة إخبارية -سياق توكيدي، إعلامي	- إفادة التجدد والتحول. - وضوح الدلالة السياقية. - تعدد المعنى الوظيفي.

جدول رقم (٣) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب الثالث

تناسب مخرجات التعلم المستهدفة في هذه الجزء من السلسلة مع المخرجات الموصوفة للمستوى (A2)، (المستوى المتوسط، أو مستوى البقاء) في السلم ذي المستويات التسعة، إحدى الصور المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك للغات، وروعي في اختيار نصوص هذا الكتاب تنوع أغراض المتعلمين، وأعمارهم، ودياناتهم، وحاجاتهم اللغوية[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٣)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي			
السياق اللغوي	**السياق اللغوي**	**السياق اللغوي**	**السياق اللغوي**
ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).
أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).
الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).
ثانيًا: السياق الصرفي			
هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).
...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).
...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).
ثالثًا: السياق النحوي			
ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).
...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).
تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).

جدول رقم (٤) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب الرابع

يتوافق هذا الجزء الرابع من سلسلة (تواصل) التعليمية مع واصفات المستوى (A2+) الأعلى قليلا من (المستوى المتوسط أو مستوى البقاء) حسب السلم ذي المستويات التسعة المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات، وقد رُوعي في اختيار نصوصه تنوع أغراض المتعلمين، وأعمارهم، ودياناتهم، وحاجاتهم اللغوية[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٤)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي
أحب فصل الربيع والزهور والأشجار. (٤٦/٤).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).	ساعد الأولاد الأم في تقديم الطعام على المائدة. (٨٩/٣).
سارة: إنه غالٍ جدًّا، أريد أرخص منه. (٥٦/٤).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).	أسماء: اذهب أنتَ واجلس معهم. هم يريدون القهوة. (٧٤/٣).
الأب: آه، نسيت محفظتي في البيت. (٥٠/٤).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).	الأم: لماذا لا تذهب إلى المطعم الجديد؟ هو قريب من هنا. (٧٩/٣).
ثانيًا: السياق الصرفي				
طارق: هل زرت مدينة الرياض يا أنس؟ أنس: نعم، رأيت معلب الملك فهد، والمتحف الوطني...ذهبت إلى جامعة الملك سعود في شمال الرياض، والمدينة الصناعية في الجنوب. (٩٠/٤).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).	هل أخذت الأقلام؟ لا. ما وجدت الأقلام. (٤٣/٣).
أنا سأشتري فستانًا، وأشتري بدلة لك يا أحمد. (٥٠/٤).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).	...أسرتها متعاونة، يساعدون بعضهم. (٢٨/٣).
جدة مدينة جميلة وقديمة. تقع غرب السعودية على البحر الأحمر. أُشتهرت بميناؤها التجاري، كانت بلدة صغيرة، ثم تطورت في العصر الحديث. (١٠٧/٤).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).	...تركب الحافلة الساعة السابعة. تدرس اللغة العربية كل يوم، يوم الخميس تدرس الجغرافيا أيضًا. (١٢٤/٣).
ثالثًا: السياق النحوي				
طارق مهندس...أخبر أصدقاءه عن مدينة لندن وجمالها، هم يريدون زيارة لندن في السنة القادمة إن شاء الله. (١٢١/٤).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).	ذهبت سلمى يوم الجمعة لزيارة صديقتها هناء. (١١/٣).
يزور الناس الحدائق في الجو الحار، يستريحون فيها ويستمتعون بجمالها. (١٣٤/٤).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).	...وأحبُّ أن أشرب الماء. (٧٨/٣).
أنا نادية. أحب أن أقضي الوقت مع أصدقائي. ألعب معهم طوال السنة. (٧٧/٤).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).	تذهب سلمى إلى المكتبة، وتستعير الكتب. (٦٢/٣).

جدول رقم (٥) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب الخامس

يتوافق هذا الجزء الخامس من سلسلة (تواصل) التعليمية مع واصفات المستوى (B1)، (مستوى العتبة بالنسبة لزائر لبلد أجنبي)، حسب السلم ذي المستويات التسعة المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات، وقد روعي في اختيار نصوصه تنوع أغراض المتعلمين، وأعمارهم، ودياناتهم، وحاجاتهم اللغوية[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٥)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي
أنا جندي في الجيش، أحمي وطني، وأدافع عن حياة الناس. حياتي دائمًا في خطر، لكني افتخر بعملي. (٩٤/٥).	أنا جندي في الجيش، أحمي وطني، وأدافع عن حياة الناس. حياتي دائمًا في خطر، لكني افتخر بعملي. (٩٤/٥).	أنا جندي في الجيش، أحمي وطني، وأدافع عن حياة الناس. حياتي دائمًا في خطر، لكني افتخر بعملي. (٩٤/٥).	أنا جندي في الجيش، أحمي وطني، وأدافع عن حياة الناس. حياتي دائمًا في خطر، لكني افتخر بعملي. (٩٤/٥).	أنا جندي في الجيش، أحمي وطني، وأدافع عن حياة الناس. حياتي دائمًا في خطر، لكني افتخر بعملي. (٩٤/٥).
...قال له الطبيب: أنت مريض بالسمنة. قلبك سليم والحمد لله. (٦٥/٥).	...قال له الطبيب: أنت مريض بالسمنة. قلبك سليم والحمد لله. (٦٥/٥).	...قال له الطبيب: أنت مريض بالسمنة. قلبك سليم والحمد لله. (٦٥/٥).	...قال له الطبيب: أنت مريض بالسمنة. قلبك سليم والحمد لله. (٦٥/٥).	...قال له الطبيب: أنت مريض بالسمنة. قلبك سليم والحمد لله. (٦٥/٥).
الأب: مرحبًا بكم. ما هذه المفاجأة الجميلة؟ (٤٧/٥).	الأب: مرحبًا بكم. ما هذه المفاجأة الجميلة؟ (٤٧/٥).	الأب: مرحبًا بكم. ما هذه المفاجأة الجميلة؟ (٤٧/٥).	الأب: مرحبًا بكم. ما هذه المفاجأة الجميلة؟ (٤٧/٥).	الأب: مرحبًا بكم. ما هذه المفاجأة الجميلة؟ (٤٧/٥).
ثانيًا: السياق الصرفي				
طارق وسارة: لا يا أبي، هذه أعمال صعبة. نحن نراك تتعب كثيرًا. (٨٧/٥).	طارق وسارة: لا يا أبي، هذه أعمال صعبة. نحن نراك تتعب كثيرًا. (٨٧/٥).	طارق وسارة: لا يا أبي، هذه أعمال صعبة. نحن نراك تتعب كثيرًا. (٨٧/٥).	طارق وسارة: لا يا أبي، هذه أعمال صعبة. نحن نراك تتعب كثيرًا. (٨٧/٥).	طارق وسارة: لا يا أبي، هذه أعمال صعبة. نحن نراك تتعب كثيرًا. (٨٧/٥).
يذهب عمر إلى المستشفى، ويسال عن طبيب الباطنية. يقابل الطبيب، ويصف له ألما في بطنه. يفحصه الطبيب، ويعطيه الدواء المناسب. (٦٤/٥).	يذهب عمر إلى المستشفى، ويسال عن طبيب الباطنية. يقابل الطبيب، ويصف له ألما في بطنه. يفحصه الطبيب، ويعطيه الدواء المناسب. (٦٤/٥).	يذهب عمر إلى المستشفى، ويسال عن طبيب الباطنية. يقابل الطبيب، ويصف له ألما في بطنه. يفحصه الطبيب، ويعطيه الدواء المناسب. (٦٤/٥).	يذهب عمر إلى المستشفى، ويسال عن طبيب الباطنية. يقابل الطبيب، ويصف له ألما في بطنه. يفحصه الطبيب، ويعطيه الدواء المناسب. (٦٤/٥).	يذهب عمر إلى المستشفى، ويسال عن طبيب الباطنية. يقابل الطبيب، ويصف له ألما في بطنه. يفحصه الطبيب، ويعطيه الدواء المناسب. (٦٤/٥).
مريم... وترجع إلى البيت في الثامنة والنصف، فتجهز العشاء لزوجها وأولادها، وتنظف البيت، وتغسل الملابس، وتعتني بزوجها... (٩٢/٥).	مريم... وترجع إلى البيت في الثامنة والنصف، فتجهز العشاء لزوجها وأولادها، وتنظف البيت، وتغسل الملابس، وتعتني بزوجها... (٩٢/٥).	مريم... وترجع إلى البيت في الثامنة والنصف، فتجهز العشاء لزوجها وأولادها، وتنظف البيت، وتغسل الملابس، وتعتني بزوجها... (٩٢/٥).	مريم... وترجع إلى البيت في الثامنة والنصف، فتجهز العشاء لزوجها وأولادها، وتنظف البيت، وتغسل الملابس، وتعتني بزوجها... (٩٢/٥).	مريم... وترجع إلى البيت في الثامنة والنصف، فتجهز العشاء لزوجها وأولادها، وتنظف البيت، وتغسل الملابس، وتعتني بزوجها... (٩٢/٥).
ثالثًا: السياق النحوي				
في يوم من الأيام ذهبت سارة إلى السوق مع أمها لتشتري الملابس لنفسها ولأسرتها. (٣٦/٥).	في يوم من الأيام ذهبت سارة إلى السوق مع أمها لتشتري الملابس لنفسها ولأسرتها. (٣٦/٥).	في يوم من الأيام ذهبت سارة إلى السوق مع أمها لتشتري الملابس لنفسها ولأسرتها. (٣٦/٥).	في يوم من الأيام ذهبت سارة إلى السوق مع أمها لتشتري الملابس لنفسها ولأسرتها. (٣٦/٥).	في يوم من الأيام ذهبت سارة إلى السوق مع أمها لتشتري الملابس لنفسها ولأسرتها. (٣٦/٥).
أنا أدرس الطب في كلية الطب، سأعمل طبيبًا في المستشفى. (٨١/٥).	أنا أدرس الطب في كلية الطب، سأعمل طبيبًا في المستشفى. (٨١/٥).	أنا أدرس الطب في كلية الطب، سأعمل طبيبًا في المستشفى. (٨١/٥).	أنا أدرس الطب في كلية الطب، سأعمل طبيبًا في المستشفى. (٨١/٥).	أنا أدرس الطب في كلية الطب، سأعمل طبيبًا في المستشفى. (٨١/٥).
طارق: أنا أريد أن أدرس القانون، لأكون قاضيًا أو محاميًا. (٨٧/٥).	طارق: أنا أريد أن أدرس القانون، لأكون قاضيًا أو محاميًا. (٨٧/٥).	طارق: أنا أريد أن أدرس القانون، لأكون قاضيًا أو محاميًا. (٨٧/٥).	طارق: أنا أريد أن أدرس القانون، لأكون قاضيًا أو محاميًا. (٨٧/٥).	طارق: أنا أريد أن أدرس القانون، لأكون قاضيًا أو محاميًا. (٨٧/٥).

جدول رقم (٦) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب السادس

يتوافق هذا الجزء من سلسلة (تواصل) التعليمية مع واصفات مخرجات المستوى (B1+) الأعلى قليلا من مستوى العتبة، حسب السلم ذي المستويات التسعة، إحدى الصور المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك للغات، وقد روعي في اختيار نصوصه تنوع أغراض المتعلمين، وأعمارهم، ودياناتهم، وحاجاتهم اللغوية[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٦)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي	السياق اللغوي
الأسلوب الصحي في الحياة يؤدي إلى السعادة. (٧٥/٦).	الأسلوب الصحي في الحياة يؤدي إلى السعادة. (٧٥/٦).	الأسلوب الصحي في الحياة يؤدي إلى السعادة. (٧٥/٦).	الأسلوب الصحي في الحياة يؤدي إلى السعادة. (٧٥/٦).	الأسلوب الصحي في الحياة يؤدي إلى السعادة. (٧٥/٦).
...الزوجة: لن أنسى الفواكه والماء. هذا شيء بسيط. الزوج: هل أنت متأكدة؟ الزوجة: نعم، أنا متأكدة. (٧٠/٦).	...الزوجة: لن أنسى الفواكه والماء. هذا شيء بسيط. الزوج: هل أنت متأكدة؟ الزوجة: نعم، أنا متأكدة. (٧٠/٦).	...الزوجة: لن أنسى الفواكه والماء. هذا شيء بسيط. الزوج: هل أنت متأكدة؟ الزوجة: نعم، أنا متأكدة. (٧٠/٦).	...الزوجة: لن أنسى الفواكه والماء. هذا شيء بسيط. الزوج: هل أنت متأكدة؟ الزوجة: نعم، أنا متأكدة. (٧٠/٦).	...الزوجة: لن أنسى الفواكه والماء. هذا شيء بسيط. الزوج: هل أنت متأكدة؟ الزوجة: نعم، أنا متأكدة. (٧٠/٦).
طارق: يا أبي، سأذهب مع ماجد إلى النادي الصحي. الأب: أحسنت! الصحة تاج على رؤوس الأصحاء. طارق: هل أنا مريض يا أبي؟ الأب: لا. الوقاية خير من العلاج. (٥٢/٦).	طارق: يا أبي، سأذهب مع ماجد إلى النادي الصحي. الأب: أحسنت! الصحة تاج على رؤوس الأصحاء. طارق: هل أنا مريض يا أبي؟ الأب: لا. الوقاية خير من العلاج. (٥٢/٦).	طارق: يا أبي، سأذهب مع ماجد إلى النادي الصحي. الأب: أحسنت! الصحة تاج على رؤوس الأصحاء. طارق: هل أنا مريض يا أبي؟ الأب: لا. الوقاية خير من العلاج. (٥٢/٦).	طارق: يا أبي، سأذهب مع ماجد إلى النادي الصحي. الأب: أحسنت! الصحة تاج على رؤوس الأصحاء. طارق: هل أنا مريض يا أبي؟ الأب: لا. الوقاية خير من العلاج. (٥٢/٦).	طارق: يا أبي، سأذهب مع ماجد إلى النادي الصحي. الأب: أحسنت! الصحة تاج على رؤوس الأصحاء. طارق: هل أنا مريض يا أبي؟ الأب: لا. الوقاية خير من العلاج. (٥٢/٦).
ثانيًا: السياق الصرفي				
أجاب حسام: لا، تناولت السكريات والدهنيات، ولم أذهب إلى النادي الصحي، أنا مشغول دائمًا.	أجاب حسام: لا، تناولت السكريات والدهنيات، ولم أذهب إلى النادي الصحي، أنا مشغول دائمًا.	أجاب حسام: لا، تناولت السكريات والدهنيات، ولم أذهب إلى النادي الصحي، أنا مشغول دائمًا.	أجاب حسام: لا، تناولت السكريات والدهنيات، ولم أذهب إلى النادي الصحي، أنا مشغول دائمًا.	أجاب حسام: لا، تناولت السكريات والدهنيات، ولم أذهب إلى النادي الصحي، أنا مشغول دائمًا.
ماجد: يا طارق! سأذهب إلى النادي الصحي. هيا معي. طارق لا، أنا لا أحب الرياضة.(٥٢/٦).	ماجد: يا طارق! سأذهب إلى النادي الصحي. هيا معي. طارق لا، أنا لا أحب الرياضة.(٥٢/٦).	ماجد: يا طارق! سأذهب إلى النادي الصحي. هيا معي. طارق لا، أنا لا أحب الرياضة.(٥٢/٦).	ماجد: يا طارق! سأذهب إلى النادي الصحي. هيا معي. طارق لا، أنا لا أحب الرياضة.(٥٢/٦).	ماجد: يا طارق! سأذهب إلى النادي الصحي. هيا معي. طارق لا، أنا لا أحب الرياضة.(٥٢/٦).
يمارس نادر الرياضة، ويحب المشي، ويتجنب الوجبات السريعة. أكله صحي، وصحته جيدة، ووزنه مناسب. (٧٢/٦).	يمارس نادر الرياضة، ويحب المشي، ويتجنب الوجبات السريعة. أكله صحي، وصحته جيدة، ووزنه مناسب. (٧٢/٦).	يمارس نادر الرياضة، ويحب المشي، ويتجنب الوجبات السريعة. أكله صحي، وصحته جيدة، ووزنه مناسب. (٧٢/٦).	يمارس نادر الرياضة، ويحب المشي، ويتجنب الوجبات السريعة. أكله صحي، وصحته جيدة، ووزنه مناسب. (٧٢/٦).	يمارس نادر الرياضة، ويحب المشي، ويتجنب الوجبات السريعة. أكله صحي، وصحته جيدة، ووزنه مناسب. (٧٢/٦).
ثالثًا: السياق النحوي				
الكثير منا لا يمارس الرياضة بسبب الكسل أو عدم الفهم لفوائدها. (١٢٠/٦).	الكثير منا لا يمارس الرياضة بسبب الكسل أو عدم الفهم لفوائدها. (١٢٠/٦).	الكثير منا لا يمارس الرياضة بسبب الكسل أو عدم الفهم لفوائدها. (١٢٠/٦).	الكثير منا لا يمارس الرياضة بسبب الكسل أو عدم الفهم لفوائدها. (١٢٠/٦).	الكثير منا لا يمارس الرياضة بسبب الكسل أو عدم الفهم لفوائدها. (١٢٠/٦).
الفوائد من أسلوب الحياة الصحي كثيرة. (٧٥/٦).	الفوائد من أسلوب الحياة الصحي كثيرة. (٧٥/٦).	الفوائد من أسلوب الحياة الصحي كثيرة. (٧٥/٦).	الفوائد من أسلوب الحياة الصحي كثيرة. (٧٥/٦).	الفوائد من أسلوب الحياة الصحي كثيرة. (٧٥/٦).
الرياضة تقوي جسم الإنسان، وتزيد طاقته ومقاومته للالتهابات والأمراض. (١٠٩/٦).	الرياضة تقوي جسم الإنسان، وتزيد طاقته ومقاومته للالتهابات والأمراض. (١٠٩/٦).	الرياضة تقوي جسم الإنسان، وتزيد طاقته ومقاومته للالتهابات والأمراض. (١٠٩/٦).	الرياضة تقوي جسم الإنسان، وتزيد طاقته ومقاومته للالتهابات والأمراض. (١٠٩/٦).	الرياضة تقوي جسم الإنسان، وتزيد طاقته ومقاومته للالتهابات والأمراض. (١٠٩/٦).

جدول رقم (٧) توظيف السياق اللغوي في كتاب الطالب السابع

يتوافق هذا الجزء من سلسلة (تواصل) التعليمية مع واصفات مخرجات المستوى (B2)، (المستخدم المستقل)، حسب السلم ذي المستويات التسعة، إحدى الصور المعتمدة في الإطار الأوروبي المشترك للغات، وقد روعي في اختيار نصوصه تنوع أغراض المتعلمين، وأعمارهم، ودياناتهم، وحاجاتهم اللغوية[١].

(١) الدامغ، والقحطاني، والنصار، مرجع سابق، (كتاب الطالب ٧)، ص. ٦.

أولاً: السياق الصوتي				
السياق اللغوي	**السياق اللغوي**	**السياق اللغوي**	**السياق اللغوي**	**السياق اللغوي**
التخطيط للسفر يوفر كثيرًا من الوقت والمال، ولكنه ليس سهلاً. (٧٦/٧).	التخطيط للسفر يوفر كثيرًا من الوقت والمال، ولكنه ليس سهلاً. (٧٦/٧).	التخطيط للسفر يوفر كثيرًا من الوقت والمال، ولكنه ليس سهلاً. (٧٦/٧).	التخطيط للسفر يوفر كثيرًا من الوقت والمال، ولكنه ليس سهلاً. (٧٦/٧).	التخطيط للسفر يوفر كثيرًا من الوقت والمال، ولكنه ليس سهلاً. (٧٦/٧).
يسافر الكثير من الناس اليوم بسياراتهم خاصة إذا سافرت الأسرة كلها. (٧٦/٧).	يسافر الكثير من الناس اليوم بسياراتهم خاصة إذا سافرت الأسرة كلها. (٧٦/٧).	يسافر الكثير من الناس اليوم بسياراتهم خاصة إذا سافرت الأسرة كلها. (٧٦/٧).	يسافر الكثير من الناس اليوم بسياراتهم خاصة إذا سافرت الأسرة كلها. (٧٦/٧).	يسافر الكثير من الناس اليوم بسياراتهم خاصة إذا سافرت الأسرة كلها. (٧٦/٧).
سارة: ألو. عادل: مرحبا سارة. عادل يتكلم. سارة: أهلاً يا عادل. كيف حالك؟.(٥٧/٧).	سارة: ألو. عادل: مرحبا سارة. عادل يتكلم. سارة: أهلاً يا عادل. كيف حالك؟.(٥٧/٧).	سارة: ألو. عادل: مرحبا سارة. عادل يتكلم. سارة: أهلاً يا عادل. كيف حالك؟.(٥٧/٧).	سارة: ألو. عادل: مرحبا سارة. عادل يتكلم. سارة: أهلاً يا عادل. كيف حالك؟.(٥٧/٧).	سارة: ألو. عادل: مرحبا سارة. عادل يتكلم. سارة: أهلاً يا عادل. كيف حالك؟.(٥٧/٧).
ثانيًا: السياق الصرفي				
الاتصال والتواصل مهمان في حياة الناس في الماضي والحاضر. (١٠٣/٧).	الاتصال والتواصل مهمان في حياة الناس في الماضي والحاضر. (١٠٣/٧).	الاتصال والتواصل مهمان في حياة الناس في الماضي والحاضر. (١٠٣/٧).	الاتصال والتواصل مهمان في حياة الناس في الماضي والحاضر. (١٠٣/٧).	الاتصال والتواصل مهمان في حياة الناس في الماضي والحاضر. (١٠٣/٧).
استمتعت الأسرة بجمال الشواطئ...وتجولت في بساتين النخيل. (٥٤/٧).	استمتعت الأسرة بجمال الشواطئ...وتجولت في بساتين النخيل. (٥٤/٧).	استمتعت الأسرة بجمال الشواطئ...وتجولت في بساتين النخيل. (٥٤/٧).	استمتعت الأسرة بجمال الشواطئ...وتجولت في بساتين النخيل. (٥٤/٧).	استمتعت الأسرة بجمال الشواطئ...وتجولت في بساتين النخيل. (٥٤/٧).
أقابل في عملي الناس من جميع بلدان العالم الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ السعودية وثقافتها. (١٥٤/٧).	أقابل في عملي الناس من جميع بلدان العالم الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ السعودية وثقافتها. (١٥٤/٧).	أقابل في عملي الناس من جميع بلدان العالم الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ السعودية وثقافتها. (١٥٤/٧).	أقابل في عملي الناس من جميع بلدان العالم الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ السعودية وثقافتها. (١٥٤/٧).	أقابل في عملي الناس من جميع بلدان العالم الذين يريدون أن يتعرفوا على تاريخ السعودية وثقافتها. (١٥٤/٧).
ثالثًا: السياق النحوي				
لا يمارس بعض الناس الرياضة بسبب الكسل، أو لأنهم لا يعرفون الفوائد منها. (٢٨/٧).	لا يمارس بعض الناس الرياضة بسبب الكسل، أو لأنهم لا يعرفون الفوائد منها. (٢٨/٧).	لا يمارس بعض الناس الرياضة بسبب الكسل، أو لأنهم لا يعرفون الفوائد منها. (٢٨/٧).	لا يمارس بعض الناس الرياضة بسبب الكسل، أو لأنهم لا يعرفون الفوائد منها. (٢٨/٧).	لا يمارس بعض الناس الرياضة بسبب الكسل، أو لأنهم لا يعرفون الفوائد منها. (٢٨/٧).
أغلب الناس يسافرون مرة واحدة في السنة. (٧٦/٧).	أغلب الناس يسافرون مرة واحدة في السنة. (٧٦/٧).	أغلب الناس يسافرون مرة واحدة في السنة. (٧٦/٧).	أغلب الناس يسافرون مرة واحدة في السنة. (٧٦/٧).	أغلب الناس يسافرون مرة واحدة في السنة. (٧٦/٧).
تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في الناس فتجعلهم يشاركون في الحياة العامة من خلال تبادل المعلومات بين الجميع. (٨٦/٧).	تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في الناس فتجعلهم يشاركون في الحياة العامة من خلال تبادل المعلومات بين الجميع. (٨٦/٧).	تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في الناس فتجعلهم يشاركون في الحياة العامة من خلال تبادل المعلومات بين الجميع. (٨٦/٧).	تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في الناس فتجعلهم يشاركون في الحياة العامة من خلال تبادل المعلومات بين الجميع. (٨٦/٧).	تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي في الناس فتجعلهم يشاركون في الحياة العامة من خلال تبادل المعلومات بين الجميع. (٨٦/٧).

خاتمة البحث ونتائجه :

وفي نهاية هذا البحث، ومن خلال ما تم عرضه في الجداول السابقة، فإن أبرز ما خرج به من نتائج تتمثل في:

أولاً: السياق اللغوي:

١. تميز النصوص اللغوية بقصرها وطولها بما يتناسب مع فئات المتعلمين وكفايتهم اللغوية.
٢. اتصاف السياقات اللغوية لنصوص السلسة بمفرداتها الواضحة، وتراكيبها البسيطة والمتنوعة.
٣. تعدد المواقف التعليمية للسياقات اللغوية أسهم في خدمة مقاصد السلسة.
٤. اتضح من خلال السياقات اللغوية حُسن انتقاء المفردات المناسبة للمعاني، ولمستويات المتعلمين.
٥. بناء السياقات اللغوية في نصوص السلسلة تناسب مع مستويات المتعلمين وقدراتهم العقلية والمعرفية.

ثانيًا: تنوع السياق اللغوي: أسهم التنوع السياقي في:

١. تكاملية البناء اللغوي لمهارات اللغة وعناصرها.
٢. تحقيق المنهجية التواصلية في تعليم اللغة لغير الناطقين بها.
٣. بناء المواقف اللغوية بمنهجية علمية صحيحة.
٤. تحقيق النظرية التداولية في تعليم اللغة العربية لغةً ثانية.
٥. مراعاة التنوع الثقافي والتعدد العرقي للمتعلمين.

ثالثًا: القرائن المحيطة بالسياق اللغوي: أسهمت القرائن المحيطة في السياق اللغوي في:

١. البعد عن الحشو في المفردات والتراكيب.
٢. الاقتصاد اللغوي في بناء السياقات اللغوية.
٣. البناء الفصيح للجمل والتراكيب والنصوص.

٤. التماسك النصي لبنية التراكيب الصغرى والكبرى.

٥. تحقق معايير النصية في نصوص السلسلة.

رابعًا: شكل السياق اللغوي: أسهم التنوع في شكل السياقات اللغوية في:

١. تنوع صيغ الجمل والتراكيب والنصوص بما يتلاءم مع أهداف السلسة.

٢. التنوع الدلالي للمعاني وفقًا لسياقاتها اللغوية.

٣. تعددية المعنى الوظيفي للصيغ والتراكيب وفق المواقف التعليمية.

٤. إبراز المواقف الاجتماعية وفق سياقاتها التداولية.

٥. دقة تصوير المعاني المستهدفة بما يبرز مقاصد المتكلم.

خامسًا قيمة السياق اللغوي الدلالية: إضافة إلى ما سبق ذكره في موضعه، فقد أسهمت القيمة اللغوية للسياقات في:

١. تمكين المتعلمين من مهارات استخدام اللغة العربية في العمليات التواصلية.

٢. تنمية المهارات التخاطبية من خلال سياقاتها اللغوية الصحيحة.

٣. تطوير كفايات المتعلمين الاتصالية.

٤. تحسين قدرات المتعلمين في استنتاج المعاني من سياقاتها اللغوية.

٥. تنمية الرصيد اللغوي وأساليبه في المواقف اللغوية.

المصادر والمراجع:

أحمد، محمد إبراهيم، "السياق والتناص بين علم لغة النص وعلم أصول الفقه"، حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، م ٤٠، أكتوبر– ديسمبر ٢٠١٢، ص ص ١٦٩– ١٩٣.

الأدبعي، عبد الغني، "من قضايا المورفولوجيا العربية في التصنيف والشكل الوظيفي"، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، م. ٢٥، ع. ٢، يناير، ٢٠١٧، ص ص. ٢٣٩– ٢٥٩.

آدم، الصادق، "توظيف السياق في الدرس اللغوي"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، ٢٠٠٧.

الأزهري، محمد بن أحمد تهذيب اللغة، (تحقيق: عبد السلام هارون، محمد النجار)، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤.

استيتية، سمير، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، الأردن: عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، ط ٢، ٢٠٠٨.

الأسطل، أحمد مصطفى، "أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ٢٠١١.

أغبر، بسام "الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم براوية حفص عن عاصم: سورة البقرة نموذجًا"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤.

الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، بيروت: منشورات دار الشروق، ط ٣، ١٩٦٩.

أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، (ترجمة: كمال بشر)، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥.

بحيري، سعيد، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، الجيزة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧.

البركاوي، عبد الفتاح، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، القاهرة: دار الكتب، ١٩٩١.

بركة، بسام علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٨.

البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت: لبنان، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٧.

بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار غريب، ١٩٩٨.

بشر، كمال، علم الأصوات، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠.

بصل، إسماعيل، وبلة فاطمة، "ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانيّة (إيران) بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة (سوريا)، م. ٥، ع. ١٨، الصيف ٢٠١٤، ص ص ١–١٨.

بن ساسي، عبد الكريم، " السياق اللغوي وأثره في تعليمية اللغة العربية لدى الطفل في ضوء المقاربة بالكفاءات: السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر– باتنة، الجزائر، ٢٠١٠.

بومزبر، الطاهر بن حسين، التواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الجزائر: منشورات الاختلاف، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧.

تومي، غنية، "السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث"، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، ع ٦، ٢٠١٠، ص ص. ١٩٥– ٢٢٨.

جرمان، كلود، ولوبلون، ريمون، علم الدلالة، (ترجمة: نور الهدى لوشن)، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية ببنغازي، ١٩٩٧.

حجازي، محمود، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار قباء، ط ٢، ١٩٩٧.

حسام الدين، كريم، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠.

حسان، تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها، الدار البيضاء: المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤.

حسان، تمام، قرينة السياق، بحث في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، القاهرة: مطبعة عبير الكتاب، ١٩٩٣.
حسان، تمام، مقالات في اللغة والأدب، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦.
حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠.
حساني، أحمد، دراسات في حقل اللسانيات التطبيقية: حقل تعليمية اللغة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠.
حسن، عبد الواحد، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، القاهرة: مطبعة الإشعاع، ١٩٩٩.
خليل، حلمي، الكلمة: دراسة لغوية معجمية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ٣، ١٩٩٨.
خليل، محمود، في اللسانيات ونحو النص، عمَّان: دار المسيرة، ط ٢، ٢٠٠٩.
الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢.
الخويسكي، زين كامل لسانيات من اللسانيات، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.
الدامغ، خالد، والقحطاني جمعان، والنصار، صالح، الإطار العلمي للتأليف: وثيقة تأليف منهج تواصل، سراييفوا: البوسنة والهرسك، مركز الملك فهد الثقافي، ٢٠١٥.
الدامغ، خالد، والقحطاني جمعان، والنصار، صالح، تواصل: سلسلة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (كتاب الطالب)، [١، ٢، ٣ ،٤، ٥، ٦، ٧]، سراييفوا: البوسنة والهرسك، مركز الملك فهد الثقافي، ٢٠١٥
داود، محمد، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١.
دي سوسير، فردينان، دروس في اللسانيات العامة، (ترجمة: صالح الفرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة)، طرابلس، ليبيا: الدار العربية للكتاب.
الزمخشري، محمود، أساس البلاغة، (تحقيق: محمد السود)، بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٩٩٨.
السامرائي، فاضل، الجملة العربية والمعنى، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠.
السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢.

سلام، محمد، أثر القرآن الكريم في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٥٢.

شتوان، محمد، "السياق وتأويل النصوص: نموذج من النص القرآني"، دراسات التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ع ٤٦، ٢٠١٥، ص ص ٢٩٩– ٣٢٠.

الشتوي، فهد، "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ٢٠٠٥.

صافية، داود، وسهام براهيمي، "النظرية السياقية في الدرس الدلالي وأثرها عند العرب"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، ٢٠١٦.

طعيمة، رشدي، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، مفهومه وأسسه واستخداماته، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٧.

الطلحي، ردة الله بن ردة، "دلالة السياق"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧.

العارف، عبد الرحمن اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر: ١٩٣٢– ١٩٨٥، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.، ٢٠١٣.

العامري، خليل، "السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، العراق، م.٩، ع. ٢، ٢٠١٠، ص ص. ٣٧– ٦٣.

عبد الجليل، عبد القادر علم اللسانيات الحديثة، الأردن: دار صفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.

عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٥.

عبد القادر، دايد، "أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري: الكشاف أنموذجًا"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران١– أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٧.

عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠.

العبد، محمد، العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٧.

عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٤.

عمر، أحمد مختار دراسة الصوت اللغوي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧.

عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٨.

العموش، خلود، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، عمَّان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٨.

عوض، يوسف، نظرية النقد الأدبي الحديث، الجيزة: دار الأمين، ١٩٩٤.

غيلوس، صالح، "إعادة بناء النص التعليمي في ضوء المقاربة النصية: السنة الثالثة ثانوي نموذجًا"، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف ٢، الجزائر، ٢٠١٣.

فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦.

فندريس، ج، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي. ١٩٥٠.

قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، سوريا: دار الفكر، ط ٣، ٢٠٠٨.

لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، (ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يونيل عزيز)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرفقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي والتكنولوجي، وزارة التربية الوطنية، اللغة العربية وآدابها، آداب– فلسفة، الجزائر، ٢٠٠٦.

لطفي، مصطفى، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي: دراسة في علم اللغة الحديث، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦.

مايو، عبد القادر الوجيز في فقه اللغة، سورية: دار القلم العربي، ١٩٩٨).

مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥.

مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤.

المصطفى، عواطف الدلالة السياقية عند اللغويين، لندن: المملكة المتحدة، دار السياب، ٢٠٠٧.

المطيري، عبد الرحمن، "السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ٢٠٠٨.

المعتوق، أحمد "الحصيلة اللغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٢١٢، ١٩٩٦.

ياكبسون، رومان، قضايا الشعرية، (ترجمة: محمد الولي، ومبارك حنون)، الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨.

المراجع الوسيطة:

Bloomfield, (1926), A set of postlates for the seience of ian guage ll.

Bloomfield, (1970), Language.17 Aufl. London.

E.A,Nida,Mouton.(1975). Componential Analysis of Meaning.

Firth,J.R,(1964), The Tongues of men and speech, London.

Kramsky, Jiri, (1974), The Phoneme.

Lyons, John, (1972), New Horizons in Linguistics, Penguin Books.

Robins, R.H, (1966), General Linguistics. G.B.

Sowinski, (1983), B: Textlinguistik Eine Einfuhrung,w.k.Stuttgart.

Ullmann. Stephen, (1962). Semantic, Introduction to science of meaning Basil Blachwell, Oxford.

Bibliography

Ahmad, Muhammad Ibrahim, "**al-Siyāq wa-al-tanāṣṣ bayna 'ilm Lughat al-naṣṣ wa-'ilm uṣūl al-fiqh**", Annuals of the Arts of Ain Shams, Faculty of Arts, Ain Shams University, Cairo, Egypt, Vol. 40, October-December 2012, pp. 169-193.

Al-Adbaʿi, ʿAbd al-Ghani, "**One of the issues of Arab morphology in classification and functional form**", (in Arabic). King Khalid University Journal of Human Sciences, King Khalid University, Vol. 25, Issue 2, January, 2017, p. 239-259.

Adam, al-Sadiq, "**The use of context in the language lesson**", (in Arabic). PhD Thesis (unpublished), Faculty of Arts, University of Khartoum, Sudan, 2007.

Al-Azhari, Muhammad Bin Ahmad, "**Tahdheeb Al-Lugha**", (Edited by: Abdul Salam Haroun, Muhammad An-Najjar), Cairo: The Egyptian House for Authorship and Translation, 1964

Istitiya, Samir, **Linguistics: the field, function, and method,** (in Arabic) Jordan: 'Alam Al Kitab Al Hadith, Jedara Lel Kitab Al-A'lami, 2nd Edition, 2008.

Al-Astal, Ahmad Mustafa, "**Athar al-siyāq fī tawjīh sharḥ al-aḥādīth 'inda Ibn Ḥajar al-'Asqalānī**", Master Thesis (unpublished), Faculty of Arts, Islamic University, Palestine, 2011.

Aghbar, Bassam "**al-Fonym wa-tajalliyātuh fī al-Qur'ān al-Karīm be rewāyat Ḥafṣ 'an 'Āṣim : Sūrat al-Baqarah namūdhajan**", Master Thesis (unpublished), College of Graduate Studies, An-Najah National University, Palestine, 2014

Al-Antaki, Muhammad, **Al-Wajeez in Fiqh Al Lugha**, Beirut: Dar Al-Shorouk Publications, 3rd Edition, 1969.

Ullman, Stephen, **Dawr Al-Lugha Fi Al-Kalimah**, (Translated by: Kamal Bishr), Cairo: The Youth Library, 1975.

Buheiry Saʿeed, '**Ilm Lughat Al-Nas: Al-Mafahim wa Al-Itijahat**, Beirut: Maktabat Lebanon, Giza: The Egyptian International Publishing Company, 1997.

Al-Burkāwy, ʿAbd al-Fattāh, **Dalālat al-siyāq bayna al-Turāth wa-'ilm al-lughah al-ḥadīth : dirāsah taḥlīlīyah li al-Waẓaʾif al-ṣawtīyah wa-al-binyawīyah wa al-Tarkībiyyah fī ḍaw' Naẓarīyat al-siyāq**, Cairo: Dār Al-Kutub, 1991.

Baraka, Bassam, **'Ilm al-aṣwāt al-'āmm : Aṣwāt al-lughah al-'Arabīyah**, Beirut: National Development Center, 1988.

Al-Bustani, Boutros, **Muhit Al-Muheet**, Beirut: Lebanon, Librairie Du Liban, 2nd Edition, 1987.

Bishr, Kamal, **Dirasat fi ʿIlm Al-Lugha**, Cairo: Dar Gharib, 1998.

Bishr, Kamal, ʿ**Ilm Al-Aswāt**, Cairo: Dar Gharib, 2000.

Basal, Ismail, and Bella Fatima, "**Features of context theory in the**

modern linguistic lesson", (in Arabic) Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Iranian Semnan University (Iran) in cooperation with the Syrian Tishreen University (Syria), Vol. 5, Issue. 18, Summer 2014, pp. 1-18.

Bin Sassi, Abdul Karim, "**Linguistic context and its impact on the education of the Arabic language for the child in the light of the competency approach: the fifth year of primary education as a case study**", (in Arabic) Master Thesis (Unpublished), Faculty of Arts and Languages, Haji Lakhdar University - Batna, Algeria, 2010.

Bomzebr, Al-Taher Bin Hussein, **Linguistic communication and poetics: an analytical approach to Roman Jacobson's theory**, (in Arabic) Algeria: Publications of Difference, Beirut: Arab Science House, 2007.

Toumi, Ghaniya, **"Linguistic context in the modern linguistic lesson",** (in Arabic) Al-Mukhbir journal, Faculty of Arts and Arabic Language, Muhammad Khider University - Biskra, Algeria, Issue 6, 2010, pp 195- 228.

Jermain, Claude, and LeBlanc, Raymond, ʿ**Ilm Al-Dilālah**, (Translated by: Nour Al-Hoda Lotion), Benghazi: Publications of Garyounis University, National Library, Benghazi, 1997.

Hijazy, Mahmoud, **Madkhal Ilā ʿIlm Al-Lugha**, Cairo: Dar Qibaa, 2nd Edition, 1997.

Husam al-Din, Karim, **Semantic analysis: its procedures and methods**, (in Arabic) Cairo: Dar Gharib, 2000.

Hasan, Tamam, **Al-Lugha Al-ʿArabiya, Maʿnāhā wa Mabnāhā**, Casablanca: Morocco, Dār al-Thaqāfa, 1994.

Hasan, Tamam, **Qarīnat al-Siyāq, a Research in the Memorial Book to Celebrate the Centenary of Faculty of Dār Al-ʿUloom**, Cairo: ʿAbeer Al-Kitab Press, 1993.

Hassan, Tamam, **Articles on Language and Literature**, (in Arabic) Cairo: ʿĀlam al-Kutub, 2006.

Hassan, Tamam, **Manāhij al-Baḥth fī al-lugha**, Cairo: The Anglo-Egyptian Library, 1990.

Hasani, Ahmad, **Studies in the field of applied linguistics: a field of language education**, Algeria: Office des Publications Universitaires, 2000.

Hassan, ʿAbd al-Wahid, **al-Tanāfur al-ṣawtī wa-al-ẓawāhir al-siyāqīyah**, Cairo: El Eshaa Press, 1999.

Khalil, Helmy, al-Kalimah : dirāsah lughawīyah muʿjamīyah, Alexandria: Dār al-Maʿrifah al-Jāmiʿiyyah, 3rd Edition, 1998.

Khalil, Mahmoud, **Fī al-lisānīyāt wa-naḥwa al-Naṣṣ**, Amman: Dār Al-Masirah, 2nd Edition, 2009.

Al-Khouli, Muhammad, **Mu'jam 'ilm al-lughah al-Naẓarī**, Beirut: Librairie Du Liban, 1982.

Al-Khoisky, Zain Kamil, **Lisānīyāt min al-lisānīyāt,** Alexandria: University Knowledge House, 1997.

Al-Damigh, Khalid, Al-Qahtani Jamaʿan, and An-Nassar, Salih, **The scientific framework of authorship: a document authoring a communication approach**, (in Arabic). Sarajevo: Bosnia and Herzegovina, King Fahd Cultural Center, 2015.

Al-Damigh, Khalid, Al-Qahtani Jamaʿan, and Al-Nassar, Salih, **Tawāṣul: Series of Teaching Arabic to Speakers of Other Languages** (Student's Book), [1, 2, 3, 4, 5, 6, 7], Sarajevo: Bosnia and Herzegovina, King Fahd Cultural Center, 2015

Dawoud, Muhammad, **al-'Arabīyah wa-'ilm al-lughah al-ḥadīth**, Cairo: Dar Gharib, 2001.

De Saussure, Ferdinand, **Courses in General Linguistics**, (Translated by: Saleh Al-Farmadi, Muhammad Al-Shawash, Muhammad A'jina), Tripoli, Libya: al-Dār al-ʿArabiyyah lil Kitāb.

Al-Zamakhshari, Mahmoud, Asās Al-Balāgha, (Investigated by: Muhammad Al-Soud), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Ilmiah, 1998.

Al-Samurrā'i, Fadil, **al-Jumlah al-'Arabīyah wa-al-ma'nā**, Beirut: Dār Ibn Hazm, 2000.

Al-Saʿran, Mahmoud, **'Ilm al-lughah : muqaddimah llqār' al-'Arabī**, Beirut: Dār Al-Nahda Al-ʿArabiya, 1972

Salam, Muhammad, **Athar al-Qur'ān al-Karīm fī Taṭawwur al-naqd al-'Arabī ilá ākhir al-qarn al-rābi' al-Hijrī**, Cairo: The Youth Library, 1952.

Shatwan, Muhammad, "**al-Siyāq wa-ta'wīl al-nuṣūṣ : namūdhaj min al-naṣṣ al-Qur'ānī**", Studies of Understanding, Ministry of Endowments and Religious Affairs, Sultanate of Oman, Issue 46, 2015, pp. 299-320.

Al-Shetawi, Fahd, "**Dalālat al-siyāq wa-atharuhā fī tawjīh al-mutashābih al-lafẓī fī qiṣṣat Mūsá 'alayhi al-Salām**", Master Thesis (Unpublished), Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, 2005.

Safia, Dawoud, and Siham Brahimi, "**al-Naẓarīyah al-siyāqīyah fī al-dars al-dalālī wa-atharuhā 'inda al-'Arab**", Master Thesis (Unpublished), Faculty of Arts and Languages, Abdul Rahman Meera University Bejaia, Algeria, 2016.

Tuʿaima, Rushdi, **Content analysis in the humanities, its concept, foundations and usages**, (in Arabic) Cairo: Dar El-Fikr El-Arabi, 1987.

Al-Talhi, Radatullah Bin Rada, "**Dilālat al-Siyāq**", PhD Thesis (Unpublished), College of Arabic Language, Umm Al-Qura

University, Kingdom of Saudi Arabia, 1997.

Al-ʿĀrif, ʿAbd al-Rahman, **Trends in contemporary linguistic studies in Egypt**: 1932-1985, (in Arabic). Beirut: Dār Al-Kitab Al-Jadeed, 2013.

Al-ʿĀmiri, Khalil, "**Context: Its Patterns and Applications in Quranic Expression**", (in Arabic). Al-Qadisiya journal for the Sciences of Physical Education, Al- Qadisiya University, Iraq, Vol. 9, p. 2, 2010, pp. 37- 63.

ʿAbd al-Jalil, ʿAbd al-Qadir, **modern linguistics**, (in Arabic). Jordan: Dar Safa For Printing, Publishing & Distribution, 2000.

ʿAbd al-Rahman, Taha, **Renewing the curriculum in evaluating heritage**, (in Arabic). Casablanca: The Arab Cultural Center, 2nd Edition, 2005.

ʿAbd al-Qādir, Daid, "**Athar al-siyāq fī tarjīḥ Dalālat al-naṣṣ ladá al-Zamakhsharī** : al-Kashshāf unmūdhajan", Master Thesis (Unpublished), Faculty of Letters, Languages and Arts, University of Oran 1- Ahmad Ben Bella, Algeria, 2017.

52. ʿAbd al-Latif, Muhammad Hamāsah, **al-Naḥw wa-al-dalālah : madkhal li-Dirāsat al-maʻná al-Naḥwī al-dilālī**, Cairo: Dār al-Shorouk, 2000.

Al-A'bd, Muhammad, **Phrase and sign: a study in communication theory**, (in Arabic). Cairo: Al-Adab Publishing, 2007.

ʿAmāyirah, Khalil, **Fī Naḥwa al-lughah wtrākybhā : Manhaj wa-taṭbīq**, Jeddah, A'lem Al-Ma'rifah, 1984.

Omar, Ahmad Mukhtar, **Dirāsah al-Ṣawt al-lughawī**, Cairo: ʿĀlam Al-Kutub, 1997.

Omar, Ahmad Mukhtar, ʿ**Ilm Al-Dilālah**, Cairo, ʿĀlam Al-Kutub, 5th Edition, 1998.

Al-ʿAmoush, Khuloud, **al-Khiṭāb al-Qur'ānī : dirāsah fī al-ʻalāqah bayna al-naṣṣ wa-al-siyāq, mathal min Sūrat al-Baqarah**, Amman: Jedara Lelkitab Al-A'lami, 2008.

Awad, Yousuf , **Naẓarīyat al-naqd al-Adabī al-ḥadīth.** Giza: Dar Al-Amin, 1994.

Ghilos, Saleh, "**Reconstruction of the educational text in the light of the textual approach: the third year of secondary school as a case study**", (in Arabic). PhD Thesis (Unpublished), Faculty of Arts and Languages, University of Setif 2, Algeria, 2013.

Fathi, Ibrahim, **Muʿjam Al-Mustalahāt Al-Adabiya**, Tunisia: Arab United Publishers Association, 1986.

Fandris, J., **Al-Lugha**, Arabization: Abdul-Hamid Al-Dawakhli, Muhammad Al-Qassas, Cairo: The Anglo-Egyptian Bookshop, Arab Bayan Press, 1950.

Qaddour, Ahmad, **Mabādiʾ Al-Lisāniyāt,** Syria: Dār Al-Fikr, 3rd

Edition, 2008.

Lyons, John, **Language, Meaning and Context**, (Translated by: Abbas Sadiq Al-Wahhab, Reviewed by: Youneel Aziz), Baghdad: General Cultural Affairs House, 1987.

The National Committee for Curriculum, **the Document Attached to the Curriculum for the Third Year of Secondary and Technological Education**, Ministry of National Education, Arabic Language and Literature, Literature - Philosophy, Algeria, 2006.

Lotfi, Mustafa, **The Arabic language in its social context: a study in modern linguistics,** (in Arabic). Beirut: The Institute for Arab Development, 1976.

Mayo, ʿAbd al-Qadir, **Al-Wajeez fi Fiqh Al-Lugha**, Syria: Dār al-Qalam Al-Arabi, 1998).

Mubarak, Mubarak, **Muʿjam Al-Mustalahāt Al-Alsuniyyah**, Beirut: Dār Al Fikr Al Lubnani, 1995.

Mustafa, Ibrahim and others, **Al-Muʿjam Al-Waseet**, Cairo: El-Shorouk International Library, 4th Edition, 2004.

Al-Mustafa, Awatef, "**al-Dalālah al-siyāqīyah 'inda al-lughawīyīn**" London: United Kingdom, Dār Al-Sayyib, 2007.

Al-Mutairi, ʿAbd al-Rahman, "**al-Siyāq al-Qur'ānī wa-atharuhu fī al-tafsīr : dirāsah Naẓarīyat wa-taṭbīqīyah min khilāl tafsīr Ibn Kathīr**", Master Thesis (Unpublished), Faculty of Daʿwah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, 2008.

Al-Maʿtouq, Ahmad, **al-Ḥaṣīlah al-lughawīyah : ahammīyatuhā, maṣādiruhā, wasā'il tanmiyatihā**, ʿĀlam Al-Maʿrifa Series, The National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, Issue 212, 1996.

Jakobson, Roman, **Issues of Poetry**, (Translated by: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun), Casablanca: Dār Toubkal, 1988.


١٣٨١
١٩٦١





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of
Arabic Language and Literature

Vol : 5 | Part : 1 | May - Aug 2022



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٥ | الجزء : ٢ | مايو - أغسطس ٢٠٢٢ م


١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرّفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربيّة بالجامعة الإسلاميّة

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا–الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيّد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض–جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف–جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلاميّة

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

أ.د. عبدالرزّاق بن فرّاج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أمّ القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصدّيق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية–الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**دلالة مصطلح (الأسهل منه) واستعماله عند النحويين** د. عبد الملك أحمد السيد شتيوي	٩
٢)	**لغة قريش بين الاختيار اللغوي ورسم المصحف الشريف (دراسة تحليلية)** د. عبد الرحمن بن زايد الشعشاعي	٧٣
٣)	**توجيهُ سِبْطِ ابنِ العَجْمِي رواياتِ صحيح البخاري على المذهب الكوفي -دراسة في كتابه (الناظر الصحيح)** د. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحسن	١٣١
٤)	**الحذف المشكل للحروف في شعر المتنبي (دراسة تركيبية دلالية)** د. عبد الهادي بن مداوي بن أحمد آل مهدي	٢٠٥
٥)	**بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج** سحر مصطفَى إبراهيم المِعَنَّا	٢٨٥
٦)	**توظيف الإطار المنهجي للنظرية ا لمجذّرة في تأصيل البحث البلاغي -"نظرية النظم أنموذجًا"** د. زينب بنت عبد اللطيف كامل كردي	٣٤٩
٧)	**المعنى وضده في القرآن بين بلاغة التأكيد والتأسيس من خلال كتب المفسرين** د. سعيد بن عثمان بن محمد الملا	٤٠٧

م	البحث	الصفحة
٨)	**وظائف الشعر في السرد القديم: قراءة في كتاب (أدب الغرباء) للأصفهاني** هند بنت عبد الرزاق المطيري	٤٦١
٩)	**عتبات القصيدة الفصحى وثيقةً ثقافية** د. صالح بن عويد الحربي	٥٠٩
١٠)	**الحركة في أشعار المُعَمَّرين دراسة في البنية** د. علي بن أحمد الهمامي	٥٤٩
١١)	**الاستطراد السردي عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي كتاب : من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء أنموذجًا** د. فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي	٥٨٧
١٢)	**همزيّة حسّان بن ثابت ﷺ في الدّفاع عن الإسلام (مُقاربة أسلوبيّة)** د. عنايات عبد الله الشيحة	٦٢١
١٣)	**التَّقابل في رواية (زهور فان غوخ) لمقبول العلوي** خلود بنت عبد اللطيف بن صالح الجوهر	٦٦١
١٤)	**صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية "من وجهة نظر متعلميها"** د. عادل علي غانم السناني	٧٠٥
١٥)	**صناعة مُعجم تعليمي للنّاطقين بغير العربيّة باستخدام نظرية الحقول الدّلاليّة** د. عبد الناصر عثمان عبد الله صبير	٧٧١

دلالة مصطلح (الأسهل منه)
واستعماله عند النحويين

The Connotation of the Term (The One Easier Than It) and Its Use Among the Grammarians

د. عبد الملك أحمد السيد شتيوي

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، والأستاذ المساعد

بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالمنصورة

البريد الإلكتروني: dr.shetewy@yahoo.com

المستخلص

يهدف البحث إلى بيان دلالة مصطلح (الأسهل منه) مع تعريف الحكم النحوي باعتبار أن هذا المصطلح يعد حكماً نحوياً على بعض الآراء، وذكر الأسس التي اعتمدها النحاة للحكم على أحد الأمرين بأنه أسهل من الآخر. وقد ظهر من خلال البحث أن اعتمادهم في الحكم على أحد الأمرين بهذا كان على العلة، كما ظهر أن حكمهم هذا كان للاستعمال أو للمعيار الحكمي، وقد تم عرض ما ورد من هذا المصطلح عند النحويين.

وجاء البحث في مقدمة، ومبحثين تعقبهما خاتمة أثبت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: (دلالة – مصطلح – الأسهل منه – الاستعمال – النحويون).

Abstract

The research aims to clarify the significance of the term (the one easier than it) with the definition of grammatical judgment considering that this term is considered a grammatical judgment on some opinions, and mentioned the foundations adopted by grammarians to judge one of the two matters as easier than the other. It has emerged through the research that their reliance on judging one of the two matters by this was on the cause. It also appeared that their judgment was for use or for judgmental criterion, and what came of this term was presented to the grammarians. The research is divided into an introduction, and two sections followed by a conclusion, in which the researcher demonstrated the most important results that he concluded through the research.

Key words: (connotation - term - easier than it - use - grammarians).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي صاحب الأخلاق الكاملة، والنور الأتم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فقد نبعت فكرة هذا البحث وأنا أُدَّرِس باب التوكيد لطلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل صلاة وأزكى سلام، وذلك في التوكيد اللفظي بالحرف غير الجوابي كحروف الجر، وإنَّ وأخواتها، ونواصب الفعل المضارع وجوازمه.

وحكم توكيد هذه الحروف أن تعاد مع ما اتصلت به، فيعاد مع المؤَكِّد ما اتصل بالمؤَكَّد إن كان مضمراً، ويعاد هو أو ضميره إن كان ظاهراً.

وقد علل النحاة وجوب إعادة ما اتصل بهذه الحروف عند إرادة توكيدها لكونها كالجزء من مصحوبها، وعدم قيام معناها دون ما دخلت عليه، ثم لا بُدَّ من الفصل بين الحرفين، وشذ اتصال الحرفين [1] كما في قول الشاعر:

إنَّ إنَّ الكريمَ يَحْلُمُ مَا لَم يَرَيَنْ مَنْ أجارَهُ قَدْ ضِيمَا [2]

حيث كرر الحرف (إنَّ) بإعادتها من غير فاصل بينهما مع أنها ليست من حروف الجواب، وهذا شاذ لا يقاس عليه.

وأسهل منه شذوذاً [3] قول الآخر:

---

(١) انظر: أوضح المسالك ٣/٣٠٥، تمهيد القواعد ٧ /٣٣٠٧، المقاصد النحوية ١/٦٢، ٤/١٥٩٤، التصرح ٢/١٤٤، الهمع ٣/١٧٥

(٢) البيت من الخفيف بلا نسبة، وهو من شواهد: أوضح المسالك ٣/٣٠٦، تمهيد القواعد ٧/٣٣٠٧، المقاصد النحوية ١/٦٢، ٤/١٥٩٤، الهمع ٣/١٧٥، منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ٣/٢١٦

(٣) انظر: التصريح ٢/١٤٥، شرح الأشموني ٢/٣٤٨، حاشية الصبان ٣/١٢١، ضياء السالك ٣/١٧١

حتى تراها وَكأنَّ وكأنْ أعناقها مُشَدَّداتٌ بِقَرَنْ (١)

حيث أكد (كأنَّ) بمثلها مع عدم الفاصل بمعمول الأولى مع أنها ليست من حروف الجواب، لكنه أخف شذوذاً من سابقه؛ لأنه فصل هنا بينهما بحرف العطف.

فجاءت فكرة البحث من عبارة النحاة (وأسهل منه شذوذاً)، فهما شاذان إلا أنَ أحدهما أسهل من الآخر، فقرأت حول هذا المصطلح، وعن مسائله في الكتب النحوية واللغوية، فجمعت مادة تصلح لأن تقيم بحثاً، فكان هذا دافعاً للكتابة حول هذا المصطلح لمعرفة دلالته واستعماله، والمحددات التي على أساسها استخدم النحاة هذا المصطلح، والأسس التي حكموا بها على أن أحد الأمرين أسهل من الآخر.

وتقوم فكرة البحث على أن حكماً لشيئين مختلفين إلا أنه لأحدهما أسهل من الآخر، وهو ما عَبَّر عنه النحاة واللغويون بمصطلح (**الأسهل منه**)، ولذلك استخدموا صيغة (أفعل) التفضيل التي تدل على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة.

وقد استخدم النحاة التعليل للحكم على أنّ أحد الأمرين (أسهل من الآخر)، كما أظهر كلامهم محددات لاستعمال هذا المصطلح، وكان حكمهم به على بعض الآراء إما لحكم استعمالي أو معياري حكمي.

وقد جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة ففيها دوافع البحث، وأهميته، وخطته.

---

(١) بيتان من الرجز لخطام المجاشعي، وهما من شواهد: توضيح المقاصد ٩٨٤/٢، الدر المصون ٣٤٤/٣، المساعد ٣٩٩/٢، المقاصد النحوية ١٥٨٨/٤، اللباب في علوم الكتاب ٤٥٩/٥

وأما المبحث الأول، فعنوانه: دلالة مصطلح (الأسهل منه)، وصلته بالمصطلحات الأخرى، وأدلة النحاة على الحكم بأن أحد الأمرين أسهل من الآخر

وأما المبحث الثاني: فقد جاء عنوانه: استعمال مصطلح (الأسهل منه) عند النحويين.

ثم جاءت الخاتمة التي ضمنتها أهم النتائج المستخلصة من البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وقد جمعت مسائل هذا المصطلح بهذا التركيب (الأسهل منه) من كتب النحو واللغة والتفسير، ورتبتها في المبحث الثاني على ترتيب ألفية ابن مالك، وعرضتها على بساط الدرس النحوي متبعاً في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: دلالة مصطلح (الأسهل منه)، وصلته بالمصطلحات الأخرى، وتعريف الحكم النحوي، وأدلة النحاة على الحكم بأن أحد الأمرين أسهل من الآخر

يعد مصطلح (الأسهل منه) من المصطلحات النحوية التي عبَّر به النحاة عن أحكامهم على بعض الآراء بأنها أسهل من غيرها، وقد استخدموا التعليل لبيان أن هذا الرأي أسهل من غيره.

فما المراد بالحكم النحوي؟ وما أقسامه؟ وما المعايير التي استند إليها العلماء في هذه الأحكام.

تعريف الحُكْم لغة: الحكم مصدر من الفعل حكم يحكم، وتدور مادة الكلمة حول معنى المنع، يقال: حَكَمتُ السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه [(١)]، وحكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك. [(٢)]

وفي الاصطلاح: هو إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً، وقيل: هو وضع الشيء في موضعه. [(٣)]

وقيل: هو إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرر أو وضع واضع. [(٤)]

ويعرف الحكم النحوي بأنه: كل ما يثبت للكلمة أو التركيب من بناء

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (ح ك م) ٩١/٢، الصحاح ٥/ ١٩٠١ (ح ك م)، اللسان (ح ك م)، وراجع: الكليات للكفوي صـ ٣٨٠

(٢) انظر: المصباح المنير للفيومي صـ ١٤٥، المعجم الوسيط ١٩٠/١.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني صـ ٩٦، وراجع: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٦٩٣، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة لدليلة مزور صـ ١١

(٤) انظر: الكليات للكفوي صـ ٣٨٠

أو إعراب، أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك مما يجعله جارياً على سمت كلام العرب. (١)

ويعد الحكم أحد أركان القياس قال السيوطي: " للقياس أربعة أركان: أصل وهو المقيس عليه، وفرع وهو المقس، وحكم، وعلة جامعة ". (٢)

فالحكم النحوي هو ما تثبته العلة يقول الأنباري: " اعلم أن العلماء اختلفوا في ذلك – أي في إثبات الحكم في محل النص بما ثبت بالنص أم بالعلة؟ – فذهب الأكثرون إلى أنه يثبت بالعلة لا بالنص؛ لأنه لو كان ثابتاً بالنص لا بالعلة لأدى ذلك إلى إبطال الإلحاق، وسد باب القياس؛ لأن القياس حمل فرع على أصل بعلة جامعة، وإذا فقدت العلة الجامعة بطل القياس، وكان الفرع مقيساً من غير أصل وذلك محال .... ". (٣)

وعليه فإن الحكم النحوي هو نتيجة طبيعية للتفاعل بين النص والعلة بما يخدم مقاصد المتكلم والمخاطب. (٤)

وقد قسم السيوطي، والشاوي الحكم النحوي إلى ستة أقسام هي: الواجب، والممنوع، والحسن، والقبيح، وخلاف الأولى، والجائز على السواء. (٥) ومثَّل لهذه الأقسام، كما ينقسم الحكم النحوي إلى رخصة وغيرها،

(١) انظر: أصول النحو وتأثرها بأصول الفقه لمحمد جاسم عبود صـ ١٦٩

(٢) انظر: الاقتراح في علم أصول النحو صـ ٢٠٨، وراجع: الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو صـ ١٠٥، ١٠٦، ارتقاء السيادة في علم أصول النحو للشيخ يحيى الشاوي صـ ٦٢، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للفاسي ٧٥١/٢، ٧٥٢

(٣) انظر: الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو صـ ١٢١

(٤) انظر: الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة صـ ١٢

(٥) انظر: الاقتراح في علم أصول النحو صـ ٤٨، ٤٩، وراجع: ارتقاء السيادة في علم أصول النحو للشيخ يحيى الشاوي صـ ٤١، فيض نشر الانشراح من روض طي =

والرخصة: ما جاز استعماله لضرورة الشعر، ويتفاوت حُسناً وقُبحاً. (١)

والنحاة يستخدمون كثيرا من المصطلحات لبيان الحكم النحوي أو بما يسمى بمصطلحات (التقويم النحوي) على الآراء المستحسنة، كـ (الأولى، وقوي، وأقوى، وجيد، وأجود، وحسن، والأحسن، والأسهل، والأسهل منه)، وهي مصطلحات للحكم –كما سبق – على ما استحسن من الآراء وإن اختلفت محدداتها عند النحاة. (٢)

كما استخدموا مصطلحات لبيان الحكم النحوي على الآراء المستقبحة كـ (خلاف الأولى، وخلاف الأصل، وضعيف، وأضعف، وقبيح، والأقبح، ورديء، وفاسد) وغير ذلك من المصطلحات.

وقد اعتمد سيبويه والنحاة عدة معايير للحكم بالمصطلحات الأولى على الآراء، وذلك بمدى قياسية الظاهرة النحوية، وصلاحية التعدد الوظيفي والإعرابي مع قوة المعنى، وصحة التركيب، والمقصد التداولي.

فإن ضعفت هذه المعايير حكموا بالمصطلحات الثانية على الآراء. (٣)

كما أن الأحكام النحوية التي أصدرها النحاة يمكن أن تقسم إلى أحكام نوعية، كالجيد والفاسد، والحسن والقبيح، والرديء وغير ذلك، وإلى

=

الاقتراح للفاسي ٣٠٤/١، الإصباح في شرح الاقتراح د/ محمود فجال صـ ٤٧، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة صـ ١٤

(١) انظر: المراجع السابقة، الضرائر للألوسي صـ ٢٠

(٢) راجع: ملامح الحسن في الجوازات النحوية لإبراهيم محمد المباركي صـ ٥٧ وما بعدها مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ٢٠١٩م

(٣) انظر: الأحكام المعيارية على الظواهر النحوية عند سيبويه صـ ٢، ٣، أسس الترجيح في كتب الخلاف النحوي لفاطمة حامد صـ ٢٤٣ وما بعدها، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة صـ ١٤٥ وما بعدها.

أحكام كمية، كالكثير والقليل، والنادر وغير ذلك.

وقد أقيمت عدد من الدراسات حول بعض هذه المصطلحات ومنها:

- الأحكام المعيارية على الظواهر النحوية عند سيبويه. (١)
- الأحكام المعيارية في التقعيد النحوي بين ابن جني وابن هشام دراسة نظرية تطبيقية (حكم الراجح أنموذجاً) للدكتورة / حنان أحمد راجحي. (٢)
- الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة لدليلة مزور. (٣)
- الجواز في الفكر النحوي د/ محمود الجاسم. (٤)
- خلاف الأولى في الدرس النحوي بين التنظير والتطبيق للدكتور / عبد الله بن عويقل السلمي. (٥)
- الحمل على الأسهل في النحو والتصريف للدكتور / عادل حسانين. (٦) وما تناولته مختلف عما تناوله، كما أن مسائلي – غالباً – تقوم على أمرين مختلفتين أحدهما أسهل من الآخر.
- ظاهرة الوجوب النحوي بن سيبويه والفراء د/ صباح السامرائي. (٧)
- مراعاة الأولى في النحو والتصريف لعلي بن فايز بن محمد أبو هاشم

(١) رسالة ماجستير لمنصور ساير العتيبي جامعة الملك سعود ١٤٢٧هـ.
(٢) بحث في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
(٣) رسالة دكتوراه في جامعة محمد خيضر بالجزائر ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
(٤) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٣٧ ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.
(٥) بحث في مجلة العلوم العربية والإنسانية جامعة القصيم مجلد ٣– عدد ٢ ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
(٦) نشر في مجلة كلية اللغة العربية بجرجا ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.
(٧) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

الشهري.[١]

– مراعاة الأولى في النحو والتصريف لمحمد رفعت الموجي. [٢]

وغير ذلك من الدراسات التي أقيمت حول هذه المصطلحات للحكم بها على الآراء.

وأما عن مصطلح (الأسهل منه) والذي حكم به النحاة على عدد من الآراء النحوية فقد قال ابن فارس عن مادته: السين، والهاء، واللام أصل واحد يدل على لين، والسهل: خلاف الحَزن، ويقال عند النسب إلى الأرض السَّهلة: سُهْليٌّ. [٣]

وقال الرازي: و(أَسْهَلَ الْقَوْمُ): صَاروا إِلَى السَّهْلِ، وَرَجُلٌ سَهْلُ الْخُلُقِ. و (السُّهُولَةُ) ضِدُّ الْحُزُونَةِ. وَقَدْ سَهُلَ الْمَوْضِع بالضم (سُهُولَةً). وَ (أَسْهَلَ) الدَّوَاءُ طَبِيعَتَهُ. وَ (التَّسْهِيلُ) التيْسِير. وَ (التَّسَاهُلُ) التسامح. وَاسْتَسْهَلَ الشَّيْءَ عَدَّهُ سَهْلًا. [٤] قال لبيد:

فإنْ يُسْهِلُوا فالسَّهْلُ حَظِّي وطُرْفَتِي وإنْ يُحْزِنُوا أَرْكَبْ بِهِمْ كُلَّ مَرْكَبِ[٥]

وعلى هذا المعنى اللغوي الذي يدل على السهولة حكم النحاة على الكثير من الآراء، فصيغة (أفعل) تدل على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها. [٦]

(١) رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

(٢) رسالة دكتوراه في جامعة طنطا ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

(٣) انظر: مقاييس اللغة (س هـ ل) ٣/١١٠، ١١٠، وراجع: مختار الصحاح صـ ١٥٦، الكليات للكفوي صـ ٥١٠

(٤) انظر: مختار الصحاح (س هـ ل) صـ ١٥٦، وراجع: المصباح المنير للفيومي (س هـ ل) صـ ٢٩٣، معجم اللغة العربة المعاصرة ٢/١١٢٥

(٥) البيت من الطويل في ديوانه صـ ٥٤، وراجع: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصغاني ٥/٣٩٩

(٦) انظر: معجم القواعد العربية في النحو والتصريف لعبد الغني الدقر صـ ٣١

ومن خلال ما درست من مسائل استطعت أن أقف على بعض المحددات لاستخدام هذا المصطلح عند النحويين ومنها:

١- أنه يكون فيما كان علامة للكلمة فهو أسهل في التغيير مما هو أصل من الكلمة كما في مسألة: حذف النون والتنوين أسهل من حذف نون يكن.(١)

٢- أنه يكون فيما كثر فيه التغيير عما لا تغيير فيه كما في مسألة: التجوز في الفعل أسهل منه الحرف. (٢)

٣- أنه يكون في اللغة المشهورة فالحكم فيها بالسهولة عن غير المشهورة كما في مسألة: حذف تاء التأنيث من الفعل المفصول من فاعله المؤنث الحقيقي أو المجازي بفاصل أسهل منه بلا فصل. (٣)

٤- أنه يكون إذا كان الكلام صحيحاً من جهة الصناعة، ولا تكلف فيه، فهو أسهل مما خالف الصناعة النحوية وفيه تكلف، كما في مسألة: القول بمصدرية (لو) أسهل من القول بامتناعها في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤)

٥- أنه يكون فيما كان خفيفاً على اللسان فهو أسهل مما ثقل عليه، كما في مسألة: إسكان الياء في المجزوم المعتل بالياء أسهل من المعتل بالواو. (٥)

---

(١) راجع البحث صـ ٢٠
(٢) راجع البحث صـ ٢٦
(٣) راجع البحث صـ ٢١
(٤) سورة البقرة من الآية: ٩٦، وراجع: البحث صـ ٤٤
(٥) راجع البحث صـ ٤٢

وأما عن الأسس التي اعتمدها النحاة للحكم على أن أحد الأمرين أسهل من الآخر، فتعد العلة الأساس الأول والأخير للحكم بذلك كما يلي:

– علة الأصل والزيادة:

ذهب العلماء إلى أن حذف نون المثنى، ونون جمع المذكر السالم والتنوين أسهل من حذف نون (يكن) معللين ذلك بأن نون (يكن) أصل فهي لام الكلمة، بخلاف النون والتنوين فهما زائدتان فالحذف فيهما أسهل منه في لام الفعل. (١)

– علة الثقل:

ذهب النحاة إلى أن إسكان الياء في المجزوم المعتل بالياء أسهل من المعتل بالواو فالشاعر أسكن الواو في (لم تهجو)، كما أسكن الياء في (ألم يأتيْك) للجزم. وهذا في الياء أسهل منه في الواو؛ لأن الواو وفيها الضمة أثقل من الياء وفيها الضمة" (٢)

– علة عدم اللبس:

يمتنع بناء التعجب والتفضيل مما الوصف منه على (أَفْعَل فَعْلَاء)؛ وذلك لأنه لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل لم يبن منه أفعل تفضيل لئلا يلتبس أحدهما بالآخر، فلما امتنع صوغ أفعل التفضيل امتنع صوغ فعل التعجب لتساويهما وزنا، ومعنى، وجريانهما مجرى واحدا في أمور كثيرة.

وهذا الاعتبار هيّن بيّن، ورجحانه متعيّن. (٣)

– علة الفصل:

ذهب العلماء إلى أن حذف تاء التأنيث من الفعل جائزة، وذلك إذا أسند الفعل إلى فاعل ظاهر مجازي التأنيث، إلا أن الحذف مع الفصل أسهل منه بلا فصل. (٤)

---

(١) راجع البحث صـ ٢٠

(٢) راجع البحث صـ ٤٢

(٣) راجع البحث صـ ٢٧

(٤) راجع البحث صـ ٢٢

– علة القبح:

ذهب سيبويه والبصريون إلى أنه لا يجوز ترك الفصل عند العطف على الضمير المرفوع؛ لأنه يؤدي إلى قبح بخلاف الكوفيين فلا يرون ذلك.[١]

وترجع الأحكام التي أصدرها النحاة على الآراء المذكورة بـ (الأسهل منه) إلى حكم استعمالي كما في:

١– حذف النون والتنوين أسهل من حذف نون يكن. [٢]

٢– العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد عند الكوفيين أسهل منه عند البصريين. [٣]

٣– إسكان الياء في المجزوم المعتل بالياء أسهل من المعتل بالواو. [٤]

٤– القول بمصدرية (لو) أسهل من القول بامتناعها في قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [٥]

أو معياري حكمي كما في:

١– دخول الباء على (أن) أسهل من دخولها على (إلحاد). [٦]

٢– حذف تاء التأنيث من الفعل المفصول من فاعله المؤنث الحقيقي أو المجازي بفاصل أسهل منه بلا فصل. [٧]

٣– التجوز في الفعل أسهل منه الحرف. [٨]

٤– إعراب مخصوص (حبذا) على أنه خبر لمبتدأ محذوف أسهل منه في باب (نعم، وبئس). [٩]

---

(١) راجع البحث صـ ٣٥

(٢) راجع البحث صـ ٢٠

(٣) راجع البحث صـ ٣٥

(٤) راجع البحث صـ ٤٢

(٥) سورة البقرة من الآية: ٩٦، وراجع: البحث صـ ٤٤

(٦) راجع البحث صـ ٢٤

(٧) راجع البحث صـ ٢٢

(٨) راجع البحث صـ ٢٦

(٩) راجع البحث صـ ٢٩

٥- وصف النكرة أسهل من وصف المعرفة. [١]

٦- حذف الموصوف في المبتدأ أسهل من حذفه في الفاعل. [٢]

٧- الفك في الفعل أسهل منه في الاسم. [٣]

(١) راجع البحث صـ ٣٠

(٢) راجع البحث صـ ٣٣

(٣) راجع البحث صـ ٣٧

المبحث الثاني: استعمال مصطلح (الأسهل منه) عند النحويين.

حذف النون والتنوين أسهل من حذف نون (يكن)

يختص مضارع (كان) بجواز حذف نونها تخفيفاً إذا كانت مجزومة بالسكون، ولم يتصل بها ضمير نصب ولا ساكن، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[1]، وأصله: (لم أكون) حيث حذفت الواو للجزم، ثم حذفت النون لسكونها ووقوعها آخراً.[2]

وقد علل النحاة حذف النون بعلل كثيرة فقال المبرد:" ... فَأَما من قال: لم أك فإِنَّه لما رأى النُّون ساكنة، وكانت مضارعة للياء والواو بأَنَّهَا تُدْغم فيهمَا، وتُزاد حيث تُزادان، فَتكون للصرف، كَمَا تَكُونَانِ للإعراب، وتبدل الْألف منهما، كَمَا تبدل مِنهَا في قَوْلك: اضربا إِذا أردْت النُّون الْخَفِيفَة، وفى قَوْلك: رَأَيْت زيداً، وَتحل محَل الْوَاو في قَوْلك: بهرانيّ، وصنعانيّ، وتحذف النُّون الْخَفِيفَة، كَمَا تحذف الْيَاء وَالْوَاو لالتقاء الساكنين"[3]

وقَالَ أَبُو حَيَّان:" وَحذف هَذِه النُّون شَاذ فِي الْقيَاس؛ لِأَنَّهَا من نفس الْكَلِمَة، لَكِن سوغه كَثْرَة الِاسْتِعْمَال وَشبه النُّون بحروف الْعلَّة، وَإِنَّمَا لم يجز عِنْد ملاقاة الضَّمِير؛ لِأَن الضَّمِير يرد الشَّيْء إِلَى أَصله، كَمَا رد نون (لد) إِذا أضيفت إِلَيْهِ فَقيل: (لَدنه)، وَلَا يجوز: (لده)، وَلَا عِنْد السَّاكِن؛ لِأَنَّهَا

(١) سورة مريم من الآية: ٢٠

(٢) انظر: أوضح المسالك ٢٦٠/١، ٢٦١، تمهيد القواعد ١١٧٦/٣، العدة في شرح العمدة لابن فرحون ٤٠٢/١، الهمع ٣٨٧/١، المعجم الوافي في أدوات النحو ص ٢٤٤

(٣) انظر: المقتضب ١٦٧/٣

تحرّك حِينَئِذٍ فيضعف الشّبَه ". [1]

ومن حذف النون التي هي لام الفعل لالتقاء الساكنين في (يكن) قول الشاعر:

لم يكُ الحقُّ سوى أنْ هاجَه رسمُ دارٍ قد تعفَّى بالسَّرَرْ [2]

حيث حذف نون (يك)، وأصله (لم يكن)، وكان حكمه إذا وقعت النون موقعًا تحرك فيه، فتقوى بالحركة ألا يحذفها؛ لأنها بحركتها قد فارقت شبه حروف اللين إذْ كُنّ لا يكُنّ إلا سواكن. [3]

كما يحذف التنوين – الذي هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظاً لا خطاً – من الاسم ميلاً إلى التخفيف تشبيهاً له بحروف المد واللين في مواضع كثيرة منها:

١– في الوقف تخفيفاً. [4]

٢– عند الإضافة اللفظية والمعنوية؛ لأن المضاف كالجزء من المضاف إليه، والتنوين يفصل بينهما، فلزم حذفه. [5]

---

(١) انظر: الهمع ٣٨٧/١، ٣٨٨، وراجع: شرح شذور الذهب لابن هشام صـ ٢٤٤، معاني النحو ٢٣٠/١، النحو المصفى صـ ٢٥٩، التطبيق النحوي صـ ١١٧

(٢) البيت من بحر الرمل نسبه ابن منظور إلى الْحَسَنِ بْنِ عُرْفُطة وهو شاعر جَاهِلِيٌّ. انظر: اللسان ٣٦٤/١٣، وهو من شواهد: سر صناعة الإعراب ١٩٣/٢، المحكم والمحيط الأعظم ١٤٥/٧، تمهيد القواعد ١١٧٦/٣

(٣) انظر: سر صناعة الإعراب ١٩٣/٢، المحكم والمحيط الأعظم ١٤٥/٧، لسان العرب ٣٦٤/١٣

(٤) انظر: الكتاب ٢٨١/٢، وراجع: شرح الشافية لركن الدين الاستراباذي ١٣١/١، المغني ٥٠٤/٦، التصريح ٦١٦/٢، الهمع ٤٢٧/٣

(٥) انظر: أمالي ابن الشجري ١٥٩/٢، اللباب ٣٨٧/١، اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ ١٦٣/١، المغني ٥٠٣/٦

٣- عند اقتران الاسم بـ (أل)؛ لأنه زيادة على أول الاسم، والتنوين زيادة على آخره، فلم يحتمل الجمع بين زيادتين. (١)

٤-عند شبه الإضافة، نحو: (لا مالَ لزيدٍ) إذا لم تقدر اللام مقحمة، فإن قدرت فإن التنوين يكون محذوفاً للإضافة. (٢)

٥- العلم الموصوف بابن المضاف إلى علم، نحو: (جاء زيدُ بنُ عمرو) فيسقط التنوين لأنه ساكن، وألف (ابن) للوصل تسقط في وسط الكلام، فيلتقي ساكنان، فحذف لذلك، فإذا أضيف (ابن) إلى ما فيه (أل) نون. (٣)

٦- التقاء الساكنين. (٤)

٧- إذا اتصل بالضمير، نحو: (ضاربك) عند من قال إنه غير مضاف.(٥)

٨- المنادى المبني إذا كان مفرداً علماً، نحو: (يا محمدُ)، أو كان نكرة مقصودة، نحو: (يا رجلُ). (٦)

٩- الاسم الممنوع من الصرف علماً كان أو صفة؛ وذلك لشبهه بالفعل.(٧)

(١) انظر: اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ ١٦٣/١، المغني ٥٠٣/٦

(٢) انظر: المغني ٥٠٣/٦، ٥٠٤

(٣) انظر: اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ ١٦٤/١، المغني ٥٠٤/٦، ٥٠٥

(٤) انظر: الأصول ٤٥٥/٣، أمالي ابن الشجري ١٦٥/٢، شرح الشافية ٢٣٤/٢، المغني ٥٠٥/٦، الهمع ٤١٠/٣

(٥) انظر: المغني ٥٠٤/٦

(٦) انظر: أمالي ابن الشجري ١٥٩/٢

(٧) انظر: أمالي ابن الشجري ١٥٩/٢، ٤٥٦/٢، اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ ١٦٣/١، المغني ٥٠٤/٦

١٠- في الضرورة. [١]

وتلحق الاسم المفرد عند تثنيته وجمعه جمع مذكر النون وأحد حروف المد واللين. قال سيبويه: " واعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان: الأولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ... وتكون الزيادة الثانية نوناً كأنها عوض لما مُنع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر.... وإذا جمعتَ على حدَّ التثنية لحقتْها زائدتان: الأولى منهما حرف المد واللين، والثانية نون ". [٢]

وتحذف نون المثنى، ونون الجمع في الأحوال التالية: [٣]

١- عند الإضافة.

٢- تقصير الصلة.

٣- عند الضرورة.

وقد ذهب العلماء كابن جني [٤]، وابن سيدة [٥]، وابن منظور [٦]، والبغدادي [٧] إلى أن حذف نون المثنى، ونون جمع المذكر السالم والتنوين أسهل من حذف نون (يكن)، وعللوا ذلك بأن النون في (يكن) أصل، وهي

(١) انظر: أمالي ابن الشجري ٤٥٦/٢، الإنصاف ٤١٨/٢، الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب لابن عَدْلان صـ ٧٦

(٢) انظر: الكتاب ١٧/١، ١٨، وراجع: تمهيد القواعد ٣٥٠/١

(٣) انظر: رصف المباني صـ ٣٤٠: ٣٤٢، جواهر الأدب صـ ١٨٤، وراجع: المساعد ٣٣٨/٣، النحو الوافي ٨/٣

(٤) انظر: سر صناعة الإعراب ١٩٣/٢

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٤٥/٧

(٦) انظر: لسان العرب ٣٦٤/١٣

(٧) انظر: خزانة الأدب ٣٠٥/٩

لام الفعل، والتنوين والنون زائدتان فالحذف فيهما أسهل منه في لام الفعل.

حذف تاء التأنث من الفعل المفصول من فاعله المؤنث الحقيقي أو المجازي بفاصل أسهل منه بلا فصل

من أحكام الفاعل أن فعله يؤنث تبعاً له، ومن مواضع وجوب تأنيث الفعل إذا كان الفاعلُ مؤنثاً حقيقياً ظاهراً متصلاً بفعله، مفرداً أو مثنى أو جَمع مؤنثٍ سالماً نحو: (جاءت فاطمةُ، أو الفاطمتان، أو الفاطماتُ). وهذه هي اللغة الفصحى [(١)]، ويجوز بقلة تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث الحقيقي بدون فاصل لقول لبيد بن ربيعة:

تَمَنّى ابنَتَايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما وَهلْ أنا إلاَّ منْ رَبيعَةَ أوْ مُضَرْ [(٢)]

واستدل أيضاً من قال بذلك بأن سيبويه حكى عن بعض العرب: (قال فلانة، وذهب فلانة) [(٣)] حيث حذفت علامة التأنيث بلا فصل وهو مؤنث حقيقي. وقد حكم عليه ابن هشام بأنه رديء لا ينقاس. [(٤)]

إلا أن تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث الحقيقي المفصول منه بفاصل غير (إلا) أولى وأسهل من عدم الفصل، نحو: (حضر القاضي اليوم امرأة، وسَافَرَ

(١) انظر: اللمحة في شرح الملحة ٣١٤/١، أوضح المسالك ٩٧/٢، المقاصد الشافية ٥٦٩/٢، شرح شذور الذهب للجوجري ٣٤٦/١، جامع الدروس العربية ٢٤١/٢

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوانه صـ ٧٩، وهو من شواهد: شرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٢، المساعد ١/ ٣٨٩، تمهيد القواعد ١٥٨٨/٤، الهمع ٣٣٣/٣، شرح أبيات المغني للبغدادي ١٩٧/٧

(٣) انظر: الكتاب ٣٨/٢، ٤٥، وراجع: شرح التسهيل لابن مالك ١١١/٢، أوضح المسالك ٩٧/٢، المساعد ٣٨٩/١، المقاصد الشافية ٥٦٩/٢، المدارس النحوية صـ ٢٥١

(٤) انظر: أوضح المسالك ٩٧/٢، وراجع: التذييل والتكميل ١٩٧/٦

الْيَوْمَ فَاطِمةُ) إلا أن التأنيث أكثر. [1]

فإن كان الفاعل مفصولا من فعله بـ (إلاّ) فإن التأنيث يكون مرجوحاً، نحو: (ما قام إلا هند)؛ لأنه مع الفصل بـ (إلا) يكون الفعل مسندا في المعنى إلى مذكر، فحمل على المعنى غالبا، وترك التأنيث، وقد يؤنث قليلاً نظراً إلى اللفظ، نحو: (ما قامت إلا هند)، وقيل: إن التأنيث خاص بالشعر.[2]

فإن كان الفاعل مؤنثاً مجازياً جاز ترك التاء، نحو: (طلعت الشمسُ، وطلع الشمس) [3]، فإن كان الفاعل ضميراً منفصلاً، نحو: (هند ما قام إلا هي، أو ما يقوم إلا هي، والشمس ما طلع إلا هي، أو ما يطلع إلا هي)، فالتذكير واجب في النثر؛ لأن الفعل لا يكون له فاعلان. [4]

قال الجزولي: " فإذا أسند الفعل إلى المفرد أو المثنى من ظاهر المؤنث الحقيقي ولم يفصل بينهما فالعلامة لازمة في اللغة المشهورة وحذفها مع الفصل أسهل منه بلا فصل ولا تلزم مع الجمع مطلقا، ويجوز حذفها إذا أسند الفعل إلى ظاهر المؤنث غير الحقيقي مطلقا، إلا أن الحذف مع الفصل أسهل منه بلا فصل ولا يحذف إذا أسند الفعل إلى ضمير المؤنث مطلقا إلا في الضرورة ". [5]

---

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ١١٢/٢، أوضح المسالك ٩٨/٢، ٩٩، شرح شذور الذهب
للجوجري ٣٤٧/١، جامع الدروس العربية ٢٤١/٢

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ١١٤/٢، أوضح المسالك ٩٩/٢، المقاصد الشافية ٥٧٥/٢، شرح شذور الذهب للجوجري ٣٤٨/١، ٣٤٩، ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١٧/٢، النحو الوافي ٧٩/٢

(٣) انظر: أوضح المسالك ١٠٠/٢، شرح شذور الذهب للجوجري ٣٤٦/١

(٤) انظر: التذييل والتكميل ١٩٦/٦، التصريح ٤٠٧/١، جامع الدروس العربية ٢٤٢/٢

(٥) انظر: المقدمة الجزولية صـ ٥٠، وراجع: المقاصد الشافية ٥٧٢/٢

اقتران (أنْ) بالباء أسهل من دخولها على (إلحاد) وأمثاله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

دخلت الباء على (إلحاد)، والمعنى فيه: (ومن يرد فيه إلحاداً بظلم نذقه من عذاب أليم)، فالباء زائدة (صلة)، وقد دخلت الباء على قوله (إلحاد)، كما في قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (٢)، أي: (تنبت الدهنَ)، وكقول الأعشى: **ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا بَيْنَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحِ الْأَجْرَدِ** (٣)

بِمَعْنَى: (ضَمِنَتْ رِزْقَ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا). هذا قَوْلِ بَعْضِ العلماء من البصريين كالأخفش، والزجاج، والطبري وغيرهم. (٤)

قال السمين بعد ذكره هذا التوجيه لبيت الأعشى:" ... ويؤيده قراءة الحسن: (ومن يُرِدْ إلحاده بظلم).. ومعناه: ومن يُرد أن يُلحد فيه ظالماً ". (٥)

وهذا هو المسمى عند النحويين بالمنصوب على نزع الخافض، حيث يحذف حرف الجر، ويتحول المجرور إلى منصوب.

هذا وقد خرَّج أبو حيان، والسمين وغيرهما الآية على التضمين قال أبو حيان: والأولى أن تضمن (يرد) معنى (يلتبس) فيتعدى بالباء، أي: ومن

---

(١) سورة الحج من الآية: ٢٥

(٢) سورة المؤمنون من الآية: ٢٠

(٣) البيت من الكامل في ديوانه صـ ٢٣١ برواية:

ضَمِنَتْ لنا أعجازُهُن قدورنا وضُرُوعُهنَّ لنا الصريح الأجردا

وهو من شواهد: جامع البيان للطبري ٥٠٥/١٦، الارتشاف ١٧٠٤/٤، تمهيد القواعد ٢٩٥٣/٦، شرح الأشموني ٤٤٧/١، حاشية الصبان ١٣٩/٢

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ٤٥١/٢، جامع البيان للطبري ٥٠٥/١٦، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢١/٣، شرح المفصل لابن يعيش ٥١٤/٤، ٥١٥

(٥) انظر: الدر المصون ٢٦٠/٨

يلتبس بإلحاد مريداً له. [1]

وقد ذهب الفراء إلى أن دخول الباء في قوله (بإلحاد)؛ لأن تأويله :(ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم)؛ ولأن دخول الباء على (أن) ***أسهل منه*** في (إلحاد)، ولأن (أن، وأنَّ) تضمر الخوافض معهما كثيراً، فاحتملا دخول الخافض عليهما وخروجه؛ لأن الإعراب لا يتبين فيهما بخلاف المصادر، فقد قل فيها ذلك؛ لتبين الإعراب فيها. [2] وقد استدل على دخولها على (أنَّ) بقول امريء القيس:

ألا هَلْ أتاها والحَوَادِثُ جَمَّةٌ بأنَّ أمرأ القَيْسِ بنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا [3]

فأدخل الباء على (أنّ) وهي في موضع رفع، كما أدخلها على (إلحاد)، وهو في موضع نصب.

كما دخلت الباء على (ما) إذا أرادوا بها المصدر وهي فاعل (يأتيك) في قول الشاعر:

ألَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ [4]

لكن دخولها على (ما) أقل من (أن)، وقد علل ذلك بأن (أن) أقلّ

(١) انظر: البحر المحيط ٣٣٧/٦ بتصرف، الدر المصون ٢٦٠/٨، تمهيد القواعد ٢٩٥٣/٦، ٢٩٥٤

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢، ٢٢٣، وراجع: جامع البيان للطبري ٥٠٥/١٦، ٥٠٦، التفسير البسيط للواحدي ٣٤٩/١٥

(٣) البيت من الطويل في ديوانه صـ ٤٢٢ شرح السكري، وهو من شواهد: معاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢، جامع البيان للطبري ٥٠٦/١٦، اللسان (بقر)، الخزانة ٥٢٤/٩

(٤) البيت من الوافر، وقد نسب إلى قيس بن زهير، وهو من شواهد: أمالي ابن الشجري ٨٤/١، شرح الكافية الشافية ٥٧٨/٢، الارتشاف ١٧٠٢/٤، الخزانة ٣٩٥/٨، ٥٢٤/٩

شبهاً بالأسماء من (ما). [1]

التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف

ذهب البصريون ومن تابعهم [2] إلى أنّ حروف الجر لا ينوب بعضها مناب بعض، كما أن أحرف النصب والجزم كذلك، فكل حرف يؤدي معنى واحداً على سبيل الحقيقة فـ (في) تؤدي معنى الظرفية، و(على) تؤدي معنى الاستعلاء، و(مِنْ) تؤدي معنى الابتداء وهكذا بقية الحروف، بمعنى أن حروف الجر لا تنوب مناب بعضها، فإن جاء الحرف بمعنى غير معناه الأصلي الذي يؤديه، فإن ذلك يكون على سبيل المجاز، أو على سبيل التضمين، أي تضمين الفعل أو العامل الذي يتعلق به حرف الجر الأصلى ومجروره. [3]

فالبصريون يرون أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما لا تنوب أحرف الجزم، وأحرف النصب، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلًا يقبله اللفظ، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى. [4]

وذهب الكوفيون ومن وافقهم من المتأخرين [5] إلى أن قصر حرف الجر

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢٢٢/٢، ٢٢٣، وراجع: جامع البيان للطبري ٥٠٥/١٦، ٥٠٦، التفسير البسيط للواحدي ٣٤٩/١٥، ٣٥٠

(٢) انظر: الأصول في النحو ٤١٤/١، مغني اللبيب ١٧٩/٢، ١٨٠، ٥٦١/٦، ٥٦٢، الهمع ٣٧٨/٢، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/ ٣١٢، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٣٧٠/٢، النحو الوافي ٥٣٧/٢، معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ٧/٣

(٣) انظر: النحو الوافي ٥٣٧/٢: ٥٤٠، معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ٧/٣

(٤) انظر: التصريح بمضمون التوضيح ٦٣٧/١، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/ ٣١٢

(٥) انظر: الأصول في النحو ٤١٤/١، مغني اللبيب ١٨٠/٢، ٥٦١/٦، ٥٦٢، التصريح بمضمون التوضيح ٦٣٧/١، الهمع ٣٧٨/٢، ٣٧٩، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/ ٣١٢، معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ٣/ ٦، ٧

على معنى واحد حقيقي تضييق لا مسوغ له، فالحرف كلمة كسائر الكلمات الاسمية والفعلية، وهذه الكلمات الاسمية والفعلية تؤدي الواحدة منها عدة معان حقيقة لا مجازية، ولا يتوقف العقل في فهم دلالتها الحقيقية فهمًا سريعًا، فما الداعي لإخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى، ولإبعاده عما يجري على نظائره من باقي الأقسام؟ (١)

وقد حكم كثير من العلماء على مذهب الكوفيين بأنه أقل تعسفاً. (٢)

ويرى البصريون ومن تابعهم في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه، وأن العامل ضُمِّن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف. (٣)

وقد علل الدسوقي كون التجوز في الفعل أسهل من الحرف فقال: " ومذهب البصريين أن كل حرف له معنى حقيقي واحد فقط، وإنَّمَا كان التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف؛ لأنه لا مجاز في الحرف استناداً إلى مفهومه، غير مستقل بنفسه، فإن ضُم إلى ما ينبغي ضمه كان حقيقة وإلا فهو مجاز في التركيب لا في المفرد ". (٤)

---

(١) انظر: النحو الوافي ٢/٥٤٠، معاني النحو د/ فاضل صالح السامرائي ٣/ ٦، ٧

(٢) انظر: مغني اللبيب ٢/١٨٠، ١٨١، التصريح بمضمون التوضيح ١/٦٣٧، الهمع ٢/٣٧٨، ٣٧٩، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢/ ٣١٢

(٣) انظر: مغني اللبيب ٦/٥٦١، ٥٦٢، غاية الوصول في شرح لب الأصول للشيخ زكريا الأنصاري صـ ٦٠، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب ٢/٣٧٠، التضمين النحوي في القرآن الكريم لمحمد نديم فاضل ١/ ١٢٥، دراسات في النحو لصلاح الدين الزعبلاوي صـ ٩٨

(٤) انظر: حاشية الدسوقي على المغني ٢/٣٧٠، وراجع: التضمين النحوي في القرآن الكريم لمحمد نديم فاضل ١/١٢٥

علة منع بناء التعجب والتفضيل مما الوصف منه على (أَفْعَل فَعْلَاء)

اشترط النحاة فيما يصاغ منه التعجب والتفضيل عدة شروط وهي: أن يكون فعلهما ثلاثياً، تاماً، مبنياً للمعلوم، متصرفاً، مثبتاً، قابلاً للتفاوت والتفاضل، مبنياً للمعلوم، ليس الوصف منه على أَفْعَل فَعْلَاء. (١)

وقد علل النحاة منع بناء التفضيل والتعجب مما الوصف منه على (أَفْعَل فَعْلَاء)؛ لأن حق ما يصاغان منه أن يكون ثلاثياً محضاً. وأصل الفعل في هذا النوع أن يكون على افْعَلَّ. (٢)، ولما كان (أَفْعَل) لا يبنى منه فعل تعجب فجرى مجراه ما هو بمعناه وواقع موقعه. وهذا التعليل هو المشهور عند النحويين. (٣)

لكن ابن مالك ومن تبعه ذكروا تعليلاً آخر لذلك، وعبروا عنه بأنه أسهل من التعليل السابق حيث قال: " **وعندي تعليل آخر أسهل منه، وهو أن يقال: لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل لم يبن منه أفعل تفضيل لئلا يلتبس أحدهما بالآخر، فلما امتنع صوغ أفعل التفضيل امتنع صوغ فعل التعجب لتساويهما وزنا، ومعنى، وجريانهما مجرى واحداً في أمور كثيرة. وهذا الاعتبار هيّن بيّن، ورجحانه متعيّن** ". (٤)

إعراب مخصوص (حَبَّذا) على أنه خبر لمبتدأ محذوف أسهل منه في

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية ١٠٨٤/٢، اللمحة في شرح الملحة ٥١٦/١، أوضح المسالك ٢٣٥/٣ وما بعدها، شرح الأشموني ٢٦٨/٢ وما بعدها

(٢) انظر: التذييل والتكميل ٢٣٢/١٠، توضيح المقاصد ٨٩٦/٢، التصريح ٧١/٢

(٣) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٤٥/٣

(٤) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٤٥/٣، وراجع: التذييل والتكميل ٢٣٢/١٠، توضيح المقاصد ٨٩٦/٢، التصريح ٧٢/٢

باب (نِعْمَ، وبِئْسَ)

يتكون أسلوب المدح والذم في (نِعْمَ أو بِئْسَ الرجلُ محمدٌ) من ثلاث مكونات وهي: الأول: الفعل (نِعْمَ أو بِئْسَ)، والثاني: (الرجلُ) ويعرب فاعلاً، والثالث: (محمد) ويسمى بالمخصوص بالمدح أو الذم. وفيه أعاريب منها: [1] أنه خبر لمبتدأ محذوف وجوباً، تقديره يكون على حسب الكلام، ففي نحو: (نِعْمَ الرجلُ مُحمدٌ)، أي هو محمد، أي الممدوح محمد.

ويشارك مخصوص (حَبَّذا) في قولنا: (حَبَّذا محمدٌ) أعاريب مخصوص (نِعْمَ، وبِئْسَ) ومنها هذا الوجه الذي يعرب خبراً لمبتدأ محذوف، كأنه قيل لمن قال: حَبَّذا مَن المحبوب؟ فقال: محمد، يريد: هو محمد. [2]

وقد ذهب العلماء إلى أن إعراب مخصوص (حَبَّذا) هذا الإعراب والحكم عليه بالخبرية أسهل منه في باب (نِعْمَ، وبِئْسَ) وقد عللوا ذلك

---

(١) فيه ثلاثة أعاريب أخرى وهي:

١- أنه مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية التي قبله في محل رفع خبره. وهذا مذهب سيبويه، وابن الباذ، وابن خروف.

٢- أنه مبتدأ خبره محذوف وجوباً، ففي نحو: (نعم الرجل محمدٌ)، يكون التقدير: محمد هو، أي محمد الممدوح، وهكذا. وهذا الإعراب مذهب قوم منهم ابن عصفور.

٣- أنه بدل من الفاعل. وهذا مذهب ابن كيسان، وقال بعضهم: عطف بيان.

والمشهور من هذه الأعاريب الأربعة الثلاثة الأول، وأكثرها شهرة الأولان، وأصحها الأول.

راجع: الكتاب ١٧٦/٢، المفصل صـ ٣٦٢، ٣٦٣، شرح الجمل لابن خروف ٥٩٤/٢، ٥٩٥، شرح الجمل لابن عصفور ٧٠/٢، شرح التسهيل لابن مالك ١٦/٣، ١٧، اللمحة في شرح الملحة ٤٠٦/١، ٤٠٧، الكناش ٥٦/٢، التذييل والتكميل ١٣٠/١٠: ١٣٤، الهمع ٢٧/٣، ٢٨

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٢٧/٣

بما يلي: [1]

بأن مخصوص (حَبَّذا) لا تدخل عليه نواسخُ المبتدأ والخبر، فلا يقال: (حَبَّذا رجلاً كان خالدٌ، ولا حَبَّذا رجلاً ظننتُ سعيداً)؛ لأن (حَبَّذا) جار مجرى المثل، والمثل وما جرى مجراه لا يغيران، وهذا المعنى أيضاً منع من تقديم المخصوص فلا يقال: زيدٌ حَبَّذا. [2]

بخلاف مخصوص (نِعْمَ، وبِئْسَ)، فإنَّ ضعفه نشأ من جواز أن تعمل فيه النواسخ نحو: (نِعْمَ رجلاً كان زيدٌ).

وصف النكرة أسهل من وصف المعرفة

قرأ عامة القراء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [3] برفع المتين على أنه خبر ثالث، أو على النعت للرزَّاق أو لذو. [4]

وقرأ يحيى، والأعمش، وابن وثاب: (ذو القوة المتينِ) بالجر. [5] وقد خَرَّجها ابن جني، والزمخشري وغيرهما على أن يكون وصفاً للقوة، وقد ذكَّره على معنى

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٢٧/٣ ، التذييل والتكميل ١٦٤/١٠، توضيح المقاصد ٩٣٠/٢ ، ٩٣١ ، شرح ألفية ابن مالك لابن الوردي ٤٦٣/٢ ، المساعد ١٤٣/٢ ، شرح الأشموني ٢٩٧/٢ ، حاشية الصبان ٣/ ٥٩ ، ٦١ ، النحو الوافي ٣٨١/٣

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك ٢٧/٣

(٣) سورة الذاريات الآية: ٥٨

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٧٥/٢، تفسير الطبري ٤٤٥/٢٢، معاني القرآن للزجاج ٥٩/٥، إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٤، التبيان في إعراب القرآن ١١٨٢/٢، إعراب القرآن الكريم وبيانه ٣٢٤/٩

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٧٥/٢، ٩٠/٣، تفسير الطبري ٤٤٥/٢٢، ٤٤٦، إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٤، البحر المحيط ١٤١/٨، اللباب في علوم الكتاب ٢٢٤/٧

الحبل، ويريد قوى الحبل.[1] كما خَرَّج ابن جني قراءة الجر على أن يكون أراد الرفع وصفاً للرزَّاق، إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها إياه على حد قولهم: (هذا حُجر ضَبٍّ خَرِبٍ) **وعلى أن هذا في النكرة أسهل منه في المعرفة.**

وقد علل ابن جني كون وصف النكرة أسهل من وصف المعرفة بأن النكرة أشد حاجة إلى الصفة، فبقدر قوة حاجتها إليه تتشبث بالأقرب إليها، فيجوز: (هذا جحر ضَبٍّ خَرِبٍ)؛ لقوة حاجة النكرة إلى الصفة، فأما المعرفة فتقل حاجتها إلى الصفة، فبقدر ذلك لا يسوغ التشبث بما يقرب منها؛ لاستغنائها في غالب الأمر عنها، ألا ترى أنه قد كان يجب ألا توصف المعرفة، لكنه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد، فجاز وصفها، وليس كذلك النكرة؛ لأنها في أول وضعها محتاجة لإبهامها إلى وصفها.

فإن قلت: إن القوة مؤنثة، والمتين مذكر، فكيف جاز أن تجريها عليها على الخلاف بينهما، أو لا ترى أن من قال: (هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ) لا يقول: (هذان جحرا ضب خربين)، لمخالفة الاثنين الواحد؟

قيل: القوة هنا إنما المفهوم منها الحبل، فكأنه قال: إن الله هو الرزاق ذو الحبل المتين، وهذا واضح، كما أن المتين (فَعِيل)، وقد كثر مجئ فَعِيل مذكراً وصفاً للمؤنث، كقولهم: (حلة خَصِيف، ومِلْحَفة جديد، وناقة حسير وسديس، وريح خريق. [2]

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٩٠/٣، تفسير الطبري ٤٤٦/٢٢، معاني القرآن للزجاج ٥٩/٥، إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٤، المحتسب ٢٨٩/٢، الكشاف ٦٢١/٥، البحر المحيط ١٤١/٨، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤٨٨/١٠

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢٨٩/٢، وراجع: تفسير الطبري ٤٤٦/٢٢، إعراب القرآن للنحاس ١٦٨/٤، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤٧١/١٠ ، ٤٧٢

حذف الموصوف في المبتدأ أسهل من حذفه في الفاعل

يجوز حذف الموصوف الواقع مبتدأ، كقول الشاعر:

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَم تِيثَمِ يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ وَمِيسَمِ (١)

فقد حذف الموصوف الذي هو المبتدأ، وأقام الجملة مقامه، إذ التقدير: (لو قلت ما في قومها أحدٌ يفضلها) (٢)، وكقول الأعشى:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقَها فلمْ يضرْها وأوهى قرنَهُ الوعِلُ (٣)

كناطح: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، وناطح صفة لموصوف محذوف، فلما حذف الموصوف أقام الصفة مقامه، وتقدير الكلام: أنت كوعل ناطح. (٤)

كما يحذف الموصوف الفاعل، نحو: (جاءني قام أخوه) والتقدير: (جاءني رجلٌ قام أخوه)، وكقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ (٥) فيمن قرأه

(١) البيتان من الرجز ينسبان لأبي الأسود الحماني، وهما من شواهد: الكتاب ٢/ ٣٤٥، الخصائص ٣٧٠/٢، التخمير في شرح المفصل ١٠٨/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٢٥١/٢، شرح الأشموني ٣/ ٧١

(٢) انظر: الكتاب ٣٤٦/٢ ، الخصائص ٣٧٠/٢ ، شرح المفصل لابن يعيش ٢٥٢/٢، ٢٥٤، التخمير في شرح المفصل ١٠٩/٢ ، المقاصد النحوية ١٥٦٣/٤

(٣) البيت من البسيط وهو في ديوانه صـ ٦١ ، وهو من شواهد: إسفار الفصيح للهروي ٢٤٣/١، ٣٣٦، الرد على النحاة صـ ٦٧، شرح الكافية الشافية ١٠٣٠/٢، شرح الألفية لابن عقيل ١٠٩/٢

(٤) انظر: فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال للشيخ / محمد علي طه الدرة ٤٢٤/٢

(٥) سورة الأنعام من الآية: ٩٤

بنصب النون [1] فالفاعل مضمر، أي: لقد تقطع الأمر أو العقد أو الود بينكم.[2]

إلا أن حذف الموصوف في المبتدأ أسهل منه في الفاعل؛ لأن المبتدألا يشترط فيه أن يكون اسماً محضاً، فقد يكون غير محض، وليس كذلك الفاعل.

وقد ذكر هذه العلة ابن جني، وابن يعيش، فقال ابن يعيش: " ..... **ومنه ما حكاه سيبويه [3] عن بعض العرب الموثوقِ بهم: (ما منهما مَاتَ حتّى رأيتُه في حالِ كذا وكذا)، والمراد: ما منهما أحدٌ مات، فحذف (أحدًا)، وهو الموصوفُ. وهذا الحذفُ في المبتدأ أسهلُ منه مع الفاعل، لو قلت: (جاءني قام أخوه) على إرادة: (جاءني رجلٌ قام أخوه) لم يحسُن حُسْنَه في المبتدأ؛ لأنّ المبتدأ قد لا يكون اسمًا مَحْضًا، نحوَ: (تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ مِن أن تَراه) [4]، والمراد: (سَماعُك بالمعيديّ خيرٌ من رُؤْيَته)، وليس كذلك الفاعلُ** ". [5]

العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد عند الكوفيين أسهل منه عند البصريين

ذهب سيبويه، والبصريون إلى أنه لا يجوز أن يعطف على الضمير المرفوع

(١) قرأ المدنيان ، والكسائي ، وحفص بالنصب والباقون بالرفع. انظر: السبعة صـ ٢٦٣، الكنز في القراءات العشر ٤٧١/٢، النشر ٢/ ٢٦٠، معجم القراءات القرآنية للدكتور / أحمد مختار عمر ٢٩٦/٢، وراجع: أمالي ابن الشجري ٦٩/١، ٥٩١/٢

(٢) انظر: الخصائص ٣٧٠/٢

(٣) انظر: الكتاب ٢/ ٣٤٥ ، وراجع: التخمير في شرح المفصل ١٠٩/٢

(٤) يروى المثل أيضاً (لأن تسمع بالمعيدي خير) ، و(أن تسمع).
راجع المثل في: مجمع الأمثال للميداني ١٢٩/١: ١٣١، المستقصى ٣٧٠/١، ٣٧١، وراجع: شرح التسهيل لابن مالك ٢٨٤/١، أوضح المسالك ١٨٧/١، الهمع ٣٠/١ فـ (تسمع) مبتدأ؛ لأنه في تأويل (سماعك) لوقوع أنْ مقدرة قبله.

(٥) انظر: شرح المفصل لابن يعش ٢٥٥/٢ ، وراجع: الخصائص ٣٧٠/٢

المتصل سواء أكان بارزاً أم مستتراً إلا إذا أكد بضمير رفع منفصل، أو إذا دخل بينهما فاصل يكون كالعوض من التوكيد، ولا يجوز العطف في غير ذلك إلا على قبح أو في ضرورة الشعر [(١)]، نحو: (قمتُ أنا وزيدٌ، وخرجنا نحن وأصحابك، وإنّ الزّيدين خرجا هما وأخوك، وكقوله تعالى: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [(٢)]، وكقوله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [(٣)]، وكقوله تعالى : ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ﴾ [(٤)].

وعليه فلا يجوز عندهم: (قمتُ وزيدٌ، وأفعلُ وعبدُ الله، وإن الزيدين قاما وأخوك). وقد عللوا ذلك بأن ضمير الفاعل إما أن يكون مقدراً في الفعل أو ملفوظاً به، فإن كان مقدراً فيه نحو: (قام وزيدٌ)، فكأنه قد عطف اسماً على فعل، وعطف الاسم على الفعل لا يجوز [(٥)].

وأجاز الكوفيون العطف على الضمير المتصل المرفوع في اختيار الكلام من غير توكيد، ولا ما يقوم مقامه، نحو: قُمْتُ وَزَيْدٌ [(٦)] مستدلين على ذلك بجواز هذا العطف على الضمير المنصوب من غير فصل ولا توكيد، كقولك: (ضربتك وزيداً)، فكذلك يجوز هذا العطف على الضمير المتصل

(١) انظر: الكتاب ٢ / ٣٧٨، الخصائص ٢٢/٣، الإنصاف ٢ / ٤٧٥، اللباب ١ / ٤٣١، توجيه اللمع لابن الخباز صـ٢٩٣، الارتشاف ٤ / ٢٠١٣، أوضح المسالك ٣ / ٣٩٠، تمهيد القواعد ٣٥٠٢/٧، المقاصد الشافية ١٥٣/٥، الهمع ٣ / ١٨٨، الخزانة ٥ / ١١٩، ١٢٠، المدارس النحوية صـ ٥٠

(٢) سورة البقرة: ٣٥

(٣) سورة المائدة: ٢٤

(٤) سورة الأنبياء: ٥٤

(٥) انظر: شرح اللمع للواسطى صـ١٢٨، وراجع: التصريح ١٨٢/٢

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ٩٥، شرح الكتاب للسيرافي ١٤٤/٣، الإنصاف ٢ / ٤٧٤، اللباب ١ / ٤٣١، الارتشاف ٤ / ٢٠١٣، المقاصد الشافية ١٥٣/٥، ائتلاف النصرة صـ٦٣، الهمع ٣ / ١٨٩، النحو الوافي ٦٦٧/١

المرفوع من غير فصل بينهما. [1]

والقولان جائزان إلا أن مذهب الكوفيين هو الأسهل منه، وذلك لكثرة وروده كقوله تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [2] حيث عطف (هو) على الضمير المرفوع المستكن في(اسْتَوَى)، وكقول الشاعر:

قُلْتُ إذْ أقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى كَنِعَاجِ الفَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ [3]

حيث عطف (زهر) على الضمير المستتر المرفوع فى الفعل قبله وليس بينهما توكيد ولا فصل.

قال السيرافي: " والكوفيّون يجيزون العطف بغير توكيد، والأمر في ترك التوكيد عندهم أسهل منه عند البصريين، وسيبويه يرى ترك التوكيد وما يقوم مقامه قبيحاً إلا في الشّعر، والكوفيّون لا يرونه قبيحاً " [4]

الفك في الفعل أسهل منه في الاسم

(أَلْبَبَ) بفتح الباء الأولى ممنوع من الصرف؛ لأنه اسم تفضيل بمعنى أعقل فيستحق منع صرفه مطلقًا للوصفية ووزن الفعل [5]، وإذا سميت رجلًا بـ (أَلْبُب) بضم الباء الأولى جمع (لُبّ) لم تصرفه أيضاً؛ لأنه لم يخرج بفك الإدغام إلى وزن ليس للفعل. وذهب الأخفش إلى صرفه؛ لأنه باين الفعل

(١) انظر: الإنصاف ٢ / ٤٧٧

(٢) سورة النجم: ٦، ٧

(٣) البيت من الخفيف لعمر بن أبي ربيعة ، وهو في ديوانه صـ ١٧٧ ، وهو من شواهد: الكتاب ٢ / ٣٧٩ ، الخصائص ٢/ ٣٨٦ ، الإنصاف ٢ / ٤٧٥ ، شرح التسهيل لابن مالك ٣ / ٣٧٤ ، شرح الألفية لابن الوردي ٥١٤/٢

(٤) انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ١٤٤/٣

(٥) انظر: التصريح ٣٣٧/٢، حاشية الصبان على الأشموني ٣٨٤/٣

بالفك الذي هو (لُبّ) لا الفعل مطلقًا فإنه بوزن اكتب، واقتل. [1]

قال السيوطي: " وَالأَصَح وَعَلِيهِ سِيبَوَيْهِ مَنعه وَلَا مبالاة بفكه؛ لِأَنَّهُ رُجُوع إِلَى أصل مَتْرُوك فَهُوَ كتصحيح مثل: (استحوذ)، وَذَلِكَ لَا يمْنَع اعْتِبَار الْوَزْن إِجْمَاعًا فَكَذَا الفك؛ وَلِأَن وُقُوع الفك فِي الْأَفْعَال مَعْهُود كـ (أشدد) فِي التَّعَجُّب، (وَلم يردد)، و(أَلل السقاء)، فَلم يباينه ويجريان أَيْضاً فِي بدل همز (أفعل) كـ (هراق) أَصله: (أراق) علماً وَالأَصَح فِيهِ الْمَنْع وَلَا مبالاة بِهَذَا الْبَدَل"[2]

وذهب ابن مالك إلى أنّ هذه المباينة لا تعد مانعاً من اعتبار الوزن؛ لأن الفك رجوع إلى أصل متروك، فهو نظير تصحيح ما الحَقُّ إعلاله كـ (اِسْتَحْوَذَ)، ولا خلاف في أن التصحيح لا يمنع من اعتبار الوزن، فكذلك الفك. [3]

وأيضاً فإن الفك يقع في الأفعال أكثر منه في الأسماء، كقولهم في التعجب: (أَشْدِد بِهِ)، ففكوا لزوماً.

وقالوا في الأمر، والجزم: (ارْدُد، ولم يَرْدُد)، ففكوا جوازاً.

وفكوا – أيضاً – أفعالا شذَّت في القياس، وفصحت في الاستعمال منها:(ضَبِبَ البلدُ يَضْبَبُ)، و(أَلِلَ السّقَاءُ يَأْلَل)، و(لَحِحَتْ العينُ تَلْحَحُ)، **فعلم بذلك أن الفك في الفعل أسهلُ منه في الاسم.** [4]

صرف (عباقريّ) أسهل من: (عَنَاكِبيت، وتَخَارِبيت)

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية ١٤٦٤/٣، المساعد ١٣/٣، التصريح ٣٣٧/٢، حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣٨٤/٣

(٢) انظر: الهمع ١٠٦/١، حاشية الصبان ٣٨٤/٣، وراجع: الكتاب ١٩٥/٣، المساعد ١٣/٣

(٣)انظر: شرح الكافية الشافية ١٤٦٣/٣، ١٤٦٤

(٤) انظر: شرح الكافية الشافية ١٤٦٤/٣

قرأ الجمهور: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[1]، وقرأ عثمان بن عفان، ونصر بن علي، وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار، وابن محيصن، وزهير الفرقبي وغيرهم: (رَفارَفٍ خُضْرٍ وَعَبْاقَرِيَّ حِسَانٍ). وهذه القراءة منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. [2]

فقرؤوا بجمع (رَفارَف) بالجمع وسكونِ الضاد، كما قرؤوا (عباقِرِيَّ) بكسر القاف وفتحِها وتشديدِ الياءِ مفتوحةً على مَنْعِ الصرفِ ولا مانع لها من تنوين ياءي النسب.

وهذه القراءة فيها مشكلة، ولا تخريج لها؛ لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان أو ثلاثة، نحو: (مساجد، ومفاتيح) لا يكون فيه مثل عباقريّ؛ لأن ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب، فإن جمع (عبقري) (عباقرة). [3]

قال النحاس: " وهذا غلط بَيِّنٌ عند جميع النحويين؛ لأنهم قد أجمعوا جميعاً أنه يقال: رجل مدائنيٌّ بالصرف، وإنما توهّم أنه جمع، وليس في كلام العرب جمع بعد ألفه أربعة أحرف. ولا اختلاف بينهم أنك لو جمعت (عبقرا) لقلت: عباقر، ويجوز على بُعد (عباقير)، ويجوز: (عباقرة).

فأما عباقريّ في الجمع فمحال؛ وذلك لأنه لا يخلو من أن يكون منسوبا إلى عبقر فيقال: عبقريّ أو يكون منسوباً إلى عباقر فيردّ إلى الواحد فيقال

(١) سورة الرحمن الآية: ٧٦

(٢) انظر : معان القرآن للفراء ١٢٠/٣ ، إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٤ ، المحتسب ٣٠٥/٢ ، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها للهذلي صـ٦٤٤ ، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ٧٦/٦ ، إتحاف فضلاء البشر ٥٢٨/١ ، روح المعاني ١٢٣/١٤

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٤/٥ ، ١٠٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٢١٣/٤ ، الكشاف ٤٥٤/٤ ، البحر المحيط ١٩٨/٨ ، الدر المصون ١٨٧/١٠ ، تمهيد القواعد ٤٨٣١/٩ ، اللباب في علوم الكتاب ٣٦٤/١٨

أيضاً عبقريّ"[1]

وقد قيل في هذه القراءة إن القاريء تَوَهَّمَ كَوْنَها على مَفاعِل فمنعَها من الصرفِ [2]، كما قيل فيها: إنَّه لما جاورَ(رفارِفَ) الممتنعَ امتنع مُشاكلةً، أي لَمَّا مَنَعَ صرْفَ رَفَارِفَ شَاكَلَهُ فِي عَبَاقَرِيَّ، كَمَا قَدْ يُنَوَّنُ مَا لَا يَنْصَرِفُ لِلْمُشَاكَلَةِ، يُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْمُشَاكَلَةِ. [3]

وقيل في صَرَفَ رفارِفَ: إنَّه لما جاوَرَ عباقِرِيَّاً المنصرفَ صَرَفَه للتناسُب كما في قوله تعالى: ﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾. [4]

وترك صرف (عباقري) شاذ قياساً؛ لأن ألفه جاء بعدها أكثر من ثلاثة أحرف ولم تصرف، ومع ذلك فهو فصيح استعمالاً لوروده في القراءة القرآنية، ومن ذلك أيضاً قولهم: (عناكبيت، وتخاريبت) إلا أنّ (عباقرى) أسهل منهما؛ لأن فيه حرفاً مشدداً كأنه حرف واحد وقد جاء في آخر الكلمة.

قال ابن جني: " وأما ترك صرف (عَبَاقِرِيٍّ) فشاذ في القياس، ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الاستعمال، كما جاء عن الجماعة:

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [5] وهو شاذ في القياس مع استمراره في الاستعمال. نعم وإذا كان قد جاء عنهم: عنكبوتٍ وعَنَاكِبيت، وتَخْرَبُوت وتَخَارِبيت كان عَبَاقِرِيّ أسهل منه من حيث كان فيه

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٤ ، وراجع: روح المعاني ١٢٤/١٤

(٢) انظر : الدر المصون ١٨٧/١٠ ، اللباب في علوم الكتاب ٣٦٤/١٨

(٣) انظر : البحر المحيط ١٩٨/٨ ، الدر المصون ١٨٧/١٠ ، اللباب في علوم الكتاب ٣٦٤/١٨ ، الإتحاف ٥٢٨/١ ، روح المعاني ١٢٣/١٤

(٤) سورة الإنسان من الآية: ٤، وانظر: الدر المصون ١٨٨/١٠، اللباب في علوم الكتاب ٣٦٤/١٨

(٥) سورة المجادلة من الآية: ١٩

حرف مشدد يكاد يجري مجرى الحرف الواحد ومع ذلك أنه في آخر الكلمة كياءَي بخاتيّ، وزرابيّ ". [1]

إسكان الياء في المجزوم المعتل بالياء أسهل من المعتل بالواو

تسكن الواو والياء في الفعل المضارع المعتل الآخر، نحو: (يغزو، ويرمي) في حالة الرفع؛ وذلك لاستثقال الضم على الواو والياء بعد الضمة أو الكسرة. [2]

وتحذفان إذا سبقتا بجازم؛ لأنهما قد نزلتا منزلة الضمة من حيث كان سكونهما علامة للرفع، فحذفوهما للجزم، كما تحذف الضمة، وربما أبقوهما في موضع الجزم للضرورة [3]، ومن ذلك قول الشاعر:

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ معتذرا من هجو زبان لَمْ تَهْجُو ولَمْ تَدَعِ [4]

وقول **الآخر**:

أَلَمْ يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لَبُونُ بَنِي زِيَادِ [5]

وقد وَجَّه العلماء ذلك بأنه قدَّر ضمة منوية في حالة الرفع فحذفها، وأسكن الواو كما يفعل في الصحيح.

وهذا التسكين في الياء أسهل منه في الواو؛ لأن الواو المضمومة أثقلُ من الياء المضمومة.

---

(١) انظر: المحتسب ٣٠٦/٢ ، وراجع: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٧٦/١٥، حاشية الشهاب على البيضاوي ١٣٨/٨ ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤٤٨/١٠ ، ١٧٤/١١

(٢) انظر: الضرائر للآلوسي صـ ١٧٤

(٣) انظر: المنصف لابن جني ١١٥/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٤٩٠/٥، الضرائر للآلوسي صـ ١٧٤

(٤) البيت من البسيط لزبان بن العلاء، وهو من شواهد: المنصف لابن جني ١١٥/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٤٨٨/٥، شرح الشافية للرضي ٤٠٦/٤، الهمع ١٧٥/١

(٥) البيت من الوافر لقيس بن زهير العبسي ، وهو من شواهد: الكتاب ١٥/١، ٥٩/٢، المسائل العسكرية صـ ٢٦٢ ، الخصائص ٣٣٣/١ ، المنصف لابن جني ١١٥/٢ ، شرح الشافية للرضي ٤٠٨/٤ ، الهمع ١٧٥/١

والجمهور على أنه مختص بالضرورة، وقال بعضهم: إنه يجوز في سعة الكلام حيث أجرى المعتل مجرى الصحيح، وأنه لغة لبعض العرب.

واختلف العلماء في المحذوف بالجازم؟ فقيل: الضمة الظاهرة، وقيل: حذف الضمة المقدرة. (١)

قال ابن جني: " قدَّر الشاعر أن يكون في الرفع (هو يَهْجُو) فأسكن الواو في (لم تهجو)، كما أسكن الياء في (ألم يأتيْك) للجزم. **وهذا في الياء أسهل منه في الواو؛ لأن الواو وفيها الضمة أثقل من الياء وفيها الضمة**"(٢)

القول بمصدرية (لو) أسهل من القول بامتناعها في قوله تعالى:

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٣)

اختلف في (لو) في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها امتناعية، فهي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره على قول البصريين، وجوابها محذوف لدلالة (يود) عليه، وحذف مفعول (ود) لدلالة (لو يُعَمَّر) عليه، ويكون التقدير: يود أحدهم طولَ العمرِ لو يُعَمَّر ألف سنة لسر بذلك، فحذف من كل واحد ما دل عليه الآخر، ولا محل لها حينئذ من الإعراب.(٤)

(١) انظر : الهمع ١٧٦/١ بتصرف ، وراجع: المنصف لابن جني ٨١/٢ ، ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز القيرواني صـ ١٥٨ ، ١٥٩ ، ضرائر الشعر لابن عصفور صـ ٤٥، ٤٦.

(٢) انظر : المنصف لابن جني ١١٥/٢ ، ١١٦ ، وراجع: شرح المفصل لابن يعيش ٤٩٠/٥، شرح الشافية للرضي ٤٠٨/٤

(٣) سورة البقرة من الآية: ٩٦

(٤) انظر: الدر المصون ١٣/٢، وراجع: كشف المشكلات للباقولي ٧٨/٢، البحر المحيط ٤٨٢/١، تمهيد القواعد ٧٦٧/٢

وقد حكم ناظر الجيش على هذا التخريج بالتكلف. [١]

الثاني: أنها مصدرية غير عاملة وهي نائبة عن (أن) ولا جواب لها، وأن والفعل في موضع المصدر وهو مفعول (يود)، أي يود أحدهم تعميره ألف سنة وعليه فلا حذف في الكلام. وهو قول الكوفيين، والفارسي، والباقولي، والعكبري، وابن هشام، والدرويش وغيرهم. [٢]

قال المرادي: " ولا تقع (لو) المصدرية غالباً إلا بعد مُفهم تمن ك (يود)، وقل وقوعها في غير ذلك ..." [٣]

الثالث: أنها للتمني، فلا تحتاج إلى جواب، فقد استغني عنه بـ (يود)؛ لأنها في قوة: يا ليتني أُعَمِّر، ولو وما بعدها في محل نصب مفعول به على طريق الحكاية بيود إجراء له مجرى القول، وكان القياس: لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله: (يود أحدهم)، كقولك: (حلف بالله ليفعلنَّ). وهذا الرأي ذهب إليه الزمخشري، وابن أبي الربيع، والبيضاوي. [٤]

هذا وقد ذهب النحاة كناظر الجيش وغيره إلى أن القول بمصدرية (لو) أسهل من القول بامتناعها، إذ لا مانع يمنعه من جهة الصناعة النحوية ولا كلفة فيه، بل هو الظاهر. [٥]

كما علل العكبري كون (لو) في الآية مصدرية وليست امتناعية بأمرين:

---

(١) انظر: تمهيد القواعد ٧٦٨/٢

(٢) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات صـ ٥٠، البغداديات صـ ٢٨٩، كشف المشكلات للباقولي ٧٨/٢، التبيان ٩٦/١، البحر المحيط ٤٨٢/١، الجنى الداني صـ ٢٨٧، ٢٨٨، مغني اللبيب ٤٠٣/٣، إعراب القرآن وبيانه للدرويش ١٤٤/١، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢٠٦/١

(٣) انظر: الجنى الداني صـ ٢٨٨، مغني اللبيب ٤٠٣/٣

(٤) انظر: الكشاف ٣٠٠/١، تفسير البيضاوي ٩٥/١، تفسير ابن أبي الربيع ٤٢٠/٢، ٤٢١، البحر المحيط ٤٨٢/١، الدر المصون ١٣/٢، ١٤، الهمع ٤٧٤/٢

(٥) انظر: تمهيد القواعد ٧٦٨/٢

الأول: أن المصدرية يلزمها المستقبل، والامتناعية معناها في الماضي.

الثاني: أن الفعل (يود) يتعدى إلى مفعول واحد، وليس مما يعلق عن العمل، فمن هنا لزم أن تكون (لو) بمعنى (أن).

كما أنها جاءت بعد (يود) في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [1] وهو كثير في القرآن الكريم، والشعر. [2]

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٦٦

(٢) انظر: التبيان ١/٩٥، ٩٦

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على كامل الأخلاق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى من بحثي هذا الموسوم بـ (دلالة مصطلح (الأسهل منه) واستعماله عند النحويين)، وقد أسفر عن عدد من النتائج منها:

١- حذف النون في المثنى، ونون جمع المذكر السالم والتنوين أسهل من حذف نون (يكن) لأصالة النون في (يكن) وزيادتها في المثنى والجمع.

٢- قَدَّر الفراء قوله تعالى: ((وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))[(١)] بـ (ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم)؛ لأن الباء تدخل على (أنْ) أسهل من دخولها على (إلحاد)، ولأن (أنْ، وأنَّ) تضمر الخوافض معهما كثيراً، فاحتملا دخول الخافض عليهما وخروجه؛ لأن الإعراب لا يتبين فيهما بخلاف المصادر، فقد قل فيها ذلك؛ لتبين الإعراب فيها.

٣- ذهب البصريون إلى أن حروف الجر لا ينوب بعضها مناب بعض إلا على سبيل التضمين؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف، بينما ذهب الكوفيون ومن وافقهم من المتأخرين إلى جواز هذه النيابة؛ لأن قصر حرف الجر على معنى واحد حقيقي تضييق لا مسوغ له.

٤- من الأوجه الإعرابية الجائزة في مخصوص (حبذا) الحكم عليه بالخبرية وهو أسهل منه في باب (نعم، وبئس)؛ وذلك لأن مخصوص (حبَّذا) لا تدخل عليه نواسخُ المبتدأ والخبر؛ لأن (حبذا) جار مجرى المثل، والمثل وما جرى مجراه لا يغيران. بخلاف مخصوص (نعم، وبئس)، فإنَّ ضعفه نشأ من جواز

(١) سورة الحج من الآية: ٢٥

أن تعمل فيه النواسخ.

٥- وصف النكرة أسهل من وصف المعرفة؛ لأن النكرة أشد حاجة إلى الصفة، فبقدر قوة حاجتها إليه تتشبث بالأقرب إليها، فيجوز على هذا: (هذا جحر ضَبٍّ خَربٍ)؛ لقوة حاجة النكرة إلى الصفة، بخلاف المعرفة فإن حاجتها إلى الصفة أقل، فبقدر ذلك لا يسوغ التشبث بما يقرب منها؛ لاستغنائها في غالب الأمر عنها.

٦- حذف الموصوف في المبتدأ أسهل من حذفه في الفاعل؛ لأن المبتدأ قد يكون غير محض، وليس كذلك الفاعلُ.

٧- يقع الفك في الفعل أكثر من وقوعه في الاسم؛ لأن الفك في الفعل أسهل منه في الاسم.

٨- القول بمصدرية (لو) في قوله تعالى: ﴿ئن ئى ئي بر بز بم﴾ [1] أولى من القول بامتناعها؛ لأن المصدرية يلزمها المستقبل، والامتناعية معناها في الماضي، وأنها سبقت بالفعل (يود) الذي يتعدى إلى مفعول واحد، وليس مما يعلق عن العمل.

٩- أن النحاة اعتمدوا على العلة للحكم على أنَّ أحد الأمرين أسهل من الآخر.

١٠- الأحكام التي أصدرها النحاة على أنّ أحد الأمرين أسهل من الآخر ترجع إلى حكم استعمالي، أو إلى معياري حكمي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة البقرة من الآية: ٩٦

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي الربيع **تفسير القرآن الكريم** تحقيق ودراسة / صالحة آل غنيم رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ١٤١١هـ.

ابن أبي ربيعة عمر **ديوان** دار القلم – بيروت – لبنان.

ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** تحقيق / عبد السلام محمد هارون ط/ الخامسة دار المعرف بمصر.

ابن الجزري **النشر في القراءات العشر**، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة الشيخ / على محمد الضباع دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان –بدون تاريخ.

ابن جني أبو الفتح عثمان **الخصائص**، تحقيق / محمد على النجار المكتبة العلمية.

سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق الدكتور/ حسن هنداوي، دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات، تحقيق د/ على النجدى ناصف وغيره مطبوعات المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

المنصف تحقيق / إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين إدارة إحياء التراث ط/ أولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

ابن الخباز أحمد بن الحسين **توجيه اللمع** للعلامة شرح كتاب اللمع لأبى الفتح ابن جني دراسة وتحقيق أ.د / فايز زكى محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

ابن خروف أبو الحسن على محمد بن على الإشبيلي **شرح جمل الزجاجي** تحقيق ودراسة الدكتورة/ سلوى محمد عمر عرب ١٤١٩هـ، مطبوعات جامعة أم القرى.

ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوى **الأصول فى النحو** تحقيق الدكتور / عبد الحسين الفتلى مؤسسة الرسالة الطبعة /الرابعة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

ابن سيده **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق / عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

ابن الشجرى **الأمالي** تحقيق ودراسة د/ محمود محمد الطناحى الناشر مكتبه الخانجى بالقاهرة مطبعة المدنى الطبعة / الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

ابن الصائغ **اللمحة في شرح الملحة**، تحقيق د/ إبراهيم بن سالم الصاعدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني أبو حفص سراج الدين عمر بن علي **اللباب في علوم الكتاب** المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

ابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن **شرح جمل الزجاجي**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه / فواز الشعار إشراف د/ إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ضرائر الشِّعْر حققه / السيد إبراهيم محمد الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة / الأولى، ١٩٨٠ م.

ابن عقيل بهاء الدين **شرح على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل،** تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق وتعليق د/ محمد كامل بركات مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م.

ابن فارس أحمد بن زكريا **معجم مقاييس اللغة** تحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

ابن فرحون المدني **العُدّة في إعراب العُمدَة،** تحقيق: مكتب الهدي لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد) الناشر: دار الإمام البخاري – الدوحة ط/ بدون.

ابن مالك **شرح التسهيل** تحقيق الدكتور /عبد الرحمن السيد، والدكتور / محمد بدوي المختون هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

شرح الكافية الشافية، حققه وقدم له الدكتور / عبد المنعم أحمد هريدى مطبوعات جامعة أم القرى.

ابن مجاهد **السبعة في القراءات** تحقيق الدكتور / شوقى ضيف، الطبعة الثالثة دار المعارف.

ابن مَضَاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد **الرّد عَلى النّحاة،** دراسة وتحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا الناشر: دار الاعتصام الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

ابن منظور **لسان العرب** دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

ابن هشام الأنصاري **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب عُدَّةُ السالك إلى تحقيق أوضح المسالك،** تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب المحقق: عبد الغني الدقر الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح الدكتور / عبد اللطيف محمد الخطيب الطبعة الأولى الكويت ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م.

ابن الوردي **شرح ألفية ابن مالك** تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الله بن علي الشلال الناشر: مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ابن يعيش **شرح المفصل** قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

أبو حيان الأندلسي **ارتشاف الضرب** تحقيق الدكتور/ رجب عثمان محمد، ومراجعة الدكتور/ رمضان عبد التواب الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة مطبعة المدنى ط/ أولى١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

البحر المحيط دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ /عادل أحمد عبد الموجود ومعه آخرون دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ط/ الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل تحقيق / د حسن هنداوي الناشر: دار القلم – دمشق، ودار كنوز إشبيليا الطبعة: الأولى.

الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعده الأوسط معاني **القرآن**، تحقيق الدكتورة / هدى محمود قراعة الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة مطبعة المدنى الطبعة الأولى ١٤١١ هـ –١٩٩٠ م.

الاستراباذي رضي الدين **شرح شافية ابن الحاجب** مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذه/ محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٣٩٥هـ –١٩٧٥م.

الاستراباذي ركن الدين **شرح شافية ابن الحاجب** المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولي ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

الأُشْمُوني **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) **ديوان**، شرح وتعليق الدكتور / محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الآلوسي السيد محمود شكري **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر** المكتبة العربية ببغداد – المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ.

الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

امرؤ القيس ديوان تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر.

الأنبارى كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف** تأليف / محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو قدم له الأستاذ /سعيد الأفغاني مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

الباقولي الأصبهاني **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات**، تحقيق د/ محمد أحمد الدالي مطبعة الصباح بدمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

البغدادي عبد القادر بن عمر **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح /عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة مطبعة المدني ط/الثالثة ١٤١٦هـ -١٩٩٦ م.

شرح أبيات مغني اللبيب تحقيق / عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث ط/ الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.

التهانوي محمد علي **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** حققه الدكتور / لطفي عبد البديع، ترجم النصوص الفارسية الدكتور / عبد النعيم محمد حسنين الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.

الجرجاني السيد الشريف **التعريفات** وضع حواشيه وفهارسه / محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية ط/ ٢ ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.

الجزولي أبو موسى **المقدمة الجزولية في النحو**، تحقيق وشرح د/ شعبان عبد الوهاب محمد مطبعة أم القرى ١٩٨٨م.

الجَوجَري **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** المحقق: نواف بن جزاء الحارثي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

الجوهري إسماعيل بن حماد **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

حسن عباس **النحو الوافي**، الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة لخامسة عشرة.

الحمد علي توفيق وغيره **المعجم الوافي في أدوات النحو العربي**، دار الأمل الأردن ط/ الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

خالد الأزهري **التصريح بمضمون التوضيح** الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

الخوارزمي صدر الأفاضل القاسم بن الحسين **شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير**، تحقيق الدكتور / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

الدرويش محيي الدين **إعراب القرآن الكريم وبيانه** دار اليمامة – دمشق ط/٧ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

الدرة محمد علي طه **فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال** الناشر: مكتبة السوادي جدة – السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

الدسوقي **حاشية على مغنى اللبيب** ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي المشهد الحسيني.

الدقر عبد الغني **معجم القواعد العربية في النحو والتصريف** دار القلم دمشق ط/ أولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

الراجحي عبده **التطبيق النحوي** للدكتور الناشر: مكتبة المعارف ط/ الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي **مختار الصحاح**، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

الزبيدي عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي **ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة** تحقيق د/ طارق الجنابي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

الزجاج **معاني القرآن وإعرابه**، شرح وتحقيق الدكتور / عبد الجليل عبده شلبي خرج أحاديثه الأستاذ / على جمال الدين محمد دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

الزعبلاوي صلاح الدين **دراسات في النحو** مصدر الكتاب: موقع اتحاد كتاب العرب.

زكريا الأنصاري محمد بن أحمد **غاية الوصول في شرح لب الأصول** الناشر: دار الكتب العربية الكبرى بمصر مصطفى البابي الحلبي وأخويه.

الزمخشري **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق وتعليق/ عادل عبد الموجود، وعلي معوض مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

المستقصى في أمثال العرب دار الكتب العلمية بيروت . لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م.

المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق د/ علي بو ملحم مكتبة الهلال- بيروت الطبعة / الأولى ١٩٩٣ م.

السامرائي فاضل صالح **معاني النحو** الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

السمين الحلبي **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق وتعليق الشيخ/ علي محمد معوض ومعه غيره دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمانبن قنبر**الكتاب**، تحقيق الشيخ/ عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

السيرافي **شرح كتاب سيبويه** تحقيق / أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي دار الكتب العلمية ط/ أولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

السيوطي **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق / أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

الاقتراح فى علم أصول النحوعلق عليه / محمود سليمان ياقوت دار المعرفة الجامعية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

الشاطبي **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، تحقيق / د عبد الرحمن العثيمين وغيره معهد البحوث العلمية وإحياء التراث جامعة أم القرى ط/ ١ ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

الشاوي يحيى بن محمد الجزائري **ارتقاء السيادة في علم أصول النحو** تقديم وتحقيق د/ عبد الرزاق السعدي دار الأنبار للطباعة والنشر ط/ ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

الشِّهَابِ الخفاجي **حاشِيةُ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي** دار صادر — بيروت.

صافي محمود **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه** دار الرشد بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

الصبان **حاشية على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك** الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

الصغاني الحسن بن محمد بن الحسن **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية** حققه عبد العليم الطحاوي وغيره الناشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة.

الضرير القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي **شرح اللمع في النحو**، تحقيق الدكتور / رجب عثمان محمد، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة — الشركة الدولية للطباعة الطبعة الأولى١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م

ضيف شوقي عبد السلام **المدارس النحوية** الناشر: دار المعارف.

الطبري محمد بن جرير **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الطيبي شرف الدين الحسين بن عبد الله **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

عضيمة محمد عبد الخالق **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** تصدير: محمود محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة الطبعة: بدون.

العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق / علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.

اللباب في علل البناء والإعراب، المحقق: د. عبد الإله النبهان الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

علي بن عَدْلان الموصلي **الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب** المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

عماد الدين إسماعيل أبو الفداء **الكناش في فني النحو والصرف**، دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ٢٠٠٠ م.

عمر أحمد مختار عبد الحميد وغيره **معجم القراءات القرآنية**، مطبوعات جامعة الكويت ط/ الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

عيد محمد **النحو المصفى**، الناشر: مكتبة الشباب.

العيني بدر الدين **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، تحقيق د/ علي محمد فاخر ومعه غيره دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – مصر ط/ الأولى١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

الغلاييني مصطفى **جامع الدروس العربية** المكتبة العصرية – بيروت –لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الفارسي أبو علي **المسائل العسكرية**، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد الشاطر أحمد محمد أحمد مطبعة المدني الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.

المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق / د صلاح الدين عبد الله السنكاوي مطبعة العاني ببغداد.

الفاسي محمد بن الطيب **فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح** تحقيق د/ محمود فجال دار البحوث للدراسات الإسلامية والبحوث ط/ ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

فاضل محمد نديم **التضمين النحوي في القرآن الكريم** الناشر: دار الزمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

فجال محمود **الإصباح في شرح الاقتراح** دار القلم دمشق ط/١ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الفراء **معاني القرآن**، تحقيق / أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار، دار السرور.

الفيومي أحمد بن محمد بن علي **المصباح المنير** للفيومي تحقيق د/عبد العظيم الشناوي دار المعارف بمصر.

القزاز القيرواني **ما يجوز للشاعر في الضرورة**، حققه وقدم له ووضع فهارسه د/ رمضان عبد التواب، ود/ صلاح الدين الهادي دار العروبة بالكويت ودار الفصحى بالقاهرة.

الكفوي **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)** قابله على نسخه الخطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور / عدنان.
درويش، ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت . لبنان الطبعة الثانية ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.
لبيد بن ربيعة **ديوان شرح الطوسي**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور / حنا نصر الناشر دار الكتاب العربي ببيروت ط/ أولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
المالقي أحمد بن عبد النور **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق/أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
المبرد **المقتضب**، تحقيق الشيخ / محمد عبد الخالق عظيمة الناشر: عالم الكتب. –بيروت.
المرادي الحسن بن قاسم **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** شرح وتحقيق د/ عبد الرحمن علي سليمان دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ / محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط/ الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
الميداني **مجمع الأمثال** تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي وشركاه.
النجار محمد عبد العزيز **ضياء السالك إلى أوضح المسالك** الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
النحاس **إعراب القرآن** تحقيق / زهير غازي زاهد عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ط/٢ ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م.

ناظر الجيش **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد** دراسة وتحقيق/ د علي محمد فاخر وغيره الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع –مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

الهروي محمد بن علي بن محمد، أبو سهل **إسفار الفصيح**، تحقيق/ أحمد بن سعيد بن محمد قشاش الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: ١، ١٤٢٠هـ.

الواحدي **التَّفْسِيرُ البَسِيْط** المحقق: عدد من رسائل الدكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ.

الواسطيّ أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على بن المبارك التّاجر **الكنز في القراءات العشر**، المحقق: د. خالد المشهداني الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

Bibliography

The Glorious Qur‘an

Ibn Abi Ar-Rabi‘, **Tafsir Al-Qur‘an Al-Kareem,** Investigation and Study: Salihat Al Ghanim, PhD thesis at Umm Al-Qura University, 1411 AH.

Ibn Abi Rabi‘at Omar**, Diwan,** Daar Al-Qalam- Beirut-Lebanon.

Ibn Al-Anbaari Abu Bakr Muhammad Bin Al-Qasim, **Sharh Al-Qasaaid Al-Sab‘ At-Tiwaal Al-Jaahiliyyaat,** Investigation: Abdus Salam Muhammad Harun, 5th ed., Daar Al-Ma‘aarif in Egypt.

Ibn Al-Jazari, **An-Nashr fi Al-Qira'aat Al-‘Ashr,** Its correction and final revision supervised by Shaykh Ali Muhamad Al-Daba‘, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyat- Beirut- Lebanon- N.D.

Ibn Jinni Abu Al-Fath Othman, **Al-Khasaais**, Investigation: Muhammad Ali An-Najjaar, Al-Maktabat Al-‘Ilmiyyat.

Sir Sinaeat Al-’Iiraab, Study and Investigation by Dr. Hasan Hindawi, Daar Al-Qalam, Damascus, 2nd ed., 1413 AH- 1993.

Al-Muhtasib Fi Tabyeen Wujuuh Shawaadh Al-Qirra'aat, Investigation: Dr. Ali An-Najdi Naasif et al., Publications of the Supreme Council for Islamic Affairs in Cairo, 1420 AH.-1999.

Al-Munsif, Investigation: Ibrahim Mustafa, and Abdullah Ameen, Office of Heritage Revival, 1st ed., 1373 AH- 1954.

Ibn Al-Khabaaz Ahmad Bin Al-Husayn, **Tawjeeh Al-Luma‘,** Sharh Kitab Allum‘ by Abu Al-Fath Ibn Jini, Study and investigation: Prof. Faiz Zakki Muhammad Diab, Daar As-Salam for Printing and Publication and Distribution and Translation, 1st ed., 1423 AH-2002.

Ibn Khuruf Abu Al-Hassan Ali Muhammad Bin Ali Al-Ishbilii, **Sharh Jumal Al-Zajaaji**, Investigation and study: Dr. Salwaa Muhammad Umar ‘Arab, 1419 AH, Publications of Umm Al-Qura University.

Ibn As-Siraj Abu Bakr Muhammad Bin Sahl An-Nahwaa, **Al-Usul Fi An-Nahw,** Investigation: Dr. Abd Al-Husayn Al-Fatlaa, Ar-Risaalah Foundation, 4th ed., 1420 AH- 1999.

Ibn Sayiduh, **Al-Muhkam Wa Al-Muheet Al-A‘zam**, Investigation: Abdul Hameed Hindaawi, Publisher: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah- Beirut, 1st ed., 1421 AH- 2000.

Ibn Ash-Shujraa, **Al-Amaaliu,** Study and Investigation: Dr. Mahmud Muhammad At-Tanaahi, Maktabah Al-Khaanji in Cairo, Al-Madani Press, 1st ed., 1413 AH- 1992.

Ibn As-Saaigh, **Al-Lumha Fee Sharh Al-Mulahat**, Investigation: Dr. Ibrahim Bin Salim Al-Saidi, Publisher: Deanship of Scientific Research in Islamic University of Madinah, 1st ed., 1424 AH / 2004.

Ibn Adil Al-Hanbali Al-Dimashqi Al-Nu'maani Abu Hafs Sirajudden Umar Bin Ali, **Al-Lubab Fi Ulum Al-Kitaab,** Investigation: Shaykh Aadil Ahmad Abd Al-Mawjud and Shaykh Ali Muhammad Mu'awwad, Publication: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyat- Beirut/ Lebanon, 1st ed., 1419 AH -1998.

Ibn Usfuur Ali Bin Muhmin Bin Muhammad, Al-Hadramy Al-Ishbeeli, Abu Al-Hasan **Sharh Jumal Al-Zajaaji**, Introductio, Commentary and Indexing by: Fawaz Al-Shi'aar, Supervision of: Dr. Emil Badie Yaequb, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah- Beirut- Lebanon, 1st ed., 1419 AH- 1998.

Darayir Al-Shi'r, Investigation: Mr. Ibrahim Muhammad, Publisher: Daar Al-Andalus for Printing and Publication and Distribution, 1st ed., 1980.

Ibn Aqeel Bahaauddeen, **Sharh ala Alfiyyah Ibn Malik wa Ma'ahu Kitab Minhat Al-Jaleel**, Investigation: Muhammad Muhyiddeen Abdul Hameed, Daar Al-Turath, 20th ed., 1400 AH- 1980.

Al-Musa'ed ala Tasheel Al-Fawaaid, Investigation and commentary: Dr. Muhammad Kaamil Barakaat, Publications of Umm Al-Qura University, 1405 AH- 1984.

Ibn Faaris Ahmad Bin Zakariyah **Mu'jam Maqaayis Al-Lugha,** Investigation and correction: Abdus Salaam Muhammad Haarun, 2nd ed., 1392 AH.- 1972, Mustafaa Al-Babi Al-Halabi and sons in Egypt.

Ibn Farhun Al-Madani, **Al-'Uddat Fi I'raab Al-'Umdat**, Investigation: Al-Hudah Office for Heritage Investigation (Abu Abdir Rahmaan Aadil bin Sa'd) Publisher: Daar Al-Imam Al-Bukhari- Doha.

Ibn Malik **Sharh Al-Tashil,** Investigation by: Dr. Abdur Rahmaan Seyyid, Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtun, Hajr for Printing and Publication and Distribution and Publicity, 1st ed., 1410 AH - 1990.

Sharh Al-Kaafiyyah Al-Shafiyyah, Investigation and Introduction: Dr. Abdul Mun'im Ahmad Hareedi, Publications of Umm Al-Qura University.

Ibn Majahid, **As-Sab'a Fi Al-Qiraa'aat,** Investigation: Shawqi Dayf, 3rd ed., Daar Al-Ma'aarif.

Ibn Madaa, Ahmad bin Abdir Rahmaan bin Muhammad, **Ar-Radd Ala An-Nuhaat**, Study and Introduction: Dr.

Muhammad Ibrahim Albanna, Publisher: Daar Al-I'tisaam, 1st ed., 1399 AH - 1979.

Ibn Manzur, **Lisaan Al-'Arab,** Dar Saadir- Beirut, 1st ed., 1997.

Ibn Hishaam Al-Ansaari **Awdah Al-Masaalik Ilaa Alfiyyat Maalik Wa Ma'ahu Kitab Uddat As-Saalik Ilaa Awdah Al-Masaalik**, Investigation: Muhammad Muhyiddeen Abdul Hameed, Daar Al-Fikr, 5th ed., 1386 AH- 1967.

Sharh Shudhuur Al-Dhahab Fi Ma'rifat Kalaam Al-'Arab, Investigation: Abdul Ganiyy Al-Daqr, Publisher: Ash-Sharikat Al-Muttahidah for Distribution, Syria.

Mughni Al-Labeeb An Kutub Al-A'aareeb, Investigation and commentary: Dr. Abdul Lateef Muhammad Al-Khateeb, 1st ed., Kuwait: 1421 AH- 2000.

Ibn Al-Wardi, **Sharh Alfiyyah Ibn Malik,** Investigatio and Study:

Dr. Abdullaah Bin Ali Al-Shalaal, Publisher: Maktabat Ar-Rushd, Riyadh- Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 1429 AH- 2008.

Ibn Ya'ish, **Sharh Al-Mufassal,** Introduction: Dr. Emil Badie Yaequb, Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1422 AH- 2001.

Abu Hanaan Al-Andaluusi, **Irtishaaf Al-Dirb,** Investigation: Dr. Rajab Uthman Muhammad, Revision: Dr. Ramadan Abdut Tawaab, Publisher: Maktabah Al-Khaanji in Cairo, 1st ed., 1418 AH- 1998.

Al-Bahr Al-Muheet, Study and commentary: Shaykh Aadil Ahmad Abdul Mawjuud et al., Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah- Beirut- Lebanon, 1413 AH-1993.

Al-Tadhyeel wa At-Takmeel Fi Sharh Kitab Al-Tasheel, Investigation: Dr. Hasan Hindawy, Publisher: Daar Al-Qalam- Damascus, and Daar Kunuz Ishbeelia, 1st ed.

Al-Akhfash Abu Al-Hassan Sa'eid Bin Mas'aadah Al-Awsat, **Ma'anee Al-Qur'an**, Investigation: Dr. Hudaa Mahmud Qaraa'a, Publisher: Maktabat Al-Khaanji in Cairo, Al-Madani Press, 1st ed., 1411 AH -1990.

Al-Istiraabaadhi, Radi Al-Deen, **Sharh Shaafiayyah Ibn Al-Haajib ma' Sharh Shawahidihi,** by the Great Scholar Abdul Qaadir Al-Bagdaadi, Investigated and and its vocabularies vowelarized and explained by: Muhammad Nuur Al-Hassan, and Muhammad Az-Zafzaaf, and Muhammad Muhyiddeen Abdul Hameed, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah- Beirut- Lebanon, 1395 AH-1975.

Al-Istirbaadhi Ruknuddeen, **Sharh Shafiyyah Ibn Al-Haajib,** Investigation: Dr. Abdul Maqsuud Muhammad Abdul

Maqsuud, Publisher: Maktabat Althaqafat Aldiyniat: 1st ed., 1425 AH- 2004.

Al-Ashmuuni, **Sharh Al-Ashmuuni ‘Ala Alfiyyah Ibn Malik,** Dar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut- Lebanon, 1st ed., 1419 AH- 1998.

A‘sha, Al-Kabir (Maymun Bin Qays) **Diwan**, Explanation and commentary: Dr. Muhammad Muhammad Husayn, Ar-Risaalah Foundation, Beirut, 7th ed., 1403 AH- 1983.

Al-Aluusi Al-Sayyid Mahmud Shukri, **Al-Daraayir Wa Maa Yasuug Li Ash-Shaa‘ir Dun An-Naathir,** Al-Maktabah Al-‘Arabiyyah in Bagdad- Al-Matba‘a As-Salafiyyah in Egypt, 1341 AH.

Al-Aluusi Shihabuddeen Mahmud Bin Abdillah Al-Husayni, **Ruuh Al-Ma‘aani Fi Tafseer Al-Qur‘an Al-‘Azeem Wal Sab‘ Al-Mathaani**, Investigation: Ali Abdul Baari Atiyyah, Publisher: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah – Beirut, 1st ed., 1415 AH.

Imru Alqays, **Diwan,** Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 2nd ed., Daar Al-Ma‘aarif in Egypt.

Al-Anbaari, Kamaluddeen Abu Al-Barakaat Abdur Rahmaan, **Al-Insaaf Fi Masaail Al-Khilaaf Bayn Al-Nahwiyyeen Al-Basriyeen Wal Kuufiyyeen, Wa Ma‘ahu Kitab Al-Intisaaf Min Al-Insaaf,** by Muhammad Muhyiddeen Abdul Hameed, Al-Maktabah Al-‘Asriyyah Sida: Beirut 1407 AH- 1987.

Al-Ighraab Fi Jadal Al-I‘raab, Wa Luma Al-Adillah Fi 'Usuul, Al-Nahw, Ustadh Sa‘id Al-Afgaani, University of Syria Press, 1377 AH - 1957.

Al-Baaquuli Al-Asbihaani **Kashf Al-Mushkilat Wa Eidooh Al-Mu‘dalaat**, Investigation: Dr. Muhammad Ahmad Al-Daali, As-Sabaah Press in Damascus, 1415 AH - 1994.

Al-Bagdaadi Abdul Qaadir Bin Umar, **Khizaanat Al-Adab Wa Lubaab Lisaan Al-‘Arab**, Investigation and explanation: Abdus Salaam Muhammad Harun, Publisher: Maktabat Al-Khaanji in Cairo, Al-Madani Press, 3rd ed., 1416 AH -1996.

Sharh Abyaat Mughni Al-Lubaab, Investigation: Abdul Azeez Rabaah, and Ahmad Yusuf Ad-Daqaaq, Daar Al-Mahmun Li Turaath, 3rd ed., 1407 AH- 1988.

At-Tahaanawi, Muhammad Ali, **Kashaaf Istilaahaat Al-Funun Wal ‘Uluum,** Investigation: Dr. Lutfy Abdul Badee‘, The Persian texts translated by Dr. Abdun Na‘im Muhammad Hasanayn, Publisher: The Egyptiam Authority for Books, 1972.

Al-Jurjaani, Seyyid Sharif, **At-Ta‘rifaat,** Commentary and Indexing: Muhammad Baasil ‘Uyuun As-Suud, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmyyiah, 2003 - 1424 AH.

Al-Jazuuli, Abu Musa, **Al-Muqaddimah Al-Jazuliyyah Fi An-Nahw**, Investigtaion and explanation: Dr. Sha‘baan Abdul Wahaab Muhammad, Umm Al-Qura Press 1988.

Al-Jawjari, **Sharh Shudhuur Al-Dahab Fi Ma‘rifat Kalaam Al-‘Arab**, Investigation: Nawaaf Bin Jazaa Al-Haarithi, Publisher: Deanship of Scientific Research at Islamic University, Madinah, 1st ed., 1423 AH / 2004.

Al-jawhari Isma‘il Bin Hammad, **Al-Sihaah Taaj Al-Lughat Wa Sihaah Al-‘Arabiyyah,** Investigation: Ahmad Abdul Gafuur Ataa, Daar Al-‘Ilm Lil Malaayeen – Beirut, 3rd ed., 1404 AH - 1984.

Hasan Abbas, **An-Nahw Al-Waafi**, Publisher: Daar Al-Ma‘aarif, 15th ed.

Al-Hamd Ali Tawfeeq et al., **Al-Mu‘jam Al-Waafi Fi Adawaat An-Nahw Al-‘Arabi**, Daar Al-Amal in Jordan, 2nd ed., 1414 AH- 1993.

Khalid Al-Azhari, **Al-Tasreeh Bimadmun Al-Taweeh,** Publisher: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut- Lebanon, 1st ed., 1421 AH- 2000.

Al-Khawaarazmi Sadr Al-Afaadil Al-Qaasim Bin Al-Husayn, **Sharh Al-Mufassal Fi San‘a Al-I‘raab Al-Mawsuum Bi At-Takhmeer**, Investigation: Dr. Abdur Rahmaan Bin Sulayman Al-Uthaymeen, Maktabat Al-Obeikan, 1st ed., 1421 AH- 2000.

Ald-Darweish, Muhyiddeen,**I‘raab Al-Qur‘an Al-Kareem Wa Bayaanih,** Daar Al-Yamaamah– Damascus, 1420 AH -1999.

Ad-Durrah, Muhammad Ali Taaha, **Fath Al-Kabeer Al-Muta‘aal Ii I‘raab Al-Mu‘allaqaat Al-‘Ashr At-Tiwaal,** Publisher: Maktabat Al-Sawaadi, Jeddah – Saudi Arabia, 2nd ed., 1409 AH- 1989.

Al-Dasuuqi, **Haashiyah ‘Alaa Mughni Al-Labeeb,** Printed and published by: Abdul Hameed Ahmad Hanafi, Al-Mashhad Al-Husayni.

Al-Daqr Abdul Gani, **Mu‘jam Al-Qawaa‘id Al-‘Arabiyyah Fi Al-Nahw Wa At-Tasreef,** Daar Al-Qalam Damascus, 1st ed., 1406 AH- 1986.

Ar-Raajihi Abdou, **At-Tatbeeq An-Nahwi,** by Dr… Publisher: Maktabat Al-Ma‘aarif, 1st ed., 1420 AH 1999.

Ar-Raazi Abu Abdillaah Muhammad Bin Abi Bakr Bin Abdil Qaadir Al-Hanafi, **Mukhtar Al-Sihaah**, Investigation:

Yusuf Shaykh Muhammad, Publisher: Al-Maktaba Al-'Asriyyah- Al-Daar An-Namuudajiyyah, Beirut- Seedah, 5th ed., 1420 AH. / 1999.

Al-Zubaydi, Abdul Lateef Bin Abi Bakr Al-Sharaji, **Ihtilaaf An-Nasrat Fi Ikhtilaf Nuhaat Al-kuufah Wal Basrat,** Investigation: Dr. Taariq Al-Jinabi, Aalam Al-Kutub, Maktaba Al-Nahdat Al-'Arabiyyah, 1st ed., 1407 AH- 1987.

Al-Zajaaj, **Ma'aani Al-Qur'an Wa I'raabihi,** Explanation and investigation: Dr. Abdul Jaleel Abdou Shalbaa, Its hadith authenticated by: Ustaz Ali Jamaluddeen Muhammad, Daar Al-Hadith in Cairo, 1st ed., 1414 AH- 1994.

Al-Za'blaawi Salahuddeen, **Studies in Grammar (Arabic),** Source: Website of Union of Arab Writers.

Zakariyyah Al-Ansaari Muhammad bin Ahmad, **Gaayah Al-Wusuul fee Sharh Lubb Al-Usuul,** Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Arabiyyah Al-Kubra in Egypt, Mustafa Al-Halabi and brothers.

Az-Zamakshari, **Al-Kashaaf 'an Haqaaiq Ghawamid Al-Tanzeel Wa 'Uyun Al-Aqaaweel Fi Wujuuh At-Tahweel,** Investigation and commentary: Aadil Abdul Mawjud, and Ali Mu'awwad, Maktabah Al-Obeikan, 1st ed., 1418 AH- 1998.

Al-Mustaqsaa Fi Amthaal Al-'Arab, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 2nd ed., 1397 AH- 1977.

Al-Mufassal Fi Al-I'raab, Investigation: Dr. Ali Bu Malham, Maktabat Al-Hilaal- Beirut, 1st ed., 1993.

Al-Saamrai, Faadil Saalih, **Ma'aani An-Nahw,** Publisher: Daar Al-Fikr for Printing and Publication and Distribution – Jordan, 1st ed., 1420 AH- 2000.

Al-Sameen Al-Halabi, **Al-Durru Al-Masuun Fi 'Uluum Al-Kitaab Al-Maknun**, Investigation and commentary: Shaykh Ali Muhammad Mu'awwad et al., Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut- Lebanon, 1st ed., 1414 AH-1993.

Seebawayh Abu Bishr Eamrw Bin Uthman bin Qunbur**, Al-Kitaab**, Investigation: Shaykh Abdus Salaam Muhammad Haarun, Publisher: Maktabat Al-Khanji, Cairo: 3rd ed., 1408 AH.- 1988.

Al-Seerafi, **Sharh Kitab Seebawayh,** Investigation: Ahmad Hasan Mahdali, and Ali Seyyid Ali, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1429 AH- 2008.

Al-Suyuuti, **Ham' Al-Hawaami' Fi Sharh Jam' Al-Jawaami'**, Investigation: Ahmad Shamsuddeen, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah- Beirut- Lebanon, 1st ed., 1418 AH- 1998.

Al-Iqtiraah Fee ‘Ilm Usul An-Nahw, Commentary: Mahmud Sulayman Yaqut, Daar Al-Ma‘rifat Al-Jaami‘iyyah, 1426 AH- 2006.

Al-Shatibi, **Al-Maqaasid Al-Shaafiyyah Fi Sharh Al-Khulaasat**, Investigation: Dr. Abdur Rahmaan Al-Uthaymeen et al., Institute of Scientific Research and Revival of Heritage, Umm Al-Qura University, 1st ed., 1428 AH – 2007.

Al-Shaawi Yahya Bin Muhammad Al-Jazairi, **Irtiqaa Al-Siyadat Fi ‘Ilm Usuul Al-Nahw**, Introduction and investigtaion: Dr. Abdur Razzaq Al-Sa‘di, Daar Al-Anbaar for Printing and Publication, 1st ed., 1411 AH.- 1990.

Al-Shihaab Al-Khafaaji, **Haashiyah ‘alaa Tafseer Al-Baydaawi, Titled: ‘Inaayat Al-Qaadi Wa Kifaayat Ar-Raadi ‘alaa Tafseer Al-Baydawi,** Daar Saadir - Beirut.

Saafi Mahmud, **Al-Jadwal Fi I‘raab Al-Qur‘an Wa Sarfihi Wa Bayanih,** Daar Ar-Rushd, Beirut, 3rd ed., 1416 AH- 1995.

Al-Sabbaan, **Haashiyatan Alaa Sharh Al-Ashmuuni Li Alfiyyat Ibn Malik**, Publisher: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1417 AH-1997.

Al-Sagaani Al-Hassan Bin Muhammad Bin Al-Hassan, **Al-Takmilat Wa Ad-Dayl wa As-Sillah Li Kitaab Taaj Al-Lughat Wa Sihaah Al-‘Arabiyyah**, Investigation: Abdul Haleem At-Tahaawi et al., Publisher: Matba‘at Daar Al-Kutub, Cairo.

Al-Darir, Al-Qasim Bin Muhammad Bin Mubashir Al-Waasiti, **Sharh Al-Luma‘ Fi Al-Nahw**, Investigation: Dr. Rajab Uthman Muhammad, Publisher: Maktabat Al-Khaanji in Cairo – Ash-Sharikah Ad-Dawliyyah for Printing, 1st ed., 1420 AH- 2000.

Dayf Shawqi, Abdus Salam, **Al-Madaaris An-Nahwiyyah**, Publisher: Daar Al-Ma‘aarif.

Al-Tabari, Muhammad Bin Jareer, **Jaami‘ Al-Bayaan ‘An Thaweel Aay Al-Qur‘an**, Investigation: Dr. Abdullah Bin Abdul Muhsin Al-Turki in collaboration with Center for Researches and Islamic Affairs at Daar Hajar, Dr. Abdus Sanad Hasan Yamamat, Publisher: Daar Hajar for Printing and Publication and Distribution and Publicity, 1st ed., 1422 AH-2001.

Al-Teebi, Sharafuddeen Al-Husayn Bin Abdillah, **Futuh Al-Ghayb Fi Al-Kashf ‘An Qinaa‘ Ar-Rayb (Haashiyah Al-Teebi ‘Alaa Al-Kashaaf)**, Investigator's introduction: Iyaad Muhammad Al-Ghawj, Study section: Dr. Jameel

Bani Ataa, The general supervisor on the scientific production of the book: Dr. Muhammad Abdur Raheem Sultaan Al-'Ulamaa, Publisher: Dubai International Prize for the Memorization of the Glorious Qur'an, 1st ed., 1434 AH - 2013.

Adeemat Muhammad Abdul Khaaliq, **Dirasat Li Usluub Al-Qur'an Al-Kareem**, Introduction: Mahmud Muhamad Shakir, Publisher: Daar Al-Hadith, Cairo, N.E.

Al-'Akburi, Abul Baqaa Abdullaah bin Al-Husain, **At-Tibyaan fee I'raab Al-Qur'an,** Investigation: Ali Muhammad Al-Bujaawi, Isa Al-Baabi Al-Halabi and co, N.D.

Al-Lubaab Fi 'Ilal Al-Binaa Wal I'raab, Investigtaion: Dr. Abdul Ilaah An-Nabhaan, Publisher: Daar Al-Fikr-Damascus, 1st ed., 1416 AH 1995.

Ali Bin Adlaan Al-Mawsili, **Al-Intikhaab Li Kashf Al-Abyaat Al-Mushkilaat Al-I'raab**, Investigation: Dr. Haatim Saalih Al-Daamin, Publisher: Ar-Risaalah Foundation – Beirut, 2nd ed., 1405 AH 1985.

'Imaad Ad-Deen Ismaeil Abu Al-Fidaa, **Al-Kunash Fi Al-Nahw Wal Sarf,** Study and Investigation: Dr. Riyaad Bin Hassan Al-Khawwam, Al-Maktabat Al-'Asriyyat for Printing and Publication, Beirut – Lebanon, 2000.

Umar Ahmad Al-Mukhtaar Abdul Hameed et al., **Mu'jam Al-Qira'aat Al-Qur'aaniyyah**, Publications of Kuwait University, 3rd ed., 1408 AH- 1988.

Mu'jam Al-Lughat Al-'Arabiyyat **Al-Mu'aasirah**, Publication: Aalam Al-Kutub, 1st ed., 1429 AH - 2008.

Eid Muhammad, **Al-Nahw Al-Musaffaa**, Publisher: Maktabat Al-Shabaab.

Al-'Ayni Badruddeen, **Al-Maqaasid Al-Nahwiyyah Fi Sharh Shawahid Shuruh Al-Alfiyyah**, Investigation: Dr. Ali Muhammad Faakhir et al., Daarus Salaam for Printing, Publishing and Distribution- Egypt, 1st ed., 1431 AH - 2010.

Al-Ghalayaani, Mustafa, **Jami' Al-Duruus Al-'Arabiyyah**, Al-Maktabah Al-'Asriyyah- Beirut- Lebanon, 1414 AH- 1993.

Al-Faarisi Abu Ali, **Al-Masaail Al-'Askariyyah**, Investigation and Study: Dr. Muhammad Al-Shaatir Ahmad Muhammad Ahmad, Al-Madani Press, 1st ed., 1403 AH- 1982.

Al-Masaail Al-Muskhilah Al-Ma'ruufah bi Al-Bagdaadiyyaat, Study and investigation: Dr. Salaahuddeen Abdullah Al-Sanukawi, Al-'Aani Press, Bagdad.

Al-Faasi, Muhammad Bin Al-Tayyib, **Fayd Nashr Al-Inshiraah Min Rawd Tayy Al-Iqtiraah**, Investigation: Dr.

Mahmud Fajal, Daar Al-Buhuuth for Islamic Studies and Researches, 2nd ed., 1423 AH.- 2002.

Faadil Muhammad Nadeem, **Al-Tadmeen Al-Nahwi Fi Al-Qur'an Al-Kareem**, Publisher: Daar Al-Zamman, madinah – Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 1426 AH- 2005.

Fajal Mahmud, **Al-Isbaah Fi Sharh Al-Iqtiraah**, Daar Al-Qalam, Damascus, 1st ed., 1409 AH -1989.

Al-Faraa, **Ma'aani Al-Qur'an**, Investigation: Ahmad Yusuf Najaati, Muhammad Ali Al-Najaar, Daar Al-Suruur.

Al-Fayumi Ahmad Bin Muhamad Bin Ali, **Al-Misbaah Al-Muneer**, Investigation: Dr. Abdul 'Azeem Al-Shanaawi, Daar Al-Ma'aarif in Egypt.

Al-Qazaaz Al-Qayrawaani, **Ma Yagouz Lil Sha'ir Fi Al-Darurat**, Investigated and introduced and indexed by: Dr. Ramadan Abdut Tawaab, and Dr. Salahuddeen Al-Haadi, Daar Al-'Uruubah in Kuwait and Daar Al-Fusha in Cairo.

Al-Kafawi, **Al-Kulliyaat (Mu'jam Fi Al-Mustalahaat Wa Al-Furuuq Al-Lughawiyyah)**, Its manuscripted compared and prepared for printing and indexing by: Dr. Adnaan Darweish, and Muhammad Al-Misri, Ar-Risaalah Foundation, Beirut – Lebanon, 2nd ed., 1419 AH- 1998.

Labeed Bin Rabi'at, **Diwan Sharh At-Tuusi**, Introduced and annotated and indexed by: Dr. Hanna Nasr, Publisher: Daar Al-Kitaab Al-'Arabi in Beirut, 1st ed., 1414 AH.- 1993.

Al-Maliqi, Ahmad Bin Abdun Nuur, **Rasf Al-Mabaani Fi Sharh Huruf Al-Ma'aani**, Investigation: Ahmad Muhammad Al-Kharrat, Publications of Arabic Language Council in Damascus.

Al-Mubarrid, **Al-Muqtadib**, Investigation: Shaykh Muhammad Abdul Khaaliq Azeemah, Publisher: Aalam Al-Kutub- Beirut.

Al-Muraadi, Al-Hasan Bin Qasim, **Tawdih Al-Maqasid Wal Masaalik Bi Sharh Alfiyyat Ibn Malik,** Commentary and investigation: Dr. Abdur Rahmaan Ali Sulayman, Daar Al-Fikr Al-'Arabi, 1st ed., 1428 AH- 2008.

Al-Jinaa Al-Daani Fi Huruf Al-Ma'aani, Investigation: Dr. Fakhruddeen Qabaawat, and Ustadh Muhammad Nadeem Fadil, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyat, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1413 AH- 1992.

Al-Maydaani, **Majma' Al-Amthaal**, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim Isa Al-Baabi Al-Halabi and co.

Al-Najaar Muhammad Abdul Azeez **Diyaa As-Saalik Ilaa Awdah Al-Masaalik**, Publisher: Muasasat Ar-Risaalat, 1st ed., 1422 AH- 2001.

An-Nahaas, **I'raab Al-Qur'an**, Investigation: Zuhair Ghazi Zahid, Aalam Al-Kutub, Maktaba Al-Nahdat Al-'Arabiyyah, 2nd ed., 1405 AH- 1985.

Naazir Al-Jaysh, **Tamheed Al-Qawaa'eid bi Sharh Tasheel Al-Fawaaid**, Study and Investigation: Dr.s Ali Muhammad Faakhir et al., Publisher: Daar As-Salaam for Printing and Publication and Distribution- Egypt, 1st ed., 1428 AH- 2007.

Al-Harawi, Muhammad Bin Ali Bin Muhamad, Abu Sahl, **Iisfaar Al-Faseeh**, Investigation: Ahmad Bin Saeid Bin Muhamad Qashash, Publisher: Deanship of Scientific Research at Islamic University, Madinah, Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 1420 AH.

Al-Waahidi, **Al-Tafseer Al-Baseet**, Investigation: A number of PhD dissertation at Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Publisher: Deanship of Scientific Research – Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1st ed., 1430 A

Al-Waasiti, Abu Muhammad Abdullaah bin Abdil Muhmin bin Al-Wajeeh bin Abdillaah bin Ali bin Al-Mubaarak At-Taajir, **Al-Kanz fee Al-Qiraa'aat Al-'Ashr,** Investigation: Dr. Khaalid Al-Mashadaani, Publisher: Maktabah Ath-Thaqaafah Ad-Deeyyah – Cairo, 1st ed., 1425 AH – 2004.

لغة قريش بين الاختيار اللغوي ورسم المصحف الشريف

(دراسة تحليلية)

Quraish Dialect in Language Selection and the Othmani Inscription:

An Analytical Study

د. عبد الرحمن بن زايد الشعشاعي

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة بيشة

البريد الإلكتروني:alsa3di39@gmail.com

المستخلص

يقوم هذا البحث على بيان الأسباب اللغوية لاختيار لغة قريش وعاء للكتاب العزيز؛ ومن ثم اختيارها لرسم المصحف، وعرّج البحث على تعريف لغة قريش والرسم العثماني، وبيان علاقته باللغة، ومظاهر سيادة لغة قريش، وتقديمها في رسم المصحف، والأسباب اللغوية في ذلك كله، مع بيان نسبة لغة قريش فيما حواه القرآن من اللغات، ثم عمل اللجنة المشكلة لرسم المصحف؛ خطواته، وحيثياته. ومن نتائج البحث: قوة العلاقة بين الرسم العثماني واللغة، ووجود أسباب لغوية لاختيار لغة قريش لرسم المصحف.

الكلمات الافتتاحية: الاختيار اللغوي سيادة قريش رسم المصحف العثماني.

Abstract

research aimed at clarifying the linguistic reasons for selecting the Quraish Dialect as a medium for the Noble Book (the Qur'ān) and its later use in writing down the Qur'anic verses. The research presented an introduction of Quraish Dialect This and Othmani Inscription. It showed the relationship of Othmani Inscription to Arabic, the aspects of the supremacy of the Quraish Dialect, its presentation in written version of the Qur'an, and the linguistic reasons for all that, with an explanation of the proportion of the Quraish Dialect the languages of the Qur'an. It also discussed the work of the committee formed to write down the Qur'an: its steps and its rationale. The outcomes of the research show a strong relationship between the Othmani Inscription and Arabic, and the linguistic reasons for choosing Quraish Dialect to write down the Qur'an.

Keywords: Language Selection - Supremacy - Quraish - Inscription - Qur'an - Othmani

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، وبعد:

مكة هي أم القرى، ومنبع الرسالة، وسادتها (قريش) هم سادة العرب، ولغتهم هي المهيمنة على بقية لغات العرب، والمشتملة على أجود ألفاظهم وأساليبهم، فهي قمة الفصاحة والبيان، قد اختارها الرحمن وعاء لكلامه العزيز الحكيم، ووُحِّد عليها رسمُه، وهذا الاختيار لم يكن عبثا؛ بل به يتحقق التحدي والإعجاز حينما يكون بأرقى ما وصل إليه العرب من البيان، فنزول القرآن وتوحيد رسمه بلغة قريش، له أسباب دينية ولغوية، ، وقد مهد لهذا الاختيار الرباني ما اختصت به هذه اللغة المكية القرشية الشريفة من مقومات في ذاتها وصفاتها، وما اشتملت عليه من انتقاء أجود كلام العرب، وأحسنه وأصفاه؛ من خلال مكانتها الدينية، وموقعها الجغرافي، ورحلاتها التجارية، وأسواقها الأدبية، وتنشئة أبناء أشرافها في بوادي العرب بين فصحائها؛ مما جعلها أكثر لغات العرب فصاحة، كل ذلك كان قبل نزول القرآن؛ ولعله كان إرهاصا وإيذانا بنزوله بها، ثم أكرمها الله واصطفاها وعاء لكتابه، ثم اختارها عثمان –رضي الله عنه– لتكون كتابة القرآن بها، ورسمه مبنيا على اختيارها، فارتضى ذلك الصحابة الكرام؛ وكان السبب الأظهر لهذا الاختيار هو نزول القرآن بها، كما نص على ذلك الخليفة الراشد عثمان بن عفان —رضي الله عنه–، ولكن المقومات اللغوية الأخرى كانت سابقة على هذا الاختيار، ومصاحبة له، ومستمرة بعده؛ فالعلاقة بين رسم المصحف باللغة القرشية المكية وبين مقوماتها اللغوية ظاهرة، ويأتي هذا البحث ليلقي الضوء – في دراسة لغوية تاريخية– على تلك المقومات، والأسباب اللغوية، ويبين المظاهر المساندة لما نص عليه عثمان –رضي الله عنه– ومن خلال نصوص العلماء، واستنباطات اللغويين، واختيارات النحاة في تقديم لغة قريش والحجاز على غيرها من لغات العرب في رسم القرآن خاصة.

الدراسات السابقة: وقد سُبق هذا البحث بدراسات كثيرة، أهمها بحثان: **أولهما–** لغة قريش للدكتور: مختار الغوث، ويتميز البحث بالرصد الدقيق والشامل للظواهر اللغوية بمستوياتها المختلفة المنسوبة إلى قريش وتحليلها، وبدراسة نقدية لمجموعة من القضايا المتعلقة بهذه اللغة، وتنصبّ دراسته على أمرين: توثيق نسبة اللغة إلى قريش، وبيان منزلتها في الفصاحة، وإثبات أن القرآن منزل بلغة قريش، لا اللغة المثالية المؤلفة من عدة لغات؛ فهو ينفي فكرة اللغة المشتركة، وأثبت أن لغة قريش ولغة الأنصار متفقتان تماما، **والبحث الآخر–** موقف النحاة من لغة قريش للدكتور: فؤاد رمضان حمادة، وبحثه قائم على مناقشة كثير من الآراء والمسلمات عند المتقدمين والمتأخرين، ووصفها بالاضطراب وعدم الوضوح، ونقد الروايات التي تفضل لغة قريش، ولكون دراسته متأخرة عن دراسة مختار الغوث فقد نقدها نقدا شديدا، ووصل إلى نتائج، منها: التفريق بين مصطلح لغة قريش عند الكوفيين والبصريين، وتجاهل نحاة البصرة للغة قريش والحجاز، وأن قريشا ليست أفصح القبائل، ونقد مواقف أصحاب المعاجم واللغويين المتقدمين والمعاصرين، ومنهجيتهم في التعامل مع لغة قريش. وقد أفدت من هاتين الدراستين في هذا البحث واختصرا عليّ كثيرا من الجهد في تحرير مفهوم لغة قريش، واللغة المشتركة وغير ذلك[1].

مضمون البحث: ينصب هذا البحث على التركيز على الأسباب اللغوية لسيادة لغة قريش، واختيارها لرسم المصحف واستنباط حيثيات الاختيار الرباني الذي أشار إليه أمير المؤمنين عثمان –رضي الله عنه–، فجمعت ما يتعلق بهذه المسألة من كتب التراث ومن الكتب المعاصرة، ولخصته وحللته؛ للربط بين مجموعة من القضايا اللغوية، والتاريخية، والشرعية، فإن هذا الاختيار أمر رباني، إلا أن الله فتح لنا التفكر والنظر في الأسباب والحيثيات؛ للوصول إلى النتائج المشار إليها في خاتمة البحث. هذا من جانب، ومن جانب آخر: بيان علاقة الرسم العثماني باللغة، وتحرير مصطلح لغة قريش، ومظاهر

(١) إلا أن كلا منهما شنع على من قبله في آراء قد يكون لها وجه من الحق، وليس هذا مجال تفصيله، وإنما يتضح لقارئ الدراستين بحياد وموضوعية.

سيادتها، وجمع الأسباب اللغوية لتلك السيادة، وعلاقتها بما يسمى باللغة المشتركة، وأنها لغة قريش مع ما اكتسبته من لغات العرب، وأن نزول القرآن بها ليس هو السبب الوحيد الذي تضمنه نص عثمان بن عفان –رضي الله عنه– بل ثمة أسباب أخرى لغوية، كما أجاب البحث عن سؤالين؛ أولهما: لماذا قلّت اللغات المنسوبة إلى قريش في القرآن مع كونه نزل بها؟ والآخر: لماذا استبعد اللغويون (جُمّاع اللغة) لغة أهل قريش مع كونهم أفصح العرب؟

صعوبات البحث: وقد واجهت في معالجة البحث بعض الصعوبات؛ ومنها: أن قضايا كثيرة في ثناياه كانت محل إشكال واختلاف عريض عند المتقدمين والمتأخرين، وحاجتي منها الرأي الراجح والخلاصة؛ وهذا يحتاج إلى قراءة واسعة، ونظر فاحص دقيق؛ مثل مسألة تحديد اللغة المشتركة، وهل في القرآن كلام أعجمي، وغير ذلك من القضايا الشائكة، وحاجتي منها خلاصتها ولُبها.

وفرضت طبيعة البحث زيادة النصوص المنقولة على حساب التحليل؛ لتوثيق وتوضيح مراميه مما يعد خللا منهجيا في البحوث الحديثة.

منهج البحث: سرت في هذا البحث على المنهج التحليلي، مستعينا بالمنهج الوصفي والتاريخي، متبعا ما يلي:

١– التركيز على الجانب اللغوي، وما يخدمه من الجوانب الأخرى، مع عدم التوسع في معالجة القضايا الأخرى التي تعرض في البحث.

٢– عدم التعريف بالأعلام، وذكر وفياتهم، وكذلك البلدان، والغريب، والكتب، والمصطلحات إلا ما تدعو الحاجة الماسة إلى بيانه؛ حرصا على الاختصار.

٣– التخريج للقضايا والنصوص والمسائل من مصادرها الأصيلة إلا إذا كان النص فيها لا يفي بالغرض، ولا يخدم الفكرة فأنقل من مصدر آخر؛ لأن المقصود خدمة الفكرة الأساسية، وما لا أجده في مصدره فمن أقرب مصدر وسيط.

٤– اعتمدت –في الجملة– على المصادر والمراجع في المكتبة الشاملة (ما كان من النسخ موافقا للمطبوع)، وقد أرجع إلى ترقيم الشاملة عند الحاجة.

٥– اكتفيت في الضبط على ما يشكل.

٦– اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على قدر كبير من النقول من كتب اللغة وعلوم القرآن وغيرها.

٧– كتبت الآيات برسم المصحف عدا الكلمة الواحدة والقراءات الأخرى فكتبتها بالخط العادي.

وسأجتهد في معالجته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بلغة قريش ورسم المصحف وقيمتها في الدرس اللغوي. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بـ(لغة قريش)، و(لغة أهل الحجاز).

المطلب الثاني: تعريف الرسم العثماني.

المطلب الثالث: علاقة الرسم العثماني باللغة[1].

المطلب الرابع: اتباع رسم المصحف.

المبحث الثاني: سيادة لغة قريش. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسير نص عثمان بسبب اختيار لغة قريش: (نزل بها القرآن).

المطلب الثاني: مظاهر سيادة لغة قريش وأهل الحجاز وأسبابه[2].

المبحث الثالث: تقديم لغة قريش في رسم المصحف، وأسباب ذلك.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبة ما حواه الرسم العثماني من لغة قريش، وغيرها.

المطلب الثاني: تهيئة لغة قريش لرسم القرآن.

المطلب الثالث: عمل اللجنة (زيد بن ثابت والقرشيين –رضي الله عنهم–)، واعتمادهم لغة قريش.

(١) قصدت عدم الاستيعاب في تلك الجوانب طلبا للاختصار، ولحصول الهدف من خلال ما ذكر، وهو تقرير العلاقة الوثيقة بين الرسم العثماني واللغة من جهة أخرى.

(٢) اكتفيت من المظاهر بما يتقرر به سيادة لهجة قريش طلبا للاختصار.

المبحث الأول: التعريف بلغة قريش ورسم المصحف وقيمتها في الدرس اللغوي

المطلب الأول: التعريف بـ(لغة قريش)، و(لغة أهل الحجاز) [1]:

اللغة في اصطلاح القدماء تقابل اللهجة في الاستعمال الحديث، وقد استخدم سيبويه اللغة بهذا المعنى في مواطن [2]، وحينًا قليلًا يستعملون اللحن بمعنى اللهجة[3] فاستعمال اللغة بمعنى اللهجة هو السائد في كتب المتقدمين، أما اللغة بمفهومنا الحديث فيستعملون لها لفظين: اللغة، واللسان.[4] أما قريش فهم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة،[5] ويقال: هم بنو النضر بن كنانة، وكلاهما صحيح؛ لأن النضر لم يعقب إلا

(١) انظر تفصيل ذلك في: مختار الغوث، **لغة قريش** (السعودية: دار المعراج الدولية، ط١، ١٤١٨هـ)، وفؤاد رمضان حمادة، **مواقف النحاة واللغويين من لغة قريش** (فلسطين، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. العدد ٣٦، ٢٠١٥م).

(٢) سيبويه، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م): (لغة بني تميم ١/ ١٤٧،٣٨٤)، و(لغة أهل الحجاز ١/ ٥٩، ٧١)، و(لغة خثعم ١/ ٢٢٦)، و(لغة هذيل ٤/ ١١٣).

(٣) قال الأعرابي الذي أراده اليزيدي أن ينطق بغير لهجته: ليس هذا لحني ولا لحْن قومي، ينظر: جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: فؤاد علي منصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م)، ٢/ ٢٤١.

(٤) فيقولون لغة العرب ولسان العرب ولغة الفرس ولسان الفرس، يقول الله تعالى: (بلسان عربي مبين)، وينظر تفصيل الفرق بين مصطلح اللغة واللهجة في القديم والحديث في: إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية** (مصر: مطبعة الأنجلو المصرية، ط ٢، ٢٠٠٣م)، ص ١٦، وما بعدها.

(٥) مصعب الزبيري، **نسب قريش**، تح: ليفي بروفنسال. (القاهرة: دار المعارف، ط٢.) ص: ١٢، وأحمد البَلَاذُري، **جمل من أنساب الأشراف**، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م)، ١/ ٣٩.

مالكًا، ومالكًا لم يعقب إلا فهرًا؛ ولذلك يسمى النضر قريش الأكبر[١]، وفهر قريش الأوسط،[٢] أما (لغة قريش) فقد فسرت بعدة تفسيرات، فقيل:

لغة أهل مكة[٣]؛ لأن قريشا هم أهل أباطحها وظواهرها.[٤]

لغة أهل الحجاز، من إطلاق الجزء على الكل؛ فلغة قريش جزء من لغة أهل الحجاز.[٥]

١– لغة مضر.[٦]

٢– لغة النبي صلى الله عليه وسلم[٧].

---

(١) قال هشام بن الكلبي: النضر اسمه قيس... وهو قريش الأكبر وهو الجامع الأول لأنساب القرشيين على الصحيح المختار. ينظر: الحسين الحسيني، **جمهرة أنساب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم** (السعودية: دار البخاري. ط١، ١٤١٨هـ)، ص.١٠٩.

(٢) وفهر كان يكنى أبا غالب وهو قريش الأوسط. المرجع السابق، ص. ١٠٦.

(٣) ممن استعمل المصطلح: الحسين بن خالويه، **ليس في كلام العرب**، تح: أحمد عبد الغفور عطار (مكة المكرمة. ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ص ٣٣٦، وعبد الرحمن ابن الجوزي، **غريب الحديث**، تح: عبد المعطي أمين القلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ)، ٢/ ٣٣١، ومحمد بن منظور، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، ٨/ ٣٢٧، ومعظم كتب المعاجم تستعمل لغة أهل مكة للغة قريش.

(٤) "قريش البطاحِ: الَّذين ينزلون بَطْحاء مَكَّة. وقريش الظَّوَاهِر: الَّذين ينزلون مَا حول مَكَّة". علي بن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م)، ٣/ ٢٤٧.

(٥) إبراهيم أبو سكين. **دراسات في أمهات كتب اللغة**، ص. ٧٩، وأبو حيان الأندلسي، **التذييل والتكميل**، تح: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم. ط١. ١٤١٧هـ)، ٢/ ١٧٤.

(٦) أبو بكر بن أبي داود السجستاني، **كتاب المصاحف**، تح: محمد بن عبده (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م)، ص. ٦٣.

(٧) ينظر: محمد بن علي الهروي، **كتاب إسفار الفصيح**. (ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها) ١١/ ١٤، وسلمية بن مسلم الصُحاري، **الإبانة في اللغة العربية**، تح: عبد الكريم خليفة وآخرين (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط١، ١٤٢٠ هـ)، ٤/ ٢٧٧.

٣– لغة أهل العالية، أو اللغة العالية [١].

٤– لغة أهل الحرمين [٢].

٥– اللغة المثالية[٣].

٦– اللهجة الفصحى[٤].

أما عن المقابل للغة قريش فقد اختلف فيه العلماء اختلافًا كبيرًا: فقد تستعمل لغة قريش في مقابل لغة أهل الحجاز كما تفسر بها، ومثلها لغة كنانة، وتستعمل في مقابل لغة تميم، ولغة نجد، ولغة البادية، وقد تذكر لغة قريش ويراد بها القبائل العدنانية وفي ضمنها لغة قريش في مقابل القحطانية ومنها لغة الأنصار[٥].

أما العلاقة بين لغة أهل الحجاز ولغة قريش، فقد اختلفت عبارات العلماء؛ من اللغويين، والمفسرين، والقراء في التعبير عن العلاقة بين اللغتين؛ فمنهم من يجعلهما واحدة،[٦] ومنهم من يجعلهما متقابلتين، ومنهم من يجعل لغة قريش جزءًا من لغة

(١) علي بن سيده، **المخصص**، تح: خليل إبراهيم جفال (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ)، ٤/ ١٩٢، والسيوطي، مرجع سابق، ١/ ٤٣١، وعمر باشا، **اللغة العربية بين الأصالة والإعجاز والحداثة**، (ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها)، ص: ٦٤، واستعمالها كثير في المعاجم وكتب اللغة في مقابل لغة تميم، وأحيانا في مقابل لغة أهل الحجاز.

(٢) محمد الأنباري، **المذكر والمؤنث**، تح: محمد عبد الخالق عضيمة (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، ط١، ١٤٠١ هـ)، ص. ٥١٥.

(٣) صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة** (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ٢٠٠٩م)، ص. ٧٨، ١٢٤، ٢٩٩.

(٤) "لقد استقر في نفوس الأسلاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش". محمد إبراهيم الحمد، **فقه اللغة (مفهومه – موضوعاته – قضاياه)**، ص. ٦٣.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) وهذا مفهوم من كلام الشهاب في تسهيل الهمزة في (سأل سائل). شهاب الدين الخفاجي، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي** (بيروت: دار صادر)، ٨/ ٢٤٠.

أهل الحجاز[١] في مقابل لغة أهل نجد أو لغة تميم، والعلاقة بين أهل نجد وتميم كالعلاقة بين قريش وأهل الحجاز، ومنهم من يقابلها (لغة قريش وأهل الحجاز) بلغة عامة العرب، وقد تفصل تميم عن بقية أهل نجد وتقابل أهلَ الحجاز، وقد تكون مستقلة في مقابل عامة العرب[٢]، وقد يقال لسان قريش ويراد به أهل الحجاز دون غيرهم من العرب، ثم اختلفوا في المقاصد فقد يقصد: أهل البادية من الحجازيين، أو أهل مكة، أو اللغة المشتركة[٣]، واستعمل البصريون –غالبًا– مصطلح (أهل الحجاز) والكوفيون (لغة قريش) للدلالة نفسها[٤].

والخلاصة: أن لغة قريش لهجة من لهجات أهل الحجاز لأهل مكة من بني فهر بن مالك، تستقل أحيانًا في بعض ألفاظها، وأساليبها، وتشترك مع لغة أهل الحجاز في مقابل لغة عامة العرب، أو لغة أهل نجد أو بني تميم.

المطلب الثاني: تعريف الرسم العثماني

الخطَّ ثلاثةُ أَقسام؛ خَطٌّ يُتَّبَعُ به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف، وخطٌّ جرى على ما أثبته اللفظُ وَإسقاطِ ما حذفَهُ، وهو خطُّ العَروضِ؛ فيكتبون التنوينَ ويحذفون همزةَ الوصلِ، وخطٌّ جرى على العادةِ المعروفة وهو الذي يتكلم عليه

(١) وكل ذلك صحيح من وجه؛ فقريش أهل مكة وأهل لحجاز قبائل أخرى منها قريش وهذا نوع مغايرة، وتتسع لغة قريش لتشمل أهل الحجاز خاصة لقربهم وعامة مضر لكون اللغة المشتركة تعمهم.

(٢) وهذه الأوجه أوردها يحيى بن زياد الفراء، **كتاب فيه لغات القرآن**، تح: جابر بن عبد الله السريع (نشر على الشبكة العالمية. ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م)، ص. ٢١.

(٣) اللغة المشتركة باختصار: هي لغة وسطى، تقوم على أساس لغة موجودة تُتَّخذ لغةً مشتركةً، من جانب أفراد وجماعات، تختلف لديهم صور التكلم يتكلمونها جميعا، هذه هي السمة الأساسية لكل لغة مشتركة، ينظر: رمضان عبد التواب، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** (مصر: الخانجي، ط٢، ١٩٨٥م)، ص. ١٦٦.

(٤) ينظر: حمادة، مرجع سابق، ص. ١١٠.

النحويُّ[١].

وتعني عبارة (رسم المصحف): طريقة رسم الكلمات في المصحف؛ من ناحية عدد حروف الكلمة، ونوعها، ويستند إلى طريقة رسم المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان، –رضي الله عنه– والتي عرفت في المصادر بـ (المصاحف العثمانية)، نسبة إليه؛ لكونه أمر بنسخها، وإرسالها إلى البلدان. وانفرد الرسم العثماني عن الرسم الإملائي بالتواتر، وهو من أخص صفاته المميزة، كما صار رسم الكلمات فيها يعرف بـ(الرسم العثماني). ويسمى: خط المصحف، والخط العثماني، والرسم التوقيفي، والمصحف الإمام، ومرسوم الخط، والرسم الاصطلاحي.[٢]

وأكثر خط المصاحف موافق لقواعد الرسم القياسي، وخالفه في الأقل، ومنه ما ظهرت حكمته، ومنه ما غاب عن العلماء علمه، ولم يكن الخط من الصحابة كيفما اتفق، بل لأمر عندهم قد تحقق[٣]، وله قواعده المفصلة عند أهل القراءة[٤].

المطلب الثالث: العلاقة بين الرسم العثماني واللغة:

العلاقة بين الرسم الإملائي العام وبين اللغة واضح –وليس موضوعنا[٥]– أما الرسم العثماني فله لفتات لغوية واضحة أسهب فيها علماء اللغة، والرسم، وعلوم القرآن، وظهرت تلك العلاقات في كتب التفسير اللغوي، وتوجيه القراءات، والاحتجاج لها، وقد عبَّر الداني –رحمه الله– عن هذا الاتجاه بقوله: "وليس شيء من

(١) بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: الحلبي، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م) ١/ ٣٧٦.

(٢) شعبان محمد إسماعيل، **رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة** (مصر: دار السلام للطباعة والنشر. ط٢)، ص. ١٠.

(٣) الزركشي، مرجع سابق، ١/ ٣٧٦.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) أي: الرسم الإملائي.

الرسم، ولا من النقط اصطلح عليه السلف –رضوان الله عليهم– إلّا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب، وقصدوا به طريقًا من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله"[(١)].

قال النيسابوري –رحمه الله–: "فما كتب زيد بن ثابت –رضي الله عنه– شيئا من ذلك إلا لعلة لطيفة وحكمة بليغة، وإن قصر عنها رأينا"[(٢)]. ويمكن الإشارة إلى جملة من تلك العلاقات في الجوانب التالية:

كثير من ظواهر الرسم لها علل لغوية أو نحوية، وأمثلتها كثيرة وهي مجال واسع للباحثين؛ مثل: تعليل رسم الألف ياء للإمالة، ورسم الهمزة بأحد حروف العلة الثلاثة للتسهيل، أو زيادة تلك الحروف في بعض الأحيان للفرق، أو حذفها للتخفيف، وتعليل وصل بعض الكلمات للإدغام، أو كتابة تاء التأنيث في بعض الأسماء مبسوطة على اللفظ، وأهل هذا الاتجاه يحاولون بذلك ربط هذه الظواهر الكتابية بالظواهر الصوتية للغة [(٣)]

١– المطابقة اللفظية للقارئ، والمتابعة الخطية للكاتب في الجملة، وتمييز أنواع المخالفة المغتفرة من غيرها، ولا شك أن المواءمة بين المكتوب والمنطوق وإظهار الفوارق من صميم علم اللغة، ومن كلام العرب: الخط أحد

(١) عثمان بن سعيد الداني، **المحكم في نقط المصاحف**، تح: د عزة حسن (سورية: دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ)، ص. ١٩٦.

(٢) يوسف بن خلف العيساوي، **رد البهتان عن إعراب آيات من القرآن الكريم** (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م)، ص. ٤٤.

(٣)ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، **حجة القراءات**، تح: سعيد الأفغاني (بيروت: دار الرسالة)، ص ١٢٦ وما بعدها، وعثمان بن سعيد الداني، **جامع البيان في القراءات السبع** (الإمارات: جامعة الشارقة، ط٢، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م)، ٣/ ١١٣١، ومحمد بكر إسماعيل، **دراسات في علوم القرآن** (القاهرة: دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م)، ص: ١٢٩.

اللسانين، وحسن الخط أحد الفصاحتين[1].

٢- حفظ اللسان من الخطأ، واللحن، ومعرفة الأفصح في الكتابة؛ لأنها نائبة عن التكلم؛ فالخطأ فيها يعد لحنا كالخطأ فيه، وكما أنهم عدوّا في الألفاظ فصيحا وأفصح، فكذلك عدوّا في الكتابة مثله، فقد قالوا: "الأفصح في كتابة ذوات الياء كذا، والأفصح في كتابة ذوات الواو كذا"[2].

٣- يشير الرسم في أحيان كثيرة إلى أصوات لهجية عند العرب فترسم الكلمة على وجه يحتمل أكبر قدر ممكن من الأوجه اللغوية المحتملة[3]، فمن ذلك:

أ) رسم تاء التأنيث مرة مربوطة ومرة مبسوطة، فالتاء المفتوحة تشير إلى لغة طيِّء

(١) أبو داود سليمان بن نجاح، **مختصر التبيين لهجاء التنزيل** (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م)، ١/ ٦٣، وحسين بن علي الشوشاوي، **تنبيه العطشان على مورد الظمآن في الرسم القرآني** تح: محمد سالم حرشة، (ضمن المكبة الشاملة)،١/ ١٣٩.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) رسمت الكلمات على وجه يحتمل أكثر ما يمكن احتماله من أوجه القراءة. فمن ذلك:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ (البقرة: ٢٦)، لغةُ قُرَيْشٍ وعامةِ العربِ بياءَيْن. وتَمِيمٌ وبَكْرُ بنُ وَائِلٍ يقولون: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ (البقرة: ٢٩)، أهلُ الحجازِ يَفْتَحون، فَيقولون: (فَسَوَّاهُنَّ)، و(قَضَاهُنَّ)، وقَضَى، ورَمَى، ورَأَى، و(أَحْيَاكُمْ)، يَفْتَحون ما كان من الياءِ. وكثيرٌ من أهلِ نجدٍ يَكْسِرون، فَيقولون: قَضِى، ورَمِى، وسَوِّى، ويَفْتَحون ذواتِ الواوِ، مثلُ: ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ (البقرة: ٧٦)، و (مَا زَكَا)، ومِثْلُه. في كتاب إتحاف فضلاء البشر على أن لفظ هذان قد رسم في المصحف من غير ألف ولا ياء ليحتمل وجوه القراءات الأربع فيها. محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن** (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣)، ١/ ٣٩٣. ومن ذلك كتابة "وما يخدعون الا أنفسهم"، فلو كتبت (وما يخادعون) لفاتت قراءة (وما يخدعون) فكتبت على رسم يحتمل القراءتين. محمد الكردي، **تاريخ القرآن الكريم** (مكة: مطبعة مصطفى محمد يغمور عن الطبعة الأولى بمطبعة الفتح بجدة ١٣٦٥ هـ)، ص. ١٢١.

التي تقف عليها بالتاء ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ (آل عمران:٣٥)، و(امرأت) بالتاء لا بالهاء، في سبعة مواضع[١]، فأهل المدينة يقفون بالتاء؛ اتباعا لرسم المصحف، وهي لغة لبعض العرب يقفون على طلحة: طلحت، بالتاء[٢].

ب) رسم بعض الألفات المتطرفة على صورة الياء؛ إشارة إلى الإمالة [٣]، أو التقليل[٤] في بعض لهجات العرب، فمثلا: – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا

(١) وهي (امرأت عمران) (آل عمران: ٣٥)، و(امرأت العزيز) (يوسف:٣٠، ٥١)، و(امرأت نوح) و(امرأت لوط)، و(امرأت فرعون) (التحريم :١٠-١١)

(٢) علي الأهوازي، **الوجيز في شرح قراءات القَرَأَة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة**، تح: دريد حسن أحمد (بيروت: دار الغرب الإسلامي. ط١، ٢٠٠٢م)، ص.١٢٠، ومنصور الطبلاوي، **الشمعة المضية بنشر قراءات السبع المرضية**، تح: علي سيد جعفر (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ)، ٢/ ٢٩٧، وإبراهيم عبد الرحمن خليفة، وآخرون، **الموسوعة القرآنية المتخصصة** (مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٣ هـ)، ص. ١٩٥٢.

(٣) "الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، أو هي إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة". أحمد النحاس، **إعراب القرآن**، تح: عبد المنعم خليل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ)،١/ ١١، ويسمى (الإضجاع)، و(البطح)، ينظر: محمد بن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، تح علي محمد الضباع (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى)، ٢/ ٣٠، وعبد البديع النيرباني، **الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات** (دمشق: دار الغوثاني، ط١، ١٤٢٧هـ)، ص. ١٨٦.

(٤) "التقليل متوسط بين الفتح والإمالة". عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، تح: إبراهيم عطوة عوض (مصر: مطبعة الحلبي، ط١ (د. ت)، ص. ٢٣٤، ويسمى (بين بين)، و(التلطيف)، و(التوسط)، و(الإمالة الصغرى) ينظر: ابن الجزري، النشر مرجع سابق، (٢/ ٣٠)، وجلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٧٤م)، ١/ ٣١٤.

سَجَىٰ﴾ (الضحى:٢)، فالفعل سجا يسجو- بمعنى سكن من باب نصر، تحرّكت الواو بعد فتح فقلبت ألفا، وكان حقّه أن يرسم بالألف الطويلة (سجا) ولكنّ رسم المصحف جاء بالياء غير المنقوطة (سجى)؛ ليناسب قراءة الإمالة[١].

ت) ج) كتابة بعض الحروف التي لا تنطق؛ إشارة إلى لغة من ينطقها من العرب، مثل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(الأعراف: ١٤٥)، سأوريكم: بواو ساكنة بعد الهمزة، على ما يقتضيه رسم المصحف، وهي قراءة الحسن، وهي لغة فاشية بالحجاز[٢].

- ومن ذلك: جاء رسم (الضعفاء) في المصحف الشريف (الضّعفاوء) بواو قبل الهمزة، وهذا الرسم يشير إلى من يفخّم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو. ونظيره (علماؤا) في قوله تعالى: ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٧)[٣].

- يشتمل الرسم على بعض الإشارات النحوية؛ مما جعل ابن فارس يستدل على قدم علم العربية بما في كتابة المصحف، على الوجه الذي يعلله النحاة، فقال: "ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم ذلك: كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو، والياء والهمز، والمدّ والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم يصوروا الهمزة؛ إذا كان ما قبلها ساكنا، نحو: الخبء (النمل: ٢٥)، ودفء (النحل: ٥)، وملء (آل عمران: ٩٠).

(١) محمود بن عبد الرحيم صافي، **الجدول في إعراب القرآن الكريم** (دمشق: دار الرشيد، ط٤، ١٤١٨هـ)، ٣٠/ ٣٥٢.

(٢) خليفة، مرجع سابق، ص: ٢٠٧٧.

(٣) جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية – خصائص السور**، تح: عبد العزيز عثمان التويجري (بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ)، ٤/ ٢٤٢.

فصار ذلك كلّه حجة، حتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصحف"[١].

٤- ومن ذلك: الإشارة إلى الأصل اللغوي للحرف، مثل: "رسم ألف كلمة (الحياة) بواو في رسم المصحف تنبيهًا على الأصل الواوي للكلمة، ويؤيده الحيوان لظهور هذا الأصل فيه"[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ (البقرة: ١٠٢)، "فكتبوه بألف وبغير ألف أيضًا، وبالألف أختار لمعنيين: أحدهما موافقة لبعض المصاحف والثاني إعلامًا بالتثنية"[٣].

٥- استحسان العلماء لرسم المصحف وتعليل ذلك بما تضمنته من الإشارات اللغوية، قال أبو داود –رحمه الله– في كتاب المصاحف عند قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ (البقرة: ٣٨) ،: «وأنا أستحب كتب ذلك بألف موافقة للغة أهل الحجاز، وللمصاحف المرسوم فيها ذلك كذلك، وهروبا من لغة هذيل وبعض سليم»[٤]؛ وفي هذا دلالة واضحة على مدى الارتباط بين اللغة والرسم.

٦- يدل رسم المصحف على معرفة الصحابة باللغة والهجاء وبُعد مراميه في الاختيار؛ يقول ابن الجوزي –رحمه الله–: "إن كتابة الصحابة للمصحف الكريم ممّا يدل على عظيم فضلهم في علم الهجاء، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم"[٥].

---

(١) أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية** (بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص. ١٤، والزركشي، مرجع سابق، ١/ ٣٧٨.

(٢) محمود بن عبد الله الألوسي، **روح المعاني**، تح: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، ٢/ ٨.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) أبو داود، مرجع سابق، ١/ ٢٨٠.

(٥) حمزة فتح الله، المواهب **الفتحية في علوم العربية** (مصر: المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ)،١/ ١٦، وابن الجزري، النشر، مرجع سابق، ١/ ١٢.

٧- اللغة والرسم كلاهما شرط لقبول القراءة عند القراء[١]، فجعلت الموافقة لرسم المصحف، وموافقة العربية ولو بوجه، إضافة لشرط صحة السند؛ وهذا يدل على مدى التلازم والمواءمة بين الأمرين، وما شذ عن رسم المصحف أو صحيح اللغة عُدّ من قبيل القراءات الشاذة، ويكفي في ذلك موافقة إحدى النسخ[٢].

٨- يكون رسم المصحف قاطعًا للخلاف في مسألة نحوية، أو صرفية، أو مرجحًا بين احتمالين، أو ملغيًا لأحد الأوجه اللغوية؛ ومن ذلك الاختيار في قراءة (سلاسلا) منونة في الوصل[٣]، قال الطاهر بن عاشور –رحمه الله–: "وهذه القراءة متينة يعضدها رسم المصحف وهي جارية على طريقة عربية فصيحة".[٤]، ومن ذلك اختلاف العلماء في "لا" في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ (الأعلى: ٦)، هل هي الناهية أي ينهى الله تعالى نبيه أن ينسى القرآن، أم النافية تنفي النسيان عنه –صلى الله عليه وسلم–.

(١) بنظر شروط صحة القراءة في: إبراهيم بن أحمد المارغني، **دليل الحيران على مورد الظمآن** (القاهرة: دار الحديث)، ص. ٣، وابن الجزري، النشر، مرجع سابق، ١/ ٤٤، ومحمد بن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** (القاهرة: ط١. ١٤٢٠هـ)، ص. ١٨، والسيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ١/ ٢٧٦.

(٢) ومعنى أحد المصاحف العثمانية واحد من المصاحف التي وجهها عثمان –رضي الله عنه– إلى الأمصار. وكقراءة ابن كثير "جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" (التوبة: ٧٢) بزيادة "من" فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة. ابن الجزري، منجد المقرئين، مرجع سابق، ص. ١٨.

(٣) قرأ المدنيان وهشام والكسائي وأبو بكر: (سلاسلًا) بالتنوين في الوصل ووقفوا بألف، وقرأ الباقون بغير تنوين في الوصل، واختلفوا في الوقف فوقف منهم بغير ألف حمزة وخلف وحفص ورويس وقنبل من طريق المصريين والبزيّ وابن ذكوان. انظر: عبد الله الواسطي، **الكنز في القراءات العشر**، تح خالد المشهداني (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ)، ٢/ ٧٠٠.

(٤) الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ٢٩ /٣٧٨.

وأولى القولين بالصواب: النفي؛ لموافقته رسم المصحف في إثبات الألف في "تنسى"؛ فدل عدم حذفها على أنها ليست ناهية[1].

٩- في رسم المصحف إشارات وإلماحات إلى طريقة النطق وصلا وفصلا، ووقفا وابتداء، فمنها ما روعي في كتابته الوصل ومنها ما روعي فيه الفصل، ولا شك أن ذلك من صميم اللغة مثل: (الظنونا)، جمع الظنّ مصدر سماعيّ للثلاثيّ ظنّ، من باب (نصر) وزنه فُعُول بضمّتين، وقد ثبتت الألف بعد النون في رسم المصحف؛ مراعاة للوصل[2]. وفي الفعل: (سندع) حذف حرف العلّة من الرسم بسبب قراءة الوصل[3]، والوقف والابتداء علم قرآني، وله جوانب لغوية وبلاغية[4].

المطلب الرابع: اتباع رسم المصحف:

يجب اتباعه –على أرجح الأقوال كما سيأتي– وعدم كتابة المصحف بغيره، ونقل الإمام الجعبري –رحمه الله– وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني، وأقوال العلماء في ذلك كثيرة؛ ومن ثَمَّ جعل العلماء موافقة الرسم

(١) فهد بن عبد الله الحزمي، **القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين**. (ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها)، ص. ١٠.

(٢) محمد القرطبي، **تفسير القرطبي**، تح البردوني وآخرين، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ)، ١٤٥/١٤، وابن عاشور، مرجع سابق، ١٦/ ١٥٦.

(٣) صافي، مرجع سابق، ٣٠/ ٣٧٠.

(٤) ينظر الوقف على مرسوم الخط في: أحمد بن محمد الدمياطيّ. **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** تح: أنس مهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ)، ص. ١٣٧، ويوسف بن علي الهُذَلي، **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب (القاهرة: دار سما للكتاب ط١، ١٤٢٨ هـ)، ص. ١٣٥.

أحد الأركان الثلاثة التي عليها مدار قبول القراءات[1]، ويمكن اختصار ما يتعلق بهذه المسألة في الجوانب التالية:

١- هناك جملة من الكلمات لم يذكر العلماء المتقدمون لكتابتها على تلك الصفة سببًا واضحًا مباشرًا لغويًا أو غير لغوي، ومنهم من تلمس لذلك بعض الأسباب البعيدة المتكلفة، وفي مثل ذلك يحسن التوقف، وعدم التكلف، وقد سرد جملة من ذلك صاحب تاريخ القرآن، ثم قال معقبًا: وخلاصة القول: أننا لم ندرك السر في رسم المصحف العثماني، كما لم يدركه من قبلنا من كبار الأئمة، وفحول العلماء – وسواء فهمنا ذلك أم لم نفهم فالواجب علينا اتباعه حرفًا حرفًا، وكلمة كلمة، وما وسع القرون الأولى – وهم خير القرون– يسعنا[2].

٢- بعض الكلمات القرآنية يتبع فيها الرسم العثماني في الكتابة، لا في القراءة لا وصلًا ولا وقفًا، بل ترسم ولا تقرأ، وهناك حروف محذوفة في الرسم، ولكن يجب التلفظ بها وصلًا ووقفًا[3]

٣- اعتمد العز بن عبد السلام، وابن خلدون، والباقلاني، والزركشي –رحمهم الله– من المتقدمين رأيًا شاذًا بجواز كتابة المصحف بالخط المعتاد[4]، إلا أن

(١) الزُّرْقاني، مرجع سابق، ١/ ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) الكردي، مرجع سابق، ص.١٠٥، و ص. ١٧٥.

(٣) عبد الفتاح المرصفي، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري** (المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ط٢)، ٢/ ٥٤٦، وذكر على ذلك أمثلة.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، تح: خليل شحادة وسهيل زكار (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م)،١/ ٥٢٦، ٥٢٧، وأبو محمد بن عبد الواحد الأنصاري. **تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن** (مصر: دار الحديث، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، ص. ٤٧٥.

الزركشي يرى الإبقاء على الرسم العثماني والرسم الآخر للتعليم فقط[1]، وتبعهم بعض المعاصرين، ورد عليهم العلماء قديمًا وحديثًا بما لا مجال لتفصيله في هذا البحث[2]، فالرأي الذي عليه المعول وجوبُ التزام الرسم العثماني عند كتابة المصحف[3].

(١) الزركشي، مرجع سابق، ٣٧٩/١. وقد خلط بعض الباحثين بين كلامه وكلام العز وحسبوه كلامًا واحدًا مع ظهور الاختلاف.

(٢) انظر تفصيلا مفيدا في: عبد الفتاح شلبي، **رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم** (مصر: مكتبة وهبة)، ص. ٦٣، وغانم قدوري الحمد، **رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية**، (بغداد، ط٢، ١٤٠٢هـ)، ص. ٢٠١.

(٣) ينظر: عثمان بن سعيد الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تح: محمد الصادق قمحاوي (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية)، ص.٩-١٠، والحمد، مرجع سابق، ص. ١٥٥ – ١٥٧، وقد أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر سنة ١٣٥٥ هـ فتوى بعدم جواز طبع المصحف بالإملاء الحديث. (ينظر: مجلة الأزهر مج ٧ ج ١٠ شوال ١٣٥٥ هـ).

المبحث الثاني: سيادة لغة قريش

المطلب الأول: تفسير نص عثمان بسبب اختيار لغة قريش: (نزل بها القرآن).

قال البخاري: "حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: "أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ"، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: "إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ" فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ[1].

هذا الأثر نص صريح في بيان سبب الكتابة بلغة قريش، وهو نزول القرآن بها، وقد اختلف العلماء في تأويله، وذلك لأسباب منها:

١- وجود نصوص قرآنية تبين نزول القرآن باللسان العربي عامة دون تخصيص.

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر (القاهرة: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ٦/ ١٨٣، وينظر: عبد الله الجديع، **المقدمات الأساسية في علوم القرآن** (بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م)، ص.١٥١.

٢– وجود ألفاظ وأساليب اشتمل عليها القرآن من لغات سائر قبائل العرب.

٣– وجود نصوص أخرى لعثمان نفسه، وغيره من الصحابة تنص على نزول القرآن بلسان غير لسان قريش مما تعد لغة قريش جزءًا منها(١).

ولا تعارض بين هذه النصوص ولا تنافيَ بين تلك الآراء، فأما النصوص القرآنية التي لم تخصص: فإن اشتمال القرآن على لغة قريش هو في الأعم الأغلب، وسيأتي بيانه، وقد اشتمل الكتاب العزيز على مفردات من لغات شتى مما دخل في لسان العرب، وهذا ثابت منسوب إلى ابن عباس وغيره، ولم ينف ذلك كونه في جملته عربيًا، وهذه مسألة فيها تفصيل طويل في كتب التفسير وعلوم القرآن(٢).

وأما اشتمال الكتاب العزيز على لهجات لقبائل أخرى غير قرشية فهو محمول على القليل النادر، وهي ألفاظ محدودة، وقد اعتاد أهل العلم باللغة من المفسرين واللغويين على نسبة الغامض والنادر والغريب من الألفاظ، ولا يتعرضون للواضحات؛ ومما يؤيد هذا الاتجاه رأي الواسطي المشار إليه في الإتقان أن ثلاث ألفاظ في القرآن ليست من لغة قريش (فسينغضون، ومقيتا، وفشرِّد بهم)، والباقي كله لغة قريش وعلل بأن كلام قريش سهل واضح وكلام العرب وحشي غريب(٣).

وأما النصوص التي تذكر نزول القرآن بلغات أخرى غير لغة قريش فهي على ثلاثة أنواع: النوع الأول– ما يطلق على لغة قريش اصطلاحًا؛ مثل: لغة أهل الحجاز،

(١) ورد في الأثر: لَمَّا أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَكْتُبَ الْإِمَامَ أَقْعَدَ لَهُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ: "إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي اللُّغَةِ فَاكْتُبُوهَا بِلُغَةِ مُضَرَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ مُضَرَ". السجستاني، مرجع سابق، ص. ٦٣. كذا النص ولعله أراد عثمان – رضي الله عنه–.

(٢) ينظر تفصيل مسألة: (اشتمال القرآن على شيء من الكلام الأعجمي) في: السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ٢/ ١٢٥، وإبراهيم الإبياري، **الموسوعة القرآنية** (مصر: مؤسسة سجل العرب، ط١، ١٤٠٥هـ)، ٢/١٢٠، ومحمد تقي الدين الهلالي، **ما وقع في القرآن بغير لغة العرب**، (مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثالث، ١٣٩٠هـ)، ص. ٢٠ وما بعدها.

(٣) السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ١/ ١٧٨.

أو لغة كنانة، كما سيأتي بيانه، فهذا لا يمنع كون لغة قريش هي المقصودة لا غير. والنوع الثاني– ما تدخل فيه لغة قريش ضمنًا دخول الجزء في الكل؛ مثل: لغة مضر فهذا أيضًا لا يعارض ما سبق؛ لكون لغة قريش هي المهيمنة على ما جاورها من اللغات؛ لاتحاد المكان وتقارب اللسان، والنوع الثالث– ما ورد من نزول القرآن بلغاتهم من قبائل أخرى؛ مثل: عجز هوازن(١)– وهي خمس قبائل–، أو هذيل(٢)، أو أسد(٣)، أو غيرها، فهذه لم تذكر إلا ومعها قريش، ولقريش النصيب الأكبر، وكثير من الألفاظ قد أدخلته قريش في كلامها واستصفته للغتها –كما سبق بيانه–.

وبهذا يتضح نصُّ أميرِ المؤمنين عثمان –رضي الله عنه– مع نصوص أخرى تعضده في لفظه ومعناه؛ فيكون نزول القرآن بلغة قريش حقيقة أو تغليبًا، فإن جمع المصحف وكتابته بحرف قريش؛ لأن لغة قريش كانت تعتبر مركزًا لسائر اللغات العربية، بسبب موقع البيت الحرام ببلدهم مكة المكرمة وارتحال سائر القبائل إليهم لحج البيت –والله أعلم–.

المطلب الثاني– مظاهر سيادة لغة قريش وأهل الحجاز وأسبابه:

قبل الحديث عن سيادة لهجة قريش يحسن بنا أن نبين ما يسمى بـ(اللغة

(١) وهم: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، علي بن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام هارون، (مصر: دار المعارف، ط٥)، ص.٢٦٤.

(٢) وهم: بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، المرجع السابق، ص. ٤٨٠.

(٣) بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، المرجع السابق، ص. ٤٧٩.

المشتركة) وهل هي لهجة قريش؟ الخلاف في ذلك كبير عند المتأخرين[١]، وخاصة بعض المستشرقين[٢] وليس هذا موضع بسطه وإنما نذكر الخلاصة[٣].

هناك لغة مشتركة كان العرب ينظمون بها شعرهم وخطابهم، واصطلحوا عليها بـ(اللهجة الفصحى)، و(اللهجة أو اللغة المشتركة) ويطلق عليها أحياناً (لغة قريش) التي نزل بها القرآن الكريم، ووصلنا بها الشعر الجاهلي، ولقد كان لقريش الحظ الأوفر من هذه اللغة؛ مما حدا ببعض الباحثين إلى تسميتها بالقرشية[٤]. بل لقد استقر في نفوس الأسلاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش، وأن قريشًا كانوا أفصح العرب، وأنهم مع ذلك كانوا يتخيرون من كلام الناس أحسنه وأصفاه [٥]. قال الفراء: "كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب،

(١) يرى د. طه حسين أن عربية قريش، التي نزل بها القرآن الكريم، إنما سادت قبيل الإسلام، ولم تكن سيادتها تتجاوز الحجاز. طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، (القاهرة: مطبعة فاروق، ط١، ١٣٥٢هـ)، ص. ١٠٦. ورد عليه وعلى غيره. انظر: مختار الغوث مرجع سابق، ص. ٢٣٩، وما بعدها.

(٢) كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجار (مصر: دار المعارف، ط٥)، ١/ ٤٢، وإسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية** (مصر: مطبعة الاعتماد، ط١، ١٣٤٨هـ)، ص.٢٠٧.

(٣) يرى كثير من الباحثين اللغة الفصحى هي لغة قريش؛ لأنها أفصح اللهجات العربية وأصفاها ومن أشهرهم: الفارابي في كتاب الألفاظ، وابن فارس في الصاحبي، وابن خلدون في المقدمة، وذكر ذلك السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ١/ ١٣٦، ٢١١، ويؤيدهم بعض المحدثين: ينظر: شوقي ضيف، **في تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي**، (مصر: دار المعارف، ط١، ١٩٦٠م). ص. ١٣٢.

(٤) أبو سكين، مرجع سابق، ص. ١٠٢، وما بعدها، والحمد، مرجع سابق، ٦٣.

(٥) الحمد، مرجع سابق، ص. ٦٣.

وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ"[1]؛ لذلك اصطنعت لغة قريش وحدها في الكتابة والتأليف والشعر والخطابة، فكان الشاعر من غير قريش يتحاشى خصائص لهجته، ويتجنب صفاتها الخاصة في بناء الكلمة وإخراج الحروف وتركيب الجملة، ليتحدث إلى الناس بلغة ألفوها، وتواضعوا عليها، بعد أن أسهمت عوامل كثيرة في تهذيبها وصقلها.[2]

ومن أبرز مظاهر سيادة لهجة قريش[3]:

نزول القرآن بها، وسيأتي بيانه، والآثار فيه متظاهرة؛ ومنها أثر عمر –رضي الله عنه– لما بلغه أن ابن مسعود –رضي الله عنه– قرأ "عتى حين" على لغة هذيل أنكر ذلك عليه، وقال: "أقرئ الناس بلغة قريش؛ فإن الله تعالى إنما أنزله بلغتهم، ولم ينزله بلغة هذيل"[4].

ومن لطائف ما ذكر الرافعي في التأكيد على أن الأصل نزوله بـ (لغة قريش) دون غيرها: "الأصل فيمن نزل القرآن بلغتهم، قريش. وكان طبيعيًا أن يكون القرآن بلغة قريش؛ لأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قريشي، ثم ليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها، كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وغيرها من خصائصهم؛ وقد ألف العرب أمرهم ذلك، واحتملوا عليه،

(١) السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ١/ ١٧٥، والصالح، مرجع سابق، ص. ٦٧، وأبو سكين، مرجع سابق، ص. ٣٠.

(٢) الصالح، مرجع سابق، ص. ٦٦، ٦٧.

(٣) جمع معظمها محمد الحمد. ينظر: الحمد، مرجع سابق، ص. ٦٣.

(٤) ينظر: محمد بن محمد النويري، **شرح طيبة النشر في القراءات العشرة**، تح: مجدي محمد سرور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ)، ١/ ١٤٨، وأبو الفتح ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات** (القاهرة: وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)،١/ ٣٤٢، وجلال الدين السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد الحميد هنداوي. (القاهرة: المكتبة التوفيقية)، ٤٢٥/٢.

وأفردوهم به؛ فلأن يألفوا مثله في كلام الله أولى.

وهذه حكمة بالغة في سياسة العرب وتألفهم وضم نشرهم، فإن هذا القرآن لو لم يكن بلسان قريش ما اجتمع له العرب ألبتة ولو كانت بلاغته مما يميت ويحيي"(١).

١– كتابة المصحف بها، وسيأتي إيضاحه. قال أبو داود –رحمه الله– عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة:١١)كتبوه بياء بعد القاف، وفيها لغتان: "الضم والكسر، إلا أن الخط مبني على لغة أهل الحجاز ومن وافقهم من قريش وكنانة ومن جاورهم، وهي الكسر لا غير"(٢)، وقال الشيخ نصر الهوريني :"ومعلوم أن لغة قريش أفصح اللغات، فلذا كان الكَتْبُ على لغتهم أولى، لا سيما وقد جرى عليها رسم المصحف"(٣).

٢– تقديمها غيرها، ومن ذلك:

أ– تقديم النحويين والصرفيين لها عند الاختلاف، فهم يجلون لغة أهل الحجاز ويمجدونها؛ وظهر ذلك في نصوص كثيرة، منها على سبيل المثال: ما ورد عند سيبويه: "والحجازية هي اللغة الأولى القدمى"(٤)، وقال أبو بكر بن السراج: "فصحاء العرب أهل الحجاز ومن جاورهم" (٥)، وقال أبو حيان: "واللغة الحجازية هي الفصحى فكان الكَتْبُ على لغتهم أولى"(٦).

ب – ربما عدت اللغات شاذة لمجرد مخالفتها لغة أهل الحجاز، كما عدّ الفارسي

(١) مصطفى الرافعي، **تاريخ آداب العرب** (بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت)) ٢/ ٤٣.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، ١/ ٢٣١.

(٣) نصر الهوريني، **المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ**، تح: الدكتور طه عبد المقصود (القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م) ص. ٢٦.

(٤) سيبويه، مرجع سابق، ٣/ ٢٧٨، وقال نحوه أبو الفتح بن جني، **الخصائص**، تح: محمد على النجار (مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط٤)، ١/ ٢٦١.

(٥) الحسن بن قاسم المرادي، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ)، ٢/ ١٠١٧.

(٦) السيوطي، همع الهوامع، مرجع سابق، ٦/ ٣١١.

لغة بكر بن وائل في إدغام رَدَدْنَ، وقَرَرْنَ شاذة؛ لأن أهل الحجاز اجتمعوا على خلافها[1]، واللغوي يستحسن اللغة من أجل كونها لغة أهل الحجاز ويستقبح أخرى لأنها ليست لهم، ومن ذلك قول الأخفش عن الترنم: "ولا تعجبني تلك اللغة؛ لأنها ليست لغة أهل الحجاز"[2].

ج- إذا ذكرت لغة قريش أتبعوها بعبارات الاستحسان مثل: (وبها جاء التنزيل)، (وهي الفصحى)، (وهي القدمى)[3].

د- تقديم اللغويين لها وتفضيلها: قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب... وتُقَدَّم لغة قريش، ثم أهل الحجاز[4]. ولا أدل على ذلك من قول ابن فارس في باب القول فِي أفصح العرب: عن إسماعيل بن أبي عُبَيد الله قال: أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أن قُرَيشاً أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً؛ وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمدًا –صلى الله عَلَيْهِ وسلم– فجعل قُريشًا قُطَّان حَرَمه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ... وَكَانَتْ قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إِذَا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع

(١) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، **التكملة**، تح: كاظم بحر المرجان (بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٩م)، ص. ٦.

(٢) أبو شامة، مرجع سابق، ص. ٤٨٨، وينظر: ابن جني، المحتسب، مرجع سابق،١/ ٢٥٥.

(٣) سيبويه، مرجع سابق، ٣/ ٢٧٨، وابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ١/ ٢٦١، والمرادي، مرجع سابق، ٢/ ١٠١٧، والسيوطي، همع الهوامع، مرجع سابق، ٦/ ٣١١.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، **حاشية مقدمة التفسير** (بلا ناشر، ط٢، ١٤١٠هـ)، ص. ١٤٦.

مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إِلَى نَحائزهم وسَلائقهم الَّتِي طُبعوا عَلَيْهَا. فصاروا بذلك أفصح العرب [(١)]. وقال الجاحظ بعد أن ذكر مصادر فصاحة النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ولو لم يكن ممّا عددنا من هؤلاء الأحياء إلّا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها، وكفاية عمن سواها، لأنّ قريشًا أفصح العرب لسانًا وأفضلها بيانًا، وأحضرها جوابًا، وأحسنها بديهة، وأجمعها عند الكلام قلبًا"[(٢)].

وأبو حاتم السجستاني –رحمه الله– يفضل لغة قريش على ما سواها، بل يقيس الفصاحة في القبائل بنسبة قربها منها، والمقصود الدنو المكاني فهو أقوى آصرة في تقارب اللغات[(٣)].

هـ– تقديم عامة العرب لها وعدهم لها أفصح اللغات: قال معاوية –رضي الله عنه– يومًا: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير، قال: من هم؟ قال: قريش، قال: ممن أنت؟ قال: من جرم [(٤)]. ونقل السيوطي نحوًا من ذلك في المزهر لأئمة اللغة[(٥)].

وقد جعلتها العوامل السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية اللغة العربية

---

(١) محمد صديق خان القِنَّوجي، **البلغة إلى أصول اللغة**، تح: سهاد حمدان أحمد السامرائي، (العراق: رسالة جامعية في جامعة تكريت)، ص. ٩٧.

(٢) عمرو الجاحظ، **الرسائل الأدبية**، تح: علي أبو ملحم، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٤٢٣هـ)، ص. ٣٠٦.

(٣)ابن خلدون، مرجع سابق، ١/ ٤٠٩.

(٤) عمرو الجاحظ، **البيان والتبيين**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٤٢٣هـ)، ص. ٤٩١– ٤٩٢.

(٥) السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ١/ ١٦٧، وعبد الغفار هلال، **اللهجات العربية نشأة وتطورا** (مصر: مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٤هـ)، ص. ١١٦، وما بعدها، وص. ٢٩١.

الفصحى المقصودة عند الإطلاق، باعتراف من جميع القبائل، وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها، كانت أغزرها مادةً، وأروقها أسلوبًا، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة.

و- كونها لغة النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- ولغة قومه.

وهذا يعد سببًا لسيادة لغة قريش كما يعد مظهرًا أيضًا، ولكونه سببًا معنويًا اعتباريًا دينيًا وليس سببًا لغويا؛ فقد عددته في ضمن المظاهر، وفي هذا الباب يقول الجاحظ: "ثم إن الكلام الذي هو برهان على شرائع الأنبياء، وشرحها، وقربها من أفهام الناس، وهو الصيغة التي يعبر بها المؤمن بشهادة الإيمان، وعلى الكلام البليغ قامت معجزة القرآن، وكان النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أفصح العرب وأبلغهم بيانًا، رغم اتصاف العرب بالبيان ولا سيما قريش قبيلة الرسول -صلى الله عليه وسلم-"(١).

وقال السيوطي: "أفصحُ الخَلْق على الإطلاق سيدُنا ومولانا رسول -الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ مَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ" وَفُسِّرَ هَذَا: مِنْ أَجْلِ أَنِّي (٢)؛ ولهذا تعجب الفاروق من شأنه وقال له: مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال: كانت لغة إسماعيل قد درست، أي متممات فصاحتها فجاءني بها جبرائيل فحفظتها(٣).

وروى البَيْهَقي في شعب الإيمان: "أن رجلا قال: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَفْصَحَكَ مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَعْرَبَ مِنْكَ، قَالَ: " حُقَّ لِي وَإِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ بِلِسَانٍ

(١) الجاحظ، **الرسائل الأدبية**، مرجع سابق، ص. ٥٦.

(٢) الحسين البغوي، **شرح السنة**، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير، (دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ) ٤/ ٢٠٢.

(٣) محمد المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (مصر: المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ)، ٥/ ٨١.

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"[1]، وقال الخطابي: اعلم أن اللهَ لما وضعَ رسوله –صلى الله عليه وسلم– موضع البلاغ من وَحْيه ونَصَبه مَنْصِب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربَها ومن الألْسُن أفصحَها وأبينَها ثم أمدَّه بجوامع الكَلم"[2].

(١) أحمد البيهقي، **شعب الإيمان**، تح: عبد العلي حامد، ومختار الندوي، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ)، ٣/ ٣٣.

(٢) السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ١/ ١٦٥، وابن فارس، مرجع سابق، ص.٣٢.

المبحث الثالث: تقديم لغة قريش في رسم المصحف وأسباب ذلك

المطلب الأول– نسبة ما حواه الرسم العثماني من لغة قريش وغيرها:

اللغات الواردة في القرآن كثيرة، منها ما ثبتت نسبته ومنها ما لم يثبت، وهي مبثوثة في كتب التفسير ومعاني القرآن، والقراءات وتوجيهها، وعلوم القرآن، وأفردت كتب في لغات القرآن، وتعد المصدر لمعرفة نسبة لغة قريش إلى غيرها، وتقتضي الدراسة في هذا البحث أن تكون نسبة لغة قريش غالبة –على الأقل– إلا أن الدكتور مختار الغوث ، توصل – معتمدا على كتابين: أحدهما منسوب إلى ابن عباس والآخر منسوب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام– إلى أن نسبة لغة قريش إلى سائر اللغات تساوي الثلث، وهذه نسبة قليلة تناقض ما تقرر بأن القرآن نزل بلغة قريش، وقد اعترض الغوث على هذه النسبة ونقضها بالتشكيك في الكتابين ووجود خلط فيهما وأن مادتهما واحدة إلى غير ذلك من الإيرادات،[1] . وبعد اطلاعي على كتاب أبي عبيد، والكتاب المنسوب إلى ابن عباس بالسند المتصل من المؤلف عبد الله بن حسنون، وجدت بينهما فرقًا واضحًا، مع اتفاق في كثير من الألفاظ، وهذا طبعي، لأن الموضوع واحد، وما أورد من أدلة تشكك في نسبة كتاب ابن عباس لا يمنع أن يكون بعض ما في الكتاب من زيادات الراوي وتوضيحاته، وهذا سائغ في مؤلفات المتقدمين، ثم اطلعت على كتاب ثالث في لغات القرآن[2] وتوصلت إلى أن هذه النسبة للغة قريش لا تناقض صحة نزول القرآن بلغتها، ثم كتابته بلسانها، لأسباب منها:

١– لا يمنع نسبة الألفاظ إلى غير قريش وجودها في لغتهم فقد تكون ضمن اللغة المشتركة، أو ضمن ما اكتسبته قريش وأضافته إلى قاموسها اللغوي، واستعملته في كلامها قبل نزول القرآن، والكلام ينسب إلى من استعمله

(١) الغوث، مرجع سابق، ص ٢٣٧، وما بعدها.

(٢) (كتاب فيه لغات القرآن للفراء المتوفى: ٢٠٧هـ).

وتحدث به، وليس ملكا لأول من تكلم به.

٢- من خلال الكتابين وغيرهما يتضح أن لغة كنانة وهذيل تشكلان نسبة كبيرة من المفردات؛ فأما لغة كنانة فهي قريبة جدًا من لغة قريش، وأما هذيل فهي من قبائل الحجاز التي تعد لغةُ قريش أساسًا لها –مع انفراد هذيل ببعض الخصائص– فإذا ما وسّعنا دائرة المسمى؛ فيصبح ما بقي من غير لغة قريش قليلًا موزعًا بين القبائل، وقد أشرت إلى كون القرآن بلغة قريش مبنيًا على الأعم الأغلب.

٣– إنما عني اللغويون ببيان غريب المعاني وبعيدها، وحوشي الألفاظ ونادرها، وقد تميزت لغة قريش بسهولة أساليبها، وسلاسة ألفاظها، وقرب معانيها، ولا شك أن نسبة هذه الألفاظ إلى غيرها من بقية ألفاظ القرآن الواضحات وأساليبه وحروفه لا يشكل نسبة تذكر، فهي مجموعة ألفاظ محدودة جدًا.

٤– الكلمات كتبت بلغة قريش وهي تحمل المعاني الكثيرة، منها: المعنى بلغة قريش، ومنها: معان لغيرها من القبائل، فلو نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ (الكهف:١١٠) يعني: يخاف بلغة هذيل. فلا يمنع أن يكون معنى الرجاء مرادًا، ومعنى الخوف محتملًا؛ فلا نقول والحالة هذه إن اللفظة ليست لقريش وكذلك المعنى.

٥– اختلاف اللغات في الأداء الصوتي؛ كتحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والتقليل[1] ونحو ذلك، فهذا مما تحتمله الصورة الكتابية للحروف، وقد بقي من الأحرف السبعة ما احتمله الرسم الذي أجمع عليه الصحابة؛ تحقيقًا لهدف التوسعة والتسهيل، وهو مكتوب بلغة قريش، وقد يحتمل غيرها، فالرسم على ذلك بلغة قرشية.

٦- ما ذكرته كتب اللغات في القرآن الكريم لم يكتف بلغات قبائل العرب، بل

(١) قال الهذلي: "وما مِن أحد من القراء إلا ورويت عنه الإمالة قَلَّتْ أو كَثُرتْ ولم يعفها أحد منهم". مرجع سابق، ص. ٣١٠.

أضافت إلى ذلك لغات الأمم الأخرى؛ من النبط، والفرس، والروم، والحبشة، وغيرها، ولغات بعض القبائل البائدة؛ كلغة جرهم، ومدين، وعاد، والعماليق، ولا شك أن هذا ينقص من قدر ما خرج عن لغة قريش، كما أن وجود الألفاظ الأعجمية المحدودة لا يمنع من كون القرآن بلسان عربي مبين.

وبهذا يتضح أن الكتاب العزيز نزل وكتب بلغة قريش، وأن ألفاظه قرشية أصالة أو افتراضًا، وما وجد فيه من لغات سائر لغات القبائل والأمم لا ينفي هذه الحقيقة –والله أعلم–.

المطلب الثاني– تهيئة لغة قريش لرسم القرآن:

ذكر العلماء جملة من الأسباب تضافرت لتكون سببًا قويًا لسيادة لهجة قريش وتأهيلها لسانًا منطوقًا مهيئًا لنزول القرآن وتلاوته بها؛ ثم اختيارها بناء على ذلك وغيره لهذا الشرف العظيم؛ لتكون اللسان المكتوب للكتاب العزيز؛ وبذلك نعلم أن تلك المقومات الأساسية هي ما سبق نزول القرآن، وأما الأحداث اللاحقة فكان لها جانبان: جانب إثرائي إيجابي[(١)]، وجانب آخر سلبي[(٢)] كما سيأتي.

فمن الأسباب اللغوية السابقة لنزول القرآن [(٣)]:

١– ما اكتسبته قريش من الألفاظ والأساليب من خلال المكانة الدينية لها؛ فهي تقطن مكة، والعرب يحجون البيت الحرام، ويعترفون لها بالنفوذ الديني، مما جعل العرب قاطبة: باديتها وحاضرتها وأعرابها، وفصحاءها وشعراءها يُستقبَلون في مكة وتتنافس بطون قريش في الوفادة والرفادة والسقاية؛

(١) وهو ما استجد من الألفاظ والمعاني الإسلامية، والرفعة والمكانة للغة قريش بعد نزول القرآن وكتابته بها.

(٢) وهو ما حدث للحواضر الإسلامية بعد دخول الأمم غير العربية في الإسلام من تغير في اللغة وضعف في السليقة اللغوية وفشو اللحن وفساد في اللسان.

(٣) الحمد، مرجع سابق، ص. ٦٤ – ٦٧.

ويتفاخرون بذلك أمام العرب، وهذا الاختلاط والتلاقح الفكري لا بد أن يظهر أثره في بناء لسان أهل مكة وإثراء لغتها [١].

٢- ما اكتسبته من لغة الشعراء والخطباء والفصحاء في الأسواق التجارية، في ضواحيها، مثل: سوق مجنة[٢]، وذي المجاز[٣]، والأسواق الأبعد التي تشارك فيها قريش مثل: سوق عكاظ[٤]، وحُبَاشَة[٥]، وغيرها، والتي كانت أسواقا تجارية، ومنتديات أدبية وميادين لضرب الأمثال، والخطابة وتبادل الحكم؛ إذ يفدون عليهم في موسم الحج، ويقيمون في سوق عكاظ ثلاثين يومًا، وفي مجنة سبعة أيام يتناشدون ما وضعوه من الشعر، ويتفاخرون بجودة صنعة الكلام.

٣- كانت رحلتا الشتاء والصيف –إضافة إلى كونهما تمثلان قوة اقتصادية ومكانة تجارية لقريش– تمثلان رافدًا لغويًا لا يستهان به، فالقوافل التجارية تضرب في البلاد العربية شمالًا إلى بلاد الشام، وجنوبًا إلى بلاد اليمن تمر خلالها بالقبائل العربية المختلفة ويظهر أثر ذلك في لغتهم.

٤- كانت قريش مرجعًا للتحكيم الأدبي؛ إما في مقرها مكة، أو في أسواقها

(١) أبو سكين، مرجع سابق، ص. ١٠٤.

(٢) هو بلدة بحرة اليوم، انظر: عاتق البلادي، **معالم مكة التأريخية والأثرية**، (مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٠هـ)، ص. ٢٩، وكانت العرب تقيم بسوق مجنّة عشرين يوما من ذي القعدة، انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ٤/ ١٤٢.

(٣) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام. انظر: المرجع نفسه، ٥/ ٥٥.

(٤) عكاظ ما بين نخلة والطائف الى بلد يقال له: لفتق كانت سوقه تقام هلال ذي القعدة فلا تزال قائمة عشرين يوماً. انظر: عمر الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه** تح: أحمد عبد التواب، (القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٩م)، ص. ٢١٩.

(٥) حباشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية، تاجر فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– بأموال خديجة –رضي الله عنها–. انظر: الحموي، مرجع سابق، ٢/ ٢١٠.

المشار إليها، فكانت العرب تعرض نتاجها الفني على قريش؛ فما قبلوه كان مقبولاً، وما ردوه كان مردوداً، ومن ذلك ما سطره التاريخ لعلقمة الفحل حيث قدم عليهم علقمة بن عَبَدَة التميمي فأنشدهم قصيدته:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذه سمط الدهر أي: قلادته، ثم عاد من العام المقبل، فأنشدهم قصيدته:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب ... بُعيد الشبابِ عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمطا الدهر [(١)].

وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته (النابغة الذبياني) ويعرضون عليه منتخبات أشعارهم [(٢)].

٥- موقع قريش البعيد عن الأطراف الأعجمية؛ كالحبشة، والهند، والقبط، وغيرهم، وبعدهم عن الصراع السياسي بين دولتي فارس والروم؛ فقد عاشوا أمانًا واستقلالًا وحرية حفظت عليهم لغتهم، وحفظت لهم مكانتهم بين العرب، وانعكس ذلك على صفاء لسانهم، ونقاء لغتهم [(٣)].

٦- كانت أيام العرب الدائرة بين القبائل حول مكة، وربما شاركت قريش في بعضها ميدانا للتفاخر، وعد المآثر، والاستنهاض للثأر، والهجاء، وذكر المثالب شعرًا ونثرًا، بل إن الشعر والبيان والبلاغة في الحروب دعامة أساسية، وكان جميع ما يقال في هذه الحروب مؤلفًا بلغة قريش؛ وغنيٌّ عن البيان ما كان لذلك من أثر في نهضة هذه اللغة، وتجويدها، واتساع نطاقها.

---

(١) الرافعي، مرجع سابق، ٣/ ١٢٣.

(٢) انظر: علي عبد الواحد وافي، **فقه اللغة** (مصر: دار نهضة مصر. ط٣، ٢٠٠٤م) ص. ٩١ - ٩٣، وضيف، مرجع سابق، ص١٣١-١٣٣.

(٣) قال ابن خلدون: "كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم". مرجع سابق، ٤٠٩/١، وباشا، مرجع سابق، ص. ٦٤.

٧- كانت لغة قريش خالية مما يستقبح من لغات العرب كما سبق وتمتعت بالثراء اللفظي، والتنوع الأسلوبي.

٨- من الأسباب اللغوية الواضحة: قضية الاسترضاع في البوادي ومواطن الفصاحة، وهي عادة كانت لأشراف مكة، فكانوا يرسلون أولادهم الصغار إلى البادية؛ لتصح أبدانهم، وتنفتق ألسنتهم باللغة، وتتربى أجسادهم على الشدة، وعقولهم على النباهة والذكاء، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسترضعا في بني سعد، وسعد من بَين قبائل الْعَرَب مَخْصُوصَة بالفصاحة وَحسن الْبَيَان وظئرة حليمة السعدية هي الَّتِي تسلمته من عبد الْمطلب، فَحَملته إِلَى الْمَدِينَة، فَكَانَت ترْضِعه وتحسن تَرْبِيَته، وَلما ردته إِلَى مَكَّة نظر إِلَيْهِ عبد الْمطلب، وَقد نما نمو الْهلَال، وَهُوَ يتَكَلَّم بفصاحة فَامْتَلَأَ سُرُورًا، وَقَالَ: جمال قُرَيْش، وفصاحة سعد، وحلاوة يثرب[1]، واستمرت تلك العادة لدى أشراف قريش إلى العصر الأموي، ويماثل هذا التصرف أو يقاربه ما يسمى في العصر الحديث بـ(الانغماس اللغوي)، وهو وضع المتعلم للغة في بيئة مخصوصة يتعلم من خلال المعايشة والمخالطة لغة المجتمع الجديد.

٩- من روافد لغة قريش، وعوامل ثرائها اللفظي والمعنوي: قضية المصاهرة بين أفراد قبيلة قريش وسائر قبائل العرب، فيذكر أهل النسب أن قريشًا كانت تصاهر سادة العرب؛ مما أكسبها علوًا في الحسب والنسب، ونجابة في الذرية، إضافة إلى أن أبناءهم قد اكتسبوا من أمهاتهم وأخوالهم ما يكتسبون من اللغة مع لغتهم.

---

(١) عمر الزمخشري، **ربيع الأبرار** (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ)، ٥/ ٢٠١، ومما يدل على تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بلغة بني سعد ما حدث به أبو الرماح صفوان بن غساك أنه سمع رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقرأ: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، فقيل لرسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – أتميل وليس هي لغة قريش قال: هي لغة الأخوال، يعني بني سعد. السيوطي، الإتقان، مرجع سابق،١/ ١٨٣، والهذلي، مرجع سابق، ص. ٣١٠.

كل هذه الأسباب أدت إلى تهيئتها للاختيار الإلهي والتكريم الرباني لنزول القرآن بها؛ فكان ذلك لقريش ولغتها شرفا ورفعة، وربط بعض العلماء بين هذا الاختيار وبين دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨)، وهذا كله قبل نزول القرآن.

وأما الأسباب والمقومات التي اكتسبتها بعد نزول القرآن: فقد اكتسبت لغة قريش خاصة والعربية عامة ألفاظا ودلالات إسلامية جديدة، زادت في ثرائها اللفظي، وهذا تأثير إيجابي ملحوظ.

وفي عهد الصحابة –رضي الله عنهم– كانت لغة قريش مرجعا في تقويم القراءة؛ فإن من قواعد نقد القراءة عندهم مخالفة القراء للغة قريش، تقرر ذلك من خلال جملة من النصوص جمعها أحد الباحثين[1]

وأما التأثير اللغوي من جانب آخر ما منيت به العربية في عمومها من أزمة عامة، ومنها لغة قريش، فإنه وبعد اتساع الرقعة الإسلامية أصبحت مكة مجمعًا للمسلمين من شتى الأمم واللغات الأعجمية، والتي أثرت على نقاء اللغة القرشية في مكة وصفائها حالها في ذلك كحال بقية الحواضر الإسلامية، ثم كان لأولئك الأعاجم دورا رائدا في حماية العربية وحفظها.

مسألة: لماذا لم تكن لغة قريش والحجاز ضمن القبائل التي اعتمد عليها جماع اللغة بعد ذلك مع ما ذكرنا من المقومات؟

والجواب: أن هذه المسألة قد أحدثت إشكالاً لدى المتأخرين، واحتج بها المستشرقون على كون لغة قريش ليست هي الفصحى العالية، وليس الأمر كما زعموا والأدلة التي وردت في البحث تشهد بخلاف ذلك، وإنما صارت مكة والمدينة بعد

(١)سيسي عبد الباقي **قواعد نقد القراءات القرآنية**، (الرياض– كنوز إشبيليا ط١ ١٤٣٠هـ)

الإسلام موطنا لقاصدي البيت الحرام والمجاورين من المسلمين من سائر الأمم التي دخلت في الإسلام منذ نهاية الربع الأول من القرن الهجري الأول، وعلى تعاقب السنين بدأت تنحرف اللغة ويتغير اللسان، وهذا الأمر كان واضحا لدى العلماء المتقدمين من اللغويين الذين لم يبدؤوا في جمع اللغة إلا في بداية القرن الثاني الهجري، فبين دخول أمم العجم في الإسلام وخروج الرواة بمحابرهم يسجلون اللغة ما يقارب قرنا من الزمان، وذلك كفيل بالعدول عن الأخذ من لسانهم وقد نص الفارابي في نهاية سرده للقبائل التي لم تؤخذ منها اللغة مبينا الأسباب قال: "... ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم "[(١)]، إلا أن لغة قريش ظلت محتفظة بسيادتها ومكانتها؛ وكيف لا تكون كذلك وقد كتب بها المصحف، وقرئ بها القرآن، ودونت بها السنة[(٢)]، وحفظت بها الأشعار[(٣)]، وألفت بها دواوين الإسلام[(٤)]، وسارت بها الركبان[(٥)]، وكانت هي المقدمة في اللغة والنحو والصرف والقراءات، ولمكانة لغة قريش بعد الإسلام سمى أحد الباحثين هذا العصر "طورها الأعلى وعصر شبابها"[(٦)].

(١) السيوطي، المزهر، مرجع سابق، ١/ ٢١١.

(٢) فالسنة لغة النبي القرشي – صلى الله عليه وسلم –.

(٣) لكون الأشعار ترجع في معظمها إلى اللغة الأدبية العالية المشتركة، وركيزتها لغة قريش.

(٤) لانتشار ألفاظها وسيرورة أساليبها وسهولتها، وابتعاد العرب عن مستنكر اللغات.

(٥) قال الزرقاني: "... إن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي قريش وهذيل وكنانة.....ولا يغيبن عن بالك أن هذه اللغات كلها تمثلت في لغة قريش باعتبار أن لغة قريش كانت المتزعمة لها والمهيمنة عليها والآخذة منها ما تشاء مما يحلو لها ويرق في ذوقها ثم يأخذه الجميع عنها حتى صح أن يعتبر لسان قريش هو اللسان العربي العام وبه نزل القرآن على ما سبق بيانه ". الزُّرْقاني، مرجع سابق، ١/ ١٨١.

(٦) الحمد، مرجع سابق، ص. ٦٦.

المطلب الثالث– عمل اللجنة (زيد بن ثابت والقرشيين) واعتمادهم لغة قريش[1]:

كان عمل اللجنة الرباعية المشكلة بأمر من أمير المؤمنين عثمان بن عفان استجابة لتنبيهات الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، خشية افتراق الأمة على كتاب الله، وأعضاء اللجنة هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام –رضي الله عنهم–، ووضع لهم سيدنا عثمان منهجا دقيقا يقوم على بنود محددة، وهي:

١- الاعتماد على الجمع البكري (الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه–) بإحضار الصحف التي أودعت عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنها – [2].

٢- أشركت اللجنة الناس في الجمع، فندبوهم إلى إحضار ما عندهم، لئلا يرتاب مرتاب فيما أودع في المصحف الإمام.

٣- رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك؛ يدل على هذا ما ورد في البخاري أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة) قال: قلت لعثمان –رضي الله عنهم–: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ (البقرة: ٢٤٠)، قد نسختها الأخرى، قلت: فلِمَ

(١) في حديث أنس بن مالك في الصحيح: "... فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. ينظر: البخاري، مرجع سابق، ٦/ ١٨٣.

(٢) الداني، مرجع سابق، ص. ١٤. وابن الجزري، النشر، مرجع سابق، ١/ ٧، والمارغني، مرجع سابق، ص: ٤٠، والزُّرْقاني، مرجع سابق، ١/ ٢٦٠.

تَكْتُبُها؟ أَوَ تَدَعُها؟ قال: "يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه"[1].

٤- كانوا إذا اختلفوا في قراءة آية، يرسلون إلى من سمعها من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– فيسألونه: كيف أقرأك رسول الله هذه الآية؟ فيضبطونها وفق القراءة أو القراءات الثابتة.

٥- عند اختلاف الكتبة يقتصرون على لغة قريش، والمقصود بالاختلاف هنا من حيث الرسم والكتابة، لا من حيث الألفاظ والكلمات، ويدل عليه قوله "فاكتبوه" فيكون المعنى: إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها.

٦- إشراف عثمان بن عفان – رضي الله عنه – المباشر على الجمع، حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام. أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال: "وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه"[2].

٧- أن الكتابة تمت بشكل يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة وبدون تكرار الكلمات، واتفقوا على رسم الكلمات التي بها عدة أوجه بطريقة محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط.[3]

٨- إن كان الرسم الواحد لا يفي بالقراءتين كتب في مصحف برسم وفي آخر برسم آخر.

٩- منع في هذا الجمع ما منع في الجمع الأول فلم يكتب فيه ما لم يكن في العرضة الأخيرة، ولا ما روي آحاداً.

١٠– رتبت سوره وآياته وفق ترتيبها في المصحف البكري حسب ما تلقوه عن رسول

(١) البخاري، مرجع سابق، ٥/ ١٦٣.

(٢) السجستاني، مرجع سابق، ص. ٢٥.

(٣) ابن الجزري، منجد المقرئين، مرجع سابق، ص. ٢٣.

الله –صلّى الله عليه وسلّم–.[1]

مسألة: يرى بعض العلماء أنه لم يوجد خلاف بين زيد والقرشيين إلا في كلمة واحدة، واستنتج من ذلك اتحاد اللغتين بحكم المجاورة، وهذا الاتحاد التام لا يتأتى عند النظر؛ فقد وجد الخلاف على ما ذكر[2] وكان زيد يرجع إلى قولهم إلا في كلمة التابوت فقد أصر على كتابتها بالهاء على لغة أهل اليمن، فلما رفعوا ذلك إلى عثمان أمرهم بكتابتها بالتاء على لغة قريش فأثبتوا بالتاء، وأما اتحاد اللغة القرشية مع القحطانية؛ في المدينة فاللغتان عربيتان وبينهما اتفاق كبير في الجملة ولم تكن متحدة اتحادا تاما؛ ولو كانت متحدة لما كان لقول عثمان اكتبوه بلغة قريش فائدة، وكانت اللغة المشتركة هي المهيمنة، وهي لغة قريش.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

(١) ابن الجزري، النشر، مرجع سابق، ١/ ٣١، وانظر: الداني، مرجع سابق ص. ١٥٣.

(٢) ذكر الداني: "قال زيد فجعلنا نختلف في الشيء ثم نجمع امرنا على رأي واحد". مرجع سابق، ص. ١٤، وهذا يدل على وجود اختلافات كثيرة وليست كلمة واحدة.

الخاتمة

النتائج:

١– العلاقة الوثيقة بين الرسم العثماني واللغة، ولا يمنع كونه توقيفيا من وجود مجالات واسعة للدراسات اللغوية بمستوياتها الأربعة.

٢– التفسير الواضح لقول عثمان –رضي الله عنه– بأن القرآن نزل بلغة قريش، وأن المراد اللغة المشتركة التي أساسها قريش، وما نسب إلى القبائل الأخرى فغالبه راجع إليها.

٣– بيان وتحرير اللغة المشتركة رغم حداثة المصطلح إلا أنه يرادفه عند المتقدمين لغة قريش، وإن كانت الآراء تحتاج مزيدا من المناقشة الموضوعية.

٤– لم يكن نزول القرآن بلغة قريش السبب الوحيد الذي رشحها لكتابة خط المصحف بها، بل هناك أسباب سابقة، ومقومات وروافد لغوية جعلت من لغة قريش مؤهلة لنزول القرآن، ومن ثم كتابة المصحف بها.

٥– اللغة القرشية (لغة المهاجرين) تختلف عن اللغة القحطانية (لغة الأنصار)، وليستا واحدة، وليس الفرق فقط في كلمة (التابوت) كما ذكر بعض الباحثين، بل هذه الكلمة التي أصر عليها زيد دون غيرها حتى فصل بينهم عثمان، والمعايشة بضع عشرة سنة لا تكفي لذوبان القحطانية، ولكنها أحدثت تقاربا.

٦– كتب لغات القرآن لم تستوف جميع الألفاظ والأساليب والأداء والمعاني وإنما اقتصرت على بعض الغريب من الألفاظ، ولو تتبعت كاملة بجوانبها لاستبان أن لغة قريش هي النسبة الأعلى.

٧– الألفاظ الواضحة والمعاني المشتركة وما أدخلته قريش في قاموسها اللغوي لو حسبت لقريش لم يبق لغيرها في ألفاظ القرآن ومعانيه إلا ما يقتضيه الاشتراك بينها.

التوصيات:

١– أن يدرس الرسم العثماني وتعليلاته دراسة نحوية وصرفية وصوتية.

٢– أن تدرس اللطائف اللغوية التي تفسر بها بعض الظواهر الكتابية التي لا يظهر لها أثر في النطق، ودراستها دراسة لغوية [(١)].

٣– دراسة ومناقشة الآراء في اللغة المشتركة وعلاقتها بلغة قريش والحجاز وتحرير مواضع النزاع؛ لأن كثيرا من الدراسات تتهم سواها ممن يخالفها بالاضطراب والتناقض، وهذه المسألة تحتاج مناقشة علمية موضوعية.

(١) مثل قوله تعالى: "وجايء بالنبيين والشهداء" في سورة الزمر، وقوله تعالى: "وجايء يومئذ بجهنم" في سورة الفجر، رسمتا بزيادة الألف "وجايء" للتفخيم والتهويل والوعيد والتهديد، وأنه مجيء على غير ما يعهد البشر، فجاء الرسم على غير ما يعهدون، وزيادة الياء في قوله تعالى: "بأييكم المفتون" أي المجنون، فزيدت الياء في "بأييكم" للإشارة إلى أن جنون المشركين بلغ الغاية وتجاوز الحد، زيادة الألف في قوله تعالى: "تالله تفتؤا تذكر يوسف" رسمت الهمزة على واو وزيد بعدها ألف، للدلالة على أن يعقوب –عليه السلام– كان يكثر من ذكر يوسف –عليه السلام، وزيادة الألف في قوله تعالى: "وأنك لا تظمؤا فيها"، رسمت الهمزة على واو وبعدها ألف، للدلالة على استمرار الري لمن كان في الجنة وعدم الظمأ، وزيادة الألف بعد الفعل المعتل الآخر في قوله تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير". فقد زيدت الألف بعد الفعل "يعفوا" للإشارة إلى كثرة عفو الله تعالى واستمراره.

المصادر والمراجع

ابن الجزري، محمد. النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع. القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى.

ابن الجزري، محمد. منجد المقرئين ومرشد الطالبين. القاهرة: ط١. ١٤٢٠هـ

ابن الجوزي، عبد الرحمن. غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م.

ابن جني، أبو الفتح. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات. القاهرة: وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ابن جني، أبو الفتح. الخصائص، تح: محمد على النجار. مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط٤.

ابن حسنون، عبد الله بن الحسين. اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد. القاهرة: مطبعة الرسالة، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م

ابن خالويه، الحسين بن أحمد. ليس في كلام العرب، تح: أحمد عبد الغفور عطار. مكة المكرمة. ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة وسهيل زكار. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني. بيروت: دار الرسالة.

ابن سلام، أبو عبيد. لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم. ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ابن فارس، أحمد. الصاحبي في فقه اللغة العربية. بيروت: منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ابن قاسم الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد. حاشية مقدمة التفسير. بلا ناشر، ط ٢ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. فضائل القرآن. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ط١، ١٤١٦هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

أبو داود، سليمان بن نجاح. مختصر التبيين لهجاء التنزيل. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

أبو سكين، إبراهيم. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة. (د. ن، د.ت).

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوة عوض. مصر: مطبعة الحلبي، ط١ (د. ت).

إسماعيل، شعبان محمد. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة. مصر: دار السلام للطباعة والنشر، ط٢.

إسماعيل، محمد بكر. دراسات في علوم القرآن. القاهرة: دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

الإبياري، إبراهيم بن إسماعيل. الموسوعة القرآنية. مصر: مؤسسة سجل العرب، ط١، ١٤٠٥هـ.

الألوسي، محمود بن عبد الله. روح المعاني. تح: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

الأنباري، محمد بن القاسم. المذكر والمؤنث، تح: محمد عبد الخالق عضيمة. مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٧هـ.

الأنصاري، أبو محمد بن عبد الواحد. تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمآن "مطبوع ضمن كتاب دليل الحيران على مورد الظمآن". مصر: دار الحديث، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

الأهوازي، علي بن إبراهيم. الوجيز في شرح قراءات القَرَأَة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، تح: دريد حسن أحمد. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر. القاهرة: دار طوق النجاة. ط١، ١٤٢٢هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير. دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

البلادي، عاتق بن غيث. معالم مكة التأريخية والأثرية. مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٠هـ.

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى. جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي. بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تح: عبد العلي حامد، ومختار الندوي. الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م.

الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٤٢٣هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر. الرسائل الأدبية، تح: علي أبو ملحم. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٤٢٣هـ.

الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدمات الأساسية في علوم القرآن. بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية ليدز، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الحزمي، فهد بن عبد الله. القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين. ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها.

الحسيني، الحسين بن حيدر. جمهرة أنساب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم وهو (ديوان الأمهات). السعودية: دار البخاري، ط١، ١٤١٨هـ.

الحمد، غانم قدوري. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية. بغداد، ط١، ١٤٠٢هـ.
الحمد، محمد إبراهيم. فقه اللغة (مفهومه – موضوعاته – قضاياه) ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها.
الحموي، ياقوت بن عبد الله. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م.
الخفاجي، شهاب الدين. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي. بيروت: دار صادر.
الداني، عثمان بن سعيد. المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن. سورية: دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ.
الداني، عثمان بن سعيد. المقنع في رسم مصاحف الأمصار. تح: محمد الصادق قمحاوي. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
الداني، عثمان بن سعيد. جامع البيان في القراءات السبع. الإمارات: جامعة الشارقة، ط٢، ١٤٢٨ هـ.
الدمياطيّ، أحمد بن محمد. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تح: أنس مهرة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.
الرافعي، مصطفى. تاريخ آداب العرب. بيروت: دار الكتاب العربي (د.ت)
الزبيري، مصعب بن عبد الله. نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال. القاهرة: دار المعارف، ط٢.
الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: عيسى البابلي الحلبي، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م
الزمخشري، محمود بن عمر. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ.
الزمخشري، محمود بن عمر، الجبال والأمكنة والمياه، تح: أحمد عبد التواب. القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٩م.

السجستاني، أبو بكر بن أبي داود. كتاب المصاحف، تح: محمد بن عبده. القاهرة: الفاروق الحديثة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٧٤م.

السيوطي، جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي. القاهرة: المكتبة التوفيقية.

الشوشاوي، حسين بن علي. تنبيه العطشان على مورد الظمآن في الرسم القرآني، تح: محمد سالم حرشة. (ضمن المكبة الشاملة وبترقيمها).

الصالح، صبحي. دراسات في فقه اللغة. بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ٢٠٠٩م.

الصُحاري، سلمية بن مسلم. الإبانة في اللغة العربية، تح: عبد الكريم خليفة وآخرين. سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

الطبلاوي، منصور. الشمعة المضية بنشر قراءات السبع المرضية، تح: علي سيد أحمد جعفر. الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ.

العيساوي، يوسف بن خلف. رد البهتان عن إعراب آيات من القرآن الكريم. الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد. التكملة، تح: كاظم بحر المرجان. بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٩م.

الفراء، يحيى بن زياد. كتاب فيه لغات القرآن، تح: جابر بن عبد الله السريع. نشر على الشبكة العالمية. ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

القرطبي، محمد، تفسير القرطبي، تح البردوني وآخرين، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م

القِنَّوجي، محمد صديق خان. البلغة إلى أصول اللغة، تح: سهاد حمدان أحمد

السامرائي. العراق: رسالة جامعية في جامعة تكريت.
الكردي، محمد بن طاهر. تاريخ القرآن الكريم. مكة: مطبعة مصطفى محمد يغمور عن الطبعة الأولى بمطبعة الفتح بجدة ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦م.
المارغني، إبراهيم بن أحمد. دليل الحيران على مورد الظمآن. القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦هـ.
المرادي، الحسن بن قاسم. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م
المرصفي، عبد الفتاح. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ط٢.
المناوي، زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر: المكتبة التجارية، ط١، ١٣٥٦هـ.
النويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشرة، تح: مجدي محمد سرور. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.
النيربابي، عبد البديع. الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. دمشق: دار الغوثاني، ط١، ١٤٢٧هـ.
الهُذَلي، يوسف بن علي بن جبارة. الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب. القاهرة: دار سما للكتاب ط١، ١٤٢٨هـ.
الهروي، محمد بن علي. كتاب إسفار الفصيح. (ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها).
الهلالي، محمد تقي الدين. ما وقع في القرآن بغير لغة العرب، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثالث، ١٣٩٠هـ.
الهوريني، نصر. المِطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ، تح: طه عبد المقصود، القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٦ هـ.

الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن. الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٥هـ.

أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية. القاهرة: الأنجلو المصرية، ط٢. ٢٠٠٣م.

باشا، عمر موسى، اللغة العربية بين الأصالة والإعجاز والحداثة، (ضمن المكتبة الشاملة وبترقيمها)، تحت مسمى بحوث في اللغة.

بروكلمان، كار. تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار. مصر: دار المعارف، ط٥.

حسين، طه. في الأدب الجاهلي. القاهرة: مطبعة فاروق، ط١، ١٣٥٢هـ.

حمادة، فؤاد رمضان. مواقف النحاة واللغويين من لغة قريش . دراسة في دلالات المصطلح وحدوده. فلسطين: مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ٣٦، ٢٠١٥م.

خليفة، إبراهيم عبد الرحمن، وآخرون. الموسوعة القرآنية المتخصصة. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

سيسي، عبد الباقي، قواعد نقد القراءات القرآنية –دراسة نظرية تطبيقية– الرياض: كنوز إشبيليا، ط١. ١٤٣٠هـ.

شرف الدين، جعفر. الموسوعة القرآنية — خصائص السور، تح: عبد العزيز عثمان التويجري. بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. ط١، ١٤٢٠هـ.

شلبي، عبد الفتاح. رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم. مصر: مكتبة وهبة.

صافي، محمود بن عبد الرحيم. الجدول في إعراب القرآن الكريم. دمشق: دار الرشيد، ط٤، ١٤١٨هـ.

ضيف، شوقي. في تاريخ الأدب العربي . العصر الجاهلي. مصر: دار المعارف، ط١، ١٩٦٠م.

عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. القاهرة: الخانجي، ط٢، ١٩٨٥م.

فتح الله، حمزة. المواهب الفتحية في علوم العربية. مصر: المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ.

هلال، عبد الغفار حامد. اللهجات العربية نشأة وتطورا. مصر: مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٤هـ.

وافي، علي عبد الواحد. فقه اللغة. مصر، دار نهضة مصر. ط٣، ٢٠٠٤م.

ولفنسون، إسرائيل. تاريخ اللغات السامية. مصر: مطبعة الاعتماد، ط١، ١٣٤٨هـ.

Bibliography

Al-Dāni, ʿUthman Ibn Saʿeed. Al-Muqaniʿ fi Rasm Masāhif Al-Amsār. (Investigated by: Muhammad Al-Sadiq Qamhawi). Cairo: Maktabat Al-Kuliyāt Al-Azhariya.

Al-Zamakhshari, Mahmoud Ibn ʿUmar. (1999). al-Jibāl wa-al-amkinah wa-al-miyāh. (Investigated by: Ahmad Abd al-Tawwāb). Cairo: Dār Al-Fadila.

ʿAbd al-Tawwāb, Ramadan, (1985AH). al-Madkhal ilā ʻilm al-Lughah wa-Manāhij al-Baḥth al-Lughawī. (2nd Edition). Cairo: Al-Khanji.

Abu Dawoud, Sulaiman Ibn Najah. (1423 AH - 2002). Mukhtaṣar al-Tabyīn li-hijāʾ al-tanzīl. Madina Al-Munawaratu: King Fahd Complex.

Abu Sakeen, Ibrahim. Dirāsāt Lughawīyah fī Ummahāt Kutub al-Lugha (Without publisher and date).

Abu Shāma, ʿAbd al-Rahman Ibn Ismail. Ibrāz al-Maʿānī min Ḥirz al-Amānī fī al-Qirāʾāt al-Sabʻ, (Investigated by: Ibrahim ʿAtwa ʿIwad. (1st Edition). Egypt: Matbaʿat Al-Halabi.

Ahwazi, ʿAli Ibn Ibrahim. (2002). al-Wajīz fī Sharḥ Qirāʾāt al-Qaraʾah al-Thamāniyah Aʾimmat al-Amṣār al-Khamsah. (Investigated by: Duraid Hasan Ahmad). (1st Edition). Beirut: Dār Al-Gharb Al-Islamī.

Al-Alousi, Mahmoud bin ʿAbdullah. (1405 AH) Rouh Al-Maʿāni. (Investigated by: ʿAli ʿAbd al-Bari ʿAttiya). (1st Edition) Beirut: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiya.

Al-Anbārī, Muhammad bin Al-Qasim. (1405 AH- 1981). Al-Mudhakarr wa al-Muʾanath. (Investigated by: Muhammad ʿAbd al- Khaliq ʿUdaima). (1st Edition). Egypt: The Supreme Council for Islamic Affairs - Heritage Revival Committee, 1st ed., 1401 AH – 1981.

Al-Ansārī, Abu Muhammad bin ʿAbd al Wahid. (1426 AH - 2005). Tanbīh al-khullān bi-takmīl Mawrid al-ẓamʾān "maṭbūʻ ḍimna Kitāb Dalīl al-ḥayrān ʻalá Mawrid al-ẓamʾān". Egypt: Dār Al-Hadith, 1426 AH – 2005.

Al-Baghawi, Al-Husain Ibn Masʿoud. (1403 AH). Sharh Al-Sunnah. (Investigated by: Shuʿaib Al-Arnaout and Muhammad Zuhair). (2nd Edition). Damascus: Almaktab Al-Islami.

Al-Balādhuri, Ahmad Ibn Yahya. (1417 AH - 1996). Jumal min Ansāb Al-Ashraf. (Investigated by: Suhail Zakkar and Riyad Al-Zarkali). (1st Edition). Beirut: Dār Al-Fikr.

Al-Bayhaqi, Ahmad bin Al-Husain. (1423 AH). Shuʿab Al-Imān. (Investigated by: ʿAbd al-ʿAli Hamid and Mukhtar Al-Nadawy). (1st Edition). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.

Al-Bilādi, ʿĀtiq Ibn Ghaith. (1400 AH). Maʻālim Makkah al-Taʾrīkhīyah wa al-Atharīyah. (1st Edition). Makkah Al-Mukarramah: Dār Makkah lil nashr wa al-Tawziʿ.

Al-Bukhari, Muhammad Ibn Ismail. (1422 AH) Sahih Al-Bukhārī. (Investigated by: Muhammad Zuhair Ibn Nasir). (1st Edition). Cairo: Dār Tawq Al-Najat.

Al-Damyāti, Ahmad Ibn Muhammad. (1427 AH – 2006 Itḥāf Fuḍalā' al-Bashar fī al-Qirā'āt al-Arbaʻah ʻAshar. (Investigated by: Anas Mahra). (3rd Edition). Beirut: Dār Alkutub Al-ʿIlmiya.

Al-Dānī, ʿUthman Ibn Saʿeed. (1418 AH). Almahkam fi Nuqat Al-Mashāhif. (Investigated by: ʿIzat Hasan. (2nd Edition). Syria: Dār Al-Fikr.

Al-Dānī, ʿUthman Ibn Saʿeed. (1428 AH). Jāmiʻ al-Bayān fī al-qirā'āt al-sabʻ. (2nd Edition). Emirates: Al Sharekah University.

Al-Farrā, Yahya Ibn Ziyād. (1435 AH - 2014). Kitāb fi Lughat Al-Qurʾān. (Investigated by: Jabir Ibn Abdullah Al-Saree). Posted on the Internet.

Al-Farisi, Abu ʿAli Al-Hasan Ibn Ahmad. (1999). Al-Takmilah. (Investigated by: Kazem Bahr al-Murjan. (2nd Edition). Beirut: ʿĀlam Al-Kutub.

Al-Hamawi, Yaqout Ibn Abdullah. (1995). Muʿjam Al-Buldān. (2nd Edition). Beirut: Dār Sadir.

Al-Hamad, Ghanim Kaddouri. (1402 AH). Rasm Al-Mushaf - Dirasatan Lughawiatan Tārikhiyatan. (1st Edition). Baghdad.

Al-Hamad, Muhammad Ibrahim. Fiqh al-Lugha (Mafhumuh – Mawdouʿātih - Qadāyāhu). within Al-Maktabat al-Shāmila.

Al-Harawi, Muhammad Ibn ʿAli. Kitāb Asfar Al-Fasīh. (Within Al-Maktabat Al-Shāmila).

Al-Hazmi, Fahd Ibn Abdullah. al-Qawl al-Mubīn fī Qawāʻid al-Tarjīḥ bayna al-Mufassirīn. Ḍimna Al-Maktabat al-Shāmila.

Al-Hilali, Muhammad Taqi Al-Dīn. (1390 AH). Mā waqaʻa fī al-Qur'ān be-ghayr Lughat al-ʻArab. Islamic University Journal, third issue.

Al-Hourini, Nasr. (1426AH). Almatalie Alnnasryt llmatabie Almsryat fi Alasul Alkhatyati, (Investigated by: Taha Abdel Maqsoud) (1st Edition). Cairo: Maktabat Alsana.

Al-Hudhali, Yousuf Ibn ʿAli Ibn Jubāra. (1428AH). al-Kāmil fī al-qirā'āt al-ʻashr wa-al-arbaʻīn al-zā'idah ʻalayhā. (Investigated by: Jamal Ibn Al-Sayyid Ibn Rifai Al-Shayib). (1st Edition). Cairo: Dār Sama lil kitab.

Al-Husaini, Al-Husain Ibn Haidar. (1418 AH). Jamharat Ansāb Umuhat Al-Nabi Ṣalal Lāhu ʿalayh wa salam. (Diwān Al-Umuhāt). (1st Edition). Saudi: Dār Al-Bukhari.

Al-Ibiari, Ibrahim Ibn Ismail. (1405 AH) Al-Mawsouʿat Al-Qurrʾāniya. (1st Edition) Egypt: Muasasat Sijal Al-ʿArab.

Al-ʿĪsāwī, Yousuf Ibn Khalaf. (1431 AH - 2010). Radd al-buhtān ʻan iʻrāb āyāt min al-Qurʾān al-Karīm. (1st Edition). Dammam: Dār Ibn Al-Jawzi.

Al-Jāhiz, ʿAmru Ibn Bahr. (1423 AH). Al-Bayān wa al-Tabyīn. (2nd Edition). Beirut: Dār wamaktabat Al-Hilal.

Al-Jāhiz, ʿAmr Ibn Bahr. (1423 AH). Al-Rasāʾil Al-Adabiyya. (Investigated by: ʿAli Abu Mulhem) (2nd Edition). Beirut: Dār wa maktabat Al-Hilal.

Al-Judayʿ, Abdullah Ibn Yousuf. (1422 AH - 2001) al-Muqaddimāt al-asāsīyah fī ʻulūm al-Qurʾān. Britain: Leeds Islamic Research Center, 1st ed., 1422 A.H. – 2001.

Al-Kurdi, Muhammad Ibn Tahir. (1365 AH – 1946). Tārīkh Al-Qurʾān Al-Karim. Mecca: Matbaʿat Mustafa Muhammad Yaghmou. Quoted from the first edition in (Matbaʿat Al-Fath) in Jeddah.

Al-Munāwi, Zain Al-Dīn Muhammad. (1356 AH). Fayd al-Qadeer Sharh Al-Jāmiʿ Al- Saghir. (1st Edition). Egypt: Al-Maktabat AlTijariya.

Al-Marghani, Ibrahim Ibn Ahmad. (1426 AH). Dalīl al-ḥayrān ʻalá Mawrid al-ẓamʾān. Cairo: Dār Al-Hadith.

Al-Marrsafi, ʿAbd al-Fattāh. Hidāyat al-Qāri ilā Tajwīd Kalām al-Bāri. (2nd Edition). Medina Al-Munawara: Maktabat Taibah.

Al-Murādi, Al-Hasan Ibn Qasim. (1428 AH – 2008). Tawdīh Al-Maqāsid wa al-Masālik be Sharh Alfiat Ibn Mālik. (1st Edition). Cairo: Dār Al-Fikr al-ʿArabi.

Al-Nirbānī, ʿAbd al-Badīʿ. (1427AH). Al-Jawānib Al-Sawtiyyah fi Kutub al-Ihtijāj li al-Qirāʾāt. (1st Edition). Damascus: Dār Al-Ghouthani.

Al-Nuwairi, Muhammad Ibn Muhammad (1424 AH). Sharh Tayyibat Al-Nashr fi Al-Qirāʾāt Al-ʿAsharah. (Investigated by: Majdī Muhammad Sorour). (1st Edition). Beirut: Dār Al-ʿIlm Lil malayin.

Al-Qanūji, Muhammad Siddiq Khan. Al-Balāgha 'lā 'Usul Al-Lugha. (Investigated by: Suhad Hamdan Ahmad Al-Sāmurrāʾi). Iraq: Thesis at Tikrit University.

Al-Qurtubi, Muhammad. (1384 A.H - 1964) Tafsir Al-Qurtubi. (Investigated by: Al-Bardawni and others). (2nd Edition). Cairo: Dār Alkutub Almisria.

Al-Rafiʿī, Mustafa. (no date) Tarīkh Adab Al-ʿArab. Beirut: Dār Al-Kitāb Al-ʿArabi.

Al-Shushāwi, Husain Ibn ʿAli. Tanbīh Al-ʿAtshān ilā Mawrid Al-Ẓamʾān fi Al-Rasm Al-Qurʾān. (Investigated by: Muhammad Salem Harsha). Within Al-Makabat Al-Shāmilah.

Al-Sijistani, Abu Bakr Ibn Abi Dawoud. (1423 AH - 2002). Kitāb Al-Maṣāhif. (Investigated by: Muhammad Ibn ʿAbdo). (1st Edition). Cairo: Al-faruq Alhaditha.

Al-Ṣuhari, Salamiyah Ibn Muslim. (1420AH – 1999). al-Ibānah fi al-Lugha al-ʿArabiyyah. (Investigated by: ʿAbd al-Karim Khalifa and others). (1st Edition). Sultanate of Oman: Ministry of National Heritage and Culture.

Al-Suyouti, Jalāl al-Dīn. (1418 AH). Al-Muzhir Fi ʿUlūm Al-Lugha wa Anwāʿihā. (Investigated by: Fuād ʿAli Mansour). (1st Edition). Beirut: Dār Alkutub Al-Ilmiyyah.

Al-Suyouti, Jalāl al-Dīn. Hamʿ Al-Hawāmiʿ Fi Sharh Jamʿ Aljawāmiʿ. (Investigated by: ʿAbd al-Hamid Hindawi). Cairo: Al-Maktabat Al-Tawfiqia.

Al-Suyuti, Jalāl al-Dīn.(1974). Al-Itqān Fi Al-ʿUlūm Al-Qurʾān. (Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim). (4th Edition). Cairo: Egyptian General Book Authority.

Al-Thaʿālabi, ʿAbd al-Malik Ibn Muhammad Ibn Ismail. (1985). Thimār Al-Quloub fi Al-Mudāf wa al-Mansoub. (Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl). Cairo: Dār Al-Maʿārif.

Al-Wāsiti, ʿAbdullah Ibn ʿAbd al-Muʾmin. (1425AH). Al-Kanz fi Al-Qirāʾāt Al-ʿAsharr. (Investigated by: Khalid Al-Mashhadani). (1st Edition). Cairo: Maktabat Al-Thaqāfa Al-Dīyniya.

Al-Zamakhshari, Mahmoud Ibn Omar. (1412 AH). Rabīʿ Al-Abrār wa Nusūs Al-Akhyār. (1st Edition). Beirut: Muasasat Al-Aʿlami.

Al-Zarkashi, Badr Al-Dīn. (1376 AH - 1957). Al-Burhān Fi Al-ʿUlūm Al-Qurʾān. (Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim). (1st Edition). Cairo: Issa Al-Babi Al-Halabi.

Al-Zurqānī, Muhammad ʿAbd al-ʿAzim. (no date). Manāhil Al-ʿIrfān fi Al-ʿUlūm al-Qurʾān. (3th Edition). Cairo: Issa Al-Babi Al-Halabi.

Al-Zubayri, Musʿab bin ʿAbdullah. (no date). Nasab Quraysh. (Investigated by: Levi Provencal). (2nd Edition). Cairo: Dār Al-Maʿarif.

Andalusi, Abu Hayyan Muhammad Ibn Yousuf. (1417 AH). Al-Tadhyil wa al-Takmil fi Sharh Kitāb Al-Tashil. (Investigated by: Hassan Hindawi). (1st Edition). Damascus: Dār Al-Qalam.

Anis, Ibrahim. (2003). fi Al-Lahajāt Al-ʿArabiyya. (2nd Edition). Cairo: Al- Anglo al-Misriya.

Brockelman, Car. Tarīkh Al-Adab Al-ʿArabi. (Translated by: Abd al-Halim Al-Najjar). (5th Edition). Egypt: Dār Al-Maʿarif..

Daif, Shawqi. (1960AH). Fi Tārīkh Al-Adab Al-ʿArabi – Al-ʿAsr Al-Jāhiliyyah. (1st Edition). Egypt: Dār Al-Maʿārif.

Fathallah, Hamza. (1312AH). Al-Mawāhib Al-Fatahiyyah fi al-ʿUlūm al-ʿArabiyyah. Egypt: Al-Matbaʿat Al-Amiria.

Hamada, Fuād Ramadan. (2015). Mawāqif Al-Nuhāt wa al-Lughawiyīn min Lughat Quraish - Dirāsat fi Dilālat Al-Mustalah wa Hudoudih. Palestine: Al-Quds Open University Journal for Research and Studies, Issue 36.

Hilal, ʿAbd al-Ghaffar Hamid. (1414AH). Al-Lahajāt al-ʿArabiyyah Nashʾat wa Tatawura. (2nd Edition). Egypt: Maktabat Wahba.

Husain, Taha. (1352AH). fi Al-Adab Al- Jāhili. (5th Edition). Cairo: Matbaʿat Fārouq.

Ibn al-Jazari, ʿAbd al-Rahman. (1405 AH-1985). Gharīb al-Ḥadith. (Investigated by: ʿAbd al-Mutiʿ Amin Al-Qalʿaji). (1st Edition). Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn al-Jazari, Muhammad. (1420AH). Munjid Al-Muqriʾīn wa Murshid al-Tālibīn. (1st Edition) Cairo.

Ibn al-Jazari, Muhammad. Al-Nashr fi al-Qirāʾāt al-ʿAshara. (investigated by: ʿAli Muhammad Al-Dabā). Cairo: Al-Matbaʿat A-Ttijariat Al-Kubrā.

Ibn ʿĀshour, Muhammad al-Tāhir. (1984). Al-Tahrir wa al-Tanwir. Tunisia: Al-dār Al-Tunusiyyat lil nashr.

Ibn Fāris, Ahmad. (1418 AH - 1997). Al-Ṣāhibi fi fiqh Al-Lugha Al-ʿArabiyya. (1st Edition) Beirut: Muhammad ʿAli Beydoun's publications.

Ibn Hasanun, ʿAbdullah Ibn Al-Husain. (1365 AH - 1946) al-Lugha fi al-Qurʾān. (Investigated by: Salah Al-Din Al-Munajjid. (1st Edition). Cairo: Matbaʿat alrisala.

Ibn Jinni, Abu al-Fath. (1420AH- 1999). Al-Muhtasab fi Tabyin Wujouh Shawādh Al-Qirāʾāt. Cairo: the supreme Islamic council.

Ibn Jinni, Abu al-Fath. Al-Khasāʾis. (Investigated by: Muhammad ʿAli Al-Najjar). (4th Edition) Egypt: General Book Authority.

Ibn Kathir, Ismail Ibn Umar. (1416 AH). Fadayil Alqurani. (1st Edition). Cairo: Maktabat Ibn Taymiyyah.

Ibn Khālawayh, Al-Husain Ibn Ahmad. (1399 AH – 1979). Laysa fi Kalām al-ʿArab. (Investigated by: Ahmad ʿAbd al-Ghafour ʿAttar). (2nd Edition). Makkah Al-Mukaramah.

Ibn Khaldoun, ʿAbd al-Rahman. (1408 AH - 1988) Tārīkh Ibn Khaldoun. (Investigated by: Khalil Shehadeh and Suhail Zakkar). (2nd Edition). Beirut: Dār al-Fikr.

Ibn Manzour, Muhammad Ibn Mukaram. (1414 AH). Lisān al-ʿArab. (3th Edition). Beirut: Dār Sadir.

Ibn Qasim al-Hanbali, Abd al-Rahman Ibn Muhammad. (1410 AH - 1990). Hāshiyat Muqadimāt Al-Tafsir. (1st Edition). no publisher.

Ibn Salām, Abu ʿUbaid. Lughat Al-Qabāʾil Al-Wāridat fi Al-Qurʾān Al-Karim. within Al-Maktabat al-Shāmila.

Ibn Sīdah, Ali Ibn Ismail. (1417 AH – 1996). Al-Mukhasass. (Investigated by: Khalil Ibrahim Jafal). (1st Edition). Beirut: Dār Ihya Al-Turath Al-ʿArabi.

Ibn Sīdah, Ali Ibn Ismail. (1421 AH - 2000). Al-Muhkam wa al-Muhīt Al-Aʿzam, (Investigated by: ʿAbd al-Hamid Hindawi). (1st Edition). Beirut: Dār Al-kutub Al-Ilmiyyah. 1st Edition.

Ibn Zanjala, ʿAbd al-Rahman Ibn Muhammad. Hujjat Al-Qirāʾāt. (Investigated by: Saʿeed Afghani). Beirut: Dār Al-Risalah.

Ismail, Muhammad Bakr. (1419 AH - 1999). Dirāsat fi al-ʿUlūm Al-Qurʾān. (1st Edition). Cairo: Dār Al-Manar.

Ismail, Shaban Muhammad. Rasm al-Muṣḥaf wa-Dabaṭahu bayna al-Tawqīf wa al-Iṣṭilāḥāt al-ḥadīthah. (1st Edition). Egypt: Dār Al-Salam.

Khafaji, Shihāb al-Dīn. Ḥāshiyat al-Shihāb ʻalā Tafsīr al-Bayḍāwī. Beirut: Dār Sadir.

Khalifa, Ibrahim ʿAbd al-Rahman, and others. (1423AH- 2002). Al-Mawsouʿat Al-Qurʾāniyyah Al-Mutakhasisah. Egypt: Supreme Council for Islamic Affairs.

Ṣāfi, Mahmoud Ibn ʿAbd al-Rahim. (1418AH). Al-Jadwal fi Iʿrāb Al-Qurʾān Al-Karim. (1st Edition). Damascus: Dār Rashid.

Saleh, Subhi. (2009). Dirāsāt fi Fiqh Al-Lugha. (3rd Edition). Beirut: Dār Al-ʿIlm Lil malāyin.

Shalaby, ʿAbd al Fattah. Rasm Al-Mushaf al-ʿUthmāniyyah wa Awhām al-Mustashriqīn fi Qirāʾāt Al-Quran Al-Karim. Egypt: Maktabat Wahba.

Sharaf al-Din, Jaʿfar. (1420AH). Al-Mawsouʿat Al-Qurʾāniyyah-Khasāʾis al-Suwar. (Investigated by: ʿAbd al-ʿAziz Othman Al-Tuwaijri). (1st Edition). Beirut: Dār Al-Taqrib bayna Al-Madhāhib al-Islāmiyyah.

Sibawayh, ʿAmr bin ʿUthman. (1408 AH – 1988). Al-Kitāb. (Investigated by: ʿAbd al-Salam Muhammad Haroun). (3rd Edition). Cairo: Al-Khanji.

Sisi, ʿAbd al-Bāqi. (1430AH). Qawāʿid Naqd Al-Qirāʾāt Al-Qurʾāniyya- Dirāsat Nazariyyah Tatbiqiyyah. (1st Edition). Riyadh: Kunuz Ishbiliya.

Tablāwī, Mansour. (1423 AH). Al-Shamʿah Al-Mudiyat be Nashr Qirāʾāt Al-Sabʿ Al-Mardiyyah. (Investigated by: Ali Syed Ahmad Jaʿfar. (1st Edition). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.

Wāfī, ʿAli ʿAbd al Wāhid. (2004AH). Fiqh Al-Lugha. (3rd Edition). Egypt: Dār Nahdat Misra.

Wolfensohn, Israel. (1348AH). Tārīkh al-Lugha al-Sāmiya. (1st Edition). Egypt: Matbaʿat Al-Iʿtimad.

Al-Asāsiyāt fi Al-ʿUlūm Al-Qurʾāni. (1st Edition). Britain: Markaz al-Buhuth al-Islāmiyyah Leeds.

Pasha, Omar Musa. Al-Lugha Al-ʿArabiyya bayna al-Aṣāalat wa al-Iʿjāz wa al-Hadātha. (within Al-Maktabat Al-Shāmila). under the name (Buhuth fi Al-Lugha).

تـوجيهُ سِبْطِ ابنِ العَجْمِي روايـاتِ صحيح البخـاري على المذهب الكوفي

دراسة في كتابه (الناظر الصحيح)

Sibṭ Ibn al-ʿAjmi's Justifications of the Narrations of Sahih al-Bukhārī in the Kūfī School of Thought

a Study in his Book (al-Nāẓir al-Ṣaḥīḥ)

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحسن

أستاذ مساعد بكليّة التربية بالمجمعة – جامعة المجمعة

البريد الإلكتروني: a.mohsan1401@gmail.com

المستخلص

البحث يقوم على جمع توجيهات سبط ابن العجمي على الروايات المستشكلة في صحيح البخاري، ودراستها على المذهب الكوفي، بعد تحري ضبط الرواية، والقطع بثبوتها من خلال تتبع طرق ورودها في الصحيحين، ثم الحكم والترجيح.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد، ثم مبحثين، وخاتمة.

تحدثت في التمهيد عن مطلبين: الأول: عناية العلماء بصحيح البخاري، وجهودهم اللغوية فيه، والمطلب الثاني: سيرة سبط ابن العجمي، وقيمة كتابه (الناظر الصحيح).

وجعلت المبحث الأول خاصًّا بتوجيهات سبط ابن العجمي على روايات الصحيح المتعلقة بالنحو، وأمَّا المبحث الثاني فهو خاص بالتوجيهات المتعلقة بالصرف، وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه.

الكلمات المفتاحية: صحيح البخاري، رواية، سبط ابن العجمي، المذهب الكوفي، توجيه.

Abstract

This Research is based on the collection of Sibt Ibn Al-ʿAjmi's justifications of the disputed narrations in Sahih Al-Bukhari, and studying them according to the Koufī school of thought, after veryfiying the authenticity of the narration, and determining their evidences by tracing the methods of their occurence in the Two Sahihs, then ruling and weighting thereof.

The nature of this research requires dividing it into: an introduction, a preface, two chapters and a conclusion.

The preface included the scholars' concern about Sahih al-Bukhari and their linguistic efforts therein, and an a brief explanation of the biography of Sibt Ibn Al-ʿAjmi and the value of his book (Al-Nāzir Al-Sahih).

The first chapter was specifically dedicated to study Sibt Ibn Al-ʿAjmi's justification of the authentic narrations related to grammar. The second chapter mentioned the justification related to morphology. The research ended with a conclusion in which mentioned the most prominent findings.

Keywords: Sahih al-Bukhari, narration, Sibt Ibn Al-ʿAjmi, Kūfī school of thought, justifying.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ لكتب الحديث الشريف مكانةً سامية عند العلماء؛ حيث جمعت أصول الدين، وحوت كلام أفضل البشر صلى الله عليه وسلم، فانشغل بها العلماء منذ القدم، شرحًا واستنباطًا، واستخلاصًا للأحكام الشرعية واللغوية.

ومن أعظم كتب الحديث كتاب (الجامع الصحيح) للإمام أبي عبد الله رحمه الله؛ إذ هو أعلاها سندًا، وأصحها متنًا، فقد عرفت الأمة قدره، وتلقته بالقبول، قال عنه الذهبي: هو أجلُّ كتب الإسلام، وأفضلها بعد القرآن.

وصحيح البخاري دُوِّن بالسند المتصل بمؤلفه البخاري في روايات عدة، وسميت كل رواية باسم راويها، ومن أشهر هذه الروايات: رواية الفربري، ورواية النسفي، ورواية النسوي، ورواية البزدوي، وتفرعت عن هذه الروايات روايات أخرى متمايزة في الضبط والإتقان، وهذا معروف عند علماء الحديث.

ونظرًا لتعدد هذه الروايات للصحيح فقد حصل في بعض هذه الروايات ما يخالف ظاهرُه الأحكامَ المقررة عند علماء العربية؛ لذا تصدَّر لها جهابذة العلماء، ووقفوا عند ألفاظها، وأساليبها، شرحًا وتوجيهًا، وكان من هذه الجهود اللغوية ما هو عام مبذول أثناء شرح الحديث، ومنها جهود خاصَّة تمثلت في مؤلفاتٍ للنظر في صحيح البخاري ورواياته، وحلِّ إشكالاتها، وفي مقدمة هذه المؤلفات، كتاب (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) لابن مالك، وقد لقي هذا الكتاب عناية العلماء قديمًا وحديثًا، وكُتب فيه دراسات عدة.

ثم تواصلت جهود العلماء من بعده، فجاء سبط ابن العجمي بمؤلفٍ نفيس، وهو وإنْ استفاد من ابن مالك إلَّا أنَّه زاد عليه في مسائل وتوجيهات أخرى لعلماء آخرين لم تُدوَّن توجيهاتهم من قبلُ، يقول في مقدمة كتابه:

«وكنت قد قرأت (الجامع الصحيح) للإمام شيخ الإسلام البخاري –قدس الله سره– غير ما مرَّة، وتطلبتُ إعرابًا عليه، فرأيتُ أصمعي زمانه جمال الدين رحمه الله قد كتب على أماكن منه، ورأيتُ من انتقد عليه في أماكن، فضممتُ هذا إلى هذا، وزدت عليه أشياء من كلام الأئمة، كأبي البقاء، وابن الأبرش، والقاضي عياض، والحمزي، والنووي، والطيبي، والتُّوربَشتي، والكرماني، والبِرماوي، وشيخنا الحافظ، وسيدي الوالد –رحمهم الله تعالى– التقطتها من أثناء كلامهم؛ لأنهم لم يفردوا هذا التأليف، فصار مجموعًا حسنًا، وسميته بـ(الناظر الصحيح على الجامع الصحيح)».

والقارئ لكتاب سبط ابن العجمي هذا يجد فيه مباحث لغوية هامة، وتخريجات نفيسة، إعرابية وصرفية، قيدها من السابقين وأئمة زمانه، وهي تنبئ عن عالم متفنن، ولغوي قدير، وجهد كبير في مجال البحث اللغوي، فجاءت فكرة البحث في الكتاب، ودراسة توجيهات روايات صحيح البخاري على المذهب الكوفي خاصة؛ إذ يصعب دراسة التخريجات على المذهبين جميعًا؛ نظرًا لكثرتها، ولأنَّ بعض مسائل المذهب الكوفي لم ترجح في كتب النحو المعروفة، وجاء في هذه الروايات ما يساعدها، فكان جديرًا بأنْ يكون الاختصاص بها وإبرازها.

ويتمثل عملي في هذا البحث في استقراء روايات صحيح البخاري التي وجهها سبط ابن العجمي على المذهب الكوفي، ومقارنة هذه الروايات بروايات صحيح مسلم إنْ ورد فيه الحديث؛ للوقوف على ثبوتها والجزم بها، ثم دراستها معتمدًا في ذلك على كتب شرَّاح الصحيحين، وكتب الخلاف النحوي وغيرها، وبعد ذلك الحكم عليها بما يترجح لديّ من كلام الأئمة، وعنونتُ البحث بـ:

توجيهُ سِبْطِ ابنِ العَجْمِي رواياتِ صحيح البخاري على المذهب الكوفي

دراسة في كتابه (الناظر الصحيح).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأمور التالية:

١- تعلق البحث بالمصدر الأول عند الأصوليين وهو السماع، وذلك من خلال البحث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم واستخراج بعض الأحكام النحوية والصرفية المختلف فيها بين المذهبين.

٢- إكمال جهود الإمام ابن مالك رحمه الله الذي كان له السبق في توجيهات روايات صحيح البخاري، فجاء البحث ليدرس توجيهات العلماء من بعده على المذهب الكوفي خاصة.

٣- تعزيز الشواهد النحوية بأدلة سماعية ثبتت صحتها بالسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- الكشف عن أثر توظيف الحديث الشريف في الدرس النحوي والصرفي، وأن المنهج الصحيح في تناول قضية الاستشهاد بالحديث النبوي على المسائل النحوية أن تدرس روايات الحديث، ويقطع بثبوتها، ثم يحكم بما يترجح.

٥- إبراز شخصية سبط ابن العجمي من خلال دراسة كتابه، والوقوف على نبوغه العلمي، وجهوده اللغوية.

الدراسات السابقة:

الدراسات اللغوية المتعلقة بـ(صحيح البخاري) كثيرة، غير أنَّ طبيعة هذا البحث تختلف؛ إذ هي توجيه لروايات متعددة للصحيح قد استشكلها الشراح، وحصل الخلاف فيها وفي توجيهها، ولعل أقرب الدراسات التي تتشابه مع بحثي هو كتاب ابن مالك: شواهد التَّوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، وهذا الكتاب مقتصِر على توجيه ابن مالك واختياره، وأمَّا كتاب (الناظر الصحيح) لسبط ابن العجمي فقد صرَّح فيه مؤلفه بأنَّه زاد على ابن مالك واستدرك، وقيد توجيهات أحدَ عشرَ عالِمًا لم تدون من قبل، إذ أخذ بعضَها مشافهة عنهم أثناء الطلب، وقد تقدم ذكرهم آنفًا.

ولأجل هذا فإن جميع الدراسات المتعلقة بكتاب ابن مالك (التوضيح) مختلفة اختلافًا كبيرًا، وإن كانت بعض صور المسائل قد تتشابه؛ نظرًا لطبيعة الدرس النحوي والصرفي الذي تتداخل وتترابط مسائله.

ولم أقف –حسب علمي– على بحث أو دراسة تناولت كتاب (الناظر الصحيح) مما شجعني على الاستعانة بالله ودراسته من جهة توجيهاته على المذهب الكوفي.

منهج البحث:

قرأت كتاب (الناظر الصحيح) كاملًا، وجمعت مسائله وتوجيهاته المتعلقة بالمذهب الكوفي، ثم آثرت أن يكون منهجي على التالي:

١- إيراد الحديث الشريف الذي أريد دراسة روايته، وأقتصر فيه على موطن الشاهد.

٢- نقل كلام المؤلف سبط ابن العجمي كاملًا إلَّا إنْ تعذر ذلك لطوله فأكتفي بنقل توجيهه، وأترك الباقي؛ إذ إنه سيرد أثناء بحث المسألة.

٣- تخريج الحديث من صحيحي البخاري ومسلم، وذلك بتتبع مواضع ذكر الرواية فيهما، وذكر أبوابها، وبيان ما فيهما من فرق مؤثر في المسألة.

٤- بيان الروايات الأخرى لنُسَخ صحيح البخاري معتمدًا على (فتح الباري) لابن حجر، وشرح القسطلاني الذي عُرف عنه ضبط ألفاظ الصحيح بالحروف معتمدًا على النسخة اليونينية وفروعها وغيرها؛ مما جعل لها قيمة كبرى عند العلماء، وإليها المرجع عند الاختلاف.

٥- تخريج المسألة والتثبت من نسبتها للكوفيين، ثم دراستها اعتمادًا على كتب الخلاف النحوي، وشروح الحديث، وإيراد الشواهد المؤيدة للمسألة.

٦- الحكم على تخريج المؤلف الروايةَ على المذهب الكوفي إن ترجح لي ثبوتها، أو حملها على تصرف الرواة إن شذَّت الرواية في نسخة وخالفت الروايات الأخرى، ولم تتقوَ بالقواعد النحوية.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على ما يلي:

المقدمة:

بيَّنتُ فيها أهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الثاني: سيرة سبط ابن العجمي، ومكانة كتابه (الناظر الصحيح).

المبحث المطلب الأول: عناية العلماء بصحيح البخاري، وجهودهم اللغوية فيه بإيجاز.

الأول: روايات صحيح البخاري التي وُجِّهت على المذهب الكوفي في مسائل النحو.

المبحث الثاني: روايات صحيح البخاري التي وُجِّهت على المذهب الكوفي في مسائل الصرف.

الخاتمة: ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المصادر والمراجع.

ومما يحسن التنبيه عليه أني اعتمدت في البحث صحيح البخاري المطبوع سنة ١٤٢٢هـ، بعناية د. محمد زهير الناصر، لأن هذه الطبعة مصورة عن الطبعة السلطانية المطبوعة ببولاق سنة ١٤٢٢هـ، وهذه الطبعة محل اهتمام العلماء، والمشتغلين بالحديث؛ لضبطها وإتقانها.

وأما صحيح مسلم فكان الاعتماد على الطبعة التي بتحقيق د. محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٣٧٤هـ، نظرًا لما قدمه المحقق فيها من خدمات، من ترقيم للأحاديث يصل إليها الباحث بدقة.

وبعد، فإني أسأل الله تعالى أن يبارك في العمل وينفع به، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد

ويشمل ما يلي:

المطلب الأول: عناية العلماء بصحيح البخاري، وجهودهم اللغوية فيه بإيجاز:

صحيح البخاري أجل كتاب في تاريخ الإسلام بعد كتاب الله تعالى، وهذا باتفاق أئمة الشأن والأعلام الأجلاء، يقول النووي: اتفق العلماء على أنَّ أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاريِّ ومسلم(١).

ولعل السبب في هذا ما منح الله به البخاري من ذكاء وحفظ، وما عُرف عنه من تحرٍّ وضبط، وعلم بالرواية والدراية، أهلته لذلك.

ولم يكن هذا مقتصرًا على علم الحديث فحسب، بل واللغة أيضًا، يقول الإسماعيلي: نظرت في كتاب الجامع للبخاري فرأيته جامعًا للسنن، ودالًّا على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلَّا من جمع إلى معرفة الحديث ونقله، والعلم بالروايات وعللها علمًا بالفقه واللغة، وتمكنًا منها كلها(٢).

وللإمام البخاري مباحث لغوية أودعها في كتابه، تتعلق باللغة وغريبها تارة وهو الكثير، وتارة بمسائل نحوية أو صرفية يشير إليها إشارة عقب إيراده الحديث، أو عندما يورد الآية كما في كتاب التفسير من كتابه الصحيح.

وجهود العلماء وخدمتهم لهذا الكتاب، وما بذلوا فيه من شرح واختصار غير خافٍ على المشتغل بالعلم، غير أني أشير إلى جانب يتعلق بالبحث، وهو خدمتهم اللغوية، والغالب أنَّ العلماء المتقدمين تأتي عنايتهم اللغوية أثناء شرح الحديث، ولم يكونوا يفردونها بكتب خاصة، ومع هذا فقد وصلَنا من الكتب

(١) ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ١٣٧٩هـ، ١٢/١.

(٢) المرجع نفسه: ١١/١.

المفردة في هذا الباب شيء كثير، من ذلك:

- تفسير غريب ما في الصحيحين، للإمام ابن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ).
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ).
- اختصار صحيح البخاري، وبيان غريبه، لأبي العباس القرطبي (ت ٦٥٦هـ).
- شواهد التوضيح والتصحيح، لابن مالك (ت ٦٧٢هـ).
- الكواكب الدراري، للكرماني (ت ٧٨٦هـ).
- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، للزركشي (ت ٧٩٤هـ).
- مصابيح الجامع، للدماميني (ت ٨٢٧).
- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢).
- عمدة القاري، للعيني (ت ٨٥٥).
- شرح القسطلاني (ت ٩٢٣هـ).
- إعراب القاري على أول باب البخاري، للملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ).

وهذه المؤلفات وغيرها مما هو في عداد المخطوط يبين أثر صحيح البخاري فيمن جاء بعده، وأنَّه محل عنايتهم، وما ذلك إلَّا خدمة للسنة النبوية، وللأحكام الشرعية عمومًا.

المطلب الثاني: سيرة سبط ابن العجمي، ومكانة كتابه (الناظر الصحيح):

اسمه ونسبه[1]:

(١) تنظر ترجمته في: السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، ص٣٠، وحاجي خليفة، **سلّم الوصول إلى طبقات الفحول**، ١١٦/١، والزركلي، **الأعلام**، ٨٨/١.

هو موفق الدين، أبو ذر، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي، الطرابلسي، الشافعي، المعروف بسبط ابن العجمي، وهذا اللقب (سبط ابن العجمي) اشتهر به والده برهان الدين، ثم أصبح يلقب به الابن موفق الدين.

والسِّبْطُ هو ابن البنت، والمراد بها أمُّ برهان الدين، عائشة بنت عمر بن محمد، ينتهي نسبها إلى أبي طالب عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن، الحلبي، ابن العجمي.

مولده ونشأته:

ولد في حلب ليلة الجمعة في التاسع من شهر صفر، سنة ٨١٨ هـ، ونشأ في بيت علم ودين، فأجداده من جهة أمه أسسوا المدارس على يد أبي طالب عبد الرحمن بن حسن ابن العجمي، ودرَّسوا فيها.

ووالده العالم الحافظ برهان الدين شيخ بلاد حلب، والحافظ المحدث في عصره، وكان لوالده أثر فيه، فقد أكثر الأخذ عنه وعن مؤلفاته الكثيرة، حتى أصبح محدثًا معروفًا، وأديبًا بارعًا، نظم كثيرًا من الفنون، وصنف في كثير من العلوم.

شيوخه وتلاميذه:

طلب موفق الدين أبو ذر العلم منذ صغره، واستفاد من عدد من الشيوخ، أبرزهم والده برهان الدين، وهو من كبار علماء الشافعية، وعالم بالحديث ورجاله، وله مصنفات مشهورة، منها شرح على (صحيح البخاري)، وشرح كتاب (الشفا) للقاضي عياض، وذيل على كتاب (الميزان) للذهبي، وغيرها.

كما تعلم موفق الدين أبو ذر على يد علماء آخرين أبرزهم: العالم المحدث الكبير ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ). وعنه أخذ الحديث وعلم الرجال، وابن الإعزازي، والزين الخرزي، وعنهما أخذ العربية، والعلاء بن خطيب الناصرية، (ت ٨٤٣هـ). وغيرهم من العلماء الذين يطول ذكرهم.

وأما أشهر تلاميذه فهم: إبراهيم بن أحمد الكردي، المعروف بفقيه

اليشبكية، وشهاب الدين، أحمد بن أحمد الحاضري، الواعظ في الجامع الكبير بحلب، والشيخ أبو بكر بن محمد الحيشي، وحسن بن علي الأربلي، وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

لموفق الدين أبي ذر مؤلفات عديدة، وأغلبها مفقودٌ، وقيل: إنه هو الذي أتلفها، ولعل من أبرز كتبه المطبوعة أو التي ذكرتها المصادر ما يلي:

- الناظر الصحيح على الجامع الصحيح، وهو مطبوع في مجلدين، بتحقيق: حامد عبد الله المحلاوي، في دار القلم، سنة ١٤٣٩هـ.
- كنوز الذهب في تاريخ حلب، وهو مطبوع في جزأين، في دار القلم بحلب سنة ١٤١٧هـ.
- أوفى الوافية في شرح الكافية.
- التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح.
- مبهمات البخاري وإعرابه.
- عروس الأفراح فيما يقال في الراح.

وفاته:

توفي رحمه الله بحلب في شهر ذي القَعدة، سنة ٨٨٤هـ، بعد أن اختلط يسيرًا، وعمي، وقيل: إن بصره رجع إليه آخرًا.

مكانة كتابه (الناظر الصحيح):

الكتب المؤلفة على صحيح البخاري متنوعة، وفي فنون مختلفة، وقد أولى العلماء عنايتهم به، وما من إمامٍ إلَّا تصدى له، بالشرح والتعليق، ومن هذه الجهود مساهمة أهل العربية فيه، إعرابًا، وتوجيهًا، واستنباطًا.

وقد تصدى ابن مالك بحضرة جماعة من العلماء لمشكلات الجامع الصحيح، وكلَّما مرَّ عليهم لفظ ذو إشكال وجَّهه على مقتضى العربية، فجاء كتابه (التوضيح) عَلَمًا في هذا الباب، ومساهمة جليلة في خدمة الصحيح، غير أنَّ هناك روايات أخرى لم يقف عندها ابن مالك، أو وجهها حسب

علمه، وخالفه غيره ممن جاء بعده من الشراح، وهذه التوجيهات متفرقة في شروح متعددة، ومنها ما هو غير مقيد في كتاب؛ مما جعل سبط ابن العجمي يتصدى لها ويجمعها، ويقيد بعضها مشافهة في أثناء الطلب، ويجتهد في بعضها؛ لذا قال عن كتابه هذا: لمَّا رأيت ما كتب ابن مالك، وما انتُقِد عليه، ضممتها إلى بعض، وزدت عليه أشياء من كلام العلماء كأبي البقاء، وابن الأبرش، والقاضي عياض، وغيرهم ممن سبقت الإشارة إليهم.

وهذا الجمع أضفى على كتابه ميزة، وجعله محل نظر العلماء، ولا سيما أنَّ مؤلفه سبط ابن العجمي كانت له عناية خاصة بالصحيح، وقرأه مرارًا، واشتغل بإعرابه، ومبهماته، وما يتعلق به، وكتب عليه هذا المجموع الذي يعده مختصرًا لكتاب أطال فيه النفس، وهو المسمى بـ(مصابيح الجامع)، وقد أشار إلى هذا في المقدمة.

والقارئ لكتاب (الناظر الصحيح) يلحظ أنَّ سبط ابن العجمي متمكن في فنون العربية، ولا يكتفي بالنقل عن غيره، بل يزيد ويستدرك، ويعلل، ويرجح بين الأقوال، وهذا ظاهر جلي في أول الكتاب، وإنْ كان في آخره يقل عنه ذلك؛ ولعل السبب اكتفاؤه بما تقدم، أو اشتغاله بكتابه الآخر الذي أطال فيه الشرح.

المبحث الأول: الروايات التي وُجِّهت على المذهب الكوفي في مسائل النحو

المسألة الأولى:

إعمال (ليت) عمل (تمنيتُ).

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: ((أولُ ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم...، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكونُ حيًّا إذْ يُخْرِجُك قومُك)).

قال المؤلف: «(يا ليتني فيها جَذَعًا) قال الحَمْزيُّ: (كذا لأكثرهم، وللأصيليِّ وابن ماهان: (جذعٌ)، خبرُ (ليت)، والنصبُ على الحال، والخبر مضمرٌ، أي: فأنصره، وأعينه). انتهى. أو منصوبٌ على أنه خبرُ (كان) المقدَّرة، تقديره: يا ليتني أكونُ جذعًا...، أو تكون (ليت) عملتْ عملَ (تمنيتُ) فنصبت الاسمين، كما قال الكوفيون»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري بالنصب (جذعًا) في ثلاثة مواضع، الأول: في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني: في كتاب تفسير القرآن، والثالث: في باب التعبير[(٢)]. وهذه الرواية هي محل البحث، وذكر ابن حجر أنَّها جاءت بالرفع (يا ليتني فيها جذعٌ) في رواية الأصيلي للبخاري[(٣)].

والحديث رواه مسلم بالنصب -أيضًا- في باب: بدء الوحي إلى رسول

---

(١) السبط، **الناظر الصحيح**، ١٤٣٩هـ، ١/٦٩-٧٠.

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**،١٤٢٢هـ، ١/٧. ٦/١٧٣. ٩/٢٩.

(٣) ابن حجر، مرجع سابق: ١/٢٦.

الله صلى الله عليه وسلم[١]. وقال عنها النووي: إنها هي الرواية المشهورة في الصحيحين[٢].

تخريج المسألة:

خرّج المؤلف الرواية على المذهب الكوفي، الذي يرى أنَّ (ليت) تعمل عمل (تمنيت) فتنصب اسمين.

وتحرير القول أنْ يقال: نصبُ الاسمين بـ(ليت) لغةٌ منسوبة إلى بني تميم، يقولون: ليت أباك منطلقًا، وليت زيدًا قائمًا؛ وذلك تشبيهًا لها بالفعل (تمنيتُ)[٣].

وهذا الجواز هو مذهب الفراء خاصة، وحكاه عنه ابن مالك مفرِّقًا بين مذهبه –أعني: الفراء– ومذهب بعض الكوفيين الذين يجوّزن النصب بجميع الحروف الخمسة[٤].

وقد استشهد الفراء[٥] بقول الشاعر:

ليتَ الشَّبابَ هو الرَّجيعَ إلى والشَّيبَ كان هو البديء

ومما ورد على هذه اللغة قول الشاعر[٦]:

فليت غدًا يكونُ غِرار شهرٍ وليتَ اليومَ أيَّامًا طوالَا

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، ١/١٣٩.

(٢) **شرح صحيح مسلم**، ١٣٩٢، ٢/٣٠٢.

(٣) ينظر: ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**: ١/٧٨. وابن يعيش، **شرح المفصل**، ١٤٢٢هـ، ١/٢٦٠.

(٤) ينظر: **معاني القرآن**، ١٤٣١هـ، ١/٤١٠. وابن مالك، **شرح التسهيل**، ١٤١٠، ٢/٩.

(٥) ينظر: الفراء، مرجع سابق: ١/٤١٠.

(٦) ينظر: ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**، ١٤٠٢هـ، ١/٥١٦.

وقول الشاعر[(١)]:

يا ليتَ أيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا

وفي نسبة جواز نصب الاسمين بـ(ليت) إلى الكسائي خلافٌ، فقد أثبت الجواز له أبو حيان نقلًا عن ابن أصبغ، واستشهد له بحكاية الكسائي: «ليت الدَّجاجَ مُذَبَّحًا»[(٢)].

واختار هذا المذهب من المتأخرين ابن السيد البطليوسي، وابنُ الطراوة[(٣)]. وقال عنه السهيلي[(٤)]: «وهو قويٌّ في القياس».

وحيث ثبت الحديث رواية، وجاءت بها اللغة عن العرب، واختاره جماعة من أئمة النحو، فلا عدول عن التسليم بها، والقول بصحتها.

المسألة الثانية:

حذف الاسم الموصول.

عن ابن عباس ﷺ: ((أنَّ أبا سفيان بن حربٍ أخبره: أنَّ هرقلَ أرسل إليه في ركبٍ من قريش ...، فقال هرقلُ: هذا مُلْك هذه الأمةِ قد ظهر)).

قال المؤلف: «وقال شيخنا في (الفتح): ((هذا مُلكُ هذه الأمة قد ظهر))، كذا لأكثر الرواة بالضم ثم السكون، وللقابسي بالفتح ثم الكسر، ولأبي ذر عن الكُشْمِيهَني وحده: (يَمْلكُ) فعل مضارع...، وقال شيخنا: يجوز أن يكون المحذوفُ الموصولَ على رأي الكوفيين والأخفش، أي: هذا الذي يملك...، على أنَّ الكوفيين يجوزون استعمال اسم الإشارة بمعنى الاسم

---

(١) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ١٤٠٨، ١٤٢/٢.

(٢) **التذييل والتكميل**، ١٤١٨هـ، ٢٧/٥-٣٠.

(٣) ينظر: الثبيتي، ابن الطراوة النحوي، ١٤٠٣هـ، ص ١٧١. والمرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ١٤١٣هـ، ص ٣٩٤.

(٤) **الروض الأنف**، ١٤٢١هـ، ص ٢٦٥.

الموصول، فيكون التقدير: الذي يَملك»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)]. واختلف لفظ الرواية في نسخ صحيح البخاري، فقد ضبطت بـ(مُلْك هذه الأمة)، وضبطت بـ(مَلِك)، ومحل البحث هو رواية أبي ذر عن الكشميهني بلفظ: (هذا يملك هذه الأمة)، وهي بهذا اللفظ في أكثر أصول الشام، كما يقول الكرماني[(٣)].

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف للرواية تخريجين على رأي الكوفيين، وهما: إمَّا أن تكون الرواية على حذف الاسم الموصول، أو على القول بأنَّ اسم الإشارة هو الاسم الموصول، وفيما يلي دراسة هذين التخريجين:

التخريج الأول: حذف الاسم الموصول، وهو مذهب الكوفيين والأخفش، نسبه إليهم ابن مالك، ورجحه، معللًا ذلك بثبوته سماعًا وقياسًا[(٤)].

وقد استدلَّ أصحاب هذا القول بآياتٍ وأشعار، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[العنكبوت:٢٢]. قال الفراء: «يقول: القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون فِي الأرض ولا فِي السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى- والله أعلم- ما أنتم بِمعجزين فِي الأرض ولا من فِي السماء بِمعجزٍ، وهو من غامض العربية

(١) السبط، مرجع سابق: ١/٩٣-٩٤.

(٢) البخاري، مرجع سابق: ١/٨.

(٣) ينظر: **الكواكب الدراري**، ١٤٠١هـ، ١/٦٦.

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ١/٢٣٥.

للضمير الذي لم يظهر فِي الثاني»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[العنكبوت:٤٦]. أي: وبالذي أنزل إليكم، وهذه الآية من أقوى الحجج على الجواز[(٢)].

ومن أدلتهم قول الشاعر[(٣)]:

فوالله ما نِلتُم ولا نِيلَ منكم بمُعْتَدلٍ وَفْقٍ ولا متقارِبِ

أي: ما الذي نلتم، وما الذي نيل منكم.

وقول الشاعر[(٤)]:

ما الذي دَأبُهُ احتياط وحزم وهواه أطاع يستويان

أي: والذي هواه أطاع.

وقد علل ابن مالك جواز حذف الموصول الاسمي بأنه يشبه المضاف، وصلته كالمضاف إليه، فإذا جاز حذف المضاف إذا عُلم فكذلك ما أشبهه[(٥)].

ويظهر من صنيع ابن هشام اختيار هذا القول؛ حيث عنون بقوله: «حذف الموصل الاسمي»، واكتفى بذكر الجواز وأدلته، ولم يذكر قول المخالفين[(٦)]. وللكوفيين تخريج آخر، وهو ما يأتي بيانه في المسألة الثالثة.

المسألة الثالثة:

مجيء أسماء الإشارة موصولة.

---

(١) الفراء، مرجع سابق: ٢/ ٣١٥.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ١/٢٣٥.

(٣) ينظر: ابن مالك، المرجع نفسه: ١/٢٣٥.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية: ١/٣١٤.

(٥) ينظر: شرح التسهيل: ١/٢٣٥.

(٦) ينظر: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ص٨١٥.

يرى الكوفيون جوازَ مجيء أسماء الإشارة بمعنى الأسماء الموصولة، وعلى قولهم خرَّج المؤلف الرواية، فنحو قولك مثلًا: (هذا قال ذاك زيدٌ)، هو بمعنى: الذي قال ذاك زيدٌ[1]، وأمَّا سيبويه والبصريون فقد حصروا الجواز في (ذا) وحدها إذا سبقتها (ما)[2].

واستدل الكوفيون على الجواز بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٨٥] ، وتقدير الآية عندهم: ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم.

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾[طه: ١٧] ، أي: وما التي بيمينك.

ومن شواهدهم الشعرية قول يزيد بن مفرغ[3]:

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عليك إمَارَةٌ أَمِنْتِ، وهذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

أي: والذي تحملين طليق، فـ(تحملين) صلة؛ لأنه لم يرد الإخبار عن هذا بأنه محمول؛ لأنه لو أراد ذلك لم يجز حذف الضمير من (تحملين)[4].

ويظهر للباحث أنَّ حمل الرواية على المذهب الكوفي على الوجه الأول وهو حذف الموصول الاسمي أقرب؛ لكثرة شواهده، وقوة ما استدل به الكوفيون، على أنَّ احتمالَ كون الرواية حصل فيها تصحيف واردٌ؛ بدليل ما أورده القسطلاني بقوله: «في فرع (اليونينية) كالأصل ضُبِّب على الياء ثم ضُرب على الضبة بالحمرة خافيًا»[5].

(١) ينظر: الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ١٤٢٤هـ، ٥٨٩/٢.

(٢) ينظر: الزمخشري، **المفصل في صنعة الإعراب**، ١٩٩٣، ص١٩٠.

(٣) ينظر: **ديوان يزيد بن مفرغ**، ١٤٠٢هـ، ص١٧٠.

(٤) ينظر: السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ٢٠٠٨، ١٨٥/٣. والشاطبي، **المقاصد الشافية**، ٤٦٢/١.

(٥) **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ١٣٢٣هـ، ٧٢/١.

المسألة الرابعة:

إقامة حروف الجر بعضها من بعض.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها).

قال المؤلف: «(على وقتها): إن قلتَ: لفظ الترجمة باللام، والظاهر يقتضي (في)؛ لأنَّ الوقت ظرف لها؟.

قلت: عند الكوفة حروف الجر يُقام بعضها مُقام بعض، وأمَّا عند البصرية فاستعمال (على) هو بالنظر إلى إرادة الاستعلاء على الوقت، والتمكن على أدائها في أيِّ جزءٍ من أجزائها»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث أورده البخاري في كتاب مواقيت الصلاة[(٢)]، بلفظ: (الصلاة على وقتها)، وأورده باللام (الصلاة لوقتها) كما في كتاب التوحيد[(٣)]، والرواية باللفظين جاءت عند الإمام مسلم كما في كتاب الإيمان[(٤)].

ورواية (على) هي الأكثر، كما يقول ابن حجر[(٥)].

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف أنَّ البخاري أورد الترجمة باللام فقال: (باب فضل الصلاة لوقتها)، ثم أورد الحديث بلفظ (على)، وهو: (الصلاة على وقتها)، وقد خرَّجها المؤلف على رأي الكوفيين الذين يرون جواز إقامة

(١) السبط، مرجع سابق، ٣٦٨/١.
(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١١٢/١.
(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٥٦/٩.
(٤) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٨٩/١-٩٠.
(٥) ينظر: ابن حجر، مرجع سابق: ٩/٢.

حروف الجر بعضها مُقام بعض.

وهذه المسألة تحتاج إلى تحرير وبسط، حيث شاع عند أكثر الدارسين أنَّ إنابة حروف الجر بعضها عن بعض هو مذهب كوفي، وأن البصريين يمنعون ذلك، ولعل مستند هذا القول ما ذكره ابن هشام: «مذهب البصريين أنَّ أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك»، وذكر أنَّ ما ورد من ذلك فهو محمول عندهم على التأويل، أو على تضمين الفعل معنى يتعدى بذلك الحرف، أو على الشذوذ(١).

وحينما تُرجع المسألة إلى ما قبل ابن هشام يتضح أنَّ من العلماء مَن جعل جواز إنابة حروف الجر بعضها عن بعض ليس مذهبًا خاصًّا بالكوفيين، بل هو قولٌ لأكثر الكوفيين، ويتبعهم فيه غيرهم، كما أنَّ المنع هو قولٌ لأكثر البصريين ويتبعهم فيه غيرهم، يقول ابن السِّيد البطليوسي: «باب دخول بعض الصفات مكان بعض، هذا الباب أجازه قوم من النحويين، أكثرهم الكوفيون، ومنع منه قوم، أكثرهم البصريون وفي القولين جميعًا نظر»(٢).

وهذا الحكم من ابن السِّيد يختلف عمَّا ذكره ابن هشام سابقًا، ويبين أنَّ الجواز أو المنع ليس خاصًّا بمذهبٍ دون آخر، كما أنه يتطلب من الباحث النظر في كلام أئمة المذهبين، وهل لهم في هذه المسألة نصوص صريحة تؤيد ما يؤثر عنهم أو يخالفه؟.

في الحقيقة أنَّ الأئمة المتقدمين تعاملوا مع هذه القضية من خلال توجيه الشواهد الواردة فيها دون تصريح بجواز أو منع، فهذا الخليل مثلًا وهو إمام البصريين يقول في قول الشاعر:

«والأكل في الفاثور بالظهائر

وقوله: في الفاثور، أي على الفاثور، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

(١) ابن هشام، مرجع سابق، ص ص١٥٠-١٥١.

(٢) **الاقتضاب في شرح الكتاب**، ١٩٩٦م، ٢٦٢/٢.

جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[طه: ٧١] ، أي على جذوع النخل»[(١)].

وهذا النص من الخليل مهم جدًّا؛ إذ يظهر جليًّا تجويزه لإنابة حرف الجر مكان حرفٍ آخر، وهو بهذا يوافق ما ينسب للمذهب كوفي.

والأخفش وجَّه كثيرًا من الآيات على إنابة حرف مكان حرف، من ذلك قوله: «وتكون (إلى) في موضع (مع) نحو ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، كما كانت (من) في معنى (على) في قوله: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ﴾، أي: على القوم، وكما كانت الباء في معنى (على) في قوله (مررت به) و(مررت عليه)، وفي كتاب الله ﷻ: ﴿مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ﴾ يقول: (على دينار). وكما كانت (في) في معنى (على) نحو: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ يقول: (على جذوع النخل).

ونقل عن يونس أن العرب تقول: (نزلت في أبيك) تريد (عليه)، وتقول: (ظفرت عليه) أي (به)، و(رضيت عليه) أي: (عنه)»[(٢)].

وجاء جواز الإنابة عن المبرد مع اشتراط تقارب المعنى بينهما، يقول في ذلك: «وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنًى في بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ [طه: ٧١]، أي على، ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت (في)، لأنها للوعاء، يقال: فلان في النخل، أي قد أحاط به، ...، وقال الله جل وعز: ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾[الطور: ٣٨]، أي عليه»[(٣)].

ومن أحسن من فصَّل المسألة من متقدمي البصريين ابن السراج، حيث يقول: «واعلم: أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني، فمن ذلك: الباء تقول: فلان (بمكة) و(في مكة) ، وإنما جازا معًا لأنَّك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا، فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه

(١) **العين**، ٢٢١/٨.

(٢) الأخفش، **معاني القرآن**، ١٤١١هـ، ٥١/١.

(٣) **الكامل في اللغة والأدب**، ١٤١٧هـ، ٧٣/٣.

بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت بـ(في) عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أنَّ رجلًا لو قال: مررت في زيد، أو: كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز»[1].

والحال نفسه عند الكوفيين، ولم أجد –حسب بحثي– أنَّهم يجيزون إنابة حروف الجر بعضها عن بعض مطلقًا، بل يتعاملون مع كل نصٍّ بحسبه، يتبين هذا من خلال موقف إمام الكوفيين الفراء مع الآيات والشواهد العربية، ففي قوله تعالى: «وقوله: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[آل عمران: ٥٢]، المفسرون يقولون: من أنصارى مع الله، وهو وجه حسن، وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه، كقول العرب: إن الذود إلى الذود إبل، أي: إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلًا، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى)، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير، وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾، معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم»[2].

ومن يتأمل كلام الفراء يجد أنه أجاز إنابة حرف عن حرف في موضعٍ، ومنعه في موضع آخر، ووجَّه الآيتين على الرأيين، ففي الآية الأولى استحسن وقوع (مع) موقع (إلى) كما هو قول المفسرين حسب قوله، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ ضمَّن الفعل (تأكلوا) معنى (تضيفوا)، ولم يجز إنابة الحرف هنا.

والفراء سبق غيره في رسم هذا المنهج في التعامل مع القضية؛ إذ لا

(١) **الأصول في النحو**، ٤١٥/١.

(٢) الفراء، مرجع سابق: ٢١٨/١.

يصلح فتح الباب لإنابة كل حرف مكان حرف؛ لأنَّ هذا يؤدي إلى اللبس، فيقول: «وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه إذا كان المعنى معروفًا»(١).

ويقول في موضع آخر: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا﴾[الصافات: ١٧١] التي سبقت لهم السعادة، وهي في قراءة عبد الله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾، و(على) تصلح في موضع (اللام)؛ لأنَّ معناهما يرجع إلى شيء واحد.

وكأنَّ المعنى: حقت عليهم، ولهم، كما قال: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ومعناه: في ملك سليمان، فكما أُوخِي بين (في) و(على) إذا اتفق المعنى فكذلك فعل هذا»(٢).

ومن يتتبع أقوال الفراء في (المعاني) يجد هذا المنهج واضحًا، وهو قريب من المنهج الذي أراد ابن جني أن يرسم معالمه بقوله: «ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا»(٣).

وإذا ثبت أنَّ السابقين من أئمة المذهبين لا يمنعون الإنابة مطلقًا، وأنَّ الوارد عنهم على نوعين: الأول: توجيه ما ورد من الشواهد على إنابة الحروف بعضها عن بعض، دون ذكر قيود أو شروط، والثاني: رسم منهج لضبط الإنابة متمثلًا في اشتراط تقارب المعنى مثلًا، وعليه فما وجَّه به المؤلف –السبط– تبويب البخاري باللام (الصلاة لوقتها) ولفظ الحديث (الصلاة على وقتها) هو جارٍ على كلام المذهبين جميعًا.

---

(١) المرجع السابق: ٣/٢٧٢.

(٢) المرجع السابق: ٢/٣٩٥.

(٣) **الخصائص**، ٢/٣١٠.

وقد ذكر الزجاجي، والمرادي أنَّ (اللام) تكون بمعنى (على)[1].

المسألة الخامسة:

العطف على الضمير المتصل المرفوع بدون تأكيد.

عن أنس رضي الله عنه قال: ((صلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أمِّ سُليمٍ فقمت ويتيمٌ خلفه وأمُّ سليم خلفنا)).

قال المؤلف: «((ويتيم): عطف على المرفوع المتصل بدون التأكيد على مذهب الكوفية، وأمَّا عند البصرية ففي مثله يجب النصب بأنَّه مفعول معه»[2].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضعين، الأول: في باب الصلاة خلف النساء[3]، والثاني: في باب الصلاة على الحصير[4]، وأما مسلمٌ فقد رواه بلفظ: ((وصففت أنا واليتيم وراءه))[5]. وبهذا يُعرف أنَّ هذا اللفظ مما انفرد به البخاري دون مسلم.

تخريج المسألة:

خرج المؤلف رواية البخاري على المذهب الكوفي الذي يجوّز العطف على الضمير المرفوع المتصل دون تأكيد ولا فصل.

وتحرير القول أنْ يقال: ذهب إمام الكوفيين الفراء إلى أنَّ جواز العطف

(١) ينظر: الزجاجي، **حروف المعاني والصفات**، ١٩٨٤، ص ٧٥، والمرادي، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) السبط، مرجع سابق: ٤٧١/١.

(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٧٣/١.

(٤) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٨٦/١.

(٥) ينظر، مسلم، مرجع سابق: ٤٥٧/١.

على الضمير المرفوع دون تأكيد أو فصل جائزٌ، وإنْ لم يكن هو الأكثر في الكلام، وفي هذا يقول: «وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه، ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وهو جائز، لأنَّ في الفعل مضمرًا»(١).

وتبعَهُ الكوفيون مستدلين على الجواز بما ورد في السماع كثيرًا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾[النجم:٦-٧]، حيث عطف الضمير (هو) على الضمير المستتر في الفعل (استوى)، أي: استوى جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم في الأفق(٢).

كما استدلوا بقول عمر بن أبي ربيعة(٣):

قلتُ إذْ أقبَلَتْ وزُهْرٌ تَهادَى كنِعاجِ الملا تَعَسَّفْنَ رَمْلَا

حيث عَطْفَ الشاعر (زُهْرٌ) على الضمير المستتر في الفعل (أقبلَتْ).

ولا يختلف المذهبان في جوازه في الشعر؛ لذا قال سيبويه: «وقد يجوز في الشعر»(٤). ثم استشهد ببيت عمر بن أبي ربيعة السابق، وبعض البصريين يقيد الجواز في ضرورة الشعر(٥).

وذهب بعض المتأخرين كابن مالك إلى جوازه في الاختيار، فقال: «ومثله في عدم الاضطرار والتكلم وبالاختيار...، فرفع (زهرًا) عطفًا على الضمير المستكن في (أقبلت) مع التَّمكن من جعله مفعولًا معه»(٦).

واستُشهد للكوفيين بأدلة كثيرة، منها: قول عمر رضي الله عنه: ((كنت وجار لي من الأنصار)) (البخاري، ١٣٣/٣). وقول علي رضي الله عنه:

---

(١) الفراء، مرجع سابق: ٩٥/٣.

(٢) ينظر: الأنباري، مرجع سابق: ٣٨٨/٢.

(٣) ينظر: **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة**، ص٣٢٠.

(٤) سيبويه، مرجع سابق: ٣٧٩/٢.

(٥) الرماني، **شرح كتاب سيبويه**، ١٤١٨هـ، ص٦٥١.

(٦) شرح الكافية الشافية: ص ص ١٢٤٥/٣-١٢٤٦.

((كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كنت وأبو بكر وعمر)))[1].

ولابن مالك رأي آخر في (الألفية)، وهو إذا لم يفصل بينهما في الشعر فهو شائع فاشٍ، ومع هذا فهو ضعيف في القياس، وقال في نظمه:

وإن عَلَى ضَمِيرِ رَفعٍ مُتَّصِلْ عَطَفتَ فافصِل بالضَّمِيرِ المُنفَصِلْ

أَو فَاصِلٍ مَّا وَبِلَا فَصلٍ يَرِدْ فِي النَّظمِ فاشِيًا وَضَعفَهُ اعتَقِدْ

وقوله: (وضعفَه اعتقدْ) اختلف فيها الشراح، فقيل: إنه أراد اعتقاد الضعف مطلقًا، سواء أكان نظمًا أم نثرًا[2].

وعلى هذا التخريج للمسألة يتبين أنَّ قول أنس رضي الله عنه: ((فقمت ويتيمٌ خلفه)) جارٍ على مذهب الكوفيين، كما أنَّه جارٍ على مذهب بعض العرب الذين نقل عنهم سيبويه قولهم: مررتُ برجلٍ سواءٍ والعدمُ.

المسألة السادسة:

(إذا) المفاجأة بمعنى: (وجدت).

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ((كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيَا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت غلامًا شابًّا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت في النوم كأنَّ ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويةٌ كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان)).

قال المؤلف: «(قرنان): وفي بعضها: (قرنين)، إمَّا أنْ يقال: تقديره: فإذا لها مثل القرنين، فحذف المضاف، وترك المضاف إليه على إعرابه...، وإمَّا أنْ

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٥/٩.

(٢) ينظر: الشاطبي، مرجع سابق: ٥/١٥٥.

يقال: (إذا) المفاجأة تتضمن معنى الوجدان، فكأنَّه قال: فإذا وجدتُ لها قرنين، كما يقول الكوفيون في قولهم: (كنت أظن العقربَ أشدَّ لسعةً من الزُّنبور فإذا هو إياها) إنَّ معناه: فإذا وجدته هو إياها، قاله الكرماني»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضعين، الأول في: باب فضل قيام الليل، والثاني في: باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[(٢)]. ورواه مسلم في: باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[(٣)]. واللفظ عندهما بالرفع: (وإذا لها قرنان)، ولم أقف على أحدٍ من الرواة رواه بالنصب (قرنين).

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف رواية النصب (قرنين) على مذهب الكوفيين الذين يرون أنَّ (إذا) إذا كانت للمفاجأة كانت ظرف مكان فيه معنى: (وجدتُ): و(رأيت)، فتنصب المفعول.

وتحرير القول أنْ يقال: اللغة الفصحى الموافقة للقرآن ترفع ما بعد (إذا)، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[طه: ٢٠].

وجاء عن أبي زيد الأنصاري النصب بـ(إذا) في قول العرب: «كنتُ أظن أنَّ العقربَ أشدُّ لسعة من الزنبور فإذا هو إياها»، وحصل في هذا القول الخلاف المشهور بين سيبويه والكسائي فيما يعرف بالمسألة الزنبورية[(٤)].

وخرَّج هذا القول على أنَّ (إذا) ظرف فيه معنى (وجدت)، وعليه فيجوز

---

(١) السبط، مرجع سابق: ١/٥٤٥.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٢/٤٩، ٥/٢٤.

(٣) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٤/١٩٢٧.

(٤) السخاوي، **سفر السعادة وسفير الإفادة**، ١٤١٥هـ، ٢/٥٤٩.

النصب بها على المفعولية، وهو مع هذا مخبر به عن الاسم الذي بعده، وهذا توجيه أبي العباس ثعلب للمسألة الزنبورية، وأبي بكر ابن الخياط[1].

وتخريج الرواية على المسألة الزنبورية إنَّما هو من باب القياس، ولم أجد – حسب بحثي– سماعًا يعتضد به، وهذا التخريج غير مرضيٍّ عند المحقِّقِين؛ وذلك أنَّ (إذا) إنْ جعلت ظرف مكان فإنَّه يجب رفع المعرفتين بعدها، وتكون (قرنين) منصوبة بلا ناصب، وإنْ جعلت بمعنى الفعل (وجد) احتيج إلى فاعل ومفعولين، كما تقول في: (وجدتُ زيدًا عالمًا)، وليس في الكلام هنا فاعل، وأمَّا القياس على ما ذكره أبو زيد الأنصاري عن العرب في قولهم: «فإذا هو إيَّاها» فقيل: إنَّ هذا من الشاذ الذي لا يعرج عليه[2].

وعلى هذا فتخريج رواية الحديث على هذا المذهب فيه تكلف وضعف، كما أنَّ الرواية بالنصب من الناحية الإسنادية فيها نظرٌ؛ فلم أجد من ذكرها في كتب أمهات الحديث، فلا يستبعد أنَّ يكون أحد الشراح ذكرها بالمعنى، فرويت عنه، والله أعلم.

المسألة السابعة:

نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول به.

عن أبي الأسود قال: ((قدمت المدينة وقد وقع بها مرضٌ، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمرت به جنازة، فأثني على صاحبها خيرًا، فقال عمر رضي الله عنه: وجَبَتْ، ثم مُرَّ بأخرى فأُثني على صاحبها خيرًا، فقال عمر رضي الله عنه: وجَبَتْ، ثم مُرَّ بالثالثة فأُثني على صاحبها شرًّا، فقال عمر رضي الله عنه: وجَبَتْ)).

قال المؤلف: «(فأُثني على صاحبها خيرًا) في بعضها: (خيرٌ) نائبًا عن

(١) السخاوي، المرجع نفسه: ٥٣٦/٢، وابن هشام، مرجع سابق: ص١٢٥.

(٢) ناظر الجيش، **تمهيد القواعد**، ١٤٢٨هـ، ١٩٥٨/٤.

الفاعل، وفي بعضها بالنصب، قال ابن بطال: (أقام الجارَّ والمجرور مُقام المفعول الأول، و(خيرًا) مقام الثاني، والاختيار عكسه، ولعله لغة قوم)...، وإنه لا ينوب غير المفعول به مع وجوده، وأجازه الكوفيون مطلقًا»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في: باب ثناء الناس على الميت[(٢)]، وقد ذكر ابن حجر أنَّ النصب (خيرًا) و(شرًّا) ثبت في جميع الأصول، وأنَّ من ضبط الفعل (أثنى) بالفتح فقد غلط؛ لأنه -أيضًا- في جميع الأصول مبنيٌّ للمفعول[(٣)].

وأمَّا رواية الرفع التي ذكرها المؤلف (فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرٌ). فجاءت في غير الصحيحين، كما في مصنف ابن أبي شيبة[(٤)]. وفي مسند الإمام أحمد[(٥)].

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف رواية النصب (خيرًا)، ويُلحق بها في الحكم (شرًّا) على إقامة الجار والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به، ونسب هذا الرأي للكوفيين.

والقول بجواز نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول به قول معروف عن الكوفيين، نسبه إليهم العكبري، وحجتهم في ذلك أنَّ حرف الجر والظرف يعملُ فيهما الفعل، ويجعلان مفعولًا بهما على السعة، لذا صارا كالمفعول به[(٦)].

وممن ذهب لهذا القول الأخفش، وابن مالك، وقال: إنها واردة عن

(١) السبط، مرجع سابق: ٥٩٨/١.
(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٩٧/٢.
(٣) ينظر: ابن حجر، مرجع سابق: ٢٣٠/٣.
(٤) ينظر: **المصنف**، ١٤٣٦هـ، ١٩٥/٧.
(٥) ينظر: **المسند**، ١٤٢١هـ، ٢٨٧/١.
(٦) ينظر: ابن مالك، **شواهد التوضيح والتصحيح**: ص٢٦٨.

العرب، وليس هناك ما يمنع[1].

وأدلة هذا القول كثيرة، أشهرها: قراءة يزيد بن القعقاع قوله تعالى: ﴿لِيُجْزَىٰ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[الجاثية: ١٤]، حيث أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ونصب (قومًا) وهو المفعول به.

ومثلها قراءة أبي جعفر قوله تعالى: ﴿وَيُخْرَجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾[الإسراء: ١٣] ، حيث نصب (كتابًا) وهو المفعول به، وأسند الفعل إلى الجار والمجرور[2].

ومن شواهدهم الشعرية قول رؤبة[3]:

لم يُعن بالعلياء إلَّا سيِّدا ولا شَفَى ذا الغيِّ إلَّا ذو هُدَى

وكذا قول الشاعر[4]:

وإنما يُرضي المُنيبُ ربَّه ما دام مَعْنيًّا بذكرٍ قلبَهُ

وهذه الشواهد مع ما ذكَرَتْه كتب النحو من أدلة أخرى كافيةٌ في تأييد هذا القول، ولا سيما أنَّ رواية الحديث ثبتت هكذا بالنصب (فأُثني على صاحبها خيرًا) في جميع الأصول كما بينتُ آنفًا.

المسألة الثامنة:

رفع المستثنى بـ(إلا) من كلام تام موجب.

عن عبد الله بن أبي قتادة: ((أنَّ أباه أخبره: أن رسول الله صلى الله

(١) ينظر: **شرح التسهيل**: ١٢٨/٢.

(٢) ينظر: ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**: ٦٠٩/٢.

(٣) ينظر: **مجموع أشعار العرب**، ص١٧٣.

(٤) ابن مالك، **شرح التسهيل**: ١٢٨/٢.

عليه وسلم خرج حاجًّا فخرجوا معه...، فلمَّا انصرفوا أحرموا كلهم إلَّا أبو قتادة لم يُحْرِم)).

قال المؤلف: «((إلَّا أبا قتادة): وفي بعضها: (أبو قتادة)، فهو مبتدأ، وخبره: (لم يحرم)، وإلَّا بمعنى: (لكن)، أو هو على مذهب مَن جوَّز أن يقال: علي بن أبو طالب. وقال ابن الملقن: (أبو قتادة) هذا على مذهب الكوفيين؛ لأنه استئناف الموجب، ولم يجزه البصريون. انتهى.

وقال ابن مالك: وللكوفيين في مثله مذهب آخر، وهو أن يجعلوا (إلَّا) حرف عطف، وما بعده معطوف على ما قبلها»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في باب: لا يُشير المُحْرِم إلى الصيد لكي يَصْطادَه الحلالُ[(٢)]بلفظ الرفع: (إلَّا أبو قتادة)، ورواه مسلم في باب: تحريم الصيد للمحرم[(٣)]. بلفظ النصب: (إلَّا أبا قتادة)، ورواية الحديث بالرفع قال عنها العيني: إنها رواية الأكثرين[(٤)].

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف رواية الرفع (إلَّا أبو قتادة) على أنه استئناف من الموجب على رأي الكوفيين، أو جعل (إلَّا) حرف عطف، وهو أيضًا مذهب كوفي.

وتحرير القول هو أنَّ (إلَّا) أداة استثناء، فإذا جاء الكلام تامًّا موجبًا فإنَّ المتقرر عند جمهور النحاة أنها تنصب ما بعدها؛ تشبيهًا له بالمفعول به في مجيئه

(١) السبط، مرجع سابق، ٩١/٢.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٢/٣-١٣.

(٣) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٨٥٣/٢.

(٤) ينظر: **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ١٧٣/١٠.

بعد الكلام التام، فيكون فضلة[١].

والكوفيون يرون جواز الاستئناف من الموجب، فتكون (إلَّا) بمعنى (لكن)، وما بعدها مبتدأ، وقد يذكر الخبر معه أو يحذف، وكلٌّ ورد به السماع، ومن أمثلة ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل أمتي معافى إلَّا المجاهرون)) فـ(المجاهرون) مبتدأ، حُذف خبره.

وكذلك رواية هذا الحديث (إلَّا أبو قتادة لم يحرم)، فقد ذكر فيه الخبر مع المبتدأ.

ويشهد لهذا القول قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾[هود: ٨١]، فإنه لا يصح جعلها بدلًا من (أحد)؛ إذ لم تسري امرأته معهم[٢].

وكذا قول الشاعر:

لدم ضائع تغيَّب عنه أقربوه إلا الصبا والدبور

أي: لكن الصبا والدبور لم يتغيبا عنه[٣].

وعلى هذا القول وجَّه ابن مالك الرواية، وتُعُقِّب عليه؛ لأنَّه يؤدي إلى انقلاب كل استثناء متصلٍ إلى منقطع، يقول الدماميني: «فتحُ هذا الباب الذي فتحه ابنُ مالك يؤدي إلى جواز الرفع في كل مستثنى من كلامٍ تامٍّ موجبٍ، مثل: قام القومُ إلا زيدٌ؛ إذ يكون الواقع بعد (إلَّا) مرفوعًا بالابتداء، والخبر محذوف، وهو مقدَّر بنفي الحكم السابق، وينقلب كلُّ استثناء متصلٍ منقطعًا بهذا الاعتبار، ومثله غير مستقيم على ما يخفى»[٤].

(١) ابن يعيش، مرجع سابق: ٤٨/٢.

(٢) ابن مالك، **شواهد التوضيح**: ص٩٤.

(٣) ينظر: العيني، **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية**، ١٤٣١هـ، ١٠٨٥/٣.

(٤) **مصابيح الجامع**، ١٤٣٠هـ، ٣٣٣/٩.

والتوجيه الآخر للرواية على أنَّ (إلَّا) حرف عطف بمعنى (الواو)، وهذا مذهب كوفي، نقله عنهم الأنباري(١)، وبه يقول من البصريين: أبو عبيدة(٢)، والأخفش(٣).

واستدلوا على ذلك بمجيئه كثيرًا في القرآن الكريم وكلام العرب، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[البقرة: ١٥٠]، أي ولا الذين ظلموا.

وهذا الاستدلال ضعَّفه الفراء وهو كوفي، وذكر أنَّه صواب في التفسير خطأٌ في العربية، وأنَّ (إلَّا) لا تكون بمنزلة الواو إلا إذا عُطفت على استثناء قبلها، وذلك نحو: لي على فلانٍ ألف إلَّا عشرة إلَّا مائة. أي: له ألفٌ ومائة(٤).

ومن أدلتهم: قوله تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء: ١٤٨]، أي ومن ظلم لا يحب منه الجهر بالسوء.

وقال الأخفش: «زعم يونس أنه سمع أعرابيًّا فصيحا يقول: (ما أشْتَكِي شَيْئًا إلَاّ خَيْرًا) وذلك أنه قيل له: (كيف تجدُك)»(٥).

ويظهر أنَّ نسبة القول بأن (إلَّا) تكون بمعنى الواو على الإطلاق إلى الكوفيين فيه نظرٌ؛ وإنما جاءت هذه النسبة إليهم عند الأنباري كما تقدم، والعكبري(٦)، وما ذكرا عنهم من أدلة فقد صرَّح الفراء بخلافها، ولذا نقل أبو بكر ابن الأنباري عن الفراء إنكاره كون (إلَّا) بمعنى الواو إذا لم يتقدمها استثناء(٧)،

(١) ينظر: الأنباري، مرجع سابق، ٢١٦/١.
(٢) ينظر: **مجاز القرآن**، ١٣٨١هـ، ٦٠/١.
(٣) ينظر: الأخفش، مرجع سابق: ١٦٢/١.
(٤) ينظر: الفراء، مرجع سابق: ٨٩/١.
(٥) الأخفش، مرجع سابق: ١٦٢/١.
(٦) ينظر: **التبيين عن مذاهب النحويين**، ١٤٠٦هـ، ص٤٠٣.
(٧) ينظر: **الزاهر في معاني كلمات الناس**، ١٤١٢هـ، ٣٩٢/٢.

ويكون هذا القول صريح قول أبي عبيدة، والأخفش كما في كتبهما المذكورة آنفا.

ويمكن أنْ يضاف للرواية توجيه آخر، وإنْ لم يكن معروفًا عن الكوفيين، لكن يظهر أنَّه أقرب لتوجيه الرواية، وأبعد عن التكلف، وهو أنَّ المستثنى بـ(إلَّا) وإن كان تامًّا موجبًا فإنه يجوز فيه الإتباع؛ لورود بعض الأدلة المجوِّزة لذلك، ومنها: قراءة عبد الله، وأُبيٍّ، والأعمش قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلَا﴾[البقرة: ٢٤٩]، برفع: (قَلِيلٌ)، يقول أبو حيان: «إذا تقدم موجب جاز في الذي بعد (إلَّا) وجهان: أحدهما: النصب على الاستثناء، وهو الأفصح. والثاني: أن يكون ما بعد (إلَّا) تابعًا لإعراب المستثنى منه»، ثم ساق أمثلة لذلك منها: قام القومُ إلَّا زيدٌ، وكذا: مررت بالقومِ إلَّا زيدٍ[(١)].

وبنحوه قال السمين الحلبي، ووصف النصب في التام الموجب بالمشهور، وبيَّن أن بعض النحاة جوَّز إعراب المستثنى في هذه الصورة تابعًا للمستثنى منه[(٢)].

ومن أدلة الجواز قول الشاعر[(٣)]:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

ومن الأدلة حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعةُ يومَ الجمعة، إلا مريض، أو مسافر، أو امرأة، أو صبي، أو مملوك))[(٤)].

وأشار السيوطي إلى أن الناس قد خاضوا في توجيه الرفع هنا، حيث وقع الاستثناء في كلام تام موجب[(٥)]، وذكر الملا علي القاري عن ابن حجر أنه

(١) **البحر المحيط في التفسير**، ١٤٢٠هـ، ٢/٥٩٠.
(٢) ينظر: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ٢/٥٢٩.
(٣) ينظر: أبو حيان، المرجع نفسه: ٢/٥٩٠.
(٤) أخرجه الدارقطني، ينظر: **السنن**، ١٤٢٤هـ، ٢/٣٠٥.
(٥) ينظر: **عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد**، ١٤١٤هـ، ١/٢٨٥.

يراها لغة[١].

وقد انتصر لهذا القول من المحققين المتأخرين الصبان في حاشيته على شرح الأشموني[٢]، والدكتور: عباس حسن، ورأى أنَّ النحاة قد تكلفوا عناء التأويل والتقدير للإجابة عمَّا ورد مخالفًا لِمَا قرروه، وساق بعض الأدلة التي تؤيد جواز الإتباع في الاستثناء الموجب[٣].

المسألة التاسعة:

العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا)).

قال المؤلف: «((واليهود): قال الكرماني: عطفٌ على المضمر المجرور بدون إعادة الخافض، وهو جائز. انتهى. وكذا في كلام والدي»، ثم ساق المؤلف كلامًا طويلًا وبين آراء المذاهب في هذه المسألة[٤].

رواية **الحديث**:

الحديث رواه البخاري في ثلاثة مواضع، الأول في باب: الإجارة إلى صلاة العصر[٥]، بلفظ: (إنما مثلكم واليهود والنصارى)، وهي محل الاستشهاد هنا. والثانية في باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل[٦]. والثالثة في باب: فضل

(١) ينظر: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ١٤٢٢هـ، ١٠٢٧/٣.

(٢) ينظر: **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، ١٤١٧هـ، ٢٠٩/٢.

(٣) ينظر: **النحو الوافي**، ٣٢٩/٢.

(٤) السبط، مرجع سابق: ص ص ١٤٦/٢-١٤٩.

(٥) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٩٠/٣.

(٦) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٧٠/٤.

القرآن على سائر الكلام[١]، وكلاهما بلفظ: (مثلكم ومثل اليهود والنصارى)، وأما مسلم فلم يرو الحديث.

وقد تتابع شراح البخاري على أن الرواية الأولى جاءت بالجر (مثلكم واليهودِ)، ونسبها ابن حجر لابن التين، وذكر أنها جاءت في أصل أبي ذر بالنصب، وتخريجها على إرادة المعية[٢]. وأثبت القسطلاني رواية الجر والرفع، وأنهما هكذا في اليونينية[٣].

وعلى هذا تكون الرواية جاءت بالجر والنصب والرفع، ومحل الاستشهاد في المسألة هو ورودها بالجر.

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف رواية الحديث (بالجر) على مذهب من يجيز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، ونقل هذا التخريج عن الكرماني، وعن والده، ونص على أنه مذهب الكوفيين في السعة.

والقول بأن مذهب الكوفيين جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار جاء عن عدد من العلماء كالأنباري[٤]، والعكبري[٥]، وابن مالك[٦].

وقد استدلوا على الجواز بأدلة أشهرها: قراءة سبعية، حيث قرأ حمزة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامِ﴾[النساء: ١]، بجرّ (الأرحام)، وخرِّجت على العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار.

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٩١/٦.
(٢) ينظر: ابن حجر، مرجع سابق: ٤٤٧/٤.
(٣) ينظر: القسطلاني، مرجع سابق، ١٣٢/٤.
(٤) ينظر: الأنباري، مرجع سابق، ٣٧٩/٢.
(٥) ينظر: **اللباب في علل البناء والإعراب**، ١٤١٦هـ، ٤٣٢/١.
(٦) ينظر: **شرح التسهيل**، ٣٧٥/٣.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[البقرة: ٢١٧]، حيث عطف المسجد على الضمير في (به).

كما استشهدوا على الجواز بما ورد في النظم، كقول مسكين الدارمي[١]:

تُعَلَّقُ في مِثل السواري سيوفُنا وما بينها والأرضِ غَوطٌ

وإنشاد الفراء[٢]:

هلّا سألتَ بذي الجماجم وأبي نُعَيْم ذي اللواء المحرق

ولهم أدلة مسموعة كثيرة؛ ولذا اختار الجواز يونس، والأخفش، والشلوبين، نقله عنهم ابن مالك، ورجحه[٣].

وعلى هذا تكون رواية الجر قد ثبتت رواية، وتوجيها عند الكوفيين ومن أخذ بقولهم، وهو أولى من تكلف تأويلها، أو الطعن والشك في ثبوتها.

المسألة العاشرة:

مجيء (إنْ) بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إلَّا).

عن قتادة قال: سمعت أنسًا يقول: ((كان فَزَعٌ بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسًا من أبي طلحة يقال له: المندوب فركب، فلما رجع قال: ما رأينا من شيء، وإنْ وجدناه لبحرًا)).

قال المؤلف: «(وإن وجدناه لبحرًا): (إنْ) في قول الكوفي بمعنى: (ما)، واللام بمعنى (إلَّا)، وعند البصري: مخففة من الثقيلة»[٤].

---

(١) ينظر: مسكين الدارمي، **الديوان**، ١٣٨٩هـ، ص٥٣.

(٢) ينظر: الفراء، مرجع سابق، ٨٦/٢.

(٣) ينظر: **شرح التسهيل**: ٣٧٦/٣.

(٤) السبط، مرجع سابق: ٢٣٦/٢.

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في خمسة أبواب، وكلها بلفظ واحد، وهو (وإنْ وجدناه لبحرًا)، الموضع الأول في: باب من استعار من الناس الفرس[١]، والثانية في: باب اسم الفرس والحمار[٢]، والثالثة في: باب الركوب على الدابة الصعبة[٣]، والرابعة في: باب مبادرة الإمام عند الفزع[٤]، والخامسة في: بابٌ المعاريضُ مندوحةٌ عن الكذب[٥]. ورواه مسلم بهذا اللفظ في باب: شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب[٦].

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف الرواية على المذهب الكوفي الذي يرى أنَّ (إنْ) نافية بمعنى (ما)، واللام بمعنى (إلَّا).

وهذا نسبه إليهم الزجاجي، وقال: إنَّ أهل الكوفة يجعلون (إنْ) بمنزلة (ما) الجحد، ويسمون (اللام) لام (إلَّا)، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾[الأعراف: ١٠٢]. أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين[٧].

ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾[يوسف: ٣] ، أي: ما كنت من قبله إلا من الغافلين.

---

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٦٥/٣.
(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٢٩/٤.
(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٣٠/٤.
(٤) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٥٢/٤.
(٥) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٤٧/٨.
(٦) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ١٨٠٢/٤.
(٧) ينظر: **اللامات**، ١٤٠٥هـ، ص١١٥.

وممن نسب هذا المذهب إليهم الأنباري[١]. وابن هشام[٢].

ولعل أول من وجَّه الرواية على المذهب الكوفي هو الخطابي حيث قال: «(إن) ها هنا بمعنى: (ما) النفي، واللام في قوله: (لبحرًا)، بمعنى: (إلا)، كأنه قال: ما وجدناه إلا بحرًا. والعرب تقول: إنْ زيد لعاقل، تريد: ما زيد إلَّا عاقل»[٣]، وعنه تتابع أكثر شراح صحيح البخاري بهذا التوجيه.

وضعَّف ابن مالك قول الكوفيين، وذكر أنَّ اللام بمعنى (إلَّا) دعوَى لا دليل عليها، مستدلًّا بتضعيف الفراء ذلك، التي استدل بها الكوفيون على هذا القول، يقول ابن مالك: «فقد أقر بأن حمل القراءة على جعل (إنْ) نافية، و(اللام) بمعنى (إلا) خطأ...، وتوجيه الكوفيين خطأ بشهادة الفراء»[٤].

ويبقى أنَّ ما أورده الخطابي عن العرب يقوي توجيه الرواية على مذهب الكوفيين.

المسألة الحادية عشرة:

دخول الواو في خبر الأفعال الناسخة.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ((دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم). قالوا: قد بشَّرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم). قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: (كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه))).

(١) ينظر: الأنباري، مرجع سابق: ٥٢٦/٢.

(٢) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق: ص٥٦.

(٣) **أعلام الحديث**، ١٤٠٩هـ، ١٢٨٨/٢.

(٤) شرح التسهيل: ٣٥/٢.

قال المؤلف: «(ولم يكن شيء غيره): حالٌ، وعلى مذهب الكوفي: خبرٌ، والمعنى يساعده؛ إذ التقدير: كان الله منفردًا متوحِّدًا، وهو مذهب الأخفش، فإنه جوَّز دخول الواو في خبر (كان) وأخواتها، نحو: (كان زيدٌ وأبوه قائمٌ) على جعل الجملة خبرًا مع الواو، تشبيهًا للخبر بالحال»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[(٢)]. وأما مسلم فلم يروِ هذا الحديث.

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف أن إعراب: (ولم يكن شيء غيره) حال، ثم ذكر أنها على المذهب الكوفي خبرٌ، وأن المعنى يساعده.

وتحرير القول أن يقال: إنَّ خبر المبتدأ إذا دخلت عليه (كان) أو إحدى أخواتها نُصب اتفاقًا، ولكن البصريين يرون أنَّه منصوب على الخبرية لهذا الفعل الناسخ، وأنَّ المبتدأ والخبر معه كالفاعل والمفعول، وأما الكوفيون فيرونه منصوبًا على الحال[(٣)]. وبعضهم كالفراء يرى أنه نُصب على التشبيه بالحال[(٤)].

والمؤلف هنا خرجها أولًا على أنها حال، وهذا على رأي البصريين باعتبار أنَّ (كان) فعلٌ تامٌّ، ولا يجيزون إعراب الجملة (ولم يكن شيء غيره) خبرًا؛ إذ لا يجوز على مذهبهم اتصال الواو بخبر الأفعال الناسخة، كما لا يصح اعتبار (كان) ناقصة، والخبر محذوف؛ إذ إنهم يمنعون حذف خبر الأفعال الناسخة.

---

(١) السبط، مرجع سابق: ٢٦٩/٢.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٠٥/٤.

(٣) ينظر: الأنباري، مرجع سابق: ٦٧٦/٢.

(٤) ينظر: أبو حيان، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، ١٤١٨هـ، ١١٤٦/٣.

وأمَّا على رأي الكوفيين فيجوز إعراب (كان) فعلًا ناقصًا، وجملة (ولم يكن شيء غيره) خبرها، أي: كان الله في الأزل متفردًا متوحدًا، وهذا تقدير الطيبي في شرح المشكاة[1].

والكوفيون لا يمنعون دخول الواو على خبر الأفعال الناسخة؛ لشبهه بالحال كما يقول الفراء، أو على أنه حال كما يصرح بعضهم، ومجيء الواو هنا موافق لمذهبهم.

ويوافقهم الأخفش في هذا الحكم، حيث يجوِّز دخول الواو على خبر الأفعال الناسخة، فيرى في نحو: (كان زيدٌ وأبوه قائمٌ) أن جملة (وأبوه قائمٌ) خبر لـ(كان) الناقصة، يقول ابن جني: «وأجاز أبو الحسن زيادة الواو في خبر كان؛ نحو قولهم: كان ولا مال له، أي: كان لا مال له»[2].

وعلَّل ابن جني تجويز الأخفش لهذا الحكم بأنه شبَّه خبر (كان) الجملة بالجملة الحالية فجرى مجراه[3].

وهذا القول رجحه ابن مالك، وقال: ربَّما شبهت جملة الخبر بالحالية فوليت الواو[4].

ويشهد لقول الكوفيين قول الشاعر[5]:

فظلُّوا ومنهم سابِقٌ دَمْعة له ... وآخر يثْني دَمْعةَ العَيْنِ بالمَهْل

وقول الشاعر:

كانوا أُناسًا يَنْفَحُون فأصبحوا ... وأكثر ما يُعْطونك النَّظَرُ

(١) ينظر: **الكاشف عن حقائق السنن**، ١٤١٧هـ، ٣٥٩٩/١١.

(٢) ابن جني، مرجع سابق، ٤٦٤/٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق: ٤٦٤/٢.

(٤) ينظر: **شرح التسهيل**، ٣٥٨/١.

(٥) ينظر: المرجع نفسه: ٣٦٠/١.

وذكر أبو حيان[1] أن الفراء روى قولهم: (كان عبد الله وإنه لجميل)، كما أنشد قول الشاعر:

إن الجميل يكون وهو مقصر والقوم فيما تم غير سواء

وذكر أبو حيان عن الأخفش إنشاده قول الشاعر:

كُنَّا ولا تعصي الحليلةُ بَعْلَها فاليوم تضربه إذا ما هو عصى

ومما سبق يتبين أنَّ تخريج المؤلف الرواية على المذهب الكوفي سائغ جاء في بعض الأشعار، والأقوال المروية عن العرب، وإن لم تكن كثيرة.

المسألة الثانية عشرة:

(أنْ) بمعنى (لئلا).

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا مرَّ بالحِجْر قال: ((لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلَّا أنْ تكونوا باكين أنْ يصيبَكم ما أصابهم، ثم تقنع بردائه وهو على الرحل)).

قال المؤلف: «(أن يصيبكم): أي: كراهية أن يصيبكم على رأي البصريين من النحاة، أو لئلا يصيبكم على رأي الكوفيين في حذف (لا)»[2].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في ثلاثة مواضع: اثنان منها في باب: قولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[3]. والثالث في باب: نزول النبي صلى الله عليه وسلم الحجر[4]. ورواه مسلم باللفظ نفسه في موضعين في باب: لا

(١) ينظر: التذييل والتكميل: ٤/٢٠٩.

(٢) السبط، مرجع سابق: ٢/٢٨٣.

(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٤/١٤٩.

(٤) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٦/٧.

تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين[1].

تخريج المسألة:

خرَّج المؤلف الرواية (أن يصيبكم) على المذهب الكوفي الذي يرى أنَّ (أنْ) تأتي بمعنى (لئلا) على حذف لام قبل (أنْ) وحذف لا بعدها.

وقول الكوفيين هذا ثبت عن أئمتهم كالكسائي والفراء، وفسرا بهذا القول آيات وأحاديث، من ذلك قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾[النساء: ١٧٦]، قال الكسائي والفراء: أي: لئلا تضلوا[2]. وعليه فاللام سقطت من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى؛ لدلالة الكلام عليها، وهذا جارٍ على أسلوب العرب، يقولون: «جئتك أن تلومني»، أي: لئلا تلومني[3].

ومن شواهدهم أنَّ أبا عبيدة حدَّث الكسائي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَدعُوَنَّ أحدُكم على وَلَدِه أَنْ يوافقَ مِنَ اللَّهِ إجابةً))، فَاسْتَحْسَنَهُ أَيْ لِئَلَّا يُوَافِقَ[4].

والكوفيون يرون أن حذف (لا) شائع، وعليه جاء الشعر، كما في قول القطامي[5]:

رأينا ما رأى البُصَراءُ فيها فآلينا عليها أَنْ تُباعَا

أي: لئلا تباع.

وعلى هذا يكون تخريج الرواية موافقًا لمذهب الكوفيين، وشاهدًا لهم، مع أنَّ المعنى على كلا المذهبين واحد لا يختلف، وإنما الخلاف في أيهما

(١) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٢٢٨٥/٤.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: ١٥٢/٤.

(٣) ينظر: ابن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ١٤٢٢هـ، ٧٢٥/٧.

(٤) ينظر: أبو حيان، المرجع السابق: ١٥٣/٤.

(٥) ينظر: **الديوان**، ص٢٦٩.

أولى بالحذف، حرف (لا) كما يقول الكوفيون، أم حذف المضاف كما هو رأي البصريين؟.

المسألة الثالثة عشرة:

مجيء (ليس) حرف عطف.

عن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحَمَلَ الحسن وهو يقول: ((بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهٌ بعليٍّ)).

قال المؤلف: «((ليس شبيه بعليٍّ): قال ابن مالك في: (شرح التسهيل): كذا ثبت في (البخاري) برفع (شبيهٌ) بناءً على أنَّ (ليس) حرف عطف كما يقول الكوفيون...، ويجوز أن يكون (شبيه) اسمَ (ليس) وخبرها ضمير متصل حذف استغناءً بنيَّته عن لفظه. انتهى كلام الزركشي.

وقال غيره: وأما الرفع فعلى أنها حرف عطف كما حكاه النحاس وابن بابشاذ عنهم، وحكاه ابن عصفور عن البغداديين، واستدلوا بأشياء منها قول الشاعر:

أين المفرُّ والإلهُ الطالبُ والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ

فـ(ليس) في البيت عندهم حرف عطف بمعنى (لا)، قال ابن مالك: (ومن أجود ما يحتج لهم قول أبي بكر رضي الله عنه: (ليس شبيهٌ بعليٍّ)) وقد تُعُقِّب ابن مالك في ذلك. انتهى»[1].

وساق المؤلف كلامًا طويلًا للعلماء، وفيه تعقيب لابن هشام على ابن مالك.

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضعين، الأول في باب: صفة النبي صلى الله

(١) السبط، مرجع سابق: ٣١٨/٢.

عليه وسلم[(١)]. بلفظ: (بأبي شبيهٌ بالنبي لا شبيهٌ بعليٍّ). والثاني في باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما [(٢)] بلفظ: (بأبي شبيهٌ بالنبي، ليس شبيهٌ بعليٍّ). ولم يروِ مسلم هذا الحديث، وبهذا يتبين أن الرواية الأولى عند البخاري لا إشكال فيها، وإنما الخلاف في الرواية الثانية.

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف تخريجًا طويلًا، ونقل عن ابن مالك وابن هشام وغيرهما، وبين أن الكوفيين يرون أنَّ (ليس) تكون حرف عطف بمعنى (لا)، وذكر توجيهًا لابن مالك، ولكن بعض العلماء تعقبه فيه.

وتحرير المسألة يكمن في أمرين:

الأول: هل تأتي (ليس) حرف عطف بمعنى (لا) على مذهب الكوفيين؟.

الثاني: هل الخبر ضمير متصل حُذف استغناءً بنيَّته عن لفظه كما هو صريح قول ابن مالك؟ وعليه فلو كان منفصلًا لم يجزْ حذفه.

أما الأمر الأول فقد ورد عن أئمة الكوفيين ما يفيد أنَّ (ليس) قد تأتي حرف عطف بمنزلة (لا)، ونقل ثعلب عن الفراء قوله: «إذا حسنت (ليس) موضع (لا) جاز، وأنشد:

إنما يجزي الفتى ليس الجملْ»[(٣)].

ونقل الأزهري عن الكسائي أنَّه ربما جاءت (ليس) بمعنى (لا) التي ينسق بها، وأنشد البيت السابق.

كما نقل الأزهري -أيضًا- عن ابن كيسان أنَّ (ليس) تكون نسقًا،

---

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٨٧/٤.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٢٦/٥.

(٣) **المجالس**، ص٤٤٧.

نحو: جاءني عمرو ليس زيد، أي: لا زيد[١].

وهذه النصوص صريحة في أنَّ مذهب الكوفيين أنَّ (ليس) ربما جاءت حرف عطف بمعنى (لا)؛ ولذا صرَّح جماعة من العلماء كابن مالك أنَّ الكوفيين يرون أنَّ (ليس) حرف عطف[٢]، والمرادي[٣]. وتردد ابن هشام في نسبته بين الكوفيين والبغداديين، حيث قال عن (ليس): «تكون حرفًا عاطفًا أثبت ذلك الكوفيون أو البغداديون على خلاف بين النقلة»[٤]. ونسبه الفارسي للبغداديين[٥].

ومما استشهدوا به على مجيء (ليس) حرف عطف قول الشاعر[٦]:

أَيْنَ المَفَرُّ وَالإِلَهُ الطَّالِبُ والأَشْرَمُ المَغلُوبُ ليس الغالِبُ

أي: لا الغالبُ.

كما استشهدوا بقول لبيد[٧]:

وإذا جُوْزِيْتَ قَرْضًا فاجْزِهِ إنَّما يَجْزي الفَتى لَيْسَ الجَمَلْ

قال الأزهري: إذا أعربت قيل: ليس الجملُ؛ لأنها بمعنى (لا) النسقية.

وما سبق بيانه عن أئمة الكوفيين كافٍ في إثبات أنَّه في مذهبهم قد تأتي (ليس) حرف عطف، وأن استبعاد أبي حيان هذا القول، وتعقبه ابنَ عصفور وابنَ مالك اللذين نسبا إلى الكوفيين هذا المذهب فيه نظرٌ، فقد ذكر

(١) ينظر: **تهذيب اللغة** (٥١/١٣).

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ١٢٣٢/٣.

(٣) ينظر: المرادي، مرجع سابق: ص٤٩٨.

(٤) ابن هشام، مرجع سابق: ص٣٩٠.

(٥) ينظر: **المسائل الحلبيات**، ١٤٠٧هـ، ص٢٦٤.

(٦) ينظر: ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**: ١٢٣٣/٣.

(٧) ينظر: **شرح ديوانه**، ص ١٧٩.

كلامًا طويلًا، وفيه: «وفي الحقيقة ليست (ليس) عندهم حرف عطف»[(١)].

الأمر الثاني: وهو توجيه ابن مالك للرواية (ليس شبيهٌ بعليٍّ) أنَّ (شبيه) اسم (ليس)، والخبر ضمير متصل محذوف، والتقدير: ليسه شبيهٌ، كما قدَّر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أليس ذو الحجة) بأليسَه ذو الحجة[(٢)].

وخرَّج ابن مالك البيت السابق على تقدير: (ليسَه الأشرم)، ويكون الضمير ضمير الأشرم، وهو خبر (ليس) المحذوف، و(الغالب) الاسم[(٣)].

وقد نظَّر ابن هشام في مفهوم كلام ابن مالك، وقال: «ومقتضى كلامه أنه لولا تقديره متصلًا لم يجز حذفه وفيه نظر»[(٤)].

وهذا التعقيب جعل العيني يخرّج البيت على تقدير: (ليس الغالب إياه)[(٥)]، وهو موافق لتخريج أبي علي الفارسي بيت لبيد بـ(ليس الجملُ جازيًا)، ويكون تقدير المؤلف: (ليس شبيه إياه) موافقًا لتقديرهما، وعليه فلا يشترط كون الضمير متصلًا ليجوز حذفه، بل يحذف ولو متأخرًا.

المسألة الرابعة عشرة:

جواز الجزم بعد النهي.

عن أنس رضي الله عنه قال: ((لما كان يوم أحد انهزم الناسُ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مُجَوِّبٌ به عليه بِحَجَفَةٍ له، وكان أبو طلحة رجلًا راميًا...، فأشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشْرِفْ يُصيبُك سهمٌ من سهام القوم)).

---

(١) **ارتشاف الضرب**: ١٩٧٨/٤.

(٢) ينظر: **شواهد التوضيح والتصحيح**: ص٨٧.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ٣٤٧/٣.

(٤) ابن هشام، مرجع سابق: ص٣٩٠.

(٥) **المقاصد النحوية**: ١٦١١/٤.

قال المؤلف: «(لا تُشْرِفْ يُصِيْبُك): هو بالرفع، كذا لهم، وهو الصواب، وعند الأصيلي: (يُصبْك)، وخطؤوه، وهو قلب للمعنى؛ إذ لا يستقيم أن تقول: إن لا تُشرفْ يصبْك سهمٌ، لكن جوَّزه الكوفيون»[(١)].

رواية الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضعين، الأول في باب: مناقب أبي طلحة رضي الله عنه[(٢)]. والثاني في باب: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(٣)]، وكلا اللفظين بالرفع (يصيبُك)، وقد أثبت جماعة من المحدثين رواية الجزم (يصبْك)، فقد ذكر ابن حجر أنها رواية أبي ذر للصحيح، وهي الرواية التي يشرح عليها الصحيح[(٤)]، وذكرها العيني[(٥)]. والقسطلاني[(٦)].

والحديث رواه مسلم في باب: غزوة النساء مع الرجال[(٧)]، بلفظ: (لا تشرفْ لا يصبْك).

ومما سبق يتبين أنَّ رواية (يصبْك) بالجزم ثابتة عند شراح الحديث، فلا مطعن فيها.

(١) السبط، مرجع سابق: ٣٥٣/٢.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٣٧/٥.

(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٩٧/٥.

(٤) ينظر: ابن حجر، مرجع سابق: ٣٦٢/٧.

(٥) ينظر: **عمدة القاري**: ٢٧٤/١٦.

(٦) ينظر: القسطلاني، مرجع سابق: ١٦٣/٦.

(٧) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ١٤٣٤/٣.

تخريج المسألة:

أشار المؤلف إلى أنَّ بعض العلماء خطَّأ رواية الجزم، وأن المعنى ينقلب بها، ثم بين المؤلف أن الكوفيين يجوزون مثل ذلك.

وتحرير المسألة أنْ يقال: يرى جمهور النحاة أنَّه يشترط في جزم الجواب بعد النهي أنْ يصحَّ إقامة شرطٍ منفيٍّ، وذلك على تقدير (إنْ) قبل (لا) النافية، فإنْ صحَّ المعنى جاز الجزم، نحو: (لا تَدْنُ من الأسد تَسْلَمْ) فتقدِّر: إنْ لا تَدْنُ من الأسد تَسْلَمْ، بخلاف نحو: (لا تَدْنُ من الأسد يأكلْك)، فعند التقدير تقول: إنْ لا تَدْنُ من الأسد يأكلْك، وهذا معنى غير صحيح، لذا لا يجوز الجزم عندهم، قال سيبويه: «فإن قلت: (لا تَدْنُ من الأسد يأكلْك)، فهو قبيحٌ إنْ جزمت، وليس وجه كلام الناس؛ لأنَّك لا تريد أنْ تجعل تباعده من الأسد سببًا لأكله، وإنْ رفعت فالكلام حسن، وإنْ أدخلت الفاء فهو حسن»[(١)].

قال العلماء ومما يستشهد به على صحة هذا المذهب قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾[نوح: ٢٦-٢٧] ، فصرح هنا بالشرط، لأنه لو قال: لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا يضلوا عبادك، لكان التقدير: إن لا تذرهم يضلوا عبادك، وهذا معنى غير مراد، ومحال[(٢)].

وذهب إمام الكوفيين الكسائي إلى جواز ذلك، وله دليلان: قياسٌ، وسماع، أمَّا القياس فهو على جواز النصب بعد دخول الفاء[(٣)].

وأمَّا أدلة السماع فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم بعضًا))، فهذا الحديث في الصحيحين بالرفع

(١) سيبويه، مرجع سابق: ٩٧/٣.

(٢) ينظر: ابن الخباز، **توجيه اللمع**، ١٤٢٨، ص٣٨٠.

(٣) ينظر: ابن مالك، **شرح التسهيل**: ٤٣/٤.

(يضربُ)[١].

وقد ذكر النووي: أنَّ القاضي عياض نقل عن بعض العلماء أنهم ضبطوه بإسكان الباء[٢]، فيكون شاهدًا للكسائي، ولكن ذَكَر النووي أن رواية المتقدمين والمتأخرين بالضم (يضربُ)، وقال: هي الصواب.

وللجزم توجيه ذكره العكبري وجوَّزه، وهو إضمار شرط مضمر، أي: إن ترجعوا كفارًا يضرب بعضكم بعضًا[٣].

ومما يستدل به على رأي الكسائي: ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَنْ أكل مِنْ هذه الشجرة فلا يَقْرَبْ مسجدنا يؤذنا بريح الثوم)).

وهذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده في كتب الحديث، وإنما الوارد في الصحيحين بلفظ: ((مَنْ أكل مِنْ هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربنَّ مسجدنا))[٤] زاد مسلم في روايته: (ولا يؤذينا بريح الثوم)[٥].

ومن الأدلة أيضًا قول العرب: (لا تسألونا نجبْكم بما تكرهون)[٦].

ورواية الحديث: (لا تشرفْ يصبْك) من أقوى الأدلة التي يستدل بها الكوفيون، وهي ثابتة كما سبق بيانه.

وهذا القول جعله ابن مالك مما انفرد به الكسائي، ولكن أبا حيان وابن عقيل ذكرا أنَّه منسوب للكوفيين عمومًا، وأنَّ الجرمي أجاز الجزم على رداءة، وأنَّ

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق، ٣٥/١. ومسلم، مرجع سابق: ٨١/١.

(٢) ينظر: النووي، مرجع سابق: ٥٥/٢.

(٣) ينظر: **إتحاف الحثيث بما يشكل من إعراب الحديث**، ١٤١٨هـ، ص١٦٠.

(٤) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١٧٠/١.

(٥) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٣٩٤/١.

(٦) ينظر: الشاطبي، مرجع سابق: ٧٥/٦.

الأخفش يجوِّزه لا على أنه جواب، بل حملًا على اللفظ الأول لأنه مجزوم[1].

وبهذه الأدلة يظهر استحسان رأي الكسائي والكوفيين عمومًا، ويكون شرط الجمهور غير ملزم عنده، إذ يرى الاكتفاء بتقدير (إن) دون (لا)، فيكون التقدير عنده في مثال النحويين: (لا تدنُ من الأسد يأكلْك) هو: إن تدن من الأسد يأكلك. ويعتمد في هذا على وضوح المعنى المراد[2].

وبناءً على هذا الاستحسان فإن الرواية توجَّه على معنى صحيح على رأي الكوفيين، ولا يكون فيها قلب للمعنى، وإنما يحصل القلب إذا حملت على تقدير الجمهور، وهو غير ملزِم، وحيث ثبتت الرواية فإنَّ المتعيّن كما قال الدماميني: إذا وجدتُ الرواية الصحيحة وتخرجت على رأي إمام من أئمة العربية فإنَّ من الإنصاف ألَّا تطرح الرواية، ويقطع بخطئها، اعتمادًا على قول المخالفين[3].

المسألة الخامسة عشرة:

دخول حرف الجر (من) على (بَله).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين: ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بَشَر، ذخرًا، بَلْهَ ما أطلعتم عليه)).

قال المؤلف: «((من بله))»، ثم ذكر كلامًا طويلًا جدًّا يصعب نقله، حيث نقل كلام ابن مالك، ثم الأخفش، وغيرهما، ثم قال: «وفي حاشية على (البخاري): اتفقت نسخ الصحيح على قوله: (مِن بله)، والصواب إسقاط

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل: ٤٣/٤. **ارتشاف الضرب**: ١٦٨٥/٤. وابن عقيل، **شرح الألفية**، ١٤٠٠هـ، ١٠٠/٣.

(٢) ينظر: أبو الفداء، **الكناش في فني النحو والصرف**، ٢٠٠٠م، ٢٨/٢.

(٣) ينظر: الدماميني، مرجع سابق: ٣٢١/٧.

حرف (مِن) لا غير، هكذا نُقلتْ هذه الحاشية من خط الصَّغاني، وعلى مذهب الكوفيين يجوز أن تكون (مِن) زائدة، كما يقولون: (قد كان من مطر). انتهت»[(١)].

تخريج الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضع واحد بلفظ: (ذُخْرًا، بله ما أُطْلِعتم عليه)، بدون زيادة (مِن) في باب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧][(٢)]، ورواه مسلم باللفظ نفسه في موضعين في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها[(٣)].

وعلى هذا يكون هذا اللفظ (من بله) في غير النسخ المطبوعة التي بين أيدينا، ولكنها ثابتة في نسخ متعددة لروايات البخاري، ولذا نقل المؤلف هذه الإشارة التي وجدها في حاشية على (البخاري)، وبين أنَّ نسخ البخاري متفقة على قوله: (مِن بله).

وقال القسطلاني: «وللأربعة: (من بله) بزيادة (مِن) الجارة وجر (بله) بها كذا في الفرع المعتمد المقابل على أصل اليونيني المحرر بحضرة إمام العربية أبي عبد الله بن مالك، وكذا رأيته في أصل اليونيني المذكور»[(٤)]، وهذا النقل يقطع بثبوتها، ويوجب النظر في كلام الصغاني الذي أوجب إسقاط (من).

تخريج المسألة:

ذكر العلماء أنَّ (بَلْه) تكون اسم فعل مثل: (رويد)، فيقال: (بَلْه زيدًا) أي: دعه واتركه، كما تكون بمنزلة المصدر، فيقال: (بله زيدٍ) كما

(١) السبط، مرجع سابق: ٣٩٨/٢.
(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ١١٦/٦.
(٣) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ص ص ٢١٧٤/٤-٢١٧٥.
(٤) القسطلاني، مرجع سابق: ٢٩١/٧.

يقال: رُوَيْدَ زيدٍ[(١)].

وذكروا أنها تأتي لثلاثة معانٍ: الأول: بمعنى (على)، والثاني: بمعنى (دع)، والثالث: بمعنى (كيف) [(٢)].

وذكر ابن هشام: أنَّ (بَلْه) تكون اسمًا لـ(دع)، ومصدرًا بمعنى (الترْك)، واسمًا مرادفًا لـ(كيف)[(٣)].

وجاء عن الليث أنها تكون بمعنى: (أَجَل)[(٤)].

ولمَّا جاء الحديث بلفظ: (مِنْ بَلْه) استنكر بعض العلماء زيادة (مِنْ)، بل ردَّ بعضهم الرواية كما فعل الصغاني، وعند التأمل والتحقيق يقال: إنَّ من معاني (بَلْه) التي انفرد بها الكوفيون عن البصريين، وتابعهم عليها البغداديون مجيء (بَلْه) أداة استثناء، وهي عند بعض الكوفيين بمعنى (غير)، وما بعدها مجرور بالإضافة، وعند بعضهم بمعنى (لا سيما)[(٥)]. وذكر ابن فارس أنها بمعنى (سوى)[(٦)].

يقول أبو حيان: «وزعم الدينوري: أنها من أدوات الاستثناء تقول: (قام القومُ بَلْه زيدًا) كأنك قلت: إلا زيدًا»[(٧)].

وقد نبَّه ابن هشام إلى أنَّ (بله) تستعمل معربة مجرورة بـ(من) خارجة عن المعاني الثلاثة، بمعنى: (غير) وهو ظاهرٌ، وهذا يقوي من يعدها في ألفاظ الاستثناء[(٨)].

---

(١) ينظر: الزجاجي، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) ينظر: ابن الأنباري، مرجع سابق: ٩٥/١.

(٣) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق: ص١٥٦.

(٤) ينظر: الصغاني، **التكملة والذيل والصلة**، ١٩٧٩م، ٣٣٤/٦.

(٥) ينظر: السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: ٢٩٠/٢.

(٦) ينظر: **مجمل اللغة**، ١٤٠٦هـ، ص١٣٣.

(٧) **ارتشاف الضرب**: ٢٢٩٦/٥.

(٨) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق: ص١٦٥.

وبهذا المعنى خرَّج بعض شراح الحديث الرواية (مِن بَلْه ما ادَّخرتم عليه) بزيادة (مِنْ)، يقول ابن حجر: «وأصحُّ التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب...، أنها بمعنى (غير)، وذلك بيِّن لمن تأمله»[(١)].

ولها تخريج آخر وهو أنْ تكون بمعنى (كيف) التي يراد بها الاستبعاد، ودخول حرف الجر (مِنْ) جائز، فقد حكى أبو زيد قول بعضهم: (إنَّ فلانًا لا يطيق أن يحمل الفِهْر، فمِنْ بَلْهِ أن يأتي بالصخرة؟) أي: فكيف يطيق حمل الصخرة؟ وحينئذٍ تعرب (ما) مصدرية، وهي مع صلتها في محل رفع مبتدأ، و(من بله) خبرٌ، والضمير في: (عليه) راجع على ما ادخرتم، ويكون المعنى: كيف ومن أين اطلاعكم على ما ادخرته لعبادي الصالحين؟[(٢)].

المسألة السادسة عشرة:

مجيء (لعل) بمعنى الاستفهام.

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ...إلخ الحديث وفيه: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

قال المؤلف: «((لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)): قال ابن هشام: (لعل) لها معانٍ ...، الثالث: الاستفهام، أثبته الكوفيون...، ولا يمتنع كون خبرها فعلًا ماضيًا، خلافًا للحريري، وفي الحديث ...ما هنا...والله أعلم»[(٣)].

(١) ابن حجر، مرجع سابق: ٨/٥١٧.
(٢) ينظر: ابن يعيش، مرجع سابق: ٣/٤٥. والدماميني، مرجع سابق: ٨/٣٥٠.
(٣) السبط، مرجع سابق: ٢/٤١٤.

تخريج الحديث:

الحديث رواه البخاري في أربعة مواضع، في باب: إذا اضطر الرجلُ إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن[(١)]، وباب: فضل من شهد بدرًا[(٢)]، وباب: غزوة الفتح[(٣)]، وباب: ما جاء في المتأولين[(٤)]، ورواه مسلم في موضع واحد في باب: من فضائل أهل بدر، وقصة حاطب بن أبي بلتعة[(٥)].

تخريج المسألة:

اكتفى المؤلف بنقل كلام ابن هشام، وظاهر صنيعه أن أراد الاستشهاد بهذه الرواية على أمرين: الأول: الاستشهاد على مجيء (لعلَّ) مرادًا بها الاستفهام، كما هو في المذهب المنسوب للكوفيين.

الثاني: الاستشهاد على أنَّ خبر (لعل) يكون فعلًا ماضيًا، خلافًا للحريري الذي منع ذلك.

وتحرير القول أنْ يقال: ذكر العلماء أنَّ لـ(لعل) معانيَ: الأول: الترجي، وهو أشهر معانيها، كقولك: (لعل الله يرحمُنا).

والثاني: الإشفاق، كقولهم: (لعل العدوَّ يقدم).

والثالث: التعليل، وهذا أثبته الكسائي والأخفش، ويمثل له بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ٥٢].

والمعنى الرابع: الاستفهام، وقد أطلق الزجاجي هذا المعنى ولم ينسبه

(١) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٤/٧٦.
(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٥/٧٧.
(٣) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٥/١٤٥.
(٤) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٩/١٨.
(٥) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ٤/١٩٤١.

لمذهب، بينما قيده المرادي وابن هشام بالمذهب الكوفي[١].

وتبع ابن مالك الكوفيين في مجيء (لعل) للاستفهام، واستشهد عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة: ((لَعَلَّنا أَعْجَلْناك؟))[٢].

ونسب أبو حيان هذا القول إلى الكوفيين، ونص على أنَّه اختيار الفراء، وأنَّ البصريين يرونه خطأً، أي: أن تكون (لعل) بمعنى الاستفهام، وأمَّا الحديث الذي أورده ابن مالك فهو عندهم على معنى الإشفاق[٣].

والغريب أنَّ كثيرًا ممن تحدث عن الخلاف في مجيئها للاستفهام، وردوا على الكوفيين وابن مالك لم يذكروا كلام الزجاجي وهو من أتباع البصريين فقد قال: «(لعل) لها ثلاثة أوجه: تكون شكًّا، وإيجابًا، واستفهامًا...، والاستفهام قولك في الخطاب: (لعل زيدًا يقوم؟) كما تقول: (أتظن زيدًا يقوم؟)، تواجه بذلك من تخاطب»[٤]. وواضح من كلامه وتمثيله أنَّ (لعل) تكون بمنزلة همزة الاستفهام.

ومما سبق يتبين أن من معاني (لعل) الاستفهام، وبه قال الكوفيون، والزجاجي، ومن المتأخرين ابن مالك، والمرادي، وابن هشام، وحملُ المؤلف هذا الحديث على هذا المعنى موافق لقياسهم، فقد نصوا على أنَّ المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[الطلاق: ١] ، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس: ٣] ، هو الاستفهام، والتقدير فيهما هو: لا تدري أألله يحدث بعد ذلك أمرًا؟ وفي الآية الأخرى: وما يدريك أيزكى؟[٥].

---

(١) ينظر: الزجاجي، **حروف المعاني والصفات**، ص٣٠. والمرادي، مرجع سابق: ص٥٨٠. وابن هشام، مرجع سابق: ص٣٧٩.

(٢) ينظر: **شرح التسهيل**: ٨/٢.

(٣) ينظر: التذييل والتكميل: ٢٤/٥.

(٤) الزجاجي، المرجع السابق: ص٣٠.

(٥) ينظر: خالد الأزهري، **شرح التصريح على التوضيح**، ١٤٢١هـ، ٢٩٦/١.

ويكون تقدير الحديث: وما يدريك يا عمر أأللهُ أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟

الأمر الثاني: وهو جواز مجيء خبر (لعل) فعلًا ماضيًا، وهذا قد أنكره الحريري، وعلل ذلك بأنَّ معنى (لعل) هو التوقع لمرجوٍّ أو مخوف، وهذا إنما يكون لـمَا يتجدد ويتولد لا فيما انقضى(١).

وما ذكره الحريري فيه نظرٌ، فقد تعقبه ابن بري، وبيَّن أنَّ (لعل) وإنْ كان معناها التوقع إلا أنَّ المترقَّب غير محقق الوقوع، بل مشكوك فيه ومظنون، وهما يكونان في الماضي والمستقبل على حدٍّ سواء(٢).

ومما يشهد لصحة كلام ابن بري وروده في الشعر كثيرًا، ومن ذلك قول امرئ القيس(٣):

وبُدِّلتُ قرحًا داميًا بعد صحةٍ لعلَّ منايانَا تحوَّلْنَ أبؤُسَا

واستشهد ابن هشام على صحة مجيء خبرها فعلًا ماضيًا بهذا الحديث: (لعل الله اطلع على أهل بدر)(٤). ووافقه المؤلف على صنيعه هذا.

(١) ينظر: **درة الغواص في أوهام الخواص**، ١٤١٨هـ، ص٣٦.
(٢) ينظر: **الحواشي على درة الغواص**، ١٤١٧هـ، ص٧٤٧.
(٣) ينظر: **الديوان**: ص١١٢.
(٤) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق: ص٣٨٠.

المبحث الثاني: الروايات التي وُجِّهت على المذهب الكوفي في مسائل الصرف

المسألة الأولى:

مجيء (فُعَل) جمع قلة.

عن عائشة ﵂ زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ((أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيُخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غُرَف بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله)).

قال المؤلف: «(ثلاث غرف): في بعضها: (غرفات).

إن قلت: هذا هو الأصل؛ لأنَّ مميز الثلاثة ينبغي أن يكون من جموع القلة، فما الوجه في (غُرَف)؟.

قلت: جمع الكثرة يقام مُقام جمع القلة، وبالعكس، وأما الكوفيون فـ(فعَل) بضم الفاء وكسرها عندهم من باب جموع القلة، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾[هود: ١٣]. وقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾[القصص: ٢٧]. قاله الكرماني.

وقال الطيبي: (وفي أصل (المالكي): (ثلاث غُرف) ...إلخ»[(١)]. وقد نقل الطيبي كلام ابن مالك –وهو طويل–، وعنه نقل المؤلف كلامه، وستأتي الإشارة إليه.

تخريج الحديث:

الحديث رواه البخاري بهذا اللفظ (ثلاث غُرف) في موضع واحد، في باب: الوضوء قبل الغسل[(٢)]. وأما لفظ (ثلاث غرفات) فقد ذكر ابن حجر

(١) السبط، مرجع سابق: ٢٥٣/١.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٥٩/١.

أنها هي رواية الكُشْمِيهَنِي[1] . ولم يروِ مسلم الحديث بهذا اللفظ.

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف أنَّ الرواية جاءت بـ(ثلاث غُرف) أي: بجمع الكثرة، وهو على تخريج الكوفيين أنَّ (فُعَل)، و(فِعَل) جمعًا قلة، وذكر رواية أخرى وهي: (ثلاث غرفات)، أي: بجمع المؤنث السالم، وذكر أنَّ هذا هو الأصل، وعليه فمذهبه أن الجمع السالم يكون للقلة.

وتحرير المسألة أن يقال: حيث جاءت الرواية على لفظ (ثلاث غرفات) فلا إشكال فيها؛ إذ إنَّ جمع المؤنث السالم بابه جمع القلة عند جماعة من العلماء[2].

وعلل ذلك ابن الوراق بقوله: «وإنما وجب ذلك أنْ يقاربها في الحكم، ومقاربتها لها أنْ ينوى بها القلة»[3].

وقيل: لأنهما على نهج المثنى، والمثنى قليل، فأخذَا حكمه[4].

والعرب قد تستغني بجمع الكثرة عن القلة، إذ إنَّ القليل يدخل في حكم الكثير، وهذا هو الأقيس، ومع هذا فقد يتخلف هذا الحكم ويستعمل جمع القلة للكثرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[سبأ: ٣٧] ، ولا شك أنَّ في الجنة غرفات كثيرة. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[البقرة: ٢٢٨][5].

وعليه فرواية (ثلاث غرفات) مراد بها القلة، لاسيما وهي لم تقترن بالألف واللام الدالة على الاستغراق، ولم تضف إلى ما يفيد الكثرة؛ لأن هذا

(١) ينظر: ابن حجر، مرجع سابق: ٣٦١/١.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق: ص٢٣٥.

(٣) **علل النحو**، ١٤٢٠هـ، ص٤٩٠.

(٤) ينظر: ابن يعيش، مرجع سابق: ٢٢٤/٣.

(٥) ينظر: ابن مالك، **شرح التسهيل**: ٥/٢.

شرط عند ابن مالك في جعل جمعي التصحيح مرادًا بهما القلة[(١)].

وأما رواية (ثلاث غُرَف) فإنَّ مفردها (غُرْفَة) على وزن (فُعْلَة) وما كان هذا وزنه فإنه يجمع في القلة بالألف والتاء، نحو: ظُلْمَة وظُلُمات، وفي الكثرة على (فُعَل)، نحو: ظُلْمَة وظُلَم، ومثلها غُرْفَة وغُرُفات وغُرَف[(٢)].

ويمكن توجيه الرواية عند الكوفيين على وجهين: أحدهما عام عند جميع النحاة، وهو ما سبق بيانه، وهو أنَّ جمع القلة يقوم مقام جمع الكثرة، وكذا العكس.

والتوجيه الثاني: أنَّ (فُعَل) من جموع القلة عند إمام الكوفيين الفراء،[(٣)]. ونسبه ابن مالك للكوفيين، فقال: «والكوفيون يخالفونهم فيرون أن (فُعَلًا) و(فِعَلًا) من جموع القلة»[(٤)].

ومن أدلة الكوفيين قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾[القصص: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿أۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ﴾[هود: ١٣]، مع الإمكان بأنْ يجمعَا بالألف والتاء، فهو دليل على أنهما جمعَا قلة.

وبهذا يتبين أنَّ (فُعَل) إنْ جعلت من جموع القلة فقد جاءت الرواية موافقة للعدد (ثلاث)، وإنْ كانت من جموع الكثرة فهي محمولة على التناوب بينهما.

المسألة الثانية:

مجيء (أفعل) التفضيل من الألوان.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((حوضي مسيرةُ شهرٍ، ماؤهُ أبيضُ من اللبن، وريحُه أطيبُ من المسك،

(١) ينظر: **شرح الكافية الشافية**: ٤/١٨١٠.

(٢) ينظر: ابن يعيش، مرجع سابق: ٣/٢٤٧.

(٣) ينظر: أبو حيان، **ارتشاف الضرب**: ١/٤٠٦.

(٤) شواهد **التوضيح والتصحيح**: ص١٥٠.

وكِيزانُه كنجوم السماء، من شَرِب منها فلا يظمأ أبدًا)).

قال المؤلف: «قوله: (ماؤه أبيض من اللبن): فيه حجة للكوفيين في مجيء (أفْعَل) التفضيل من الألوان، وربما نقل عنهم تخصيصه بالسواد والبياض؛ لأنهما الأصل، وسائر الألوان مركبة منهما، ومنعه البصريون، وقالوا: إنما يتوصل إلى التفضيل به وبما زاد على الثلاثي بـ(أفْعَل) مصوغًا من فعلٍ دالٍّ على مطلق الرجحان والزيادة، نحو: أكثر، وأزيد، وأرجح، وأشد.

قال في الصحاح: تقول: (هذا أشد بياضًا من كذا)، ولا تقل: (أبيض منه)، وأهل الكوفة يقولونه، ويحتجون بقول الراجز:

جاريةٌ في دِرْعها الفَضْفَاضِ أبيضُ مِنْ أُختِ بَنِي إِباضِ

وجعله ابن مالك من المحكوم بشذوذه، وقال غيره: ليس هو للتفضيل، بل بمعنى مُبْيَضّ»[(١)].

تخريج الحديث:

الحديث رواه البخاري في موضع واحد في باب: في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١][(٢)]. وأما مسلم فقد جاءت عنده روايات منها: واحدة بلفظ: (أبيض من الوَرِق)، وأخريات بلفظ: (أشد بياضًا من الثلج)، في باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. وبلفظ: (أشد بياضًا من اللبن) في باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته[(٣)].

ومما سبق يتبين أنَّ رواية (أبيض من) جاءت عند البخاري ومسلم.

---

(١) السبط، مرجع سابق: ٢/٥٥٨.

(٢) ينظر: البخاري، مرجع سابق: ٨/١١٩.

(٣) ينظر: مسلم، مرجع سابق: ١/٢١٧، ٤/١٧٩٣- ١٧٩٩.

تخريج المسألة:

ذكر المؤلف أنَّ في الرواية شاهدًا على مذهب الكوفيين في جواز مجيء (أفْعَل) التفضيل من الألوان، وهو غير جائز عند البصريين، وصرحَّ ابن مالك بأنه المحكوم بشذوذه، وتحرير المسألة أن يقال: اشترط النحويون فيما يصاغ منه (أفعل) التعجب والتفضيل شروطًا، منها ألَّا يكون اسم فاعله على وزن (أفعل فعلاء)، سواء أكان من الألوان أم من العيوب الظاهرة، فلا يقال: (ما أبيضَ هذا الطائر)، ولا نحو: (زيدٌ أبيضُ من عمرو) ولا نحو: (ما أحْولَه)، وقد اشترك التعجب والتفضيل في البناء لاشتراكهما في المعنى، لأنهما في الحقيقة رفع الشيء عن منزلة ما دونه(١).

والعلة في منع صوغ اسم التفضيل والتعجب من الألوان والعيوب الظاهرة قيل: لأنها بمنزلة الخلْق الثابتة التي لا تزيد ولا تنقص، كاليد والرِّجل ونحوهما، وقيل: لأنَّ بناء الوصف من هذا النوع على (أفعل) لم يُبْنَ منه أفعل التفضيل؛ خشية الالتباس بينهما، وحيث امتنع صوغ أفعل التفضيل امتنع صوغ فعل التعجب؛ لتساويهما في الوزن والمعنى(٢).

ويرى الكوفيون جواز التعجب والتفضيل من البياض والسواد خاصة؛ إذ إنهما أصل الألوان فيكون لهما مزية على غيرهما، وذهب الكسائي وهشام إلى الجواز مطلقًا في الألوان، نحو: (ما أحْمَرَه)، مع تفضيل قول: (ما أشدَّ حمرته)، كما ذهب الكسائي وهشام وتبعهما الأخفش في جوازه في العيوب الظاهرة، نحو: (ما أعوره)(٣).

ومن أدلة الكوفييّن على الجواز، سماع الكسائي عن العرب قولهم: (ما

(١) ينظر: السيرافي، مرجع سابق: ٤/٤٧٢.

(٢) ينظر: سيبويه، مرجع سابق: ٤/٩٨. وناظر الجيش، مرجع سابق: ٦/٢٦٤٠-٢٦٤١.

(٣) ينظر: أبو حيان، **ارتشاف الضرب**، ٤/٢٠٨٢-٢٠٨٣.

أسود شعره)، وقول أم الهيثم، -وهي عربية يستشهد بكلامها-: (هو أسودُ من حَنَكِ الغراب)[1].

ومن أدلتهم قول أبي هريرة رضي الله عنه في صفة النار: (لَهِيَ أسودُ من القار)[2].

ومنها -أيضًا- قول رؤبة[3]:

جارية في دِرْعها الفَضْفاضِ أبيضُ من أُختِ بَنِي إباضِ

وقال الكوفيون: ورد السماع بجواز التعجب من الألوان كما في قول طرفة[4]:

أمَّا الملوك فأنت اليوم ألأمُهُمْ لومًا وأبيضُهُم سِرْبَالَ طَبَّاخِ

فكذلك يجوز في اسم التفضيل؛ لأنَّ بابهما واحد، كما قول طرفة.

وعليه تضاف هذه الرواية (ماؤه أبيض من اللبن) لأدلة الكوفيين، وتكون شاهدة لهم على جواز مجيء (أفعل) التفضيل من الألوان، وتحمل على أنها لغة قليلة كما قال النووي[5].

وأمَّا احتمال ابن حجر بأن تكون هذه الرواية من تصرف الرواة، حيث جاءت عند مسلم بلفظ: (أشد بياضًا من اللبن) ففيه نظرٌ؛ لأنه ثبت أيضًا عند مسلم بلفظ: (أبيض من الورق)، فهذا مما يضعف احتماله، ويرجح أنها لغة وإن كانت أقلَّ استعمالًا.

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ١٤١٤هـ، مادة: حنك، ٤١٤/١٠.

(٢) ينظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، ١٤٢٥هـ، ١٤٤٦/٥.

(٣) ينظر: **ديوانه**، مرجع سابق: ص١٧٦.

(٤) ينظر: **الديوان**، ص٨٦.

(٥) ينظر: النووي، مرجع سابق: ٥٥/١٥.

الخاتمة

في نهاية البحث أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وإعانته، وقد خلص البحث إلى نتائج عدة، من أهمها:

١- أبان البحث عناية المحدثين وأثرهم في الدرس اللغوي، وذلك من خلال ضبط الألفاظ، وإعرابها، وتتبع الروايات المشكلة.

٢- كشف البحث عن ضرورة العناية بدليل السماع المتمثل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولئن قلَّ الاستشهاد بالحديث النبوي عند المتقدمين فعذرهم أنَّ الحديث لم يكن دُوِّن يومَئذٍ، أمَا وقد دُوِّن وضُبط، وتتبعت طرقه، وجزم بألفاظه على أيدي نقاد أفذاذ، فالأولى الاستشهاد والاستدلال به، وتقديمه على الشواهد الأخرى.

٣- أظهر البحث منزلة سبط ابن العجمي العلمية، ونبوغه اللغوي، من خلال توجيهه الأحاديث، ومعرفته بالخلافات النحوية والصرفية، وأنَّ له مؤلَّفًا شرح فيه كافية ابن الحاجب، فهو جدير بدراسة مستقلة تكشف عن آرائه، وتبين مذهبه، واختياراته، وتحقق إرثه اللغوي.

٤- أثبت البحث أنَّ في كتاب (الناظر الصحيح) أمثلة غزيرة، وشواهد كثيرة، صالحة للاستدلال بها على مسائل اختلف فيها البصريون والكوفيون.

٥- كشف البحث عن الطريقة المثلى فيما ورد في الأحاديث مخالفًا القواعد المقررة عند النحويين، وذلك من خلال تتبع روايات الحديث ومقارنتها، ثم الحكم عليها بالثبوت أو بتصرف الرواة.

المصادر والمراجع

ابن أبي شيبة، أبو بكر، المصنف، ١٤٣٦هـ، الرياض، دار إشبيليا.
ابن الخباز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع، ١٤٢٨هـ، مصر، دار السلام.
ابن السراج، أبو بكر، الأصول في النَّحو، بيروت، مؤسسة الرسالة.
ابن الوراق، أبو الحسن، علل النحو، ١٤٢٠هـ، الرياض، مكتبة الرشد.
ابن بري، أبو محمد، الحواشي على درة الغواص لابن بري، ١٤١٧، بيروت، دار الجيل.
ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، مصر، الهيئة المصرية للكتاب.
ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣٧٩هـ، بيروت، دار المعرفة.
ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ١٤٠٠هـ، مصر، دار التراث.
ابن فارس، أحمد بن فارس، مجمل اللغة، ١٤٠٦هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
ابن مالك، شرح التسهيل، ١٤١٠هـ، دار هجر.
ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ١٤٠٢هـ، مكة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي.
ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح، ١٤٠٥هـ، مكتبة ابن تيمية.
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٤١٤هـ. بيروت، دار صادر.
ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١٩٨٥م، دمشق، دار الفكر.
ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٢٢هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، الكناش في فني النحو والصرف، ٢٠٠٠م، بيروت، الدار العصرية.
أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ١٤١٨هـ، القاهرة، مكتبة الخانجي.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ١٤٢٠هـ، بيروت، دار الفكر.

أبو حيان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ١٤١٨هـ، الرياض، دار كنوز إشبيليا.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ١٣٨١هـ، القاهرة، الخانجي.

الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، ١٤١١هـ، القاهرة، الخانجي.

الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، ٢٠٠١م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، ١٤٢١هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.

الإمام أحمد، أبو عبد الله، المسند، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

امرؤ القيس، الديوان، ١٤٢٥هـ، بيروت، دار المعرفة.

الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، ١٤٢٤هـ، بيروت، المكتبة العصرية.

الأنباري، أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، ١٤١٢هـ. بيروت، مؤسسة الرسالة.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، ١٤٢٢هـ، بيروت، دار طوق النجاة.

البطليوسي، ابن السِّيد، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ١٩٩٦م، مصر، دار الكتب المصرية.

الثبيتي، عياد بن عيد، ابن الطراوي النحوي، ١٤٠٣هـ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

ثعلب، أبو العباس، مجالس ثعلب، مصر، دار المعارف.

الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، جدة، دار المدني.

الحريري، أبو محمد، درة الغواص في أوهام الخواص، ١٤١٨هـ، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

الخطابي، أبو سليمان، أعلام الحديث، ١٤٠٩هـ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
الدارقطني، أبو الحسن، السنن، ١٤٢٤هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
الدارمي، مسكين، الديوان، ١٣٨٩هـ، بغداد، دار البصري.
الدماميني، محمد بن أبي بكر، مصابيح الجامع، ١٤٣٠هـ، سوريا، دار النوادر.
الرماني، أبو الحسن، شرح كتاب سيبويه، ١٤١٨هـ، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
رؤبة بن العجاج، مجموع أشعار العرب، الكويت، دار ابن قتيبة.
الزجاجي، أبو القاسم، اللامات، ١٤٠٥هـ، دمشق، دار الفكر.
الزجاجي، أبو القاسم، حروف المعاني والصفات، ١٩٨٤م، بيروت، مؤسسة الرسالة.
الزمخشري، أبو القاسم، المفصل في صنعة الإعراب، ١٩٩٣م، بيروت، مكتبة الهلال.
سبط ابن العجمي، أبو ذر، الناظر الصحيح على الجامع الصحيح، ١٤٣٩هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
السخاوي، أبو الحسن، سفر السعادة وسفير الإفادة، ١٤١٥هـ، دار صادر.
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق، دار القلم.
السهيلي، أبو القاسم، الروض الأنف، ١٤٢١هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
سيبويه، الكتاب، ١٤٠٨هـ، مصر، الخانجي.
السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، ٢٠٠٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.
السيوطي، جلال الدين، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد، ١٤١٤هـ، بيروت، دار الجيل.
السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، مصر، المكتبة التوفيقية.

الشاطبي، أبو إسحاق، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ١٤٢٨هـ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ١٤١٧هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.

الصغاني، الحسن بن محمد، التكملة، ١٩٧٩م، القاهرة، دار الكتب.

الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٢٢هـ، دار هجر.

طرفة بن العبد، شرح ديوانه، ١٤١٤هـ، بيروت، دار الكتاب العربي.

الطيبي، شرف الدين، الكاشف عن حقائق السنن، ١٤١٧هـ، مكة المكرمة، مكتبة مصطفى نزار الباز.

عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف.

العكبري، أبو البقاء، إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، ١٤١٨هـ، دار ابن رجب.

العكبري، أبو البقاء، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، ١٤٠٦هـ، دار الغرب الإسلامي.

العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، ١٤١٦هـ، دمشق، دار الفكر.

عمر بن أبي ربيعة، الديوان، بيروت، دار الكتب العلمية.

العيني، بدر الدين، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، ١٤٣١هـ، مصر، دار السلام.

العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الفارسي، أبو علي، المسائل الحلبيات، ١٤٠٧هـ، بيروت، دار القلم.

الفراء، أبو زكريا، معاني القرآن، ١٩٩٥م، عالم الكتب.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال.

القاري، الملا علي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤٢٢هـ، بيروت،

دار الفكر.
القسطلاني، أبو العباس، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٣٢٣هـ، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية.
القطامي، الديوان، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الكرماني، شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ١٤٠١هـ، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
لبيد بن ربيعة، شرح ديوانه، ١٩٦٢م، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء.
مالك بن أنس، الموطأ، ١٤٢٥هـ، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان.
المبرد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، ١٤١٧هـ، القاهرة، دار العربي.
المرادي، ابن أم قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، ١٤٣١هـ، بيروت، دار الكتب العلمية.
المرادي، ابن أم قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ١٤٢٨هـ، دار الفكر العربي.
مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج، صحيح مسلم، ١٣٧٤هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
ناظر الجيش، محمد بن يوسف، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ١٤٢٨هـ، القاهرة، دار السلام.
النووي، محيي الدين، شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٩٢هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
يزيد بن مفرغ، الديوان، ١٣٩٥هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.

Bibliography

Abbas Hasan, “Al-Nahw Al-Wāfī”, Dār Al Maʿārif.

Abu Al-Fida, ʿImād Al-Din Ismail, "Al-Kunnāsh fi Fannai al-Nahw wa al-Ṣarff", 2000, Beirut, Dār Al-Asriyyah.

Abu Hayyan, Muhammad Bin Yousuf, "Irtishāf Al-Darb min Liʿsan Al-ʿArab", 1418 AH, Cairo, Al-Khanji Library.

Abu Hayyan, Muhammad bin Yousuf, “Al-Tadhyīl wa Al-Takmīl fi Sharh, Kitāb Al-Tasheel”, 1418 A.H., Riyadh, Dār Kunouz Ishbīliyyah.

Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf, Ahmad. “Al-Bahr Al-Muheet fi Tafsir”, 1420 AH, Beirut, Dār Al-Fikr.

Abu Ubeida, Muʿammar bin Al-Muthannā, “Majāz al-Qur’an”, 1381 AH, Cairo, Al-Khanji.

Al- Murādī, Ibn Umm Qasim, Tafsir Al-Maqāsid wa Al-Masālik fi Sharh Al-Fiyat Ibn Mālik, 1428 AH, Dār Al-Fikr Al-ʿArabi.

Al-ʿAini, Badr Al-Din, “Al-Maqāsid Al-Nahwiyah fi shar'h Shawāhid Shurouh Al-Alfiyat”, 1431 AH, Egypt, Dār Al-Salaam.

Al-ʿAini, Badr Al-Din, ʿUmdat al-Qārīʾ Sharh Sahih Al-Bukhari”, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.

Al-Akhfash, Saʿeed bin Masʿada, “Maʿāni Al-Qur’an”, 1411 AH, Cairo, Al-Khanji.

Al-Anbārī, Abu Al-Barakāt, “al-Insāf fi Masāʾil al-Khilāf baina al-Nahwiyīn” 1424 AH, Beirut, Al-Asriyya Library.

Al-Anbari, Abu Bakr, “Al-Zāhir fi Maʿāni Kalimāt Al-Nās, 1412 AH. Beirut, Al-Risala Foundation.

Al-Azhari, Abu Mansour, “Tahdheeb Al-Lugha”, 2001, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.

Al-Azhari, Khalid, “Al-Tasrīh ʿalā Al-Tawdīh, 1421 A.H., Beirut, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiya.

Al-Batliyousī, Ibn Al-Sayyid, “Al-Iqtiḍāb fi Sharh Adab Al-Kātib”, 1996, Egypt, Dār Al-Kutub Al-Masriyah.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, “Al-Jāmiʿ Al-Sahih”, 1422 AH, Beirut, Dār Touq Al-Najat.

Al-Damamīnī, Muhammad bin Abi Bakr, “Masābih Al-Jāmiʿ, 1430 A.H., Syria, Dār Al-Nawādir.

Al-Dāraqutni, Abu Al-Hasan, “Al-Sunan”, 1424 A.H., Beirut, Al-Resala Foundation.

Al-Dārimi, Miskin, “Al-Dīwān, 1389 AH, Baghdad, Dār Al-Basri.

Al-Farāhīdī, Al-Khalil bin Ahmad, “Kitāb Al-ʿAin”, Dār wa Maktab Al-Hilal.

Al-Farisi, Abu ʿAli, “Al-Masā’il Al-Halabiyāt”, 1407 AH, Beirut, Dār Al-Qalam.

Al-Farrā, Abu Zakariya, "Maʿāni Al-Qur'an", 1995, ʿĀlam al-Kutub.
Al-Harīrī, Abu Muhammad, "Durrat Al-Ghawās fi Awhām Al-Khawās, 1418 AH, Beirut, Cultural Books Foundation.
Al-Jumahi, Ibn Salām, "Tabaqāt Fuhūl al-Shuʿarā", Jeddah, Dār Al-Madani.
Al-Khattābi, Abu Sulaiman, "Aʿlām Al-Hadith", 1409 AH, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University.
Al-Kirmānī, Shams Al-Din, "Al-Kawākib Al-Dārārī fi Sharh Sahih Al-Bukhari", 1401 AH, Lebanon, House of Revival of Arab Heritage.
Al-Mubarrid, Abu Al-ʿAbbās, Al-Kāmil fi al-Lugha wa al-Adab", 1417 A.H., Cairo, Dār Al-ʿArabi.
Al-Murādī, Ibn Umm Qasim, "Al-Janā Al-Dānī fi Hurouf Al-Maʿānī, 1431 AH, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya.
Al-Nawawi, Muhyi Al-Din, "Sharh al-Nawawi ʿalā Ṣaḥīḥ Muslim, 1392 AH, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
Al-Qārī, Al-Mulla ʿAli, "Mirqāt Al-Mafātīh, Sharh Mishkāt Al-Misbāh, 1422 A.H., Beirut, Dār Al-Fikr.
Al-Qastalāni, Abu Al-ʿAbbās, "Irshād Al-Sārī fi Sharh Sahih Al-Bukhari, 1323 AH, Egypt, the Grand Amiri Press.
Al-Qatāmi, "Al-Dīwān", Egypt, the General Egyptian Book Organization.
Al-Rummāni, Abu Al-Hasan, "Sharh Kitāb Sibawayh", 1418 AH, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
Al-Sabbān, Muhammad bin ʿAli, Ḥāshiyat al-Ṣabbān ʻalá sharḥ al-Ushmūnī li-Alfīyat Ibn Mālik, 1417 AH, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya.
Al-Sāghāni, Al-Hasan bin Muhammad, Al-Takmila, 1979, Cairo, Dār Al-Kutub.
Al-Sakhāwi, Abu al-Hasan, "Sifr al-Saʿāda wa Safīr al-Ifāda", 1415 AH, Dār Sadir.
Al-Samin Al-Halabi, Ahmad bin Yousuf, "Al-Dur Al-Masoon fi Al-ʿUlūm Al-Kitāb Al-Maknoun", Damascus, Dār Al-Qalam.
Al-Shātibi, Abu Ishaq, "Al-Maqāsid Al-Shāfiyyah fi Sharh Al-Khulāsat Al-Kāfiyyah, 1428 AH, Makkah Al-Mukarramah, Umm Al-Qura University.
Al-Sīrāfi, Abu Saʿeed, "Sharh Kitāb Sībawayh", 2008, Beirut, Dār al-Kutub al-Ilmiyya.
Al-Suhaili, Abu Al-Qasim, "Al-Rawd Al-Unf", 1421 AH, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
Al-Suyouti, Jalāl Al-Din, "Hamʿ Al-Hawāmiʿ fi Sharh Jamʿ Al-

Jawāmiʿ, Egypt, Al-Tawfiqia Library.
Al-Suyouti, Jalāl Al-Din, "ʿUqoud Al-Zamarjad ʿalā Musnad al-Imam Ahmad", 1414 A.H., Beirut, Dār Al-Jeel AH, Beirut, Dār Al-Jeel.
Al-Tabari, Ibn Jarir, Jamiʿ al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, 1422 AH, Dār Hajar.
Al-Tayyibi, Sharaf Al-Din, "Al-Kāshif ʿan Haqāʾiq Al-Sunan", 1417 A.H., Makkah Al-Mukarramah, Mustafa Nizar Al-Baz Library.
Al-Thubaiti ,ʿIyād Ibn ʿEid, "Ibn Al-Tarāwi Al-Nahwī,1403 AH, Nadi Al-Taayif, Al-Adabi.
Al-ʿUkbari, Abu Al-Baqā, "Al-Lubbāb fi ʿIlal Al-Binā wa Al-ʿArabiya", 1406 A.H., Damascus, Dār Al-Fikr.
Al-ʿUkbari, Abu Al-Baqā, "Al-Tabyeen ʿan Madhāhib al-Nahwiyīn al-Baṣriyīn wa al-Kūfiyīn", 1418 AH, Dār Al-Gharb Al-Islami.
Al-ʿUkbari, Abu Al-Baqā, "Ithāf Al-Hathith li Iʿrāb Mā Yushkil min Alfaẓ Al-Hadith", 1418 A.H., Dār Ibn Rajab.
Al-Zajjāji, Abu Al-Qasim, "Al-Lāmāt", 1405 AH, Damascus, Dār Al-Fikr.
Al-Zajjāji, Abu Al-Qasim, "Hurouf Al-Maʿāni wa Al-Ṣifāt", 1984, Beirut, Al-Resala Foundation.
Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim, "Al-Mufassal fi Al-Sanāʿat Al-ʿArabiyah, 1993, Beirut, Al-Hilal Library.
Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr, Al-Musannaf, 1436 AH, Riyadh, Dār Ishbilia.
Ibn Al-Khabbaz, Ahmad bin Al-Husain, Tawjīḥ Al-Lumaʿ, 1428 A.H., Egypt, Dār Al-Salaam.
Ibn Al-Sarraj, Abu Bakr, "Al-Ousoul fi al-Nahw", Beirut, Al-Resala Foundation.
Ibn Al-Warrāq, Abu Al-Hasan, "ʿIlal al-Nahw", 1420 AH, Riyadh, Al-Rushd Library.
Ibn ʿAqīl, Sharh Ibn ʿAqīl ʿalā Alfiyat Ibn Mālik, 1400 AH, Egypt, Dār Al-Turath.
Ibn Barri, Abu Muhammad, al-Ḥawāshī ʿalā Durrat Al-Ghawwās, 1417 AH, Beirut, Dār Al-Jeel.
Ibn Faris, Ahmad Bin Faris, Mujmal Al-Lugha, 1406 A.H., Beirut, Al-Resala Foundation.
Ibn Hajar, Ahmad bin ʿAli, Fath Al-Bārī Sharh Sahih Al-Bukhāri, 1379 AH, Beirut, Dār Al-Maʿrifa.
Ibn Hisham, Jamal Al-Dīn, Mughni Al-Labib fi Kutub Al-Aʿārīb, 1985, Damascus, Dār Al-Fikr.
Ibn Jinni, Abu Al-Fath, Al-Khasāʾis, Egypt, the Egyptian Book

Authority.
Ibn Mālik, "Sharh al-Kāfiya al-Shāfiya", 1402 AH, Makkah, Umm Al-Qura University, Scientific Research Center.
Ibn Mālik, “Sharh al-Tasheel”, 1410 AH, Dār Hajar.
Ibn Mālik, Shawahid Al-Tawdeeh wa Al-Tasheeh", 1405 AH, Ibn Taymiyyah Library.
Ibn Manzour, Muhammad bin Mukaram, Lisān Al-ʿArab, 1414 AH. Beirut, Dār Sadir.
Ibn Yaʿish, Sharh al-Mufassal, 1422 AH, Beirut, Dār al-Kutub al-Ilmiyya.
Imam Ahmad, Abu ʿAbdillah, “Al-Musnad”, 1421 A.H., Al-Resala Foundation.
Imru’ Al-Qays, Al-Dīwān, 1425 A.H., Beirut, Dār Al-Maʿrifa.
Labid bin Rabiʿah, Shar'h Dīwānih, 1962, Kuwait, Ministry of Guidance and information.
Mālik bin Anas, “Al-Muwatta”, 1425 AH, UAE, Zayed bin Sultan Foundation.
Muslim, Abu al-Husayn Ibn al-Hajjaj, “Sahih Muslim”, 1374 AH, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
Nāẓir Al-Jaish, Muhammad bin Yousuf, “Tamheed Al-Qawāʿid fi Sharh Tasheel Al-Fawāʾid”, 1428 A.H., Cairo, Dār Al-Salaam.
Ruʾba bin Al-ʾAjjaj, Majmouʿ Ashʿār al-ʿArab, Kuwait, Dār Ibn Qutaiba.
Sībawayh, “Al-Kitāb”, 1408 A.H., Egypt, Al-Khanji.
Sibt Ibn Al-ʿAjmi, Abu Dhar, “Al-Nāẓir Al-Sahih Al-Jāmiʿ Al-Sahih”, 1439 AH, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya.
Ṭarafa bin Al-ʿAbd, “Sharh Diwānih, 1414 AH, Beirut, Dār Al-Kitab Al-Arabi.
Thaʿlab, Abu Al-ʿAbbas, “Majālis Thaʿlab”, Egypt, Dār Al-Maʿārif.
Umar bin Abi Rabiʿah, “Al-Dīwān”, Beirut, Dār Al-Kutub Al-ʿIlmia.
Yazid bin Mufaragh, “Al-Dīwān”, 1395 A.H., Beirut, Al-Resala Foundation.

الحذف المشكل للحروف في شعر المتنبي

(دراسة تركيبية دلالية)

The Problematic Deletion of the Letters in al-Mutanabbī's Poetry: Structural Semantic Study

د. عبد الهادي بن مداوي بن أحمد آل مهدي

أستاذ النحو واللغة المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم والآداب

بجامعة نجران

البريد الالكتروني: amalmahdi@nu.edu.sa

المستخلص

هذا البحث بعنوان: "الحذف المشكل للحروف في شعر المتنبي (دراسة تركيبية دلالية)"، إذ يقوم على جمع بعض الأبيات للمتنبي التي فيها حذف الحرف، ولكن المقصود بالحذف ليس الحذف الطبيعي كالنون من المضاف أو الكلمات المنصوبة أو المجزومة بحذف الحرف، بل المقصود الحذف المشكل، المخالف في ظاهره للقاعدة، أو الذي فيه خلاف نحوي، ثم دراسة هذا الحذف ومسوغاته إن وجدت، وأثر ذلك على المعنى، ثم بيان سبب قول المتنبي به.

وحذف الحرف في هذا البحث يشمل حروف المباني وحروف المعاني، ولهذا فقد جعلت البحث في مبحثين، الأول: حذف حروف المباني، والثاني: حذف حروف المعاني.

الكلمات المفتاحية: حذف، الحرف، المشكل، المتنبي، تركيبية، دلالية.

Abstract

This study looks at a collection of some verses of said by al-Mutanabbī in which the Arabic letter was deleted. But this deletion does not mean the regular deletion such as the Nūn from the genitive, the accusative case and the conformation of the word (tashkeel) by deleting the letter, but rather the diacritic deletion, which is apparently contrary to the grammar rule. The study, then, will examine this deletion and its justifications, and its impact on the meaning, then explaining why al-Mutanabbī adopted it .

The deletion of the Arabic letter in this study includes the normal alphabet letters and meanings letters (prepositions). The study will divide into two sections: deletion of normal alphabet letters, and the deletion of the meaning letters.

Key words: deletion- letter - al-Mutanabbī - synthetic-semantic.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم. أما بعد:

فلقد اهتم المتنبي بشعره اهتمامً كبيرًا، فالمتأمل في ديوانه يجد أنه يجوّد قصائده، وينتقي ألفاظه، ويرسم صورًا بديعة، كما اهتم علماء العربية بعده بديوانه شرحًا ودراسةً وكذلك ترجمة، بل أصبح حديث الناس إلى يومنا هذا، وكما قيل عنه (مالئ الدنيا وشاغل الناس).

وقد وجدت بعض الحذف المشكل في ديوان المتنبي، الذي يخالف القاعدة النحوية المعروفة، أو الذي حوله خلاف نحوي، وبعض الحذف عنده لم أسمع به.

فعلى هذا عقدت النية على جمع بعض أبيات المتنبي التي فيها حذف الحرف مشكل، أو مخالف للقاعدة النحوية، أو فيه خلاف نحوي، فكان عنوان هذا البحث:

"الحذف المشكل للحروف في شعر المتنبي (دراسة تركيبية دلالية)"، والمقصود بالحرف هنا، حروف المباني وحروف المعاني، وعليه فقد قسمت البحث على مبحثين، الأول: حذف حروف المباني، والثاني: حذف حروف المعاني.

وتكمن أهمية هذا البحث في نقاط عدة، من أبرزها:

١- أنه يدرس النحو دراسة تطبيقية، إذ يدرس الأحكام من خلال النصوص، وليست دراسةً نظرية فحسب، فهذا الموضوع يرتبط بالجانب التطبيقي.

٢- إبراز أبيات المتنبي التي فيها حذف الحرف المشكل، وهي –حسب ما اطلعت– أبيات جديرة بالدراسة.

٣- الوقوف على ديوان شعري نفيس، ومعرفة المذهب النحوي لصاحبه.

٤- التطلع إلى مدى تأثير الدرس النحوي في المعنى العام للنصوص.

وقد سعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مصدر الخلاف بين النحويين في أبيات المتنبي التي بها حذف أو القياس عليها؟

٢- ما سبب الحذف عند المتنبي؟

٣- ما رأي النحاة في ذلك الحذف؟

وهناك دراسات سابقة لبعض الباحثين في هذا المجال، منها:

الحذف في شعر أبي الطيب المتنبي دراسة نحوية وصفية استقصائية، لزهير محمد العرود، وهي أطروحة ماجستير، في جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م، وقد تناول فيها حد الحذف وأقسامه وأسبابه، ثم ذكر نماذج لحذف الاسم والفعل والحرف والجملة، ثم ختم أطروحته بالاحتجاج اللغوي بشعر المتنبي.

فيتضح الفرق بين دراستي ودراسته، أنه لم يتطرق لحروف المباني إلا قليلًا وركّز على حذف حروف المعاني، أما دراستي فقد تناولت فيها حذف بعض حروف المباني وحروف المعاني، بالإضافة إلى اختلاف بعض الشواهد بين دراستي وهذه الدراسة.

كما يتضح أن الباحث لم يقم بدراسة استقصائية لديوان المتنبي بل انتقى بعض الأبيات المشهورة التي أشار إليها نقاد شعر المتنبي قديمًا، ومن هنا كان الفرق بين الدراستين واضح، حيث إنني قمت بعمل دراسة لديوان الشاعر واستخرجت بعض مواضع الحذف المشكل؛ ولهذا كانت الشواهد في دراستي مختلفة عما في دراسته من شواهد.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، الذي يقوم على تتبع أبيات المتنبي التي فيها حذف الحرف، ومناقشتها، وتحليلها، وبيان السبب بقوله بالحذف فيها، حيث جمعتُ بعض الأبيات التي فيها حذف الحرف سواءً حرف مبنى أم معنى، وحددت موضع الحذف في كل بيت، ثم ذكرت آراء النحاة فيه أو الآراء المشابه له، ثم بيّنت سبب هذا الحذف من وجهة نظري.

وفي الختام أحمد الله وأشكره أن وفقني في هذا البحث وأعانني على إتمامه، فله الحمد والمنة أولًا وأخيرًا.

المبحث الأول: حذف حروف المباني

حذف الهمزة:

وسأتناول في هذا المبحث حذف الهمزة، أو تخفيفها، أو إبدالها:

قال المتنبي: [الخفيف]

ولو انّ الذي يخِرّ من الأمْ واهِ فيها من فِضّة بيضاءِ[1]

حذف همزة (أن) من أجل إقامة الوزن وقد ذهب أكثر النحاة إلى أن حذف همزة (أن) شاذ[2].

وهناك من يرى حذف همزة القطع تخفيفًا، ولكن أبا حيان يقول:" إن همزة القطع لا تحذف تخفيفاً "[3].

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه أبو حيان هو الصواب، لأن الجميع متفق على أن همزة (أن) قطع ولا يجوز حذف همزة القطع إلا في الضرورة.

فنجد في البيت السابق تسهيل بالنقل، وقد تحققت شروطه كاملة، وهي لغة أهل الحجاز، وعليها رواية ورش عن نافع.

ولهذا فقد جعلت هذا البيت تحت عنوان حذف الهمزة، لأني أرى أن تخفيف الهمزة يعتبر حذف لها، فالصوت يتغير عند النطق بها وعند تسهيلها.

---

(١) العكبري، عبد الله بن الحسين، شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ٣٢/١

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، الناشر: دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط١، د.ت، ٥/ ١٢٦.

(٣) أبو حيان، التذييل والتكميل، ٣/ ٢٢٣.

والذي يظهر لي أن المتنبي عالم بلغات القبائل، وكذلك على علم بالقراءات القرآنية، والدليل على هذا بيته هذا، وغيره من أبيات التي يقولها على طريقة بعض لغات العرب.

ومن ذلك قوله أيضًا: [الكامل]

لا سرت من إبل لو انّي فوقها لمحت حرارة مدمعي سماتها[1]

حذف همزة (أن) من أجل الضرورة، وهذا البيت يقال فيه كسابقه.

ومن باب تسهيل الهمز قوله: [الوافر]

وهل يُخْطِي بأَسْهُمِه الرَّمَايَا ... ومَا يُخْطِي بمَا ظَنَّ الغُيُوبّا[2]

سهل همزة يخطئ في البيت والأصل: يخطئ، بالهمزة فأبدلها ياء.

ومنه قولهم: [البسيط]

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

فإن سيبويه قال: هو على لغة تسهيل الهمزة، وقال غيره: هو على لغة من قال سلت[3].

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه المتنبي من تسهيل الهمزة هنا لا بأس فيه، لإقامة الوزن، أو لأي غرض آخر، لأن تسهيل الهمز في يخطئ لغة بعض العرب، ولا إشكال في ذلك بدليل قول سيبويه:" فأبدل الألف مكانها، ولو جعلها بين بين

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٦٢/١

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٤٢/١

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ٣/ ٤٦٨، ٥٥٤، وابن عطية، عبد الحق غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، ٥/ ٣٣٦.

لانكسر البيت"[1].

وقال المبرد:" فهذا إنما جاز للاضطرار كما يجوز صرف ما لا ينصرف وحذف مالا يحذف مثله في الكلام"[2]. وغير ذلك من كلام النحاة الذي يدل على أنه لا بأس من تخفيف الهمزة في مثل هذا الموضع.

وقد جعلته هنا لأني أراه من حذف الهمزة، وإن كان تخفيف أو نقل.

ومثل ذلك قوله: [الخفيف]

أَنْـــتَ أَعلَـــى مَحَلَّـــةً أنْ تُهـــنَّى بمَكَانٍ في الأَرْضِ أَو في السَّمَاء[3]

الأصل: تهنأ، حيث خفف المتنبي الهمزة من أجل الوزن، وأبدلها ألفًا ساكنة، وهذا الحذف جاء لإقامة الوزن–كما ذكرت– والتسهيل طريقة من طرق الشعراء لتسكين المتحرك، وكذلك المقام قد يكون استدعى التخفيف وعدم الهمز. ومن هذا قوله:

أظمتـــني الـــدُّنيا فلمـــا جِئْتُهـــا مُسْتسقياً مَطَرتْ عَليَّ مَصَائِبا[4]

في البيت السابق سهل المتنبي " أظمأ" فصارت " أظما " ثم حذف الألف لما اتصلت تاء التأنيث بالفعل.

والذي يظهر لي من حذف الهمزة والألف في قوله: أظمتني، هي الحالة النفسية المتعبة والمجهدة، وهذا واضح من البيت، إذ إنه من شدة الظمأ والتعب لا يستطيع أن يقول: أظمأتني، لما في الهمزة من ثقل عليه.

ومن تسهيل الهمز قوله: [الكامل]

إِنْ حـــلَّ فارقَـــتِ الخـــزائِنُ مالَـــهُ أوْ سـار فارقـتِ الجُسـوم الرُّوسـا[5]

(١) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٥٥٤.

(٢) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ١/ ١٦٧.

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٣١٤.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/١٢٤.

(٥) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،١٩٦/٢.

الروسا: الرؤوس سهل همزتها ليستقيم الوزن ولتوافق القافية، أو حذف الهمزة من الرؤوس للدلالة على السرعة والكثرة.

ومن هذا الباب قوله: [المتقارب]

وماذا بمصرَ منَ المضحكاتِ ولكنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكا

بها نَبَطِيٌّ منَ اهلِ السَّوادِ يُدَرسُ أنسابَ أهلِ العلا[1]

حذف همزة البكاء في البيت الأول، وحذف همزة أهل الأولى في البيت الثاني، والمتنبي في هذين البيتين يميل إلى التسهيل، ولعل إقامة الوزن أجبرته على ذلك.

وقد يقع في الكلمة حذفان من ذلك قوله: [الوافر]

تطيعُ الحاسدينَ وأنت مَرْءٌ جعلتُ فداءهُ وهُمُ فدائي

نلاحظ هنا أن المتنبي حذف همزة الاستفهام وكذلك حذف همزة امرؤ.

وأرى أنه لا يجوز حذف الهمزتين، فلو أنه أبقى همزة الاستفهام لكان أولى، لأن النحاة يرون أن حذف همزة الوصل مع بقاء همزة الاستفهام لا بأس به، قال ابن جني:" ومتى استغنيت عن همزة الوصل بغيرها حذفتها تقول في الاستفهام أبن زيد عندك حذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام"[2].

وعلى هذا أرى أن حذف همزة الوصل في (مرء) من الضرورات التي لجأ إليها المتنبي، وكان في مندوحة عنها بأن يستبدلها بكلمة شهم مثلًا، ولكنه أبى إلا إظهار مقدرته اللغوية وعلمه بلغات العرب ولهجاتها.

حذف الفاء:

وحذف الفاء نجده عند المتنبي في قوله: [الكامل]

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٤٣/١.

(٢) ابن جني، عثمان، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م، ص٢٢٣.

ملك إذا عاديت نفسك عاده ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا[1]

حذف الفاء في جواب الشرط للضرورة والأصل إذا عاديت نفسك فعاده، أو حذف الفاء طلبًا للإيجاز فالمتنبي كثيرًا ما يميل إلى الإيجاز وعدم الإطالة مما يجعله أحيانًا يخالف القاعدة.

حذف اللام:

كقوله: [المنسرح]

ظَلْتَ بها تنطَوي على كبِدٍ نضيجةً فوقَ خِلبِها يدُها[2]

حذف اللام من ظللت" يريد ظللت فحذف إحدى اللامين تخفيفًا[3].

كما أن المتنبي في هذا الحذف أراد أن يبين فصاحته وقدرته اللغوية، إذ إنه موافق لكلام الله –عز وجل– حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ الواقعة: ٦٥،

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ طه: ٩٧.

وقد يكون المحذوف من شعره واضحًا، وأحيانًا يختلف الشراح والنحويون في الحرف المحذوف فمن ذلك قوله: [المتقارب]

وقيل عدوتَ على العالمي ن بين ولادي وبين القُعودِ

حذفت التاء من ولادتي فصارت ولادي، يرى أبو العلاء أن المحذوف هو الألف وعلى هذا الرأي يكون أصل الكلمة أولادي[4].

والذي يظهر لي إن كان حذف المتنبي هنا الألف، فهذا جائز والهدف منه الإيجاز والاختصار، لأن حذف الألف في أولادي مسموع في بعض اللهجات. أما إن كان

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٩٦/٢.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٩٥/١.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب، ١٦٤/٦.

(٤) أبو العلاء المعري، معجز أحمد،١٩٨/١.

المحذوف التاء، فقد جانب المتنبي الصواب، لأنه لم يسمع ولادي بقصد ولادتي.

حذف النون وإبدالها:

تتعرض النون كثيرًا في الكلام العربي للحذف والإدغام والإقلاب، وحذفها علامة من علامات الإعراب في الأفعال الخمسة، كما أنها تحذف للإضافة مع المثنى وجمع المذكر السالم وتحذف في مواضع كثيرة أخرى، منها حذف نون يكون في حال جزمها وقد وضع النحاة قواعد لحذفها في هذه الحالة، وقد وقع هذا الحذف في شعر المتنبي في مواضع كثيرة منها ما هو مطابق للقاعدة ومنها ما هو مخالف لها، ومن ذلك قوله: [الوافر]

وإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودَ قَيْسٍ والثِّيَابُ[1]

ذهب النحاة إلى أنه يجوز حذف نون (يكن) بشروط هي: أن تكون بصيغة المضارع، وكونه مجزومًا بالسكون، غير متصل بضمير نصب، ولا بساكن، وخالف يونس بن حبيب النحاة فأجاز حذف النون وإن وليها ساكن مستدلًا بقول الشاعر: [الطويل]

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم[2]

فوجه الاستشهاد هنا حذف نون (تكن) المجزوم بسكون النون، على الرغم من أنه وليها ساكن، وحذف (النون) هنا ضرورة عند الجمهور، وجائز عند يونس بن حبيب، حيث يعد الحذف في هذا الموضع جائزًا عنده في سعة الكلام، وأنه غير مختص بضرورة الشعر، واستشهد بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ البينة: ١، على

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٨٢/١

(٢) البيت للخنجر بن صخر الطائي، وقد ذكره ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ، ١/ ٣٦٧، والبغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٤، ٩/ ٣٠٤.

قراءة "لم يك" بحذف النون، واستشهد بقول الشاعر: [الرمل]

لم يـك الحـق سـوى أن هاجـه رسـم دار قـد تعفـى بالسـرر[1]

قال السيرافي عن هذا البيت:" ولا يقولون: لم يك الرجل؛ لأنها إذا لقيها ألف ولام أو ألف وصل تحركت النون فخرجت عن شبه حروف المد واللين"[2].

وقال أبو علي الفارسي:" ولم يقولوا: (لمْ يَكُ الرجُلُ)، لأنها في موضع تُحرك فيه، يعني أن النون تحرك فيه لالتقاء الساكنين"[3].

والذي يظهر لي أن المتنبي في بيته السابق كان على مذهب الجمهور في حذف نون (يكن)، فلم يخالف القاعدة، وإنما قال بهذا الحذف لجذب الانتباه إلى شعره، وليبين أنه عالم بأحكام النحو.

وقال المتنبي: [الكامل]

جلَـلاً كمـا بي فليَـكُ التّـبريحُ أغِـذاء ذا الرَّشـإ الأغـنّ الشّـيحُ[4]

قال الجرجاني:" قال أهل الإعراب: حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرك الى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت، فقال لهم المحتجّ

(١) البيت ل حُسيل بن عُرفُطة، البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٩/ ٣٠٤، وابن هشام، عبد الله الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ٢٦٥- ٢٦٧، والجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص٤٤١.

(٢) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م،٥/ ٥٧.

(٣) أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: عوض القوزي، ط١، ١٤١٠هـ، ٤/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٤٣/١.

عن أبي الطيب: لعمري إن وجهَ الكلام ما ذكرتُم، لكنّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام"[1]، كما أن الساكن إذا وقع بعد يكن –كما ذكرنا سابقًا– فإن النون تبقى، قال ابن الحاجب عن هذا البيت:" وحذف النون من " يكن" ضرورة لأنها في موضع تحريك، وإنما يحسن حذفها إذا لم تكن كذلك كقولك: لم يك زيد قائمًا أما مثل: لم يكن الذين، فالحذف فيه ضعيف. ووجهه: أن الأصل السكون فحذفت لذلك، ولأن مجيء ما بعدها مما أوجب حركتها إنما كان بعد تحقق حذفها فبقيت على ما كان جائزًا فيها"[2].

والذي يظهر لي أن المتنبي في هذا البيت قد لجأ إلى الضرورة لإقامة الوزن، وهو بهذا الحذف مخالف للقاعدة النحوية.

ومن أمثلة حذف النون قوله: [الطويل]

أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذي مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَةُ البُخْلِ[3]

حذف نون الذين في الشطر الأول، ويجوز أن يكون جعل (الذي) للجماعة والواحد كما جعل (من).

قال ابن قتيبة في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧.

إن (الذي) ههنا يعني الذين، والله أعلم"[4].

والذي يظهر لي أن ابن قتيبة قد جانبه الصواب، فـ(الذي) في الآية السابقة

(١) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص ٤٤١.

(٢) ابن الحاجب، عثمان بن عمر، أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الناشر: دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩هـ، د.ط، ٢/ ٦٢١.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٣/٤٥.

(٤) القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠١هـ، ٢٧٢/٣.

تدل على مفرد، فشبه الله –عز وجل– حال الجماعة بحال واحد، والذي تعود على الواحد المفرد.

وقال العكبري:" أراد الذين فحذف النون تخفيفا لطول الاسم"[(١)]، وذكر الزمخشري أنه وضع (الذي) موضع (الذين)[(٢)].

وشواهد النحاة على هذا كثيرة، منها قول الشاعر: [الطويل]

وإن الذي حانت بِفَلج دَماؤُهم هُمُ القَومُ كُل القومِ يا أُمّ خالِدِ[(٣)]

قال ابن يعيش معلقًا على الشاهد السابق:" حذف النون من (الّذين) استخفافًا على ما تقدم، والذي يدل أنه أراد الجمعَ قولُه:(دماؤهم)، فعَودُ الضمير من الصلة بلفظ الجمع، يدل أنه أراد الجمع. ومثلُه قوله تعالى:﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ التوبة: ٦٩، والمراد: (الذين)، لقوله: (خاضوا)، ويجوز أن يكون (الذي) واحدًا، ويُؤدي عن الجمع، فإن عاد الضمير بلفظ الواحد، فنَظَرًا إلى اللفظ، وإن عاد بلفظ الجمع، فبالحمل على المعنى على حدِّ (مَنْ)[(٤)].

وقال السمين الحلبي عند قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة: ١٧، و(الذي) في محلِّ خَفْضٍ بالإضافة، وهو موصولٌ للمفردِ المذكرِ، ولكن

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣/٤٥.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١/ ٧٢.

(٣) البيت ل الْأَشْهب بن رميلة التهشلي، سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١/ ١٨٧، وابن عصفور، علي بن مؤمن، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م، ص١٠٩.

(٤) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢/ ٣٩٦.

المرادَ به هنا جَمْعٌ، ولذلك رُوعي معناه في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ﴾ البقرة: ١٧، فأعاد الضمير عليه جمعاً، والأَوْلى أن يقال إن (الذي) وقع وصفاً لشيء يُفْهِم الجمعَ، ثم حُذِفَ ذلك الموصوفُ للدلالةِ عليه... ووهِم أبو البقاء فَجَعَل هذه الآيةَ من باب ما حُذِفَتْ منه النونُ تخفيفاً، وأن الأصلَ: الذين، ثم خُفِّف بالحذفِ"[(١)].

وقال أيضًا عمن قال إن أصله (الذين) ثم حُذفت النون:" وهذا وَهْمٌ فاحش، لأنه لو كان من باب ما حُذِفَتْ منه النونُ لوجَبَ مطابقةُ الضميرِ جمعاً"[(٢)].

وقال الألوسي:" ولا يخلو عن كدر لا سيما الوجه الأخير وما روى عن بعض النحاة من جواز حذف نون (الذين) ليس بالمرض عند المحققين ولئن تنزل يلتزم عود ضمير الجمع إليه"[(٣)].

وذكر أيضًا أن النون قد تكون حُذفت تخفيفًا[(٤)]، وذهب ابن عاشور إلى أن الذي اسم موصول، مفرد، وإذ كان عائد الصلة هنا ضمير جمع تعين أن يكون المراد كالذي: تأويله بالفريق أو الجمع، ويجوز أن يكون كالذي هنا أصله الذين فخفف بحذف النون على لغة هذيل وتميم[(٥)]. وحكى الفارسي عن يونس بن حبيب، وهو على هذا يؤوَّل مع ما بعده بمصدر مجرور، ودليل يونس ومن معه على هذا، هو كون (الذي) مفردًا، وما بعده جمعًا، فلو كان موصولًا اسميًا، لقيل، كالذي خاض، أو لقيل: كالذين خاضوا.

(١) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت، ١/ ١٥٦، ١٥٧.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون، ١/ ١٥٧.

(٣) الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ١/ ١٦٤.

(٤) الألوسي، روح المعاني، ١٠/ ١٣٤.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، د.ط، ١٠/ ٢٥٩.

وأجيب عن ذلك، بأن "الذي" اسم موصول صفة لموصوف محذوف، أو أن (الذي) اسم موصول للجمع، وأصله (الذين) فحذفت النون، أو أن (الذي) مشترك بين المفرد والجمع على قول الأخفش[1].

وبناءً على ما سبق اتضح لي أن حذف نون (الذين) جائز، بل هو لغة بعض القبائل العربية، ولهذا فإن المتنبي قد أخذ به، بالإضافة إلى أنه يحب في شعره أن يأتي بالغريب من القواعد والألفاظ؛ لحبه للتميز، وإن كان ما ذهب إليه المتنبي صحيحًا، ولكنه يأتي بالنادر، وهذا واضح في شعره، ولكي يثبت للسامع أنه متمكن من العربية، وأنه يستطيع أن يأتي بقواعد صحيحة فصيحة وإن كان ظاهرها غير ذلك، كما أنه يميل إلى إيراد الحذف الذي حوله خلاف نحوي كما في البيت السابق. ومن باب حذف النون وإبدالها قوله: [الكامل]

بَـادٍ هَـواكَ صَـبَرْتَ أم لم تَصْـبِرا وبُكَاكَ إن لم يَجْرِ دمُعكَ أو جَرَى[2]

أراد: تصبرن بالنون الخفيفة فلما وقف عليها أبدلها ألفًا، ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ ق:٢٤. الخطاب لمالك وحده[3].

قال أبو العلاء المعري:" (لم تصبرا) من الضرورات؛ لأن النون لم تجر عادتها أن تدخل في هذا الموضع إلا عن ضرورةٍ"[4]. وقال الواحدي:" أراد تصبرن بالنون

(١) ابن هشام، عبد الله الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ط، د.ت، ص١٥٠.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣/ ٤٥.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣/٤٥

(٤) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٥٦٠.

الخفيفة فوقف عليها بالألف نحو، ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا، ومثله كثير"[1]. وأرى أن الواحدي قد جانبه الصواب؛ لأن (فاعبدا) فعل أمر فلا بأس أن تتصل به نون التوكيد، ولا بأس أن تُحذف.

أما (لم تصبرا) فهو فعل مضارع مجزوم، فقد لا تتصل به النون أصلًا، قال سيبويه عن اتصال نون التوكيد بالمضارع المسبوق بـ(لم):" حيث كان مجزومًا وكان غير واجب، وهذا لا يجوز إلاَّ في اضطرار، وهي في الجزاء أقوى، وقد يقولون: أقسمت لما لم تفعلنَّ؛ لأن ذا طلبٌ فصار كقولك: لا تفعلنَّ كما أن قولك أتخبرني، فيه معنى افعل، وهو كالأمر في الاستغناء والجواب"[2]، وذكر ابن السراج أن اتصال نون التوكيد بالفعل المجزوم بـ(لم) ضرورة[3].

قال أبو حيان:" وأما دخولها على المضارع المنفي بلم، فنص سيبويه على أن ذلك ضرورة وقال سيبويه: قد يقولون أقسمت لما لم تفعلن لأن ذا طلب، فصار كقولك: لا تفعلن كما أن قولك: أتخبرني فيه معنى افعل"[4].

كما ذكر ابن هشام أن اقتران نون التوكيد بالفعل الذي قبله (لم) أقل من القليل[5].

فهذا دليل على أن حذف النون ضرورة في هذا البيت كما أن إثباتها ضرورة أيضًا، ولا يجوز أن تكون الألف ألف إطلاق؛ لأن الفعل مجزوم فإذا تحرك يكون بالكسر، كما لا يجوز أن نعد الألف ضميرًا للاثنين؛ وذلك لأن الشاعر في البيت

(١) الواحدي، علي بن أحمد، شرح ديوان المتنبي، د.ط، د.ت، ص٣٦٣.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٥١٦.

(٣) ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م، ٢/ ٢٠٠.

(٤) أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ٢/ ٦٥٨.

(٥) ابن هشام، أوضح المسالك، ٤/ ٩٨، ٩٩.

يخاطب نفسه وليس صديقيه وذلك واضح جلي في قوله: هواك وصبرت فلو كان الخطاب للاثنين لقال: هواكما وصبرتما.

وعلى هذا أرى أن حذف (النون) في (تصبرا) من الحذف المشكل المخالف للقاعدة، الذي وقع فيه المتنبي.

ومن باب حذف النون عنده قوله: [الخفيف]

نحن ركبٌ مِلجِنٍّ في زِيّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شُخوصُ الجِمالِ[1]

قوله: ملجن أي من الجن، فحذف النون في كلمة (من)؛ لسكونها وسكون اللام من (الجن)[2]، قال الواحدي:" أراد من الجن فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن وهذا كما قالوا بلعنبر في بني العنبر وبلقين في بني القين"[3]، ومثل ذلك قوله في أرجوزة:

مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لم يَحَلَّلِ[4]

أصله: من الوحش فحذف نون (من).

ومثله قوله: [الكامل]

ولديه ملعقيان والأدب المفـ د وملحياة وملممات مناهل[5]

أصله: من العقيان ومن الحياة ومن الممات، قال أبو العلاء: ما علمت بيتًا حذفت منه نون مع لام المعرفة ثلاث مرات إلا في هذا البيت[6]

وعلى الرغم من إعجاب أبي العلاء بالبيت السابق، نرى بعض القدماء يراه من

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٦٠/٢

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٩٤/٣

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٩٥.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٢٠٢/٣

(٥) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٢٥٥/٣.

(٦) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص ٩٩٨.

سقطات المتنبي، يقول بهاء الدين البغدادي عن هذا البيت:" ممّا استهجن لفظه وبعد عن الاستعمال ومجّته الأسماع"[1] فهذا من الحذف المشكل الذي وقع فيه المتنبي، وكان في مندوحة عنه، وإن كان المتنبي أن يظهر فصاحته ومعرفته باللغة العربية في بعض الحذف، إلا أنه يقع في الحذف القبيح الذي يغير المعنى أحيانًا، أو لا يليق أن يصدر من شاعر مثله.

ومن ذلك قوله: [الطويل]

قُشَيْرٌ وبَلْعَجْلانِ فيها خفيّةٌ كراءَينِ في ألفاظِ ألثغَ ناطق[2]

أراد بني العجلان، فحذف النون، كما قالوا في بني الحارث بلحارث.

فواضح مما سبق أن المتنبي يحذف النون للتخفيف، أو يبدل النون لامًا ثم يحذف إحدى اللامين ويبقي الثانية.

ومن الملاحظ في الأبيات السابقة أن كل حذف للنون يأتي بعده لام، فيحذف المتنبي النون ويكتفي باللام، وحذف النون والاكتفاء باللام بعدها لهجة من لهجات العرب، فنجد بعض العرب في لهجاتهم حذف النون والاكتفاء باللام، مثل قولهم: لبا شخص، أي: نبا شخص، أي: نحتاج.

والذي يظهر لي أن المتنبي يتعمد هذا، لكي يبرهن على معرفته بلهجات العرب، وقدرته اللغوية، وأنه يستطيع أن يأتي بقواعد صحيحة وألفاظ فصيحة وغيره لا يقدر، وقد ذكر هذا في بيته المشهور: [البسيط]

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم.

ومن باب حذف النون قوله: [البسيط]

(١) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ٣١٦/٧.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٣٢٤/٢.

فعم صباحًا لقد هيجت لي شجنًا واردد تحيتنا إنا محيوكا[١]

قال أبو العلاء:" الذين قالوا: عم يريدون الأمر من وعم يعم، ودعوا للربع بذلك، يقال: وعم الإنسان إذا كان في خيرٍ، وقد ذهب قوم إلى أن: عم صباحًا من قولهم: نعم ينعم، فحذفوا النون من ينعم، والقول الأول أشبه[٢]، وقال الواحدي:" يقال عم صباحًا بمعنى: أنعم يقال: وعم يعم بمعنى نعم ينعم ومنه قول عنترة: وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي"[٣]، وقال ابن قتيبة:" وكما يحذفون من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا فيقولون... عم صباحا، أي أنعم"[٤].

وقال السيرافي:" وقالوا: عم صباحًا، والأصل: أنعم صباحًا من نعم ينعم، ويقال: نعم ينعم، ونعم ينعم وعم صباحًا، من المكسور العين، وحذفوا النون التي هي فاء الفعل استخفافًا، لما كثر في كلامهم التحية بهذا، وغير ذلك من المحذوفات"[٥].

وقال البغدادي:" وذهب قوم إلى أن يعم محذوف من ينعم وأجازوا عم صباحًا بفتح العين وكسرها كما يقال أنعم صباحًا وأنعم"[٦].

أما أبو حيان فيرى أنه لا يوجد حذف، حيث قال:" وقول من زعم في عم صباحًا أن أصله: أنعم فاسد"[٧].

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي ،٣٧٧/٢.

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٨٥٤

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٥١.

(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٨٧.

(٥) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ١/ ٤١.

(٦) البغدادي، خزانة الأدب، ١/ ٦٠.

(٧) أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١/ ٢٥٤.

وقال أيضًا:" وذكر ابن مالك في الأفعال التي لا تتصرف (عم صباحًا) بمعنى أنعم صباحًا، وينبغي وهو وهم"[1].

ولم يتضح لي لماذا ذهب أبو حيان إلى قوله هذا، فقط اتضح لي أنه جعل الفعل (عم) متصرف، والبقية ذكروا أنه غير متصرف.

والذي يظهر لي أن أبا حيان قد جانبه الصواب عندما لم يرَ حذف النون في الفعل (عم صباحًا)؛ لأن المعنى على قول حذف النون مستقيم وواضح، فالدعاء للأشخاص أو الأطلال بالنعمة أو النعيم عند التحية مناسب ولا غرابة فيه. ثم إن أكثر النحاة ذهبوا إلى حذف النون من الفعل (عمتم)، وأصله (انعم).

أما إذا قلنا بقول أبي حيان وهو أنه لا يوجد حذف في (عمتم)، لأصبح المعنى: عمتم أيها الربع، من العموم، أو من العوم وهو المعنى المرادف للسباحة، وعليه لا يستقيم المعنى عند التحية، فلم يُسمع أن أحدًا حيّا آخر بالعموم أو العوم، ولكنه حياه بالدعاء له بالنعمة ودوامها.

وأخيرًا لم يوضح أبو حيان سبب قوله بعدم حذف النون. وبناءً على ما سبق يكون المتنبي موافقًا لقواعد العربية، وأقوال النحاة وأهل اللغة، وإنما جاء بالحذف للتفنن في بيته، ولمعرفته أن هذا موضع خلاف بين النحاة، وهو يحب إيراد الأبيات التي فيها خلاف.

ومن باب حذف النون أيضًا قول المتنبي: [الطويل]

فوا أسفا أن لا أكبَّ مُقبلا لرأسِكَ والصدرِ اللذَيْ ملئا حزما

حذف نون اللذين من غير إضافة، ويقال: هي اللذا مثنى اللذي، قال ابن هشام:" وبنو بلحارث بن كعب جميعًا، وبعض بني ربيعة، أجازوا حذف نون (اللذان) ونون (اللتان)؛ لأن الموصول، لما طال بالصلة والعائد، أرادوا تقصيره، لكون الصلة والموصول كالشيء الواحد"[2]. ثم ذكر أنه جاء عن بعض العرب حذف نون (اللذين)

(١) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٤/ ٢٠٣٨.

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك، ص١٥٣.

في لغة من جاء بالياء[1].

والذي يظهر لي أن حذف نون (اللذان) جائز في لغة بعض العرب، كما أنه جائز في الشعر خاصة، حيث إني وجدت بعض الأبيات ذكرها الخليل وسيبويه وبعض النحاة فيها حذف نون (اللذان)، فمن ذلك: [الكامل]

أبَني كُلَيْب إن عمي اللذا قتلا الْمُلُوك وفككا الأغلالا[2]

أَرَادَ: اللَّذَان فَحذف النُّون[3].

وقال سيبويه:" لم يَحذف النون للإضافة، ولا ليُعاقِبَ الاسمُ النّونَ، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللّذَينِ واللّذينَ حيثُ طال الكلامُ وكان الاسمُ الأوّل مُنتهاه الاسمُ الآخِرُ... لأن معناه معنى الذينَ فعلوا وهو مع المفعول بمنزلة اسم مُفْرَدٍ لم يَعْمَلْ في شيء، كما أنّ الذينَ فعلوا مع صلته بمنزلة اسم"[4]. وذكر المبرد أنهم حذفوا النون لطول الاسم إذ صار ما بعد الاسم صلة له والدليل على ذلك حذفهم النون مما لم يشتق من فعل ولا تجوز فيه الإضافة فيحذفون لطول الصلة كما في البيت الذي ذكره الخليل وبيت المتنبي أيضًا[5].

وذكر ابن جني أن حذف النون تخفيفًا لطول الاسم، ولا يجوز أن يكون حذفها للإضافة؛ لأن الدلالة قد تقدمت على أن الأسماء الموصولة لا يجوز أن تضاف أبدًا إلا ما كان من أي،

والذي يمنع أن يكون الموصول مضافًا أيضًا أن ما بعده فعل والأفعال ليست مما

(١) ابن هشام، أوضح المسالك، ص١٥٣.

(٢) هذا البيت للأخطل، ينظر ديوان الأخطل، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٢٤٥.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ، ص٢٣٥.

(٤) سيبويه، الكتاب، ١/ ١٨٦.

(٥) المبرد، المقتضب، ٤/ ١٤٥، ١٤٦.

يضاف إليه[١].

وذكر السيرافي أن (اللّذان) يحتاج إلى صلة، وهي والصّلة كالشيء الواحد فاستطال فحذف، أو حذفت النون تخفيفًا واختصارًا؛ لطول الاسم مع الصلة[٢].

وقال الواحدي:" اللذ لغة في الذي وتثنيته اللذا... والمتنبي قال بهذه اللغة ويجوز أن يكون أراد اللذين فحذف النون لطول الاسم بالصلة"[٣].

ويرى الزمخشري أن حذف النون هنا لا وجه له، حيث قال: ولاستطالتهم إياه –يقصد الموصول– بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير وجه...وقد حذفوا النون من مثناه ومجموعه[٤].

وذكر ابن مالك أن لغة بني الحارث بن كعب إلزام المثنى وما جرى مجراه الألف في كل حال[٥].

ويرى البغدادي أن حذف النون من قوله اللذا وأصله اللذان تخفيفًا لاستطالة الموصول بالصلة، هذا قول البصريين،

وأما الكوفيون فحذف النون عندهم لغة في إثباتها أطالت الصلة أم لم تطل، حكاه عنهم ابن الشجري في أماليه[٦].

والذي يظهر لي أنه لا يوجد طول بين الصلة والموصول، ولكن المتنبي حذف النون؛ لأنها لغة قوم، وهو يريد أن يتفاخر بقدرته اللغوية، ومعرفته للغات العرب، كما

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، الناشر: دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م، ٢/ ٥٣٦.

(٢) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ١/ ٢٤٩، ٢/ ٤٣.

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص١٣٢.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمرو، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٨٣، ١٨٤.

(٥) ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ، ١/ ٦٢.

(٦) البغدادي، خزانة الأدب، ٦/ ٦.

أنه يميل مع المذهب الكوفي الذي يحذف النون؛ لأن الكوفيين قالوا إن حذف نون (اللذي) هو لغة بعض العرب، والمتنبي يوافق الكوفيين كثيرًا –فيما أرى–، فالمتنبي في هذا الحذف ليس مخالف للقاعدة، ولكن فيه خلاف كبير بين النحاة.

ومن باب حذف النون من جمع المذكر السالم من غير إضافة قوله: [الطويل]

أطعناك طوع الدهر يا بن ابن يوسف بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم

قال المعري:" حذف النون من قوله: الحاسدون لما استقبلتها اللام لأنهم يتوهمون الإضافة في هذا الموضع"(١).

ذكر الخليل بن أحمد بيت آخر يشبه هذا وهو قول الشاعر: [الرمل]

وَلَقَد يغنى بهَا جيرانك الممسكو مِنْك بِأَسْبَاب الْوِصَال(٢)

ثم قال: أراد الممسكون ثم حذف النون(٣).

وأنشد سيبويه: [المنسرح]

الحـــافظو عـــورة العشـــيرة لا يـــأتيهم مـــن ورائهـــم وكـــف(٤)

أراد: الحافظون لذلك نصب العورة، ثم ذكر أن النون لم تُحذف للإضافة، ولا ليُعاقِبَ الاسمُ النّونَ، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللّذَينِ والّذينَ حيثُ طال الكلامُ وكان الاسمُ الأوّل مُنتهاه الاسمُ الآخِرُ(٥).

وقال ابن جني:" وإنما شُبِّهت الألف واللام في أوائل هذه الأسماء (بالذي)

(١) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص١٢٥٠.

(٢) هذا البيت لعبيد بن الأبرص، ينظر: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م ص ٩٩.

(٣) الفراهيدي، الجمل في النحو، ص٢٣٦.

(٤) هذا البيت لقيس بن الخطيم، ينظر: ديوان قيس بن الخطيم: تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت. ص ١١٥.

(٥) سيبويه، الكتاب، ١/ ١٨٦.

فحذفت النون منها، كما حذفت لطول الاسم"[1].

وقال الشيخ أبو العلاء: "حذف النون من قوله: (الحاسدون) لما استقبلها اللام، لأنهم يتوهمون الإضافة في هذا الموضع، كأنه قال: والحاسدوك، وكذلك قالوا: لا خُفَّي لك؛ لأنهم توهموا سقوط اللام وقد حذفوا نون الجمع، وإن لم يكن ثم لام الإضافة"[2].

والذي يظهر لي أن المتنبي حذف النون تخفيفًا، وليس لأن بعدها اللام، فالمتنبي يحب التخفيف وإبراز قدرته الكلامية، والمتتبع في ديوان المتنبي يجد أنه كثيرًا ما يحذف بعض الحروف للتخفيف وللتباهي أمام بعض اللغويين الذين كانوا يشهدون مجالس سيف الدولة.

ووقع حذف التنوين في شعر المتنبي في قوله: [الكامل]

فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الوَرَى عَنْ نَيلِهَا وَعَلا فَسَمُّوْهُ عَلِيَّ الحَاجِبَا

قال أبو العلاء: "حذف التنوين في قوله: علي، وإثباته أحسن"[3]. وكان الأصوب أن يقول: عليًّا الحاجبا، لكن عدل عن ذلك لئلا ينكسر الوزن.

وفي رأيي أن حذف التنوين من عليّ جائز وإن كان قليلًا في الشعر، لأن المتنبي في هذا البيت منع صرف ما ينصرف، هذه المسألة فصلها القزاز القيرواني، فقال:" من أجاز مَنْعَ صرفِ ما ينصرف، زعم أنّ أصل الأسماء كلِّها أن يترك صرفُها، ولكن خُفِّفت منها أسماءٌ صرفت، فإذا تُرك صرفُها، رُدَّت إلى أصلها.

والوجه غير هذا، لأن أصلَ الأسماء التمكّنُ في التسمية والإعراب، وتُرِك صَرْفُ

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، الناشر: دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ، ص٦٧.

(٢) أبو المرشد المعري، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com، ص٩١.

(٣) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ١/١٢٤.

مالا ينصرف منها؛ لِعِلٍ"[1].

والذي يظهر لي أن المتنبي خالف القاعدة النحوية للضرورة الشعرية، وإن كان جائزًا في الشعر.

حذف التاء المربوطة:

نجد أن المتنبي يحذف أحيانًا التاء المربوطة في بعض الكلمات لإقامة الوزن والقافية، من ذلك قوله: [البسيط]

يدبر الْملك من مصرٍ إِلَى عدنٍ إِلَى الْعرَاق فأرض الرّوم فالنوب

يقصد بالنوب: النوبة، حذف التاء المربوطة من أجل القافية، ومثل ذلك قوله: [المتقارب]

فَلُقّـــيْنَ كـــل رُدَيْنِيَّـــةٍ ومصـــبوحةٍ لـــبنَ الشَّـــائِلِ[2]

قال ابن وكيع:" المصبوحة: الفرس التي تسقى صباحاً، والشائل: التي لا لبن لها، والشائلة: التي تبقى بقية من لبنها، وقد سئل عن هذا فقال: أردت الهاء فحذفتها"[3].

ويقول أبو العلاء:" أراد بالشائل: القليلة اللبن، وأكثر ما يقولون: ناقة شائلة إذا قل لبنها، والجمع شول"[4]

وهذا خطأ من المتنبي – من وجهة نظري– لأن الناقة الشائل لا لبن لها، والناقة الشائلة هي التي تبقى من لبنها شيء، ومعنى مصبوحة: أن هذه الخيل سقيت لبنًا في الصباح، وعلى هذا فالمتنبي يقصد الشائلة وليس الشائل، ولكنه اضطر إلى الحذف من

(١) القزاز القيرواني، محمد بن جعفر، ما يجوز للشاعر من الضرورة، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، الناشر: دار العروبة، الكويت، د.ت، ص١٩٦.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٦/٣.

(٣) ابن وكيع التنيسي، الحسن بن علي، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق: عمر خليفة إدريس، الناشر: جامعة قات يونس، بنغازي، ليبيا، ط:١، ١٩٩٤م ، ص: ٧٩٤.

(٤) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٨٨٥.

أجل القافية، ولكن هذا الحذف جعل المعنى يتغير إلى غير مقصود المتنبي، فالحذف هنا من الحذف المشكل الذي يغير المعنى المراد، وهو من سقطات المتنبي فيما أرى.

حذف الهاء:

ومن باب حذف الحرف حذف الهاء في قوله: [الكامل]

العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أماتها[1]

"حذف الهاء من أمهات، يقول أبو العلاء:" الأمات: جمع الأم. يقال: إن الهاء في الأمهات زائدة. وقيل: أمهات في الآدميين خاصة، والأمات مشتركة"[2]، وذكر الواحدي والسمين الحلبي أنه قد يجمع (أم) على أمات بغير الهاء، وأكثر ما يستعمل في غير الآدمي[3].

والذي يظهر لي أن الكلمتين بمعنى واحد، وهذا من الحذف الذي قصد به المتنبي الإيجاز وإقامة الوزن، فهو يميل إلى الإيجاز. وواضح من قول النحاة أنه إذا جمعت (أم) على أمهات كانت للعاقل، أما إذا جمعت على أمات فهي لغير العاقل وعلى هذا فالمتنبي كان دقيقًا في هذا الاستعمال حيث إنه يصف خيلًا، وإن كان في البيت نفسه قد أخذ بقاعدة (أكلوني البراغيث) في قوله: (والراكبين جدودهم) وكان الأولى أن يقول: (والراكب جدودهم) لكن كل هذا الحذف جاء لإقامة الوزن ليس إلا، كما أن هذا الحذف فيه خلاف، والمتنبي كعادته يأتي بالحذف الذي فيه خلاف، بالإضافة إلى أن المتنبي أتى بهذا الحذف وهو في مندوحة عنه.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٢٩/١.

(٢) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله، معجز أحمد (شرح ديوان المتنبي) ، ٣١٠/٣.

(٣) الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، ٦/ ٤١٢، والسمين الحلبي، الدر المصون، ٣، ٦٣٩.

حذف الواو:

ومن باب إظهار المقدرة اللغوية استعماله لبعض اللهجات العربية وذلك حين ثنى كلمة " أب " تثنية قليلة الاستعمال، فقال: [الطويل]

تَسَلَّ بِفِكْرٍ في أَبَيْكَ فَإِنَّما بَكْيتَ فَكانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَريبِ[1]

قال سيبويه:" وسألت الخليل، عن أبٍ فقال: إن ألحقت به النون والزيادة التي قبلها قلت: أبون، وكذلك أخٌ تقول: أخون، لا تغيِّر البناء، إلا أن تحدث العرب شيئًا، كما تقول: دمون.

ولا تغيِّر بناء الأب عن حال الحرفين؛ لأنَّه عليه بني، إلاَّ أن تحدث العرب شيئًا، كما بنوه على غير بناء الحرفين.

وقال الشاعر: [المتقارب]

فلمـــــا تبـــــيَّن أصـــــواتنا بكـــــين وفـــــدَّيننا بالأبِينَـــــا[2]

فمذهب سيبويه هو الأبوان، والبيت السابق ضرورة[3].

وأجاز ابن جني أن يجمع (أب) على أبون وأبين[4]. وقوله: في أبيك، يريد: في أبويك، فثنّى الأب على لفظه، ولم يرده إلى أصله"[5] وقال ابن مالك في تثنية (أب):" ويقال في غير الرفع، أبين، والأصل: أبوين، ثم عرض السكون والقلب والحذف"[6]. ويقال في تثنية أبٍ: أبوان على الإتمام، وأبان على ترك الاسم منقوصًا. وفي النصب

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/٥٤.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٤٠٦.

(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٤/ ١٥٥.

(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ١/ ٣٤٦.

(٥) ابن الإفليلي، إبراهيم بن محمد، شرح معاني شعر المتنبي، تحقيق: مصطفى عليان، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ط:١، ١٩٩٢م، ١٣/٣.

(٦) ابن مالك، شرح التسهيل، ١/ ٩٧.

أبوين وأبين[1].

والذي يظهر لي أن هذه التثنية التي قال بها المتنبي جائزة، فمثنى أب: (أبان) وهي لغة كما ذكر هذا أكثر النحويين، وأصل الكلمة (أبويك)، ولكنه حذف الواو للإيجاز، ولكي يبين معرفته بالقواعد القليلة، وأنه يستطيع قول الشعر بها، فهذا الحذف من المشكل؛ لأنه سار على القليل وترك الكثير، وإن كان جائز، وهذا الظاهر أن المتنبي يميل إلى إيراد الأبيات الغريبة أو التي قال بها القليل والنادرة.

ومن باب الحذف المزدوج قوله: [الطويل]

قَصَدْنا لـه قَصْدَ الحَبْيبِ لِقاؤُهُ إلينا وقُلْنا لِلسُّيوفِ هَلُمِّنَّا[2]

ذكر سيبويه أن من العرب من يقول (هلم) وللاثنين والجميع ويجمعه، فيقول للواحد: هلم، وللاثنين: هلما، وللجميع هلموا[3]. فاستعمل أبو الطيب هذه اللغة، وأدخل النون الثقيلة مؤكدًا على (هلموا)، وهو فعل الجماعة، فاجتمع له في واو الجماعة والنون الثقيلة من النون الأولى ساكنان، فأسقط أحدهما وهو الواو، فبقي هلمن، ثم أشبع الفتحة للقافية، فقال: هلمنا[4]

والذي يظهر لي أن المتنبي لجأ إلى هذا الحذف لحبه للغريب والنادر، كما أن الوزن له دور في هذا الحذف، فهو من الحذف المشكل المزدوج.

حذف الياء:

ومن مواضع حذف الياء عنده قوله: [الخفيف]

حالفتـــه صـــدورها والعـــوالي ليخوضـــنّ دونـــه الأهـــوالا

(١) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٥٥.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٤/ ١٦٦.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٥٣٤.

(٤) ابن الإفليلي، شرح معاني شعر المتنبي، ٣٦٩/١.

ولتمضـــنّ حيـــث لا يجـــد الـــرّم ح مـــداراً ولا الحصـــان مجـــالا[1]

قال المعري:" قوله: لتخوضن، وإنما يجب أن يقول: وليمضين؛ فيظهر الياء، كما يقال: حلفت الجماعة لتدخلن الدار، ولتمضين في الحاجة، ولو قال في غير الشعر: لتخضن دونه الأهوال لحسن أن يقول: وليمضن فيحذف الياء"[2]، وحكى الكوفيون حذف الياء في مثل هذا نحو: حلفت هند لتمضن ولترضن لسكونها وسكون النون الأولى بعدها[3].

والذي يظهر لي أن المتنبي قال بهذا سيرًا على المذهب الكوفي، وفي هذا الحذف خلاف فهو من الحذف المشكل.

ومن باب استعماله للهجات المهجورة قوله: [الكامل]

لو لم تكن من ذا الورى اللّذْ منك هوْ عقمَتْ بمولِد نسلِها حوّاء[4]

واللذ: بحذف الياء: لغة في الذي، وذكر الواحدي أن (اللذ) لغة في الذي[5]، وذكر بعض النحاة أنه يلحق (الذي) حذف، فتصبح (اللذ) بكسر الذال وسكونها[6].

وقال الزمخشري:" ولاستطالتهم إياه بصلته مع كثرة الاستعمال خففوه من غير

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٣٦/٣.

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٩٦٨

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٢٩١.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣١/١.

(٥) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص١٠٣.

(٦) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ١/ ٢٣٦، ٢/ ٤٢، وابن خالويه، الحسين بن أحمد، كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، ١٣٦٠هـ، ص٢٠٢، والمعري، اللامع العزيزي، ص١٤، وابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ٣٩٥.

وجه فقالوا: اللذِ بحذف الياء ثم اللذْ بحذف الحركة"[1]. وذكر ابن مالك أن في (الذي) ست لغات[2].

والذي يظهر لي أن المتنبي عالمٌ بهذه اللغات، فأراد أن يبين معرفته بها، بالإضافة إلى ميله الشديد للاختصار، بالإضافة إلى الخلاف الذي فيها، والمتنبي يورد مسائل الخلاف.

ومن مواضع الحذف عنده قوله: [الكامل]

لا يستحي أحد يقال له نضلوك آل بويه أو فضلوا[3]

حذف الياء من يستحيي لأن أصل الفعل: استحيا يستحيي.

ومن حذف الياء قوله: [الكامل]

مَلِكٌ زُهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى افْتَخَرْنَ بِهِ على الأَيَّامِ[4]

قال: زُهَتْ وهو يريد زُهِيَتْ[5].

فنلاحظ أن المتنبي حذف الياء في البيت لإبراز قدرته اللغوية، أو اضطر لذلك لإقامة الوزن، ولكن هذا البيت عندي من الأبيات المشكل، التي تُعد من سقطات المتنبي، فشاعر مثله، لا ينبغي أن يحذف كثيرًا لإقامة الوزن، إلى درجة أنه يغير المعنى أو يأتي بكلمة لا معنى لها، مثل كلمة (زُهَت)، قد لا يتضح معناها للقارئ من أول وهلة.

وقد يقع في البيت أصناف شتى من حذف حروف المباني من ذلك قوله: [الكامل]

(١) الزمخشري، المفصل، ص١٨٣.

(٢) ابن مالك، شرح التسهيل، ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣٠٩/٣.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١١/٤.

(٥) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص١١٥١.

أَلِــفَ المــرُوَّةَ مُــذْ نَشَــا فكأنَّــهُ سُــقِيَ اللِّبَــانَ بهَــا صَــبيّاً مُرْضَــعَا[1]

في البيت أربعة أنواع من الحذف وهي تسهيل همزة المروءة وحذف نون منذ وحذف أن بعدها وهمزة نشأ.

يقول العكبري معلقا على هذا البيت:" مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف وقال البصريون هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجرورًا بهما وحجتنا أنهما مركبان من من وإذ"[2]

فنلاحظ كثرة الحذف في بيت واحد، ولعل سبب كثرة الحذف يعود إلى حالته النفسية، وحبه للإيجاز، واضطراره لإقامة الوزن.

وعلى هذا فالحذف في البيت السابق من الحذف المشكل.

وغالبًا ما يتصرف المتنبي في الكلمات الأعجمية بالتغيير، من ذلك قوله: [الخفيف]

يجمــع الــرّومَ والصّــقالبَ والبُــلْ غَــرَ فيهــا وتجمــع الآجــالا[3]

والبلغر هم البلغار لكنه حذف الألف منها لتتناسب مع الأوزان العربية، والذي يظهر لي أنه لا بأس أن يقول في البلغار البلغر، فكلاهما صحيح، وقد لجأ المتنبي إلى هذا الحذف ليكون الاسم موافقًا لأوزان العربية، لأنه لو قال البلغار بالألف لم ينكسر الوزن لكنه اختار الحذف.

ومن ذلك قوله: [الكامل]

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/٢٦٢.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/٢٦٢.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣/١٣٦

مَـنْ مُبلـغُ الأعـرابِ أنِّي بَعْـدهاَ جالَسْـتُ رَسْـطَاليس وَالإسْـكَنْدَرا[1]

"حكى أبو علي عن أبي زيد اسمه أرسطو طاليس. ومحال أن يقول أبو زيد ذلك إلا وقد وصل إليه من حيث يثق. وإذا كان كذلك فرسطاليس تحريف له. والتحريف في الأسماء الأعجمية أسهل من التحريف في الأسماء العربية؛ لأن العرب كثيراً ما تخلط فيها لأنها ليست من لغتهم."[2]

وقد يحذف المتنبي حرفًا من كلمة حذفًا لم يسبقه أحد إليه: [الخفيف]

لأمـــة فاضـــة أضـــاة دلاص أحكمـــت نســـجها يـــدا داود

وهـو هنـا يصـف درعًـا "والمسـموع مفاضـة ولم تقـل العـرب فاضـة"[3] بمعـنى: فضفاضة، فهـذا من الحـذف المشـكل الـذي وقـع فيـه المتنبي، وأخـل بتركيـب الكلمـة ومعناها، لا أدري لماذا لجأ المتنبي لهذا الحذف، واختيار هذه الكلمة، وكان باستطاعته اختيار لفظة أخرى، مثل: متينة، قوية، وغيرها.

وبناءً على ما سبق في حذف حروف المباني، نجد أن المتنبي يحذف الحرف أو أكثر من حرف في البيت الواحد، إذا كان فيه خلاف نحوي أو كان الحذف غريب أو نادر.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٧٠/٢

(٢) ابن عصفور، علي بن مؤمن، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٤١.

(٣) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ٣١١/٧.

المبحث الثاني: حذف حروف المعاني

حذف همزة الاستفهام

ذكر النحاة أنه يجوز حذف همزة الاستفهام إذا دل عليها دليل[1]، وذهب قوم إلى أن حذف همزة الاستفهام، لأمن اللبس، من ضرورات الشعر، ولو كانت قبل (أم) المتصلة، وهو ظاهر كلام سيبويه، وذهب الأخفش إلى جواز حذفها في الاختيار، وإن لم يكن بعدها (أم)[2].

ونجد أن المتنبي أحيانًا يحذف همزة الاستفهام وليس بعدها (أم)، كما في قوله: [الوافر]

تطيعُ الحاسدينَ وأنت مَرْءٌ جعلتُ فداءهُ وهُمُ فدائي[3]

فنلاحظ حذف همزة الاستفهام في الشطر الأول، وهو استفهام إنكاري "أصله: أتطيع؟ ولم يأتِ

بعدها (أم) فهو في هذا موافق لرأي الأخفش، أو أنه يرى أنه يجوز في الشعر حذف همزة الاستفهام وإن لم يأتِ بعدها (أم)، فحذف همزة الاستفهام واضح في البيت[4].

والذي يظهر لي أن الوزن الشعري هو ما ألجأ المتنبي إلى هذا الحذف، وألجأه أيضا إلى حذف (ال) من كلمة المرء في الشطر الأول والأجود أن يقال: وأنت امرؤ، ولا تحذف الهمزة من أوله إلا مع الألف واللام إذا قالوا: المرء،

(١) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٥/ ١٠٣.

(٢) المرادي، حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ص٣٤.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/ ١٠.

(٤) أبو العلاء المعري، معجز أحمد.

وربما استعمل ذلك في الشعر"[1]

وعلى هذا فإن المتنبي في هذا الحذف خالف جمهور النحاة، وإن كان قد قال به الأخفش، ولكن المتنبي –كعادته– يبحث عن الغريب والشاذ ويأتي به.

فأرى أن الحذف في البيت السابق من الحذف المشكل المخالف للقاعدة النحوية ولجمهور النحاة، ولكن المتنبي حذف الهمزة في البيت السابق لبحثه عن الغريب، أو لإقامة الوزن.

وقال المتنبي: [البسيط]

يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادي غَيْرُ مُلْتَهِبٍ وَأَنَّ دَمْعَ جُفوني غَيْرُ مُنْسَكِبِ[2]

حذف همزة الاستفهام في قوله: يظن، وأصله أيظن؟ وهذا البيت كسابقه حذف المتنبي همزة الاستفهام منه، ولم يأت بعدها (أم)، حيث قال الواحدي عند شرح هذا البيت:" أراد أيظن بالاستفهام، فحذفه وهو يريده والتاء للخطاب والياء إخبار عن سيف الدولة"[3].

وقول الواحدي السابق يشير إلى أن الفعل (يظن) له روايتان واحدة منهما بالتاء والأخرى بالياء، لكنني لم أقف إلا على رواية الياء فيما بين يدي من شروح لشعر المتنبي.

والحذف في هذا البيت مخالف للقاعدة النحوية وللجمهور، فهو من الحذف المشكل.

وقال المتنبي: [الوافر]

شديدُ الخُنزوانةِ لا يُبالي أَصابَ إذا تنمَّرَ أم أُصيبا[4]

قال أبو الفتح: وأراد: "أأصاب، فحذف همزة الاستفهام ضرورة أي: إذا أوعد

(١) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٢٢.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٨٩/١.

(٣) الواحدي، علي بن أحمد، شرح ديوان المتنبي، ص٣٠٣.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٣٩/١

عدوه لم يرجع على ما خيلت"[1].

وقال الواحدي:" أراد: أأصاب، فحذف همزة الاستفهام ضرورة"[2]

فالمتنبي هنا موافق لما ذهب إليه النحاة، من أنه يجوز حذف همزة الاستفهام إذا جاءت بعدها (أم).

وقال المعري:" وأصاب: يجوز أن يكون الألف للاستفهام؛ لأن (أم) يدل على الاستفهام فتكون أصاب: بمعنى صاب"[3].

فإذا كان المعنى كما ذكر المعري فلا شاهد لنا فيه.

وكما يتضح لنا مما سبق أن أبا الفتح والواحدي جعلا حذف الهمزة في البيت السابق ضرورة، ومعروف أن الضرورة هي التي تخالف القاعدة النحوية، وما ذهب إليه الجمهور، ولا أدري لماذا قالا بأن الحذف هنا ضرورة.

وجاءت همزة الاستفهام محذوفة في قوله: [الكامل]

شِيَمُ اللَّيَالي أنْ تُشَكِّكَ نَاقَتي صَدْري بها أفْضَى أم البَيْداءُ[4]

حذف همزة الاستفهام في قوله: صَدْري بها أفْضَى أم البَيْداءُ، ودل على ذلك وجود أم في الجملة.

وهو بهذا موافق لمذهب النحاة، قال أبو حيان:" ولا يجوز حذف حرف

(١) الزوزني، محمد بن الحسن، قشر الفسر، تحقيق: عبد العزيز المانع، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ١/ ٥٩.

(٢) المهلبي، أحمد بن علي، المآخذ على شراح ديوان المتنبي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ، ط:٢، ٢٠٠٣م، ٣٣/١.

(٣) المعري، أحمد بن عبد الله، معجز أحمد، ص١٦٦.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٦/١.

الاستفهام إلا أن يكون في الكلام ما يدل عليه"[١].

ومن ذلك قوله: [الوافر]

أســـامرّيّ ضـــحكة كـــلّ راء فطنـت وأنـت أغـبى الأغبيـاء[٢]

حذف همزة الاستفهام من بداية الشطر الثاني إذ المقصود: أفطنت؟ وهو في هذا يخالف ما ذهب إليه النحاة ما عدا الأخفش، الذي أجاز حذف همزة الاستفهام وإن لم يقع بعدها (أم)[٣].

وعلى هذا فإن الحذف في البيت السابق من الحذف المشكل المخالف للقاعدة النحوية وللجمهور، إذ لا يتضح للقارئ أنه يوجد حذف همزة الاستفهام، فهو من الحذف المشكل، وقد لجأ المتنبي لهذا الحذف لحالته النفسية الواضحة من هجائه في الشطر الثاني، فهو في حالة غضب.

ومن أمثلة حذف همزة الاستفهام عنده قوله: [الكامل]

لـو بـان بـالكرم الجنـين بيانـهُ لـدرت بـه ذَكَرٌ أم انثى الحامِلُ[٤]

في هذا البيت حذفت همزة الاستفهام وحذفت همزة أنثى من أجل إقامة الوزن. يقول أبو العلاء:" وقوله: ذكر: أراد همزة الاستفهام فحذفها للضرورة، كأنه قال: أذكر أم أنثى، وألقى حركة أنثى على ميم (أم) فحذف همزة الاستفهام ضرورةً وهمزة أنثى؛

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، الناشر: دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط١، ٧/ ٢١٢.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١/٤٥

(٣) المرادي، الجنى الداني، ص٣٤، والسمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، ١/ ٢٥٨.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٣/٢٥٧.

لأنه نقل حركتها إلى ميم وليس ذلك بضرورةٍ"[1]

وهنا نلاحظ أن المتنبي حذف همزة الاستفهام، وجاء بعدها (أم)، وهو في هذا موافق لمذهب سيبويه والنحاة ما عدا الأخفش.

وبناءً على ما سبق يتضح لنا حذف همزة الاستفهام، وإن كان الحذف موافق للقاعدة النحوية ولمذهب الجمهور، إلا أننا نجد حذف آخر وهو همزة (أنثى) أو تسهيلها، مما يدعونا إلى الوقوف عند البيت، وطرح سؤال هو:

ما سبب كثرة الحذف عن المتنبي؟

ومن شواهد حذف همزة الاستفهام قوله: [الوافر]

أُحـــادٌ أم سُـــداسٌ في أُحـــادِ لُيَيْلَتُنـــا المَنُوطـــةُ بالتّنـــادِ[2]

حذفت همزة الاستفهام من أول البيت، ومعنى البيت أنه يتساءل أهذه ليلة واحدة أم أنها ست ليال في واحدة، يشير إلى طولها، وقد أسهب الشراح في شرح هذا البيت كثيرًا.

والذي يظهر لي أن حذف همزة الاستفهام هنا من الحذف المشكل المخالف لما ذهب إليه جمهور النحاة، ومما جعله يحذف الهمزة هنا حالته النفسية المتعبة والمثقلة، بدليل أنه يتساءل هل هذه ليلة أم ست ليال من طولها، ومعلوم أن الليل لا يطول إلا على المريض أو الذي يعاني من أي أمر، فالحذف –فيما أرى– كان بسبب حالة المتنبي النفسية.

كذلك حذف همزة الاستفهام في قوله: [الطويل]

لجنّيـــةٍ أم غـــادةٍ رُفِـــعَ الســـجفُ لوحشـية؟ لا. مـا لوحشـيةٍ شَـنْفُ[3]

حذفت همزة الاستفهام من أول البيت "أراد ألجنية فحذف همزة الاستفهام

(١) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص١٠٠٢، ١٠٠٣.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٣٥٢/١.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٢٨٢/٢

ولوحشية يجوز أن يكون استفهامًا كالأول، وقال ابن جني يحتمل أمرين أحدهما: أن يكون أجاب نفسه فلما قال مستفهمًا: لجنية قال مجيبًا لنفسه: ليس لجنية ولا لغادة بل لوحشية، ثم رد على نفسه منكرًا لهذا الاعتقاد بقوله لا ما لوحشية شنف أي ليس لها هذا الشنف، والثاني: أن يكون لوحشية مثل الجنية فحذف همزة الاستفهام"[1]

وهذا البيت من باب تجاهل العارف فالشاعر يعلم أنها غادة لكنه أخرج الكلام على هذه الصورة حتى يزداد تأكيدًا، ومن المآخذ التي أخذت عليه في هذا البيت وصفه الجنية بالحسن، يقول ابن وكيع التنيسي:" معلوم أن هذا الكلام سؤال متباله يسأل من أي الجنسين هي، وهو يعلم أنها بشر ولا أعلم من خبره أنّ الجن أحسن منظراً من الإنس حتى يسأل من أي الجنسين هي"[2].

فيتضح أن في البيت حذفين، هما ألجنية...وألوحشية؟

فالحذف الأول موافق للقاعدة النحوية ولجمهور النحاة، أما الحذف الثاني فهو من المشكل؛ لأنه لم يأتِ بعده (أم)، بالإضافة إلى الاحتمالين اللذين ذكرهما ابن جني، فالحذف الثاني هو المشكل.

والذي يظهر لي أن المتنبي قد لجأ للحذف الثاني في قوله: لوحشية؟ لكي يجعل مَنْ يقرأ البيت أو يسمعه في حيرة، هل هو يستفهم أم يجيب.

ومن حذفه همزة الاستفهام قوله: [الطويل]

وأَقْبلَ يَمْشي في البِساطِ فما دَرَى إلى البَحْر يَمْشي أو إلى البَدْرِ يَرْتَقي[3]

حذفت همزة الاستفهام من أول الشطر الثاني، نلاحظ أن المتنبي هنا حذف همزة الاستفهام وجاء بـ (أو) وهي معادلة لـ(أم).

ومن ذلك قوله: [الطويل]

---

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٢/٢٨٢

(٢) التنيسي، الحسن بن علي، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق: عمر خليفة إدريس، الناشر: جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م، ص٥٠٨.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٢/٣١٢.

نهــنّي بصــورٍ أمْ نهنِّئهــا بكــا وقل للذي صورٌ وأنتَ له لَكا[1]

خفف الهمز وهمز في مصراعٍ، ويجوز أن يكون اعتقد حذف همزة الاستفهام، كأنه قال: أنهنئ بصورٍ[2].

قال السيرافي عن تخفيف الهمز:" وذلك أن من العرب من يقول: (سلته أساله)، (وهما يتساولان) فلا يهمز، وإنما أتى به الشاعر غير مهموز على هذه اللغة، قال أبو العباس محمد بن يزيد: ومن أقبح الضرورات التي ينبغي ألا يجوز مثلها ولا تصح"[3].

وقال الأزهري:" فمن اختار تخفيف الهمز فهو مصيب من جهة اللغة، ومن همز فهو أتمُّ وأفصح"[4].

وقال السيوطي:" اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقًا وأبعدها مخرجًا تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفًا"[5].

فيتضح مما سبق أن تخفيف الهمزة لغة معروفة وصحيحة، وقد أخذ بها المتنبي في البيت السابق، وإن كان لغرض استقامة الوزن.

ومن الملاحظ على ما سبق من شواهد حذف همزة الاستفهام عند المتنبي أنه تارةً يخالف القاعدة النحوية وتارةً لا يخالفها، كما هو واضح من الأبيات السابقة.

كما ألاحظ أن غالبية شواهد حذف همزة الاستفهام جاءت في مطالع قصائده.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي،٢/٣٨١.

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٨٦٦.

(٣) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ١/ ٢٢٧.

(٤) الأزهري، محمد بن أحمد، معاني القراءات، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ٢/ ٦٥.

(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ، ١/ ٣٤٠.

وفي رأيي أن ما يؤخذ عليه في هذا الحذف هو الإكثار منه.

حذف أن الناصبة

أكثر المتنبي من حذف أن الناصبة جريًا على مذهب الكوفيين، من ذلك قوله: [البسيط]

تَوقَّــه فمــتى مــا شــئت تبلــوَهُ فكُـنْ مُعَاديـهُ أو كُـنْ لَـهُ نَشَـبا[1]

قال أبو العلاء: "كان أبو الطيب ينظر في نحو الكوفيين فربما استعمل ما يجده جائزًا في مذهبهم، ونصبه تبلوه جائز على رأيهم بإضمار أن، كأنه قال: فمتى ما شئت أن تبلوه، فكأنه جمع بين ضرورتين؛ لأنه حذف أن في الموضع الذي ينبغي أن تثبت فيه، ونصب بها مع الحذف"[2]

يقول العكبري: " تبلوه انتصب بإضمار أن وهو على مذهبنا فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة وأبى ذلك البصريون"[3].

وذهب الكوفيون إلى أنَّ (أن) الخفيفة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير بدل. وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه يجوز إعمالها مع الحذف قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ البقرة: ٨٣

فنصب (لا تَعْبُدُوا) بأن مقدرة؛ لأن التقدير فيه: أن لا تعبدوا إلا الله، فحذف (أن) وأعملها مع الحذف، فدل على أنها تعمل النصب مع الحذف، وقال طرفة: [الطويل]

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/١١٤

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ١/١٣٣

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/١١٤

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وأن أشهد اللَّذَّات هل أنت مُخْلِدِي[1]

فنصب (أحضرَ) لأن التقدير فيه: أن أحضر، فحذفها وأعملها على الحذف، والدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله: (وأن أشهد اللذات) فدل على أنها تنصب مع الحذف.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها لا يجوز إعمالها مع الحذف، أنها حرف نصب من عوامل الأفعال، وعوامل الأفعال ضعيفة؛ فينبغي أن لا تعمل مع الحذف من غير بدل[2].

والذي يظهر لي أن المتنبي كوفي المذهب النحوي، ولذلك نجد في ديوانه كثيرًا من الشواهد التي توافق مذهبهم النحوي، بما فيها هذا البيت، فالسبب الذي جعله يحذف (أن) ويعملها في الفعل الذي بعدها أنه كوفي المذهب –فيما أرى–، كما أنه يحب إيراد القضايا النحوية التي فيها خلاف.

ونراه يسير على مذهب البصريين أحيانًا فيحذف (أن) ولا يعملها كما في قوله: [المنسرح]

يا حاديي عيسها وأحسبني أوجد ميتا قبيل أفقدها[3]

حذف أن ولم يعملها في قوله: قبيل أفقدها. فقد سار في هذا البيت على مذهب أهل البصرة وهو حذف (أن) وإهمالها، والذي يظهر لي أنه أراد أن يبين معرفة بالمدارس النحوية، فتارةً يذهب مع أهل الكوفة، وتارةً مع أهل البصرة. يحكمه في ذلك الوزن والقافية، أو تأثره باللغويين والنحاة الذين كان يجالسهم.

بالإضافة إلى سبب سير المتنبي هنا على مذهب البصريين، أنه يميل إلى جعل شعره مليء بالقضايا النحوية خاصةً التي فيها خلاف، فتارةً يسير على المذهب

(١) البيت لطرفة بن العبد، ينظر: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٣، ٢٠٠٢م، ص٢٥.

(٢) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/ ٤٥٦-٤٥٨.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٩٤/١

البصري، وتارةً على المذهب الكوفي.

وشبيه بما سبق قوله في القصيدة نفسها: [المنسرح]

أَقَـرَّ جِلْـدِي بهـا علـيّ فَـلاَ أقْـدِرُ حـتى الممـاتِ أجْحـدُها[1]

حذف أن ولم يعملها والأصل: أن أجحدها. قال المعري: "فما أقدر حتى الممات أجحدها: هذا من مواضع أن، والمراد فما أقدر أن أجحدها، وقد حذفها أبو الطيب في مواضع كثيرةٍ، وإثباتها أحسن إذا لم تدع إلى ذلك ضرورة"[2].

فالذي يظهر لي أن المتنبي حذف (أن) وأهملها، والسبب في ذلك أنه يريد أن يبين قدرته الكلامية، وأنه عالم بالمذاهب النحوية، أو ميله الشديد للإيجاز، فالحذف في هذا البيت من الحذف المشكل، لأن فيه خلاف نحوي، كما أنه لا توجد حاجة ملحة للحذف كما ذكر المعري، فهو في مندوحة عنه.

ومن مواضع حذف (أن) وإعمالها قوله: [البسيط]

وكُلَّمـا لَقِـي الـدَّينَارُ صـاحِبَهُ في مِلْكِهِ افْتَرَقَا من قَبْلِ يَصطْحِبا[3]

نصب الفعل يصطحبان وحذف نونه بأن المحذوفة. يقول: ابن عصفور معلقًا على هذا البيت: " ولا يجوز ذلك في سعة الكلام فإن جاء شيء منه حفظ ولم يقس عليه لشذوذه"[4].

وذكر المعري أن المتنبي في هذا البيت جمع بين ضرورتين، هما حذف (أن)، وإعمالها[5].

والذي يظهر لي –كما ذكرت سابقًا– أن المتنبي يميل إلى المذهب الكوفي، إن

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣١٢/١

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، ص٤٠٨.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١١٦/١

(٤) ضرائر الشعر لابن عصفور: تحقيق: السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط:١، ١٩٨٠م، ص: ١٥٢

(٥) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص١٣٦، ٦٤٥.

لم يكن كوفيًا، فهو يرى أنه لا بأس من حذف (أن) وبقاء عملها، وهذا هو المذهب الكوفي، وهو في البيت سار على هذا المذهب، وأيضًا حبه لإيراد الشواهد المشكل التي فيها خلاف نحوي، وواضح من كلام المعري أن في البيت ضرورتين، وما هذا إلا أن المتنبي يميل إلى الغريب ومخالفة المتفق عليه.

من ذلك قوله: [الطويل]

وَقَبْلَ يَرَى مَنْ جُودِهِ ما رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعَ فيه ما سَمِعْتَ مِنَ العَذْلِ

وَيَلْقَى كَما تَلْقَى من السَّلْمِ والوَغَى وَيَمْسِي كَمَا تَمْسِي مَلِيكاً بلا مِثْلِ[1]

قال المعري:" قبل: مضاف إلى يرى. وإنما جاز إضافة الظرف إلى الفعل لقلة تمكنها. وفي القرآن: ﴿*يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ المائدة: ١٠٩، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ﴾ الانفطار: ١٩. وقيل: إن فيه إضمار أن وتقديره: وقبل أن يرى. فيكون في معنى المصدر: أي وقبل رؤيته، فتجرى الإضافة على بابها. فعلى هذا يجوز. في يسمع الرفع، والنصب[2].

والذي يظهر لي أن سبب حذف المتنبي (أن) وإعمالها، على رواية من روى ويسمعَ بالنصب هو مذهبه الكوفي، بالإضافة إلى أنه يريد إيراد الأبيات التي فيها خلاف نحوي، كما يريد أنه يبين أن مدرك كل الخلافات النحوية، وأنه متمكن في اللغة العربية.

وحُذفت (أن) مرتين في قوله: [الكامل]

بيضاءُ يمنعُها تكلّمَ دَلُّها تيهاً ويمنعُها الحياءُ تَميسا[3]

قال الجرجاني:" نصب تميس مع حذف (أن)، وهو عند النحويين ضعيف، لا

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٥٢/٣

(٢) أبو العلاء المعري، معجز أحمد، ٩٣/٣

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٩٥/٢

يجيزون النصب على إضمار (أن)، إلا أن يكون منها عوض، وقد أجازه الكوفيون[١] " والرواة ينصبون تكلم، وما أجدر أبا الطيب أن يكون على ذلك وضعه ليساوي بينه وبين قوله: تميس. ولو رفع تكلم لم يكن فيه إلا ضرورة واحدة، وذلك أحسن من ضرورتين[٢].

والذي يظهر لي من سبب حذف المتنبي (أن) بقاء عملها، هو مذهبه الكوفي، بالإضافة إلى حسه المرهف، حيث أراد أن يساوي بين (تكلمَ) و(تميسا)، لكي يكون الفعلان منصوبين، وهذا يدل على دقته واهتمامه ببناء البيت.

واختلف النحاة وشراح شعره في سبب نصب الفعل في قوله: [الوافر]

أحبـــك أو يقولـــوا جـــر نمـــل ثبـــيرًا وابـــن إبـــراهيم ريعـــا[٣]

نصب يقولوا بـ(أن) المحذوفة أو (حتى)، وقد ذكر الأصفهاني والمعري أن معنى (أو) في هذا البيت (حتى)[٤].

والذي يظهر لي أن حذف (أن) هنا واجب، لأن من المواضع التي تُضمر فيها أن وجوبًا وتنصب المضارع، هو أن يقع المضارع بعد (أو) التي بمعنى حتى[٥]. وهذا منطبق على البيت الذي بين أيدينا تمامًا، فعلى هذا يكون المتنبي موافقًا للقاعدة النحوية، ولا بأس في حذف (أن) هنا، بل يجب.

من ذلك قوله : [الوافر]

إن اســـتجرأتَ ترمقُـــه بعيـــداً فأنـت اسْطَعْتَ شيئًا ما اسْتُطيعا[٦]

(١) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤٦٦.

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ٦٠٩.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٥٣/٢

(٤) الأصفهاني، عبد الله بن عبد الرحمن، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، ص١٥، والمعري، اللامع العزيزي، ص٧٢٨.

(٥) ابن مالك، شرح التسهيل، ٤/ ٢٥، وابن هشام، مغني اللبيب، ص٩٤.

(٦) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٥٥/٢

أراد أن ترمقه فحذف ورفع الفعل ولو نصبه على مذهبه لكان جائزا[1]فالواضح في هذا البيت أن المتنبي سار على مذهب البصريين، والسبب في هذا أنه أراد أن يظهر معرفته بالمذاهب النحوية، والتباهي أمام خصومه.

ومن أبياته المشكلة قوله: [الكامل]

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُوْدِكَ ثَرَّةً وانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لا أَغْرَقُ[2]

قال ابن الشجري في أماليه:" وكان الوجه في إعراب «لا أغرق» الجزم، على أن يكون جوابًا للطلب الذي هو قوله: (انظر إليّ) بتقدير: فإنك إن تنظر إليّ لا أغرق، ولهذا الحرف ذكرت هذا البيت. ورفعه يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون أراد لئلاّ أغرق، وحذف لام العلّة، ثم حذف (أن) فرفع"[3]. وذكر العكبري في رفع (أغرقُ) وجهين، أحدهما: أراد لئلا أغرق فحذف لام العلة ثم حذف (أن) فارتفع، والثاني: أن يكون بالفاء مقدرة وإن كانت في الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها كما يرتفع بإثباتها وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون، فحذفها من جواب الأمر أسهل[4].

والذي يظهر لي أن الصواب، لئلا أغرق، فحذف لام العلة، ثم حذف (أن) فارتفع الفعل، لأن معنى البيت يستقيم على هذا التقدير، أما تقدير الفاء ففيه تكلف.

فحذف (أن) ولم يعملها، وهذا مذهب البصريين، وسبب الحذف هنا – فيما أرى– طلب الخفة، إذ لو قال: لئلا أغرق، لكان في البيت ثقل، بالإضافة إلى اختلال الوزن.

وقد يحذف (أن) ولا يتضح مذهبه وذلك لأن حركة الفعل مقدرة وليست

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/٢٥٥

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/٣٢٨

(٣) ابن الشجري، أمالي ابن الشجري،١/١٢٣، ١٢٤

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/ ٣٣٩.

ظاهرة كما في قوله: [الكامل]

عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ في الوَغَى ما يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بالصَّمْصَامِ[1]

حذفت أن، إذ المراد: عيب عليك أن ترى، فمذهبه النحوي في هذا البيت لم يُعرف؛ لأن الفعل معتل ولا تظهر عليه الحركات، ولأنه قد أورد المذهبين فلا ندري هنا على أي مذهب سار.

وسبب الحذف –فيما أرى– أن المقام مقام مدح ووصف في المعركة، فمن المناسب حذف الحرف (أن)، وهذا من عبقرية المتنبي، وإن كان البعض لا يحبذ الحذف هنا، فهذا دليل أنه من الحذف المشكل، بسبب الاختلاف حوله.

وقد حذف المتنبي (أن) واختلفت الروايات في الفعل بعدها كقوله: [الكامل]

وتوقّدتْ أنفاسُنا حتى لقد أشفقْتُ تحتَرِقُ العواذلُ بينَنا[2]

أشفقت تحترق: ومعناه أشفقت أن تحترق، والفعل يروى بالرفع والنصب يُقال في البيتين السابقين ما قيل في الأبيات التي قبلها في حذف (أن).

حذف حروف الجر:

ومن حذف المتنبي لحروف المعاني حذفه حرف الجر

تتعرض حروف الجر في اللغة العربية للحذف، وقد عبر النحاة عنها بنزع الخافض وهو باب مرتبط بباب التعدي واللزوم في الأفعال، يقول ابن مالك: [الرجز]

وعد لازمًا بحرف جر وإن حذف فالنصب للمنجر[3]

وفي شعر المتنبي مواضع كثيرة حذف فيها حرف الجر يضيق هذا البحث عن

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٠/٤

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٩٦/٤

(٣) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث، لقاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٩٨٠م، ١٤٩/٢.

الإتيان بها جميعها، وسنكتفي منها ببعض الشواهد التي اختلف الشراح والمفسرون في تأويلها،

حذف حرف الجر (رُبّ)

ومن أمثلة الحذف الجائز المستساغ في حرف الجر (رب) قوله: [الطويل]

ويــومٍ كليــلِ العاشــقينَ كمنْتُــه أراقبُ فيه الشمسَ أيّانَ تغرُبُ[1]

معنى البيت رب يوم طال ... فحذف (ربَّ) والواو دلت عليها.

وقوله: [الكامل]

وَمَطَالِــبٍ فِيْهَــا الهَــلاكُ أَتَيْتُهَــا ثبَــتَ الجنَــانِ كَــأَنَّني لَمَ آتِهَــا[2]

حذف من البيت حرف الجر (ربَّ).

أجاز سيبويه حذف حرف الجر (رب) وبقاء عملها، حيث قال:" وليس كل جار يضمَر؛ لأن المجرور داخلٌ في الجار، فصارا عندهم بمنزلة حرفٍ واحد، فمن ثم قبُح، ولكنهم قد يُضمِرونه ويحذفونه فيما كثر من كلامهم، لأنهم إلى تخفيف ما أكثروا استعمالَه أحوج"[3].

وقال في موضع آخر:" ومن العرب من يقول: الله لأفعلنَّ، وذلك أنه أراد حرف الجر، وإياه نوى، فجاز حيث كثر في كلامهم، وحذفوه تخفيفًا وهم ينوونه، كما حذف (ربَّ)"[4].

فهذا دليل على أن سيبويه يجيز حذف حرف الجر (رُبَّ).

وذكر ابن السراج أن الواو عوضًا عن (رب)، عندما قال:" واعلم: أنّ العربَ تستعملُ الواو مبتدأة بمعنى: (رُبَّ) فيقولون: وبلدٍ قطعتُ، يريدونُ ورُبَّ بلد وهذا

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/١٧٩

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/٢٢٨

(٣) سيبويه، الكتاب، ٢/ ١٦٣.

(٤) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٤٩٨.

كثير"[١].

وذكر العكبري أنه لكثرة استعمال (رُبَّ) جاز حذفها[٢].

وذكر ابن مالك أن حذف (رُبَّ) وبقاء عملها كثير، وليست الواو التي تجر الاسم، بل هي (رب) المحذوفة، لأنه قد ثبت عمل (رب) المحذوفة وليس معها الواو[٣].

وجعل ابن هشام حذف (رب) بعد الواو وبقاء عملها، أكثر من الفاء و(بل)[٤].

والذي يظهر لي أنه لا مسوغ لجر الاسم في بداية الجملة إلا حذف (رُبَّ)، وهو جائز ومنتشر في كلام العرب، والذي جعلهم يحذفونها هو حب الإيجاز والتخفيف في الكلام، خاصةً إذا كان معلومًا لدى السامع، فمن ذلك قول امرئ القيس: [الطويل]

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله[٥]

وكذلك قول الآخر: [الطويل]

وهاجرةٍ نصبت لها جبيني يقطع ظهرها ظهر العظايه[٦].

وغير ذلك من الأمثلة التي تدل على حذف (رُبّ) في كلام العرب وبقاء عملها.

والمتنبي كما عرفنا عنه أنه يتفنن في استعمال اللغة فيورد في شعره كل ما ذُكر

(١) ابن السراج، الأصول، ١/ ٤٢٠.

(٢) العكبري، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ٢/ ٤٠.

(٣) ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية لابن مالك، دراسة وتحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١.

(٤) ابن هشام، أوضح المسالك، ٣/ ٦٣-٦٦.

(٥) هذا البيت لامرئ القيس، ينظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ٢٠٠٤م، ص ٤٨.

(٦) البيت للخليفة أبو جعفر المنصور، ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ ، ٦/٢٢٨.

عن العرب، كثيرًا كان أم قليلًا، فلا غرابة في هذين البيتين أن يكون حرف الجر فيهما محذوفًا، خاصةً أن أكثر النحاة قد أجازوا ذلك.

ثم ما دفع المتنبي إلى حذف حرف الجر (رب) –فيما أرى– بالإضافة إلى ما سبق، أن حرف الجر (رب) فيه ثقل، والملاحظ على المتنبي أنه ينفر من الثقل والطول ويميل للإيجاز والخفة.

حذف حرف الجر (عن):

ومن مواضع حذف الجار والمجرور قوله: [الكامل]

فأتوك ليس لمن أتوا قبلٌ بهم وليس بمن نأوا خلل[1]

حذف الجار والمجرور في بمن نأوا والأصل نأوا عنه.

قال الواحدي في شرح هذا البيت:" أتاك قومه وليس لك بهم طاقة وليس بالقوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جملتهم خللٌ بخروجهم من بينهم"[2]. فواضح مما سبق أنه حذف حرف الجر (عن) في قوله: نأوا عنه، ومجروره وهو الضمير.

والذي يظهر لي أن المتنبي حذف حرف الجر (عن) للعلم به، ومعرفته من السياق، إذ لا يناسب الفعل نأوا إلا الحرف (عن)، والمتنبي كما عرفنا عنه يميل للإيجاز، وترك الواضح، وهذا كثير في شعره.

ولكن المشكل هنا هو حذف الجار والمجرور معًا، وقد ذكر بعض النحاة أنه يجوز في مذهب سيبويه؛ لأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره[3].

وأرى أن حذف الجار والمجرور معًا قد يُلبس، فالأولى عدم حذفهما معًا، والذي دفع المتنبي إلى هذا –في ظني– حبه للغريب.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٣٠٨/٣.

(٢) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٣٨٧.

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون، ١/ ٣٣٥، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٦٠.

حذف حرف الجر (في):

ومن الأبيات التي حُذف فيها حرف الجر (في) قوله: [الطويل]

سَرَيْتَ إلى جَيْحَانَ من أَرْض آمدٍ ثَلاثَـاً لَقَـدْ أَدْنَـاك رَكْـضُ وأَبْعَـدا[1]

فقوله: ثلاثاً يريد في ثلاث. فلما حذف حرف الجر نصب وأعمل فيه سريت[2].

وذكر العكبري أنه سار في ثلاثة أيام، فحرف الجر (في) محذوف[3].

والذي يظهر لي أنه يجوز نصب (ثلاثًا) من وجهين:

الأول: أنها منصوبة على نزع الخافض، وهذا واضح من كلام ابن جني والعكبري.

الثاني: أن ثلاثًا ظرف زمان منصوب، وعلى هذا القول لا نقدر حرف الجر المحذوف.

وبناءً على ما سبق فالمتنبي أجاد في هذا البيت وأبدع، فإن كان يقصد نزع الخافض فلا إشكال في هذا، والاسم بعده منصوب على نزع الخافض، والأمثلة على ذلك كثيرة، سأورد بعضها خاصةً التي حُذف منها حرف الجر (في)، كقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ يوسف: ٩، أي: اطرحوه في الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ آل عمران: ٣٧ أي: في المحراب.

وكذلك قول الشاعر: [الكامل]

لَـدْنٌ بَهَـزَّ الكَـفَّ يَعْسِـل مَتْنُـهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ[4]

والتقدير: كما عسل في الطريق.

فكل الأمثلة السابقة حُذف حرف الجر (في) وانتصب ما بعده على نزع الخافض.

---

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٨٢/١.

(٢) ابن فورجة، الفتح على أبي الفتح، ص١٠٦.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/ ٢٨٢.

(٤) هذا البيت لساعدة بن جؤية يصف الرمح، ينظر: سيبويه، الكتاب، ١/ ٣٦، وأبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص١٢٣.

وإن كان قصد المتنبي أن ثلاثًا ظرف، فهذا واضح ولا يحتاج مزيد إيضاح، ولا يدخل معنا في موضوع البحث.

فالحذف هنا من المسائل التي فيها خلاف ومشكل.

ومن باب حذف حرف الجر ونصب ما بعده قوله: [الطويل]

على سابحٍ موج المنايا بنحره غداةَ كأنَّ النَّبْل في صَدْره وبلُ[1]

أراد في موج المنايا فحذف حرف الجر وأوصل سابحًا إلى الموج فنصبه[2]

الذي يظهر لي في هذا البيت أنه قريب من البيت السابق، لأن حرف الجر في البيتين واحد، ولكن هذا البيت ليس فيه إلا وجه واحد، وهو حذف حرف الجر (في) ونصب موج.

وهذا جائز كثير في لغة العرب، والذي دفع المتنبي إلى هذا غير إقامة الوزن الشعري للبيت، هو حبه لإظهار معرفته بكلام العرب وقدرته اللغوية، بالإضافة إلى ميله للإيجاز.

حذف حرف الجر (اللام):

من ذلك قوله: [الكامل]

وَإِذَا خَفِيْتُ عَنِ العَدُوِّ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ[3]

قال العكبري:" أن في موضع نصب على حذف الخافض، وعند الخليل والكسائي في موضع خفض، وهي أن المخففة من الثقيلة وتكتب منفصلة لا متصلة"[4]

يرى فريق من العلماء أنَّ: (أنَّ وأنْ) بعد حذف الخافض منهما في محلَّ نصب،

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٨٦/٣.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٨٦/٣.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٥/١.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٥/١.

وذهب فريق إلى القول ببقاء الجر فيهما، واضطرب النقل عن الخليل وسيبويه، فعزى ابن مالك، والأشموني للخليل القول ببقاء الجر فيهما، ولسيبويه القول بأنهما في موضع نصب، واختارا رأي سيبويه، قال الأشموني: "وهو الأقيس" وعلل ابن مالك ذلك بأن بقاء الجر بعد حذف عامله قليل، والنصب كثير، والحمل على الكثير أولى من الحمل على القليل[1].

قال سيبويه:" هذا باب آخر من أبواب أن تقول: جئتك أنك تريد المعروف، إنَّما أراد: جئتك لأنك تريد المعروف، ولكنك حذفت اللام ههنا كما تحذفها من المصدر... وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ المؤمنون: ٥٢، فقال: إنَّما هو على حذف اللام، كأنه قال: ولأن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتقون، وقال: ونظيرها: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قريش: ١؛ لأنه إنما هو: لذلك (فليعبدوا) فإن حذفت اللام من أن فهو نصبٌ، كما أنَّك لو حذفت اللام من لإيلاف كان نصباً. هذا قول الخليل. ولو قرؤها ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ المؤمنون: ٥٢، ، كان جيداً، وقد قرىء"[2].

وقال ابن هشام في حذف الجر وانتصاب المجرور:" وقد يحذف وينصب المجرور، وهو ثلاثة أقسام:

١- سماعي جائز في الكلام المنثور، نحو: (نصحته) و(شكرته)، والأكثر ذكر اللام، نحو: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ الأعراف: ٩٣ ، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ لقمان: ١٤.

٢- وسماعي خاص بالشعر، كقوله: كَمَا عَسَلَ الطريقَ الثعلَبُ.

(١) ابن مالك، شرح التسهيل، ٢/ ١٥٠، والبعيمي، إبراهيم بن سليمان، المنصوب على نزع الخافض في القرآن، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ١١٦، ١٤٢٢هـ، ص٢٩٠.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٣/ ١٢٦، ١٢٧.

وقوله: آليت حب العراق الدهر أطعمه[1].

أي: في الطريق، وعلى حب العراق.

٣- وقياسي، وذلك في أن وأن وكي، نحو: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ آل عمران: ١٨ ، ونحو ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الأعراف: ٦٣، ونحو: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ الحشر: ٧، أي بأنه، ومن أن جاءكم، ولكيلا، وذلك إذا قدرت "كي" مصدرية، وأهمل النحويون هنا ذكر "كي"، واشترط ابن مالك في أن وأن أمن اللبس؛ فمنع الحذف في نحو: "رغبت في أن تفعل" أو: "عن أن تفعل" لإشكال المراد بعد الحذف٤، ويشكل عليه: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ النساء: ١٢٧ ، فحذف الحرف مع أن المفسرين اختلفوا في المراد"[2].

وعلى هذا يكون محل المصدر المؤول بعد حذف حرف الجر كما يأتي:

١- ذهب الخليل والفراء والأخفش وأكثر النحويين إلى أن المحل نصب[3].

٢- وذهب الكسائي إلى أن المحل جرٌّ ، يقول الفراء : " قوله: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ المؤمنون: ٦٠، وجلةٌ من أنهم ، فإذا ألقيتَ مِنْ نصبتَ ، وكل شيء في القرآن حذفت منه خافضاً ، فإنَّ الكسائي يقول : هو خفض على حاله[4].

وبناءً على ما سبق يتضح أن المتنبي حذف حرف الجر قبل (أن)، ولكن لم يبين رأيه في إعراب الجملة،

والذي يظهر لي أن الجملة في موضع نصب على نزع الخافض؛ لأن الجار قد

(١) البيت للمتلمس الضبعي، ينظر: ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م ص٩٥.

(٢) ابن هشام، أوضح المسالك، ٢/ ١٥٩، ١٦٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٣/ ١٢٦.

(٤) الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، ٢/ ٢٣٨.

حُذف فلا حاجة لإبقاء عمله وهو ضعيف، ولذلك جعل الأشموني والصبان هذا الوجه هو الأقيس[1].

ثم إن الأكثر أن يكون موضع الجملة النصب، وقد يكون مجرورًا وهذا قليل، والحمل على الأكثر أولى.

فيتضح مما سبق حذف حرف الجر قبل (أن)، وما دعى المتنبي إلى هذا هو أنه يريد إبراز معرفته بالقواعد النحوية وأحكامها، والتباهي بذلك.

ومن حذف الجار والمجرور قوله: [الكامل]

وعقاب لبنانٍ وَكَيف بقطعها وَهُوَ الشتَاء وصيفهن شتاء[2]

والمعنى كيف لي بقطعها؟ والباء متعلقة بالمحذوف.

مذهب الخليل أن هنا لام الجر محذوفة، وإنما حُذفت تخفيفًا[3]. قال سيبويه في (لاه أبوك):" لاهِ أبوك، تريد: لله أبوك، حذفوا الألف واللامين، وليس هذا طريقةَ الكلام، ولا سبيله؛ لأنه ليس من كلامهم أن يُضمروا الجار"[4]. فهو يرى أنه لا يصح حذف حرف الجر.

وقال في موضع آخر:" وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين، من قولهم: لاه أبوك،

(١) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١/ ٤٤٤، والصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، ٢/ ١٣٤.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/١٨.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٢/ ١٦٢، والسيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٢/ ٤٨٧، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ٤/ ٢٠٩٠، والتذييل والتكميل، ١٠/ ٢٥، وابن هشام، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك، الناشر : دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م، ص٦٨٢.

(٤) سيبويه، الكتاب، ٢/ ١١٥.

حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى، ليخففّوا الحرف على اللسان، وذلك ينوون"[١]. وهنا يرى أن حذف الجار للتخفيف.

وقال السيرافي:" ومن الحذف الشاذ– أيضًا– قولهم: لاه أبوك، يريد: لله أبوك، فحذفوا منه لامين، وقد كانوا حذفوا منه الألف الوصل، واللامان المحذوفان عند سيبويه: لام الجر واللام التي بعدها... والصواب عندنا ما قاله سيبويه"[٢]. وذهب الزجاج إلى جواز حذف حرف الجر[٣]. وذهب أبو علي الفارسي إلى عدم جواز حذف الجار، حيث قال:" ويقوي هذا المذهب أيضًا أن لام الجرِّ حرف معنى، واللامان الأخريان أحدهما من نَفْسِ الحرف، والآخرُ بمنزلة ما هو مِنْ نفس الحرف أولى لِدلالة ما يبقى منه على المحذوف، وتبقية حرف المعنى أولى، لأنه إذا حذف لم يبق منه شيءٌ يدُلُّ عليه"[٤].

وذكر الزمخشري وابن مالك أن لام الجر تُحذف قليلًا[٥]. وذهب ابن يعيش مع الزمخشري في جواز حذف لام الجر بقلة، فقال في قولهم (لاه أبوك):" فاللامُ المحذوفة لامُ الجرّ، والباقية فاء الفعل، يدلّ على ذلك فتحُ اللام، ولو كانت الجارّة؛ لكانت مكسورة، وقد قالوا: (لَهْي أبوك)، فقلبوا العين إلى موضع اللام، وبُني على الفتح لتضمُّنه لامَ التعريف، كما بُنيت (آمِينَ) كذلك، يدلّك أن الثانية فاءُ الكلمة، وليست الجارّة فتحُها، وليس بعدها ألفٌ ولامٌ، ولامُ الجرّ مع الظاهر مكسورة في اللغة الفاشية المعمول بها"[٦]. وقال أبو حيان أن حذف لام الجر شاذ لا يقاس عليه[٧]. أما

(١) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٤٨٩.
(٢) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٢/ ٤٤٤.
(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٤/ ٢٣٩.
(٤) أبو علي الفارسي، التعليقة على كتاب سيبويه، ١/ ٢٧٦.
(٥) الزمخشري، المفصل، ص٣٨٨، ٤٨٨، وابن مالك، شرح التسهيل، ١/ ١٨٠.
(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ٥١٨.
(٧) أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٤/ ١٧٦١، والتذييل والتكميل، ١١/ ٣٢٤.

البغدادي فيرى أن لام الجر حُذفت لكثرة الاستعمال[1].

والذي يظهر لي أن هذا البيت ليس من المواضع التي يُحذف فيها حرف الجر، فحذف الجار هنا قليلٌ جدًا قد يصل إلى الشذوذ، لأنه يلبس على القارئ، وقد يظن البعض أنه لا يوجد حذف هنا،

ولكن المتنبي كما ذكرت سابقًا يذهب إلى الغريب والشاذ، ليبين قدرته اللغوية خاصةً أمام خصومه، فلعله هنا أراد أن يحذف اللام مع أن حذفها شاذ، فقط ليبين فصاحته ومعرفته بكلام العرب.

كما أني أجد أن المتنبي يميل كثيرًا للمذهب الكوفي، ومعلوم أن أهل الكوفة يتوسعون كثيرًا في قواعد اللغة، والمتنبي قد نشأ في الكوفة وبدأ تعليمه فيها، فقد يكون متأثرًا بهم في أكثر قواعده.

وعلى هذا يكون الحذف في البيت الذي نحن بصدده من الحذف المشكل، المخالف للقاعدة النحوية، وإن كان قد قال بجوازه بعض النحاة، ثم إنه لا يتضح أنه يوجد حذف إلا بصعوبة، ولهذا فهو من الحذف المشكل.

ومن مواضع الحذف عنده قوله: [الكامل]

في الخد أن عزم الخليطُ رحيلا مطرُ تزيد به الخدودُ مُحولا[2]

حذف لام التعليل، "وأن مفتوحة الألف. يريد لأن عزم الخليط"[3] وحذف لام التعليل كثير في القرآن وفي الشعر، فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يس: ٧٦

أي: لأنا نعلم، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥.

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ٧/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٣٢/٣

(٣) ابن فورجة، محمد بن حمد، الفتح على أبي الفتح، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، العراق، ط:٢، ١٩٨٧ م، ص٢٥٤.

أي: لأن القوة، وقوله تعالى:﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ القلم: ١٤ أي: لأن كان[١].

والذي يظهر لي أن المتنبي لجأ إلى حذف لام التعليل لمعرفته بأسلوب القرآن الكريم، وكلام العرب، وأراد أن يبرز هذا، ويبين قدرته على ذلك.

ومن شواهد حذف اللام أيضًا قوله: [البسيط]

وَيْلمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قابِلِهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ المِهْرِيَّةُ القُودُ

اختلف اللغويون في ويلم، فقال سيبويه: هي مكونة من وي لأم[٢].

وقال بعضهم أصل (ويلمه) ويلٌ لأم[٣].

قال أبو العلاء:" ويلم: من شواذ الكلام، وهي عندهم (وي) التي تستعمل للتعجب، ثم جاؤوا باللام الخافضة، فمنهم من يضمها لإسقاط الهمزة من (أم)، كأنه نقل الضمة إلى اللام، ومنهم من يجعلها مكسورةً على أصل ما يجب في لام الخفض، وبعض العرب يكسر همزة (أم) إذا وقع قبلها حرف مكسور أو ياء"[٤]، وقال البغدادي:" قال أبو علي في الإيضاح الشعري: حذف الهمزة من (أم) في هذا الموضع لازم على غير قياس كقوله: يابا المغيرة والدنيا مفجعة ثم سئل لم لا يجوز أن يكون الأصل وي لامه فتكون اللام جارة ووي التعجب"[٥]، قال ابن الشجري في أماليه:"

(١) الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٢٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠/ ٥٤.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ٣/ ٥.

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون، ٨/ ٦٦٤، وابن جني، عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١/ ١٣١، وابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م، ٣/ ٣٥٠.

(٤) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٤٢٥.

(٥) البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ، ٣/ ٢٧٦.

وممّا حذفوا منه إحدى اللاّمين، قولهم: (ويلمّه) الأصل: ويل، لأمّه، فحذفوا تنوينه، وأدغموا اللام التي هي لام الكلمة في اللام الجارّة، فصار التقدير: ويلّ أمّه، ثم حذفوا اللام المدغمة وهمزة (أمّ) فصار: ويلمّه"[1].

والذي يظهر لي أن الصواب أنها ويل لأمه ثم حُذفت اللام، كما ذكر ابن الشجري، لأن مَنْ قال بأن أصلها وي لأمه، فمعناها أتعجب لأمه، وليس هذا المعنى المقصود، فكلمة ويلمّه تُقال في موقف الغضب من الشخص، أي: أن أمه ستفقده ويكون لها الويل من فقده أو أنها ستولول عليه.

وبناءً على ما سبق يتضح حذف حرف اللام عند المتنبي، فالأصل (ويل لأمه)، فحذف إحدى اللامين واكتفاء بالأخرى، وقد دفعه حبه الشديد إلى الإيجاز إلى هذا الحذف، وقد تكون حالته النفسية المتعبة دفعته أيضًا إلى حذف ما يستطيع من حروف، فحالته قد لا تسعفه إلى الإطالة وذكر كل الحروف.

وأكثر من حذف حروف الجر مع المجرور في قوله:[الكامل]

مرجُــوُّ منفعــةٍ مخــوف أذيــةٍ مغبــوق كــأس محامــدٍ مصــبوح[2]

في البيت السابق حذف حروف جر فأصل الكلام : مرجو لمنفعة ومغبوق بكأس، ومصبوح بها.

قال الواحدي في شرح هذا البيت:" المغبوق الذي يسقى بالعشي، والمصبوح الذي يسقى بالصباح وحقه أن يقول مغبوق بكأس محامد فحذف الباء"[3].

فذكر أن في البيت حرف جر محذوف وهو الباء، وأغفل اللام في قوله: منفعةٍ، وواضح الجر في آخرها، فلابد من وجود حرف جر محذوف وتقديره: لمنفعة.

فأما حذف حرف الجر (اللام) ففيه خلاف بين النحاة، وقد ذكرته عند دراسة

(١) ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري: تحقيق: محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:١، ١٤٣١هـ، ٢/١٨٠.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١/٢٥٠

(٣) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٥٧.

قول المتنبي:

وعقاب لبنانٍ وَكَيف بقطعها.

والذي يظهر لي هنا أن المتنبي حذف اللام في قوله: مرجو منفعةٍ تخفيفًا لكثرة استعمال اللام هنا، فلا يتوهم غير اللام مع منفعة، ولذلك حذف المتنبي الجار، لأنه لا يُلبس على القارئ بحرف آخر، وكذلك لكثرة استعماله، والمعروف عن المتنبي أنه يميل إلى الإيجاز.

أما حذف حرف الجر (الباء) فقد أجاز الفراء حذفه وبقاء عمله، حيث قال:" يَجوز فِيهِ الحذف، كما يقول القائل للرجل: كيف أصبحت؟ فيقول: خيرٍ يريد بِخَيْرٍ، فلما كثرت فِي الكلام حذفت"(١).

أما السيرافي فلا يجيز حذف الجار إذا كان بعده مصدر، قال:" ولا يجوز حذفها من المصدر إذا قلت: رغبت في صحبتك، وأيقنت بخروجك"(٢).

وقال ابن جني عند قول: خيرٍ جوابًا لمن قال: كيف أنت؟:" يحذف الباء لدلالة الحال عليها بجرى العادة والعرف بها"(٣).

أما الرضي فقد جعل إضمار الباء وبقاء عملها شاذ، فقال:" وإضمار الباء باقيًا عملها في قول رؤبة: خير، لما قيل له: كيف أصبحت، شاذ"(٤).

وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز حذف حرف الجر وإبقاء عمله، مستدلين بأنهم سمعوا ذلك من العرب، مثل ما حكى يونس بن حبيب البصري أن من العرب من يقول: "مررت برجل صالح إلا صالح فطالح" أي إلا أكن مررت برجل صالح؛ فقد مررت بطالح، وروي عن رؤبة بن العجاج أنه كان إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول

(١) الفراء، معاني القرآن، ٢/ ٤١٣.

(٢) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٢/ ٤٤٤.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر : عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ١/ ٢٨٥.

(٤) الرضي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، موقع يعسوب، ٤، ٢٩٩.

"خَيْرٍ عافاك الله" أي بخير"[1].

أما البصريون فذهبوا إلى أن حروف الجر لا تعمل وهي محذوفة إلا في مواضع[2].

وأجاز ابن يعيش بقلة حذف حرف الجر (الباء) وبقاء عمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ النساء: ١.

حيث قال بعد هذه الآية:" على حذف الجارّ، وأن التقدير فيه: وبالأرحام، والأمر فيها ليس بالبعيد ذلك البُعدَ، فقد ثَبَتَ بهذا جوازُ حذفِ الجارّ في الاستعمال، وان كان قليلًا، ولم يثبُت في الاستعمال العطفُ على عاملَين، فكان حملُه على ما له نظيرُ أوْلى. وهو من قبيلِ أحسنِ القبيحَيْن"[3].

وذكر ابن يعيش في موضع آخر أن حرف الجر قد يُحذف من قولنا: خيرٍ، جوابًا لمن قال: كيف أنت؟ لأن حرف الجر كالمضاف فهو جزء من المجرور، أو يُحذف الجار لوضوحه في ذهن السامع ومعرفته به[4].

والذي يظهر لي أن المتنبي حذف حرف الباء وأبقى عمله، لأنه يعلم أن هذا الموضع ظاهر للسامع وليس فيه لبس، كما أنه يميل إلى حب الإيجاز وحب اللغات القليلة التي تخالف مذهب الجمهور، وأخيرًا فإن الكوفيين يجيزون حذف حرف الجر الباء وبقاء عمله، وقد اتضح لي في أكثر من موضع أن المتنبي يذهب مع الكوفيين، فلعله لا يرى بأسًا من حذف الجار وبقاء عمله.

وأرى أن المتنبي قد أصاب هنا، لأن حرف الباء هنا معلوم وإن حُذف، فلا يناسب الغبوق والكأس إلا حرف الباء.

---

(١) الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ، ١/ ٣٢٥، ٢/ ٤٣١.

(٢) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/ ٣٢٧.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ١٩٨.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ٢/ ٢٨٣، ٤/ ٥١٧.

حذف حرف الجر (مِنْ):

ومن باب حذف حرف الجر قوله: [الطويل]

قد اخترتُك الأملاكَ فاختر لهم بِنا حديثاً، وقد حكَّمتُ رأيَكَ فاحكمِ[1]

أي: اخترتك من الأملاك

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ الأعراف: ١٥٥.

" اختارَ منهم سبعين رجلا". وإنَّما استجيز وقوع الفعل عليهم إذ طرحت (من) لأنه مأخوذ من قولك: هَؤُلاءِ خير القوم، وخير من القوم. فلما جازت الإضافة مكان (مِن) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلا، واخترت منكم رجلا"[2].

وقال أبو عبيدة:" اختار موسى من قومه. ولكن بعض العرب يجتازون فيحذفون (من)"[3].

وذكر المبرد أن حذف حرف الجر حسن لطول الصلة، وعندها يعمل الفعل[4].

وأجاز الزجاج قول: اخترت من الرجال زيد، واخترت الرجال زيدًا[5].

وذهب ابن السراج إلى أن من الأفعال ما يتعدى إلى مفعولين في اللفظ وحقه أن يتعدى إلى الثاني بحرف جر، إلا أنهم استعملوا حذف حرف الجر فيه[6].

وجوّز السيرافي حذف حرف (من) إذا كان الفعل يتعدّى إلى مفعول بغير

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٤/ ١٤٠

(٢) الفراء، معاني القرآن، ١/ ٣٩٥.

(٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ، ١/ ٢٢٩.

(٤) المبرد، المقتضب، ٢/ ٣٤٢.

(٥) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ٢/ ٣٨٠.

(٦) ابن السراج، الأصول، ١/ ١٧٧.

حرف جر، ويتّصل بآخر، ولم يكن المفعول في الأصل فاعلا بالذي فيه حرف الجر، فنزع حرف الجرّ من الثاني، فيصل الفعل إليه، وذلك قولك: (اخترت الرّجال عبد الله)، والأصل: (اخترت عبد الله من الرّجال)، وحذفت (من)، فوصل الفعل إلى الرجال[1].

وذهب ابن جني إلى جواز حذف حرف الجر (من) ووصل الفعل[2].

وقال أبو العلاء المعري في بيت المتنبي:" أراد: قد اخترتك من الأملاك، وفي الكتاب العزيز ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾، أي: من قومه"[3].

وذكر الواحدي هذا عند شرح بيت المتنبي أن المقصود، اخترتك من الأملاك[4].

وكذلك ذهب أكثر النحاة[5].

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه المتنبي من حذف حرف الجر في بيته صائب ولا بأس فيه، لأن الفعل (اختار) من الأفعال التي تتعدى إلى المفعول بدون حرف جر، وإن ذُكر حرف الجر فيبقى المعنى كما هو ويصبح المفعول مجرورًا، أما مَنْ قال أن حرف الجر حُذف لطول الصلة فقد جانبه الصواب؛ لأنه لا يوجد طول بين حرف الجر ومجروره.

أما سبب الحذف عند المتنبي –فيما أرى– فهو حسه المرهف، إذ إن قوله:

(١)السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ١/ ٢٧٥.

(٢) ابن جني، المحتسب، ١/ ٥١، ٢/ ٦٢، ٢/ ١٠٥.

(٣)المعري، أحمد بن عبد الله، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ، ص١٣١٨.

(٤) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص٣٢٥.

(٥) الزمخشري، المفصل، ص٤٢٧، والكشاف، ٢/ ١٦٤، والعكبري، شرح ديوان المتنبي، ٤/ ١٤٠، وابن يعيش، شرح المفصل، ٤/ ٢٩٧، والبغدادي، خزانة الأدب، ١٠/ ٤٧٧، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/ ١٢٣.

اخترتك الأملاك فيه قرب، ورغبة في الاختيار أقوى من قوله: اخترتك من الأملاك، كما أن المتنبي يريد أن يذكر المسائل النحوية الخلافية.

حذف لام الأمر:

وحذف لام الأمر نجده عند المتنبي في قوله: [الطويل]

جَزى عَرَبًا أَمسَت بِبُلبَيسَ رَبُّها بِمَسْعَاتِها تَقْرَر بِذاكَ عُيونُها[1]

"جزم المضارع مع حذف (لام الأمر) [2]وذكر النحاة انه لا يجوز حذف لام الأمر إلا في الشعر، خلافًا للكسائي الذي يجيز ذلك[3].

والذي يظهر لي أن المتنبي حذف لام الأمر وجزم المضارع بها، سيرًا على مذهبه الكوفي.

وهذا من الحذف المشكل الذي فيه خلاف بين النحاة، والمتنبي كما عرفنا عنه، أنه يحب إيراد في أبياته قضايا الخلاف.

حذف أداة النداء وترخيم المنادى

فمن باب حذف أداة النداء قوله: [الطويل]

فَحُييتَ خيرَ ابنٍ لخير أب بها لأشرف بيت في لُؤَيّ بن غالب[4]

حذف أداة النداء في الشطر الأول وأصل الكلام: يا خير ابن. وقد ذكر النحاة أنه يجوز حذف أداة النداء إذا دل عليها السياق[5].

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٤٩/٤.

(٢) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الناشر: دار المعارف، مصر، ط١٢، د.ت، ص٣٣٨.

(٣) ابن جني، الخصائص، ٣/ ٣٠٣، وابن مالك، شرح التسهيل، ٤/ ٦٠، وأبو حيان، ارتشاف الضرب، ٤/ ١٨٥٦، والبغدادي، خزانة الأدب، ٩/ ١١.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٥٩/١.

(٥)الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة =

ونقل العكبري عن أبي الفتح أن حرف النداء لا يحذف إلا عند نداء المعارف والمضاف[١].

وقد كثُر حذفُ حرف النداء في المضاف[٢].

والذي يظهر لي أن المتنبي حذف أداة النداء هنا؛ لأنه يكثر حذفها، خاصةً مع المنادى المضاف؛ لأنه يحب الإيجاز، كما يحب استخدام أساليب العرب التي تبين قدرته اللغوية العالية، كما أنه يعلم أن بعضهم لا يجيز هذا فأورده، ولهذا فالحذف هنا مشكل وفيه خلاف.

وحذف أكثر من أداة للنداء في بيت واحد في قوله: [الطويل]

إذا عَـذَلوا فيهـا أَجَبـتُ بِأَنَّـةٍ حُبَيِّبَتا قَلبَا فُـؤادَا هَيا جُمْلُ[٣]

" أراد (يا حبيبتي) ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفًا تخفيفًا[٤]

فإنك ترى اختلاطًا في الشطر الثاني، وليس لهذا الاختلاط من مصدر سوى أن المتنبي أكثر من النداء إذ أصل التعبير: يا حبيبتي يا قلبي يا فؤادي يا جمل[٥]

ويقال في هذا البيت ما قيل في الذي قبله من جواز حذف حرف النداء خاصةً إذا كان المنادى مضافًا. وقد أخذ نقاده وأعداؤه هذا البيت ذريعة للهجوم عليه، يقول

=

البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، ١٢/ ١٣٤، والزمخشري، المفصل، ص٦٨، والأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٢/ ٥٩١، وابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان، الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٢١.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢/ ١٩٣.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١/ ٣٦٢.

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٨٢/٣

(٤)أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه: لأبي منصور الثعالبي، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية ،القاهرة، (د.ت.) ص: ٣٤.

(٥) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٣١٩.

ابن وكيع التنيسي:" هذا ترفق جاف متكلف ومتفاصح متعجرف"(١).

والذي يظهر لي أن سبب ترخيمه الشطر الثاني بأكمله هو التعب النفسي الذي كان فيه، مما جعله يحذف أداة النداء والأحرف الأخيرة من الكلمات، كما أن شدة شوقه وولعه بمحبوبته قد يكون له دور في هذا الحذف.

وعلى هذا فالحذف هنا مشكل، لأنه أكثر من الحذف في شطر واحد، كما أن فيه خلاف وتكلف.

ومن باب ترخيم المنادى قوله: [المجتث]

فســـل فـــؤادك يـــا ضـــب ب أيـــن خلّـــف عُجْبَـــه(٢)

حذف التاء من ضبة على سبيل الترخيم. يقول العكبري:" وهذا جائز عندنا وعند البصريين؛ لأنه اسم على أربعة أحرف لأن الباء التي فيه مشددة واختلفنا نحن وهم على ترخيم الاسم الثلاثي المتحرك الوسط"(٣).

إذا رُخّم الرباعيّ لم يُحذف منه سوى حرف واحد، وقال الفرَّاء إن كان الثالث ساكناً حذفته مع الأخير(٤).

والذي يظهر لي أن المتنبي لم يخالف القاعدة، وقد لجأ للترخيم للتفنن، وإن كان الوزن الشعري هو المتحكم الأول في اختيار الكلمات وكذلك في اختيار البنية المناسبة، بالإضافة إلى الحالة النفسية التي يمر بها المتنبي، فقد لاحظت أنه عندما يتغزل أو يدلل فإنه يحذف، وكأنه لا يستطيع على إكمال الحروف كلها.

ومما أخذ عليه قوله: [الكامل]

هَـذِي بَـرزْت لنـا فهجـتَ رسيسـا ثُمّ انصـرفت ومـا شَـفيتْ نَسيسَـا(٥)

(١) ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه، ص٣٣٠.

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٠٨/١

(٣) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٢٠٨/١

(٤) العكبري، اللباب، ١/ ٣٤٨.

(٥) العكبري، شرح ديوان المتنبي،١٩٣/٢

قال الجرجاني:" حذف علامة النداء من هذي؛ وحذفُها خطأ؛ لأن هذي تصلحُ أن تكون نعتاً لأي، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتاً لأي، فحذفُ علامة النداء منه غير جائز"(١).

وقال أبو العلاء:" هذي أشبه ما يقال فيه أنه أراد: هذي البرزة برزت لنا أو هذي المرة ونحو ذلك. ويكون موضع هذي نصبًا على الظرف؛ لأنها مشار بها إلى ما يحتمل أن ينصب كنصب الظروف"(٢).

وقد أجاز قومٌ من الكوفيين: (هذا أقبلْ) على إرادةِ النداء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٨٥، قالوا: والمراد (يا هؤلاء).

وقد خطّأ ابن مالك وأبو حيان المتنبي في هذا البيت؛ لأن العرب لا تقول مثل هذا(٣).

والذي يظهر لي أن ما ذهب إليه المتنبي جائز، لأن النحاة يجيزون نداء النكرة نحو: يا رجل، وحذف أداة النداء معها، فمن باب أولى جواز ذلك مع اسم الإشارة وهو معرفة.

وقد حذف المتنبي أداة النداء والمنادى اسم إشارة وهذا جائز عنده، لأنه اتضح لي أنه يتبع المذهب الكوفي في النحو، وهم يجيزون هذا، كما أن المتنبي قد يتعمد أحيانًا قول الأبيات المشكلة التي حولها خلاف نحوي.

ومن باب حذف أداة النداء قوله: [البسيط]

يفْدِي بَنِيكَ عبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ ... بِجَبْهَةِ العِيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الفَرَسِ

أبا الغطارفة الحامين جارَهم ... وتاركي الليثَ كلبًا غيرَ مُفْتَرِسِ(٤)

(١) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٤٦٥

(٢) أبو العلاء المعري، اللامع العزيزي، ص٦٠٦.

(٣) ابن مالك، شرح التسهيل، ٢/ ١٨٢، وأبو حيان، التذييل والتكميل، ٧/ ١٥٥.

(٤) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١٨٨/٢، ١٨٩

والتقدير: يا عبيد الله، أما قوله: أبا الغطارفة فيجوز فيه الوجهان النصب على أنه بدل أو النصب على أنه منادى.

وقد يرخم الاسم في غير النداء كقوله: [الكامل]

مَهـلاً أَلا لِلَّـهِ مـا صَـنَعَ القَنـا في عَمـرو حـابِ وَضَبَّةَ الأَغتـامِ[1]

" أراد عمرو بن حابس فحذف ابن واضاف عمرا الي حابس بعد ترخيمه لغير نداء"[2]

لا يجوز أن يُرخَّم المضاف إليه، لأنك لا تُرَخِّم اسمًا قبل آخره وتمامِه، فإذا أَتْمَمْتَه بالإضافة لم يجز ترخيمُ المضاف إليه لأنه غير منادى[3].

ذهب الكوفيون إلى أن ترخيم المضاف جائز، ويُوقِعُون الترخيم في آخر الاسم المضاف إليه، وذلك نحو قولك "يا آلَ عامِ" في يا آل عامر.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ترخيم المضاف[4].

والذي يظهر لي أن ترخيم المضاف جائز بحذف آخر المضاف إليه، لأن هذا ورد في الشعر القديم مثل:

خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا[5].

فالتقدير: يا آل عكرمة، وغيرها من الشواهد.

وقد قال المتنبي بهذا سيرًا على المذهب الكوفي الذي هو يتبعه –في ظني–، بالإضافة إلى الحالة النفسية التي يمر بها أحيانًا التي تجعله يختصر، ولا يستطيع الإطالة.

ومثل البيت السابق قوله: [الطويل]

---

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ١١/٤

(٢) كناشة النوادر: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط:١٩٨٥،١م، ص: ١١٤

(٣) أبو علي الفارسي، التعليقة على كتاب سيبويه، ١/ ٣٨٢.

(٤)الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/ ٢٨٤.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ص٥٦.

أَجِـدَّكَ مـا تَنفَـكُّ عـانٍ تَفُكُّـهُ عُـمَ اِبـنَ سُـلَيمانَ وَمـالٌ تُقَسِّـمُ[1]

عم: ترخيم عمر على رأي أهل الكوفة وهو لحن عند البصريين[2]

لا يجيز البصريون ترخيم الثلاثي مطلقًا،

أما الكوفيون فيجيزون ذلك، وقال بعضهم يجوز إذا كان متحرك الوسط[3].

وحجة أهل البصرة أن الثلاثي هو أقل ما يكون من الأسماء، وترخيمه يكون إجحافًا، أما الكوفيون فحجتهم أن هناك أسماء على حرفين مثل: يد ودم، وغيرها.

والذي يظهر لي أن ترخيم الثلاثي متحرك الوسط جائز، لوجود شواهد على ذلك، ومنها بيت المتنبي هذا، كما أن بعضهم يعتبر حركة الوسط كالحرف الرابع، وأخيرًا لأنه لا مانع من وجود أسماء على حرفين.

وذهب المتنبي هذا المذهب اتباعًا لأهل الكوفة، وميله الشديد لإبراز قدرته الكلامية، ومعرفته بأحكام النحو، فالحذف هنا من الحذف المشكل؛ لأن فيه خلاف نحوي، والمتنبي يحب أن يورد أبيات فيها خلاف.

(١) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٤/ ٨٩

(٢) العكبري، شرح ديوان المتنبي، ٨٩/٤

(٣) العكبري، عبد الله بن الحسين، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ، ص٤٥٦.

الخاتمة

من الملاحظ أن المتنبي أثبت في ديوانه كثيرًا من اللهجات الغريبة والشاذة ومال كثيرًا إلى استخدام بعض الصيغ المهجورة وكان يميل في مذهبه النحوي إلى الكوفيين، ويقول أحيانًا بالمذهب البصري، يقول شوقي ضيف عن شعره:

" يستطيع الباحث أن يجد كثيرًا من الصيغ الكوفية الشاذة في ديوان المتنبي؛ بل إنه ليجد في هذا الديوان شذوذًا أوسع من شذوذ النحو الكوفي حتى لكأنه مستودع للتراكيب الشاذة في اللغة؛ إذ كان المتنبي يطلب كل غريبة أو شاذة في التعبير"(١)

وقد توصَّل البحث إلى عدد من النتائج أهمها ما يأتي:

١- أن المتنبي كثيرًا ما يميل إلى المذهب الكوفي في النحو، وإن كان أحيانًا يسير على المذهب البصري.

٢- يلجأ المتنبي إلى قول بعض الألفاظ والأبيات الغريبة، لإبراز قدرته اللغوية.

٣- أثّرَت البيئة التي كان فيها المتنبي على شعره إيجابًا، فوجود أبي علي الفارسي، وابن جني، وابن خالويه، وغيرهم بجواره ممن أسماهم شوقي ضيف المثقفين جعله يتحداهم ويتفنن في أساليب اللغة. يقول شوقي ضيف: "أن المتنبي كان يتصنع لمثل هذه الأشياء في شعره، حتى يستحوذ على إعجاب المثقفين من حوله"(٢).

٤- جاء جل ما رصدته من حذف لحروف المباني أو حروف المعاني في مقدمة قصائده حتى كأنه يريد أن يجذب الأسماع إليه ويشد الانتباه إلى ذلك.

٥- جمعت شواهد حذف الهمزة، وتسهيلها، وإبدالها في مكان واحد، لأني أرى أن حذف الهمزة وتسهيلها وإبدالها بمعنى واحد.

---

(١) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٣٣٨.

(٢) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٣٣٩.

٦-يقع المتنبي أحيانًا في حذف بعض الحروف وهو في غنى عن ذلك، مما يؤدي إلى تغيير معنى الكلمة، وكان بإمكانه أن يأتي بكلمة أخرى.

٧- أثناء العمل في هذا البحث، لاحظت كثرة الحذف عند المتنبي، فطرحتُ على نفسي هذا السؤال:

لماذا أكثر المتنبي في شعره من الحذف؟

وقد حاولت الإجابة عن هذا السؤال في النقاط الآتية:

أ- الحالة النفسية التي يمر بها المتنبي، التي تجعله يميل للحذف والإيجاز، والبعد عن الإطالة.

ب- حبه للغريب والشاذ، لكي يختار القارئ أو السامع لأبياته، وكذلك لجذب الانتباه له ولشعره.

ت- إظهار قدرته اللغوية أمام الناس ولاسيما خصومه.

ث- إظهار ثقافته، ومعرفته بالقراءات القرآنية ولهجات العرب.

ج- اضطراره إلى ذلك إلى إقامة الوزن.

وفي الختام أحمد الله وأشكره أن أعانني على إتمام هذا البحث، فإذا أصبت فمن الله -عز وجل-، وإن كانت الأخرى فجلّ من لا يخطئ، واللهَ اسأل أن ينفعنا بهذا العمل ويجعله حجة لنا لا علينا، والحمد لله أولًا وأخيرًا.

المصادر والمراجع

الأخطل، ديوانه تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.

الأزهري، محمد بن أحمد، معاني القراءات، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

الأصفهاني، عبد الله بن عبد الرحمن، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، د.ط، د.ت، المكتبة الشاملة.

الإفليلي، إبراهيم بن محمد، شرح معاني شعر المتنبي، تحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:١، ١٩٩٢م.

الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ١/ ١٦٤.

امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ.

البعيمي، إبراهيم بن سليمان، المنصوب على نزع الخافض في القرآن، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: ١١٦، ١٤٢٢هـ.

البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ.

التنيسي، الحسن بن علي، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق: عمر خليفة إدريس، الناشر: جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد، أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، د.ط، د.ت.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:

الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

سر صناعة الإعراب، الناشر: دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ.

المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، الناشر: دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ.

ابن الحاجب، عثمان بن عمر:

أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الناشر: دار عمار - الأردن، دار الجيل — بيروت، ١٤٠٩هـ، د.ط.

الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

أبو حيان، محمد بن يوسف:

ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١/ ٢٥٤.

التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، الناشر: دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط١.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، ١٣٦٠هـ.

الرضي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، موقع يعسوب.

الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

الزمخشري، محمود بن عمرو:

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

الزوزني، محمد بن الحسن، قشر الفسر، تحقيق: عبد العزيز المانع، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ١/ ٥٩.

ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ.

السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ.

ابن الشجري، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري: تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:١، ١٩٩١م.

شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الناشر: دار المعارف، مصر، ط١٢، د.ت.

الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٣، ٢٠٠٢م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، د.ط.

ابن عبد ربه، العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٠٤ هـ.

عبيد الأبرص، ديوانه، تحقيق: أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.

ابن عصفور، علي بن مؤمن:

ضرائر الشعر لابن عصفور: تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، د.ت.

ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م.

ابن عطية، عبد الحق غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ.

العكبري، عبد الله بن الحسين:

التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ.

شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط:١، ٢٠٠٣م.

اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: عوض القوزي، ط١، ١٤١٠هـ.

الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، د.ت.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ.

ابن فورجة، محمد بن حمد، الفتح على أبي الفتح، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط٢، ١٩٨٧م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القيرواني، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨١م.

قيس بن الخطيم، ديوانه: تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

ابن مالك، محمد بن عبد الله:

شرح الكافية الشافية لابن مالك، دراسة وتحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ.

شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ.

المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

المرادي، حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.

المتلمس الضبعي، ديوانه: تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.

أبو المرشد المعري، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com.

المعري، أحمد بن عبد الله:

اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٨م.

معجز أحمد (شرح ديوان المتنبي)، تحقيق عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

المهلبي، أحمد بن علي، المآخذ على شراح ديوان المتنبي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط:٢، ٢٠٠٣م.

هارون، عبد السلام محمد،كناشة النوادر، الناشر: مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٥هـ.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف:

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

الواحدي، علي بن أحمد:

التفسير البسيط، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

شرح ديوان المتنبي، د.ط، د.ت، المكتبة الشاملة.

ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

Bibliography

Al-Akhtal, Deewaanihi, Investigation: Mahdi Muhammad Naasiruddeen, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1994.

Al-Azhari, muhamad bin 'ahmadu, maeani alqira'ati, alnaashir: markaz albuhuth fi kuliyat aladab - jamieat almalik saeud, almamlakat alearabiat alsaeudiati, 1st ed., 1412 AH.

Al-Ashmuni, ealiun bin muhamadi, sharah al'ashmuniu ealaa 'alfiat abn malk, alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut, lubnan, 1st ed., 1419 AH.

Al-Asfahani, Abdullaah bin Abd alrahman, alwadih fi mushkilat shier almutanabi, du.ta, da.ti, almaktabat alshaamilati.

Al-Iflili, Ibrahim bin muhamadi, sharh maeani shier almutanabi, tahqiqa: mustafaa ealyan, muasasat alrisalati, Beirut, lubnan, 1st ed., 1992.

Al'alusi, mahmud, ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, alnaashir : dar 'iihya' alturath alearabi, Beirut.

Al-Anbari, Abdur Rahman bin muhamad, al-Insaf fi masayil alkhilaf bayn alnahwiiyna: albasariiyn walkufiiyn, alnaashir: almaktabat aleasriati, 1st ed., 1424 AH.

Albaeimi, Ibrahim bin sulayman, almansub ealaa naze alkhafid fi alqurani, alnaashir: aljamieat al'iislamiat bialmadinat almunawarati, aleadadu: 116, 1422 AH.

Albaghdadi, Abd alqadir, khizanat al'adab walab libab lisan alearabi, tahqiq washarha: Abd alsalam muhamad harun, alnaashir: maktabat alkhanji, alqahirati, 4th ed., 1418 AH.

Altinisi, alhasan bin eulay, almunsif lilsaariq walmasruq minhu, tahqiqu: eumar khalifat 'iidris, alnaashir: jamieat qat yunis, Benghazi, 1st ed., 1994.

Althaealibi, eabd almalik bin muhamad, 'abu altayib almutanabiy wama lah wama ealayhi, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid, alnaashir: maktabat alhusayn altijariatu, alqahirat, du.ta, da.t.

Aljirjani, eali bin eabd aleaziza, alwisatat bayn almutanabiy wakhusumihi, tahqiq washarha: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, eali muhamad albijawi, alnaashir: matbaeat eisaa albabi alhalabi, alqahirati, da.t.

Abn jini, 'abu alfath euthman: alkhasayisi, tahqiq : muhamad ealii alnajaar, alnaashir : ealim alkutab, bayrut, du.ti, di.t.

Siru sinaeat al'iierabi, alnaashir : dar alqalami, dimashqa, 1st ed., 1985.

Allamae fi alearabiati, tahqiq : fayiz faris, alnaashir : dar alkutub althaqafiati, alkuayti, 1972.

Almuhtasib fi tabyin wujuh shawadhi alqira'at wal'iidah eanha, alnaashir: wizarat al'awqaf-almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiati, 1st ed., 1420 AH.

Almunsif sharh kitab altasrif li'abi euthman almazni, alnaashir: dar 'iihya' alturath alqadimi, 1st ed., 1373 AH.

Abn alhajibi, euthman bn eumri: 'amaliun aibn alhajibi, dirasat watahqiqu: du. fakhr salih sulayman qadaratu, alnaashir: dar eamaar - al'urdun, dar aljil - bayrut, 1409 AH, du.ti.

Alkafiat fi eilm alnuhu, tahqiqu: salih eabd aleazim alshaaeiri, alnaashir: maktabat aladab, alqahiratu, 1st ed., 2010.

Abu hayan, muhamad bin yusuf: artishaf aldarb min lisan alearabi, tahqiq washarh wadirasatu: rajab euthman muhamadu, murajaeata: ramadan eabd altawabi, alnaashir: maktabat alkhanji bialqahirati, 1st ed., 1418, 1/ 254.

Altadhyil waltakmil fi sharh kitab altashili, tahqiqu: hasan hindawi, alnaashir: dar alqalam - dimashq (min 1 'iilaa 5), wabaqi al'ajza'i: dar kunuz 'iishbilya, ta1.

Aibn khaluayhi, alhusayn bin 'ahmada, kitab 'iierab thalathin suratan min alquran alkarim, alnaashir: matbaeat dar alkutub almisriati, du.ti, 1360 AH.

Alradi, sharh alradii ealaa kafiat abn alhajibi, mawqie yaesub.

Alzujaji, 'iibrahim bin alsiri, maeani alquran wa'iierabuhu, tahqiqu: eabd aljalil eabduh shalbi, alnaashir: ealim alkutab, bayrut, 1st ed., 1408 AH.

Alzumakhshari, mahmud bin eamrw: alkashaf ean haqayiq ghawamid altanzilu, alnaashir: dar alkitaab alearabii, bayrut, 3rd ed., 1407 AH.

Almufasal fi saneat al'iierabi, tahqiqu: eali bu malham, alnaashir: maktabat alhilal, bayrut, 1st ed., 1993.

Alzuwzani, muhamad bin alhasani, qashshr alfusr, tahqiqu: eabd aleaziz almaniei, alnaashir: markaz almalik faysal lilbuhuth waldirasat al'iislamiati, alrayad, 1st ed., 1427 AH, 1/ 59.

Aibn alsaraji, muhamad bin sahla, al'usul fi alnuhuw, alnaashir : muasasat alrisalati, bayrut, 3rd ed., 1988.

Alsamin alhalbi, 'ahmad bin yusif, aldiri almasun fi eulum alkitaab almaknuna, tahqiqu: 'ahmad muhamad alkharati, alnaashir: dar alqalami, dimashqu.

Sibwyhi, eamru bin euthman, alkitabi, tahqiqu: eabd alsalam harun, alnaashir: maktabat alkhanji, alqahirati, 3rd ed., 1408 AH.

Alsiyrafi, alhasan bin eabd allah, sharh kitab sibwyhi, tahqiqu: 'ahmad hasan mahdili, eali sayid eulay, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, 1st ed., 2008.

Alsuyuti, eabd alrahman bin 'abi bakr, al'iitqan fi eulum alqurani, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, alnaashir : alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1st ed., 1394 AH.

Abn alshajari, hibat allh bin eulay, 'amaliun abn alshajari: tahqiqu: mahmud muhamad altanahi, maktabat alkhanji, alqahirati, 1st ed., 1991.

Shawqi dayfa, alfani wamadhahibuh fi alshier alearabii, alnaashir: dar almaearifi, masr, 12th ed., da.t.

Alsabaan, muhamad bin eulay, hashiat alsabaan ealaa sharh al'ashmunaa li'alfiat abn malk, alnaashir: dar alkutub aleilmiat bayrut, lubnan, 1st ed., 1417 AH.

Abn eashur, muhamad altaahir, altahrir waltanwiru, alnaashir : aldaar altuwnusiat lilnashri, tunis, 1984 AH, du.ti, 10/ 259. '

Abu eubaydata, mueamar bin almuthanaa, majaz alqurani, tahqiqu: muhamad fawad sazgyn, alnaashir: maktabat alkhanjaa, alqahirati, 1st ed., 1381 AH.

Abn eusfura, ealiin bin muman: daravir alshier liabn eusfuri: tahqiqu: alsayid 'iibrahim muhamad , dar al'andalus lilnashr waltawzie , alqahiratu, 1st ed., da.t.

Daravir alshaera, tahqiqu: alsayid 'iibrahim muhamadu, alnaashir: dar al'andalus liltibaeat walnashr waltawziei, 1st ed., 1980.

Aibn eatiat, eabd alhaqi ghalibu, almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, tahqiq : eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, lubnan, 1413 AH.

Aleakbiri, eabd allh bin alhusayn: altabyin ean madhahib alnahawiiyn albasariiyn walkufiiyn, tahqiqu: eabd alrahman aleuthaymin, alnaashir: dar algharb al'iislami, 1st ed., 1406 AH.

Sharah diwan almutanabi, tahqiq : mustafaa alsaqaa, 'iibrahim al'iibyari w eabd alhafiz shilabi, dar alfikri, bayrut, lubnan , 1st ed. , 2003.

Allibab fi eilal albina' wal'iierabi, tahqiq : ghazi mukhtar talaymatin, alnaashir : dar alfikri, dimashqa, 1st ed., 1995.

Abu eali alfarisi, alhasan bin 'ahmadu, altaeliqat ealaa kitab sibwyhi, tahqiqu: eiwad alqawzi, 1st ed., 1410 AH.

Alfara'i, yahyaa bin ziad, maeani alqurani, tahqiqu: 'ahmad yusif alnajati, muhamad eali alnajaar, eabd alfataah 'iismaeil alshalbi, alnaashir: dar almisriat liltaalif waltarjamati, misr

Alfarahidi, alkhalil bn 'ahmadu, aljamal fi alnuhu, tahqiqu: fakhr aldiyn qabawatu, 5th ed., 1416 AH.

Aibn furjata, muhamad bin hamd, alfath ealaa 'abi alfath, tahqiqu: eabd alkarim aldijili , dar alshuwuwn althaqafiat aleamati, baghdad, aleiraqi, 2nd ed., 1987.

Abn qutaybata, eabd allh bin muslami, tawil mushkil alqurani, 'iibrahim shams aldiyn, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan.

Alqayrawani, alhasan bin rashiqi, aleumdat fi mahasin alshier wanaqdihi, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamidi, dar aljili, birut, lubnan, 5th ed., 1981.

Abn malik, muhamad bin eabd allah: sharh alkafiat alshaafiat liabn malk, dirasat watahqiq : eabd almuneim 'ahmad hiraydi, alnaashir : jamieat 'umi alquraa markaz albahth aleilmii wa'iihya' alturath al'iislamii kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiat makat almukaramat, 1st ed., 1402 AH.

Sharh tashil alfawayida, tahqiqu: eabd alrahman alsayid wamuhamad badawi almakhtuni, alnaashir: hajr liltibaeat walnashr waltawzie wal'iielani, ta1, 1410h.

Almubardi, muhamad bin yazidi, almuqtadab, tahqiqa: muhamad eabd alkhaliq eazimatu, alnaashir: ealim alkutab, bayrut.

Almuradi, hasan bin qasama, aljinaa aldaanii fi huruf almaeani, tahqiqu: fakhr aldiyn qabawat wamuhamad nadim fadil, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, 1st ed., 1413 AH.

Abu almurshid almaeri, tafsir 'abyat almaeani min shier 'abi altayib almutanabi, mawqie alwaraqi, http://www.alwarraq.com.

Almaeri, 'ahmad bin eabd allah: allaamie aleaziziu sharh diwan almutanabi, tahqiqa: muhamad saeid almulawi, markaz almalik faysal lilbuhuth waldirasat al'iislamiati, 1st ed., 2008.

Muejiz 'ahmad (shrah diwan almutanabi), tahqiq eabd almajid diab , dar almaearifi, alqahirati, 2nd ed., 1992.

Almuhlabi, 'ahmad bin eulay, almakhidh ealaa shirah diwan almutanabi, tahqiqu: eabd aleaziz bin nasir almanae, markaz almalik faysal lilbuhuth waldirasat al'iislamiati, alriyad , 2nd ed., 2003.

Harun, eabd alsalam muhamad,kinashat alnawadar, alnaashir: maktabat alkhanji, 1st ed., 1405 AH.

Abn hishami, eabd allh bin yusuf: 'awdah almasalik 'iilaa 'alfiat aibn malk, dirasat watahqiqu: yusif alshaykh muhamad albiqaeii, alnaashir: dar alfikr liltibaeat walnashr waltawziei, du.ti, di.t.

Mughaniy allabib ean kutub al'aearib, tahqiqu, mazin almubaraki, alnaashir : dar alfikri, bayrut, 6th ed., 1985.

Alwahidi, eali bin 'ahmadu: altafsir albasiti, 'asl tahqiqih fi (15) risalat dukturat bijamieat al'iimam muhamad bin saeud, thuma qamat lajnat eilmiat min aljamieat bisabkih watansiqihi, alnaashir: eimadat albahth aleilmii - jamieat al'iimam muhamad bn sueud al'iislamiati, 1st ed., 1430 AH.

Sharah diwan almutanabi, du.ta, da.ti, almaktabat alshaamilati. aibn yaeishu, yaeish bin eulay, sharah almufasal lilzumakhshiri, alnaashir: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, 1st ed., 1422 AH.

بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث

على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج [1]

The Rhetoric of the Persuasive Discourse

in the Verses Urging Voluntary Spending in the Light of the Concepts of the Argumentation

سحر مصطفَى إبراهيم المُعَنَّا

أستاذ البلاغةِ والنقدِ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآدابِ

بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: dr.sahar52015@gmail.com

(١) أتوجه بجزيل الشكر وخالص التقدير لوزارة التعليم وعمادة البحث العلمي –جامعة نجران – بالمملكة العربية السعودية لدعمهما المالي والتقني لي في هذا البحث، تحت الرمز: -NU/ /SEHRC/10/1148

المستخلص

بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج.

ويهدف البحث إلى:

١) إيضاح سمات وخصائص الإقناع القرآني من خلال آيات الحث على الإنفاق التطوعي وإبراز دوره التأثيري.

٢) بيان أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وتأكيد ارتباطها به ارتباطًا وثيقًا، وأنها آلية من آلياته المهمة.

٣) استجلاء الوسائل الإقناعية ودراستها دراسةً تؤكد دورها المهم في تثبيت المعنى والإقناع به من خلال آيات الإنفاق التطوعي.

٤) الكشف عن كيفية توظيف آليات الحجاج ووسائل الإقناع للتأثير في المتلقي وإقناعه بالإنفاق التطوعي.

وقد نهجتُ في هذا البحث: **المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.**

بعض النتائج المتوقعة:

١) تجلت سمات وخصائص الإقناع القرآني وبرز دوره التأثيري من خلال آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

٢) أظهرت الدراسة أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وأنه يرتبط بها ارتباطًا وثيقًا، وأنها آلية من آلياته المهمة.

٣) كان للوسائل الإقناعية دورها المهم في تثبيت المعنى والإقناع به في آيات الإنفاق التطوعي.

٤) وظفت آليات الحجاج ووسائل الإقناع توظيفًا دقيقًا للتأثير في المتلقي وإقناعه بالإنفاق التطوعي من خلال الآيات محل الدراسة.

أهم التوصيات:

١) ربط القديم بالحديث بحيث يستفيد البحث البلاغي العربي من معطيات البحث الغربي المعاصر مع الحفاظ على أصالته.

٢) التركيز على الدراسات الحجاجية التي تعتمد على الآليات البلاغية، وعدم المبالغة في ربط الحجاج بأبعاده المنطقية والاستدلالية، التي تنحو به إلى المغالطات والجدل العقيم.

الكلمات المفتاحية: (بلاغة – الخطاب – الإقناعي –الإنفاق – التطوعي– الحجاج).

Abstract

Research Title: (Rhetoric of the persuasive discourse in verses urging voluntary spending in light of the concepts of argumentation).

Research aims:

1) Clarifying the features and characteristics of Quranic persuasion through voluntary spending and highlighting its influential role.
2) Stating that persuasive discourse cannot be separated from Arabic rhetoric, confirming its closely related to it, and it is an important mechanism of Arabic rhetoric.
3) highlighting and studying of persuasive tools assuring its role in delivering the meaning through the verses of voluntary spending.
4) to disclose how the argumentative mechanisms and means of persuasion are employed to influence the recipient and persuade him to spend voluntary.

Research Plan: In this research, I have applied: the inductive and analytical approach.

Findings:

1) The characteristics and properties of the Qur'anic persuasion were manifested, and its influential role emerged through verses urging voluntary spending.
2) The study showed that persuasive discourse is inseparable from Arabic rhetoric, and that it is closely related to it, and that it is one of its important mechanisms.
3) Persuasive means had an important role in confirming the meaning and persuasion of it in the verses of voluntary spending.
4) The argumentative mechanisms and means of persuasion were carefully employed to influence the recipient and persuade him to voluntary spending through the verses under study.

Recommendations:

1) Linking the old to the new, so that the Arabic rhetorical research benefits from the data of contemporary Western research while preserving its originality.
2) Focusing on argumentative studies that depend on rhetorical mechanisms, and not exaggerating in linking the arguments to its logical and inferential dimensions, which tend to useless fallacies and controversy.

keywords: (rhetoric - discourse - persuasive - spending - voluntary - argumentative).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الكرام، أرباب الفصاحة وأساطين البيان.

أما بعد:

فالحجاج والإقناع من أهم غايات البلاغة العربية ومقاصدها، فقد تناولت البلاغة العربية القديمة قضية الحجاج، حين عُنيتْ بمقامات السامعين، وجعلتْ لكل مقام مقالًا يناسب حال المخاطب، على نحو ما هو مشار إليه في أضرُب الخبر من حيث التأكيد أو عدمه، وحيث الحديث عن الهيئة التي يكون عليها الخطيب، وغير ذلك.

ولكن لم ينضج الحجاج، ولم يغدُ نظرية مستوية على سوقها محددة الأطر والمعالم والتقنيات إلا في البحث المعاصر، مستفيدًا من الدرسين اللساني والنقدي ومعارف إنسانية عامة: "فالبلاغة لم تعد لباسًا خارجيًا للحجاج، بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة"[(١)] إذ توظف الآليات البلاغية في الخطاب فتمنحه قوة إقناعية بما لها من خواص نفسية انفعالية.

إن الإقناع من أبرز الأهداف التي يحاول الدرس البلاغي الحديث رصده واستجلاءه، وذلك لما له من أهمية كبرى في التأثير على المتلقي؛ لذا آثرتُ أن يكون بحثي تحت عنوان:(بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي في ضوء مفاهيم الحجاج).

---

(١) أولي فيروبول، **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**، ترجمة: محمد العمري، ديسمبر ١٩٩٦، ص.٧٧.

فالبحث يركز بإذن الله على الجانب الإقناعي الذي يتجه إليه الدرس الحجاجي في الآيات محل الدراسة.

أسباب اختيار البحث:

١- ندرة الدراسات العربية التي تُعنَى بتطبيق نظريات الحجاج على النص العربي، فهذا الموضوع بكر لم تمتد إليه أيدي الباحثين بالدراسة والتحليل.

٢- رصد آليات الحجاج، والتعرف على وسائل الإقناع في آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

٣-إشباع رغبتي الملحة في معرفة طرق الإقناع ومواطن الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

١- إيضاح سمات وخصائص الإقناع القرآني من خلال آيات الحث على الإنفاق التطوعي وإبراز دوره التأثيري.

٢-بيان أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وتأكيد ارتباطها به ارتباطًا وثيقًا، وأنها آلية من آلياته المهمة.

٣-استجلاء الوسائل الإقناعية ودراستها دراسةً تؤكد دورها المهم في تثبيت المعنى والإقناع به من خلال آيات الإنفاق التطوعي.

٤-الكشف عن كيفية توظيف آليات الحجاج ووسائل الإقناع للتأثير في المتلقي وإقناعه بالإنفاق التطوعي.

وقد نهجت في هذا البحث منهجين:

المنهج الاستقرائي: وبه استقرأتُ آيات الإنفاق، ثم انتقيتُ منها آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

المنهج التحليلي: وبه استجليتُ الآليات الحجاجية والوسائل الإقناعية

الموظفة في الآيات.

ويشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: اشتملت على: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه وخطته.

التمهيد: الحجاج: مفهومه وخصائصه.

المبحث الأول: البناء التركيبي ودوره الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

المبحث الثاني: البنية التصويرية ودورها الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

المبحث الثالث: المحسنات البديعية ودورها الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذا البحث، وكذلك التوصيات.

الفهارس: وتشمل: فهرس المصادر والمراجع – فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما بحثتُ دراسات سابقة في بلاغة الخطاب الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي قامَ بهَا الباحثون، وفِي أثناءِ بحثِي، وجدتُ دراسة تحت عنوان: "في بلاغة الخطاب الإقناعي– مدخل نظري وتطبيقي لدراسة– الخطابة العربية– الخطابة في القرن الأول نموذجًا"– الدكتور محمد العمري، والدراسة هذه قد جعلت الخطابة في القرن الأول هي النموذج لتطبيق الدراسة.

وهناك دراسة تحت عنوان: خطبة الجهاد عند علي بن أبي طالب دراسة حجاجية، هذا البحث منشور في: مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، العدد ٢ للباحث: عشري الغول، وقد اعتمد الباحث في معالجة الخطبة على دراسة الحجاج

من منظور بيرلمان وتيتيكاه.

ووجدتُ دراسة أخرى تحت عنوان: الممكنات البلاغية للغاية الإقناعية في القرآن الكريم آيات الإنفاق في سورة البقرة نموذجا- أيمن أبو مصطفى، هذا البحث منشور بمجلة روابط الجزائرية المحكمة ٢٠١٨م، وفي هذه الدراسة قصد الباحث إلى الوقوف على أثر الغاية في بناء الأسلوب في القرآن الكريم، هادفًا إلى بيان أثر الغاية الإقناعية في بناء الأسلوب القرآني، وقد اتخذ آيات الإنفاق في سورة البقرة نموذجًا، وجاءت هذه الدراسة في العناصر التالية: البلاغة والغاية الإقناعية-خطاب الإنفاق وتماسك النص-الإقناع بالترغيب والترهيب والممكنات التصويرية-الممكنات والضواغط الأسلوبية، وتبع ذلك الخاتمة وقائمة بالمراجع.

وهذه الدراسة تغاير دراستي في المنهج والخطة وكذلك الغاية والهدف، كما أن مادتها كانت آيات الإنفاق في سورة البقرة، أما دراستي فقد تناولت آيات الإنفاق في سورة البقرة وغيرها، وعليه فإن هذه الدراسة مختلفة عن دراستي.

كذلك اطلعتُ على بحث تحت عنوان: الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا ل.د.عبد الناصر درغومة، والبحث منشور بمجلة المدونة العدد السابع، يحاول هذا البحث تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال دراسة باب التمثيل وأهميته وحجاجيته، ثم يعرض في جانبه التطبيقي لدراسة جملة من المداخل الإقناعية في الاستعمالات التمثيلية القرآنية، وذلك عبر دراسة حجاجية تحليلية لجملة الأمثال الواردة في سورة "البقرة"، والتي تبين جانبًا من خصائص الحجاج وأساليبه في القرآن الكريم.

لكن دراستي تناولت آيات الإنفاق في سورة البقرة وغيرها في القرآن الكريم، كذلك طريقة تحليلي للأمثال تختلف عن طريقة الباحث.

وقرأتُ بحثًا آخرَ تحت عنوان الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم: سورة البقرة

أنموذجًا ل.د. بسمة محمد بيومي، هذا البحث منشور بمجلة كلية الآداب- جامعة بورسعيد، وقد سلط هذا البحث الضوء على الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم، من خلال سورة البقرة، وتتكون هذه الدراسة من العناصر التالية: مفهوم الحجاج، الحجاج الأحرف المقطعة، الحجاج مع المنافقين، الحجاج مع الكفار، الحجاج مع المؤمنين، الحجاج مع الملائكة، الحجاج مع بني إسرائيل، الحجاج مع إبراهيم- عليه السلام، والبحث وإن تناول بعض آيات الإنفاق التي تناولتُها إلا أن طريقته في التحليل لم تشبه طريقتي، مما يجعله بعيدًا عن دراستي بما فيها من خطة ونتائج.

وعلى كل حال فإن الدراسات السابقة بعيدة عن دراستي، وليس معنى هذا أني لم أستفد منها، بَل فقد ساعدتني هذه الأبحاث في الدراسة التي قمتُ بها إذ فتحتْ لي أبوابًا لم تكن تُفتح لي لو لم أطَّلع عليها.

وقد استقيتُ بحثي هذا من كتب الحجاج والبلاغة والتفاسير وكتب اللغة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

وصلي اللهم على محمد وآله وبارك.

التمهيد:

الحجاج:

للحجاج أهمية كبرى في الدرس البلاغي لما له من التأثير القوي في إقناع المخاطبين بالفكرة وتثبيت المعنى في الأذهان.

ف"مبحث الحجاج يتمتع بطرافة خاصة: فهو من ناحية حقل تُصب فيه مختلف العلوم الإنسانية، ومن ناحية ثانية كونه يساهم في صياغة خطاباتها.

فبلاغة الحجاج حاضرة في الأدب والفن، مثلما هي حاضرة في: علم النفس، والاجتماع، والقانون...إلخ، لأنها بلاغة توظف في إحكام كل ما تصل إليه يدها الطويلة من علوم ومعارف"(١).

مفهوم الحجاج:

الحجاج في اللغة:

"يقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها...والحُجَّة البُرْهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقال الأَزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، وهو رجل مِحْجاجٌ أَي: جَدِلٌ والتَّحاجُّ التَّخاصُم وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ..."(٢).

وعرَّف الجرجاني الحجة فقال: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"(٣).

---

(١) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١،٢٠٠٨) ، ص.١٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩م) ، مادة: "ح-ج-ج".

(٣) علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأنباري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ص.١١٢.

الحجاج في الاصطلاح:

يعرِّفه أبو الزهراء بأنه: إجراء يستهدفُ من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدفُ إبراز هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه(١).

ويعرَّف الحجاج كذلك بأنه: "جنس خاص من الخطاب يُبني على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة منطقيًا، قاصدًا إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه وسلوكه تجاه تلك القضية"(٢).

وقد قدم برلمان تعريفًا آخر للحجاج حيث جعله:" جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي: حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع"(٣)، فالحجاج إذًا هدفه الأساس: هو إقناع المتلقي، والتأثير فيه، ويعتمد على استخدام الحجة وإقامتها، ومجاله هو توجيه الفعل وتثبت الاعتقاد.

ويركز برلمان وتتيكاه في تعريفهما للحجاج على تقنيات الحجاج وآلياته، فموضوع الحجاج عندهما هو: "درس تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في حالة ذلك التسليم"(٤).

---

(١) أبو الزهراء، **دروس الحجاج الفلسفي**،(المغرب: مجلة الشبكة التربوية الشاملة، ٢٠٠٨)، ص٥.

(٢) محمد العبد، "**النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع**" مجلة فصول- الهيئة المصرية العامة للكتاب،(I.G، ع. ٦٠، أكتوبر ٢٠٠٢م)، ص. ٤٤.

(٣) سامية الدريدي، **الحجاج في الشعر العربي القديم**، (الأردن: دار عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨)، ص. ٢١.

(٤) عبد الله صولة، **الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم**

=

أما وظائفه فهي:

أولًا: الإقناع الفكري الخالص.

ثانيًا: الإعداد لقبول أطروحة ما.

ثالثًا: الدفع إلى الفعل(١).

خصائص النص الحجاجي وسماته:

خصائص النص الحجاجي: إن هذا الصنف من النصوص يحرص كل الحرص على إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء، وذلك عن طريق البرهنة والاستدلال، حيث يكون استدلاله واضحًا، وأفكاره مترابطة.

أما سمات النص الحجاجي:

يتسم النص الحجاجي: بأنه نص مترابط متناغم وُضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة، وقد جمع بنوارونو سمات النص الحجاجي في النقاط التالية:

١- القصد المعلن: وهو إقناع المتلقي بفكرة معينة أي: أنه البحث عن إحداث أثرٍ ما في المتلقي.

٢- التناغم والتسلسل: فالنص الحجاجي نص مستدل عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق من التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات هذا النوع من النصوص؛ يختزل فكرة، ويسهب في تحليل أخرى، يسأل، ويجيب، ويأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة.

٣- الاستدلال: إن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فعناصره تهدف إلى

=

نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود،(تونس: المطبعة الرسمية، د ت)، ص٢٩٩.

غاية مشتركة، فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صوره وجدناه ترتيبًا عقليًا للعناصر اللغوية ترتيبًا يستجيب لنية الإقناع، بالهدف الأسمى من هذا النص إذ يقوم على الاستدلال والبرهنة بغية الإقناع.

٤–البرهنة: إن البرهنة ترد إليها الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورًا بأبلغ إحصاء، وأوضح استدلال، وصولًا إلى ألطف فكرة وأنفذها، فبالبرهنة يحصل الإقناع، ويظهر الأثر على المتلقي، فهي الطريق الأسمى للإقناع[١].

المقصود بالمرسل أو الباث والمتلقي في الخطاب الحجاجي:

إن المرسل أو الباثَّ هو منتج الخطاب، والمتلقي هو المخاطَب الذي يتلقى الخطاب، فالخطاب الحجاجي دائمًا يعرض فكرة ما ويحتج لها احتجاجًا، وهذا الاحتجاج: "قد يكون صارمًا دقيقًا، وقد يفتقر أحيانًا إلى الصرامة والدقة المنشودتين"[٢]، وهدفه هو إقناع المتلقي أو إغرائه أو حمله على الإذعان، فغاية الحجاج هي: إقناع الطرف المقابل عبر حيل منطقية ولغوية وبلاغية لها تقنياتها وآلياتها، ويظل فارق دقيق بين الإقناع والحجاج يذكره د. عباس حشاني حيث يعود الفارق إلى طبيعة المتلقي: "فإن كان المتكلم يخبره بكلام جديد فهو يقنع، أما إن كان المتلقي رافضًا أو منكرًا للكلام فيتحول الخطاب من إقناعي إلى حجاجي"[٣].

الحجاج في القرآن الكريم:

للحجاج دور فاعل في إقناع المتلقي والتأثير فيه، ولقد كان الأسلوب الحجاجي من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لإقناع المتلقي؛ لأن الحجاج عادةً يعتمد على تقديم الحجج الفاعلة المؤثرة والتي تعد عاملًا أساسًا في الإقناع، فكلمة الحجاج

(١) الطلبة، **مرجع سابق**، ص١٠٧.

(٢) السابق نفسه، ص. ٣١.

(٣) عباس حشاني،" **مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته**" مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،(I.G، ع.٩، أبريل ٢٠١٣ م)، ص. ٢٧٥.

تدل على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة[1].

إن مقابلة الحجة بالحجة معناه بطلان إحداهما، وبطلان إحداهما يستلزم عنه كون إحداهما أقوى من الأخرى، لذا كان الحجاج من الأساليب الإقناعية المستخدمة في القرآن الكريم.

وكما ذكر ابن الأثير: "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"[2].

ولقد حفل القرآن الكريم بالأساليب الحجاجية، والتي من خلالها دحضت حجج أعداء الدين، ومن خلالها أيضًا تم ترغيب المؤمنين وتشجيعهم على الطاعات، ولم يبق أمام هؤلاء ولا هؤلاء سوى الانقياد، وهذا نتيجة الإقناع القائم على أساس الحجاج.

(١) ينظر: عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، (لبنان: دار الفارابي، ٢٠٠١م ١٤٢٢هـ) ص. ٩.

(٢) ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تقديم د. أحمد الحوفي و د.بدوي طبانة، (القاهرة، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٦٠م) ، ج٢. ، ص. ٦٤.

المبحث الأول: البناء التركيبي ودوره الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق:

كان للبناء التركيبي في آيات الإنفاق الدور المهم في إقناع المتلقي بالإنفاق التطوعي، وجعله يرغب في الإنفاق بل ويشجع غيره عليه، وليس هذا فحسب بل إنه في بعض آيات الإنفاق قد جعل السامع يسابق إلى فعل هذا، كما جعله ينتظر ويتشوق إلى الجزاء المُعد له في الآخرة.

وقد كان للبناء التركيبي في آيات الإنفاق وسائله وآلياته الحجاجية التي حقق بها التأثير في المتلقي وإقناعه بالإنفاق في سبيل الله، ومن هذه الوسائل وتلك الآليات:

أولًا: الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية يمكن بحثها في شتى الحقول: كالنحو، والبلاغة، والعلوم الإنسانية، ويمثل الحذف استبعادًا لعبارة أو جملة من العبارات على مستوى البنية السطحية للخطاب مع بقاء محتواها المفهوم قائمًا في ذهن المتلقي الذي يستحضر العبارات الناقصة فيوسع بها أو يعدل دلالة الخطاب.

وتنتج عن الحذف علاقة داخلية في النص بين الفراغ الذي يتركه العنصر المحذوف ومقابله الموجود في موضع سابق من النص؛ مما يعني أن الحذف يقوم على علاقة قبلية.

وتتم عملية الاتساق عبر الحذف على أساس علاقته بالتكرار والإحالة من حيث إن الحذف نوع من التكرار، فالتكرار قد يكون باللفظ والمعنى أو باللفظ دون المعنى أو بالمعنى فحسب، وفي الحالة الأخيرة يرى بدلًا عن تكرار اللفظ فجوة في النص لا يمكن ملؤها إلا بالإحالة إلى عنصر ملفوظ داخل النص، فالقرينة في السياق اللغوي وسياق الموقف تدل على إحالة محذوف إلى ملفوظ، ويقوم ذهن المتلقي بتقدير الفجوة التي أحدثها الحذف داخل النص مستعينًا بالعناصر السابقة عليها، فلا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إلا إذا عاد المتلقي إلى ما سبقها من الجمل والعبارات، فالاتساق النصي ينطلق هنا من جملة محتوية على عنصر محذوف يحيل إلى آخر سابق، فالحذف بطبيعته إحالة سابقة تؤدي إلى الترابط.

ويعكس الحذف ميلًا نفسيًا لدى المتكلمين إلى الإيجاز والاقتصاد في المجهود الكلامي والعضلي بإنتاج جمل بسيطة وتراكيب موجزة.

و"الحذف التام يؤدي إلى الاختزال، ويتمثل في أن تظل المعلومات قائمة مع نقص العبارة، فقد يُحذف الفاعل وهو مفهوم، أو يحذف الفعل، أو تختزل الجملة كلها ولا يبقى دليلًا عليها سوى إشارة دالة يسيرة، إلى غير ذلك من أشكال الحذف المعروفة في النحو والبلاغة"(١).

والحذف أسلوبٌ يستهدف رعاية حال المخاطب، مما يدعم لديه عملية التواصل مع الخطاب؛ لكون الخطاب معنيًا به، ثم إن له وظائف أخرى تتحدد من خلال سياقات الخطاب المختلفة.

والحذف سمة بارزة من السمات الأسلوبية التي ترددت في آيات الحث على الإنفاق التطوعي، وكان من الوسائل الإقناعية ذات التأثير القوي في المتلقي، وقد حقق فاعلية إقناعية ما كانت لتتحقق للآيات بدونه، ومن ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة ٢٥٤).

ويتضح الحذف بتأثيره الإقناعي في الآية؛ حيث حذف الجار والمجرور والتقدير:(ولا خلة فيه ولا شفاعة فيه)، وكان الحذف لدلالة ما قبله عليه في قوله:﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾، وقد أنتج هذا الحذف مقدمة ونتيجة حجاجيتين، المقدمة فُهمت من المنطوق، وهي: أنه لا يوجد في هذا اليوم فداء ولا خلة ولا شفاعة، والنتيجة المستشعرة من المفهوم الحجاجي هي: أن الخير يتحقق بالإنفاق قبل مجيء هذا اليوم.

والحذف في هذه الآية بالإضافة إلى أنه قد حقق الإيجاز والاختصار قد كان وسيلة إقناعية شديدة التأثير في المتلقي؛ إذ إنه أشعر بانعدام الخلة والشفاعة في هذا

(١) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، (القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢م) ص.٨١.

اليوم وغير ذلك اليوم، مما يجعل المتأمل ينقطع أمله في الخُلة أو الشفاعة، ويسارع إلى الإنفاق بلا تردد.

ويأتي الحذف في موضع آخر ليحقق دوره التأثيري الإقناعي في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾﴿البقرة: ٢٦١).

وقد تجلى الحذف في الآية في أكثر من موضع؛ إذ حذف أولًا: المضاف إليه، ويحتمل حذف المضاف إليه من كلمة: {مثل} الأولى، أو الثانية، فعلى الأول يكون التقدير:(مثل إنفاق الذين)، وعلى الثاني يكون التقدير:(كمثل زارع حبة).

والحذف الثاني: حذف لأكثر من جملة، والتقدير:(مثل ما ينفقون كمثل حبة زُرِعَتْ فِي أَرْضٍ نَقِيَّةٍ وَتُرَابٍ طَيِّبٍ وَأَصَابَهَا الْغَيْثُ فَأَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ)، وسواء أكان الحذف لكلمة أم لجمل فإنه قد حقق الإقناع المرجو من الآية وهي النتيجة الحجاجية التي ينبغي أن يصل إليها المتلقي وهي: أن الصدقة المنفقة في سبيل الله سيضاعف أجرها أضعافًا كثيرة، وهذه نتيجة قد استشفت من المفهوم الحجاجي غير القولي للآية، أما عن المقدمة فقد تمثلت في المنطوق القولي الحجاجي مع المحذوف المقدر في الآية، ويؤكد المعنى السابق قوله:﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ؛ إذ لم يذكر الله تعالى إلى أي مدى ستكون هذه المضاعفة ولمن بالتحديد ستكون،" مما يحرك النفس البشرية المجبولة على حب المنفعة، فيجعلها تضحي بالقريبة القليلة منها لتظفر – بوعد لله – على أضعافها في المستقبل"[1].

وقد جاء الحذف في آية أخرى من آيات الإنفاق ليؤثر إيجابًا في نفس المتلقي ويحقق الغاية الإقناعية المرادة من الحث وهي: السعي إلى الإنفاق التطوعي والرغبة فيه،

(١) بسمة محمد بيومي، "**الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم: سورة البقرة نموذجًا**" مجلة كلية الآداب – جامعة بورسعيد، (I.G، ع. ٦، يوليو ٢٠١٥م) ، ص. ٢٥.

وذلك في قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

فقد حذف المفعول الثاني والتقدير:(فآتت أكلها ضعفين صاحبها)، وهذا الحذف يومئ إلى أهمية ذكر الثمار(الأكل)، لا من تثمر له ومن يأكل منها، وتتجلى إقناعية الحذف هنا في أنه كان وسيلة للتركيز على الجزاء وهو: تضاعف أُكل الجنة ضعفين، وترك ما لا فائدة من ذكره وهو صاحب الثمار، وهذه هي المقدمة الحجاجية المفهومة من منطوق الآية، وأما النتيجة الحجاجية غير القولية فهي: الترغيب والتشجيع على الإنفاق التطوعي، فما من نفقة أنفقها المسلم إلا وتضاعفت هي وأجرها.

وقد كانت هنا العناية بالفعل والمفعول الأول دون التطرق للمفعول الثاني، وذلك لدلالة السياق عليه إذ بذلك يصير الاهتمام والتعويل على الفعل وهو المراد، أو كما قال عبد القاهر: "توفير العناية على إثبات الفعل، والدلالة على أن القصد من ذكر الفعل أن تثبته لفاعله، لا أن يعلم التباسه بمفعوله"(١).

ويتضح الدور الإقناعي للحذف في الآية نفسها في قوله:{فَطَلٌّ}؛ إذ حذف المسند والتقدير:(فطل يصيبها)، وهذا الحذف يفسح المجال لخيال المتلقي ليتصور ما يتصور؛ حتى إذا وصل إلى ما تخيل اطمأن به، وقد أنتج الحذف في الآية نتيجة جعلها وكأنها معروفة متوقعة لا تحتاج إلى دليل أو برهان، فالجنة ستؤتي أكلها وافرًا مضاعفًا حتى ولو لم يكن مطرًا وابلًا يسقيها، وكان طلًا يسيرًا، "فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها...وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة، بعد أن يُطلبَ فيها وجه الله ويبذل فيها الوسع زكية عند الله، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده"(٢).

---

(١) جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تقديم وتعليق: خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م) ، ص. ١٥٠.

وبهذا أصبح الحذف وسيلة من وسائل تحفيز المخاطب على الإنفاق وترغيبه فيه، وليس هذا فحسب بل إنه كان سبيلًا للإقناع.

وفي آية أخرى من آيات الإنفاق يكشف لنا الحذف عن غضب الله من المؤمنين الذين ينفقون من أردأ ما يكتسبون، ينفقون من أشياء لا يرضونها لأنفسهم ولا يأخذونها إلا إذا كانت أعينهم مغمضة، وذلك في قوله:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، فقد حذف متعلق الفعل(آمنوا).

والتقدير: آمنوا بالله واليوم الآخر، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقضاء والقدر حلوه ومره، خيره وشره، وحذفُ الجار والمجرور وما عطف عليه يوحي بغضب الله.

من هؤلاء المخاطبين وفعلهم إذ إنهم كانوا ينفقون من كسبهم الخبيث، فقد أراد ألا يطيل معهم الكلام وينهي الحديث معهم بأقصى سرعة، فقد كان المحذوف والمفهوم غير القولي من الحذف بمثابة مقدمة حجاجية تحذر من الإنفاق من الخبيث، والنتيجة ليست منطوقة كذلك بل هي مستشفة من المفهوم غير القولي وهي: أنه من ينفق من الكسب الطيب سيرضى الله عنه ويجازيه، وبهذه الطريقة يستجيبون لأمره ويقتنعون بفكرة الإنفاق من الكسب الطيب.

وذكر{طَيِّبَاتِ}في قوله: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ حجة عليهم؛ إذ إنهم يكسبون الطيبات ويبخلون بها على الفقراء مع أنها ليست ملكًا لهم.

ويظهر من المواضع السابقة وغيرها أن دور الحذف الإقناعي بالإضافة إلى تحقيقه الاختصار والإيجاز، يتجلى خصوصًا في أثناء المواقف الحوارية التي تقترن اقترانًا وثيقًا بالسياق التواصلي.

وهذا يؤكد أهمية الوظيفة البلاغية التي يقوم بها الحذف من حيث هو ظاهرة بلاغية عالمية وقاعدة كلية تخضع لها جميع اللغات، ومن حيث هو أساس في تماسك النص وانسجامه، ناهيك عن قيمته الجمالية.

ثانيًا: التقديم والتأخير:

للتقديم والتأخير غاية إقناعية حجاجية، والغاية الحجاجية للتقديم والتأخير مرهونة بإحكام ربط البناء اللغوي بالضرورة السياقية للخطاب، إذ إنه بمثابة إعادة

ترتيب لعناصر الجملة وفق متطلبات الخطاب الرامية – في حال الحجاج – إلى التأثير والإقناع.

وقد بدا التقديم والتأخير في آيات الإنفاق التطوعي مسلكًا بارزًا لتحقيق هذه الغاية الإقناعية، ومن الممكن ملاحظة ذلك في الآيات التالية:

يقول–تعالى: ﴿ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥٤)؛ حيث قدم البيع على الخلّة والشفاعة، وقد أنتج التقديم هنا المقدمة الحجاجية المنطوقة وهي: أن الفدية المدفوعة لا تنفع صاحبها في هذا اليوم، وكذا الخلة والشفاعة لا تنفعان، والنتيجة المفهومة من الحجاج غير القولي والمترتبة على المقدمة السابقة تتمثل في ضرورة الإنفاق قبل مجيء هذا اليوم، فالتقديم إذًا قد حقق غاية حجاجية مهمة وهي: الإقناع بأن الإنفاق هو النافع والمنجي في هذا اليوم، وهو المطَمْئن والمؤنس للنفوس المستجيبة لأمر الله بالإنفاق، لا البيع ولا غيره وأن المنفقين هم الناجون في ذلك اليوم وليس غيرهم.

والتقديم في الآية التالية يحقق بعدًا إقناعيًا مهمًا عن طريق التشويق، يقول تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٦١)، إذ قدم المسند{فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ}، وذلك للتشويق إلى ذكر المسند إليه{مائة حبة}، فحينما ذكر المسند ذهبت النفس كل مذهب وتخيلت ما تخيلت، وأصبحت النفس في شوق إلى ما يذكر عقب هذا المسند، فإذا ذكر المسند إليه سكنت النفس، واطمئن القلب واقتنع المنفق تمام الاقتناع بأن الإنفاق هو الخير له، وقد أسهم التقديم بحجاجيته في وصول الطاقة الإقناعية إلى أعلى درجاتها، فالمنطوق الحجاجي للتقديم يثبت أن السنبلة الواحدة تحتوي على مئة حبة وهذه هي المقدمة، والنتيجة المترتبة على تلك المقدمة أن كل من ينفق ستتضاعف صدقته مثل غارس الحبة التي تتضاعف، وفي هذا ترغيب وتشجيع على الإنفاق ما ليس في غيره من الأساليب الإقناعية الأخرى.

وفي الآية التالية قد حقق التقديم الإقناع والتأثير المراد من خلال قوله تعالى:

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ (التوبة:١٢١)؛ إذ قدم النفقة الصغيرة على النفقة الكبيرة، وقد أقنع التقديم بالمنطق والحجة المتلقي بأن النفقة الكبيرة سيؤجر صاحبها، لأن النفقة الصغيرة سيجازى عليها فمن باب أولى أن يجازى على النفقة الكبيرة، وفي هذا التقديم اهتمام بما يشغل قلب المنفق سواءً للنفقة الصغيرة أو للكبيرة وتهدئة لروعه وطمأنة لقلقه، فلو تقدمت الإشارة إلى النفقة الكبيرة لتبادر إلى الذهن ولو لمجرد لحظة أن النفقة الصغيرة لا تُقبل.

وهناك لطيفة أخرى للتقديم تآزر حجاجيته ومنطقيته وهي أن النفقة الصغيرة أكثر وقوعًا من النفقة الكبيرة، لأن النفقة الكبيرة غالبًا ما يقع إنفاقها من الأغنياء، إذًا فممكن أن يكون الترتيب هنا باعتبار كثرة الوقوع وقلته.

وبذلك يتقرر لدينا أن التقديم والتأخير:"أسلوب عدولي عن أصل الرتبة ومؤشر أسلوبي، إنما يكون لغايات تتصل بالمعنى"[(١)]، في آيات الحث على الإنفاق خطة متكاملة تستهدف ربط المتلقي بالخطاب، وإقناعه بموضوع قضاياه.

ثالثًا: الموجهات التعبيرية (الأساليب الإنشائية):

وهي مجموعة الصيغ والأساليب البلاغية التي ترسم مسارًا إقناعيًا للخطاب، وذلك عبر سلسلة تفاعلات لغوية ومقامية داخل الموقف التواصلي.

ومن الموجهات التعبيرية التي حققت بعدًا إقناعيًا في آيات الإنفاق التطوعي: الأمر – النهي – النداء.

الأمر والنهي:

يعد كلٌ من الأمر والنهي والنداء فنًا من فنون الإقناع، فكل قول له فعل إنجازي كما يسميه أوستن: illocutionnaire-Acte، وفعل تأثيري perlocutionnaire إذ يقول: إنَّ "اللُّغة ليست مجرَّد أداة للإخبار والوصف، بل

(١) تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م)، ج.٢، ص. ١٠٨.

وسيط لبناء الواقع والتَّأثير فيه وتحويله"[1].

وتدلُّ الأفعال الإنجازيَّة على قصد المتكلِّم، إمَّا لفعل وعد ووعيد، وإمَّا إقرار وتهكُّم، وإمَّا منح ومنع، عن طريق إنجاز الأشياء باستخدام تلك الأفعال الَّتي يحاول المتكلِّم إيصالها للمتلقِّي في سياق الخطاب.

ولم أعن بمناقشة الأمر والنهي والنداء في آيات الإنفاق التطوعي بمسألة التحديد الدلالي لأصل المعنى أو خروجاته المجازية وفقط، وإنما كانت عنايتي بالأثر الحجاجي الذي يؤديه كل من الأمر والنهي والنداء في الآيات، وهو أثر وثيق الصلة بالدلالة في الأمر على الوجوب، والنهي على التحريم وذلك وفق أوامر الشارع ونواهيه، وإذا استعرضنا الأوامر والنواهي في آيات الإنفاق موضوع الدراسة تظهر على النحو الآتي:

يقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة ٢٥٤). ويقول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، وللأمر والنهي في هاتين الآيتين الكريمتين دور تنبيهي عظيم لا يمكن أن يغفل، وبحضور انتباهة المتلقي يصير الوصول إلى المفهوم غير القولي الذي تنتجه بنية كل من الأمر والنهي داخل آيات الإنفاق أكثر بروزًا، خاصة أن المفهوم غير القولي صنيعة خالصة للمتلقي، يتوصل إليها من خلال المنطوق مرورًا بدلالة ذلك المنطوق، فالفعل الكلامي(الأمر) في الآية الأولى قوله: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، والفعل الإنجازي هو الحث، والتحضيض فالله يحث عباده المؤمنين على الإنفاق ويحضهم على

(١) الباهي حسان، **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠٠٤م) ، ص.١٢٣.

ترك ما عداه من البخل والشح والتقتير، وهذا يشعر بإرادة الله في أن يتصف عباده بصفة الإنفاق فيعرفوا بأنهم هم المنفقون.

وكذلك الفعل الكلامي(الأمر) في قوله: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، والفعل الإنجازي هو الحث على الاتصاف بصفة معينة، وهي الإنفاق من الكسب الطيب، فليس المراد الأمر بمجرد الإنفاق وإنما المراد هو الإنفاق من طيب الكسب.

ونلاحظ أيضًا الفعل الكلامي(النهي) في قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، والفعل الإنجازي لهذا النهي هو التحذير من هذا الصنيع، والتشنيع على فاعله، فالأفعال الكلامية الثلاث حققت الغاية الإقناعية المرجوة وهي: الترغيب في الإنفاق التطوعي، والتنفير من إنفاق الخبيث؛ حيث: "إن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال تؤدى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي: الفعل اللفظي: وهو النطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح تؤدي معنى هو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه، والفعل الإنجازي: ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال كالوعد والتحذير والأمر والنصح...إلخ، والفعل التأثيري: الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب سواء أكان تأثيرًا جسديًا أم فكريًا أم شعوريًا"[1]، إذن للفعل الكلامي دور في الحجاج لا يمكن إغفاله لما يتركه من أثر في السامع، بل قد يدفعه إلى سلوك بعينه.

ويلاحظ العدول في بنية النهي إذ قال:{وَلَا تَيَمَّمُوا} بدلًا من:(ولا تنفقوا)، لأن العدول قد حقق فائض دلالي موسع ما كان ليتحقق لو قال:(لا تنفقوا)، من هذا الفائض: التحذير الشديد والمنع المؤكد من الانفاق من الخبيث، كما أن التعبير:{تَيَمَّمُوا}

(١) محمود أحمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية ط١، ٢٠٠٠م)، ص.٦٨.

يوحي بأن التيمم والتعمد في أمر إنفاق الخبيث هو الأمر المعول عليه، وهو ذلك الأمر الممقوت المذموم المرفوض من قِبَل الله، أما من كان غير ذلك وخصوصًا أنه لم يسمع بالآية فلا شيء عليه، يضاف أيضًا إلى ذلك أن البنية المقترحة(لا تنفقوا) تعطي دلالة صريحة على أن المنهي عنه هو مجرد الإنفاق من الخبيث في حين ينفتح الحمل الدلالي للبنية الواردة في الآية الكريمة على أكثر من دلالة، كأن يكون المقصود بالتيمم القصد — التعمد — الضرب في التراب للتيمم بدلًا من الوضوء وغير ذلك من الدلالات، كل هذا قد أشعر به العدول، وتلك هي الملاءمة الحجاجية التي سيق لأجلها فعل النهي.

وتنتج عبارة: {وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}؛ أهمية كبيرة في لفت السامعين إلى أن الذي ينفق من كسب خبيث لو هو نفسه أراد أن يأخذ من هذا الكسب لا يمكن أن يأخذ إلا إذا أغمض عينيه، وقد تحقق الحجاج من خلال هذه الآية؛ فهي مشتملة على قضيتين حجاجيتين، فمقدمة القضية الأولى هي: أنه لا يؤخذ أحد من الكسب غير الطيب إلا من أغمض عينيه، والنتيجة أنه ليس من الخير الإنفاق من الكسب الخبيث. ومقدمة القضية الثانية: المفهومة من مضمون الآية هي: كل ما يملكه الإنسان هو ملك لله؛ والنتيجة الحجاجية المنطوقة هي: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

والفعل الكلامي في القول السابق هو الأمر: {اعلموا} والفعل الإنجازي هو تأكيد استغناء الله عن نفقتهم هذه، وتقرير احتياجهم وفقرهم إليه تعالى، فهذا تذييل يعمق المعنى في نفوس المتلقين ويثبته، وهو استغناء الله عن البشر في حين أنهم يحتاجون إليه، وأن إنفاقهم من الكسب الطيب لا يفيد ولا ينفع غيرهم.

ومن الملاحظ أن الأمر بالإنفاق كان غالبًا ما يقترن بوصف المنفقين بصفة الإيمان، وكأن القرآن الكريم يشجع بهذا الوصف المتلقي ويحفزه على الإنفاق؛ فمفهوم الأمر في الآيات السابقة يوحي بأن كامل الإيمان هو المنفق، وأن الإنفاق من الصفات المهمة للمؤمنين، وأن غير المنفق أو البخيل لم يكتمل إيمانه، فكل هذه الهوامش الدلالية

الملتصقة بثقافة المخاطب وعقيدته تصبح حاضرة في وعيه موجهة لإقناعه الوجهة التي لا تخالف هذا المخزون المتعلق بالأمر{أَنْفِقُوا}، والنهي{وَلا تَيَمَّمُوا} بحيث تصير مخالفة هذا النهي وذلك الأمر – لو افترضنا ذلك– من قبل المخاطبين هروبًا من المحاجة، وتناقضًا واضحًا يخرجهم من الموقف الخطابي مغلوبين.

وبذلك يبدو الخطاب القرآني في آيات الإنفاق مكتنزًا للدلالة، منتجًا لها من خلال المخاطبين، وهو ما يعرف في التداولية باسم إنتاج القول للفعل فقد طالعنا كيف أن قول الله تعالى: {أَنْفِقُوا} يولد فعل الطاعة، وقوله: {وَلا تَيَمَّمُوا} يولد التحريم، كل ذلك مكتنزًا داخل دلالات ضمنية يعهد إلى المتلقي تفريغها والتوصل إليها، مما يضفي نشاطًا كلاميًا ملحوظًا على آيات الإنفاق، ويوجب الإقناع بطريق غير مباشر، وهو أنجع لا شك من المباشرة بالحجاج أو الإقناع.

أ– النداء:

النداء من الموجهات التعبيرية المؤثرة وهو: "من بين الأدوات المهمة في العملية الحجاجية نظرًا لما يحمله من جلب المرسَل إليه أو المتلقي في عملية الاستدلال والتأثير فيه"[(١)].

فالمنطلق الحجاجي للنداء يبني إثارة نفسية لدى المخاطب، فيرتسم هذا المخاطب أمام المتكلم مصغيًا، مستمالًا، منجذبًا إلى الخطاب، كما يسهم في تكوين اتجاه انفعالي حيال الخطاب، وغالبًا ما يكون موقفًا إيجابيًا، يتحقق فيه التأثير والإقناع.

وقد وردت هذه الآلية (النداء) في آيات الإنفاق في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة:٢٥٤)، وفي

(١) عبده عبد العزيز قلقيلة، **البلاغة الاصطلاحية**، (القاهرة: مكتبة لسان العرب، ٢٠١٨م)، ص.١١

السورة نفسها يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، صُدِّرت الآية الكريمة الأولى بالنداء لتحقيق الدور الحجاجي الإقناعي المطلوب في هذا المقام وهو: إيقاظ النفوس، وتهيئتها، وجعلها مستعدة لإحساس وفهم كل ما يُتلى عليها من أوامر ونواهٍ.

كما أن في النداء تنبيهًا وتبليغًا يهدف إلى إقناع المتلقي وتوجيهه بطريقة صحيحة.

وفي إيثار النداء بـ(يا) دون غيرها من أخواتها إقناع، وذلك لأن النداء ب(يا) يؤذن ببعد منزلة هؤلاء المنادين وعلو مرتبتهم وارتفاع شأنهم، وفي هذا من التحفيز والتعزيز ما يجعلهم يستجيبون لكل مطلب منهم عقب النداء.

وأوثر التعبير باسم الموصول وصلته {الَّذِينَ آَمَنُوا} عقب المنادى{أيها} على بدائل أخرى منها:

(يا أيها الناس–يا أيها الموحدون–يا أيها المسلمون– يا أيها المستمعون)؛ وذلك للإشعار بعظمة الموجه إليهم الخطاب، فاسم الموصول يتضمن التعظيم والتفخيم لهؤلاء المنادين، وكذا جملة الصلة(آمنوا) تحمل أحب الصفات إلى قلوبهم(الإيمان) خصوصًا أن هذا الوصف قد جاءهم من رب العباد، وقوَّى هذا المعنى التعبير بصيغة الماضي الذي يوحي بوقوع الإيمان وتحققه.

والدور التنبيهي الحجاجي للنداء في الآية الثانية يتمثل في الحث على الاستجابة والامتثال لأمر الله، والتنبيه على أن المخاطبين ارتكبوا أخطاءً فادحةً (كتصدقهم من الخبيث) وعليهم أن يَتَقَبَّلوا اللوم عليها.

ونلاحظ أنه تعالى قد ناداهم في الآية الثانية كذلك بصفة الإيمان مع ارتكابهم لبعض الأخطاء، وهذا يوحي بإرادة الله– سبحانه وتعالى– بأن يكونوا على هذه الصفة(الإيمان) علَّ هذه الصفة تمنعهم من ارتكاب مثل هذه الأخطاء.

ويلاحظ تكرار النداء في الآيتين السابقتين وهما متقاربتان؛ إذ لا يفصل بينهما إلا

اثنتا عشرة آية فقط؛ وذلك لتأكيد وتقرير المعنى، وحرص المرسِل (القرآن الكريم) على تسليم المتلقي بالفكرة (ضرورة الإنفاق في سبيل الله)، الأمر الذي يشحن الملفوظ بطاقة حجاجية عالية، ويظهر ما يشبه التدرج في الطاقة الحجاجية لهذا النداء.

واستخدام عبارة المنادى{أيها} بدلالتها على عموم المؤمنين، يرفع من التأثير الحجاجي للنداء في الآيتين السابقتين، إذ إن هذه العبارة تصير ملزمة لكل مستمع مؤمن يستمع لهما، ويطَّلع عليهما في كل زمان ومكان، ف"أفضل الحجاج ما جعله ربه عامًا فهو للجمهور الواسع وإن كان المعنى به في أصل إنشائه فردًا أو جماعة ضيقة"(١).

إن الدور الحجاجي للنداء في المثالين السابقين له الأثر العظيم في تنبيه المستمعين إلى أهمية الحكم المتعلق بالنداء وهو الإنفاق عمومًا في الآية الأولى، والإنفاق خصوصًا من الكسب الطيب في الآية الثانية، وإقناعهم به.

رابعًا: القصر:

القصر: هو عمل إنجازي يعتمده المتكلم في توجيه المخاطب وجعله يسير في الاتجاه الذي يحدده هو ويرسمه، فالقصر من الأدوات الحجاجية المهمة التي تدعو إلى إعمال العقل وتحفز الاستنتاج لدى المتلقي، بحكم بلاغته من الإيجاز والاختصار التي لا تتحقق إلا به وزيادة المعنى تأكيدًا.

وقد ورد القصر في الآيات موضوع الدراسة بطرقه وأنماطه المختلفة ومن ذلك:

القصر في قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة: ٢٥٤) إذ قصر الظلم على الكافرين غير المؤدين للزكاة قصرًا إضافيًا قلبيًا بطريق ضمير الفصل، فقد قلب عليهم اعتقادهم وهو أنهم هم المظلومون وأشعرهم بأنهم هم الظالمون،

(١) صولة، مرجع سابق، ص. ٢٠٥.

وهذا القصر يوحي بأنهم حازوا الظلم كله لأنفسهم، وكأن الظلم أصبح صفتهم وحدهم لا يشترك معهم فيها أحد.

ويتجلى الدور الإقناعي الحجاجي للقصر في الآية؛ إذ إن المقام مقام توضيح لموقف تاركي الزكاة من الزكاة فهم لا يخرجونها وينكرون وجوبها عليهم، كما يتجاهلون دورها في التكافل الاجتماعي، فالقصر نبههم على خطئهم وأشعرهم بظلمهم؛ فالمقدمة التي تفهم من جملة القصر أن من يمنع الزكاة والإنفاق فإنه ظالم لنفسه ولغيره، والنتيجة هي أنهم هم الظالمون لا غيرهم؛ لأن هؤلاء قد تركوا الزكاة والإنفاق، وهذه النتيجة هي التي أراد الله تعالى تسليم المخاطبين واقتناعهم بها، وبهذا يكون القصر قد حقق غايته التواصلية وغرضه الإقناعي.

ويحقق القصر غاية إقناعية حجاجية أخرى في الآية التالية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ٢٦٧)، حيث قصر النهي على الإنفاق من الخبيث، وقد أفاد القصر تخصيص الخبيث بالنهي عن إنفاقه دون غيره من الطيب، وهذا القصر طريقه التقديم، حيث قدم الجار والمجرور{منه}على الفعل{تنفقون}، ويبرز دور القصر الحجاجي الإقناعي هنا؛ فالمقدمة الحجاجية التي فُهمت من منطوق الآية هي أن الإنفاق من الخبيث أمر منهي عنه، ولا يرضى عنه الله ويستحق فاعله التوبيخ والتبكيت، والنتيجة الضمنية هي أن المخاطبين يستحقون التوبيخ واللوم لإنفاقهم من الخبيث المنهي عنه، فبالتأكيد أنه من سمع هذه الآية في أي زمان ومكان لم يقم بهذا الصنيع، فالعبارة تلزم كل مخاطب يستمع لها، ويطَّلع عليها في كل زمان، وتلك هي الغاية الحجاجية من القصر؛ ففي الحجاج القرآني، يتوجه الخطاب إلى المتلقي الضمني(١).

(١) المتلقي الضمني هو من لم يسمع الآية وقت نزولها.

ويأتي القصر ليحقق غاية إقناعية أخرى مهمة في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٤).

حيث قصر الأجر على الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار وفي السر والعلن قصرًا حقيقيًا، عن طريق التقديم؛ إذ قدم الجار والمجرور(لهم) على المسند إليه(أجرهم)، وقد أشعر القصر باختصاص هؤلاء المنفقين بهذا الأجر واختصاص الأجر بهم لأنهم هم الذين أنفقوا في كل زمان ومكان.

ومما زاد في إقناع المخاطبين بالإنفاق قصر نفي الخوف والحزن عن المنفقين عن طريق التقديم أيضًا في قوله:{وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ} قصرًا حقيقيًا، وهذا القصر يوحي باختصاصهم بالأمن والطمأنينة والسعادة دون غيرهم، وإثبات الخوف والحزن لغيرهم، ومقدمة القضية الحجاجية التي أفادها المنطوق الحجاجي للقصر في الآية، هي أن المنفقين بالليل والنهار وفي السر والعلن هم الذين يختصون بالأجر العظيم والأمن والسعادة في الدارين، وأما النتيجة التي استنتجت من المفهوم غير القولي الحجاجي للقصر فهي: أن كل من ينفق مثل هؤلاء سينال الجزاء نفسه، بما أن لكل عمل أجرًا ومقابلًا، وتلك هي الغاية الإقناعية التي حققها القصر.

ويتضح القصر بوظيفته التأثيرية الإقناعية كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٢١)؛ إذ قصر مصير النفقة والسير في سبيل الله على الكتابة والمجازاة بالجزاء الحسن من باب قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا طريقه النفي والاستثناء، وحجاجية القصر تتمثل في أن الآية تتضمن الإخبار بأن الإنفاق في سبيل الله بكل طرقه سيُكتب للمنفق، وأنه لا يضيع هباءً، وهذه مقدمة استشفت من المفهوم المنطوق الحجاجي للقصر، وقد ترتب على هذه المقدمة نتيجة

استشعرت من المفهوم غير القولي للقصر وهي: أن إنفاق المخاطبين بهذه الآية سيكتب لهم وسيُجازون عليه، وهذا القصر يؤكد أن ما يُفعل لوجه الله حتمًا سيُؤجر عليه ولا يضيع هباءً.

ونلاحظ في الآيات السابقة أن التوكيد بالقصر قد اعتمد على الحجاج والإقناع، وقد تمثل الحجاج هذا في وجود المقدمات وتحقق النتائج، ومن هنا يتجلى جمال الحجاج وطريقته الدامغة في الإقناع.

خامسًا: العدول:

العدول أحد المذاهب البلاغية التي استخدمها العرب الأوائل، وهو: أسلوب من القول يخرج فيه المتكلم عما هو مألوف في نظم الكلام إلى غير المألوف لغاية معنوية يقصدها المتكلم، ويحقق سمة جمالية في الكلام، وهو بهذا المفهوم يُضفي على الكلام خصائص ومزايا لم تكن لو جرى الكلام على النمط المعتاد.

وتبدو السمة البلاغية في العدول بارزة، وذلك من خلال وجود خطين يبني المتكلم من خلالهما خطابه، غير أنه يقفز بأحد هذين الخطين للاستعمال نظرًا لمعادلة مقامية يطرحها الخطاب، ومضامين تعمل على توجيه هذا الاستعمال نحو الأنفع.

والعدول بوصفه خرقًا لمثالية الوضع أو المعيار اللغوي يشتمل على مستويات عدة، فقد يكون في الصوت، كما يكون في اللفظة المفردة، ويكون في التركيب[1]، لكن ينصب اهتمامي هنا على البعد الحجاجي للعدول وتتبعه في آيات الإنفاق.

وللعدول صور كثيرة وأنواع متعددة، لكني أتناول في هذا البحث صورتين فقط من تلك الصور، من خلال نماذج من آيات الإنفاق؛ لبيان الدواعي البلاغية والجمالية

(١) ينظر: مصطفى السعدني، **العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت)، ص. ٢٩.

لاعتماده أسلوبًا مطردًا من أساليب التعبير.

ومن صور العدول التي سأبين بعدها الحجاجي بإذن الله في آيات الإنفاق التطوعي هي:

أ– الالتفات:

الالتفات من بديع المخالفات التي تسوغها اللغة للمتكلم أو المبدع، حيث ينتقل الالتفات من واقع حركي يصدر عن الإنسان حين يلتفت فيغير وجهته ويصرف وجهه من ناحية إلى أخرى – إلى واقع لغوي يستثمره المبدع في الانتقال من جهة في الخطاب إلى جهة أخرى.

علمه على فئة منهم بعينها، فهو عليم بما يعمل الغائب والحاضر. و"الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"(١).

والإطار الذي يحكم الالتفات صرح به العلوي (ت ٧٠٥) في تعريفه له بقوله: "هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب أخر مخالف للأول"(٢).

وللالتفات فلسفته الخاصة في اللغة العربية ووظائفه العديدة داخل الخطاب؛ فهو تفنن واتساع من جهة لغة الخطاب وقدرة المتكلم الكلامية، بالإضافة إلى كونه ذا قيمة تنشيطية للمتلقي، وأخرى حجاجية إقناعية.

ومن الالتفات في آيات الإنفاق التطوعي: الالتفات في قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ

(١) الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ٦، ١٩٨٥ م) ،ج. ١، ص.١٥٧.

(٢) يحيى بن حمزة العلوي، **الطراز**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ١ ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م)، ج.٢، ص. ٧١.

فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، إذ عبر أولًا بطريق الغيبة، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ – وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، ثم التفت فعبر ثانيًا بطريق الخطاب، فقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وكان المسار الموافق لمقتضى السياق أن يقال:(والله بما يعملون بصير)، وهذا الالتفات يشعر بقدرة الله على العلم بما يعمل جميع البشر، فلم يقتصر

وقد وقع قوله: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} تذييلًا قصد به طمأنة وإيناس المنفقين ابتغاءً لمرضات الله ووعدهم بالإنابة؛ كما قصد به ترويع وتخويف البخلاء والمرائين وهو السر في تعريف المسند إليه ﴿الله﴾ بالعلمية بدل من الإضمار.

والأثر الحجاجي للالتفات في هذه الآية يكمن في تعميم الحكم للحاضر والغائب، ولو أن مسار الضمير ظل للغيبة لقصر الحكم على الغائبين فقط، ولأفسد قيمة عليا من قيم الخطاب الحجاجية، وهي علمه تعالى بأعمال الناس كافة الغائب منهم والحاضر.

إن الالتفات لا يحقق فقط بعدًا تنشيطيًا أو تنبيهيًا للمتلقي، بل يسهم في توجيهه إلى التفاعل مع الملفوظ الخطابي على نحو عملي.

ب– التعريف والتنكير:

التعريف معناه: جعل الاسم معرفة، والمعرفة هي ما دلَّت على معين من أفراد جنسه مثل:(أنت– خالد). والتنكير هو: جعل الاسم نكرة، والنكرة اسم يدلُّ على شيء غير معين، أو على شائع في أفراد جنسه مثل:(رجلٌ – بيتٌ).

والتعريف والتنكير ظاهرة من الظواهر التي تخضع لمقتضيات السياق، وهذا يعني أنَّ أحدهما ليس أولى من الآخر، فكلٌ في موضعه بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

ويتم العدول في التعريف والتنكير من خلال تبادل الأدوار بينهما بأن يستخدم أحد التعريفات مكان الآخر أو التعريف مكان التنكير أو العكس، وذلك لتحقيق بعد حجاجي وغاية إقناعية سامية.

ويتضح الأثر الإقناعي لتعريف المسند إليه في قوله: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة

٢٥٤)، وقد تحقق العدول هنا من خلال التعريف بالضمير بدل من التعريف بالعلمية، فكان من الممكن أن يقال: (مما رزقكم الله–عز وجل)، لكنه عدل عن ذلك لأن التعريف بالضمير يوحي بعظمة وفخامة المعبر عنه وهو الله – سبحانه وتعالى–، والبعد الحجاجي للعدول يتمثل في تذكير المتلقي بأن الله وحده صاحب المنة والفضل، وأنه هو واهب الرزق وهو الموجه الأعظم، فما من مال في يد شخص إلا وهو هبة ورزق منه –تعالى– وما الشخص إلا خليفة في هذا المال، وهذه مقدمة قد فُهمت من المنطوق الحجاجي للعبارة، والنتيجة الضمنية للحجاج هي: أنه ليس من حق أحد أن يبخل، أو حتى يصدر منه مجرد اعتراض على الإنفاق لأنه لا يملك شيئًا، وبهذه النتيجة يقتنع المتلقي بالفكرة المرادة، ويطمئن قلبه.

ويتضح العدول كذلك في قوله: {يومًا} حيث جاءت هذه الكلمة نكرة، وكان من الممكن أن تأتي معرفة فيقال: (اليوم) لكن هذا العدول بحجاجيته أشعر بتعظيم اليوم وتهويله، وهذه هي المقدمة، أما النتيجة الحجاجية فتتمثل في أنه يجب على كل مسلم أن يتقي هذا اليوم بالإنفاق من رزق الله.

وفي الآية نفسها يلاحظ العدول أيضًا بتنكير الكلمات:(بيع – خلة– شفاعة)، وقد أفاد هذا التنكير العموم، فالمفهوم الحجاجي للعدول يشعر بأن هذا اليوم لا يقبل فيه أي نوع من أنواع الفداء سواءً أكان هذا الفداء كبيرًا أم كان صغيرًا، وكذا الصداقة لا تنفع أحدًا في هذا اليوم مهما كانت قوية ولا تنفع الشفاعة مهما كان قدرها وقدر صاحبها، وهذه مقدمة بدت في المنطوق الحجاجي، ونتيجة هذه المقدمة هي أنه يجب على كل مؤمن المبادرة إلى الإنفاق قبل مجيء هذا اليوم الهائل، وهذه النتيجة من المفهوم اللا قولي.

ويأتي العدول بالتنكير في آية تالية حيث نكر كلمة(حبة) في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ (البقرة: ٢٦١)، فكان من الممكن أن يقال: (كمثل الحبة التي تنبت سبع سنابل) لكن التنكير هذا

قد حقق الإيجاز والاختصار، والعدول يشعر بالقدرة الإلهية إذ يحول الحبة إلى سنابل سبع، وفي كل سنبلة مئة حبة، ويتحمل تنكير{حبة} معاني أخرى كالتعظيم، أي: كحبة عظيمة النفع موصوفة بما ذكر، إذ ليس كل الحب كذلك[1]، فالمقدمة التي فُهمت من المنطوق الحجاجي أن الصدقة كالحبة الصغيرة التي تنتج سنابل وأضعاف تلك السنابل، والنتيجة التي أُدْركت من المفهوم غير القولي هي أنه لا يستصغر أحد صدقة فهي عظيمة عند الله وتتضاعف مهما كان حجمها، وقد حقق العدول هنا أثره الإقناعي وهو الترغيب في الإنفاق.

وتظهر القيمة التأثيرية للعدول مرة أخرى بتنكير{جنة} في قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، فالعدول هنا عن التعريف؛ إذ كان من الممكن أن يأتي السياق بها معرفة ويقال:(كمثل الجنة التي توجد بربوة) لكن العدول قد أفاد الإيجاز، وأشعر بعظمة تلك الجنة وفخامة ما بها من زروع، وأن هذه الجنة وما فيها غير الجنان المعهودة المعروفة لنا جميعًا.

وكذا العدول بتنكير{ربوة} يوحي بالعموم أي: أي ربوة، فالرُبا جميعًا يشتركن في أنهن خير مكان للزرع والغرس.

وخص ﴿الربوة﴾ دون غيرها من أنواع الأرض وذلك لأن: "أشجار الرُبا يكون أحسن منظرًا وأزكى ثمرًا وأما الأراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الريح"[2].

---

(١) ناصر بن عبد الرحمن بن ناص الخنين، **النظم القرآني في آيات الجهاد**، (الرياض: مكتبة التوبة ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م)، ص. ٤٥٣.

(٢) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١ د. ت)، ج. ١، ص. ٢٥٩، أبو حيان محمد

=

وكذا العدول بتنكير {وابل} في قوله: {أصابها وابل} فكان من الممكن أن تكون: (الوابل) بتعريف الكلمة وقد أشعر هذا التنكير بالتعظيم والتكثير أي: أن هذا الوابل عظيم القطر فخم النفع والأثر وكثير بحيث يهطل فيغمر الربوة غمرًا نافعًا إذ يخرج كل ما غرس فيها بإذن الله.

وقد حقق العدول بالتنكير في الآية غايته الإقناعية؛ إذ أنتج مقدمة حجاجية من المنطوق القولي وهي: أن نفقة المنفق تنمو وتكبر مثل الجنة التي تكون بربوة فيها من كل الثمار وتسقى بالوابل، فهي جنة عظيمة رائعة، والنتيجة هي: ترغيب المتلقي في الإنفاق والتبشير بالجزاء العظيم؛ وقد كان للعدول الدور الكبير الذي يكمن في إقناع المسلمين بالإنفاق وتخيل الجزاء الذي ينتظرهم.

ويتجلى الدور الإقناعي للعدول في قوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، حيث عرف المسند إليه بالضمير(نا) وكان بالإمكان أن يعرف المسند إليه بالعلمية ويكون الكلام هكذا: (مِمَّا أخرج الله لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) لكن التعريف بالإضمار يشعر بعظمة وفخامة الخالق وامتنانه على خلقه، كما يوضح قدرة الله على إخراج كل ما في باطن الأرض من خير، فالتعريف قد أنتج مقدمة حجاجية وهي: أن كل ما عند الإنسان من خير هو ملك لله، والنتيجة: أنه ليس من حق أحد أن يتردد في الإنفاق أو يبخل لأنه لا يملك شيئًا، وقد جعل هذا المتلقي يسلم بضرورة الإنفاق من الكسب الطيب ويقتنع به، وبهذا يكون قد تحقق الأثر الحجاجي للتعريف.

=

بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر ط١، ١٤٢٠ هـ)، ج. ٢، ص. ٦٦٧.

ويتضح الدور الحجاجي للعدول كذلك بالتنكير في قوله: ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢١)؛ حيث نكر(نفقة- صغيرة – كبيرة- واديًا) وقد عدل في الكلمات الأربع ولم يقل: (وَلا يُنْفِقُونَ النَفَقَة الصَغِيرَة وَلا الكَبِيرَة وَلا يَقْطَعُونَ الوَادِي)، وقد أشعر التنكير في الكلمة الأولى والثانية بالتقليل، أي: ينفقون ولو تمرة، وتنكير الكلمة الثالثة يوحي بالتكثير مثلما أنفق عثمان رضي الله عنه، وأما التنكير في الكلمة الرابعة فيشعر بالعموم، فأيًّنما كان الوادي كبيرًا أم صغيرًا سيجازون على قطعه، وأسلوب العدول في الآية قد أنتج مقدمة حجاجية منطوقة في الآية وهي: أنه ما يُنْفَق من نفقة صغيرة أو كبيرة إلا كُتبت لصاحبها، والنتيجة المستشعرة من المفهوم غير القولي للحجاج: أنه ليس لأحد حجة في ترك الإنفاق مهما كان وضعه المالي، وبهذه الطريقة يكون المتلقي قد اقتنع بالفكرة وثبتت في ذهنه.

وتتضح قيمة العدول بتعريف المسند إليه بالموصولية مرة أخرى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)، حيث يوحي هذا التعريف بعظمة هؤلاء المعبر عنهم، وارتفاع قدرهم، وعلو طبقتهم، فهم يستحقون ذلك بسبب ما اتصفوا به من الصفات العظيمة المنطوق بها في الآية، فقد كان من الممكن أن يقول:(إن التالين لكتاب الله والمقيمين للصلاة والمنفقين مما رزقناهم)، لكن العدول بدلالته الحجاجية يحقق هدفه الإقناعي(اتصاف المسلمين بصفة الإنفاق وبعدهم عن صفة البخل)، وفي هذا ترغيب في صفة الإنفاق وتنفير من صفة البخل.

وفي العدول بتنكير{تجارة} عن التعريف ما يشعر بعظمة هذه التجارة وفخامتها، وهذه هي المقدمة التي فُهمت من المنطوق الحجاجي، والنتيجة هي: أنه من يتاجر مع الله بالإنفاق في سبيله سيكون عظيم القدر صاحب المكانة العليا، والمتلقي يهش فرحًا بهذه النتيجة، فيقتنع بالفكرة ويسارع إلى تلك التجارة.

ويتضح من الأمثلة السابقة: أنَّ العدول بالتعريف والتنكير له بعدٌ حجاجيٌّ إقناعيٌّ مهمٌ، وهو ضرب من ضروب البلاغة التي تراعي مقتضيات السياق، وهذا ما

أكده الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة حيث قال:(وأمَّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقيد"[1].

والعدول بأحدهما عن الآخر إنما يكون لبعد حجاجي أو غاية إقناعية.

(١) القزويني، مرجع سابق، ج.١.ص.٨٠.

المبحث الثاني: البيان ودوره الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق:

إن الأسلوب البياني له الأثر الأكبر في إقناع المتلقي بالفكرة وتثبيت المعنى في أذهان السامعين، وهذه السمة الإقناعية يتميز بها فنون التصوير البياني جميعها إلا أنها تتفاوت في درجة التأثير والإقناع.

والتصوير البياني يقوم على التشخيص والتقريب والإيضاح، بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الواحد بطرق مختلفة، مما له الأثر الفاعل في إقناع المتلقي.

ولقد حفل القرآن الكريم بالتصوير البياني بوسائله المختلفة، فالتصوير من الأدوات التي يفضل الأسلوب القرآني استخدامها؛ إذ يلجأ إلى التعبير بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وبالحادث المحسوس والمشهد المنظور عن الأشياء غير المرئية.

ويعد التصوير البياني سندًا قويًا، يقف عليه المنشئ؛ لاستمالة المتلقي والتأثير فيه لما يمتاز به من قدرة على إخراج النص بما يمكن أن يجعله نصًا مكتملًا، لذا نجد أن التوظيفات البيانية لا تفارق النصوص الإبداعية، ويدرك أصحاب النصوص الإبداعية ذات الحجج المؤثرة هذه المنزلة فيعملون على توظيف البيان من خلال التأكيد على أسسه الرصينة الفاعلة.

وبهذا يمكننا القول بأن هناك علاقة وثيقة بين(البيان) و(الحجاج) على أن الأخير يتواشج في جذره بما تتطلبه وتستدعيه أساليب اللغة من جهة، وكذلك قدرة المتعاطي للبيان في توظيف تلك المعطيات اللغوية لخدمة الموقف من جهة أخرى، فالعلاقة متبادلة بين الاثنين لحصد ثمار النجاح وتحقيق الهدف أو الغاية المنشودة القائمة على التأثير في المخاطبين وإقناعهم.

وبهذا فعلى المنشئ مراعاة الأسس البيانية لتحقيق غاياته المنشودة في التأثير وإثبات الحجة.

ومن الفنون البيانية التي برز دورها الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق:

التشبيه:

للتشبيه سمات خاصة ومزايا كثيرة تجعله وسيلة مهمة من وسائل الإقناع، وأداة قوية من أدوات الحجاج البلاغي، كما أن له الأثر العظيم في النفس وذلك عن طريق الإيضاح، يقول صاحب الصناعتين: "التشبيه يزيد المعنى وضوحًا ويكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد عنه"(١).

فالتشبيه عامل من عوامل الإقناع، إذ يساعد على إقناع السامع، وذلك بتقريب المعاني وتجسيدها، والسبب في دخول الأسلوب التشبيهي ضمن تقنيات الحجاج البيانية للنصوص الإبداعية هو خصيصة الإدراك العقلي لهذا الفن، فالمنشئ يعقد بين صورتين، لا لتحقيق الجانب البياني الجمالي فحسب، بل ليعمق المنشئ حججه ويبينها بسياق صوري مؤثر.

فالقرآن الكريم قد استخدم التشبيه كتقنية من تقنيات الحجاج للتأثير في المخاطب وإقناعه، وهذا ما نجده جليًا في آيات الحث على الإنفاق في أكثر من موضع ومنها:

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ﴾ (البقرة: ٢٦١)؛ فقد شبه حَالَ: "إعطاء النفقة ومصادفتهَا موقعها وما أُعْطِيَ من الثواب للمنفقين بحال حبة أنبتت سبع سنابل"(٢)،

(١) أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩ هـ)، ص.٢٤٣.

(١) محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ)، ج.٣، ص. ٤١.

في كل سنبلة مائة حبة، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمحسوس، والوجه بين الطرفين هو صورة شيء صغير يكبر ويتضاعف بدون حد"، وفي ثنايا هذا التمثيل ندب للإنفاق وتحضيض إليه، ودعوة له وتحريض عليه،، فمكمن المحاجة هنا في تضافر الصورتين الحسية والمعنوية، فجاء هذا التمثيل ليقوي أخراهما بأولهما من باب تأكيد المجرد المتصور بالمحسوس المبصر وذلك غاية البيان.

وعلاوة على حجاجية التصوير ففي مدلول هذا التمثيل معنى حجاجي من حيث هو مقارنة موجهة؛ فإن الإنسان لو علم أنه يبذر حبة واحدة فتنبت له مئة سنبلة؛ فإنه سيكون أحرص الناس على ذلك[1]" فكذلك دلالة التمثيل الإقناعية؛ فإنه يوجه المخاطب–عبر مقارنته بين الإنفاق والإنبات – إلى الرغبة في التصدق مقتنعًا بجزائه، مستحضرًا صورة ثوابه، وهو تضاعف الأجور والحسنات كما تتضاعف السنابل والحبات"[2].

وقد أنتج هذا التشبيه مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الآية، وهي أن النفقة الصغيرة وأجرها سيكبر ويتضاعف مثله في ذلك مثل الحبة التي تنبت سبع سنابل، والنتيجة: هي أن النفقة الصغيرة لا تقل أهمية عن النفقة الكبيرة، وبهذا يكون التشبيه قد قدم حجة دامغة على من يرى أن الإنفاق بالشيء الصغير أو القليل لا قيمة له ولا يقبله الله، ومن هنا كان التشبيه وسيلة رائعة لإقناع المخاطبين بالإنفاق التطوعي.

---

(١) ينظر الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ، ج.٧.ص.٤٠.

(٢) عبد الناصر درغوم، "**الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا**"، (مجلة المدونة، المجلد.G. I٧، ع٢، ديسمبر ٢٠٢٠م) ، ص.٦٥١.

ويتضح دور التشبيه وأثره الإقناعي في آية أخرى؛ إذ يقول تعالى في السورة نفسها:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ (البقرة:٢٦٥)، فقد شبه حال النفقة التي تنفق ابتغاءً لمرضات الله وتثبيتًا من النفس ببستان بمنطقة عالية مرتفعة يتوافر له أسباب النمو من وابل أو طل، والتشبيه في الآية قد جزأ القضية الحجاجية إلى عدة أجزاء: "وكل جزء من هذه الأجزاء يدعم هذه القضية، بمعنى آخر ممكن أن نعتبر القضية المطروحة بمثابة النتيجة، وكل جزء هو بمثابة حجة يخدم هذه النتيجة"[(١)]، فجزء المشبه قد أبرز الحالة المراد تقديمها، وهي ضرورة إخلاص النية وصدقها في إنفاق النفقة، وعليه فإن غاية هذه الجزئية الإقناعية هي إعلام المخاطب بعدم قبول النفقة الفاقدة لهذا الشرط، وجزء المشبه به يقدم الصورة العظيمة لهذه النفقة، والتي تبشر بجزاء المنفقين المنتظر، وهو منظر الجنة الجميلة المثمرة الذي لو تخيلها أحد عند إنفاقه لاقتنع بضرورة تحري الإخلاص ورضا الله في إنفاقه، وليس هذا فحسب بل إن التشبيه يقيم الحجة على من يخرج النفقة بغير إخلاص ورغبة في رضى الله– تعالى–، ويجعله يتهيأ لعدم مجازاته على إنفاقه هذا. ومن خلال هذا التوظيف التمثيلي نلحظ جملة مداخل حجاجية؛ تجسدت في تورية المعنى وعدم الإخبار به من جهة التصريح كما في التمثيل بتضاعف السنابل، وإنما أخفي المعنى في تضاعيف السرد المصور بالجنة والوابل، وتركت مهمة اكتشاف المقصود على المتلقي ليكون ذلك أوقع في قلبه، وأبلغ في نفسه، ويزيد ذلك قوة أن تكون الصورة المشيرة

(الممثل بها) أقرب إلى حس المتلقي من الصورة المشار إليها بالتمثيل؛ فإن ذلك يزيد من درجة الاقتناع عند المتلقي لأنه أوثق بما يدركه بحواسه مما يدركه بعقله، ثم لهذا النوع من التمثيل سر آخر في قوة تأثيره، وسلطة تعبيره، وهو الجمع بين المتباينات، والضم للمفترقات، وهو بُعد ما بين صورتي الممثل له، والممثل به، أي: بُعد ما بين

(١) حسين بو بلوطة، **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي، (رسالة ماجستير) إشراف: إسماعيل زردومي، (الجزائر: جامعة الحاج لخضر، ١٤٢٩هـ)، ص.٨١.

صورة الجنة المرتفعة وإصابة الوابل لها، وصورة من ينفق أمواله مخلصًا من قلبه، ثابتًا بها فؤاده، فليس بين الصورتين علاقة مباشرة، لكن عقد المماثلة بينهما في حسن نسق، وبليغ نظم، يجعل منهما صورة واحدة مركبة، تستمد قوتها التأثيرية في جذب انتباه المتلقي، واسترعاء فكره، ليتدبر ما بين الصورتين، ويتأمل ما بين الفكرتين؛ فيتحصل لديه بعد إمهال للفكر، وإعمال للعقل وشائج الصلة بين المختلفات، وعلائق القربي بين المتباينات(١).

فالأسلوب القرآني- كما يبدو في الآيات السابقة- قد أراد إقناع المتلقين بالإنفاق التطوعي لكنه ليس أي إنفاق، وقد حقق ذلك، لما طرحه في الخطاب من حجج أوصلته لمرحلة البرهان، فعمَّق المعنى ورسخه في ذهن المخاطب من خلال تقنية من تقنيات الحجاج البيانية ألا وهو فن التشبيه.

الاستعارة:

أسلوب الاستعارة هو أحد تقنيات الحجاج الإقناعي المهمة والتي تؤثر في المتلقي وتجعله يقبل بالفكرة، بل ويسلم بها، وهو من أهم أساليب بناء الصورة الفنية في الخطاب الأدبي شعرًا كان أم نثرًا، وأهميته تكمن في أنه يمتلك: "جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب"(٢)، وهذا ما نجده في الاستعارات التي توزعت في نص الخطاب القرآني في آيات الحث على الإنفاق، وذلك لأن لهذا الفن التصويري دورًا مهمًا وفاعلًا في إقناع المخاطب؛ إذ بعد تصوير المعاني وتشخيصها يأتي القرار الحاسم الذي يطمئن إليه المخاطب ويلين له قلبه.

ومن ذلك قوله-تعالى-: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ

(١) درغوم ، مرجع سابق ،ص.٦٥٤-٦٥٥.

(٢) الدريدي، **مرجع سابق**، ص.١٢٠.

فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

فقد استخدم الأسلوب القرآني في هذه الآية تقنية الاستعارة في قوله:{آتت أكلها}؛ إذ شبه الجنة بشخص يعطي، ثم حذف المشبه به، وذكر شيئًا من لوازمه وهو(الإيتاء) على سبيل الاستعارة المكنية، فإسناد الإيتاء إلى الجنة تخييل، وقد كانت هذه الاستعارة وسيلة من وسائل الإقناع بالإنفاق التطوعي وحجة على من لا ينفق ابتغاء مرضاة الله، فقد أنتج التصوير مقدمة حجاجية فُهمت من منطوق الآية وهي أن الجنة تعطي وتجود عندما تأخذ حقها من الرعاية والسقيا والاهتمام، بل وتعطي صاحبها ضعفي الثمار المتوقعة، والنتيجة الإقناعية تتمثل في أنه على كل من يأخذ حقه يجب أن يعطي، فالمنفق قد جاد الله عليه، وأكرمه بالخير الذي ينفعه في الدارين، فأقل شيء يفعله أن ينفق من ماله تطوعًا، فحينما ينفق نفقته بنية خالصة لإرضاء الله يأخذ الأجر أضعاف ما أنفق، وهذا التصوير بحجاجيته قد أقنع المتلقي بالإنفاق وأغراه عليه، وفيه إشارة إلى أن كرم وجود المنفق في عطائه ممدوح، فـ"الاستعارة تجعل الحكم الذي تثبته قطعيًا لدى المخاطب، فبفضل خاصية المطابقة يصبح المخاطب في وضع لا يمكنه معه الشك في الحكم الذي تثبته الاستعارة"[(١)].

ونشاهد مرة أخرى تقنية الاستعارة التبعية وهي تعمل في المتلقي عمل السحر في قوله: ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)؛ إذ شبه التجاوز والتغافل عن عيوب الشيء بإغماض العين عما يتفادى المرءُ رؤيته مما يكره ثم استعير المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الإغماض{تغمضوا}بمعنى: تتجاوزوا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وهذا التصوير يعد حجة قوية على من ينفق الخبيث في سبيل الله؛ إذ أنتج نتيجة مقنعة مفهومة من المنطوق الحجاجي وهي أنه لا يرضى أحد لنفسه الخبيث إلا وهو مغمض العينين، والنتيجة المفهومة من المنطوق غير القولي

(١) طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٦م) ، ص ٣١٣

هي أنه لا يجوز لأحد الإنفاق من الخبيث وإعطاءه تطوعًا؛ لأنه لا يرضاه لنفسه إلا إذا كان متغافلًا، فـ" قَوْلُهُ:{ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}، جُمْلَةٌ حالية من ضمير تُنفقونَ...وجملة الحال تعليلًا لنهيهم عنِ الإنفاق من المال الخبيث شرعًا بقياس الإنفاق منه على اكتسابهِ قياس مساواةٍ، أي كما تكرهون كسبه كذلك ينبغي أن تكرهوا إعطاءه. وكأن كراهية كسبه كانت معلومة لديهم مُتَقَرَّرَةً في نفوسهم، ولذلك وقع القياس عليها"[1]، وهذا القياس الحجاجي كان وسيلة إقناعية للمخاطب بقبح هذا النوع من الإنفاق وتنفيرًا من حاله.

ويلعب التصوير الاستعاري دورًا مهمًا في إقناع المخاطبين بالحجة بالإنفاق التطوعي كذلك في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)، فقد شبه الإيمان المتمثل: في تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله بالتجارة، في أن كل منهما يترتب عليه كسب، ثم استعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، والاستعارة مرشحة؛ إذ ذكر فيها ما يلائم المستعار منه(التجارة)، وهو قوله:{لن تبور}، فالبوار يناسب التجارة، وقد كان هذا التصوير عاملًا من عوامل الإقناع بالإنفاق في الآية الكريمة؛ إذ أنتج مقدمة إقناعية: وهي أن المنفق تطوعًا من الذين يتاجرون مع الله تجارة رابحة، والنتيجة: هي أنه ينبغي على كل منفق أن لا يخشى على إنفاقه فهو مأجور به مكافأ عليه، وهذه حجة قوية على من لم يبادر بالإنفاق بعد أن سمع هذه الآية وعرف أن هذه التجارة رابحة قطعًا وغير قابلة للخسارة أبدًا.

وفي الآيات السابقة وغيرها من آيات النظم الكريم توظيف دقيق لهذا النوع المجازي (الاستعارة) الذي يمتلك قابلية تأثير قوية وفاعلة في المتلقي، فللمجاز عمومًا: "دور كبير في الحجاج والإقناع لأنه من جهة أولى: يؤدي وظيفة استدلالية، ويتوجه إلى عقل المخاطب، ومن جهة ثانية: يؤدي وظيفة نفسية، ويستهدف التأثير في

(١) ابن عاشور، **مرجع سابق**، ج.٣، ص. ٥٧ بتصرف.

نفسية المخاطب"[1].

وعن قيمة المجاز الحجاجية يقول مايير: "المجاز يخلق المعنى، ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صورة من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب"[2].

والاستعارة كما نرى في الآيات السابقة قد حققت دورًا إقناعيًا مهمًا في نفس المتلقي.

الكناية:

أسلوب الكناية من الأساليب التي تعطي للنص معنيين أحدهما قريب غير مقصود، وقد يكون مقصودًا أيضًا، وآخر يختفي خلف النص، وهو الذي يسعى إليه مُنشئ النص؛ لما له من تأثير قوي في المتلقي، ولما يمتلكه من مهارة فنية هي مانحة للنص سمة جمالية تكون ذات تأثير حجاجي يسعى إليه الخطيب لتحقيق الإقناع؛ أو الاستمالة أو المشاركة أو التغيير، فالكناية هي نمط من أنماط الإقناع ولون من ألوانه، وترجع حجاجية الكناية إلى ما فيها من تأمل، وانتقال من وسيط إلى وسيط، ومن معنى إلى معنى، لربط المعنى الكنائي بالمعنى الأصلي، وهذا يرسخ الفكرة، وبالتالي يقنع بها.

ومن التراكيب التي جاءت فيها الكناية بتأثيرها الحجاجي لاعبةً دورًا مهمًا في إقناع المخاطبين بالحكم في آيات الحث على الإنفاق التطوعي:

قوله تعالى: ﴿ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥٤)، فـ" انتفاء البيع والخلة والشفَاعة كناية عن تعذر التدارك للفائت، لأن المرء يحصل ما يعوزه بطُرق هي المعاوضة المعبر عنها بالبيع، والارتفاق من الغير وذلك بسبب الخلة، أو بسبب توسط الواسطة إلى مَنْ ليس بخليل"[3].

وقد لعبت الكناية دورًا مهمًا في إقناع المخاطب بضرورة الإنفاق قبل مجيء هذا

---

(١) حسن المودن، **حجاجية المجاز والاستعارة**، (بدون طبعة)، ج. ٢ ص.٤٤٧.

(٢) عبد الجليل عشراوي، **الحجاج في الخطابة النبوية**، (بيروت: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م)، ص. ١٥٤،١٥٥.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ج. ٣ ص. ١٤.

اليوم؛ إذ أنتجت مقدمة حجاجية، وهي أن يوم الحساب لا ينفع فيه بيع ولا خلة ولا شفاعة، والنتيجة هي ضرورة المسارعة إلى الإنفاق التطوعي قبل مجيء هذا اليوم، فالبخيل برزق الله لا ينفعه في هذا اليوم بيع ولا خلة ولا شفاعة.

ويطالعنا الأسلوب القرآني بتقنية الكناية مرة أخرى في قوله: ﴿الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤). فقوله: {يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً}، كناية عن استمرار المنفق في إنفاقه وانشغاله به دومًا لعلمه بقيمة هذا الإنفاق عند ربه والأجر الذي ينتظره، وآزر هذا المعنى التعبير بالفعل المضارع{ينفقون}.

وقوله: {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} كناية عن الأمن والسعادة اللذين هما جزاء المنفق.

فالمقدمة الإقناعية التي فُهمت من منطوق الآية الحجاجي هي: أن الذي يستمر في الإنفاق التطوعي له أجره عند ربه، وأنه لا يصيبه الخوف ولا الحزن في الدنيا أو الآخرة، والنتيجة هي من لا ينفق يجب عليه أن ينفق لينال الجزاء نفسه، فقد ساهمت الكناية في الآية بشكل واضح في إقناع المتلقي بالإنفاق؛ إذ وضحت أن هذا الإنفاق سيكون سببًا في سعادته في الدارين، ومن الذكاء أن يستغل هذه الفرصة ويستفيد من هذا السبب، كما أن هذه الكناية بمثابة الحجة الدامغة على من لم يأخذ بذلك السبب.

وتأتي الكناية بتأثيرها الإقناعي الفاعل في وجدان المتلقي كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢١)، فقوله:{إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} كناية عن أن وصول الثواب للمنفقين أمر مؤكد حتمي بصرف النظر عن نفقتهم صغيرة كانت أو كبيرة، وهذه هي النتيجة المرجوة، أما المقدمة المفهومة من المنطوق القولي الحجاجي للآية فهي أن كل ما يقدمه المسلم من خير سيُكتب له ولا يضيع أجره، والقضية الحجاجية التي أنتجتها الكناية مقدمة ونتيجة جعلت المتلقي يقتنع بالإنفاق بل يقبل عليه وينصح غيره به، وتضفي هذه الكناية جوًا من الطمأنينة وتزيل قلق المنفق الذي يظن أن نفقته صغيرة قليلة لا قيمة لها، كما أن الكناية تقيم الحجة على من يستطيع الإنفاق ولا ينفق بخلًا منه.

وفي الآيات السابقة لاحظنا أن الكناية لا تقل في دورها الإقناعي الحجاجي عن الأساليب البيانية الأخرى، بل تثبت المعنى بطريق أميز، يقول الإمام عبد القاهر: "أما(الكنايةُ): فإنَّ السببَ في أنْ كانَ للإثباتِ بها مزيةٌ لا تكونُ للتَّصريح، أنَّ كلَّ عاقلٍ يَعْلمُ إذا رجعَ إلى نفسهِ، أَنَّ إثباتَ الصفةِ بإثباتِ دَليلِها، وإيجابَها بما هُو شاهِدٌ في وجودِها، آكدُ وأبلغُ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذَجاً غُفْلاً. وذلك أنَّكَ لا تدَّعي شاهدَ الصفةِ ودليلهَا إلاَّ والأَمرُ ظاهرٌ معروفٌ، بحيثُ لا يُشَكُّ فيه، ولاَ يُظَنُّ بالمخْبر التجوُّزُ والغَلَطُ"(١).

ويلاحظ أن الأسلوب القرآني قد جاء في كل ما سبق من صور بيانية بدقة التصوير، وقوة الاستدلال، وصدق كل ما اشتمل عليه من مقدمات ونتائج في أحكام العقل.

(١) الجرجاني، **مرجع سابق**، ص.٧٢.

المبحث الثالث: المحسنات البديعية ودورها الإقناعي في آيات الحث على الإنفاق التطوعي:

إن المحسنات البديعية: "تشكل نظامًا أسلوبيًا في طبيعة الكلام يقوم على معيار الوظيفة لا القاعدة وحدها، على كيفية أداء المعنى وصياغته، لا على الأنساق الشكلية فقط، ولذلك فإن الاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخالصة فحسب، بل تحكمها كذلك محددات المقام، ونعني بها الخصائص التي تحدد الظرف الاجتماعي المادي الذي سيق في إطاره الكلام، سواء أكان منطوقًا أم مكتوبًا"(١).

وفي تناولي للمحسنات البديعية في آيات الإنفاق التطوعي؛ سأتجاوز الرؤية المعيارية التي تنظر إلى قواعد اللغة بوصفها قوانين ينبغي احترامها ومراعاتها لضمان انضباط اللغة وصحة التواصل، إلى رؤية إبداعية لكشف أسرار الخطاب أو بالأحرى الأسرار الجمالية الكامنة وراء ظواهره الأسلوبية.

فالمحسنات البديعية مشحونة بطاقة تأثيرية ومرهونة بوظيفة حجاجية، لا سيما في جنس الخطاب الذي يروم التأثير والإقناع والتوجيه، فكما أن المحسنات البديعية لها دور دلالي مهم له قيمته، كذلك لها دور كبير لا يقل أهمية في التأثير والتوجيه والإقناع.

وتأتي المحسنات البديعية في آيات الحث على الإنفاق التطوعي لإقامة الحجة والإقناع والتأثير على المتلقي بفنيات مختلفة؛ إذ الحجاج بالبديع يسعى إلى الإفهام والتبيين من جهة وتقوية الأسلوب من جهة أخرى، مما يعطي ديناميكية خاصة للتعبير، كما يسعى إلى الإبلاغ والتبليغ، ويساهم البديع كذلك بالحجاج "في الإحاطة بالمفهوم وإيداع تصديقات تخيلية آتية للنهوض بالحجة، ويجعل القارئ يتعمق في تلك

(١) سعد مصلوح، "**الدراسة الإحصائية للأسلوب**" عالم الفكر، (G.I، ع. ٣، مايو ١٩٨٩م)، ص.١١٥.

الألفاظ المتوازية وتلك الحقيقة والقيمة الوظيفية"[١].

وتتمثل كذلك حجاجية البديع: "في أنه يقوم على صورة ذهنية خارقة تسحر المتأمل، وتدعو إلى عرض الرأي، وتنظيم الكلام، وإدراك القيمة الفنية، وتأليفه على وضع الاتساق وتساوي الأقسام"[٢]، كما "يدعو البديع إلى تحريك مشاعر المتلقي ويؤدي به إلى تثقيف الذوق وجلب الأنس للسامع وإمتاع الإحساس"[٣]، ومن الفنون البديعية التي أدت دورًا إقناعيًا في آيات الحث على الإنفاق التطوعي:

الطباق:

الطباق من الفنون البديعية القادرة على إبراز الأفكار والعواطف بضدها وتجسيد التناقض بينهما، ويساهم في توضيح الصورة للمتلقي، ويقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني ويميز الألفاظ المتشابكة مما يجعل المتلقي يميل ويصغي إلى الكلام المتطابق.

وتكمن وظيفة الطباق الإقناعية في توضيح المعنى حيث يدعم المعنى بقوة الوضوح "ويجعل الدلالة واضحة مقنعة، فالطباق وسيلة حجاجية، يوضح وقوع المعنى في ذهن السامع موقعًا يجعله يقتنع، ويتحقق هذا حين يجمع الطباق بين معنيين متقابلين"[٤]؛ إذ إن للمقابلة قوتها الحجاجية التي تجعل المتلقي على درجة كبيرة من الاقتناع؛ لأن المقابلة تقيم له ما يقابل ذلك الكلام، وهذا مستوى حجاجي تقيمه البلاغة في بديعها.

ومن آيات الإنفاق التطوعي التي ظهر فيها أثر الطباق الإقناعي قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا

(١) سعيد العوادي، **البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين**، (المغرب: كنوز المعرفة ط ١، ٢٠١٤م)، ص٣٣٢.

(٢) حميد آدم ثويني، **البلاغة العربية المفهوم والتطبيق**، (الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٤م)، ص. ١٣٩.

(٣) حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومه ومجالاته: نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٠م)، ج. ١، ص.١٢٨.

(٤) القزويني، **مرجع سابق**، ص. ٢٥٥.

تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ (البقرة. ٢٦٧)، ويتضح الدور الإقناعي الحجاجي للطباق في الآية؛ حيث طابق بين قوله{طيبات} وقوله{الخبيث}، وهذا الطباق يوقف المتلقي على الفرق الشديد بين المال الطيب والخبيث والهوة البعيدة بينهما، والطباق بالفرق الذي أوضحه بين الطيب والخبيث قد أنتج مقدمة حجاجية قد فُهمت من المنطوق غير القولي، وهي: أن الله قد مَنَّ عليكم بأنواع متعددة من الطيبات ولديكم قليل من الخبيث، أما النتيجة فقد استشفت من منطوق الآية: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، وهي: لا ينبغي لأحد منكم أن ينفق من الخبيث ويستأثر بالطيب لنفسه، وبالمقدمة والنتيجة اللتين أنتجهما الطباق يكون قد أدى وظيفته الإقناعية، إذ نبَّه على سوء فعل هؤلاء المنفقين من مالهم الخبيث.

وتكاتف مع الطباق في تحقيق الغاية الإقناعية للآية التعبير بالجمع في جانب (الطيبات)، والتعبير بالمفرد في جانب (الخبيث)؛ وذلك لأن مصادر الطيبات متعددة، كما أن في هذا التعبير تذكير بفضل اللهﷻ عليهم فقد أعطاهم الكثير من الطيبات، أما الخبيث فقليل ومصدره واحد، مما يخرجهم من حالهم ويخجلهم من سوء صنيعهم، فلعلهم يسارعون إلى الإنفاق من الطيب ويبتعدون عن الإنفاق من الخبيث

ويحقق الطباق كذلك غايته الإقناعية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ (التوبة: ١٢١)، حيث إنه طابق بين قوله:{صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً}، وهذا الطباق قد أبرز المعنى وأوضحه، وأقنع المتلقي بأن الشيء الذي يبذل لوجهه تعالى سيقبله الله سواء أكان هذا الشيء كبيرًا أم صغيرًا، فعلى المسلم فقط أن ينفق وعلى الله القبول، فقد أتى الطباق بحجة على من يدعي أنه لا يملك المال الكثير لينفق نفقة كبيرة، وكأن هذا الطباق قد قطع الطريق على من يتعلل بفقر أو غيره.

ويأتي الطباق بوظيفته الإقناعية وتأثيره الحجاجي أيضًا في قوله تعالى:﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (الرعد: ٢٢)، حيث طابق بين قوله:{سرًا}وقوله:{علانية}، والطباق قد أبرز المعنى وأوضحه، وهو الفرق بين الإنفاق في السر والإنفاق في العلن، وقد أثر هذا الطباق في المتلقي تأثيرًا إقناعيًا؛ إذ أنتج مقدمة وهي: أن الإنفاق الدائم المستمر في كل وقت ومكان من الصفات التي

تجعل لصاحبها الجزاء الكبير، ثم جاءت النتيجة المتمثلة في ختام الآية:{أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}، فقد أوضحت النتيجة أجر الإنفاق الدائم للمتلقي ترغيبًا له في الإنفاق وتحفيزًا عليه.

ويحقق الطباق الإقناع مرة أخرى في قوله: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر:٢٩) فبين قوله: {سرًا} و{علانية} طباق أسهم في وضوح المعنى وجلائه، وهو رغبة الله ﷻ في دوام هؤلاء المنفقين على إنفاقهم وثباتهم على تلك الصفة، وقد يظن ظانٍ أنه قد أعيد هذا المعنى بمعناه ولفظه، لكن المتأمل يدرك أن المقام مختلف، فالمقام في سورة الرعد كان يتحدث عن الصفات التي تجعل لصاحبها عُقْبَى الدار(الجنة) أما هنا فإن الآية تتحدث عن أنواع التجارة مع الله، وفيه تأكيد على حسن هذه الصفة (دوام الإنفاق واستمراره)، وفي تقديم {السر} إشارة إلى أنه أفضل لانقطاع شائبة الرياء منه، وذكر {العلانية} للإشارة إلى أنهم لا يصدهم مرأى المشركين عن الإنفاق(١).

وقد تحقق الإقناع للمتلقي من خلال الطباق في الآية؛ إذ قدم الطباق نتيجة تتضمن الترغيب في الإنفاق وهي أن الإنفاق في السر والعلن تجارة مع الله لا تخسر أبدًا، ولهذا المحفز الأثر الإقناعي في نفس المخاطب.

وهكذا نرى أن النص القرآني قد استحضر الفكرة التي أرادها من خلال كلمتين بينهما تضاد ليقنع المخاطب، وليس هذا فحسب بل يحببه فيه ويرغبه.

والقصد الذي أراده النظم الكريم من استدعاء الفكرة عن طريق الطباق في آيات الحث على الإنفاق التطوعي هو استجلاب أسماع المخاطبين لقبول فكرة الإنفاق التطوعي وتحقيق مراده بواسطة الثنائيات المتضادة في النص مما يسهم في إثارة الذهن للتفكير في كلامه أ.

(١) ابن عاشور، **مرجع سابق**، ج. ٢٢ ص. ٣٠٧.

المقابلة:

"المقابلة وجه من وجوه البلاغة البرهانية البديعية التي تدعم طاقة القول الحجاجية، وتزيد في قدرته الإقناعية، ومن هنا تعد المقابلة من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير، فهي تستميل وتؤثر بجمال استعمالها وقوة علاقتها التقابلية على المتلقي"(١).

وتبرز قيمتها الإقناعية في اقتضاء المعنى لها حيث يورد المتلقي معنى ثم يؤتي بما ينافيه؛ ليحبب المتلقي فيه أو ينفره منه وذلك يسهم في إيضاح المعاني وتمييزها، والمقابلة من المحسنات المعنوية وهي جزء من بلاغة الأسلوب يستدعيها المعنى عندما يرى المتلقي أن معانيه بحاجة إلى مزيد قوة ووضوح، أو إلى إبراز فيصوغها في صور متقابلة وألفاظ متضادة؛ لتكون أبلغ أثرًا في نفس المتلقي.

ومن المقابلات التي كان لها دورٌ تأثيريٌّ في نفس المتلقي وإقناعه بالإنفاق التطوعي قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (البقرة: ٢٧٤)، فقد قابل النظم الكريم الليل والنهار بالسر والعلانية، وتتزاحم الألوان البديعية على الآية إذ نلاحظ الطباق كذلك فقد طابق بين الليل والنهار، والسر والعلانية، وسواء أكان اللون البديعي مقابلة أو طباقًا فإنه قد حقق الأثر الإقناعي المراد وهو تصوير هؤلاء المنفقين في أعلى رتبة، وأبرز تميز هؤلاء المنفقين على غيرهم إذ إنهم كانوا ينفقون إنفاقًا خاصًا وهو بالليل والنهار والسر والعلن، وهذا التأويل للتقابل والذي يتبادر إلى ذهن المتلقي يحقق المقصد والمضامين التي صيغ من أجلها الكلام؛ فيساهم في حصول الهدف المرجو من القول وهو الإقناع بالإنفاق والترغيب فيه، والحث عليه، وتوجيه سلوك المتلقي إلى مخالفة الهوى(البخل)، وعدم الانقياد له فيقبل على الإنفاق التطوعي فيأخذ أجره كاملًا.

---

(١) عباس حشاني، **خطاب الحجاج والتداولية: دراسة في نتاج ابن باديس الأديب**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م)، ص٣٠٠.

وقد جاء كل من الطباق والمقابلة فيما سبق عفويًا خادمًا للمعنى موضحًا للأفكار، مناسبًا لشعور المتلقي، فهذه الثنائيات جاءت على شكل المزاوجة بين الأضداد لتدعيم الطرح، ويمكن أن تعد كل ثنائية بمثابة وسيلة إقناعية تنتج قيمًا صوتية دالة، توجه انتباه المتلقي نحو التضاد الوارد في مساحات قصيرة من النص.

الجمع:

الجمع من المحسنات البديعية التي لها دور كبير في الإقناع بالفكرة والأثر الأقوى في تثبيتها في الأذهان، وتكمن حجاجية الجمع في اقتضاء المعنى له، كما أنه يقدم النتيجة للمتلقي في أوجز لفظ، وأعمق معنى، ومن هنا أُعْتُبِر الجمع من أهم الوسائل البلاغية للحجاج للاستمالة والتأثير.

ومن آيات الإنفاق التي جاء فيها الجمع ليحقق دورًا إقناعيًا مؤثرًا قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢)، فقد جمع بين أربعة أصناف يمتازون عن غيرهم بصفات طيبة:(الصبر، والصلاة، والإنفاق، ودرء الحسنة بالسيئة)، في جزء واحد وهو أنهم لهم جميعًا عقبى الدار، وكان لجمع المنفقين مع أصحاب الصفات السابقة في الجزاء الأثر الأكبر في إقناع المتلقي بالإنفاق التطوعي وترغيبه فيه؛ فالمتلقي حينما يعلم بأن جزاءه مثل هؤلاء السابق ذكرهم، وأنه سيجمع معهم في مكانة واحدة فلا بد أنه يسارع إلى الإنفاق، ويقبل عليه، ويبحث عن طرقه، ولم يكن الجمع سببًا في علم المخاطب بجزائه فقط، بل علم من خلاله أيضًا منزلته، وهي المنزلة الرفيعة، فمنزلة المنفق جاءت في الآية مقترنة بمنزلة المقيم للصلاة، والإنفاق من "أهم الأعمال؛ لأن بذل المال يشق على النفوس فكان له من الأهمية ما جعله تاليًا للصلاة"[(١)].

وقال ﷻ{سرًا وعلانية}:"إشارة إلى الحث على استواء الحالتين تنبيهًا على

(١) ابن عاشور، **مرجع سابق**،ج. ١٣، ص ص. ١٢٨، ١٢٩، أبو حيان، ج. ٦، ص ص.٣٨٠، ٣٨١.

الإخلاص، ويجوز أن يكون المراد بالسر ما ينبغي فيه الإسرار كالنوافل، وبالعلانية ما يندب إلى إظهاره كالواجب إلا أن يمنع مانع"[1].

ويقوم الجمع بدوره الإقناعي في موضع آخر من آيات الإنفاق في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩). ففي هذه الآية قد جمع الخطاب القرآني بين التالين لكتاب الله والمقيمين للصلاة والمنفقين سرًا وعلانية في أن كلًا منهم يرجو تجارة رابحة ولن تخسر أبدًا، وهذا الجمع يمثل حجة قوية على من يعتقد أو حتى يظن أنه لو أنفق من ماله سيخسر وينقص ماله، وبهذه الحجة قد اقتنع المخاطب بضرورة الإنفاق وأهميته.

التقسيم:

للتقسيم بوصفه البديعي دور إقناعي مهم، وتأثير حجاجي فاعل في المتلقي؛ إذ إنه يساعد في تثبيت المعنى ويبعد عن المتلقي الملل، كما يساهم في تغيير الرؤية المجسدة للمعنى في الذهن.

وتكمن حجاجية التقسيم في أنه يشعر المتلقي بحركية تسود النص توحي بمدى تمكن المنشئ، وتكشف عن قدراته اللغوية والخطابية.

ومن آيات الإنفاق التي ورد فيها التقسيم محققًا فيها بعدًا إقناعيًا مهمًا قوله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة: ٢٥٤)، فقد قسَّم النظم القرآني الأشياء التي تنفع في الدنيا ولا يمكن أن تنفع في يوم الحساب(يوم القيامة)إلى: البيع والخلة والشفاعة، وقد أشعر التقسيم في الآية بعدم النجاة في هذا اليوم بشيء منها، وهذا أدعى للإقناع بأهمية الإنفاق قبل مجيء ذلك اليوم العصيب، وتتمثل حجاجية التقسيم هنا في أنه قد ذكر أمام المتلقي الأشياء التي يتوقع منها أن تكون أسبابًا للنجاة ومع ذلك فإنها لا تنفعه في الآخرة، وفي هذا إقامة للحجة على المتلقي الذي لم يستجب لهذا الأمر(الإنفاق قبل مجيء اليوم الموعود).

وفي كل ما سبق نلاحظ أن المحسنات البديعية قد جاءت محققة لغايتها

(١) برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م)، ج. ٤، ص ص. ١٤٤، ١٤٥.

الإقناعية وبعدها الدلالي الحجاجي فـ"إن الناحية الدلالية تتلبس بعملية الكشف البديعي وإن تجلت في مظاهر صوتية وإيقاعية". فـ"مباحث البديع تعتمد في الأعم الأغلب على وجود علاقة ما، صوتية أو تركيبية أو دلالية بين وحدات النص...

والدلالة لا تتحسن إلا حين تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له[1]، فبهذه الطريقة تحسن دلالة الكلام على معناه، وتكون كاشفة للمرادات والمقاصد، وما لم يكن الكلام دالًا على معناه فإنه يكون بلا فائدة، بعيدًا عن الفصاحة والبلاغة والبيان.

من أجل ذلك نبه كثير من البلاغيين في البديع بالذات إلى العناية بأداء المعنى على أتم وجه وأن يكون اللفظ مؤديًا للمعنى موافقًا للغرض المقصود فمعاني البلاغة لا تأتي على درجة واحدة بل تتفاوت حسب الغرض الذي توجه إليه.

والمحسنات البديعية برغم مشاركتها للبحث البلاغي في طابع الثنائية إلا أن لها ميزة خاصة تجعل لها وظائف دلالية عميقة لها حضور بارز في بحوثها المختلفة كميزة التكرار الدلالي الذي تنفجر منه كل الأشكال البديعية تقريبًا، كما أن البديع يثري المعنى ويزيده افتنانًا ويعمق أبعاده، ويكون مؤسسًا للمعاني، فهو الطريق لبناء الدلالات الرحبة وإيجادها.

(١) مسعود بودوخة، **عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١١م)، ص.١٢٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

لقد انتهيتُ بفضل الله من هذه الدراسة، وقد أفضتْ هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

١) تجلت سمات وخصائص الإقناع القرآني وبرز دوره التأثيري من خلال آيات الحث على الإنفاق التطوعي.

٢) أظهرتْ الدراسة أن الخطاب الإقناعي لا ينفصل عن البلاغة العربية، وأنه يرتبط بها ارتباطًا وثيقًا، وأنها آلية من آلياته المهمة.

٣) كان للوسائل الإقناعية دورها المهم في تثبيت المعنى والإقناع به في آيات الإنفاق التطوعي.

٤) وظفت آليات الحجاج ووسائل الإقناع توظيفًا دقيقًا للتأثير في المتلقي وإقناعه بالإنفاق التطوعي من خلال الآيات محل الدراسة.

٥) من أهم التراكيب البنائية التي اعتمد عليها النظم الكريم في التأثير على المخاطبين في آيات الإنفاق التطوعي: الموجهات التعبيرية، وأبرزها الأمر والنداء؛ فمن شأنهما تنشيط الوظيفة التنبيهية لدى المتلقي.

٦) التصوير في آيات الإنفاق التطوعي كان إقناعيًا يفي بفكرة المزج بين الجمالي والمحاجج.

٧) كانت المحسنات البديعية وسيلة إقناعية مؤثرة في المخاطب جعلته يسارع إلى الإنفاق التطوعي.

أهم التوصيات:

١) ربط القديم بالحديث بحيث يستفيد البحث البلاغي العربي من معطيات البحث الغربي المعاصر مع الحفاظ على أصالته.

٢) التركيز على الدراسات الحجاجية التي تعتمد على الآليات البلاغية، وعدم المبالغة في ربط الحجاج بأبعاده المنطقية والاستدلالية، التي تنحو به إلى المغالطات والجدل العقيم.

٣) إدراج مقرر دراسي جامعي في الجامعات العربية يدرس الطلاب من خلاله ما يتعلق بالحجاج وأبعاده المختلفة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادروالمراجع:

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع:

ابن الأثير، ضياء الدين. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تقديم د. أحمد الحوفي، و.د.ب دوي طبانة. القاهرة: دار نهضة مصر، ط١، ١٩٦٠م).

البقاعي، برهان الدين. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

بو بلوطة، حسين. **الحجاج في الإمتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي (رسالة ماجستير) إشراف: إسماعيل زردومي (الجزائر: جامعة الحاج لخضر، ١٤٢٩هـ).

بيومي، بسمة محمد. "**الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم: سورة البقرة نموذجًا** مجلة كلية الآداب — جامعة بور سعيد (G.I، ع. ٦، يوليو ٢٠١٥م)

ثويني، حميد آدم. **البلاغة العربية المفهوم والتطبيق**. الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٤م.

جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تقديم وتعليق: خليل مأمون شيحا (بيروت، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م).

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **التعريفات**، تحقيق ابراهيم الأنباري. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

حسان، الباهي. **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠٠٤م.

حسان، تمام. **البيان في روائع القرآن**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م.

حشاني، عباس. **خطاب الحجاج والتداولية:** دراسة في نتاج ابن باديس الأديب. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٤م.

حشاني، عباس."**مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته**". **مجلة المخبر**، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري (I.G، ع.٩، أبريل ٢٠١٣ م).

الخنين، ناصر بن عبد الرحمن بن ناص. **النظم القرآني في آيات الجهاد**. الرياض: مكتبة التوبة ط ١، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م.

درغوم، عبد الناصر."**الحجاج بالتمثيل في القرآن الكريم: سورة البقرة أنموذجًا**".مجلة المدونة، المجلد ٧ ع٢، ديسنبر ٢٠٢٠ م.

الدريدي، سامية. **الحجاج في الشعر العربي القديم**. الأردن: دار عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م.

بو دوخة، مسعود. **عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية**. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١١م.

الرازي، الفخر. T. لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

أبو الزهراء، **دروس الحجاج الفلسفي**. مجلة الشبكة التربوية الشاملة فيلومرتيل الإلكترونية، ط١، ٢٠٠٨م.

السعدني، مصطفى. **العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت.

أبو السعود، بن محمد بن مصطفى. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١ د. ت.

صولة، عبد الله. **الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج**، الخطابة الجديدة لبرلمان وتتيكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود. تونس: المطبعة الرسمية، د ت.

صولة، عبد الله، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية**، (لبنان: دار الفارابي، ٢٠٠١م ١٤٢٢هـ.

الطلبة، الأمين. **الحجاج في البلاغة المعاصرة**. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢٠٠٨،١م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر،١٩٨٤م.

عبد الرحمن، طه. **اللسان والميزان**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٦م.

العبد، محمد." **النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع**" مجلة فصول- الهيئة المصرية العامة للكتاب (I.G، ع. ٦٠، أكتوبر ٢٠٠٢م)

العسكري، أبو هلال. **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩ هـ.

عشراوي، عبد الجليل. **الحجاج في الخطابة النبوية**. بيروت: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.

علوي، حافظ إسماعيل. **الحجاج مفهومه ومجالاته**: نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٠م.

العلوي، يحيى بن حمزة. **الطراز**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية، ط ١ ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

العوادي، سعيد. **البديع في الخطاب الشعري من التحسين إلى التكوين**. (المغرب: كنوز المعرفة ط ١، ٢٠١٤م.

فضل، صلاح. **بلاغة الخطاب وعلم النص**. القاهرة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢م.

القزويني، الخطيب. **الإيضاح في علوم البلاغة**. شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ٦، ١٩٨٥ م.

قلقيلة، عبد العزيز. **البلاغة الاصطلاحية**. القاهرة: مكتبة لسان العرب، ٢٠١٨م.

مصلوح، سعد." **الدراسة الإحصائية للأسلوب**" عالم الفكر (I.G، ع. ٣، مايو ١٩٨٩م.

ابن منظور. **لسان العرب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩م.

المودن، حسن. **حجاجية المجاز والاستعارة**. بدون طبعة.

نحلة، محمود أحمد. **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، القاهرة: دار المعرفة الجامعية ط١، ٢٠٠٠م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

فييروبول، أولي. **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي**، ترجمة /محمد العمري، ديسمبر ١٩٩٦.

Bibliography

First: Al-Qurʾān Al-Karīm.

ʿAbd al-Raḥmān, Ṭaha. Al-Lisān wa al-Mizān. Cassablanca: Al-Markaz al-Thaqāfī Al-ʿArabī, 2nd ed., 2006.

Abu Al-Saʿūd, bin Muḥammad bin Muṣṭafa (d. 982 AH) ʾIrshād Al-ʿaql Al-Salīm ʾIlā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm. Beirut: Dār ʾIḥyāʾ Al-turāth Al-ʿarabī, 1st ed., .

Abu Al-Zahrā, Durūs Al-Hijāj Al-Falsafī, Electronic Journal of the Comprehensive Educational Network Filomartel, 1st ed., 2008.

Al-Duraidī, Samiyā. Al-ḥijāj fī Al-Shʿer Al-ʿArabī Al-Qadīm. Jordan: Dār ʿĀlam Al-kutub Al-ḥadīth, 2008.

Al- ʿAlawī, Saʿīd. Al-Badīʿ fī Al-khitāb Ash-shiʿerī Min At-taḥsīn Ila At-takwīn (Al-Maghrib: kunūz Almaʿrifa, Ṭa 1, 2014 AD

Al- ʿAlawī, Yaḥya bin Ḥamza. Al-Ṭirāz, Investigated by: Dr. ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī. Beirut: Al-Maktabat Al-ʿUnṣuriah, 1st ed., 1423AH – 2002.

Al-ʿAbd, Muḥammad. "The Arabic argumentative text: a study of the means of persuasion" (in Arabic), Fuṣūl journal - Egyptian General Book Authority (G.I, issue. 60, October 2002)

Al-ʿAskarī, Abu Hilāl. Al-Ṣināʿtayn, Investigated by: ʿAlī Muḥammad Al-Bajāwī and Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm. Beirut: Al-Maktabat Al-ʿunṣuriah, 1419 AH.

ʿAlawī, Ḥāfiẓ Ismāʿīl. Argument its concept and its fields: theory and application in the new rhetoric. (in Arabic). Jordan: ʿĀlam Alkutub Al-ḥadīth, 1st ed., 2010.

Al-Biqāʿī, Burhān Al-Dīn. "Naẓm Al-Durar fī Tanāsub Al-Āyāt wa al-Suwar". Beirut: Dār Alkutub Alʿilmiah, 1st ed., 1415AH – 1995.

Al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāḥir (died 471AH). "Dalāʾil Al-Iʿjāz". revised and commented by: Maḥmoūd Muḥammad Shākir. Cairo: Alhayʾah Almiṣriah Alʿamah lil-kitāb, 2000.

Al-Jurjānī, ʿAlī bin Muḥammad bin ʿAlī. Al-Taʿrifāt, Investigated by: Ibrāhīm Al-Anbārī. Beirut: Dār Alkitāb Al-ʿArabī, 1st ed., 1405 AH.

Al-Khanin, Nāṣir bin ʿAbd al-Raḥmān bin Naṣ. Al-Naẓm Al-Qurʾānī fī Āyāt Al-Jihād. Riyadh: Maktabat Al-Tawbah 1st ed., 1416 AH - 1996.

Al-Mūden, Ḥasan. "Ḥijājiyat Al-Majāz wa al-Istiʿārah".

Al-Qazwīnī, Al-Khatīb. "Al-ʾIdāḥ fī ʿUlūm Al-Balāgha". Commentary by: Dr. Muḥammad ʿAbd al-Munʿim Khafāgy. Beirut: Dār Al-Kitāb Lebanon, 6th ed., 1985.

Al-Rāzī, Al-Fakhr. "Mafātiḥ Al-Ghaib". Lebanon: Dār Ihyāʾ Al-Turāth Al-ʿarabī, 1420 AH).

ʿAshrāwī, ʿAbd al-Jalīl. "Al-Ḥījāj fī Alkhitabah Al-Nabawiyyah". Beirut: ʿĀlam Al-Kutub Al-ḥadīth, 2012.

Al-Saʿdānī, Muṣtafa. "Al-ʿUdūl ʾUslūb Turāthī fī Naqd Al-Shʿer". Alexandria: Manshaʾat Al-Maʿāref.

Al-Ṭalabah, Al-Amīn. Al-Ḥijjāj fī Albalāghah Almuʿāṣirah. Beirut: Dār Alkitāb Aljadīd Almutaḥidah, 1st ed., 2008.

Bayūmi, Basma Muḥammad. "The argumentative discourse in the Noble Qur'an: Surat Al-Baqarah as a case study, (in Arabic). Journal of the Faculty of Arts - Port Said University (G.I, issue 6, July 2015).

Boūdūkha, Masʿūd. "ʿAnāṣir Alwaẓifah Aljamāliah fī Albalāghah Alʿarabia. Jordan: ʿĀlam Alkutub Al-ḥadīth, 1st ed., 2011.

Bu Blouṭa, Ḥusain. Alhijāj fī Al-Imtāʿ wa al-Muʾānasah li Abī Ḥayān Al-Tawḥidī (a master's thesis) supervised by: Ismāʿīl Zirdūmī (Algeria: Alḥaji Lkhadar university, 1429 AH).

Darghoūm, ʿAbd al-Nāsir. "Representation In The Koranic Discourse "verse Of Hood" As A Model" (in Arabic). Almudawanah jpurnal, vol 7, issue: 2, December 2020.

Faḍl, Ṣalah. "Balāghat Al-Khitāb wa ʿIlm Al-Naṣ". Cairo: Al-majlis Al-waṭanī li al-Thaqāfah wa al-Funūn wa al-Ādab, 1992.

Ḥashānī, ʿAbbās. "Argumentative discourse and Pragmatics: a study of Ibn Badis' literary work. Jordan: ʿĀlam Alkutub Alḥadīth, 1st ed., 2014.

Ḥashānī, ʿAbbās. "The Argumentative terminology, its motives and techniques" (in Arabic). Al Mokhbar Journal, Research in Algerian Language and Literature (G.I, Issue 9, Aprīl 2013).

Ḥasān, Al-Bāhī. "Dialogue and critical thinking methodology". (in Arabic). Casablanca: East Africa, 2nd ed., 2004.

Ḥasan, Tamām. "Al-Bayān fī Rawāʾiʿ al-Qurʾān". Cairo: Alhayʾah Almiṣriah Alʿamah lil-kitāb, 2nd ed., 2003.

Ibn Al-Athīr, Diyā Al-Dīn. "Al-Mathal Al-Sāʾir fī Adab Al-Kātib wa al-Shāʿir". Presentation: Dr. Aḥmad Al-Ḥūfī, and Dr. Doi Ṭabana. Cairo: Dār Nahdat Maṣr, 1st ed., 1960).

Ibn ʿĀshoūr, Muḥammad Al-Ṭāhir. Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr. Tunisia: Al-Dār Al-Tūnusiah li al-nashr, 1984 AH.

Ibn Manẓūr. "Lisān Al-ʿArab". Beirut: Dār Iḥyā Al-turāth Alʿarabī, Ṭa 3, 1999.

Jarullāh Al-Zamakhsharī, "Alkashāf ʿAn Ḥaqāʾiq Al-Tanzīl wa ʿUyūn Al-Aqāwīl fī Wujūh Al-Taʾawīl", commented by: Khalīl Maʾamoūn Shihā (Beirut, Dār Al-Maʿarifa, 3rd ed., 2009).

Maṣloūḥ, Saʿd. "Statistical study of the method" (in Arabic), ʿĀlam Al-Fikr (G.I, issue 3, May 1989).

Naḥla, Maḥmoūd Aḥmad. "New horizons in contemporary linguistic research", Cairo: Dār Al Mʿarifa Al Jāmʿiah, 1st ed., 2000.

Qalqilya, ʿAbd al-ʿAzīz. "Al-Balāgha Al-Iṣtilāḥiah". Cairo: Maktabat Lisān Al-ʿArab, 2018.

Ṣoulah, ʿAbdullāh, "Argument: its frameworks, principles, and techniques through a workbook on al-Hajjaj", (Lebanon: Dār Al-Farābī, 2001 - 1422 AH).

Ṣoulah, ʿAbdullāh. "Argument: its frameworks, principles, and techniques through a workbook on al-Hijjaj", (in Arabic) The new rhetoric of Parliament and Tekkeh, within the research team on rhetoric and argument: The most important theories of argumentation in Western traditions from Aristotle to today, supervised by: Ḥammādī Ṣamūd. Tunisia: Almatbaʿt Al-Rasmiah.

Thuwainī, Ḥamīd Ādam. "Al-Balāghah Al-ʿArabiah Al-Mafhūm wa al-Tatbīq. Jordan: Dār Almanāhij lin-nashr Wat-tawziʿe, 1st ed., 2004.

Foreign references:

Reboul Olivier. Can non-rhetorical argumentation exist? trans. Muḥammad Al-ʿOmarī, December 1996.

توظيف الإطار المنهجي للنظرية المجذّرة في تأصيل البحث البلاغي

"نظرية النظم أنموذجًا"

Use of Methodological Framework of Grounded Theory in Tracing Roots of Rhetorical Research

"The System Theory as Case Study"

د. زينب بنت عبد اللطيف كامل كردي

أستاذ مشارك بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الالكتروني: ziiiin@hotmail.com

المستخلص

تصنّف هذه الدراسة ضمن الدراسات البينيّة التي تتناول البحوث اللغوية الإنسانية، والبحوث الاجتماعية النوعية؛ إذ تقارن بين نظريتين مهمّتين لكلٍّ منهما أثر واضح في مجاله، هما: نظرية النظم في البحث البلاغي، والنظرية المجذّرة في البحث النوعي، وذلك لتوظيف منهج النظرية المجذّرة، في تأصيل البحث البلاغي وفق نظرية النظم، وجاءت الدراسة في أربعة مباحث؛ تناول أولها نبذة عن نظريتي الدراسة، ومواطن التشابه بينهما، وأبرز الثاني منهجية الجمع والتصنيف، وفصّل الثالث مراحل التحليل المنهجي، وبسط المبحث الرابع الإجراءات التحليلية، واعتمدت الدراسة المنهج الاستنباطي والمقارن، وخرجت بالنتائج الآتية:

١. التشابه بين كلٍّ من النظرية المجذّرة ونظرية النظم في اهتمام كلٍّ منهما بالتحليل الذي يختلف في كيفيته وماهيته.
٢. تميّز النظرية المجذّرة بإطار منهجيّ منظم في جمع المادة وتصنيفها، يمكن أن يسهم في تنظيم منهجيّة البحث البلاغي وفق نظرية النظم.
٣. قيمة تطبيق مراحل التحليل في النظرية المجذّرة في البحث النوعيّ على نظرية النظم، في الاهتمام بتحقيق التكامل في التحليل البلاغيّ الذي يحقّق الجودة المنهجيّة.
٤. الكشف عن الإجراءات المنهجيّة للتحليل التي يتفق فيها كلٌّ من النظرية المجذّرة ونظرية النظم، مع إبراز جوانب تفرَّدت بها نظرية النظم يمكن أن توضع ضمن إجراءات التحليل المنهجيّ التي يحتاجها البحث البلاغيّ للوصول إلى أفضل النتائج.

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم، النظرية المجذّرة، التحليل، المنهج العلمي، البحث النوعي، الكيفي، البحث البلاغي.

Abstract

This is an interdisciplinary study addressing the humanistic linguistic and socio-qualitative research. This study indents to draw a comparison between two important theories, each of which has made substantial contributions, namely: System Theory in rhetorical research, and Grounded Theory in qualitative research, in order to use the methodology of grounded theory approach in tracing roots of rhetorical research according to System Theory. The study is composed of four chapters. The first chapter includes an overview and sets out the resemblance of the two theories; the second chapter sheds light on the methodology of collection and compilation; the third chapter sets out in detail the phases of methodological analysis; and the fourth chapter sets out the procedures of analysis. The study adopted the deductive and comparative approach, resulting in the following findings:

1. Both theories (Grounded Theory & System Theory) are concerned with analysis. Nevertheless, meaning and method of this analysis differ in each of the two theories.
2. The grounded theory is characterized by an organized methodology in collection and compilation, contributing to organizing the methodology of rhetorical research according to System Theory.
3. Applying the phases of analysis of the grounded theory in qualitative research to System Theory results in paying attention to realization of integration in rhetorical analysis that achieves the methodological quality.
4. The methodological procedures of analysis that are common between the grounded theory and the System Theory are uncovered, in addition to highlighting the unique aspects of System Theory that can be included in the procedures of methodological analysis required for the rhetorical research to realize the best results.

Key Words: System Theory, Grounded Theory, Analysis, Scientific Method, Qualitative Research, Qualitative, Rhetorical Research.

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا بالعربية ناطقين، وشرّف لغتنا بكتابه المبين، والصلاة والسلام على نبيِّنا الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد؛ فعلم البلاغة علم شريف، له منزلة جليلة الأثر، وفيه أسرار تُعرف برويّ الفكر، ولطائف من النظم، ينفرد بها دون سائر العلوم. ويواجه المتأمِّل في مسيرة هذا العلم مؤسِّسِين وضعوا علامات مضيئة، تهدي السائرين في درب المعرفة والتأصيل، وتشوّق إلى قراءة تراثه، والإفادة من نتاج عقوله المبدعة في بسط المسائل واستقصائها، وسبر أغوارها تأصيلاً وتمحيصًا، راسمة معالم بارزة في صفحات الإنجاز العلميّ المشرق، ومن أولئك العلماء عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الذي أرسى دعائم نظرية النظم في الدرس البلاغيّ متّخذًا منها أداة مهمّة رائدة في التحليل العميق للنصوص، يستشرف الباحثون على مرّ الزمان أصولها، ويحتذون طريقتها في التحليل التذوّقي.

وفي مقابل نظرية النظم في التحليل البلاغي، تظهر نظرية تمثِّل أداة للتحليل والمنهج، الذي طالما مثّل تطويره وإبراز إجراءاته هاجسًا علميًّا؛ فوجدت النظرية المجذّرة تلتقي مع نظرية النظم البلاغية في اهتمام كلٍّ منهما بالتحليل، وإن كان يختلف في مجاله وماهيته. مما دفعني إلى التفكير في إقامة دراسة بينيّة تقارن بين النظريتين، مستمدّة أصولها من التراث، مع الإفادة من معطيات العصر بتوظيف الإطار المنهجيّ في التحليل النوعيّ وفق النظرية المجذّرة، في تأصيل التحليل التذوّقي في البحث البلاغي وفق نظرية النظم؛ بتجلية معالم كلٍّ منهما لوضع صورة منهجية متكاملة، تسعى إلى تأصيل عمل عبدالقاهر في تحليلاته التذوُّقية العميقة بعرضه على أدبيّات النظرية المجذّرة، للخروج بمعايير علمية، وخطوات عملية، ترسم إجراءات منهجية واضحة الملامح للتحليل البلاغي باستثمار طاقات نظرية النظم التحليلية في البحث البلاغي، واستلهام معالم الأصالة فيها وصولاً إلى الربط المثمر بين عبق الماضي بشذا إبداعه التذوُّقي، مع التقدُّم العلميّ الحاضر وإجراءاته المنهجية، للإسهام في إظهار البحث البلاغيّ في صورة بهيّة، تجلّي أصالة المنجز العلميّ، وتنفتح على معطيات

التلاقح الحضاريّ بوعي، يستصحب الحذر في إقامة توازن منصِف أصيل بين نظرية بلاغية راسخة الجذور في تحليل النصوص، ونظرية اجتماعية واضحة المنهج في تحليل الظواهر والبيانات. بتقويم موضوعي للتراث العربيّ، يبرز حقّه في الحضور أمام المعطيات المنهجيّة للبحوث النوعية. لاستكشاف تصوّرات علمية جديدة في جهود عبدالقاهر جديرة بالاتباع في توضيح مراحل التحليل البلاغيّ وإجراءاته.

والمنهج هو لبّ البحث العلمي، الذي يكفل تحقيق النتائج المأمولة، وإنجاح منظومة الفكر التي يسعى إليها في تحقيق الهدف والإسهام في المنجز الثقافيّ والعلميّ، و((ليس لهذا الجيل حاجة أشدّ من حاجته إلى أن يفتح صفحات المعرفة، التي تدلُّه على طرائق بناء المعرفة، وكيف استنبت العلماء علومهم، وكيف استخرجوا من النواة المطروحة نخلة سامقة))[1]؛ لذا جاءت هذه الدراسة استجابة لفتح طرائق المعرفة، وتجلية جهود عبدالقاهر في البحث البلاغيّ، ووضعها في إطار معياري منهجيّ.

أهمية الدراسة:

تكمن قيمة هذه الدراسة في مستويين: علميّ وعمليّ؛ حيث تسعى إلى تأصيل منهجيّ لخطوات التحليل وإجراءاته عند عبدالقاهر التي برز فيها تفوُّقه العلمي في التطبيقات التحليلية في نظرية النظم، بتنظيمها في إطار منهجيّ مستمدّ من النظرية المجذّرة في البحوث الاجتماعيّة النوعية، فتفيد القائمين على البحث العلميّ والدراسات العليا في الجامعات والمراكز البحثية، والمرشدين الأكاديميّين، والمشرفين العلميّين، ويمثِّل تطويرًا لنظرية النظم بالإفادة من بعض ما جاء في الأدبيّات المنهجية للنظرية المجذّرة، يمكن أن يُبنى في ضوئه تصوّر مقترح لبرنامج، يرسم خارطة تهدي المشتغلين بالبحث العلميّ في مسيرتهم العلمية الشاقة الماتعة، وذلك لتنمية المهارات البحثية، وتقوية الضوابط المنهجية؛ وتجويد الأداء العلميّ، وصياغة منهجه صياغة متقنة مُحكَمة. فالإلهام الحقيقيّ ينتج من إنجازٍ للجديد، أو بعث للقديم، يلبسه حلّة

(١) مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني: ٤.

جديدة، تبرز قيمة التفكير خارج الصندوق.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تأصيل تحليلات نظرية النظم وفق إطار منهجي مستمدّ من النظرية المجذّرة؛ لتقديم محتوًى بحثيّ علميّ مثير للاهتمام، يستثمر الموجود في تحسين مستوًى أعلى من الجودة المنهجية التحليلية، وَفق أربعة أهداف رئيسة، هي:

١. المقارنة بين نظريتي الدراسة.
٢. توضيح منهجية الجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة.
٣. الإفادة من مراحل التحليل في النظرية المجذّرة، في توسيع الإطار النظري لنظرية النظم.
٤. تجلية إجراءات التحليل في كلٍّ من النظرية المجذّرة ونظرية النظم.

مشكلة الدراسة:

تتلخّص مشكلة الدراسة في حاجة البحث البلاغي إلى إطار منهجي، ينصف نظرية النظم، ويحفظ لها حقّ التقدير والسبق والتفوُّق؛ المبني على التكامل المعرفي لعلم البلاغة الذي اكتسب جلاله من تدبُّر بيان الوحي، ففاق العلوم، وشرّفها بخدمته. وباستحضار هذه الخصوصية الجليلة؛ تنضبط حركة التجديد، وتستقيم على الجادّة، مبيِّنة تسامي البلاغة في معارج شرف لا يضاهى، ولا طاقة لأحد باستشرافه، أو إذابته في غيره مما لا يتواءم مع أصالته وخصوصيّته؛ لذا اقتصرت الدراسة على الإفادة من المراحل البحثية والإجراءات التحليلية للنظرية المجذرة، مع اليقين أنّ منطلق التجديد الناجح في صميم البلاغة يكون من داخل العلم نفسه، لا من خارجه[(١)]، وما هذه الدراسة إلاّ إطار منهجيّ، يبرز تميُّز البلاغة، ويغري بالعودة إلى آفاق التحليل، واستلهام طريقة النظم التذوُّقية الكاشفة عن نواحي الجمال.

أسئلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن سؤال رئيس هو:

(١) ينظر: في نقد العقل البلاغي: ٢٤-٢٨.

ما طريقة توظيف النظرية المجذّرة في بناء مراحل التحليل وإجراءاته في نظرية النظم في البحث البلاغيّ؟

وتتفرّع منه الأسئلة الآتية:

١. ما مواطن التشابه بين نظريتي الدراسة؟
٢. علام تقوم منهجية الجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة؟
٣. كيف يمكن توظيف مراحل المنهجيّة في النظرية المجذَّرة، في تطبيقات نظرية النظم؟
٤. ما إجراءات التحليل في النظرية المجذّرة، وما مدى تفوُّق نظرية النظم عليها في الإجراءات؟

وتساعد الإجابة عن الأسئلة السابقة في تقديم حلول لمشكلة الدراسة، والتوصّل إلى نتائج تطبيقية، تمكِّن من اتباع معايير منهجية للبحث البلاغيّ، تأخذ بيد الباحثين نحو آفاق الجمال في البلاغة، والشغف البحثيّ وفق منهج تحليليّ تذوُّقي معياريّ.

خطة الدراسة:

انتظمت خطة الدراسة في مقدّمة، وأربعة مباحث، على النحو الآتي:

١. نبذة عن نظريتي الدراسة، ومواطن التشابه بينهما.
٢. منهجية الجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة.
٣. مراحل التحليل.
٤. إجراءات التحليل.

ثم ذيلت الدراسة بخاتمة ضمّت النتائج والتوصيات، وثبت للمصادر والمراجع.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة كلًّا من المنهج الاستنباطي والمقارن، فتناولت أسس التحليل العلمي للبحث البلاغي في نظرية النظم مع رسم إطاره المنهجيّ من أدبيات النظرية المجذّرة المتعلِّقة بدراسة الظواهر والإشكالات الاجتماعية بتأمّل ما تحتاجه بياناتها

المعدّة من العمق في التحليل[1].

وقد حصرت الدراسة مبدئيًّا مراحل النظرية المجذّرة وإجراءاتها في التحليل، وصنّفتها وعرضتها على التحليل البلاغي للنصوص وَفق نظرية النظم، معتمدة على تحليلات عبدالقاهر للنصوص، لتصميم خطوات منهجية، وإجراءات بحثية واسعة الأفق بعيدة المدى؛ تقوم على جمع المادة العلمية وتصنيفها، واستنباط أصولها وإجراءاتها في محتوًى علميّ منطقيّ. ((وكلمة الاستنباط تعني منهجًا متكاملاً في الدرس، والفهم والتدقيق والتمحيص، وقد كان هذا المنهج بتكاليفه الصعبة ظاهرًا ظهورًا بيِّنًا في كلام عبدالقاهر. ترى استيعابًا كاملاً للمسألة، وحصرًا بارعًا مستقصيًا، لكلّ ما قيل فيها، وفَهمًا عميقًا، ثم مناقشة ومحاورة وبسطًا وامتدادًا واستنطاقًا وتشقيقًا وتفريعًا، وهذا كلّه جديد وتجديد وتطوير، وهو المراد بصناعة المعرفة))[2].

وسارت الدراسة في منهجيّة محدَّدة، تسهم في تجويد العمل على النحو الآتي:

١. عرض موجز لمراحل التحليل النظرية المجذّرة، وإجراءاتها التحليلية، وكان البَدء بها؛ لأنها تمثّل الإطار المنهجيّ.
٢. الاكتفاء بالملامح العامّة للنظرية المجذرة التي تخدم الإطار المنهجّي لنظرية النظم في البحث البلاغيّ، دون الخوض في التفاصيل وأسماء العلماء الذين أنشؤوها وطوّروها.
٣. الانفتاح والمرونة بالقدر الذي يكيّف إجراءات النظريّة المجذّرة، مع الظواهر والإجراءات البحثية التي تتناسب مع البحث البلاغيّ وَفق نظرية النظم.
٤. تطبيق لمراحل التحليل وإجراءاته في النظرية المجذّرة على تحليلات نظرية النظم بذكر شاهدين في مجال التطبيق على العناصر المعروضة.
٥. التعقيب بما يجلّي أوجه المقارنة المنهجيّة في كلّ عنصر.
٦. وضع عنوانات للإجراءات التحليلية التي زادت بها نظرية النظم على

(١) ينظر: مدخل لمنهج النظرية المجذّرة: ٢.
(٢) مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني: ٣-٤ .

النظرية المجذّرة.

ويَبرز عمق نظرية النظم وأصالتها حين يظهر تفوُّقها على نظرية اشترك فيها عالمان في العصر الحديث هي النظرية المجذّرة. فمن ثمار المعرفة المراجعة الدائمة لأصول العلم، ورياض المعرفة تزدهر بتعاهد نمو الأفكار، وتأمُّل فروع التواصل التي تجعلها تتشابك، وينفتح بعضها على بعض بضوابط منهجية، لا يمكن تجاوزها، بل لا بدّ من إبراز الأصالة العلمية، وإثبات عبقرية العقل البلاغي، التي ينبغي أن يستحضرها الباحثون في التجديد، موقنين أنها لا توصد أبواب العلم، بل تجعلها مشرعة للاجتهاد في صناعة المعرفة مع ضبطٍ للمعاقد والأصول، واستحضارٍ للاعتزاز بالهُوية الإسلامية[1]، وتذكّرٍ بأن الإفادة من غيرها قوامها فخر بما وضعه علماؤنا، وإفادة من معطيات العصر لإضفاء مسحة من التجديد الحصيف الفطِن على المنهجية بقصد إبراز العقلية العلميّة التي اتسم بها علماؤنا بنبوغ سابق لعصورهم.

فالتجديد المأمول يسبر أغوار القديم الأصيل، ويحلِّل أجزاءه، مراعيًا مقامات علمائه، معترفًا بجهد واضح لهم، لا يماري فيه منصف؛ ((فما نحن فيهم إلاّ كبقل في أصول نخل طِوال))[2]؛ فما أحرى أن نستنبِت من تلك البذور المعرفية غرسًا منهجيًّا راسخ الجذور، وطّده علماء البلاغة على اختلاف أعصارهم، لنعيَ ما يُنتظر منا في إتمام البناء.

وبعد، فأرجو أن يكون لي من حسن القصد، وإخلاص الجهد، ما يشفع لي فيما ندّ به الفهم، أو زلّ به القلم، وأستغفر أرحم الراحمين، وأسأله أن يجعل لي لسان صدق في الآخرين، وأصلي وأسلم على نبيّه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ينظر : في نقد العقل البلاغي: ١١٩-١٢١.

(٢) قاله أبو عمرو بن العلاء أحد القرّاء السبعة. تاريخ دمشق: ٦٧/١١٣.

المبحث الأول: المقارنة بين نظريتي الدراسة

يتناول هذا المبحث مفهوم النظرية، ونبذة عامة عن نظرية النظم لأنها الأسبق، كما أنّ النماذج التحليلية التطبيقية قائمة عليها، ثم التعريج على النظرية المجذّرة، وبيان إطارها المنهجيّ العامّ، متبوعًا بمواطن التشابه الذي استدعى المقارنة بين النظريتين.

مفهوم النظريّة:

لغة:

أصل نظر يدلّ على تأمُّل وفكر ومعاينة. والنظر يكون بالعين أو القلب، فلو تعدّى بإلى؛ لم يكن إلاّ بالعين، أمّا بفي؛ فيحتمل أن يكون تَفَكُّرًا، وتدبُّرًا بالقلب(١).

اصطلاحًا:

تعرّف النظرية بأنها: ((فرض عمليّ، يربط عدة قوانين بعضها ببعض، ويردّها إلى مبدأ واحد، يمكن أن نستنبط منه حتمًا أحكامًا وقواعد))(٢). فهي تركيب عقليّ، يقوم على التأمّل والمعاينة والتفكُّر، ويتألّف من تصوّرات منسّقة، تقصد إلى تفسير الظواهر عن طريق قوانين وإجراءات تربط النتائج بالمبادئ(٣)؛ فالنظرية تسهم في بناء فكر جديد. وبما أنّ الدراسة تتناول نظريتين لكلٍّ منهما أثر كبير في المنجز المعرفيّ؛ فيحسن إيراد أبرز السمات لكلٍّ منهما:

١.نظرية النظم في البحث البلاغي:

يقوم علم البلاغة على الذوق، وتنمية الملَكة في الإحساس بالجمال، وفهم أسس التواصل اللغوي بالجمع بين الإمتاع والإقناع؛ فلا غرو أن يسمّيه حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) بالعلم الكلِّيّ؛ مبيّنًا قيمة التكامل المعرفي التي يقوم عليها علم

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: نظر.

(٢) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية: نظر.

(٣) ينظر: المعجم الفلسفي لصليبا: نظر.

البلاغة بقوله: ((معرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك، وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التناسب والوضع؛ فيعرف حال ما خفيت به طرق الاعتبارات من ذلك بحال ما وضحت فيه طرق الاعتبار))[1]. فليست البلاغة مقيدة بالتقعيد والأصول، بل تعتمد على الذائقة السليمة، واستقراء النصوص بما تحويه مضامينها من رفيع النظم وبديع المعنى، وما تفتحه من آفاق التأويل المبنيّة على مراقي التحليل؛ إذ يحتاج الباحث إلى معايير فكريّة بحثيّة، تمكِّنه من تطبيق الذوق، وفَهم أبعاد الأساليب، التي تحتكم إلى سلامة السليقة، وتتبُّع التراكيب.

وقد قدحت إشارات العلماء إلى النَّظْم زناد الفكر عند عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ)، الذي امتاز بحصيلة ثقافيّة واسعة في النحو وعلم صناعة الشعر، واللغة وعلومها، مما أمدّه بقراءة واعية للفكر البلاغيّ؛ فتلقّف أصول نظرية النظم ممن سبقه من العلماء، وجعلها ومضات في الطريق نحو التطبيق العمليّ، الذي أفاض عليه من ملكته البلاغيّة المنتجة، ليرسي دعائم مدرسة للتحليل التذوُّقيّ للنصوص البليغة، مكمِّلاً جهود من سبقه من العلماء بخطوات تذوُّقية معياريّة بالقياس إلى عصره، جمعت المسافات والأزمنة السابقة، فاتّضحت عنده ملامح واضحة للنظريّة؛ فبيّن معالمها، ورسم حدودها، وأعلى منارها بنظراته العميقة وتذوُّقاته البليغة، وتفنُّنه في إبراز اللطائف البيانيّة وعمق المعاني بتأمّل اختلاف الصيغ التركيبيّة في النظوم المتباينة، واستشراف مواطن بلاغتها وجمالها. ومن تحليلاته العميقة في تحليل النصوص تكوّنت نظرية النَّظْم.

ولم يكن عبدالقاهر معنيًّا في الدرجة الأولى بالتنظير قدر عنايته بالتحليل والتطبيق من خلال الشواهد المتنوِّعة: قرآنيّة ونبويّة، شعريّة ونثريّة، التي قصد من إيرادها تعميق الإحساس بإعجاز القرآن ورفيع بلاغته؛ لذا جنّد بعض البلاغيِّين أقلامهم في إبراز أسس النظريَّة بالتقاط درر آرائه حول النَّظم في طوايا تحليل الشواهد؛

(١) منهاج البلغاء: ٢٢٦-٢٢٧.

لتكون واضحة المنهج أمام الباحثين عند التطبيق البلاغيّ[١].

وتبرز عبقرية عبدالقاهر بمقارنته بمعطيات عصره، ولا غرو أن تتجلّى أكثر عندما يقاس عمله بامتزاج مدرستين للبحوث النوعيّة والكمّية معًا ابتكرتا نظرية للتحليل طبّقت شهرتها الآفاق، وتوالى على تطويرها وإبراز معالمها عدد من العلماء على مراحل متعاقبة، مما يعدّ مؤشرًا واضحًا على ما تمتلكه من قوّة منهجيّة، اتسمت بالعمق والتنظيم والدقّة في الصياغة التحليليّة للظواهر الاجتماعيّة، هي النظريّة المجذّرة، المؤسِّسة لمنهج بحثيّ يهدف إلى تنظيم البيانات وتحليلها، وتيسير الوصول إليها بطريقة استقرائيّة منتظِمة، قوامها المقارنة المنهجيَّة، لإيجاد قاسم مشترك يجمعها[٢]. ولِما تحمله هذه النظريّة من الثبات والدقّة والعمق، توالت البحوث في التوصية بالإفادة من معاييرها المنهجيّة، للرقي بالبحث العلمي والإسهام في تجويده.

عرّف عبدالقاهر النَّظْم بأنه توخِّي معاني النحوِ فيما بينَ الكَلم، فتنتظم المعاني، في النفس أوّلاً، ثم يتلوها ترتيب الألفاظ في النُّطْق، لتكتسب الكلمة فصاحتها من مكانها من النَّظْم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني أخواتها، فتصبح متمكّنة مقبولة متلائمة مع قريناتها في السياق. بتأمّل ترتيب الكلام وتأليفه بطرق مخصوصة[٣]؛ ((فقد فطن عبدالقاهر إلى أنّ اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل هي مجموعة من العلاقات)) [٤].

(١) من الدراسات التي تناولت نظرية النظم وكشفت عن تحليلاتها العميقة، مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، أ.د. محمد أبو موسى، نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبدالقاهر الجرجاني، د.محمود توفيق، ونظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني: دراسة-تطبيق-تحليل، د. نجاح الظهار، التي ذكرت قيامها بإجراء دراسة عملية تجريبية تهدف إلى بيان "أثر استخدام نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في تنمية التذوق البلاغي" وعرضت نسب النتائج، مؤكدة فعالية استخدام طريقته التحليلية في تنمية التذوق البلاغي. ينظر: نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر: ٧.

(٢) ينظر: مدخل لمنهج النظرية المجذّرة: ٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨١-٨٢.

(٤) النقد المنهجي عند العرب: ٣٣٤.

ولإثبات مفهوم النَّظْم وإثبات نظريته سلك عبدالقاهر إجراءات تحليلية تذوقية، ومنهجًا عقلانيًّا إبداعيًّا، انبثق من دراسته للُّغة الثريّة، بما تحتاجه من تمعُّن في اختيار الألفاظ ونظمها، والتفنُّن في وضع كلِّ لفظة في سياقها[1]، وتقوم طريقته على عرض مجموعة من الشواهد المتنوِّعة بين قرآنيّة ونبويّة وشعريّة ونثريّة لإثبات الإعجاز البلاغيّ، وتدبّر آفاق معانيه، وخصوصيَّة تراكيبه التي تبعها تفرّد معانيه، وإبداع التعبير عن مقاصده. مفاضلاً بينه وبين عدد من السياقات التي قد يتبادر إلى الأذهان، اشتراكها معه في أصول المعاني، ليتجلّى تميّزه بخصوصيّةٍ نظميّة تركيبيّة، تحقِّق تفرُّدًا معنويًّا في التعبير عن الأحوال، وما يتبعها من مطابقة المقامات.

وكان عبدالقاهر يدرك أنّ النماذج التحليلية التي عرضها في نظريته تغري بتَرداد النظر والمراجعة؛ لذا أشار في غير موضع إلى ضرورة تفتيق هذه اللَّمحات، والنظر في تفاصيلها الدقيقة، وما تتبعه من ملامحَ تجلِّي صورتها المنهجيّة الكاملة، ومن ذلك قوله: ((واعلم أنّك لا تَشفي الغُلَّة، ولا تنتهي إلى ثَلْج اليقين، حتى تتجاوز حدَّ العلم بالشيء مجمَلاً، إلى العلم به مفصَّلاً، وحتى لا يقنعك إلاّ النظرُ في زواياه، والتغلغلُ في مكامنه، وحتى تكونَ كمن تتبَّع الماء حتى عرف منبعَه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يُصنع فيه إلى أن يعرف منبته، ومجرى عروق الشجر، الذي هو منه))[2]. فهو يومئ إلى ما يحتاجه الباحث في البلاغة من تقصّي الجذور والعروق الدقيقة، التي ينبت منها عود الشجر، والبحث في مجاري الأنهار عن منابعها.

ومما يدلّ كذلك على دعوته إلى توسيع آفاق النظرية في المنهج، والسير على منهجه في إبراز القواعد التطبيقيّة والبناء عليها؛ حيث يقول: ((ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى "الفصاحة"، و "البلاغة" و "البيان" و "البراعة"، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها؛ فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليُطلَب، وموضع

(١) ينظر: الدرس اللغوي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٧.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٦٠.

الدفين ليُبحَث عنه؛ فيخرج، وكما يُفتح لك الطريق إلى المطلوب؛ لتسلكَه، وتوضَع لك القاعدة؛ لتبنيَ عليها))[1].

فلا غرو أن يتّسم جهده بهذه القيمة؛ وهو يقتنص الإشارت المعرفّية للعلماء قبله، ويتعاهدها بالتأمّل والمعاينة والتطبيق والتحليل، وإثارة الحّس إلى مواضع الحسن والقبح في الشواهد الشعريّة، ويتبعها بالترقّي في الاستشهاد بآيات القرآن، وإجراء موازنات معنويّة تجلّي الفروق الشاسعة في النّظم القرآنيّ، وما يتبعه من تفرّد معنويّ، تثبته الموازنات والتحليلات الدقيقة، القائمة على التذوُّق، مما جعلها تكوّن بناء فكريًّا متَّسقًا، قوامه تذوُّقات بلاغيّة تأصيليّة، عرضها بطريقة منظّمة، تناقش العلاقات القائمة بين الشواهد والأصول المعرفيّة، وتسعى إلى تطبيقها على ظاهرة معينة، تضفي على التذوُّق أصولاً معياريّة، تشحذ الذهن، وتقوّي الملَكة.

٢.النظرية المجذّرة في البحوث النوعيّة:

يعرّف البحث النوعيّ بأنّه ((نشاط يضع الباحث في سياق الحدث الذي يدرسه، ويتكوّن من مجموعة من الممارسات التفسيريّة الماديّة التي تجعل العالم مرئيًّا؛ فهي تحوِّل العالم إلى سلسلة من العروض التي تشتمل على الملاحظات الميدانيّة، والمقابلات والحوارات والصور، والتسجيلات ومراجعة الذات... وتتضمّن البحوث النوعيّة نهجًا تفسيريًّا وطَبعيًّا للعالم، وهذا يعني أنّ الباحثين النوعيِّين يدرسون الظواهر في سياقها الطبيعيّ محاولين إيجاد معنًى وفهم وتفسير للظواهر بحيث يسهل على الآخرين فهمهما))[2].

وتمثِّل النظرية المجذّرة منهجيّة منتظمة، وأداة مهمّة للتحليل في المنهج النوعيّ، تعتمد على الاستقراء والمقابلات الميدانيّة، والتحليل العمليّ للبيانات المجموعة. واستنباط مجموعة من الفئات والتصنيفات التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تشكّل إطارًا متكاملاً لتفسير ظاهرة ما، أو التنبُّؤ بها. ويُتوصَّل إلى ذلك الإطار

(١) ينظر: السابق: ٣٤.

(٢) تصميم البحث النوعي: ٢٣.

عبر جمع البيانات النوعيّة، والتعامل معها بطريقة منظّمة، واستنباط المفاهيم الموجودة في البيانات النوعيَّة المجموعة.

فيقوم منهجها على: ((حصر عناصر الظاهرة محلّ الدراسة، ومن ثم تصنيف هذه العناصر الأساسيّة عن طريق تفسير العلاقة بينها للوصول إلى الأساس، أو الجذور التي تفسِّر لنا حقيقة الظاهرة، ومن ثمّ التأصيل لها، وبشكل إجرائيّ منتظم))[(١)]. لذا جُعل هذا النظر في الجذور علَمًا على النظرية؛ فسمّيت النظرية المجذِّرة، أو نظرية التجذير؛ لما ينتج عنها من تفريع وتجذير للظواهر والبيانات والبحث عن جذورها، كما سمّيت بالنظريّة المجذَّرة بالنظر إلى ما يقع عليها من التجذير في الإجراءات.

ويتلخّص مفهومها في دراسة الظواهر من خلال جمع وتحليل منهجيّ لبياناتها، يقوم على سؤال معرفيّ، تجمع عن طريقه بيانات تخدمه، وتظهر الأفكار أو المفاهيم أو العناصر المتكرَّرة، التي تدوّن عليها رموز معيّنة، تستخرَج من البيانات، ويعاد مراجعتها لتجميع الرموز في مفاهيم، ثم فئات متعدِّدة، تستنبَط منها النتائج[(٢)] وَفق مهارات إجرائيَّة يحتاجها الباحث لتجويد العمل.

ويعدّ إبداع الباحث واهتمامه بالسِّياق الذي يمنحه فرصة لفهم طريقة تشكّل الأحداث والأفعال والمعاني والظروف عنصرًا أساسيًّا في استخدام النظرية المجذّرة[(٣)]؛ حيث إنّ التفكير الإبداعيّ يقود إلى الربط بين الظواهر المختلفة؛ وإثارة الأسئلة البحثيّة، ومراجعة الخيارات الممكنة أثناء جمع البيانات وتحليلها، واختيار العيِّنة المعتمدة، وذلك يتطلَّب فهمًا عميقًا لما يقوم بها، ودافعيّة لكي يستمرّ[(٤)]؛ فإجراءات البحث النوعيّ بعامّة والنظرية المجذّرة بخاصة تشبه كثيرًا البحوث البلاغيّة التي تقوم على تحليل النصوص والخطابات لظاهرة لغوية؛ فيمكن الإفادة من الإطار المنهجيّ

(١) مدخل لمنهج النظرية المجذّرة: ٣.

(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٢٤.

(٣) ينظر: تصميم البحث النوعي: ٦٠.

(٤) أساسيات البحث الكيفي: ٤٥.

فيها لتنظيم خطوات التحليل البلاغيّ؛ حيث تمتاز النظرية المجذّرة بإمكانية تزويد الباحثين بإجراءات للتحليل، تقوم على محكّات ومعايير، يسهل استخدامها في تخصُّصات متعدِّدة بخلق نظام يظهر الإبداع في قدرة الباحث على تسمية الفئات، وتصنيفها بحرّية قوامها تأمُّلات عقلية، تفيد من المراحل والإجراءات العامَّة، وتتيح لكلِّ باحث بمنظوره الخاصّ وإبداعه الإسهام في تقديم دراسة تكامليَّة، تعكس وجهة النظر التصوُّرية لتخصُّصه(١).

أسس المقارنة بين النظرية المجذّرة ونظرية النظم:

ستنصبّ الإفادة من النظرية المجذّرة على الأسس المنهجيّة التي يمكن أن تمثِّل إطارًا للتطبيق المنهجيّ، يدرج التحليلات التذوُّقية للظواهر البلاغيّة والشواهد في نظرية النظم ضمن إطار منهجيّ، يطوّر البحث البلاغي وفق نظرية النظم، مستقصيًا الأسس التطبيقيّة التذوقيّة التي استفاض عبدالقاهر في توضيحها، دون أن تتّضح لها خطوات وإجراءات واضحة المعالم، تسهّل الأخذ بها. ولم يكن ذلك لقصور فيها، بل نتيجة للتقدّم الزمني، والاهتمام العميق بالتذوّق والتحليل لإبراز فكرة النظم.

وبوضع نظرية النظم التطبيقية في الإطار المنهجيّ للنظرية المجذّرة تتحقّق الأصالة بأخذ التطبيق التذوُّقي من التحليل البلاغيّ للنصوص في نظرية النظم، وسبكه في قواعد تأصيليّة، تسهّل على الباحثين استثمارها في تكوين منهجية علميّة، تقوم على معايير واضحة، تسهم في إضفاء الصبغة المنهجيّة على التطبيق، وتجويد البحوث العلميَّة سعيًا إلى فتح آفاق المعرفة على الأصول التربويّة للنظريات العلميّة، والتلاقح بين العقول بتخصُّصاتها المختلفة لتحقيق أنجع الوسائل في صناعة المعرفة، وخدمة المنجَز الثقافيّ، وتجويد البحث العلميّ.

مواطن التشابه المبدئيّ الذي استدعى المقارنة بين النظريتين:

١. **التكامل المعرفي:** كلتا النظريتين تعتمد على التكامل، فعلم البلاغة يوصف

(١) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٢٩-٣٠.

بأنه علم كلِّي[1]، والنظرية المجذّرة توصف بأنها إطار معرفي متكامل في أدواته المتنوّعة وإجراءاته التحليلية.

٢. **الموضوع**: يتناول كلٌّ منهما دراسة ظاهرة، إلاّ أنها تختلف في نوعها؛ ففي النظرية المجذّرة تكون الظاهرة في الأصل اجتماعية، بينما هي بلاغية في نظرية النظم.

٣. **المنطلَق**: منطلق المشروع البلاغي لدى عبدالقاهر، وإن صنّف ضمن العلوم الإنسانية، إلا أنه منطلق نوعيّ معرفيّ، ينطلق من التحليل النوعي للغة بنظامها السياقي التواصلي، وبنيتها الداخلية والخارجية التي يَرى العالم من خلالها، وعلى مستوى النظرية المجذّرة يأتي المنطلق المعرفي العامّ لها على مستوى رؤية العالم، والتحليل النوعي لظواهره الاجتماعية.

٤. **أدوات المنهج**: يقوم المنهج في كلٍّ منها على الاستقراء والتصنيف والاستقصاء والتحليل.

٥. **طريقة التناول من حيث الموضوعيَّة أو الذاتيَّة**: كلتا النظريتين تعتمد المزج بين الموضوعية والذاتية؛ فتشتركان في الاعتماد على السِّياق والمقارنة والإبداع.

٦. **مراحل التحليل**: يقوم التحليل في كلٍّ منهما على ثلاثة مراحل: تحليل مضمونيّ أوّلي، تحليل مجهريّ للجزئيات، تحليل شامل للكلِّيات.

٧. **إجراءات التحليل**: تتشابه الإجراءات في طرح الأسئلة والمقارنات وغيرها، إلاّ أن النظرية المجذّرة تحتاج إلى إجراءات ميدانيَّة عمليَّة ومقابلات واستبانات، بينما تكتفي نظرية النظم باستقصاء ما يتعلّق بالظاهرة نظريًّا وتطبيقيًّا بتأمل السِّياقات المتشابهة، والسياقات الافتراضيَّة التي تميط اللِّثام عن التميُّز في الظاهرة والدقَّة في تأليف النَّظم المعبّر عنها.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن من أهم أسئلة المعرفة التي يلتقي فيها البحث

(١) ينظر: منهاج البلغاء: ٢٢٦.

البلاغي مع غيره من الحقول الإنسانية الأخرى، سؤال الحوار الذي ينشئه الحقل المعرفي مع غيره من الحقول الإنسانية، ولو في خيوط رئيسة، يمكن أن يصنع منها الباحثون أسئلة كبرى؛ لذا تناول هذا المبحث الملامح العامة لكلٍّ من نظريتي الدراسة النظرية، وأبرز مواطن التشابه الذي استدعى المقارنة، ومدى صلاحية توظيف الإطار المنهجي للنظرية المجذّرة، في المجال التأصيلي للبحث البلاغي وفق نظرية النظم.

المبحث الثاني: معالم منهجية الجمع والتصنيف

يتناول هذا المبحث السمات المنهجيّة العامّة لجمع الظواهر في البحث البلاغيي وتصنيفها؛ لذا يحسن البَدء بالتفريق بين كلٍّ من المنهج والمنهجيّة في البحث العلميّ، ثم الحديث عن معالم المنهجية الخاصة بالجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة، والتعريف بخطواتها ومصطلحاتها للإفادة منها في الجمع والتصنيف للبحث البلاغي وفق نظرية النظم.

المنهج:

لغة: يدلّ أصل نهج على وضوح واستقامة، ومنه يسمّى الطريق الواضح البيِّن منهجًا ونهجًا(١).

اصطلاحًا: المنهج: طريقة علمية يستعملها العقل في دراسة موضوع للوصول فيه إلى حقيقة معيّنة(٢)، تحقق الأهداف المرجوّة.

المنهجية:

هي معايير فكرية وقوالب موضوعية، توضع لتحديد آليات العمل المعرفيّ قبل الشروع فيه، فتتطلَّب أن يكون الباحث عارفًا بأصول المنهج العلميّ العامّ الذي يناسب موضوع بحثه، مع امتلاك القدرة على هندسته وَفق قوانين منهج عامٍّ، ومنهجيَّة خاصَّة تصل به إلى نتائج سليمة في بحثه(٣)، ويحتاج البحث إلى معايير منهجيّة ترسم إطاره العلميّ، وتتضمّن المراحل والإجراءات التي يتطلَّع إليها لإحكام المنظومة الفكريّة وصولاً إلى تحقيق أفضل النتائج.

معالم منهجيّة الجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة:

١. **الأسئلة البحثية التي توجّه الجمع:** تبدأ منهجيّة النظرية المجذّرة في الجمع بسؤال بحثيّ حول ظاهرة معيَّنة، يليه جمع المادة، وقدح زناد الفكر لأسئلة

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: نهج.

(٢) ينظر : منهج البحث في اللغة والأدب: ٣٩، والوجيز في طرق البحث العلمي: ١١٠.

(٣) ينظر : أصول البحث: ٢٤٠.

فرعيّة، تستدعي مزيدًا من البحث والجمع والتصنيف.

٢. **التصنيف**: يحتاج الباحث في الإجابة عن أسئلة البحث، إلى تأمّل الملامح العامَّة التي تبرز جوانبها، وتصنيفها وَفق رموز بحثيّة، يدوّنها للتحليل، والتصنيف الذي هو أسّ البحث العلميّ، **وهو مهارة عقلية مهمّة، تقوم على ((تجميع الأشياء، أو الوحَدات في مجموعات وَفقًا للتشابه والاختلاف فيما بينها، بحيث تتضَّمن كلُّ مجموعة منها وحَدات ذات خواصّ، أو صفات مشتركة))** [(١)].

٣. **الترميز**: وهو المذكرات التي يستنبطها الباحث من تأمُّل المادة المجموعة لديه التي يكشف من خلالها الأنماط التي تتفرّع منها، وتأتي في البداية ((على شكل صورة بدائيّة من الأفكار، ثم تنمو وتتعقّد، وتزداد كثافتها ووضوحها، ووقتها كلّما تقدّمت مراحل البحث))[(٢)]. وهذه ميزة منهجيّة مهمّة في النظرية المجذّرة، تأتي على مراحل متسلسلة منظَّمة، تواكب العمليات العقليَّة التي تقوم على مهارات التفكير من الاسترجاع والاستكشاف والتحليل والنقد والمقارنة بخطوات متوالية تصاحب عملية التصنيف، ويجدر تفصيلها والإفادة منها في جمع المادة في البحوث البلاغية، وفيما يأتي عرضها:

أ. **الترميز المفتوح أو الأوّلي**: يتناول فئات المعلومات حول الظاهرة موضع الدراسة، ويستكشف الظاهرة المركزيّة والظروف المتداخلة المسبِّبة لها، والسياقات المتعلِّقة بها[(٣)]. **ويأتي بعد** جمع المادة مبدئيًّا وفحصها وتصنيفها، فتتّضح معه الأفكار والمفاهيم أو العناصر المتعلِّقة بالموضوع، والظواهر الفرعية البارزة التي تدعمه وتحلّيه، وترتبط به، وتحقِّق أهدافه؛ وتفصح عن جوانبه، بطريقة منظّمة مترابطة، تمثّل حقائق وتصوُّرات أوّلية،

(١) الشامل في مهارات التفكير : ١٦٨.

(٢) تصميم البحث النوعي : ١٠٣.

(٣) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٦٧، وتصميم البحث النوعي : ١٠٣.

يراجعها الباحث، ويكرّرها للمزيد من الاستقراء حول الظاهرة، والتحقُّق المستمرّ من المعطيات التي تُبرزها، وتسهم في عملية توليد المعرفة لفهم خطوطها الرئيسة.

ب. **الترميز المحوريّ**: يقصد به عملية ربط الفئات الفرعيّة بفئة ما، بالنظر إلى العلاقات السببيّة عن طريق ربطها بالفئات الأخرى، والتحقُّق من علاقاتها، والنظر في الفئات التي تحتاج مزيدًا من المراجعة والتطوير[1]؛ فينتقل فيه الباحث إلى فحص أكبر للمدوّنة بالمقارنة فيما بينها، والنظر في العلاقات التي تجمعها، مع تعيين مواطن الشبه والاختلاف فيما بينها؛ ثم يعود إلى جمع مزيد منها؛ وتوسيع آفاق المادة، والنظر في العلاقات التي تستدعي مزيدًا من الجمع والفحص والتصنيف؛ ليبدأ مرحلة أخرى من الترميز وفق المفاهيم، والعلاقات المستنبطة من الظواهر المجموعة، ثم تراجع، ويعاد النظر فيها، وتُكرَّر بمزيد من الاستقراء للظاهرة، والتحقُّق المستمرّ مما جُمع حولها. في ترميز محوري، يسعى إلى إيجاد علاقات وروابط واضحة بين الترميز الأوَّلي المفتوح، وما ينتج عن هذه المرحلة من الترميز المحوريّ. فهذه المرحلة من منهجية النظرية المجذّرة تمثّل مرحلة متعمّقة في التحليل موجّهة نحو استكناه أبعاده المعنويّة.

ج. **الترميز الانتقائي**: يكون بعد النظر في الخطوط الرئيسة للمادة المجموعة التي تربط بين الفئات والمجموعات، وتستكشف العلاقات بالاعتماد على نوعي الترميز السابقين وفق نظرة شاملة، تُبرز كلّ ما يحيط بها[2].

وأثناء هذه الخطوات المنهجية، تبرز لدى الباحث صفتان مهمَّتان في استيعاب الظاهرة، والوعي بما يتفرّع عنها، حيث يمتاز بصفتين اثنتين تحقِّقان

(١) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١٣٠، وتصميم البحث النوعي: ٢٦٦.

(٢) ينظر: تصميم البحث النوعي: ١٠٣.

الوعي التصوُّريّ هما:

١. **التشبُّع النظريّ**: ويقصد به الاستمرار في عملية الاختيار إلى أن تصبح العلاقات بين الفئات على درجة عالية من التأسيس والمصداقيّة؛ مما يكشف عن نجاح البناء وملاءمته[(١)]، وتتحقّق هذه الصِّفة لدى الباحث بتَكرار النَّظر والجمع والتصنيف، حتى يصل إلى المرحلة الأولى التي تنبثق من المادة المجموعة، بوعي حدودها الأوّليّة، وإدراك معالمها الرئيسة، التي تنتج عنها معارف متولّدة، تمكِّنه من صياغة تصوُّر مبدئيٍّ لفكرة الموضوع، وفهم أوّليٍّ للهيكل الإجرائيّ بمراحله وخطواته، مستمدّ من المصادر والمراجع العامّة والخاصّة المتعلِّقة بالموضوع، التي تسهم في إدراك المتعلّقات والمفاهيم، ويسهِّل الترميز جمعها؛ حيث يمثّل جهازًا استرشاديًّا للتعامل مع البيانات، والبَدء في تحليلها وتفكيكها لاتخاذ موقف نشط تجاهها، يسرِّع العمل التحليليّ[(٢)]، ويكفل تنظيمه، قبل العودة إلى الميدان لاستكمال عملية البحث.

٢. **الحساسيّة النظريّة**: تتكوّن هذه الصفة الذاتيَّة للباحث بعد تَكرار القراءة؛ إذ تتَّضح أمامه الرؤية، ويتحقّق له الوعي بالمعاني الشفّافة والدقيقة للبيانات، والفهم الشامل لحدودها، والروابط المتعلِّقة بها[(٣)] بما تنطوي عليه من أبعاد الجانب التنظيريّ ذي العمق التصوُّري، الذي تنمّيه القراءة المستوعبة لمعالم الظاهرة والتفكير في حدودها ومعالمها اعتمادً على ما جُمع، مع التقليل من القراءات الخارجيَّة قدر الإمكان[(٤)]؛ ليكتسب قدرة على تصوّر ملامح موضوعه مع استيعاب ما يقتضيه من إجراءات منهجيَّة بدرجة أسرع من سائر الباحثين،

(١) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٢١٠

(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٦٨.

(٣) ينظر: السابق: ٤٣. ولأهمية هذه الصِّفة اختارها "جلاسير" عنوانًا لكتابه في منهج النظرية المجذّرة.

(٤) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٤٣، ومدخل لمنهج النظرية المجذّرة: ٤.

حيث يتجلّى أمامه الإطار الموضوعيّ، والحلّة التي تتناسب مع حقيقته، مع استنباط المفاهيم والمعاني القريبة والبعيدة التي تتعلّق به.

معالم منهجية التحليل التذوُّقي في نظرية النظم:

ظهر هذا العمق التأمُّلي الذي برز في الإطار المنهجيّ للنظرية المجذّرة، في نظرية النظم كذلك عن طريق الإجراءات التذوقية التي سلكها عبدالقاهر وصولاً إلى الإجابة عن السؤال البحثي الرئيس الذي انطلقت منه نظرية النظم، وهو: كيف تعمل اللغة من حيث النَّظْم ونسق الكلم؟ ولأنها مثلت المشكلة الرئيسة في نظريته وردت لفظة "نظم" في الدلائل ١٣٥ مرة، ولفظة "الكلم" ٥٧ مرة، ولفظة "نسق" ١٦، وتناول مشكلته البحثية من جانبين رئيسين هما: إعلاء مكانة الشعر والنحو، وصولاً إلى استشراف الإعجاز القرآني. فكان مناط التحليل البلاغي تقوية التذوق وتصحيح أمرين مهمّين:

أولهما: ظنّ الناس أن الشعر لا يفيد دينًا ولا دنيا.

والآخر: اعتقادهم أن النحو ضرب من التكلُّف، لا يستند على أصل، ولا يعتمد على عقل.

ولإيضاح هذين الأمرين جمع ما يستقصي شأن الإعجاز، ويثبت المزية للنظم، الذي تظهر دقائقه، وتتجلى أبعاده عن طريق المعرفة بالشعر والنحو. فدافع عن الشعر، وسعى إلى إبراز قيمته من الأقوال التي أوردها للنبي ﷺ والصحابة في الاستحسان والاستجادة، كما بيّن فضل علم النحو في معرفة دلائل الإعجاز[1].

وهكذا في كل فصل يُعقد، يجمع عبدالقاهر البيانات، ويرصد الأقوال والمسائل المتعلقة به، وينظر في أبعادها، وفي أماكن تصنيفها، ويحللها ويراجعها، ليعرضها بطريقة منطقية، بدءًا بفاتحة القول في الفصاحة والبلاغة، إلى نهاية الكتاب.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣-٣٣.

ومن خلال هذا المبحث تجلّت معالم المنهجيّة الدقيقة في الجمع والتصنيف التي يحتاج الباحث في علم البلاغة إلى تطبيقها بطريقة منهجيّة منظمة باذلاً فيها مجهودًا في الجمع والترميز، والمراجعة والتصنيف، بالإفادة من منهجية النظرية المجذّرة في الجمع والتصنيف بصورة منظّمة تيسّر له تنظيم المعلومات، واستكمال أوجه النقص في الظاهرة من خلال البيانات المستقرأة المجموعة حولها، حتى تتجلى له المعالم المنهجية التي ترسم أبعاد الموضوع، ووتُبرز تصنيفاته، ليبدأ في مراحل التحليل الفعلي وفقًا لمراحله التي سترد في المبحث التالي.

المبحث الثالث: مراحل التحليل

المتأمّل في نظرية النظم العميقة في تحليل النصوص يتبيّن له أنها تمر بثلاثة مراحل، يمكن تكييفها وتصنيفها وفق ما ورد في منهجية النظرية المجذّرة، على النحو الآتي:

١. التحليل المضمونيّ العامّ.
٢. التحليل المجهريّ للجزئيّات.
٣. التحليل الشامل للكلِّيات.

جاءت كلّ مرحلة منها، مبدوءة بسماتها في الإطار المنهجيّ، الذي يمثّل النظريّة المجذّرة متبوعة بطريقة الإفادة منها في تطبيقات التحليل التذوُّقي لنظرية النظم على النحو الآتي:

١. التحليل المضمونيّ العامّ:

يعتمد هذا التحليل على سبر الموضوع، وتصوّر أبعاده للخروج باستدلالات منطقيّة قوامها تشخيص موضوعيّ منتظم، يقرأ الباحث من خلاله المحتوى فقرة فقرة، قراءة فاحصة، ويستخرج أبرز المعاني، التي تشكّل مجموعة من الأفكار والمفاهيم الرئيسة التي تحدِّد معالمه[(١)]، بتكثيف القراءة المضمونيَّة التي تؤدِّي إلى الفهم العميق والتأويل، وتجعل الباحث إلى حدٍّ ما مستوعبًا للمضمون، واعيًا بالمقاصد والمرامي البعيدة والدقيقة التي تتّصل به، قادرًا على التمييز بين ما يرتبط به، وما يخرج من حدوده.

ويمكن الإفادة منها في عمل الباحث في التحليل وفق نظرية النظم، ففي هذه المرحلة تأتي التأمُّلات التحليلية الكلّية الأوليّة المتعمِّقة الكاشفة عن الروابط بين المعاني والمفاهيم التي يحتاج معها إلى تَكرار النظر، ومعاودة القراءة مرّة بعد مرّة، حتى يستوعب الرَّوابط والعلاقات وشبكات المفاهيم التي وراء الألفاظ، وتتبدّى له المعاني،

(١) تصميم البحث النوعي: ٩٩.

ويفهم خبايا الزوايا، وتتكشّف له القرائن والأسرار التي تربط المعاني والألفاظ فيما بينها، باستجماع روافدها الفكرية؛ واستحضار سياقاتها؛ واستيعاب ما يحيط بها من القرائن والأحوال؛ فيواجه النصّ بالأسئلة؛ ليكتشف حقائقه الظاهره والكامنة، ويستنطق خفاياه ومعطياته وعلاقاته وأحواله وقرائنه ومقامه، ويتقصّى مدى مطابقته لمقتضى الحال. وهذا التحليل العميق لا يظهر بقراءة انطباعيّة أُولى، بل بقراءات متوالية، تُسهم في تكشُّف العلاقات، فتوصل إلى التحليل الاستنباطيّ للمعاني والمفاهيم. وظهر هذا العمق التأمُّلي عند عبدالقاهر في مجالات عدّة، أعرض منها مثالين اثنين للتوضيح:

١. استنباط تعلّق النظم بالمعاني وترتيبها: وهذا الاستنباط يتبع ترتيب الألفاظ، التي هي خدم المعاني، والمهم هو العلاقات السياقيَّة؛ فلا بدّ من إعمال الفكر في توخّي الترتيب في المعاني، ثم تليها الألفاظ، وتقفو أثرها، فإذا رُتِّبت المعاني في النفس، لم يحتج المتكلّم إلى النظر في ترتيب الألفاظ، فهي ستنتظم بحكم خدمتها للمعاني، وتعلُّقها بها. وكذا العلم بمواقع المعاني في النفس، يتبعه علم بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النظم(١).

٢. استنباط نوعي المعاني: فالمعاني ضربان هما: المعنى، ومعنى المعنى، ويطلق عليهما المعاني الأُوَل والمعاني الثواني؛ فالضرب الأوَّل منهما يوصل إلى الغَرضِ بدلالةٍ ظاهرة للَّفظِ وحده تُفهَم بغير واسطة، والآخرُ يتجاوز بالعقل الدلالة الأولى إلى أخرى وراءها؛ فلا يكتفي بالمعنى الموضوع في اللغُّة، بل يبحث عن دلالة ثانية توصل إلى الغَرَض. ومدار المعاني الثواني على الكناية والاستعارة والتمثيل، ففي قولهم: "هو كثير رماد القدر"، أو "طويل النجاد"، المعاني الأُوّل مفهومة من الألفاظ أنفسها، والمعاني الثواني تتخطَّى دلالة اللفظ الظاهرة إلى معنًى ثانٍ هو المقصود، يومأ إليه بالمعنى المباشر؛ فيكتسي بذلك الوشي والحلي(٢).

وبالنظر إلى ما سبق من تحليلات عبدالقاهر في نظرية النَّظْم، وتأمُّل شواهده،

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٥٤.

(٢) ينظر: السابق: ٢٦٢ – ٢٦٤.

واستيعاب تفصيلاته، يتبيّن أنها انصبّت على المعاني، مفصَّلة بنوعيها بالشواهد، لتتجلّى الخطوة الأولى للباحث في البلاغة، حيث يفيد من معيار النظرية المجذّرة وإجرائها العمليّ في التحليل الذي يبحث عن المعنى، فيستوعب من التطبيقات التذوُّقية لتحليل النصوص عند عبدالقاهر طريقة التحليل الاستنباطيّ الذي يتحقّق بمعاودة القراءة، ليصل المتلقّي إلى حقيقة ((أنّ النسق اللفظيّ هو صورة لنسق نفسيّ وراءه عقل انتظمه، وأنّ بناء الكلام هو بناء فكر وعقل، وأن ناطقيّة الإنسان هي عقله، وليست لسانه، وما دام هذا هو جوهر الكلام؛ فيجب أن تقرأه من الجهة التي يُقرأ منها، وأن تتحسّس فيه حركة العقل ونسق العقل، وأن ترى به، وفيه صفحة النفس التي صاغته))[1].

٣.التحليل المجهريّ للجزئيَّات:

تمثِّل هذه المرحلة من التحليل ثاني المراحل لدى النظرية المجذّرة؛ فلها قيمة تفصيليَّة عالية، والتحليل فيها يشبه عدسة المجهر التي توضِّح التفاصيل الدقيقة في العيِّنات، من أجل تقسيم البيانات، والاهتمام بالمعاني الجزئيّة المختلفة، ويستخدم عادة منذ بداية الدراسة، بهدف إنتاج أفكار متعدِّدة، يتعمّق الباحث حولها، ويتقدّم في الفهم والمقارنات النوعيّة المختلفة. ويمتاز التحليل المجهريّ بإمكانيَّة مراجعة التفسيرات قبل الوصول إلى الاستنتاجات[2]؛ فيخطو الباحث في هذه المرحلة خطوات عدّة من وصف الظاهرة، والنظر في الأوضاع السببيَّة، والإطارات الداخليّة، من الاعتراض والتفاعل والنتائج الجزئيّة من ذلك كلِّه[3].

ويحتاج الباحث في البلاغة في هذه المرحلة إلى فحص الأساليب، والاهتمام بتفاصيلها الدقيقة، التي تستدعي تأمُّل ما تنطوي عليه المعاني الجزئَّية بالقياس إلى سياقات تقاربها في أصول المعاني، ليتجلّى بالفهم الدقيق انطواؤها على خصوصيّة

(١) مدخل إلى كتابي عبدالقاهر: ٦٢.

(٢) ينظر: تصميم البحث النوعي: ١٠٣.

(٣) ينظر: مدخل لمنهج النظرية المجذّرة: ١١.

ودقّة، لا يشاركها غيرها فيها؛ فينتج عن هذه المرحلة في الفحص تعميق للدلالات النظميّة، يوصل إلى معانيَ جزئية متراحبة الأفق عن طريق الربط، واكتشاف العلاقات بين الأساليب، والنظر في سياقات كلٍّ منها، ومعطياته وقرائنه، وظهر هذا التحليل المجهريّ عند عبدالقاهر، في مجالات عدّة، أعرض منها مثالين اثنين للتوضيح:

١.فصّل عبدالقاهر القول في التغاير بين ما تظنّ فيه المزية للفظ وهي للنظم، متدبِّرًا أبعاد المعاني التي تظهر من النظم المعجز بطريقته المخصوصة، مستشهدًا بقول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[سورة مريم: ٤]، مبيّنًا فضيلة الاستعارة مع جمال النظم عن طريق الإسناد والروابط بين المعاني التي تقوم على الملابَسة، كقولهم: "طاب زيد نفسًا"، و "قرّ عمرٌو عينًا"، وأشباه ذلك مما تُنقل فيه دلالة الفعل إلى سببه، فحقيقة ﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ للشيب في المعنى، وإن كان لـ ﴿ٱلرَّأۡسُ﴾ في اللفظ، فلم يقل: "اشتعل شيب الرأس"، أو "الشيب في الرأس"، ليدلّ النَّظْم مع أصل المعنى، وهو لمعان الشيب وشموله، واستغراق جملته، حتى لم يبق للسواد شيء، ومن ذلك قولهم: "اشتعل البيت نارًا"، الذي يدلّ على الشمول، بخلاف ما لو قيل: "اشتعلت النار في البيت"، الذي لا يقتضى أكثر من وقوعها فيه، وإصابتها جانبًا منه. أمّا الشمول واستيلاؤها على البيت، فلا يُعقَل من مجرّد اللفظ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾[سورة القمر: ١٢] (١).

٢. فحص عبد القاهر السياقات؛ ليبرز اختلاف المعاني تبعًا لاختلاف النظم، بإخضاع كلٍّ منها إلى مجهر المعنى للكشف عن الآفاق الدلالية للتراكيب، متدبِّرًا أبعاد النظوم المتقاربة مسلِّطًا الضوء على الخصوصيَّة المعنويَّة، التي تتبع الخصوصيّة النظميّة، ففي التفريق بين كلٍّ من: "المنطلِق زيد"، "زيد المنطلِق"، مع ما يبدو من اتفاقهما في الظاهر، فليس الأمر كذلك، بل بينهما اختلاف ظاهر. ففي "زيد المنطلِق"، إثبات لحدوث انطلاق عرفه السامع، إلاّ أنّه لم يعلم ممَّن كان، فإن قيل: "زيد المنطلِق"، أزيل

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٠ -١٠١.

عنه الشكّ، وتوجّهت الأنظار نحو الفاعل زيد، وإذا قُدِّم "المنطلِق" فقيل: "المنطلِق زيد"، يدلّ المعنى على رؤية إنسان ينطلِق، دون تبيُّنه؛ فيظهر من القول: إنّ الشخص الذي انطلق من بعيد هو زيد(١).

فيتجلّى بالتحليل المجهريّ الذي أجراه عبدالقاهر، كيف وضع عدسته على أسلوبين متقاربين، ربما يُظنّ تطابقهما في المعنى، لتماثلهما في الغرض ابتداءً من حيث إثبات الانطلاق، لكن عند إعادة فحص النظر، وتقريب عدسة المجهر، يبرز السرّ في التشابه ابتداء، قبل وضوح الصورة، حيث تتَّضح التفاصيل الدقيقة، في سياق كلٍّ منهما ومقامه، بإمكانيَّة مراجعة التفسيرات، قبل الوصول إلى الاستنتاجات، وفي ذلك يقول: ((فمتى رأيت اسم فاعل، أو صفة من الصفات قد بُدىء به، فجُعل مبتدأ، وجُعل الذي هو صاحب الصِّفة في المعنى خبرًا، فاعلم أنّ الغرض هناك، غير الغرض إذا كان اسم الفاعل أو الصفة خبرًا، كقولك: "زيد المنطلق"))(٢).

كما أنّ من المناسب الإفادة من التحليل المجهريّ في البحوث البلاغيّة التي تسعى إلى العناية بتخيّر اللفظ وَفق معايير دقيقة، يُفحص بها كلّ جزء، والتخيّر يختلف عن مجرّد الاختيار؛ فينظر إلى اللفظ من شتّى وجوهه ودلالاته. الدلالة المعجمية التي يحقِّقها أصل جذره في اللغة، ثم دلالته المعجميّة في السياق، ثم دلالته الصوتيّة، ثم صيغته الصرفيّة، فمثلاً ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾[سورة فاطر: ٣٧] أصل معناها من صرخ، لكن صيغة الافتعال التي جاء بها تستدعي تساؤلات عدّة هي: ما الدلالة المعجميّة التي زادت من خلال زيادة المبنى، وتسمُّع أصوات الحروف والنظر إلى مخارجها وصفاتها قوّة وضعفًا؟ وما دلالة حرف الصّفير والرّاء المفخّمة، والخاء الرِّخوة؟ وكيف بثّت المعنى قبل فَهم الدلالة المعجميّة؟ ثم يأتي اصطفاء صيغة الافتعال الصرفيّة بقلب التاء طاء، لتكون ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ دون يصرخون، وشتّان بينهما في الصوت والصيغة، والدلالة التي يزيدها حرف الإطباق؛ ليصوِّر هول الموقف، واستعملت صيغة

(١) ينظر: السابق: ١٨٦.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٨٧.

الفعل دون الاسم؛ فلم يقل مثلاً: تراهم مصطرخين، فالاسم يدّل على الثبوت، والفعل يدلّ على الحدوث، واستعملت صيغة المضارع دون الماضي؛ لتجعل الصورة المفزعة ماثلة في الحسّ.

وقد اهتمّ عبدالقاهر باللفظ، في حديثه عن قيمة التلاؤم في الحروف، ومراعاة الفروق بين المترادفات، لكنه منع أن يكون عمدة المفاضلة للّفظ، دون نظر في نظمه، يقول: ((ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو "قعد" و "جلس"، ولكن فيما فهم من مجموع كلام، ومجموع كلام آخر))[1]، فلتخيُّر اللفظ المفرد بصوته وجرسه ومعناه فضيلة، لكنَّها ليست عُمدةَ النظر[2]؛ لذا حرص عبدالقاهر على إبراز قيمة اللفظ داخل النظم، واستفاض في الحديث عن المعنى المصوّر. فللّفظ في القرآن قيمة جليلة بتخيّره؛ ليؤدّيَ مَهمة جليلة في النظم في مستويين رئيسين:

أوّلهما: خصوصية أصواته ومعناه قبل التأليف، وتميُّزه بدلالاته الثلاث: المعجميّة والصوتيَّة والصرفيَّة، وقد تناولها العلماء قبل عبدالقاهر أيضًا.

والمستوى الثاني: تآخيه مع قرنائه في النظم.

فجدير بالباحث في البلاغة أن يهتمّ بمسألة تخيّر اللفظ التي أبرزها العلماء قبل عبدالقاهر. فقال ابن جنّيّ (٣٩٢هـ): ((لَمَّا كانت الألفاظ للمعاني أزِمَّة، وعليها أدِلَّة، وإليها مُوصِّلة، وعلى المُراد منها محصِّلة، عُنيتِ العرب بها؛ فأوْلَتْها صدرًا صالحًا من تثقيفها وإصلاحها))[3].

ويذكر الباقلاني (٤٠٣هـ) أنّ: ((الكلمة في القرآن يُتمثَّل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غُرَّة جميعه، وواسطة عِقده، والمنادي بتميُّزه، وتخصُّصه برونقه وجماله))[4].

ويعلي ابن رشيق (٤٦٣هـ) من شأن اللفظ؛ فبشرفه يشرُف المعنى فـ((البلاغة

(١) السابق : ٢٦١.

(٢) ينظر: نظرية النظم وقراءة الشعر: ٣٤.

(٣) الخصائص : ٣١٧/١

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني : ٩٤

إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[1].

كما يذكر الراغب الأصفهانيّ (٥٠٢هـ) أنّ ألفاظ القرآن هي: ((لبُّ كلام العرب وزُبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، في أحكامهم وحِكمهم، وإليها مفزَع حُذَّاق الشعر والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها وعدا الألفاظ المتفرِّعات عنها والمشتقَّات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثَّمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لُبوب الحنطة)) [2].

فالمطلوب في التحليل المجهريّ، تأمُّل تخيّر اللفظ وفصاحته، ثم تآخيه مع قرنائه في السياق من خلال مقارنته بغيره من الألفاظ، وطرح الأسئلة حول مكامن تميُّزه في التعبير عن المعنى بناءً على المعطيات التي تجتمع حوله من زواياه الدلالية، وهذا مبحث أصيل في البحوث البلاغة، يأتي بعنوان تخيّر اللفظ، ولا يخفى الفرق الذي يظهر من طريقة التحليل المجهريّ بالنظر إلى الفرق بين لفظي التخيُّر والاختيار، وما يدلّ عليه بناء التخيّر من دلالة التجريب والفحص، ومزيد العناية بالنظر في أسرار الانتقاء والاصطفاء بين الألفاظ، واستكناه أسباب إيثار أحدها دون ما يقاربه.

٤ .التحليل الشامل للكُلِّيات:

تمثَّل هذه المرحلة، الخطوة النهائية في النظرية المجذّرة، وتمتاز بقدر عالٍ من التحليل يضفي الحيويَّة على البيانات، من خلال أجزاء من الفعل والتفاعل، وربطها لتتشكَّل منها نتائج متعاقبة[3]، فإذا كان التحليل المجهريّ يُعنى بالتفاصيل، ويكون في بداية الدراسة، فالتحليل الشامل ينظر إلى البيانات بمنظور أوسع، ليستوعب ما تخبر عنه بصفة عامة، ومن خلاله يستوعب الباحث الطريقة

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده : ٣٩٢/١

(٢) المفردات في غريب القرآن : ١٠

(٣) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١٦٢.

الشموليَّة التي صيغت بها الأفكار الكلّيَّة المتعلِّقة بتطوير المفاهيم، دون الاهتمام بالتفاصيل.

فتقوم هذه المرحلة على فَهم علاقات الفئات الرئيسة مع بعضها بعضًا؛ فهي عملية اختيار فئة أساسية شاملة، تصبّ فيها باقي الفئات، لتفسِّر الظاهرة الكلِّية محلّ الدراسة، ويعدّ هذا التفسير هو التجذير للمشكلة، أو الظاهرة، وهو المرحلة الأخيرة التي يدور حولها تفسير الظاهرة للإجابة عن التساؤل المطروح(١).

وربما تزامنت مرحلة التحليل الشامل مع التحليل المجهري عند الباحث البلاغي الذي يطوّع مراحل التحليل بمرونة فكرية تعطي خصوصية لكلٍّ ظاهرة حسبما يقتضيه الحال، والهدف من هذا كلِّه الحفاظ على مسافة الحياد العلمي، وضبط المنهج المعرفي بدقّته وصرامته، مع إعطاء مساحة للمرونة حسب الحال والمقام وهذا أسّ البلاغة. فمن صور الاهتمام التحليل الشامل لدى عبدالقاهر المتزامن مع التحليل المجهري، الذي ينطلق كلٌّ منهما في اتجاه مغاير حسب طبيعة التحليل عنايته بنقد الظواهر المعرفية دون الأشخاص، كما في نقده للجاحظ وأبي قاسم الجبائي والقاضي عبدالجبار؛ حيث لم يذكر أسماء الأشخاص حتى لا ينشغل عن معالجة المشكلة العلمية والنظرية، بل كان تحليله لهذا النوع من المسائل يرتبط بالجوهر، ويُعنى بالظاهرة وتفسيراتها دون الانغماس في سياقاتها الجزئية، فيهتمّ بالأطر المعرفية الشاملة، بوصفها بؤرة الإشكال العلمي، ويشير إلى الأشخاص بقوله "يقولون، العقلاء، تراهم"، ومن ذلك قوله: ((قد أردت أن أعيد القول في شيء هو أصل الفساد ومعظم الآفة، والذي صار حِجازًا بين القوم وبين التأمُّل، وأخذ بهم عن طريق النظر، وحال بينهم وبين أن يصغوا إلى ما يقال لهم، وأن يفتحوا للذي تبيَّن أعيَنهم، وذلك قولهم: "إنّ العقلاء قد اتفقوا على أنه يصح أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين، ثم يكون أحدهما فصيحًا، والآخر غير فصيح. وذلك، قالوا، يقتضي أن يكون للفظ نصيب في المزية، لأنها لو كانت مقصورة على المعنى، لكان محالاً أن يجعل لأحد اللفظين فضل على

(١) ينظر: مدخل لفهم النظرية المجذّرة: ١١.

الآخر، مع أنّ المعبَّر عنه واحد". وهذا شيء تراهم يُعجَبون به ويكثرون تَرداده))[1].

كما يحتاج الباحث في البلاغة وفق نظرية النظم في المرحلة النهائية من التحليل الشامل إلى مراجعة النصوص الكاملة، والاهتمام بترابطها وتسلسلها، الذي يستدعي التفكُّر في اتساق المعاني في سياقاتها الكلِّية، لتتجلّى أمامه أسرار السبك والتلاحم في الصورة الكاملة المتعلِّقة بالفكرة الرئيسة، التي تقوم عليها النصوص، ويتبيّن عمليّات الانتقاء الكلِّي التي تحقَّقت على مستوى المعاني والفِقَر، حين تتناسب العبارات مع الألفاظ، وتلائم المقام مشكِّلة نصًّا محكمًا متساوقًا، يشبه نظم الحليّ، ويبرز جودة السَّبك الكلّي[2]، فيُجري فحصًا شاملاً لترتيب الكلام تبعًا لِما يقتضيه ترتيبه في النفس والعقل[3].

ولم يظهر هذا التحليل الشامل للكلِّيات عند عبدالقاهر إلاَّ في نموذج واحد، وإشارة ثمينة يُبنى عليها؛ حيث أشار إلى حاجة النّظم إلى هندسة في الترتيب، فاستشهد لاتساق المعاني الكلِّية في النظم بقول الشاعر:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ[4]

فوضّح أنّ السرّ في بلاغتها يرجع إلى المعاني الكُلّيّة وتنسيقها؛ حيث ذكر أنّ أوّل ما يظهر من محاسن هذا الشعر أنّه وَصف الانتهاء من المناسك بتعميم الألفاظ، التي ذكر منها طواف الوداع، ووصَل به مسْح الأركان، وما دلّ عليه حزْم الأمتعة، بما

(١) دلائل الإعجاز: ٤٢١.

(٢) ينظر: مفهوم الكتابة عند الجاحظ: ١٧١، والمنجز اللغوي: ٥١٠.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٥٠، ٥٦.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة : ٢٠ . والأبيات مما اختلف في نسبته بين كُثير عزة، ويزيد بن الطثرية، وعقبة بن كعب بن زهير. ديوان كثير : ٥٢٥، وشعر يزيد ابن الطثرية : ٩٧.

تحويه من إشارة وتلويح ورمز وإيماء إلى النشاط والبهجة التي تليق بحال من أتمّ نعمة العبادة، واستروح الوطن والأحباب، معبّرًا عن ذلك بتنازع أحاديث الأحبَّة على ظهور الرواحل متوجّهين إلى المنازل، بسلاسة سير كماء تسيل به الأباطح [1].

وختم هذا التأويل للمعاني بما يومئ إلى قيمة التحليل الشامل للنصّ بقوله: ((هل بقيتْ عليك حسنة، تُخِيل فيها على لفظة من ألفاظها، حتى إنّ فَضْلَ تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة، لو ذُكرتْ على الانفراد؟ وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه؟ وحتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي، وإن ازدادت حُسنًا بمصاحبة أخواتها، واكتست بهاءً بمُضَامَّة أترابها؛ فإنها إذا جُليتْ للعين فَرْدةً، وتُركت في الخيط فَذَّة، لم تُعدم الفضيلة الذاتية، والبهجة التي في نفسها مَطويَّة... وازدياد الحسن منها بأن يجامِعَ شكلٌ منها شكلاً، وأن يصل الذِّكرُ بين متدانيات في ولادة العقول إيَّاها، ومتجاوراتٍ في تنزيل الأفهام لها))[2].

فأعقب التحليل الجزئيّ، بتحليل شامل بمنظور أوسع، من حيث ترتيب الأفكار في الذهن والصورة الشاملة التي ظهرت بها. لكنّ هذا التحليل الشامل لم يُعط حقَّه في نظرية النظم، بل أشير إليه بإشارات تنظيريَّة سريعة، في طوايا الحديث عن سرِّ عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن بأنه لـ ((مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل، ومساق كلّ خبر، وصورة كلّ عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأمَّلوه سورة سورة، وعُشرًا عُشرًا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة يُنكر شانها، أو يُرى أنّ غيرها أصلحُ هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتِّساقًا بهر العقول، وأعجز الجمهور،

(١) ينظر : أسرار البلاغة : ٢٢-٢٣ .

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٤ .

ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم –ولو حكّ بيافوخه السماء– موضع طمع، حتى خرِست الألسن عن أن تدَّعي وتقول، وخَذِيت القُروم؛ فلم تملك أن تصول))[1]. فكان هذا التنظير بحاجة إلى تحليل على مستوى السورة، يمدّ فروع فكرة النظم؛ لتشمل التناسب في السورة ومواءمة موضوعاتها، لكنه فات عبدالقاهر! واكتفى بإشارت إلى التحليل الشامل دون تطبيق. ومن ذلك أيضًا قوله: ((وليس هو "النظم" الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم نظيرًا للنسخ والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وضع، علةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وُضع في مكان غيره، لم يصلح)) [2].

وتلفت هذه الإشارات الثمينة من عبدالقاهر إلى التحليل الشامل للبناء، بالنظر في الإطار الكلِّي في تناسب النصوص، وتلاؤم موضوعاتها وأجزائها، وقيمة علم المناسبات القرآنية في ابتداء السور وختامها، ومقاصدها وتصريف موضوعاتها، والاتساق والالتئام فيها، والنظام المحكَم في أجزائها، وموضوعاتها، وأمثالها، وتنوُّع أساليب خطابها، بل كذلك تجاوز السورة إلى تأمُّل التناسب الكلّي بين الأجزاء الترتيبيّة للقرآن، وتدخل ضمن ما قاله من إشارات العلماء التي واجهته في خدمة العلم، بأن بعضها ((كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليُطلَب، وموضع الدفين، ليُبحث عنه فيُخرج، وكما يُفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلُكه، وتوضَع لك القاعدة؛ لتبنيَ عليها))[3]؛ فبدعوته هذه والتماسه العذر للعلماء قبله على ما يرد من إشارات قد يفوت عليهم تفصيلها، مبرزًا الحاجة إلى تطلُّبها واقتناصها، والبناء عليها خدمةً

(١) دلائل الإعجاز : ٣٩ .

(٢) السابق: ٤٩ .

(٣) نفسه: ٣٤ .

للعلم، كأنما رسم بتلك الدعوة للمتخصصِّين في البلاغة منهجًا، يسيرون عليه في البحث العلميّ باقتناص الإشارات المجملة التي تومئ إلى كنوز مخبّأة، تحتاج سعيًا في طلبها والبحث عنها، وإبرازها والبناء عليها. وفي نقص هذا التطبيق على مستوى السورة عند عبدالقاهر يقول د. محمود توفيق: ((ومما لم يوفِّه العقل البلاغي حقّه وجه من وجوه إعجازه البلاغي، هو الأحقّ في زماننا أن يكون محلّ الاعتناء، ونتحدى به كلّ عقل وبيان عربي أو أعجمي. إنه وجه إعجاز بلاغة أنساب معانيه وتصاعدها، وأنه النصّ الذي يتحقّق فيه التماسك النصّي من أجلّ ما يكون وأعظمه، وأنّ بلاغة النصّ لا توجد في غيره كمثل ما توجد فيه... والنصيحة لكتاب الله تستوجب استكمال ما لم يُستكمل، لا اجترار ما اعتُني به. وهذا يستوجب أن توجه جهود العقل البلاغيّ العربي في القادم من المدارسة إلى ما يبين عن جانب تحدّيه ببلاغته من ليسوا بعرب))[1].

فلو أنّ عبدالقاهر طبق التحليل على أقصر سورة؛ لاكتملت مراحل التطبيق التحليليّ في نظرية النظم، وتحقّق التحليل الشامل للجزء والكلّ، وتجلّى امتداد فكرة النظم، لتشمل علاقات السورة ودلالتها الكلية، بدءًا من توخّي معاني النحو داخل السياقات التركيبية في السورة، ثم تناسب نظمها الكليّ، الذي هو مناط الإعجاز. ولعلّ دراسات التناسب في إطار السور القرآنية، وترتيبها فيما بينها، تكشف عن هذا الجانب التحليلي المهمّ من نظرية النظم.

ومن خلال هذه المبحث ظهرت المراحل المنهجية التي تمر بها عملية التحليل بأنواعه المختلفة، وما يتواءم منها مع كل نوع من المسائل وصولاً إلى تحليل عميق للنصوص البليغة، بأرفع مستويات التحليل الكاشف عن أبعاد المعاني.

(١) في نقد العقل البلاغي : ١١٩-١٢١، وينظر: المعنى القرآني : ١٠.

المبحث الرابع: إجراءات التحليل

يحرص الباحث في البلاغة وفق نظرية النظم على إجراءات مفصّلة في التطبيق التحليلي القائم على التذوق مع المنهجيّة، والإجراء: مصدر أجرى، وهو تدبير، أو خطوة تتّخذ لأمر ما[1]، ويتناول هذا المبحث الإجراءات المنهجية للتحليل في كلٍّ من النظريّة المجذّرة ونظرية النظم بدءًا بإجراءات النظرية المجذّرة، لكونها تمثّل الإطار المنهجي النظري بإجراءات عملية محددة، تقوم على مصطلحات علمية معروفة في النظرية المجذَرة، فيما يأتي عرضها:

١. إثارة الأسئلة.
٢. المقارنات.
٣. القلب والعكس.
٤. البحث عن العلل والأسباب.
٥. التريّث والتوقُّف الجبري (أسلوب رفع الراية الحمراء).
٦. النظر في الأوضاع المعترضة (المعاني الاستثنائية السالبة).

وتعرض هذه الإجراءات الستة، تقفوها إجراءات أخرى مستنبَطة من التطبيقات التحليلية لنظرية النظم، وتأتي الإجراءات مقسّمة قسمين؛ لتكوَّن تسعة إجراءات منهجيّة يمكن للباحث استخدامها في البحث البلاغي.

أولا: إجراءات النظرية المجذّرة:

١. إثارة الأسئلة:

يَعني هذا الإجراء التحليليّ صياغة استفهامات حول موضوع معيّن لإبراز جوانبه، أو تسهيل تعلُّمه، وهي إجراء مهمٌّ للفَهم واستنطاق الدلالات، واستكشاف الخفايا؛ فالأسئلة من مفاتيح الفهم ومحفِّزاته، حيث تسهم في استقصاء المعاني، وترسيخ المعلومات[2].

(١) معجم المعاني: جرى.
(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٣٩-٤٠.

ويبدأ طرح الأسئلة في النظرية المجذّرة من بداية الجمع ويستمرّ طوال فترة البحث، ويتسم بالدقّة في التوجيه بما يخدم البيانات، ويعرّف بحقيقتها، وينبغي أن تتّصف الأسئلة بالعمق والذكاء، وتجلية الجوانب المعرفية حول الأشياء، وقد تلجأ إلى التفكير خارج الصندوق، وتكتشف جوانب عدّة، تحقّقها صيغ كاشفة عن الأمور التي تحتاج استقصاءً وبعدًا معرفيًّا، ومن أبرز صيغها: أين؟ كيف؟ ماذا لو؟ كم؟[1].

ويمثّل هذا الإجراء عند عبدالقاهر تحليلًا عميقًا للنصوص، وما يتصل بسياقاتها وأسرار تغاياراتها النظمية، وما يتبعها من لطائف التباين المعنويّ، ونكت التمايز السياقيّ في النظوم المختلفة، ويكثر هذا الإجراء في طريقة عبدالقاهر العميقة في التحليل النظميّ، أعرض منه مثالين للتوضيح:

١.عقد فصلاً بعنوان القول في نظم الكلام ومكان النحو منه، استهلّه بقوله: ((اعلم أنّ ههنا أسرارًا ودقائق، لا يمكن بيانها إلاّ بعد أن تُقدِّم جملة من القول في "النظم"، وفي تفسيره والمراد منه، وأيُّ شيء هو؟ وما محصوله ومحصول الفضيلة فيه؟ فينبغي لنا أن نأخذ من ذِكره، وبيان أمره، وبيان المزيّة التي تدَّعى له: من أين تأتيه؟ وكيف تعرِض فيه؟ وما أسباب ذلك وعلله؟ وما الموجب له؟)) [2].

٢. طرح جملة من الأسئلة التي تثير الذهن للتفكير في حديثه عن مواضع التقديم والتأخير، حيث قال: ((من أين كان نظمٌ أشرفَ من نظم؟ وبم عظُم التفاوت، واشتدّ التباين، وترقّى الأمر إلى الإعجاز، وإلى أن يَقهر أعناق الجبابرة؟ أوَ ههنا أمورٌ أخَرُ نحيلُ في المزية عليها، ونجعلُ الإعجاز كان بها، فتكون تلك الحَوالة لنا عذرًا في ترك النظر في هذه التي معنا، والإعراض عنها، وقلة المبالاة بها؟ أوَ ليس هذا التهاون -إن نظرَ العاقلُ- خيانةً منه لعقله ودينه، ودخولاً فيما يُزري بذي الخطر، ويغضُّ من قَدْر ذوي القَدْر؟)) [3].

(١) ينظر: السابق: ٣٩-٨٧.

(٢) دلائل الإعجاز: ٨٠

(٣) السابق: ١٠٩.

ويتضح عند النظر في إجراء طرح الأسئلة في البحث ما يفيده من التشويق، وتوجيه الأنظار نحو عناصرَ معينةٍ، تثير أذهان المتلقِّين نحو آفاق المعرفة واستكناه أبعادها، وفهم طواياها، وترقى بالتحليل إلى مستوًى عالٍ، يؤدِّي إلى تطوير مهارات التفكير.

٢. المقارنات:

يعني هذا الإجراء التحليليّ فحص أوجه الشبه والاختلاف بين الأشياء أو الأفكار أو الظواهر أو الموضوعات أو المواقف، بناء على عدد من المعايير[١]، ويتحقّق في النظرية المجذّرة في مواضع متعدِّدة وبصيغة مستمرَّة تفاعلية، مابين مغلقة حول ظاهرة معينة، إلى بعيدة المدى حول مجموعة من الخواصّ والأبعاد[٢] لتقديم إضافات نوعيّة استثنائية عميقة أثناء البحث مستمدّة من خصوصيّة الظاهرة، واكتشاف أبعادها وعلاقاتها وروابطها المحدّدة من خلال مقارنة الخصائص والأبعاد والسمات، والإفادة منها في الاختزال أو التعديل، وإضافة بيانات جديدة[٣].

ويطالع المتأمِّل في تحليلات نظرية النظم انتشار المقارنات العقلية والتذوُّقية والجمالية، فهي الأساس المعياريّ في فحص النصوص، وإبراز تميُّز كلّ نظم على الآخر، فالمقارنة وسيلة مهمّة جدًّا في التذوُّق وإبراز الجمال، ويكثر هذا الإجراء في طريقة عبدالقاهر العميقة في التحليل النظميّ، أعرض منه مثالين للتوضيح:

١.عقْد مقارنات عدّة بين نظوم متقاربة الصياغة مختلفة المعنى: حيث يقول عن قيمة تأمُّل المعاني التي تتباين باختلاف النظوم، وضرورة النظر في وجوه كلّ باب وفروقه، فينظر في "الخبر" إلى الوجوه المختلفة، التي تدلّ عليها السياقات المتباينة، نحو: "زيد منطلِق" و"زيد ينطلِق"، و"ينطلِق زيد" و"منطلِق زيد"، و"زيد المنطلِق" و"المنطلِق زيد" و"زيد هو المنطلِق"، وزيد هو منطلِق"[٤].

(١) ينظر: الشامل في مهارات التفكير: ١٩٨.
(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١٠٣.
(٣) ينظر: السابق: ٩٥.
(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨١.

٢. إبراز دلالة الاستفهام بالهمزة ومقارنتها بنظومها المختلفة حينما يليها الاسم أو الفعل، فمن دلالة الهمزة على التقرير أن يليها الاسم، ومن ذلك ما ورد حكاية عن قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[سورة الأنبياء]؛ فهم يريدون من الخليل عليه السلام أن يقرّ بكيفية الفعل من غير أن يردّده بينه وبين غيره، أو يوهم انتفاءه على الحقيقة، فالهمزة تقرير بفعل كان، وإنكار لسببه، وتوبيخ لفاعله. ولها مذهب آخر، هو وقوع الإنكار على أصل الفعل لو قيل: "أفعلت؟" وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[سورة الإسراء]، وقوله عز وجل: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[سورة الصافات]، فهذا ردٌّ على المشركين وتكذيب لهم في قولهم، وإذا قدِّم الاسم صار الإنكار في الفاعل. ومثاله أن يقال لرجل انتحل شعرًا: "أأنت قلت هذا الشعر؟ كذبت، لست ممن يحسن مثله"، ففيه إنكار أن يكون القائل، دون إنكار الشعر نفسه(١).

فهو يقارن في السياق بين نظوم متقاربة في الصياغة وأصول المعاني، ومختلفة في المقام وقرائن الأحوال؛ ليثبت المزية للنظم المطابق لمقتضى الحال، المحقِّق للمعنى المراد، الكاشف عن الغرض الذي سيق لأجله.

٣. القلب والعكس:

يعني هذا الإجراء التحليليّ افتراض تبديل الأماكن فيما بين العناصر المختلفة؛ ليظهر منها تميّز كلٍّ واحد بمكانه، وتحقيق ما يحتاجه من معطيات تميِّزه، ولا يشاركه فيها غيره، بمقارنات عكسيّة، ويتحقّق بها قلب المفهوم رأسًا على عقب من أجل الحصول على تصوُّرات مختلفة، والوصول إلى اكتشافات واستنباطات صحيحة(٢).

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١١٣- ١١٤.

(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ٩٨.

فيمكن أن ينطبق هذا الإجراء في تحليلات نظرية النظم بقلْب النظم إلى طريقة أخرى مباشرة في التعبير لإثبات قيمة الفنّ البلاغيّ في مقامه. أعرض فيما يأتي مثالين للتوضيح:

١. إظهار التفاوت بين التعبير بالاستعارة حين يستدعيها المقام، وما تؤدّي إليه من الأبلغية في المعنى، واختلافها عن التعبير بالحقيقة، مبيِّنًا أنّ المعاني تنقلب إن تحوّلت النظوم، فجاء في مقابل النظوم القرآنيَّة المعجزة التي تأتي بطرق المجاز، بنظوم عكسيَّة، لا تؤدِّيها في سياقها، إن سُلك فيها التعبير بالحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة:٩٣]، فكم فيه من المزية على أن يقال: "اشتدّت محبّتهم للعجل، وغلبت على قلوبهم"! وكذا صورة المعنى في قوله ﷻ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [سورة مريم: ٤]، تختلف اختلافًا بيِّنًا عن صورته في قول من يقول: "شاب رأسي كلُّه"، أو "أبيضّ رأسي كلُّه"(١).

٢. إبراز جودة اللفظ حين يراد به به دلالة المعنى على المعنى، وانتقاد العكس من ذلك، وهو رداءة اللفظ حين تنقص قوّته في التعبير عن معنى المعنى. فاستشهد لذلك بقولِ العباسِ ابنِ الأحنف:

سأَطلبُ بُعْد الدارِ عنكُمْ لِتَقْربوا وتَسْكُبُ عيناىَ الدموع لتجمُدا

فدلّ سكب الدموع على الحُزْن والكَمَد، بخلاف دلالة: "لتجمُدا"، التي أراد منها إفادة المسرَّة والسلامة من الحزنِ؛ إذ الجمود خُلُوّ العينِ من البُكاء، وانتفاء الدموعِ عنها، فكأنَّه قال: "أحزن اليومَ؛ لئلاّ أحزنَ غدًا، وتبكي عيناي جهدَهما؛ لئلاّ تبكيا أبدًا"(٢)، ولكنّ المعنى ليس كما وهم الشاعر؛ لذا ساق عبدالقاهر شاهدًا يقلب

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٤٢٧.

(٢) ينظر: السابق: ٢٦٨-٢٦٩.

معناه، من أجل الحصول على تصوُّرات مختلفة، والوصول إلى استنتاجات صحيحة بنقض المعنى الذي ظنّه الشاعر لدلالة جمود العين على السرور، فانتقد تعبيره مستشهدًا ببيت ورد بلفظ "الجمود"، بمعنًى مضادّ تمامًا، فالجمود هو امتناع العين من الدموع مع حاجتها إليها، ولذلكَ لا يذكر "الجمود" إلاَّ في الشكوى والذمّ، ووصْم العين بالبخل؛ لأنّ امتناعها من البكاءِ تَرْك لمعونةِ صاحِبها على تفريغ الهمّ، كما في قول الشاعر:

ألا إنّ عينًا لم تجُد يوم واسطٍ عليك بجاري دمعها لجَمودُ

فلا أحد يجعل "جُمود العين" دليل سرور وأمارة غِبْطة، وكناية عن الفرح [1]

فأجمل عبدالقاهر مقصوده من عرض الشاهد وانتقاده له، بعرض شاهد آخر عكسه، وبالردِّ على من يعتقد سلامة معناه، بأنه لا يستقيم؛ لِما يوقع من التناقض والاضطراب.

فكان الإجراء التحليليّ في هذا الشاهد يقوم على القلب والعكس؛ حيث نقد نقيض الأسلوب؛ ليبيِّن إبداع استعماله في مقامه، وسوء استعماله حين يكون باللفظ نفسه، لكن ينقلب إلى سياق مختلف، يفسد معه المعنى.

٤. البحث عن العلل والأسباب:

يعني هذا الإجراء التحليليّ ((وصف الصِّلة بين حدَثين، يكون الأول سببًا في وقوع الثاني)) [2]. والنظر في الأسباب والنتائج، والربط بينهما، وهو إجراء مهمّ في النظرية المجذّرة يساعد على التمييز بين الحقائق، وتعميق الوعي بمعطياتها بناء على ربط العلل بنتائجها؛ حيث يبرز الأحداث المؤدّية إلى ظهورٍ أو تطورٍ لظاهرة ما، بالنظر إلى الخواصّ والأبعاد المحدَّدة التي يمكن تفسيرها بإعادة النظر في الأوضاع السببيَّة المتعلِّقة بها[3].

(١) ينظر: نفسه: ٢٦٩-٢٧١.

(٢) الشامل في مهارات التفكير: ٧٦.

(٣) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١١٣.

والمتأمّل في نظرية النَّظْم يجد أنّ عبدالقاهر يولي هذا الإجراء التحليليّ اهتمامًا بالغًا؛ حيث يقول: ((لا بدّ لكلّ كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلّة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحّة ما أدعيناه من ذلك دليل))[(١)]؛ فهو بهذا يؤصّل ضرورة استقصاء الأسباب؛ لترسيخ الأفكار والمعلومات. وسأعرض لهذا الإجراء مثالين للتوضيح:

١. ما أورده في حذف المفعول به مستشهدًا بقول عمرو بن معدي كرب:

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحُهم نطقتُ ولكنّ الرماحَ أجرّتِ

فـ"أجرّت" فعل متعدٍّ، ولو عدّاه سيقع على ضمير المتكلِّم "أجرّتني"؛ فلا يُتصوَّر أن يقال: "ولكنّ الرماح أجرّت غيري"، إلاّ أنّ المعنى يلزم ترك النطق بالمفعول، والسبب أنّ ذكره يوهِم خلاف الغرض، وهو إثبات الإجرار، وحبس الألسن عن النطق، ولو قال: "أجرّتني"، جاز أن يتوهّم أنه لم يُثبت للرماح إجرارًا، بل عنى أنها أجرّته. فقد يذكر الفعل كثيرًا، والغرض منه ذكر المفعول، فلما كان في تعدية "أجرّت" ما يوهم ذلك، لم ينطِق بالمفعول، لخلوص العناية بإثبات الإجرار لـ"الرماح"[(٢)].

٢. ما ذكره عن المعنى الذي لا يحتمل إلاّ الوجه الذي هو عليه، وتكون له المزيّة والفضل حين يحتمل في ظاهر الحال وجهًا غير الذي جاء عليه، لكن تنبو النفس عن الوجه الآخر، ويظهر الحسن والقَبول في المعنى الأوّل، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ...﴾[سورة الأنعام: ١٠٠]، فلتقديم ﴿شُرَكَآءَ﴾ حُسْن في القلوب، لا يتحقّق بالتأخير في: "وجعلوا الجنّ شركاء الله"، إذ تنتقل فيه الصورة إلى معنًى آخر. فللتقديم فائدة شريفة، ومعنًى جليلًا، فجملة المعنى ومحصوله في جعل "الجن شركاء" وعبادتهم لهم مع الله تعالى، وتقديم ﴿شُرَكَآءَ﴾ يفيد هذا المعنى،

(١) دلائل الإعجاز: ٤١.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٥٧.

ومعه معنًى آخر، وهو أنه لا ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجنّ، ولا من غيرهم[١].

والتعليل سمة بارزة في طريقته، إلاّ أنّه أحيانًا لا يذكر العلّة، بل يكتفي بما تشعر به النفس من الاستجادة والحسن، دون أن يكشف عن أسبابه، وذلك لأنّ سمات الحسن في البيان منها ما يبلغ شأوًا، لا تكاد الألسنة تستطيع الإبانة عن سببه، مع انجذاب القلب إليه[٢].

٥. التريّث والتوقّف الجبري (رفع الراية الحمراء):

يعني هذا الإجراء التحليليّ في النظرية المجذّرة بطريقة مصوّرة حسِّيَّة أن يلوّح الباحث بالراية الحمراء، التي تستدعي التوقّف لمزيد من التأمُّل والتبصُّر، لتبيُّن حقائق الأحكام والكلمات والنصوص القائمة على التصوّرات المعيارية حول كلمات وعبارات محدَّدة، لا سيما ما يدلّ منها على التعمُّق مثل: دائمًا، أبدًا، كلّ الناس، لا يوجد. وهذه القضية التحليليّة تستدعي عدم التسليم بأيّ شيء، أو أخذه على علّاته مطلقًا[٣].

ويطالع المتأمِّل في تحليلات نظرية النَّظْم انتشار هذه العبارات، التي تومئ إلى جوانب معياريّة، تُنبئ عن الثقافة المعرفيّة التي حازها عبدالقاهر في البصَر بالأساليب، ومقادير استعمالات الناس لها، ويظهر هذا الإجراء في طريقته في التحليل النظمي. أعرض منه مثالين للتوضيح:

١. حديثه عن القول في الإعجاز، والعُمَد التي توجب له الفضل والمزيّة، يقول فيه: ((قد أجمع الجميع على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأنّ المجاز أبدًا أبلغ من الحقيقة، إلاّ أنّ ذلك، وإن كان معلومًا على الجملة، فإنّه لا تطمئنّ نفس العاقل في كلّ ما يطلب العلم به،

(١) ينظر: السابق: ٢٨٦.

(٢) نفسه: ٢٨٦.

(٣) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١٥٠.

حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه، وحتى لا يبقى عليه موضع شبهة، ومكان مسألة)) [1].

٠٢ إبراز خصوصيّة ضمير الشأن في التعبير؛ إذ إن الإعلام بالشيء بعد التنبيه عليه والتقدمة له، يكسبه فخامة وشرفًا؛ فيجري التعبير فيه مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام. ويدل على صحة ذلك ظهور معاني الفخامة والشرف في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ...﴾[سورة الحج:٤٦]، بخلاف ما لو قيل: "فإنّ الأبصار لا تعمى"[2]. ثم يعقب على ذلك بقوله: ((وكذلك السبيل أبدًا في كلّ كلام كان فيه ضمير قصّة؛ فقوله تعالى: ﴿...إِنَّهُۥلَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[سورة المؤمنون:١١٧]، يفيد من القوّة في نفي الفلاح عن الكافرين، ما لو قيل: "إنّ الكافرين لا يفلحون"، لم يُستفد ذلك. ولم يكن ذلك كذلك، إلا أنك تُعلِمه إيّاه من بعد تقدِمة وتنبيه، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطّد، ثم بنى ولوّح، ثم صرّح. ولا يخفى مكان المزيّة فيما طريقُه هذا الطريق))[3].

ففي المثال الأول وضع تعبيرًا معياريًّا هو "إجماع الجميع"، وإن كان هذا التعبير فيه نظر، فلا يمكن أن يؤخذ على إطلاقه؛ بل ينبغي تقييده بالمعيار الرئيس للبلاغة، وهو مطابقته لمقتضى الحال، ولو كانت المعاني الثواني أبلغ من المعاني الأُوَل، لكان القرآن كلّه مجازات وكنايات، لكن هذه الأساليب تأتي متى ما استدعاها السياق والمقام، وطلبتها المعاني. وقد أومأ عبدالقاهر إلى هذا الأمر حين ختم كلامه السابق باستثناء يستدعي النظر والفحص في قوله: ((إلاّ أنّ ذلك، وإن كان معلومًا على الجملة، فإنّه لا تطمئنّ نفس العاقل في كلِّ ما يطلب العلم به، حتى يبلغ فيه غايته،

(١) دلائل الإعجاز: ٧٠.

(٢) ينظر: السابق : ١٣٢ .

(٣) نفسه : ١٣٣ .

وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه)) [1].

وفي المثال الثاني، أورد شاهدًا على الخصوصية الملازمة للتعبير بضمير الشأن، بأن ذكر اطّراد معناه "أبدًا" في كلّ كلام مماثل؛ ليفاد من هذا التعميم المتعمّق إيجاد قاعدة عامَّة في التعبير بهذا النمط الأسلوبيّ، يمكن التسليم بها بعد الاستقراء.

٦. النظر في الأوضاع المعترضة (المعاني الاستثنائية السالبة):

يقصد بهذا الإجراء التحليلي في النظرية المجذّرة التوقُّف مع الحالات الاستثنائية التي تقدم استكشافًا للمفاهيم بموثوقيّة، وتعطي القارئ أمانًا وثقة في النظريّة [2].

ويظهر للمتفكّر في تحليلات نظرية النَّظْم، البحث عمّا خرج عن الأصل، أو جاء مخالفًا لمقتضى الظاهر، فهذا النوع من المعاني ينطوي على نكت بيانيّة في التعبير، يحققها التأمُّل الواسع في آفاق المعاني، ويظهر هذا الإجراء في طريقة عبدالقاهر في التحليل النظميّ، أعرض منه مثالين للتوضيح:

١.الحديث عن التقديم والتأخير، الذي قال عنه: ((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر؛ فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحوِّل اللّفظ عن مكان إلى مكان))[3]. واستشهد له بتقديم المفعول به على فعله، ومنه "غير" في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...﴾ [سورة الأنعام:١٤]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ...﴾ [سورة الأنعام:٤٠]، فللتقديم من الحسن والمزيّة والفخامة، ما لا يكون لو أخِّر فقيل: "قل أأتخذ غير الله وليا" إذ حصل بالتقديم معنى الإنكار أن يكون غير الله يستحقّ أن

(١) دلائل الإعجاز: ٧٠.

(٢) ينظر: أساسيات البحث الكيفي: ١٦١.

(٣) دلائل الإعجاز : ١٠٦.

يُتّخذ وليًّا؟ وإنكار أن يرضى عاقل بهذا الفعل! وإنكار أن يكون أحد أجهل وأعمى ممن فعله؟"، ولا تتحقّق هذه المعاني إذا قيل: "أأتخذ غير الله وليا". وذلك لأنّ الإنكار سينصبّ على الفعل وحده(١).

٢.الحديث عن الحذف، وقيمته المعنويّة مع كونه خلاف الأصل، وهو الذكر، يقول عنه: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر، فإنك ترى به ترك الذِّكر، أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون؛ إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن))(٢). ويستشهد له بقول البحتري: ((وهو يذكر محاماة الممدوح عليه، وصيانته له، ودفعه نوائب الزمان عنه:

وكم ذُدتَ عني مِن تحامل حادث وسورةِ أيام حززنَ إلى العظم

الأصل لا محالة: حززنَ اللحم إلى العظم، إلاّ أنّ في مجيئه به محذوفًا، وإسقاطه له من النطق، وتركه في الضمير، مزيّة عجيبة، وفائدة جليلة))(٣).

ويحرص عبدالقاهر على استكناه المعاني الاستثنائيَّة التي تأتي خلاف الأصل، ومنها المجاز والتمثيل والحذف والتقديم والتأخير، فهي أساليب تخرج عن أصل التعبير، ويتوقّف عند تلك الحالات الاستثنائية، التي تقدِّم استكشافًا للبلاغة، يفوق عند مطابقته المقام والحال أصول التعبير، وبذلك يعطي المتلقِّي ثقة في استعمال الأساليب، والإحساس ببلاغتها في مقاماتها؛ والبحث عن السياقات المتفرِّدة، التي قد تجري على خلاف مقتضى الظاهر، وهي لبّ الدراسة البلاغية.

ثانيًا: إجراءات نظرية النظم التي يمتاز بها التحليل في البحث البلاغي:

يواجه المتأمّل في طريقة عبدالقاهر في نظرية النظم، إجراءات تحليلية تمتاز بها طريقته، التي تتناسب مع طبيعة النظرية، ومجالها في التحليل البلاغي العميق، وتأمل

(١) ينظر: السابق : ١٢١.

(٢) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

(٣) السابق: ١٧١ .

آفاق المعاني؛ لذا كان من المهم إبرازها لإكمال الصورة.

ويمكن تلخيصها في ثلاثة عناصر هي:

١. التأصيل والاستشهاد.

٢. الربط في الانتقال.

٣. الاستقصاء، واستنطاق النصوص.

وفيما يأتي عرضها:

١. التأصيل والاستشهاد:

يعني التأصيل وربطه بالاستشهاد إعادة صياغة المعلومات، أو التعبير عنها بصورة تظهر العلاقات المهمّة في عناصرها، عن طريق إبراز أصولها وقواعدها، وإيراد الشواهد التي تدعمها وتجلّي مسائلها التنظيرية. فقد حرص عبدالقاهر على أن يُتبع كلّ قاعدة نظرية بالشواهد، وظهر ذلك في معظم تأصيلاته وتحليلاته. وسأعرض منها مثالين للتوضيح:

١. حديثه عن النظم يتّحد في الوضع، ويدقّ فيه الصنع، يقول فيه: ((ممَّا نَدرَ منه ولطُفَ مأْخذُه، ودقَّ نظرُ واضعِه، وجلَّى لكَ عن شأوٍ، قد تُحسر دونه العِتاقُ، وغايةٍ يَعْيَى من قبلها المذاكى القُرّح[١]، الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين، كبيت امرئ القيس:

كأنَّ قُلوبَ الطيرِ رَطْبًا ويابسًا لَدى وَكْرِها العُنّاب والحشَف البالي))[٢].

٢. تتنوّع عنده الشواهد، ويتناول كلٌّ منها جانبًا من الموضوع، يقول: ((مِن الكلام ما أنت تَعلم إذا تدبَّرْته أنْ لم يحتج واضعه إلى فكْرٍ ورويّة حتى انتظم، بل ترى سبيلَه في ضمِّ بعضِه إلى بعضٍ، سبيلَ مَن عمدَ إلى لآلٍ فخرَطها في سلك، لا يبغي

(١) "المُذاكى" جمع "المُذكّى"، وهي من الخيل الجياد التي بلغت الذكاء، وهي سن القروح، و "القُرّح"، جمع "قارح"، وهو من الخيل ما بلغ خمس سنين، وتم تمامه. دلائل الإعجاز : ٩٥.

(٢) دلائل الإعجاز: ٩٤-٩٥، والبيت في ديوان امرئ القيس: ١٦٦.

أكثر من أن يَمْنعها التفرُّقَ، وكمَنْ نَضَدَ أشياءَ بعضها على بعض، لا يريد في نَضده ذلكَ أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلاّ أن تكون مجموعة في رأي العين. وذلك إذا كان معناك، معنى لا تحتاج أن تصنع فيه شيئًا غير أن تعطف لفظًا على مثله، كقول الجاحظ:"جنبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسبًا، وبين الصدق سببًا، وحبّب إليك التثبُّت، وزيّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرَك برْد اليقين، وطرَد عنك ذلّ اليأس، وعرّفك ما في الباطل من الذِّلة، وما في الجهل من القِلّة"(١)) (٢).

فيظهر في تأصيله واستشهاده صياغة القواعد النظرية، والاستشهاد لها، وضرب الأمثلة بصورة تظهر جوانبها المهمّة، وتحوّلها إلى تطبيقات عقلية، ترسخ في الذهن مرتبطة بالشواهد؛ فيتحقّق من خلالها تكوين المفاهيم التي يبقى أثرها راسخًا في التأصيل المعرفيّ.

٢. الربط في الانتقال:

هو ترتيب الأحداث، أو الفقرات بطريقة منظّمة ودقيقة(٣)، تؤدّي إلى ترسيخ الأفكار والشواهد، وفَهم تسلسلها وتتابعها.

ويحرص عبدالقاهر دومًا عند الانتقال من موضوع إلى آخر أن يربط بين السابق واللاحق؛ ليحدث منظومة فكريّة متكاملة، تعيد تشكيل الأشياء بناءً على شبكة معرفيّة متوالية، تعي مواطن الشَّبه والاختلاف. وبرزت هذه السِّمة في كلّ انتقالاته بين العناصر، وسأعرض منها مثالين للتوضيح:

١.حديثه عن إثبات المعنى في قياس التمثيل، الذي ربطه بالكناية في مسألة الإثبات، حيث قال: ((هذا ما ينبغي للعاقل أن يجعله على ذكر منه أبدًا، وأن يعلم أنه ليس لنا إذا نحن تكلَّمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغُل، ولا

(١) الحيوان: ١/٧.

(٢) دلائل الإعجاز: ٩٦ –٩٧.

(٣) ينظر : تدريس مهارات التفكير : ٢٢١ .

هي منّا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدُث بالتأليف والتركيب. وإذ قد عرفت مكان هذه المزيّة والمبالغة التي لا تزال تسمع بها، وأنها في الإثبات دون المثبَت، فإنّ لها في كلٍّ واحد من هذه الأجناس سببًا وعلّة. أمّا "الكناية"؛ فإنّ السبب في أنْ كان للإثبات بها مزيّة، لا تكون للتصريح، أنّ كلّ عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أنّ إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها؛ فتثبتها هكذا ساذَجًا غُفلاً. وذلك أنّك لا تدّعي شاهدَ الصفة ودليلَها إلاّ والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يُشكّ فيه، ولا يُظنّ بالمُخبِر التجوُّز والغلط))[1].

٢.حديثه عن النظم يتّحد في الوضع، ويدقّ فيه الصنع، مثّل له بالمزاوجة يقول: ((واعلم أن مما هو أصل في أن يدُقّ النظر، ويغمض المسلك في توخّي المعاني التي عرفتَ: أن تتّحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا... فمن ذلك أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معًا))[2]. وربط بالمزاوجة التشبيه في دقّة النظم الذي تتّحد أجزاؤه، يقول: ((وإذْ قد عرفتَ هذا النمطَ منَ الكلام، وهو ما تتَّحِدُ أَجزاؤه حتى يُوضَعَ وَضْعًا واحدًا، فاعلمْ أَنه النمطُ العالي والبابُ الأَعْظم، والذي لا تَرى سلطانَ المزيةِ يَعْظُم في شيءٍ كَعِظَمه فيه))[3].

وبذلك يؤسِّس منهجيَّة معرفية، تحقِّق التكامل بين الأجزاء المتشابهة، والفَهم العميق لمعانيها، وأصول ارتباطها، والتدرُّب على التحليل والاستنباط، والربط بين المعاني على أسس سليمة، تحسن الانتقال بين المعاني وصياغتها في قواعد متسلسلة مترابطة، بعلاقات معنوية ظاهرة، تجعل الذهن ينتقل بينها مستوعبًا التكامل المعرفيّ الذي يربط بينها.

(١) دلائل الإعجاز: ٧٢.

(٢) السابق: ٩٣

(٣) نفسه: ٩٥.

٣. الاستقصاء، واستنطاق النصوص:

الاستقصاء هو ((نشاط بحثي منظّم يهدف إلى وصف العلاقات بين الأشياء والأحداث والكشف عنها...، ويتضمّن تفكيرًا استقرائيًّا، يقوم به الفرد بعد أن يمتلك معرفة واسعة وناقدة عن موضوع ما))[١]. ويأتي هذا الإجراء المهمّ عند الباحث في البلاغة، بفحص المسائل، وافتراض أسئلة ذهنيَّة حولها، وهذه الطريقة تعتمد على استنطاق النصوص، وإنشاء محاورات ذهنيّة، تستقصي المسائل وتحيط بجوانبها، وهي تشبه إلى حدّ كبير طرح الأسئلة، لكنّ إجراءها يختلف، وتشتهر عند عبدالقاهر وغيره من العلماء وتسمى الفنقَلة، وهي إجراء تحليلي يقوم على طرح افتراضات شرطية، تتضمن سؤالًا، يجاب عنه، بتوظيف عدة صيغ أشهرها: فإن قيل كذا فالجواب، أو فإن قلتَ كذا قلتُ كذا، وهي طريقة السؤال والجواب، وتستعمل للإثارة والتشويق والترسيخ في الأذهان، ولفظ الفنقلة نحت مثل الحمدلة والبسملة[٢].

أعرض منها مثالين للتوضيح من طريقة عبدالقاهر:

١.بعد أن تحدث عن الثناء المسجوع، مستشهدًا له بما جاء في وصف اللسان: ((اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن الضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يُفصَل به الخطاب، وواعظ يَنهى عن القبيح، ومُزيِّن يدعو إلى الحَسَن، وزارع يحرث المودّة، وحاصد يحصُد الضغينة، ومُلهٍ يُونِق الأسماع))[٣]. فقد استقصى المسألة من جوانبها، مسلطًا الضوء على زاوية مهمَّة، قد تثير تساؤلاً، فهو يطرحه، ويجيب عنه: ((فإن قلتَ: أفليس هو كلامًا قد اطَّرد على الصواب، وسلم من العيب؟ أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل: أمَا والصواب كما ترى فلا؛ لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللسان، والتحرُّز من اللحن وزيغ الإعراب، فتعتدُّ بمثل هذا الصواب))[٤].

(١) الاستقصاء والدرس الاستقصائي في العلوم: ١٦.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٢٩٤.

(٣) دلائل الإعجاز: ٩٧.

(٤) السابق: ٩٨.

٢. في إبراز الفروق في الحال وضع عنوانًا لمسألة من مسائله هي: ((القياس أن لا تجيء جملة من مبتدأ وخبر إلاّ مع الواو، وعلة ترك ذلك)) [١]. يقول: ((فإن قلت: فقد ينبغي على هذا الأصل أن لا نجيء جملة من مبتدأ وخبر حالاً إلاّ مع "الواو"، وقد ذكرت قبل أنّ ذلك قد جاء في مواضع من كلامهم. فالجواب أنّ القياس والأصل أن لا تجيء جملة من مبتدأ وخبر حالاً إلاّ مع "الواو"، وأمّا الذي جاء من ذلك؛ فسبيله سبيل الشيء يخرج عن أصله وقياسه، والظاهر فيه، بضرب من التأويل، ونوع من التشبيه، فقولهم: "كلمته فوه إلى فيّ"، إنما حسن بغير "واو" من أجل أنّ المعنى: كلمته مشافهًا له)) [٢].

ومما سبق يتبيّن قيمة هذا الإجراء في الاستكشاف، والتحرّي لإنتاج المعرفة وتحليل النصوص واستنطاقها، فهو إجراء تحليلي مهم للباحث في البلاغة، وإن لم يصرِّح بتلك الفنقَلات، لكنه يحتاج إلى وضعها دومًا في ذهنه، لاستقصاء المسائل ومحاورة النصوص، والاستفاضة في شرحها.

ومن خلال هذه المبحث ظهرت قيمة استحضار هذه الإجراءات المتنوِّعة، التي تحقّق التحليل التذوُّقي العميق بمنهجية واضحة، تعتمد على عمليات عقلية واسعة ومهارات تفكير عليا، وصولاً إلى أرقى مستويات الفهم واكتشاف العلاقات والروابط بين الأشياء، التي تظهر بواسطتها صورها الكلية الشاملة لأبعادها، مما تتضح معه أبعاد المعاني والمقاصد والأغراض التي تنطوي عليها النصوص البليغة.

(١) نفسه: ٢١٨.

(٢) نفسه: ٢١٨.

الخاتمة

وبعد، فقد سعت هذه الدراسة إلى توظيف منهج النظرية المجذّرة في تأصيل البحث البلاغي وفق نظرية النَّظْم، وجاءت في أربعة مباحث تناول أولها نبذة عن نظريتي الدراسة، ومواطن التشابه بينهما، وأبرز الثاني منهجية الجمع والتصنيف في النظرية المجذّرة للإفادة منها في وضع إطار منهجي لنظرية النظم، وفصّل الثالث مراحل التحليل المنهجي، وبسط الرابع الإجراءات التحليلية التي اتفقت في كلتا النظريتين مع تسليط الضوء على الإجراءات التي تميزت بها نظرية النظم، وخرجت الدراسة بالنتائج الآتية:

١. التشابه بين كلٍّ من النظرية المجذّرة ونظرية النظم في اهتمام كلٍّ منهما بالتحليل الذي يختلف في كيفيته وماهيته.
٢. تميّز النظرية المجذّرة بإطار منهجيّ منظم في جمع المادة وتصنيفها، يمكن أن يسهم في تنظيم منهجيّة البحث البلاغي وفق نظرية النظم.
٣. قيمة تطبيق مراحل التحليل في النظرية المجذّرة في البحث النوعيّ على نظرية النظم، في الاهتمام بتحقيق التكامل في التحليل البلاغيّ الذي يحقّق الجودة المنهجيّة.
٤. الكشف عن الإجراءات المنهجيّة للتحليل التي يتفق فيها كلٌّ من النظرية المجذّرة ونظرية النظم، مع إبراز جوانب تفرَّدت بها نظرية النظم يمكن أن توضع ضمن إجراءات التحليل المنهجيّ التي يحتاجها البحث البلاغيّ للوصول إلى أفضل النتائج.

وتوصي الدراسة الباحثين بالتعاون في مشروع علميّ يشترك فيه باحثون من قسمي الاجتماع والبلاغة لإقامة دراسات بينيّة للبحوث النوعيّة ترقى بالمنهجيّات البحثية وصولاً إلى مستويات عُليا لتجويد البحوث، وفتح آفاق المعرفة.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على النبيّ الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع*

استراتيجيات تعليم التفكير، مصطفى نمر: دار البداية، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

الاستقصاء والدرس الاستقصائي في العلوم، د.محمود الوهر: الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاكر: دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

أساسيات البحث الكيفي، أساليب وإجراءات النظرية المجذّرة، أ.د.أنسليم ستراوس، د.جوليت كوربين، ترجمة أ.د.عبدالله الخليفة: مركز البحوث والدراسات الإدارية، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مروان عبدالمجيد إبراهيم: مؤسسة الوراق، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

أصول البحث، عبدالهادي الفضلي: دار المؤرخ العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

إعجاز القرآن، أبوبكر الباقلاني، شرح وتعليق د. محمد عبدالمنعم خفاجي: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

تدريس مهارات التفكير مع مئات الأمثلة التطبيقية، أ.د.جودت سعادة: دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٩م.

تصميم البحث النوعي، دراسة معمّقة في خمسة أساليب، جون كريسويل، تشيريل بوث، ترجمة أ.د.أحمد الثوابية، تدقيق أ.د.خالد السعوي: دار الفكر، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

التفكير وتعلم مهاراته، عبدالعزيز الموسوي: الدار المنهجية، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

* ما جاء منها دون تاريخ أو رقم للطبعة، أو بيانات للنشر، فهو هكذا في الأصل.

الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .

الدرس اللغوي عند عبدالقاهر الجرجاني، د.أحمد إسماعيل عبدالكريم.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، علق عليه محمود شاكر: دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ .

الشامل في مهارات التفكير، ثائر حسين: مركز ديبونو لتعليم التفكير، عمّان، الطبعة الثالثة. ٢٠١٤م.

العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق د.النبوي شعلان: مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ .

في نقد العقل البلاغي، د.محمود توفيق محمد سعد: الحكماء للنشر، أبوظبي، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

لسان العرب ، ابن منظور: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.

مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، د.محمد أبوموسى: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

مدخل لمنهج النظرية المجذّرة، د.حسن الذبياني: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة.

المعجم الفلسفي، د.جميل صليبا: دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م .

المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، عني به: د.محمد عوض مرعب، فاطمة أصلان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، رؤية منهجية ومقاربة تأويلية: د.محمود توفيق محمد سعد: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ ، ٢٠٢١م.

المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

مفهوم الكتابة عند الجاحظ، دراسة في كتاب الحيوان، أمين اليزيدي: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الطبعة الأولى،٢٠٢٠م.

مناهج البحث الكمي والنوعي والمختلط، رجاء أبو علام: دار المسيرة، ٢٠١٣م.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

المنجز اللغويّ في فكر الجاحظ، الهوية والانتماء، قراءة اجتماعية في اللفظ والمعنى، أمين اليزيدي: المجلة العلمية، كلية الآداب جامعة أسيوط، العدد ٤٤، ٢٠١٢م.

منهج البحث في اللغة والأدب وتحقيق النصوص، د.عبدالله السلمي، ود.مختار الغوث: دار خوارزم، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبدالقاهر الجرجاني، د.محمود توفيق محمد سعد.

نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر، دراسة، تطبيق، تحليل، د.نجاح الظهار: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الاولى، ١٤٢٦هـ.

النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الأستاذين لانسون ومايبه، د.محمد مندور: دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

الوجيز في طرق البحث العلمي، أحمد المزجاجي: دار خوارزم، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

Bibliography

Strategies for Teaching Thinking, Mustafa Nemer: Dar Al Bedayah, Amman, 1st Edition, 2014.

Inquiry and Teaching Science through Inquiry, Dr. Mahmoud Al-Wahr: 1st Edition, 2016.

Asrar Al-Balagha (Secrets of Rhetoric), Abd al-Qahir al-Jurjani, commented on by: Mahmoud Shaker: Dar Al-Madani, Jeddah, 1st Edition, 1412 AH.

Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory, Prof. Anselm Strauss, Dr. Juliet Corbin, translated by: Prof. Abdullah Al-Khalifa: Center of Administrative Research and Studies, Riyadh, 1419 AH, 1999.

Foundations of Scientific Research for Preparing University Thesis, Marwan Abdul Majeed Ibrahim: Al-Warraq Foundation, Jordan, 1st Edition, 2000.

Fundamentals of Research, Abdel Hadi Al-Fadli: Dar al-Mouarekh Al-Arabi, Beirut, 1st Edition, 1412H, 1992.

Iʿjāz al-Qur'ān, Abu Bakr Al-Baqillani, explained and commented on by: Dr. Muḥammad ʻAbd al-Munʻim Khafaji: Dar Al-Jeel, Beirut, 1st Edition, 1411 AH.

History of Damascus, Ibn Asaker, verified by: Ali Shiri: Dar Al-Fikr.

Teaching Thinking Skills- with Hundreds of Practical Examples, Prof. Dr. Jawdat Saadeh: Dar Al-Shorouk, Amman, 2009.

Research Design: an in-Depth Study of Five Methods, John Cresswell, Cheryl Booth, translated by: Prof. Ahmed Al-Thawabiya, Proofread by: Prof. Khaled Al-Sa'wi: Dar Al-Fikr, Amman, 1st Edition, 1440 AH, 2019.

Thinking and its Skills, Abdulaziz Al-Mousawi: Al-Dar Al-manhajia, Amman, 1st Edition, 2014.

Al Hayawan (The Animal), Abu Othman Al-Jahiz, verified by Abdel Salam Haroun: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press, Egypt, 2nd Edition, 1386 AH.

Al-Khaṣā'iṣ, Abu Al-Fath Othman ibn Jinni, verified by: Dr. Abdulhamid Hindawi: Dar al Kotob al Ilmiyah, 1st Edition, 1421 AH.

The Linguistics of Abd al-Qahir al-Jurjani, Dr. Ahmed Ismail Abdulkarim.

Dala'el Al-E'jaz (Signs of Miracles), Abd al-Qahir al-Jurjani, commented on by: Mahmoud Shaker: Dar Al-Madani, Jeddah, ٣rd Edition, 1413 AH.

Al Shammel in Thinking Skills, Thaer Hussein: Debono Center for Teaching Thinking, Amman, 3rd Edition. 2014.

Al-Umda in Poetry Industry and Criticism, Ibn Rashiq Al-Qayrawani, verified by: Dr. Al-Nabawi Shaalan: Al-Khanji Press, Cairo, 1st Edition, 1420 AH.

In Criticism of the Rhetorical Logic, Dr. Mahmoud Tawfiq Muhammad Saad: Al Hukamaa Publishing, Abu Dhabi, 1st Edition, 1440 AH, 2019.

Lisan al-'Arab, Ibn Manzur: Dar Sader, Beirut, 1st Edition, 1997.

Studies in Sciences of the Qur'an, Sobhi Al-Saleh: Dar al-Ilm for Millions, 24th Edition, 2000.
An Introduction to the Abd al-Qahir al-Jurjani's Two Books, Dr. Muhammad Abu Mousa: Wahba Library, Cairo, 1st Edition, 1418 AH, 1998.
An Introduction to the Grounded Theory Methodology, Dr. Hassan Al-Dhibyani: College of Arts and Humanities, Taibah University.
The Philosophical Dictionary, Dr. Jamil Saliba: Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1st Edition, 1973.
The Philosophical Dictionary, Arabic Language Academy: General Authority for Amiri Press Affairs, Cairo, 1402 AH, 1983.
Dictionary of Language Measures, Abu Al-Hussein Ahmed iBn Faris: Dr. Muhammad Awad Mer'eb, Fatma Aslan: House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1st Edition, 1422 AH.
The Qur'anic Meaning, Towards Understanding Meaning in Light of the Context of the Surah: A Methodological Prospective and an Interpretive Approach: Dr. Mahmoud Tawfiq Muhammad Saad: Wahba Library, Cairo, 1st Edition, 1442 AH, 2021.
Al-Mufradat fi Gharib al-Quran, al-Raghib al-Isfahani, verified by: Muhammad Khalil Itani: Dar Al-Maarifa, Beirut, 1st Edition, 1418 AH.
The Concept of Writing according to Al-Jahiz: a Study in Al Hayawan Book, Amin Al-Yazidi: The Modern Book's World, Irbid, 1st Edition, 2020.
Quantitative, Qualitative, and Mixed Research Methods, Raja' Abu Allam: Dar Al Masira, 2013.
Minhaj al-Bulagha' Wa Siraj al-Udaba, Hazem al-Qirtagni, prefaced and verified by: Muhammad al-Habib Ibn al-Khoja: al-Thaqāfah al-Dīnīyah Library, Cairo.
Linguistic Perfective in Al-Jahiz Thought, Identity and Belonging: Social Reading in Pronunciation and Meaning, Amin Al-Yazidi: The Scientific Journal, Faculty of Arts, Assiut University, Issue No. 44, 2012.
Research Methodology in Language, Literature and Text Verification, Dr. Abdullah Al-Salami & Dr. Mukhtar Al-Ghouth: Dar Khwarizm, Jeddah, 2nd Edition, 1435H, 2014.
Abd al-Qahir al-Jurjani's System Theory and Poetry Reading, Dr. Mahmoud Tawfiq Muhammad Saad.
Abd al-Qahir al-Jurjani's System Theory: Study, Application, Analysis, Dr. Najah Al-Zahhar: Al-Rushd Library, Riyadh, 1st Edition, 1426 AH.
Arab Systematic Criticism and Research Method in Literature and Language, Lanson and Mayeh, translated by: Dr. Muhammad Mandour: Nahdet Misr Publishing, Cairo, 1st Edition, 1996.
Al-Wajeez in the Methods of Scientific Research, Ahmed Al-Mazjaji: Dar Khwarizm, Jeddah, 1st Edition, 1428 AH, 2007.

المعنى وضده في القرآن بين بلاغة التأكيد والتأسيس من خلال كتب المفسرين

Meaning and Its Opposite in the Quran Between the Rhetoric of Emphasis and Construction Through the Books of Exegetes

د. سعيد بن عثمان بن محمد الملا

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بالأحساء–جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: Dr.saeedalmulla@gmail.com

المستخلص

يعدُّ التأكيد من الأغراض البلاغية الكبرى، التي انطوت عليها مقاصد النظم البياني في القرآن الكريم، ولهذا جدَّ البحث هنا في الكشف عن نوع مهم منه، وهو ما كان المعنيان فيه واحدًا، وإن لم يأت تابعًا على سمت التوكيد. ومن صوره المهمة: تأكيد المعنى القرآني بضده المنفي.

وأهم ما تتميز به الأشكال المؤكِّدة، هي محافظتها على وظيفتها الأساسية التأسيسية، بالإضافة إلى معنى التوكيد، الذي دلت عليه في الخطاب.

وقد عني هذا البحث بادئ ذي بدء بالكشف عن المعاني التي شاركت التأكيد وتظافر معه في تقديم صورة المعاني في أعلى دلالتها، للوصول إلى الأغراض التي تتطلبها تلك المقامات. ثم دلف إلى دراسة تلك الشواهد التي اختارها اختيارًا قائمًا على التنوع الذي يجلي الصبغة المتكاملة له في البيان المحكم، وصنّفها تبعًا لأهم الصور الأسلوبية التي شكّلت فارقًا غنيًّا في التمايز المعنوي الذي جلّته هذه الشواهد بتلك الصبغة. فحضور العطف . في شواهد هذا الأسلوب . وهو الذي يقتضي مغايرة معنوية، مع التأكيد الذي إذ تأمل الناظر لمآل الجملتين وأنهما بالنظر إليه بمعنى واحد، أثار لديه تساؤلًا عن شأنه وشأن العطف.

كما تنوعت الجملتان المنظورتان في شواهد هذا الفن، بين كون الأخرى منفية والأولى مثبتة أو العكس، أو هي نهي والأولى أمر، أو تكون هي والتي قبلها مثبتتين أو منفيتين، بِعدِّ الإثبات أصلًا فرعه النفي؛ وقد تلمس البحث تبعًا لذلك آثارًا معنوية، ودلالات ممتدة، لاحت بسناها أمام القارئ المتدبر.

مفتاح البحث: بلاغة، تأكيد المعنى، التأسيس في القرآن، الأضداد.

Abstract

Emphasis is one of the major rhetorical objectives, that constitute the cynosure of the objectives of eloquence structures in the Glorious Qur'an. For this reason, the research sought here to reveal an important type of it, which is what the two meanings in it are one, even if it did not come as a follower on the attribute of the emphasis. Among its important manifestations is: confirming the Qur'anic meaning with its opposite.

The most important characteristic of emphasizing forms is their preservation of their basic foundational function, in addition to the meaning of emphasis, which what indicated by the discourse.

First of all, this research was concerned with revealing the meanings that contribute in the emphasis and joined it in presenting the image of meanings at the highest level of connotation, in order to reach the purposes required by those situations. Then it went to study those evidences that were chosen based on the diversity that shows the integrated character of it in the precise statement, and classified them according to the most important stylistic images that formed a rich difference in the moral differentiation that these evidences showed in that color.

The presence of sympathy - in the evidence of this method - which requires a different moral, with the assertion that when the beholder contemplates the outcome of the two sentences and that they are looking at it with one meaning, he raises a question about it and the matter of sympathy.

The two sentences seen in the evidence for this art vary, between the other being negated and the first being affirmed or vice versa, or it is a prohibition and the first is an order, or it and the one before it are affirmed or negated, after the proof is originally its branch of negation; Accordingly, the research felt moral effects, and extended connotations, which became apparent in front of the discerning reader.

Key words: Rhetoric, meaning emphasis, construction in the Glorious Qur'an, contrasts.

المقدمة

الحمد لله الذي أكّد ببلاغة القرآن الكريم نبوة رسوله الأمين ﷺ، وأفاض فيه من معاني الهدى والرشاد ما أكرم به وعلّم، أما بعد؛ فلقد تضوع مسك معاني كتاب الله، فغشي الخلق من سحر بيانه ما غشيهم، فأسلموا طوعًا وكرهًا، لا تنبِس بمعارضته للمجحفين شفاه، ولا تشيح عن عجائبه لهم جباه، وإذا رجع حسود منهم النظر باحثًا عن قصور، ارتد بصره خاسئًا وهو حسير، فتبارك الله أحسن القائلين.

وإن من تلك التي شرفت باحتضان معانيه المنيفة، أساليب التأكيد التي لا تكاد تبارحه، على مدى رحلة النظم من الفاتحة إلى الناس، ذلك لأنه كتاب هداية وعناية وشفاء لما في الصدور.

أهمية الموضوع:

تنوع التأكيد في كتاب الله لدرجة لا يكاد يخلو من رائحته نوع من أنواع البيان، ولون من ألوان المعاني، وطيف من أطياف البديع، التي اشتملها النظم العالي.

إلا إنّ ما حظي بالدراسة منها لدى علماء البلاغة، كان أكثره ما اشتهر على ألسنة النحاة من أساليب صناعية، كالتوكيد اللفظي والمعنوي، وما كان بالأدوات وزيادة الحروف، أما ما كان التأكيد منه بالأسلوب بأسره، مما لا يؤدى بالكلمة أو الأداة الواحدة، فنزر يسير.

بينما أكثر المفسرون من التعرض لأساليبه ومبانيه، وطرق التعبير عنه، غير أن ذلك كان يأتي في نظرات جزئية، في كلامهم، يوضحون فيها ما للتأكيد من أثر على المعنى. وهم في ذلك معذورون، فإذا كان البلاغيون لم يقدموا التوكيد في صور متكاملة، فإن المفسرين ليس من طبيعة عملهم أن يتناولوا أسلوبًا وحده كالتوكيد، فيدرسوه دراسة شمول وعمق واستقلال.

الدراسات السابقة:

من أساليب التأكيد التي لم يلتفت لها البلاغيون، وأشار إليها المفسرون، تأكيد المعنى بنفي ضده، ومع أنه طريقة عربية، نالت حظها من النظم الكريم، إلا أن

الدراسات الحديثة التي عرضت للتأكيد ـ مما اطلعت عليه . لم تتناول هذا الجانب، ولعل أوسعها فيما وقع تحت يدي ممن أشار إليه إشارة:

١- دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن: للدكتورة عائشة عبيزة من جامعة الحاج لخضر بباتنة، من الجزائر، وهي رسالة دكتوراة، تناولت فيها الباحثة التوكيد عند النحاة والبلاغيين والأصوليين، وناقشت فيها آراء النحاة في دراسة بعض مسائل هذا الأسلوب وبيان مدى انجرارهم وراء نظرية العامل وما يستتبع ذلك من إغفال للجوانب غير الشكلية داخل النص وخارجه.

٢- دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد وأثره عند الأصوليين دراسة تحليلية مقارنة: للدكتور سعيد أحمد فرج، وهو بحث متعلق بدراسة قاعدة من القواعد المهمة في فهم النص، وهي دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد، ويهدف هذا البحث لبيان أهمية هذه القاعدة وارتباطها بعلم أصول الفقه، وبيان بعض تطبيقاته في الأصول.

٣- التوكيد أدواته ودلالاته، دراسة نحوية وبلاغية، نماذج من القرآن الكريم: لابتسام إخلف وآخرَين، من جامعة عبدالرحمن ببجاية من الجزائر، وتحاول هذه الدراسة الإجابة على الإشكالية الآتية: كيف يتجلى أسلوب التوكيد عند كل من علماء النحو والبلاغة، وما هي أهم الأدوات التي اعتمدت في ذلك؟ وما دور هذه الأساليب في سورة البقرة وأهم المعاني التي تضمنتها.

خطة البحث:

بعد التمهيد بمكانة التأكيد ومقتضياته ومظاهره في القرآن الكريم، سلكت هذا الجهد في مبحثين، على النحو الآتي:

جعلت الأول منها للتعريف بالتأكيد لغة واصطلاحًا، متبعًا ذلك بالقضايا التي لازمته في القرآن الكريم، كالتأسيس، والعطف، والزيادة، والقصر، أو نافسته كالإثبات والنفي.

وأما الثاني: فحصرت فيه صور تأكيد المعنى بضده المنفي، وجعلته في نوعين ما كان معطوفًا فيه الضد على ضده، وما ليس بمعطوف.

ثم ختمت بنتائج خلصت فيها إلى الأغراض البلاغية، لتأكيد المعنى بضده، في القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

تجدر الإشارة إلى أنني اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمكنني من خلاله أن أقف على الوشائج القائمة، بين نظم اللغة في تركيبها، وبين ما تؤديه من معاني وأغراض.

والله أسأل أن ينفع به وأن يتقبله بقبول حسن إنه جواد كريم.

التمهيد

يعد التأكيد من أهم الأساليب البلاغية، التي انطوى عليها النظم البديع في كلام البارئ سبحانه، ذلك لأن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، نزل بلغة غنية ذات مخزون عال من الأساليب التي تتلون في أشكالها، وتتضافر في مضامينها بحيث تحقق أغراض القول.

وأود أن أشير إلى أنني آثرت استعمال لفظ "التأكيد" على "التوكيد" لكثرة تعبير البلاغيين به، على أن هذا الأخير أفصح من صاحبه(١)، وليتمايز عن تعبيرات النحويين بالتوكيد الذي قصروه على صوره الصناعية، واستثنيت من ذلك ما كان معبرًا به في نصوص العلماء التي أوردتها، أو السياقات النحوية البحتة احترامًا لهم رحمهم الله.

ولا شك أن كثرة استعمالاته في القرآن تعود إلى ما اقتضاه حال المتلقين من أمة الدعوة، كما يعود للمدة الزمنية التي استمر فيها نزول القرآن الكريم، في مكة عنها في المدينة، مما استتبع زيادة عدد السور المكية، التي تتحدث عن المعتقد المفتقر إلى التأكيدات، خلافًا للسور المدنية التي تحكي في مجملها التشريع، وإن لم تكن تخلو أيضًا من قضايا العقيدة. كما أنّ وجود التوكيد في القرآن مرده لما في التنزيل من الأنباء الغيبية والأخبار الماضية، المفتقرتين إلى أضرب التوكيد في مخاطبة متلقيها(٢).

ولا نبالغ إذا قلنا إنّ " بلاغة العربية كلها قائمة على التوكيد؛ فكل أساليبها لا تخلو من دلالاته؛ فمنزلته في علوم البلاغة العربية عظيمة، وبابه من العلم كبير وواسع؛ فكل أدوات العربية و تراكيبها مما يدخل في إسناد الكلام، و كل أبواب علم المعاني من تقديم وتأخير وقصر وتعريف وتنكير، وسائر وجوه التراكيب المعروفة في بناء

(١) ينظر: الجوهري، **الصحاح**: وكد.

(٢) ينظر: إبراهيم علي **الجعيد خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير**: ١٩.

الكلام العربي؛ كل ذلك يدخلُ التوكيد في بنيته الدالة، و كل أساليب بيان العربية التي تندرج تحت علم البيان هي في قلب معنى التوكيد؛ إذ ليس التشبيه و الكناية و الاستعارة إلا مؤكدات في سياق بيان الفكرة التي جاءت لبيانها " (١).

ولما كان هذا الأسلوب الشريف يرمي إلى تلكم الأغراض العميقة، كان الشأن أن تعددت مظاهره وتنوعت، وجاءت في كتاب الله على أحسن الصور، وأكمل الطرق، وأدق المسالك، بحيث لا يمكن حصرها.

تعريف التأكيد لغة واصطلاحًا:

(التأكيد) لغة في التوكيد، والواو والكاف والدال، أصلٌ يدلُّ على شدٍّ وإحكام، والوكاد: حبل تشدُّ به البقرة عند الحلب، يقولون: وكد وكده إذا أمّه وعني به(٢). وقد جاء في القرآن الكريم بالواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [سورة النحل:٩١].

يقول أبو حيان (٧٤٥هـ):"وزعم الزجاج أن الهمزة بدل من الواو، وليس بجيد؛ لأن التصريف جاء بالتركيبين، فدل على أنهما أصلان"(٣).

وهو في اصطلاح البلاغيين، كما عرّفه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) بقوله:" حدّ التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر، قد سبق منك"(٤).

وضد الشيء: خلافه، من تَضَادَّ الأمران: كان أحدُهما ضِدَّ الآخر، الضدُّ: المخالفُ والمنافي(٥).

(١) د.علي بن محمد الحارثي، **ومضات فقط**، موقع منتدى الفصيح لعلوم اللغة العربية www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=69837.

(٢) ينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**: وكد .

(٣) أبوحيان الأندلسي، **البحر المحيط** ٦/ ٥٢٨.

(٤) دلائل الإعجاز: ٢٣٠.

(٥) ينظر: ابن سيده، **المحكم**: ضدد، وابن منظور، **لسان العرب**. المادة نفسها.

ألوان التأكيد:

"والمؤكدات كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، فإن كثيرًا من طرق بناء الكلام تعطيه قوة ووكادة، فالذكر قد يفيد توكيدًا، والحذف قد يفيد توكيدًا، والوصل والفصل، والتكرار والاعتراض والالتفات، وصور التشبيه، والاستعارة، وأنواع المجاز، والكناية، كل هذا وغيره يفيد أنواعًا من التوكيد والمبالغة في تثبيت المعنى أو نفيه"(١).

ومعلوم أنّ النّحاة أهملوا كثيرًا من أشكاله الأخرى في اللغة، مع اعترافهم بوجود هذه الدلالة فيها(٢).

وهذا الأمر لم يغب عن ذهن علماء اللغة أيضا، فهذا ابن جني في الخصائص يتعرض للموضوع، موضحًا وجود معنى التوكيد، مع غياب لفظه المعهود، فهو يرى أن ما كان المعنيان فيه واحدًا، وإن لم يأتِ تابعًا على سمت التوكيد، فإنه بمعنى التوكيد البتة(٣).

ومن ألطف سبل التوكيد التي أشرقت بها تراكيب النظم الكريم، وأشار المفسرون إلى قيمتها وما تكتنزه من لطائف بيانية، هو تأكيد المعنى بضده المنفي، معطوفًا عليه أو غير معطوف.

فقد أشار الطاهر بن عاشور (١٣٩٣ هـ) في تفسيره إلى صورة من صوره، وقال: "وتأكيد الشيء بنفي ضدّه، طريقة عربية قد اهتديتُ إليها " (٤).

وأظن أن الذي هداه إلى ذلك، ما حباه الله من سعة اطلاع وفقه استيعاب، لما سطره المفسرون قبله، من ذوي الذائقة المتفردة في تناول لطائف النظم المعجز، في كتاب الله، والعارضة الملهمة في التعبير عما تفيؤوه من وريف ظلال تعبيراته، الغنية بعمق الدلالة ورشاقة الإلماح.

---

(١) أ.د. محمد أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**: ٤١٧.

(٢) ينظر: عائشة عبيزة، **دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن**: ٧٩.

(٣) ينظر: ابن جني، **الخصائص**: ٤٥٧/٢.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**: ٣٠١/٢٩.

فالرازي (٦٠٦هـ) في مفاتيح الغيب، كثيرًا ما أشار إلى هذا النوع، عند وقوفه على شواهده في الذكر الحكيم، وأبو حيان (٧٤٥هـ) في البحر المحيط كذلك، وسيتضح هذا عند إيراد إشاراتهم في عرض شواهد هذا النوع، لكنني أظن أن ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في هذا النوع اختصّ بأمور:

أولًا: تسميته لإحدى صوره (تأكيد وقوع الشيء بنفي ضده) فلم يسبق إلى ذلك.

ثانيًا: إشادته به، حيث عدّه من غريب ما استعملته العرب في كلامها، إذ يقول:" وهذا من غرائب الاستعمال، كما يقال: عاجلًا غير آجل، قال طالب بن أبي طالب:

فليكن المغلوب غير الغالب وليكن المسلوب غير السالب"(١).

ثالثًا: الإشارة إلى نظائر الشاهد الواحد منه في القرآن الكريم، عند وقوفه شطر أحدها.

رابعًا: إيراد شواهد له، من منظوم كلام العرب ومنثوره، وهو الأمر الذي لم أجده عند من سبقه منهم، فلله دره.

دواعي التأكيد:

إنّ تركيز النحاة على المفاهيم الصناعية، جعلهم يقتصرون في الدواعي الجارّة للتوكيد، على ما كان الداعي إليه دفع درجات الشك، التي قد تعتور المخاطب وتحيط بالمقام، فتتبع أغلب البلاغيين خصائص الأدوات التي تدفع ذلك، مما أقرها النحاة، الأمر الذي قيد التفكير البلاغي وحرم دروسه من تفيؤ ظلال كثير من أغراضه ودواعيه التي انطوى عليها في آثار العرب، بل في القرآن الكريم وحديث الرسول العظيم، التي كانت محل عناية المبدعين منهم، كعبدالقاهر، والزمخشري (٥٨٣ هـ) والطيبي (٧٤٣ هـ) والألوسي (١٢٧٠هـ) وابن عاشور (١٣٩٣ هـ)، إذ لم تقيدهم في اكتشاف دواعيه حدود المخاطب وشكه وإنكاره، بل غاصوا لاكتشاف زخائر بحاره، فجاؤوا بالثمين الوفير. فلم يكن حال المخاطب وحده هو المسيطر على دواعي التأكيد وأسراره من وجهة نظرهم، بل شمل المتكلم والسامع والرسالة الكلامية المراد تبليغها، وكل عنصر معين يتعلق بقضايا معينة، لها ارتباط بالمعنى، من ذلك:

١- صدق الرغبة ووفور النشاط من المتكلم، ونيل الرواج والقبول من السامع،

(١) المصدر السابق ٢٦٣/٧.

وكون الخبر على خلاف ما يترقب، والتشنيعُ والإشعار بهول الحدث وفظاعته. كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [سورة الشعراء:١١٧].

٢-إظهار كمال العناية، كقوله تعالى اسمه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة يس:٣].

٣- كمال الخوف، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة آل عمران:١٩٢].

٤-كمال التضرع والترحم، كقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [سورة آل عمران:١٩٣] (١).

٥- تصوير ما فيه خواطر الآخرين، كقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر:٢].

٦-مواجهة تطلعات النفس وحسم آمالها، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة لقمان:٣٣]

٧- توطين نفس المخاطب لتلقي الخبر، كقوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [سورة طه:١٠].

٨- إماطة الشبهة لغرابة الخبر، كقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه:١٢].

إلى غير ذلك من أغراض (٢) يلمح إليها البليغ إلماحًا بأسلوب التوكيد.

(١) ينظر: الكفوي، **الكليات**: ٢٦٨.

(٢) ينظر: رجب رفاعي، **بلاغة ضروب التأكيد في أحاديث الترغيب والترهيب**:٢٥١.

المبحث الأول: ملازمات التأكيد ومنافِساته في القرآن الكريم

يعد تأكيد المعنى بضده، لونًا من ألوان التأكيد بتكرار معنى الجملة دون ألفاظها، التي اشتمل عليها النظم المعجز، في مواطن كثيرة منه، ولعلي في هذا المبحث أتناول تعريفه، وألقي الضوء على القضايا التي لازمته، أو نافسته في القرآن الكريم.

أ – ملازماته:

١) العطف:

لازمَ العطفُ، تأكيدَ المعنى بضده المنفي، في أكثر شواهد هذا الفن، من كتاب الله.

"والعرب إذا أكدوا بمثل هذا، قد يأتون به غير معطوف، نظرًا لمآل مفاد الجملتين، وأنهما بهذا الوجه بمعنى واحد، وذلك حق التأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [سورة النحل:٢١].وقوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [سورة المدثر:٩-١٠].وقول الأعشى: إما ترينا حفاة لا نعال لنا، وقد يأتون به بالعطف، وهو عطف صوري؛ لأنه اعتداد بأن مفهوم الجملتين مختلف، ولا اعتداد بمآلهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [سورة طه:٧٩] وقوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٦] وقول المتنبي: والبين جار على ضعفي وما عدلا"(١).

ويتمثل الفرق المعنوي بين العطف والتأكيد، في كون العطف يفهم على أن الثاني مغاير للأول (أي مفهوم المغايرة)، أما التأكيد فيفهم على كون الأول هو الثاني (أي مفهوم المطابقة)(٢).

ومن المعلوم أن البلاغيين اعتنوا بهذا الأمر في باب الفصل والوصل، إذ أقروا ترك

---

(١) التحرير والتنوير ٨/١١٦.

(٢) ينظر: خميسة وطار، **حروف العطف في العربية وتطبيقات من القرآن الكريم**: ٥٩ .

العطف؛ لكمال الاتصال، حيث يكون لثلاثة أمور، أولها: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والمقتضي للتأكيد، دفع توهم التجوز.

إلا أن اجتماع العطف والتأكيد في آن واحد في القرآن الكريم، على شواهد من مثل هذا النوع الذي اعتنى البحث به، جعل العلماء يذهبون لإقرار مبدأ العطف الصوري، الذي يعتد بمفهوم المغايرة بين معنيي المعطوف والمعطوف عليه، مع أن الثاني مؤكد للأول، ودافع لتوهم التجوز فيه، الأمر الذي يتوجب في مثله الفصل بينهما بترك العاطف. ولهذا سموا العطف صوريًّا.

يقول الصبان (١٢٠٦ هـ): "إن العطف في مثل هذا صوري لا حقيقي؛ لأن بين الجملتين تمام الاتصال، فلا تعطف الثانية على الأولى حقيقة، كما صرح به علماء المعاني. ولأن الحرف لو كان عاطفًا حقيقيًّا، كانت تبعية ما بعده لما قبله بالعطف لا بالتأكيد"(١).

وفي ظني أن وجود مثل هذا يدل على أن المؤَكِّد يحمل فائدة إضافية، مغايرة لتلك التي أثبتها المؤَكَّد، لا تتعارض مع المعنى الذي أسسته، بل تثبته وتضيف عليه، وهو نتيجة يضيفها هذا البحث؛ لإقرار مبدأ الفائدة والجدة، التي كانت مكان شك وخلاف بين العلماء قديمًا وحديثًا، مما نلحظ في شواهده.

وممن وظّف العطف في شواهد التأكيد لمعنى المغايرة، عند حديثهم عن توكيد الشيء بنفي ضده، وسماه صوريًّا، ابن عاشور، إذ يقول في أحد شواهد هذا النوع: "وقد يأتون به بالعطف، وهو عطف صوري؛ لأنه اعتداد بأن مفهوم الجملتين مختلف"(٢).

ويقول عند أحد شواهده، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا

(١) الصبان، **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**: ١١٩/٣.
(٢) **التحرير والتنوير**١١٦/٨.

مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [سورة هود:٩١]." وجملة: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾مؤكدة لمضمون ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ﴾ [سورة هود:٩١] لأنه إذا انتفى كونه قويًّا في نفوسهم؛ تعين أن كفهم عن رجمه مع استحقاقه إياه في اعتقادهم، ما كان إلا لأجل إكرامهم رهطه، لا للخوف منهم.

وإنما عطفت هذه الجملة على التي قبلها، مع أن حق الجملة المؤكدة أن تفصل ولاتعطف؛ لأنها مع إفادتها تأكيد مضمون التي قبلها، قد أفادت أيضا حكمًا يخص المخاطب، فكانت بهذا الاعتبار جديرة بأن تعطف على الجمل المفيدة أحواله، مثل جملة ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ والجمل بعدها"(١).

٢) إثبات الجملة ونفيها:

تنوعت الجملتان المنظورتان في شواهد هذا الفن، بين كون الأخرى منفية والأولى مثبتة أو العكس، أو هي نهي والأولى أمر، أو تكون هي والتي قبلها مثبتتين أو منفيتين.

ومن الأصول التي يمكن افتراضها أنها أصول كلية، عدّ الإثبات أصلًا فرعه النفي(٢)، فهو لا يحتاج دليل من اللفظ ليدل عليه، بعكس النفي الذي يدخل على الكلام الموجب، فهو أصل بمعنى أن له من الكفاية النفسية ما يجعله أصلًا ،ويمكن بتحديده تحديد حيز النفي، وأيضًا فأصل الأساليب الإنشائية أخبار؛ لأن الأمر بالشيء يعني الإخبار عن طلب فعله، وكذلك الاستفهام والنهي(٣)، فلهذا يحمل النفي على الإثبات، فالأولوية للإثبات والنفي ثانوي (٤).

(١) المصدر السابق ١٢/١٤٩.

(٢) ينظر: التفتازاني، **المطول**: ٥٧.

(٣) ينظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**: ١/٢٠.

(٤) ينظر: شكري مبخوت، **إنشاء النفي**: ٤٩.

ولكل إيجاب سلب يقابله، ولكل سلب إيجاب يقابله، وذلك من حيث الإيجاب والسلب موجودان في النفس لا خارجها(١).

ورغم قوة التناظر بين الإثبات والنفي، إلا أن هناك بعض الإثباتات لا يمكن نفيها، إما لأنها إنشاءات لا تنفى مباشرة، أو أفعال دالة على الاعتقاد وشبيهة بالإنشاء، فتفقد عند نفيها رائحة الإنشاء فيها، أو لأنها من ألفاظ الإثبات الخاصة، أو بعض الجمل المثبتة التي لا مقابل منفيًّا مباشرًا لها، وبعض الجمل المنفية التي لا مقابل مثبتًا لها(٢).

والإثبات يرتكز على التخصيص، بمعنى إفراد بعض الكلام بحكم عما قد يشاركه فيه غيره، ويقابل التخصيص بهذا المعنى الشيوع والتعميم.

٣) التكرار:

من أعظم الملازمات التي اشتهرت في أساليب التأكيد، تكرار الشيء بلفظه أو معناه؛ نظرًا لكون أهم وظيفة للتأكيد هي: تثبيت المعنى، ودفع اللبس الذي قد يوهمه المؤَكَّد. ويدخل في تكرار المعنى ما نحن بصدده، في هذا البحث من التأكيد بضد المعنى.

لهذا ارتبط التأكيد والتكرار، لدى كثيرٍ من النحاة والبلاغيين، قديمًا وحديثًا، لدرجة جعلت بعضهم يرى أن صلاحية الشيء للتكرار، شرطٌ من شروط التوكيد، الذي لا يتم تثبيت المعنى إلا به (٣).

ومع أهمية ذلك، إلا أن مبدأ التكرار كان مفتاحًا لأمور:

* القول بالزيادة التي يراها بعضهم أنها لا تفيد، ويمكن استغناء الكلام عنها. ما دفع واحدًا من العلماء – وهو الزركشي – في سياق حديثه عن أهمية التأكيد

(١) ابن رشد، **العبارة**: ٨٩.

(٢) ينظر: شكري مبخوت، **إنشاء النفي**:٥١.

(٣) ينظر: ابن السراج، **الأصول في النحو**: ١٩/٢.

بالتكرار إلى تغليط ذلك (١).

* التعارض مع فكرة الاقتصاد اللغوي، الذي يعد سمة فريدة للغة الذكية المعجزة.

والحق أن تأكيد الأسلوب بضده، لا يعيق من تحقيق فكرة الاقتصاد، بل يرعاها حقّ رعايتها، وذلك لأن الإلماح سمة واضحة في التأكيد بضد المعنى.

فما يلحظ من دلالات عميقة، انشق عنها رحم هذا الضد، مما يرمي إلى غايات، لو أنه صُرّح بها لاحتاجت كمًا كبيرًا من التراكيب، لتأدية حقها المقامي، ما يجعل التأكيد بهذا الطريق، محققًا للاقتصاد المذكور.

ب– منافساته:

١) التأسيس:

يمكن عدّ التأسيس منافس معنوي من الطراز الأول للتأكيد، فقد نشأ بين علماء العربية جدل واسع، في إمكانية أن يفيد التأكيد معنى جديدًا في الكلام، أو لا يفيد فيكون تأكيدًا محضًا للمعنى الذي سبقه، وهل هو زائد، يمكن أن يستغني المقام عنه أم لا؟ فلهذا جعلوه في مقابل التأسيس.

والتأسيس عبارة عن: "إفادة معنى آخر لم يكن أصلًا قبله، فالتأسيس عندهم خير من التأكيد؛ لأن حمل الكلام على الإفادة، خير من حمله على الإعادة" (٢).

من ذلك ما أشار إليه الألوسي في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٦٤] إذ يقول: "﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من الأشياء، على معنى لا نجعل غيره شريكًا له في استحقاق العبادة، ولا نراه أهلًا لأن يعبد، وبهذا

(١) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**: ٩/٣.

(٢) الجرجاني، **التعريفات**: ٧١.

المعنى يكون الكلام تأسيسًا، والظاهر أنه تأكيد لما قبله إلا أن التأسيس أكثر فائدة"(١).

"ومن الثابت عندهم قديمًا وحديثًا، أنّ الأصل في تراكيب اللغة التأسيس، وقد يصرف اللفظ عنه إلى التأكيد؛ لأسباب سياقية، وتزداد هذه الفكرة تأصلًا، لدى التطرق إلى نصوص القرآن، ومناقشة وجود التأكيد فيها، إذ يؤكدون فيها أن التأسيس مقدم على التأكيد، أي أن فهم النص على أنه يحمل فكرة جديدة، أولى من فهمه على أنه يؤكد فكرة سابقة، فلا يصار إلى حمله على أنه من قبيل التأكيد المحض، إلا عند تعذر حمله على اشتمال فكرة جديدة مقبولة، لا اعتراض عليها في مفاهيم القرآن، مع ما فيه من تأكيد لأصل الموضوع، مقترن بزيادة الفكرة الجديدة"(٢).

وأهم ما تتميز به الأشكال المؤَكِّدة، هي محافظتها على وظيفتها الأساسية التأسيسية، بالإضافة إلى معنى التوكيد، الذي دلت عليه في الخطاب(٣).

ثم إن التأكيد معنى بلاغي عام، فلهذا لا يبرح البلاغي يبحث عن المعاني التي تلازم التأكيد، وهي التي تتحق بها الإفادة، ويتغياها المقام تبعًا لمقتضياته، والذي لا يفطن لهذا الأمر، يقع في تلك المتاهة التي شغلت العلماء الأقدمين والمحدثين، في قضية الزيادة والإفادة في التأكيد.

وعليه فإن التراكيب التي لا يتحصل منها سوى دلالة التأكيد، لا تقل فائدة عن المعاني التأسيسية في المعاني المقامية، إذ سقوطها من الكلام يؤدي إلى ذهاب

(١) الألوسي، **روح المعاني**: ١٨٦/٢.

(٢) عبدالرحمن بن حبنكة، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**: ٦٩، القاعدة السادسة "... استبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن".

(٣) ينظر: د. سعيد بن أحمد صالح فرج، **دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد**: ١٨٨.

المعنى المقصود مقاميًّا(١).

وأما مبدأ كونه زائدًا، بحيث إنه يمكن أن يطرح من الكلام دون أن يتأثر، فهذا أمر قد ناقشه كبار البلاغيين كعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، عند شرحه لمصطلح الزيادة في ألفاظ اللغة، على نحو يربطها بالمعنى، حيث أكّد على أن "القول بزيادتها يفيد أن لا يراد بها معنى، وأن تجعل كأن لم يكن لها دلالة قط، وأن هذا يتعارض مع أهم مبدأ استعمالي للغة، وهو أن الكلمة لا تتجرد من الفائدة، مهما كانت درجة هذه الفائدة...ومتى ادعينا لها شيئًا من المعنى، فإننا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة"(٢).

ويفرق الزركشي (٧٩٤ هـ) بين الزيادة في معناها اللغوي، والزيادة التي يوصف بها معنى التأكيد في الجملة، أو في أحد عناصرها، حيث يقول عن الزائد لغة إن:" معنى كونه زائدًا، أن أصل المعنى حاصل بدونه، دون التأكيد، فبوجوده حصلت فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة، وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه، إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى، فقال: هذا يعرفه أهل الطباع، إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف، قال: ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعًا، فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره، وقال: أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه" (٣).

ويقول الألوسي عند قوله تعالى اسمه:" ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المدثر:٣١] تأكيد لما قبله من الاستيقان، وازدياد الإيمان، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما، للغفلة عن بعض المقدمات، أو طريان ما

(١) ينظر: المرجع السابق: ٢٢١.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**: ٤١٩.

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**: ٤٩/٣.

توهم كونه معارضًا في أول وهلة، ولما فيه من هذه الزيادة؛ جاز عطفه على المؤكد بالواو؛ لتغايرهما في الجملة" (١).

وقد بين النحاة ذلك أيضًا، فهذا ابن مالك (٦٧٢هـ) يوضح معنى الزيادة ، وكونه لا يتعارض مع الفائدة عندما يقول: "إنما سميت زائدة، لأنه لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئا، لما لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها"(٢).أما ابن هشام (٧٦١ هـ) فقد جعل الفائدة شرط التوكيد، فقال:" وإذا لم يفد توكيد النكرة لم يجز باتفاق، وإن أفاد جاز عند الأخفش والكوفيين وهو الصحيح، وتحصل الفائدة بأن يكون المؤَكَّد محدودًا، والتوكيد من ألفاظ الإحاطة كـ"اعتكفت أسبوعا "(٣).

٢) القصر:

يمكن أن يرد تساؤل في مثل هذه الصورة من صور التأكيد، التي يتناولها هذا البحث، وهو: هل بالإمكان أن يحل القصر بالنفي والاستثناء بـ(إلا) ، أو القصر بإنما، محل التأكيد بضد الشيء؟ ما دام القصر بأحد هذين الطريقين يفيد التأكيد، لدرجة جعلت ابن جني يسمي أحد هذين الطريقين توكيدًا(٤)، وهو الأمر الذي ذهب إليه إمام النحاة سيبويه أيضًا، عندما تعرض لتفسير القصر الذي يستفاد من العطف بـ (لا) في نحو "مررت برجل راكع لا ساجد"، فذكر أنه لإخراج الشك، أو لتأكيد العلم فيهما(٥).

(١) روح المعاني ١٥/١٤.
(٢) ابن الحاجب، **شرح الكافية**: ٢/٤٣٢.
(٣) ابن هشام، **أوضح المسالك**: ١٨٢.
(٤) ينظر: ابن جني، **المحتسب**: ٢/١٥٨.
(٥) ينظر: سيبويه، **الكتاب**: ١/٤٣٠.

والقصر بهما أوجز من التأكيد بهذا الأسلوب الذي ندرسه؛ لأن القصر بهما يقع بجملة، وتأكيد الشيء بضده – كما سنراه في شواهد هذا البحث –يقع في جملتين، فلماذا لم يأت النظم في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥] على نحو: ما يريد بكم إلا اليسر.

وللإجابة عن ذلك، وبيان مزية هذا الأسلوب، وما يفوت على النظم من مقاصد لا تتأتى إلا به، نورد كلام ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) عند تفسيره للآية الكريمة إذ يقول: "وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]، نفي لضد اليسر، وقد كان يقوم مقام هاتين الجملتين جملة قصر، نحو أن يقول: ما يريد بكم إلا اليسر، لكنه عدل عن جملة القصر إلى جملتي إثبات ونفي؛ لأن المقصود ابتداء هو جملة الإثبات؛ لتكون تعليلا للرخصة، وجاءت بعدها جملة النفي تأكيدًا لها "(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء:١٥٢] يقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):" يفيد أن فسادهم لا يشوبه صلاح فكأنه قيل: الذين إنما هم مفسدون في الأرض، فعدل عن صيغة القصر، لئلا يحتمل أنه قصر مبالغة؛ لأن نفي الإصلاح عنهم يؤكد إثبات الإفساد لهم، فيتقرر ذلك في الذهن، ويتأكد معنى إفسادهم بنفي ضده، كقول السموأل أو الحارثي:

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل " (٢).

من هنا يتبين لنا القيمة المعنوية التي يراعيها النظم، ولو كان ذلك على حساب مسلك مهم، كالإيجاز الذي بنيت البلاغة في كثير من أساليبها عليه، التي هي ألصق بأغلب مقامات التنزيل، إلا أن مقتضيات مقاصده ومرامي أغراضه، هي ما يفرض طبيعة البناء الفني للتراكيب.

(١) **التحرير والتنوير** ١٧٥/٢.

(٢) المصدر السابق ١٧٦/١٩.

المبحث الثاني: صور تأكيد المعنى بضده في القرآن الكريم

أ) تأكيد المعنى بضده من غير عطف:

جاءت جمله من حيث الإثبات والنفي على ضربين:

١ – الأولى مثبتة والثانية منفية: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣] ذكرنا سابقًا أن أهم مقامات التأكيد في القرآن الكريم، كان لأجل قضية الكون الكبرى، ألا وهي توحيد الله عز وجل، الأمر الذي قامت عليه السموات والأرض وعامرهن، ولهذا فإننا نجد النظم الكريم، جاء بالجملة الثانية في مثل هذا الموضع؛ ليجُبّ أي شبهة، يمكن أن تلوح في خلد أي من أولئك المعنيين بالدعوة.

وبما أن القرآن يهدف في المقام الأول إلى ترسيخ العقائد، والعبادات في النفوس، عن طريق الأسلوب المعجز والاستخدام الرائع لفنون الكلام، فإنه لم يغفل هذا النوع من البلاغة(١).

يقول الرازي (٦٠٦ هـ): " لما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول: هب أن إلهنا واحد، فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا، فلا جرم أزال هذا الوهم، ببيان التوحيد المطلق، فقال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ " (٢).

ويقول الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):" وَقَوْلُهُ: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لمعنى الوحدة وتنصيص عليها، لرفع احتمال أن يكون المراد الكمال، كقولهم في المبالغة: هو نسيج وحده، أو أن يكون المراد إله المسلمين خاصة، كما يتوهمه

(١) ينظر: بدرية بنت محمد بن حسن العثماني، **من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث**: ١٤٣.

(٢) فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**٤/١٤٩.

المشركون، ألا ترى إلى قول أبي سفيان: (لنا العزى ولا عزى لكم) "(١).

٢ – الأولى منفية والثانية مثبتة:

وذلك بأن يتقدم الأولى نفي، ثم تليها جملة إثبات مؤكدة، أو أكثر من جملة، غير معطوفة عليها، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٩].

يقول الفخر الرازي (٦٠٦ هـ):" اعلم أن هذا الكلام دال على إيجاب التوحيد، والبراءة عن الشرك، من ثلاثة أوجه:

أولها: قوله: ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ أي لا أشهد بما تذكرونه من إثبات الشركاء.

وثانيها: قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وكلمة إنما تفيد الحصر، ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء.

وثالثها: قوله: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ وفيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشركاء فَثَبَتَ دَلَالَةُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى إِيجَابِ التَّوْحِيدِ، بِأَعْظَمِ طُرُقِ الْبَيَانِ، وَأَبْلَغِ وُجُوهِ التَّأْكِيدِ"(٢).

وأما أبو حيان (٧٤٥ هـ) فقد ذهب إلى أن الجملة الأولى وحدها لا تنهض بإثبات التوحيد، لذا جعل الثانية متمة لها، ورأى أن الثالثة هي التي وقع به التوكيد، إذ يقول: " ما أبدع هذا الترتيب، أمر أولًا بأن يخبرهم بأنه لا يوافقهم في الشهادة، ولا يلزم من ذلك إفراد الله بالألوهية، فأمر به ثانيًا ليجتمع مع انتفاء موافقتهم إثبات الوحدانية لله تعالى، ثم أخبر ثالثًا بالتبرؤ من إشراكهم، وهو كالتوكيد لما قبله، "(٣).

---

(١) **التحرير والتنوير** ٢/٧٤.

(٢) **التفسير الكبير** ١٢/٤٩٩.

(٣) **البحر المحيط** ٤/٤٦١.

وعلى ذلك فإنها تخرج من هذا القسم إلى القسم الأول من النوع الثاني التالي ذكره، وهو تأكيد المثبت بالمثبت معطوفًا عليه.

وتبعه في ذلك البقاعي (٨٨٥ هـ) إذ يقول:"﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ﴾ أي: معكم، بشيء مما تقولونه؛ لأنه باطل، ولو كان حقًا لشهدت به.

ولما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه، اجتثَّه من أصله وبرمته بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا هُوَ﴾أي الإله ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ وهو الله الذي لا يعجزه شيء وهو يعجز كل شيء؛ لأنه واحد لا كفء له، فإنكم عجزتم عن الإتيان بسورة من مثل كلامه، وأنتم أفصح الناس.

ولما كان معنى هذا البراءة من إنذارهم، صرح به في قوله مؤكدًا في جملة اسمية: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ أي: الآن وفي مستقبل الزمان، إبعادًا من تطمعهم أن تكون الموافقة بينه وبينهم باتخاذه الأنداد، أو شيئًا منها وليًّا"(١).

وكقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [سورة يوسف:٣١]

الغرض من التأكيد في مثل هذا متعلق بالمتكلم، من قصد المبالغة في إظهار كمال الدهشة، وفرط الإعجاب.

يقول عبدالقاهر (٤٧١ هـ):"قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ شبيه بالتوكيد من وجهين.

أحدهما: أنه إذا كان ملَكًا لم يكن بشرًا، فكان إثبات كونه ملكًا تحقيقًا وتوكيدًا لنفي كونه بشرًا.

والثاني: إذا قيل في العرف والعادة ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾، وكان الحال حال تعظيم وتعجب من محاسن إنسان ما، فُهم من ذلك أنّ الغرض من هذا الكلام أن يقال: إنه ملَك، وإذا كان هذا كذلك لم يكن ذكر ذلك اللفظ، والتصريح به إلا تأكيدًا للأول

(١) برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر**: ٤٤/٧.

وتحقيقًا له" (١).

ويقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):" وقولهن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ مبالغة في فوته محاسن البشر، فمعناه التفضيل في محاسن البشر، وهو ضد معنى التشابه في باب التشبيه. ثم شبهنه بواحد من الملائكة، بطريقة حصره في جنس الملائكة، تشبيهًا بليغًا مؤكدًا."(٢).

أو يتقدم الأولى نهي وهو أخو النفي(٣)، كما في قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [سورة النحل:٥١]

يقول أبو حيان (٧٤٥ هـ):" ولما نهى عن اتخاذ الإلهين، واستلزم النهي عن اتخاذ آلهة، أخبر تعالى أنه إله واحد كما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ بأداة الحصر، وبالتأكيد بالوحدة "(٤).

ويقول الألوسي (١٢٧٠ هـ):" ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ} صفة لإله، وجيء بهما

---

(١) **دلائل الإعجاز**: ٢٢٩.

(٢) **التحرير والتنوير**: ٢٦٣/١٢.

(٣) يقول ابن السراج، في **أصول النحو**: ١٥٧/٢: "فكما أن الأمر يراد به الإيجاب، فكذلك النهي يراد به النفي" وقال في موضع آخر ١٨٠/٢: "فالإيجاب نظير الأمر، والنفي نظير النهي، لأن النهي نفي". ويقول الأستاذ أحمد ماهر البقري في كتابه **أساليب النفي في القرآن**: ٦٤: "فإذا نفينا الأمر حصل النهي، ويقتضي النهي الكثير من أحكام النفي حتى أطلق عليه شبه النفي، فإذا كان النفي هو الإخبار بالسلب؛ فإن النهي هو الطلب بالسلب". وانظر: د. إسماعيل عباس حسين **الكف بين النهي والنفي في القرآن الكريم رؤية دلالية معاصرة**: ٩.

(٤) **البحر المحيط**: ٥٤٤/٦.

للإيضاح والتفسير لا للتأكيد وإن حصل"(١).

ب) تأكيد المعنى بضده معطوفًا عليه:

جاءت الجملتان فيه من حيث الإثبات والنفي على وجوه:

١ – مثبتتان:

بحيث لا يتقدم إحداهما لا نفي، ولا ما في حكمه، كالنهي الذي هو أخوه(٢) وتكون الثانية ضد الأولى لفظًا ومعنى، إلا أن معناها من لوازمه.

كقوله جل شأنه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة البقرة:١٧] فالذهاب بالنور إخراج منه، وإبعاد عنه، وضده الترك في الظلمة إذ هو إدخال وإبقاء فيها(٣)، وهذا الثاني لازم من لوازم الأول، ومؤدٍّ معناه، وعطفه عليها يقتضي معنى زائدًا عنها، ولِمَ جيء بها أصلًا وهي تحمل فحواها؟

يجيب عن هذا التساؤل الطاهر ابن عاشور(١٣٩٣ هـ)بكلام يبين فيه عن سر العطف المنبئ بالمعنى المضاف في العبارة الثانية على الأولى، بأنه ربما يذهل السامع

---

(١) **روح المعاني**: ٤٠١/٧.

(٢) التعبير بأن (النهي أخو النفي) ورد في كلام الشيخ خالد الأزهري في **شرحه على الآجرومية** ٣٢٩، وكلام المحقق في **شرح الفواكه الجنية على متممة الآجرومية**:١٢٥، وكلام الشيخ محيي الدين عبدالحميد في **تحقيقه لشرح قطر الندى** لابن هشام: ١١٧، وتعليق محمود نصار في **شرح ملحة الإعراب** للفاكهي ١٣٨، وكلام محمد مصطفى الخطيب في تحقيقه **لعفو العافية في شرح الكافية** للشيرازي:١٩١.

(٣) وحقيقة الترك مفارقة أحدٍ شيئًا كان مقارنًا له في موضع، وإبقاؤه في ذلك الموضع. وكثيرًا ما يذكرون الحال التي ترك الفاعل المفعول عليها، وفي هذا الاستعمال يكثر أن يكون مجازًا عن معنى (صير) أو (جعل).

عما صاروا إليه عند هاته الحالة، فيكون قوله بعد ذلك: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ تذكيرًا بذلك وتنبيهًا إليه، ثم إنها تفيد أنهم لم يعودوا إلى الاستنارة من بعد، على ما في قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ من إفادة تحقيرهم، وما في جمع ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ من إفادة شدة الظلمة، وهي فائدة زائدة على ما استفيد ضمنًا من جملة ذهب الله بنورهم، فبهذا الاعتبار الزائد على تقرير مضمون الجملة قبلها عطفت على الجملة ولم تفصل(١).

وكقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة الأنفال:٨]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧]

٢ – منفيتان:

وذلك بأن تكون كل من الجملتين المتعاطفتين في حيز نفي، مع كون الأولى ضد الثانية لفظًا ومعنى ولازمة لها.

كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٦٤]

يلحظ في هذا الشاهد، هو أن النظم الكريم لما نفى عبادة غير الله نفى بعده الشرك به، وهو تأسيس وتوكيد في آن واحد، وذلك أنه ينفي حتى مجرد اعتقاد كونهم يستحقون العبادة، فضلًا عن صرفها لهم.

يقول البقاعي (٨٨٥ هـ) بعد أن أورد قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: وأكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ أي لا نعتقد له شريكًا وإن لم نعبده.

(١) ينظر: **التحرير والتنوير** ٣٠٩/١.وأيضًا فإن الختم بقوله: لايبصرون أفاد تأكيد شدّة الظلمة وأنها حاجبة جدًّا كما ذكر أ.د. محمد أبوموسى في كتابه **التصوير البياني**: ٨٦.

٣ – الجملة الأولى مثبتة والثانية منفية:

هذا النوع من التراكيب هو الأكثر ورودًا في القرآن، ولعل كون الإثبات هو الأصل والنفي متفرعًا عنه؛ جعل لشواهد هذا النوع الصدارة في كتاب الله؛ لما لذلك من أثر معنوي ودلالي ممتد، يدركه المتأمل في التعبير البياني، على مسار النظم في القرآن جملة.

وقد شارك هذا النوعُ المعانيَ الكبرى والمقاصد العظمى، كالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وما ينافيه من أمور الشرك كالسحر ونحوه، والشكر الذي به دوام النعم وما يضاده من الكفران الذي هو سبب زوالها، والإخلاص الذي هو سر القبول وما يقدح فيه من رياء ونحوه، والهداية التي بها النجاة السرمدية، وما يقابلها من الضلال المفضي إلى الهلاك، ونحو ذلك من تلك القضايا المفصلية التي انطوى عليها الكتاب العزيز.

ثم إنه لم تقتصر مقاصد التأكيد فيه، على مراعاة حال المخاطب فحسب، بل اتسعت لتشمل كل عنصر له علاقة بالمعنى .

ففي قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] ذكر الألوسي (١٢٧٠ هـ) أن في عطف ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ على ما قبله؛ إيذانًا بأنه شر بحت وضرر محض، لا كبعض المضار المشوبة بنفع وضرر، لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب السحرة، ولا إماطة الأذى عن الطريق، حتى يكون فيه نفع في الجملة(١).

وقد أكد ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) ما ذهب إليه الآلوسي (١٢٧٠ هـ)، لما ذكر أن المعنى هنا قائم على أن أمور السحر لا يأتي منها إلا الضر، فالساحر لا

(١) **روح المعاني**: ١/٣٤٤.

يستطيع سحر أحد ليصير ذكيًّا بعد أن كان بليدا، أو ليصير غنيًّا بعد الفقر، وهذا زيادة تنبيه على سخافة عقول المشتغلين به، وهو مقصد الآية، وبهذا التفسير يكون عطف قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ تأسيسًا لا تأكيدًا.

وقد أفادت الآية بجمعها بين إثبات الضر ونفي النفع الذي هو ضده مفاد الحصر؛ كأنه قيل: ويتعلمون ما ليس إلا ضرا(١).

وبالتأمل، لا نجد مانعًا من حمل الكلام على التأسيس والتأكيد معًا، بل في آخر كلامه ما ينزع لذلك، حيث جعل تأكد الضر حاصل من اجتماع المعنى وضده، كإفادة طرق الحصر.

وقد يأتي التأكيد لإظهار تمام المنة والعناية الإلهية، فليس هناك أدنى شك في نفوس الموحدين بأن الله الرؤوف الرحيم، الذي رباهم بنعمه ومنّ عليهم بلباس التقوى، وسلّمهم بالإسلام من كل شر لا يريد بهم بأسًا، ومع ذلك نجد بَهيَ النظم الكريم يتحين المناسبات التي تنبئ عن هذا الفيض الرحماني، وهذا اللطف السخي الظاهر منه والخفي.

انظر إلى بديع قوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥] لو لم يكن لإيصال هذه الرسالة الطافحة بالحنان والامتنان إلا هذا التركيب العالي، الذي استوعب كل ما تتسع له معاني التيسير، وتدفع ما يمكن أن يتبادر للذهن من مستلزمات التعسير، لولا ذلك، أكان لهذه الجملة حاجة في أن يعلم المسلم مراد الله فيما أحاطه به من يسير التكاليف، مع تعرض التي قبلها له!

ولهذا نجد أبا حيان يورد في تفسيره لهذه الآية، ما يشي بتمام المعنى في الجملة الأولى قبل الثانية، يقول: " ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ كَافٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وَإِنَّمَا كُرِّرَ تَوْكِيدًا"(٢).

(١) ينظر: **التحرير والتنوير**: ١/٦٤٥.

(٢) **البحر المحيط**: ٢/٢٠٠.

ويقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):"وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ نفي لضد اليسر، وقد كان يقوم مقام هاتين الجملتين جملة قصر، نحو أن يقول: ما يريد بكم إلا اليسر، لكنه عدل عن جملة القصر إلى جملتي إثبات ونفي، لأن المقصود ابتداء هو جملة الإثبات لتكون تعليلا للرخصة"(١).

وقد يتكرر معنى من المعاني المهمة التي تكون بمثابة قطب الرحى، الذي تدور عليه مقاصد التنزيل، بحيث نجد النظم الكريم يجلّيه كلما عنّت له مناسبة؛ لتمام الحاجة له وتعاظم الدواعي إليه، كقضية التوحيد ونبذ الشرك، التي أكد عليها البيان القرآني من أوله إلى آخره، ففي حديثه عن ديانة خليل الرحمن، جنّد النظم مواضع كثيرة منه في التصريح والتأكيد على أن الله ارتضى له الإسلام، ونزهه عن الشرك، وفي ذلك رسالة واضحة إلى سمو المنهج، ووضوح المقصد، وطهارة المعتقد، وقدم العناية، وكمال الدين، وتمام النعمة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:٦٧] نجد أن النظم الكريم، يؤكد السبيل الذي سلكه أبو الأنبياء، في عبادته لبارئ السماء، ومشرع الأديان.

ولو لم ينطوِ هذا الخطاب على مقاصد جليلة، لكان بإثبات الحنفية غنى عن نفي الشرك، الذي يتهاوى اسمه ورسمه، أمام طهارتها منه ونزاهتها عنه.

فالحنيف كما يقول الرازي (٦٠٦هـ):" هو: العَادِل عَن كُلِّ مَعبُودٍ دُونَ اللَّه تعالى"(٢).

ويقول الألوسي (١٢٧٠ هـ):"وأصل الكلام: وما كان منكم، إلا أنه وضع

(١) **التحرير والتنوير**: ١٧٥/٢.

(٢) **التفسير الكبير**: ٤٧/١٣.

المظهر موضع المضمر للتعريض بأنهم مشركون، والجملة حينئذ تأكيد لما قبلها"(١).

وفي ركاب هذا المعنى العظيم، الذي حسم الذكر الحكيم أمره وأبلغ نذره، نجده يتناول حال من اتخذ إلى غير الله طريقًا، وهوت به قدمه في وحل الضلال، بأن مثله ليس له في قاموس الهداية مفردة.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٦]

يقول أبو حيان (٧٤٥ هـ):" الجملة من قوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ مؤكدة لقوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ وجاءت تلك فعلية؛ لتدل على التجدد، وهذه اسمية لتدل على الثبوت فحصل نفي تجدد الضلال وثبوته " (٢).

ويقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):" أفاد مع ذلك تأكيد مضمون جملة ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾لأنه نفى عن نفسه ضد الضلال، فتقررت حقيقة الضلال على الفرض والتقدير. وتأكيد الشيء بنفي ضده، طريقة عربية، قد اهتديت إليها ونبهت عليها "(٣).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٠]

يقول ابن عاشور(١٣٩٣ هـ):" وعَطفُ ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ على ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ لِقَصد التَّأكِيدِ لِمَضْمُونِ جُملَةِ ﴿ ضَلُّوا ﴾ لأنَّ مَضمُونَ هذِه

(١) **روح المعاني**: ١٨٩/٢.

(٢) **البحر المحيط**: ٥٣٠/٤.

(٣) **التحرير والتنوير**: ٢٦٣/٧.

الجملة، يَنفِي ضِدَّ الجملة الأولى، فتؤول إلى تقريرِ مَعناهَا"(١).

وكقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [سورة طه:٧٩]

يقول البقاعي (٨٨٥ هـ):" ولما كان إثبات الفعل لا يفيد العموم، نفى ضده ليفيده، مع كونه أوكد، وأوقع في النفس وأروع لها، فقال: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾أي: ما وقع منه شيء من الهداية، لا لنفسه ولا لأحد من قومه، فتم الدليل الشهودي على تمام القدرة على إنجاء الطائع وإهلاك العاصي"(٢).

وقد يأتي مثل هذا المعنى بطريق الاستعارة، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النحل:٢١]

ويشير الرازي (٦٠٦هـ) إلى سر التأكيد بهذا النفي بقوله: "فإن قِيلَ: لما قالَ: ﴿أَمْوَاتٌ﴾ عُلِمَ أَنَّها غيرُ أَحيَاء، فما الفائدة فِي قَولِهِ: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ﴾ ؟ قلنا: إنَّ الإلهَ هُوَ الحيُّ الَّذِي لَا يَحصُلُ عَقيبَ حيَاته موتٌ، وهذهِ الأصنامُ أَموَاتٌ لَا يَحصُلُ عَقِيبَ مَوتِها الحَيَاةُ."(٣).

وجعلها ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) من التصريح بطريقة نفي الشيء بنفي ملزومه(٤).

وضمن قضية الفقه الأكبر، وهو التوحيد المبني على اليقين؛ نجد هذا النوع حاضرًا في تأكيد رسوخ عقيدة المسلمين الذين أنعم الله عليهم بنور الإيمان، واطمئنان القلوب، وانشراح الصدور، ويعرض بأولئك الذين طبع الله على قلوبهم، واتبعوا أهواءهم.

---

(١) **التحرير والتنوير**: ١١٦/٨.

(٢) **نظم الدرر**: ٣١٨/١٢.

(٣) **التفسير الكبير**١٩٥/٢٠

(٤) ينظر: **التحرير والتنوير**: ١٢٥/١٤.

ويبدو ذلك عيانًا في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر:٣١].

يقول الرازي (٦٠٦هـ): " لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب، وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين، فما الفائدة في قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؟ الجواب: أن المطلوب إذا كان غامضًا، دقيق الحجة كثير الشبهة، فإذا اجتهد الإنسان فيه، وحصل له اليقين، فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق، فيعود الشك والشبهة.. فالمقصود من إعادة هذا الكلام، هو أنه حصل لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقيبه البتة شك ولا ريب"(١).

ويقول البقاعي (٨٨٥ هـ):"ولما أثبت لكل من الجاهل والعالم ما أثبت، أكده بنفي ضده مبينًا للفتنة فقال: (ولا يرتاب) أي يشك شكًّا يحصل بتعمد وتكسب"(٢).

ويضيف الألوسي (١٢٧٠ هـ) لطيفة في عدم جمع الفاعل تحت الضمير (الواو):" وإنما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب، حيث لم يقل: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيين حالًا؛ فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود، ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان، وكم بينهما"(٣).

---

(١) **التفسير الكبير**: ٢٠/٧١١.

(٢) **نظم الدرر**:٢١/٦٣.

(٣) **روح المعاني**: ١٥/١٤.

وقد يتناول هذا الأسلوب صفة عظيمة من صفات الحق ﷻ، التي تغني بوضوحها وكمالها عن أي تأكيد، ولكن البعد المعنوي الذي أراده البيان العالي في المقام تطلّبه .

انظر إلى قوله تقدس اسمه: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [سورة الأعراف:٧]

والتأكيد حاصل فيها بأحد وجهين:

أ) استلزام العلم للحضور، فأكد بنفي ضده وهو الغياب، فيكون الحديث عن صفة علم الله الحضوري الشهودي، تلك الصفة التي تتجلى يوم القيامة، فسبحان من يسع علمه جميع الخلائق وأفعالهم، وما قدموه من خير وشر، ذلك العلم المستوجب الحضور والشهود لكل أحداث حياتهم، لا يتأتى إلا لمن ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة:٧] ليعطف عليها نفي الغياب عنهم، فيما تقدم من حياتهم وما تأخر، وفيه تتجلى عظمة صفة علمه، فسبحانه من عليم محيط، وكفى به شهيدا(١).

يقول الألوسي (١٢٧٠ هـ):" وَما كُنَّا غائِبِينَ عنهم في حال من الأحوال، والمراد الإحاطة التامة بأحوالهم وأفعالهم، بحيث لا يشذ منها شيء عن علمه سبحانه، ....والجملة استئناف لتأكيد ما قبله"(٢).

ب) كون الغياب من قبيل الكناية عن الجهالة؛ ليحصل تأكيد العلم بنفي ضده، وهو الجهل.

يقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ):" والغائب ضد الحاضر، وهو هنا كناية عن الجاهل؛ لأن الغيبة تستلزم الجهالة عرفًا، أي الجهالة بأحوال المغيب عنه، فإنها ولو بلغته بالأخبار، لا تكون تامة عنده مثل المشاهد، أي: وما كنا جاهلين بشيء من

(١) ينظر: الشيخ علوان، **الفواتح الإلهية** للنخجواني: ٢٤٣/١.

(٢) **روح المعاني**: ٣٢٣/٤.

أحوالهم، لأننا مطلعون عليهم"(١).

وقد يرد معنى من المعاني العظيمة التي لا يتم إيمان المؤمن إلا بها، فنجد التأكيد بضد المعنى حاضرًا لا لشيء يتعلق بالمتكلم ولا بالمخاطب، وإنما بالمعنى ذاته، فلا يؤتى بضده في مثل هذا إلا لتعظيم شأنه وتهويل أمره.

فأول ما وصف الله به الصفوة من أوليائه وسمهم بالوفاء بعهده وميثاقه الغليظ، وكان في ذكر الوفاء بالعهد غنية عن نفي نقيضه، ولكن عظمة هذا العهد وثقل أمانة الوفاء به استوجبت ذلك .

ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [سورة الرعد: ٢٠]

نجد أن المفهُومَين هنا مُتغَايِرَانِ، إلا أنهما متَلَازِمَانِ، فَالوَفَاء بالعهدِ يَلْزَمُ منه أن لَا يُنْقَضَ الميثَاق، فالثانية مؤكدة للأولى(٢).

وقد يستعين النظم الكريم بهذا النوع من الأساليب، على وصف قضية خطيرة؛ كالإفساد في الأرض، فيكون في نفي ضده تمام تصوير حال أصحابه، والتشنيع عليهم؛ لكونه أصبح من طباعهم، يظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٥٢]

يقول الزمخشري (٥٨٣ هـ):" فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ ؟ قلت: فائدته أنّ فسادهم فساد مصمت، ليس معه شيء من الصلاح، كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح"(٣).

ويقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ): " وعطف ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ على جملة:

---

(١) **التحرير والتنوير**: ٢٧/٨.

(٢) ينظر: **التفسير الكبير**: ٣٣/١٩، **والبحر المحيط**: ٣٧٩/٦.

(٣) الزمخشري،**الكشاف**: ٣٢٨/٣.

﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تأكيد لوقوع الشيء بنفي ضده، مثل قول عمرو بن مرة الجهني: النسب المعروف غير المنكر يفيد أن فسادهم لا يشوبه صلاح"(١).

وربما عبر النظم بهذا الأسلوب؛ لتصوير ردة فعل بشعة في أمر مصيري.

كما كان من سلوك قوم مع نبي ناصح، وتكبرهم عليه، ووقاحتهم في تلقي نصحه وغيرته عليهم.

ولم يكن التأكيد فيه لشيء يتعلق بالمخاطب، كيف وهو نبي يوحى له، وصُلب دعوته، مجاهدة ما تنطوي عليه نفوسهم الموغلة في الطغيان، ثم إنه ابن بيئتهم وأخو زمرتهم، كما تقدم الحديث عنه مع قوم نبي الله شعيب.

٤ – الجملة الأولى أمر والثانية نهي:

ومن أنماط التركيب التي شملها توكيد الأسلوب بضده: إيلاء النهي الأمر، والنهي أخو النفي كما قالوا، وفي المقابل فإن الأمر إثبات(٢)، وعليه فهذا النمط يشبه الذي سبقه، وهو لا يقل عنه ورودًا في القرآن، كيف وهما من مشكاة واحدة، ويعمدان إلى غاية متحدة.

والأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده(٣)، فلولا معاني عميقة وغايات عميقة ما كان لورود النهي عن ضد الشيء بعد الأمر به داع في الكلام البليغ .

---

(١) **التحرير والتنوير**: ١٩/١٧٦.

(٢) للأستاذ الدكتور محمود توفيق كلام قريب من هذا حيث يقول في كتابه **صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم**: ٧٩:"ومواقع تصوير الأمر في صورة الخبر جد كثيرة في القرآن الكريم، فكل تشريع في صورة اثبات هو في مآله إلى الأمر بهذا التشريع، لأنه ما يخبر به إلا إرادة طلبه وإيقاعه، والأحكام التشريعية قد تكون في صورة إثبات، وقد تكون في صورة نفي ولا ثالث، فكان الخبر المراد به الأمر كثيرًا كثرة التشريعات المثبتة".

(٣) ينظر: **التحرير والتنوير**: ٤/٣٢.

وكما تنوعت معاني ذلك النمط، لتشمل القضايا الكبرى في البيان الكريم، فإن هذا النمط قد اشتمل على مثل ما اشتمل سابقه، وعالج أحوال المتكلم والمخاطب والرسالة، الموجهة على السواء، كل موضع بحسب غرضه.

فقضية كقضية الإيمان والكفر، في طليعة القضايا التي شملها هذا الأسلوب الفريد العالي.

انظر إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة البقرة:٤١]

هل كان للنهي عن الكفر بعد الأمر بالإيمان مباشرة داع، لولا تلك الدلالات العميقة التي تغياها النظم الكريم.

يقول الرازي (٦٠٦هـ):"يحمل قوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ على حقيقة معنى الأول، وهو السابق غيره، فيحصل من الجملة المعطوفة، تأكيد الجملة المعطوف عليها، بدلالة المطابقة، فالنهي عن الكفر بالقرآن، يؤكد قوله: ﴿وَءَامِنُواْ﴾"[1].

ولا يقل عن ذلكم أصل الإيمان، الذي هو حق الله على العباد، أصل بدأ الله به كتابه الكريم، وهو الشكر الذي به تدوم نعم المنعم المتفضل، وعلى رأسها نعمة الهداية للصراط القويم، والإنقاذ من براثن الكفر وتبعاته.

انظر إلى قوله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة:١٥٢].

يقول ابن عرفة (٨٠٣هـ) وهو يتأمل الغرض الذي أفاده التأكيد في هذا الموضع: "لَيْسَ عَطْفُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بدليل على أن الأمر بالشيء ليس نهيًا عن ضده، وذلك لأن الأمر بالشكر مطلق (أي لأن الأمر لا يدل على التكرار

(١) **التفسير الكبير** ١/٤٦٠.

فلا عموم له) فيصدق بشكره يومًا واحدًا، فلما قال: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ أفاد النهي عن الكفر دائما "(١). ويعلق ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) بقوله: " يريد أن الفعل في سياق النهي يعم، مثل الفعل في سياق النفي؛ لأن النهي أخو النفي. "(٢).

ولا يزال هذا النوع من التأكيد، يتحين القضايا المفصلية التي لا تقبل المساومة والاختلاف، انظر إلى حديث القرآن عن الاعتصام بحبل الله، والاجتماع على منهاجه القويم، كيف رسخ هذا الأصل العظيم بإتباعه النهي عن ضده، وهو الافتراق والاختلاف المفضي إلى هلاك الأمة وتهديد بقائها.

يقول عز شأنه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]

فقد ثنى أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء(٣). وإنما نهى عن التفرق بعد الاعتصام؛ لأن الاعتصام ظني الدلالة على الاجتماع، بينما النهي عن التفرق قطعي الدلالة، فهو اعتصام وزيادة(٤)، وهذا دليل على أن التأسيس والتأكيد لا يتعاندان وإن تتنافسا على المعنى الواحد بل يتظافران لتحقيق الغرض.

(١) ابن عرفة، **تفسير ابن عرفة**: ٤٦٨/٢.

(٢) **التحرير والتنوير**: ٥١/٢.

(٣) ينظر: **الكشاف**: ٣٩٤/١، و**التحرير والتنوير**:٣١/٤.

(٤) ينظر: **صور الأمر والنهي في القرآن الكريم**: ١٣٩.

ومن هذه القضايا المهمة، التي وظّف النّظم الكريم هذا الاستعمال لخدم أمانة بيان ما احتواه الكتاب الذي جعل الله صلاح الخلق بين دفتيه.

وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٨٧].

فمن قال: إن البيان يضاد الكتمان، وإنه لما أمر بالبيان كان الأمر به نهيًا عن الكتمان، فما الفائدة في ذكر النهي عن الكتمان؟

قيل له: إن المراد من البيان، ذكر تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل، والمراد من النهي عن الكتمان، أن لا يلقوا فيها التأويلات الفاسدة، والشبهات المعطلة.

فيكون النهي هنا قد جاء بتوكيد، ومبالغة في إيجاب المأمور، وزيادة معنى(١).

كما أن لقضية الامتثال لأمر الله – الذي كان ديدن الأنبياء والرسل الدعوة إليه والحث عليه – نصيب من هذا الأسلوب، ولا غرو فطاعة الله تعالى هي ثمرة الإيمان، انظر كيف وظّف النظم الكريم هذا النوع، في تقديم أحد مواقف معاناة نبي الله موسى عليه السلام، الذي كان له مع قومه جهاد كبير في الدعوة.

وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٢١]

فلما أمرهم بذلك، نهاهم عن التقاعد عنه، مشيرًا إلى أن مخالفة أمر الله لا تكون إلا بمعالجة للفطرة الأولى(٢).

---

(١) ينظر: **التفسير الكبير**: ٤٥٦/٩، والسمين الحلبي، **الدر المصون**: ٥٢٣/٣، وروح **المعاني**: ٣٦٠/٢، والقاسمي، **محاسن التأويل**: ٤٧٦/٢.

(٢) ينظر: **نظم الدرر**: ٧٥/٦.

وها هو البيان العالي، لا يزال يسخّر هذا الأسلوب الرفيع في تثبيت أركان القضية الكبرى، التي من أجلها خلق الله السموات والأرض ومن فيهن، وهي العبادة الخالصة له جل وعلا، إذ يأتي النهي عن الشرك تباعًا بعد الأمر بالتوحيد الخالص، وهو المعنى الذي لا يبرح يتكرر وروده، على امتداد معاني الهدى، في الذكر الحكيم.

يقول تبارك اسمه: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يونس:١٠٥]

ففي قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نهي مؤكد لمعنى الأمر الذي قبله، وتأكيد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد؛ للمبالغة في النهي عنه، اعتناء بالتبرؤ من الشرك(١).

(١) ينظر: **التحرير والتنوير**: ١١/٣٠٤.

المبحث الثالث: الأغراض البلاغية لتأكيد المعنى بضده في القرآن الكريم

المتأمل في شواهد هذا النوع البليغ في القرآن الكريم، يجد أن غرض التأكيد لم يكن محضًا بل ثمة معانٍ مقاصدية اكتنفته، وهي تلك التي تغايها النظم المبين، في سياقاته، ومرامي دلالاته، وقد أشربها بطريقة تجلّى فيها إعجاز البيان الرفيع المبهر، فتبارك الله أحسن القائلين، ومنها ما يلي:

أ) التعريض:

يقول الزمخشري (٥٨٣ هـ) معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة البقرة:١٣٥]: "﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم؛ لأن كلًّا منهم يدعى اتباع إبراهيم"(١).

ويقول أيضًا عند قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:٧٢]:"ما فائدة نفى الإيمان عنهم في قوله: { وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ} مع إثبات التكذيب بآيات الله؟ قلت:

هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد، ومن نجا مع هود عليه السلام، كأنه قال: وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم، ولم يكونوا مثل من آمن منهم، ليؤذن أنّ الهلاك خص المكذبين، ونجى الله المؤمنين"(٢).

وذكر مثل ذلك عند قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [سورة المدثر:٩-١٠]. حيث نبه إلى أن في التعبير بقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ

(١) **الكشاف**: ١٩٤/١.

(٢) المصدر السابق ١١٩/٢.

يَسِيرٍ﴾ إشارة إلى أنه يسير على غيرهم، يعني المؤمنين (١). ويشير الطيبي (٧٤٣ هـ) إلى فائدة هذا التأكيد بقوله:" إنه تعريض بظل الجنة، وهذا غيظ لهم"(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٦] يقول الرازي (٦٠٦هـ): " أي: إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال، وما أنا من المهتدين في شيء. والمقصود كأنه يقول لهم أنتم كذلك "(٣).

ويعلق الطيبي (٧٤٣ هـ) على ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ﴾ بقوله: " ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ جواب وجزاء لما دل عليه قوله: ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ على سبيل التعريض، كأنه قيل: إن اتبعت أهواءكم قد ضللت إذن، وكنت مثلكم متوغلًا في الضلال منغمسًا فيه، ولا أكون من الهدى في شيء كما أنتم عليه، وفيه أني من زمرة المهتدين، ولي مساهمة معروفة في الهداية. ومن ثم أتبعه بقوله: (إني على بينة) أي: بينة لا يقدر قدرها "(٤).

ويعلق أيضًا على ذكر ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ بعد قوله تعالى ﴿أَمْوَاتٌ﴾ بقوله: كان يكفي أن يقال: هم أموات، فقرن بقوله: (غير أحياء) ليكون تعريضًا بالإله الحق في

(١) ينظر: **الكشاف**: ٦٤٧/٤.
(٢) **الطيبي، فتوح الغيب**: ١١٩/١٦.
(٣) **التفسير الكبير**: ٨/١٣.
(٤) **فتوح الغيب**: ١١٠/٦.

أنه حي لا يموت، فمن كان بعكسه لا يكون إلها(١).

ب) بلوغ الضد المنفي أعلى مراتبه:

يقول ابن عطية معلقًا على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:٦٧] :" ثم نفى نفيًّا، بيّن به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هو الشرك، وهذا كما تقول: ما أخذت لك مالًا بل حفظته، وما كنت سارقًا، فنفيت أقبح ما يكون في الأخذ"(٢).

ج) رفع توهم المجاز:

فكأن الجملة الثانية تتعقب المعنى الوارد قبلها، وتتقصى ما عسى أن يكون أفلت من الذهن، أو أوهم فيه أول الخطاب. ولهذا كثر في شواهد هذا البحث أن يعقب الأمر بالشيء نفي ضده أو النهي عنه. وقد ضاعف من طاقتها التأكيدية أمور:

١ – أن النفي إنشاء والإثبات إخبار، والإنشاء أقوى وأعم وأقطع دلالة، وبتعقيبه له يفيد تأكيد المعنى، ويبين عن موقف صاحبه منه، وأنه يعنيه بكل مستلزماته(٣).

٢ – موقعها إذ إن الثاني أهم من الأول؛ لأن الكلام يبدأ بموضوع الكلام ثم يليه الكلام عنه.

٣ – العموم المترتب على التلازم بين الأمر بالشيء أولًا، والنهي عن ضده ثانيًّا، وبين إثبات الشيء بداية ونفي ضده نهاية، خاصة إذا عقب النفي والنهي فعل؛ لأنه في حيزهما يفيد العموم الذي لا يفيده الأمر والإثبات، واتفاق إفادة العموم للنهي والنفي مع الفعل، صنع مؤاخاة بينهما.

---

(١) المصدر السابق ٩/٩٩.

(٢) المحرر الوجيز ١/٤٥١.

(٣) ينظر: إنشاء النفي لشكري مبخوت: ١١٧.

٤ – الثبوت والدوام الذي تفيده الجملة الاسمية، فيما لو وقعت الجملة الثانية اسمية.

د) إفادة التهكم: في نحو ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [سورة طه:٧٩] يقول الزمخشري (٥٨٣ هـ): " ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ تهكم به، في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [سورة غافر:٢٩] "(١).

هـ) المبالغة:

يقول أبو حيان عن قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام:٧٩]:

" أخبر أنه وجّه عبادته لمبدعِ العالم، التي هذه النيرات المستدل بها بعضه، ثم نفى عن نفسه أن يكون من المشركين؛ مبالغة في التبرؤ منهم "(٢).

و) الحصر: وهو من المعاني التي يفيدها تأكيد المعنى بنفي ضده:

يقول ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) في حديثه عند قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]: "وقد أفادت الآية بجمعها بين إثبات الضر، ونفي النفع الذي هو ضده، مفاد الحصر، كأنه قيل: ويتعلمون ما ليس إلا ضرًا"(٣).

(١) **الكشاف**: ٩٨/٣.

(٢) **البحر المحيط**: ٥٦٨/٤.

(٣) **التحرير والتنوير**: ٦٤٥/١.

الخاتمة

بعد التطواف في رياض هذا النوع الثري الذي لم ينل حظه من الدراسة والاسترواح في كتب البلاغة، يمكننا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١) تنوع شواهد هذا النوع في القرآن الكريم، بين عطف الضد على مثله، وترك العطف، وكلها تحوي غرض التأكيد.

وإذا كانت الجملة الثانية تفيد في النوع الثاني ترسيخًا، لا يستقيم غرض النظم بدونه، فإنها في النوع الأول تؤسس لمعنى لا يتعارض مع الأول، بل يؤكده، وفي هذا إثبات – بما لا يدع مجالًا للشك – لمبدأ الفائدة، والإضافة المعنوية التي يحملها التأكيد، وهو الأمر الذي كان مثار جدل بين العلماء، إذ يقوم العطف على المغايرة المعنوية، مع أن صورة المعطوف والمعطوف عليه تحمل مؤكَّدا ومؤكِّدًا، اللذين يراهما العلماء بمعنى واحد، وهذه المغايرة قد أثبتها البحث عمليًّا، من خلال تحليل تلك الشواهد وما تحملها من معان أخرى، غير دفع الشك والمجاز الذي أنتجه الأول.

ومن هنا فإنه من الممكن أن يؤسس المؤكِّد معنى جديدًا، مع ما يحمله من توكيد للمعنى قبله، وبذلك يكون هذا البحث قد حسم خلافًا طالما شغل المهتمين ببلاغة النظم المعجز في التنزيل من علماء اللغة والتفسير.

فما المانع بأن يكون المعنى مؤكّدًا لما قبله، ومؤسسًا لما بعده، وذلك مما انفرد به البيان المعجز في سياق النظم القرآني البديع.

٢) التأكيد الحاصل في هذا النوع، هو أقوى وأغنى أنواع التأكيد؛ لأنه يأتي بِذكر مَا هُوَ كالعلة للشيء، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

فقد أكد اعتصامهم، ليس بتكرار صريح لفظ الاعتصام مرة أخرى، بل بذكر سببه، وهو النهي عما يفضي إلى عدم حصوله، من التفرق والاختلاف.

٣) أكثر شواهد هذا النوع، كانت الجملة الأولى فيها مثبتة، والثانية منفية، ولعل سبب ذلك يعود، إلى كون أن الإثبات هو الأصل، والنفي متفرعًا عليه؛ وقد

تلمس البحث تبعًا لذلك آثارًا معنوية، ودلالات ممتدة، لاحت بسناها أمام القارئ المتدبر.

٤) لا يأتي التأكيد بضد المعنى في كتاب الله، إلا ويحمل معان عظيمة في طياته، خلا التقوية وهذا يعود إلى العلاقة التفاعلية بين المتكلم والمخاطب، في هذا الأسلوب الذي تتفاوت قيمه الوظيفية، ليس فقط بحسب حال المتلقي، وليس بالكم والكيف، الذي يحكم تلك الحالة أثناء الخطاب؛ ليشخص التأكيد حاجته، ويتعامل معها بدقة متناهية، لا تقبل أدنى مستوى من التقدير الخاطئ في فهم مزاجه، بل شمل المتكلم والرسالة الكلامية المراد تبليغها، وكل عنصر يتعلق بقضايا لها ارتباط بالمعنى.

وفي هذا رد على من أخرجه من دائرة البلاغة، ونفى الإفادة التي يضفيها على الخطاب، بل إن الفائدة تتنوع، والتراكيب تتشكل، بحسب مقتضيات المقام، وهذا من روح البلاغة.

المصادر والمراجع

ابن الحاجب، محمد بن حسن الرضي الإستراباذي. **شرح الرضي على الكافية**. (تعليق يوسف حسن عمر). ليبيا، جامعة قابوس بني غازي، (١٣٩٨هـ).

ابن السراج. **الأصول في النحو**. (تحقيق عبد الحسين الفتلي). بيروت، مؤسسة الرسالة، (ط٣).١٩٩٦م

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**. (تحقيق: محمد عبد القادر عطا). بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١). (١٩٩٨ .م).

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. **العبارة**. (تحقيق جيرار جهامي). بيروت، دار الفكر اللبناني، (١٩٩٢م).

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي. **المحكم والمحيط الأعظم**. (تحقيق عبد الحميد هنداوي). بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١). (١٤٢١ هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس، الدار التونسية للنشر. (١٩٨٤م).

ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد. **تفسير ابن عرفة**. (المحقق د. حسن المناعي). تونس، مركز البحوث بالكلية الزيتونية (ط١). (١٩٨٦ م).

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد). بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١). (١٤٢٢ هـ).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **مقاييس اللغة**. دار الفكر، (١٣٩٩هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري. **لسان العرب**. بيروت، دار صادر، (ط٣). (١٤١٤ هـ).

ابن هشام، جمال الدين الأنصاري. **شرح قطر الندى وبل الصدى**. (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد). القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع (٢٠١٢م).

ابن هشام، جمال الدين عبدالله. **أوضح المسالك**. بيروت، دار الجيل، (ط ٥). (١٩٧٩م).

ابن يعيش، أبو البقاء موفّق الدين. **شرح المفصل**. (تحقيق: إميل بديع يعقوب). بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١).

أبو موسى، محمد محمد. **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، القاهرة، مطبعة وهبة، (١٤٠٨هـ).

الأزهري، خالد. **شرح الشيخ خالد على الآجرومية**. (باعتناء: نزار حمادي). تونس، نشر: دار إلمام ابن عرفة. (ط١)، (١٣٣١هـ).

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت، دار الكتب العلمية، (ط١)، (١٤١٥هـ).

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. **البحر المحيط**. (تحقيق: صدقي محمد جميل). بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

البقري، أحمد ماهر. **أساليب النفي في القرآن**. الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، (١٩٨٩م).

بن حبنكة، عبد الرحمن الميداني. **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**. دمشق. دار القلم، (ط٣). (٢٠٠٤ م).

التفتازاني، سعد الدين. **المطول شرح تلخيص المفتاح**. (تحقيق عبد الحميد هنداوي). بيروت، دار الكتب العلمية. (ط٢) (٢٠٠٧م).

الجرجاني، عبد القاهر. **أسرار البلاغة**. (قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر). القاهرة، مطبعة المدني، دار المدني بجدة.

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. (تحقيق: محمود محمد شاكر). القاهرة، مطبعة المدني، دار المدني بجدة. (ط٣). (١٤١٣هـ).

الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**. (تحقيق إبراهيم الأبياري). بيروت دار الكتاب العربي (ط٣). (١٩٩٦م).

الجعيد، إبراهيم بن علي. **خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير**. مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، (١٤١٩هـ).

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار). الناشر: بيروت، دار العلم للملايين. (ط٤). (١٤٠٧ هـ).

الرازي، فخر الدين. **التفسير الكبير، المسمى بمفاتيح الغيب**. بيروت، دار إحياء التراث العربي(١٤٢٠هـ).

رفاعي، رجب. **بلاغة ضروب التأكيد في أحاديث الترغيب والترهيب**. القاهرة، مجلة كلية اللغة العربية، العدد ٢١.، (٢٠٠٦م).

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. **البرهان في علوم القرآن**. (المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (ط١). (١٣٧٦ هـ).

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. بيروت، دار الكتاب العربي. (ط٣). (١٤٠٧هـ).

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد. **أساس البلاغة**. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٩٨٤م).

سعد، محمود توفيق. **صورة الأمر والنهي في القرآن الكريم**. مصر، مطبعة الأمانة، (ط١). (١٤١٣هـ).

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**. (تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط). دمشق، دار القلم.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. **الكتاب**. (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). بيروت، دار الجيل، (ط١).

الشيخ علوان، نعمة الله النخجواني. **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**. مصر، الغورية، دار ركابي للنشر، (ط١). (١٤١٩هـ).

الشيرازي، عارف. **عفو العافية في شرح الكافية**. (تحقيق محمد مصطفى الخطيب)، بيروت، دار الكتب العلمية.

الصبان، محمد بن علي. **حاشية الصبان**. (تحقيق: إبراهيم شمس الدين) بيروت. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.

الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف)**. (تحقيق: إياد الغوج). جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (ط١). (١٤٣٤هـ).

عباس، إسماعيل حسين. **الكف بين النهي والنفي في القرآن الكريم**- رؤية دلالية معاصرة. بغداد، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

عبيزة، عائشة. **دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن**. الجزائر، جامعة الحاج لخضر بباتنة، (٢٠٠٨م).

العثماني، بدرية بنت محمد بن حسن. **من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث. عمّان**. دار الراية للنشر والتوزيع، (ط١). (١٤١٧هـ).

الفاكهي، جمال الدين. **الفواكه الجنية**. (اعتنى بها خليل إبراهيم إبراهيم). بيروت، دار الكتب العلمية.

الفاكهي، جمال الدين. **كشف النقاب عن مخدرات ملحة الإعراب**. (تعليق محمود نصار). بيروت، دار الكتب العلمية.

فرج، سعيد بن أحمد. **دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد**. القصيم، جامعة القصيم، سجل بحوث مؤتمر النص الشرعي: القضايا والمنهج.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. **محاسن التأويل**، (المحقق: محمد باسل عيون السود). بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، (ط١). (١٤١٨هـ).

القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي. **الإيضاح في علوم البلاغة**. (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي). بيروت: دار الجيل.

مبخوت، شكري. **إنشاء النفي**. جامعة منوبة، مركز النشر الجامعي، (٢٠٠٦م).

النجار، محمد علي. **الخصائص**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط٤)..

وطار، خميسة. **حروف العطف في العربية وتطبيقات من القرآن الكريم**. (إشراف حمزة دحماني) الجزائر-أم البواقي، جامعة العربي بن مهيدي قسم اللغة والأدب العربي.

Bibliography

Afw Al-afya fe Sharh Al-kafya, by Areef Al-sherazi, authenticated by Mohammed Mostafa, Al-khateb, Dar Al-kotob Al-ilmoyah.

AL KASHAF 'AN HAQAEQ GHWAMED ALTANZEL, by Abi Quasem Jar Allah Mahmoud bin Amr Al-zamkhshari, Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Biuret, 3rd Edition – 1407 H.

Al-Bahr Al-Moheet, by Abu Hayyan Mohammed bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi, Authenticated by: Sidqi Mohammed Jamil, publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, 1420.

Al-Balagha Al-Qura'niya fi Tafseer Al-Zamkhshri w Atharha fi Al-Derasat Al-Balaghiyya, by Sheikh Dr. Mohammed Mohammed Abu Musa, Wahba Press, 1408 edition.

Al-dor Al-mason fil oloum Al-ketab Al-maknon, by Abo Al-abass Shehab Al-deen. Ahmed bin Youssef bin Abduldaem, known as Sameen Al-halabi, authenticated by: Prof. Ahmed Mohammed Al-kharat. Dar El Qalam.

Al-ebara, by Ibn Rushd, authenticated by Gerard Gihami, Dar Al Fikr Al Lubnani, Beirut, 1992 G.

Al-Fawakeh Al-janiya le Jamal Aldeen Alfakhi, noted by Khalil Ibrahim Ibrahim, Dar Al-kotob Al-ilmoyah.

Al-Fawakeh Al-janiya le Jamal Aldeen Alfakhi, noted by Khalil Ibrahim Ibrahim, Dar Al-kotob Al-ilmoyah.

Al-fawateh Al-ikahya wa Al-mafateh Al-ghaybi Akmowadha Leljalem Al-qura'nya wa Al-hekam Al-forquanya, by Neama Allah Al-Nakhjwany, known as Al-sheikh Alwan: Dar Al-rkabi, Al-Ghoryaa.

Al-Muhkam wa-al-muhit al-a'zam, by Abu Al-Hassan Ali bin Ismail bin Sayiduhu Al-Mursi, authenticated by:: Abdul Hamid Hindawi, publisher: Dar al Kotob al ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1421 H.

Al-Muhtasib in explaining the faces of the anomalous readings and clarifying them, by Ibn Jinn, authenticated by:: Mohamed Abdel Qader Atta. Dar al Kotob al ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1998.

Al-Osoul fi Al-Nahw, by Ibn Al-Siraj, Authenticated by: Abdul-Hussein Al-Fatli. Al-Resalah Foundation, Beirut, 3rd edition, 1996.

Al-Ta'rifaat, by Ali bin Muhammad Al-Jarjani, Authenticated by: Ibrahim Al-Abyari, Dar Al-Kitab Al-Arabi. Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1996.

Al-Tafsir Al-Kabir (Mafatih Al-Ghayb), Abu Abdullah Mohammed bin Omar, nicknamed Fakhr Ad-Din Al-Razi: House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1420H edition.

Al-Tahrir w Al-Tanweer (Tahrir Al-Ma'na Alsadid w Tanweer Alaql

Algadid min Tafseer Al-Kitab Al-Majeed) by Muhammad al-Tahir Ibn Ashour al-Tunisi, Publisher: Dar Al-Nashr Al-Tunisiya, Tunis, 1984.

Asaleeb Al-Nafii fi Al- Qur'an, by Ahmed Maher Al-Baqari, The Modern Arab Office, 1989.

Asrar al-Balagha, by Abd al-Qaher al-Jurjani, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, Publisher: Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah.

Awdah Al-Masalik, Dar Al-Jeel, Beirut, 5th edition, 1979.

Characteristic by Ibn Jinnie, authenticated by: Muhammad Ali Al-Najjar, Scientific Library.

Dalel Al-ejaz, by Abdelquaher Al-jerjani, authenticated by: Mahmoud Mohammed Shaker, Al-madani Printing House in Cairo, Dar Al-madani in Jeddah, 3rd Edition, 1413 H.

Dawran Al-lafz bayn Al-tases wa Al-tawked, by Prof. Saaed bin Ahmed faraj, Scholarly journal, King Khaled University.

Ensha'a Al-Nafii, by Shukri Mabkhout, Manouba University, University Publishing Center, 2006.

Fotoh Al-ghayb fe Al-kashf 'An Quena' Al-rayeb (Hasya A'la Al-kashaf) Le Sharaf Al-deen Al-hussein bin Abduallah Al-taybi, authenticated by Eyad Alghoh: Dubai International Holy Quran Award, 1st Edition, 1434 H.

Hashiyat Al-Sabban by Mohammed bin Ali Al-Sabban, Authenticated by: Ibrahim Shams Al-Din. Mohammed Ali Beydoun Publications, Dar Al-Kotoub Al-Ilmiyah, Beirut.

Horouf Al-Atf fi Al-Arabiya w Tatbiqat min Al-Quran Al-Karim, by Khamsa Watar, supervised by Hamza Dahmani, Department of Arabic Language and Literature, University of Larbi Ben M'hidi - Oum El Bouaghi - Algeria.

KASHF ANNEQAB 'AN MUKHADARAT MULHAT AL-ERAB, by Jamal Aldeen Alfakhi, explained by Mahmoud Nassar, Dar Al-kotob Al-ilmoyah.

Lengthy explanation of the key to summarize, authenticated by:: Abdul Hamid Hindawi, publisher: Dar al Kotob al ilmiyah, Beirut, 2nd edition, 2007 G.

Lisan al-Arab, by Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari, publisher: Dar Sader – Beirut, 3rd edition – 1414 H.

Nazm al Durar Fi Tanasub al Ayat wa al Suwar, by Ibrahim Ibn 'Umar Ibn Hasan Biqa'I, publisher: Dar kutub Al Islamiy, Cairo.

Of the eloquence of the Qur'an in the Baath dispute deniers, Badria bint Muhammad bin Hassan Al Othmani, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, 1st edition, 1417 H.

Proof Science in the Koran, by Abu Abdullah Badr Al-Din Mohammed

bin Abdullah bin Bahader Al-Zarkashi, Authenticated by: Mohammed Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyaa Revival Issa Al-Babi Al-Halabi and his associates, 1376H.

Qawaid al-Tadabbur al-Amthal li Kitab Allah 'Azza wa-Jalla, by Abd al-Rahman bin Habannakah Al-Maydani, Dar El Qalam, Damascus, 3rd Edition, 2004 G.

Qawaid al-Tadabbur al-Amthal li Kitab Allah 'Azza wa-Jalla, by Abd al-Rahman bin Habannakah Al-Maydani, Dar El Qalam, Damascus, 3rd Edition, 2004 G.

Rhetoric legend in science, by Abu Al-Ma'ali Jalal Al-Din Mohammed bin Abdul Rahman bin Omar Al-Qazwini Al-Shafi'i, known as the preacher of Damascus, Authenticated by: Mohammed Abdul-Moneim Khafaji: Dar Al-Jeel, Beirut.

Roh Al-ma'ni fi tafser AL-quraan Al-azeem we Al-Saba Al-mothani, by Shehan Al-deen Mahmoud bin Abduallah Al-hossani Al-alosi, authenticated by: Ali Abdulbary Atya, publisher: Dar Al-kotob Al-ilmoyah, Biuret, 1st Edition, 1415 H.

Sharah Al-radi ala Al-kafya, noted by Youssef Hassan Omar: Qabos bin Ghazi University 1398 H.

Sharh Al-mofasl, by Abo Mowafq Al-deen ibn Yaʿīsch, authenticated by Emil Badea Yaqoub, Dar Al-kotob Al-ilmoyah, Beirut, 1st Edition.

Sharh Al-sheikh Khaled Al-azhari ala Alajromya, noted by Nizzar Hamadi, publisher: Dar Al-Imam ibn Arafa-Tunisia.

Sharh Qatr al- Nada wa- Ball al- Sada, by Jamal Ak-deen Al-Ansari known as Ibn Hisham, authenticated by Mohammed Mohi Al-deen Abdulhameed, Dar El Kalema Library, 2012 G.

Tafseer Ibn Arafa, by Abu Abdullah Mohammed bin Mohammed Ibn Arafa al-Tunisi al-Maliki, Authenticated by Dr. Hassan Al-Mannai, Publisher: Research Center at the Zaytouniya College, Tunis, 1, 198st edition 1986.

Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiya, by Abo Nasr Ismaeil bin Hamad Al-johari Al-farabi, authenticated by: Ahmed Abdulghfor Atared, publisher, Dar El Ilm Lilmalayin, Beirut, 1992 G.

The Basis of Rhetoric, by Abu Al-Qasim Jar Al-Lakh Mahmoud bin Amr bin Ahmed Al-Zamakhshari: Dar Beirut for Printing and Publishing, Beirut, 1984 G.

The brief editor in the interpretation of the dear book. Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman ibn Tammam ibn Attia al-Andalusi al-Muharibi, authenticated by: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, publisher: Dar al Kotob al

ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1422 H.
The characteristics of the syntax and semantics of Quranic interpretation in the rhetorical (liberation and enlightenment), by Ibrahim bin Ali Al-Juaid: College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, 1419 H.
The Kitab of Sibawayh, authenticated by Abd El Salam Mohammed Haroun, Dar AL-Jeel, Biuret, 1st Edition.
The Kitab of Sibawayh, authenticated by Abd El Salam Mohammed Haroun, Dar AL-Jeel, Biuret, 1st Edition.
The merits of interpretation: Muhammad Jamal Al-Din bin Muhammad Saeed bin Qasim Al-Hallaq Al-Qasimi, investigator Muhammad Basil Ayoun Al-Aswad, publisher: Dar al Kotob al ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1418 H.
The Prevention between Prohibition and Negation in the Quran (Contemporary vision), Dr. Ismail Abbas Hussein, Department of Arabic Language, College of Arts – Al-Mustansiriyah University. Baghdad.
The style: An analytical rhetorical study of the origins of literary styles, by Ahmed Al-Shayeb, Al-Nahda Library, Cairo, twelfth edition, 2003.

وظائف الشعر في السرد القديم:
قراءة في كتاب (أدب الغرباء) للأصفهاني

The Functions of Poetry in Classical Arabic Narrative:
A Reading in The Book of *Ghurba -'al Adab*
(the Literature of Strangers) by
Asfahānī-al Faraj -al Abū

هند بنت عبد الرزاق المطيري

أستاذ الأدب القديم المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب

بجامعة الملك سعود

البريد الإلكتروني: halmuteru@ksu.edu.sa

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة وظائف الشعر في السرد القديم، في أنموذج من أقدم نماذجه هو كتاب (أدب الغرباء) لأبي الفرج لأصفهاني. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن للشعر في سرود الأخبار القديمة وظائف، تفوق تلك التي تكون له في كتب النحو والبلاغة، حين يرد على سبيل المثل والشاهد.

وقد أحسن الإخباريون والرواة استخدام الشعر لتحقيق السيرورة للأخبار وحفز التلقي، لما له من تأثير على نفوس المتلقين، لكن أحدا منهم لم يتوقف، حسب علم الباحثة، عند الوظائف التي يقوم بها الشعر في سرود الأخبار التراثية، ولو من باب جمع المحاسن التي يحققها الشعر لرواية الأخبار، أو التمييز بين الخبر المطعم بالشعر وغير المطعم، مع حرصهم على توضيح مزايا الشعر عامة، والكشف عن قيمته الحضارية؛ بوصفه حاملا للفكر والثقافة، وحافظا للأيام والوقائع والأحداث، ما يجعل روايته وحفظه ضرورة ملزمة لمن يمارسون الكتابة في العلوم والأجناس المختلفة.

هذا الاهتمام بالشعر عند القدماء، يجعل البحث عن وظائفه في سرود أخبارهم عملا يستحق الدراسة؛ لذا اختارت الدراسة كتابا إخباريا، يقوم الشعر فيه بوظائف متعددة، هو (أدب الغرباء) للأصفهاني، وهو كتاب تتسم أخباره بالمحدودية في الموضوع والعدد، حيث يقتصر مؤلفه على رواية أخبار الغرباء، ويورد منها ستة وسبعين خبرا فقط، ما يجعل مادته قابلة للتحليل في ورقة بحثية موجزة، مما يفتح الطريق أمام الباحثين من بعد لاكتشاف وظائف الشعر في سرود إخبارية أخرى.

الكلمات المفتاحية: وظائف، شعر، سرد، قديم، تراث، خبر.

Abstract

This study deals with the functions of poetry in classical Arabic narrative, as presented in one of the oldest book, namely the book of *Adab al- Ghurabā* (the Literature of Strangers) by Abū al-Faraj al-Asfahānī . The study begins with a hypothesis to the effect that poetry in classical Arabic narratives has more functions than it has in the books of grammar and rhetoric, when it is presented as an example or evidence.

Reporters and narrators of *Akhbar* (anecdotal narratives) have made good use of poetry to achieve the wide spread of these narratives and stimulate their reception, because of their strong effect on the hearts of the recipients. However no one to my knowledge has paid enough attention to the functions that poetry performs in classical Arabic narratives, not even in regard to collecting the merits that poetry achieves in the narration of narratives or to distinguishing between the narratives which employ poetry and those which do not , though some of them are keen to clarify the features of poetry in general, and to reveal its cultural value; since poetry was the governor of thought and culture, and a preserver of Arab heroism and history, which makes its narration and memorization an obligatory necessity for those who practice writing in different sciences and genres.

This interest in poetry makes the search for its functions in classical report stories a worthy study. Therefore, this study chose to analyze The Book of the literature of Strangers, because poetry in this book performs several functions, and because it is a book whose narratives are limited in subject matter and number, as its author limited himself to narrating narratives concerning strangers, and only 76 of them are presented, which makes their analysis manageable in a brief research paper like this , in the hope that this may open the way for other researchers to discover the functions of poetry in another types of narrative stories or *Akhbar*.

Keywords: Functions, Poetry, Narrative, Classical, Cultrure, Anecdotal narrative (Khabar).

المقدمة

يحضر الشعر في المصنفات التراثية حضورا طاغيا، على اختلاف العلوم وتعدد مجالاتها، هذا فضلا عن مكانة الشعر الأثيرة في ثقافة العرب ونفوسهم. وتختلف وظائف الشعر من علم إلى علم ومن مصنف إلى آخر، بحسب اهتمام المؤلفين ومجالات اشتغالهم، ولعل أبرز تلك الوظائف التي يؤديها الشعر وظيفة المثل والشاهد التي تظهر في المعاجم وكتب النحو والبلاغة. لكن وظائف الشعر تتنوع وتتعدد بشكل أوسع في كتب الأخبار.

ومن المعلوم أن الأخبار تحظى بشعبية كبيرة عند القدماء، جعلتهم يبتكرون لها بنى سردية تكاد تكون متماثلة في معظم السرود التراثية، يكون الشعر حاضرا فيها بالضرورة. لكن حضور الشعر في تلك السرود التراثية لم ينل حظه من اهتمام الباحثين، ولعل مرد ذلك ما شاع من مقولات وتصورات للقدماء تدعم الاعتقاد بمحدودية وظيفة الشعر في الأخبار، من مثل قول المبرد، في حديثه عن الخوارج "وإنما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف، واتّصلت به حكم من كلام وأشعار"[(١)]. هذا القول أفضى بالباحثين إلى الاعتقاد بأن الشعر في السرد التراثي لا وظيفة له، أو لعله مجرد نسق مهيمن[(٢)]، يقول محمد القاضي "فإذا أدركنا أن الشأن في هذه الأخبار أن تنقل ما أوثر عن القدامى والمحدثين من جزل القول ولطيف الاعتذار ورقيق العتاب وحسن النصح وخفي التعريض وصريح الفخر وعنيف الرد، وغير ذلك، استطعنا أن نفهم سبب كثرة هذا الضرب من الأخبار التي تتخذ من إيراد الأقوال المأثورة، شعرا

(١) محمد بن يزيد المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ط/١، ١٩٩٧) ، ج٣، ص١٧٠.

(٢) النسق المهيمن هو أحد المعايير المهمة التي يمكن الاحتكام إليها للتمييز بين الأنواع الأدبية في النظرية الشكلانية، ويتمثل في هيمنة عنصر أو ملمح داخل نوع أو جنس أدبي ما. للمزيد انظر: جميل حمداوي، **النظرية الشكلانية في الأدب والفن**، (تطوان: دار الريف للطبع والنشر، ط/١، ٢٠٢٠)، ص٨٤.

ونثرا، هدفا لها لا تحيد عنه"[1].

والحق أن من يقرأ كتب الأخبار بتمعن سيلحظ التنوع الكبير في الوظائف التي يقوم بها الشعر في السرود التراثية. من هنا جاءت أهمية هذا الموضوع (**وظائف الشعر في السرد القديم**)، خاصة وقد انصرفت كثير من الدراسات الحديثة إلى العناية بدراسة السرد في الشعر، لا العكس. وقد قصدت الدراسة من ذلك إعادة اكتشاف وظائف الشعر في السرد التراثي في كتب الأخبار، معتمدة كتاب (**أدب الغرباء**) بوصفه أحد تلك السرود التراثية الممثلة لهذا النسق المهيمن الذي ينهض فيه الشعر بوظائف متعددة.

ومن هنا فقد تحدد هدف هذه الورقة البحثية في حصر وظائف الشعر في سرود أخبار الغرباء في الكتاب، معتمدة –في تحديد تلك الوظائف– المنهج التحليلي، والتصنيف الوظائفي لفلاديمير بروب، منتهية إلى خلاصة موجزة تتعلق بعلاقة الشعر بالسرد ودوره في تنميته أو قطعه أو اختلاله.

وسوف تعتمد الدراسة الإشارة للأخبار حسب ترقيمها في الكتاب، معتمدة هذا التوضيح (الحادثة رقم/)، ويكون رقم الصفحة محددا في الحاشية، حتى يسهل الرجوع إلى الأخبار في المصدر.

وبالله التوفيق

(١) محمد القاضي، **الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية**، (تونس: منشورات كلية الآداب بمنوبة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٩٩٨) ، ص٣٥٦.

قيمة كتاب (أدب الغرباء) بين كتب الأصفهاني :

لم يرد في مصنفات القدماء؛ التي ترجمت لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) أو أوردت شيئا من سيرته ومؤلفاته، ما يسعف في تحديد قيمة كتاب (أدب الغرباء) في زمانه وما قبله، فتلك المصنفات إما أن تتجاهل مؤلفات الرجل جملة، فلا تأتي على شيء منها(١)، أو تذكر الكتاب في معرض ذكر مؤلفات الرجل عامة، مع التنويه إلى أهمية كتابه (الأغاني)، الذي يبدو أنه كان قد أغنى الناس عن غيره من مؤلفات صاحبه، بحسب رواية صاحب وفيات الأعيان، يقول واصفا هذا الاستغناء: "وله المصنفات المستملحة، منها: كتاب (الأغاني) الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله، يقال إنه جمعه في خمسين سنة، وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه. وحكي عن الصاحب بن عباد أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب) الأغاني) لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه، استغناءً به عنها"(٢). ثم يذكر ابن خلكان كتاب (أدب الغرباء) في جملة تلك الكتب المستغنى عنها، يقول ""ومنها: كتاب "القيان " وكتاب "الإماء الشواعر " وكتاب "الديارات " وكتاب "دعوة التجار " وكتاب "مجرد الأغاني " وكتاب "أخبار جحظة البرمكي " و "مقاتل الطالبيين " وكتاب "الحانات " و "آداب الغرباء"(٣).

وقبل ذلك كان صاحب الفهرست قد ذكر الكتاب تحت عنوان (أدب الغرباء

(١) انظر: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، **تاريخ أصبهان: ذكر أخبار أصبهان**، ط/١، تحقيق: سيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٠) ، ج/١، ص٤٤٧.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٠٠) ، ج/٣، ص٣٠٧.

(٣) المرجع نفسه، ج/٣، ص٣٠٨.

من أهل الفضل والأدب)[1]، في معرض ترجمته لأبي الفرج وتعداد كتبه. وذكره الخطيب البغدادي في مسرد كتب الأصفهاني بعنوان (آداب الغرباء)، يقول، بعد ذكر اسم الرجل ونسبه: "وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسيرة. وكان شاعرا محسنا، والغالب عليه رواية الأخبار والآداب. وصنف كتبا كثيرة منها الأغاني الكبير، ومقاتل الطالبيين، وأخبار الإماء الشواعر، وكتاب الحانات، وكتاب الديارات، وآداب الغرباء، وغير ذلك. فهذه تصانيفه التي وقعت إلينا، وحصل له ببلاد الأندلس مصنفات لم تقع إلينا"[2].

وجاء عند ياقوت الحموي في معجم الأدباء ثناء واسع على كتاب الأغاني، قال بعده "وتصانيفه كثيرة، وهذا الذي يحضرني منها: كتاب الأغاني الكبير، كتاب مجرد الأغاني، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها، لم أره وبودي لو رأيته، ذكره هو في كتاب الأغاني. كتاب مقاتل الطالبيين. كتاب أخبار القيان. كتاب الإماء الشواعر. كتاب المماليك الشعراء. كتاب أدب الغرباء..."[3].

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة كتاب الأغاني في معرض حديثه عما وقع من الحوادث سنة٣٥٦، يقول "فيها توفي علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم الإمام العلّامة أبو الفرج الأصبهانيّ الكاتب، مصنّف كتاب الأغاني وغيره؛ سمع الحديث وتفقّه وبرع واستوطن بغداد من صباه، وكان من أعيان أدبائها؛ كان أخباريّا نسّابة شاعرا ظاهرا بالتشيّع. قال أبو علي التّنوخيّ: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر

(١) محمد بن إسحاق النديم، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط/١، ١٩٩٦) ، ص١٨٤.

(٢) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، **تاريخ بغداد: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ٢٠٠١) ، ج١٣، ص٣٣٨.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/١، ١٩٩٣) ، ج١، ص١٧٠٨.

والأغاني والأخبار والمسندات والأنساب ما لم أر قطّ مثله، ويحفظ سوى ذلك من علوم أخر، منها: اللغة والنحو والمغازي والسّير. قلت: وكتاب الأغاني في غاية الحسن"[(١)]، وهو إذ ينتهي بوصف كتاب الأغاني بأنه كان في غاية الحسن، لا يأتي على ذكر أدب الغرباء، ولا على غيره من مؤلفات الأصفهاني، وكأنما أغنى (الأغاني) عنها جميعا.

وقد حظي كتاب (أدب الغرباء) بحظ وافر من الدراسات الحديثة، لكن جلّ تلك الدراسات كان منصبا على موضوع الغربة، وعلى طريقة أبي الفرج في سرد أخبار الغرباء، وما يعتمده هؤلاء الغرباء من مواد الكتابة؛ كالجدران وشواهد القبور والحجارة، وغيرها. أما توظيف الشعر في السرد فقد ظل غائبا عمن تناولوا هذا الكتاب بالدراسة. وقد أشار محقق (أدب الغرباء) صلاح الدين المنجد في مقدمة تحقيقه إلى مزايا (أدب الغرباء) التي تجعله حقيقا بالاهتمام، وهي:

١- طرافة موضوع الكتاب وأنه لم يسبق أبا الفرج إليه أحد.

٢- أصالة الموضوع، حيث لم يسبق أحد لجمع هذه الأخبار والأشعار، وإن كان بعضها قد ورد مفرقا في كتب الأدب.

٣- ما يظهر في الكتاب من العواطف الإنسانية التي تثيرها الغربة أو الفراق من حنين ولوعة وشكوى وعذاب وتلهف وأماني، مسطرة في بلدان الدنيا المتباعدة، على الحيطان والجدران.

٤-أن في أخبار الكتاب ما يلقي الضوء على حياة أبي الفرج من حيث اتصاله بمعاصريه أو انطلاقه في اللهو أو عن حياته ومقدار عمره[(٢)].

وبالعودة إلى التراث العربي يمكن الوقوف عند تجربة سابقة لأبي الفرج الأصفهاني في جمع الأشعار المكتوبة على الحيطان والجدران وغيرها، تظهر في كتاب

(١) يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (القاهرة: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٩٦٣) ، ج/٤، ص١٥.

(٢) انظر: على بن الحسين الأصفهاني، **أدب الغرباء**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (بيروت دار الكتاب الجديد، ط/١، ١٩٧٢) ، ص١٠.

(الموشى: الظرف والظرفاء) للوشاء؛ أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيي (ت٣٢٥هـ)[١]. وبالنظر في كتاب الوشاء يلاحظ أن صاحبه اختار طبقة الظرفاء من أهل الأدب والبلاغة كما اختار أبو الفرج طبقة الغرباء، وأنه أفرد فيه ثمانية عشر بابا (تبدأ بالباب التاسع والثلاثين، وتنتهي بالباب السادس والخمسين) لما تركه الظرفاء من الأشعار على الجدران وغيرها، وأنه ذكر من المواضع فوق ما ذكره أو تحاشى ذكره أبو الفرج، إذ ذكر ما كتب على (الدراهم والدنانير، والأقلام، والعيدان، والمضارب، والسرنايات[٢]، والطبول، والمعازف، والدفوف، والنايات، وما كتب على أواني الذهب والفضة ومدهون الصيني المذهب، وما كتب على القناني والكاسات والأقداح والأرطال والجامات، وما كتب على التفاح والأترج والدستبويات وما يُعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريّات، وما كتب على الجبين والخد، وما كتب بالحناء في الوطأة والوشاح وعلى الأقدام والرّاح، وما كتب على النعال والخفاف، وما كتب في المجالس والأبواب والمستنظرات وصدور القباب، وما وجد على المناص والحُجل والأسرة والكِلَل، وما وجد على الستور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد، وما وجد على الزنانير والتّكك والمناديل، وما وجد على الكرزان والعصائب ومشاد الطُّرر والذوائب، وما وجد على ذيول الأقمصة والأعلام وطرز الأردية والأكمام، وما وجد على فصوص الخواتم، وما وجد في الكتب)[٣]. في حين نقل أبو الفرج ما وجد مكتوبا على جدران القصور وقبابها، وجدران البيوت والخانات والمساجد والكنائس والخرائب، وحوائط المقابر وألواحها، وحوائط البساتين، وأبواب المدن وأسوارها، وعبّارات المياه، والطرق، والرقع والفساطيط والخرق، والأشجار والصخور والحجارة، والكتب. وفي ذلك ما يدل على اطلاع أبي الفرج على كتاب الوشاء، وتحاشيه بعض المواضع التي

(١) وفاته قبل وفاة أبي الفرج بنحو ثلاثين سنة.

(٢) آلات مسيقية طربية.

(٣) لمزيد من التفاصيل، انظر: محمد بن إسحاق بن يحيي الوشاء، **الموشى: الظرف والظرفاء**، تحقيق: كمال مصطفى، (القاهرة: مكتبة الخانجي ومطبعة الاعتماد، ط/٢، ١٩٥٣) ، ج/٢، ص٢٠٣-٢٥٣.

ذكرها الوشاء في كتابه. لكن ذلك لا يقلل من جهد أبي الفرج، فكتاب (أدب الغرباء) ثري في مادته وموضوعه، فضلا عما حواه من الأخبار التي تضاف إلى تراث أبي الفرج الإخباري.

(أدب الغرباء) بين الأخبار وأدب الجدران (الغرافيتي والإبيجراما) :

يعد كتاب (أدب الغرباء) تجربة جديدة في الكتابة الإخبارية عند أبي الفرج الأصفهاني، حيث ترتكز أخباره على طائفة الغرباء دون غيرهم، وهو ما لم يلتزمه في كتابه الشهير (الأغاني)، الذي يوحي عنوانه باقتصاره على الأغاني التي تغنى بها المغنون من أشعار العرب، ومع ذلك غدت مادته مصدرا غنيا في تراجم الشعراء وأخبارهم، متفوقا في هذا الباب على كتب حملت عناوينها ما يوحي بعنايتها بالشعراء خاصة، مثل (الشعر والشعراء) لابن قتيبة.

وأبو الفرج في عنايته برواية أخبار الغرباء دون غيرهم، يسبق كثيرين من علماء الاجتماع الحديث إلى العناية بالإخبار عن الفئات المهمشة من المجتمع، ونقلها من الهامش إلى المتن[1]، خاصة وقد ساوى في حس الاغتراب بين الغرباء من المجهولين، والأعلام المبرزين، فأورد ستة وسبعين خبرا، بعضها لخلفاء وقادة، كأبي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، والمأمون، والواثق، والمتوكل، والمقتدر بالله، والوزير المهلبي، وبعضها لشعراء معروفين كأبي نواس وأبي العتاهية، وعبد الله بن المعتز وعلي بن الجهم، وبعضها لغرباء مجهولين جمع أبو الفرج أشعارهم مما شاهده بنفسه أو رواه له غيره.

هذا الاتفاق بين أخبار الكتاب في الاقتصار على رواية قصص الغرباء دون غيرهم، يلازمه اتفاق آخر على اختيار هؤلاء الغرباء لمواد كتابة مختلفة، ولهذا الأمر دلالته الهامة، فـ"الكتابة على الجدران والشجر والحجر وغيرها من مكونات الفضاء الخارجي هي صرخة مدوية في أذن المجتمع يطلقها المهمشون من ذوي المظالم،

(١) مؤمنة حمزة عبدالرحمن عون، **نحيب الذات في أدب الغرباء للأصفهاني**، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر بمركز إيتاي البارود بمصر، المجلد٣٠، العدد٢، ٢٠١٧م، ص٥٢٢.

والمسجونين، والعشاق، وأصحاب المذاهب المخالفة، ممن يعانون القمع والتهميش"[١]. وهنا تأتي أهمية الكتاب بوصفه أنموذجا للسبق العربي في فن الكتابة على الجدران (الغرافيتي)، وهو فن قديم عرفه العرب –كغيرهم من الأمم– منذ عهود قديمة، وظهرت آثاره في المعلقات والنقوش والحفريات وغيرها من الشواهد، وأشار إليه عدد من القدماء كالبيهقي والوشاء والسخاوي[٢].

لكن أبا الفرج الأصفهاني تفرد عن الجميع بتخصيص كتاب مستقل لهذا النوع من الكتابة دون غيره، فكان بذلك قد "أماط اللثام عن وعي المبدع العربي بفن من فنون البشرية الأولى هو فن الجداريات بأشكالها وأنواعها المبتكرة"[٣]. وإذا كانت الجداريات (الغرافيتي) قد قامت –منذ عرفها الإنسان– بوظيفة توثيقية، فإن كتاب (أدب الغرباء) قد كشف عن دور العقل العربي "الذي انتقل بالفن الجداري من طوره التوثيقي إلى طور الكتابة الإبداعية الذي ينم عن درجة من الرقي الفكري والحضاري"[٤].

والغرافيتي في أبسط تعريف له هو "الكتابات والرسومات الموجودة على مختلف الدعائم الموجودة في الفضاءات العمومية والحاملة لدلالات ثقافية وسوسيولوجية تساعد على وعي الحالة الاجتماعية للمجتمع"[٥]. و(الغرافيتي) بهذا الوصف هو الأدب المناسب للغرباء الذين يصفهم الأصفهاني، لكن مفهوم الغربة في الكتاب أقرب إلى مفهوم الاغتراب، ذلك أن نصوص الكتاب ليست كلها للغرباء البعيدين عن ديارهم، فقد أدرج أبو الفرج كثيرا من النصوص "للغرباء بالمعنى المجازي، باعتبار أن أصحابها

(١) عون، مرجع سابق، ص٥٠٨.

(٢) علي حافظ كريري، **أدب الجدران: قراءة في النقش الشعري وفضاءاته البصرية**، (نجران: إصدارات النادي الأدبي الثقافي، ط/١، ٢٠١٣) ، ص١٢، وما بعدها.

(٣) عون، مرجع سابق، ص٥٢٠.

(٤) المرجع نفسه، ص.ن.

(٥) طيبي غماري، **الغرافيتي من أدب الغرباء إلى الاغتراب**، مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣ (يناير–مارس٢٠١٥م) ، ص١٠٤.

يعيشون غربة دينية أو جنسانية أو اجتماعية أو سياسية"[١]. ولأن أدب الجدران، وسيلة الهويات الفردية في المجتمعات للظهور والإعلان عن اختلافها عن الهوية الرسمية للمجتمع[٢]، فإن كتاب (أدب الغرباء) يكشف مطالبات تلك الهويات المغتربة بإثبات وجودها في مجتمعات رافضة أو مختلفة.

هذا النوع الخاص من الكتابة، يدخل فيما عرف عند الباحثين بـ(الإبيجراما)، وهو مصطلح ارتبط بالنحت/ النقش "وهي عبارة عن عدد قليل من أبيات الشعر، يكتب أو ينحت على حجر، أو قبر، أو جدار، وغيرها"[٣]. والإبيجراما —وفق هذا التعريف– فن يقوم على عدد قليل من الأبيات، وهو ما لا تتفق معه النصوص الشعرية في كتاب (أدب الغرباء) تماما، فمنها الطويل والقصير والقصير جدا، ومع ذلك يمكن عدّ هذا الكتاب محاولة أولية غير واعية، لفن لم تكن العرب تعرفه في أزمنتها القديمة[٤]. وإذا كان الأدب العربي مدينا لأبي الفرج في كتابه (الأغاني) بما حفظه للأجيال من الشعر والنثر والأخبار والتراجم، فإنه مدين له مرة أخرى بما جمع ودون في كتابه (أدب الغرباء) من نصوص هذا الفن الأدبي (الإبيجراما) المنقوشة في عهدها الأول وصفحتها الأدبية الزاخرة، دون أن يدري لها اسما، والآن يدخل مصنفه تحت أول ديوان إبيجرامي عربي قديم[٥].

علاقة الشعر بالسرد في كتاب (أدب الغرباء):

لا يعنينا بدءا التأصيل لمصطلحي (شعر)، و(سرد)، فذاك عمل سبق إليه

(١) المرجع نفسه، ص١١٠.

(٢) غماري، مرجع سابق، ص١٠١.

(٣) سهية مقبل الشلوي؛ هدى سعد الدين أحمد، **فن الإبيجراما العربية القديمة: النشأة والبناء**، المجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية آدابها، المجلد٢، العدد٢، (جون٢٠٢٠م)،ص٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥، بتصرف.

(٥) المرجع نفسه، ص.ن.

باحثون كثر، بل لعل هذا النوع من التأصيل قد أُسرف فيه لدرجة تفوق التتبع. لكن ما يدخل في اهتمام هذا البحث هو ذاك الجانب الذي يتعلق بسردية الخبر، وقد انتهى كثير من المهتمين به إلى خلاصة مفادها أن السرد مصطلح يضم كل الأنواع الحكائية، بما فيها الخبر(١).

ويمثل الارتباط بين الشعر والسرد أحد تقاليد الكتابة في الثقافة الإخبارية عند العرب، "فليس غريبا –والحالة هذه– أن تنشأ بين الأخبار والأشعار علاقة مخصوصة معقدة، فيها شيء من التواطؤ وشيء من الصراع"(٢)، تحفز هذا وذاك الحاجات واختلاف الأزمنة والأوقات، فكلما كان الزمن أقرب إلى طور المشافهة فالشعر هو الأسبق في الحضور، لحضوره في الأذهان، وأهميته في التأصيل والتقعيد لعلوم أخرى كاللغة والمعجم والنحو والبلاغة، ولذا فإن "ما دون من الأخبار إلى بدايات القرن الثالث للهجرة إنما جاء عرضيا جرّ إلى أغلبه اهتمام القدامى بالشعر"(٣).

أما ما دوّن بعد ذلك التاريخ من الشعر في كتب الأخبار فله غايات ووظائف لا يغني عنها سواه، ففضلا عن أن الشعر وسيلة جذب الانتباه وإثارة المتلقين وتحفيزهم على سماع الأخبار الطويلة والقصيرة على حد سواء، وفضلا عما يتميز به من السيرورة في الحفظ والاستشهاد والنقل والرواية، مما يجعل المكتوب أبهى وأطلى، فإن الشعر هو ما ينهض بوظيفة جعل المرويات في كتب الأخبار داخلة في باب الأدب وحقيقة بصفة الأدبية، ولذا فإن "أصحاب هذه التواليف يقرون بأن الخبر لا

(١) السرد عند سعيد يقطين "جنس يستوعب مختلف الأنواع السردية، بما فيها الخبر". انظر: **الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،ط/١، ١٩٩٧)، ص١٣٧. والسرد عند سعيد جبار "معنى عام جامع، يمكن أن يتضمن كل كلام ذي طبيعة إخبارية، والكلام الإخباري...تأطر ضمن مفاهيم متعددة (حكاية –قصة – خبر –سيرة)". انظر: **الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات**، (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ط/١، ٢٠٠٤)، ص٩٨.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص٥٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤١.

قدرة له على الدخول في مضمار الأدب إن لم يستظل بالشعر"[١].

والشعر فن أدبي عريق، في كل الثقافات والأمم، وله في ثقافة العرب أنظمة وقوانين عرفها العرب بالفطرة قبل أن تقعّد لهم، ومن ثم فلا صحة لما يذهب إليه بعض الباحثين من ربط الاهتمام بالشعر عند العرب بمرحلة البداوة والسذاجة، وجعل الاهتمام اللاحق — في عصر الدولة الإسلامية- بالنثر من معطيات التحول من البداوة إلى المدنية[٢]. لأنها لو كانت الحال كذلك لمات الشعر، وتوقف الخلفاء في العصور اللاحقة عن البذل للشعراء، ولما تنافست العواصم السياسية في استقطاب الشعراء في المشرق والمغرب.

إن النقاش المنطقي للتحول العربي الإسلامي نحو النثر عامة، يستحضر وجود النص القرآني في تلك المرحلة من تاريخ الأمة، وهو نص بعيد عن الشعر، بل ويتبرأ -في بعض المواضع- منه؛ لأن وصف الشاعر كان مما اتهم به النبي —صلى الله عليه وسلم- عند نزول القرآن. ومن ثم يمكن القول إن الاهتمام بالنثر الفني جاء مرتبطا بنزول القرآن الذي لم يكن شعرا. وإذا كان القرآن نصّا جامعا لكل الأجناس التي عرفها العرب ومارسوها، من حكم، وقصص، وأمثال، وعلم تأويل الرؤى، ...إلخ[٣]، إلا الشعر، فإن في ذلك ما يشرّع المنافسة اللاحقة بين الشعر والنثر الفني الذي هو أقل منزلة عن القرآن. لكنها منافسة لم تنته أبدا إلى إقصاء الشعر أو اجتنابه، استنادا إلى موقف القرآن منه، بل انتهت إلى شيء من المصالحة، غدا فيها تضمين الشعر جزءا من مقتضيات البلاغة، وغدت روايته في تضاعيف النثر الفني مما يثري الكتابة ويمنحها بعدا جديدا من التلقي المزدوج.

وفي كتب الأخبار خاصة، يكثر الشعر، ليشكل نسبة ضخمة من مادة كل كتاب على حدة، ويكون له في كل خبر قيمه التي لا يمكن تجاهلها، فمن يقرأ كتب الأخبار المطعمة بالشعر عادة، يدرك أهمية هذا التفاعل بين الشعر والسرد على

(١) المرجع نفسه، ص٥٤٥.

(٢) انظر هذه المناقشة مفصلة عند: يقطين، مرجع سابق، ص١٢٩، وما بعدها.

(٣) يقطين، مرجع سابق، ص١٣٨.

مستوى الخبر الواحد، وعلى مستوى المدونة الإخبارية كاملة. وهو ما يتضح في كتاب (أدب الغرباء) الذي يشكل الشعر فيه نسبة ضخمة من مادة الكتاب، فإذا كان عدد الأخبار المروية في الكتاب ستة وسبعين خبرا، فإن الشعر يحضر في ثلاثة وسبعين خبرا منها. وهذا الأمر بالغ الأهمية، لا من حيث ما سبق ذكره من أن الشعر مطيب للكلام ومحفز على التلقي فحسب، بل من حيث أنه يلمح إلى أمر آخر يتعلق بطبيعة الراوي نفسه، فأبو الفرج الأصفهاني إخباري وشاعر في الوقت نفسه، ولربما أسعف تتبع اهتمامات الإخباريين في التحقق من طبيعة الميل لرواية أخبار بذاتها، وربما أسعف –بكثير من التخرص– في التثبت من صحة كثير من الأخبار التي تحملها كتب التراث العربي، بحسب مواهب المؤلفين وملكاتهم.

إن مما يميز المادة الشعرية الواردة في كتاب (أدب الغرباء) أن بعضها كان من إنشاء أبي الفرج نفسه، فهو من يكتب الشعر على الحائط وهو من يروي خبره، وهذا النوع من الرواية قليل في الثقافة الإخبارية العربية، يقول محمد القاضي "ولا يمكننا أن نفهم سر ذلك إلا إذا نزلنا الخبر الأدبي منزلته من حركة التأليف عامة. فإذا كنّا نجد في العربية كلمة الشاعر للدلالة على قائل الشعر، وكلمة الخطيب للإشارة إلى صاحب الخطبة، فإن كلمة الإخباري لا تدل إلا على راوي الخبر والقصة والحكاية. وإذا كانت قيمة الشاعر والخطيب والمترسل تقاس بمدى تفرد كل منهم في تشقيق المعاني وإلباسها كسوة من مونق اللفظ، فإن قيمة الإخباري تكمن في أمانته في نقل الأخبار"[1]. فالإخباري لا يؤلف الخبر بل ينقله، أما أبو الفرج –في كتابه هذا تحديدا– فيفعل؛ وكأنه وجد في الجدران مكانا مناسبا لتسجيل شعره وتخليده، وهي سنة في إيثار الذات سلكها من بعده شعراء آخرون، أشهرهم الإخباري الأندلسي، ابن عبد ربه، الذي ترك في كتابه (العقد الفريد) مادة وفيرة من شعره خاصة، بل ربما صح القول إنه آثر شعره على شعر عامة الأندلسيين، ليكون خالدا رفقة أشعار المشارقة، بين دفتي كتاب.

(١) القاضي، مرجع سابق، ص٢٠٠-٢٠١.

وليس لذلك أهمية كبيرة إلا من ناحية إيحائه بأن في أخبار الكتاب شيئا من الصناعة، ومادة ربما أسعفت أبا الفرج ملكته على تسجيلها، خاصة وقد وصف في مقدمة كتابه الحالة النفسية التي كان عليها حين أنشأ الكتاب، يقول " أما بعد، فإن أصعب ما ناب به الزمان، ولقي في عمره الإنسان، عوارض الهم ونوازل الغم، نعوذ بالله منهما. وحدوثهما يكون بأسباب أتمّها حالا في السورة، وأعلاها درجة في القوة: تغير الحال من سعة إلى ضيق، وزيادة إلى نقصان، وعلو إلى انحطاط، والذي بي من تقسم القلب وحرج الصدر، يسومانني إلى ما ذكرته، ويبعثانني إلى مثل ما قدّمتُه، فأشغل النفس في بعض الأوقات بالنظر في أخبار الماضين وأحاديث السالفين، فربما أسلت ذا شجن، وتأسى بمتضمنها ممتحن، فأنا في ذلك كغريق اللجة بما يجد يتعلق، ويتشبث طلبا للحياة بما لحق"(١).

هذه الحالة التي وصفها الأصفهاني لنفسه زمن تأليف هذا الكتاب خاصة تكشف عن ذات مغتربة، تبحث عما تتشاغل به عن الهموم، وتنصرف به عن المعاناة والألم، وهي ذاتها الحالة التي دفعت شعراء الكتاب إلى ترك ما كتبوه من الأشعار على الجدران وغيرها، ساعين بذلك إلى نقل أوجاعهم وحمل معاناتهم على أدوات هي أصمد وأبقى من صدور الرجال، وهي طريقة تكشف "رغبتهم العارمة في جذب أنفسهم من أطراف الهامش إلى بؤرة المركز"(٢)، فكيف بأديب إخباري يطلب الخلود لنفسه فيما يخط وما ينقل معا؟ من ناحية أخرى فقد لاحظت إحدى الباحثات أن هيئة أبي الفرج الأصفهاني الواردة في المصادر التي تحدثت عنه تشبه هيئة الغرباء، تقول "وهكذا كان أبو الفرج رثّ الثياب، لا يعنى بمظهره، وأراها ترجمة ظاهرية لحالة الاغتراب، وردّة فعل تصعيدية تجاه المجتمع تصور حالات من حالات الرفض للمجتمع، وعدم الاكتراث بالأسس والأعراف التي تواضع عليها أهلها"(٣).

وعامة فإن الأصفهاني يعتمد فيما يصرّح بروايته عن نفسه من تلك الأشعار

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٠-٢١.

(٢) عون، مرجع سابق، ص٥٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤٢.

إحدى طريقتين:

١- أن يبدأ الخبر بعبارة (قال صاحب هذا الكتاب)، ثم يتبعها بفعل الكتابة (فكتبتُ /الحادثة رقم ٥٥[١]، أن أكتب على الحائط/ الحادثة رقم ٦٤[٢]، فكتبتُ تحته /الحادثة رقم ٧٥[٣]).

٢- أن يبدأ روايته للخبر بأفعال مرتبطة بضمير المتكلم، مثل (خرجتُ...وقلتُ فيها/ الحادثة رقم١٣[٤]، وكنتُ انحدرتُ...وكتبتُ هذه الأبيات على الحائط /الحادثة رقم١٥[٥]). وفي تلك الحالات يكون الشعر من نظم أبي الفرج نفسه.

أما الأخبار التي ينقلها من غيره فتبدأ عادة بصيغ مختلفة، بعضها مبني لما لم يُسم فاعله، وبعضها مبني للمعلوم؛ فمن الأول: (رُوي لنا/ الحادثة رقم٢، حُكي/ الحادثة رقم٤٧، يُقال /الحوادث رقم٢٤، ٣٠، ٤٦، ٤٩، ٥٠)، ومن الثاني: (قال/ الحوادث رقم٤، ٢٠، ٢٣، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٦٦، ٧٢، ذكر/ الحوادث رقم٢٩، ٣٣، ٤٢، كتب فلان/ الحادثة ٢٢). ومنها ما يضاف إلى ضمير المتكلم الفاعل (قرأتُ/ الحوادث رقم ٦، ٩، ١٢، ٣١، ٥٩، رأيتُ/ الحادثة رقم٤١، حدثتُ/ الحادثة رقم٦٠)، ومنها ما يكون ضمير الذات مجرورا (مرّتْ بي رقعة/ الحادثة رقم١٠). ثم تأتي الصيغ التي يكون فيها مفعولا به؛ وأقلها (أخبرنا/ الحادثة رقم٢١) ثم (حدثنا/ الحادثتان رقم٥٤، ٧٣). أما أكثرها فـ(حدثني/ الحوادث رقم١، ٣، ٥، ٧، ٨، ١١، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٦). والأشعار في تلك الأخبار هي مما عاينه الأصفهاني ونقل خبره، أو مما حدثه به آخرون.

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٧٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٧.

ومعظم كتّاب تلك الأشعار مجهولون، كما أن من الأشعار ما لم يرد في مصادر أخرى غير هذا الكتاب، حسب قول المحقق[١]، وهي أمور تدفع إلى التريث في القطع بحقيقة كثير من أخبار الكتاب، أو ربما تدفع إلى الاعتقاد بأن أبا الفرج كان قد اصطنع هذا النوع من الأخبار، في مرحلة كان القص والقصاص فيها قد كثروا وأقبل الناس عليهم، وغدت بضاعتهم مادة للتكسب، وعملهم مجالا للتنافس والشهرة، حتى "أصبحنا نجد إخباريين ليس لهم بواقع الخبر صلة وإنما هم متحدثون عمدتهم البراعة في القصّ والإيهام. وبهذا يدخل الخبر حرم الفن ليغدو وجها من أبرز وجوه الإبداع في الأدب العربي"[٢].

وانطلاقا من ذلك، يمكن القول إننا أمام تجربة جديدة في كتابة أخبار الأشعار، أو –بشيء من المجازفة– نحن أمام تراجم للنصوص تقابل تراجم النفوس التي ألفتها الثقافة العربية، فتاريخ ميلاد النص في أخبار الكتاب أهم بكثير من اسم قائله أو حياة ناقلة، فالنص أولا، ثم الناقل، ثم القائل، في مخالفة للعرف السائد في كتابة الأخبار والتراجم، حتى عند الأصفهاني نفسه.

إن من يقرأ أخبار الكتاب يدرك بدءا أنه لا يقرأ أخبارا تتضمن الأشعار، كما هي الحال في معظم كتب الأخبار، بل يقرأ أخبارا تعد أوعية للتعريف بأوعية أخرى حاملة للأشعار. فالخبر لا يسرد لذاته بل ليحمل نصا آخر مختلفا في جنسه عن الخبر، الذي تغدو وظيفته الحقيقية تأكيد وجود النص الشعري المرصود على الجدار وغيره.

والكتاب –بهذا الوصف– يكشف براعة مؤلفه في انتخاب الأخبار، وربما في صناعتها، وصناعة الأشعار التي تعضدها، وليس في صناعة شعر الشواهد عيب، عند القدماء، فيما يبدو، إذ لم يعده أحدهم من الوضع، فتلك طبيعة التصنيف عندهم، وفي شواهد النحو المصنوعة وحدها ما يغني عن الاحتجاج لكل ما ورد في (أدب الغرباء) من الأشعار. وربما يصح –بشيء من الزعم– القول إن الأصفهاني كان يعتمد

(١) المرجع نفسه، ص١٠.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص٤٩.

منهج صناعة الأخبار في مؤلفاته. يدلنا على ذلك ما لاحظه فؤاد سيزكين على كتاب (الأغاني) الذي ينقل فيه الأصفهاني مادة كبيرة من الأخبار عن الزبير بن بكار، معظمها ما كان ليعرف لولا إشارة الأصفهاني إليه في مروياته الكثيرة عن الرجل، التي كانت ترد بإسناد واحد: "أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار قال"(١)، وغير ذلك من الأسانيد التي تحيل إلى مؤلفات الزبير بن بكار(٢). ومع أن سيزكين لم يرد من ذلك تكذيب مرويات الأصفهاني إلا أن إضراب الأصفهاني عن وضع ترجمة للزبير بن بكار في كتابه (الأغاني) فيمن ترجم لهم ممن عرفوا بالزبير، مثل (الزبير بن الأشيم، والزبير بن دحمان، والزبير بن عبد الله الزبير، وابن الزبير الأسدي(٣))، قد يصدّق هذا الظن، فالرجل يصنع كثيرا من المرويات وينسبها.

لكن ذلك لا يشغل الدراسة كثيرا، إذ إنها تحاول فقط اكتشاف وظائف تلك الأشعار في سرود الأخبار، في كتابه (أدب الغرباء)؛ صحيحة كانت أو مصنوعة، انطلاقا من فرضية تذهب إلى أن للأشعار في كتب الأخبار وظائف متعددة يمكن تصنيفها وتحديدها بدقة. والتصنيف "مفهوم استخدمه فلاديمير بروب في دراسته للحكايات الروسية للدلالة على تحديد الوحدات الشكلية المتشابهة في الأثر الأدبي على ضوء وظائفها، وتكرارها، وتوزيعها، بقصد الوصول إلى عناصرها الثابتة، والقواعد

(١) وحرمي بن أبي العلاء أحد الرجال الذين نقلوا عن الزبير بن بكار. انظر: شمس الدين؛ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/١١، ١٩٩٦)، ج١٢، ص٣١١-٣١٢.

(٢) انظر: فؤاد سيزكين، **تاريخ التراث العربي**، تعريب فهمي أبو الفضل، محمود فهمي حجازي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/١، ١٩٧٧) ، ج١، ص٦١٢.

(٣) ترجم للأول في الجزء ١٤، ص١٦٤، وللثاني في الجزء ١٨، ص٢١٨، وترجم للثالث في الجزء ١٤، ص١٦٥، وللأخير في الجزء ١٧، ص٩٧. أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، (بيروت: دار صادر، ط/١، ٢٠٠٢). والزبير بن بكار من نسل عبد الله بن الزبير بن العوام، الذي ترجم له الأصفهاني.

العامة التي تحكمها"[1].

والتصنيف -بحسب بروب- لا يُملى على القصة بل ينبع منها، ويبدأ بمعاينة تمهيدية لها، وهو خلاف ما يقوم به الباحثون الذين "يبدأون بالتصنيف فيقحمونه من الخارج على الجُسمان، في حين كان عليهم أن يستنتجوه منه استنتاجا"[2]. وتأسيسا على هذا المفهوم للتصنيف يمكن إدراج الأخبار التي يكون الشعر مادة أولية في صناعتها، في تصنيف جديد، وربما غير مألوف، هو ما تقترح الدراسة تسميته بـ(أدب أخبار الأشعار أو تراجم النصوص). وهنا فقط لن يُنظر إلى الشعر داخل الخبر على أساس مضمونه، وهو المتبع من قبل الدارسين بشكل مستهلك، حيث المضامين مطروحة في الطريق، تتشاكل فيها المرويات على اختلاف مسمياتها (أخبار، مسامرات، مجالس، سير،...إلخ)، بل سينظر إلى الشعر داخل الخبر على أنه عنصر بنائي ضمن مجموعة من العناصر التي يقوم عليها بناء الخبر.

وظائف الشعر في كتاب (أدب الغرباء):

الحديث عن وظيفة الشعر قديم قدم الشعر نفسه، فمن نظم الشعر وأذاعه بين الناس إنما نظمه لوظيفة تتعلق بالواقع والحياة، ومن نقله بالرواية والحفظ إنما نقله لوظيفة تتعلق بالعلم والمعرفة، ومن كتبه وحفظه في بطون الكتب إنما كتبه لوظيفة تتعلق بالإنشاء والتأليف، وغيرها من ضرورات الثقافة الإنسانية.

ولا علاقة للوظائف هنا بذلك كله، كما أنه لا علاقة لها بالمضامين المستخلصة من الأشعار، وهو موضوع تعاوره الدارسون للشعر كثيرا، فوقفوا على كثير من مضامين الأشعار، مما يقع في أدب الغرباء وغير أدب الغرباء. وإنما يشير مصطلح الوظيفة هنا إلى استخدام جديد لمفهوم الوظيفة في كتابات فلاديمير بروب، لا من

(١) سمير سعيد حجازي، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧) ، ص٤٠.

(٢) فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصة**، ترجمة: عبد الكريم حسن؛ سمير بن عمّو، (دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط/١، ١٩٩٦) ، ص٢١.

ناحية تعريفه للوظيفة من حيث ارتباطها بالشخصيات في الحكاية العجيبة، بل من حيث أن الشعر في الأخبار إنما يرد لتأدية وظائف محددة، يمكن الوقوف عليها بدقة، وتصنيف الأشعار الواردة في الأخبار على هدى منها.

وفق هذا التصور يمكن الإفادة من فلاديمير بروب في اعتقاده بأننا يمكن أن نعيد دراسة الأشكال المختلفة للقص، ونضع القوانين التي تحكم البنية، في سبيل الكشف عن البنية المنطقية الخاصة جدا بهذا النوع من القص(١). وإذا كان بروب يخص القصص العجيب في دراسته، فإن منطلقاته النظرية تصلح للتطبيق على أنواع القص المختلفة، بما فيها هذا النوع من الأخبار في أدب الغرباء، الذي تتولد فيه الأخبار من الأشعار، وتتفق فيه الأشعار على استخدام مواد جديدة، وكأنما اتفق الغرباء على أن تكون مسودات لأشعارهم، في كتاب هو الوحيد الذي اتبع تلك المنهجية فيما وصلنا من التراث الإخباري العربي.

والتصنيفات التي قد نخرج بها من أشعار الكتاب –بعيدا عن الوظيفة– كثيرة لا يمكن حصرها، إذ يمكن تصنيف الأشعار حسب المضامين، وهو أمر شائع في دراسة الشعر عامة، لنخرج من الكتاب بعدد من المضامين، منها:

١– ما يكون في الحنين إلى الأوطان والوقوف على آثار المنازل.

٢– ما يكون في البكاء على الخلان وتذكر أيام الوصال.

٣– ما يكون في التأسي وتقوية النفس بالأمل.

٤– ما يكون في الشكوى من الزمن.

٥– ما يكون في وصف الغربة.

٦– ما يكون في الحديث عن الضيافة.

كما يمكن تصنيف الأشعار بحسب مواد الكتابة، لتكون على هذا النحو:

– ما يكتب على شوامخ القصور.

٢– ما يكتب على شواخص القبور.

(١) بروب، مرجع سابق، ص١٥–١٦، بتصرف.

٣- ما يكتب على جدران البيوت والمساجد والكنائس.

٤- ما يكتب على الرقع والخرق.

٥- ما يكتب على جدران البيوت ونزل الإقامة.

٦- ما يكتب على الصخور والحجارة.

ويمكن اعتماد تصنيف ثالث، بحسب حال الرواة، لتكون الرواية على هاتين الصورتين:

١- ما يروى عن معروف.

٢- ما يروى عن مجهول.

كما يمكن -أيضا- النظر في أحوال الشعراء بين معروفين ومجهولين، وغير ذلك من التصنيفات التي تكون يسيرة متاحة. أما التصنيف حسب الوظيفة التي يؤديها الشعر، والتي يمكن أن تشترك فيها مجموعة من أشعار الكتاب، فأمر يحتاج إلى التروي وإعادة النظر. والوظيفة هنا مبدأ تجتمع عليه النصوص الأشد اختلافا في مضامينها، إذ لا اعتبار للمضامين في ذاتها، إنما التعويل -كل التعويل- على غايات الغريب الذي كتب الأشعار وتركها ليقرأها الآخرون، وعلى غايات الراوي الذي نقلها بهذا القدر من التحري (تحري الاتفاق في الحالات لا في المضامين ولا في المواد والأدوات)، لتكون مادة متداولة قابلة لإعادة القراءة في أزمنة لاحقة.

والحق أن الوقوف عند الوظائف ليس أمرا سهلا، لأن أحدا من قبل لم يدرس وظائف الشعر في الأخبار خاصة، لا من القدماء ولا من المحدثين، فقد انصب جلّ عناية القدماء على توضيح محاسن الشعر، والفرق بين جيده ورديئه، وبين الشاعر المجيد وغير المجيد، وعلى أخطاء الشعراء في المعاني وسرقاتهم لها، وغير ذلك مما يتعلق بطبيعة الشعر. كما تحدثوا عن الفرق بين الشعر والنثر، باعتبارهما جنسين مختلفين. أما موضوع وظائف الشعر في النثر، فلم يكن حاضرا إلا على نطاق محدود؛ في مثل حديث البلاغيين عن الوظيفة الجمالية للتضمين.

وكذلك انصبت عناية المحدثين على البحث في سردية الشعر، خاصة بعد ظهور أنواع جديدة من الشعر هي أقرب إلى السرد، من مثل قصيدة النثر، ما دفعهم إلى العودة

لاكتشاف ملامح السرد في الشعر العربي؛ قديمه وحديثه. ولم يبادر أحد إلى طرح أسئلة من قبيل: لماذا يحضر الشعر في سرود الأخبار القديمة، وما وظيفته؟ ومن فعل ذلك فقد نظر إلى الموضوع من زاوية محدودة هي اهتمام العرب بالشعر، ومكانته عندهم.

تلك الدراسات على كثرتها وأهميتها لا تغني عن ظهور اتجاهات جديدة لدراسة الأشكال المختلفة من السرود التراثية التي تناقلها العرب أزمنة طويلة، وما زالت تدرس ضمن ثنائية (السند والمتن). تلك الثنائية المجتلبة من عالم الحديث النبوي، رغم التمايز الكبير بين العالمين. فالحديث النبوي ليس عملا تخييليا وإن كان فيه شيء من التصوير، ولا عملا إبداعيا مهما بلغ من البيان، ومن ثم لا يمكن تصنيفه ضمن الأدب، ولا حتى الإسلامي منه. وفكرة السند في ذاتها تذهب بالحديث إلى زاوية هي النقيض تماما من الأدب، ولذا فإن حرص الإخباريين على السند أقل من حرص علماء الحديث. هذا مع ملاحظة بعض الباحثين لحرص أبي الفرج الأصفهاني خاصة على سند أخباره[1]، وهي ملاحظة مثيرة في ذاتها، إذ بم يمكن أن يفسر هذا الحرص على السند في مؤلف ضخم بحجم الأغاني، مثلا؟

وحتى ما يتعلق بالمتن، فالمتن في الحديث يختلف عن المتن في الخبر، من حيث البنية والشكل، فإذا كان متن الخبر يتضمن السرد ويرد مطعما بالشعر كثيرا، فإن الحديث النبوي يعتمد الأقوال المباشرة كثيرا، كما يأتي خلوا من الشعر، فالحديث لا يضمن الشعر ولا يقتبس منه، بل العكس. وإذا كان من طبيعة الحديث أن يوظف لغايات توجيهية، فإن التوجيه المباشر ليس من غايات الخبر.

لقد أدى الخلط بين الخبر والحديث إلى فقدان الأول طبيعته المميزة، ما انتهى ببعض الدارسين إلى إخراجه من باب الأدب عامة، فالأخبار ليست من الأدب، بل هي تحوم حوله ولا تندرج فيه[2]. كما عده بعضهم جنسا مستقلا إلى جانب الحديث

(١) القاضي، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٢) تصدى محمد القاضي للرد على هذا الرأي. انظر التفاصيل في: **الخبر في الأدب العربي**، ص١٠٩، وما بعدها.

والشعر[١]. ومن ذهب إلى تلك الوجهات كان قد تجاهل الطبيعة السردية للخبر، خاصة القصصي منه. تلك الطبيعة هي ما يقرب الخبر من أنواع القص الأخرى كالحكاية والرواية والقصة[٢]، ويبعده كثيرا عن التاريخ بمعناه الحرفي، وعن الحديث النبوي أيضا.

من هنا تأتي أهمية البحث عن تصنيفات جديدة للأخبار، تنبع من طبيعتها، ولا تُملى عليها. ومن هذه الوجهة يأتي التصنيف الوظائفي الذي تتبناه الدراسة هنا، وهو تصنيف يمكن أن يُنطلق فيه من زوايا متعددة، حسب الوظائف التي تؤديها الأشكال المختلفة للأخبار، والوظائف التي تؤديها الأشكال الأخرى من الخطابات المضمنة داخل تلك الأخبار، من أمثال وحكم وأشعار وتراجم، فيكون عدد الوظائف المصنفة بحسب نسبة توظيف تلك الخطابات في الأخبار.

وبالعودة إلى كتاب (أدب الغرباء)، فإنه يمكن الخروج بعدد محدد من الوظائف للأشعار، نظرا لقلة عدد أخبار الأشعار في الكتاب، ولأنها تدور في حدود موضوع واحد، وهو أمر يمكن تجاوزه عند دراسة سرود إخبارية أطول. وعامة فإن الأشعار في الكتاب تؤدي أربع وظائف، سيجري ترتيبها حسب دورها في السرد، لا حسب نسب حضورها في الكتاب، ثم يكون الحديث عن تأثير كل وظيفة على السرد في موضعه.

١- الوظيفة التشاركية:

وتتحقق هذه الوظيفة حين "يؤثر الشعر المكتوب على موضع ما في قارئ يمرّ به، فيتفاعل القارئ معه، ويُنتج عن تفاعله هذا شعرا يحمل توجيها لصاحب الشعر المكتوب، ردّا عليه، أو يحمل موافقة له، وإعجابا به، أو يحمل إجابة عن سؤال جاء في الشعر المكتوب"[٣]. وفيها ينمو السرد ويتطور بتطور الحدث، من سرد خبر الكتابة إلى التفاعل مع المكتوب والمشاركة بالرد والجواب. وتمثل تلك الوظيفة، ما نسبته (٥٣%) من النصوص الشعرية التي تركها الغرباء، وهي نسبة مهمة تكشف

(١) يقطين، مرجع سابق، ص٢١٨.

(٢) القاضي، مرجع سابق، ص١١٥.

(٣) كريري، مرجع سابق، ص٥٥.

عن حاجتهم إلى التعاطف والمؤانسة.

ويلحظ على شعراء هذه الأشعار أن معظمهم مجهولون لا تحدد هوياتهم، ولا يعرف عنهم إلا هذا الخط الذي في الجدار ونحوه. أما الأخبار التي تورد الأشعار المؤدية لتلك الوظيفة، وأخبار من تفاعلوا مع الأشعار، فطويلة نسبيا، بحكم السردية التي تتطلبها الرواية، من حكاية الفعل وردة الفعل. ففي هذه الوظيفة يؤدي النص الشعري، مهمة تحفيز القراء على المشاركة والتفاعل، فالشاعر يكتب نصه على الجدار ليقرأه الآخرون. وربما عاد –فيما بعد– لينظر ما كتبوا تعليقا عليه، أو ربما عاد أحد هؤلاء القراء لينظر ما بقي من الخبر مكتوبا وما طمس بفعل الزمن.

والشعر المتولد عن المشاركة؛ منه ما يكون على وزن أبيات الغريب وقافيتها وموضوعها، ومنه ما لا يكون كذلك. فمن النوع الأول ما ورد في الحادثة رقم/ ٦[1]، وفيها أن عبد الله بن جعفر خرج يوما متنزها، ثم قال تحت شجرة، فلما همّ بالانصراف كتب على الشجرة:

خبّرينا خصصتِ يا سرْحُ بالغيـ ـثِ، بصدقٍ، والصدقُ فيه شفاءُ

هل يموتُ المحبُّ من ألم الحبِّ وهل ينفعُ المحبَّ اللقاءُ؟

ثم ركب متنزها، فرجع فقال تحتها، وإذا أسفل كتابته مكتوب:

إنّ جهلا سؤالكَ السّرحَ عمّا ليس يوما عليكَ فيه خفاءُ

ليس للعاشقِ المحبّ من العيشِ سوى منظرِ الحبيبِ دواءُ

ولا شك في أن عودة الرجل إلى المكان –الذي كتب فيه أبياته مستخبرا– كانت لغاية الوقوف على ردود من مرّوا بالشجرة وقرأوا ما كتب عليها. والخبر منقول من كتاب، بحسب أبي الفرج، وهو لا يحدد فيه ما إذا كان عبد الله بن جعفر قد ترك على الشجرة ما يدل على هويته من اسم أو إشارة أو نحوها، ليكون ما كتبه على الشجرة بمنزلة الرسالة المقصودة، أم أنه تخفى كما يتخفى الغرباء، وكتب كما يكتبون.

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٨.

أما النوع الثاني فيجيب العابرُ فيه الشاعرَ بأبيات على غير وزنه وقافيته، ومنها في الحادثة رقم/٩[١]، أبيات وقف عليها وعلى جوابها أبو الفرج الأصفهاني، الذي وجدها مكتوبة في فناء المسجد الجامع بمتوث، وهي مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب. والأبيات لرجل اسمه المؤمل بن جعفر البندنيجي يقول فيها:

يا من على الدنيا يُجاذب وعلى زخارفها يُغاضبْ

لا تطلبنّ وصالها ليستْ لصاحبها بصاحبْ

بينا تراها عنده إذ فارقته ولم تراقبْ

إنّي خبرتُ حديثها يا صاحِ من طول التجاربْ

يقول أبو الفرج "وإذا تحته مكتوب بخطّ غير ذلك الخط".

صدقتَ، صدقتَ، وعندي الخبر سأحذرُ منها ركوبَ الخطرْ

وأحملُ نفسي على حالةٍ فإمّا انتفاع وإمّا ضررْ

وأكثر الشعر الذي يؤدي هذه الوظيفة يتضمن أسلوبا من أساليب الطلب (خبّرينا، هل يموت؟ هل ينفع؟ لا تطلبنّ، يا صاح)، مما يحفز العابرين المتعاطفين على المشاركة. والمشاركة قد تكون موافقة لمضمون الشعر الذي تركه الغريب، كما في النماذج السابقة، وقد تكون زجرا وتوبيخا له. من هذا الأخير ما ورد في الحادثة رقم/٨[٢]، وفيها أبيات تركها رجل من أهل الشام على منارة الأسكندرية، يقول فيها:

شرّدتني نوائبُ الأيام ورمتني بصائباتِ السهامِ

فرّقتْ بين من أحبُّ وبيني ويحَ قلبي المتيمِ المستهامِ

لهف نفسي على زمان تقضّى فكأنّي رأيتُه في المنامِ

(١) المرجع نفسه، ص٣٢.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٣١.

فكان الجواب الذي كُتب تحتها:

أيّها المدّعي على الأيام أن رمته بصائباتِ السهامِ

خفْ من الله واعتزلْ كلَّ زُوْرٍ وتجنبْ مواقفَ الآثامِ

تجدِ الله عندَ كلِّ مخوفٍ كاشفا للهمومِ والآلامِ

فلهُ الحمدُ والخلائقُ طرّا وهو ربُّ الدهورِ والأعوامِ

كما قد يكون الجواب سخرية من المكتوب على الجدار، حين يكون فيه ما يدعو للسخرية. ومن ذلك في الحادثة رقم/٢٥[١]، وفيها أن أبا فلان المدني كان مبخلا، وكان يقرأ على مخلاة حماره [قل هو الله أحد]، سبع مرات ويعلقها على الحمار، وقت القضيم. وما لبث أن نفق حماره فدفنه في قبّة وكتب على حائطها:

ألا يا حمارًا كانَ للحُمرِ سابقًا فأصبحَ مصروعًا على السيبِ في قبرِ

جُزيتَ مع القتِّ الشعيرَ مُغربلا وأسكنكَ الرحمنُ في جنّة الحُمرِ

"ثم وجد بعد ذلك على حائط القبة هذين البيتين":

الحمدُ لله لا شريكَ له ماذا أرى من عجائبِ الزّمنِ

إن كانَ هذا الحمارُ في كفنٍ وقُبّةٍ، إنني بلا كفنِ

وتتفاوت مشاركات العابرين بتفاوت مواهبهم، واختلاف ظروفهم عند تلقي المكتوب، إذ قد يرد الجواب شعرا، كما في النماذج السابقة، وقد يأتي في رسالة نثرية، أو يكون جوابا من كلام الناس. ومن نموذج الجواب الذي يكون نثرا، الحادثة رقم/٤٣[٢]، وفيها أبيات كتبها رجل اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن داوود الطبرسي، على باب قصر خراب، جاء فيها:

(١) المرجع نفسه، ص٤٦.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٠.

يا منْ ألحّ عليه الهمُّ والفِكرُ وغيّرتْ حالَهُ الأيامُ والغِيرُ

أما سمعتَ بما قد قيلَ في مثلٍ عند الإياسِ فأين اللهُ والقدرُ

نمْ للخطوبِ إذا أحداثها طرقتْ واصبرْ فقد فازَ أقوامٌ لها صبروا

وكلّ ضيقٍ سيأتي بعده سِعةٌ وكلُّ فوْتٍ وشيكٍ بعده ظفرُ

ومع أن النص شعري إلا أن الجواب يرد نثرا، ومع ما في النص من دعوة للصبر وتفاؤل بالسعة والظفر، إلا أن الجواب يأتي في غاية التشاؤم واليأس، فقد ورد الجواب من مجهول، جاء فيه "لو كل من صبر أُعقب الظفر صبرتُ، ولكن نجد الصبر في العاجل يُفني العمر، وما كان أولى لذي العقل موته وهو طفل، والسلام".

ومن نماذج ما يكون جوابه بجملة أو جملتين من عامة كلام الناس، ما ورد في الحادثة رقم/٦٨[1]، وفيها أبيات لفلان بن فلان السّلوي، يرجو فيها لقاء الأحبة والأخلاء الذين تركهم خلفه بالبصرة، بعد أن أقام بها زمنا ثم رحل عنها مكرها، يقول:

اعززْ عليّ بفرقةٍ ورحيلِ عن قربِ محبوبٍ ودار خليلِ

والله يعلمُ أنّني مُتحرّقٌ لفِراقِكم ذو صبوةٍ وغليلِ

أترى الزّمان يسرني بلقائكم بعد التفرقِ والنوى بقليلِ

وإذا تحته مكتوب: بغير ذلك الخط: "نعم، إن شاء الله".

ويدخل في هذه الوظيفة أيضا ذلك الشعر الذي يكتبه بعض المعروفين من خلفاء وأمراء، وهنا تكون الكتابة تأسيا بسنة الغرباء ومشاركة لهم في الكتابة. والمكتوب في هذه الحالة قد يكون من منقول الخليفة، كما قد يكون من إنشائه، كل حسب ملكته، لأن الغاية هي فقط المشاركة في فعل الكتابة لا وصف شعور حقيقي

(١) المرجع نفسه، ص٨٩.

بالغربة. ومن ذلك في الحادثة رقم/٢[١]، أبيات للبيد بن ربيعة –رضي الله عنه– كتبها أبو جعفر المنصور على حائط قصر عبدويه. أما ما يكون من إنشاء الخليفة فمنه في الحادثة رقم/١[٢]، ما كتبه المأمون على كنيسة في الشام كان قد مر بها، وأراد أن يكتب على جدارها؛ تبركا بدعاء ذوي الغربة، فكتب:

يا معشرَ الغرباءِ ردّكم ولقيتمُ الأخبارَ عن قربِ

قلبي عليكم مشفقٌ وجِلٌ فشفا الإله بحفظكم قلبي

إنّي كتبتُ لكي أساعدكم فإذا قرأتُم فاعرفوا كَتبي

ومن هذا النوع التشاركي أبيات يكتبها الشعراء ثم يوصون بكتابتها على قبورهم، فيكون من واجب السامعين تنفيذ الوصية سواء كان القائل شاعرا مشهورا، أو كان مجهولا من عامة الناس. فمما يكون الموصِي فيه شخصا معروفا ما ورد في الحادثة رقم/٣٦[٣]، من أن أبا نواس لما حضرته الوفاة قال: اكتبوا هذه الأبيات على قبري:

وَعَظتكَ أجداثٌ صُمُتْ ونعتْكَ أزمنةٌ خفتْ

فتكلمتْ عن أوجُهٍ تَبْلى وعن صُورٍ سُبُتْ

وأرتْكَ قبرَكَ في القبو ر، وأنت حيّ لم تمتْ

أما ما يكون الموصي فيه مجهولا فمنه، الحادثة رقم/٢١[٤]، وفيها أن شابا غريبا من أهل العراق كان قد نزل ببلدة من بلاد الروم زمنا، فمرض مرض الموت، وكان قد كتب على حائط البيت الذي يسكنه أبياتا، وأمر من يمرضه

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٢٣. والأبيات هي التي مطلعها: المرءُ يأملُ أن يعيشَ وطولُ عيشٍ قدْ يضرّه.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٦.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٣.

بكتابتها على قبره. والأبيات هي:

تعسفتُ طولَ السيرِ في طلبِ الغنى فأدركني ريبُ المنونِ كما تَرى

فيا ليتَ شعري عن أخلاي هل بكوا لفقدي أم ما منهمُ من به درى

ومع أنه يلاحظ على الأشعار التي تؤدي هذه الوظيفة —في الشواهد السابقة– أنها ترد في أغراض متعددة، لا رابط بينها (العشق، والغربة، والشكوى من الزمن، والوعظ، والرثاء، وغيرها)، إلا أنه قد تبين للباحثة أثناء الإحصاء أن معظم النماذج كانت في الغزل وطلب المواساة على فقد المحبوب، وكذلك في المجون والغزل بالغلمان وطلب المنادمة في الشراب، ومعظم تلك الأغراض تشاركي بطبيعته. ونماذج ذلك كثيرة، يطيل أبو الفرج في سردها إطالة تفوق ما يرد في غيرها، وهو أمر ملفت للنظر، والملفت أكثر أن من أخبار الغلمان خاصة ما يتعلق بأبي الفرج نفسه[1]، وهو ما يخالف غاية من غايات أدب الجدران هي التستر والتخفي عند أصحاب الجنسانية المنحرفة[2].

وتكاد النصوص التي تؤدي هذه الوظيفة التشاركية تتفق في تضمنها أساليب طلبية تحفز المشاركة وتدعو إليها. ورواية الخبر —أيضا– تنص على حصول فعل المشاركة بجمل من قبيل (وإذا تحته مكتوب بخطّ غير ذلك الخط، وإذا أسفل كتابته مكتوب، ثم وجد بعد ذلك على حائط القبة هذين البيتين، وإذا تحته مكتوب: بغير ذلك الخط).

(١) أورد في الغلمان ٣ نصوص، أحدها يروي خبرا عنه (الحادثة رقم/ ٦٤) ، وفيها سرد لقصته مع (صديق له) من أولاد التجار كان له معه في زمن الشبيبة والصبا سير ومعاتبات ومكاتبات لو جمعت لكانت في كتاب مفرد. وكانا يلتقيان في حجرة نظيفة في دار الفتى فيشربان ويلهوان. وأن الفتى أبطأ عليه مرة، فكتب الأصفهاني أبياتا على جدار الحجرة، أغضبت صاحبه لما عاد ووجدها؛ لخوفه أن يقف أبوه عليها فيعلم سره الذي يكتمه فيمنعه من لقاء صاحبه أبي الفرج، وهذا ما حصل بالفعل. في خبر طويل. انظر: أدب الغرباء، ص ٨٣-٨٦

(٢) غماري، مرجع سابق، ص١١٨.

وحين نعتقد أن الكتاب مختص بأخبار الغرباء –وهذا غير الصواب– فإن المشاركة تكون مطلبا رئيسا لأي غريب يتقوى في غربته بتكثير الإخوان والألاف، فتكون الكتابة والرد وسيلة للتعارف والتواصل. لكن الكتاب يحوي أخبار غرباء، وغير غرباء، وهنا تتأكد الطبيعة الاجتماعية للإنسان، التي تدفعه إلى طلب المشاركة، وإلى التفاعل الفني مع مُنتَج الآخرين، على نحو ما ورد عن كتابات أصحاب الشأن كالمأمون وأبي جعفر المنصور وغيرهم، مما هو من قبيل المشاركة الإنسانية المحضة.

٢– الوظيفة الإشهارية:

الإشهار أحد أهداف الكتابة على الجدران عامة، وإن اختلفت طرقه ووسائطه من عصر إلى آخر(١). وتمثل هذه الوظيفة ما نسبته ١٦% من أشعار الكتاب. وترتبط بموقف يكون كاتب الأبيات قد تعرض له من أحد الأشخاص، فأراد أن يشهره، إن كان صاحب معروف أو قديم مودة، أو يشهّر به إن كان قد أصابه منه ما يكره. ومصطلح (الإشهار) هنا يأتي بمعناه الحديث الذي يرتبط بالإعلان، لكنه لا يقصد الجانب التجاري منه، وإن كان هذا الجانب الأخير بالذات قد حضر في نصوص من أدب الجدران، عند الوشاء مثلا(٢).

والإشهار في أدب الغرباء من نوع الإشهار الثقافي، الذي يأتي لإشهار بعض المنتجات الثقافية ولتمرير بعض الرسائل السياسية التي يمكن أن تخضع للرقابة بسبب محتواها الاحتجاجي(٣). والأصفهاني في مروياته حريص على إشهار أخلاق الناس من ثناء ومذمة، باختلاف أحوال الغرباء وما يلقونه في البلاد التي يقصدونها. وإشهار المحامد في الكتاب أقل من التشهير بالمذمة. فمن إشهار المحامد، ما ورد في الحادثة رقم/٢٣(٤)، عن حمزة بن القاسم الشاعر، قال: قرأت على بعض قصور آل المهلب:

(١) أقرب أنموذج لذلك في عصرنا الحاضر تلك اللوحات الإعلانية المعلقة في الشوارع وعلى الجدران للتعريف بالخدمات أو المنتجات.

(٢) انظر: كريري، مرجع سابق، ص٦١.

(٣) غماري، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.

(٤) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٤.

نزلتُ على آل المهلبِ شاتيا غريبا عن الأوطانِ في زمن المحْلِ

فما زال بي إكرامُهم وافتقارهم وبرهُمُ حتى حسبتهُمُ أهلي[1]

وبعيدا عن صدق ما جاء في الأبيات المكتوبة على قصور آل المهلب، وفي مديحهم، دون تعيين القائل، إلا أن الغاية منها إشهار هذا الثناء في الناس، وإثباته على ما هو أبقى وأبعد عن الاندثار، وهو جدار القصر.

ومن الإشهار ما يأتي لإعلان أدب الخلفاء وشعرهم، ومن ذلك في الحادثة رقم/٢٧[2] ما ورد عن عجوز من جواري الواثق، في خبر ذكرت فيه أبياتا له، رواها المعتضد بالله، قال أنشدنيها الموفق، قال أنشدني الواثق لنفسه، واللحن للواثق أيضا. والأبيات هي قوله:

انعمْ بحسنِ البديع والكامل ما دامَ ريبَ الزَّمانِ كالغافلْ

كأنّني ناظرٌ إلى زمني ما هو بعدَ مِيتتي فاعلْ

يا سُرَّ من را سقتك غاديةٌ من الغوادي غزيرةُ الوابلْ

أما التشهير، وهو الأكثر حضورا، فمنه ما يكون مباشرا، وخاصا، يعيّن فيه القائل والمقول فيه. ومنه ما ورد في الحادثة رقم/٢٢[3]، وفيها أن أبا العتاهية كان قد وقف في باب عمرو بن مسعدة فحجب عن الدخول، فكتب أبياتا، منها:

(١) ورد هذان البيتان في شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، لمجهول أيضا. إلا أن المرزوقي ذكر في الحاشية أنهما وردا -في شرح الحماسة برواية الجواليقي- للأخنس الطائي، ووردا عند الجاحظ في البيان والتبيين لبكير بن الأخنس، وهو من شعراء العصر الأموي. انظر: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، علق عليه وجمع حواشيه: غريد الشيخ، ووضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط/١، ٢٠٠٢)، ج/١، ص٢٢١.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٤.

ما لكَ قد حللتَ عن وفائكَ واستبدلتَ يا عمرو شيمةً كَدِرهْ

إنّي إذا البابُ تاه حاجبُه لم يك عندي في هجرِه نظرهْ

لستم ترجّون للوفاءِ ولا يومَ تكون السماءُ منفطره

أو يعينّ المقول فيه ولا يعرف القائل، ومنه ما ورد في الحادثة رقم/٢٤[١]، من أن يحيي بن خالد البرمكي وجد على فناء من أفنية قصر الرشيد، وكان قد ركب يريد الرشيد:

انعموا آل برمكٍ وانظروا منتهى هيهْ

وارقبوا الدهرَ أنْ يدورُ عليكم بداهيهْ

ومن التشهير ما يكون مباشرا، عاما، يعرف قائله، ويكون المقصود به عاما، ومنه في الحادثة رقم/١٥[٢]، ما ورد عن أبي الفرج نفسه، حين نزل البصرة، وكان غريبا لا يعرف أحدا، فدله رجل على خان اكترى فيه حجرة أقام فيها أياما، لا يجد من يستضيفه أو يقريه، فلما همّ بالمغادرة كتب على جدار تلك الحجرة في الخان أبياتا، يصف حاله ويهجو أهل البصرة، منها:

الحمدُ لله على ما أرى من ضيعتي ما بينَ هذا الورى

أصارني الدّهرُ إلى حالةٍ يعدمُ فيها الضيفُ حقَّ القِرى

بُدّلتُ بعد الغنى حاجةً إلى كلابٍ يلبسون الفِرا

ومن التشهير ما يكون غير مباشر، ومعظم نماذجه في وعظ الخلفاء وتذكيرهم، ويكتب على أبنية قصورهم، ومنه في الحادثة رقم/٢٦[٣]، ما وجد مكتوبا على حائط

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٧.

بناء من أبنية المتوكل في سر من رأى، وفيه:

أُنفقتِ الأموالُ واستنفدتْ وشُيّدَ البنيانُ للدّهرِ

فحينَ تمّ الأمرُ في ملكِهم صاحَ بهم حادٍ إلى القبرِ

فصيّرَ الدارَ خلاءً ولم يمهلْ أخا عزٍّ ولا قهرِ

والأبيات، رغم أنها عامة، وفي الوعظ، إلا أن موقعها على بناء من أبنية الخليفة تجعلها موجهة له، بوجه من الوجوه. والشاعر يلجأ إلى الجدار خوفا وحذرا، مما لا يستطيع التصريح به مباشرة، خشية أن يؤاخذ به، فيكتب رأيه على جدار ونحوه[1]، ولا يترك –في هذه الحالة– ما يدل على هويته.

وعامة فإنه يلاحظ على الأشعار التي تؤدي هذه الوظيفة أن أحد طرفي الرسالة (كاتب الأبيات أو المكتوب فيه أو له) يكون معروفا، لأن الغاية إشهاره أو التشهير به، وتلك غايات تحتاج إلى تحديد، حسب مقصد الرسالة، ومكانة من توجه إليه. كما أن معظم النماذج كانت في الخلفاء ورجال الدولة خاصة. وفي النماذج تتفوق أساليب الخبر في الحضور على الإنشاء، وتكون غايات الإنشاء التذكير والتوبيخ والزجر، في معظم النماذج.

٣– الوظيفة الإخبارية:

وتمثل ما نسبته ٢٨% من الأشعار، وغايتها تسجيل الأحداث وتأريخها. لذا فإن سرد الخبر يتوقف عندما يرد الشعر، لأن الغاية هي تأكيد وجود النص ونقل خبره. والمخاطب المقصود بتلك الوظيفة يكون عاما وغير محدد، وأبياتها أقصر من أبيات الوظيفتين السابقتين، إذ قد ترد كثيرا في بيت أو بيتين، ومعظم شعرائها مجهولون. من ذلك ما ورد في الحوادث رقم/١٠، ١١، ١٢[2]، على التوالي:

أبيات في رقعة وقعت في يد أبي الفرج وهو في جامع الرصافة، يقول كاتبها:

(١) انظر: كريري، مرجع سابق، ص٦٣.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٣٣.

رحمَ الله من دعا لغَريبٍ مُدْنفٍ قدْ جَفَاه كلُّ حَبيب

ورماهُ الزمانُ من كلّ قُطرٍ فهو لاشكَ ميّتٌ عن قريب

وأبيات قرأها شيخ على مقبرة سيبويه، يقول كاتبها:

رحلَ الأحبّةُ بعدَ طُولِ توجّعٍ ونأى المزارُ فأسلموكَ وأوجعوا

تركوكَ أوحشَ ما يكونُ بقفرةٍ لم يؤنسوكَ، وكربةً لم يدفعوا

وأبيات قرأها أبو الفرج على حائط مسجد الجامع بدسكرة الملك، يقول كاتبها:

سقى الله أيامَ التواصلِ غيثَه وردّ إلى الأوطانِ كلَّ غريبِ

فلا خيرَ في دنيا بغيرِ تَواصلٍ ولا خيرَ في عيشٍ بغير حبيبِ

ومنها –أيضا– ما ورد في الحوادث رقم/٤٨، ٤٩، ٥٠[1]، على التوالي:

" قرأت في مسجد قد سُدّ بابه وانهدمت مواجبه:

أفنى جميعهُم وبدّدَ شمْلهم مَلِكٌ تفرّدَ بالبقاء عزيزُ"

"وقرأت على حائط بستان بنواحي الرّقة:

كيفَ يصفو سرورُ من ليسَ يدري أيَّ وقتٍ يفجأهُ ريبُ المِنونِ"

"ويقال إنه قُرئ على باب خرابة:

أرى كلَّ مغرورٍ يُحدّثُ نفسَه إذا ما مضى عامٌ سلامةَ قابلِ"

ومنها في الحادثة رقم٦[2]، أبيات قرأها الرشيد على حجر بحلوان، يقول كاتبها:

حتى متى أنا في حلّ وترحالِ وطولِ سعي وإدبارٍ وإقبالِ

ونازح الدارِ لا أنفك مغتربًا عن الأحبةِ لا يدرون ما حالي

(١) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

بمغربِ الأرضِ طورًا ثم مشرِقها لا يخطر الموتُ من حرصي على بالي

ولو قنعتُ أتاني الرزقُ في دَعَةٍ إنّ القُنوعَ الغنى، لا كثرة المالِ

وفي الحادثة رقم/٥٩[١]، أبيات كتبها رجل غير معروف اسمه علي بن محمد بن أحمد بن حسن بن علي، بعد أن سار إلى هذا الموضع حافيا حتى انتعل الدم، يقول فيها:

عسى مشربٌ يصفو فيروي ضماءةً أطالَ صدَاهَا المشربُ المتكدرُ

عسى بالجلودِ العارياتِ ستكتسي وبالمستذَلّ المستضَامَ سيُنْصَرُ

عسى جابر العظمِ الكسيرِ بلطفه سيرتاحُ للعَظمِ الكسير فيجبرُ

عسى الله، لا تيأسْ من الله إنّه يهونُ عليه ما يجلّ ويكبُرُ

ويلاحظ عامة على الأشعار التي تؤدي تلك الوظيفة أن معظمها يأتي في الشوق للأوطان والخلان، وطلب الدعاء للغرباء، ووعظ الناس. وأكثر أساليب الطلب فيها الدعاء والتمني والرجاء، والاستفهام الذي يخرج لغاية الاستبطاء.

٤- الوظيفة التعجيبية:

ليس التعجيب هنا بمعنى الإتيان بالعجائب الخارقة تماما[٢]، أو البعد عن الواقع كلية، إنما أن يكون مضمون الأبيات وموضعها مما يعجب منه المتلقي، أو أن ترتبط بأحداث خارقة، يمهد لها السرد. والسرد في هذا النوع يسير في خط مواز للشعر، لحاجة التعجيب إلى ذلك.

والوظيفة التعجيبية هي أقل الوظائف حضورا في الكتاب، إذ تمثل ما نسبته

(١) المرجع نفسه، ص٧٧.

(٢) يستخدم مصطلح العجائبي للدلالة على "شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات بقوانين جديدة، تعارض قوانين الواقع التجريبي". سعد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط/١، ١٩٨٥)، ص١٤٦.

٣% من الأشعار. ولا عجب في ذلك، حين نضع في الاعتبار طبيعة جامع تلك الأشعار وناقل أخبارها، وربما –بشيء من الظن– صانعها أيضا؛ فالأصفهاني رجل واقعي، يرتكز جلّ منتجه المعروف على جمع الأخبار الواقعية، ومن ثم فإن التعجيب ليس من طبيعة ما ينقله أو ما يكتبه. لكنه دائما ينقل مرويته في صبغة تجعلها أقرب إلى الواقعية منها إلى التخييل والإيهام، وتلك سنة في الأخبار عامة بما فيها الأخبار العجيبة في التراث العربي. هذا ما لاحظه كمال أبو ديب في دراسته للعجائبي والغرائبي، حيث يستخدم الرواة قديما لعبة التوثيق التاريخية التي ارتبطت بالمقدس في الثقافة الإسلامية (الحديث النبوي)، بالاعتماد على آلية السلسلة الرواتية (السند): حدثنا فلان عن فلان، "فلقد ابتكرت هذه الطريقة الرصينة الصارمة من أجل إضفاء الموثوقية والرصانة والحقيقية على المسرود التاريخي"(١)، وهي الطريقة ذاتها التي يعتمدها الأصفهاني في أخباره عامة، ومنها أدب الغرباء.

والأشعار التي تمثلت هذه الوظيفة في الكتاب معظمها في الوعظ، لكن العجيب هنا أن المقصود بالوعظ لا يفهم لغة النص ولا يعي فحواه، لأنه مكتوب بلغة غير لغته، وهنا مكمن الغرابة. من ذلك ما ورد في الحادثة رقم/١٨(٢)، وهي منقولة عن شيخ مجهول من ذوي الهيئات يحدّث بكل غريبة وعجيبة، خرج في أحد الأسفار، فطرحه البحر في جزيرة، فيها قوم على صورة الناس إلا أنهم يتكلمون بكلام لا يُفهم، ويأكلون من المأكل ما لم تجر به عادة الناس، وأنه دخل مدينة في تلك الجزيرة، فوجد على بابها، هذه الأبيات:

من شدّةٍ لا يموتُ الفتى ولكنْ لميقاته يهلكُ

فسبحان مالكَ من في السما والأرضِ حقّا ولا يُملكُ

وقال في نهاية الخبر "فاجتهدت بالمسألة عن الرجل وحاله، فلم يُفهم عنّي، ولا

(١) كمال أبو ديب، **الأدب الغرائبي والعالم العجائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي**، (بيروت: دار الساقي، ط/١، ٢٠٠٧) ، ص٨.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٤١.

فهمتُ عن أحد منهم".

ومثله ما ورد في الحادثة رقم/٣٤[١]، من أن هارون الرشيد أنفذ إسحاق بن عمار إلى ملك الروم في السنة التي نزل فيها الرّقة، فوجد في صدر مجلسه هذه الأبيات مكتوبة بالذهب:

ما اختلفَ الليلُ والنهارُ ولا دارتْ نجومُ السّماءِ في الفلكْ

إلا لنقلِ النعيمِ من مَلكٍ قدْ زالَ ملْكُهُ إلى مَلكْ

ومُلكُ ذي العرش دائمٌ أبدا ليسَ بفانٍ ولا بمُشتركْ

والعجيب في الأبيات الأولى أنها مكتوبة على باب المدينة خاصة، أي تلقاء الداخل والخارج منها، رغم أنها لا تمثل رسالة القوم، الذين لا يفهمون من مضمونها حرفا، فكيف بقيت على باب مدينتهم ولم تمح، حتى يجيء البحر بغرباء تكون على لغتهم فيقرأونها وينقلون خبرها. أما الأبيات التي كتبت في صدر مجلس ملك الروم (بالذهب)، فأمرها أعجب، ليس لأنها تظهر الاحتفاء بالعربية في بلاط الروم، وهو أمر له أهمية فيما يتعلق بعلاقاتهم مع العرب، لكن لأن الأبيات في الوعظ والتذكير بحال الدنيا وتقلب أحوال الحكام، وأن الملك لا يدوم. وهي معان من صميم الفكر الإسلامي، ما يجعل اختيار ملك الروم لها مثيرا. وهذا قد يعني أن الأبيات قد تكون مختلقة، أراد بها رسول الخليفة إلى ملك الروم أن ينقل رسالة الأمة إلى هارون الرشيد بطريقة غير مباشرة، فكان خبر الأبيات المكتوبة على جدار ملك الروم خير واعظ للخليفة المسلم.

ومما هو أبعد من ذلك في التعجب ما ورد في الحادثة رقم/٥٢[٢]، في خبر طويل، يحكي قصة رجل من أهل المطالب ممن يسكنون الفسطاط، ومعه جماعة من أهل مصر كانوا يرحلون في طلب الكنوز، حتى انتهى بهم الطلب إلى بلاد اليونان،

(١) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٢) الأصفهاني، أدب الغرباء، ص٦٩-٧١.

فوجدوا على جدار أحد الحصون فيها هذه الأبيات لرجل غريب، يقول:

فيا ليتَ شَعْري مَتى يَنْقضي عَنائِي وتُكشفُ عنّي المحنْ

شريدًا طريدًا قليلَ العزا ءِ، سحيقَ المحلِّ بعيدَ الوطنْ

وأنهم طافوا بالحصن يبحثون عن الباب الذي خفي عليهم من نسج الريح عليه والقتام، فلما اهتدوا إليه، بعد أحداث فيها عجائب من صنع الجن، إذا مكتوب على أحد مصراعيه:

قد بَنَيْنَا وسوفَ نفْنى ويَبقى ما بَنَيْنَا منْ بَعْدِنا أزمَانا

ليسَ يبقى على الزّمانِ سوى الله الذي لا نَراه، وهوَ يرانا

يقول "فعجبنا من الشعر أيضا".

ولا يتوقف حضور الشعر في الخبر على هذين النصين، بل تنتهي القصة بنص ثالث وجد مكتوبا على قفل من الذهب وزنه خمس مئة ألف مثقال، وفيه طلسم يقول:

تعبٌ يطولُ لطامعٍ في نيلِ ما أمسيتَ جامعَه، فقلْ لا تطمعِ

واسترزقِ الله العليّ مكانه ودعِ التّطلبَ للمَطَالبِ واقنعِ

ثم تنتهي القصة بالرجل وقد اقتنع بهذه الموعظة فأقسم إلا يخرج في طلب الكنوز بعدها.

والنصوص هنا مكتوبة في مواضع من حصن في بلاد اليونان، بغير لغة اليونان، ليقرأها هؤلاء العرب ويروون خبرها. وعلى ما في مواضع النصوص من غرابة، وما في روايتها من عجب، فإن الرسالة التي أدتها قد تحققت أخيرا، فتوقف الرجل عن الأسفار استجابة لموعظة غريب وجدها مكتوبة على الجدار.

هذا ما يتعلق بوظائف الأشعار في الكتاب، أما دورها في السرد فيختلف من وظيفة إلى أخرى، إذ تسهم الأشعار التشاركية، ومن بعدها التعجيبية –في هذا

الكتاب- في حركة السرد، الأولى لغاية تأكيد التفاعل بين القائلين والمتفاعلين مع القول، والثانية لأن التعجيب غرض يتطلب كثيرا من التفصيلات السردية.

ومن ثم فإن ما لاحظه بعض الباحثين في أدب الأخبار، من أن القدماء كانوا يجعلون "المقام السردي مطية لإيراد القول. وهذه ظاهرة تكشف لنا عن سر من أسرار الخبر الأدبي يتمثل في انقطاع السردية فيه بحلول القول المقصود"[(١)]، إنما ينطبق على ذاك النوع من الأخبار التي تكون غاية الأشعار فيها إخبارية فقط، وهو ما يصح أن يقال إنه مقصود المبرد في مقولته التي سبق ذكرها[(٢)]. ومن ثم فإن إعادة النظر في وظائف الأشعار المضمنة داخل سرود الأخبار، يمكن أن يسعف في التمييز بين أنواع مختلفة من السرد يعزز وجودُ الشعر تنوعَها وتباينها.

فبالعودة إلى الأشعار ذات الوظيفة التشاركية، يمكن ملاحظة أن السرد لا ينقطع ولا يتوقف، بل يسير مع الشعر ليبرر وجود النص ووجود التفاعل اللاحق معه، في حين يتوقف السرد تماما بعد ذكر الأبيات التي وظيفتها الإخبار والتأريخ للحادثة فقط.

(١) القاضي، مرجع سابق، ص٣٥٦.

(٢) انظر: هذه الدراسة، ص٣.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة وظائف الشعر في سرد أخبار الغرباء في كتاب أبي الفرج الأصفهاني المعنون بـ(أدب الغرباء)، معتمدة المنهج التحليلي للنصوص، ومفيدة من مقولات الشكلانية وجهود روادها، من أمثال فلاديمير بروب، فيما يتعلق بالتصنيف الوظائفي، الذي يمكن الإفادة منه في تطبيقات مختلفة على النصوص التراثية العربية، ومنها سرود الأخبار المختلفة التي يزخر بها التراث العربي.

وقد تبين للدراسة أن أدب الأخبار في الثقافة العربية مازال بحاجة إلى دراسات معمقة تعتمد النظر في بنيته، وتصنيفه على أساس من التمايز بين البنى. وهذا أمر يمكن اختباره وتجريبه في سرود أخبار أخرى، وربما حتى في كتب التراجم والسير، التي يحتفل رواتها وكتّابها بالشعر احتفالا كبيرا، لا يمكن ردّه دائما وأبدا إلى مكانة الشعر عند العرب، دون النظر في طرائق توظيفهم لهذا الشعر في كل مدونة على حدة.

وقد خرجت الدراسة بنتيجتين، هما:

١- أن للشعر في سرود الكتاب وظائف متعددة، هي –حسب نسب حضورها في الكتاب– على التوالي: الوظيفة التشاركية، الوظيفة الإخبارية، الوظيفة الإشهارية، الوظيفة التعجيبية.

٢- أن السرد يتأثر بوظائف الأشعار في النصوص، فينمو ويتطور ليسير في خط مواز للنص الشعري، في الوظائف التي تتطلب ذلك، وهي على التوالي: الوظيفة التشاركية، ثم الوظيفة التعجيبية، ثم الوظيفة الإشهارية. وأنه يتوقف عند إيراد الشعر الذي يؤدي الوظيفة الإخبارية فقط.

والدراسة لا تزعم الكشف عن مجمل الوظائف التي يمكن أن يؤديها الشعر في أدب الأخبار، لكنها –على الأقل– تؤسس لقراءة جديدة تأخذ في الاعتبار

حضور الشعر في السرود الإخبارية العربية، وتبحث عن وظائفه، التي ربما تكون محدودة في الكتاب مادة الدراسة لمحدودية الأخبار فيه، لكنها ربما تكون أكثر من ذلك في السرود الإخبارية الضخمة. وهو ما يدفع إلى قراءة التراث الإخباري العربي، من منطلق حضور الشعر فيه، بوصفه عنصرا من عناصر النص، لا مادة مضمنة فيه، ومستقلة عنه، أو مقصودة في ذاتها، ومعطلة للسرد.

تم بحمد الله

المصادروالمراجع

الكتب:

الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق. (١٩٩٠)، تاريخ أصبهان: ذكر أخبار أصبهان، ط/١، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج/١.

الأصفهاني، علي بن الحسين. (١٩٧٢)، أدب الغرباء، ط/١، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

الأصفهاني، علي بن الحسين. (٢٠٠٢)، الأغاني، ط/١، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت.

بروب، فلاديمير. (١٩٩٦)، **مورفولوجيا القصة**، ط/١، ترجمة: عبد الكريم حسن؛ سمير بن عمّو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.

البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (٢٠٠١)، **تاريخ بغداد: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، ط/١، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١٣.

ابن تغري بردي، يوسف. (١٩٦٣)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ج٤.

جبار، سعيد. (٢٠٠٤)، **الخبر في السرد العربي: الثوابت والمتغيرات**، ط/١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.

حجازي، سمير سعيد. (٢٠٠٧)، **معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية**، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة.

حمداوي، جميل. (٢٠٢٠)، **النظرية الشكلانية في الأدب والفن**، ط/١، دار الريف للطبع والنشر، تطوان.

الحموي، ياقوت. (١٩٩٣)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، ط/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (١٩٠٠)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط/ن، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج/٣.

أبو ديب، كمال. (٢٠٠٧)، الأدب **الغرائبي والعالم العجائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي**، ط/١، دار الساقي، بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (١٩٩٦)، **سير أعلام النبلاء**، ط/١١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٢.

سيزكين، فؤاد. (١٩٧٧)، تاريخ التراث العربي، ط/١، تعريب فهمي أبو الفضل، محمود فهمي حجازي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١.

علوش، سعد. (١٩٨٥)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط/١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

القاضي، محمد. (١٩٩٨)، الخبر في الأدب العربي: دراسة في السردية العربية، ط/١، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ودار الغرب الإسلامي، بيروت.

كريري، علي حافظ. (٢٠١٣)، **أدب الجدران: قراءة في النقش الشعري وفضاءاته البصرية**، ط/١، إصدارات النادي الأدبي الثقافي، نجران.

المبرد، محمد بن يزيد. (١٩٩٧)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن. (٢٠٠٢)، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، علق عليه وجمع حواشيه: غريد الشيخ، ووضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج/١.

النديم، محمد بن إسحاق. (١٩٩٦)، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، ط/١، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت.

الوشاء، محمد بن إسحاق بن يحيي. (١٩٥٣)، **الموشى: الظرف والظرفاء**، ط/٢، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومطبعة الاعتماد، القاهرة، ج٢.

يقطين، سعيد. (١٩٩٧)، **الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي**، ط/١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

الأبحاث:

عون، مؤمنة حمزة عبدالرحمن، **نحيب الذات في أدب الغرباء للأصفهاني**. مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر بمركز إيتاي البارود بمصر، المجلد٣٠، العدد٢، (٢٠١٧م)، ص ص٥٠٦-٥٩٤.

غماري، طيبي، **الغرافيتي من أدب الغرباء إلى الاغتراب**. مجلة عالم الفكر، المجلد ٤٣ (يناير–مارس٢٠١٥م)، ص ص٩٩-١٤٠.

الشلوي، سهية مقبل؛ أحمد، هدى سعد الدين. **فن الإبيجراما العربية القديمة: النشأة والبناء**، المجلة الأكاديمية العالمية للغة العربية آدابها، المجلد٢، العدد٢ (جون٢٠٢٠م)، ص ص ١-٥٦.

Bibliography

Books:

al-Asfahani, Ahmad Ibn Abdullah Ibn Ishaq. (1990), **Tārīkh Asbahan: Dhikr Akhbar Asbahan**. 1st Edition, Investigated by: Sayyid Kasrawi Hasan, Dār al-Kutub al-ʹIlmiyyah, Beirut. Vol.1.

al-Asfahani, Ali ibn al-Husayn. (1972), **Adab al-Ghurabā**, Investigated by: Salah al-Din al-Munajid, 1st Edition, Dar al-Kitab al-Jadid, Beirut.

al-Asfahani, ʿAli ibn al-Husayn. (2002), **Al-Aghānī**, Investigated by: Ihsan Abbas et el., 1st Edition, Dār Sadir, Beirut.

Propp, Vladimir. (1996), **Story morphology**, Trans. ʿAbd al-Karim Hasan and Samir bin ʿAmuh, 1st Edition, Shiraʿ li al-Nashar, Damascus.

al-Baghdadi, Ahmad Ibn ʿAli. (2001), **Tarīkh Baghdad**, 1st Edition, Investigated by: Bashār Maʿrouf, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut, Vol.3.

Ibn Tighri Bardi, Yousuf, (1963), **al-Nujoum al-Zāhirah fi Mulouk Misr wa al-Qahirah,** Wazarat al-Thqafah wa al-Irshad al-Qawmi, Cairo, Vol. 4.

Jabbar, Saʿīd. (2004), **al-Khabar fi al-Sarrd al-ʿArabi: al-Thawabit Wa al-Mutghayirāt**, 1st Edition, Sarlkat al-Nashar wa al-Tawziʿ, al-Dār al-Bayzā.

Hijazi, Samir Saʿīd. (2007), **A glossary of terms for anthropology, philosophy, linguistics, and critical and literary doctrines**, (in Arabic) Dār al-Talāʾiʿ, Cairo.

Hamdāwi, Jamil. (2020), **Al-Nazariyyah al-Shaklāniyyah fi al-Adab wa al-fann**, Dār al-Reef, Tetouan

al-Hamawi, Yaqout. (1993), **Muʿjam al-Udabā**, 1st Edition, Investigated by Ihsan ʿAbbas, Dār al-Gharab al-Islami, Beirut, Vol,1.

Ibn Khillikan, Ahmad Ibn Muhammad. (1900), **Wafiyāt al-Aʹyan,** Investigated by Ihsan Abbas, Dār Sadir, Beirut, Vol.13.

Abu Deeb, Kamal. (2007), **Al-Adab al-Gharāʾibi wa al-ʿĀlam al-ʿAjāʾibi fi Kitāb al-ʿAẓamah wa Fann al-Sard al-ʿArabi**, Dār al-Saqi, Beirut.

al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad. (1996), **Siyar Aʿlām al-Nubalā**, Investigated by: Shuʾayb al-Arnʿut, 11th Edition, Muʾasat al-Risalah, Beirut. Vol.

Sezgin, Fuat. (1977), **Tarīkh al-Turāth al-ʿArabi,** Trans. Fami Abu al-Fadl and Mahmoud Fahmi Ḥijazi, 1st Edition, al-Haiʾah al-ʿĀmah li al-Kitab, Cairo, Vol.1.

ʿAloush, Saʿīd. (1985), Muʿjam **al-Mustalahāt al-Adabiyyah al-Muʿāsirah**, 1st Edition, Dār al-Kitab al-Lubnani, Beirut.

al-Qādī, Muhammad. (1998), **Al-Khabar fi al-Adab al-ʿArabi: Dirasatun fi al-Binyah al-Sardiyyah al-ʿArabiyyah**, Manshurat Kuliyat al-ʿĀdab in Manubah, Tunis, Dār al-Gharb al-Islami, Beirut.

Kariri, ʿAli Hafiz. (2013), **Adab al-Judrān, Wall literature: a reading of poetic inscription and its visual spaces**, (in Arabic), 1st Edtion, al-Nadi al-Adabi al-Thaqafi, Najran.

Al-Mubarid, Muhammad ibn Yazid. (1997), **Al-Kāmil fi al Lughah wa al-Adab**, Investigated by: Muhammad Abu al-Fadhal Ibrahim. 1st Edition, al-Maktabah al-ʿAsriyyah, Beirut, Vol.3.

Almrrzwqy, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Ḥasan**, Sharḥ Dīwān al-Ḥamāsah li-Abī Tammām"**, commented and compiled its footnotes: Gharīd al-Shaykh, footnotes by: Ibrāhīm Shams al-Dīn, (Beirut, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah 1st edition, 2002), vol. 1.

al-Nadim, Muhammad ibn Ishaq. (1996), **Kitāb al-Fihrist fi Akhbār al-ʿUlamā wa al-Musanifīn mina al-Qudamā wa al-Muhdathīn wa Asmā Kutubihim**, Expl. by Yousuf ʿAli Taweel, 1st Edition, Dār al-Kutub al-ʾIlmiyyah, Beirut.

al-Washā, Muhammad ibn Ishāq. (1953), **Al-Muwasha**, Investigated by Kamal Mustafa, 2ed Edition, Maktabat al-Khanji wa Matbʿat al-Iʾtimad, Cairo, Vol.2.

Yaqtin, Saʿīd. (1997**), Al-Kalām wa al-Khabar: Muqadimah li al-Sard al-ʿArabi**, 1st Editionʿ, al-Markz al-Thaqafi al-ʿArabi, aL-Dār al-Bayzā.

Periodicals:

ʿAwn, Muʾminah Hamzah**, "Nahīb al-Dhāt fi Adab al-Ghurabā li al-Asfahānī"** Majallat Kuliyat al-lughah al-ʾArabiyyah, bi Iytai al-Barud, al-Azhar university Markz Iytai al-Barud, Egypt: Vol.30. No.2, (2017).

Ghimari, Tayyibi**. " Graffiti from the literature of strangers to alienation"** (in Arabic), Majallat ʿAlam al-Fikr, Vol.43, (Jan-mar, 2015).

al-Shalawi, Suhayyah muqbil, Ahmad, Huda Saʿd al-Din. **"The Art of the Ancient Arabic Epigram: Origin and Construction" (in Arabic)**, al-Majallah al-ʿAkadimiyyah al-ʿAlamiyyahli al-Lughah al-ʾArabiyyahwa Adabaha, Vol.2, No, 2, (June 2020).

عتبات القصيدة الفصحى
وثيقةً ثقافية

The Thresholds of the Classical Poem: A Cultural Document

د. صالح بن عويد الحربي

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: saleh113@gmail.com

المستخلص

يتناول البحث ظاهرة القصيدة الفصحى حين تتجاوز دورها الجمالي والتعبيري لتكون شهادة ثقافية بمستوى ثقافة الشاعر. ويبدأ البحث بمعالجة ثلاث مسائل مؤسسة؛ تناقش مفهوم الثقافة ودورها في تقسيم الناس طبقياً، والشروط المعرفية التي تتطلبها اللغة الفصحى، وعلاقة الفن بالتطورات الثقافية.

كما تعالج مباحث هذه الدراسة الأساليب التي يتخذها الشعراء في محاولة إثبات صفة الثقافة العالية لأنفسهم، وكيف يجعلون من شعرهم دلالة على انتمائهم إلى طبقة ثقافية معينة. وذلك من خلال دراسة العتبات التي يقف عليها القارئ قبل قراءته للنص الفصيح. والتي تنحصر في ثلاث عتبات: طريقة كتابة الشاعر لاسمه وصياغته لعنوان قصيدته، والنصوص النثرية المنقولة التي يضعها تحت عنوان النص.

من خلال المنهج السيميائي سيدرس هذا البحث المظاهر التي ترافق النص الفصيح والتي تحمل مؤشرات ثقافية أكثر من كونها ذات قيمة فنية.

Abstract

The research deals with the phenomenon of the classical poem when it transcends its aesthetic and expressive role to be a sign for the cultural status of the poet. The research begins by addressing three foundational issues; the concept of culture and its role in classifying people, the cognitive conditions required by the classical language, and the relationship between art and cultural developments.

The topics of this study trying to expose the methods that poets take in attempting to appear as remarkably cultivated and educated men. Also, how they make their poetry an indication of their belonging to a particular cultural class. That is by studying the thresholds on which the reader stands before reading the text. Which is limited to three thresholds: the way the poet writes his name and his formulation of the title of his poem, and the transmitted prose texts that he places under the title of the text.

Through the semiotic approach, this research will study the aspects that accompany the classical text and that carry cultural indicators rather than being of artistic value.

المقدمة

يفتتح الغذامي كتابه "النقد الثقافي" بسؤال عما يحمله الفن مما ليس بفن؟[1] وهو سؤال خليق بالتأمل، لأنه يفتح الباب أمام العوامل الخفية التي كانت وراء إنتاج النص الإبداعي، فما الذي يدفع الشاعر إلى تنميق هذا النوع من الكلام، والخروج إلى الناس بهذا النص الذي يستخدم فيه مفرداتهم التي يعرفون؛ لكنه يرتقي على لغتهم اليومية، ويعبر بطريق ساحرة عن أدق مشاعرهم، وأصدق انفعالاتهم؟ عدا عن رغبته بإظهار مشاعره وإبراز موهبته؛ هل ثمة عوامل ثقافية أخرى كانت سببا في انتاج هذا النص؟

ومن جهة أخرى نجد أن كلمة "الثقافة" بمفهومها الحديث –رغم حداثة نشأتها في اللغة العربية واللغات الأخرى– قد تمكنت من انتزاع مكان بالغ الأهمية في الخطاب العربي، وأصبحت من أكثر الكلمات انتشارا في الحديث عن القضايا المعرفية أو العلمية أو الاجتماعية. ونجد أن كلمة "مثقف" على وجه الخصوص ذات دلالة خاصة في إضفاء صفات المعرفة والاطلاع والتأثير على صاحبها. وهي في الجملة كلمة لا تخلو من إشارة نخبوية رغم ما يشوب معناها الدقيق من ضبابية يصعب معها تحديد من هو المثقف .

ومع الأهمية المتزايدة للقب المثقف –كونه المخول بالحديث عن القضايا المختلفة– أصبح كثير من الناس حريصين على اكتساب هذا اللقب والدخول تحت مظلته. وكان من المتوقع أن يكثر الجدل عن أحقية فلان أو فلان بالتحلي بهذا اللقب دون غير .

(١) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي. المركز الثقافي العربي ط ٣ ٢٠٠٥. ص ١٣

من هذين المنطلقين (ما يحمله الأدب غير الأدبية، والثقافة بوصفها مفهوماً نخبوياً تصنيفياً) يناقش هذا البحث الدلالة الخفية للثقافة في الشعر المعاصر، فبعيداً عن فنية القصيدة وقدرة الشاعر، أو غرض القصيدة وأثرها، ينظر هذا البحث إلى الدور الذي يقوم به النص المعاصر في منح صاحبه شهادة ضمنية بمستواه الثقافي، ويستحق بناء على ذلك لقب مثقف إضافة إلى كونه شاعراً. فشعراء الفصحى تحديداً يحاولون من خلال قصائدهم –قصداً أو دون قصد– أن يحصلوا على الاعتراف بانتمائهم إلى طبقة المثقفين، وهو ما يحاول هذا البحث الكشف عنه .

يدرس هذا البحث عدداً من العلامات السيميائية المحيطة بالنص، والدلالات الفنية التي يحملها، محاولاً اختبار صحة هذه الفرضية. وسيكون المجال التطبيقي خاصاً بالشعراء السعوديين المعاصرين تحديداً، رغم أنها ظاهرة قد تتسع لتشمل شعراء العربية المعاصرين، وربما كانت هذه الحال لدى الشعراء عامة.

على أن التطبيق لفرضية هذا البحث سيقتصر على بعض عتبات النص. فقد يتسع مفهوم العتبة ليشمل كل المؤشرات التي يلحظها القارئ، وتسبق ولوجه إلى النص الشعري الذي هو الأساس الذي يفترض أن القارئ قد قصد إليه. وهي عتبات كثيرة مختلفة باختلاف الوسائط التي حملت النص إلى القارئ وباختلاف الوسائل التي عرض بها الشاعر نصه. ولكن تركيز هذا البحث سينصب على ثلاث عتبات؛ اسم الشاعر، وعنوان النص، والمقتبسات في مطالع القصائد. على رجاء أن ييسر الله إفراد مقدمات الدواوين ومضامين النصوص بأبحاث مستقلة لذات الغرض وتحت ذات الفرضية.

وستعمد الدراسة في سبيل إيضاح فكرتها، إلى عقد بعض المقارنات المرجعية مع منتج شعري من ذات البيئة، لكنه قد يكون أقل تأثراً بالموجة الثقافية، وأعني بذلك الشعر العامي، بالقدر الذي يكفي لإيضاح فكرة البحث. فشعراء العامية كنظرائهم في الشعر الفصيح يملكون الموهبة الشعرية، ويعيشون في ذات البيئة، وقد تجد في

العائلة الواحدة شاعراً فصيحاً وآخر عامياً، بل قد يكتب شاعر واحد كلتا القصيدتين. وبمقارنة ما يدرسه هذا البحث من مظاهر سيميائية في النص سنتبين مدى حرص شعراء الفصحى على تضمين نصوصهم إشارات ثقافية عديدة، في مقابل شعراء العامية الذين قلما ينحون هذا المنحى، رغم اشتراكهما في أصل التعبير الفني، وانتمائهما إلى ذات المجتمع. على أن هذه المقارنة ستكون محصورة في الجوانب التي يمكن أن تفيد فكرة هذا البحث مع الإدراك التام للفروق الكبيرة بين هذين المنتجين الأدبيين.

التمهيد:

لعل من البدهي القول بأن النص الأدبي منتج إبداعي ينشأ عن التأمل والتجربة، واستخدام الأدوات الفنية، وفق معالم أدبية متوارثة، وضمن شروط فنية محددة، لينتج الشاعر منجزه الأدبي ويقدمه إلى مستمعيه أو قرائه، ليحظى بالإشادة والإعجاب والتقدير الذي يطمح إليه.

وما من شك أن الشعر لم يكن بمعزل عن الثقافة يوماً ما، فالشعراء مثقفون بالضرورة، وقد ترافقت الصفتان للدلالة على الشعراء في كل عصور الأدب تقريباً، حتى قبل أن تظهر مفردة الثقافة بشكلها المعروف في البيئة العربية. ولو عدنا بالشعر إلى أيامه البكر الأولى التي نعرفها، وتصفحنا عالم الشعراء الجاهليين، والذين كانوا في غالبهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون، لوجدناهم بلا شك مثقفين بمقاييس الثقافة في ذلك العصر. فهم مطلعون على الأنساب والمفاخر والألقاب، وهم في الغالب منخرطون في أهم شؤون القبيلة السياسية والحربية ولذا كانوا لسان قبائلهم وكان شعرهم ديوان تلك الأيام.

وبعيداً عن التفاصيل المعرفية والعلمية التي تتناول الشؤون التاريخية والاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها، التي حفلت بها نصوصهم، فالمتأمل لنشأة الملكة الأدبية لدى الشعراء يعلم أن الموهبة وحدها لا تصنع شاعراً، بل لابد للشاعر أن يكثر من مطالعة النماذج الأدبية التي سبقته ليعرف كيفية بناء القصيدة ويتمرن على أوزانها، ويحفظ ما سُبق إليه من معان وأبيات. وهو أمر بدهي لا يقتصر على الشعر وحده، بل هو الشأن في كل موهبة يطمح الإنسان إلى تنميتها والإبداع فيها. ولهذا وجدنا سلاسل الشعراء في الجاهلية، والتي ينشأ فيها الشاعر راوياً لشعر غيره حتى يشتد عوده الشعري وتنضج موهبته، فيجد بدوره راوياً آخر يحمل عنه الشعر وينمي موهبته بملازمته. كما روي عن أوس بن حجر الذي روى عنه زهير بن أبي سلمى وعن زهير

روى ابنه كعب والحطيئة وعن الحطيئة روى هدبه بن خشرم العذري الخ.[1] فهذا النوع من الملازمة والاطلاع هو في ذاته سبيل عظيم أمام الشاعر للتزود المعرفي بأهم ملامح الثقافة في عصره مما يجعله مثقفاً بالضرورة. وقد أشار إلى هذه الأهمية المعرفية لدى الشاعر الجاهلي المستشرق الألماني إيفالد فاجنر الذي يرى أنه كلما ازدادت القيمة الفنية الإبداعية لدى الشاعر "ازدادت الحاجة إلى معارف إنسانية أيضا إلى جانب الإلهام فوق الإنساني. ففي المقام الأول وجب على الشاعر أن يمتلك ناصية اللغة الشعرية المشتركة بين القبائل ... ووجب عليه أيضا أن يكون عارفاً بأنساب القبائل وتاريخها، ووجب عليه أخيراً أن يحفظ قصائد كثيرة للآخرين. حتى يكون ملماً بموضوعات الشعر وموزوناته وثروته اللفظية"[2]

ولم يكن المجتمع غافلاً عن القيمة المعنوية والاعتبارية لهذه الموهبة، ولذا "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان"[3]، في اعتراف ضمني بأن الشاعر في ذلك الوقت لم يكن مبدعاً فحسب، بل كان سلاحاً ثقافياً وإعلامياً من أسلحة القبيلة. وحين نطوي صفحة الشعر الجاهلي ونصل إلى المرحلة التي يصبح منال الشعر فيها مرهوناً بالتعلم في الكتاتيب والتزود بالعلوم، نرى الشعراء قد شاركوا في كثير من العلوم في كل العصور، فأصبحوا من الطبقة المتعلمة في

(١) ينظر الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ت إبراهيم الأبياري (مؤسسة دار الشعب القاهرة بلا تاريخ) ٩١/٨

(٢) أسس الشعر العربي الكلاسيكي الشعر العربي القديم، إيفالد فاجنر، ت سعيد حسن بحيري (المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١ ٢٠٠٧) ٦٧

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني، ت د. النبوي عبد الواحد شعلان (الخانجي القاهرة ط ١ ٢٠٠٠) ٤٩\١

المجتمع، وتضلع بعضهم ببعض العلوم وعرف بالمشاركة فيها كما روي عن كثير من شعراء العصر العباسي وما بعده.(١)

فالمعرفة والاطلاع أصبحا من الأدوات الرئيسة في تكوين الشاعر، وهما كذلك عدة المثقف وميزته عن غيره. فمصطلح "المثقف" رغم أنه مصطلح حديث إلا أنه ينطبق بشكل كبير على غالب الشعراء أو جميعهم.

ولعل أهمية هذا التمهيد تكمن في التأكيد على أن مدار هذا البحث وسؤاله الرئيس ليس عن مدى الثقافة التي يحملها شعراء الفصحى، ولكن السؤال هو عن آلية استخدام الشعراء المعاصرين للنص الفصيح لإثبات انتمائهم إلى الطبقة المثقفة بمفهومها الحديث. ولعل من المهم التقديم بثلاث مسائل توضح مسار هذه الورقة.

المسألة الأولى: الثقافة بوصفها مفهوماً طبقياً

تتميز كلمة "الثقافة" بأنها من أكثر الكلمات غنى وتنوعا في تعريفاتها، فلا تكاد تجد معنى من معاني الحياة سواءً كان مادياً أو معنوياً إلا ويمكن إدراجه بشكل ما تحت مفهوم الثقافة. وهي باعتبار كثرة الدارسين لها من مختلف التخصصات، واستخداماتها المتعددة، تعد من أكثر الكلمات صعوبة في إيجاد تعريف شامل لها. ولا تقتصر هذه الصعوبة على اللغة العربية، بل يوشك أن تشمل جميع اللغات التي تجعل من هذه المفردة واحدة من المحاور الرئيسة التي تلتقي عندها شتى الدراسات الإنسانية. فقد أشار الناقد رايموند ويليامز إلى أن كلمة الثقافة واحدة من أكثر الكلمات تعقيداً

(١) ينظر على سبيل المثال: العصر العباسي الأول، شوقي ضيف (دار المعارف. ط ٨ بلا تاريخ) ١٤٤-١٥٤

في اللغة الإنجليزية، لأنها تحمل الكثير من المعاني التي تتغير مع مرور الزمن[١].

ويتفاوت الدارسون لهذ المفهوم في التعبير عنه بين من يجعله مفهوما نخبويا أقرب إلى المعرفة والعلم، وبين من يربطه بالسلوكيات والعادات لعامة الشعب. فكارل ماركس رغم دعوته إلى المساواة بين الطبقات إلا أنه يرى أن الثقافة جزء من البنية الفوقية للمجتمع –بحسب تعبيره–، وهي البنية التي تركز على احتياج الطبقات العليا من المجتمع.[٢] وكذلك يرى تيري ايغلتون أن كلمة الثقافة قد تتخصص حتى تصبح دالة على الأنشطة الفكرية العامة مثل العلم والفلسفة والدراسة وما أشبه، وقد تضيق حتى تكون خاصة بالفنون كالرسم والموسيقى والأدب.[٣] ومنذ ما يزيد على خمسين عاما أحصى اثنان من علماء الاجتماع مئة وأربعة وستين تعريفا لكلمة الثقافة[٤]، ولا شك أن هذا الرقم قد تضاعف باعتبار العدد الهائل من الدراسات التي تتناول الشأن الثقافي كل يوم. ولعل من أبرز ما تركز عليه هذه الدراسات في طرحها في السنوات الأخيرة اهتمامها بالمنتج الشعبي العام الذي ينظر إليه كممثل لروح ثقافة الأمة، والميزة الأبرز التي تميز شعباً عن آخر. بل بلغ التوسع فيما تحمله كلمة لثقافة من معان أن أصبحت كما يرى سايمون ديورنغ " قد تكون مجرد أي شيء نظراً لأنها لم تعد تشير

(١) Raymond Williams, Keywords: A vocabulary of culture and society (Glasgow: Fontana. 1976).

(٢) مدخل إلى سيوسولوجيا الثقافة، ديفيد إنغلز– جون هيوسون، ت لما نصير (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ط ١ ٢٠١٣) ص ٤٤

(٣) فكرة الثقافة، تيري ايجلتون، ت شوقي جلال، (المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥) ٣١

(٤) A.L. Kroeber and Clyde Kluckhohn. Culture: A Critical review of concept and Definitions (New York: Random House, 1963).

إلى مجموعة محددة من الأشياء"[1]

فالخلاصة أن القارئ يجد نفسه أمام كلمة يمكن أن تختصر الحضارة البشرية بكل تجلياتها المادية والفنية والمعنوية. وهي بهذه التعريفات الواسعة تحمل من الحيادية والرحابة ما يجعلها قابلة لاحتواء البشر جميعا بكل أطيافهم وباختلاف مستوياتهم المادية والمعرفية. لكن الطريف أن الأمر على العكس تماماً مع المفردة الأخرى المشتقة من الثقافة نفسها، فالمثقف كلمة تبدو كلقب تشريفي يتفق المستخدمون له على ما يحمله من تميز لكنهم قد يختلفون كثيرا في تحديد المستحق لهذا اللقب. ويبدو من المتعذر تجاهل المفهوم الطبقي الذي تفيده هذه الكلمة، فالمثقف بأي تعريف من التعريفات هو شخص يتميز عن غيره بمزيد من المعرفة والاطلاع، وهو اطلاع لا ينبغي أن يكون مقصورا على جانب واحد من جوانب الحياة. كما أن هذا الاطلاع ينتج عن قراءة ومتابعة وتعلم، ولا ينبغي أن يكون مجرد خبرات متراكمة، لأن كل فرد في الحياة لديه خبراته الخاصة؛ بينما المثقف من تعلم وقرأ كثيراً وأصبح مميزاً بين الآخرين ب (ثقافته) الواسعة التي تجعله أعلى طبقة منهم. ولهذا كان من المدائح الشائعة في الأوساط الثقافية والعلمية وكذلك بين عامة الناس وصف الشخص بأنه مثقف، في إشارة إلى أنه مميز عن الآخرين وربما كان بذلك مرجعاً في أمور تخص المعرفة والثقافة والتأثير وغيرها.

ومهما اختلفت تعريفات المثقف، أو اختلف الناس فيمن يستحق أن يحظى بهذا اللقب إلا أن مضمون النخبوية الكامن في هذا المصطلح أمر لا خلاف عليه، ولعله هذا هو منبع الجدل فيمن يستحق أن يحظى بهذا اللقب. فغرامشي على سبيل

(١) الدراسات الثقافية مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، ت ممدوح يوسف عمران (عالم المعرفة، الكويت، ط ١ ٢٠١٥) ص ٢٤.

المثال يرى أن الدور الحقيقي للمثقف يتجاوز المعرفة إلى التأثير، ويطالبه بالدفاع عن قضايا الوسط الذي ينتمي إليه،[١] وفي المقابل ناقش عبد الإله بلقريز الدور الذي يمثله المثقف منتقدا ما سماه بالمثقف الداعية[٢]. والنخبوية هي أول الأوهام الستة التي تحيط بهذا المصطلح عند علي حرب وهو ينتقد صراحة هذا المثقف الذي "يزعم أنه ينخرط في مشكلات المجتمع، ويمثل مصلحة الشعب، في حين هو يسقط تطلعاته وأوهامه على غيره".[٣]

والمهم هنا هذا التأكيد الضمني من هؤلاء المثقفين على الدور النخبوي الذي يوحيه لفظ المثقف، وهو ما تبني عليه هذه الورقة فرضيتها في تقديم القصيدة الفصحى كشهادة ثقافية لشاعرها بأنه ينتمي إلى هذه النخبة التي تمثلها الطبقة المثقفة.

المسألة الثانية: عتبات الفصحى

تعد اللغة الفصحى عتبة ثقافية رفيعة، فهي ذات معايير مختلفة عن اللغة اليومية أو العامية التي يتكلمها الناس في بيوتهم ويتعلمها الأطفال بالتلقي. ومهما اقتربت العامية من الفصحى في بعض مفرداتها وتراكيبها فهي تحتاج إلى الكثير الذي ينبغي أن يتعلمه الإنسان ليتمكن من إتقان الفصحى والكتابة بها أو النظم بها.

ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للشاعر الجاهلي فلغته اليومية هي اللغة الفصحى، ترفدها لهجات القبائل العربية المختلفة. ولذا كان غالب شعراء الجاهلية

(١) الثقافة والهوية والوعي العربي، د. محمود الضبع (دار بتانة، القاهرة، ٢٠١٦) ٩٥

(٢) نهاية الداعية الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، عبد الإله بلقريز (المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٠) ١٦٩.

(٣) نقد المثقف وأوهام النخبة، علي حرب ،١٤ ينظر أيضا جدليات المثقف، تيبولوجيا المثقف في الرواية السعودية، صالح سالم (نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١ ٢٠١٦) ٢٥

أميين لا يتقنون القراءة ولا الكتابة، وكانوا مع هذا غاية في الفصاحة وكان شعرهم حجة يستشهد بها في مسائل اللغة، ومعياراً يعرف به صحة الكلام.

ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأجيال اللاحقة من الشعراء فقد ارتفعت الفصحى عن ألسن العامة وأصبح إتقانها فضلا عن النظم بها يحتاج إلى ارتقاء درجات من سلم المعرفة والتعليم. فالفصحى تشترط إتقان قواعد الإعراب والتصريف وطرائق استخدام العبارات الفصيحة وتوظيف الألفاظ وفق معانيها وإيحاءاتها، إضافة إلى التزود من مفردات اللغة الفصحى التي لا يستقيها المتعلم إلا من بطون الكتب، ومن تضاعيف النصوص الفصيحة، التي لابد أن يكثر من القراءة فيها ويدمن الاطلاع عليها. وإجمالا تملك اللغة الفصحى نظاما متكاملا يحتاج الإنسان إلى تعلمه والتمرس عليه قبل أن أيتمكن من الكتابة فيه.

ولعل من المفيد الإشارة إلى هذه القضية البدهية في أن تعلم اللغة واتقان قواعدها والمراس على أساليبها ضروري لخلق أي شاعر فصيح. وبهذا تكون الموهبة الأدبية بحاجة ماسة إلى تعلم من نوع خاص ليتمكن صاحبها من أن يحظى بلقب شاعر، وأن يكتب بلغة فصيحة، وبطريقة إبداعية قادرة على إيصال أفكاره ومشاعره إلى قرائه. وكلما ابتعد الزمن بالشعراء عن زمن الاستشهاد كان على الشاعر أن يبذل جهداً أكبر في سبيل إتقان هذه القواعد والاطلاع على ما سبقه من نصوص. لأنهم مطالبون بالكتابة والإبداع بلغة لا يتكلمونها في منازلهم ولم يتعلموها بالتلقي فالطريق الوحيد إليها هو تعلم قواعدها والمراس على نماذجها.

وتكمن أهمية هذه الفكرة بالنسبة لشعرائنا في أن لغتنا العربية تكاد أن تكون فريدة بين اللغات الحية في هذا الأمر، فالعربية الفصحى تكاد أن تكون اللغة الوحيدة التي يتسع البون فيها بين الفصحى المكتوبة والمقروءة في كل الوطن العربي وهي التي ينظم بها شعراء الفصحى قصائدهم منذ ما يزيد على ألف واربعمائة عام إلى اليوم،

وبين العاميات المختلفة، التي ينشأ فيها الشعراء ويتحدثون بلهجاتها ولا يكاد يفهم بعضهم لهجات بعض.

وبهذا يكون مجرد الكتابة بالفصحى شهادة للشاعر المعاصر بحصوله على مستوى من التعليم يمكنه من إتقان اللغة الفصيحة والكتابة بها. وليس الأمر مقصورا على الكتابة بالفصحى، بل هو شامل للقراءة بها أيضا، فجمهور الشعر الفصيح جمهور نوعي، نال من العلم واعتاد على الأساليب الفصيحة، حتى أصبح يستمتع بجمالياتها ويتذوق الإبداع الأدبي بها، رغم أنها مختلفة عن عاميته التي يستخدمها في تعاملاته اليومية. وهذا الجمهور المتعلم يزداد تفاعله مع النص الفصيح بازدياد حسه الفني وبازدياد معرفته العلمية أيضا.

فمن الواضح أن إرضاء الجمهور المثقف ونيل إعجابه لن يتأتى غالباً إلا للشاعر الذي يمتلك من الثقافة ما يكسبه احترام هذا الجمهور وهي الثقافة التي تنعكس في أفكاره وطريقة عرضه لإبداعه الشعري. وهنا قد تكون الموهبة الشعرية عاملاً أساسياً في كسب احترام الجمهور المثقف، ولكن الثقافة العالية ستبدو حينها عاملاً مساعداً كبير الأثر في إثارة هذا الجمهور النوعي والحصول على إعجابه.

المسألة الثالثة: الفن والثقافة

هل كان الإبداع الفني يوما ما بعيدا عن الثقافة بوصفها مفهوماً طبقياً؟ أليست الفنون تتطور وتحتفي بالتحديثات الجديدة فيها من قبل الطبقة المتعلمة أو المهتمة بها على أقل تقدير؟ يبدو أن كثيراً من اللوحات الفنية لن تجد الفهم فضلاً عن الاحتفاء والتقدير من قبل أولئك الذين لا يفهمون أسرار العمل الفني، أو طبيعة المدرسة الفنية التي ينتمي إليها الفنان. وكذلك الحال بالنسبة للقصيدة الشعرية فالنص الحداثي واجه رفضاً عنيفا من قبل كثير من القراء والنقاد في ستينات وسبعينات القرن الماضي في البلاد العربية، ولكنه في المقابل وجد حفاوةً كبيرةً من النقاد الذين ينتمون إلى ذات

المدرسة. ففهم النص والتفاعل معه يعتمد على المستوى الثقافي أو المعرفي الذي يملكه القارئ، وربما يعتمد على الموقف النفسي أو الايدويوجي أيضا، ولكن الأمر الذي تؤكده هذه الوقائع أن التطورات الفنية لابد أن تكون مصحوبة بموجة معرفية وفكرية مؤازرة لها، وربما تكون الموجه الفكرية هي المنتج الأساس لهذا التطور الفني. ونحن بهذا نشير إلى الأهمية الكبرى التي يمثلها المستوى الثقافي والمعرفي في فهم المنتج الفني والتفاعل معه ودعمه.

المبحث الأول: اسم الشاعر

في سبيل اختبار فرضية هذا البحث سيقف البحث على ثلاثة من عتبات النص، أولها هو اسم الشاعر، ولعل اسم الشاعر هو أول ما يلفت نظر القارئ خاصة في وسائل التواصل الاجتماعية الحديثة. ففي تويتر أو في الفيس بوك يبرز اسم الشاعر في أعلى الصفحة مصحوباً بأيقونة تحمل صورته في كثير من الأحيان، وعدة كلمات تعبر عن الشاعر، وهذا كلها عتبات مهمة يفترض أن تقوم بدور المفاتيح الخفية التي تمهد للقارئ الولوج إلى رحاب النص.

وسأقف مع الاسم الذي يختاره الشاعر. ورغم أن الاسم المستعار قد يدل دلالة واضحة على الموقف الثقافي إلا أن تركيز هذا البحث سينصب على الاسم الحقيقي الصريح الذي يختار الشاعر كتابته بطريقة مميزة، طريقة هي أليق وأكثر مناسبة للقبول في رحاب الثقافة. وقد عددت جيرار جينيت ثلاثة وظائف لاسم المؤلف كعتبة من عتبات النص، إلا أن الوظيفة الأبرز لدى شعرائنا هي الوظيفة الإشهارية[1]. فالشاعر ابتداءً يبحث عن اسم مختصر مفارق، يثبت مكانه بين الشعراء، كما يثبت اسمه علامة شعرية تشتهر في الأوساط الأدبية. وقد لاحظت الباحثة نورة القحطاني في دراستها للعتبات الشعرية في شعر جاسم الصحيح أن ديوانه الأول جاء باسمه الرباعي جاسم محمد أحمد الصحيح، متبوعاً باسم الدولة المملكة العربية السعودية. ولكن الشاعر تخلى عن هذه الاسم الطويل في دواوينه اللاحقة ليكتفي بجاسم الصحيح،[2] وهو ما أصبح الاسم الشعري الشائع الذي يحقق الوظيفة الإشهارية التي أشارت لها جيرار جينيت.

(١) ينظر عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد (الدار العربية للعلوم، بيروت ط ١، ٢٠٠٨) ١٢٤

(٢) ينظر العتبات في شعر جاسم الصحيح، نورة علي القحطاني (النادي الأدبي بالرياض، ط١ ٢٠١٧) ٢٣٠

ولعل المثير في هذا المبحث ما يتعلق بالشعراء المنتمين إلى قبائل شهيرة، وهو ما يجعل من العسير عليهم الحصول على هذه الميزة الإشهارية في ظل مشاركة الالاف من الناس لذات اللقب. والموضوع ابتداءً قابل للاختلاف في التأويل، ولذا سأركز في مناقشته على الشعراء المنتمين إلى القبائل المعروفة في المملكة العربية السعودية، فالنظرية التي يطرحها هذا المبحث هي أن بعض الشعراء يتجنبون عنوةً أن يشيروا إلى قبائلهم الشهيرة، مفضلين ألا يعرف القارئ هذا النسب أو أن تكون معرفة القارئ بهم لأول مرة بعيداً عن ظلال القبيلة. وقد يكون الأمر بحثاً عن اسم يحقق الوظيفة الإشهارية والاسم الشعري المميز، إلا أن الدافع الثقافي، أو الاعتقاد بأن اسم القبيلة قد يقلل من قبول الشاعر في الأوساط الثقافية قد يكون أحد الأسباب. ومع اعترافي بحساسية القضية واحتمالها لأكثر من تأويل إلا أني أرجو أن النماذج القادمة قادرة على إزالة اللبس والتدليل على وجهة نظر الباحث.

ويمكن تقسيم الشعراء الذين يعمدون إلى إغفال اسم القبيلة إلى قسمين: الأول: شعراء اختاروا أن يزيلوا اسم القبيلة عن أسمائهم واكتفوا بأسمائهم وأسماء آبائهم، وليست هذه الظاهرة حديثة، فحسين سرحان الشاعر الريادي الشهير ينتمي إلى قبيلة عتيبة ومع هذا فضل أن يشتهر باسمه واسم أبيه، ولكن الأمر أكثر وضوحاً لدى الشعراء الشباب، كما نجده لدى خليف غالب[١]، وفايز ذياب[٢]، وعبد اللطيف بن يوسف[٣]. فكلهم ينتمي إلى قبيلة وعائلة عريقة، ولكنهم اختاروا أن يقدموا أنفسهم إلى القارئ خلواً من الألقاب والانتماءات القبلية.

(١) ينظر ديوانه الغلاف
(٢) ينظر ديوانه الغلاف
(٣) ينظر ديوانه الغلاف

والقسم الآخر: من لم يزل اسم القبيلة تماماً، ولكنه استبدله باسم فخذ من أفخاذها، أو عائلة من عائلاتها، وهو في اسم غير معروف عند غالبية القراء. فالشعراء سلطان السبهان، وفيصل الجبعاء، ومطلق الحبردي، وشتيوي الغيثي، وسلطان الضيط وغيرهم يختارون الانتماء إلى الأفخاذ الصغيرة أو إلى أسماء أقل شهرة من اسم قبيلتهم المعروف.

على أن ما قام به الشعراء ليس إخفاءً للانتماء لأن كل من له صلة بالشعراء سيعرف بلا جهد يذكر انتماءاتهم القبلية، وإنما هو نوع من رسم الصورة التي يريد الشاعر أن يرسمها لنفسه في أعين القراء، وطريقة تقديم يريد أن يقدم بها نفسه في عالم الشعر.

وهي ظاهرة خليقة بالتأمل والدراسة، فلا شك أن كل شاعر من هؤلاء يفخر بانتسابه إلى قبيلته، فما الذي يدفع الشعراء إذن إلى عدم ذكرهم انتماءهم إلى تلك القبائل الشهيرة؟ رغم أنهم ينتمون إلى مجتمع يهتم بالنسب ويحتفي به، ورغم الدور الذي مازالت تمثله هذه القبائل في رسم الهوية الشخصية. قد تكون الوظيفة الإشهارية سبباً مقنعاً كما سبق لأن الشعراء يبحثون عن اسم يميزهم عن الأسماء الشهيرة التي يشاركهم فيها مئات الآلاف من الناس. ولكنه قد لا يكون السبب الوحيد.

لعل التفسير الثقافي الذي تطرحه هذه الدراسة يجيب على هذا التساؤل، فالشعراء يختارون أن يقدموا أنفسهم إلى قرائهم خلواً من الألقاب؛ لأنهم لا يريدون للتصورات المسبقة والصور النمطية لابن القبيلة أن تسبقهم إلى أذهان القراء؟ فالقبيلة رغم ما تمثله لهم من مصدر فخر وانتماء، إلا أنها لا تخلوا من معاني البداوة والبساطة، التي لا تناسب بيئة المثقفين. والقبيلة باتساع حجمها وكثرة أبنائها ترسم صورة شعبية في أذهان كثير من الناس الذين ينتمون إلى ذات القبيلة، أو عرفوا عنها الكثير من

معاشرة أبنائها جيرةً أو عملاً أو دراسةً. والشاعر لا يريد أن يحمل ثقل القبيلة على كتفيه. بل هو يريد الوصول إلى قلب القارئ غير مسبوق بأي تصور مسبق.

وقد يكون هذا التخفف من الألقاب تأثراً بالبيئات الثقافية العربية، التي لا تمثل فيها القبيلة ما تمثله في المجتمع السعودي. إذ جاءت غالب أسمائهم خلواً من الألقاب أو منسوبة إلى العوائل أو القرى التي ينتمون إليها. فهي محاولة من الشعراء للتشبه بالأسماء الثقافية الشهيرة في الأقطار العربية مثل أحمد شوقي وطه حسين وزكي مبارك ومحمود شاكر وإحسان عباس وعشرات الأسماء الأدبية والثقافية الأخرى.

والبيئة المثقفة –التي هي الحاضن الأساس للشعر الفصيح وهم غالب جمهوره– بيئة لا تحبذ التعصب للقبيلة، ولا تحتفي بها بأي شكل من الأشكال، فقل أن نجد شاعراً فصيحاً مدح قبيلته بنص فصيح، بينما نجد مئات النصوص التي تفتخر بالقبيلة في الشعر العامي. وشعراء العامية عموماً حريصون على بيان انتماءاتهم القبلية لا يكادون يفوتون مناسبةً من مناسبات الفخر بها دون اظهار انتماءهم إليها واحتفاءهم بها. وهو فرق شديد الوضوح والأهمية، فهو يبين سطوة البيئة الثقافية على شعراء الفصحى، وحرص الشعراء على بيان انتمائهم إلى طبقتها، وترفعهم عن كل ما لا يليق بها، وإن اضطرهم ذلك إلى تعديل أسمائهم الرسمية المثبتة في هوياتهم، أو اكتفوا بأسمائهم وأسماء آباءهم.

وأياً كان الدافع لهذا الاختيار من الشعراء؛ فمن الواضح أن القبيلة غير مرحب بها في رحاب الثقافة. وأن ثمة فصل طبقي بين مجتمع المملكة العربية السعودية الذي يحتفي بالقبيلة، ويفاخر بالنسب، وبين طبقة المثقفين التي يحاول الشعراء استرضاءها، والدخول في رحابها باختيار أسماء تليق بها.

المبحث الثاني: العنوان

كاد النص الشعري القديم أن يخلو تماماً من عنوان يتقدمه، وكاد الديوان أن يخلو كذلك من عنوان يميزه عن غيره، فقد اعتاد رواة الشعر أن يجمعوا شعر الشاعر كله فيسمونه باسمه "ديوان فلان"، ولعل أبا العلاء المعري كان حالة نادرة في صياغة عنوان مميز لمجموعة محددة من قصائده.[١] وهو ما دفع عبد الله الرشيد أن يعده رائداً في صياغة عنوان لمجموعة شعرية.[٢]

وكذلك الشأن في عناوين القصائد، فالشاعر لم يكن مهموماً بتسمية قصيدته وإنما يسميها الناس بمناسبتها، أو ينسبونها إلى حرف الروي الخاص بها، فهي بائية أبي تمام، وسينية البحتري، وميمية المتنبي. أو أن تسمى من قبل الآخرين على سياق التصنيف غالباً وفق شروط معينة كالمعلقات[٣]، ويكتفي الشعراء أو صانعو الدواوين في أحيان أخرى باتخاذ الشطر الأول من القصيدة عنواناً لها، كما فعل بديواني ابن عثيمين[٤] وابن بليهد[٥]–على سبيل المثال–. لكن الدواوين الحديثة أصبحت ترى من الضروري أن تتميز كل قصيدة بعنوان وهو ما سماه الغذامي بدعة حديثة "أخذ بها

(١) الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي، رشيد يحياوي (افريقيا الشرق، الدار البيضاء ١٩٩٨) ١٣

(٢) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي عبد الله الرشيد (نادي القصيم الأدبي ط ١ بريدة ١٤٢٩ ٢٠٠٨) ٩

(٣) العتبات في شعر جاسم الصحيح ٢٨

(٤) ينظر العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، جمع سعد بن عبد العزيز الرويشد (دار الهلال، الرياض، ط ٣ ١٤٠٠)

(٥) ينظر: ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام، ت محمد بن سعد بن حسين (ط١ ١٤٠٥)

شعراؤنا محاكاة لشعراء الغرب".[1] وهذا العنوان ينبغي أن يكون براقاً يلفت القارئ ويحفزه على التأمل.

وعنوان القصيدة هو أول الوسائل التي يعقد بها المبدع حواراً مع المتلقي، ويفتح في ذهنه نوافذ للتأمل تزيد من شعرية النص الشعري. ولذا كانت العناوين من أهم العتبات النصية وفق نظرية جيرار جنيت[2].

والملاحظ أن دواوين الشعر الفصيح أصبحت تتفنن في اختراع العناوين الموحية، والمحملة بحمولة معرفية كثيفة، سواء للمجموعة الشعرية كاملة أو لكل قصيدة. بل إن القارئ يشعر أحيانا أن صياغة العنوان تأخذ من الأهمية لدى المؤلف ما يوازي النص الشعري ذاته.

وتكمن أهمية العنوان بالنسبة لهذا البحث في تأكيده على السمة الثقافية للنص ولشاعره، فوظيفة العنوان كما يرى ليو هوك أنها "تدل على النص وتعيّنه وتشير إلى محتواه الكلي، لتجذب جمهوره المستهدف"[3]. وقد استغل شعراؤنا عناوين قصائدهم ليشيروا ليس إلى محتوى القصيدة فقط؛ بل إلى ثقافة قائلها وسعة اطلاعه، وليجذبوا الجمهور المثقف بإثارة انبهاره منذ مطلع النص. وذلك من خلال مسارين مختلفين الأول: المسار المعرفي والثاني: المسار الإيحائي.

ويمكن تقسيم المسار المعرفي ذاته إلى قسمين بالنظر إلى أبرز الطرق التي يستخدمها الشعراء، فالأول المعرفة التاريخية، وهو ما يعمد الشاعر فيه إلى الإشارة إلى أحداث أو أشخاص من التاريخ. والثاني هو الثقافة الغربية الذي يضمن فيه الشاعر اسما غربيا أو مدينة غربية مما يجعل القارئ يدخل إلى رحاب النص متوقعا ثقافة مختلفة واطلاعا أوسع.

(١) الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٦ ٢٠٠٦) ٢٣٥

(٢) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ١٢٤

(٣) عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ٦٧

ولنبدأ بالمعرفة التاريخية؛ فالعنوان يشير أحياناً إلى شخصيات وأحداث تاريخية لا يكاد يعرفها القارئ العادي مثل "أرجوزة لجديس"[١] و"التماس إلى ابن ماء السماء"[٢] والنداء الثاني لنصر بن سيار"[٣] و "تعليق على سيرة محمد بن كناسه"[٤]، وهي عناوين لنصوص شعرية من ديوان "نسيان يستيقظ" لعبد الله الرشيد. وكل هذه العناوين تحمل إشارةً ثقافيةً مميزةً، تشهد لقائل النص بالثقافة والاطلاع، وأنه يكتبه من وحي ثقافته العالية التي تتفوق على القارئ العادي وتؤكد ارتفاع الشاعر في طبقته الثقافية. إذ أن العنوان يشير بوضوح إلى العمق التاريخي الذي سيتناوله النص الشعري، وسيدرك القارئ أن النص سوف يعالج بعمق هذه الشخصية التاريخية، ومن البدهي أنه لن تفهم كل إيحاءات النص وإشاراته إن كان العنوان في ذاته غير مألوف لديه.

وقد تأتي العناوين الشعرية أقل إيغالاً في استخدام الشخصيات والأحداث التاريخية، لكن هذا لا يجعلها أقل ممارسة لدورها في رسم صورة ثقافية مميزة للشاعر، فهو وإن أشار في عنوانه إلى أحداث أو أشخاص لا يجهلهم القارئ العادي إلا أنه يوصل رسالة من خلال العنوان أنه متشبع بهذه الشخصية، عالم بأسرارها، مما يجعله قادراً على اختيار جانب فريد فيها، ويمكنه من كتابة نص مميز عنها. وكثيرة هي النماذج على ذلك؛ ففي ديوان محمد عبدالباري "مرثية النار الأولى" نجد عدداً من العناوين منها "بريد عاجل إلى أبي ذر الغفاري" و "الخارجيّ" و "الصعاليك"، وفي ديوانه الآخر "كأنك لا" نجده يسجل عدداً من العناوين المشابهة منها " C.V لأبي العلاء المعري" و"وصية متأخرة لأبي نواس" و"الورقة الأخيرة من ديوان المتنبي"، وكلها

(١) نسيان يستيقظ، عبد الله سليم الرشيد (الانتشار العربي، بيروت ط ١ ٢٠١٠) ١٣

(٢) السابق ١٥

(٣) السابق ١٩

(٤) السابق ٩٧

عناوين محملة بثقافة تاريخية مميزة تشهد باطلاع واسع ووعي عميق. والشاعر بهذا العنوان المتحدي لثقافة القارئ إنما يثبت بطريق ضمني أن التعاطي مع نصوصه يحتاج إلى ثقافة عالية، وعلى القارئ أن يسلم بعلو كعب الشاعر الثقافي قبل الولوج إلى رحاب نصه.

والطريقة الأخرى هي طريقة الثقافة الغربية. وهي ما يعمد فيها الشاعر إلى تضمين عنوان قصيدته كلمات غربية، مما يعد مفاجأة للقارئ العربي الذي ينتظر نصا بلغته العربية، ولكن الكلمة الغربية بين كلمات العنوان ستبرز كإشارة ثقافية بارزة توحي بثقافة مميزة وتجربة غريبة على الثقافة العربية. وهو ما يخدم صورة الشاعر المثقف المطلع ذو التجربة الفريدة التي يترفع بها على قرائه فهو حتى في قصائده يستقي من ثقافة مختلفة ويغرف من بحر مختلف.

فالشاعر أحيانا يعمد إلى عنونة قصيدته بكلمة واحدة غريبة لا يكاد القارئ أن يعرف معناها ولا يكلف الشاعر نفسه بشح دلالتها، كما فعل محمد عبد الباري[1] في قصيدة التي عنونها ب "سوناتا"[2] وهي كلمة انجليزية تدل على مقطوعة موسيقية يقوم بها عازف منفرد باستخدام البيانو غالباً، ولكن الشاعر لا يكلف نفسه شرح هذا العنوان لأنه يفترض أن قارئه لابد أن يكون مثقفاً بما يكفي لمعرفتها. وكأن القارئ الذي لا يعرفها إنما يجهل ما يفترض الشاعر أنه من البدهيات.

ونجد معبر النهاري يستخدم عدة كلمات روسية كعناوين لقصائده، ولكنه يقدر جهل القارئ بهذه الكلمات فيشرح لقارئه دلالة كل عنوان قبل أن يدخله في

(١) محمد عبد الباري شاعر سوداني ولد ونشأ في المملكة العربية السعودية وقد أدخلته في شرط الدراسة باعتبار النشأة والبيئة.

(٢) مرثية النار الأولى، محمد عبد الباري (مندى المعارف، بيروت، بلا تاريخ) ٤٩

رحاب النص. فمن عناوينه "كاقدا"[١] و"دس في دانيه"[٢] وهو يكتبها بحروفها الروسية قبل أن يضع معناها العربي بخط صغير أسفل الحروف الروسية فالأولى فسرها بأنها "لفظة روسية بمعنى متى"[٣]، والثاني "كلمة وداع بالروسية كقولنا مع السلامة"[٤]. ومن الواضح أن طريقة كلا الشاعرين كافية لإيصال صورة الشاعر المثقف الذي يعرف أكثر من لغة ومطلع على أكثر من ثقافة. فهو يتعامل مع الآخر وثقافته المختلفة ولغته الغريبة وأبجديتها الصعبة بكل سلاسة حتى أنها صارت جزءا من عناوين قصائده.وإذا كان العنوان بهذا العمق والغرابة فكيف بالمحتوى وقائله.

وثمة طريقة أخرى في استخدام الثقافة الغربية، نجدها عند حاتم الزهراني الذي يبين لقارئه أنه ألف الثقافة الغربية وألف المدن الغربية حتى صارت ضيفاً عادياً في عناوين نصوصه، بل إنه يعنون ديوانه ب "احتفل بالمئنى في ييل"[٥] وهو عنوان لأحدى قصائد الديوان، و"ييل" مدينة أمريكية، كما أن الديوان يحتوى على قصائد أخرى جاءت أول قصيدة فيه بعنوان "واشنطن وراء الباب الأبيض"[٦] فيما عنون قصيدة ثالثة ب "ثلاث تمرات إلى فلاديلفيا"[٧] ويؤكد هذا التشبع بالثقافة الغربية كثرة الرموز والأسماء التي تشير إلى الثقافة الغربية في داخل نصوص الشاعر وليست في عناوينه فقط، وهو ما يمكن أن يدرس في بحث مستقل. فالشاعر باستخدام هذه

(١) بسمله، معبر النهاري (نادي المدينة المنورة الأدبي، ٢٠١٦) ٣٩

(٢) السابق، ١٠١

(٣) السابق، ٣٩

(٤) السابق، ١٠١

(٥) احتفل بالمئنى في ييل، حاتم الزهراني (دار تشكيل، ط١ ٢٠١٩) ٦٢

(٦) السابق، ٧

(٧) السابق، ٨٥

العناوين إنما يعلن ابتداءً لقارئه أنه شاعر بثقافة مختلفة، وربما ثقافة أكثر شمولية، لأنه يكتب بعربية عالية ولكنه قادر على توظيف ثقافات أخرى في النص العربي. هذا الشاعر الذي يرتدي عباءة ثقافية براقة مختلفة الألوان، لابد أنها ستجذب انتباه القارئ، وتخبره باختلاف ثقافة هذا الشاعر قبل أن يسمع ما سيقوله، وقبل أن يلج إلى رحاب النص.

وأما المسار الإيحائي فنجد فيه الشاعر يختار عناوين تملك من الإيحاء الرمزي ما يطول تفصيله، سواء كان ذلك في شأن عناوين المجموعات الشعرية أو النصوص التي بين دفتيها. فعنوان مثل "أثر الفأس فخ الوردة"[١] "نقوش على جدران آدم"[٢] أو "مرايا الصلصال الأولى"[٣] من ديوان "مقام نسيان" لمحمد إبراهيم يعقوب. أو "هاجسة تنبش الغيب"[٤] و"فحيح في غابة الذاكرة"[٥] و"بريدك محتقن بالرسائل"[٦] في ديوان جاسم الصحيح "رقصة عرفانية". أو "رحل ونسي بعضه" و"سبع سنابل للشعر" و"مدينة الذاكرة وجدار المعنى" و "تجل عرفاني"، من ديوان "أنا الذي رأيت كل شيء" لفايز ذياب.

وهي الكثرة الطاغية من العناوين في دواوين الشعراء الشباب، فغالبها ذو إيحاء مميز مقصود، يبدع الشعراء في صياغته ونحته. وكل عنوان من هذه العناوين قادر على إثارة خيال القارئ، وإبهاره في الوقت ذاته. فهي تفتح باب الاحتمال والتأويل،

(١) مقام نسيان، محمد إبراهيم يعقوب (الانتشار العربي، بيروت، ط١ ٢٠١٩) ١٩

(٢) السابق ٥٩

(٣) السابق، ٧٧

(٤) رقصة عرفانية، جاسم الصحيح (دار الكنوز الأدبية، ط١ ١٩٩٩) ٤٩

(٥) السابق ٧٣

(٦) السابق ١٠٩

وتوسع أفق المعنى الذي يتوقعه القارئ، إذ أنها ليست عناوين تلقائية، بل كتبها الشعراء بوعي بعد انتهاء الحالة الشعورية.(١)

وثمة عدد من الطرق التي يستخدمها الشعراء لإضفاء الإيحاء المرجو على عناوينهم؛ أولها: اختيار مفردات مثقلة بالمعاني الشاعرية والرمزية "كالفأس" و"الوردة" و"النقوش" و"الصلصال" و"الغيب" و"الفحيح" وغيرها، في تراكيب لا تكاد أن تفصح عن أبعاد هذا الإيحاء، ولا دلالاته، مما يجعل القارئ يدخل إلى النص محملاً بالتساؤل، موسعاً أفق التوقع الفني والمعرفي.

ثانيها: التناص الذي تقع فيه هذه العناوين مع مختلف النصوص الدينية والأدبية ومثل "سبع سنابل للشعر"(٢) من ديوان "أنا الذي رأيت كل شيء" لفايز ذياب، ولمحمد عبد الباري عنوان آخر يستخدم ذات الإيحاء فهو يعنون إحدى قصائده "سبع سنابل إلى غياث مطر"(٣) والذي يتناص مع الآية الكريمة "**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ** " البقرة اية ٢٦١. وكذلك عنوان "وألنا له القصيد"(٤) والذي اختاره الصحيح عنواناً لديوانه والذي يستدعي الآية الكريمة و"**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ** " سورة سبأ آية ١٠. وهو تناص خليق بكثير من التأمل استغرقت فيه الباحثة نورة القحطاني أهم جوانبه في دراستها للعتبات في شعر جاسم الصحيح(٥).

(١) الخطيئة والتكفير ٢٣٦

(٢) أنا الذي رأيت كل شيء ٤٥

(٣) مرثية النار الأولى ١١١

(٤) وألنا له القصيد، جاسم الصحيح (مركز نبأ لرعاية الإبداع، ١٤٣٣)

(٥) ينظر العتبات في شعر جاسم الصحيح ٨٦

أما ثالثها: فهو الإيحاء الصوفي، وهو ما يبرز في كثير من عناوين الدواوين والقصائد، فالصحيح يعنون أول دواوينه ب "ظلي خليفتي عليكم" وديوان آخر ب "رقصة عرفانية". بينما تكثر العناوين ذات الإيحاء الصوفي داخل دواوين الشعراء فالصحيح نفسه يعنون بعض قصائده ب "شطحة في حضرة مولاي الشعر"[(١)] و "تجليات ومعارج"[(٢)] و"آخر مقامات العشق"[(٣)] وقد لفت هذا الإيحاء الصوفي الباحثة نورة القحطاني في دراستها للعتبات في شعر جاسم الصحيح فلاحظت أن الشاعر "يسقط المعجم الصوفي مستعينا بالإشارات الجاهزة والرموز المتواطئ عليها بين المتصوفة للحديث عن تجربة ليست في أصلها صوفية"[(٤)].

والسياق الإيحائي يكل تجلياته يؤدي رسالته الثقافية بكل اقتدار، إذ يقنع القارئ قبل ولوجه إلى رحاب النص أن كاتب القصيدة صاحب رؤية عميقة، وثقافة مميزة. وأنك أيها القارئ بحاجة إلى كثير من التأمل والعمق للتعاطي مع هذا النص الذي بين يديك، لأنه نص لن يسلم لك القياد مباشرة، فكما أن العنوان موغل في الإيحاء يأبى أن يمارس دوره كعتبة تبين مسار النص القادم؛ فكذلك النص الذي ستلج إليه لن يكون مباشراً أو سطحياً، بل عميقا يليق بثقافة كاتبه.

ولعلنا نستطيع أن نزعم أن غالب شعراء الفصحى الشباب أصبحت عناوينهم تدور على هذا الوتر. وما ذكرته هي نماذج عابرة، هدفت فيها إلى التدليل على نظرية هذا البحث؛ في استغلال الشعراء لعتبة العنوان للدلالة على طبقتهم الثقافية. وإلا فمجال المقارنة في العناوين وحدها قد يصلح لرسالة أكاديمية كاملة، والتغيرات التي

(١) حمائم تكنس العتمة، جاسم الصحيح (بلا دار، ط١ ١٤٢٠) ٢

(٢) أعمال شعرية، جاسم الصحيح (أطياف للنشر والتوزيع، ط ٢ ٢٠١٨) ١/ ١٤١

(٣) ما وراء حنجرة المغني، جاسم الصحيح (الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ط١ ١٤٣٠) ٢٦٧

(٤) العتبات في شعر جاسم الصحيح ٩٢

تشهدها عناوين النصوص كبيرة وملحوظة من عقد لآخر. وأحد أبرز آثار هذه العناوين هو إيحاؤها الثقافي الذي يشير إلى عمق قائلها وتأمله واختلافه الثقافي عن القارئ. ولعل مقارنة الشعر الفصيح بنظيره العامي في هذه الجزئية يكشف الفرق المميز في كلا الفنين؛ فشعراء العامية لا يحرصون على مثل هذه العناوين، بل ربما رأوها تزهد جمهورهم فيما يقولون، بينما يتنافس شعراء الفصحى في إثباتها؛ لأنها تؤكد تميزهم وعمق ثقافتهم، وأنهم يكتبون نصا مختلفاً، ويصدرون عن ثقافة راقية، تترفع عن اللغة العادية إلى لغة تليق بالمفكرين. وربما كان من أسباب الخلاف بين النص الفصيح والعامي في هذه الجزئية هو غلبة الشفاهية على النص الشعبي، بينما يأتي النص الفصيح لقارئه مطبوعاً غالباً مما يتيح له مساحة في تأمل العناوين واستلهام إشاراتها.

المبحث الثالث: المقتبسات في مطالع القصائد

لعل من أبرز ما تميزت به بعض الدواوين الحديثة تلك المقولات المميزة المنتقاة بعناية التي تفاجئ القارئ قبل دخوله إلى رحاب النص. ولعلنا نسجل هنا أن هذه الظاهرة شديدة الحداثة، فلا عهد للدواوين الشعرية القديمة بها، وربما كانت موضوعا يليق أن يتفرغ له باحث فيرصد نشأته التي قد لا تزيد على عقد من الزمان. وما يعنينا في هذه الورقة هو الدور الذي ترسمه هذه المقولات في رفع طبقة الشاعر الثقافية، وترسيخ صورة المثقف التي يريد الشاعر رسمها.

وقد أشارت جيرار جينيت إلى دور هذه المقولات المنقولة حين تورد كعتبة للنص فهو عندها "اقتباس يوضع على رأس الكتاب أو جزء منه وبإمكانه أن يكون فكرة أو حكمة"[(١)] وهو ما يسميه صادق القاضي الاستشهاد أو الاقتباس ويعرفه بأنه "نص غيري مقتبس من عمل آخر انتزع من سياقه البنائي والتداولي وأدرج مع النص الجديد"[(٢)]. ولكن اللافت أن النص الشعري ليس مقاماً للاستدلال والاستشهاد ولذا يستبعد القارئ أن الشاعر يريد أن يعضد فكرته بمقولة منقولة، ولكن التفسير الذي يبرز إلى ذهن القارئ هو الدلالة الإيحائية لهذه المقولات.

وهي مقولات تتفاوت بين بيت شعري لشاعر آخر، وبين مقولة منسوبة لشخصية أدبية أو فكرية أوصوفية شهيرة من شتى الثقافات العالمية، وقد تكون نقلا من أحد الكتب السماوية يرى الشاعر أن مكانها المناسب هو بين العنوان وبين النص.

ونرى بعض هذه المقولات يستقبل القارئ في مطلع الديوان، بينما يعمد بعض الشعراء إلى أن يسبق كل قصيدة بنص منقول. وهذه النصوص تختلف في مصادرها

(١) عتبات جيرار جينيت ١٠٧.

(٢) نقلا عن العتبات في شعر جاسم الصحيح، ١٦٤

وأنواعها، فعبد اللطيف يوسف في ديوانه "لا الأرض أمي لا القبيلة والدي" يسبق نصوصه بمقولات غير منسوبة، قد تكون للشاعر نفسه، ولكنها أسطر نثرية توحي بمعنى ملائم للنص الشعري مثل "أن تكون وحيداً...ذلك يكفي لكي تبلغ المنتهى" ووقد جاءت هذه العبارة تحت عنوان النص الذي كان "وحيداً كما ينبغي"[١]. ومثل عبارة "أقصى القروح القريحة.. وأقسى الجروح الفصيحة" وقد جاءت تحت عنوان "الوجع الفصيح"[٢]. وقد التزم الشاعر وضع مثل هذه العبارات في كامل قصائد الديوان[٣]. بينما يختار محمد إبراهيم يعقوب في ديوانه (مقام نسيان) أن يسبق القصائد بمقولات مترجمة لكتاب وشعراء عالميين وعرب من أمثال فرناندو بيسوا[٤] ونيكوس كزنتزاكيس[٥] وهاينرش فون كلايست[٦] وأمل دنقل[٧]. ونلحظ أن محمد إبراهيم ينقل مقولات شديدة الصلة بنصوصه حتى أن القارئ قد يتساءل إن كانت هذه المقولات هي الدافع الذي أوحى للشاعر بكتابة القصيدة. فمقولة فرناندو بيسوا "أحياناً أتوقف عند حافة نفسي أتساءل إن كنت مجنوناً أم أنني سر موغل في السرية" تأتي قبل قصيدته التي بعنوان "أسرار المجرة"[٨]. بينما تأتي مقولة نيكوس كزنتزاكيس "أنا مخلوق مؤقت وضعيف مصنوع من طين وأحلام لكني أدرك أن في داخلي

(١) لا الأرض أمي لا القبيلة والدي، عبد اللطيف يوسف (دار أثر، الدمام، ط ٢ ٢٠١٥) ١٧.
(٢) السابق ٥٥
(٣) ينظر: السابق، ٢٢، ٢٧، ٤٠ .... الخ
(٤) ينظر: مقام نسيان ١١
(٥) ينظر: السابق ٥٦
(٦) ينظر: السابق ١٣٢
(٧) ينظر: السابق ١٦٥
(٨) ينظر: السابق ١٣

تصطخب كل القوى" قبل قصيدة "سوف نضيء هذا الطين"[١] ويكون أول بيت شعري في النص:

ونحن تناقض المرآة

أحيانا ملائكة وأحيانا شياطينا

وكذلك يفعل محمد عبد الباري في ديوانيه "مرثية النار الأولى" حين ينقل مقولة بيرون "إنهم ينظرون إلى ما أنظر ولكنهم لا يرون ما أرى" قبل قصيدته التي بعنوان "ما لم تقله زرقاء اليمامة"[٢] وهو ينقل عن شعراء عرب ومتصوفة نصوصاً تبدو ملائمة للنص، مثل بيت محمد الثبيتي "الرياح مواتية للسفر والمدى غربة ومطر" والتي جاءت تحت عنوان "سفر إلى العراق"[٣] وجزء من بيت المعري حين يقول "...والظلام ليس بفان"[٤] تحت عنوان "شيء من وجه الليل"[٥]. أما ديوان "كأنك لم"[٦] فتبدو المقولات التي يضعها قبل كل نص غير واضحة الصلة بعنوان النص أو مضمونه، وبهذا يضع الشاعر على كتفي قارئه حمل اكتشاف هذه الصلة وتأويلها.

ومثله عبد اللطيف يوسف في ديوانه "روي" وإن كان اقتصر على الشعراء العالميين والعرب[٧]. بينما نجد جاسم الصحيح يقدم لأحد نصوصه بأبيات مترجمة

(١) ينظر: السابق ٥٧

(٢) ينظر: مرتية النار الأولى ٩

(٣) ينظر: السابق ٤٧

(٤) إشارة إلى بيت المعري: عللاني فإن بيض الأماني..... فنيت والزمان ليس بفان

(٥) ينظر: السابق١٢٧

(٦) ينظر على سبيل المثال الصفحات: ٩، ١٣، ١٥، ١٧، ١٩.....

(٧) ينظر: روي كولاج شعري، عبد اللطيف يوسف (دار مدارك، دبي، ط١. ٢٠١٦) ٣٣، ٤١، ٥٧، ٦٣....

للشاعرة الأمريكية اميلي دنكسون[١].

والأمثلة كثيرة جدا حتى أصبحت تمثل ظاهرة جديدة على الدواوين الشعرية. وهي لذلك خليقة بالتأمل والدراسة المفصلة، التي تجلي دوافعها وأنواعها ودلالاتها. ولكن الذي يعنيني في هذا البحث أن هذه المقولات والنقول تمثل جزءاً من الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها إلى القارئ، فما الذي يدفع الشاعر إلى إقحامها بين نصوصه الشعرية؟ وهل كانت هذه النصوص والمقولات هي الدافع الذي حفز الشاعر إلى كتابة نصه ولذا قدمها فاتحة للنص؟ أم أن الشاعر بعد كتابة نصه وجد أن النص المنقول يتقاطع مع نصه الشعري ويشاركه في رسالته الشعرية؟ أم أن الأمر برمته نوع من الموضة الثقافية التي تثبت ثقافة الشعراء من جهة، وهي نوع من تقليد كتابات بعض المثقفين العالميين من جهة أخرى في نصوصهم غير الشعرية مثل البرتو مانغويل[٢]، وعبد الفتاح كليطو[٣]، وإيريك دورتشموند[٤] وغيرهم.

كل هذه التأويلات واردة. وأيا كان الدافع للشعراء فالأمر لا يخلو من إشارة ثقافية مهمه تشهد لأصحاب هذه النصوص باطلاع عميق على المنتج الفكري، يجعلهم ينتقون أجمل النصوص وأعمقها دلالة ليزينوا بها صفحات دواوينهم. بل إنهم بهذه الاختيارات العميقة الواعية إنما يثبتون أن نصوصهم ليست مجرد انفعالات عاطفية عابرة؛ بل هي نتاج فكر واسع وتأمل عميق بدليل تقاطعهم مع مفكرين

(١) تضاريس الهذيان، جاسم الصحيح (دار تشكيل الرياض ط ١ ٢٠٢٠) ٨٠

(٢) ينظر: المكتبة في الليل، ألبرتو مانغويل (دار الساقي لندن. ط٢ ٢٠١٦) ٣٦، ٧٦، ٨٧ ... فن القراءة، ألبرتو مانغويل (دار الساقي لندن. ط١ ٢٠١٦) ٢٧، ٤١، ٤٥، ٥٩.... الخ

(٣) ينظر: الأعمال، عبد الفتاح كيليطو (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١ ٢٠١٥) الجزء الأول جدل اللغات ١٠١، ١٤٥

(٤) عامل المناخ ١٣، ١٩، ٥٥، ٧٣... وغيرها

عالميين من شتى الثقافات. وإذا كانت هذه النصوص المنقولة هي الدافع لهم لكتابة نصوصهم الشعرية فهي دلالة أخرى على أن هذا الشاعر المثقف العميق لا تستثيره المواقف العابرة لقول الشعر، بل يستثيره ما يقرأه من نتاج المفكرين العالميين.

وأيا كان التحليل لهذه المقولات، فدلالتها التي لا تنكر على ثقافة الشاعر وعمقه واختلافه هي مجال الاستشهاد في هذه الدراسة. فالشاعر بهذه المقولات يقنع قارئه أنه سيدخل إلى نص مختلف من شاعر ذي فكر مختلف، وثقافة أسمى.

الخاتمة

تناول البحث ظاهرة القصيدة الفصحى حين تتجاوز دورها الجمالي والتعبيري؛ لتكون شهادة ثقافية تشهد بمستوى ثقافة الشاعر، وتبين عمق معرفته. كما يناقش هذا البحث أسباب ارتباط الشعر كمنتج ذوقي وتعبيري بالدلالة على الانتماء إلى طبقة ثقافية معينة؛ بل يصبح وسيلة يحصل بها الشاعر على الاعتراف بثقافته واطلاعه. كما يدرس هذا البحث تجليات الثقافة في النص الفصيح من خلال منهج سيميائي وفني يتتبع المظاهر الشكلية والفنية التي تحملها عتبات النص، والتي تعبر عن رؤية ثقافية أكثر من كونها أداه فنية أو جمالية.

وقد اقتصر البحث على الوقوف على عتبات النص التي تمثلت في اسم الشاعر وعنوان النص والمقولات المنقولة في مقدمة النصوص. مبيناً ما يحرص الشعراء على إبرازه في هذه العتبات من سمات ثقافية تشهد لشعرائها بعلو كعبهم في رحاب الثقافة. وقد برز ذلك في طريقة كتابتهم لأسمائهم واختيارهم لعناوين قصائدهم والمقولات التي أصبحوا يصدرون بها قصائدهم، ويكتبونها في مطلع نصوصهم.

لعل أهمية هذه القضية لا تتركز في مجرد إظهار أثر التباين الثقافي في خلق نوع من الطبقية الثقافية التي تفصل عامة الناس بشكل حدي عن لغة الطبقة المثقفة، وشعر الطبقة المثقفة، والمتعة الأدبية التي تعترف بها هذه الطبقة؛ ولكن تكمن أيضا في أثرها غير المباشر في إبعاد شعراء الفصحى عن مكانهم الطبيعي كفنانين ينتمون إلى المجتمع، ويعبرون عنه، وتجعلهم يتأخرون عن الريادة في هذا الباب، تاركين لشعراء العامية أن يحملوا راية الجيل، وأن يتحدثوا بألسنة الناس وأن يعبروا بشكل أكثر قرباً عما في نفوسهم.

لا يقصد هذا البحث بأي شكل من الأشكال إلقاء التبعة على شعراء الفصحى وتحميلهم مسؤولية البعد عن بيئتهم، وترك الراية بيد غيرهم؛ وإنما يحاول لفت الانتباه لبنية

البيئة الثقافية التي خلقت مثل هذا الاختلال. وهو اختلال لم يكن وليد اللحظة، بل كانت بداية الشرخ بين الفصحى وجمهور الشعر حين ترفعت الفصحى عن ألسن الناس، واكتفى الناس بعامياتهم. ومنذ ذلك الحين والوصول إلى عتبات الفصحى يحتاج إلى سلالم معرفية لا يمكن لمن لم يتجاوزها أن يستمتع بالفصحى قراءة وكتابة.

وحين طال العهد؛ خلقت العاميات أدبها وشعرها الخاص، وهو شعر يدور في فلك الفصحى ويتغذى بتراثها العريق وتنشئه ذات القرائح الفطرية التي أنشأت الشعر الفصيح في طفولته الأولى. ولذا ولد الشعر العامي كبيراً مؤثراً عميقاً. ولكن هذا الأدب العامي كان طوال التاريخ قابعا في هامشه، مكتفياً بانزوائه في ذاكرة قائليه، ومنشديه، تنهشه مخالب النسيان ولا يصل منه إلى الأجيال اللاحقة إلا أقل القليل. في حين أنه ترك للشعر الفصيح أيا كان مستواه الشعري بياض الصفحات يخلد على السطور وتحمله الكتابة إلى الأجيال اللاحقة. وكأن هذا كان اعترافا من البيئة نفسها أن الشعر العامي مهما ارتقى به الإبداع فإنه لا يجسر على مزاحمة الفصحى ولا يستحق الخلود.

ولكن الأمر اختلف في العصر الحديث الذي اتسعت فيه صدور الأوراق لتحضن كل قول وبأية لغة وعلى أي درجة كان. فزاحمت دواوين الشعر العامي دواوين الشعر الفصيح، وكثرت المجلات والمواقع والأندية التي تحتفي بالعامي. وهنا ظهر الفرق في الطبقية الثقافية التي تغلف بهالتها شعراء الفصحى، وتجعلهم مختلفين عن شعراء العامية، ليس في جمهورهم فحسب وإنما في لغتهم وموضوعاتهم وطرائق عرضهم لشعرهم، وكذلك في نظرتهم لأنفسهم.

المصادر والمراجع:

ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام، ت محمد بن سعد بن حسين (ط١ ١٤٠٥)
احتفل بالمثنى في بيل، حاتم الزهراني (دار تشكيل، ط١ ٢٠١٩)
أسس الشعر العربي الكلاسيكي الشعر العربي القديم، إيفالد فاجنر، ت سعيد حسن بحيري (المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط ١ ٢٠٠٧)
أعمال شعرية، جاسم الصحيح (أطياف للنشر والتوزيع، ط ٢ ٢٠١٨)
الأعمال، عبد الفتاح كيليطو (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١ ٢٠١٥)
الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ت إبراهيم الأيباري (مؤسسة دار الشعب القاهرة بلا تاريخ)
بسمله، معبر النهاري (نادي المدينة المنورة الأدبي، ٢٠١٦)
تضاريس الهذيان، جاسم الصحيح (دار تشكيل الرياض ط ١ ٢٠٢٠)
الثقافة والهوية والوعي العربي، د. محمود الضبع (دار بتانة، القاهرة، ٢٠١٦)
جدليات المثقف، تيبولوجيا المثقف في الرواية السعودية، صالح سالم (نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١ ٢٠١٦)
حمائم تكنس العتمة، جاسم الصحيح (بلا دار، ط١ ١٤٢٠)
الخطيئة والتكفير، عبد الله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٦ ٢٠٠٦)
رقصة عرفانية، جاسم الصحيح (دار الكنوز الأدبية، ط١ ١٩٩٩)
روي كولاج شعري، عبد اللطيف يوسف (دار مدارك، دبي، ط١. ٢٠١٦)
الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي، رشيد يحياوي (افريقيا الشرق، الدار البيضاء ١٩٩٨)

عامل المناخ، إيريك دورتشميد، ت أحمد الزبيدي (دار المدى، بغداد، ط١ ٢٠٢٠)
عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد (الدار العربية للعلوم، بيروت ط ١، ٢٠٠٨).
العتبات في شعر جاسم الصحيح، نورة علي القحطاني (النادي الأدبي بالرياض، ط١ ٢٠١٧)
العصر العباسي الأول، شوقي ضيف (دار المعارف. ط ٨ بلا تاريخ)
العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، جمع سعد بن عبد العزيز الرويشد (دار الهلال، الرياض، ط ٣ ١٤٠٠)
العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني، ت د. النبوي عبد الواحد شعلان (الخانجي القاهرة ط ١ ٢٠٠٠)
فكرة الثقافة، تيري ايجلتون، ت شوقي جلال، (المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥)
فن القراءة، ألبرتو مانغويل (دار الساقي لندن. ط١ ٢٠١٦)
لا الأرض أمي لا القبيلة والدي، عبد اللطيف يوسف (دار أثر، الدمام، ط ٢ ٢٠١٥)
ما وراء حنجرة المغني، جاسم الصحيح (الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ط١ ١٤٣٠)
مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي عبد الله الرشيد (نادي القصيم الأدبي ط ١ بريدة ١٤٢٩ ٢٠٠٨)
مدخل إلى سيوسولوجيا الثقافة، ديفيد إنغلز– جون هيوسون، ت لما نصير (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ط ١ ٢٠١٣)
مرثية النار الأولى، محمد عبد الباري (مندى المعارف، بيروت، بلا تاريخ)

مقام نسيان، محمد إبراهيم يعقوب (الانتشار العربي، بيروت، ط١ ٢٠١٩)
المكتبة في الليل، ألبرتو مانغويل (دار الساقي لندن. ط٢ ٢٠١٦)
نسيان يستيقظ، عبد الله سليم الرشيد (الانتشار العربي، بيروت ط ١ ٢٠١٠)
النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط ٣ ٢٠٠٥)
نقد المثقف وأوهام النخبة، علي حرب (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٤)
نهاية الداعية الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، عبد الإله بلقريز (المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٠).

Bibliography

Ibtisāmāt al-Ayyām fī intiṣārāt al-Imām,. Muḥammad ibn Sa‘d ibn Ḥusayn (1st ed., 1405)

Aḥtfl bilmthná fī yyl,. Ḥātim al-Zahrānī (Dār tashkīl, 1st ed., 2019)

Usus al-shi‘r al-‘Arabī alklāsyky al-shi‘r al-‘Arabī al-qadīm, iyfāld fājnr, t Sa‘īd Ḥasan Buḥayrī (al-Mukhtār lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah 1st ed., 2007)

A‘māl shi‘rīyah, Jāsim Al-ṣaḥīḥ (Aṭyāf lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, 2nd ed., 2018)

al-A‘māl, ‘Abd al-Fattāḥ Kīlīṭū (Dār Tūbqāl lil-Nashr, al-Dār al-Bayḍā’, 1st ed., 2015)

Al-aghānī, Abū al-Faraj al-Aṣfahānī, t Ibrāhīm al’ybāry (Mu’assasat Dār al-Sha‘b al-Qāhirah bi-lā Tārīkh)

bsmlh, Mu‘abbir al-Nahārī (Nādī al-Madīnah al-Munawwarah al-Adabī, 2016)

Taḍārīs al-hadhayān, Jāsim al-ṣaḥīḥ (Dār tashkīl al-Riyāḍ 1st ed., 2020)

Al-Thaqāfah wa-al-huwīyah wa-al-wa‘y al-‘Arabī, D. Maḥmūd al-Ḍab‘ (Dār btānh, al-Qāhirah, 2016)

Jadalīyāt al-muthaqqaf, tybwlwjyā al-muthaqqaf fī al-riwāyah al-Sa‘ūdīyah, Ṣāliḥ Sālim (Nādī al-Madīnah al-Munawwarah al-Adabī, 1st ed., 2016)

Ḥamā’im tkns al-‘atmah, Jāsim al-ṣaḥīḥ (bi-lā Dār, 1st ed., 1420)

Al-khaṭī’ah wa-al-takfīr, ‘Abd Allāh al-Ghadhdhāmī (al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Bayrūt, 6th ed., 2006)

Raqṣat ‘irfānīyah, Jāsim al-ṣaḥīḥ (Dār al-Kunūz al-adabīyah, 1st ed., 1999)

Ruwiya Kūlāj shi‘rī, ‘Abd al-Laṭīf Yūsuf (Dār Madārik, Dubayy, 1st ed., 2016)

al-shi‘r al-‘Arabī al-ḥadīth dirāsah fī al-munjaz al-naṣṣī, Rashīd Yaḥyāwī (Afrīqiyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍā’ 1998)

‘Āmil al-munākh, Īrīk dwrtshmyd, t Aḥmad al-Zubaydī (Dār al-Madá, Baghdād, 1st ed., 2020)

‘Atabāt Jīrār jynyt min al-naṣṣ ilá almnāṣ, ‘Abd al-Ḥaqq Bil‘ābid (al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm, Bayrūt 1st ed., 2008).

al-‘atabāt fī shi‘r Jāsim al-ṣaḥīḥ, Nūrah ‘Alī al-Qaḥṭānī (al-Nādī al-Adabī bi-al-Riyāḍ, 1st ed., 2017)

al-‘aṣr al-‘Abbāsī al-Awwal, Shawqī Ḍayf (Dār al-Ma‘ārif. Ṭ 8 bi-lā Tārīkh)

Al-ʻIqd al-thamīn min shiʻr Muḥammad ibn ʻUthaymīn, jamʻ Saʻd ibn ʻAbd al-ʻAzīz al-Ruwayshid (Dār al-Hilāl, al-Riyāḍ, 3rd ed., 1400)
al-ʻUmdah fī ṣināʻat al-shiʻr wa-naqdih, al-Ḥasan ibn Rashīq al-Qayrawānī, t D. al-Nabawī ʻAbd al-Wāḥid Shaʻlān (al-Khānjī al-Qāhirah 1st ed., 2000)
Fikrat al-Thaqāfah, tyry ayjltwn, t Shawqī Jalāl, (al-mashrūʻ al-Qawmī lil-Tarjamah, al-Qāhirah, 2005)
Fann al-qirāʾah, albrtw mānghwyl (Dār al-Sāqī Landan. 1st ed., 2016)
lā al-arḍ ummī lā al-qabīlah Wālidī, ʻAbd al-Laṭīf Yūsuf (Dār Athar, al-Dammām, 2nd ed., 2015)
Mā warāʾ ḥanjarat al-Mughnī, Jāsim al-ṣaḥīḥ (al-Dār al-Waṭanīyah al-Jadīdah, al-Khubar, 1st ed., 1430)
Madkhal ilá dirāsah al-ʻUnwān fī al-shiʻr al-Saʻūdī ʻAbd Allāh al-Rashīd (Nādī al-Qaṣīm al-Adabī 1st ed., Buraydah 1429 2008)
Madkhal ilá sywswlwjyā al-Thaqāfah, Dīfīd inghlz-Jūn hywswn, t li-mā Naṣīr (al-Markaz al-ʻArabī lil-Abḥāth wa-dirāsat al-Siyāsāt, al-Dawḥah 1st ed., 2013)
Marthīyat al-nār al-ūlá, Muḥammad ʻAbd al-Bārī (mndá al-Maʻārif, Bayrūt, bi-lā Tārīkh)
Maqām Nisyān, Muḥammad Ibrāhīm Yaʻqūb (al-Intishār al-ʻArabī, Bayrūt, 1st ed., 2019)
Al-Maktabah fī al-layl, albrtw mānghwyl (Dār al-Sāqī Landan. 2nd ed., 2016)
Nisyān yastayqiẓa, ʻAbd Allāh Salīm al-Rashīd (al-Intishār al-ʻArabī, Bayrūt 1st ed., 2010)
Al-naqd al-Thaqāfī qirāʾah fī al-ansāq al-Thaqāfīyah al-ʻArabīyah, ʻAbd Allāh al-Ghadhdhāmī) al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, al-Dār al-Bayḍāʾ 3rd ed., 2005 (
Naqd al-muthaqqaf wa-awhām al-nukhbah, ʻAlī Ḥarb (al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Bayrūt, 3rd ed., 2004)
Nihāyat al-dāʻiyah al-mumkin wa-al-mumtaniʻ fī adwār al-muthaqqafīn, ʻAbd al-Ilāh blqryz (al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Bayrūt 2000).

المراجع الأجنبية:

A.L. Kroeber and Clyde Kluckhohn. *Culture: A Critical review of concept and Definitions* (New York: Random House, 1963).
Raymond Williams, *Keywords: A vocabulary of culture and society* (Glasgow: Fontana. 1976).

الحركة في أشعار المُعَمَّرين

دراسة في البنية

Movement in the poems of the Centenarians

A Study in the Structure

د. علي بن أحمد الهمامي

أستاذ مساعد بكية العلوم والآداب بجامعة نجران

الريد الإلكتروني: aalhamami@nu.edu.sa

المستخلص

في وقفة الشاعر المعمَّر أمام التغيير الحادث بفعل الحركة المستمرة للزمن؛ التَفتَ إلى هيئته، فرأى ذلك التغير قد ظهر على ذاته، وبان في صفاته، فحاول أن يستقصي آثاره، ويُعِّددُ أسبابه، ويُلملمُ أجزاءه؛ فرأتْ هذه الدراسة أن الشاعر في تتبعه للتغير الحادث لا يكاد يغفل عن ذكر الحركة، وتصويرها.

ولذلك جاءت خاصة بالحركة التي تكررت في أشعار المعمرين، حيث ترد مرة جزئية كحركة اليد أو الرجل أو الصَّلْب، ومرة كلية كحركة الجسد، ومرة مجَسّدة كحركة الطائر، أو الصائد.

وترتبط في كل ورود لها، بحركة الزمن الدائبة، التي تختلف عنها في القوة والقدرة.

وقد انتظمت هذه الدراسة في **مقدمة** تناولت أهمية الموضوع، والهدف منه، ومنهجه. و**تمهيد** تناول أهمية الحركة ومعناها، و**مبحثين** أحدهما تناول بنية الحركة السطحية، والآخر تناول بنية الحركة العميقة، و**خاتمة** اشتملت على أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الزمن، القوة، الضعف، الحركة، المعمَّرين، البنية.

Abstract

In the aged poet's stand in front of the change that occurs due to the continuous movement of time; He turned to his appearance, and saw that change had appeared in himself, and it had become evident in his qualities, so he tried to investigate its effects, enumerate its causes, and gather its parts; This study found that the poet, in following the change that occurred, hardly neglects to mention the movement, and its depiction**.**

Therefore, it came specifically to the movement that was repeated in the poems of the centenarians, where it appears once as a partial movement, such as the movement of the hand, the leg, or the crucifixion, and the other time as the movement of the body, and once embodied, such as the movement of the bird or the hunter**.**

It is linked in each of its occurrences to the perpetual movement of time, which differs from it in strength and ability**.**

This study included an **introduction** that addressed the importance of the topic, its objective, and its approach. **A preface** dealing with the importance of movement and its meaning, **two chapters**, one of which dealt with the structure of the superficial movement, and the other dealing with the structure of the deep movement, and a **conclusion** that included the most important findings**.**

Keywords: time, strength, weakness, movement, centenarians, structure.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

تتناول هذه الدراسة الحركة في أشعار المعمرين، – من الجاهليين والأمويين– وتسير في خطين متوازيين، أحدهما خاص بالحركة، والآخر خاص ببنيتها في النص. وتبرز أهمية هذه الدراسة في الآتي:

١– كون هذه الدراسة تعالج قضية مسكوتا عنها في الدراسات الأدبية.

٢– اتصالها بفئة خاصة من الشعراء اتفقت رؤيتهم الشعرية، واختلفت أزمانهم وبيئاتهم.

٣– تقارب اللغة الشعرية التي اعتمد عليها الشعراء المعمرون في بث أحاسيسهم.

٤– اتخاذ الحركة ركيزة أساسية تنطلق منها اللغة الشعرية وتعود إليها.

٥– بروز عنصر الزمن بوصفه أداة فاعلة في استلاب الحركة وسكونها.

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس من هذه الدراسة تسليط الضوء على الحركة بوصفها العنصر الأبرز في أشعار المعمرين، وبيان أثر البنية في تجلية ذلك.

منهج الدراسة:

اتكأت هذه الدراسة على المنهج البنيوي في رصد الحركة وبيان فاعليتها في النص؛ لأن المنهج البنيوي يعنى بكل مكونات النص، ويكشف عن الروابط المختلفة في علاقة بعضها ببعض، سواء كانت هذه العلاقات داخلية أم خارجية." إن ثمة علاقة متبادلة بين الصوت والمعنى: بين ما تكونه القصيدة — العلاقات الداخلية اللغوية– وما

تعنيه العلاقات الخارجية الدلالية"[1]، ومن أهم هذه العلاقات في موضوع الحركة تلك العلاقة الثنائية بين الداخل والخارج، بين امتلاك الحركة واستلابها، بين المقاومة والاستسلام، بين القدرة والاستلاب، بين الاستطاعة والعجز، بين التنقل والسكون، وفوق ذلك بين الماضي والحاضر، وأعلى من ذلك بين الجسد والروح. ولذلك يبدو المنهج البنيوي صالحاً لهذه الدراسة؛ لأنه" كل متكامل ذو هيكلة من العلاقات التي تقوم بين عناصره الأساسية المكونة له، تُجسد وحدته الكيانية وتعطيه نسقاً من المعنى العام يبين عن مدى تماسكه وعن الدلالات الفعلية لعناصره"[2]. ومع صلاحية هذا المنهج لهذه الدراسة ينبغي التأكيد على اتساع دلالة النصوص الحاملة للحركة التي قد يصعب استنطاقها من منهج واحد، أو الإلمام بها. " إن الداخل شبكة معقدة من الدلالات والعلاقات والإحالات، وأي ولوج فيها يحتمل خطر الضياع فيها وعن مخرجها. إلا أن يكون هناك ما يسمح بالتعرف إلى معالمها أو اكتشافها وبلوغها، وبالخروج بخلاصاتها الثرية إلى الآفاق التي تضيء الطريق إليها"[3]. ولعل في الجادة التي سارت فيها هذه الدراسة ما يكشف الستار عن بعض ما خفي، ويبين عما أشكل.

هيكلة الدراسة:

انتظمت هذه الدراسة في مقدمة تناولت أهمية الدراسة والهدف منها، ومنهجها. وتمهيد تناول أهمية الحركة ومعناها، ومبحثين أحدهما تناول بنية الحركة السطحية والآخر تناول بنية الحركة العميقة، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج.

(١) باتسون، ماري كاترين، الاطراد البنيوي في الشعر: دراسة لغوية لخمس قصائد جاهلية، الهيئة المصرية العمة للكتاب، نقلا عن مجلة فصول، مج ٤، ع٢، ١٩٨٤م، ص٣٠٧

(٢) سويدان، سامي، في النص الشعري العربي مقاربات منهجية، ط١، ١٩٨٩م، دار الآداب بيروت، ص٢٣

(٣) السابق: ص ١٩

التمهيد:

وقف الشاعر العربي قديما على آثار دياره، يستنطق ما اندرس، ويستذكر ما فات، ويدعو صاحبَيه للتبصر والتأمل معه. وبعد هذه الوقفة التأملية يستدعي دموعه فيبكي ما شاء ثم ينصرف عن ذلك إلى مراده، تاركاً الدار وما آلت إليه.

وفي لحظة أخرى مُباينة لهذه اللحظة، مليئة بالسكون والأسى؛ رأى الشاعر أنه ليس بحاجة إلى تلك الوقفة – على أهميتها–؛ لانشغاله بما هو أولى، وانصرافه لما هو أهم؛ إنها وقفة أمام الذات التي تبدلت، والجسد الذي تغيَّر، والهمة التي ذبُلت، والحركة التي انكمشت، " ولأن المكان والإنسان بعدان من أبعاد الزمان فقط؛ فإننا لا نراهما إلا بوصفهما موضعا للتغيير، فهما لا يتجليان إلا في لحظة التغيير... وهكذا يبرز المكان عندما يكون طللاً، أو لحظة رحيل الجماعة عنه، ويبرز الإنسان حين يُسجِّلُ التغيرُ سماتَه عليه، أي في حال الشيب والانفصال عن الآخر."[1]

وإذا استطاع الشاعر في الوقفة الأولى أن يتجاوز الأثر البادي على الديار؛ فإنه لم يستطع في وقفته الثانية أن يتجاوز الأثر البادي على الذات، فأطال حتى في معانيه في الوقفة الأولى وقصّر في الوقفة الثانية. ولعل السبب في ذلك – من وجهة نظري– يعود إلى امتلاك الحركة في الوقفة الأولى، واستلاب الحركة في الوقفة الثانية، وفي ذلك تأكيد على الصراع الدائم بين الشاعر الجاهلي والفناء؛ فإن استطاع المدافعة في الوقفة الأولى؛ فإن وقفته الثانية مليئة بالتسليم والانقياد.

وفي وقفة متأنية مع أشعار المعمرين الذين اتجهوا إلى ذواتهم، يتحسسون ما بقي، ويستذكرون ما يمكن تذكُّره، وجدتُ أن الجامع بين جُل الشعراء – في بنية قصائدهم أو بالأصح في بنية مقطعاتهم– يدور حول الحركة وحدها. هذه الحركة التي

(١) أبو ديب، كمال، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٣٢٤

كانت المنقذ من الوقفة الأولى، أصبحت الوقود الحقيقي الذي أشعل نيران الشاعر في وقفته الثانية، ولم يستطع إطفاءها، أو الخروج من دائرتها إلا ما ندر.

وهذه الحركة قد تبدو جزئية كحركة اليد والرجل، وقد تبدو كليَّة كحركة الجسد، وقد تبدو مصوَّرة كحركة الصائد أو الطائر. ورأيت من المفيد أن أقف مع هذه الحركة، وأتأملَ هيئتها، وأربطَ بين أجزائها، وأتتبعَ تواردها في شعر المعمرين [1] خاصة، وكيفية بنائها.

مفهوم الحركة:

يُفهم من معنى الحركة العام القدرة والاستطاعة، والشخص الذي يمتلك الحركة يمتلك القدرة، والذي يفتقد الحركة يفتقد القدرة – في الغالب– والأول ليس بحاجة إلى معين والثاني بحاجة إليه، قال قَرَدة السلولي[2]:

وَكُنْتُ أمشِي على الساقين مُعتدِلا فصرتُ أمشيْ على ما تنبتُ الشجرُ

وفي قول قَرَدة تبرز حاجة الشاعر إلى معين يُعيده إلى طبيعته الأولى، وهي الحركة في اعتدال طبيعي، والمعين الذي وظفه الشاعر هنا هو العصا، وفرق بين حركة طبيعية تعتمد على الساقين وحدهما، وبين حركة مصطنعة تعتمد على العصا.

ولذلك فالحركة تتميز بضدها، جاء في لسان العرب: الحَرَكة: ضد السكون، حَرُك يحْرُك حَرَكةً وحَرْكاً وحَرَّكه فتَحَرَّك، قال الأَزهري: وكذلك يَتَحَرَّك، وتقول: قد

(١) بعد قراءة متناثرة في أشعار المعمرين؛ اهتديت لديوان جمع أشعار المعمرين، وهو: ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية، إلى نهاية العصر الأموي، للدكتورة شمس الإسلام أحمد حالو، من إصدارات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ت ١٤٣١هـ–٢٠١٠م. وقد قسمت الدراسة إلى قسمين الدراسة والديوان. وأرى أنه عمل علمي جاد في التوثيق والترجيح والجمع. ولذلك اعتمدت عليه في هذه الدراسة.

(٢) هو قَرَدة بن نفاثة بن عمرو بن ثوابة، أحد الشعراء المعمرين المخضرمين، كان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن شعره ويُقبل عليه. انظر: السابق: ص٤٩٩

أَعيا فما به حَرَاك. قال ابن سيده: وما به حَرَاك أَي حَرَكة وفلان ميمون العَرِيكةِ والحَرِيكة. والمِحْراكُ: الخشبة التي تُحَرَّك بها النار(١).

وفي هذا التعريف اللغوي للحركة نجد أنها ضد السكون، وهذه الضدية بادية في قوله كذلك: (قد أعيا فما به حَرَاك أي حركة).

وورد في الصحاح في اللغة: والمِحْراكُ المحراث الذي تُحَرَّكُ به النار. وغلامٌ حَرِكٌ، أي خفيفٌ ذكيٌّ. والحارِكُ من الفرس: فُروع الكتفين، وهو أيضاً الكاهلُ. وحَرَكْتُهُ أَحْرُكُهُ حَرْكاً: أصبت حارِكَهُ (٢).

وإذا فقدت النار محراثها، فسدت وأفسدت، ولعل هذا المعنى اللغوي الذي برز من السكون هو الأقرب إلى المراد هنا.

والمعنى الاصطلاحي للحركة يظهر في التنقل، جاء في تطور مفهوم الحركة عند العرب " الحركة في العرف العام: النقل من مكان إلى مكان، وهذه هي الحركة الأينية المسماة بالنقلة، قال صاحب (الأطول): لا تطلق الحركة عند المتكلمين إلا على هذه الحركة الأينية، وهي المتبادرة في استعمالات أهل اللغة."(٣). ومن التعريفات الحديثة للحركة: التغير المستمر في موقع الجسم، أيا كان هذا الجسم (٤).

وسأنظر للحركة في أشعار المعمرين من خلال هذا المعنى الذي يدور حول التغير والتبدل، الذي يظهر في الجسد المرئي، والتبدل الذي يظهر في الروح، وذلك من خلال رصد الحركة في أعضاء الجسد بوصفه موضع الحركة، كالرجل واليد والصلب، وغيرها من أجزاء الجسد الفاعلة في الحركة.

(١) لسان العرب، مادة: حرك

(٢) الصحاح في اللغة، مادة: حرك

(٣) تطور مفهوم الحركة عند علماء العرب بين القرنين الثالث والسادس للهجرة/التاسع والثاني عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، ت ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص ص٩٧.

(٤) ينظر السابق، ص٩٨

المبحث الأول: بنية الحركة السطحية

وقد خصصتُ هذا المبحث لاستجلاء الحركة الخاصة بالجسد الذي اهتم برصد حركته الشعراء المعمرون[1]، وهذه الحركة تبدو ظاهرة في النص؛ فإما أن تكون جزئية أو كلية أو تصويرية، وسأبدأ بالحركة الأظهر فالأظهر.

حركة الرِّجْل:

لعل الرِّجْل هي العماد الأول للحركة في التنقل من مكان لآخر، وسلامتها مهم في السبق والنجاة خاصة في بيئة صحراوية تقتات من الغزو، وتتكئ عليه.

وممن مسّه الضعف، وبدا عليه التغير؛ عامر بن الظّرب العدواني[2]، حيث تذكر الرواية أنه قال أبياتاً في أمر مقتل بني أسد أبناء أبي ذؤيب الهذلي ظلماً منها[3]:

لَعَمرِيْ لَقَدْ ذَهبَ الأَطْيَبان شبابيْ ولَهْوِي فَعَدَّوا المِلاما

أَلمْ تَرَ أَنِّي إذا مَا مَشَيْتُ أُخَطْرِفُ خَطْوي وأمْشِي أَمَاما

وأَكْرَهُ شيءٍ إلى مُهْجَتي إذا ما جلستُ أُريدُ القِياما

إن حركة الرجل التي يصورها عامر بن الضرب هنا، جاءت بعد مقدمة موجزة، تنطلق من الحاضر إلى الماضي، والحاضر هو زمن الفقد، والماضي زمن الوجود؛ أعني

(١) تحديد العمر في كتاب السجستاني وغيره لا يمثل الواقع الحقيقي للعد، وإنما يمثل طولالمدة. انظر: مظاهر الغربة الزمانية في شعر المعمرين، جماح علي ناصر عبدالله، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، مج ٣٤، ع ٦٧، ٦٨، ت٢٠٠٩م، ١١١

(٢) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن الحارث، أحد حكام العرب وقضاتهم، كان حكيما حرم الخمر على نفسه. انظر: ديوان الشعراء المعمرين. ص ٣٩٠-٣٩٢

(٣) انظر السابق: ص ٣٩٦

بذلك فقد الحركة ووجودها. وبعد فقد الحركة يأمر الشاعر بترك اللوم وتجاوزه.

وبدَتْ حركة الرجل في قوله: (إذا ما مشيتُ أخطرف خطوي وأمشي أماما)، وهذه الحركة العكسية للرجل ليست ببعيدة من حركة الزمن في ماضيه وحاضره؛ إذ مع هذه الحركة العكسية تبدو كراهية الشاعر لها: (وأكره شيء ...إذا ما جلست أريد القياما)، ومع حركة الزمن تبدو صيحة الشاعر فيمن حوله: (عَدُّوا الملاما).

ولعل كلمة (أخطرف) التي وظفها الشاعر تُصور التكلف والمشقة التي تلتْ هذه الكلمة وبرزتْ في قوله: (إذا ما جلست أريد القياما). هذه الصعوبة في إرادة القيام بعد الجلوس تكشف ضعف حركة الرجل.

وليس ببعيد من عامر بن الظرِب قرَدة السلولي: في قوله[1]:

أصبحتُ شيخاً أرى الشخصين أربعة ... والشخصَ شخصين لما مسّني الكِبَرُ

لا أسمعُ الصوتَ حتى أستديرَ له ... وحالَ بالسِّمعِ دوني المَنْظَرُ العَسِرُ

وَكُنْتُ أمشِي على الساقين مُعتدِلا ... فصرتُ أمشيْ على ما تنبتُ الشجرُ

إذا أقومُ عجنْتُ الأرضَ مُتَّكِئاً ... على العراجيم حتى يذهب النّفَرُ

وقردة في انطلاقته كذلك ابتدأ بالحاضر الذي يمثل السّلب؛ سلب البصر، والسمع، والحركة. إن حركة الشاعر في الماضي تبدو طبيعية (معتدلا)، وحركته الحاضرة تبدو غير طبيعية، أشار إليها بالاعتماد على ما تنبت الشجر. وإذا كان عامر يخطرف في مشيه، فقرَدة يعجن الأرض في قيامه، وإذا كره عامر حركة القيام الثقيلة فليس ببعيد عنه قردة في قيامه الذي يعجن الأرض؛ لصعوبته، وإذا صاح عامر بمن حوله أن يتركوا الملام؛ فإن قردة يلزم الصمت حتى يذهب النفر الذين هم مظنة اللوم أو السخرية.

والحركة هي عماد القيام والجلوس اللذين تناولهما الشاعران، وأكد على ذلك

(١) السابق: ص٥٠٠

أيضاً مالك بن المنذر[1] في قوله [2]:

أكلتُ شبابي فأفنيتُه وأَمضيتُ بعدَ دُهُورٍ دُهُورا
ثلاثة أهلينَ صاحبْتُهم فبَادوا وأصبحتُ شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيا م قدْ ترك الدهرُ قيدي قصيرا
أَبيتُ أُراعي نجومَ السماء أُقَّلبُ أمري بُطونا ظُهُورا

هذا الأمر الذي يقلبه الشاعر بطوناً ظهوراً، ظهر في حاضره الذي قل فيه طعامه، وعسُر قيامه، وتقيّد خطوُه. وعسْر القيام هنا ليس ببعيد عن عسره في السابق عند عامر بن الظرب في قوله: " إذا ما جلست أريد القيام"، وعند قرَدة في قوله: " إذا أقوم عجنت الأرض". وفي قوله: (ترك الدهر قيدي قصيرا) إشارة إلى الوهن الذي أصابه في رجليه؛ لأن القيد مرتبط بهما. وقد أظهر ذو الرمة هذا المعنى وهو ينظر للظعائن تحمل مي، وتبتعد بها عنه، فقال في تصوير بديع[3]:

مَتَى تَظْعَنِي يَا مَيُّ عَنْ دَارِ جِيرَةٍ لَنَا وَالْهَوَى بَرْحٌ عَلَى مَنْ يُغَالِبُهْ
أَكُنْ مِثْلَ ذِي الأُلاَّفِ لُزَّتْ كُرَاعُهُ إلى أختها الأخرى وولَّى صواحبهُ
تَقَاذَفْنَ أَطْلاَقاً وَقَارَبَ خَطْوَهُ عنِ الذَّودِ تقييدٌ وهنَّ حبائبهْ

(١) هو مالك بن المنذر من بني بجيلة، تفرَّد أبو حاتم السجستاني بذكره، لم يبق من شعره إلا هذه الأبيات التي أورتها هنا. انظر: السابق: ص ٥٢١

(٢) السابق: ص٥٢٢

(٣) ديوان ذي الرمة، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ت١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ٢٥.

نأينَ فلا يسمعنَ إنْ حنَّ صوتهُ وَلاَ الْحَبْلُ مُنْحَلٌّ وَلاَ هُوَ قَاضِبُهْ

وذو الأُلاف هو الجمل الذي فارق أُحبابه، وقارب خطوه؛ لوجود القيد في ساقه، وفي التقييد بطء في الحركة، ظهر ذلك في المسافة التي صورها الشاعر بين الجمل وصواحبه. وإذا كان التقييد هنا بالحبل الذي قد يُحل؛ فإن التقييد هناك بالزمن الذي لا يُحل.

حركة اليد:

اليد قرينة الرجل، ولا تبعد أهميتها في الحركة عنها، فبها يحمل الإنسان أشياءه، وبها يتغذّى، وعليها يعتمد، وبها يرمي ويقاوم.

وممن أشار إلى حركة اليد وأهميتها في ممارسة الحياة؛ أمية بن الأسكر الكناني[1]. حيث تذكر الأخبار أن له ابناً خرج في الغزو وأمية شيخ كبير فقال فيه أبياتاً، سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرجعه، منها قوله [2]:

تركْتَ أباكَ مُرعَشةً يداهُ وأُمُّك ما تَسيغ لها شرابا

تُمَسِّحُ مُهرَه شَفَقاً عليه وتَجْنُبُهُ أَباعِرَها الصِّعَابا

فإنَّك قدْ تركْتَ أباك شيخا يطارقُ أُنْيُقاً شُزُبَا طِرابا

إذا رُنِّقن إرقَالاً سِراعاً أثَرْنَ بِكِلِّ رابيةٍ تُرابا

الترك الذي ألمّ بأمية يؤكد ضعفه وحاجته لمعين، هذا المعين هو ابنه الذي ذهب للغزو، وقد سيطر هذا الترك على أمية من بداية المقطعة، حيث تساءل

(١) هو أمية بن حُرثان الأسكر بن عبدالله، شاعر مخضرم، كان من سادات قومه وشعرائهم، عدّه السجستاني من المعمرين. انظر: ديوان المعمرين، ص:٢٧٩–٢٨٠

(٢) السابق: ص ٢٨٣

الشاعر في حيرة[1]:

لِمنْ شيخان قَدْ نَشَدَا كُلَابا كِتابَ الله إنْ قَبِلَ الكِتَابا

ولعل هذا الترك هو الذي جعل الشاعر يذكر ضعفه، وحاجته، ويحس به؛ حيث أشار إلى حركة يده: (مرعشة يداه). وهذه الحركة ليست سوية، إذْ لا يستطيع مع هذه الحركة القيام بمهامه. وتكرر الترك بالتأكيد (فإنك قد تركت أباك شيخا)، لا يقوم غيره بمهامه، ومن أعسر هذه المهام مطاردة الإبل التي يملكها وتَتبعها أنّى اتجهت.

وتكرَّر الارتعاش في قول أمية بن الأسكر[2]:

يا أُم هيثمَ ماذا قُلتِ أبلاني رَيبُ المنون وهذان الجديدان

إمّا تَرَي حجَرِي قد رَكَّ جانبُهُ فقد يسُرَّكِ صُلباً غيرَ كّذَّان

يا ابْنيْ أُميّةَ إنِّي عنكما غانِ وما الغنى غيرُ أنّي مُرْعَشٌ فانِ

اعتراف بقوة الدهر (ريب المنون، وهذان الجديدان)، هذه القوة جعلت الشاعر فان و مُرعش، (أنّي مُرعَشٍ فاني) وفوق ذلك صار موطن هزء وسخرية، من أحقر الناس[3]:

أَصْبحتُ هُزْءاً لراعي الضَّأْنِ أُعْجِبُهُ ماذا يُرِيبُكَ منِّي راعي الضان

هذا الهزء أضاف للضعف الجسدي ضعفاً معنويا، يؤكد حالة الضعف ويبرهن عليها.

(١) السابق: ص ٢٨٢

(٢) السابق: ص ٢٩١

(٣) السابق: ص ٢٩٢

وإذا كانت حركة اليد مهمة في قضاء الحوائج الحياتية؛ فهي مهمة في الدفاع عن النفس، ولذلك نجد الشعراء المعمرين يذكرون حمل السلاح، والسلاح هو أداة الدفاع. يقول الربيع بن ضَبُع الفزاري[1]:

أصبحتُ لا أحمل السلاح ولا أملكُ رأس البعير إن نفَرا[2]

والذئبُ إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

حمْل السلاح، وامتلاك رأس البعير، ومقاومة الذئب، كلها بحاجة لحركة اليد، وفي ذلك تأكيد على ضعف هذه الحركة التي تُعرِّض الإنسان للأذى، وتجْعل سلبه والاحتيال عليه سهلاً.

وأمية بن الأسكر مرعش اليد الذي سبق ذكره، يشير إلى هذا المعنى بقوله[3]:

فإمّا أُصْبحنْ شيخاً كبيرا وراء الدار يثقلني سلاحي

فقد آتي الصريخَ إذا دعاني على ذِيْ مَنْعَةٍ عَتِدٍ وَقَاحِ

وإن بدا أمية مقاوما هنا؛ فإن في قوله هذا اعتراف بضعف حركته، بان هذا الضعف في ذكره حمل السلاح: (يثقلني سلاحي).

حركة الظهر (الصلب):

إذا سلمت الرجل وانحنى الصلب تعطَّلت الحركة، وإذا سلمت اليد وانحنى الصلب

(١) هو الربيع بن ضَبُع بن وهب بن مالك، شاعر جاهلي، ذكره السجستاني من المعمرين. انظر: ديوان المعمرين: ص٣٤٢– ٣٤٣

(٢) السابق: ص٣٤٩

(٣) السابق: ص٢٨٤

تعطلت الحركة كذلك، ولذلك رأيت وأنا أتتبع مواطن الحركة؛ التفات الشعراء لأهمية اعتدال الجسد الذي يكمل في استقامة الصلب. وممن أشار إلى هذه الحركة الحارث بن حبيب الباهلي[(١)]، حيث يقول[(٢)]:

ألا هل شبابٌ يُشترى بِعجيبِ بألف قلوص أو بألف نجيبِ
وهل من شباب يُشترى بعد كبرة يُدَلُّ عليه الحارث بن حبيبِ
فَمَنْ لاسْوداد الرأس بعد ابيضاضه ومن لقوام الصلب بعد دبيب

لا مجيب لهذه الصرخة المدوية سوى الفناء. والدبيب الذي يأتي بعد استقامة يوحي بضعف الحركة، (ومن لقوام الصلب بعد دبيب)، ولعل هذا الدبيب يتضح في صورة العابد (الساجد)، وذلك في قول مُسافع بن عبد العزى الضَّمْري[(٣)]

بِهِ سَقَمٌ من كل سُقْمٍ وخبطَةٌ من الدهر أصغى غصنَهُ فهو ساجدُ

خبطة الدهر أثرت في قوام مسافع، وهدّت قوته فبدا للناظر كالساجد، والساجد في انحناءة لا تخفى تشبه انحناءة الصائد التي عبر عنها المسحاج بن سباع الضبي[(٤)]،

(١) هو: الحارث بن حبيب بن كعب بن أود بن معن الباهلي، شاعر جاهلي وأحد المعمرين الذين ذكرهم السجستاني. انظر: السابق: ص٣٢٢

(٢) السابق: ص ٣٢٣

(٣) هو: مسافع بن عبدالعزى بن حارثة بن يعمر بن جُدي بن ضمرة، جاهلي معمر ذكره السجستاني. انظر: السابق: ص٥٢٧

(٤) هو: المسحاج ويقال: المِسجاح بن سِباع بن خالد بن الحارث الضبي، ذكره السجستاني في المعمرين. انظر: السابق: ص ٥٣٧

في قوله[1]:

حنتْني حانياتُ الدهر حتى كأني خاتل يدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسب من رآني ولستُ مُقيدا أنِّي بقيدِ

وإذا خبط الدهر الأول، فقد حنت الآخر حانيات الدهر، فبدا في خطوه كالمقيد وفي هيئته كالصائد، وكلا الصورتين تتجه لبيان الهيئة المغايرة لما عهده الشاعران في شبابهما، هذه الهيئة جديدة كل الجدة في حركتها ومنظرها.

ومن الشعراء من نظر لحركة الظهر (الصلب) من جهة مغايرة، حيث نجد منهم من يشير لهذه الحركة بالسنام، والسنام خاص بالجمل، ولعل السنام يشير لهيئة الجمل السوية التي ابتعد عنها الشعراء المعمرون وأظهروا خلافها، منهم خِنابة بن كعب[2]، حيث يقول[3]:

تلعَّبتِ الأيام بي فتركْنَني أجبَّ السنام حائرا حين أنظر
أرى الشخص كالشخصين والشيخ بقول أرى والله ما ليس يبصر

وأجَبُّ السنام بمعنى مقطوعة فلا يكبر، ولعل الزمن هو الذي فعل به ما فعل، حيث أشار الشاعر إلى فعل الزمن بقوله: (تلعّبت الأيام)، وتلعب الأيام يشبه، (حنتني حانيات الدهر)، ويشبه كذلك (خبطة الدهر).

هذه القوة الزمنية التي جاءت في صيغ مختلفة، أخلّت بالحركة، وأفقدت الشعراء

(١) السابق: ص ٣٣٨

(٢) هو: خنابة بن كعب بن عبشمس بن سعد بن زيد، شاعر معمر أدرك الجاهلية والإسلام، وامتد به العمر إلى عهد معاوية رضي الله عنه. انظر: السابق: ص ٣٣٦

(٣) السابق: ص٣٣٧

القوة، وأظهرتهم في هيئة قبيحة لا تناسب حالهم الذي كانوا عليه، وتمنَّوا ألا يفارقهم. ويؤكد فعل الزمن فضالة بن زيد العدواني[1] عن طريق الرمي فيقول[2]:

وفيمَ تصابي الشيخ والدهر دائبٌ بِمِبْراتِهِ يَلْحُو عُروقا وأَعظُمَا

رمتني صروفُ الدهر حتى تركْنني أجبَّ السّنام بعدما كنتُ أيْهَما

والشاعر هنا في مُراماته يوازن بين القبلية والبعدية، حيث بدا أجم السنام، وقد كان قبل ذلك شجاعاً لا يهاب؛ لأن من معاني الأسهم الشجاع. وهذه الهيئة التي صورها الشاعر دليل على حركة الدهر الدائبة التي عبر عنها بقوله: (الدهر دائب بمبراته)، وهناك ارتباط ما بين هذه الحركة المستمرة وهيئة السنام الأجم، حتى كأن هذه الحركة برت السنام وأبقت أثره.

الرهينة والثواء:

تتكرر هذه الحالة في أشعار المعمرين؛ لافتقادهم الحركة من جهة، وخلوتهم الممتدة من جهة أخرى، ولعل هذه الحركة تتضح أكثر إذا علمنا كم كان العربي قديما يفخر بأسر عدوه، " والواقع أن أسر الأعداء مدعاة للفخر، كما إنه ممدحة تكثر نسبتها للممدوحين والمرثيين، ففيه للآسر وقومه شرف بقدر ما فيه من عار على الأسير وقومه"[3].

والمعَّمر يصور ملل الأقربين منه، وطول ثوائه، وإهماله، ونكران جميله، ولعل حال المعمر – في الشعر القديم– مع أهله، أشد بؤساً من حال الأسير مع عدوه.

(١) هو: فضالة بن زيد العدواني من بني عدوان، ذكره السجستاني. انظر: السابق ص٤٩٣

(٢) السابق: ص٤٩٥

(٣) الأسر في الشعر حتى آخر العصر الأموي، السديس، محمد بن سليمان، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلس العلمي، مج ١٢، ع ٤٥، ت١٩٩٣م، ص١٥

وقد جلّى ذلك أنس بن مُدرك الخثعمي[1]، في قوله[2]:

إذا ما امْرؤٌ عاشَ الهُنيدة سالما وخمسين عاماً بعد ذاك وأربعا[3]

تبدّل مُرَّ العيش من بعد حُلْوه وأوشكَ أن يبلى وأن يتسعْسَعا

ويأْذى به الأدْنى ويرضى به العِدا إذا صار مثلَ الرأي أحْدَبَ أخْضَعا

رَهينةَ قَعْرِ البيتِ ليس يَرِيمُهُ لَقَىً ثاوِياً لا يبرحُ المِهْدَ مضجَعا

وقف الشاعر أمام التغير الذي مسّه مذعورا، ظهر ذلك في مفردات الشاعر وتراكيبه: (تبدل، يبلى، يتسعسع، يأذى به الأدنى، يرضى به العدى).

وأوجع ما وصل إليه الشاعر استغناء الآخر عنه، حيث أصبح رهينة البيت يشبه الشيء الملقى على الأرض (لَقى ثاويا)، وكل ذلك يوحي بانعدام الحركة، تلك الحركة التي رفعته في زمن القوة، (تبدل مر العيش من بعد حلوه) عندما كانت مصاحبة له، وأذلته في زمن الضعف عندما سُلبت منه. وفي قوله (رهينة قعر البيت) تصوير لانعدام الحركة، وثبات الهيئة، وانطفاء الشاعر.

وممن تبدل حاله، وأضحى رهينة بيته، ثعلبة بن كعب الأوسي[4]، حيث يقول[5]:

(١) هو: أنس بن مدرك بن كعيب، ذكره السجستاني، أدرك الإسلام وأسلم. انظر: ديوان الشعراء المعمرين: ص ٢٩٤-٢٩٥

(٢) السابق: ص ٢٩٩

(٣) الهنيدة: اسم للمئة من الإبل وغيرها، وأراد العمر

(٤) هو ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل، جاهلي معمر. انظر: السابق: ص ٣٠٩

(٥) السابق: ص ٣١١

لقد صاحبتُ أقواما فأضحوا خُفاتاً ما يُجابُ لهم دعاءُ
وقوماً بعدَهمْ قدْ نادمُني فأضحى مُقْفراً منهمْ قُبَاءُ
مَضوا قصْدَ السبيل فخلّفوني فطال عليّ بعدهمُ الثّواءُ
فأصْبحتُ الغداة رهينَ بيتي وأخْلَفَني من الموتِ الرجاءُ

لم يعد هناك من يأنس به الشاعر ممن صحب، فقد عُمر، وتبدل حاله، وفقد حركته، وطال ثواؤه، فأضحى رهينة بيته، ينتظر أجله في استسلام وخضوع لقوة الزمن.

وأحس ربيعة بن عبدالله البجلي[1] بما أحس به السابقون، فقال[2]:

أَمَيْمُ أُمَيمُ قدْ أَوْدَى شَبَابي وأخْلَفَني البطالةُ والتصابي
أراني قد نَحِلْتُ وصرتُ حِلْسَا لقعر البيتِ مُفتقرِ الشباب

أتى الشاعر هنا بلفظة (حلس) وتفيد ما تفيده لفظة رهينة السابقة، يقال: فلان حلس بيته بمعنى ملازم بيته لا يبرحه[3].

وأكد ذلك المعنى عباد بن شداد[4]، في قوله[5]:

يا بُؤسَ للشيخ عبَّاد بن شداد أضحى رهينة بيتٍ بين أعوادِ

إن هذه الصرخة البائسة تؤكد محدودية الحركة (بين أعوادي).

(١) هو: هو ربيعة بن عبدالله من بُجيلة، ذكره أبو حاتم السجستاني، انظر: السابق: ص ٣٥٣
(٢) السابق: ص ٣٥٤
(٣) السابق: ص٣٥٤
(٤) هو: عباد بن شداد بن عبيد بن ثعلبة، شاعر جاهلي، تفرد بذكره السجستاني. انظر: السابق: ص ٤٠١
(٥) السابق: ص ٤٠٢

وسأَم أوس بن ربيعة[1] ليس ببعيد عن بؤس عباد بن شداد، حيث يقول[2]

لقد عُمِّرتُ حتى ملّ أهلي ثوائي فيهم، وسئمتُ عمري

وهذا الثواء الذي مله أهل الشاعر ينبئ عن فقدان القوة، والحاجة إلى الآخر، يُقرب هذا المعنى، ويؤكده، سنان بن وهب[3] في قوله[4].

لقدْ عُمِّرتُ حتّى صِرتُ كَلّا مُقيماً، لا أحُلُّ ولا أسيرُ

لعل سنان بن وهب أشار إلى سبب الملل والسأم الذي يبديه الآخر فينعكس على الشاعر، هذا السبب يلخصه قوله: (صرتُ كلاً لا أحل ولا أسير).

فالرهْن والثواء والإقامة واللّقى مفردات تدل على فقدان الحركة أو انحصارها في حيز ما، وفي ذلك أذى للشاعر ذاته ولمن حوله. وهذه الحركة الكلية مغايرة لحركة الشاعر التي كان عليها، ورضي بها الآخر، وبانعدامها، أو انعدام جزئها لم يعد الشاعر متصالحا مع ذاته ولا مجتمعه.

حركة الرمي:

ظهرت حركة الرمي والمراماة في أشعار المعمرين، وتلخصت هذه الحركة في انتصار الزمن على الشاعر، وظهور آثار هذا الانتصار على هيئة الشاعر التي تغيرت، وبدت كأنها مرمى لسهام الزمن المتوالية التي لا تتوقف حركتها، ولا ينتهي أمدها، وذلك بخلاف

(١) هو: أوس بن ربيعة بن كعب بن أمية، أحد المعمرين الجاهليين، ذكره السجستاني، انظر: السابق: ص ٣٠٤

(٢) السابق: ٣٠٥

(٣) هو: سنان بن وهب بن تيم الأدرم بن غالب بن فهر، تفرد السجستاني بذكره، انظر: السابق: ص ٣٦١

(٤) السابق: ص ٣٦٢

حركة الشاعر التي تعثرت في مرحلة ما من مراحل مقاومة الزمن ومدافعته.

وسويد بن خَذّاق[1] من الشعراء الذين اقتنصوا هذه الحركة، وجعلها السبب في ضعفه، حيث يقول[2]:

كبرتُ وطال العمرُ حتى كأنما رمى الدهر مني كلَّ عضوٍ فأهزَعَا[3]

ورمي الدهر في حركته الدائبة أتى على حركة الشاعر الكلية فأصاب كل عضو منه، وفي ذلك إشارة إلى الاستسلام من جهة، ومن جهة أخرى فقدان الحركة التي كانت تعينه على مراماة الزمن.

ويتأكد رمي الزمن إذا أتى في صورة القِرن الشجاع، الذي يتقدم ولا يهاب العدو، كتلك الصورة التي وظفها عوف بن دهر القرشي[4]، حيث يقول[5]:

أودى الشبابُ وحبُّ الطِّلَّةِ الخَبَلهْ وقد برئتُ وما في الصدر من قَلَبَه[6]

وقد تفلّل أنيابي وأدركني قِرْن علي شديدٌ فاحشُ الغلَبَه

وقد رماني بركنٍ لا كفاء له في المنكبين وفي الرجلين والرقبة

خصص الشاعر هنا حركة المنكبين والرجلين والرقبة، وهذا التخصيص يقابل

(١) هو: سُويد بن خَذَّاق من بني شن بن أفصى بن عبد القيس، ذكره السجستاني. انظر: السابق: ص ٣٦٣

(٢) السابق: ص٣٦٧

(٣) أهزعا: الأهزع: آخر ما يبقى في الكنانة من السهام

(٤) هو عوف بن دهر بن تيم الأدرم بن غالب بن فهر، شاعر جاهلي، ذكره السجستاني، انظر: ديوان الشعراء المعمرين، ص ٤٨٥

(٥) السابق: ص ٤٨٧

(٦) الطلة: الخمر، الخبلة: من الخبال. قلَبه: من القُلاب، والمعنى برئ قلبي من ودهم والعلاقة بهم.

التعميم عند الشاعر السابق (رمى الدهر مني كل عضو). وقد جاءت حركة الزمن هنا في هيئة القِرْن الشديد فاحش الغلبة، وفي هذه الصورة استسلام من الشاعر وانقياد لقوة الزمن، أكَّده قوله: (وقد رماني بركن لا كفاء له). وفي قوله: (تفلل أنيابي وأدركني) إشارة إلى مقاومة هذا القرن في السابق، هذه المقاومة بحاجة إلى حركة مستمرة تشبه حركة الزمن، ولا يمكن أن تكون إلا في مرحلة الشباب التي قال عنها: (أودى الشباب). وبانعدام هذه الحركة كانت الغلبة لهذا القِرْن الشديد الذي لا يعرف التوقف.

وإذا جاءت صورة الزمن على هيئة الرجل الشجاع؛ فإن صورة الشاعر جاءت على هيئة الفرخ الذي لا يملك من الحركة إلا اهتزاز الرأس، يقول عوف بن سبيع القضاعي[1]:

وما زالت الأيام ترمي صفاته وتغتالُه حتى تضعضع وانحنى
وصار كفرخ النسر يهتز جيده يرى دون شخص المرء شخصاً إذا رأى
وبُدِّل من طرف جوادٍ حشيةً ومن قوسه والرمح والصارم العصا[2]

انحناء الشاعر وتضعضعه، نتيجة حتمية لرمي الأيام، هذه الانحناءة تشبه انحناءة فرخ النسر(وعاد كفرخ النسر يهتز جيده)، والجامع بين الفرخ والشاعر هو الضعف في كل منهما. ولعل الشاعر في قوله: (ترمي صفاته، وتغتاله) ينظر للزمن بوصفه عدوا يمتلك القوة والقدرة التي جعلت الشاعر يتبدل من حال إلى حال؛ حتى في مقاومته للزمن ارتضى بالعصا بدل الرمح والقوس، والحشيَّة بدل الفرس الجواد، وفي ذلك تأكيد على فاعلية الزمن من جهة، وسكون الشاعر (الإنسان) من جهة ثانية. وفالج

(١) هو: عوف بن سُبيع بن عُميرة بن الهون بن قضاعة، انظر: ديوان الشعراء المعمرين، ص٤٨٨، ٤٨٩

(٢) الطِّرْف: الفرس الكريم، الحشية: المرْفَقة المحشوة بالصوف أو القطن

الأشجعي[1] من صنف الشعراء الذين تراموا مع الزمن، فكشف ضعفه، وقلة حركته في قوله[2]:

فلما رماني الدهر صرت رزِيَّةً لكل ضعيف الركن أكشفَ أعزلِ
فيا دهرُ قِدْما كنتُ صعْبا فلم تزل بِسهمِكَ ترمي كلَّ عظم ومفصل
فقد صرتُ بعد العزِّ أُغْضيْ مَذَلّةً على الهول والأزمانُ ذاتُ تنقّلِ

إذا كان الدهر دائم التنقل(الأزمان ذات تنقل)؛ فإن الشاعر فقد هذا التنقل وصار رزية لكل أعزل ضعيف، ومهاناً بعد عزة. ولعل البيت الأول من المقطعة يشير إلى حركة الرجل حيث يقول الشاعر في مطلع هذه المقطعة[3]:

أَلا رُبَّ أمْرٍ مُعضِلٍ قد ركَبْتُهُ بِثِنْتَيَّ فِعْلَ التَّيَّحان المضَلَّلِ[4]
فأقشعَ عنِّي لم يَضِرْني وربّما أجرَّ الفتى ما كان عنه بمعزِلِ
وقد كنتُ ذا بأْوٍ على الناس مَرَّةً إذا جئتُ أمرا جِئْتُه الدهرَ من عَلِ[5]

إن هذه الحركة (قد ركبته بثنتيَّ) قرينة القوة والكبرياء، وبفقدانها فقد الشاعر كبرياءه وقوته، وانقاد للزمن مستسلما.

(١) خو: فالجُ بن خَلَاوة بن سُبيع بن بكر، شاعر جاهلي، ذكره السجستاني. ديوان المعمرين، ص ٤٩٠

(٢) السابق: ص٤٩١

(٣) السابق: ص٤٩١

(٤) ثنتي: كأنه يعني رجليه. التَّيَّحَان: الفرس يعترض في مشيه نشاطا ويميل على قطريه، ورَجُلٌ مُتَيَّح: يَعرِضُ في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه

(٥) البأو: العظمة والكبر.

حركة الطائر:

الشاعر القديم في مسيرته، تأمل المصير في كل حركة تشبه حركته، وفي كل سكون يشبه سكونه، وفي كل قوة تشبه قوته، تأمل قوة الناقة التي يرحل عليها، وطول عمر النسر، وضعف الفرخ، وسرعة الفرس، وغيرها من الحركات التي ألفها أيام شبابه، واستذكرها أيام مشيبه. ولعل حركة الطائر لفتت انتباه بعض المعمرين، فانتبه لتلك الحركة التي توحي بالضعف خاصة. " يبدو أن الجاهليين قد ربطوا الطير بما يخافون من وقوعه، ولهذا كان عندهم قريناً للموت وللمجهول والحظ... [(١)]".

وصورة النسر– تلك التي ترمز للقوة في الشعر الجاهلي – وُظفت في أشعار المعمرين توظيفاً مغايراً، حيث بدا النسر مأموراً لا آمرا، يقول عمرو بن حممة الدوسي[(٢)]:

كبِرْتُ وطال العمر حتى كأنني سليمُ أفاعٍ ليلُه غيرُ مُودَع
فما الموتُ أفناني ولكن تتابعت علي سِنونَ من مَصيفٍ ومَربَع
وأصبحتُ مثل النسر طارت فراخُه إذا رام تطياراً يقُلْن له قَعِ
أُخبّر أخبار القرون التي مضت ولا بدّ يوما أن يُطار بمصرعي

"يبدو أن الحياة كانت في عرف الجاهلي لا تستقر على حال واحدة... لقد صورها الشاعر في موقفين متناقضين: أولهما، موقف القوة المؤدي للحياة، وثانيهما،

(١) الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، الرباعي، عبدالقادر أحمد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٨، ع ٢٩، ت١٩٨٨م، ص ١٣٦

(٢) هو: عمرو بن حُمَمَة بن الحارث بن رافع بن سعد بن ثعلبة، أحد حكام العرب وأحد المعمرين في الجاهلية، ذكره السدستاني. انظر: ديوان الشعراء المعمرين، ص٤٧٣، –٤٧٦

موقف العجز الموصل للهلاك، كيف حدث هذا؟ إن الانتقال من الضد إلى الضد أي من القوة إلى الضعف استدعى قصة أو بان من خلال قصة..."[1]. إن هذه القصة الموجزة للنسر وفراخه تصور الانتقال من القوة إلى الضعف، هذا الانتقال لم يصب الشاعر وحده بل أصاب من هو أقوى منه وهو النسر، ولعل هذه الإشارة السريعة إلى النسر تفسر ارتباط الإنسان بالطير أو الطير بالإنسان " لقد ارتبط الطير –بشكل عام– في الشعر الجاهلي ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات دينية غيبية بعيدة الجذور. وقد كان الإنسان ومصيره قطب هذه المعتقدات وأساسها الذي ترتد إليه... فالإنسان في خوفه من الموت وفي شنه الحرب وتشاؤمه كان يستذكر الطير، ويستدعي منه أحوالاً وصوراً مناسبة لكل مقام... [2]"، والنسر في هذه الحال يتناسب مع حال المعمرين، وقد مر بنا قول عوف بن سبيع القضاعي [3]:

وصار كفرخ النسر يهتز جيده يرى دون شخص المرء شخصا إذا رأى

وليس ببعيد عن حال النسر حال فرخه الذي لا يمتلك الحركة التي تؤهله للطيران، وصورة الفرخ عموما وردت في أشعار المعمرين، في دلالة على الضعف والحاجة للآخر، يقول عميرة بن هاجر الخزاعي [4]:

بَليتُ وأفناني الزمانُ وأصبحت هُنيدة قد أنضيتُ من بعدها عشرا

(١) الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي، الرباعي، عبد القادر أحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج ١٠، ع ٣١، ت ١٩٨٦م، ص٩٦

(٢) النسر في الشعر الجاهلي: دراسة في ضوء علم الميثولوجي، الدغيش حمود، حوليات عين شمس، مج ٣٩، ت٢٠١١م، ص ١٠٧-١٠٨

(٣) ديوان الشعراء المعمرين، ص ٤٨٩

(٤) هو: عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزبن ذكره السجستاني. السابق: ص ٤٨٢- ٤٨٤

وأصبحتُ مثل الفرخ لا أنا ميت فأسلى ولا حي فأُصدر لي أمْرا
وقد كنتُ دهراً أهزم الجيش واحداً وأُعطي، فلا منَّاً عطائي ولا نَزْرا

في قوله: (أهزم الجيش واحدا) امتلاك للحركة التي تجعله مستغنياً عن غيره، وفي قوله: (مثل الفرخ لا أنا ميت...) افتقاد للحركة التي تجعله معتمداً على غيره. وينتمي امتلاك الحركة للماضي (كنت) وينتمي افتقادها للحاضر (أصبحت).

ومَصَاد بن جنَّاب [1] أصابه ما أصاب غيره من تغير وتبدل فقال في هذا المعنى[2]:

ما رغبتي في آخر العيش بعدما أكونُ رقيبَ البيت لا أتغيَّبُ
إذا ما أردتُ أن أقومَ لحاجة يقول رقيبٌ حافظٌ: أين تذهب
فيرجِعُهُ المرْمَى به عن سبيله كما رُدّ فرخ الطائر المتربّبُ[3]

في قوله: أين تذهب؟ استفهام يُدل على قسوة الرقيب حتى في خطابه. ولعل في اختيار الفعل (تذهب) حنين لتلك الحركة الحرة غير المقيدة برقيب؛ إنها حركة الماضي بكل صوره الباهية، دل على ذلك قوله: (ما رغبتي في آخر العيش...) وآخر العيش يصور حركة الحاضر التي جاءت في صورة الفرخ المربَّى. وفي ذلك موازنة بين حالة الفرخ وحالة الشاعر مع الرقيب عليهما، والرجوع لكليهما يشير إلى محدودية الحركة وانحصارها في جهة ما." إن الإنسان يكون أكثر إحساسًا حين يدرك أن تغيراً ما قد طرأ على حياته، وأن الزمن يتقلب به من حال إلى حال، ويتأرجح به بين

(١) هو: مصَاد بن جَناب بن مُرارة من بني عمرو بن يربوع، ذكره السجستاني. السابق: ص٥٤٠
(٢) السابق: ص٥٤١
(٣) المتربب: الذي يُربَّب بمعنى: يُربّى

الامتلاك والتحقق والامتلاء واللذة والسعادة من ناحية، والخواء والانتقاص والاستلاب والألم والشقاء من ناحية أخرى. ولكن تتضاعف حدة هذا الإحساس بالزمن عندما يكون التغير نحو الأسوء."[1] كما هو حال الشعراء المعمرين

وفي تتبعي للحركة في أشعار المعمرين تبين لي أنها هي المحرك الرئيس لبنية النص في مفتتحه ومنتهاه، وعليها يتكئ الشاعر في رؤيته، وبها –وحدها– تنتظم هذه الرؤية.

(١) عبيدات، حسين محمود، الخوف في الشعر الأموي، ٢٠١٣م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ص١٢٧

المبحث الثاني: بنية الحركة العميقة

تبدو هذه البنية في استنطاق العلاقات الداخلية للنص أيا كانت هذه العلاقات (صوتية– نحوية– صرفية– دلالية)، والكشف عن ظلال هذه العلاقات في الخارج. "إن اللغة كنمط رئيسي في الاتصال الإنساني، تُبطّن عددا كبيرا آخر من نظم التقاليد الاجتماعية: العرف الاجتماعي، الطقوس، العقيدة، ثم الفنون..."(١)

ولذلك تنظر الدراسات البنيوية للنص الأدبي بوصفه وحدة عضوية حية، مترابط الأجزاء، يتصل كل جزء بسابقه ولاحقه، ويسير النص في اتجاه واحد، ويؤدي إلى غاية واحدة (٢). هذا الترابط لا يغفل علاقات النص الداخلية بالخارج الذي ينتمي إليه الشاعر ويتأثر به وربما يؤثر فيه؛ فالمعمر في نظر الآخر صار كلّاً ورهينة، وساكنا، وربما عبئا على أقرب الناس، وهذه الصيرورة تبرز جانباً قد لا تكفي الحركة وحدها في إبرازه كاستلاب الحركة بعد امتلاكها، واستسلام الروح بعد مقاومتها، والمغايرة لطبيعة الحياة بعد موافقتها، والعجز بعد الاستطاعة، والسكون بعد القدرة على التنقل، وحضور الآخر بوصفه معيناً بعد الاستغناء عنه.

وسأقف على ثلاث مقطعات، تُقرِّب هذه الرؤية، وتبرهن عليها.

المقطعة الأولى: تدور حول (**الإنسان والزمن**) وجاءت في خمسة أبيات، وهي لأنس بن مدرك الخثعمي، حيث يقول (٣):

إذا ما امْرؤٌ عاشَ الهُنيدةَ سالماً وخمسين عاماً بعد ذاك وأرْبَعَا

تبدّل مُرُّ العيش من بعد حُلْوه وأوشكَ أن يبلى وأن يتسعْسَعا

(١) جونسون، بارتون، ترجمة البحراوي سيد، دراسة يوري لوتمان البنيوية للشعر، معهد الإنماء العربي، مج٤، ع٢٥، ت١٩٨٢، ص ١٤٧

(٢) انظر: بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، ط١، دار المناهل، لبنان، ت ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٩م، ص ٢٨٣

(٣) ديوان الشعراء المعمرين، ٢٩٨، ٢٩٩

ويأذى به الأدْنى ويرضى به العِدا إذا صار مثلَ الرأي أحْدَبَ أخْضَعا

رَهينةَ قَعْرِ البيتِ ليس يَرِيمُهُ لَقَىً ثاوِياً لا يبرحُ المِهْدَ مضجَعا

يُخَبِّرُ عمَّنْ ماتَ حتى كأنَّما رأى الصَّعْبَ ذا القرْنينِ أوْ راءَ تُبَّعا

إن المتلقي لهذه المقطعة الشعرية لا يخفى عليه هذا التقرير العام الذي ساقه الشاعر عن حالة المعمر. هذا التقرير اتكأ على اللحظة الحاضرة للإنسان، التي تبرز في السكون، واللحظة الحاضرة للزمن، التي تبرز في الحركة. وسكون الشاعر (الإنسان) هو نتيجة حتمية لحركة الزمن، إذ كان الإنسان يمتلك حركة قريبة من حركة الزمن، هذ الحركة تنتمي للزمن الماضي الذي تبدل (تبدل مر العيش من بعد حلوه)، والمذاق الطيب من تبعات هذه الحركة التي تبدلت (حركة الماضي)، والمذاق المر من تبعات السكون الحادث.

وقد أكد الشاعر تقريره ببعض الأدلة التي تصور هذا السكون الحادث، وهي أدلة تسير في طريقين متصلين ببعضهما، أولهما طريق الشاعر، وثانيهما طريق الآخر، والآخر إما أن يكون قريباً أو عدواً، فالقريب تأذى بسكون الشاعر، والعدو رضي بهذا السكون.

والطريق الذي يتصل بالشاعر طريق ملئ بالسكون حيث بدا الشاعر فيه، لقىً، ثاوياً، لا يبرح مكانه كأنه أسير لقعر بيته.

وخلاصة هذا التقرير انعدام الحركة– (حركة الإنسان) باستثناء، تلك الحركة القولية التي أشار إليها الشاعر بقوله: (يخبرِّ)، ويظهر فيها الملل الذي أصاب الشاعر؛ حيث فقد كل شيء إلا هذه الحركة القولية التي تتصل بالموت والفناء. – واستمرار الحركة (حركة الزمن)، وباستمرار هذه الحركة تسكن الحركة السابقة، فبها (يتبدل ويتسعسع، ويبلى) الإنسان.

والمقطعة الثانية: تدور حول (**الماضي والحاضر**)، وقد جاءت في ثلاثة أبيات، وهي للحارث بن حبيب الباهلي، حيث يقول[1]:

(١) ديوان الشعراء المعمرين، ص ٣٢٣

ألا هل شبابٌ يُشترى بِعجيبِ بألف قلوص أو بألف نجيبِ
وهل من شباب يُشترى بعد كبرة يُدَلّ عليه الحارث بن حبيبِ
فَمَنْ لاسْوداد الرأس بعد ابيضاضه ومن لقوام الصلب بعد دبيب

ظهرت فاعلية الثنائية الضدية بين الماضي والحاضر عن طريق حركة القلوص التي وظفها الشاعر وجعلها فداء لحركته التي لن تعود. والناقة القلوص: هي الفتية من الإبل. والنجيب من الإبل: القوي والخفيف والسريع، هذه الأوصاف تتصل اتصالاً مباشراً بالحركة التي افتقدها الشاعر؛ فصاح مستفهما (ألا هل)، ولعل هذه الصيحة خفَّت قليلاً في بيت الشاعر الثاني، حيث جاءت بدون (ألا) التنبيهية، ولا مجيب لهذه التساؤلات مهما كان الثمن.

لا أحد يستطيع ذلك سوى الزمن الذي يمتلك الحركة الدائبة. وهذا الدبيب شيء حادث على الشاعر لم يكن مألوفاً في زمن القوة (زمن الشباب)، والذي يقابل هذا الدبيب تلك القوة التي افتقدها الشاعر في هيئته، فلم يجدها؛ وتأملها في هيئة القلوص النجيبة فوجدها، وإن امتلك آلاف من هذه القلوص النجيبة؛ فإنها لن ترد له حركته المفقودة، ولن تكون عوضاً لشبابه الراحل.

والمُقطعة الثالثة: تدور حول "**المقاومة والاستسلام**" وقد جاءت في خمسة أبيات لعوف بن سُبيع القضاعي، حيث يقول[1]:

أَلَا هل لمن أجرى ثمانين حِجَّةً إلى مئةٍ عيشٌ وقدْ بلَغَ المدَى
وما زالت الأيامُ ترمي صفاته وتغتالُه حتى تضعْضع وانْحنى

(١) ديوان الشعراء المعمرين، ٤٨٩

وصار كفرخ النسر يهتز جيدُه يرى دون شخص المرء شخصاً إذا رأى

وبُدِّل من طرْف جواد حشيةً ومن قوسه والرمح والصارم العصا

وإنِّي رأيتُ المرءَ يظْعنُ جارَهُ لِنيَّتِهِ لا بُدَّ يومَاً وإنْ ثوى

إن التغير الذي طرأ على الشاعر بدا ظاهراً في هيئته التي تفتقد للقوة والقدرة، فالأيام التي كانت مليئة به، أو هو مليء بها، رمَت صفاته، وأحنت ظهره، واغتالت حركته.

وحركة الشاعر تشبه حركة فرخ النسر في اهتزاز جيده، وفي ذلك دليل على ضعفه واستسلامه لحركة الزمن من جهة، وحاجته للأخر من جهة أخرى.

ولم يكتف الشاعر بذلك بل أضاف صورة أخرى مليئة بالحركة المفقودة، حيث كان يمتطي جواده، ويحمل رمحه، ويرمي بقوسه، وُبُدِّل ذلك بالحشية والعصا، وشتان بين الحامل والمحمول في الصورتين. وختم الشاعر مُقطعته باعتراف مؤكد –لا يشوبه شك– بالنهاية الحتمية، وهي الفناء.

وبين خاتمة المقطة ومفتتحها إجابة عن (ألا هل لمن أجرى ثمانين حجة ... عيش؟)

وإذا كان العيش بحاجة إلى الحركة؛ فإن حركة الأيام قد قضت على هذه الحركة التي تمتع بها الشاعر زمناً (وما زالت الأيام ترمي صفاته). ولهذا استسلم الشاعر؛ لإيمانه بانتهاء زمن المقاومة الذي يعتمد على الحركة وحدها، وتلك الحركة لم تعد حاضرة سوى في ذاكرته.

والمقطعات الثلاث السابقة كلها تشير إلى الماضي بوصفه (نموذجا) للكمال؛ ففي الأولى: (فبُدل مر العيش من بعد حلوه) وفي الثانية: (ومن لِقوام الصلب بعد دبيب) وفي الثالثة:(وبُدِّل من طرف...) يقول أدونيس: " الزمن في الشعر العربي القديم هو حركة ابتعاد مستمر عن الأصل –الماضي– وليس الحاضر والمستقبل إلا انحطاطا عن النموذج الأصلي الذي هو الماضي، لهذا كان دور الشاعر هو أن يملأ الحاضر والمستقبل، بما يرتفع بهما إلى مستوى الماضي – الأصل–، وكان التقدم

بالنسبة إليه هو التشبه بالماضي. الكمال الكلي وجد في الماضي، ولن يكون هناك في الحاضر أو المستقبل كمال يضاهيه [1]."

وإذا كان الزمن يمتلك حركة الابتعاد؛ فإن الشاعر يتأثر بتلك الحركة، ويفقد بسببها حركته التي تميزَ بها زمنه الماضي –الأصل–.

(١) أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، ١٩٧٣م، ط٣، دار الثقافة بيروت، ص١٢٩

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة الحركة في أشعار المعمرين بوصفها القاعدة التي بُنيت عليها مُقطّعاتهم الشعرية، وجاءت هذه الدراسة في مبحثين متعاضدين:

المبحث الأول: تناول بنية الحركة السطحية التي خصصها الشعراء بالذكر، وقد وردتْ هذه الحركة خاصة وعامة، والخاصة تلك التي تتناول حركة عضو من الأعضاء، كحركة الرِّجْل واليد والصلْب، والعامة تلك التي تتناول حركة الجسد عموماً، وتُصوِّرُ هيئته.

وعضَّد الشاعر رؤيته في هذا المسار بتصوير الحركة فوظّف حركة الرمي، وحركة الطير، وحركة الصائد.

والمبحث الثاني: تناول بنية الحركة العميقة، تلك البنية التي ربطتْ بين حركتين مختلفتين وهما حركة الزمن (الذي يمتلك القوة الدائمة)، وحركة الإنسان (الذي يفتقد القوة الأبدية)، وأظهر الشاعر انتصار الحركة الأولى، وهزيمة الحركة الثانية حيث أصابها التَّبدّل والتغير؛ ولأجل هذا التغير الحادث ملَّ الشاعرَ الأقربون، وصار هزْءاً للضعيف، وغنيمة باردة للعدو. وقد جاء عنصر الحركة الجزئية والكلية بوصفه العنصر الأهم في بنية هذه المقطعات التي كثرت في أشعار المعمرين.

أهم النتائج:

ميل هذه أشعار الحركة إلى القِصَر، وابتعادها – في الغالب– عن الطول، فهي أقرب إلى المقطعات الشعرية، منها إلى القصائد. وفي ذلك تأكيد على أن" المقطعات متواصلة الوشائج مع الفطرة الشعرية التي تقوم على النبض الشعوري المثار بحوادث اجتماعية أو فردية، ونتيجة للانصهار في بوتقة الشعور.. [(١)]"

(١) العطوي، مسعد عيد، المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة التوبة، ص٧١

الابتعاد –في الغالب– عن لغة المجاز، والاقتراب من اللغة العادية الواضحة –لغة التقرير– ولعل في ذلك إشارة إلى ارتحال هذه المقطعات، أو انتحالها، نظراً لتشابه كثير منها في التركيب والبنية.

انطلاق جل هذه المقطعات من الحاضر واتجاهها إلى الماضي، وفي ذلك موازنة سريعة بين زمنين، تنطفئ الحركة في الأول، وتتوقد في الثاني.

الاعتراف بقوة الزمن الذي يمتلك ديمومة الحركة، ولا يمل من السير، وبضعف الإنسان الذي تتوقف حركته في فترة ما، ويمل من البقاء.

برزت حركة الزمن في قوته التي جاءت في صورة (الرمي، الفناء، التصرف، الانحناء، والخبطة، والتبدل)

برزت حركة الإنسان في ضعفه، الذي جاء في صورة (الرهينة، والثواء، والقيد، الرعشة، والشلل، وتغير الهيئة). وأدّى ذلك إلى ملل الآخر وتذمره من المعمر الذي لا يبرح مكانه.

المصادر والمراجع:

ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.

أبو ديب، كمال، الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، مصر، الهيئة المصرية.

أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، ١٩٧٣م، ط٣، دار الثقافة بيروت.

باتسون، ماري كاترين، الاطراد البنيوي في الشعر: دراسة لغوية لخمس قصائد جاهلية، الهيئة المصرية العمة للكتاب، نقلا عن مجلة فصول، مجد ٤، ع.٢

بسج، أحمد حسن، شرح ديوان ذي الرمة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ت١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

بكار، يوسف، بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، ط١، دار المناهل، لبنان، ت ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م.

جماح علي ناصر عبدالله، مظاهر الغربة الزمانية في شعر المعمرين، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، مج ٣٤، ع ٦٧، ٦٨، ت٢٠٠٩م.

جونسون، بارتون، ترجمة البحراوي سيد، دراسة يوري لوتمان البنيوية للشعر، معهد الإنماء العربي، مج٤، ع٢٥، ت١٩٨٢.

الجوهري، إسماعيل حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة الرابعة

جي، سائر بصمة، تطور مفهوم الحركة عند علماء العرب بين القرنين الثالث والسادس للهجرة/التاسع والثاني عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، سوريا، ت ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

حالو، شمس الإسلام أحمد، ديوان الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية، إلى نهاية العصر الأموي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى ت ٢٠١٠م.

الدغيش حمود، النسر في الشعر الجاهلي: دراسة في ضوء علم الميثولوجي، حوليات عين شمس، مج ٣٩، ت٢٠١١م.

الرباعي، عبد القادر أحمد، الطير وعالمه الحيواني في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مج ١٠، ع ٣١، ت ١٩٨٦م.

الرباعي، عبدالقادر أحمد، الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج ٨، ع ٢٩.

السديس، محمد بن سليمان، الأسر في الشعر حتى آخر العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلس العلمي، مج ١٢، ع ٤٥، ت١٩٩٣م.

سويدان، سامي، في النص الشعري العربي مقاربات منهجية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، دار الآداب بيروت.

عبيدات، حسين محمود، الخوف في الشعر الأموي، ٢٠١٣م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك.

العطوي، مسعد عيد، المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة التوبة.

Bibliography

Abu Deeb, Kamal, **Persuasive Visions towards a Structural Approach in the Study of Pre-Islamic Poetry**, (in Arabic). Egypt, The Egyptian Authority**.**

Adonis, Ali Ahmad Saʿeed. "**Introduction to Arabic Poetry**" (in Arabic), 1973, 3rd Edition, House of Culture, Beirut**.**

Al- Rubāʿī, ʿAbd al-Qadir Ahmad, **The Bird and Belief in Pre-Islamic Poetry**, (in Arabic). The Arab Journal of Human Sciences, Kuwait University, Volume 8, p. 29**.**

Al-Atwi, Massad Eid, Poetic Segments in the Pre-Islam **•Ibn Manzour, Muhammad Makram, Lisān Al-ʿArab, Beirut, Dār Sadir, first edition.**

Al-Daghish Hammoud, **The Eagle in Pre-Islamic Poetry: A Study in the Light of Mythology**, (in Arabic) Ḥawliyāt of Ain Shams, Volume 39, 2011**.**

Al-Jawhari, Ismail Hammad, **Al-Sihāh Tāj Al-Lughah wa Sihāh Al-ʿArabiya**, investigated by: Ahmad ʿAbd al-Ghafour ʿAttar, Beirut, Dār Al-Ilm for Millions, 1407 AH-1987, fourth edition.

Al-Rubāʿī, ʿAbd al-Qadir Ahmad, **The Bird and its Animal World in Pre-Islamic Poetry**, (in Arabic) Journal of the Jordanian Arabic Language Academy, Vol. 10, p. 31, d. 1986**.**

Al-Sudais, Muhammad bin Suleiman, **Refugee in Poetry Until the End of the Umayyad Era**, (in Arabic), The Arab Journal of Human Sciences, Kuwait University, The Scientific Council, Vol. 12, p. 45, d. 1993**.**

Bakkar, Yousuf, **Building the Poem in Old Arabic Criticism (in Light of Modern Criticism)**, 1st ed., Dār Al-Manahil, Lebanon, d. 1429 AH – 2009**.**

Basj, Ahmad Hasan, **Sharh Diwān Dhi Al-Ruma**, Dār Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, first edition, 1415 AH-1995**.**

Bateson, Mary Catherine, **Structural Progress in Poetry: A Linguistic Study of Five Pre-Islamic Poems**, (in Arabic). The Egyptian General Organization for Books, quoting from Fosoul Magazine, Majd 4, p.2

Halo, Shams Al-Islam Ahmad, **Dīwān al-shu'arā' al-Mu'ammirīn Akhbāruhum wa-Ash'āruhum fī al-Jāhilīyah, ilá Nihāyat al-'Aṣr al-Umawī**, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, first edition, 2010**.**

ic Period and Early Islam, (in Arabic). Al-Tawbah Library.

Jamah ʿAli Nasir ʿAbdullah, **Manifestations of Temporal Alienation**

in the Poetry of the Perennials, Madinah Literary and Cultural Club, Vol. 34, v. 67, 68, d. 2009**.**

Ji, Saer Basma, **The Evolution of the Concept of Motion among Arab Scholars between the Third and Sixth Centuries of Hijrah / the Ninth and Twelfth Century of Hijrah**., Ph.D. Thesis, Aleppo University, Syria, 1434 AH - 2013**.**

Johnson, Barton, **introduction of Bahrawi Sayyid, Yuri Lotman's structural study of poetry**, (in Arabic). Institute of Arab Development, Vol. 4, p. 25, d. 1982**.**

Obeidat, **Husain Mahmoud, Fear in Umayyad Poetry**, (in Arabic). 2013, Ph.D. Thesis, College of Arts, Yarmouk University**.**

Suwaidan, Sami, **in the Arabic poetic text, methodological approaches,** (in Arabic) first edition, 1989, Dār Al-Adab, Beirut**.**

الاستطراد السردي

عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي

كتاب: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء أنموذجًا

Narrative Digression of the Popular Saudi Traveler Muhammad Bin Nasser Al-Aboudi; The Book Titled: "From Belarus to Red Russia" As Case Study

د. فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي

أستاذ مشارك بجامعة الباحة بكلية العلوم والآداب بالمخواة

بقسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: Flm2010@hotmail.com

المستخلص

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده، أما بعد.

فيُعد الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي من أبرز الرحالين في الزمن المعاصر، ولم يبلغ أحد من الرحالين ما بلغ ـ على حد علم الباحث ـ من حيث إثراء المكتبة العربية بمصنَّفاته التي بلغت (١٤١) كتابًا مطبوعًا في أدب الرحلة، و(٣٦) مخطوطًا في هذا الفن، وقد رأى الباحث أن السمة الأسلوبية الأبرز في سرده ذلك الاستطراد البديع الذي أصبح ظاهرة عنده تستحق الدراسة والعناية، ولكثرة مصنَّفات العبودي؛ فقد اخترت كتاب "من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء" أنموذجًا، ووسمت هذه الدراسة بعنوان:

الاستطراد السردي عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي كتاب من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء أنموذجًا.

وتناولت الدراسة دوافع الاستطراد السردي عند العبودي، وأنواع الاستطراد السردي، والاستطراد بين الواقعية والتخييلية، ثم خاتمة شملت نتائج البحث، وكان من أهم تلك النتائج مجيء استطرادات العبودي من حيث الشكل على نوعين؛ أحدهما: الاسترجاع الفني أو ما يُسمَّى الارتداد، والآخر الخروج أو الانتقال، كما جاءت استرجاعاته الفنية على نوعين: واقعي تسجيلي، وتخييلي ذاتي، وقد أعطى الاستطراد التخييلي عند العبودي أدب الرحلة مسحة فنية أعلت من شأن الجانب الذاتي في السرد، ومنحته قيمة أدبية، وظهر في استطرادات العبودي لطافة وظرافة من أسبابها المراس والدربة التي اكتسبها بسبب كثرة مصنفاته.

ثم خُتم البحث بثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الاستطراد – السرد – الرحلة – العبودي.

Abstract

The popular Saudi traveler, Muhammad bin Nasser Al-Aboudi, is considered one of the most prominent travelers in contemporary times. In the researcher's opinion, none of the travelers reached what he reached in terms of enriching the Arabic library with his works, which amounted to (141) printed books in travel literature, and (36) manuscripts in this art. The researcher opined that the most prominent stylistic feature in his narration is the wonderful elaborateness, which has become an apparent phenomenon in his works and it deserves being studied. And because of the large number of Al- 'Aboudi's works, the researcher chose the book "From Belarus to Red Russia" as case study, and the study was titled:

Narrative Elaborateness of the Popular Saudi Traveler Muhammad Bin Nasser Al-Aboudi; The Book of "From Belarus to Red Russia" As Case Study.

The study discussed the motives behind Al-Aboudi's narrative digression, and the types of narrative digression, and digression between realism and imaginary, then a conclusion which consists the findings of the research. One of the most important of these findings was that Al-Aboudi's digressions in terms of form came in two types; One is technical retrieval or regression, and the other is exit or transition. His artistic recalls were of two types: realistic documentary, and self-imaginative. Al-Aboudi's imaginative digression gave the travel literature an artistic feature that elevated the subjective aspect of the narration, and gave it a literary value. In Al-Aboudi's digressions, a kindness and humility surfaced due to the expertise and the experience he had acquired due to the large number of his works.

Then the research was concluded by confirming the sources and references.

Keywords: Digression - narration - journey – Al- 'Aboudi.

المقدمة

الحمد لله، وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

فإن النثر في أدبنا العربي ثري ومتنوع، وله خصائصه التي تتفاوت من عصر إلى آخر، ومن إقليم إلى إقليم، وعند النظر إلى النثر يتضح جليًّا أنه لم يأخذ حقه من العناية والدراسة قياسًا بالشعر، ومن أقوى الأسباب علو كعب الشعر في الذهنية العربية؛ لما فيه من الموسيقا المطربة، والتصوير الآسر، وقد عرف الناثر للشعر قيمته؛ فعمد إلى تطعيم نثره بشيء من الشعر؛ حتى لا يشعر المتلقي بالملل والرتابة، وهذا اعتراف من الناثر بعلو مكانة الشعر، وإن لم يصرح بذلك.

وإن من الفنون النثرية التي تأخرت فيها الدراسات الحديثة أدب الرحلة، وهو شكل أدبي قابل للتغيير والتشكيل في أي زمان ومكان، ولا شك أن أدب الرحلة يتداخل مع عدد من الفنون الأخرى كالقصة، والسيرة الذاتية، والتراجم، والتأريخ، والجغرافيا، وغيرها، ومن أبرز الظواهر الأسلوبية في سردية أدب الرحلة ظاهرة الاستطراد التي تُعد ـ في نظر الباحث ـ لازمة من لوازم أدب الرحلة، وقد ظهرت هذه الظاهرة جلية في مصنفات الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي الذي رفد المكتبات السعودية والعربية والعالمية بالعديد من المؤلفات في هذا الفن، وقد عزم الباحث على تناول هذه الظاهرة، ودراستها في كتاب: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء، وجاء عنوان الدراسة:

الاستطراد السردي عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي

كتاب: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء أنموذجًا.

أهميّة الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تعالج ظاهرة أسلوبية في أدب رحالة سعودي بلغ في هذا الفن ما لم يبلغه غيره؛ حتى لُقِّب بعميد الرحالين، إذ بدأت رحلاته من ثمانينات القرن الرابع عشر الهجري، وامتدت حتى قاربت نصف

قرن من الزمن.

أسباب اختيار الموضوع:

- العناية بالأدب السعودي؛ وخاصة أدب الرحلة الذي لم يُعط حقه من الاهتمام قياسًا بالأجناس الأدبية الأخرى.
- إعطاء المميزين والأعلام في الأدب السعودي حقهم من الدراسة والاهتمام.

منهج الدِّراسة:

عمد الباحث إلى ضرب من الاستقراء، والوصف الضروريين؛ للوقوف على ظاهرة الاستطراد السردي عند العبودي، والاتكاء على المنهج الوصفي التحليلي.

حدود الدراسة:

اختصت الدراسة بالحديث عن كتاب: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (مشاهدات وأحاديث)، محمد بن ناصر العبودي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م.

الدراسات السابقة:

لم تعتنِ الدراسات السابقة بأسلوب الاستطراد عند الرحالة السعودي محمد بن ناصر العبودي؛ بل جاء الحديث عن أدب الرحلة، وأعلامه بصورة عامة، ومنها:

١- عميد الرحالين محمد بن ناصر العبودي، حياته، إسهاماته، جهوده؛ لمحمد بن عبد الله بن إبراهيم المشوح.

٢- الرحلات، وأعلامها في الأدب السعودي؛ لمحمود سليمان الردادي.

٣- أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية؛ لعبد الله بن أحمد حامد آل حمادي.

٤- علماء ومفكرون عرفتهم؛ محمد المجذوب.

٥- الشيخ العلامة الأديب الرحالة محمد بن ناصر العبودي؛ لمحمد بن أحمد سيد.

٦- دراسات ومقالات عن معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي؛ لمحمد بن عبد الله المشوح.

٧- والدي معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي العالم الموسوعي؛ لشريفة العبودي.

٨- لطائف من رحلات الرحالة محمد بن ناصر العبودي؛ لعبد العزيز بن سعود العويد.

٩- أدبية الرحلة عند العبودي؛ رحلاته إلى البرازيل أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، من إعداد الطالب: عمران محمد الأحمد، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ، وهذه الدراسة هي أقرب الدراسات إلى موضوع دراستي هذه، وقد تعرَّضت لسمات ومهام السارد والقارئ في أحد فصولها، ولكنها لم تولِ الاستطراد عناية مثل هذه الدراسة.

هيكل الدراسة:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، وحدودها، والدراسات السابقة.

التمهيد: وقد تحدَّث الباحث فيه عن:

- التعريف بالمؤلف، وكتابه.
- تعريف أدب الرحلة.
- تعريف الاستطراد.
- تعريف السرد.

المبحث الأول: دوافع الاستطراد السردي عند العبودي.

المبحث الثاني: أنواع الاستطراد السردي عند العبودي.

المبحث الثالث: الاستطراد بين الواقعية والتخييلية عند العبودي.

ثم عُقدت خاتمة شملت النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد

أدب الرحلة أدب قديم، وإن لم يسمَّ بهذه التسمية في زمنه، ويعود هذا الجنس الأدبي إلى قدم الوعي الإنساني بهذه الرحلة؛ فعندما خرج الإنسان في أسفاره، أو شطت به النوى، أو خرج إلى الصيد برًّا، أو بحرًا؛ عاد يقص على من حوله ما رآه، وما عايشه، واصفًا مغامراته، والمواقف التي تعرض لها، وهي مواقف تدور حول ذاته؛ وتجعل منه بطلًا لهذه القصة، ومن أبرز التقنيات السردية في أدب الرحلة الاستطراد؛ بسبب ما يتعرض له الراوي (البطل) من المشاهد، والمواقف المتنوعة التي لا يحدد نوعها إلا ما يعرض له في طريقه، وقد يكون بينها رابط يربطها، وقد لا يكون هناك رابط، ولكل راوٍ طريقته، وأسلوبه الخاص في سرد الأحداث بحسب ما يمتلك من مخزون لغوي، ومخزون ثقافي، ومخزون معرفي، وإن طبيعة هذا البحث تستوجب على الباحث أن يبدأ بتمهيد فيه يشمل التعريف بالمؤلف، وكتابه، والتعريف بأدب الرحلة السعودي، والتعريف بالاستطراد، ثم التعريف بالسرد.

التعريف بالمؤلف، وكتابه.

هو محمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبود ثم حُلِّي الاسم بال، وأضيفت الياء إلى عبود؛ فصار العبودي، المولود بمدينة بريدة بالقصيم عام ١٣٤٥هـ، تلقى تعليمه الأولي بالكُتَّاب، ثم بالمسجد على أيدي كبار العلماء، وعُيِّن مديرًا للمدرسة المنصورية ببريدة، ثم مديرًا للمعهد العلمي ببريدة عام ١٣٧٢م، ومديرًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٠م، ثم نُقل إلى الأمانة العامة للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٠م، ثم عُيِّن في منصب الأمين العام المساعد لرابطة العام الإسلامي عام ١٤٠٠هـ.

قام بعدة رحلات حول العالم في سبيل الدعوة الإسلامية[(١)]، وقد بلغت مؤلفاته المطبوعة (٢٠٧)كتب، منها (١٤١) كتابًا في أدب الرحلة، أما المخطوطة فقد بلغت (١٠٠) كتاب، منها(٤٦) في أدب الرحلة[(٢)]، والعبودي داعية، ومؤرخ، وقاص، وروائي، ولغوي، وأديب، وشاعر، وقد كُرِّم العبودي، ونال ميدالية الاستحقاق في الأدب، وكُرِّم في بعض الأندية، والصوالين الأدبية؛ كنادي القصيم الأدبي، واثنينية خوجة، وثلوثية المشوَّح، ونال العديد من الهدايا والدروع، وحصل على العضوية في عدد من المجالس والهيئات، وسميت باسمه بعض الجوامع الإسلامية في بعض البلدان[(٣)].

أما الكتاب الذي وقع عليه اختيار الباحث؛ فقد جاء عنوانه: من روسيا الحمراء إلى روسيا البيضاء، مشاهد وأحداث عن المسلمين، وهو ضمن سلسلة رحلات العبودي في القارة الأوروبية، وقد جاء في مئتين، وخمس وأربعين صفحة، ونشرته مكتبة الملك فهد الوطنية، في عام ٢٠٠٣م، تناول فيه روسيا البيضاء، موقعها، وسبب تسميتها، وعاصمتها، وسكانها، واقتصادها، وجولات في مدنها، وأريافها، ومطاراتها، وأنهارها، وزيارته لمفتي روسيا، وزيارة رئيس الجماعة الإسلامية، ومبنى المركز الإسلامي، والمسجد الجامع، والمساجد الأثرية التي سلمت من الهدم إبان الحكم الشيوعي، ومواقع المساجد التي هدمها الشيوعيون، ثم الحديث عن العاصمة الروسية (موسكو)، ثم روسيا الاتحادية، والوضع السياسي والاقتصادي فيها، والوضع القانوني الحالي للإسلام، والقوانين التي تحكم الأنشطة التعليمية والإسلامية الدعوية، وعدد المسلمين، وجنسياتهم،

(١) ينظر: محمد بن عبد الله المشوح، عميد الرحالين، محمد بن ناصر العبودي، حياته، إسهاماته، جهوده، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٢، وص٣٧٩.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص١٦٥-٢٠٦، و٢٥٢، ٢٦١.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٣٧٥، وما بعدها.

وتمركزهم، وأهم الدراسات التي أعدها المركز الإسلامي، والجمهوريات والأقاليم المسلمة في روسيا الاتحادية، ثم اليوميات، وبعض الملاحق.

تعريف أدب الرحلة

رَحَلَ عن المكان يرحل، وهو راحل من قومٍ رُحَّل، أي: انتقل، والترحل والارتحال الانتقال، وهي: الرِّحلة، والرُّحلة[(١)]، وهي عكس الإقامة، وفيها تطرأ على المرتحل أحوال من التعب، وتتم معرفة أماكن أخرى غير التي أَلِف الإقامة فيها[(٢)].

واصطلاحًا: هو "مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرَّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[(٣)]، أو هو "ذلك التأليف النثري المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة تجشَّم مشاقها، ومر من خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالًا وأودية وصحاري، وواجه أحداثًا، ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته"[(٤)].

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، مادة: ر.ح.ل.

(٢) ينظر: زهرة بن يمنية، أدب الرحلة الحديث وخصائصه: قراءة في رحلات أبي راس الناصري الجزائري، مجلة ابن منظور لعلوم اللغة العربية، العدد الأول شعبان ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٣) مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، ١٩٤٨م، مكتبة لبنان، ص١٦.

(٤) عبد الباسط بدر، أدب الرحلات، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بيروت، العدد٣، مجلد١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٢.

وأدب الرحلة "تجربة ذاتية لها جوانبها الموضوعية العامة والاجتماعية والسياسية والفنية والسردية الخاصة"(١)، وهي فن قصصي بالضرورة(٢)؛ يحرص الأديب فيه على عنصر الإمتاع؛ كي يأخذ مكانه اللائق بين الأجناس الأدبية الأخرى؛ كالقصة، والرواية، والسيرة الذاتية، وغيرها، وأدب الرحلة يصف طبيعة الحياة وصراعاتها، ويصور للمتلقي مشاهد لم يرها لكنه يتخيلها أثناء سرد القاص لها، "ولا ينبغي الخلط بين أدب الرحلة ونصوص السيرة الذاتية؛ لأن أدب الرحلة يركز بالدرجة الأولى على وصف العالم الخارجي، والسيرة الذاتية تركز على سرد قصة حياة الكاتب"(٣)، وأدب الرحلة بوصفه لوناً من ألوان السرديات، تتنازعه معارف متعددة، ويأخذ من كل شيء بطرف، إذ يكون تاريخاً، أو جغرافيا، أو علم اجتماع، أو علم سكان، أو سيرة ذاتية، أو ما شئت من أنواع السرديات العلمية والإبداعية، وممن كانت لهم كتب في أدب الرحلة من علماء المملكة العربية السعودية، وأدبائها، ومؤرخيها العلاَّمة حمد الجاسر، وأحمد عبد الغفور عطار، وعاتق البلادي، وعبدالعزيز الرفاعي، وعبدالعزيز المسند، وعبد القدوس الأنصاري، وعبدالله بن خميس، وعلي حسن فدعق، وفؤاد شاكر، ومحمد السديري، ومحمد عمر توفيق، ويحيى المعلمي، وآخرون.. وهؤلاء يتفاوتون في مستوياتهم واهتماماتهم، ولكنهم جميعاً لم يتميزوا بما كتبوا في أدب الرحلة، بمثل ما تميز به العبودي؛ لا من حيث الكثرة

(١) روبير اسكاربيت، سوسولوجيا الأدب، ترجمة: آمال أنطوان عرموني، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ص٢٦.

(٢) ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨م، ص٦.

(٣) صالح معيض الغامدي، كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٠.

العددية التي لم تُسْبق، ولا من حيث التقصي والشمول والتنوع[(١)].

تعريف الاستطراد

الاستطراد لغة مصدر استطرد: اطَّرد الشيء: تتبع بعضه بعضًا، واطَّردت الأشياء تبع بعضها بعضًا[(٢)]، ويقال: "استطرد الفارس؛ إذا طرد فرسه بين يديه، يوهمه بالفرار، ثم يعطف على غرة منه[(٣)].

واصطلاحًا: "أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينا يمرُّ فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببًا إليه[(٤)]، ومن شروط الاستطراد عند بعضهم العودة إلى الكلام الأول، وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني: "فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد"[(٥)]، ويقول البغدادي: "فإن الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول"[(٦)]، وهو ما يسمى في الدراسات الحديثة بالاسترجاع الفني، أو "عودة الراوي إلى حدث سابق...، وهذه مخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية

(١) ينظر: حسن فهد الهويمل، صحيفة الجزيرة السعودية، مقال بعنوان: أدب الرحلة عند العبودي، العدد١٥١٥٧، ١٤٣٥هـ.

(٢) ينظر: ابن منظور، مادة: ط.ر.د.

(٣) ابن معصوم، أنوار الربيع، ج١، تح: شاكر هادي، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٢٢٨.

(٤) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٣٩٨.

(٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٢، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٣.

(٦) البغدادي، خزانة الأدب، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٤هـ، ص١٢.

نوعًا من الحكاية الثانوية"[(١)]، ويرى عبد الملك مرتاض أن تسميته بالارتداد أكثر دقة من الاسترجاع[(٢)]، ومنهم من لا يشترط العودة إلى الكلام الأول، ويصفه بالخروج، وقد سمَّاه ابن المعتز عند حديثه عن محاسن الكلام بحُسن الخروج، وهو الخروج من معنى إلى معنى[(٣)]، وقد عرفه الخطيب القزويني بالقول: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يُقصد بذكر الأول الوصل إلى ذكر الثاني[(٤)]، وعلى هذا سوف يعمد الباحث إلى الجمع بين الرأيين في التعامل مع الاستطراد في هذه الدراسة سواءً عاد الكاتب إلى الموضوع الأول أم لم يعد؛ متخذًا من المعنى اللغوي رابطًا بين القولين.

ويُعد الجاحظ المؤسس الفعلي لمنهج الاستطراد، وقد بلغ الأمر ببعضهم إلى اتهامه بالفوضوية، وهدم الوحدة الموضوعية، وقد اعترف الجاحظ نفسه باستطراده دفعًا للملل والسآمة، وحثًا للقارئ على مواصلة القراءة؛ إذ يقول: "وقد عزمت – والله الموفق – أني أوشح هذا الكتاب، وأفصل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر، وضروب من الأحاديث؛ ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل، فإني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة، والأغاني الحسنة، والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها، وما ذلك إلا في

(١) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٨.

(٢) أحمد رحيم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٢٥٣.

(٣) عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، دارا الجيل، ط١، ١٩٩٠م، ص٣٦.

(٤) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٣، ص٥٩٠.

طريق الراحة التي أورثت الغفلة، وإذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح"[(١)]، وهو في هذا النص يؤكد على أمرين؛ الأول: دفع الملل والسآمة عن القارئ، والآخر: وروده في صغار كتب المتقدمين، ومن باب أولى أن يكون الاستطراد في المطولات، وإنما فعل ذلك لأن الجاحظ ممن يهتمون بشأن القرَّاء، وتتضح في أعماله قصدية الكتابة، ومن اعترافاته –أيضًا – قوله: "ولولا أنني أتكل على أنك لا تمل باب القول في البعير حين تخرج إلى الفيل، وفي الذرة حتى تخرج إلى البعوضة، وفي العقرب حين تخرج إلى الحية...؛ لرأيت أن جملة الكتاب وإن كثر عدد ورقه أن ذلك ليس مما يُمل، ويعتد على الإطالة..."[(٢)].

تعريف السرد

السرد لغة هو التتابع في الحديث، وهو تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متَّسقًا بعضه في إثر بعض متتابعًا، وسرد الحديث ونحوه يسرده سردًا، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له[(٣)]، واصطلاحًا: نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية(٤)؛ أي الطريقة التي يصف بها الكاتب الحدث، أو جزءًا منه، أو جانبًا من جوانب الزمان والمكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحًا من الملامح الخارجية الشخصية[(٥)]، والسرد الجزء الأساس في

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ج٣، ١٩٣٨م، ص٧.
(٢) ينظر: المرجع نفسه، ج٧، ص٩.
(٣) ينظر: ابن منظور، مادة: س.ر.د.
(٤) عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٨٧.
(٥) ينظر: زكريا كونيه، تجليات الإبداع السردي، دار الانتشار العربي، منشورات النادي الأدبي في منطقة الباحة، ط١، ٢٠١٧م، ص١٧٠.

الخطاب الذي يعرض فيه المتكلم الأحداث القابلة للبرهنة، أو المثيرة للجدل[(١)]، وهو تواصل مستمر يبدو الحكي من خلاله كمُرسلة يتم إرسالها من مُرسِل إلى مُرسَل إليه، وهو ذو طبيعة لفظية لنقل المرسَلة، ويظهر كأحداث مسرودة مجرَّدة من تركيبها في نص، ومعاد تركيبها[(٢)].

(١) ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢-١٤.

(٢) ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤١-٤٢.

المبحث الأول: دوافع الاستطراد السردي عند العبودي

عندما يتأمل المتتبع أعمال العبودي يرى أنه يغرق في الاستطراد؛ لأنه يرسل نفسه على سجيتها؛ فتراه يبدأ الكلام في وصف مشهد، أو قضية ثم يدعها، ويدخل في قضية أخرى، وأحيانًا يعود إلى حديثه الأول، وأحيانًا لا يعود، ويأخذ القارئ في عمل تشعبي منطلقًا به كالسيل المنحدر؛ لأنه يتكلم، ويصف كل ما تقع عليه عينه، وإن من أبرز دوافع الاستطراد عند العبودي:

١–احتشاد الذاكرة بالمواقف والمشاهد والأحداث:

أطلق العبودي لقلمه الحرية في السرد، وحلق بالقارئ في سماء الإبداع؛ الأمر الذي جعل القارئ يعايش الأحداث، ويستحضر المشاهد التي يعرضها السارد بطريقة آسرة تناولت دقائق الأشياء، وتفصيلاتها، وجاءت العبارات متلاحقة، ولعل من أقوى الأسباب التي جعلت العبودي يطلق العنان لقلمه، ويستطرد تلك الذاكرة القوية التي تحمل في زواياها، ودهاليزها أحداثًا، ومشاهد، ومواقف متنوعة من: إعجاب، واندهاش، واستغراب، واستنكار، ....إلخ، ولا غرابة في ذلك الإطلاق؛ لأن رحلات العبودي لم تنحصر في ميدان معين بل توزعت برًّا، وبحرًا، وجوًّا، ومن مظاهر إطلاق العبودي العنان لقلمه تعدد الموضوعات؛ إذ تراه يعقد عنوانًا لموضوع معيَّن، ويسير فيه شوطًا، ثم تعرض له جملة من المشاهد؛ فيشرع في الحديث عنها، ولا يعود إلى موضوعه إلا بعد استيفاء تلك المشاهد وصفًا وتعليقًا وتحليقًا، وكثيرًا ما يُعرض عن العودة إلى موضوعه الأول، ويستطرد في الحديث، وكأنه يشق طرقًا إلى شيء مجهول، أو يمهد الطريق أمام من سيأتي من بعده، ومن أمثلة ذلك حديثه عن موسم البطاطس؛ إذ نراه يتحدث عن زراعته، وتخزينه، وأسباب التخزين، وطرق التخزين، ثم يضرب صفحًا عن الحديث، ويصف تجمَّع الناس في الطريق، وهطول المطر، وسوء الطريق من آثار المطر، ويصف ما شاهده من أزهار برية، وخلو جوانب الطريق من البيوت والمساكن؛ بسبب قوانين الحكومة

الشيوعية، ثم ما شاهد من أبقار في الحقول، وحول الطريق، ثم يصف السيارات الروسية (الشاحنات) التي تتسم بالقوة والخشونة[(١)]، وهكذا.

٢-إمتاع القارئ:

لا شك أن المتعة من مهام الأدب وركائزه، ومن التقنيات التي يلجأ إليها الأديب في سردياته مخاتلة القارئ، والتنويع في طرق العرض، ومنها الاستطراد الذي لا شك أنه نوعان: استطراد مستحسن، واستطراد غير مستحسن، أما الاستطراد غير المستحسن فهو الذي يجلب الملل، والسآمة للمتلقي مستمعًا كان أم قارئًا، ولكن الاستطراد الذي يدعو إلى المتعة ذلك الاستطراد المستحسن؛ لأنه ينقل المتلقي من مكان إلى مكان، ومن مشهد إلى آخر، وكأنَّ المتلقي أمام مائدة متنوعة من أصناف الطعام اللذيذة، أو يتنقل في واحة متعددة الأشجار والألوان والزهور، وقد يغرق المتلقي في الشعور بالمتعة؛ فينسى قضية طول العمل الأدبي؛ لما ينتابه من الشعور بالمتعة، ولا شك أن الاستطراد المستحسن هو الذي يجيء عفوًا من غير تكلف، ومن الاستطرادات التي تحمل لونًا من ألوان المتعة عند العبودي أسلوب التندُّر في بعض المواقف؛ كقوله عندما رأى امرأة ذات شعر أسود في روسيا البيضاء: "وما شبهتُ منظرها إلا بمنظر ذات الشعر الأصفر في بلادنا"[(٢)]، وكقوله: "و أقبلت المضيفة، وهي تقدم شيئًا، وتكاد تذوب رقة، ولا تكاد ترى خجلًا، إذ كنتُ عجبتُ ولا أزال أعجب من كون العديد من الشابات من أهل هذه المنطقة إذا رأتنا، أو كلمتنا

(١) محمد بن ناصر العبودي، رحلات في القارة الأوروبية، من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (مشاهدات وأحاديث)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م، ص٣٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٦.

تكاد تواري وجهها الجميل عنا من الحياء إن لم نقل الخجل، ولا أدري مبعث ذلك مع أننا في سن الكهولة، وما هو فوقها؛ فأنا لم يبق علي إلا شهران، وأتم السبعين من العمر . بإذن الله . فلِمَ يخجلن؟ إلا إذا كان منظر الشيوخ الكبار . في السن طبعًا . مما تخجل منه العذارى، ونحن نعرف في بلادنا أن الغانيات من بني قومي، وبخاصة إذا كن من الحسان ينظرن بترفُّعٍ واستعلاء إلى كبار السن، أو الذين دونهن في البياض"[(١)]، فالراوي الذي كان يتحدث عن سير الطائرة بعد إقلاعها أخذ يُمتع المتلقي بشيء من عبارات التندُّر؛ كقوله: مع أننا في سن الكهولة، وما هو فوقها؛ فأنا لم يبق علي إلا شهران، وأتم السبعين من العمر، وكذلك في قوله: إلا إذا كان منظر الشيوخ الكبار . في السن طبعًا . مما تخجل منه العذارى؛ إذ نراه يحترز عند ذكر الشيوخ بالجملة العارضة (في السن طبعًا)، وهو بذلك يرسم ابتسامة على محيا المتلقي بإلقاء مثل هذه الجمل والعبارات الممتعة أثناء سرد المشاهد، ومن الأساليب السردية الممتعة التي شاعت عند العبودي وصفه لبعض المشاهد العارضة التي لا علاقة لها بالموقف الرئيس، ولكنه يذكرها ترويحًا للقارئ، وهي وإن لم تكن ذات أهمية، ولكنها لا تخلو من تعريف القارئ بشيء ما؛ إذ يقول: "ومن الأشياء التي رأيتها عند باب المسجد بطٌّ كبير سائب يتبختر ببياضه الناصع، وحركته السلحفائية التي يخيَّل إليك أنها حركة تباهٍ وكبرياء"[(٢)] ثم شروعه مباشرة في وصف منظر بُنَيَّة في التاسعة من عمرها، ثم العودة إلى المسجد، والصلاة فيه[(٣)]، ومن مشاهد

(١) المرجع نفسه، ص٣٠.
(٢) المرجع نفسه، ص٨٥.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٨٥.

إمتاع القارئ قوله: "ومن الطريف في موضوع الجو أننا كنا نرتدي بدلات الصوف؛ خوفًا من برد أصابنا أمس، وإذا بأحد المارة من أهل البلدة يمر، وليس عليه من ملابسه إلا سروال وحيد؛ فليس على جسمه الأعلى شيء، وربما كان سبب ذلك أنه يتطلب أن يتزود جسمه من الشمس قبل احتجابها، أو برودة الشتاء"[(١)]، ولا شك أن هذا الاستطراد السردي الممتع عمل على إبعاد الملل والرتابة والسآمة التي قد يشعر بها المتلقي من طول الخطاب؛ إذ نلمس من هذه المشاهد أن العبودي يراعي حال المتلقي، وكأنه يتحفه بنادرة طريفة، أو حكاية مضحكة يُبعد بها الرتابة والملل عن المتلقي، ويرغبه في المتابعة الاستمرار وعدم الانقطاع، وهي مخاتلات ذكية من العبودي تدل على أنه يهتم بأحوال المتلقين، ويراعي أحوالهم.

٣- قصدية الكتابة:

والقصدية مبدأ يوجِّه العقل والسلوك[(٢)]، وتعني: الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو موضوع؛ لكي يدركه، أو هي: خاصية الشعور حينما يشير أو يتجه نحو الشيء ليدركه[(٣)]، ومن الواضح أن العبودي يختار مفرداته، وعباراته بعناية، ويعود ذلك إلى مخزونه المعرفي والثقافي الذي يمتلكه، ولا أدلَّ على ذلك من ذكره لبعض الجمل التي تحمل ألونًا من التعريف بشيء معيَّن؛ كتعريفه لمعنى (منسك) إذ يقول: "وهنا يخطر على الذهن السؤال

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص٧٨.

(٢) ينظر: محمد معز جعفورة، من قصدية الشاعر إلى قصدية الناقد، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع٢٤، ٢٠١٩م، ص٣٨٠.

(٣) ينظر: سماح رافع محمد، الفينومنيولوجيا عند هورسل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م، ص٤٧.

عن معنى (منسك)، وقد سألت عنه بالفعل فأجاب من سالتهم بأن معناه: مكان التبادل التجاري"[(١)]، وكإيضاحه لاسم (علي شهيتو فيتش)، وأصل شهيتو: شهيد العربية، وحُرِّفت على ألسنتهم ثم حرفها الروس أيضًا فسمَّوه بالروسية (علي شغيدو فتش)[(٢)]، واسم: (موستى إبراهيمو فيتش)، ومعنى موستى مصطفى[(٣)]، أو يكون الاستطراد لقصد الإرشاد إلى أمر ما، وتنتشر تلك الجمل التي يرفد بها وصفه لما يمر به من مشاهد؛ قاصدًا من خلالها إعطاء جرعات معرفية، أو تربوية، أو دعوية، ومن ذلك استطراده عند الحديث عن مسجد إيفيا، وتعرُّضه للشجرة المجبَّرة؛ إذ يقول: "ولو كانوا في بلادنا لتركوها، أو ربما قطعوها، وغرسوا شجرة أخرى بديلة عنها، وذلك من أجل الفرق بين أعمار الأشجار عندنا وعندهم، فالأشجار عندهم لا تنمو إلا في فصل الصيف الذي يلتحق به قليل من وقت الربيع يبدأ في أول مايو حتى إذا حل الخريف في شهر أكتوبر تساقطت الأوراق، وجفت الفروع، ووقف نمو الأشجار أما في بلادنا فإن نمو الشجر يستمر طوال العام، وبخاصة في المناطق الحارة"[(٤)]، وهو بهذا الاستطراد يأخذ بيد المتلقي، ويوجهه إلى ترك بعض السلوكيات غير الجيدة التي شاعت في بلادنا، ومنها ذلك الاحتطاب الجائر الذي سبب التصحُّر في بلادنا، وجعلها قاحلة، ويلقِّن المتلقي ببعض المعلومات المعرفية عن نمو الأشجار في البلدان الحارة

(١) محمد بن ناصر العبودي، ص٧٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٦٤.
(٣) المرجع نفسه، ص٦٤.
(٤) المرجع نفسه، ص٧٤.

والباردة، ثم يعود إلى الحديث عن مسجد إيفيا، ومن استطراداته الإرشادية والتوجيهية قوله عن سائق سيارة لا يعبأ بما يُحدثه من خطأ في الطريق: "إذ لو كان سائق السيارة يعلم أنه سيؤاخذ على فعله لما فعله"[(١)]، ومن استطراداته التي بيَّن فيها حُكمًا شرعيًّا بصورة غير مباشرة قوله: "والشيء الحسن في طائرتهم هذه أنهم منعوا التدخين، وشرب المسكرات، بل سائر الكحول بها"[(٢)]، وربما أجأت استطرادات العبودي المتلقي إلى الاستطراد الذهني عند المتلقي نفسه، وجعلته يتخيل أشياء أُخرى، ويطرح كثيرًا من التساؤلات التي فتح المبدع أبوابها أمام المتلقي.

(١) المرجع نفسه، ص٥٨.
(٢) المرجع نفسه، ص١٧٩.

المبحث الثاني: أنواع الاستطراد السردي عند العبودي

ينقسم الاستطراد عند العبودي من حيث الشكل إلى قسمين؛ هما:

١– الاسترجاع:

ويُقصد بالاسترجاع العودة إلى الموضوع الأول بعد الحديث عن موضوع أو عدة موضوعات؛ أو استعادة مشهد سبق أن تعرَّض له في مكان ما، إذ كثيرًا ما يقوم العبودي بسرد وقائع، ومشاهد ثانوية تنهال تباعًا، وتكون في الغالب عوارض، أو دقائق، أو تفاصيل صغيرة تجعل الراوي ينشغل بها، وبذلك يُبَطِّئ الحركة، ويمد الخطاب مستطردًا في الحديث، ثم يعود إلى موضوعه الرئيس، أو يسترجع حدثًا مرَّ به، وكأنها التفاتات من قائد المركبة إلى سوانح الطريق، ثم ما يلبث أن يعود إلى طريقه، ويكمل رحلته، وقد وسمه بعض الدارسين بالارتداد، وهو: "سرد لاحق لحدث سابق"[(١)]، والاسترجاع الفني عند العبودي يتخذ طريقين؛ **الأول**: سرد مشهد من المشاهد، ثم التعرض لمشاهد أخرى، ثم العودة إلى المشهد الأول، **والثاني**: وصف مشهد معين، وربطة بمشاهد عرضت له في رحلات سابقة قد تكون في هذا البلد، وقد تكون في بلدان أخرى، والاسترجاع الفني أو الارتداد " تقنية زمنية ينقطع فيها السرد الحاضر؛ لأجل استرجاع الماضي بجميع مراحله، وتوظيفه في الحاضر، وحين ننظر إلى هذه التقنية وتداعياتها في الخطاب السردي نجد السارد يوقف حاضر الزمن السردي، ويرجع إلى الوراء؛ فيتجلى انعكاس في اتجاه خطية الزمن، ويبدأ باستعادة أحداث الماضي المخزونة في الذاكرة، وهذا يعكس خط سير زمن السرد في نفسية الكاتب، وثقافته الخاصة، وما يهمه من ارتداد؛ مما

(١) محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص١٧.

يجعله يقدم ويؤخر في الأحداث زمنيًّا"[(١)] ؛ فمن الأول يقول عن تحليق الطائرة، وهي تغادر مدينة (تالين): "حلقت طائرتنا فوق مدينة تالين التي تعد ستمئة ألف من السكان؛ فاتضح منظرها من الجو واسعة منتشرة بل منشورة في مساحات واسعة...، ثم يتعرض لما شاهده في فترة إقامته في مدينة (تالين)، ويصف حسن معاملة أهلها، وبعض صور الجمال الذي أودعه الله في أشياء كثيرة، ومن أهمها وأبرزها جمال الخلقة في الوجوه والألوان، ويتعرَّض للأمطار الغزيرة التي تغسل شواطئ المدينة، ويذكر طرفًا من حال البلاد في فصول السنة، ويتحدث عن صعوبة فصل الشتاء القارس، وما يدَّخره السكان من فصل الصيف، أو الخريف استعدادًا لفصل الشتاء، وأشياء أخرى، ثم يعود بعدها إلى الطائرة؛ قائلًا: ثم ارتفعت الطائرة؛ فحال سحاب خفيف عن رؤية الأرض، وانصرف البصر إلى داخل الطائرة"[(٢)] ، ومن الثاني قوله عند حديثة عن مسجد في مدينة (منسك القديمة): "يبعد المسجد عن (منسك) الحالية التي هي عاصمة جمهورية روسيا البيضاء ١٨ كيلو مترًا، ومع ذلك ذكروا أنه يقع في مكان منسك القديمة؛ لأنها بنيت هناك أول مرة؛ أي: ابتداء البناء فيها، وسُكنت فترة ثم انتقلت إلى مكانها الحالي....، ثم يترك الحديث عن المسجد، ويقول: وأكثر ما في هذا الريف ظهورًا هو أشجار التفاح الأبيض الذي تنعكس أشعة الشمس الصباحية عليه؛ فيبدو ناصعًا، أو كالناصع بين الأوراق الداكنة النظرة، ويُعتبر هذا الشهر الذي هو سبتمبر، والشهر الذي بعده وهو شهر أكتوبر شهرا التفاح في هذه البلاد،.... ثم يسترجع مشهد موسم البطاطس، ويقول: وقد ذكرني هذا منظر أناس مجتمعين في حقل غير

(١) طنف بن صقر العتيبي، السردية في الخطاب الترسلي العربي الحديث، مقارنة سردية، ملامح للنشر، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٩م، ص٣١٧.

(٢) محمد بن ناصر العبودي، ص٢٨-٣٠.

كبير في الريف يجمعون البطاطس؛ لأنهم يعتمدون عليه في الغذاء، ويحسنون خزنة[(١)]، ومن ذلك قوله في موقف آخر: "وذكرني منظر هذه الخيول بخيل المغول التي رأيتها في بلاد المغول في منغوليا الداخلية التي تتبع الصين الشعبية، وفي جمهورية منغوليا المستقلة التي عاصمتها (أولان باتور)؛ مما قد يدل على أن هذه الخيول لأصلها صلة بخيول المغول الذين استولوا وأنسالهم على هذه المنطقة فترة من الوقت"[(٢)]، وقد يُلحق بهذا النوع قوله: "لقد ذكرت وأنا أنظر إلى النار المتقدة وسط منقل ضخم، وهو الذي يوضع فيه الجمر، وما ذكرت أنني رأيت شيئًا كهذا جميلًا مما جعلني أعذر ابنة الخس إحدى شهيرات النساء عند العرب حينما وصفت نفسها بالجمال؛ فقالت: كنتُ أجمل من النار في عين المقرور، والمقرور هو الذي أصابه القر، وهو البرد الشد"[(٣)]، وهذا الاسترجاع الذي تخطى حدود الزمن الذي يعيشه العبودي إلى ذلك الزمن القديم استطراد ربط فيه حاله وصحبه بتلك المقولة التي قيلت في زمن بعيد، ولا شك أن هذه الاسترجاع الفني أو ما يسمى في الدراسات الحديثة بـ الفلاش باك (flashback) هو استحضار، أو خطف لمشاهد معينة، وبقدر ما فيه من انقطاع زمني، أو مكاني بخصوص المشهد الأول إلا إنه استطراد جميل يلقي الضوء على مشاهد، ومواقف تعرَّض لها الكاتب، وشكَّل ذلك الاسترجاع حكاية، أو حكايات يريد الراوي إشراك القارئ معه في المتعة والفائدة، ولعل من أقوى المواضع التي تحقق فيها الاسترجاع الفني عدة مرات حديثه عن المسجد الجامع في مدينة (منسك)؛ إذ تحدث عن المسجد، ثم تحدث عن المطر والجو الذي لا تؤمن بوادره، ثم عاد إلى المسجد، ثم تركه، وأخذ يصف الطبيعة، والشوارع، والميادين، والحدائق، وسيارات الأُجرة، ثم يعود

(١) المرجع نفسه، ص٤٩-٥١.
(٢) المرجع نفسه، ص٥٩.
(٣) المرجع نفسه، ص١٠٠-١٠١.

إلى أرض المسجد، وهكذا"[1]، وقد يُصرِّح العبودي في استرجاعاته الفنية كقوله عن الحديث عن (موسكو): ولذلك لن تجد في هذا الكتاب ما قد تتطلع إليه من حديث شامل، أو طويل غير شامل عن روسيا الاتحادية، وذلك للسبب الذي ذكرت، ولكوني تكلمت على موسكو، ومدن أخرى في روسيا الإتحادية في عدد من كتبي المطبوعة والمخطوطة، .... ثم يذكر طرفًا من تلك الكتب، ويُصرِّح بالعودة إلى حديثه قائلًا: ولنعد إلى الحديث عن سفرنا من منسك إلى موسكو"[2]، وهو بهذا الأسلوب يُقرُّ إقرارًا ضمنيًّا بوقوعه في الاستطراد، ويعيد القارئ إلى مؤلفاته السابقة للاستزادة.

٢-الخروج، الانتقال:

وهو الاستطراد الذي يخرج فيه الكاتب من الموضوع الأول أو ينتقل منه إلى موضوع آخر، ولا يعود إليه، وقد كثر ذلك عند العبودي؛ لأن الرحالة يغرق . بطبعه . في وصف المشاهد التي تقابله تباعًا، وقد يُنسي بعضها بعضًا، وربما لا تكون هناك حاجة إلى العودة إلى المشهد الأول، والذي يحدد ذلك عند العبودي هو طبيعة الموقف الذي يعرضه، ومن تلك المشاهد التي خرج فيها العبودي حديثه عن الحصن الأحمر في مدينة (مير)؛ إذ يضعه تحت عنوان (الحصن الأحمر)؛ حتي يخيَّل للقارئ أن الحديث سيقتصر على ذلك الحصن؛ فيقول: "من معالم هذه المدينة حصن عظيم أحمر الطلاء بني في العهد الليتواني؛ أي عندما كانت مملكة ليتوانيا وبولندا تحكم هذه المنطقة، وقد حافظوا عليه ...إلخ، ولكنه ما يلبث أن يضرب صفحًا عن ذلك الحصن، ولا يعود إليه؛ إذ يقول: وجميع أراضي المدينة مزروع بكثافة.....، ويمر بالمدينة نهير صغير لا تحتاج إليه، ثم يتحدث عن منظر سيارة كبيرة من سيارات النقل تحمل قصب السكر كالتبن الخشن من

(١) المرجع نفسه، ص١١٠، وما بعدها.
(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص١٧٧-١٧٨.

دون غطاء، وهي تسير فتذروه الريح في الطريق، ثم يصف منظر البط الأبيض، وهو يتبختر على الطريق؛ كأنما يتحدى السيارات، ويعرض لمنظر امرأة راكبة على محراث يجره حصان في حقل ضيِّق، ولا يعود إلى الحصن الأحمر الذي عقد من أجله العنوان[(١)]، ولكننا لم نجد مثل هذا الخروج عندما تحدَّث العبودي عن لقائه مع مفتي روسيا البيضاء؛ لأن العبودي قد ترك الحديث للمفتي: إسماعيل مصطفى الكسندرفيتش، وهنا أوكل الرواي مهمة السرد إلى راوٍ آخر، أي تحوَّل الرواي من راوٍ داخلي إلى راوٍ خارجي، وأصبح العبودي ينقل السرد كما رواه المفتي، وبذلك ابتعد عن الاستطراد[(٢)]، ومثله الحديث عن المركز الإسلامي لروسيا؛ إذ أسلم العبودي الرواية لمدير المركز عبد الواحد وليد نيازوف، وقال: حدثنا الدكتور: عبد الواحد عن المركز فذكر... إلخ، ولم يخرج الحديث عن المركز؛ إذ كان يقول: وذكر، وذكر، وذكر، عند الانتقال من مقطع إلى آخر[(٣)]، وهذا دليل على أن الخروج في الاستطراد من سمة الرواية عند العبودي أما عند انتقال الحديث إلى غيره فإنه يلتزم الأمانة، وينقل الحديث كما قال المتحدث دون استطراد أو إيجاز.

(١) المرجع نفسه، ص٥٨-٥٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٣.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٢١٥.

المبحث الثالث: الاستطراد بين الواقعية والتخييلية

يكون الاستطراد واقعيًّا موضوعيًّا، أو تخييليًّا ذاتيًّا، ومن هنا يمكن أن يمنح الاستطراد الخطاب في أدب الرحلة سمة أدبية؛ خاصة إذا راوح الكاتب في سرده بين السرد المرجعي الواقعي، والسرد التخييلي الذاتي.

وإن الاستطراد السردي الواقعي وصف حقيقي لمشاهد حقيقية شاهدها الكاتب، وعرضها للمتلقي على حقيقتها؛ فهي وقائع تسجيلية أشبه ما تكون بمرآه تعكس صورة الأشياء كما هي من غير زيادة أو نقصان، أو هي حقائق علمية لا تدَخُّل للذاتية فيها؛ لذا تتجلى فيه الحوارية، والرؤية، والوصفية؛ فهو عندما يتحدث ـ على سبيل المثال ـ عن الأحزاب والجهات والشخصيات المؤثرة في روسيا، ويذكر الكرملين، والحزب الشيوعي، وحزب الوحدة، واتحاد حركتي الوطن وكل روسيا، وحركة يابلوكو، والحزب الليبرالي الديموقراطي، وحركة اتحاد القوى اليمينة، والوضع القانوني الحالي للإسلام، والنظام والقوانين التي تحكم الأنشطة التعليمية والإسلامية والدعوية لا يعمد إلى شيء من الخيال بقدر ما يسوق معلومات إثرائية وصفية الغاية منها إعلام المتلقي، وتعريفه بما لا يعلمه[(١)]، ولهذا نجده يعتمد اللغة المباشرة، والمنطقية في عرض الأفكار؛ لأن هدفه الإخبار والإعلام؛ حتى أنه وصفها بالتقريرية مثل قوله عندما تحدَّث عن الجمهوريات والأقاليم المسلمة في روسيا الإتحادية: "انتهى التقرير"[(٢)].

أما الاستطراد السردي التخييلي؛ فهو إعطاء مسحة فنية، وارتفاع مستوى الذاتية من وجهة نظر الكاتب؛ بحيث يضيف الكاتب على أدب

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص١٤٩، وما بعدها.
(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص١٧٢-١٧٤.

الرحلة سمة أدبية تتجلى من خلال المسحة الوصفية، وتراه يعبر عن الأشياء من وجهة ذاتية؛ لأن الذاتية في الاستطراد والسرد عمومًا تمنح الخطاب أدبيته؛ فهي تنشأ من داخل الخطاب، بواسطة ربط الذات بالعمل الأدبي؛ فالذات المتكلمة/ المرسِلة كائنة داخل ملفوظها ومرتبطة به، ولا نقصد بالذاتية انكفاء المتكلم على ذاته، والتحدث عنها سواءً بلفظ المفرد أم بلفظ الجمع؛ بل نقصد تصوير الأشياء من وجهة نظر ذاتية تدخل العمل الأدبي ضمن دائرة الأجناس الأدبية، وهو الذي قال عنه بول ريكور:"اقتدار الذات من جهة الاندماج، وإعادة تشكيل هويتها؛ بحيث يكون السرد تخييليًّا وذاتيًّا يعكس الواقع في تاريخه"[(١)]؛ ومما أضفى عليه العبودي مسحة أدبية قوله: "وعندما رأيت المسجد خُيِّل إليَّ أنه أضير من جراء الأسكان الظالم فيه، ويبدو إنه ربما لا يستطيع الصمود"[(٢)]، وفي ذلك كناية عن تهالك المسجد، وتقادم عهده، وهي صورة تخييلية أضفت على السرد خاصية أدبية، ورسمت في ذهن المتلقي صورة متخيلة عن ضعف البنيان، ومن ذلك قوله: "وذلك في ضوء الشمس الذي تغسله الشمس الحارة في هذه البلاد الثالجة"[(٣)]؛ إذ نرى الكاتب قد أضفى على الشمس ما ليس من صفاتها، وهو قوله" تغسله؛ إذ الغسل للماء، وليس للشمس، وهي صورة فنية تخييلية أعطت المشهد جمالًا وبُعدًا فنيًّا، ومن هذه اللمسات التصويرية قوله: "حتى لا يرى المرء فيه موضع قدم، أو لتقل موضع

(١) حاتم الورفلي، الهوية والسرد، بول ريكور، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٩م، ص١٢٦. (بتصرف يسير).
(٢) محمد بن ناصر العبودي، ص٧٢.
(٣) المرجع نفسه، ص٧٨.

محراث واحد خاليًا من الخضرة"[1] ، وفي ذلك كناية عن كثرة الخضرة والخصب، فهو في سرده التخييلي يعتمد على الإيحاء، وتكثيف الدلالة، ويستعمل الآليات الجمالية؛ من: من صورة، ومجاز، ومحسِّن بديعي، وهدفه من ذلك إمتاع القارئ بالدرجة الأولى، وتأتي المنفعة تابعة للإمتاع.

(١) المرجع نفسه، ص١٧٩.

الخاتمة

بعد الفراغ من هذه الدراسة؛ فإني أخلص إلى تدوين النتائج التي تمكنت من الحصول عليها، وهي:

- إن الاستطراد لازمة من لوازم أدب الرحلة؛ لأن أدب الرحلة يقوم على المشاهدة، والحوادث التي تعرض للراوي في رحلته.
- استطرادات العبودي تدل على تميزه، وسعة ثقافته، وشموليتها؛ إذ بلغ في الشمولية ما لم يبلغه غيره.
- يمتلك العبودي ذاكرة قوية كانت سببًا من أسباب بروز ظاهرة الاستطراد لديه أثناء السرد.
- تنوعت استطرادات العبودي بين العفوية، والقصدية، وللسرد القصدي غاياته التي يستدعيها الموقف.
- جاءت استطرادات العبودي من حيث الشكل على نوعين؛ أحدهما: الاسترجاع أو الارتداد، والآخر: الخروج أو الانتقال.
- جاءت الارتداد على نوعين؛ أحدهما: العودة إلى الموضوع الأول بعد استطراد سردي لعدة موضوعات، والآخر: استرجاع مشاهد في رحلات سابقة في بلدان أخرى.
- ظهر في خروجات العبودي لطافة وظرافة من أسبابها المراس والدربة التي اكتسبها بسبب كثرة مصنفاته.
- جاءت استطرادات العبودي من الناحية الفنية على نوعين: سردي واقعي تسجيلي تقريري، وسردي تخييلي ذاتي.
- أعطى الاستطراد التخييلي عند العبودي مسحة فنية أعلت من شأن الجانب الذاتي في السرد.
- قدم العبودي في استطراداته جملة من الجرعات الدينية، والثقافية، والتربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والأدبية، وذلك بسبب موسوعية فكره.
- استطاع العبودي أن ينفذ إلى أعماق نفوس القراء، وأن يتمكَّن من التأثير فيهم من خلال استطراداته التي لا يشعر معها المتلقي بشيء من الملل والرتابة.

المصدروالمراجع

المصدر:

رحلات في القارة الأوروبية، من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (مشاهدات وأحاديث)، محمد بن ناصر العبودي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣م.

المراجع:

أحمد رحيم الخفاجي، **المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

البغدادي، **خزانة الأدب**، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٤هـ.

الجاحظ، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ج٣، ١٩٣٨م.

حاتم الورفلي، **الهوية والسرد**، بول ريكور، بيروت، دار التنوير، ٢٠٠٩م.

روبير اسكاربيت، **سوسولوجيا الأدب**، ترجمة: آمال أنطوان عرموني، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

زكريا كونيه، **تجليات الإبداع السردي**، دار الانتشار العربي، منشورات النادي الأدبي في منطقة الباحة، ط١، ٢٠١٧م.

زهرة بن يمنية، **أدب الرحلة الحديث وخصائصه: قراءة في رحلات أبي راس الناصري الجزائري**، مجلة ابن منظور لعلوم اللغة العربية، العدد الأول شعبان ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

سماح رافع محمد، **الفينومنيولوجيا عند هورسل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي**، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م.

شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨م.

صالح معيض الغامدي، **كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي** العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٣م.

صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ١٩٩٦م.

طنف بن صقر العتيبي، **السردية في الخطاب الترسلي العربي الحديث، مقارنة سردية**، ملامح للنشر، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٩م.

عبد الباسط بدر، **أدب الرحلات**، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بيروت، العدد٣، مجلد١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٣.

أبو هلال العسكري، **الصناعتين**، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

عز الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.

ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٢، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

محمد بن عبد الله المشوح، عميد الرحالين، **محمد بن ناصر العبودي، حياته، إسهاماته، جهوده**، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

محمد القاضي وآخرون، **معجم السرديات**، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

محمد معز جعفورة، **من قصدية الشاعر إلى قصدية الناقد**، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، ع٢٤، ٢٠١٩م.

مجدي وهبة، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط٢، ١٩٤٨م، مكتبة لبنان.

ابن معصوم، **أنوار الربيع**، ج١، تح: شاكر هادي، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ابن منظور، **لسان العرب**، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ط١،

١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

لطيف زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

الصحف:

صحيفة الجزيرة السعودية، مقال بعنوان: أدب الرحلة عند العبودي، حسن فهد الهويمل، العدد١٥١٥٧، ١٤٣٥هـ.

Bibliography:

Source:

Rihlat fi alqarat al'uwrubiyat , rusia albayda' 'iilaa rusia albayda' (mushahadat wa'ahaditha) , Muhamad bin Nasser Al-ʻAboudi, King Fahd National Library , 2003.

References:

Ahmad Rahim alkhafajii , almustalah alsardiu fi alnaqd al'adabii alearabii alhadith , dar alsafa' lilnashr waltawzie ,Amman, Jordan , 1st ed. , 1433 AH / 2012.

Al-Baghdaadi, khizanat al'adab , almatbaeat alkhayriat , Cairo, 1304 AH.

Aljahiz , alhayawan , taha: eabd alsalam harun , maktabat mustafaa albabi alhalabii , Egypt, 1st ed., vol. 3 , 1938.

Hatim alwarifali , alhuiat walsard , bul rikur , Beirut , dar altanwir , 2009.

Rubir Askarbit , Sociology of Literature (Arabic), Translation: Amal Antony Armuni , manshurat euaydat , Beirut, 2nd ed. , 1983.

Zakaria Kunih , Manifestations of Narrative Creativity (Arabic), Dar alaintishar alearabii , manshurat alnaadi al'adabii fi mintaqat albahat , 1st ed. , 2017.

Zahrat bin Yamaniat , 'adab alrihlat alhadith wakhasayisuhu: qira'at fi rihlat 'abi ras alnaasiri aljazayirii , majalat aibn manzur lieulum allughat alearabiat , aleadad al'awal shaeban 1441 / 2020.

Saeid Yaqtin , tahlil alkhitab alriwayiyi , almarkaz althaqafii alearabia , Beirut, 1993.

Samah Rafie Muhamad , alfinuminiulujya eind hursil , dirasat naqdiat fi altajdid alfalsafii , dar alshuwuwn althaqafiat aleamat , 1991.

Shawqi Dayf , alrihlat , dar almaearif , alqahirat , 4th ed. , 1978.

salih maeid alghamidi , kitabat aldhaat , dirasat fi alsiyrat aldhaatiat , almarkaz althaqafiu alearabiu , aldaar albayda' , almaghrib , 1st ed. , 2013.

Salah Fadl , balaghat alkhitab waeilm alnasi , alsharikat almisriat alealamiat , alqahirat , 1996.

Tanf bin Saqr Aleutaybii , alsardiat fi alkhitab altirsulii alearabii alhadith , muqaranatan sardiat , malamih lilnashr , Sharjah, UAE, 1st ed. , 2019.

Abdul Basit Badr , 'adab alrihlat , majalat al'adab al'iislamii , rabitat al'adab al'iislamii alealamiat , Beirut, Issue 3, vol. 1 , 1415 AH / 1995.

Abd almutaeal alsaeidii , bughyat al'iidah litalkhis almiftah fi eulum albalaghat , maktabat aladab , Cairo ,17th ed. , 1426 AH / 2005, vol. 3.

Abu Hilal aleaskari , alsinaeatayn , Investigation: Ali muhamad albijawi , wamuhamad 'abu alfadl 'iibrahim , almaktabat aleasriat , Beirut , Sayda , 1425 AH / 2005.

Eizu aldiyn 'iismaeil , al'adab wafununuhu: dirasat wanaqd , dar alfikr alearabii , Cairo , 1973.

Ibn rashiq alqayrawanii , aleumdat fi mahasin alshier , wadabih , wanaqdih , taha: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamayd , vol. 2 , dar altalayie , Cairo , 2006.

Muhamad bin eabd allh almushawah , eamid alrahaalayn , muhamad bin nasir aleabuwdii , hayatuh , 'iishamatuh , juhuduh , dar althuluthiat lilnashr waltawzie , 2nd ed. , 1435 AH / 2014.

Muhamad alqadi wakhrun , muejam alsardiaat , dar muhamad ealiin lilnashr , tunis , 1st ed. , 2010.

Muhamad maeaz juefurat , min qasdiat alshaaeir 'iilaa qasdiat alnaaqid , majalat kuliyat aladab wallughat , jamieat bisakrat , issue 24 , 2019.

majdi wahbat , muejam almustalahat alearabiat fi allughat wal'adab , 2nd ed. , 1948 , maktabat lubnan.

Ibn maesum , 'anwar alrabie ,vol. 1 , Investigation: shakir hadi , 1st ed. , matbaeat alnueman , alnajaf , 1388 / 1968.

Ibn manzur , lisan alearab , dar alfikr liltibaeat , walnashr waltawzie , 1st ed. , 1428 / 2008.

latif zaytuni , muejam mustalahat naqd alriwayat , dar lilnashr , Beirut, Lebanon, 1st ed., 2002.

Magazines:

Al-Jazirah Saudi newspaper, an article titled: The Literature of Journey of Al-Aboudi, Hassan Fahd Al-Huwaimel, Issue 15157, 1435 AH.

همزيّة حسّان بن ثابت ﷺ في الدّفاع عن الإسلام
(مُقاربة أسلوبيّة)

Poem of Hassan bin Thabet (Al-Hamziiah) in Defense Islam
(A Stylistic Approach)

د. عنايات عبد الله الشيحة

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية بالمزاحمية –جامعة شقراء

البريد الإلكتروني: mailto:aalsheha@su.edu.sa

المستخلص

يسعى هذا البحث – وهو بعنوان «همزيّة حسّان بن ثابت ﷺ في الدّفاع عن الإسلام (مقاربة أسلوبيّة)» – إلى الكشف عن السّمات الأسلوبيّة في هذه القصيدة، وهي خير مثال تتجلى فيه صورة الشاعر المسلم في الدفاع عن الإسلام، وقد حرص الشاعر أن يمنحها سمات محددة وواضحة، تكشف عن موقفه ورؤاه، وتكون سبيلا إلى بلوغ غايتها في النيل من أعداء الدين.

وقد توسّل الباحث بالمنهج الأسلوبيّ، للإفصاح عن مكنونات هذه القصيدة، والكشف عن سماتها الأسلوبيّة، فدرسها صوتيًّا وإيقاعيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا، وعالج أبرز الصّور الشّعريّة وأكثرها توظيفًا في هذا النّص.

الكلمات المفتاحيّة: النّبيّ – الدّين – المدح – الهجاء.

Abstract

This research, which was titled (Poem of Hassan bin Thabet (Al-Hamziiah) in Defense Islam (A Stylistic Approach) aims at showing stylistic aspects of this poem, because it the best model that shows the image of the Muslim poet in defense of Islam. The poet was keen to give it specific and clear features that reveal his position and visions, and as a way to achieve its goal of undermining the enemies of religion.

The researcher used the stylistic approach to reveal the contents of this poem and to reveal its stylistic features, so he studied it phonetically, rhythmically, structurally and semantically, and treated the most prominent and most employed poetic images in this text.

Keywords: Prophet – Religion – Complimenting - Satire.

المقدّمة:

اتّخذ الإسلامُ من الشّعر والشّعراء مواقفَ تنسجم وطبيعةَ المرحلة الّتي شهدتها الدّعوة، وكانت المواقف الإسلاميّة تلك منبثقةً من ظروف الدّعوة نفسها. فنجد أنّ الدّين – في مرحلة البدء بنشر الدّعوة – قد هاجم شعراء المشركين، الّذين كانوا يهجون الرّسول ويثبّطون عن دعوته، لم يهاجم القرآن الشّعر من حيث هو شعر، إنّما هاجم شعرًا بعينه كان يؤذي الله ورسوله، فهو سلاحٌ من أسلحة الشّرك. ثمّ كان الإسلام مشجّعًا للشّعر والشّعراء، وذلك حين أُتيح للمسلمين أن يتّخذوا الشّعر سلاحًا من أسلحة الحرب، يقاتلون به أعداءهم المشركين، الّذين شهروا في وجوههم السّلاحَ ذاتَه، فاتّخذه سلاحًا ماضيًا ضدّ خصومه من مشركي قريش وأعداء رسالته[1].

وتزخر كتب الأدب والتّاريخ بما نُظم من أشعار في صدر الإسلام، نلقاها في كلّ ما يصادفنا من أحداث العصر، أسهم فيها كثيرٌ من شعراء الدّعوة المباركة، وكان شعرهم سيفًا مصلتًا على رقاب المشركين، وسلاحًا بيد الرّسولﷺ يخضع به أعداءَ الدّين[2].

وقد تميّز هذا الشّعر في مرحلة صدر الإسلام بتوظيف الأنماط التّعبيريّة والأسلوبيّة الّتي تمثّل هموم المسلّم وتطلّعاته. وتعدّ قصيدة حسّان بن ثابت (الهمزيّة) في الدّفاع عن الإسلام من أبرز القصائد في موضوعها، فما قيل في فتح مكّة، يكفي أن تكون قصيدة حسّان قد غطّت عليه كلّه، وفيها يظهر الفخر الإسلاميّ، والاعتزاز بالدّين، والتّمثيل الواضح لمبادئ الإسلام[3].

---

(١) انظر: يحيى الجبوريّ، **الإسلام والشّعر**، ص٤١، شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربيّ (العصر الإسلاميّ)**، ص٤٤-٤٥.

(٢) انظر: يحيى الجبوريّ، **الإسلام والشّعر**، ص٦٣، وما بعدها، محمد خضر، **أدب صدر الإسلام**، ص١٧٣.

(٣) انظر: محمد خضر، **أدب صدر الإسلام**، ص١٨٠ .

والأسلوبيّة من المناهج النّقديّة الحديثة الّتي تهتمّ بفحوى النّصوص والكشف عن رسالتها من خلال تحليل العناصر الأدبيّة والرّوافد الفكريّة، معتمدةً على مصدرَيْن مُهمَّيْن، هما اللّغة والبلاغة. والمقاربة الأسلوبيّة للنّصوص الأدبية تمثّل تلك المرحلة المتطوّرة في الدّراسات النّقديّة والبلاغيّة، الّتي تقوم على اختيار الألفاظ وتوزيعها في النّصّ الأدبيّ. وانطلاقًا من هذا الموقف، تُعَدُّ هذه المقارنات الأسلوبيّة للنّصوص الأدبية ضربًا من ضروب التّحليل النّقديّ، الّذي ينبني على الكشف عن مواطن القوّة والجمال للنتاج الأدبيّ، للإبانة عن مفاهيم جديدة ضمن النّصوص الأدبيّة.

وقد لقي شعر حسّان بن ثابت الأنصاريّ ﷺ عناية الدّارسين، فكان موضوعَ عدد من الدّراسات الأسلوبيّة، منها:

- شعر حسّان بن ثابت (دراسة أسلوبيّة): وفاء جابر، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، ٢٠٠٨م.
- ديوان حسّان بن ثابت (دراسة أسلوبيّة): حابس القعايدة، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.
- الأنظمة الأسلوبيّة في شعر حسّان (قراءة في المظهر والوظيفة): عبد المهدي هاشم الجراح، مجلّة الممارسات اللّغويّة، جامعة مولود معمري، الجزائر.

وتحاول هذه الدّراسة تسليط الضّوء على أهمّ المظاهر الأسلوبيّة في القصيدة الهمزيّة لحسّان بن ثابت الأنصاريّ، عثورًا على أبرز النّتائج الّتي تفصح عن مدى توفيق الشّاعر ونجاحه في التّفاعل مع الانفعالات الرّوحية والنّفسيّة، من خلال موقفه في الدّفاع عن الدّين. ومن أهمّ هذه المظاهر الأسلوبيّة في هذه القصيدة: المستوى الصّوتي والإيقاعيّ والتّركيبيّ والدّلاليّ، وأخيرًا معالجة أبرز الصّور الشّعريّة وأكثرها توظيفًا ضمن هذا النّص المبدع.

– الشّاعر والقصيدة:

حسّان هو شاعر سيّدنا الرّسولﷺ، كافح عن بيضة الإسلام، ونافحَ عن أديم سيّد الأنام، بعد أن تكالب عليه العربُ، وناوأوه العداءَ، وضَرَّوا به وبالمسلمين شعراءَهم، فما كان إلّا أن انتدب لهم حسّان، وروح القُدُس يؤيّده، ففرى المشركين

فريَ الأديم، وردّ كيدَهم في نحورهم.

وهو، كما ترجمت له المصادر[1]، حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجيّ الأنصاريّ من بني النّجّار، أبو الوليد، شاعر النّبيّ وأحد المخضرمين الّذين أدركوا الجاهليّة والإسلام، فعُرف بصاحب الحياتَيْن: حياة الجاهليّة الّتي عاش فيها ستّين عامًا، وحياة الإسلام الّتي عاش فيها ستّين عامًا أيضًا، وتُوفّي بعدها في المدينة في سنة ٥٤ للهجرة.

اشتهر حسّان بمدح الغساسنة قبل الإسلام، وكرّس شعره بعد إسلامه لأهمّ قضيّة في حياته؛ هي قضيّة الدّين الجديد الّذي اعتنقه، وحمل لواء الدّفاع عنه وعن رسوله الكريمﷺ[2].

ففي العام السّابع من الهجرة عُقد صلح الحديبية بين الرّسولﷺ وبين قريش، على أن يدخل المسلمون مكّة للحجّ بعد عام، ولكنّ قريش نقضت العهد، فجهّز الرّسول جيشًا قويًّا لمحاربة المشركين، وفتح مكّة.

ولمّا كان الشّعر قديمًا وسيلة الإعلام العامّة، فقد نزل ميدان الحرب، واستخدمته الأطراف المتحاربة، وأمر الرّسول به، لذلك انبرى حسّان يهجو قريشًا،

(١) انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، ترجمته وأخباره ١١/٤، ١٢٠، العسقلانيّ، وتهذيب التّهذيب، ٢٤٧/٢-٢٤٨، العبّاسيّ، ومعاهد التّنصيص، ٢٠٩/١-٢١٥، ابن سلّام، **طبقات الشعراء**: ص٥١، ٨٧-٨٨، ٩١، ٩٥، ٩٧، **والعمدة**، ابن رشيق القيرواني، الفهارس، **وجمهرة أشعار العرب**، القرشيّ، ص٢٨، ٣٥، ٣٦، ٧٤، ٧٦، ٧٧-٧٨، ٧٩، ٩٨، ٤٩٢-٤٩٧، البغداديّ، **وخزانة الأدب**، الفهارس.

(٢) لحسّان ديوان شعر، طُبع طبعات كثيرة، منها بين يدي الباحثة طبعتان: الأولى قديمة بعنوان ((شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ))، ضبطه وصحّحه عبد الرّحمن البرقوقيّ، وصدر عن المطبعة الرّحمانيّة بمصر، في عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، والثّانية حديثة بعنوان ((ديوان حسّان بن ثابت))، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له عبد مهنّا، وصدرت منه الطّبعة الثّانية عن دار الكتب العلميّة ببيروت، في عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. والطّبعة الأولى القديمة (الشّرح) أجود من الثّانية، وعليها اعتمدت الباحثة في هذه الدّراسة، وأفادت من تعليقات الشّارح في حواشيه.

ويشيد ببطولة المسلمين وبشجاعتهم، ويعلن تصميمهم على قتال المشركين وفتح مكّة ما لم توافق قريش على دخول مكّة، وأدائهم العمرة، ويردّ على أبي سفيان بن الحارث، الّذي هجا النّبيّ بذاته، فقال[1]: (من الوافر)

١- عَفَتْ ذاتُ الأَصابِعِ فَالجِواءُ ... إِلى عَذْراءَ، مَنْزِلُها خَلاءُ[2]

٢- دِيارٌ مِنْ بَني الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامِسُ وَالسَّماءُ[3]

٣- وَكانَتْ لا يَزالُ بِها أَنِيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وَشاءُ[4]

٤- فَدَعْ هَذا، وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُني إِذا ذَهَبَ العِشاءُ[5]

٥- لِشَعْثاءَ الَّتي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْها شِفاءُ[6]

٦- كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ وَماءُ[7]

٧- عَلى أَنْيابِها، أَوْ طَعْمَ غَضٍّ ... مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرُهُ الجَناءُ[8]

٨- إِذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ

٩- نُوَلِّيها المَلامَةَ إِنْ أَلَمْنا ... إِذا ما كانَ مَغْثٌ أَوْ لِحاءُ[9]

١٠- وَنَشْرَبُها فَتَتْرُكُنا مُلُوكًا ... وَأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ[10]

١١- عَدِمْنا خَيْلَنا إِنْ لَم تَرَوْها ... تثِير النَّقْعَ، مَوْعِدُها كَداءُ[11]

---

(١) شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص١-١٠. (وقد أفدنا من تعليقات الشّارح في حواشيه).

(٢) عفت: درست، ذات الأصابع والجواء وعذراء: مواضع في الشّام..

(٣) الرّوامس: جمعٌ مفردُه (الرّامسة)، وهي الرّيح الّتي تثير التّراب فتدفن به الآثار.

(٤) المروج: جمعٌ مفردُه (المرج)، وهو أرض واسعة ذات كلأ. والنّعم: الأبل. الشّاء: الغنم.

(٥) الطّيف: الخيال يلمّ بالنّائم. العِشاء: أوّل الظّلام من اللّيل.

(٦) تيّمه الحبّ: استولى عليه وذلّله.

(٧) السّبيئة: الخمر الّتي تستبأ، أي تُشترى لتُشرب. بيت رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمر.

(٨) هصّره الجناء: أدرك ونضج.

(٩) ألمنا: أتينا ما نُلام عليه. المغث: الشّرّ والقتال. اللّحاء: السّباب.

(١٠) النّهنهة: الكفّ والمنع.

(١١) النّقع: غبار المعركة. كداء: الثّنية العُليا بمكّة ممّا يلي المقابر، وهو المعلّى.

١٢- يُبارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِداتٍ ... عَلى أَكْتافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[١]

١٣- تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّساءُ[٢]

١٤- فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنا ... وَكانَ الفَتْحُ، وَانْكَشَفَ الغِطاءُ

١٥- وَإِلّا فَاصْبِرُوا لِجِلادِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَنْ يَشاءُ[٣]

١٦- وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينا ... وَرُوحُ القُدسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ

١٧- وَقالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الحَقَّ إِنْ نَفَعَ البَلاءُ

١٨- شَهِدْتُ بِهِ، فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ: لا نَقُومُ، وَلا نَشاءُ

١٩- وَقالَ اللهُ: قَدْ سَيّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ

٢٠- لَنا في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبابٌ أَوْ قِتالٌ أَوْ هِجاءُ

٢١- فَنُحْكِمُ بِالقَوافي مَنْ هَجانا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ

٢٢- أَلا أَبْلِغْ أَبا سُفْيانَ عَنِّي: ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

٢٣- بِأَنَّ سُيُوفَنا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ... وَعَبْدَ الدَّارِ سادَتُها الإِماءُ

٢٤- هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ[٤]

٢٥- أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ؟ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ

٢٦- هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنِيفًا ... أَمِينَ اللهِ، شِيمَتُهُ الوَفاءُ

٢٧- فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَواءُ

٢٨- فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرْضي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ[٥]

---

(١) مُصعدات: ذاهبات صعدًا.

(٢) تمطّرت الخيل: أسرعت. تلطّمهنّ: تضربن خدودها بكفّ مفتوحة. الخُمر: جمعٌ مفردُه (الخِمار)، وهو ما تغطّي به المرأة رأسها.

(٣) الجلاد: التّضارب بالسّيوف في القتال.

(٤) الجزاء: المكافأة.

(٥) العِرض: موضع المدح والذّمّ من الإنسان. الوقاء: كلّ ما وقيت به شيئًا.

٢٩- فَإِمَّـــا تَـــثْقَفَنَّ بَنُـــو لُـــؤَيٍّ جُذَيْمَـــةَ، إِنَّ قَـــتْلَهُمُ شِـــفاءُ[1]

٣٠- أُولَئِـكَ مَعْشَـرٌ نَصَـرُوا عَلَيْنـا فَفـــي أَظْفارِنـــا مِـــنْهُمْ دِمـــاءُ

٣١- وَحِلْـــفُ الحارِثِ بْنِ أَبي ضِرارٍ وَحِلْـــفُ قُرَيْظَـــةٍ مِنَّـــا بَـــراءُ

٣٢- لِسـاني صـارِمٌ، لا عَيْـبَ فِيـهِ وَبَحْـــري، لا تُكَـــدِّرُهُ الـــدِّلاءُ

* * *

- المقاربة الأسلوبيّة:

١- المستوى الصّوتيّ:

اهتمّت الأسلوبيّة بالمستوى الصّوتيّ في النّصّ، ودوره في إنتاج المعنى اهتمامًا كبيرًا، وذلك لأنّ الصّوت يخلق أثرًا كبيرًا في المتلقّي، ويثير في كيانه ردّة فعل تجاه ما ورد في النّصّ من أفكار ومواقف، فدراسة الأصوات في النّصّ الشّعريّ تُعَدُّ بوّابةً للدّخول في عالم النّصّ الأدبيّ والغوص في عالمه الدّاخليّ.

ويُعدُّ الصّوت عنصرًا أساسيًّا ومهمًّا في نظام اللّغة، إذ تتّضح قيمة الأصوات من خلال ما تكشف عن المعنى والدّلالة، وهي أصغر وحدة في إطار اللّغة. ومن الممكن دراسة النّصّ صوتيًّا بالنّظر فيما استخدمه الشّاعر من أصوات مجهورة، وأخرى مهموسة.

أ- الأصوات المجهورة:

وهي الّتي تصدر بطريقة ذبذبة الوترين الصّوتيّين في الحنجرة، فالصّوت المجهور هو الّذي يهتزّ معه الوتران الصّوتيّان. فالمراد بهذا النّمط من الأصوات تلك الأصوات، الّتي تخلق حركةً عند الخروج من الوترين الصّوتيّين، ويسمّي علماء الأصوات اللّغويّة هذه العمليّةَ بجَهْر الصَّوت[2].

والأصوات المجهورة في اللّغة العربيّة ثلاثة عشر، وهي: ب، ج، د، ذ، ز، ر، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، ويُضاف إليها أصوات اللّين.

وبإحصاء هذه الأصوات في قصيدة حسّان الهمزيّة نجد أنّها قد توزّعت فيها

(١) ثقفه: أدركه وظفر به.

(٢) انظر: إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**،ص٢١.

كما في هذا الجدول:

الصّوت	الباء	الجيم	الدّال	الذّال	الرّاء	الزّاي	الضّاد	الظّاء	العين	الغين	اللّام	الميم	النّون
عدد مرّات التّواتر	٣٠	١٨	٣٣	١٠	٥٠	٥	٧	٤	٣٥	٤	١١٥	٧١	٨٠

يتبيّن لنا من خلال هذا الجدول أنّ الشّاعر قد استخدم الأصوات المجهورة كلّها، على اختلاف في نسبة التّواتر بينها، فقد كان صوت (اللّام) أكثر الحروف توظيفًا في القصيدة، فبلغ (١١٥) مرّةً، وورد في عدد كبير من كلمات القصيدة، ومنها (منزلها، خلاء، خلال، قلبه، عسل، الملامة، لحاء، الأسل،...).

واللّامُ حرفٌ مجهورٌ متوسّطُ الشّدّة، صوتُ هذا الحرف يوحي بمزيج من اللّيونة والمرونة والتّماسك والالتصاق، وهذه الخصائص الإيحائيّة لمسيّة صرفة[١].

يأتي بعده صوت (النّون)، فقد ورد (٨٠) مرّة، في عدد من الكلمات، ومنها (منزلها، نعم، يؤرّقني، يكون، أنيابها، الجناء، الأعنّة، انكشف،...).

والنّون حرفٌ مجهورٌ متوسّطُ الشّدّة، تتغيّر موحيات صوت هذا الحرف ومعانيه وفق كيفيّة النّطق به، فهو يوحي تارةً بالحركة من الدّاخل إلى الخارج، وهو الانبثاق، كما يوحي تارةً أخرى بالحركة من الخارج إلى الدّاخل، وهو النّفاذ إلى الأشياء[٢].

ثمّ يتلوه صوت (الميم)، فقد ورد (٧١) مرّةً، في عدد من مفردات القصيدة، ومنها (منزلها، الرّوامس، السّماء، مروجها، نعم، تيّمته، مزاجها، ماء، طعم، يومًا، مغث،).

وهو حرفٌ مجهورٌ، متوسّطُ الشّدّة أو الرّخاوة، صوته يوحي بذات الأحاسيس اللّمسيّة الّتي تعانيهما الشّفتان لدى انطباقهما على بعضهما، من اللّيونة والمرونة والتّماسك مع شيء من الحرارة[٣].

(١) انظر: حسن عبّاس، **خصائص الحروف العربية**، ص٧٩.

(٢) انظر: **المرجع نفسه**، ص١٦٠-١٦١.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص٧٢.

ب- الأصوات المهموسة:

وهي الّتي تصدر بلا اهتزاز الأوتار الصّوتيّة، فالصّوت المهموس هو الّذي لا يهتزّ معه الوتران الصّوتيّان، ولا سُمِعَ له رنينٌ حين النّطق به، والصّوت المهموس بهذا المفهوم كلُّ صوت تمّ إخفاؤه فيه ليونة يجري النّفس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه(١).

والأصوات المهموسة في اللّغة العربيّة اثنا عشر، وهي: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ.

وبإحصاء هذه الأصوات في قصيدة حسّان الهمزيّة نجد أنّها قد توزّعت فيها كما في هذا الجدول:

الصّوت	التّاء	الثّاء	الحاء	الخاء	السّين	الشّين	الصّاد	الطّاء	الفاء	القاف	الكاف	الهاء
عدد مرّات التّواتر	٤٤	٥	١٨	٧	٢٥	١٤	٩	٧	٤٨	٢٤	٢٦	٥٦

يتبيّن لنا من خلال هذا الجدول أنّ الشّاعر قد استخدم الأصوات المهموسة كلّها، على اختلاف في نسبة التّواتر بينها، فقد كان صوت (الهاء) أكثر الحروف توظيفًا في القصيدة، فقد بلغ (٥٦) مرّةً، وورد في عدد كبير من كلمات القصيدة، ومنها (هذا، ذهب، هصّره، فهنّ، ينهنهنا، هم، هِجاء، هَجانا، هواء، هجوت،).

والهاء حرفٌ مهموسٌ رخوٌ، تتغيّر موحيات هذا الحرف وفق كيفية النّطق به، فقد يوحي تارةً بالاضطراب والاهتزاز والسّحق والقطع والكسر والتّخريب، ويوحي تارةً أخرى بمشاعر إنسانيّة من حزن ويأس وضياع(٢).

ويتلوه صوت (الفاء)، فقد بلغ (٤٨) مرّةً، ومنها ما ورد في هذه المفردات: (عفت، فالجواء، قفر، تعفّيها، فدع، لطيف، فليس، شفاء، التّفّاح، أكتافها،).

والفاء حرف مهموس رخو، يوحي بملمس مخمليّ دافئ، كما يوحي بالبعثرة

(١) انظر: **المرجع نفسه**، ص٢٢.

(٢) انظر: حسن عبّاس، **خصائص الحروف العربية**، ص١٩١، وما بعدها.

والتّشتّت[1].

ثمّ يأتي بعده صوت (التّاء)، فقد بلغ عدد مرّات تواتره (٤٤) مرّةً، في عدد من مفردات القصيدة، ومنها (عفت، تعفّيها، كانت، تيّمته، بيت، التّفّاح، الأشربات، تتركنا، تثير، مصعدات).

وهو حرف مهموس انفجاريّ شديد، وعلى الرّغم ممّا أُسند إلى هذا الحرف من الشّدّة والانفجار وما وصف بالقرع بقوّة، فإنّ صوته المتماسك المرن يوحي بملمس بين الطّراوة واللّيونة[2].

وبالمقارنة بين الحروف المجهورة والمهموسة ونسب تواترها في هذه القصيدة، نجد أنّ الحروف المجهورة جاءت أكثر توظيفاً بالنّسبة إلى المهموسة، وهذا يدلّ على أنَّ القصيدة الهمزيّة لا تصوّر لنا حالة الهدوء والاطمئنان لدى الشّاعر المدافع، بل جاءت هذه الحروف، بما تحمل من صفات وإيحاءات، لتعبّر عن القوّة والشّدّة، وهذا ما يناسب حال الشّاعر وموقفه من أعداء الدّين، فكان تعبيره بالأصوات المجهورة مناسبًا للموقف الشّعوريّ والانفعاليّ، منسجمًا مع الغاية من القصيدة وهدفها.

٢– المستوى الإيقاعيّ:

تُعَدُّ البنية الموسيقيّة من أهمّ جوانب التّجربة الشّعريّة، ويتّفق النّقّادُ والدّارسون العرب القُدامى والمُحدثون، على أنّ الشّعرَ صيغةٌ موسيقيّةٌ، فليس الشّعر في الحقيقة إلّا كلامًا موسيقيًّا، تنفعل لِموسيقاه النّفوس، وتتأثّر بها القلوب[3]، وإلى هذا ترتكز أهمّيّة الموسيقا في الشّعر، فهي تستطيع أن تُقيم بناء مُتكاملًا يجمع بين التّأليف القائم في أعماق الشّاعر، وبين غيره من المُتلقّين، في قدرة فنّيّة على جعل إيقاعات النّفس تجذب الآخرين، بواسطة النّغم الشّعريّ، الّذي تعطي مذاقه موسيقا الشّعر[4].

(١) انظر: **المرجع نفسه**، ص١٣٢.

(٢) انظر: **المرجع نفسه**،ص٥٥.

(٣) انظر: إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**،ص١٢.

(٤) رجاء عيد، **التجديد الموسيقي في الشعر العربي**، ص١٢.

وفي الشّعر نوعان من الموسيقا: موسيقا خارجيّة، وموسيقا داخليّة.

أ- الموسيقا الخارجيّة:

تقوم موسيقا الشّعر الخارجيّة على ركنين أساسيّين من أركان القصيدة، هما:

- **الوزن:** وهو عنصرٌ مهمٌّ من عناصر القصيدة، ولا يمكن فَصْلُه عن سواه من مُكوّناتها[١]، وقد احتلّ مكانة بارزة في دراسة البنية الموسيقيّة للقصيدة، فهو ركن أساسيّ للشّعر[٢].

وليس الوزن مُجرّد تفعيلات مُنفصِلة عن المعنى، تُلقّن وتُحفظ، ولكنّه لصيقٌ بالمعنى وغير مُنفصِل عنه، ويساعد على تأكيد المعنى، وتثبيته في الذّهن، وصونه من الضّياع[٣]. ومهما بلغت معرفة الشّاعر بصناعة الشّعر وتحسينه، تبقى حاجتُه لمعرفة خصائصه ضروريّةً، «فلم يكن الشّاعر العربيّ يَنظِم الشّعر، دون شعور بخصائصه وموسيقاه، بل كان يَعمد إليه عمدًا، ويقصِد إليه قصدًا»[٤].

نظم الشّعراء العرب أشعارهم على الأوزان الخليليّة، غير أنّها لم تحظَ بعناية مُتكافِئة من لدن الشّعراء، فقد شاع استعمال عدد من البحور، وقلّ استعمال عدد منها، فمن البحور الّتي ذاع استعمالها الطّويلُ والكاملُ والبسيطُ والخفيفُ والوافرُ، أمّا البحور الأخرى فقد قلّ استعمال عدد منها، وندر استخدام عدد آخر[٥].

وقد نظم حسّان قصيدته هذه على بحر الوافر، وتفعيلاته هي:

مفـــاعلتن مفـــاعلتن فعـــولن مفـــاعلتن مفـــاعلتن فعـــولن

ويُعدّ اختيار الشّاعر لهذا الوزن العروضيّ ميزة أسلوبيّة بارزة في هذه القصيدة الّتي تعمّق الدلالة، فالوافر من البحور الخمسة الّتي ظلّت في كلّ العصور موفورة الحظّ

(١) انظر: **المرجع نفسه**، ص٩.

(٢) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ٢٦٨/١.

(٣) انظر: رجاء عيد، **التجديد الموسيقي**، ص٩.

(٤) إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص٢٠٥.

(٥) انظر: ، **المرجع نفسه**، ص٢١٠-٢١٨.

يطرقها كلّ الشّعراء، ويكثرون النّظم منها، وتألفها آذان النّاس في البيئة العربيّة[١]. وهو بحرٌ مسرعُ النّغمات متلاحقُها، مع وقفة قويّة سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق، وهذا يتطلّب من الشّاعر أن يأتي بمعانيه دُفعًا دُفعًا، لا في انثيال ولا في رشاقة، وأكثر ما يكون المتقارب في نظم الشعّراء ذا أساليب تغلب عليها الخطابة، وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيّات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر، والتّفخيم في معرض المدح[٢].

– **القافية**: وهي أصوات تتكوّن في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة[٣]، وتكرارها يكوّن جزءًا مهمًّا من الموسيقى الشّعريّة، فهي بمنزلة الفواصل الموسيقيّة يتوقّع السّامع تردّدها، ويستمتع بمثل هذا التّردّد الّذي يطرق الآذان في مدد زمنيّة منتظمة، وبعد عدد معيّن من مقاطع ذات نظام خاصّ يسمّى الوزن[٤].

ولأهمّيّة القافية في الشّعر عُدّت «شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر، ولا يُسمّى شعرًا حتّى يكون له وزن وقافية»[٥]، ووجود القافية في القصيدة يُتمّم الوزن ويتكامل معه، فـ«إذا كان الوزنُ ذا صِلة عضويّة بالنّصّ الشّعريّ، بِما يبعثه من موسيقى، ذات إثارة في النّفس والحسّ معًا، فإنّ هذه الموسيقى تعظم وتَتنامى وتؤثّر، إذا توافرت القافية، فهي تضيف بموسيقاها قوّة ومفعولًا لا تتوافران عن طريق الوزن وحده»[٦]، ولهذا كان للنّقّاد القدماء اهتمام بالغ بالقافية، فـ«طلبوا إلى الشّعراء

(١) انظر: **المرجع نفسه**، ص١٨١–١٩٠.

(٢) انظر: ، عبدالله الطّيّب، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ٤٠٧/١ .

(٣) انظر: ابن رشيق القيرواني، **العُمدة**، ٢٩٤/١–٢٩٥، كان تحديدُ القافية موضعَ خلاف بين العَروضيّين، فقيّدها كلّ واحد منهم بِما شاء، ولعلّ تقييد الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) لها، هو الرّاجح والمعمول به، وهي عنده من آخِر البيت، إلى أوّل ساكن يَلِيه، مع المُتحرّك الّذي قبلَ السّاكن.

(٤) انظر: إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص٢٤٤.

(٥) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ٢٩٤/١.

(٦) عبد الفتاح صالح نافع، **عضوية الموسيقى**، ص٧٤.

تحسينها والاهتمام بها، وبصّروهم بعيوبها ومحاسنها مباشرة، وعن طريق ما وجّهوه فيها من نقد إلى كثيرين منهم»[1].

ولم تكن عناية حسان بالوزن الشّعريّ، أقلّ من عنايته بالقافية، فقد كان من الشّعراء الّذين يحسنون اصطفاء قوافيهم، من حيث ترتيب أصواتها، ويتبيّن هذا من خلال اختياره لفظ القافية في شعره، فجاء من المُتواتِر[2]، كما أَحْسنَ اختيار حرف الرّويّ فيها، فاستخدم الهمزة، وهي من الحروف الّتي يكثر استعمالها رويًّا في الشّعر العربيّ[3].

ب- الموسيقا الدّاخليّة:

اهتمّ حسّان بوزن همزيّته وقافيتها، وهما جانبا الموسيقا الخارجيّة، واهتمّ كذلك بالموسيقا الدّاخليّة الّتي تأتي بعد الوزن والقافية، ويدخل فيها الجِناس والطِّباق، وسائر المُحسّنات، مع تركيب الكلام وترتيب الكلمات وتخيّرها، وكلّ ما من شأنه أن يُعين على تجويد البنية، والرّنين في أبيات القصيدة[4]، وقد استخدم الشّعراء هذه المُحسّنات كثيرًا، تحسينًا لأساليبهم وتنميقًا لكلامهم.

وقد برزت الموسيقا الدّاخليّة في همزيّة حسّان، من خلال استخدامه مجموعة من الأساليب اللّفظيّة والمُحسّنات المختلفة، ولعلّ أهمّها التّكرار، وهو وسيلة من وسائل تحسين الإيقاع وتقويته، وهو عامل من عوامل الإطراب، سعى إليه الشّاعر للتّأثير في ذهن السّامع.

تُعَدُّ تقنية التّكرار من التّقنيات المؤثّرة في تشكيل الإيقاع الدّاخليّ، ويُؤتَى به للتّوكيد، وهو أن يكرّر المتكلّم اللّفظة الواحدة لتأكيد الوصف، أو المدح أو الذّمّ أو

(١) يوسف بكّار، **بناء القصيدة**، ص١٨٠.

(٢) المُتواتر: حرف مُتحرّك بين ساكنين في آخر البيت (العُمدة، ابن رشيق، ٣٢٤/١).

(٣) انظر: إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص٢٧٥.

(٤) انظر: يوسف بكّار، **بناء القصيدة**، ص١٩٧.

التّهويل أو الوعيد[١].

وقد عمد الشّاعر حسّان بن ثابت إلى توظيف هذه التّقنية لترسيخ المواقف الذّاتيّة والتّجربة الشّعريّة والشّعوريّة في كيان المتلقّي، وذلك من خلال:

– تكرار الحرف:

والمراد بالحرف هنا حرف المعنى العامل بأنواعه المختلفة كحرف الجرّ والنّصب والجزم... لما له من دور مهمّ في خلق بنية النّصّ وتماسكه من جانب، وتكوين البنية الإيقاعيّة الّتي تشدّ انتباه المتلقّي وتسترعيه من جانب آخر، وذهب بعض النّقّاد إلى أنّ لتكرار الحرف مزيّة سمعيّة ترجع إلى عنصر الموسيقى، ومزيّة فكريّة ترجع إلى المعنى[٢].

وبإحصاء الحروف المكرّرة في الهمزيّة نجد توزّعها في هذا الجدول، وفق الآتي:

الحرف	الواو	الفاء	أو	من	في	على	لا	قد
عدد مرّات التّواتر	٢٦	١٦	٣	١٠	٦	٢	٥	٣

نلاحظ من خلال الجدول السّابق، أنّ الشّاعر وظّف في همزيّته عددًا من أحرف المعاني، وهي للعطف والجرّ والنّفي والتّحقيق. وكان أكثرها استخدامًا حروف العطف عددًا وتواترًا.

وقد وظّف الشّاعر هذه الحروف لما لها من وظيفة الوصل والرّبط، ولا سيّما الواو لما لها من أهمّيّة في التّسلسل النّصّيّ للجمل، حيث تكرّر ذكره ٢٦ مرّةً، فأسهم استعماله بفاعليّةٍ في بناء عناصر الخطاب بناءً متماسكًا، ويظهر ذلك في ربط العناصر ببعضها، ممّا أدّى إلى تشكيل نصّ متّحد الأجزاء، ويمكن توضيح توضيح ذلك من خلال عدد من النّماذج.

---

(١) انظر: حسني عبدالجليل يوسف، **موسيقى الشّعر العربيّ (دراسة فنّيّة وعروضيّة)**، ص١٥٤.

(٢) انظر: عز الدين علي السّيّد، **التّكرار بين المثير والتّأثير**، ص٩.

قال حسّان في مقدّمة الهمزيّة[١]:

دِيـارٌ مِـنْ بَنـي الحَسْـحاسِ قَفْـرٌ تُعَفِّيهـا الـرَّوامِسُ وَالسَّـماءُ

وقال في بيت آخر[٢]:

كَـأَنَّ سَـبِيئَةً مِـنْ بَيْـتِ رَأْسٍ يَكُـونُ مِزاجَهـا عَسَـلٌ وَمـاءُ

ربطت الواو في هذين البيتين بين مفردات القصيدة، وقامت بالدّور نفسه بالربط بين أبيات القصيدة وصدر البيت وعجزه، وذلك للحفاظ على وحدة النص وبنائه في الأبيات اللاحقة، كما في هذه الأبيات[٣]:

وَنَشْـرَبُها فَتَتْرُكُنـا مُلُوكًـا وَأُسْـدًا مـا يُنَهْنِهُنـا اللِّقـاءُ

وقوله[٤]:

فَإِمَّـا تُعْرِضُـوا عَنَّـا اعْتَمَرْنـا وَكـانَ الفَـتْحُ، وَانْكَشَـفَ الغِطـاءُ

اعتمد الشّاعر في هذه الأبيات على الواو لبناء التّراكيب وتماسكها، فحرف العطف الواو يعدّ قرينة لفظيّة مهمّة لأمن اللّبس في فهم الانفصال بين عناصر التّركيبين، إذ يقوم الواو بالرّبط بينهما.

ومظاهر الرّبط في الهمزيّة كثيرة لا تتوقّف على الواو فقط، ومن بينها الفاء، فقد وردت في النص ١٦ مرّةً، وهي تفيد السّبب في الجملة، بالإضافة إلى التّرتيب والتّعقيب، وهذا ما يتّضح من خلال عدد من الأبيات، قال[٥]:

شَـهِدْتُ بِـهِ، فَقُومُـوا صَـدِّقُوهُ فَقُلْـتُمْ: لا نَقُـومُ، وَلا نَشـاءُ

وقال في آخر[٦]:

(١) **شرح الدّيوان**، ص٢.
(٢) **المرجع نفسه**، ص٣.
(٣) **المرجع نفسه**، ص٤.
(٤) **المرجع نفسه**، ص٥.
(٥) **المرجع نفسه**، ص٦.
(٦) **المرجع نفسه**، ص٨-٩.

فَمَـــنْ يَهْجُـــو رَسُـــولَ اللهِ مِـــنْكُمْ وَيَمْدَحُـــــهُ وَيَنْصُـــــرُهُ سَـــــواءُ
فَـــإِنَّ أَبـــي وَوالِـــدَهُ وَعِرْضـــي لِعِـــرْضِ مُحَمَّـــدٍ مِـــنْكُمْ وِقَـــاءُ
فَإِمَّـــا تَـــثْقَفَنَّ بَنُـــو لُـــؤَيٍّ جُذَيْمَـــةَ، إِنَّ قَـــتْلَهُمُ شِـــفاءُ
أُولَئِـــكَ مَعْشَـــرٌ نَصَـــرُوا عَلَيْنـــا فَفـــي أَظْفارِنـــا مِـــنْهُمْ دِمـــاءُ

ورد حرف الفاء في مواضع متعدّدة ليفيد دلالة الرّبط بين بداية القصيدة ومنتهاها، من أجل هذا كان الأنسب لعمليّة نقل الأحداث والوقائع من المرسل إلى المتلقّي، لتصله متسلسلةً مترابطةً.

– تكرار الكلمة:

تشكّل الكلمة المصدر الأوّل من مصادر الشعراء، وتتشكّل من صوت معزول، أو من جملة من الأصوات المركّبة الموزّعة داخل البيت أو القصيدة أفقيًّا أو رأسيًّا، وهذه الأصوات تتوحّد في بنائها وتأثيرها، سواء أ كانت حرفًا أم كلمة ذات صفات ثابتة كالأسماء، أو ذات طبيعة متغيّرة تفرضها طبيعة السّياق كالفعل.

وبإحصاء عدد الكلمات في الهمزيّة نجد أنّ المكرّر منها جاء وفق الجدول الآتي:

الكلمة	شفاء	الفداء	اللّقاء	يوم	الله	الدّماء	محمّدًا
عدد مرّات التّواتر	٢	٢	٢	٢	٧	٢	٢
الأبيات	٥ و٢٩	٨ و٢٥	١٠ و١٩	١٥ و٢٠	١٥ و١٦ و١٧ و١٩ و٢٤ و٢٦ و٢٧	٢١ و٣٠	٢٤ و٢٨

فمن خلال هذا الجدول الإحصائيّ نرى أنّ الشّاعر قد كرّر سبع كلمات كلّها من الأسماء، وجاء أكثرها تكرارًا لفظ الجلال (الله)، فقد ورد سبع مرّات، أمّا سائر الكلمات فقد تكرّرت كلٌّ واحدة منها مرّتين فقط.

ولبيان دور التّكرار وأثره في بناء القصيدة سنستعرض الأبيات الّتي ورد فيها لفظ الجلالة (الله)، فقد قال حسّان[1]:

(١) **المرجع نفسه**، ص٦–٨.

١٥- وَإِلّا فَاصْبِرُوا لِجِلادِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَنْ يَشاءُ
١٦- وَجِبْريلٌ رَسُولُ اللهِ فِينا وَرُوحُ القُدسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ
١٧- وَقالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الحَقَّ، إِنْ نَفَعَ البَلاءُ
١٩- وَقالَ اللهُ: قَدْ سَيّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأَنْصارُ، عُرْضَتُها اللِّقاءُ
٢٤- هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللهِ - في ذاكَ - الجَزاءُ
٢٦- هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللهِ، شِيمَتُهُ الوَفاءُ
٢٧- فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ، سَواءُ

توزّع لفظ الجلالة على سبعة أبيات هي محور القصيدة وغرضها الأساسيّ، ففيها بدأ حسّان يتوعّد المشركين واثقًا بنصر الله، مستمدًّا ثقته من آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء﴾[(١)]، وكما في قوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون﴾[(٢)]. وقد ورد لفظ (العزّة) في آيات أخر تُنسب فيها لله تعالى[(٣)]، وفي هذا دليل واضح على تشرّب نفس حسّان بالإيمان بالله ونصره، فراح يصدر في شعره عن هذه العقيدة الراسخة.

ومن هذا المنطلق يتوالى تكرار لفظ الجلالة (الله)، فنجده مضافًا إلى كلمة (رسول) في حديثه عن جبريل عليه السلام، روح القُدس، وقد وردت آيات في حقّه تثبت دوره في تأييد الأنبياء وتثبيت المؤمنين[(٤)].

كرّر حسّان كلمة (الله) سبع مرّات، وهذا تأكيد على أنّ القصيدة مرتبطة بموضوع واحد، وهو الدفاع عن الرسول والدين، وقد عملت هذه الكلمة على الجمع بين عناصر القصيدة.

(١) آل عمران: ٢٦.
(٢) المنافقون: ٨.
(٣) النّساء: ١٣٩، يونس: ٦٥، فاطر: ١٠، الصّافّات: ١٨٠.
(٤) البقرة: ٨٧، ٢٥٣، المائدة: ١١٠، النّحل: ١٠٢.

– تكرار الجملة:

يُعَدُّ هذا النمط من التّكرار من أكثر أشكال التّكرار شيوعًا ورواجًا في الشّعر العربيّ، فإذا كان تكرار الحرف في بنية القصيدة يمنحها نغمًا وجرسًا ينعكسان على الحركة الإيقاعيّة للقصيدة، فإنّ تكرار الجملة لا يمنح القصيدة النّغم فقط، بل يمنحها امتدادًا وتناميًا وانتشارًا في قالب انفعاليّ متصاعد ناتج عن تكرار العنصر الواحد(١).

وبإحصاء الجمل في همزية حسّان، نجد أنّ المكرّرة جاءت وفق الجدول الآتي:

الجملة	قال الله	هجوتَ محمّدًا
عدد مرّات التّواتر	٢	٢
الأبيات	١٧ و١٩	٢٤ و٢٦

واضحٌ من خلال هذا الجدول، أنّ جملتين فقط تكرّرتا في الهمزيّة، بمعدّل مرّتين لكلّ واحدة منهما، وهما جملتان فعليّتان، فعلهما ماض، نستعرض كلًّا منهما في السّياق الّذي وردت فيه، لنتعرّف إلى دلالة تكرارهما. فقد قال حسّان في البيت السّابع عشر من الهمزيّة(٢):

وَقَــالَ اللهُ: قَــدْ أَرْسَــلْتُ عَبْــدًا يَقُــولُ الحَــقَّ إِنْ نَفَــعَ الــبَلاءُ

وقال في البيت التّاسع عشر(٣):

وَقَــالَ اللهُ: قَــدْ سَــيّرْتُ جُنْــدًا هُــمُ الأَنْصــارُ عُرْضَــتُها اللِّقــاءُ

كرّر الشّاعر الجملة (قال الله) في البيتين، إيمانا منه بدعوة النبيّ، وحثًّا للمشركين على اعتناق الدّين الجديد.

وكرّر الجملة الفعليّة (هجوت) في موضعين آخرين، فقد قال في البيت الرّابع والعشرين(٤):

هَجَــوْتَ مُحَمَّــدًا فَأَجَبْــتُ عَنْــهُ وَعِنْــــدَ اللهِ فـــي ذاكَ الجَـــزاءُ

(١) مصطفى حركات، **نظريّة الإيقاع (الشّعر العربيّ بين اللّغة والموسيقى)**، ص١٣٦.

(٢) **شرح الديوان**، ص٦.

(٣) **المرجع نفسه**.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٨.

ثمّ قال في البيت السّادس والعشرين[1]:

هَجَـــوْتَ مُبارَكًـــا بَـــرًّا حَنِيفًـــا أَمِـــينَ اللهِ، شِـــيمَتُهُ الوَفـــاءُ

كرّر حسّان الجملة (هجوْتَ) ليؤكّد عليها كلامه ليلتفت انتباه القارئ، وهذا التّوكيد جاء من أجل التذكير بفعل المشركين، والتنديد بما اقترفوا بحقّ النبيّ الكريم.

ومن خلال الأمثلة السابقة تتبين لنا أهمية التكرار في الحفاظ على تماسك النص، وأن التكرار لكل الألفاظ حقق اتساقا على مستوى المعنى والشكل، بالإضافة إلى وظيفة التكرار هو إعادة اللفظ بذاته لا يخل بالمعنى بل يزيد النص تماسكا.

٣- المستوى التّركيبي:

الجملة هي اللَّبِنة الأولى في بناء النّصّ، وهي مؤلّفة من وحدات مركّبة وفق قواعد النّحو واللغة، تتشكّل وفق ترتيب متعارف عليه ومتداول. وقد يعدل الشّاعر عن التّرتيب الأصليّ للكلام، فيغيّر في هذا الترتيب ليخرج الكلام عن الإطار العادي والمألوف خلافًا لما عُرف في النحو العربيّ من قواعد وأسس.

وقد نجد أنّ هذا العدول عن النّمط المعهود، يتجلّى في همزيّة حسّان من خلال ظاهرتين اثنتين، هما الحذف، والتقديم والتأخير.

- الحذف:

يُعَدُّ الحذف من أكثر الظّواهر الأسلوبيّة شيوعًا واستعمالًا في إطار اللّغة، وهذا يعود إلى دوره المهمّ في تشكيل بنية الخطاب، ممّا يجعل النّصّ أكثر تماسكًا واتّساقًا. يستشفّ الحذف في الدّراسات الأسلوبيّة علاقة من علاقات الاتّساق المعجميّة النّحويّة داخل النّصّ، وتتكوّن بافتراض عنصر غير ظاهر في النّصّ، يهتدي المتلقّي إلى تقديره اعتماداً على نصّ سابق مرتبط به، وهذا يعني أنّ الحذف عادةً علاقة قَبْليّة، لأنّه في معظم الأمثلة يوجد العنصر المحذوف المفترض في النّصّ السّابق أو الجملة السابقة.

(١) **المرجع نفسه.**

وبإحصاء مواطن الحذف في القصيدة، نجد أنّها توزّعت على النّحو الآتي:

البيت	٤	٦	٩	١٤	١٧	٢٢	٢٦	٣٠	٣٢
الحذف	فدع هذا	سبيئة من بيت رأس	كان مغثٌ	وكان الفتح	يقول الحقَّ	فأنت مجوّف نخب هواء	هجوت مباركا	نصروا علينا	لساني صار
التّقدير	دع (ذكرك) هذا	سبيئة (مجلوبة أو مشتراة)	كان مغثٌ (حاصلًا)	وكان الفتح (حاصلًا)	يقول (هو) الحقَّ	فأنت مجوّف، (أنت) نخب، (أنت) هواء	هجوت (رجلًا) مباركًا	نصروا (الأعداء) علينا	لساني (سيف) صارم

ومن خلال هذا الجدول الإحصائيّ نرى أنّ الهمزيّة تزخر بعدد من مواضع الحذف، وأن المحذوف فيها جميعا هو الاسم. وسنسعى لتوضيح ظاهرة الحذف في الهمزيّة، من خلال عدد من الأمثلة.

فمن مواضع الحذف في الهمزيّة، قول حسّان في البيت الرّابع منها، وهو يريد الانتقال من وصف الديار إلى ذكر شعثاء[(١)]:

فَـدَعْ هَـذا، وَلَكِـنْ مِـنْ لِطَيْـفٍ يُـؤَرِّقُني إذا ذَهَـبَ العِشـاءُ؟

فقد حذف الشّاعر من هذا البيت المفعول به، فتقدير الكلام (دع ذكرك هذا). ولعلّ ذلك خوفًا من فساد المعنى وذهاب الإيقاع، فقراءة الجملة بتقديرٍ يحدث تلاقي التّعبير، وبهذا فإنّ حذفها حافظ على نغمها الموسيقيّ، فضلًا على أنّه زاد الأبيات ارتباطًا والمعاني قربًا، فالفعل (دع) فعل أمر، والغرض منه تجاوز الحديث عن الديار والاهتمام بذكر الأنيس.

ومن الحذف ما جاء في قوله[(٢)]:

كَـأَنَّ سَـبِيئَةً مِـنْ بَيْـتِ رَأْسٍ يَكُـونُ مِزاجَهـا عَسَـلٌ وَمـاءُ

فالمحذوف في هذا البيت صفة منصوبة، وترك قرينة تدلّ عليها وهي (من بيت)،

(١) **شرح الدّيوان**، ص٦.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٣.

فالجارّ والمجرور متعلّقان بصفة محذوفة هي (مُشتراة) أو (مجلوبة)، ولا يجوز تعليقهما بـ(سبيئة)، وتقدير الكلام: ((كأنّ سبيئة مشتراة من بيت رأس)).

نستنتج من خلال هذين المثالين أنّ الشّاعر بعد أن حذف، ترك للقارئ حرّيّة التّأويل، فالحذف يزيد النصّ انسجامًا واتّساقًا، فلم يكن هذا الحذف ملبسًا غامضًا، بل واضحًا جليًّا، وأسهم في إشراك المتلقّي في إنتاج المعنى وتشكيله.

– التّقديم والتّأخير:

هو الظّاهرة الأسلوبيّة الثّانية في الهمزيّة، وقد ارتبطت ظاهرة التّقديم والتّأخير بالشّعر العربيّ منذ نشأته. وينطوي هذا التّحوّل في ألفاظ الوحدات اللّغويّة على غرض، يفرضه السّياق والذّوق، ولهذا كان التّقديم والتّأخير من أبرز مظاهر العدول في التّركيب اللّغويّ، تحقيقًا لغرض نفسيّ ودلاليّ يقوم بوظيفة جماليّة باعتباره ملمحًا أسلوبيًا خاصًّا، ويتمّ عن طريق كسر العلاقة المألوفة بين المسند والمسند إليه، وفي الجملة ليضعها في سياق جديد وعلاقة مميّزة[1].

(١) انظر: راشد بن هاشل الحسني، **البنى الأسلوبيّة في النّصّ الشّعريّ (دراسة تطبيقيّة)**، ص٢٣٣.

وبإحصاء مواضع التّقديم والتّأخير في القصيدة نجد أنّها توزّعت وفق الجدول الآتي:

البيت	الموضع	الحالة
٣	لا يزال بها أنيس	تقديم خبر الفعل النّاقص
٣	خلال مروجها نعم وشاء	تقديم خبر المبتدأ
٥	فليس لقلبه منها شفاء	تقديم خبر الفعل النّاقص
٦	يكون مزاجَها عسل وماء	تقديم خبر الفعل النّاقص
١٢	على أكتافها الأسل الظماء	تقديم خبر المبتدأ
١٣	تلطمهنّ بالخمر النساء	تقديم المفعول به وتأخير الفاعل
١٦	ليس له كفاء	تقديم خبر الفعل النّاقص
٢٠	لنا سباب	تقديم خبر المبتدأ
٢٤	عند الله الجزاء	تقديم خبر المبتدأ
٢٥	لست له بكفء	تقديم خبر الفعل النّاقص
٢٨	فإن أبي لعرض محمّد وقاء	تقديم خبر الفعل الحرف المشبّه
٣٠	في أظفارنا منهم دماء	تقديم خبر المبتدأ
٣٢	لا تكدّره الدّلاء	تقديم المفعول به وتأخير الفاعل

من خلال هذا الجدول نتبيّن أنّ الشّاعر قدّم وأخّر في (١٣) موضعًا، جاءت موزّعةً على (١٢) بيتًا، على النّحو الآتي:

- (٥) مواضع تقديم خبر الفعل الناقص.
- (٥) مواضع تقديم الخبر على المبتدأ.
- (٢) موضعان تقديم المفعول به وتأخير الفاعل.
- (١) موضع واحد تقديم خبر الفعل الحرف المشبّه.

والملاحظ في هذا التّوزيع أنّ المتأخّر في (١٠) مواضع، وهي: (وَشاءُ، شِفاءُ، وماءُ، الظّماءُ، النّساءُ، كِفاءُ، الجزاءُ، وقاءُ، دماءُ، الدّلاءُ) جاء لغرض واحد فقط، وهو الحفاظ على القافية الهمزيّة.

٤– المستوى الدّلاليّ (الحقول الدّلاليّة):

ترتبط اللّغة ارتباطًا وثيقًا بالتّفكير الإنسانيّ والمظهر السّلوكيّ اليوميّ، وهي تعبّر عن نُظُم المجتمع، وتكوّن لأفراده تصوّرًا للعالم من حولهم، فيصنّف الواقع انطلاقًا منه

ويرتّبه بناءً عليه. ولعلم الدّلالة أهميّة قصوى في فهم الرّؤية الّتي تعبّر عنها اللّغة وتحليل التّراكيب والخطابات[1].

والحقل الدّلاليّ مجموعةٌ من المفردات والألفاظ، الّتي يمتّ معناها بصلة وثيقة إلى مفهوم محدّد داخل النّصّ، أو هو كما عرّفها (أولمان) قطاع متكامل من المادّة اللّغويّة يعبّر عن مجال معيّن من الخبرة[2].

والمتأمّل في قصيدة حسّان الهمزيّة يجد أنّ الحقول الدّلاليّة فيها جاءت متنوّعة، تخدم النّصّ، ويمكن حصرها في أربعة محاور أساسية، تمثّل مجمل الألفاظ المهيمنة على بنية القصيدة، وهي:

– حقل الإنسان:

يشكّل توظيف حسّان مفردات الحقل الإنسانيّ في الهمزيّة بمستويات الألفاظ المختلفة، ملمحًا بارزًا من الملامح الأسلوبيّة لديه، ولا يمكننا تجاوز دلالاته الّتي يوحي بها، فقد ورد فيها (بني الحسحاس – أنيس – شعثاء – قلب – شفاء – الجناء – الخُمر – النّساء – رسول الله – عبد – الأنصار – أبا سفيان – أب – والد – محمّد – بنو لؤيّ – جذيمة – معشر – قريظة – لساني).

وهي تتوزّع على ثلاثة مستويات:

الأوّل منها ارتبط بذكره الغساسنة، في إطار الذّكرى واستدعاء الماضي، وقد اقتصر حضوره على مقدّمة القصيدة، التي يُعتقد أنها نُظمت قبل الإسلام، فهي مرتبطة بعهد مضى.

والثاني ارتبط بذكره الرسول والصحابة الكرام الذين وقف منهم موقف المدافع والمآزر،

(١) انظر: أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ص١١، علم الدّلالة هو دراسة المعنى، أو العلم الّذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة الّذي يتناول نظريّة المعنى، أو ذلك الفرع الّذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز، حتّى يكون قادرًا على حمل المعنى..

(٢) انظر: ، أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، ص٧٩.

والثّالث ارتبط بذكره المشركين أعداء النبي وأعداء الدين، وقد وقف منهم موقف الهاجي المعادي.

– حقل الحرب:

يُعدُّ هذا الحقل من أهمّ الحقول الدّلاليّة الّتي فرضت حضورها المكثّف في شعر صدر الإسلام، ومردّ ذلك يعود إلى أنّ الحرب كانت أمرًا واقعًا يعيشه المسلمون في سبيل نشر الدعوة المباركة، كما أنّ البعد الوجدانيّ والنّفسيّ الّذي عاناه المسلمون كان يفرض على الشّاعر حضور مفردات هذا الحقل، وقد تضمّن هذا الحقل مفردات كثيرة، مثل (الأسل – خيلنا – جيادنا – جلاد – جندا – الدّماء – نضرب – تختلط – سوفنا – نصروا – دماء – صارم).

وهي كما تبدو تدور في فلك السّلاح والخيل والقتال والمواجهة والتّحدّي، وهذا ما احتاج إليه حسّان فعلًا وهو يدافع عن الدّين والنّبيّ الكريم، والصّحابة الكرام، واحتاج إليها في تصوير أجواء المعركة.

– حقل المكان:

بدا عنصر المكان واضحًا في الهمزيّة، من خلال استحضار حسّان عددًا من أسماء المواقع، فوجدنا (ذات الأصابع – الجواء – عذراء – منزل – ديار – قفر – بيت رأس – كداء). ...

وهي تتوزّع على مستويين:

الأوّل منها ارتبط بذكره ديار الغساسنة وما حلّ بها، وجاء ذكرها في مقدّمة القصيدة، وقد حملت فيما يبدو دلالة البعد الزّمانيّ والتّحوّل المكانيّ.

أمّا الثّاني فقد ارتبط بمكان المواجهة (كداء)، ولم يطل الوقوف عليه ولم يفصل فيه، إنما أشار إليه إشارة عابرة، تغني عن التّفصيل، فليس المقام مقام تأمّل، بل هو مقام شدّة وقسوة، فالحرب تشغل الشّاعر عن وصف المكان، ولم يأت ذكر (كداء) فيما يبدو إلّا توثيقًا للحدث الجلل، وشيك الوقوع.

وقد جاءت ألفاظ هذه الحقول مجتمعة لتعبّر عن فكر الشاعر، وتنقل إلى

المتلقّي مشاعره، وتوضح موقفه بجلاء، فكانت كاشفة بحقّ عن رؤاه وفلسفته.

٥- الصّورة الشّعريّة:

الصّورة الشّعريّة من أهمّ المرتكزات والرّوافد الفكريّة الّتي تثري الدّلالة، وتغني المعنى في النّصّ. وممّا لا شكّ فيه أنّها من أهمّ الوسائل التّعبيريّة، الّتي تفوق اللّغة التّعبيريّة المباشرة، إذ تمثّل مواقف الشّاعر الذّاتيّة. ومن النّقّاد مَنْ ذهب إلى أنّ مفاهيم الشّعر ونظريّاته قد تتغيّر، فتتغيّر معها مفاهيم الصّورة الشّعريّة ونظريّاتها، ولكنّ الاهتمام بها يظلّ قائمًا ما دام هناك شعراء يبدعون، ونقّاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه[١].

وقد أغنى حسّان همزيّته بمجموعة من الصّور، متوسّلًا بأدواتها، من تشبيه واستعارة.

أ- التّشبيه:

للتّشبيه في الشّعر شرفٌ وفضلٌ، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، فهو يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلّمين من العرب والعَجم عليه، ولم يستغن أحدٌ منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهليّة، ومن كلّ جيل ما يُستدلّ به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكلّ لسان[٢].

وقد أفاض الشّاعر حسّان في استعمال الصّورة التّشبيهيّة في شعره، كمعاصريه من الشّعراء، وهذه ميزة عامّة في الشّعر العربيّ القديم، الّذي يرد فيه التّشبيه والكناية بوفرة ثمّ تليهما الاستعارة[٣].

ومن أنواع التّشبيه الّتي اعتمد فيها على بناء الصّورة، التّشبيهُ المؤكّد المجمل (أو التّشبيه البليغ)، وفي هذا النّوع من الصّورة التّشبيهيّة مبالغةٌ أو إغراقٌ في ادّعاء أنّ

(١) انظر: جابر عصفور، **الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ**، ص٨.

(٢) انظر: أبو هلال العسكريّ، **كتاب الصناعتين**، ص٦١.

(٣) انظر: حميد قبايلي، **الصّورة البيانيّة في المِدحة النّبويّة عند حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، ص١٣٦ .

المشبّه هو المشبّه به نفسه، فحذفُ الأداة يوحي بتساوي الطّرفين في القوّة، وحذفُ وجه الشّبه يدلّ على اشتراك الطّرفين في صفة أو صفات دون غيرها، الأمر الّذي يوحي بأنّهما متشابهان في كلّ صفاتهما المناسبة، ويفسح المجال لخيال القارئ بتصوّر هذه الصّفات. ومن أمثلة ذلك قول حسّان في هجاء أبي سفيان بن الحارث[1]:

أَلا أَبْلِـــغْ أَبـــا سُـــفْيانَ عَنِّـــي: فَأَنْـــتَ مُجَـــوَّفٌ نَخِـــبٌ هَـــواءُ

سعى حسّان في هذه الصّورة إلى أن يحطَّ من قيمة المهجوّ، وأن يجعل منه رجلًا جبانًا لا قلبَ له، خاليَ الجوف من الفؤاد، وقد انتقى حسّان الألفاظ بدقّة، فدلَّت على ما يريد، فالمهجوّ يبدو في صورة هزليّة ساخرة، إذ لم يترك له الشّاعر أيّة صفة حميدة يفتخر بها.

وعن طريق التّشبيه البليغ، استطاع حسّان أن يساوي بين المهجوّ وبين الجبان، والنّخب، والهواء، فصورة المهجوّ أبي سفيان بن الحارث أكثر وضوحًا وبيانًا، وقد بدت كذلك، لحذف الأداة من جهة، وحذف وجه الشّبه من جهة أخرى، وذلك ما يفسح المجال للقارئ في تأمّل الصّفات المشتركة الّتي جعلت المشبّه عينَ المشبّه به.

وفي معرض مدح الرّسول، وإعلان حمايته وفدائه ووقايته من أعدائه، قال حسّان[2]:

فَـــإِنَّ أَبـــي وَوالِـــدَهُ وَعِرْضـــي لِعِـــرْضِ مُحَمَّـــدٍ مِـــنْكُمْ وِقَـــاءُ

فدى حسّان رسول الله بعِرضه وعِرض أسلافه، وقد اختار لفظة (العِرْض) دون سواها من الألفاظ، فالعِرض شيء معنويٌّ مجرّدٌ قد أضحى عند حسّان شيئًا ماديًّا يُفدى به عِرض النّبيّ ويُصان، فاستحال المشبّه عن طريق التّشبيه البليغ مشبّهًا به، وهذه مبالغة مقصودة في العمل الأدبيّ.

ومن أنواع التّشبيه الّتي اعتمد فيها الشّاعر على بناء الصّورة، التّشبيه المُرسل المُجمَل، وهو التّشبيه الّذي تُذْكَر فيه الأداة، ويُحذف فيه وجه الشّبه، ومن أمثلة

(١) **شرح الديوان**، ص٧.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٩.

ذلك قولُ حسّان في وصف الخمرة الّتي شبّه بها رُضاب شعثاء[1]:

كَـــأَنَّ سَـــبِيئَةً مِـــنْ بَيْـــتِ رَأْسٍ يَكُـــونُ مِزاجَهـــا عَسَـــلٌ وَمـــاءُ
عَلـــى أَنْيابِهـــا، أَوْ طَعْـــمَ غَـــضٍّ مِـــنَ التُّفَّـــاحِ هَصَّـــرُهُ الجَنـــاءُ

فقد شبّه الشّاعر طعمَ رُضابها بطعم خمرة ممزوجة بعسل وماء، أو بطعم تفّاح غَضّ، والجامع بين الطّرفين حلاوة المذاق.

وللصّورة الّتي تقوم على التّشبيه في همزيّة حسّان أغراضٌ، منها بيانُ حال المشبّه، وذلك حين يكون المشبّه غير محدّد الصّفة قبل التّشبيه، فيأتي التّشبيه لتوضيح صفته، ومن أمثلة ذلك قوله[2]:

وَنَشْـــرَبُها فَتَتْرُكُنـــا مُلُوكًـــا وَأُسْـــدًا مـــا يُنَهْنِهُنـــا اللِّقـــاءُ

فالخمرة تجعلهم كالملوك في السّيادة وكالأُسد في الشّجاعة، فهذه الصّورة التشبيهية بيّنت حال المشبّه، الّتي كانت غير محدّدة قبل عقد التّشبيه، ثمّ أصبحت واضحة بعده.

وكذلك قوله[3]:

لِســـاني صـــارِمٌ، لا عَيْـــبَ فِيـــهِ وَبَحْـــري، لا تُكَـــدِّرُهُ الـــدِّلاءُ

فقد جعل الشّاعر حال لسانه، وهو يردّ على الأعداء، ويقطع ألسنتهم ويسكتهم، كحال السّيف الصّارم، الّذي يقطع الألسنة، ويبطل أهاجي الخصوم وأكاذيبهم، وهذا بيانٌ لحال المشبّه.

ومن أغراض التّشبيه في همزيّة حسّان بيانُ مقدار حال المُشبّه، وذلك حين يكون المشبّه معروف الصفة قبل التّشبيه، معرفةً إجماليّة، ومن أمثلة ذلك في الهمزيّة قول حسّان في مقدمته الغزليّة الخمريّة، يصف فيها محبوبته شعثاء[4]:

---

(١) **المرجع نفسه**، ص٣.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٤.

(٣) **المرجع نفسه**، ص١٠.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٣.

لِشَعْثاءَ الَّتي قَدْ تَيَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْها شِفاءُ
كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ وَماءُ
عَلى أَنْيابِها، أَوْ طَعْمَ غَضٍّ مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرُهُ الجَناءُ

سعى الشّاعر، حين شبّه رضاب شعثاء بالسّبيئة، إلى إبراز مقدار حلاوة الرّيق وعذوبته ليزيد المشبّه قوّةً ووضوحًا، وذلك من خلال تحديد مقدار هذه الصّفة، فالرُّضاب ازداد حلاوةً بعد التّشبيه، كأنّه مزاج من العسل والماء. وكأنَّ ذلك لم يكف الشاعر في بيان مقدار المشبّه، فجاء بصورة تشبيهية ثانية حيث جعل هذا الريق بمنزلة طعم غض التفاح هصره الجناء، ليزيد من مقدار حلاوة وعذوبة وطيب رضاب المحبوبة.

ومنها تقريرُ حال المُشبّه في نفس السّامع، وذلك حين يكون ما أُسند إلى المشبه، يحتاج إلى التأكيد والإيضاح ليكون أثبت في نفس السّامع، وأقوى في ذهنه، وأشدّ جلاءً. ومن أمثلة ذلك في الهمزيّة قول حسان في مدح الرسول[1]:

فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرْضي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أراد حسّان بقوله هذا أنّه جعل من عرضه سترًا ووقايةً لعرض النبيّ، وفي ذلك تقرير وتأكيد لهذا الحكم في نفس المتلقّي، وأنّ عرض الرّسول لا يمكن أن يُنال بسوء إلّا إذا تعرّض عرض الشاعر وعرض أصوله للإساءة والأذى أوّلًا.

ومن أغراض التّشبيه تزيينُ المشبّه، وذلك حين يُراد تحسينه، وتجميل صورته، وإضفاء صفات حسنة عليه، ترغِّب فيه وترفع من منزلته. وقد أسهب حسّان في إرادة هذا الغرض في شعره[2]. ومن أمثلة ذلك في الهمزيّة قول حسّان في الحثِّ

(١) **المرجع نفسه**، ص٩.

(٢) حميد قبايلي، **الصّورة البيانيّة في المِدحة النّبويّة عند حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، ص١٥١.

على القتال[1]:

فَإِمَّـــا تَـــثْقَفَنَّ بَنُـــو لُـــؤَيٍّ جُذَيْمَـــةَ إِنَّ قَـــتْلَهُمُ شِـــفاءُ

إذ شبّه حسان (القتل) وهو صفة تنُفر منها النفوس بالشفاء، الذي هو صفة مرغوب فيها، وذلك لتزيين حال المشبه والترغيب فيه والحثّ على الإقبال عليه، وقد أحسن حسّان في تصويره هذا، إذ جعل الشّيء المكروه وهو (القتال) شيئًا محبّبًا تعشقه النّفوس بمنزلة الشّفاء.

ومنها تقبيح المشبّه، وذلك حين يُراد تشويه صورة المشبّه، وإلصاق صفة أو صفات معيبة به، تنفِّر منه وتحطُّ من منزلته. وقد وظَّف هذا الغرض في بعض صوره التشبيهية، وبخاصة في معرض هجائه لمن تصدى لهجاء الرسول وهجاء دعوته، ومن أمثلة ذلك قوله في الرد على أبي سفيان بن الحارث ابن عمّ الرّسول[2]:

أَلا أَبْلِـــغْ أَبـــا سُـــفْيانَ عَنِّـــي: فَأَنْـــتَ مُجَـــوَّفٌ نَخِـــبٌ هَـــواءُ

ففي قوله: (أنت مجوف نخب هواءُ)، وعن طريق التشبيه البليغ، يجعل حسان مهجوّه في أحطِّ منزلة، فأبو سفيان بن الحارث ليس له قلب وكأنه خالي الجوف، هواء، وفي ذلك تشخيص لصفة دنيئة فيه وهي الجبن، فالمهجوّ فَزِع خائف جبان، فبقدر ما تنحطُّ قيمة المهجوّ تزداد كرامة الممدوح.

ب- الاستعارة:

هي الوجهُ البلاغيُّ الأهمُّ، ولعلاقتها الوطيدة بالصّورة الشّعريّة، ونظرًا لما للصّورة الاستعاريّة من دور بارز في إبراز المعنى وتصويره، فإنّ حسّان بن ثابت لم

(١) **شرح الدّيوان**، ص٩.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٧.

يغفل عن استعمال هذا الوجه البلاغيّ في شعره[١].

وتنقسم الاستعارة إلى: التّصريحيّة وهي الّتي صُرِّحَ فيها بلفظ المشبّه، والمكنيّة وهي ما حُذِفَ فيه المشبّه به ورُمِزَ له بشيء من لوازمه. وممّا ورد من الاستعارة التّصريحيّة في همزيّة حسّان قوله[٢]:

عَـــدِمْنا خَيْلَنـــا إنْ لـــم تَرَوْهـــا تثِيـــر النَّقْـــعَ، مَوْعِـــدُها كَـــداءُ

يُبـــارِينَ الأَعِنَّـــةَ مُصْـــعِداتٍ عَلـــى أَكْتافِهـــا الأَسَـــلُ الظِّمـــاءُ

فالاستعارة المكنيّة في قوله (الأسل الظّماء)، حيث شبّه الشّاعر الأسل، هي على أكتاف الخيل بنفوس متعطّشة إلى الدّماء، فحذف المشبّه به (النفوس) وأبقى على شيء من لوازمه (ظمأى) على سبيل الاستعارة المكنيّة، لعلاقة بين المشبّه والمشبّه به، وهو جامع الظّمأ والتّعطّش، فكلّ من الرّماح والنّفوس ظمأى تنتظر الارتواء.

وكما وظّف حسّان الاستعارة المكنيّة في همزيّته، وظّف فيها كذلك الاستعارة التصريحية، فقد قال يصف شعره[٣]:

لِســـاني صـــارِمٌ، لا عَيْـــبَ فِيـــهِ وَبَحْـــري، لا تُكَـــدِّرُهُ الـــدِّلاءُ

شبّه حسّان شعره بالبحر، فحذف المشبّه (الشّعر) وصرّح بلفظ المشبّه به (بحري) على سبيل الاستعارة التّصريحية.

وللصّورة الّتي تقوم على الاستعارة في همزيّة حسّان أغراضٌ، منها مدحُ خيل الصّحابة رضوان الله، بعد أن استماتوا في حروبهم مع المشركين بغيةَ نصر رسول الله والذّود عن دينه، وذلك من خلال قول الشّاعر[٤]:

---

(١) حميد قبايلي ، **الصّورة البيانيّة في المِدحة النّبويّة عند حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، ص٤٩.

(٢) **مرجع سابق**، ص٤.

(٣) **المرجع نفسه**، ص١٠.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٤.

يُبـــارِينَ الأَعِنَّـــةَ مُصْـــعِداتٍ عَلـــى أَكْتافِهـــا الأَسَـــلُ الظِّمـــاءُ

ومن أغراضها التّرهيب من الكفر والتّنفير منه، والتّعريض بالمشركين والردّ على أكاذيبهم، وذلك من خلال قول حسّان في هجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[1]:

بِـــأَنَّ سُـــيُوفَنا تَرَكَتْـــكَ عَبْـــدًا وَعَبْـــدَ الـــدَّارِ ســـادَتُها الإِمـــاءُ

فقد ردّ حسّان على الهجاء بالهجاء، فهو لم يهج بالصّفات الخلقيّة ولا بالعيوب الشّخصيّة، كما كان يفعل الجاهليّون، وإنما لجأ إلى هجاء المشركين بأيّامهم وهزائمهم، فركّز في ردّه على هجاء أبي سفيان على هوانه وسوء منزلته يوم الحرب.

(١) **المرجع نفسه**، ص٧.

الخاتمة:

أوّلًا: أبرز النّتائج:

١- الاقتراب في هذا البحث من مجموعة من السّمات الفنّيّة للغة حسّان في همزيّته.

٣- الكشف في المستوى الصّوتيّ في همزيّة حسّان عن طبيعة أصواتها، وتغليب الشّاعر الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، عن وعي وإدراك منه أنّها أجدى في التّعبير عن موقفه المدافع.

٤- البيان في المستوى الإيقاعيّ في الهمزيّة أنّ موسيقا القصيدة: الخارجيّة والدّاخليّة، جاءت مناسبة لطبيعة موضوع القصيدة، وهو الدّفاع عن الإسلام والنّبيّ الكريم، فقد

٥- إظهار عدول الشّاعر – في المستوى التّركيبيّ في هذه القصيدة – عن لغة المواضعة والقواعد، فبرزت في القصيدة ظاهرتا الحذف والتّقديم والتأخير، وقد خدمتا موضوعها، وتوسّل بهما الشّاعر لإظهار براعته وقدرته على التّعبير.

٦- الإيضاح في مستوى التّحليل الدّلاليّ أنّ وحدات القصيدة اللّغويّة قد توزّعت وفق حقول محدّدة، كان أبرزها حقل الحرب، الّتي أسهم فيها الشّاعر بقصيدته هذه.

٧- عرض الصّور الشّعريّة في هذه الهمزيّة، وقد جاءت تدعم موقف الشّاعر من النّبيّ الكريم، والصّحابة الأبرار، ومن المشركين أعداء الدّين.

ثانيًا: التّوصيات:

١- الاستفادة من التّحليل الأسلوبيّ في دراسة النّصوص الأدبيّة، فقد بدا دوره فاعلًا في إبراز لغة الشّعر، والكشف عن مكنوناته.

٢- استكمال دراسة جوانب أخرى في قصيدة حسّان الهمزيّة، فهي غنيّة وثريّة بسمات أسلوبيّة أخرى، كاستعمال الضّمائر، وأنواع الجمل، والأساليب

الخبريّة والإنشائية، والصّور من حيث كلّيتها وجزئيّتها، فهي تحتاج إلى فسحة أكبر، ومجال أوسع لبيانها والكشف عنها.

٣- توجّه الدّراسات الأسلوبيّة صوب شعر صدر الإسلام، فهو وثيقة لمرحلة مهمّة عاشها العرب المسلمون، والكشف عنه يعطي صورة أوضح لتلك المرحلة.

المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

ابن العسقلانيّ، أحمد بن عليّ، **تهذيب التّهذيب**، القاهرة، دار الكتاب الإسلاميّ.

ابن رشيق القيرواني، الحسن، تحقيق محمّد قرقزان، **العُمدة**، في محاسن الشّعر وآدابه، بيروت، دار المعرفة، الطّبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

البخاري، محمّد بن إسماعيل، **الجامع الصّحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيّامه**، شرح وتصحيح وتحقيق مجموعة من الباحثين، القاهرة، المكتبة السلفية، الطّبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

البرقوقي، عبدالرحمن ضبطه وصححه، **شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، مصر، المطبعة الرّحمانيّة، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

البغداديّ، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب**، القاهرة، مكتبة الخانجيّ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الجمحي، محمّد بن سلّام، **طبقات الشّعراء** مع تمهيد للناشر الألمانيّ جوزف هل، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

العبّاسيّ، عبد الرّحيم بن أحمد، **معاهد التّنصيص على شواهد التّلخيص**، حقّقه وعلّق على حواشيه وصنع فهارسه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م.

القرشيّ، محمّد بن أبي الخطّاب، **جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام**، حقّقه وضبطه وزاد في شرحه عليّ محمّد البجاويّ، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.

مهنا، عبد، شرحه وكتب هوامشه وقدّم له، **ديوان حسان بن ثابت**، الطّبعة الثّانية، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- **المراجع:**

أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللّغويّة**، القاهرة، دار الطّباعة الحديثة، ١٩٦١م.

أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشّعر**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، مطبعة لجنة البيان العربيّ، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.

بكّار، يوسف حسين، **بناء القصيدة العربيّة في النّقد العربيّ القديم في ضوء النّقد الحديث**، بيرزت، دار الأندلس، الطبعة الثّانية، ١٩٨٢م.

الجبوريّ، يحيى، **الإسلام والشّعر**، بغداد، مكتبة النهضة، ومطبعة الإرشاد، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

حركات، مصطفى، **نظريّة الإيقاع (الشّعر العربيّ بين اللّغة والموسيقي)**، الجزائر، دار الآفاق للنّشر والتّوزيع، ٢٠٠٨م.

الحسني، راشد بن هاشل، **البنى الأسلوبيّة في النّصّ الشّعريّ (دراسة تطبيقيّة)**، لندن، دار الحكمة، ٢٠٠٤م.

خضر، محمّد، **أدب صدر الإسلام**، طبعة خاصّة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

السّيّد، عزّ الدّين عليّ، **التّكرار بين المثير والتّأثير**، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.

ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربيّ (العصر الإسلاميّ)**، القاهرة، دار المعارف، الطّبعة السّابعة.

الطّيّب، عبد الله، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

عبّاس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م.

عصفور، جابر، **الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ**، القاهرة، دار الثّقافة، ١٩٧٣م.

عيد، رجاء، **التّجديد الموسيقيّ في الشّعر العربيّ**، الإسكندريّة، منشأة المعارف.

مختار عمر، أحمد، **علم الدّلالة**، مصر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.

نافع، عبد الفتّاح صالح، **عضويّة الموسيقى في النّصّ الشّعريّ**، الزرقاء، مكتبة المنار، الطّبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

يوسف، حسني عبد الجليل، **موسيقى الشّعر العربيّ** (دراسة فنّيّة وعروضيّة)، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٩م.

– **الرّسائل:**

جابر، وفاء، **شعر حسّان بن ثابت (دراسة أسلوبيّة)**، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، ٢٠٠٨م.

قبائلي، حميد، **الصّورة البيانيّة في المِدحة النّبويّة عند حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، رسالة ماجستير، قسنطينة، جامعة منتوري، ٢٠٠٤م.

القعايدة، حابس، **ديوان حسّان بن ثابت (دراسة أسلوبيّة)**، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠١٠م.

– **الأبحاث:**

الجراح، عبد المهدي هاشم، **الأنظمة الأسلوبيّة في شعر حسّان (قراءة في المظهر والوظيفة)**، مجلّة الممارسات اللّغويّة، جامعة مولود معمري، الجزائر.

Bibliography:

-Sources

Ibn alesqlany, 'ahmad bin Aliy, **tahdhib altthdhyb**, Cairo, dar alkitaab al'islamy.

Ibin Rashiq alqayrawani, alhasani, Investigation: Muhammad qarqazan, **aleumdt**, fi mahasin alshsher wadabihi, Beirut, dar almaerifati, alttbet al'uwlaa, 1408 AH/ 1988.

Albukhari, Muhammad bin Ismaeil , **aljamie alsshyh almusanad min hadith rasul allah wasunanih** wayamh, sharh watashih watahqiq majmueat min albahithina, Cairo, almaktabat alsalafiatu, alttbet al'uwlaa, 1400 AH.

Albarquqi, Abdulrahman, **sharh diwan hssan bin thabit alansary**, Egypt, almatbaeat alrrhmanyt, 1347 AH/1929.

Albghdady, Abd alqadir bin Umar, **khizanat al'adab wlb lubab lisan alearabi**, alqahirati, maktabat alkhanjy, altabeat al'uwlaa, 1406 AH/1986.

Aljamhy, Muhammad bn sallam , **tabaqat alshshera'** mae tamhid lilnaashir alalmany juzif hal, bayrut, dar alkutub alelmyt, 1422 AH/2001.

Alebbasy, Abd alrrhym bin 'ahmad, **maeahid alttnsys ealaa shawahid alttlkhys**, hqqqh wellq ealaa hawashih wasane faharisih mhmmd muhyi alddyn eabd alhamid, Beirut, ealim alkutub, 1367 AH/1947.

Alqrshy, Muhammad bin 'abi alkhattab , **jamharat 'ashear alearab fi aljahlyt wal'iislami**,, hqqqh wadabtuh wazad fi sharhih ely mhmmd albjawy, alqahirata, maktabat nahdat masr.

Mahanna, Abdm sharhah wakatab hawamishah wqddm lah , **diwan hasaan bn thabita**, alttbet alththanyt, Beirut, dar alkutub alelmyt, 1414 Ah/1994.

-References

Anis, Ibrahim, **al'aswat alllghwyt**, Cairo, dar alttbaet alhadithati, 1961.

Anis, Ibrahim, **musiqaa alshsher**, Cairo, maktabat al'anjilu almsryt, matbaeat lajnat albayan alerby, altabeat althaaniati, 1952.

Bakkar, Yusuf Husayn, **bina' alqasidat alerbyt fi alnnqd alerby alqadim fi daw' alnnqd alhdith** ,Beirut, dar al'andilsi, altabeat alththanyt, 1982.

aljbwry, yahyaa, **al'iislam walshsher**, Bagdad, maktabat alnahdati, wamatbaeat al'iirshadi, 1383 AH/1964.

Harakaat, mustafaa, **nzryt al'iiqae** (**alshsher alerby bayn alllght walmusiqiy**), Algeria, dar alafaq llnnshr walttwzye, 2008.

Alhasni, rashid bin hashila, **albunaa alaslwbyt fi alnns alshshery** (**dirasat ttbyqy**), London, dar alhikmati, 2004.

Khidir, Muhammad, **'adab sadr al'iislami**, tabeatan khasst, 1401 AH/1981.

Alssyd, Ez alddyn ely, **alttkrar bayn almuthir walttathyr**, Beirut, ealam alkutub, 1407.

Dayf, shawqi, **tarikh al'adab alerby** (**aleasr al'islamy**), Cairo, dar almaearifi, alttbet alssabe.

alttyb, eabd allah, **almurshid 'iilaa fahm 'ashear alearab** wasinaeatiha, alkuayti, altabeat al'uwlaa, 1410 AH/1990.

Abbas, hasanu, **khasayis alhuruf alearabiat wamaeaniha**, Damascus, manshurat atthad alkttab alearabi, 1998.

‘Usfur, jabir, **alsswrt alfnnyt fi alttrath alnnqdy walblaghy**, Cairo, dar alththqaft, 1973.

Eed, raja', **alttjdyd almwsyqy fi alshsher alerby**, al'iskndryt, munsha'at almaearifi.

Mukhtar Umar, 'ahmadu, **ealam alddlalt**, masri, ealam alkutub, altabeat alkhamisati, 1998m.

Nafiu, Abd Alfttah salh, **edwyt almusiqaa fi alnns alshshery**, alzarqa'a, maktabat almanar, alttbet al'uwlaa, 1405 AH/1985.

Yusif, husni Abd aljalil, **musiqaa alshsher** alerby (dirasat fnnyt werwdy), alqahirati, alhayyat almsryt aleammt lilkitabi, 1989.

-Messages:

Jabir, wafa', **shaer hssan bin thabit** (**dirasat aslwby**), risalat dukturah, jamieat alminya, 2008m.

qbayli, Hameed, **alsswrt albyanyt fi almidht alnnbwyt eind hssan bin thabit alansary**, risalat majistir, qasntinat, jamieat minturi, 2004.

Alqaeaydat, Habis, **diwan hssan bin thabit** (**dirasat aslwby**), risalat dukturah, jamieat mutata, 2010.

-Research:

Aljarah, Abd almahdi hashim, **al'anzimat alaslwbyt fi shier hssan** (**qira'at fi almazhar walwazifatu**), mjllt almumarasat alllghwyt, jamieat mawlud maemiri, aljazayir.

التَّقابل في رواية (زهور فان غوخ) لـمقبول العلوي

Confrontation in the Novel (Van Gogh Flowers)
by Maqbool Al-Alawi

خلود بنت عبد اللطيف بن صالح الجوهر

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء–

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: khjo1433@gmail.com

المستخلص

احتفت البلاغة بالتَّقابل في مصادرها المختلفة، ووسعت الدراسات الحديثة العربية والغربية من مدى المفهوم فحولته إلى أداة قرائية عابرة للخطابات المختلفة (الخطاب القرآني، والشعري والسردي)، وستحاول هذه الدراسة ربط هذا المفهوم بالخطاب الروائي من خلال رواية (زهور فان غوخ) للروائي السعودي مقبول العلوي، محاولة إبراز أنواع التَّقابل ودلالته. وقد تعدد التَّقابل في الرواية، فظهر في التَّقابل المكاني، والتَّقابل الزمني، وتقابل الشخصيات.

وأسفرت الدّراسة عن زمرة من النتائج، منها: أنَّ التَّقابل في الرواية هو روحها التي تحركها، وبه تتكشّف العوالم الخفية والسراديب الملتوية، ومن خلاله تنمو الرواية، ويبوح الراوي.

الكلمات المفتاحية: تقابل، زهور فان غوخ، مقبول العلوي، مكان، زمان، شخصيات.

Abstract

Rhetorics entertains confrontations in its various sources, and modern Arabic and Western studies expanded the extent of the concept and turned it into a reading tool passing through different speeches (Qur'anic, poetic and narrative discourse), and this study will try to link this concept with the narrative discourse through the novel (Van Gogh Flowers) by the Saudi novelist Maqbool al-Alawi, trying to highlight the types and significance of the confrontation and its connotations. There is a variety of confrontation in the novel, hence there is spatial confrontation, temporal confrontation, and characters confrontation.

The study led to a host of results, including: that confrontation in the novel is its spirit that drives it, and in it the hidden worlds and twisted sards unfold, through which the novel grows, and the narrator is revealed.

Keywords: Confrontation, Van Gogh Flowers, Maqbool Alawi, Place, Time, Characters.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه، وبعد؛ فقد احتفت البلاغة بالتَّقابل في مصادرها المختلفة، ووسعت الدّراسات الحديثة العربية والغربية من مدى المفهوم فحولته إلى أداة قرائية عابرة للخطابات المختلفة (الخطاب القرآني، والشعري، والسردي)، وتهدف هذه الدراسة إلى الاهتمام بالمنجز الروائي السعودي (زهور فان غوج) لمقبول العلوي أنموذجًا، ومحاولة إبراز أشكال التَّقابل في هذه الرواية، وبيان وظائفه. وتتغيا هذه الدراسة الإجابة عمَّا يأتي:

- كيف يمكن للتقابل أن يكون مدخلاً قرائيا في السرد الروائي؟
- ما أشكال التقابل ووظائفه في رواية (زهور فان غوخ)؟

وبعد البحث والتَّنقيب في الدّراسات السَّابقة لم أجد من أفرد لهذه الرواية بدراسة مستقلة. وقد كان هذا السبب عاملاً مهمًّا في اختياري لهذه الرواية.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الإنشائي في تجلية ذلك، فجاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، قدَّمت في التمهيد إضاءة حول مصطلح التَّقابل، ونبذة عن الروائي والرواية، وأفردت المبحث الأول للتقابل المكاني؛ إذ رصدت التَّقابل بين القرية الأليفة والمدينة المخيفة، وتقابل اللوحة بين الإجلال والإهمال، والتَّقابل بين بداية الرواية ونهايتها، أمَّا الثاني فقد خصصته للتَّقابل الزمني، وتجلَّى فيه التَّقابل بين الليل والفجر، والشَّتاء والصَّيف، أمَّا الثَّالث فدرست فيه التَّقابل بين الشخصيات، وجاء في أربع صور: التَّقابل بين شخصية حميد وصاحبه فيصل، والتَّقابل بين شخصية زوج حميد وزوج صاحبه فيصل، والتَّقابل بين الأنا والضمير، والتَّقابل في الشَّخصية بين الحال والمآل. وانتهت الدّراسة إلى خاتمة ضمت زمرة من النتائج التي توصَّل إليها البحث، واتبعتها بثبت للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها. وأرجو من المولى القدير التَّوفيق والتَّسديد، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين.

التَّمهيد

أولا/ التَّقابل لغة واصطلاحًا:

يعود جذر مصطلح التَّقابل إلى الأصل الثلاثي (ق، ب، ل)، وارتبط الأصل المعنوي لكلمة التَّقابل بالالتقاء والتواجه، وأصل المقابلة من "قابل الشيء بالشيء مقابلة وقِبالاً: عارضه، الليث: إذا ضممتَ شيئًا إلى شيء تقول: قابلتُه به...، والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله"(١). وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى في وصف أهل الجنة: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) [الحجر: ٤٧]. قال أهل التفسير: "إنَّ التَّقابل في هذه الآية هو التواجه بحيث لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه؛ لأنّ الأَسِرَّة تدور بهم حيث داروا فهم في جميع أحوالهم متقابلون"(٢).

لم يرد عند القدماء مصطلح (التَّقابل) بهذا اللفظ، وإنما جاء بلفظ (المقابلة). وتكاد التعريفات الاصطلاحية لها تتفق على أنَّها الجمع بين المعاني على جهة الموافقة أو المخالفة كليًّا أو جزئيًّا(٣).

إنَّ للتَّقابل بُعدًا وجوديًّا لا يمكن إنكاره؛ إذ "هل نستطيع أن نفهم الوجود بكلِّ ما فيه لولا هذه المتقابلات؟ الغنى والفقر، الحياة والموت، الدنيا والآخرة...،

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٥٤٠/١١، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٣٠٣/٧، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) ينظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ١٤١، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، العسكري، ٣٣٧، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤٥٨/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، وبلاغة التَّقابل في سورة الرعد أنموذجًا، د. حميد الزيتوني، ٢٣–٢٥، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٢٠م.

وسواها من عناصر الوجود التي تجري على سبيل المتقابل والمتباين"(١).

وللتَّقابل –أيضًا– بُعد نصي بوصفه "الأساس المتحكم في إنشاء الخطاب"(٢)، ويدلُّ عليه ما ألمع إليه ابن سيده (ت ٤٥٨هـ): "مقابلة الشيء بنقيضه أذهب في الصناعة"(٣)، وألمح الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى أهمية التَّقابل عندما تحدَّث عن التمثيل الموشح بالتباين، يقول: "وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب ...، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال في الممدوح هو حياة لأوليائه/موت على أعدائه"(٤). وقد أعلى الزركشي (ت ٧٩٤هـ) من شأن التَّقابل، ولدقَّته وعمقه دعا إلى مضاعفة تأمّله؛ إذ يقول: "اعلم أن في تقابل المعاني بابًا عظيمًا يحتاج إلى فضل تأمل"(٥).

ويرى الدارسون المحدثون أنَّ "استكشاف الأضداد المتقابلة أحد الاستراتيجيات المحورية للقراءة والتفسير"(٦)، بل إنَّ "معاني الكلام لا تفهم إلا بمقابلة بعضها ببعض، وأن هذه المقابلة تكون من وجهين اثنين: أحدهما مقابلة المعنى بما يوافقه،

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، د. بكري شيخ أمين، ٦٣/٣، ٦٤، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٢) نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنصّ والخطاب، محمد بازي، ١٣٧، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

(٣) شرح المشكل من شعر المتنبي، ابن سيده، ٢١٧، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، كنوز التراث، (د.ط)، ١٤١٠هـ.

(٤) أسرار البلاغة، الجرجاني، ١٣٢، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٥١٩/٣.

(٦) نظرية الرواية: دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، السيد إبراهيم، ٢٧، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٨م.

والثاني مقابلة المعنى بما يخالفه"(١).

إنَّ "النَّصّ اللغوي مجموعة من التَّقابلات الثنائية، وتمثّل كلّ كلمة في ثنائية حضورًا يستدعي كلمة غائبة لتحديد الدلالة الحاضرة، التَّقابلات الثنائية عند سوسير تضع الدلالة في قلب المحور الاستبدالي"(٢).

وقد صنَّف (غريماس) التَّقابلات "إلى عدَّة أنواع: تقابلات محورية لا تقبل وسطًا (زوج/ زوجة)، وتقابلات تراتبية (كبير/ وسط/ صغير)، وتقابلات متناقضة: (متزوج/ أعزب)، وتقابلات متضادة (صعد/ نزل)، وتقابلات تبادلية (باع/ اشترى)"(٣).

إنَّ التَّقابل له من التوسع والشمولية الشيء الكثير موازنة بينه وبين التضاد والمقابلة والترادف المتعارف عليها في حقل الدراسات البلاغية(٤)، وبهذا أضحى استحضار التَّقابل "والعمل بمستوياته يعد مطلبًا ملحًا؛ إذ هو أداة تمكن من إدراك الأشياء اعتمادًا على مقابلاتها الشبيهة أو النقيضة أو الموازية أو الخلافية"(٥)، فلم يعد التَّقابل في مفهومه البلاغي الضيق بل امتدَّ للكون، إذ يغدو الكون قائمًا عليه،

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ١١٨، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، وينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، ١٩٨٦م.

(٢) المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيكية، د. عبد العزيز حمودة، ٢٢٤، ٢٢٥، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٢٣٢، إبريل، ١٩٩٨م.

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح،١٦٠، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، بيروت، ١٩٩٢م.

(٤) ينظر: التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمَّد بازي،٢٢١، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

(٥) التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، ٢٢٢.

ومن خصائصه؛ إذ يرى محمَّد بازي صاحب مشروع التأويل التَّقابلي أنَّ "التَّقابل الظاهر أو الخفي خاصية كونية وإنسانية، ومعرفية، وإنتاجية، وتأويلية"(١)، وكان محمَّد بازي على قلق كأنَّ الريح تحته؛ إذ جاءت مؤلفاته المنضودة عن التَّقابل، وقد توسَّع فيه أيما توسع، فأضحى له ألوان شتَّى تربو على تسعين لونًا من ألوان التقابل(٢).

والتَّقابل في تصور صاحب النظرية التأويلية التَّقابلية هو "محاذاة المعاني بعضها ببعض، والتَّقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي لإحداث تجاوب ما، أو تفاعل معرفي وإضاءة بعضها للآخر. وهو خاصية تواصلية وإدراكية، فالأمور تُفهم وتُتمثل بشكل أفضل بعرضها على مقابلاتها، بل إنَّ الحياة مبنية على أساس تقابلي: تخالفي أو تماثلي أو تواقفي أو نقيضي"(٣)، وبهذا الفهم الإبستمولوجي للتقابل يتسع ليشمل كل صنوف الأدب تليده وطريفه.

إذن لم يكن التَّقابل مصطلحًا بدعًا من المصطلحات البلاغية، إنما مصطلح كانت له إرهاصات في علم البديع كالطباق والمقابلة، وقد تطوَّر هذا المصطلح ونما وترعرع في الدراسات النقدية، وبلغ أوجه في مشروع محمَّد بازي؛ إذ ما فتئ يرنو إلى دراسة الأدب وفق النظرية التَّقابلية، حتى كادت النظرية تعرف بالنظرية البازية إن صحَّ القول.

وسيتكئ هذا البحث على ما تبناه د. محمَّد بازي في مفهومه الواسع للتقابل، وقد نظرت إلى رواية (زهور فان غوخ) لمقبول العلوي من زاوية تقابلية لسبر أغوارها، وإضاءة معالمها.

نبذة عن الروائي(٤) :

مقبول بن موسى العلوي، روائي وقاص سعودي، ولد في محافظة القنفذة

(١) نفسه، ١٩

(٢) ينظر: نظرية التأويل التقابلي، ٤٠٦-٤١٤.

(٣) التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، ص ٢٢٢.

(٤) تواصلت مع الكاتب مقبول العلوي، وتفضل -مشكورًا- بإرسال سيرته الذاتية.

١٩٦٨م، تخرَّج في جامعة أم القرى من قسم التربية الفنية، وعمل معلمًا، وله من اسمه نصيب وقبول؛ إذ فاز بعدَّة جوائز، وأنجز عددًا من الروايات والقصص؛ فقد كتب أول رواية له بعنوان: (فتنة جدة) في عام ٢٠١٠م، وبعد ذلك صدرت روايته (سنوات الحب والخطيئة) عام ٢٠١١م (القائمة القصيرة لجائزة الرواية السعودية ٢٠١٢م الدورة الثانية)، و(فتيات العالم السفلي) قصص قصيرة صدرت عام ٢٠١٣م، و(خرائط المدن الغاوية) صدرت عام ٢٠١٤م، وفازت بالمركز الأول للرواية السعودية في دورتها الثالثة، للعام ٢٠١٦م، و(زرياب) رواية صدرت عام ٢٠١٤م، وفازت بجائزة وزارة الإعلام والثقافة فئة الرواية في معرض الرياض الدولي للكتاب ٢٠١٥م، و(البدوي الصغير)رواية صدرت عام ٢٠١٦م، وفازت بجائزة سوق عكاظ، فئة الرواية ٢٠١٦م، و(القبطي) مجموعة قصصية صدرت عام ٢٠١٤م،(جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، الدورة السادسة، فئة القصة القصيرة، في الخرطوم عام ٢٠١٦م)،و(رجل سيئ السمعة) مجموعة قصصية صدرت عام ٢٠١٧م، و(طيف الحلاج) رواية صدرت عام ٢٠١٨م، وحازت على أفضل كتاب عربي في مجال الرواية/ معرض الشارقة الدولي للكتاب، لعام ٢٠١٩م و(زهور فان غوخ) رواية –مدونة الدراسة– صدرت عام ٢٠١٨م، وفازت بجائزة وزارة الإعلام للكتاب للعام ٢٠١٩م. ورواية (سفر برلك) صدرت ٢٠١٩م.

بين يدي الرواية(١):

إنَّ رواية (زهور فان غوخ) –إن جاز التعبير– قصة في قصة في قصة يتباين فيها الزمان والمكان والشخصيات، تمتد من ١٨٦٨م إلى ٢٠٠٧/١٠/١٣م وهو التاريخ الذي أنهى فيه الروائي روايته؛ إذ تجري أحداث القصة الأولى في مكة ويمكن عنونتها بـ: (شراء لوحة زهور فان غوخ من الحراج)، ومن ثم تنتقل بنا الرواية إلى ما جرى في القاهرة (سرقة لوحة فان غوخ من المتحف)، أمَّا القصة الثالثة فقد تناولت (حياة فان غوخ، ولوحته زهور الخشاش).

(١) ينظر: زهور فان غوخ، مقبول العلوي، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

بدأت الرواية في مكة ومن ثم تنتقل إلى القاهرة ثم مكة، ثم تناولت أحداث القصة الثالثة باسترسال دون انقطاع، ومن ثم تنقلت بين مكة والقاهرة إلى أن حطت رحالها في القاهرة.

بذر فان غوخ زهوره في أوروبا (حائط بيته)، وأينعت فقطفت في القاهرة (المتحف/ السرقة)، وأهملت في مكة (الحراج).

استهلَّ العلوي روايته ببعض الأخبار الصحافية التي تحدثت عن العثور على بعض اللوحات الفنية العالمية المسروقة، من ثم شرع في سرد معطيات لوحة فان غوخ/ زهور الخشخاش؛ ففي مكة كان هناك حميد دعاه صديقه (فيصل) لمرافقته إلى سوق الحراج لشراء بعض الأثاث المستعمل، وقد عثر حميد-إبان انهماك فيصل في شراء الأثاث- على لوحة صغيرة فيها زهور صفراء، ووردتان لونهما أحمر، وقد ابتاعها بخمسة وعشرين ريالا، وذهب فيصل مع سائق شاحنة الأثاث، وعاد حميد في سيارة فيصل، وفي المساء وعندما أراد إعادة سيارة صاحبه رأى ألبوم زواج صاحبه، ومن بين الصور جذبته صورة فاتنة ذات جمال مرعب، على حدّ تعبير حميد، فلم يجد بدًّا من الاحتفاظ بها. أمَّا اللوحة فقد أفضت إلى عنائه في البحث عن أصلها، وهل هي الأصلية أو لا؟ أمَّا في القاهرة فقد دار الحكي حول رؤوف سعيد ومحسن الرمال اللذين يعملان في المتحف: فالأول نفذ سرقة اللوحة، والثاني كان المدبر والبائع. وتناولت الرواية -أيضًا-حياة فان غوخ ونفسيته وعائلته ومرضه، ولم تنسَ الحديث عن موته؛ ذلك الموت التراجيدي الذي باع من أجله أخوه ثيو ثلاثًا من لوحاته ثمنًا لدفنه.

إنَّ رواية (زهور فان غوخ) تقوم على تقابلات شبكية متداخلة، أسهمت في تنامي السرد والدلالة. ويمكن الوقوف عند الأنواع التقابلية الآتية: التقابل المكاني، والتقابل الزماني، وتقابل الشخصيات.

المبحث الأول: التَّقابل المكاني

إذا كان لا بدَّ للنهر من مجرى، فإنَّ الرواية لا بدَّ لها من مكان تجري فيه أحداثها، ويعد المكان كهف الشخصيات، وملجأ لها. وقد تعددت مصطلحات المكان، فالبعض يسميه المكان، وآخرون الحيز(١)، وغيرهم الفضاء(٢). وعرَّفه لوتمان (ت ١٩٩٣م) بأنه: "مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة... إلخ)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية مثل: الاتصال والمسافة"(٣)، وينظر إلى المكان بوصفه: "شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن بعضها مع بعض لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"(٤)، ولا ريب في أنَّ "العلاقة بين المكان والذات علاقة عكسية، فكلما انغلق المكان تتسع الذات في انفتاحها على المتخيل والحلمي والنفسي"(٥).

(١) ينظر: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، ٢٠٥، دار الغرب، وهران، الجزائر، ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية: دراسة نقدية، ٥-٦، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، وبنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ٢٧-٣٢، بنية النصّ السردي من منظور النقد الأدبي، ٦٣، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م، قال الراوي، البنيات الحكائية في في السيرة الشعبية، ٢٤٠، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.

(٣) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ٦٩، ترجمة: سيزا قاسم دراز، مجلة ألف (جماليات المكان)، عيون المقالات، ع ٨، ١٩٨٧م.

(٤) بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ٣٢.

(٥) تقنيات النصّ السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، عدوان نمر عدوان، ١٠٤، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

وأرسى غاستون باشلار (ت ١٩٦٢م) في كتابه (جماليات المكان)(١) مفهوم التقاطب ليكون المكان أكثر إجرائية، فاهتمَّ "بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المغلقة أو في الأماكن المنفتحة، الخفية أو الظاهرة ...، وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب والقارئ معًا"(٢)، وطوَّر (يوري لوتمان) نظرية التقاطبات المكانية، فغدت تحتل موقعًا مركزيًّا في دراسات المكان الروائي(٣).

وتتجلَّى تلك التقاطبات "عادة في شكل ثنائيات ضدية تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث"(٤)، ويضفي النظر إلى الثنائيات والتضاد لعالم الرواية "حيوية وحركية تتسم بالتنامي المطرد شمولاً وعمقًا"(٥).

ويمكن تقسيم التقابل المكاني في هذه الرواية إلى ثلاثة، وهي: التقابل بين القرية الأليفة والمدينة المخيفة، وتقابل أمكنة ذات بعد مادي هندسي؛ أي مكان اللوحة بين الإجلال/ الإهمال، وتقابل المكان الروائي بوصفه مكانًا ورقيًّا حاملاً لأحداثها؛ أي بين بداية الرواية ونهايتها.

١/ التقابل بين القرية الأليفة والمدينة المخيفة:

في الريف يكمن المكان الأليف وفق رؤية فان غوخ، أما المكان المخيف فتجلَّى في المدينة والمستشفى؛ إذ كان فان غوخ يضيق ذرعًا بالمدينة، ويؤثر العيش

(١) ينظر: جماليات المكان، غاستون باشلار، ٣٥، ٦١، ٨٨، ١٤٤، ١٧٠، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

(٢) بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، ٢٥.

(٣) ينظر: السابق، ٣٤.

(٤) نفسه، ٣٣.

(٥) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، ٧٤، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

في الريف، فهو مكان يألفه، يقول الراوي عن فان غوخ: "أدرك أن الحياة في المدن المزدحمة الضاجة بالناس لا تلائمه، فقرر ترك باريس والاتجاه إلى جنوب فرنسا، حيث الدفء، والشمس، والبحر"(١)، وكانت رؤيته عن الريف تنعكس حتى على أهلها: "كان الريفيون يتميزون بالهدوء والانسجام مع الذات، ربما بسبب أرواحهم المستكينة في أحضان الطبيعة الوارفة المعطاء"(٢)، ولا غرو فالريف ملاذ الأرواح المنكسرة، حيث الجمال والنقاء والهواء والصفاء، والورود والهدوء.

كانت القرية ملهمة هذا الفنان الاستثنائي، فقد كان "في طريقه نحو الحقول، يمر بجسر لانغلويس المتحرك. يتأمل أخشابه المصقولة وحركته في الارتفاع والانخفاض التي تتم بشد جزء من كل طرف على حدة. يضع أدواته ويتأمل الحقول المجاورة له. هذا المكان بالذات هو الذي يحرك رغبته في الرسم، وهناك رسم عدَّة أعمال من بينها لوحة (غرفة نوم في آرال) ..."(٣)، ولم يستطع فان غوخ أن يمد جسرًا من المودة بينه وبين باريس؛ إذ "لم تكن باريس تلائمه، فقرر تركها"(٤).

فثمَّة علاقة متباينة بين الريف والمدينة؛ إذ البراءة والجمال في الأولى، والصخب والازدحام في الثانية، بل إن رسائله ودعوته إلى الريف تشي بميله إلى الريف، وعدم انسجامه مع المدينة؛ إذ أرسل إلى الفنانين الكبار "الرسائل لينضموا إليه في ريف آرال الجميل والرائع، وكان من أهم من استجاب لدعوته الرسام الكبير بول غوغان. أرسل له فان غوخ رسائل تشجعه على الانضمام إليه في الجنوب الهادئ، حيث البيئة الخصبة والصالحة لممارسة الرسم بصفاء نفس وأريحية"(٥).

إذا كان الريف مكان هدوء واطمئنان، فإن المدينة مكان ضجر وانعدام الأمان.

(١) زهور فان غوخ، ٩٤.
(٢) السابق، ٩٩.
(٣) نفسه، ٩٦.
(٤) نفسه، ١٠٧.
(٥) زهور فان غوخ، ٩٩.

ويعد المستشفى من أكثر هذه الأماكن المدينة سُوءًا عند فان غوخ. يقول عنه السارد: "بدأت حالته العقلية تسوء. نوبات التشنج تزايدت بعد دخوله المستشفى، وإذا مرت تلك النوبات بسلام، فإنها كانت فيما بعد تترك آثارها في روحه وجسده لأسابيع"(١)؛ لذا "كان يشعر أن استمراره في المكوث في هذه المصحة سيؤدي إلى حالات مرضية ونفسية أسوأ. أرسل إلى ثيو رغبته ورجاه السعي في تحقيقها. لم يعد يطيق البقاء هنا"(٢).

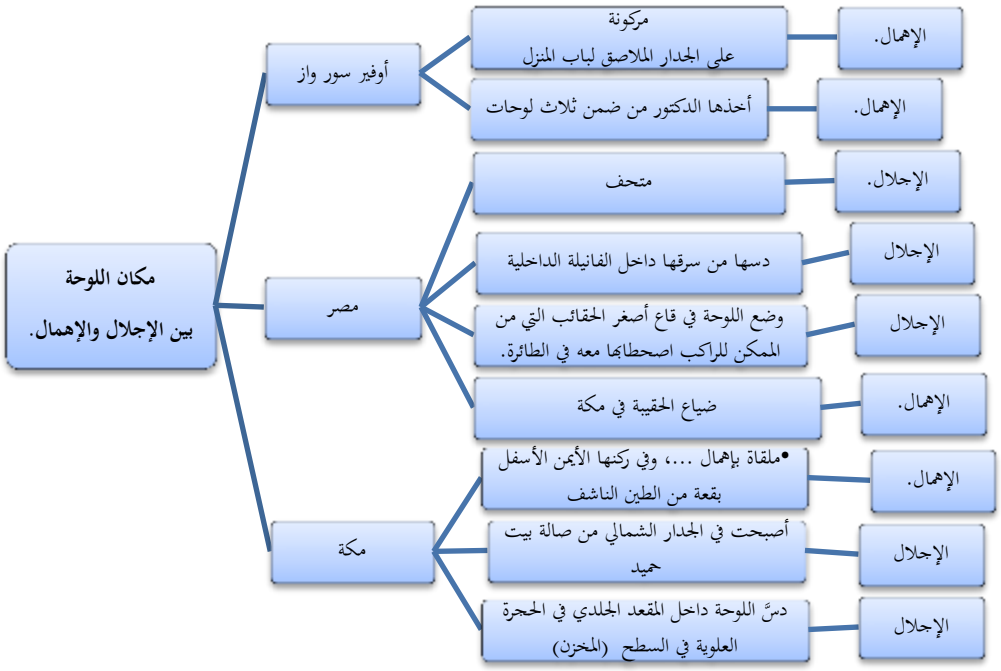
وهذا التَّقابل مميِّز لحياة المبدعين، فطالما مدح الشعراء والتشكيليون والفلاسفة عالم القرى، وذموا عالم المدن؛ لأنَّ حياة أولئك –ومنهم فان غوخ– تحتاج إلى مساحات من الهدوء والراحة، حتى تنجلي الرؤى وينطلق الخيال.

٢/ تقابل مكان اللوحة بين الإجلال والإهمال:

لم تبقَ لوحة فان غوخ في مكان واحد، بل تنقلت عبر ثلاثة أمكنة في ثلاث قارات، بغض النظر عن أنها هي الأصلية أو لا، ولم يكن نصيبها دومًا الظهور والاحتفاء. ومن يمعن النظر في ذلك، يجد أنها تباينت بين الاحتفاء والإجلال والتهميش والإهمال سواء في بلد المنشأ (أوفير سور واز) أو مصر أو في مكة، وسأبين التحولات التي طرأت على اللوحة من خلال الشكل الآتي:

(١) السابق، ١٠٥.

(٢) نفسه، ١٠٦.



شكل (١) مكان اللوحة بين الإجلال والإهمال.

يبرز الشكل (١) المسارات التي مرَّت بِها اللوحة في رحلتها من أوفير سور واز إلى القاهرة ثم مكة، ولحقتها تقابلات كبرى متوازية مع رحلتها، تنوَّعت بين التقدير والإجلال من جهة، والتهميش والإهمال من جهة أخرى.

- **اللوحة في أوفير سور واز:**

كانت اللوحة عند من رسمها /بلد المنشأ "مركونة على الجدار الملاصق لباب المنزل"(١) .

- **اللوحة في مصر:**

(١) زهور فان غوخ، ١١٠.

كانت اللوحة في المتحف تُعنى باهتمامٍ خاص، فرؤوف سعيد "كان يلحظ أنهم دائما ما يتوقفون طويلاً أمام لوحة صغيرة مقاسها ٥٣سم في ٥٤سم. كانت تقع في الدور الثاني في منتصف صالة العرض الواسعة. عرف أنها إحدى أهم لوحات الفنان الهولندي فان غوخ، وأنَّ اسمها (زهور الخشخاش). يعرف أنَّ سعرها يساوي العشرات من الملايين من الدولارات. ليس هذا فحسب، بل كان يستمع توجيهات القيمين على المتحف المشددة بمنع الزوار من لمسها أو الاقتراب منها أكثر من اللازم"(١).

كانت هذه اللوحة مما صغر حجمه وغلا ثمنه، فعندما قرر (محسن الرمال) سرقة اللوحة، وجعل منفذ هذه السرقة (رؤوف سعيد)، فسأله عن سبب سرقة هذه اللوحة بعينها دون غيرها، يقول رؤوف:

"– ولماذا هذه اللوحة بالتحديد؟ المتحف ممتلئ باللوحات.

– السبب بسيط.

– ما هو؟

– حجمها الصغير الذي يسهل إخفاؤه دون أن يلحظ عليك أي أحد، و ... ثمنها المرتفع"(٢).

ومن ثم أصبحت اللوحة في مكان لا يصل إليه أحد إلا من وضعها؛ إذ خبأها محسن، يقول السارد العليم: "كانت حقائب السفر مركونة في إحدى زوايا الصالة. انتهز محسن غياب صلاح للذهاب إلى دورة المياه. اقترب من أصغر الحقائب التي من الممكن للراكب اصطحابها معه في الطائرة، وبسرعة هائلة أفرغها من محتوياتها، ثم وضع اللوحة في قاع الحقيبة. وأعاد محتوياتها من أدوية ونظارة طبية وأخرى شمسية

(١) زهور فان غوخ، ٧١.

(٢) السابق، ٧٧.

ودفتر للملاحظات وقلم وملابس قليلة"(١).

– اللوحة في مكة:

عندما كان حميد يتجول في الحراج شاهد لوحة زهور الخشخاش، يقول في ذلك: "أثناء الجولة لمحت لوحة مقاسها يبدو لي كأنه أربعون في خمس وثلاثين سنتيمترا تقريبا، يؤطرها إطار خشبي بشع الشكل ورخيص الثمن. لفت نظري ألوانها، وموضوعها. كانت اللوحة تعبر عن مزهرية فيها أزهار لونها أصفر مع وردتين فقط لونهما أحمر قان من الجهة اليمنى للمزهرية، وجميعها موضوعة في فازة دائرية الشكل، ولها خلفية بألوان معتمة. كانت لوحة بديعة. قلت في نفسي: ربما تنفع في أن تكون في الجدار الشمالي من صالة بيتنا"(٢).

فشرع يصف مكان تلك اللوحة في المحل: "كانت اللوحة ملقاة بإهمال وسط مجموعة من الأرائك المكسرة والطاولات، والكراسي، والمزهريات، والأباجورات، والمكاتب، وفي ركنها الأيمن الأسفل بقعة من الطين الناشف...، واقتربت من اللوحة وانتشلتها من مكانها. أخرجت من جيبي كومة من مناديل ورقية ومسحت بقايا الطين"(٣) .

بالرغم من إعجابه باللوحة، إلا أنَّه موّه ليشتريها بثمن بخس دراهم معدودة، ربما لوجود تلك اللوحة في مكان مهمل، وقد اعتراها بعض من الطين، يقول في ذلك: "قررت أن اشتريها، ولكن يجب ألا يشعر البائع بلهفتي لها فيغالي في سعرها...، التفت البائع نحوي ...، وأشرت إليه ببرود وقلة اكتراث نحو اللوحة الملقاة مستفسرًا عن سعرها، فقال لي البائع وقد بدا كأنه شعر برغبتي في اقتنائها:

– إنها لوحة رائعة بالفعل، سعرها خمسون ريالاً فقط.

(١) نفسه، ١٦٥.

(٢) زهور فان غوخ، ٢٣، ٢٤.

(٣) السابق، ٢٠.

رفضت سعرها المرتفع، وعرضت عليه مبلغ خمسة وعشرين ريالاً، فرفض بهزة من رأسه"(١) ، لكنه اشتراها بعد المساومة.

إنَّ دخول اللوحة في عالم الحراج هو دخول إلى دورة تجارية لا ترحم، جعلتها تتراوح بين الإهمال الظاهر الذي تجلَّى لدى البائع في إلقائها بجانب الأرائك المنكسرة، ولدى حميد الذي أشار إليها ببرود واحتقار، وبين الإجلال الخفي الذي برز عند البائع أثناء المساومة، حيث عبَّر عن أنها لوحة رائعة، وعند حميد الذي أضمر إعجابه بِها.

ففي بلد المنشأ كان مصير اللوحة الإهمال، حيث غدت لوحته نُهزَة للمختلس، أمَّا في مصر فقد أضحت في خط واحد من الاحتفاء إلى الاحتفاء المؤدي للاختباء، بينما في مكة تباينت اللوحة بين الإهمال والإجلال الذي قاد إلى الاختباء.

٣/ تقابل المكان الروائي:

تعدُّ الرواية حيزًا ورقيًّا حاملاً لأحداثها، وبداياتها ونهايتها. وتمثل بداية الرواية "بداية الاتصال بين الراوي والمروي له والروائي والقارئ، والثانية تجسد لحظة الافتراق بينهم"(٢)، وبين بدء الاتصال ولحظة الافتراق يحدث التقابل.

بدأت الرواية بثلاثة أخبار صحفية مؤرخة بتاريخ، إنها أشبه بالكولاج(٣) دون عزو إلى اسم الصحيفة؛ إذ جاءت غفلا منه، والخبر يفصح عن عثور على لوحة

(١) زهور فان غوخ، ٢٤، ٢٥.

(٢) البنية والدلالة في الرواية، دراسة تطبيقية، محمَّد نجيب العمامي، ١٤، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، القصيم، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

(٣) الكولاج: "في الأصل مصطلح ينتمي إلى فن الرسم، ويعني إدماج مواد مختلفة من الواقع في اللوحة الفنية ...، ارتكز الكولاج في النصوص السردية على إقحام مقتطعات من نصوص أخرى متنوعة كالرسائل والمقالات الصحافية والنصوص العلمية والتاريخية واليوميات والإعلانات وعناوين الأخبار ..."، معجم السرديات، محمَّد القاضي وآخرون، ٣٥٨، دار محمَّد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

فنية، الخبر الصحفي الأول: "مصري يعثر مع أحد بائعي (الروبابيكيا) على لوحة فنية للفنان العالمي رامبرامنت"(١)، أما الثاني "سعودي يعثر على لوحة من لوحات الفنان الإنكليزي الشهير جون كونيستابل في أحد حراجات مدينة جدة"(٢)، والخبر الثالث فعن: "مواطن سعودي يعثر على لوحة نادرة للرسام العالمي فان غوخ في أحد أسواق الخردة في مكة المكرمة"(٣)، الأخبار الثلاثة تشترك في أنها تنبئ عن جنسية من يعثر على هذه اللوحة الفنية أو تلك، واختتمت الرواية بثلاثة عشر خبرًا، جلّها دوّن فيه اسم الصحيفة والتاريخ، ما عدا ثلاثة منها، وكانت الصحف تتنقل من مكة إلى القاهرة، وجلّها عن لوحة (زهور الخشخاش) ماعدا ثلاثة أخبار، وإن تباين اسم اللوحة (زهور الخشخاش) في الإفراد والجمع(٤) أو التقديم والتأخير(٥). ويشي اضطراب اسم اللوحة بتضارب تلك الأخبار الصحفيَّة في العثور على اللوحة، فلم تخمد هذه الأخبار جذوة البحث عن حقيقة لوحة زهور فان غوخ، ولم تحسم في أصليتها وزيفها، لقد كانت هذه اللوحة مثار نقع في الصحف للبحث عنها.

كما بدأت الرواية بأخبار صحفية انتهت بها محدثة تقابلاً فضائيًّا ودلاليًّا؛ إذ "للنهاية عادة صلة حميمة بالبداية الروائية كجواب على سؤال طرح في الأول أو

(١) زهور فان غوخ، ٩.

(٢) السابق، ١٠.

(٣) نفسه، ١١.

(٤) تارة يأتي الخبر الصحفي بالإفراد، نحو قوله: "زهرة الخشخاش" ينظر: نفسه، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، وتارة بالجمع: "زهور الخشخاش" ينظر: نفسه: ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٧، أو جمع التكسير: "أزهار الخشخاش" ينظر: نفسه: ١٩٤، ١٩٦.

(٥) لم يأتِ التقديم والتأخير إلا في خبر صحفي واحد، هو: "خشخاش في زهرية"، نفسه، ٢٠٥.

كتتمة لأحداث بدأت في المدخل، والعلاقة تكون على ثلاثة أشكال: تماثل أو تعارض أو تجاوب"(١).

انتهت الرواية، ولم ينته البحث عن تلك اللوحة المسروقة، فقد سارت في مناكب الأرض غربًا وشرقًا، ولم يُعرف لها خبر ولا أثر، إنَّ قضية هذه اللوحة يسهر الخلق جرَّاها ويختصم، هل هي الأصلية أو المزيفة؟

(١) مبادئ تحليل النصوص الأدبية، د. بسام بركة وآخران، ١٣٧، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م.

المبحث الثَّاني: التَّقابل الزمني

لا تقتصر الرواية على المكان فحسب، فهي "رحلة في الزمان والمكان على حد سواء"(١)، ويعد "الزمن هو القصة وهي تتشكل، وهو الإيقاع"(٢)، ويتجلَّى التقابل الزمني في الرواية بين الليل والفجر، وبين الشتاء والصيف.

١/ تقابل الليل والفجر:

يعد الليل مجالاً للسر والستر والسكون، بل هو مسرحًا للجريمة أحيانًا، وعليه يعوِّل اللصوص؛ ولذلك استنجد به رؤوف لسرقة اللوحة، وأيضًا لجأ إليه محسن الرمال في بيع اللوحة المزيفة، كما استعان به حميد لإخفاء صورة زوج صاحبه التي سرقها، واللوحة التي اشتراها من الحراج.

فقد اختار رؤوف "الوقت الملائم لتنفيذ العملية. سيكون بين الثالثة، والثالثة والنصف صباحًا. أنهى عملية السرقة في زمن قياسي: عشرون دقيقة فقط"(٣).

أمَّا محسن فعندما عزم على بيعها كان التسليم في الظلام: "ففي المساء نفسه، تلقى اتصالاً من السمسار لكي يخبره بمكان اللقاء. وصف له شقة تقع في شارع الهرم. أعطاه توصيفًا دقيقًا للمكان. وأخبره أن التسليم سيكون في تمام الثالثة صباحًا"(٤).

أمَّا حميد فعندما أرخى الليل سدوله عليه حاول إخفاء (اللوحة والصورة)، يقول: "كانت ساعات الليل المتبقية تمضي بسرعة. وكان لا بد أن أضع حلولاً ناجعة لخطواتي المقبلة قبل انبلاج نور الصباح. وتذكرت الحجرة الصغيرة التي حولتها إلى مخزن

(١) بناء الرواية: دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، ١٠٣، سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة، (د.ط)، (د.ت).

(٢) السابق، ٣٨.

(٣) زهور فان غوخ، ١٤٤.

(٤) السابق، ١٨٥.

للتوالف وبقايا الأشياء التي لا نحتاجها فوق سطح البناية"(١). الشخصيات الثلاثة تذرَّعوا بالليل، مثلما يفعل اللصوص لإخفاء سرقاتهم وتمويه أحوالهم.

أمَّا الفجر فيرمز إلى الإيجابية والوضوح؛ إذ "عند الصباح يَحْمَدُ القوم السُّرى"(٢)، يقول حميد: "ما إن انتهيت من عملي حتى سمعت إمام الجامع يبدأ أداء الصلاة. أقفلت باب الحجرة ...، لمحت في الأفق الشرقي بزوغ الفجر الباهت ...، نزلت من سطح البناية على عجل، واتجهت إلى الشقة وتوضأت، ثم ذهبت لأداء صلاة الفجر، ربما لأول مرة منذ شهور طويلة"(٣).

أما رؤوف: "حالما نزل من التاكسي في شارع مراد، في الكيت كات، سمع صوت أذان الفجر طريا ناعما قادمًا من مآذن جامع خالد بن الوليد محطمًا سكون الحي الناعس. لفح وجهه نسيم الصباح الموشك على الانبلاج رغم القيظ الذي يبدأ عادة في يونيو معلنًا بداية الصيف الساخن المعتاد في القاهرة ..."(٤).

وعندما آبَ إلى رُشده كان الفجر نقطة تحوّل له، وكأنه انتقل من العتمة والضلال إلى النور والهداية، فقد "ذهب رؤوف إلى صلاة الفجر بعد انقطاع طويل امتد لسنوات لم يعد يستطيع حصرها، واستمع للإمام يتلو آيات من القرآن الكريم، فاهتزت روحه وارتعش جسده، مرَّ شريط حياته أمامه بكل خيباته ... بعد ذلك الفجر تغيَّرت حياته تمامًا"(٥).

وكان بزوغ الفجر إيذانًا بالاعتراف عما حدث، هذه الفكرة كانت تطارده إلا أنها عصية على الانصراف: "ذات صباح جلس على باب الجامع، بعد انقضاء صلاة الفجر. فكرة مجنونة كانت تلف وتدور في رأسه منذ شهور طويلة. حاول صرفها من

(١) زهور فان غوخ، ٥٠.
(٢) مجمع الأمثال، ٣/٢.
(٣) زهور فان غوخ، ٥٤.
(٤) السابق، ١٤٤.
(٥) نفسه، ١٨٨.

تفكيره لكنها كانت عصية على الانصراف. بعد بزوغ الفجر الباهت انطلق نحو قسم شرطة الدقي، الحي الذي يقع فيه المتحف الذي تعرض للسرقة. سيعترف بكل شيء. سيحكي لهم ما حدث بالضبط. سيعترف بسرقته اللوحة. سيذكر كل التفاصيل، نعم، كل التفاصيل، سيكفر عن ذنبه..."(١).

الفجر يكشف من طرفٍ خفي عن الوازع الديني –وإن لم يكن قويًّا– عند حميد أو رؤوف، أما الظلام فجاء في هذه الرواية مقرونا بالخفاء والمجون والرمز السلبي؛ إذ كان توقيت سرقة اللوحة من المتحف قبيل الفجر، وتوقيت إخفاء اللوحة في حجرة المخزن في عمارة حميد كان قبيل الفجر.

وعلى هذا، فالتقابل الزمني هنا يستضمر تقابلاً قيميًّا متجاذبًا بين القيم الإيجابية والقيم السلبية؛ وهو ما يمنح توترًا داخليًّا يدعم فنية الرواية.

٢/ تقابل الشتاء والصيف:

يتجلَّى التقابل الزمني في الرواية–أيضًا– بين فصل الشتاء والصيف عند فان غوخ، فالتباين بين هذين الفصلين يلقي بظلاله على نفسيته؛ إذ "معضلته الوحيدة كانت تبدأ بقدوم فصل الشتاء الذي يجعل روحه معتمة، ويغرق في السوداوية، ويصيبه الاكتئاب ما يجعله عصبيًّا على الدوام، في شهور الشتاء"(٢).

يعبر السارد العليم في أكثر من موضع عن الموقف النفسي لفان غوخ من الشتاء، فبسبب الشتاء تتعطل لديه موهبة الرسم، حيث "جعله الطقس السيء أثناء فصل الشتاء متعطلاً عن كل شيء، حتى عن ممارسة الرسم"(٣)، فقد "كان راغبًا في الابتعاد عن شتاءات باريس الكئيبة التي زادت سوء مزاجه"(٤)، وتبوء محاولته في

(١) زهور فان غوخ، ١٩٠.

(٢) السابق، ٩٤.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) زهور فان غوخ، ٩٥.

التأقلم مع الشتاء بالفشل؛ إذ "الشهران التاليان اللذان أعقبا مغادرة غوغان آرل كانا سيئين لفان غوخ. فقد ساء الطقس، وعادت شهور الشتاء الطويلة الكئيبة ... اجتهد في تعديل مزاجه في محاولة للتأقلم مع برودة الأجواء، ولكنه فشل كثيرا في محاولاته"(١).

وعندما تشرق الشمس، ويسود الدفء تشرق حياته وتورق فيبدع في الرسم في الهواء الطلق، يقول السارد: "عندما ارتفعت درجات الحرارة وساد قليل من الدفء، لم يهدر فرصة البدء بالرسم في الطبيعة، مع إشراقة كل شمس كان يحمل لوحاته، وألوانه، وفرشه، وحوامل الرسم، آخذًا طريقه نحو نهر الرون ..."(٢).

يشي التقابل الزمني بين الشتاء والصيف بنفسية فان غوخ التوَّاقة إلى الصيف، فالشتاء يصيبه بالاكتئاب؛ لذا يلوذ إلى الأماكن التي تميل إلى الدفء أكثر من البرودة.

(١) السابق، ١٠١.

(٢) نفسه، ٩٥، ٩٦.

المبحث الثَّالث: تقابل الشَّخصيات

الشَّخصية هي ذلك "العنصر الفعال الذي ينجز الأفعال التي تمتد وتترابط في مسار الحكاية"(١)، وتتباين الشخصيات في النزعات والمشارب، وهي مكتنزة بالصفات، ولا ينظر إلى الشخصية وحدها، وكأنها في جزيرة نائية لا يقربها بشر، فمدلول الشخصية "يتحدد من خلال كل أشكال التقابل أيضًا، أي استنادًا إلى مجموع العلاقات التي تنسجها الشخصيات فيما بينها ...، وهذا هو مصدر أهمية تحديد وإحصاء المحاور الدلالية التي تساهم في تشكيل الشخصية في تقابلها أو تشابهها أو تطابقها مع شخصيات أخرى، لا باعتبارها فردًا معزولاً"(٢).

ويعظم تقابل الشخصيات في الرواية على الخصوص؛ لأنَّه يمنحها جذوة الصراع التي تعد أساسية في إشعال الرواية وضمان فرادتها. كما أنَّه لا يجب أن يعزب عن البال أنَّ كل التَّقابلات السابقة الزمانية والمكانية والصحفية تصبّ في صالح البناء الدرامي الصراعي للشخصيات.

ويمكن تقسيم أضرب التَّقابل في شخصيات هذه الرواية إلى أربعة:

١/التَّقابل بين حميد وفيصل.

٢/التَّقابل بين زوج حميد وزوج فيصل.

٣/ التَّقابل بين الأنا والضمير.

٤/ التَّقابل بين الحال والمآل.

١/ التَّقابل بين حميد وفيصل:

تتبدى مفارقة جلية بين حميد وفيصل؛ إذ كان فيصل ينزع إلى التنظيم والترتيب،

(١) البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرشد أحمد، ٣٣، دار فارس للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٢) سميولوجية الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كليطو، ١٥-١٦، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠١٣م.

أما حميد فيفتقر إلى ذلك، وكان فيصل في صحبة حميد، وهو دليله لمعرفة نبذة عن اللوحة، وصاحبها. وتظهر لنا التقابلات بينهما من خلال هذا الجدول التوضيحي:

شخصية حميد	شخصية فيصل
لم يتخرج من الجامعة.	تخرَّج من قسم العلوم السياسيّة.
لا يعرف اللغة الإنجليزية.	يتقن اللغة الإنجليزية.
كان شراء اللوحة بإيعاز من زوجته.	ذهب إلى شراء الأثاث قبل مجيء زوجته.
يعتمد على زوجه في إعداد الطعام.	يعتمد على نفسه في إعداد الطعام.
لا يخطط.	يخطط.
شقته فيها نواقص.	شقته أنيقة ومؤثثة.

شكل (٢) التقابل بين حميد وفيصل.

إنها فروق متعددة تتناول مجالات الدراسة والمهارات الحياتية وفن العيش؛ وهي تصبّ كلها في صالح (فيصل).

٢/ التَّقابل بين زوج حميد وزوج فيصل:

ثمَّة بون شاسع بين زوج حميد وزوج فيصل، بدءًا من الاسم ومرورًا بالصفات الخَلقية، وانتهاء إلى الصفات الخُلقية، فاسم زوج فيصل (سارة)، وقد روى ذلك حميد عندما رأى الصور؛ إذ قال: "تناولت الألبوم وقلبته على الجهة الأخرى، ووجدت كلمات مكتوبة خلفه بخط أنيق: ألبوم شهر العسل، وفي أسفل هذه العبارة مكتوبة بقلم أحمر: (سارة وفيصل)"(١)، ثم بدأ في وصف زوج صاحبه (سارة): "ولفت نظري مدى عذوبة ابتسامة زوجته(٢)، وخلب لبي جمالها الفاتن. تعلو وجهها ابتسامة دافئة، وهناك لمعة مشرقة تلوح في عينيها شديدتي الصفاء والبياض"(٣)، فهذا تعريض بالمأساة التي تكتنف حياته، موازنة مع زوج صاحبته، ومن ثم انتقل من التعريض إلى التصريح.

(١) زهور فان غوخ، ٣٥.

(٢) الصواب: (زوجه).

(٣) زهور فان غوخ، ٣٦.

وقد ذكر حميد نفسه استباقًا عن زوج فيصل، فهي ابنة عمه؛ إذ عمه درس في لندن، والتقى بامرأة إنجليزية "ونشأت بينهما قصة حب...، وأكمل دراسته على حسابه الشخصي ثم اقترن بآن...، وكان ثمرة هذا الزواج بنتًا هي زوجة فيصل في الوقت الحاضر"(١)، فهذا يشي بأنَّ سارة امرأة منعمة، بيضاء تسرُّ الناظرين، من أب متعلم وغني؛ إذ درس على حسابه الخاص، بينما زوج حميد فاسمها (وفاء) اسم على مسمى، فهي ابنة خاله، وأبوها فقير، يعمل في مكتب البريد، يقول حميد عنها: "كانت الابنة الكبرى من ضمن سبع بنات هن ذرية خالي- الأكثر فقرًا من عائلتي، والموظف البسيط في مكتب البريد"(٢).

بعد أن مدَّ حميد عينيه إلى زوج صاحبه، لم يبارحه طيفها؛ لذا يمضي حميد ناسجًا تقابلاً صريحًا بين زوجه وزوج صاحبه فيصل، يقول في ذلك: "ولوهلة قصيرة عقدت مقارنة بينها وبين زوجة فيصل وهما ترتديان الملابس نفسها، فاتضح لي الفرق الشاسع بينهما: زوجة فيصل تتغلب بالرشاقة والجسد المتناسق، وزوجتي تميل إلى البدانة وقصر القامة، زوجته بيضاء اللون تسر الناظرين، وزوجتي تميل إلى اللون القمحي الغالب على النساء هنا"(٣). فزوج فيصل تتحلَّى بعذوبة الابتسامة، ابتسامة دافئة، العين: لمعة مشرقة تلوح في عينيها شديدتي الصفاء والبياض، الشعر: مسدل على كتفيها العاريين، الرشاقة، والجسد المتناسق، بيضاء تسرُّ الناظرين. هذه الصفات الخَلقية، أمَّا الصفات الخُلقية فقد كانت سارة تتسم بالجرأة(٤)، أما وفاء فتتدثر بالحياء(٥).

(١) السابق، ٢٠.

(٢) نفسه، ٦٤.

(٣) نفسه، ١٢٠.

(٤) يتجلَّى هذا عندما أرسلت سارة صورتها العارية إلى زوجها، وكتبت "خلفها بخط أنيق: ما رأيك في هذه الصورة يا زوجي الحبيب؟"، زهور فان غوخ، ٣٦.

(٥) يقول حميد: "فأقبلت تمشي على استحياء"، السابق، ١٢٠.

ثمَّة بون بين زوج حميد، وزوج صاحبه؛ إذ الأولى دومًا ترد في الرواية منهمكة في المطبخ، أو في شؤون البيت، يقول حميد: "غادرت زوجتي إلى بعض شؤون البيت"(١)، فهي إمَّا تعدُّ الطعام دون طلب منه، يقول: "ففتحت عينيّ ببطء لأجد زوجتي تقول لي: الغداء جاهز"(٢)، وكذلك "سمعتها تدعوني إلى تناول الشاي مع كعكة أعدتها لي خصيصا مكافأة لي على إهدائها اللوحة الجميلة"(٣)، و"كانت قادمة من المطبخ تحمل إبريقًا من الشاي"(٤)، ويقول -أيضًا- عنها:" فقد كانت منهمكة في إعداد وجبة عشاء تليق بالضيف الذي وصفته لها بأنه من أعز أصدقائي"(٥)، أو تعدُّ الطعام بإيعاز منه، نحو قوله: "طلبت من زوجتي أن تعد عشاء معتبرًا، ففعلت ما طلبته منها، فأعدت لي ولضيفي ما لذَّ وطاب من الأطعمة، التي كلفتنا بقية ميزانية الشهر بكاملها"(٦)، وقوله كذلك: "أعدي طعام الغداء اليوم باكرًا، فلدينا ضيوف سيتناولون معنا الغداء"(٧).

إنَّ اللجوء إلى التَّقابل يذكي نار الموازنة، فقد أظهر مناقب زوج فيصل، ومثالب زوج حميد، بل كان حميد ذاته مرغمًا كما يزعم على الموازنة بينه وبين زوجه، يقول: "ورغمًا عني قارنت بين هذه الأنثى بالأنثى التي عشت معها ثلاث سنوات، فوجدت لا مقارنة، وشعرت بذلك الشعور الذي ينتابك عندما تتذوق مرارة طعم

(١) نفسه، ١١٨.
(٢) نفسه، ٦٤.
(٣) نفسه، ٣٩.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) نفسه، ٤٣.
(٦) نفسه، ٤٤.
(٧) نفسه، ٥٤.

الخسائر تلو الخسائر ..."(١).

زوج حميد (وفاء)	زوج فيصل (سارة)
البدانة	الرشاقة
الحياء	الجرأة
تلزم البيت	في سفر
قمحية	بيضاء

شكل (٣) التقابل بين زوج حميد وزوج فيصل.

يسهم التقابل – كما في شكل (٣)– في اقتحام عالم الشخصيات بدءًا من المستوى الجسدي ووصولاً إلى المستوى الخلقي والنفسي؛ مما يدعم "معرفة القارئ بالشخصيات"(٢). ولا يقف التقابل هنا في حدود الوصف وبناء الصور، وإنما يصل إلى ملامسة نقاشات ذكورية حول الأنثى والزواج.

٣/ التَّقابل بين الأنا والضمير:

يؤدي الحوار الداخلي(المونولوج) إلى انشطار الشخصية إلى ذاتين، يحركهما "تقابل بين العقل الظاهر والعقل الباطن، بين الشخص وضميره، بين ما يقوله العقل وما تأمر به الغرائز مثلاً، بين القيم العليا والرغبات، وهو ما يجلي عن المفارقات التي تعيشها الشخصيات، بين ما ترغب فيه أو ما يجب فعله، بين الواقع والمأمول"(٣)، في حوار حميد مع نفسه تبيّن التقابل بين ما فعله وضميره، في موقفين، الأول في إخفائه لصورة زوج صاحبه فيصل، فها هو يعلن ما فعله عند رؤيته للصورة، يقول: "توقفت حركة عيني أمام الصورة التي كنت ممسكًا بها، ثم أخرجتها من مكانها، بعد تردد

(١) زهور فان غوخ، ٣٨.

(٢) نظرية التأويل التقابلي، ٣٥٤.

(٣) زهور فان غوخ، ٣٥٣.

كبير، وأخفيتها في جيبي السفلي، بعد أن لففت عليها مناديل ورقية"(١)، ثم يردف قائلاً: "لعنت الشيطان بصوت خفيض، وشعرت بتأنيب الضمير لفعلتي تلك"(٢)، وعندما شعر في موضع آخر بتأنيب الضمير اتجاه زوجه خاصة حينما صنعت له كعكة عرفانا له بهديته الجميلة/ اللوحة التي ابتاعها من الحراج، يقول: "شعرت بشيء من تأنيب الضمير نحوها عندما تذكرت الصورة المخفية لزوجة زميلي في العمل، التي نزعتها من ألبوم زفافه. كم شعرت في هذه اللحظات بأنني وضيع إلى أقصى درجة"(٣).

وقد تقابل ما فعله لصاحبه وشعوره مرة أخرى: "شعرت بالخزي يملأ نفسي مما فعلت، ووطنت نفسي بالاعتذار له بحجة أنني وجدت الصورة ملقاة على أرض السيارة، وأردت أن أسلمها له لكنني نسيت بسبب زحمة المشاغل. كانت حجة تبدو منطقية نوعا ما، ولكنني مع ذلك أشعر بالخجل وقلة المروءة بفعلتي تلك"(٤).

كان شعور الندم يلاحقه ويلحّ عليه بل يتخذ صورة أسئلة تتقابل مع صنيعه مع جاره من أجل الحصول على الكرسي الذي خبأ فيه الصورة، يقول: "تساءلت بيني وبين نفسي شاعرًا بغصة تمسك حنجرتي: هل مات جاري العجوز بسبب زيارتي (المخزية)؟ من الذي فتح له ملفا طبيا ...؟ كل هذه الهواجس التي كانت تلح عليّ وتثقل روحي تجعلني تحت وطأة شعور متعاظم بالندم والحسرة"(٥).

شخصية حميد: نفس لوَّامة: "لعنت الشيطان بصوت خفيض، وشعرت بتأنيب

(١) زهور فان غوخ، ٣٧.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) نفسه، ٣٩.
(٤) نفسه، ٤٣.
(٥) نفسه، ١٧٤، ١٧٥.

الضمير لفعلتي تلك... "(١)، تأنيب ضمير، الشعور بالسفالة والخوف، "شعرت بشيء من تأنيب الضمير...، كم شعرت في هذه اللحظات بأنني وضيع إلى أقصى درجة"(٢)، هذه نصوص تشفُّ عن تباين في نفس حميد بينه وبين ضميره، حيث ظل الصراع في نفسه بين (تأنيب الضمير/ وما فعله) أي: بين (القيم/ والغرائز).

٤/ التَّقابل بين الحال والمآل:

إنَّ التّأمل في الشخصيات الذين لهم صلة باللوحة سواء من رسمها أو اقتناها أو سرقها يتجلَّى في أنَّ ثمة تقابلاً بين واقع الشخصية وما تطمح إليه، بين حالها ومآلها، فقد كانت اللوحة نقطة تحوّل في رسم فان غوخ، "ربما كانت هذه اللوحة أكثر لوحاته التصاقًا به. مرَّت شهور كثيرة فيها الكثير من الألم وقليل من الفرح، وهو يعيد رسمها مرات عدَّة حتى توقف عندما لم يعد هناك ما يضيفه إليه"(٣).

فهل نال التحوّل صاحب اللوحة (فان غوخ)، أو سارقها (رؤوف سعيد)، أو من أوعز بسرقتها (محسن الرمال)، أو مقتنيها (حميد)؟ وما نوع هذا التحوّل؟ هل تحوّل إلى زاهٍ مشرق أو إلى ذابل مظلم؟ وهل ألوانها –التي كانت "تنبض بالإشراق والوضوح"(٤) كما قال حميد– امتدَّ على تلك الشخصيات أو امتدَّ لون أرضية اللوحة عليهم فقد كانت أرضية اللوحة، "سوداء في تناقض صارخ بين زهو الزهور بألوانها المفرحة للنفس، وكآبة اللون الأسود"(٥)؟

يجد المتأمل في اللوحة أنَّ اللون الأصفر قد طغى عليها، فاللون الأصفر ليس له "إيحاءات ثابتة، فهو تارة يستمد دلالته من لون الذهب، وتارة من لون النحاس

(١) زهور فان غوخ، ٣٧.
(٢) السابق، ٣٩.
(٣) نفسه، ١١٠.
(٤) نفسه، ٣٢.
(٥) نفسه، ٣٣.

...، وفي أحيان أخرى يستمدها من النبات الذابل حين يجف فيميل لونه إلى الاصفرار"(١)، ولصلته بـ "ضوء النهار ارتبط بالتحفز والتهيؤ للنشاط، وأهم خصائصه اللمعان والإشعاع وإثارة الانشراح"(٢)، وقد أبان الراوي أنَّ فان غوخ "تناول حزمة من زهور الخشخاش بلونها الأصفر الزاهي"(٣).

وقد عمَّ تقابل الحال والمآل شخصيات الرواية، كأنه قدر ملازم للإنسانية التي تعيش وضعها المأسوي وتهفو إلى وضع مفارق.

- **شخصية فان غوخ:**

كان فان غوخ فقيرًا، فقد ذكر السارد موقف من استأجر عندها أنها "كانت تعرف أنه شبه مفلس، لا يكاد يجد قوت يومه"(٤)، بل صرّح للمرأة بأنه لا يستطيع دفع الإيجار لأنه لا يملك شيئا، يقول: "إنني لا أملك شيئا من المال لأدفع لك الإيجار، ولا أملك سوى لوحاتي"(٥)، ومن المفارقات أنَّ "لوحاته الآن تباع بعشرات الملايين رغم أنه مات فقيرًا معدمًا ويائسًا أيضًا"(٦).

إنَّ لوحة زهور الخشخاش كانت نقطة تحوّل في أسلوب الرسم عند فان غوخ، ولكنها كانت مركونة في جدار صاحبها، وهي اللوحة التي اصطدم بصره بها قبيل انتحاره، يقول السارد في ذلك: "في مساء ٢٧ يوليو ١٨٩٠، تناول فينسنت فان غوخ المسدس، وضعه بين حزام بنطلونه وبطنه. وأثناء خروجه من البيت اصطدم بصره

(١) اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر، ٢١٤، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

(٢) السابق، ١٨٤.

(٣) زهور فان غوخ، ٩٨.

(٤) السابق، ٨٨.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) نفسه، ١٧٧.

بلوحة (زهور الخشخاش) التي انتهى من رسمها منذ ثلاثين شهرًا بعد أن رسم لها بروفات كثيرة حتى وصل إلى الحد الذي أرضاه. ربما كانت هذه اللوحة أكثر لوحة التصاقًا به. مرت شهور كثيرة فيها الكثير من الألم وقليل من الفرح وهو يعيد رسمها مرات عدَّة حتى توقف عندما لم يعد هناك ما يضيفه إليه. تأمّلها مصوبًا نظره عليها كأنَّه غائب عن الوعي"(١)، ولا غرو "فكم عاقل ذي قدرة لم يجد من معاصريه إلا ازورارًا، وكم مبدع آلمه ألا ينظر إليه نظرة التقدير، وكل ذلك مدعاة للانصراف عن الجد إلى الهزل، أو الانطواء والكتمان، أو اليأس والتشاؤم"(٢).

ومن المؤلم أن تكون هذه اللوحة من ضمن اللوحات التي كانت ثمن كلفة دفن صاحبها، يقول السارد عن (ثيو) أخ فان غوخ: "كان ثيو معدما لا يملك ثمن كلفة دفن جثة أخيه. لاحظ دكتور غاشيه ذلك الارتباك الواضح على ملامح وجهه. أدرك من الفور سبب هذه الحيرة الذي لم يستطيع حتى الحزن أن يخفيها. مد بحفنة من النقود إلى ثيو لكنه رفضها بحزم. أدار الدكتور غاشيه بصره في أرجاء البيت. لاحظ أنَّ هناك مجموعة من اللوحات التي فرغ من رسمها فان غوخ. كانت مثبتة على حوامل خشبية وبعضها معلقة على الجدار. تناول ثلاث لوحات عشوائيا وكانت من ضمنها (زهور الخشخاش). اقترب مرة أخرى من ثيو وهو حامل اللوحات، وقال له: أدرك يا صديقي أنك لن تأخذ مالاً بلا مقابل. لكن هذا المال الذي أعطيك إياه هو مقابل هذه اللوحات. هل اتفقنا الآن؟ خذ النقود، وجهّز لأخيك جنازة تليق به وبفنه، تناول النقود دامع العينين ...، وبدأ يستعد لمراسيم دفن جثة أخيه"(٣).

- **شخصية حميد:**

كان حميد الذي اشترى اللوحة يعاني ما يعاني، فعندما فكَّر في شراء جهاز

(١) زهور فان غوخ، ١١٩، ١١٠.

(٢) ماء الثماد: دراسات في شعر بعض المغمورين، ٧٣، عبد الله بن سليم الرشيد، النادي الأدبي الثقافي بحائل، ط١، ١٤٤٠هـ.

(٣) زهور فان غوخ، ١١٢.

(حاسب آلي) تذكر الالتزامات التي تعيقه عن إدراك بغيته، يقول في ذلك: "وهذا فوق طاقتي المالية بكل تأكيد، وشعرت بالغيظ يتصاعد في صدري، وأدركت إلى أي مدى أنا رجل مطحون وفقير لا أملك من الحياة شروى نقير"(١)، وكان يحدوه الأمل المشوب بالخوف في تحول حاله، قائلاً:" ربما كانت هذه اللوحة نقطة تحول كبرى في حياتي، وربما تكون عكس ذلك"(٢).

تجلَّى التعب من اقتناء اللوحة لحميد من حراج مكة في الحوار الداخلي بين حميد ونفسه وتصارع الأفكار في عقله كيف يحدث زوجته عن هذه اللوحة؟ ويقول في ذلك: "هل أقول لها إن وجودها في بيتنا سيكون نقمة كبرى علينا، وربما يكون نعمة فوق حاجتنا وطاقتنا. هل أقول لها إننا –ربما في غضون أيام قليلة– سنكون حديث العالم كله، في كل وسائل الإعلام من صحف وتلفاز، وإذاعة. هل أقول لها إننا ربما سنتعرض للسجن والاعتقال بتهمة سرقة عالمية، من سيصدقنا إذا قلنا إننا اشتريناها بأرخص الأثمان من حراج قديم وعتيق تباع فيه الأشياء التي يستغنى عنها أصحابها إلى الأبد؟ كانت الأفكار تتصارع في عقلي. شعرت كأنني مقبل على الدخول في دوامة كبيرة أكبر مني، ومن زوجتي، ومن كل ظروفنا التعيسة والمتذبذبة"(٣).

وتتوالى التصريحات حول وبال هذه اللوحة عليه، يقول: "اللعنة... اللعنة! منذ دخلت هذه اللوحة بيتي وفي أقل من أربع وعشرين ساعة، وأنا لا أكف عن طرح الفرضية تلو الفرضية، والسؤال تلو السؤال، ولا جواب! ولا أعرف ماذا أفعل ولا كيف أبدأ! ... تعبت من التفكير الحثيث والمتواصل، وأنا لا أزال في أول الطريق"(٤)، طفق حميد منذ أن جلب هذه اللوحة في بيته وهو يتلمس أوار إجابات عن الأسئلة

(١) زهور فان غوخ، ٦٠.

(٢) السابق، ٤٩.

(٣) نفسه، ٤٨.

(٤) زهور فان غوخ، ٥٧.

المتلاحقة التي لا تكف تدور في خلده.

ويقول أيضًا: "كثير من مثل هذه الأحلام المفزعة بدأت تزورني في الآونة الأخيرة بسبب هذه اللوحة التي أمتلكها الآن"(١).

- **شخصية محسن:**

محسن الرمال هو الذي خطط لسرقة اللوحة، وتولى بيع صورة طبق الأصل للسماسرة، لم يكن محسن ميسور الحال، بل كان في صراع دائم مع الراتب الضئيل، وقد اتَّضح جليًّا من خلال السارد؛ إذ يقول: "محسن ينفق مبالغ مالية على تلك المتع تفوق راتبه الشهري الضئيل"(٢)، وأيضًا يكشف عن ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين رؤوف سعيد، فحاله مائل، يقول: "لا حلَّ يا صديقي لحالنا المائلة سوى الهجرة من البلد"(٣)، وأيضًا في حواره الآخر، عندما سأله رؤوف قائلاً:

"– لكن من أين لنا المال ونحن مجرد أدلاء في متحف خاص؟

– المال موجود، ونحن نراه أمام أعيننا كل يوم.

– موجود؟ أين؟

– في المتحف، في الدور الثاني تحديدًا.

... مرر محسن لرؤوف ما خطط له لأشهر طويلة، قائلاً: اللوحة الثمينة إياها ..."(٤).

بعدما طلب محسن من قريبه أنْ يرسم نسخة من زهور الخشخاش وقرر أن يبيعها على السماسرة، وبعد أن استعد للقائهم، أخذت اللوحة منه، وكان مصيره القتل.

(١) السابق، ١٢٥.

(٢) نفسه، ٧٣.

(٣) نفسه، ٧٥.

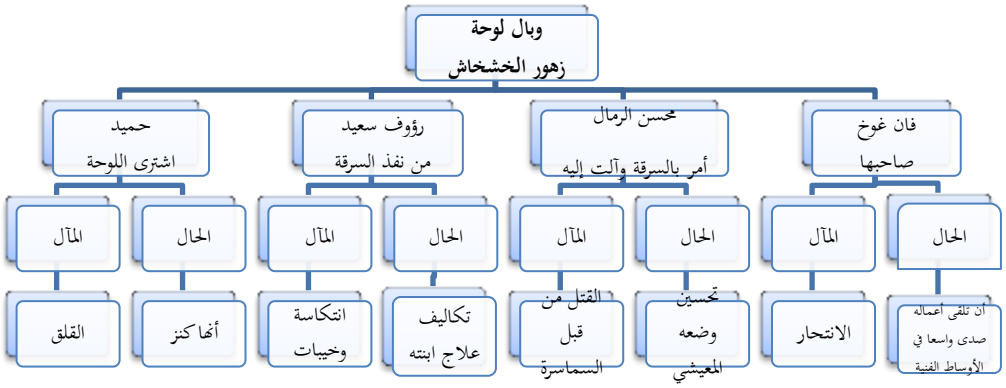
(٤) زهور فان غوخ، ٧٧.

- **شخصية رؤوف:**

كان لرؤوف شقة صغيرة استأجرها أبوه له(١)، وقد ساءت علاقة رؤوف مع زوجه، بل "انقطعت العلاقة بينهما عندما توطدت أواصر الصداقة بينه وبين محسن الرمال، وزادت سوءًا عندما باح لها برغبته في الهجرة؛ ليحسن وضعهم المعيشي المتردي"(٢)، وقد نال رؤوف من ضروب الحرمان والفقر، واشتد أوراها عندما مرضت ابنته فقد ضاق ذرعًا بذلك؛ واستبدَّ به الضيق فاستجاب لفكرة صاحبه، وهي سرقة اللوحة.

(١) ينظر: السابق، ٧٠.

(٢) نفسه، ١٢٢.



شكل (٤) وبال لوحة زهور الخشخاش.

عند تأمّل واقع الشخصيات سواء من رسم اللوحة أو سرقها أو اشتراها –كما في الشكل (٤)– نجد أنَّ هذه الشخصيات تقع في مخالب الفقر، وتسعى للانعتاق منه إلى الثراء؛ إذ كل شخصية تبتغي من هذه اللوحة أن تقلب حالها من الجحيم إلى النعيم، وتبلغ مقامًا عليًّا، وحالاً ثريًّا بعد بيعها، فكل منهم يريد أن يرتقي مرتقى صعبًا، ولكن هيهات، وأنَّى يكون له ذلك؟! فلم يصل أحد إلى بغيته المنشودة، فهذه اللوحة أوردت من رسمها ومن سرقها ومن ابتاعها مورد المهالك والقلق، ولم يكن حليفهم الراحة والثراء، بل التفكير والعناء، فلوحة فان غوخ لم تغدُ مجرد لوحة رسمها فان غوخ، إنما غدت لوحة باهظة الثمن، إنها زهور لم تزهر، زهور بلا عطر، فلم يعد اللون الأصفر الزاهي المشع إلا مشعًّا لهم بالمرض والسقم والخيبات؛ تمامًا مثل اللون الأصفر الذي "يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والبذاءة والخيانة والغيرة"(١).

هاجرت اللوحة عبر القارات الثلاث آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، ولم يجنِ

(١) اللغة واللون، ١٨٤.

أصحابها -بدءًا من صاحبها وانتهاءً بمقتنيها سواء بالشراء أو بالسرقة- إلا التعب والقلق أو الموت. الكلّ كان يطمح أن يحوز من هذه اللوحة القناطير المقنطرة، والدراهم المدرهمة، لكنها لم تغنِ ولم تسمن من جوع، فغدت نقمة عليهم، من حيث يعتقدون أنها نعمة، ونقطة تحول في حياتهم... إنَّ الراحة والأمان والاطمئنان والسعادة أشياء لا تشترى.

الخاتمة

سعت الدراسة إلى قراءة رواية (زهور فان غوخ) للروائي مقبول العلوي، متتبعة أشكال التَّقابل فيها، وقد وجدتها شاخصة في تقابل الأمكنة والأزمنة والشَّخصيات، وخلصت إلى زمرة من النتائج، وهي:

- انتهت الدّراسة إلى أنَّ التَّقابل في الرواية هو روحها التي تحركها، وبه تتكشّف العوالم الخفية والسراديب الملتوية، ومن خلالها تنمو الرواية، ويبوح الراوي؛ مما يدلُّ على أنَّ التَّقابل أداة لغوية فعّالة تُبنى بها النّصوص والخطابات بحسب نوعيتها ومستوياتها.
- تبدَّى التَّقابل المكاني بين القرية الأليفة والمدينة المخيفة، وظهر التَّقابل –أيضًا– في مكان اللوحة بين الاحتفاء والإجلال والتهميش والإهمال سواء في بلد المنشأ أو مصر أو في مكة، وحضر التَّقابل الصحفي بين بداية الرواية ونهايتها.
- كشفت الدّراسة عن التَّقابل الزمني بين الليل والفجر، فتبدَّى التَّقابل بين القيم الإيجابية والقيم السلبية وأيضًا بين الشتاء والصيف، فقد ساءت حالة فان غوخ إبان فصل الشتاء، وكأنَّ نفسيته تنكمش بالبرودة، وتنشرح ويتمدد الإبداع لديه بالحرارة.
- رصدت الدّراسة التَّقابل بين الشخصيات، وجاء على أربع صور: فكان التَّقابل بين شخصية فيصل الذي يتسم بالتنظيم والتَّرتيب وصاحبه حميد المفتقر إلى ذلك، وبالتَّقابل تجلَّى ما يتأجج في نفس حميد، وما يحتدم فيها من البون الشَّاسع بين شخصية زوجه المكتنزة بالبدانة دون الجمال وزوج صاحبه فيصل التي تتحلَّى بالجمال والرشاقة والدلال، والتَّقابل بين الأنا والضمير، والتَّقابل في الشخصية بين حالها ومآلها.

المصادر والمراجع

إبراهيم، السيد، نظرية الرواية: دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٨م.

ابن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)، قدامة، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، شرح المشكل من شعر المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد، كنوز التراث، (د.ط)، ١٤١٠هـ.

ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

أحمد، مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار فارس للنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

الألوسي، (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

بازي، محمَّد، التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

بازي، محمَّد، نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنّصّ والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

بركة، د. بسام وآخران، مبادئ تحليل النصوص الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

حمودة، د. عبد العزيز (ت ١٤٢٧هـ)، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيكية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٢٣٢، إبريل، ١٩٩٨م.

الرشيد، عبد الله بن سليم، ماء الثماد: دراسات في شعر بعض المغمورين، النادي الأدبي الثقافي بحائل، ط١، ١٤٤٠هـ.

الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

الزيتوني، د. حميد، بلاغة التقابل في سورة الرعد أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٢٠م.

شيخ أمين، د. بكري (ت ١٤٤٠هـ)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

عدوان، عدوان نمر، تقنيات النّصّ السردي في أعمال جبرا إبراهيم جبرا الروائية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

العلوي، مقبول، زهور فان غوخ، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

العمامي، محمد نجيب، البنية والدلالة في الرواية، دراسة تطبيقية، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، القصيم، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

عمر، د. أحمد مختار (ت ١٤٢٤هـ)، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة، (د.ط)، (د.ت).

القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.

لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم دراز، مجلة ألف (جماليات المكان)، عيون المقالات، ع ٨، ١٩٨٧م.

الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، (د.ط)، ١٩٨٦م.

مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار الغرب، وهران، الجزائر، ٢٠٠٥م.

مفتاح، د. محمد (ت ١٤٤٣هـ)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

الميداني (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

نجمي، حسن، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية: دراسة نقدية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.

هامون، فيليب، سميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠١٣م.

يقطين، سعيد، بنية النّصّ السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.

Bibliography

Ibrahim, Al-Sayyid, The Theory of the Novel: A Study of Literary Criticism Methods in Treating the Art of the Story, Dar Qubaa for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, (1st ed.), 1998.

Ibn Jaafar (died 337 AH), Qudama, Criticism of Poetry, investigated by: Muhammad Abdel Moneim Khafaji, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, (d.t), (d.t).

Ibn Saydah (d. 458 AH), Explanation of the Problem from Al-Mutanabbi's Poetry, investigated by: Mustafa Al-Sakka, and Hamed Abdul-Majid, Treasures of Heritage, (d.), 1410 AH.

Ibn Manzur (d. 711 AH), Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.

Ahmed, Murshid, Structure and Significance in the Novels of Ibrahim Nasrallah, Dar Fares for Publishing and Distribution, 1, Beirut, 2005.

Al-Alusi, (d. 1270 AH), Ruh Al-Ma'aani fi Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem wa Al-Sab' Al-Mathaani, Investigated by: Ali Abdel Bari Attia, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1, 1415 AH.

Bazi, Muhammad, Arabic Hermeneutics: Towards a Supportive Model in Understanding Texts and Discourses, Publications of Difference, Algeria, Arab House of Science Publishers, Beirut, 1st ed., 1431 AH, 2010.

Bazi, Muhammad, The Theory of Contrastive Interpretation, Introductions to Alternative Knowledge of Text and Discourse, Publications of Difference, Algeria, Difaf Publications, Beirut, 1st ed., 1434 AH, 2013.

Bachelard, Gaston, Aesthetics of Place, translated by: Ghaleb Halsa, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1984.

Bahrawi, Hassan, The Structure of the Narrative Form (Space-Time-Personality), the Arab Cultural Center, Beirut, 1, 1990.

Baraka, Dr. Bassam and two others, Principles of Literary Text Analysis, Library of Lebanon, Beirut, 2nd Edition, 2002.

Al-Jarjani (d. 471 AH), Asrar al-Balagha, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, 1st ed., 1412 AH, 1991.

Hammouda, Dr. Abdul Aziz (died 1427 AH), Convex Mirrors: From Structuralism to Deconstruction, The World of Knowledge, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, p. 232, April, 1998.

Al-Rasheed, Abdullah bin Salim, Maa Al-Thammad: Studies in the Poetry of Some of the Submerged, the Literary and Cultural Club of Hail, 1, 1440 AH.

Al-Zarkashi (d. 794 AH), Al-Burhaan fi 'Uloum Al-Qur'aan, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Mataba Al-Asriyyah, Beirut, (d.t), (d.t.).

Al-Zaytouni, Dr. Hamid, The Rhetoric of Conversation in Surat Al-Raad as a Model, Modern Book World, Irbid, 1st ed., 2020.

Sheikh Amin, Dr. Bakri (d. 1440 AH), Arabic Rhetoric in Its New Dress: Alam Al Badi, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1st ed., 1987.
Saleh, Salah, Issues of the Novel Place in Contemporary Literature, Dar Sharqiyat for Publishing and Distribution, Cairo, 1st Edition, 1997.
Abdel Rahman, Taha, The Tongue and Balance or Mental Growth, The Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, 1st ed., 1998.
Adwan, Adwan Nimr, Narrative Text Techniques in Jabra Ibrahim Jabra's Narrative Works, An-Najah National University, Nablus, 1421 AH / 2001.
Al-Askari (died after 39 AH), The Book of the Two Industries: Writing and Poetry, investigated by: Ali Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Scientific Books, Beirut, 1st ed., 2001.
Al-Alawi, Maqbool, Van Gogh Flowers, Dar Al-Saqi, Beirut, 1st Edition, 2018.
Al-Amami, Muhammad Najeeb, Structure and Significance in the Novel, An Applied Study, Qassim Literary Club Publications, Qassim, 1st ed., 1434 AH, 2013 AD.
Omar, Dr. Ahmed Mukhtar (died 1424 AH), Language and Color, World of Books for Publishing and Distribution, Cairo, 2nd Edition, 1997.
Qassem, Siza, Building the Novel: A Comparative Study in Naguib Mahfouz's Trilogy, Reading for All Festival 2004, Family Library, Women's Creativity Series, (D.T), (D.T).
Al-Qadi, Muhammad and others, Dictionary of Narratives, Dar Muhammad Ali Publishing, Tunis, 1st Edition, 2010.
Lotman, Yuri, The Problem of Artistic Place, translated by: Siza Qassem Draz, Alef Magazine (The Aesthetics of Place), Oyoun al-Maqraq, p. 8, 1987.
Al-Mawardi (d. 450 AH), Literature of the World and Religion, Dar Al-Hayat Library, (d.), 1986.
Murtad, Abd al-Malik, On the Theory of the Novel, a Research in Narrative Techniques, Dar Al-Gharb, Oran, Algeria, 2005.
Miftaah, Dr. Muhammad (died 1443 AH), Analysis of poetic discourse (intertextuality strategy), Arab Cultural Center, Beirut, 3rd edition, 1992.
Al-Maidani (died 518 AH), Al-Amthal Complex, investigated by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Marefa, Beirut, (d.t), (d.t).
Najmi, Hassan, The Poetics of Narrative Space, Imagination and Identity in the Arabic Novel: A Critical Study, Arab Cultural Center, Casablanca, 1, 2000.
Hamoun, Philip, The Semiology of the Novel Characters, translated by: Said Benkrad, presented by: Abdel Fattah Kilito, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Syria, 1st Edition, 2013.
Yaqtin, Saeed, The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, The Arab Cultural Center, 1st ed., 1991, the narrator said, Narrative structures in the popular biography, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 1997.

صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية

"من وجهة نظر متعلميها"

Difficulties in Arabic Distance Learning As A Second Language

"From the Perspectives of the Learners"

د. عادل علي غانم السناني

الأستاذ المساعد بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: alsnanyadl30@gmail.com

المستخلص

هدف البحث إلى التعرف على صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها. والتعرف على أهم الوسائل التعليمية التي استخدمها المتعلمون في التعلم عن بعد. والكشف عن الاختلاف في درجة وجود هذه الصعوبات وفقاً لمتغير: مكان إقامة المتعلم، والمستوى الدراسي له. ولتحقيق أهداف البحث قام الباحث بإعداد استبانة تكونت من قسمين: القسم الأول: البيانات الأساسية للمتعلمين شملت مكان إقامتهم أثناء تلقي التعليم عن بعد، ومستواهم الدراسي. وأهم الوسائل التعليمية التي استخدموها في التعليم عن بعد، والقسم الثاني: المحاور الأربع التي تدور حولها الصعوبات وهي: الصعوبات التي مصدرها المعلم، والمتعلم، والمحتوى التعليمي، والوسائل التعليمية، بمجموع (٥٨) فقرة لجميع المحاور، ثم وزعت على عينة البحث البالغة (١٦٢) متعلماً من طلاب المستوى (الثالث والرابع) الذين مارسوا التعليم عن بعد أثناء جائحة كورونا للكشف عن الصعوبات التي مرت بهم، وتوصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها: أنَّ المتعلمين واجهوا صعوبات كبيرة أثناء التعليم عن بعد فيما يتعلق بالمحتوى التعليمي والوسائل التعليمية، وبدرجة متوسطة فيما يتعلق بالمعلم والمتعلم. وأنَّ من تلقى التعليم عن بعد خارج السعودية واجه صعوبات أكبر ممن تلقاه داخلها. وفي ضوء نتائج البحث قدَّم الباحث توصيات من أهمها: إعادة هيكلة مناهج تعليم اللغة العربية المقدمة للناطقين بغيرها بحيث تكون مرنة وملائمة للتعليم عن بعد والتعليم الوجاهي، وتدريب المعلمين والمتعلمين على مهارات التعليم عن بعد.

الكلمات المفتاحية: صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد، لغة ثانية، متعلمو اللغة العربية الناطقين بغيرها.

Abstract

The aim of the research is to identify the difficulties of learning the Arabic language as a second language from distance from the learners' perspectives. And to identify the most important educational means that the learners used in distance learning. And revealing the difference in the degree of the presence of these difficulties according to a variable: the place of residence of the learner, and his academic level. To achieve the objectives of the research, the researcher prepared a questionnaire that consisted of two parts: The first section: the basic data of the learners, including their place of residence while receiving distance education, and their academic level. The most important educational aids that they used in distance education, and the second section: the four criteria around which the difficulties revolve, namely: the difficulties that originate from the teacher, the learner, the educational content, and the teaching aids, with a total of (58) paragraphs for all criteria, then distributed over the research sample of (162) learners from the students of the third and fourth level. Those who practiced distance education during the Corona pandemic to reveal the difficulties they experienced, and the research reached several results, the most important of which are: that the learners faced great difficulties during distance education related to educational content and teaching aids, and to a medium degree related to the teacher and the learner. And that those who received distance education outside Saudi Arabia faced greater difficulties than those who received it inside it. Through the results of the research, the researcher recommends: Restructuring the Arabic language teaching curricula offered to non-native speakers so that they are flexible and appropriate for distance education and face-to-face education, and to train teachers and learners in distance education skills.

Keywords: Difficulties of teaching Arabic from a distance, a second language, learners of Arabic for non-native speakers.

المقدمة:

يعتبر التعليم عن بعد من أهم التطورات التي أفرزتها تكنولوجيا التعليم في الممارسات التربوية وذلك لكونه أحدث تغييرا في النظام التقليدي للتربية والتعليم بحيث يتم التعليم والتعلم بطريقة تفاعلية بين المعلم والمتعلم حيث كانا، اعتمادا على الوسائط التعليمية التقنية وتكنولوجيا الاتصال الإلكتروني. كما يؤكد ذلك بيتس بقوله: إن تكنولوجيا التعليم أحدثت تغيرات في الأسلوب التنظيمي لعملية تقديم المعلومات لعل من أبرزها وأكثرها وضوحا أنه لم يعد مشروطا حضور الطلاب إلى المدرسة على فترات منتظمة نتيجة لذلك اقتضى التعلم عن بعد وجود مؤسسات تختلف عما هو قائم لدى المؤسسات التعليمية التقليدية.(١)

ويرى رباح (٢٠١٤) أنَّ العديد من الدراسات أكدت على أهمية التعليم عن بعد، التي أسهمت في تخطيط وتصميم وبناء برمجة تعليمية، بغية التأكيد على مبادئ التعليم الذاتي المعتمد على الحاسب والإنترنت وتوظيفهما تعليميا، مما بات أمراً ضرورياً في العمليات التعليمية في المؤسسات التعليمية، وهذا بدوره يرفع من مستوى تقبل جميع الأفراد للتعامل مع التعليم عن بعد كواحدة من أهم منجزات عصر التكنولوجيا التي تساعد المجتمع ومؤسسات التعليم على الارتقاء بالمخرجات التعليمية .(٢)

ويشير صوالحية (٢٠٢٠) إلى أن التعلم عن بعد هو نوع من التعلم طال الحديث عنه والجدل حول ضرورة دمجه في العملية التعليمية؛ قبل جائحة كورونا، إلى أنه أصبح بديل وضرورة ملحة لاستمرار التعليم في ظروف تفرض التباعد الجسدي، حيث جاء نتيجة للتطورات التكنولوجية، خاصة بعد أن تأثرت العملية التعليمية بشكل مباشر بتطور تكنولوجيا الذكاء الصناعي، وثورة تكنولوجيا المعلومات التي اقتحمت الفصول الدراسية وأصبحت جزءا أصيل منها. فالتعليم عن بعد وفي ظل

(١) طوني بيتس، التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعلم عن بعد، ترجمة وليد شحادة، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧) ص:٥٣.

(٢) ماهر رباح، التعلم الإلكتروني، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع،٢٠١٤).

التطور التكنولوجي الكبير ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة من حاسوب، وشبكة انترنت، ووسائط متعددة، مثل: الصوت، والصورة، والفيديو، هي وسائل أتاحت المجال لعدد كبير من المتعلمين لتلقي التعليم بكل سهولة ويسر، وبأقل وقت وجهد، والذي ساهم بشكل أو بآخر في إنجاح العملية التعليمية[1].

وازدادت أهمية التعليم عن بعد عندما اجتاح العالم فايروس كورونا الذي أوجدت أكبر انقطاع في نظم التعليم في التاريخ، وهو ما تضرر منه نحو ١,٦ بليون من طالبي العلم في أكثر من ١٩٠ بلدا وفي جميع القارات. وأثرت عمليات إغلاق المدارس وغيرها من أماكن التعليم على ٩٤ في المئة من الطلاب في العالم، وهي نسبة ترتفع لتصل إلى ٩٩ في المئة في البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل من الشريحة الدنيا.[2] وذلك بسبب التوقف عن التعليم الحضوري والتحول إلى التعليم عن بعد في جميع المؤسسات التعليمية كي لا يتفشى هذا المرض بين التعلمين، فبدأت هذه المؤسسات التعليمية بشكل جاد في التعليم عن بعد الأمر الذي أدى الى ظهور صعوبات على المتعلمين والمتعلمين والمؤسسات التعليمية بسبب التحول المفاجئ وعدم الاستعداد الجيد لهذا النوع من التعليم خاصة عند بعض الدول التي لم تمارس التعليم عن بعد من قبل في مؤسساتها إلا أنَّ وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية استطاعت تجاوز تلك الأزمة بنجاح بفضل الله عز وجل ثم بفضل حكومة خادم الحرمين الشريفين التي وفرت كل الوسائل المعينة على نجاح العملية التعليمية، ولكن تبقى هناك عوامل خارجية تعيق عملية التعليم وتولد بعض الصعوبات خاصة لدى طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الذين عادوا إلى بلدانهم أثناء الجائحة مثل: ضعف الإنترنت في بلد المتعلم وغيرها مما يعيق العلمية التعليمية، وجاءت هذه البحث

(١) عماد صوالحية، "الدمج بين التعليم الإلكتروني والتعليم القانوني في ظل الأزمات"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م (٣) ع (٤)، (٢٠٢٠)، ص: ١١٥ –١٢٣.

(٢) يونسكو الأمم المتحدة، موجز سياسي، التعليم أثناء جائحة كوفيد١٩ وما بعدها، آب أغسطس ٢٠٢٠، ص٢.

لتكشف هذه الصعوبات من وجهة نظر طلاب معهد تعليم اللغة العربية الذين مارسوا التعليم عن بعد من جميع دول العالم على اختلاف لغاتهم وإمكانيات دولهم زمن الجائحة والتي يتوقع الباحث أن تكون صعوبات شاملة ومتنوعة بحسب بلدانهم ولغاتهم وإمكانياتهم كل هذه المتغيرات تكشف عن صعوبات تعين على تطوير التعليم إذا ما تم التوصل إليها من خلال رأي المستفيدون وهم الطلاب ومعالجتها لأن الجامعة الإسلامية منارة المملكة العربية السعودية التي تخاطب العالم بأسره.

لذا جاء البحث الحالي للكشف عن صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية، من وجهة نظر متعلميها.

مشكلة البحث:

تستقطب الجامعة الإسلامية طلابها من ١٤٧ جنسية حول العالم بحسب إحصائية عام ١٤٤٣هـ الصادرة عن عمادة القبول والتسجيل في الجامعة، ومن جميع القارات ليدرسوا فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية والعلمية ومع نهاية كل عام توفر لهم الجامعة تذاكر العودة لبلدانهم من أجل قضاء عطلة الصيف مع ذويهم وذلك كل عام وفي عام ١٤٤١هـ، أعلنت وزارة التعليم في السعودية أنه ووفقاً للإجراءات الوقائية والاحترازية تعليق الدراسة في جميع مؤسسات التعليم في المملكة اعتبارا من يوم الإثنين الموافق: ١٤٤١/٧/١٤هـ، وذلك للسيطرة على تفشي انتشار فايروس "كورونا". الأمر الذي أدى إلى التوجه إلى وسيلة أخرى من وسائل التعليم وهي (التعليم عن بعد)، كي تستمر عجلة التعليم للطلاب.

وهذا النوع من التعليم يُعد تجربة جديدة على كثير من الطلاب والمعلمين وكل تجربةٍ جديدة قد تواجهها بعض الصعوبات والتحديات التي تؤثر على سير العملية التعليمية سواء كانت تلك التحديات تتعلق بالمتعلمين وتأهيلهم للتعامل مع تلك الوسائل أو البرامج أو المعلمين ومدى تفعيلهم لوسائل التعليم عن بعد أو نوع المحتوى هل هو مناسب للتعليم عن بعد أم لا أو الوسائل التعليمية المستخدمة في التعليم عن

بعد، **إذ تشير دراسة عميرة وآخرون (٢٠١٩م)**[١] إلى تجارب بعض الدول العربية حول المعوقات التي تواجه هذه العملية في العالم العربي والتي من أبرزها الحاجة للتدريب على استخدام شبكة الانترنت، والافتقار إلى بنية تحتية تكنولوجية، وضرورة توفر اتصال بين الطلبة وشبكة الانترنت كي يتمكن الطالب من الوصول للبيانات الإلكترونية، ومشاكل الرقابة على الاختبارات الإلكترونية لضمان عدم غش الطلاب وما ينتج عنها من مشاكل في أدوات التقييم. الأمر الذي يدعو إلى مزيد عناية وتطوير لعملية التعليم عن بعد.

ويشير Yulia (٢٠٢٠)[٢] إلى أنَّ التعليم عن بعد سيكون نمط التعليم السائد مستقبلا، فالجيل الحالي يتميز بتعلقه بأجهزة الهاتف الذكية، واستخدام التطبيقات المختلفة، لذلك فقد أصبح دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية توجهً عالمياً، وأصبح التفاعل مع الأنشطة التعليمية من خلال الأجهزة المحمولة يشكل عاملاً محفزا للتعلم بدلاً من الاكتفاء بالدراسة التقليدية.

وتأتي ممارسة التعليم عن بعد في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إحدى الممارسات الحديثة في هذا المجال، والتي واجهت كثيرا من التحديات والصعوبات.

وفي ضوء ما تقدم وبناء على تجربة التعليم عن بعد أثناء الجائحة التي رافقها العديد من الصعوبات بحكم الواقع التعليمي الذي فرض نفسه بشكل مفاجئ، **لاحظ الباحث بعد السماح بالعودة الحضورية تدني المستوى العلمي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها الذين درسوا عن بعد، الأمر الذي دفع معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى إنشاء برنامج (مساند) لتقوية**

(١) عميرة، وآخرون "خصائص وأهداف التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني دراسة مقارنة عن تجارب بعض الدول العربية"، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، ع (٦)، (٢٠١٩)، ص:٣٤٤.

(2) Yulia, H. Online Learning to Prevent the Spread of Pandemic Corona Virus in Indonesia. English Teaching Journal.11(1) (2020). 12-25

الطلاب، مما يدل على وجود صعوبات مر بها الطلاب أثناء التعليم عن بعد، لذا جاءت فكرة هذا البحث لمعرفة تلك الصعوبات من خلال رأي المتعلمين الذين درسوا عن بعد لأنهم أقدر على ذكر الصعوبات التي واجهتهم والتي قد تفيد الجهات التعليمية في تقديم تعليم عن بعد خالي من الصعوبات إذا ما عادت الجائحة لنشاطها . لا سمح الله . .

وبناء على ما سبق تتحدد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

١. ما صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها؟
٢. ما وسائل التعلم التي استخدمها المتعلمون أثناء التعليم عن بعد؟
٣. ما مدى توافر فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ ٠,٠٥) في متوسط تقديرات عينة الدارسة لدرجة توافر صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلمي معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، **تعزى لمتغير: (مكان إقامة المتعلم والمستوى الدراسي للمتعلمين)؟**

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١. التعرف على صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها.
٢. التعرف على وسائل التعلم التي استخدمها المتعلمون أثناء عملية التعليم عن بعد.
٣. الكشف عن الاختلاف في درجة وجود هذه الصعوبات وفقاً لمتغيريّ: مكان إقامة المتعلم والمستوى الدراسي للمتعلمين.

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث من خلال الجوانب التالية:

أولاً: قد تفيد نتائج هذا البحث الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في تطوير التعليم عن بعد بشكل عام وبرنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (عن بعد)

بشكل خاص، وذلك بالتعرف على جميع الصعوبات التي واجهة المتعلمين في التعلم عن بعد أثناء الجائحة لكونها تجربة عامة لجميع فئات الطلاب، كي يتغلبوا عليها في البرامج المستهدفة.

ثانياً: قد تحقق نتائج هذا البحث رسالة الجامعة الإسلامية في تقديم العلوم الشرعية والعربية لأبناء المسلمين أينما كانوا بجودة عالية.

ثالثًا: هذا البحث هو مجهود علمي أكاديمي نفذ بأدوات بحثية صحيحة وبالتالي يمكن أن تفيد منه معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في السعودية في اتخاذ قرارات للتغلب على صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد.

رابعاً: قد تفيد نتائج هذا البحث في معالجة القصور في عملية التعليم عن بعد لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها بمعهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

خامساً: تزويد المعلمين والأكاديميين بنتائج هذا البحث التي قد تعينهم في تجويد عملية التعليم عن بعد لأولئك المتعلمين.

حدود البحث:

الحدود المكانية: تحدد البحث مكانياً في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي: ١٤٤٣هـ.

الحدود البشرية: تحدد البحث بشرياً في متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (المستوى الثالث والرابع)؛ لأنهم درسوا المستوى الأول والثاني عن بعد داخل المملكة وخارجها أثناء الجائحة، فاتضحت لهم الصعوبات من خلال التجربة الطويلة والمنظمة من قبل المؤسسات التعليمية الحكومية فهم أقدر على ذكر تلك الصعوبات.

الحدود الموضوعية: اقتصر البحث على صعوبات التعليم عن بعد لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أثناء جائحة كورونا

من وجهة نظرهم، والوسائل التي استخدمها المتعلمون أثناء عملية التعليم عن بعد أثناء جائحة كورونا، ودرجة توافر هذه الصعوبات بما يعزى لمتغير المستوى الدراسي للمتعلمين، ومكان إقامتهم.

مصطلحات البحث:

صعوبات تعليم اللغة عن بعد: هي الاضطرابات التي تُصاحِب عملية التعليم المنظم الذي تتباعد فيه مجموعات التعلم، وتُستَخدم فيه وسائل الاتصالات التفاعلية لرَبط المتعلمين والمصادر التعليمية والمعلمين سوياً.(١)

- **ويعرف الباحث صعوبات تعليم اللغة عن بعد في حدود هذا البحث:** استجابات المبحوثين على أداة البحث، حول درجة صعوبة تعلم اللغة العربية عن بعد لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها التي مروا بها أثناء جائحة كورونا؛ وتكون الدرجة منخفضة أو متوسطة أو مرتفعة بناءً على المفتاح المعد لهذا الغرض.
- **لغة ثانية:** كل نظام لغوي اكتسبه الإنسان أو تعلمه بعد لغته الأولى الأم، ويمكن أن يطلق عليه اللغة الأجنبية أو اللغة الإضافية.(٢)
- **متعلمو اللغة العربية الناطقين بغيرها:** هم الأفراد الذين ليست لغتهم الأصلية اللغة العربية ويلتحقون بالبرامج المقدمة لتعلمها سواء داخل بلدانهم أم خارجها؛ لفهم النظام اللغوي والمعاني الثقافية للغة العربية واكتسابها وتنظيمها وتخزينها(٣).

---

(١) نبيل عزمي. نظريات التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، (لبنان: مكتبة بيروت، ط٢، ٢٠١٥م)، ص:٧.

(٢)ستيفان كيسكس، "تأثير اللغة الثانية في اللغة الأم مقاربة اللغة الثنائية" ترجمة وليد العناتي، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث، م (٥) ع (١٨)، (٢٠١٦م)، ص:١٦٨.

(٣)علي الحديبي، "تأثير استراتيجية أتقن المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" مجلة العربية للناطقين بغيرها، جامعة أفريقيا العالمية، ع (١٣)، (٢٠١٢)، ص:١٩١.

- **ويعرف الباحث متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في حدود هذا البحث بأنها**: بأنَّهم طلاب المستوى الثالث والرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الذين درسوا مواد المعهد بطريقة نظامية عن بعد أثناء جائحة كورونا.
- **من وجهة نظر متعلميها**: أي من الزاوية المعبرة عن آراء طلاب المستوى الثالث والرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حول الصعوبات التي مروا بها أثناء تعلم اللغة العربية عن بعد وقت الجائحة، والتي تعيق تعلم اللغة العربية بشكل جيد.

الإطار النظري

المقدمة:

للتعليم عن بعد تاريخ قديم إذ كانت أول بداية له في عام (١٧٢٩) على يد جالب فيلبس (Caleb Philips) إذ كان يقدم درساً كل أسبوع عبر صحيفة (Correspondence Class)، وفي عام (١٩٢٢) بدأت جامعة بنسلفانيا تقدم المقررات من خلال جهاز الراديو وفي عام (١٩٩٢) دخل الحاسوب وانتشر بشكل واسع عندما ظهرت شبكة الإنترنت حيث بدأ ظهور أنظمة التعلم المغلقة في عام (١٩٩٩) وبعد مضي ثلاث سنوات فقط انتشرت أنظمة التعلم وأصبحت في متناول الجميع[١].

❖ المقصود بالتعليم عن بعد:

هو التعليم الذي يتم عندما يكون هناك مسافة مادية فاصلة بين المعلم والمتعلم، وتستخدم التكنولوجيا من أجل ملئ الفجوة بين كل الطرفين بما يحاكي الاتصال الذي يحدث وجها لوجه[٢].

هي منظومة تفاعلية ترتبط بالعملية التعليمية، وتقوم هذه المنظومة بالاعتماد على وجود بيئة إلكترونية تعرض للمتعلم المقررات والأنشطة بواسطة الشبكات الإلكترونية والأجهزة الذكية.[٣]

ويعرف بأنه أسلوب يُسخِّر ما توصلت إليه تكنولوجيا الإعلام والاتصال من أجل عملية التعليم، تبدأ أشكاله باستخدام وسائل العرض الإلكترونية في الصفوف التقليدية، ببناء مدارس افتراضية، فهو مفهوم جديد يدعم نظام التعليم.[٤]

---

(١) نبيل عزمي. نظريات التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني، لبنان: مكتبة بيروت، ط٢، ٢٠١٥، ص٧.

(٢) بادي سوهام، "سياسات وإستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم"، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة منتوري، ٢٠٠٥.

(3) Berg, G. Simonson, M. (2018). Distance learning. Britannica. Retrieved. 2/12/2020. From https://www.britannic:a.com/topic/distance-learning.

(٤) فايزة العشي، "استراتيجيات تفعيل نظام التعليم الإلكتروني في الجامعة"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، م (١٨) ع (٢)، ٢٠١٨، ص: ٩٢-١٠٧.

كما عُرف التعليم عن بعد بأنه عملية منظمة تهدف إلى تحقيق النتاجات التعليمية، باستخدام وسائل تكنولوجية، توفر صوتا وصورة وأفلام وتفاعل بين المتعلم والمحتوى والأنشطة التعليمية في الوقت والزمن المناسب له[1].

❖ **الفرق بين التعليم عن بعد والتعلم الإلكتروني:**

يضع عميرة، وآخرون (٢٠١٨) فرقا بين مصطلحي التعليم عن بعد والتعلم الإلكتروني، بأنَّ الأول هو تقديم التعليم أو التدريب من خلال الوسائل التعليمية الإلكترونية، تحت رقابة إدارية وتنظيمية تنتهي بالحصول على شهادة معترف بها؛ أما التعلم الإلكتروني فيعرف بأنه تقديم محتوى تعليمي (إلكتروني) عبر الوسائط الإلكترونية المتعددة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى ومع المعلم ومع أقرانه سواء كان ذلك بصورة متزامنة أو غير متزامنة، فضلاً عن إمكانية إدارة هذا التعلم من خلال هذه الوسائط.

ويذهب الباحث إلى ما ذهب إليه عميرة وزملاؤه في التعليم عن بعد، ولكنه يخالفهم في تعريف التعلم الإلكتروني إذ لا يشترط فيه وجود المعلم ولا يشترط أن يكون متزامن فهذه الصفتان هي أكثر ما يميز التعلم الإلكتروني فهو أشبه بالتعلم الذاتي.

❖ **الفرق بين التعليم عن بعد والتعليم عن بعد في حالة الطوارئ والأزمات:**

ما حصل خلال الجائحة هو تحول مؤقت لنقل التدريس من النظام التقليدي إلى التعليم عن بعد أو من خلال التكنولوجيا، وسوف يعود التدريس إلى ما كان عليه قبل حالت الطوارئ. إذ أنَّ العنصر الأساسي في التعليم عن بعد أو التعلم الإلكتروني هو الطالب، ولكن في الوضع الحالي بقي المعلم أو المحاضر هو مصدر المعلومات الوحيد، مع عدم وجود أي دور يذكر للطالب لأن الذي حصل هو استبدال النظام التقليدي في التعليم بآخر تقني، دون مراعات للأسس التربوية في عملية التعليم عن بعد من حيث التصميم والتقييم والتقديم، بمعنى آخر استثمار التكنولوجيا في التواصل مع

(1) Basilaia, G. &Kvavadze, D. Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19). Pandemic in Georgia. Pedagogical Research, 5(4). (2020). 50-66.

الطلبة واستخدام التكنولوجيا في تقديم الخدمات ليس دليلاً على التعليم عن بعد.

❖ أهمية التعليم عن بعد:

للتعليم عن بعد أهمية كبيرة خاصة في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الوسائل التقنية بشكل كبير وأحاط بها عِلما الكبير والصغير من الناس، ويلخص عامر (٢٠٠٧) أهمية التعليم عن بعد في النقاط التالية:

- يمكن من خلاله تقديم برامج ثقافية لمعظم شرائح المجتمع.
- يعمل على توفير الفرص التعليمية لكل راغب فيه بغض النظر عن العمر والجنس والظروف المعيشية.
- يحقق رغبة الدارسين وحصولهم على درجات علمية متعددة.
- يسهم في تثقيف المجتمع وخاصة في تناوله للموضوعات التي تخدم شرائح المجتمع المختلفة.
- يعمل على حدوث التغيرات الاجتماعية المرغوبة، فالتعليم هو الوسيلة لتطوير المفاهيم الاجتماعية وتخليصها من الشوائب التي علقت بها.
- يعمل على التنمية الاقتصادية في تدريب وإعداد الأيدي الماهرة والمدربة في كافة المجالات.

ويرى الباحث بأن هذا النوع من التعليم يتغلب على عائق المكان والزمان ليوفر فرص التعليم لكافة أفراد المجتمعات فهو الوسيلة الجيدة لتبادل الخبرات والاستفادة من العلماء في كل مكان في العالم بأقل جهد وأسرع وقت. وفيما يخص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فإن هذا النوع من التعليم يعتبر مهما نظرا للإقبال الشديد على تعلم اللغة العربية من جميع أفراد المجتمعات والشعوب لأغراض دينية وأخرى تجارية فبلاد العرب مقصد ديني واقتصادي من الدرجة الأولى.

❖ المبادئ العامة للتعليم عن بعد ومبررات التوجه له:

يلخص عامر (٢٠١٣)[(١)] أهم تلك المبادئ والمبررات في النقاط التالية:

(١) طارق عامر، التعليم عن بعد والتعليم المفتوح. (عمان: دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م)، ص ص ٥٧_ ٧٠.

- مبدأ التعليم للجميع.
- مبدأ المرونة وتعني تخطي جميع العقبات التي لا تخل بالعملية التعليمية.
- مبدأ التوسع في التعليم وتطويره واستمراريته.
- مبدأ إثارة الدافعية الذاتية نحو التعلم.
- مبدأ ديمقراطية التعليم.

❖ **أما مبررات التوجه للتعليم عن بعد:**

التعليم عن بعد حل جيد في بعض الظروف وقد يكون لابد منه في الأزمات والجوائح للحد من انتشار الأمراض والأوبئة بين المتعلمين، والبعد الجغرافي مثل: عدم وجود الجامعات والمدارس في مكان إقامة المتعلمين والتكاليف المادية للتعليم النظامي وغير ذلك من المبررات التالية:

١. مبررات جغرافية: وتظهر في وجود مناطق معزولة جغرافيا، وقلة عدد السكان في بعض المناطق.
٢. مبررات اقتصادية: وتظهر في ارتفاع كلفة التعليم النظامي، توفير الوقت والجهد والاسهام في الانتاج، تقديم الخدمة للمحرومين من المجتمع، ضرورة توفير كوادر بشرية لخدمة التنمية الاقتصادية.
٣. مبررات اجتماعية وثقافية: وتظهر في عدم رغبة بعض أولياء الأمور بتدريس بناتهم في مدارس مختلطة ومحو الأمية وغيرها.
٤. مبررات نفسية: تظهر في تلبية طموحات بعض المتعلمين بغض النظر عن العمر والمهنة والجنس.
٥. المبررات الصحية: وتظهر في انتشار الأوبئة والأمراض التي تمنع من التعليم الحضوري[١].

(١) سمير كاضم، "واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: كلية العلوم، (٢٠٢١) ص:١٣.

❖ **خصائص التعليم عن بعد:**

حدد الغريب[١] أهم خصائص التعليم عن بعد في النقاط التالية:

- أنه يوفر بيئة تعليمية تفاعلية إذا ما تمت إدارته بشكل جيد.
- أنه يوفر عنصر المتعة.
- أنه يركز على مجهود المتعلم.
- أنه يتجاوز حدود الزمان والمكان.
- أنه يتميز بسهولة تحديث المحتوى والمعلومات بما يتناسب مع الواضع الراهن لعملية التعليم.
- أنه يتميز بالمرونة في نقل وعرض المحتوى التعليمي وفق احتياجات المتعلمين ورغباتهم.
- أنه يتيح للمتعلمين فرص التعاون في حل المشكلات.

ويرى الباحث أن من خصائصه أيضاً أنه يستجيب للعديد من المبادئ الحديثة في التربية وعلم النفس، كما أنه يخفف على الأسر الفقيرة تكاليف الدوام اليومي، كما أنه يفتح آفاق لأنواع أخرى من التعليم قد تأتي في المستقبل.

❖ **الصعوبات التي واجهت التعليم عن بعد:**

أثناء الجائحة توجه العالم بأسرِهِ إلى التعليم عن بعد بشكل مفاجئ وهذا الأمر شكل صعوبات وتحديات كبيرة على المؤسسات التعليمية والمعلمين والمتعلمين، يلخص خليِّف[٢] وهو دجز وآخرون[٣] أهم هذه الصعوبات في النقاط التالية:

---

(١) اسماعيل الغريب، التعليم الإلكتروني من التطبيق إلى الاحتراف والجودة، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩) ص:١٥.

(٢) زهير خليف. الفرق بين التعليم عن بعد والتدريس عن بعد في حالات الطوارئ. ٢٠٢٠م. تم الاسترجاع من:
https://arabicpost.net/opinions/2020/04/02/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3- %D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9/

(3) Hodges, Charles, and others. (2020): "The Difference Between Emergency Remote Teaching and Online Learning". EDUCAUSE MAGAZINE, Retrieved From: - https://er.educause.edu/articles/2020/3/the-difference-between-emergency-remote-teaching-and-onlinelearning?fbclid=IwAR0-Icg00fRWDzpZNAfUUbm4w82sEmnRvJaHnGUs27Mdp7LbD6WhLNlwiw

١. عدم استعداد المعلمين للتدريس عن بعد استعداداً كاملاً بسبب التحول المفاجئ لكونها حالة طوارئ وهذا الأمر سيولد عند نسبة كبيرة من المعلمين تجربة غير جيدة ستبقى في أذهانهم.
٢. فريق الدعم الفني والموظفين والعاملين في المؤسسات التعليمية لم يكونوا على استعداد تام لمساعدة المعلمين وتمكينهم مما يحتاجون إليه في التعليم عبر الإنترنت، لأن فريق الدعم الفني عادةً يوفر المساعدة لمجموعات صغيرة من أعضاء هيئة التدريس المهتمون في التدريس عبر الإنترنت، ولكن في هذه الظروف لن يتمكن من توفير نفس مستوى الدعم لأعضاء التدريس بأكملهم في ظل زيادة العدد وضيق الوقت المتاح.
٣. أدوات تقييم الطلبة كانت غير مناسبة في عملية التعليم عن بعد أثناء جائحة كورونا؛ فعملية التقييم في عملية التعليم تكون عملية متكاملة ما قبل التصميم من خلال التقييم التشخيصي، ومن ثم خلال التعليم وبعده، من خلال استخدام أدوات التقييم عبر التعليم عن بعد، والتي غالبا يطلق عليها التقييم البديل، أو التقييم الواقعي. والتي تتنوع ما بين منتديات النقاش، والتعليم من خلال المشاريع، والواجبات الفردية، وأوراق العمل، والتأمل. فكل هذه الأدوات يتم الإعداد لها مسبقا أثناء عملية تصميم وتطوير المقرر الإلكتروني.
٤. عدم التخطيط لاستراتيجيات تدريس مناسبة لتعليم عن بعد أثناء الأزمات والتي تزيد من دافعية الطالبة للتعلم عبر الإنترنت.
٥. صعوبة تحقيق المساواة الرقمية وسهولة الوصول إلى المحتوى التعليمي الرقمي، والتأكد من إمكانية ولوج جميع الطلبة للإنترنت.
٦. نقص الموارد البشرية والتعليمية في وحدات التعليم عن بعد.
٧. نقص في حجم استثمار المؤسسات التعليمية اللازم في تحقيق جودة التعليم عن بعد.
٨. ومن السلبيات أيضا الأجهزة وشبكة الإنترنت وسرعة الإنترنت، فقد يتوفر

للطالب أو المعلم الجهاز، إلا أنه قد لا تتوفر لديه خدمات إنترنت أساسا تكون بطيئة، أو ربما بحزم غير كافية لتغطية عروض الفيديو، والمواد ذات الحجم الكبير[١].

ويرى الباحث أنَّ ضعف المستوى العلمي للمتعلمين من أهم نتائج هذه الصعوبات إذ لاحظ الباحث من خلال تدريسه في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ضعف شديد للطلاب الذين درسوا فصلين دراسيين عن طريق التعليم عن بعد أثناء الجائحة وضعف متوسط للذين درسوا فصلاً واحدا وهذا يدل دلالة واضحة أنَّ متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها واجهوا صعوبات كثيرة أثناء التعلم عن بعد وأنهم يحتاجون إلى مزيد عناية واهتمام عند تعليمهم عن بعد، للعديد من الأسباب والتي من أهمها ضعف المتعلم باللغة العربية التي يُدرس بها عن بعد. وهذا ما توصلت إليه العديد من الدراسات مثل: دراسة كاظم (٢٠٢١) ودراسة الشديفات[٢] (٢٠٢٠) وغيرها من الدراسات التي تؤكد أنَّ واقع التعليم عن بعد غير مرضي أو متوسط، خاصة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

❖ معوقات التعليم عن بعد:

التعليم عن بعد نوع من أنواع التعليم له معوقات تؤثر على تنفيذه بالشكل المؤمَّل، تذكر بعضها الزهرة [٣](٢٠٢١) فيما يلي:

---

(١) معن الخطيب، تحديات التعلم الإلكتروني في ظل أزمة كورونا وما بعدها، ٢٠٢٠، تم الاسترجاع من:
https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2020/4/14/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B8%D9%84-%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-)

(٢) منيرة الشديفات، "واقع توظيف التعليم عن بعد بسبب مرض الكورونا في مدارس قصبة المفرق من وجهة نظر مديري المدارس فيها". المجلة العربية للنشر العلمي، ع (١٩)،٢٠٢٠، ص ص١٨٥-٢٠٧.

(٣) الزهرة الأسود، "معوقات التعليم عن بعد وسبل مواجهتها"، المجلة العربية للتربية النوعية، م (٥)، ع (١٧)، ٢٠٢١، ص ص٧ -١١.

أ– معوقات ذاتية مرتبطة بالمتعلم:

_التعود على التعليم الوجاهي (التعليم المباشر) وبالتالي هناك صعوبة في التحول من طريقة التعليم التقليدية الى التعليم الحديثة بصورة مباشرة.

_صعوبة استيعاب المتعلمين لبعض المواد التعليمية في ظل غياب التفاعل الصفّي.

_ضعف دافعية المتعلمين للتعلّم عن بعد مما يؤدي الى عدم الاهتمام بمتابعة الدروس والانسحاب منها وقت ما يشاؤون.

وتبين دراسة خليف (٢٠١٩) إلى أن الجنس، والثقافة، والدين، من العوامل المؤثرة في التعليم عن بعد، حيث لاحظت بأنَّ هناك طالبات كُن مترددات في التعليم عن بعد.

ب– معوقات ذاتية مرتبطة بالمدرس:

_ عدم قناعة بعض المدرسين بجدوى التعليم عن بعد على أساس أنهم قد اعتادوا على التعليم التقليدي واستحسنوه لسنوات طوال دون التفكير في تنويع التدريس باستخدام أنماط جديدة من التعليم الإلكتروني وهذا ما عبّر عنه (العمري والرفيعي والخطيب ٢٠١٦) بالاتجاه السلبي لبعض المدرسيين ضد التعليم عن بعد كما قد شعر بعض المدرسيين في خضم الاهتمام بالتعليم عن بعد بالإحباط لاعتقادهم بعدم أهميته وأنه لا قيمة له.

_الخوف الذي يعتري المدرسين من التقليل من دورهم في العملية التعليمية وانحصار دورهم على مصمّمي البرمجيات التعليمية واختصاصي تكنولوجيا التعليم[1].

❖ سبل مواجهة معوقات التعليم عن بعد:

إنَّ من العوامل التي يجب توافرها حتى يمكن للتعليم عن بعد تجاوز معوقاته وبلوغ

(١) فالته اليمين وفضيلة صدارتي، "عوائق استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس طلبة الماستر بالجامعة الجزائرية". المجلة العربية للإعلام وثقافة الطفل. ع (٦)، ٢٠١٩، ص٢٠-٤٨.

الأهداف التعليمية المخطط لها ما يلي[1]:

١. دقّة إعداد البرامج التعليمية الخاصة بنظام التعليم ومدى مراعاتها لطبيعة المتعلم وميوله ورغباته.
٢. مدى تنويع المثيرات لجذب انتباه المتعلم وتشويقه.
٣. تحسين طرائق التعليم عن بعد باستخدام مصادر التعلم التي تناسب طرائق الإرسال من خلال قنوات الاتصال التي تقوم ببثّ البرامج والمناهج الدراسية.
٤. تنمية مهارات استخدام تكنولوجيا التعليم عن بعد لدى الطالب وتدريبه على إنجاز الأبحاث المبسّطة في شكلها ومضمونها.
٥. تطوير عناصر المنهج الدراسي أهدافا ومحتوى وطرائق تدريس وأنشطة وأساليب تقويم في ضوء أنواع تكنولوجيا التعليم عن بعد.

_ اعتماد الإدارات الإلكترونية والتوقيع الإلكتروني.

ويرى الباحث أنَّ من أهم سبل مواجهة هذه المعوقات العمل على توفير بنية تحتية قادرة على استيعاب الطلب المتزايد على خدمات الانترنت والتقنية والمعلومات والاتصالات، وأن تكون متاحة للجميع.

الدراسات السابقة:

سيعرض الباحث الدراسات السابقة مرتبة تاريخياً من الأحدث إلى الأقدم، وعند عرض كل دراسة سيتم ذكر: اسم الباحث، والسنة، وعنوان الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، وأدواتها، وأهم نتائجها:

١. دراسة كاظم (٢٠٢١) بعنوان" واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس" هدفت الدراسة الحالية التعرف إلى واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس. استخدمت

(١) عمر العماس، التعليم عن بعد والتعليم التقليدي في الميزان، (الخرطوم: دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة، ٢٠٠٩)، ص:١٠.

الدراسة المنهج الوصفي المسحي، ولجمع البيانات تم تطوير استبانتين، الأولى للطلبة مكونة من أربعة مجالات في صورة مقياس مكونة من (٥٣) فقرة، تم تطبيقها على عينة مكونة من (٢٨٦) طالبا وطالبة، والثانية لأعضاء هيئة التدريس مكونة من أربعة مجالات حول واقع التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، تم تطبيقها على عينة مكونة من (٢٣١) عضوا من أعضاء هيئة التدريس. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة تقدير الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات العراقية لواقع التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا (متوسطة) ، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة تقدير أعضاء هيئة التدريس تعزى لمتغيري (التخصص والرتبة الأكاديمية). وتوصلت الدراسة إلى توصيات عدة أهمها: تدريب أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة على كيفية استخدام التعليم عن بعد.

٢. دراسة الشديفات (٢٠٢٠) هدفت إلى التعرف على واقع توظيف التعليم عن بعد بسب مرض كورونا في مدارس قصبة المفرق من وجهة نظر مديري المدارس فيها. ولتحقيق هدف الدراسة، تم استخدام المنهج الوصفي، كما تم تطوير استبانة مكونة من ثلاث مجالات (المعرفي، والمهاري، والتقويمي) بواقع (٣٦) فقرة، وتم التأكد من صدقها وثباتها، ومن ثم تم توزيعها على عينة الدراسة المكونة من (١٤٥) مديراً ومديرة في مدارس قصبة المفرق. وبينت نتائج الدراسة أن واقع توظيف التعليم عن بعد بسب مرض كورونا من وجهة نظر مديري مدارس قصبة المفرق جاء بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي (٢,٤٩) كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات أفراد عينة الدارسة لواقع متغير الجنس وذلك لصالح الإناث في توظيف التعليم عن بعد بسب مرض كورونا من وجهة نظر مديري مدارس قصبة المفرق، إضافة إلى عدم وجو د فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات أفراد عينة الدارسة لواقع توظيف التعليم عن بعد بسب مرض كورونا تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية.

٣. دراسة الضمور (٢٠٢٠) هدفت إلى الكشف عن المعوقات المادية والإدارية

لدى المعلمات في استخدامهن للتعلم الإلكتروني في مرحلة التعليم الأساسية والثانوية في مديرية محافظة الكرك من وجهت نظرهن. ولتحقيق أهداف الدراسة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتمثلت أداة الدراسة في استبانة تم توزيعها على عينة مكونة من (١٥٦) معلمة، و أظهرت نتائج الدراسة أن الدرجة الكلية للمعوقات قد حصلت على متوسط كلي (٩٦,٣) وعلى مستوى المحورين؛ فقد حصل محور المعوقات الإدارية على متوسط حسابي (١٢,٤) وتليه محور المعوقات المادية، بمتوسط حسابي مقداره (٧٩,٢) وجميعها بدرجة مرتفعة، وأظهرت النتائج بأنه ال توجد فروق ذات دالة إحصائية بين المدرسة الأساسية، والمدرسة الثانوية في المعوقات المادية، في حين توجد فروق ذات دلالة إحصائية ٣٨ بين المدرسة الأساسية، والمدرسة الثانوية في المعوقات الإدارية وعلى المستوى الكلي للأداة، ولصالح المدارس الأساسية .

٤. دراسة الرشيدي والبراهيم (٢٠١٩) استقصت واقع استخدام معلمات الحاسب الآلي للمنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس، والتعرف إلى المعوقات التي تواجه معلمات الحاسب الآلي في استخدام المنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كما اعتمدت الاستبانة أداة لجمع البيانات، تكونت عينة الدراسة من (٧٦) معلمة. وتوصلت النتائج إلى أن استجابات عينة الدراسة كانت موافقة بدرجة كبيرة على واقع استخدام معلمات الحاسب الآلي للمنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس. كما تبين أن أبرز المعوقات التي تواجه معلمات الحاسب الآلي، في استخدام المنصات التعليمية الإلكترونية في التدريس تتمثل في؛ المعوقات المرتبطة بالإدارة المدرسية، يليها المعوقات المرتبطة بالمناهج الدراسية، ثم المرتبطة بالمعلمات وأخيرا جاءت المعوقات المرتبطة بالطالبات.

٥. دراسة فوجتيك (٢٠١٨) بعنوان: "Problems of distance education" هدفت الدراسة إجراء مقارنة بين الطلبة الذين يتعلمون عن بعد والطلبة المنتظمون الذين يدرسون وجها لوجه من أجل إظهار المزايا والعيوب الخاصة

بالتعليم عن بعد. أمثلة من عشرين عاما من استخدام التعليم عن بعد في تخصص علم الحاسوب في جامعة اوسترافا/التشيك تصف الصعوبات المرتبطة بتطبيق هذا النوع من التعليم. تم مقارنة نتائج طلبة البكالوريوس الذين يدرسون عن بعد مع الطلبة المنتظمين الذين يتعلمون وجها لوجه. وأظهرت النتائج طويلة الأمد أن الطلبة الذين يدرسون عن بعد كان لديهم نتائج أقل في السنوات الأولى من الدراسة مقارنة بطلبة البكالوريوس المنتظمون. ولكن في السنوات الأخيرة تضاءلت هذه الاختلافات. كما وصفت الباحثة امكانية تحسين جودة التعليم عن بعد مع طرح افكار للقيام بذلك.

٦. دراسة المزين (٢٠١٥) بعنوان "معوقات تطبيق التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية وسبل الحد منها من وجهة نظر الطلبة في ضوء بعض المتغيرات "هدفت الدراسة إلى التعرف إلى أهم معوقات تطبيق التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر الطلبة، وسبل الحد منها في ضوء بعض المتغيرات. ولتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام استبانة مكونة من (٤٨) فقرة. تكون مجتمع الدراسة من (٢٨٠٠) من الطلبة، واشتملت عينة الدراسة على (٢٨١) من طلبة الكليات الإنسانية، والعلمية في نظام التعليم التقليدي، ونظام التعليم المفتوح، بالجامعة الإسلامية وجامعة الأمة في غزة. وأظهرت النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن أبرز المعوقات التي تواجه التعليم الإلكتروني انشغال الطلبة في مواقع ليس لها عالقة بالتعليم الإلكتروني وكبر حجم المنهاج الجامعي يجعل الأستاذ الجامعي يميل إلى التعليم التقليدي ثم اعتقاد البعض بأن التعليم الإلكتروني يلغي دورهم في عملية التدريس يليه قلة عدد الأجهزة بما يتناسب مع عدد الطلبة.

٧. دراسة سناء (٢٠١٤) تسعى الدراسة إلى البحث بأثر التعليم من بعد عبر استخدام الانترنت، كإجراء يمنع إمكانية العدوى من الوباء كوفيد ١٩، على مستوى إدمان الانترنت فتعالج من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي ١٢ بحثا نشر في البلاد العربية حول إدمان الانترنت، وتهدف الدراسة من

ذلك إلى البحث عن العوامل والظروف وتحليل المؤثرات من هذه الأبحاث الذي يقود المراهقين إلى هذا الإدمان وبالتالي البحث عن العلاقة بين التعليم من بعد وإدمان الانترنت لدى التلاميذ. وقد أظهرت أنه لا يوجد لعلاقة مباشرة بين الانشغال بالإنترنت الطويل وحصول ادمان الانترنت، ويحصل الإدمان بالإنترنت عند تضافر عوامل متعددة منها: العوامل الأسرية والحاجة إلى الإشباعات العاطفية وعدم كفاية المهارات الاجتماعية التواصلية، وأشارت بعض الدراسات إلى أن ادمان الانترنت سبب ونتيجة للاضطرابات النفسية في وقت واحد.

٨. دراسة هريدي (٢٠٠٨) هدفت إلى تحديد معايير الكفاءة اللغوية اللازم توافرها في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، وتحديد المعايير التربوية اللازمة لهذه البرامج. إضافة إلى تعرف واقع بعض برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد، ووضع تصور مقترح لمثل هذه البرامج. تمّ الاطلاع على الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع والاطلاع على بعض قوائم الكفاءة اللغوية في بعض مؤسسات تعليم اللغة الأجنبية. وقد اتضح من نتائج التحليل ما يلي: ١) التأكيد على أهمية تعليم اللغة العربية وتعلمها عبر الشبكة، ٢) ندرة توافر تصميم البرامج اللغوية عن بعد في ضوء معايير تربوية تسهم في اكتساب المتعلم اللغة. ٣) جاء التفاعل في فصول اللغة الافتراضية أكثر وضوحا من التعلم من خلال برامج دون معلم، وهذا يؤكد دور المعلم في مجال تعليم اللغة، سواء أكان داخل الفصل أم خارجه. هذا وقد تمّ وضع تصور لبرامج تعليم اللغة العربية وتعلمها في ضوء قائمة المعايير اللازم توافرها في برامج تعليم اللغة وتعلمها.

التعقيب على الدراسات السابقة وموقع الدراسة الحالية منها:

تشابهت الدراسة الحالية مع معظم الدراسات السابقة في موضوعها وهو التعلم عن بعد وما يتعلق به، وفي الهدف مثل دراسة فوجتيك (٢٠١٨)، وفي منهجها وهو المنهج الوصفي التحليلي كدراسة الرشيدي والبراهيم (٢٠١٩)، ودراسة سناء

(٢٠١٤) ، كما تتشابه مع معظمها في استخدام الاستبانة أداةً لها كدراسة كاظم (٢٠٢١) ودراسة الشديفات (٢٠٢٠) والضمور (٢٠٢٠) ودراسة المزين (٢٠١٥)، وتختلف في الهدف مع دراسة كاظم (٢٠٢١) ودراسة الشديفات (٢٠٢٠) التي هدفتا إلى التعرف على واقع توظيف التعليم عن بعد، ودراسة سناء (٢٠١٤) التي هدفت إلى علاقة التعلم عن بعد بإدمان الانترنت بسبب التعلم عن بعد، كما تشابهت الدراسة الحالية في العينة مع دراسة كاظم (٢٠٢١) ودراسة فوجتيك (٢٠١٨) في اعتاد الطلبة عينة للدراسة وتختلف مع دراسة الشديفات (٢٠٢٠) التي اعتمدت مديري المدارس عينة للدراسة، والضمور (٢٠٢٠) التي اعتمدت المعلمات عينة للدراسة.

وقد استفاد الباحث من خلال اطلاعه على هذه الدراسات في الإطار النظري، والمنهجية المتبعة، وتطوير أداة البحث ومناقشة النتائج.

وتميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة في أنه توصل إلى صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها الذين مارسوا التعلم عن بعد أثناء الجائحة لمدة عام دراسي كامل وذلك بعد عودتهم للدراسة الحضورية لكونهم أجدر من يستطيع وصف تلك الصعوبات، ومعرفة أفضل الوسائل المعينة والميسرة لتعليم اللغة العربية عن بعد. يتضح مما سبق موقع البحث الحالي من الدراسات السابقة وأهمية القيام به والزاوية التي انفرد بمعالجتها.

منهج البحث إجراءاته

أولاً: منهج البحث:

من أجل تحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف ظاهرة من الظواهر، ومتغيراتها كما هي في الواقع؛ وتحليلها للوصول إلى وصفها وصفا دقيقا، لمعرفة أسبابها، والعوامل المؤثرة فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها ((١)).

ثانياً: عينة البحث ومجتمعه:

اشتملت عينة البحث على (١٦٢) متعلمًا من طلاب المستوى الثالث والرابع في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهم الذين استجابوا لأداة البحث لكون الأداة أرسلت لجميع طلاب المستوى الثالث والرابع ولكن العينة المحددة سابقا تمثل من استجاب لأداة البحث، من مجتمع البحث البالغ عددهم: واحد وأربعون ومئة بعد الألف. للعام الجامعي ١٤٤٣هـ، والجدول التّالي يوضح طريقة توزيع العينة وفقا لمتطلبات البحث :

جدول (١) توزيع أفراد عينة البحث

العينة		العدد
المستوى الدراسي	الثالث	٩١
	الرابع	٧١
مكان الإقامة	داخل السعودية	٦٩
	خارج السعودية	٩٣
المجموع		١٦٢

(١) دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إصدار عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص:٣٢.

ثالثاً: أداة البحث:

تحددت أداة البحث في استبانة صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد لدى متعلميها الناطقين بغيرها أثناء جائحة كورونا، وقد تضمنت الاستبانة معلومات أولية عن المحكم وتشمل الاسم، والمؤهل العلمي، وعدد سنوات الخبرة، وتضمنت أيضا المحاور المقترحة لصعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد لدى متعلميها الناطقين بغيرها أثناء جائحة كورونا.

- **المحور الأول**: احتوى على (١٦) فقرة.
- **المحور الثاني**: احتوى على (١٩) فقرة.
- **المحور الثالث**: احتوى على (١١) فقرة.
- **المحور الرابع**: احتوى على (١٢) فقرة.
- وصيغت الفقرات بعبارات سلبية، بحيث يستجيب المبحوثون لها وفق لتدرج خماسي: موافق بشدة، موافق، موافق إلى حد ما، غير موافق، غير موافق بشدة. وأعطيت الاستجابات اللفظية قيما رقمية متدرجة، وهي: (١،٢،٣،٤،٥) على التوالي والترتيب.

صدق أداة البحث:

للتحقق من صدق الأداة استخدم الباحث الآتي:

- **الصدق الظاهري:**

عرضت الاستبانة على مجموعة من المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها والمناهج وطرق التدريس للإفادة من آرائهم وتعديلاتهم، وبعد أن انتهى الباحث من التعديلات توصل إلى أداةٍ مُحكَّمَة لبيان صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد لدى متعلميها الناطقين بغيرها أثناء جائحة كورونا. والجدول التالي يوضح الشكل النهائي للاستبانة:

جدول (٢) الشكل النهائي للاستبانة

م	أبعاد الاستبانة	عدد الفقرات
١	المحور الأول: الصعوبات المتعلقة بالمعلم	١٦
٢	المحور الثاني: الصعوبات المتعلقة بالمتعلم	١٩
٣	المحور الثالث: الصعوبات المتعلقة بالمحتوى	١١
	المحور الرابع: الصعوبات المتعلقة بالوسيلة	١٢
المجموع		**٥٨**

الصدق البنائي للاستبانة:

أجرى الباحث معامل الارتباط بيرسون، لمعرفة مدى صدق الأداة الحالية، حيث تم قياس درجة ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للبعد الذي ينتمي إليه، والجدول التالي يوضح صدق الاستبانة:

جدول (٣)

معاملات الارتباط (بيرسون) بين درجة الاستبانة والدرجة النهائية للاستبانة

المحور	رقم العبارة	معامل الارتباط	البعد	رقم العبارة	معامل الارتباط	البعد	رقم العبارة	معامل الارتباط	المحور	رقم العبارة	معامل الارتباط
المحور الأول	١	٠,٧٠*	المحور الثاني	١	٠,٦٠*	المحور الثالث	١	٠,٧٩*	المحور الرابع	١	٠,٦٦*
	٢	٠,٦٦*		٢	٠,٨٠*		٢	٠,٧٠*		٢	٠,٥٩*
	٣	٠,٧٠*		٣	٠,٧٥*		٣	٠,٧٧*		٣	٠,٧٧*
	٤	٠,٧٢*		٤	٠,٦٦*		٤	٠,٦٧*		٤	٠,٦٦*
	٥	٠,٦٦*		٥	٠,٧٧*		٥	٠,٧٢*		٥	٠,٧٧*
	٦	٠,٥٦*		٦	٠,٦٩*		٦	٠,٦٦*		٦	٠,٦٣*
	٧	٠,٦٦*		٧	٠,٦٥*		٧	٠,٧٦*		٧	٠,٦٦*
	٨	٠,٦٦*		٨	٠,٧٨*		٨	٠,٨٠*		٨	٠,٧٧*
	٩	٠,٨٨*		٩	٠,٦٥*		٩	٠,٧٨*		٩	٠,٨٢*
	١٠	٠,٧٧*		١٠	٠,٧٦*		١٠	٠,٧٤*		١٠	٠,٧٠*
	١١	٠,٦٦*		١١	٠,٦٦*		١١	٠,٦٦*		١١	٠,٧٧*
	١٢	٠,٦٧*		١٢	٠,٧٧*					١٢	٠,٥٦
	١٣	٠,٧٧*		١٣	٠,٦٦*						
	١٤	٠,٥٦*		١٤	٠,٦٩*						
	١٥	٠,٥٥*		١٥	٠,٦٥*						
	١٦	٠,٦٦*		١٦	٠,٧٨*						
				١٧	٠,٦٥*						
				١٨	٠,٧٥*						
				١٩	٠,٦٨*						

يتضح من نتائج الجدول السابق أن الفقرات تتمتع بدرجة عالية في صدق الأبعاد وارتباطها ببعض فمستوى الدلالة جاء (٠,٠١)، وقد تراوحت قيم معاملات الارتباط مع الأبعاد ما بين (٠,٦٥، و٠,٥٥) وهذا يشير إلى أن جميع الفقرات تتمتع بدرجة مرتفعة من الصدق مع أبعادها التي تنتمي إليها، وأنها تحقق أهداف القياس المرجوة منها.

الجدول (٤)

يوضح معاملات ارتباط عبارات كل بُعدٍ من أبعاد الاستبانة مقارنة بمعامل الارتباط الكلي باستخدام معامل بيرسون

م	محاور الاستبانة	معامل الارتباط
١	المحور الأول: الصعوبات المتعلقة بالمعلم	٠,٨٩
٢	المحور الثاني: الصعوبات المتعلقة بالمتعلم	٠,٩٠
٣	المحور الثالث: الصعوبات المتعلقة بالمحتوى	٠,٨٨
٤	المحور الرابع: الصعوبات المتعلقة بالوسيلة	٠,٧٩

يتضح من الجدول السابق أنَّ قيم معاملات ارتباط بيرسون كانت مرتفعة، وهذه دلالة على أنَّ الأبعاد الثلاثة تشترك في نفس مفهوم الصعوبات، وقد أشارت النتائج أيضًا إلى صدق القائمة ذات الدلالة الإحصائية عند مستوى (α = ٠,٠٥).

حساب ثبات الاستبانة:

تم احتساب معادلة الفا كرونباخ (Cronbach's Alpha)، والجدول يوضح ذلك:

جدول (٥)

ثبات الاستبانة باستخدام معامل ألفا كرونباخ

البعد	عدد الفقرات	معامل الثبات
المحور الأول: الصعوبات المتعلقة بالمعلم	١٦	٠,٨٤
المحور الثاني: الصعوبات المتعلقة بالمتعلم	١٩	٠,٦٧
المحور الثالث: الصعوبات المتعلقة بالمحتوى	١١	٠,٧٧
المحور الرابع: الصعوبات المتعلقة بالوسيلة	١٢	٠,٦٦
الثبات الكلي للاستبانة	**٥٨**	**٠,٧٤**

من خلال الجدول السابق يتبين للباحث أن الاستبانة تتمتع بدرجة ثبات عالية، وذلك من خلال قيمة معامل الثبات للدرجة الكلية للاستبانة التي بلغت (٠,٧٤)، وهي قيمة عالية تشير إلى ثبات الاستبانة واعتمادها في البحث للوصول إلى نتائج البحث.

مقياس صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد:

تم استخدام المقياس الخماسي للحكم على درجة صعوبات تعليم اللغة العربية عن بعد لدى متعلميها الناطقين بغيرها كما هو موضح بالجدول أدناه:

جدول (٦) مقياس ممارسة الدور

طول الفئة		درجة ممارسة الدور	القيمة
من	إلى		
٤,٢١	٥	موافق بشدة	٥
٣,٤١	٤,٢٠	موافق	٤
٢,٦١	٣,٤٠	موافق إلى حد ما	٣
١,٨١	٢,٦٠	غير موافق	٢
١	١,٨٠	غير موافق بشدة	١

نتائج البحث ومناقشتها

فيما يلي عرض لنتائج البحث التي تم التوصل إليها بعد تطبيق أدوات البحث، ومناقشة تلك النتائج، وفقاً لكل سؤال من أسئلة البحث التي تم تحديدها مسبقاً، وذلك على النحو التالي:

نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الأول الذي ينص على: ما صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها؟

للإجابة عن السؤال السابق تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة البحث على فقرات الاستبانة التي تعبر عن درجة صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها، وبيّنت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣,٣٧) وانحراف معياري (١,١٤٤) وهذا يدل على أن درجة صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية جاءت بدرجة موافق إلى حد ما، بمعني: (صعوبات متوسطة). وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة كاظم (٢٠٢١) في أن درجة تقدير الطلبة في الجامعات العراقية لواقع التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا (متوسطة).

وعند التفصيل نجد أن مجال الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٣,٦١) يليه مجال الصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي بمتوسط حسابي (٣,٥٢) ومن ثم مجال الصعوبات التي مصدرها المتعلم عن بعد بمتوسط حسابي (٣,٣٧) ومن ثم مجال الصعوبات التي مصدرها المعلم بمتوسط حسابي (٣).

جدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة البحث لدرجة صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية:

درجة الصعوبات	المجالات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
الأول	صعوبات مصدرها الوسائل التعليمية	٣,٦١	١,١٧١	موافق
الثاني	صعوبات مصدرها المحتوى التعليمي	٣,٥٢	١,١٩٥	موافق
الثالث	صعوبات مصدرها المتعلم	٣,٣٧	١,١١٠	موافق إلى حد ما
الرابع	صعوبات مصدرها المعلم	٣	١,١٠٠	موافق إلى حد ما
الدرجة الكلية		٣,٣٧	١,١٤٤	موافق إلى حد ما

ويعزو الباحث خروج الدرجة الكلية لصعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر المتعلمين بدرجة (موافق إلى حد ما) والتي تعني صعوبات متوسطة، إلى التحديات التي واجهتهم أثناء محاولتهم مواصلة التعلم عن بعد مع معلميهم، لكونها التجربة الأولى لهم التي يخوضونها في التعلم بهذه الطريقة، ويجدوا أنفسهم مضطرين للتواصل مع المعلمين من البيت أو من الأماكن التي توفر الانترنت. هذا الواقع المفاجئ فرض على المتعلمين الكثير من الجهد والوقت للتعامل مع الوسائل التعليمية، والمهارات التي يجب أن يمتلكها المتعلم ليحقق الأهداف المرجوة من هذه العملية، وتحديد المواد التي تحتاج إلى جهد أكبر كي تتحقق الفائدة منها، وعدد ساعات التعلم المخصصة لكل مادة فبعض المواد يحتاج إلى ساعات أكثر عند تقديمه عن بعد. هذه النقاط خلقت العديد من الصعوبات أمام المتعلمين، ولكنَّ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ممثلة في إدارتها ومعلمي معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بادروا لإيجاد حلولا لتذليل تلك الصعوبات والتواصل مع الطلاب من خلال برنامج البلاك بورد واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي كالواتس أب وغيره في تقديم الارشادات واستقبال التكليفات والواجبات خفف من حدة هذه الصعوبات من درجة

مرتفعة إلى درجة متوسطة، خاصة مع تعاون الطلاب في ذلك كونهم طلاب علم وحريصون على الفائدة، فالدافعية للتعلم لديهم كان لها الأثر الكبير في تثمين الجهد المبذول من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وبناء على ما سبق قدَر المتعلمون درجة (الصعوبات التي مصدرها المعلم والصعوبات التي مصدرها المتعلم) بدرجة موافق إلى حد ما (بمعنى صعوبات متوسطة) إلى أن المعلم استطاع تذليل الصعوبات من طرفه من خلال توظيفه للوسائل والأدوات التي وفرتها الجامعة وسد بعض الفجوات في نظام البلاك بورد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المتوفرة لدى أكثر الطلاب والتي تعتبر سهلة للتعامل لدى كثير من الطلاب. واستجابات الطلاب المتواصلة لتوجيهات المعلمين في سبيل ايصال المادة العلمية لجميع الطلاب بيسر وسهولة، ولقدرة المتعلم على تجاوز تلك الصعوبات، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في خروج نتائج هذين المجالين بدرجة متوسطة، وهذا يدل على منطقية في التقدير، ويؤكد ذلك ما أشارت له _ نتائج الفقرات: (لم يحصل المتعلمين على تدريب كاف لممارسة التعلم عن بعد)، و(انخفاض دافعية المتعلمين في المشاركة أثناء عملية التعلم عن بعد)، و(ضعف مهارة المتعلم في استخدام أدوات التعلم عن بعد)، و(وجود بعض المتعلمين في بيئات غير مناسبة للتعلم) _ بأن المتعلمين يقدرون درجة صعوبتها بدرجة موافق إلى حد ما أي صعوبات متوسطة، وذلك لأن المتعلمين بمساعدة المعلمين استطاعوا التغلب نسبياً على الضعف المتعلق بقلة تدريبهم وتأهليهم وأنهم استطاعوا التغلب على الصعوبات التي هم مصدرها بالجد والاجتهاد والتواصل مع المعلمين الذين كان لهم أكبر الأثر في الارتقاء بمستوى طلابهم وأنهم نجحوا ومعلميهم التواصل الموصل الي أهداف التعليم عن بعد.

لكن نجد أن المتعلمين قدروا درجة (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية والتي مصدرها المحتوى التعليمي) بدرجة موافق أي صعوبات مرتفعة. وذلك لعدة أسباب منها: ضعف تدريب المتعلمين على النظام الالكتروني الجديد للتعلم عن بعد (البلاك بورد)، وكذلك ضعف تدريب المعلمين على كيفية استخدامه وعرض المواد التعليمية من خلاله، ولعدم قدرة المعلمين على تحويل المحتوى التعليمي إلى محتوى

يناسب التعليم عن بعد لضيق الوقت ولكون ذلك يحتاج إلى شخص متخصص في البرمجة ورقمنه المناهج التعليمية، إذ تشير الفقرة الأولى والثالثة (عدم وجود مواد مسموعة ومرئية مساعدة للمحتوى التعليمي) والتاسعة (المناهج غير مهيأ للتعليم عن بعد) والعاشرة (عدم احتواء المقررات الدراسية على عروض بوربوينت تساعد على فهم المحتوى التعليمي)، التابعة لمجال (الصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي)، وتشير الفقرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة (عدم توفر الأجهزة، والعوامل الخارجية التي تعيق التعلم عن بعد كانقطاع التيار الكهربائي، وضعف شبكات أو خدمات الإنترنت أو عدمها في بعض الدول وارتفاع التكاليف المادية لخدمات الإنترنت في بعض الدول) التابعة لمجال: (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية) إلى درجة موافق أي درجة صعوبة مرتفعة، وهذه العوامل خارجة عن إمكانيات الطلاب إذ يصعب عليهم تحسين ذلك، مما انعكس على تقدير المتعلمين لمجالي: (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية والصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي) بدرجة موافق.

- **مجالات الاستبانة:**

بعد حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة البحث على فقرات الاستبانة، تبين أن مستوى الصعوبات التي مصدرها المعلم جاء بدرجة موافق إلى حد ما (متوسطة). حيث جاءت جميع الفقرات بذلك التقدير عدا فقرة واحدة جاءت بدرجة: غير موافق، وهي (عدم إجابة المعلم عن استفسارات المتعلمين) مما يدلل على تفاني المعلمين واجتهادهم في التواصل مع الطلاب بجميع الإمكانيات وأن المعلمين لم تأت من قبلهم صعوبات تعليم اللغة عن بعد بدرجة مرتفعة، بل جاءت بدرجة متوسطة ويعزو الباحث ذلك إلى أمور خارجة عن إرادتهم كالأمور الخاصة بانقطاع أو ضعف صوت المعلم المتعلقة بالتقنية أو غير ذلك مما ليس له علاقة مباشرة بالمعلم.

أولاً: الصعوبات المتعلقة بالوسائل التعليمية:

أما عن مستوى الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية فجاءت بالدرجة الأولى إذ تشكل أكبر الصعوبات في التعليم عن بعد من وجهة نظر متعلمي اللغة

العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبينت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣,٦١) بدرجة (موافق)، وهذا يدل على أن مستوى الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية جاء (مرتفعة) بل وبأعلى درجة كلية. حيث جاءت فقرتان فقط بدرجة موافق إلى حد ما، و(١٠) فقرات بدرجة موافق، أي أن هذه الصعوبات كانت (مرتفعة)، ويبين الجدول التالي تفاصيل ذلك يليه تفسير هذه النتائج:

جدول (٨)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة لمحور الوسائل التعليمية

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
١.	عدم توفر الأجهزة الإلكترونية.	٣,٥٢٤٧	١,١٥٩٣٦	موافق
٢.	العوامل الخارجية تعيق التعلم عن بعد كانقطاع التيار الكهربائي.	٣,٦١١١	١,٢١٧١١	موافق
٣.	ضعف شبكات أو خدمات الإنترنت أو عدمها في بعض الدول.	٣,٩٨٧٧	١,١١٤٤٩	موافق
٤.	ارتفاع التكاليف المادية لخدمات الإنترنت في بعض الدول.	٣,٨١٤٨	١,٠٥٨٦٧	موافق
٥.	منع بعض البرامج التقنية في بعض الدول.	٣,٤١٣٦	١,٢١٤٠٢	موافق
٦.	ارتفاع تكاليف أجهزة الكمبيوتر المستخدمة في التعلم عن بعد.	٣,٨١٤٨	١,١١٠٢١	موافق
٧.	نقص البرمجيات المحوسبة الملائمة لطبيعة المقررات الدراسية وطبيعة طلاب الجامعة الإسلامية.	٣,٣٥١٩	١,٢٠٢٨٥	موافق إلى حد ما
٨.	استخدام أكثر من وسيلة للتواصل مع المتعلمين أثناء التعلم عن بعد.	٣,٣٧٠٤	١,٠٧٤٢٠	موافق إلى حد ما
٩.	تتطلب بعض المهام والواجبات من المتعلم طباعتها ومن ثم حلها.	٣,٤٩٣٨	١,١١٥٩٣	موافق
١٠.	تتطلب بعض المهام الإلكترونية من المتعلم تحميل ملفات (word, excel, pdf).	٣,٦٤٨١	١,٠٥٤٢٦	موافق
١١.	قلة أجهزة الحاسوب.	٣,٧٢٨٤	١,٠٨٠٧٤	موافق
١٢.	عدم وجود صيانة لأجهزة الحاسوب في حال تعطلها.	٣,٥٩٨٨	١,١٠٠٣١	موافق
	المتوسط الحسابي للمحور	**٣,٦١٣**		**موافق**

يتضح من الجدول أنَّ المتوسط العام لمحاور الصعوبات المتعلقة بالمحتوى بلغ (٣,٦١)، وهي درجة (موافق) وفقًا لمقياس أداة البحث، ويتضح أيضًا من الجدول أن عبارات الصعوبات الخاصة بالوسائل التعليمية جاءت بدرجة (موافق) وتعزى هذه

النتيجة إلى ضعف مهارات المتعلمين في التعامل مع الحاسوب أو التطبيقات التعليمية وذلك بسبب عدم تدريبهم عليها، وبسبب قلة خبرة الطلبة في الوسائل التعليمية أو عدم استخدام المعلمين للوسائل التعليمية بشكل جيد، وقد يكون ذلك بسبب عدم توفر أجهزة حاسوب ذات جودة عالية تساعد في تعلم المتعلمين.

وجاءت فقرتان فقط بدرجة (موافق إلى حد ما) وهي: (نقص البرمجيات المحوسبة الملائمة لطبيعة المقررات الدراسية وطبيعة طلاب الجامعة الإسلامية)، (استخدام أكثر من وسيلة أو أداة تعلم للتواصل مع المتعلمين أثناء التعلم عن بعد) وتدل الفقرة الأولى منهما على توفير الجامعة الإسلامية للبرمجيات والتقنيات التي احتاج إليها الطلاب في التعليم عن بعد أثناء الجائحة ولكن قد تكون المشكلة بسبب ما أشار إليه المحور الثاني الخاص بالصعوبات المتعلقة بالمتعلمين وذلك في ضعف استخدام المتعلمين للتقنية وكيفية التعامل معها في التعليم لأن المتعلمين لم يتلقوا التدريب الكافي على استخدام التقنية في التعليم نستنتج مما سبق ضرورة الاهتمام بما يلي:

- تدريب المتعلمين على استخدام الوسائل التعلمية التي تعين على التعلم وتساعد على نجاح التعليم بطريقة صحيحة.
- إضافة مادة خاصة لتدريب متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها على كيفية استخدام التقنية الحديثة في التعليم والتطبيقات وكيفية استخدام المواقع في الحصول على المعلومات.

ثانياً: الصعوبات المتعلقة بالمحتوى التعليمي:

أما عن مستوى الصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي فجاءت بالدرجة الثانية من بين الصعوبات من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبينت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣,٥٢) وهذا يدل على أن مستوى صعوبات مصدرها المحتوى التعليمي جاء بدرجة (مرتفعة)، إذ جاءت فقرتان بدرجة موافق إلى حد ما و(٩) فقرة بدرجة (موافق)، ويبين الجدول التالي تفاصيل ذلك يليه تفسير هذه النتائج:

جدول (٩)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة للصعوبات المتعلقة بالمحتوى التعليمي

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
.١	عدم وجود مواد مسموعة مساعدة للمحتوى التعليمي الذي يدرس عن بعد أثناء الجائحة.	٣,٥٤٣٢	١,١١٥١١	موافق
.٢	غياب التواصل المباشر يؤثر على استيعابي للمادة التعليمية.	٣,٧٧٧٨	١,١١٤٥٦	موافق
.٣	عدم وجود مواد مرئية مساعدة للمحتوى التعليمي الذي يُدرَّسُ عن بعد أثناء الجائحة	٣,٥٦١٧	١,١٤١٧٦	موافق
.٤	الدروس لا تحتوي على صور توضيحية.	٣,٣٧٠٤	١,١٣٠٥٤	موافق إلى حد ما
.٥	المحتوى التعليمي غير مصمم للتعليم عن بعد، بل مصمم للتعلم الحضوري.	٣,٧٩٠١	١,١٢٨٠٣	موافق
.٦	الدروس كثيرة والوقت لا يكفي لإنهائها أثناء التعلم عن بعد.	٣,٤٤٤٤	١,١٦٨٩٦	موافق
.٧	الحاجة إلى الجهد الكبير من المعلم لتحويل المحتوى التعليمي إلى إلكتروني كي يتوافق مع التعليم عن بعد	٣,٦٤٢٠	١,١٠١٢٠	موافق
.٨	عدم احتواء المقررات على إرشادات لطريقة الاستفادة منها عن بعد	٣,٤٦٣٠	١,٠٥٨١٨	موافق
.٩	المقررات الدراسية غير مهيأة لكي تستعمل في التعليم عن بعد.	٣,٤١٣٦	١,١٥٠٩٩	موافق
.١٠	عدم مراعات المحتوى التعليمي للفروق الفردية بين المتعلمين.	٣,٣٠٢٥	١,١٥٣٣٩	موافق إلى حد ما
.١١	عدم احتواء المقررات الدراسية على عروض بوربوينت تساعد على فهم المحتوى التعليمي.	٣,٥٠٠٠	١,١١٠٣٧	موافق
المتوسط الحسابي للمحور		**٣,٥٢١**		**موافق**

يتضح من الجدول السابق أنَّ المتوسط العام لمحاور الصعوبات المتعلقة بالمحتوى التعليمي بلغ (٣,٥٢)، وهي درجة (موافق) وفقًا لمقياس أداة البحث. وتعني درجة صعوبة مرتفعة.

وتعزى هذه النتيجة إلى أنَّ المحتوى التعلمي المستخدم في التعليم عن بعد كان غير مناسب للمتعلمين، وذلك لكون المحتوى غير معد للتعليم إلكترونيًا، إضافة إلى عدم وجود تعليمات عن كيفية استخدام المحتوى إلكترونيًا، كما أنّ المحتوى معد للتواصل المباشر بين المعلم والمتعلم، يظهر ذلك في إجابة الفقرات (المحتوى التعليمي غير مصمم للتعليم عن بعد، بل مصمم للتعلم الحضوري) (عدم وجود مواد مسموعة مساعدة للمحتوى التعليمي الذي يدرس عن بعد أثناء الجائحة) (عدم وجود مواد مرئية مساعدة للمحتوى التعليمي الذي يُدرَّسُ عن بعد) (الدروس لا تحتوي على صور توضيحية) (عدم احتواء المقررات الدراسية على عروض بوربوينت تساعد على فهم المحتوى التعليمي)، ولكنّ بعض المعلمين استطاعوا التغلب على هذه العقبات من خلال توفير شروحات مرئية على اليوتيوب والتلجرام وتسجيل بعض المواد سمعيا وإرسالها للطلاب عبر الواتس أب وتكوين مجموعات أو قروبات الواتس أب أو الفيس بوك واستخدام نماذج قوقل في إنشاء الأسئلة والتقويم كل ذلك كان له الأثر الكبير في تجاوز بعض العقبات التي كان مصدرها المحتوى التعليمي.

وتؤكد ذلك دراسة خليف (٢٠٢٠) حيث أشارت إلى أنّ عملية التعليم عن بعد أثناء الأزمات والطوارئ قائم على الارتجالية تلبية لحالة الطوارئ القائمة، وبالنسبة للمحتوى التعليمي غالبا ما يكون معد للتعليم الوجاهي لذلك فإن هذا المحتوى يفتقد إلى كثير من مقومات التعليم عن بعد وأسسه، لذلك واجه الجميع في السلك التعليمي صعوبات كان لها أثر كبير في تكوين صورة سلبية للتعليم عن بعد لدى المعلمين والمتعلمين.

نخلص مما سبق إلى وجوب توفر النقاط التالية في المحتوى التعليمي المقدم لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها وهي:

- إعادة بناء مناهج تعليم اللغة العربية بحيث تكون قابلة للتعليم بنوعية التعليم الوجاهي والتعليم عن بعد.
- توفير مواد مسموعة وأخرى مرئية لكل محتوى تعليمي المقدم لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.
- إنشاء تطبيقات رسمية تفيد متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في التعليم بشكل عام والتعليم عن بعد بشكل خاص.
- تدريب الطلاب على المحتوى عن بعد بجعل يوم في الأسبوع للدراسة عن بعد في نفس المنهج كي يتدرب الطلاب على التعليم عن بعد واكتشاف أي خلل فيه بحيث يكون المنهج قابل للتعليم عن بعد في حال حدوث حالة طارئة لا سمح الله.

ثالثاً: الصعوبات المتعلقة بالمتعلمين:

أما عن مستوى الصعوبات التي مصدرها المتعلمين فجاءت بالدرجة الثالثة من بين الصعوبات من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبينت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣,٣٧) وهذا يدل على أن مستوى صعوبات مصدرها المتعلمين جاء بدرجة موافق إلى حد ما (متوسطة). حيث جاءت (٧) فقرات بدرجة موافق و(١٢) فقرة بدرجة موافق إلى حد ما (متوسطة)، ويبين الجدول التالي تفاصيل ذلك يليه تفسير هذه النتائج:

جدول (١٠)

الجدول للمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة لمعيار الصعوبات المتعلقة بالمتعلمين

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
.١	عدم امتلاك المتعلم لوسائل التعلم عن بعد مثل: الأجهزة الذكية والحاسوب.	٣,٥٤٣٢	١,١٨٠٠	موافق
.٢	اختلاف التوقيت الزمني نظراً لاختلاف التوقيت في مكان إقامة المتعلم	٣,٤٢٥٩	١,٢٥٥٠	موافق
.٣	ضعف شبكات الإنترنت في بلد المتعلم	٣,٤٨٧٧	١,٢٤٧٣	موافق
.٤	منع بعض برامج التواصل في بلد المتعلم.	٣,٨٩٥١	١,١٩٨٣	موافق
.٥	عدم قدرة المتعلمين على تقديم الاختبارات الكترونيا.	٣,٢٤٦٩	١,٣٠٩٦	موافق إلى حد ما
.٦	انشغال بعض المتعلمين بأعمال أخرى وقت الدراسة.	٣,٣٨٢٧	١,٢٤١٨	موافق إلى حد ما
.٧	وجود بعض المتعلمين في بيئات غير مناسبة للتعلم.	٣,١٦٠٥	١,٣٦٠٠	موافق إلى حد ما
.٨	انخفاض دافعية المتعلمين في المشاركة أثناء عملية التعلم عن بعد	٣,٣٣٣٣	١,٣٠٤٥	موافق إلى حد ما
.٩	عدم التزام المتعلمين بالحضور المبكر للمحاضرات.	٣,٣٢١٠	١,٢٢٤٢	موافق إلى حد ما
.١٠	عدم تفاعل ومشاركة المتعلمين للمعلم أثناء المحاضرة	٣,٠٩٢٦	١,٢٨٩٢	موافق إلى حد ما
.١١	عدم اعتياد المتعلمين على هذا النوع (التعلم عن بعد) من التعلم.	٣,١٧٢٨	١,٢٤٤٠	موافق إلى حد ما
.١٢	عدم قناعة المتعلم بجدوى التعلم عن بعد.	٣,٥٤٩٤	١,٢٤١٣	موافق
.١٣	تجاهل المتعلم للواجبات والتكليفات المنزلية التي يقرها المعلم.	٣,١٦٦	١,٢٦٦٨	موافق إلى حد ما
.١٤	مكان أو بيئة المتعلمين غير مهيأة لمتابعة التعلم عن بعد.	٣,١٦٦٧	١,٢١٢٠	موافق إلى حد ما
.١٥	تقمص بعض الأفراد لشخصية المتعلم لإثبات الحضور.	٣,٤٥٦٨	١,٢١٦٣	موافق

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
١٦.	عدم المشاركة مع المعلم أثناء التعلم عن بعد.	٢,٩٥٦٨	١,١٨١٣	موافق إلى حد ما
١٧.	لم يحصل المتعلمين على تدريب كاف لممارسة التعلم عن بعد.	٣,٥٨٦٤	١,٢٧٨٨	موافق
١٨.	التعلم عن بعد زاد من عزلة المتعلمين الاجتماعية.	٣,٤٨١٥	١,١٧٥٤	موافق
١٩.	عدم قدرة المتعلمين على تقديم الواجبات الالكترونية.	٣,٢٧١٦	١,١٩٥٣	موافق إلى حد ما
	المتوسط العام للمعايير	٣,٣٧٢		موافق إلى حد ما

يتضح من الجدول أنَّ نتيجة المتوسط العام لمحاور الصعوبات المتعلقة بالمتعلمين بلغ (٣,٣٧٢)، وانحراف معياري بدرجة (موافق إلى حد ما) وفقًا لمقياس أداة البحث. وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة **دراسة كاظم (٢٠٢١)** في أن درجة تقدير الطلبة في الجامعات العراقية لواقع التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا (متوسطة). ويشير ذلك على أنَّ هناك صعوبات تتعلق بالمتعلمين بطريق مباشر أو غير مباشر أثرت سلباً على مستوى المتعلمين العلم، وتدل هذه النتيجة على وجود صعوبات مر بها الطلاب أثناء التعليم عن بعد أهمها ما أشارت إليه الفقرات التالية: والتي جاءت بدرجة (موافق) وهي:(عدم امتلاك المتعلم لوسائل التعلم عن بعد مثل: الأجهزة الذكية والحاسوب)، (اختلاف التوقيت الزمني نظراً لاختلاف التوقيت في مكان إقامة المتعلم)، (ضعف شبكات الإنترنت في بلد المتعلم)، (عدم قناعة المتعلم بجدوى التعلم عن بعد.)، (لم يحصل المتعلمين على تدريب كاف لممارسة التعلم عن بعد)، وهذه الصعوبات منها ما يعود للمتعلم ذاته ومنها ما يعود للظروف الخارجية للمتعلمين مثل: قناعة المتعلم الشخصية بعدم فائدة التعلم عن بعد مما أدى إلى طلب بعض المتعلمين للتأجيل مدة الجائحة كي لا يتعلموا بهذه الطريقة، وقلة خبرة المتعلمين باستخدام التقنية، والصعوبات الخارجية مثل: الوضع الاقتصادي للمتعلم ومنها ما يعود للموقع الجغرافي ومنها ما يعود لضعف خدمات الانترنت. كما أشارت الفقرة (التعلم عن بعد زاد من

عزلة المتعلمين الاجتماعية) جاءت بدرجة (موافق) وهذا قد يدل على ظهور مشكلة اجتماعية وهي مشكلة العزلة عن المجتمع التي توثر سلباً على متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها إذ تقلل من ممارسة المتعلم للغة العربية مع زملائه إذ ينتج عن عدم ممارسة اللغة والعزلة زيادة مدة تعلم اللغة الناتج عن عدم ممارستها فينتج عن ذلك مشكلات اقتصادية على الجهة المانحة أو على المتعلم إن كان يدرس على حسابه الخاص. كما أنَّ الفقرة (مكان أو بيئة المتعلمين غير مهيأة لمتابعة التعلم عن بعد) جاءت بدرجة موافق إلى حد ما، وهذا يدل على أن بعض الطلاب كانوا في بيئات يصعب فيها متابعة التعلم عن بعد إذ يشكل مكان إقامة المتعلم محور مهم في نجاح عملية التعلم عن بعد.

نخلص مما سبق إلى أنه ينبغي مراعات النقاط التالية عند ممارسة التعليم عن بعد وهي:

- خلفية المتعلمين التقنية.
- بيئة المتعلمين.
- الوضع الاقتصادي للمتعلمين.
- توفر خدمات الإنترنت للمتعلمين.

رابعاً: الصعوبات المتعلقة بالمعلم:

أما عن مستوى الصعوبات التي مصدرها المعلم فجاءت بالدرجة الرابعة والأخيرة من بين الصعوبات من وجهة نظر متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبينت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣) وهذا يدل على أن مستوى الصعوبات التي مصدرها المعلمين جاء بدرجة موافق إلى حد ما، أي: (متوسطة). حيث جاءت فقرة واحدة فقط بدرجة غير موافق و(١٥) فقرة بدرجة موافق إلى حد ما، ويبين الجدول التالي تفاصيل ذلك يليه تفسير هذه النتائج:

جدول (١١)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الممارسة لمعيار الصعوبات المتعلقة بالمعلم

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
.١	عدم توافر المهارة الكافية للمعلم في استخدام وسائل التعليم عن بعد.	٣,١١١١	١,٢٨٥٣٧	موافق إلى حد ما
.٢	تأخر المعلم في الدخول للمحاضرة عن بعد.	٢,٧٥٩٣	١,٢٥٠١٢	موافق إلى حد ما
.٣	انشغال المعلم بتحضير الطلاب والتأخر في بدء المحاضرة عن بعد	٣,١٨٥٢	١,٢٩١٢٦	موافق إلى حد ما
.٤	عدم وضوح صوت المعلم أثناء شرح الدروس عن بعد	٣,٣٦٤٢	١,٣٣١٦٨	موافق إلى حد ما
.٥	عدم استخدام المعلم للكاميرا أثناء الشرح عن بعد.	٣,٣٣٣٣	١,٣٣٧٤٧	موافق إلى حد ما
.٦	عدم تزويد المتعلمين بفيديوهات مساندة لشروحات مساندة للمحاضرة عن بعد.	٣,٣٤٥٧	١,٢٦٢٥٦	موافق إلى حد ما
.٧	عدم إعطاء الفرصة للطلاب بالمشاركة والاستفسار أثناء المحاضرة عن بعد	٢,٧٧٧٨	١,٢١٥٨٤	موافق إلى حد ما
.٨	غياب المعلم المتكرر عن المحاضرات	٢,٧١٦٠	١,٢٧٣٠٨	موافق إلى حد ما
.٩	سرعة المعلم في الشرح عن بعد	٣,٠١٢٣	١,٢٩٠١٣	موافق إلى حد ما
.١٠	عدم اهتمام المعلم بالواجبات والتكليفات المنزلية.	٢,٧٢٨٤	١,٢٢١٠٦	موافق إلى حد ما
.١١	عدم إجابة المعلم عن استفسارات المتعلمين.	٢,٥٧٤١	١,١٨٩٠١	غير موافق
.١٢	عدم مناسبة مكان المعلم الذي يلقي فيه المحاضرة لوجود أصوات	٢,٨٣٣٣	١,٢٥٧٢٨	موافق إلى حد ما

رقم الفقرة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة
	تمنعنا من فهم ما يقول.			
.١٣	عدم عرض المعلم للدرس على شاشة الحاسوب أثناء الشرح عن بعد.	٣,٠١٢٣	١,٢٤١٠٦	موافق إلى حد ما
.١٤	عدم قناعة بعض المعلمين بجدوى التدريس عن بعد خاصة للطلاب غير الناطقين بالعربية.	٣,٢٥٩٣	١,٣٢٦٠٧	موافق إلى حد ما
.١٥	عدم مراعات المعلم للفروق الفردية بين المتعلمين أثناء التعلم عن بعد	٣,٠٩٢٦	١,٢٤٥١٤	موافق إلى حد ما
.١٦	اعتماد المعلم على استراتيجية تدريس واحدة وتجاهل بقية الاستراتيجيات المناسبة للتعليم عن بعد.	٢,٩٨١٥	١,١٧١٤٦	موافق إلى حد ما
المتوسط العام للمحور		٣,٠٠		موافق إلى حد ما

يتضح من الجدول أنَّ المتوسط العام لمحاور الصعوبات المتعلقة بالمعلم بلغ (٣,٠٠)، بدرجة (موافق إلى حد ما) وفقًا لمقياس أداة البحث، وقد يعود السبب في ذلك إلى التحول المفاجئ للتعلم عن بعد، الذي أوجد صعوبات عند المعلم في التوظيف الأمثل للتقنية في التعليم، وعدم مناسبة المناهج للتعليم عن بعد الأمر الذي زاد من المسؤولية والعبء على المعلمين. **وتتفق هذه النتيجة مع دراسة المزين (٢٠١٥)** حيث أظهرت نتائجها بأنَّ كبر حجم المنهاج الجامعي يجعل الأستاذ الجامعي يميل إلى التعليم التقليدي ثم اعتقاد البعض بأن التعليم الإلكتروني يلغي دورهم في عملية التدريس.

ويؤكد الجدول ذلك في محور (اعتماد المعلم على استراتيجية تدريس واحدة) وتجاهل بقية الاستراتيجيات المناسبة للتعليم عن بعد، مما يدل على أن المعلم بحاجة إلى

اكتساب المزيد من مهارات التعامل مع التقنية في التعليم عن بعد. كما تفسر نتيجة الصعوبات التي مصدرها المعلم بأنها جاءت بدرجة (موافق إلى حد ما) إلى أنَّ بعض المعلمين كانوا بحاجة إلى تدريب أكثر على استخدام الحاسب الآلي والتقنية بشكل عام والتأهب لمثل هذه الأزمات إن عادت _لا سمح الله_ ، وتشير لها الفقرات: (عدم توافر المهارة الكافية للمعلم في استخدام وسائل التعليم عن بعد) و(تأخر المعلم في الدخول للمحاضرة عن بعد) و(عدم استخدام المعلم للكاميرا أثناء الشرح عن بعد) و(عدم قناعة بعض المعلمين بجدوى التدريس عن بعد خاصة للطلاب غير الناطقين بالعربية) و(عدم عرض المعلم للدرس على شاشة الحاسوب أثناء الشرح عن بعد)، كما تشير الفقرات: (عدم تلق المعلم تدريبا عن كيفية التعليم عن بعد) و(عدم قدرة المعلم على تحديد أدوات التعلم عن بعد والتي تتناسب وطالبه)، و(ضعف مهارة المعلم في استخدام أدوات عدُ التعلم عن بعد)، إلى أنَّ المتعلمين يقدرون أن معلميهم كانوا بحاجة لتدريب أكثر على مهارات التعليم عن بعد وتوظيف أدواته بشكل جيد، ولكنهم استطاعوا التغلب على المشاكل المتعلقة بالتدريب والتأهيل من خلال توظيف وسائل التواصل الاجتماعي مع طلابهم في التعليم عن بعد، ويؤكد ذلك نتيجة الفقرة الثانية من الاستبانة والمتعلقة بأهم التقنيات التي استخدمها المتعلمون عن بعد والتي أشارت إلى أن المتعلمين استخدموا تطبيق الواتس أب (بنسبة مئوية ٣٦،٤%) والتلجرام (بنسبة مئوية ١٢،٣%) واليوتيوب (بنسبة مئوية ١٤،٢%) وهذا يؤكد الحاجة لمزيد من التدريب والتأهيل.

وأيضا جاءت درجة صعوبة (عدم إجابة المعلم عن استفسارات المتعلمين) بدرجة (غير موافق) دليلاً على تفاعل المعلمين مع تلاميذهم والحرص على إفهامهم وبذل الجهد الكبير في التعليم عن بعد.

نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الثاني الذي ينص على: ما وسائل التعلم التي استخدمها المتعلمون أثناء التعليم عن بعد؟

عند الإجابة عن هذا السؤال طُلب من المتعلمين اختيار أكثر من إجابة لمعرفة جميع الوسائل التي استخدمها الطالب فالطلاب والمعلمين لم يكتفوا بوسيلة واحدة أثناء التعلم عن بعد بل كانت هناك أكثر من وسيلة، ولمعرفة ذلك حُسبت الأعداد والنسب المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث على أدوات التعليم التي استخدمها المتعلمون للتعليم عن بعد، حيث أظهرت النتائج بناء على الجدول رقم (١٢) أن (نظام البلاك بورد) حصل على نسبة مئوية (٩٤,٤%)، يليها (تطبيق الواتس أب) الذي حصل على نسبة مئوية (٣٦,٤%)، ثم (تحميل الفيديوهات على برنامج You Tube) بنسبة مئوية (١٤,٢%)، ومن ثم (برنامج التلجرام) بنسبة مئوية (١٢,٣%)، ومن ثم (صفحة الفيس بوك) التي حصلت على أقل نسبة مئوية (٥,٦%).

جدول رقم (١٢)

الأعداد والنسب المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث على وسائل التعليم التي استخدمت في التعليم عن بعد:

الترتيب بناء على درجة الاستخدام	وسائل التعليم التي استخدمها المتعلمون في التعليم عن بعد	العدد	النسبة المئوية
الأولى	برنامج البلاك بورد	١٥٣	%٩٤,٤
الثانية	تطبيق الواتس أب	٥٩	%٣٦,٤
الثالثة	برنامج You Tube	٢٣	%١٤,٢
الرابعة	برنامج التلجرام	٢٠	%١٢,٣
الخامسة	صفحة الفيس بوك	٩	%٥,٦

وبناء على ذلك يتضح بأنَّ المتعلمين اعتمدوا بشكل كبير على برنامج البلاك بورد، في التواصل مع المعلمين وذلك لكونه البرنامج الرسمي الذي اعتمدته الجامعة للتعليم عن بعد، فنجد أن التعليم عن بعد في مراحله الأولى اعتمد فيه الطلاب والمعلمون على البلاك بورد ثم ظهرت مجموعة من الصعوبات التي تتعلق بهذا النظام وكذلك المحتوى ومدى ملائمته للتعليم عن بعد فتوجه المعلمون والمتعلمون إلى

وسائل التواصل الاجتماعي إضافة إلى البلاك بورد كي يسدوا الخلل الحاصل، وتوجه المعلمون أيضاً إلى تصميم مواد تعليمية من خلال برنامج You Tube أو تصوير الشرح بالفيديوهات الخاصة بالدروس أو التسجيلات الصوتية وإرسالها للطلاب عن طريق تطبيق الواتس أب لكونها الوسيلة الأسهل والأكثر انتشاراً وشعبية بين المعلمين والمتعلمين، كل ذلك من أجل تجاوز تلك الصعوبات واستمرار التعليم عن بعد بشكل جيد.

ويعزو الباحث سبب اعتماد المتعلمين بشكل كبير على (برنامج البلاك بورد، وتطبيق الواتس أب) إلى الأسباب التالية:

- اعتماد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لبرنامج البلاك بورد كي يكون هو الوسيلة الرسمية للتعليم عن بعد ولإثبات حضور وغياب المتعلمين. أما تطبيق الواتس أب فلانتشار الواسع بين المتعلمين والمعلمين، ولتوفره على الهواتف الذكية، ولسهولة استخدامه في التواصل بين المعلمين والمتعلمين.
- أما عن توجه المتعلمين لـ(برنامج You Tube) وطلبهم من المعلمين رفع الدروس على اليوتيوب وإرسالها عن طريق روابط عبر تطبيق الواتس أب لكونها تقضي على مشكلة الفارق الزمني الذي يحول أحيانا عن حضور المحاضرات ويقضي على مشكلة انقطاع الكهرباء في بعض الدول التي تكثر فيها هذه المشكلات.
- كذلك يعزو الباحث توجه المعلمين والمتعلمين نحو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التعليم عن بعد لضعف تدريب المتعلمين على برنامج البلاك بورد ولقلة معرفتهم بخصائص البلاك بورد التي تسمح برفع الملفات وأداء الاختبارات ولذلك حاولوا إيجاد حلول من خلال توظيف وسائل التواصل الاجتماعي للتواصل مع المعلمين لتكون جسر

يسد النقص الناجم عن جهلهم بخصاص البلاك بورد وذلك شامل للمتعلمين والمعلمين أيضا فبعض المعلمين لا يعرف بعض خصاص برنامج البلاك بورد مما يجعله ينصرف لبرامج التواصل الاجتماعي لإكمال النقص وللتواصل السريع مع طلابه.

ويرى الباحث أنَّ توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في التعليم عن بعد مفيد من ناحية ومربك من ناحية أخرى مفيد من ناحية سد النقص الذي يحصل أثناء التعليم عن بعد باستخدام نظام البلاك بورد مثل: إرسال روابط عبر برنامج اليوتيوب معززة للدروس، والقضاء على مشكلة الفارق الزمني. ومربك من ناحية عدم توظيف النقاش بشكل تربوي يخدم الأهداف التربوية، لكون المحتوى العلمي يختلط بالمداخلات من قبل الطلاب والتوجيهات التي يقدمها المعلم وغير ذلك من الأمور التي لا علاقة لها بالمادة العلمية.

ويؤكد ذلك خليف (٢٠٢٠) بأنَّ التعليم عن بعد أثناء الأزمات قائم غالبا على الارتجالية، لسد الفجوة التعليمية الحاصلة نتيجة حالة الطوارئ، وذلك عائد إلى أن المواد التي تدرس في حالة الأزمات هي نفسها المعدة للتعلم الحضوري فلم تبنى تلك المناهج للتعليم عن بعد من هنا جاءت التصرفات الارتجالية، إضافة إلى ما سبق فإن التدريس أثناء الأزمات يسعى إلى توفير التعليم والتواصل مع الطلاب بطريقة سريعة. ومن هنا نخشى أن يكون التعليم عن بعد قد حمل صورة سلبية عند جميع أطراف العملية التعليمية، بسبب الصعوبات التي واجهتهم فالمعلمين زادت التكليفات عليهم، وواجهوا صعوبات في أثناء بنائهم للمحتوى التعليمي الإلكتروني، إضافة إلى مشاكل التقييم، أما الطلاب فقد واجهوا كثيرا من الصعوبات بحسب بلدهم وقدراتهم المادية والبنية التحتية في بلدانهم إلى غير ذلك من الصعوبات التي جعلت كثيرا منهم يحكم على التعليم عن بعد بأنه غير جيد وهذا ما سمعه الباحث من كثير من الطلاب.

ونجد في نتيجة السؤال الثاني أيضا أن المتعلمين المتميزين قاموا بالمشاركة والتعاون مع المعلمين عبر وسائل التواصل الاجتماعي في نشر بعض المواد المرئية والمسموعة التي

تخدم الدروس وتعين الطلاب الضعفاء في اللحاق بركب الطلاب المتميزين فكانت من مميزات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التعليم عن بعد ظهور التعلم التعاوني بشكل واضح وملموس بين الطلاب.

نتائج البحث المتعلقة بالسؤال الثاني الذي ينص على: ما مدى توافر فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) **في متوسط تقديرات عينة الدارسة لدرجة توافر صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية، من وجهة نظر متعلمي معهد تعليم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تعزى لمتغير المستوى الدراسي (المستوى الثالث–الرابع)، ومكان الإقامة أثناء ممارسة التعليم عن بعد (داخل السعودية، خارج السعودية)؟**

للإجابة عن السؤال السابق تم استخدام عدد من الاختبارات الإحصائية (اختبار تحليل التباينANOVA واختبار شيفيه وفقًا لمتغيرات البحث المستقلة وجاءت النتائج كما يلي:

أولا: مكان الإقامة:

تم استخدام تحليل التباين الأحاديANOVA والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ف).

ولمعرفة اتجاه الفروقات تم اجراء اختبار المقارنات البعدية ((Scheffeوالجدول التالي يوضح الفروقات الدالة إحصائيا:

جدول (١٢)

جدول اختبار شيفيه Scheffe لبيان الفروق في محاور الصعوبة الأربعة: المعلم، والمتعلم، والمحتوى والوسائل التعليمية

م	المحور	مكان الإقامة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
١	صعوبات تتعلق بالمعلم	داخل السعودية	٦٩	٣,٠٥٥٣	٠,٩٥٧٥	٠,٣٨٧٠	٠,٥٤٠	غير دالة
		خارج السعودية	٩٣	٢,٩٦٨٤	٠,٨٣٥٣			
٢	صعوبات تتعلق بالمتعلم	داخل السعودية	٦٩	٣,٤١٤٩	٠,٩٤٠٢	١,٢٧٠	٠,٠٠٤	دالة
		خارج السعودية	٩٣	٢,٣٤١٣	٠,٩٥٧٧			
٣	صعوبات تتعلق بالمحتوى التعليم	داخل السعودية	٦٩	٣,٥٩٦٦	٠,٨٤٩٤٣	٠٥٠.	٠,٨٢٤	غير دالة
		خارج السعودية	٩٣	٣,٦٢٥٤	٠,٧٨٧٨٦			
٤	صعوبات تتعلق بوسائل التعلم	داخل السعودية	٦٩	٣,٤٠١١	٠,٨٣٩٣.	٠٩٢	٠,٧٦٢	غير دالة
		خارج السعودية	٩٣	٣,٣٦٤٠	٠,٧٠٨٩١			

يتضح من الجدول السابق وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير مكان الإقامة لصالح متغير (داخل السعودية) في محور الصعوبات التي تتعلق بالمتعلم، حيث تحددت قيمة المحور (٠,٠٤)، ويعزو الباحث ذلك إلى توفر البيئة المناسبة للتعليم عن بعد مثل: الخدمات المتعلقة بالإنترنت وخدمات الصيانة للأجهزة وتوفير البيئة العلمية للمتعلمين خاصة لطلاب الجامعة الإسلامية من متعلمي اللغة الناطقين بغيرها فجميع الخدمات التعليمية والصحية والمعيشية توفرها الجامعة لطلابها بشكل جيد. في حين لم يكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير مكان الإقامة في جميع محاور

الاستبانة حيث بلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بالمعلم (٠,٣٨٧) كما بلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بالمحتوى (٠,٢٧٠)، وبلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بوسائل التعلم (٠,٩٢) وذلك لكون المعلمين هم أنفسهم من يعلم لمن داخل السعودية وخارجها وكذلك المنهج واحد وكذلك الوسائل التعليمية إلا ما اجتهد بعض المعلمين فيها من إضافة وسائل أخرى تعين كالواتس أب وقنوات اليوتيوب التي أنشأها بعض المعلمين وغير من التطبيقات التي استعان بها المعلمون لتجويد عملية التعليم عن بعد والوصول لمخرجات جيدة من المتعلمين. كذلك يعزو الباحث سبب عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المحاور الثلاثة: المعلم، والمحتوى، ووسائل التعلم إلى أن المعلمين استطاعوا التغلب على جميع الصعوبات المتعلقة بالمحتوى وتوظيف جميع الوسائل التعليمية التي تعين في عملية التعليم عن بعد وذلك بسبب جودة خدمات الإنترنت وتوفر جميع الإمكانات في السعودية حفظها الله التي تعين على التعليم عن بعد وجهود الوزارة والجامعات السعودية والجامعة الإسلامية على وجه الخصوص لتقديم جميع الخدمات التي تجود التعليم عن بعد.

ويفسر الباحث وجود فروق ذات دلالة إحصائية في محور صعوبات المتعلم (خارج السعودية) إلى أنَّ استخدام التكنولوجيا خارج السعودية قد تأثر بجودة خدمات الإنترنت، إضافة إلى عدم وجود أجهزة كافية لمتابعة التعلم عن بعد، وضعف تركيز المتعلم وكثرة المشتتات المتعلقة بالبيئة التعليمية وعدم وجود أماكن مهيئة للدراسة عند بعض المتعلمين، إضافة إلى ضعف مهارات المتعلمين في استخدام الأجهزة الإلكترونية، حيث كان لهذه الأسباب أثر واضح في وجود صعوبات تعود للمتعلمين خارج السعودية.

ثانيًا: المستوى الدراسي:

تم استخدام تحليل التباين الأحاديANOVA والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ف)، ويبين والجدول النتائج:

لمعرفة اتجاه الفروقات تم اجراء اختبار المقارنات البعدية (Scheffe) والجدول التالي يوضح الفروقات الدالة إحصائيا:

جدول (١٣)

جدول اختبار شيفيه Scheffe لبيان الفروق في محاور الصعوبة الأربعة:

المعلم، والمتعلم، والمحتوى والوسائل التعليمية

م	المحور	المستوى الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
١	صعوبات تتعلق بالمعلم	الثالث	٩١	٢,٩٧٨٠	٠,٨٧٥٤	٠,١٩٧	٠,٦٥٨	غير دالة
		الرابع	٧١	٣,٠٤٠٥	٠,٩٠٨٠			
٢	صعوبات تتعلق بالمتعلم	الثالث	٩١	٣,٣٢٦٢	٩٤٥١٤.	٠,٥٦٤	٠,٤٥٤	غير دالة
		الرابع	٧١	٣,٤٣٢٢	٨١٦٨٦.			
٣	صعوبات تتعلق بالمحتوى التعليم	الثالث	٩١	٣,٤٥٩٥	٩٤٨٤٨.	١,٢٣٤	٠,٢٦٨	غير دالة
		الرابع	٧١	٣,٦١٥٩	٨٠٥٥٦.			
٤	صعوبات تتعلق بوسائل التعلم	الثالث	٩١	٣,٥٧٤٢	٨٥٩١٨.	٠,٤٧٤	٠،٤٩١	غير دالة
		الرابع	٧١	٣,٦٦٣١	٧٥٠٧٢.			

يتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى الدراسي في جميع محاور الاستبانة حيث بلغت قيمة اختبار (ف) لمحور

الصعوبات التي تتعلق بالمعلم (٠,١٩٧)، كما بلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بالمتعلم (٠,٥٦٤)، وبلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بالمحتوى (١,٢٣٤)، كما بلغت قيمة اختبار (ف) لمحور الصعوبات التي تتعلق بوسائل التعلم (٠,٤٧٤) مما يدل على عدم وجود قيمة ذات دلالة إحصائية.

ويفسر الباحث عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى الدراسي أن المتعلمين لم يشعروا أن المستوى الدراسي ساعد على تذليل صعوبة أو زيادتها، بل أن المتعلمين شعروا أن الصعوبة على نفس الدرجة بغض النظر عن المستوى الدراسي.

ملخص نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

أولاً: ملخص النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة البحث على فقرات الاستبانة التي تعبر عن درجة صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر متعلميها، وبيّنت النتائج أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية (٣,٣٧) وانحراف معياري (١,١٤٤) وهذا يدل على أن درجة صعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية جاءت بدرجة موافق إلى حد ما، بمعني: (صعوبات متوسطة).
- وحصل مجال الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٣,٦١) يليه مجال الصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي بمتوسط حسابي (٣,٥٢) ومن ثم مجال الصعوبات التي مصدرها المتعلم عن بعد بمتوسط حسابي (٣,٣٧) ومن ثم مجال الصعوبات التي مصدرها المعلم بمتوسط حسابي (٣).

- يعزو الباحث خروج الدرجة الكلية لصعوبات تعلم اللغة العربية عن بعد بوصفها لغة ثانية من وجهة نظر المتعلمين بدرجة (موافق إلى حد ما) والتي تعني صعوبات متوسطة، إلى التحديات التي واجهتهم أثناء محاولتهم مواصلة التعلم عن بعد مع معلميهم، لكونها التجربة الأولى لهم التي يخوضونها في التعلم بهذه الطريقة، ويجدوا أنفسهم مضطرين للتواصل مع المعلمين من البيت أو من الأماكن التي توفر الانترنت. هذا الواقع المفاجئ فرض على المتعلمين الكثير من الجهد والوقت للتعامل مع الوسائل التعليمية، والمهارات التي يجب أن يمتلكها المتعلم ليحقق الأهداف المرجوة من هذه العملية، وتحديد المواد التي تحتاج إلى جهد أكبر كي تتحقق الفائدة منها، وعدد ساعات التعلم المخصصة لكل مادة فبعض المواد يحتاج إلى ساعات أكثر عند تقديمه عن بعد. هذه النقاط خلقت العديد من الصعوبات أمام المتعلمين، ولكنَّ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ممثلة في إدارتها ومعلمي معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بادروا لإيجاد حلولا لتذليل تلك الصعوبات والتواصل مع الطلاب من خلال برنامج البلاك بورد واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي كالواتس أب وغيره في تقديم الارشادات واستقبال التكليفات والواجبات خفف من حدة هذه الصعوبات من درجة مرتفعة إلى درجة متوسطة، خاصة مع تعاون الطلاب في ذلك كونهم طلاب علم وحريصون على الفائدة، فالدافعية للتعلم لديهم كان لها الأثر الكبير في تثمين الجهد المبذول من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وبناء على ما سبق قدَر المتعلمون درجة (الصعوبات التي مصدرها المعلم والصعوبات التي مصدرها المتعلم) بدرجة موافق إلى حد ما (بمعنى صعوبات متوسطة) إلى أن المعلم استطاع تذليل الصعوبات من طرفه من خلال توظيفه للوسائل والأدوات

التي وفرتها الجامعة وسد بعض الفجوات في نظام البلاك بورد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المتوفرة لدى أكثر الطلاب والتي تعتبر سهلة للتعامل لدى كثير من الطلاب. واستجابات الطلاب المتواصلة لتوجيهات المعلمين في سبيل ايصال المادة العلمية لجميع الطلاب بيسر وسهولة، ولقدرة المتعلم على تجاوز تلك الصعوبات، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في خروج نتائج هذين المجالين بدرجة متوسطة، وهذا يدل على منطقية في التقدير، ويؤكد ذلك ما أشارت له _ نتائج الفقرات: (لم يحصل المتعلمين على تدريب كاف لممارسة التعلم عن بعد)، و(انخفاض دافعية المتعلمين في المشاركة أثناء عملية التعلم عن بعد)، و(ضعف مهارة المتعلم في استخدام أدوات التعلم عن بعد)، و(وجود بعض المتعلمين في بيئات غير مناسبة للتعلم) _ بأن المتعلمين يقدرون درجة صعوبتها بدرجة موافق إلى حد ما أي صعوبات متوسطة، وذلك لأن المتعلمين بمساعدة المعلمين استطاعوا التغلب نسبياً على الضعف المتعلق بقلة تدريبهم وتأهليهم وأنهم استطاعوا التغلب على الصعوبات التي هم مصدرها بالجد والاجتهاد والتواصل مع المعلمين الذين كان لهم أكبر الأثر في الارتقاء بمستوى طلابهم وأنهم نجحوا ومعلميهم التواصل الموصل الي أهداف التعليم عن بعد. لكن نجد أن المتعلمين قدروا درجة (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية والتي مصدرها المحتوى التعليمي) بدرجة موافق أي صعوبات مرتفعة. وذلك لعدة أسباب منها: ضعف تدريب المتعلمين على النظام الالكتروني الجديد للتعلم عن بعد (البلاك بورد)، وكذلك ضعف تدريب المعلمين على كيفية استخدامه وعرض المواد التعليمية من خلاله، ولعدم قدرة المعلمين على تحويل المحتوى التعليمي إلى محتوى يناسب التعليم عن بعد لضيق الوقت ولكون ذلك يحتاج إلى شخص متخصص في البرمجة ورقمنه المناهج التعليمية، إذ تشير الفقرة الأولى والثالثة (عدم وجود مواد مسموعة ومرئية مساعدة للمحتوى التعليمي) والتاسعة (المناهج غير مهيأ للتعليم عن بعد) والعاشرة (عدم احتواء المقررات الدراسية على عروض بوربوينت تساعد على فهم المحتوى التعليمي)، التابعة لمجال (الصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي)، وتشير الفقرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة (عدم توفر الأجهزة، والعوامل الخارجية التي تعيق التعلم

عن بعد كانقطاع التيار الكهربائي، وضعف شبكات أو خدمات الإنترنت أو عدمها في بعض الدول وارتفاع التكاليف المادية لخدمات الإنترنت في بعض الدول) التابعة لمجال: (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية) إلى درجة موافق أي درجة صعوبة مرتفعة، وهذه العوامل خارجة عن إمكانيات الطلاب إذ يصعب عليهم تحسين ذلك، مما انعكس على تقدير المتعلمين مجالي: (الصعوبات التي مصدرها الوسائل التعليمية والصعوبات التي مصدرها المحتوى التعليمي) بدرجة موافق.

كان لمكان إقامة المتعلمين أثر كبير في جودة التعليم عن بعد حيث أسفرت نتيجة البحث عن استفادة وتقدم من تلقى التعليم عن بعد (داخل السعودية) أكثر ممن تلقاه خارجها وذلك كما أشرنا سابقاً لتوفير حكومة خادم الحرمين الشريفين ـحفظه اللهـ ممثلة بوزارة التعليم وإدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بشكل خاص للمتعلمين جميع الخدمات التي تصل بالتعليم عن بعد إلى المرجو منه، وهذه الصعوبات التي توصل إليها هذا البحث قد تفيد وزارة التعليم في السعودية والجامعة الإسلامية في تجاوزها ومن ثم تجويد عملية التعليم عن بعد وتطويره بشكل مستمر والاعتماد على برامج التعليم عن بعد كخيار من خيارات التعليم التي تناسب شريحة من المجتمع وتحقيق رؤية التعليم للجميع. وأما متغير المستوى الدراسي للمتعلمين فإنه لم يؤثر في تذليل صعوبات التعليم عن بعد أو زيادتها، بل أن المتعلمين شعروا أن الصعوبة على نفس الدرجة بغض النظر عن المستوى الدراسي.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث الحالية يوصي الباحث بما يأتي:

١. تطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وإعادة هيكلتها بحيث تكون مرنة وملائمة للتعليم عن بعد والتعليم الوجاهي.
٢. مواكبة التطور التكنولوجي باستحداث طرق تدريس متطورة تلبي احتياجات التعليم عن بعد.
٣. تأهيل وتدريب المتعلمين على الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في التعليم والتعلم.

٤. وضع خطط بديلة للتعليم في حالات الطوارئ والأزمات وتدريب الطلاب عليها بحيث تكون واضحة المعالم والأهداف للمتعلمين وبالتالي التقليل من التخبط في عملية التعليم عن بعد.
٥. الاهتمام بمكان إقامة المتعلم ووضع ذلك في عين الاعتبار عند إعداد مناهج التعليم عن بعد ومراعات فرق التوقيت الزمني بينهم وبين المعلم.
٦. الاستفادة من نتائج هذا البحث في معرفة الصعوبات والمعوقات التي واجهت المتعلمين كي تعد المناهج الدراسية المقدمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها على أسس علمية متجاوزة تلك الصعوبات.
٧. تزويد مؤلفي المناهج والجهات العليا في المؤسسات التعليمية بالصعوبات التي تم التوصل إليها في هذا البحث كي تذلل في التحديثات الجديدة على المناهج التعليمية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.

ثالثاً: المقترحات:

استكمالاً لما بدأه البحث الحالي، يقترح الباحث إجراء الدراسات المستقبلية التالية:

١. واقع التعليم عن بعد في الجامعات السعودية من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس.
٢. واقع اتجاهات طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة نحو توظيف المنصات الرقمية في التعليم.
٣. تحديات تطبيق التعليم الإلكتروني الجامعي من وجهة نظر الهيئة التدريسية وسبل التغلب عليها.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

الأسود، الزهرة "معوقات التعليم عن بعد وسبل مواجهتها"، المجلة العربية للتربية النوعية، م (٥)، ع (١٧)، ٢٠٢١م.

بادي، سوهام "سياسات وإستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم"، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة منتوري، ٢٠٠٥م.

بيتس، طوني. التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعلم عن بعد، ترجمة وليد شحادة. الرياض: مكتبة العبيكان ٢٠٠٧م.

الحديبي، علي "تأثير استراتيجية أتقن المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، مجلة العربية للناطقين بغيرها، جامعة أفريقيا العالمية، ع (١٣)، ٢٠١٢م.

الخطيب، معن "تحديات التعلم الإلكتروني في ظل أزمة كورونا وما بعدها". ٢٠٢٠م. تم الاسترجاع من:

https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2020/4/14/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B8%D9%84-%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-)%D9%88%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF%D9%87%D8%A7

خليف، زهير "الفرق بين التعليم عن بعد والتدريس عن بعد في حالات الطوارئ". ٢٠٢٠م. تم الاسترجاع من:

https://arabicpost.net/opinions/2020/04/02/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3-%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D8%B9/

رباح، ماهر. التعلم الإلكتروني. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع،٢٠١٤م.

الشديفات، منيرة "واقع توظيف التعليم عن بعد بسب مرض الكورونا في مدارس قصبة المفرق من وجهة نظر مديري المدارس فيها"، المجلة العربية للنشر العلمي، ع (١٩)،٢٠٢٠م.

صوالحية، عماد "الدمج بني التعليم الإلكتروني والتعليم القانوني في ظل الأزمات"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م (٣)، ع (٤)، ٢٠٢٠م.

عامر، طارق. التعليم عن بعد والتعليم المفتوح. عمان: دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

عزمي، نبيل. نظريات التعليم عن بعد ومصطلحات التعليم الإلكتروني. لبنان: مكتبة بيروت، ط٢، ٢٠١٥م.

العشي، فايزة "استراتيجيات تفعيل نظام التعليم الإلكتروني في الجامعة". مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، م (١٨) ع (٢)، ٢٠١٨م.

العماس، عمر. التعليم عن بعد والتعليم التقليدي في الميزان. الخرطوم: دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة، ٢٠٠٩م.

عميرة، وآخرون "خصائص وأهداف التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني دراسة مقارنة عن تجارب بعض الدول العربية"، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية. ع (٦)، ٢٠١٩م.

الغريب، اسماعيل. التعليم الإلكتروني من التطبيق إلى الاحتراف والجودة. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٩م.

كاضم، سمير "واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر الطلبة وأعضاء هيئة التدريس"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط: كلية العلوم، ٢٠٢١م.

اليمين، فالته وصدارتي، فضيلة "عوائق استخدام التعليم الإلكتروني في تدريس طلبة الماستر بالجامعة الجزائرية"، المجلة العربية للإعلام وثقافة الطفل. ع (٦)، ٢٠١٩م.

ستيفان كيسكس، "تأثير اللغة الثانية في اللغة الأم مقاربة اللغة الثنائية" ترجمة وليد العناتي، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث، م (٥) ع (١٨)، ٢٠١٦م.

يونسكو الأمم المتحدة، موجز سياسي، التعليم أثناء جائحة كوفيد١٩ وما بعدها، آب أغسطس، ٢٠٢٠م.

اليونيسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ٢٠١٧م. تم استرجاعه بتاريخ ١٤٤٣/٧/٢٢هـ من:

http://www.unesco.org/new/ar/social-and-human-sciences

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Al-Amas, Omar. Distance education and traditional education in the balance. (In Arabic) Khartoum: International University of Africa Press, 2009.

Al-Ashi, Fayza, "Strategies for activating the e-learning system at the university", (in Arabic) Journal of Human Sciences, Middle East University, Vol. (18) p. (2), 2018.

Al-Aswad, Venus, "Distance education obstacles and ways to confront them", (in Arabic) The Arab Journal of Specific Education, v. (5), v. (17), 2021 AD.

Al-Hudaibi, Ali, "The Effect of the Proposed Atqan Strategy on Developing the Reading Comprehension Skills of Arabic Language Learners Who Native Speakers of Other Languages", (in Arabic) Al-Arabiya Journal for Speakers of Other Languages, International University of Africa, p. (13), 2012.

Al-Khatib, Maan "The Challenges of E-Learning in the Light of the Corona Crisis and Beyond".(in Arabic) 2020 AD. Retrieved from: https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2020/4/14/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%DoonA%D8%A7%D8%AA 0% 5 %D8%A7%D8%A%D8%A%D8%A%D8%A%D8%A%D8%A% D8%A%D8%A%D8%A%D8%A%D8%A%D8%A7%Discovery, D8%A7%Dfollowers%B1%B%D8%BIL%D8%A3%D8%B2%D 8%A9-%D8%B8%D8 %D8%B1%D on Instagram @6%D8%A7-)AF%D8%D8%A7

Al-Shdeifat, Munira, "The reality of the employment of distance education due to the Corona disease in the schools of the Mafraq district from the point of view of the school principals in them", (in Arabic) The Arab Journal for Scientific Publishing, p. (19), 2020 AD.

Al-Yaam, Faltah and Sadarati, the virtue of "obstacles to using e-learning in teaching master's students at the Algerian

University",(in Arabic) The Arab Journal of Media and Child Culture. A. (6), 2019 AD.

Amer, Tariq. Distance education and open education. (in Arabic) Amman: Dar Al-Yazuri Al-Amya for Publishing and Distribution, 2013.

Amira, and others, "The characteristics and objectives of distance education and e-learning, a comparative study on the experiences of some Arab countries", (in Arabic) The Arab Journal of Literature and Human Studies. A. (6), 2019 AD.

Azmy, Nabil. Distance education theories and e-learning terminology. (in Arabic) Lebanon: Beirut Library, 2nd Edition, 2015.

Badi, Soham "Policies and Strategies for Employing Information Technology in Education", (in Arabic) Master's Thesis, Algeria: Mentouri University, 2005 AD.

Bates, Tony. Technology, e-learning and distance learning, translated by Walid Shehadeh. (in Arabic) Riyadh: Obeikan Library, 2007.

Hodges, Charles, and others. (2020): "The Difference Between Emergency Remote Teaching and Online Learning". EDUCAUSE MAGAZINE, Retrieved From:
https://er.educause.edu/articles/2020/3/the-difference- between-emergency-remote-teaching-and-onlinelearning?fbclid=IwAR0-Icg00fRWDzpZNAfUUbm4w82sEmnRvJaHnGUs27Mdp7LbD6WhLNlwiw.

Ishmael. E-learning from application to professionalism and quality. (in Arabic) Cairo: The World of Books, 2009.

Kadhim, Samir, "The reality of distance education in Iraqi universities in light of the Corona pandemic from the point of view of students and faculty members",(in Arabic) unpublished master's thesis, Middle East University: College of Science, 2021 AD.

Khalif, Zuhair "The difference between distance education and distance teaching in emergency situations".(in Arabic) 2020 AD. Retrieved from:
https://arabicpost.net/opinions/2020/04/02/%D8%A7%Dadobe1%D8%B1%D{2-%D8%A8%D{A%]
%D8%A8%B9%D8%B9%D8%B9%D8%B9%D8%B9%D8%A8%D8%B9%D8%AF%D8%A%D8%A7%D8%D8%A%D8%AF%D8%B1%D8%D8%B3-%D8%B9%D8%D8% A8%D8%B9./

Rabah, Maher. e-learning. (in Arabic) Amman: Dar Al-Murajab for Publishing and Distribution, 2014.

Sawalhieh, Emad, "Integrating e-learning and legal education in times of crises", (in Arabic) Journal of Studies in Humanities and Social Sciences, vol. (3), v. (4), 2020 AD.

Stefan Kiskes, "The Impact of the Second Language on the Mother Language: A Bilingual Approach",(in Arabic) translated by Walid Al-Anati, Tabaween Journal for Intellectual and Cultural Studies, the Arab Research Center, vol. (5), vol. (18), 2016.

UNESCO United Nations, Policy Brief, Education during the COVID-19 Pandemic and Beyond, (in Arabic) August, 2020.

UNESCO, United Nations Educational Scientific and Cultural Organization, (in Arabic) 2017. Retrieved on 2/7/1443 AH from: http://www.unesco.org/new/ar/social-and-human-sciences.

Yulia, H. (2020). Online Learning to Prevent the Spread of Pandemic Corona Virus in Indonesia, English Teaching Journal,11(1).

ثالثاً: المراجع الإلكترونية:

Berg, G., Simonson, M. (2018). Distance learning. Britannica. Retrieved, 2/12/2020. From https://www.britannic:a.com/topic/distance-learning.

Basilaia, G., &Kvavadze, D. (2020). Transition to Online Education in Schools during a SARS-CoV-2 Coronavirus (COVID-19). Pandemic in Georgia. Pedagogical Research, 5(4), 50-66.

Yilmiz, Aysa. (2019): "Distance and Face-To-Face students' 2019perceptions towards distance education". Turkish Online Journal of Distance Education-TOJDE January, Volume: 20 Number: 1, Article 12.

Bibliography of the Arabic References:

Al-Aswad, Al-Zahra, "Distance Education Obstacles and Ways to Confront them", The Arab Journal of Specific Education, vol. (5), issue (17), 2021 AD.

Badi, Soham "Policies and Strategies for Employing Information Technology in Education", MA thesis, Algeria: Mentouri University, 2005 AD.

Bates, Tony. Technology, e-learning and distance learning, translated by Walid Shehadeh. Riyadh: Obeikan Library 2007 AD.

Al-Hudaibi, Ali, "The effect of the proposed Atqan strategy on developing the reading comprehension skills of learners Arabic for Speakers of Other Languages", Journal of Arabic for Speakers of Other Languages, International University of Africa, vol. (13), 2012.

Al-Khatib, Maan, "The Challenges of E-Learning in the Light of the Corona Crisis and Beyond." 2020 AD. It was completedRetrieved from: https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2020/4/14/%D8%AA%D8%AD%D8%AF%DoonA%D8%A7%D8%AA –D8%A7%D8%A5%D8%D8%A%D8%A%D8%A

A7%D8%A%D8%A%D8%AF%D8%B1%D8%A%D8B3%D8%B9%D8%A8 %D8%B9/

Rabah, Maher. e-learning. Amman: Dar Al-Murajab for Publishing and Distribution, 2014.

Al-Shdeifat, Munira, "The reality of the employment of distance education due to Corona disease in the schools of the Mafraq Kasbah From the point of view of the school principals in it", The Arab Journal for Scientific Publishing, No. (19), 2020 AD.

Sawalhieh, Imad, "Integrating e-learning and legal education in times of crises", Dirasat Journal In Humanities and Social Sciences, vol. (3), n. (4), 2020 AD.

Amer, Tariq. Distance education and open education. Amman: Dar Al-Yazuri Al-Amya for Publishing and Distribution, 2013.

Azmy, Nabil. Distance education theories and e-learning terms. Lebanon: Beirut Library, 2nd edition, 2015 AD.

Al-Ashi, Fayza, "Strategies for activating the e-learning system at the university." Journal of Human Sciences Middle East University, Vol. (18) a.s. (2), 2018.

Al-Amas, Omar. Distance education and traditional education in the balance. Khartoum: The House of the International University of Africa For printing, 2009.

Amira, et al., "The characteristics and objectives of distance education and e-learning, a comparative study of Experiences of some Arab countries", The Arab Journal of Literature and Human Studies, p. (6), 2019.

Gareeb, Ishmael. E-learning from application to professionalism and quality. Cairo: The world of books, 2009 AD.

Kadhim, Samir "The reality of distance education in Iraqi universities in light of the Corona pandemic from the point of view of Students and Faculty Members", unpublished master's thesis, Middle East University: College of Science, 2021 AD.

Al-Yameen, Falah and Sadarati, the virtue of "obstacles to using e-learning in teaching master's students At the Algerian University, The Arab Journal of Media and Child Culture, p. (6), 2019.

Stefan Kiskes, "The Impact of a Second Language on the Mother Language: A Bilingual Approach", translated by Walid Al-Anati, magazine Tabayyun for Intellectual and Cultural Studies, Arab Research Center, vol. (5) n. (18), 2016.

UNESCO United Nations, Policy Brief, Education during the COVID-19 Pandemic and Beyond, August, 2020 AD.

UNESCO, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2017. Retrieved on 22/7/1443 AH from: http://www.unesco.org/new/ar/social-and-human–sciences

صناعة مُعجم تعليمي للنّاطقين بغير العربيّة باستخدام نظرية الحقول الدّلاليّة

Lexicography of an Educational Dictionary for Non-Native Arabic Speakers Using the Semantic Field Theory

د. عبد الناصر عثمان عبد الله صبير

أستاذ مساعد بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة أمّ القرى بمكّة المكرمة

البريد الإلكتروني: nasubair@uqu.edu.sa

المستخلص

هدفت هذه الدراسة: "صناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدلالية" إلى تبيين خصائص المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية، وكيفية بنائه باستخدام نظرية الحقول الدلالية للنّاطقين بغير العربية؛ وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت الدراسة في مُقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة تضمنت النتائج والمقترحات والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع. تناولت الدّراسة في المبحث الأول منهجية مقترحة لصناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدّلالية، وعرض المبحث الثاني نموذجا تطبيقيا للمعجم المقترح.

توصلت الدّراسة من خلال إجابتها عن أسئلة البحث إلى بعض النتائج: أهمها: خلو برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من المعاجم التعليمية التي تستخدم نظرية الحقول الدلالية وقلة الاهتمام بها اهتماما مناسباً، وأنّ من الخصائص التي تختص بها المعاجم التعليمية : الشمول؛ وهو أن تكون اللغة التي تُختار منها المداخل شاملة مُعجميا لجميع المجالات، كالعلوم الشرعية، والعلوم الحديثة، والآداب، والفنون، وما إلى ذلك، وثانيها الوضوح: والمقصود به وضوح المصطلحات اللغوية والمعجمية المستخدمة في المعجم، ووضوح الرموز، ووضوح المعلومات النحوية والصرفية، والموسوعية المقدّمة في المعجم، وثالثها البساطة وهي السهولة في الترتيب، وفي الأسلوب، وفي الأمثلة السياقية المقدّمة في المعجم، ثم اختتمت بالتوصيات والمقترحات ذات الصلة.

الكلمات المفتاحية: الحقل الدّلالي – العلاقات السياقية – صناعة المعجم.

Abstract

This study aims at explaining the characteristics of the educational lexicon for non- native Arabic Speakers and the making of the lexicon using semantic field theory, by answering how this theory is used in making an educational dictionary for non-Arabic speakers. The study comes in an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion that includes, results, suggestions, and recommendations, then a list of references. In the first section, the study dealt with a proposed methodology for making an educational lexicon for non-Arabic speakers using the theory of semantic fields, and the second topic presented an applied model for the proposed lexicon.

Finally, this study in answering the research questions reveals some results: the most important of which is that the Arabic language teaching programs for non-native speakers are free of educational dictionaries that uses the semantic field theory and there is a lack of adequate attention to it. On the other hand, the characteristics of educational dictionaries are to be: comprehensiveness; which means the language from which the semantic entries are chosen should be lexical inclusive of all fields, such as sharī'ah sciences, modern sciences, literature, arts, etc., and the second characteristic is clarity; which is defined by clarity of linguistic and lexical terms used in the lexicon, and clarity of lexicon symbols. The third is simplicity and easiness of arrangement, style, and contextual examples presented in the lexicon. Finally, the study concluded with relevant recommendations and suggestions.

Keywords: Semantic Field – Contextual Relations – Lexicography.

المقدّمة:

تتناول المقدّمة الإطار العام للدّراسة، وتشمل خلفية المشكلة، وأسباب بحثها، وأسئلة الدّراسة، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها، والدّراسات السابقة التي تناولت موضوع الدّراسة. وفيما يأتي عرض ذلك:

المشكلة والإحساس بها:

يستشعر الممارسون لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أن متعلّمي اللغة العربية من غير أبنائها، يعجزون عن استخدام اللغة استقبالا وإنتاجا، وتعوزهم الطّلاقة في كثير من الأحيان، فقد لا يعسر على المتعلّم المعنى، ولكن يستعصي عليه اللفظ الذي يوافق ما يخطر بفكره من معنى.

فعدم إدراك المعاني التي تفي بالتواصل تشكل صعوبة لمتعلّمي اللغة العربية الأجانب. كما أنهم يجدون عوائق في استعمال المعاجم العربية القديمة والمعاجم الحديثة التي صُنعت على نهجها، وقد يشترك معهم في ذلك أبناء اللغة نفسها، أضف إلى ذلك قلّة المعاجم التي تستهدف الناطقين بغير العربية من متعلّميها. فلو وجد متعلّمو العربية معجما يسّدُّ حاجتهم في ربط الألفاظ بالمعاني لأثمر ذلك في تعلّم اللغة وتعليمها، ومن هنا برزت الحاجة ماسةً إلى صناعة معجم تعليمي يستخدم نظرية الحقول الدّلالية.

أسئلة الدراسة:

حاولتْ الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مُحدِّدات بناء معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدّلالية؟

٢- ما الحقول الدّلالية التي يُمكن أن يتضمنها المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية؟

٣- ما المنهجية المقترحة لمعالجة صناعة المعجم التعليمي باستخدام نظرية الحقول الدّلالية؟

٤- ما النموذج التطبيقي المقترح للمعجم التعليمي باستخدام الحقول الدّلالية؟

أهمية الدراسة:

لهذه الدّراسة جانبان من الأهمية؛ جانب نظري، وآخر تطبيقي، فتكمن أهمية هذه الدراسة النظرية في إظهار ما تنطوي عليه نظرية الحقول الدلالية من أبعاد تعليمية علينا أنْ نوظِّفَها في تعليم اللغة، وإعداد المعاجم التعليمية، وفي الانتقال بنظرية الحقول الدلالية من كونها أداة مساعدة في المعاجم إلى معاجم قائمة بذاتها. أمّا على الصعيد التطبيقي، فمن المتوقع أن تفيد الدّراسة الفئات الآتية:

١- متعلمي اللغة العربية من الناطقين بلغات أخرى، تلبيةً لحاجاتهم المعجمية، وزيادة لثروتهم اللغوية، وتمكينهم من الألفاظ التي تعبر عن حقول المعاني في أذهانهم.

٢- معلّمي اللغة العربية للناطقين بغيرها ومساعدتهم في إثراء ذخيرة متعلّمي اللغة العربية، وممارسي تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية.

٣- مصممي برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومعدّي المواد التعليمية.

٤- مؤلفي المعاجم التعليمية المصاحبة لسلاسل تعليم اللغات.

أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- تبيين مُحدِّدات المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية.

٢- اقتراح حقول دلالية مهمة ينبغي أن يتضمنها المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية.

٣- تقديم منهجية مقترحة لصناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدلالية.

٤- تقديم نموذج تطبيقي لمعجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدلالية.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على المحدّدات الآتية:

١- المصادر التي تُجمع منها ألفاظ المواد والمداخل (المدوّنة) هي سلاسل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٢- لغة الشرح: والمقصود بذلك اللغة التي يستخدمها هذا المعجم في شرح المداخل (الألفاظ)، ومصادرها. وقد اعتمد هذا المعجم في لغة الشرح بنحو كبير على أربعة معاجم، هي: المعجم العربي الأساسي، والمعجم الوسيط، ومختار الصحاح، ومقاييس اللغة لابن فارس.

٣- الفئة المستهدفة بهذا المعجم هم متعلمو اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وبالذات المستويين؛ المبتدئ والمتوسط.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تناولت بالبحث المعجم التعليمي ودوره في تعليم اللغة العربية وتعلّمها للناطقين بغيرها، كما أن هناك دراسات ركّزت على توظيف نظرية الحقول الدّلالية في تعليم اللغة، وصناعة المعاجم التعليمية، وتُعرضُ هذه الدّراسات وفقا للمنهجية الآتية: ما هدفت إليه، وما ناقشته في إجابتها عن أسئلتها، وأداة الدّراسة، وما خلصت إليه الدّراسة من نتائج، ثم التعليق عليها، والإفادة منها وإبراز الفروق، وأوجه الاتفاق.

١- دراسة أمرير، يوسف (٢٠٢٠م)، "دور المعجم في تعليم وتعلّم اللغة العربية وثقافتها: (معجم الغني الزاهر نموذجا)": هدفت لإبراز أهمية المعاجم في تعليم اللغة العربية وثقافتها، وناقشت الدراسة هذه الأهمية في ثلاثة محاور، أولها: تحديد

بعض المفاهيم الأساس في الصناعة المعجمية، وثانيها بيان أهمية المعجم في اكتساب الكفايتين اللغوية والثقافية، وثالثها رصد للمعلومات التي يُقدّمها المعجم لمستخدميه من خلال تحليل نماذج من معجم "الغني الزاهر. وخلصت الدراسة إلى أن مستخدم المعجم يمكنه تحصيل مجموعة من المعلومات من شأنها تطوير الرصيد اللغوي، والنهوض بالمستوى المعرفي. مما يؤكد أن للمعجم دورا مهما في تعلّم اللغة العربية وتعليمها.

٢- دراسة سليمان، محمود جلال الدين (٢٠١٩م)، "معايير تعليم المفردات في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها في ضوء نظرية الحقول الدّلالية": هدفت لإيجاد معايير لتعليم المفردات في ضوء نظرية الحقول الدّلالية، وناقشت الدّراسة إمكانية تحقيق أهداف تعليم المفردات من خلال نظرية الحقول الدّلالية. وخلصت الدّراسة إلى بناء قائمة معايير لتعليم المفردات من خلال توظيف أنواع الحقول الدّلالية.

٣- دراسة بوران قلتكن (Boran, G.) (٢٠١٨م)، "الحقول الدّلالية وتدريس الإنجليزية لغة ثانية/أجنبية": أكّدت أن مفردات اللغة نظام من الشبكات المعجمية المترابطة، وليست مجموعة من العناصر المستقلة. ومع ارتباط المفردات الوثيق وتشكيلها لحقول دلالية محددة، فإن هذه الحقول الدلالية قد تختلف فيما يتعلق بعناصر المفردات، ومن ثم ينبغي الانتباه إلى التباين الثقافي بين اللغات. وخلصت الدراسة إلى ضرورة الاهتمام بالمجالات الدلالية في منهجية تدريب المعلمين؛ كما ينبغي أن يكون مصممو كتب تعليم اللغة على دراية بنظرية الحقول الدلالية للإفادة منها في تدريس المفردات والترجمة.

٤- دراسة السعيد، المعتز بالله (٢٠١٥م)، "نحو معجم للغة العربية للناطقين بغيرها – معالجة حاسوبية إحصائية": سعت إلى تقديم منهجية لبناء معجم تعليمي للغة

العربية للناطقين بغيرها، وهدفت إلى الإفادة من تقنيات اللسانيات الحاسوبية والإحصاء اللغوي في مراحل صناعة المعجم التعليمي للغة العربية. وناقشت الدراسة مفهوم المعجم التعليمي، وإشكالات صناعة معجم تعليمي للغة العربية، والقصور في مناهج الصناعة المعجمية العربية، والخطوات المنهجية لصناعة معجم تعليمي للغة العربية للناطقين بغيرها، وأخيرا عرضت الدراسة نموذجا معجميا أبانت من خلاله عن المعلومات المعجمية التي يُفترض أن يتضمنها المعجم التعليمي.

٥- دراسة تارش، جموعي، وبوجملين، لبوخ (٢٠١٥م)، "المعجم التعليمي: مفهومه، خطوات صناعته، المعلومات المقدّمة فيه": هدفت لإبراز ما شهدته الصناعة المعجمية من تطور، وأن أبرز ما شهدته هو التخصص، وما تبعه من انتشار المعاجم التعليمية. وعرّفت الدراسة بالمعجم التعليمي، وخطوات صناعته، والمعلومات المقدمة فيه، وخلصت الدراسة إلى أن وجود هذه المستويات من المعلومات الإملائية، والصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والثقافية في المعجم التعليمي من شأنه أن يخدم المتعلم، ويساعده في اكتساب المهارات اللغوية.

٦- دراسة قاو، تشونمينغ (Gao, Chunming)، وشو بن (Xu, Bin) (٢٠١٣م)، "تطبيق نظرية الحقول الدّلالية على تعلّم مفردات اللغة الإنجليزية": هدفت إلى استكشاف تطبيق نظرية الحقول الدلالية في تعلّم مفردات اللغة الإنجليزية. وبحثت الدراسة في تصنيف العلاقات الدلالية المختلفة، وكيفية توظيف هذه العلاقات في تعلّم المفردات بتطبيق نظرية الحقول الدلالية. وقرّرتْ الدراسة أن نجاح تعلّم اللغة يقوم على كفاءة تعلّم المفردات، فحجم المفردات يؤثر بصورة مباشرة في تطور الكفاءة اللغوية للمتعلّم، وخلصت الدراسة إلى أن المهمة الأولى في تعليم المفردات هي توسيع مفردات المتعلّم، ومع التوصية بالكثير من إستراتيجيات تعلّم

المفردات، إلا أن الإستراتيجية الأكثر أهمية ينبغي أن تكون الإستراتيجية القائمة على نظرية الحقول الدلالية.

٧- دراسة عبد الرحمن تشيك (١٩٩٦م)، " نظرية المجال الدلالي: كيفية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها": تناولت حاجة المتعلمين إلى الألفاظ الأساس والضرورية في كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها، وعرّفت بنظرية المجال الدلالي وترابط الكلمات، وبأسلوب تطبيق نظرية المجال الدلالي مشيدة بالتجربة الفرنسية في إعداد قائمة بالألفاظ الأساس لمتعلمي اللغة الفرنسية. اتخذت الدراسة الاستبانة أداة للبحث، ووزعت الاستبانة على المتعلمين من جنوب شرق آسيا، واقترحت الدراسة توزيع الموضوعات والمواقف الاتصالية على مستويات التعليم الثلاثة، المستوى الابتدائي، والمستوى المتوسط، والمستوى المتقدم.

٨- دراسة محمود فهمي حجازي (١٩٨٠م)، " الجانب السياقي في المعاجم والكتب في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها": تتناول هذه الدّراسة الجانب السياقي في المعاجم والكتب التي استهدفت متعلمي العربية من غير أبنائها، فيَفْحَصُهَا في إطارها الغربي وإطارها العربي، مُرَكِّزًا على أهميةِ السياق في تعليم اللغة واكتسابها، ويركز كذلك على دراسة العلاقات السياقية القائمة بين المفردات ولاسيما التَّجَمُّعَاتِ اللفظية: كالمتلازمات، والتعابير الاصطلاحية، فالبحث وَصْفِيٌ نَقْدِيٌ، لَفَتَ الأنظار إلى نوع من أنواع المعاجم المهْمَلَة، ألا وهي المعاجم السياقية. واستعرضت الدراسة كثيرًا مما كتب في المجال، وخلصت إلى أنه ينبغي أن تقدّم المفردات في الكتاب التعليمي مرتبطة بعلاقاتها السياقية.

التعليق على الدّراسات السّابقة:

اتفقتْ الدّراسات السابقة مع الدّراسة الحالية على حاجة المتعلمين إلى الألفاظ الأساس والضرورية في كتب تعليم اللغة العربية، وأظهرتْ ضرورة تقديم المفردات في

علاقات سياقية في المعاجم والكتب، وعرّفت بنظرية المجال الدّلالي، وترابط الكلمات. وامتازت هذه الدّراسة بتوظيف نظرية الحقول الدّلالية في صناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية، ويمكن إجمال أهم ما تناولته الدّراسات السابقة فيما يأتي:

١- أكّدت الدّراسات السّابقة أهمية المعاجم في تعليم اللغة العربية وثقافتها، واكتساب الكفايتين اللغوية والثقافية.

٢- اهتمت الدراسّات السّابقة بمفهوم المعجم التعليمي، وخصائصه، والخطوات المنهجية لصناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية.

٣- أبانت الدّراسات السّابقة أن المعجم التعليمي معجم متخصص، وذلك أبرز ما شهدته الصناعة المعجمية من تطور.

٤- أشارت الدراسّات السّابقة إلى أهمية الإفادة من المجالات الدلالية في التّباين الثّقافي والمعرفي، الذي أدى إلى عكس ثقافة اللغة.

٥- أكّدت الدّراسات على إمكان تطبيق نظرية الحقول الدّلالية في تعلّم المفردات وتعليمها.

الإفادة من الدّراسات السّابقة

أفاد الباحث من الدّراسات السّابقة من عدّة أوجه، يُمكن أن تُوجز في الآتي:

١- الوقوف على أهمية المعاجم التعليمية في تعليم اللغة وتعلّمها لغة ثانية وأجنبية.

٢- إمكان تطبيق نظرية الحقول الدلالية في بناء معجم تعليمي للناطقين بغير العربية.

٣- الإفادة من الدّراسات السّابقة في بناء الإطار النّظري للدّراسة.

٤- عقد مقارنات بين نتائج الدّراسات السّابقة، والإفادة منها في التوصيات والمقترحات.

التّمهيد:

المعاجم من أهم وسائل تعلّم اللغة، وبها يتمكن متعلمو اللغة من اكتساب عدد غير محدود من المفردات يُسهم في زيادة الثروة اللفظية لدى المتعلّم، ويمكّنه من استخداماها استخداما صحيحا في سياقاتها المختلفة. ويُعدّ المعجم التعليمي (Educational Dictionary) معجما لغويا مصنوعا لغرض تعليم اللغة لأبنائها أو للناطقين بغيرها. وله أشكال متعدّدة، تختلف مناهجها ومسمياتها باختلاف الفئات المستهدفة[1]. والأصل في المعاجم أنها ذات هدف تعليمي بحت نظرا لما تحمله في طياتها من قيمة علمية كبيرة؛ ولكن تغيّر هذا المفهوم في ضوء ما شهدته الصناعة المعجمية من تطور في جميع المستويات، ومن أبرز التغيرات التي شهدتها المعجمية التخصص[2]؛ إذن فالمعجم اللغوي التعليمي معجم متخصص؛ يهتمُّ بتفسير معاني كلمات اللغة؛ ففيه عنصران أساس: أولهما الكلمة، والآخر المعنى.

وللمعجم وظيفة مهمة في تعلّم اللغة وتعليمها، وفي اكتساب ثقافتها؛ فهو أداة تعليمية تثقيفية (Pedagogical Tool)، فهو يُثبت المعلومات الضرورية، مثل أسماء الأعلام، والأماكن المشهورة، والمصطلحات العلمية، والحقائق الثابتة، وأنواع الحيوانات والنبات والحشرات؛ مما يُسهم في تثقيف مستعمل المعجم، ويكسبه ثقافة اللغة. والبعد الثقافي في معجم الحقول الدلالية واضح بيّن، ويمكن القول إنه يقوم على كيفية التعبير عن مفاهيم اللغة ودلالاتها في حقول أو في مجالات مفصّلة للتعلّم والتعليم. ومن بين العناصر

(١) السعيد، المعتز بالله، نحو معجم للغة العربية للناطقين بغيرها "معالجة حاسوبية إحصائية"، مجلة التواصل اللساني – المجلة الدولية لهندسة اللغة العربية واللسانيات العامة، فاس، المغرب، ج١٨، ٢٠١٥م.

(٢) تارش، جموعي، وبوجملين، لبوخ، المعجم التعليمي: مفهومه، خطوات صناعته، المعلومات المقدّمة فيه. الأثر، العدد ٢٣، ٣١ ديسمبر ٢٠١٥م، ص ص. ١٥٧ – ١٦٦.

التي تجعل للمعجم دورا مُهمّا في اكتساب اللغة احتواؤه على عدد هائل من الشواهد والأمثلة؛ فهما وسيلتان رئيستان في الصناعة المعجمية[١]. ويعظم دور الأمثلة السياقية في معاجم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ فالمعجم "يساعد في تطوير الكفاءة بشكل عام، و يُعزّز اكتساب المهارات الاستقبالية لمتعلمي العربية، ويقرّب طريقة نطق دارسي العربية من غير الناطقين بها من نطق للكلمات كما ينطقها أصحاب اللغة، وينمي الثقة عند الدارس في استعمال العربية والبحث عن معاني ما يجهل من كلماتها، ويطوّر الذخيرة اللغوية لدى المتعلمين من خلال الشروح والتعليقات وانتقاء ما يظنه المتعلم مفيدا، ويبقى مصدراً رائعاً لإغناء قاموس المتعلّم من مترادفات وأضداد، ويمثل مورداً عذباً لمعرفة متصاحبات أو متلازمات الكلمة الجديدة أو حرف الجر المصاحب للكلمة، ويدعم عمّلية التعلّم الذاتي عبر استخدام المعجم، ويعمل على رفع مستوى المعارف عموماً بما تحمله الكلمات من معلومات، ويساعد في التفريق بين المعاني، وفي امتلاك مهارتي التهجي والإملاء[٢]". والتسليم بأهمية المعجم وضرورة توظيفه في تعليم اللغة الثانية أو الأجنبية أمر لا يحتاج إلى تقرير؛ "فعملية تعلّم اللغة لا يمكن فصلها عن المعجم الذي يشكل متنها، والأداة الكاشفة لغريبها المسعفة لطالبها؛ وقد أشارت معظم الدراسات الأجنبية إلى وجود علاقة إيجابيّة بين استعمال المعجم واكتساب المهارات اللغوية (التحصيل اللغوي) لدى مكتسبي اللغات الأجنبية؛ فاستعمال المعجم يسهم إسهاما

(١) أمرير، يوسف، دور المعجم في تعليم وتعلّم اللغة العربية وثقافتها: (معجم الغني الزاهر نموذجا)، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني – العدد الثالث ٢٠٢٠م، ص ص (٢٤٧-٢٦٨).

(٢) أبو عمشة، خالد، دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلّمها للناطقين بغيرها، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

(http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=25317)

إيجابيّا في إثراء حصيلة المكتسب اللغوي خاصة إذا كان هذا المعجم زاخراً بالمفردات والتراكيب اللغوية[١]".

وهناك أمور أساس ينبغي مراعاتها في بناء المعجم اللغوي، هي[٢]:

(١) اللغة التي يأخذ منها المعجم مادته، هل هي الفصحى أو الفصيحة أو العامية أو العربية الحديثة، ...

(٢) المداخل وطريقة ترتيبها، وترتيب أفرعها.

(٣) الشرح الذي يُقدّمه المعجم للمفردات؛ طريقته وترتيبه.

(٤) المستخدمون للمعجم وحاجاتهم.

ولِما للمعاجم من دور في التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع، وتوضيح للمعنى وإزالة للغموض الذي هو غاية الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية؛ فقد تراكمت المناهج والنظريات التي تهدف إلى تحديد قوانين التفاهم، وتسهيل إيصال الأفكار والمعاني، ومن بينها نظرية "الحقول الدلالية"[٣]. والحقل الدلالي أو الحقل المعجمي هو صنف أو عنوان تندرج تحته مجموعة كلمات[٤] أو وحدات معجمية يحددها الحقل؛ فهي مجموعة كلمات مرتبطة دلاليا، وتُوضع تحت حقل مفاهيمي يجمعها، وأكثر من تبلورت على أيديهم هذه النظرية إيسبان (Ispan 1924)، وجولز (Jolles 1934)، وبروزيج (Prozig

(١) أمبو سعيدي، مصطفى بن حسن بن سعود، المعجمية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دار الفكر، جريدة الوطن العمانية، ١٨ مارس – ٢٠١٧م، (https://darfikr.com/article/).

(٢) محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ص ص٢٠– ٢١.

(٣) شلواي، عمّار، نظرية الحقول الدلالية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٢م، ص ص ٣٩–٥١.

(٤) الخولي، محمد علي. (٢٠٠١)، «علم الدلالة (علم المعنى)»، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ص ١٧٤.

1934)، وترايز (Trier 1934)، وكانوا قد اهتموا بدراسة أنماط من الحقول الدلالية؛ مما قاد إلى التفكير في تأليف معجم كامل يضم جميع الحقول الدلالية الموجودة في اللغة(١).

ولنظرية الحقول الدلالية أهمية معجمية تتمثل في أنّ(٢):

١- تجميع الألفاظ داخل الحقل المعجمي وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية داخل الحقل؛ كما يؤدي إلى معرفة ثراء اللغة في الحقل المعيّن، ويفيد في الترجمة من لغة إلى أخرى.

٢- وضعها للمفردات في شكل تجميعي تركيبي، يُساعد في استخدامها.

٣- دراسة الكلمات في حقول دلالية يُعدُّ دراسةً للعادات والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية في المجتمع؛ مما يؤكّد العلاقة الموجودة بين اللغة وعلم الاجتماع.

وللحقول الدلالية تطبيقات في تعليم المفردات وتعلّمها، وفي الترجمة، وفي صناعة المعاجم التعليمية، فمن الممكن صنع معاجم تعتمد على المفاهيم، والحقول الدلالية، بدلا من معاجم تعتمد على القوائم الألفبائية(٣). بل هناك عدّة محاولات لتصميم معاجم باستخدام نظرية الحقول الدلالية في اللغات الأخرى غير العربية، لعل من أشهرها "معجم لونجمان للغة الإنجليزية المعاصرة" ١٩٨١م، الذي صُمّم في ١٤ مجالا دلاليا، كان الحقل الدلالي الأول فيه "الحياة والأحياء"(٤).

(١) بوشيبة، عبدالقادر، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعجم. وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة أبي بكر بلقايد/تلمسان – الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٤م -٢٠١٥م، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣) الخولي، محمد علي. علم الدلالة (علم المعنى)، مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٤) Boran, G. (2018). Semantic fields and EFL/ESL Teaching. International Online Journal of Education and Teaching (IOJET), 5(2), 391-399. http://iojet.org/index.php/IOJET/article/view/359/242

ونخلص إلى أن نظرية الحقول الدلالية لها وظائف بالغة الأهمية في إحكام تنظيم المفردات وفق مفاهيم تجمعها؛ وبذلك لم تعد الفائدة في هذه المعاجم منحصرة في تزويد المتعلّم بمعان تجول في ذهنه؛ بل صارت تستعمل في تعليم اللغة؛ كما نحت هذه الدراسة، وحذت حذو اللغات الأخرى في بناء معجم للناطقين بغير العربية قائم على الحقول الدلالية؛ حيثُ يحصل متعلّم العربية على الثروة اللفظية التي يبحث عنها، ويجدها تحت إطار واحد يُمكِّنه من تعلّم اللغة، والتفكير من خلالها؛ وذلك خلافا لما درجت عليه المعاجم التعليمية في اللغة العربية على إدراج الحقول التعليمية في ثنايا صفحات المعجم في شكل جداول؛ ربما دون إشارة إلى كيفية الاستفادة من هذه الحقول، أو الرجوع إليها بإشارات تفيد مستعملي المعجم في التعامل مع هذه الحقول(١).

المعجم التعليمي:

المعجم أداة بحث، ومرجع سهل المأخذ، وينبغي أن يكون واضحاً، ودقيقاً؛ محكم التبويب متماشياً مع مبادئ فن المعاجم الحديث، بعيداً عن الحشو والاستطراد(٢). وتُصمم المعاجم التعليمية لتلبية حاجات متعلمي اللغة الأجنبية، وتسعى إلى تقوية المتعلمين في اللغة الهدف. ويكتسب المعجم صفة "التعليمي" إذا وُجّه إلى الطلاب (المتعلمين)، وكان أحاديّ اللغة، أو ثنائي اللغة، أو متعدد اللغات. ويكثر مثل هذه المعجمات التعليمية في اللغة الإنجليزية؛ وربما كان هذا هو المذهب السائد عندهم في تأليف المعجمات الذي بدأ باكراً

(١) صبير، عبد الناصر عثمان، توظيف الحقول الدلالية في معجم الناطقين بغير العربية، ورقة عمل قُدّمت للجنة تأليف معجم جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

(٢) أُنظر: مقدمة «المعجم الوسيط»، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- إستانبول-تركيا، د. ت، ص ٧.

عندهم[١]، وتُعرف بمعاجم المتعلمين (Learners' Dictionaries)، ومن أشهرها معجم أكسفورد للمتعلّم المتقدّم (Oxford Advanced Learner's Dictionary) الذي طُبع في المرة الأولى في اليابان عام ١٩٤٢م، وأعادت مطبعة جامعة أكسفورد تحريره ونشره في طبعات عديدة، آخرها الطبعة التاسعة عام ٢٠١٥م[٢]. ومن المعاجم العربية المعجم العربي الأساسي الذي قامت عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ونشرته دار النشر الفرنسية المتخصصة في الأعمال المرجعية (لاروس) عام ١٩٨٩م، وإن كان يستهدف الناطقين بالعربية، والناطقين بغير العربية إلا أنه يُعدُّ المعجم الرائد في المعاجم التعليمية العربية، الموجهة إلى الناطقين بلغات أخرى.

ويرى مؤلفو المعاجم أنه لابد من توافر شرطين أساس في المعجم التعليمي الجامع لمفردات اللغة[٣]، أو المعجم الذي يستهدف شريحة المتعلمين؛ هما:

١- **الشمول**: ويختلف الشمول من معجم لآخر؛ إذ من العسير أن تُحقق المعاجم صفة الشمول أو سرد المفردات كاملةً.

٢- **الترتيب**: وهو قوام المعاجم وبه حياتها، ولذا تفاوتت طرق الترتيب المعجمي عند العرب وغير العرب كذلك، ولا يُعدّ المعجم معجما إذا لم تكن له منهجية واضحة في التعامل مع الكلمات.

لكن من المتفق عليه في صناعة المعاجم أن هناك مجموعة من الوظائف يؤديها المعجم، ومن باب أولى أن تُضمّن في المعجم التعليمي:

---

(١) ظهر أول معجم أُحادي تعليمي (MLD) للغة الإنجليزية عام ١٩٣٥م، وهو المعجم الذي ألفه ميكل وست، وجيمس اندكوت، وعُرف بـ: (New Method English Dictionary)

(٢) السعيد، المعتز بالله، نحو معجم للغة العربية للناطقين بغيرها، مرجع سابق، ص ٢.

(٣) عمر، أحمد مختار "«البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر»، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

١- شرح الكلمة وبيان معناها، وأن تُعرض الكلمة في سياقات متعددة، وجمل مختلفة حتى تتضح معانيها، ويقف القارئ على استعمالاتها المتعددة.
٢- بيان كيفية نطق الكلمة؛ وذلك بتوضيح ضبطها بالشكل.
٣- بيان كيفية كتابة الكلمة، خاصةً إذا كان هجاء الكلمة لا يعكس أصواتها المكتوبة، مثل (مائة، وهذا، وأولئك، ...)
٤- تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة، وبيان موقعها من أقسام الكلام، وهل هي اسم، أم فعل، أم حرف، وإذا كانت فعلًا؛ فهل هو ماض، أم مضارع، أم أمر.
٥- اعتماد طريقة ترتيب لمحتوى المعجم تُناسب المستخدمين.

خصائص معجم الناطقين بغير العربية:

أصبحت صناعة المعاجم في العصر الحديث تهتمُّ بمستعمل المعجم وتنظر إلى احتياجاته المعجمية واللغوية، وتراعي في ذلك عمر مستعمل المعجم، وحجم المعجم، واللغة المستخدمة، ونوع مستعمل المعجم وفئته؛ فتصنف المعاجم إلى معاجم للناطقين بغير العربية مثلا، ومعاجم لأبناء اللغة الناطقين بها[١].

فهناك فروق أساس بين المعجم العربي المخصص للناطقين باللغة العربية، الذي يوضح مفاهيم الألفاظ بين اللغة القومية، واللغة الأجنبية (المعاجم الثنائية)، أو المعاجم اللغوية التي تشرح ألفاظ اللغة الواحدة وتوضح غريبها[٢] (المعاجم الأُحادية)، من جهة

(١) القُطيطي، محمّد خميس، البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٩.
(٢) حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، د.ت. ص ٩٦

وبين المعجم المخصص العربي المخصص للناطقين بغيرها من حيث الهدف، والمحتوى، وأسلوب عرض المادة اللغوية[١]. والمادة اللغوية التي يضمها المعجم تشتمل على:

(أ) المداخل: وهي الألفاظ التي يُراد شرحها؛ الواردة في الحقل الدلالي المعين.

(ب) الشرح والتفسير والتعريف: فمن الأسس التي يُبنى عليها المعجم[٢]؛ شرح الألفاظ وتفسير غامضها، والتفسير يكون بالمرادف، وبالضد، وبعدّة ألفاظ أخرى (الشرح)، والتفسير بلغة أخرى (الترجمة).

أمّا إذا كان المعجم تعليميا مستهدفا الناطقين بغير العربية، فلا بد من أن نميزه بخصائص[٣] يمكن إجمالها في الآتي:

١- **الشمول**: ويقصد بذلك اللغة التي يحتاج إليها مستعمله من الناطقين بغير العربية، فتكون اللغة التي تُختار منها المداخل شاملة لجميع المجالات، كالعلوم الشرعية، والعلوم الحديثة، والآداب، والفنون، وما إلى ذلك.

٢- **الوضوح**: ويقصد بذلك وضوح المصطلحات اللغوية والمعجمية المستخدمة في المعجم، ووضوح الرموز، ووضوح المعلومات النحوية والصرفية، والموسوعية المقدّمة في المعجم.

(١) القاسمي، علي. ماذا نتوخى في المعجم العربي للناطقين بلغات أخرى، دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ٢٠، يونيو ١٩٨٣م، الصفحات (١١٣-١١٨).

(٢) مطر، عبد العزيز. (١٩٩٠). «المعجم العربي الأساسي – إضاءة ونقد»، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ١٣

(٣) القاسمي، علي، «ماذا نتوخى في المعجم العربي للناطقين بلغات أخرى»، مرجع سابق.

٣- **البساطة** (السهولة): ويقصد بذلك السهولة في الترتيب، وفي الأسلوب، وفي الأمثلة السياقية المقدمة في المعجم.

الحقول الدِّلالية

المنهج الذي تقوم عليه نظرية الحقول الدلالية هو تحديد المفاهيم، وجمع الوحدات المعجمية المتصلة بهذه المفاهيم في الحقل المحدد، وبيان العلاقة الرابطة بين هذه المفاهيم(١). ويُعرّف الحقل الدلالي بأنه مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم، تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل، أي هي مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها(٢)؛ فالحقول الدلالية مجموعة من الوحدات المعجمية تشتمل على مفاهيم تندرج ضمن مفهوم عام يحدد الحقل، ويُعَبِّر عن مجال معين من الخبرة والاختصاص؛ إذن هي قطاع متكامل من المادة اللغوية يُثري مجالاً معيناً من الخبرة، ويُجمّع مفرداتها. وفي رأي الباحث أنها أهم نظرية تسهل عملية اكتساب اللغة الأجنبية بطرق يسيرة، لا سيما المفردات والتراكيب. ويقوم منطق النظرية على أنّ المعاني لا توجد منعزلة؛ فالذهن يميل دائما إلى جمع الكلمات، واكتشاف العُرى التي تربط بين المفردات، فمعنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى، في داخل الحقل المعجمي(٣)، وترتيب الكلمات في مجموعات ترتيب يرتبط بفطرة الإنسان، ومن الخصائص الطبعية للعقل الإنساني الميل نحو التصنيف؛ ثمّ الحكم عليها والاستنتاج". فالمنحى التربوي واضح في هذه النظرية مما يُسوّغ استغلاله في بناء معجم تعليمي، لا سيما أن متعلّم اللغة العربية

(١) يوسف، السيد دسوقي، المخصص في ضوء نظرية المجال الدلالي، دار الجامعيين للطباعة والتجليد، ٢٠١٢م، ص ١٢٥.

(٢) عمر، أحمد مختار، «علم الدلالة»، ص ١٤، وص ٧٩.

(٣) عمر، أحمد مختار، «علم الدلالة»، مرجع سابق، ص ٨٠.

الناطق بغيرها يسعى لزيادة ذخيرته اللغوية وفقا لخريطة أفكاره الذهنية، ووعيه الثقافي، والمعرفي.

الحقول الدلالية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

مع أنه لا توجد منهجية محدّدة في تحديد المفاهيم لتصنيف الحقول الدلالية[١]، إلا أنّ تقسيم الكلمات إلى حقول دلالية يُعطينا صورة شبه متكاملة عن طبيعة اللغة، وكلماتها، بدلا من قائمة تحتوي على عدد من الكلمات المتناثرة التي لا يربط بينها رابط[٢]؛ فالحقل الدلالي هو العمود الذي تندرج تحته وحدات لغوية تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان، والأمراض، وغيرها؛ فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليا، تُصنف تحت لفظ عام، ويكون ذلك في زمن محدد، ولغة معينة محددة. وتصنيف الحقول ليس بالأمر السهل، فهناك تصنيفات متعددة تمثل أنواعا مختلفة للحقول[٣]، ومن ذلك مثلا: مجردات (تفكير، تأمل، قراءة، سباحة، نوم، قيام)، وموجودات (كتاب، دفتر، كرسي، غرفة، شجرة)، وأفعال (جلس، ركض، مشى، قام، كتب، قرأ)، وصفات (ذكي، كريم، أحمر، سعيد، متساهل)، وهذه التصنيفات ليست نهائية؛ بل هي قابلة للحذف والإضافة.

والتصنيف في الحقول الدلالية ذو صلة وثيقة وشبيه بتصنيف الأشياء فيما يُعرف "بالمقُوَلَة الدلالية[٤]" (Categorization) في المعجم، ومع تعدّد أصناف الحقول الدلالية عند الباحثين؛ إلا أنّ هناك أصنافا يمكن أن تجتمع حولها معظم كلمات المحتوى التعليمي لكتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بحيث يمكن الإفادة منها في إعداد معجم

(١) بوشيبة، عبد القادر، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) الخولي، محمد علي. (٢٠٠١)، «علم الدلالة (علم المعنى)»، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ص ١٨٢، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٩

(٤) إبراهيم، بن مراد، المقولة الدلالية في المعجم، مجلة المعجمية، تونس، عدد مزدوج ١٦و١٧، ص ص ١٦-٧٦.

تعليمي لهم، ومن هذه المجالات ما اقترحه عبدالرحمن تشيك[1]:

١- أعضاء الجسم.
٢- الملابس.
٣- المنزل.
٤- أثاث المنزل.
٥- الطعام والشراب.
٦- أدوات على مائدة الطعام.
٧- المطبخ.
٨- المدرسة.
٩- التدفئة والنور.
١٠- المدينة.
١١- القرية.
١٢- وسائل النقل.
١٣- العمل.
١٤- الحيوانات.
١٥- الألعاب والهوايات.
١٦- المهن والحرف.

(١) تشيك، عبد الرحمن، «نظرية المجال الدلالي: كيفية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها»، ورقة عمل قُدّمت في المؤتمر الدولي "حول قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن الواحد والعشرين"، المنعقد في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ٢٤-٢٦ أغسطس ١٩٩٦م.

المبحث الأول: منهجية صناعة المعجم

يتناول هذا الجزء من الدراسة المنهج الذي اتبعه الباحث في منهجية صناعة المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدّلالية، ويستعرض تحديدا النقاط الآتية: موجّهات صياغة مقدّمة المعجم، والرموز المستخدمة في المعجم، وضوابط تحديد الحقول الدّلالية، والعلاقات داخل الحقل الدّلالي، ومقاييس تحديد المداخل المعجمية، ومنهجية ترتيب المداخل، ومنهجية معالجة المادة المعجمية، ومرجعية التعريف والشرح والتفسير.

موجّهات صياغة مُقدّمة المعجم:

من المبادئ الأساسية التي ينبغي مراعاتها أن تُكتب مقدمة المعجم بلغة مستعملي المعجم. ودرج المعجميون كذلك على أن تشتمل المقدّمة على نبذة موجزة عن تاريخ اللغة العربية، وتبيين خصائصها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، ونظامها الكتابي، والطريقة المتّبعة في تنظيم مداخل المعجم، ونوع اللغة التي تُختار منها المداخل، يتبع ذلك قائمة الرموز والمختصرات المستعملة في المعجم[1]. وتضيف المقدّمة في هذا المعجم إلى ما سبق التعريف بنظرية الحقول الدلالية، ومسوغات استخدامها، وأهميتها في تعليم العربية لغة ثانية. وتشير إلى بعض الأخطاء الشائعة التي تكثر عند الناطقين بغير العربية، مراعية في كل ذلك ما يتميز به هذا المعجم من خصائص مميزة، من وضوح، وشمول، وسهولة.

وتُبيّن المقدّمة أنّ المعجم لا يُقاس بعدد مداخله فحسب؛ بل بوظائفه، وأهدافه، وتلبيته لحاجات المستفيدين منه، وأخيراً فإذا كان أقصى ما يمكن أن يحققه المعجم التقليدي -كما يقول الدكتور أحمد مختار - هو أن يصنف الكلمات في ترتيب هجائي،

(١) انظر: صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، أبحاث الدّورة التّدريبية، الرباط: ٣١ مارس — ٨ أبريل ١٩٨١م، ص ٥ -٦.

ويسرد كل معاني الكلمة، فإنّ معجم المفاهيم يعالج المجموعات المترابطة التي تنتمي إلى حقل معين. فمثلاً كلمة "كوب" يمكن دراستها مع كلمات مثل "فنجان"، و "كوز"، و "زهرية"، و "كأس"، و "إبريق" تحت حقل الأوعية، وفي الوقت نفسه يتبين أوجه التشابه، والتقابل وهو ما يعجز عنه المعجم التقليدي[1]. وتوضح أن هذا المعجم يُمكن أن يُنمى من قبل المتعلمين؛ وذلك برفدهم بما يودون تعلّمه من مفردات، وما يودون ترسيخه، وتصنيفه من معان، وهذا ما تحض عليه التربية الحديثة من تعليم تعاوني.

الرموز المستخدمة في المعجم:

اختصر هذا المعجم على استخدام تسعة رموز ممّا اتفقت تقريبا على استخدامه المعجمات الحديثة مثل العربية بين يديك، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، والمعجم العربي الأساسي، وهي:

١- ﴿ ﴾ القوسان المزهران يوضع بينهما نص القرآن الكريم.

٢- () يوضع بينهما نص الحديث، والأقوال المأثورة الأخرى.

٣- (**–**) تَكرار الكلمة (المدخل).

٤- (**جج**): لبيان جمع الجمع.

٥- (**مذ**): المذكر.

٦- (**مؤ**): المؤنث.

٧- (**مث**): المثنى.

٨- (**مف**): المفرد.

٩- (**ت**): تُوفي بتاريخ....، (هـ): هجري، (م): ميلادي.

إلا أنّ أكثر ما يُستخدم في المعجم هو الرمز (**ج**) لبيان الجمع، ويقصد به جمع

(١) عمر، أحمد مختار، «علم الدلالة»، ص ١١، مرجع سابق.

التكسير في الغالب، وتُكتب بعد الجمع.

ضوابط تحديد الحقول الدّلالية

من المشكلات التي تواجه معجم الحقول الدلالية صعوبة حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة[1]، والمعجم الذي بين يديك يُصنف الحقول الدلالية حسب الموضوعات الموجودة في سلاسل تعليم اللغة العربية، وبالذات سلسلة مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وذلك لتنوع المجالات فيها كالعلوم الشرعية، والعلوم التجريبية، والآداب، والفنون. إذن فحقول هذا المعجم قائمة على مجالات المحتوى التعليمي، ووقع الاختيار على المجالات الدّلالية التي قدّمها عبد الرحمن تشيك، ووافق حصر الموضوعات الأساسية للسلسلة الحقول الدلالية المقترحة.

العلاقات داخل الحقل الدلالي

معنى الكلمة في الحقل الدلالي يتحدد بعلاقاتها في الكلمات الأخرى في الحقل المعجمي نفسه، مع أنّ العلاقات الدلالية بين الكلمات يمكن أن تكون علاقات رأسية، بمعنى أن كل كلمة لها دلالة قائمة بذاتها، ويمثلون لهذه العلاقات بعلاقة الترادف، وعلاقة الاشتراك الدلالي (Polysemy)، وهي غير علاقة الاشتراك اللفظي (Homonymy) أو ما يندرج فيما يُسمى الجناس باللغة العربية، وعلاقة الأضداد، وعلاقة العام والخاص، وعلاقة التضاد، وعلاقة المطلق والمقيّد، وعلاقة التدرج، وعلاقة المشجر. وهناك العلاقات الأفقية، ويمثلون لها بالعلاقة التي تقع بين كلمتين متجاورتين؛ بينهما تلازم دلالي قوي، بحيث لا يمكن استبدال أيّ منهما بكلمة أخرى، كالعلاقة بين (ينبح –كلب)، و(لعق –

(١) يُعدُّ معجم (ROGET) من أشهر المعاجم الأوروبية التي صُنفت على أساس الموضوعات، وتمّ تقسيم المفردات إلى ستة حقول أساسية هي: (العلاقات العامة، المكان، المادة، الفكر، الإرادة، العواطف)، واشتملتْ هذه الموضوعات على تسعة وتسعين حقلاً فرعياً، يُنظر: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، مرجع سابق.

لسان)[١]، و(فرس صهيل)، و(يمشي –قدم)، وما إلى ذلك؛ لكن المشترك بين جميع أنواع الحقول الدلالية أنها تقوم على علاقات بين الكلمات المحتواة في الحقل الدلالي المحدد. والتضمّن من أهم العلاقات التي ما زالت متّبعة في تجميع الألفاظ وتصنيفها في الحقول الدلالية، ويرى الدكتور أحمد مختار عمر ألا يمكن الخروج عن علاقة الترادف، والتضمن (الاشتمال)، والتضاد[٢]، ويتحقق التضمّن أو الاشتمال بأن يضُم طرف طرفا آخر، بحيث يكون اللفظ المتضمِّن أعلى من اللفظ المتضمّن؛ كما في لفظ فرس فإنه ينتمي إلى لفظ حيوان[٣]، وهذه العلاقة أعني علاقة التضمّن هي العلاقة التي تبناها هذا المعجم في صنع حقوله الدلالية.

مقاييس تحديد المداخل المعجمية

تختلف المقاييس المعوّل عليها لتحديد المداخل المعجمية في الحقل الدلالي من باحث إلى آخر، ومن السُبل المتبعة لاستجلاء النسق لبنية الحقل الدلالي؛ سبيل يعتمد على الحدس الذاتي للباحث، وفيه يعتمد الباحث على مجموعة من النصوص الموجّهة حسب طبيعة الحقل المدروس، وقد ينطلق من مدوّنة[٤]. واختيار المداخل في هذا المعجم قائمٌ على شيوع المفردة في الحقل الدلالي، اعتمادا على الحدس والخبرة، وشيوع المعنى. أمّا أنواع المداخل في الحقل الدلالي؛ فهذا المعجم يُعنى بالوحدة المعجمية (البسيطة) "الكلمة المفردة"، والوحدة المعجمية المركبة، والتعبيرات الاصطلاحية، والتعبيرات السياقية[٥].

(١) «المخصص في ضوء نظرية المجال الدلالي»، ص ٢١٠، مصدر سابق

(٢) عمر، أحمد مختار، «علم الدلالة»، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٤) بوشيبة، عبدالقادر، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعاجم، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٥) التعابير السياقية هي ما التعابير التي كثُر استعمالها ببنية تلازمية معيّنة، وهي لا تشكل وحدة دلالية مستقلة، بينما تشكل التعبيرات الاصطلاحية وحدات دلالية مستقلة.

ويُراعى اختيار المداخل المناسبة، فتدخل في مداخل المعجم مفردات اللغة العربية المعاصرة في سياق دلالاتها ومضامينها، والكلمات المولّدة والمعربة الحديثة.

منهجية ترتيب المداخل

تُرتب مداخل هذا المعجم ترتيباً دلالياً؛ حسب الحقول الدلالية، وذلك بحسبان أن الألفاظ يمكن تقسيمها إلى حقول دلالية يُعبر كل حقل منها عن مجال معيّن من المفاهيم، أو الخبرة. والمعجم قائم في الأصل على المحتوى التعليمي لسلاسل تعليم اللغة العربية التي يظهر فيها التقسيم إلى موضوعات. ولا ترتب الألفاظ داخل الحقل الدلالي ترتيبا ألفبائيا، وإنما ترتيبٌ دلاليٌّ؛ أيّ بحسب قربها في المعنى من كلمة المدخل، أو بعدها عنها. ويهتم المعجم بإعطاء المرادفات، أو المفردات ذات المعاني القريبة من معنى كلمة المدخل، أو الكلمات التي ترد في الذهن حينما تذكر كلمة المدخل[1]، ويهتم هذا المعجم بالاستعمالات الاصطلاحية والسياقية، وذلك وفقا للحقل الدّلالي وما يحمل من استعمالات دلالية.

منهجية معالجة المادة المعجمية

المفردات في هذا المعجم يتمّ توزيعها إلى حقول دلالية قوامها موضوعات السلاسل التعليمية؛ إلا أن المعالجة المعجمية للمفردات تتّم موضوعيّا، ودلاليّا؛ فبعد تقسيم المفردات إلى موضوعات، يعمل المعجم على تحديد موقع المفردة (المدخل) من أقسام الكلام (اسم، وفعل، وحرف)؛ ثم شرحها والتعريف بها، ويتم كذلك توضيح معانيها السياقية، والاصطلاحية. ويستخدم هذا المعجم الترجمة الإنجليزية في لغة الشرح بعدّها وسيلة إيضاح؛ وذلك للظهور القوي للترجمة في الحقول الدلالية، فالحقل الدلالي مكوّن أصلاً

(١) القاسمي، علي. (١٤٠١هـ)، «ترتيب المداخل في المعجم العربي، ندوة وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها»، الجزء الأول، المادة اللغوية، المدينة النبوية ١-٧ جمادى الأولى، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الصفحات ١٩ – ٤٥.

بغير العربية عند الطالب، ويعزز هذا المنحى إذا كانت الترجمة المقابلة واضحة مرسخة للمعنى، وبالطبع لا يستطرد المعجم في إعطاء أمثلة بوسيلة الإيضاح (الترجمة)، وذلك حرصاً منه على تنمية ذخيرة المتعلم اللغوية.

فالترجمة تُعدُّ من وسائل الإيضاح في هذا المعجم، ومن طرائق تفسير المعنى في المعاجم؛ كما أورد رياض زكي قاسم في كتابه "المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق"، بعضا من تلك الطرائق، وساق التفسير بالمغايرة (الضد)، والتفسير بالكلمة الواحدة، والتفسير بأكثر من كلمة، والتفسير بالمجاز، وتفسير الكلمة بلغة أخرى، وذكر أنّ معاجمنا اللغوية، رغم أنها أحادية تُوردُ شرحا للكلمة الدخيلة بواسطة التعريف بأصلها، ويغلب ذلك في معاجمنا القديمة"[(١)]، فاستخدام الترجمة في المعاجم الأحادية في وسائل الشرح عند الضرورة؛ مما عمل به السابقون، وأقرّه صناع المعجم المعاصرون[(٢)]. ومن الوسائل المستخدمة في الإيضاح كذلك الصور الفوتوغرافية، والرسم التخطيطي، والأمثلة التوضيحية التي ينتهج فيها هذا المعجم نهج الجملة الكاملة؛ الاسمية، والفعلية.

مرجعية التعريف والشرح والتفسير

يرجع هذا المعجم في شرح المادة إلى المعجم العربي الأساسي[(٣)]، والمعجم الوسيط في طبعته الثانية ١٩٧٢م، ومختار الصحاح، ومعجم مقاييس اللغة لابن

(١) قاسم، رياض زكي. (١٤٠٧هـ). «المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق»، دار المعرفة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى هـ، ص ٢٥٠.

(٢) انظر: المعجم شبه الثنائي، القُطيطي، البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) معجم المنظمة العربية للتربية، والثقافة، والعلوم الذي قام بتأليفه مجموعة من اللغويين العرب، ونال موافقة المجامع العربية، طُبع عام ١٩٨٩م.

فارس. وجاء اختيار المعجم العربي الأساسي، والمعجم الوسيط لحداثتهما[1]، وقرب لغتهما من الواقع؛ وإن لم يحافظا على الجدّة والحداثة بتحديث المحتوى، وإعادة الطبعات؛ فالمعمول به في المعجمات الحديثة هو أن يُعاد طبعها كل خمس سنوات؛ كما رصد ذلك الدكتور محمد حلمي هليّل في المعجمات الأجنبية[2]؛ أما الرجوع إلى مقاييس اللغة فقد جاء لاهتمامه بجذر الكلمة، وتأصيله لاشتقاقها. أمّا مختار الصحاح فهو مختصر لصحاح الجوهري، وفيه تجنب لعويص اللغة وغريبها، طلبا للتسهيل والأكثر تداولا. ويلجأ هذا المعجم التعليمي إلى الشرح، والترجمة إذا كانت المفردة متداولة شفويا، ولم تستوعبها معاجم المجامع اللغوية (المعجم الوسيط)، أو المعاجم الموثوقة عموماً كما سلف، ويتحاشى إثبات الخطأ الشائع، مهما فشا استخدامه. ويستخدم كذلك الشرح بالصورة متى ما كان ذلك مناسبا ومؤديا للمعنى.

(١) وصف إبراهيم السامرائي المعجم الأساسي بالحداثة فقال "فأنت تقف فيه على الكلمة الجديدة، والمصطلح الجديد، والأسماء المستحدثة، والأجهزة الجديدة...." راجع؛ معجميات، المؤسسة الجامعية للدراسات، والنشر، بيروت، ط١، ص: ٧.

(٢) يُنظر: نحو معجم عربي معاصر، أ.د. محمد محمد حلمي، الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية، نسخة إلكترونية.

المبحث الثاني: النموذج التطبيقي

تعرض الدراسة في هذا الجزء نموذجا معجميا يُبيّنُ من خلاله توظيف نظرية الحقول الدلالية في بناء المعجم التعليمي. والنموذج الذي أُختير هو المنزل وأثاثه. والعلاقة داخل الحقل الدّلالي هي علاقة الاشتمال أو التّضمن كما سلف، كما أن الكلمات داخل الحق رُتبت ترتيبا ألفبائيا.

الْمَنْزِل وأثاثه

إبريق: (ج) أباريق: إناء للسوائل من خزف أو معدن أو زجاج ونحوه. (Kettle)	يُصبُّ الشايُ بالإبريق. (صورة)
إبريق كَهْرَبَائِي: غلايَّة ماء. Electrical (kettle)	كثُر استخدام الإبريق الكهربائي مؤخراً. (صورة)
أَثَاثٌ: (ج) أثاثات: أدوات بيتية وهي ما يستعمل في البيت من أدوات. (Furniture)	أثاث البيت فاخرٌ. (صورة)
أَرِيْكَةٌ (ج) أريك، أرائك: مكان الجلوس. (Sofa)	تلك الأريكة تُناسب ديكور البيت. (صورة)
إِنَاءٌ (ج) آنية: الوعاء للطعام والشراب. Utensil	قُدِّم الشرابُ في إناء من خزف. (صورة)
بَابٌ (ج) أبواب: فُتْحة للدُّخول والخُروج من بَيْت، أَو غُرْفة، أو عَرَبة.مدخل ، Door و(-): قسم، جزء، فرع Section	باب البيت صغير. (صورة) البابُ الأول في الفقه بابُ الطّهارة.

بَابٌ مُنْزَلِقٌ: الباب الذي يتحرك من اليمين إلى الشمال والعكس.(Sliding door)	أبواب البيوت في كوريا منزلقة. (صورة)
بَالُوْعَةٌ: مصرف الماء. (Drain)	تفوح من البالوعة رائحةٌ كريهةٌ. (صورة)
بِسَاطٌ (ج) بُسُط: نوع من الفرش يمد على الأرض. Carpet	المشاهير يمشون على بساط أحمر. (صورة)
بَلاَطٌ: ضرب من الحجارة تفرش به الأرض ويسوى به الحائط. (Flagstones)	غطى صديقي أرضية بيته بالبلاط. (صورة)
بَرْطَمَان: (ج) **بَرْطَمَانياتٌ**: إناء من زجاج أو خزف، تحفظ فيه المربيات ونحوها.Jar	أين وضعت برطمان المربى؟ (صورة)
بوابة: (ج) **بوابات**: باب كبير لمدخل العمارات والمدارس، ونحوها.Gate	بوابة الجامعة لونها أخضر. (صورة)
بَيْتٌ (ج) بُيُوْتٌ: البيت ما يعيش فيه الإنسان كالمنزل والشقة، والمسكن والدار. (House)	بيتُ خالدٍ مصنوعٌ من الخشب. (صورة)
تَدْبِيْر مَنْزِلِيٌ: ثقافة وفن يعنيان بشؤون البيت والحياة البيتية.	تعلّمتْ ثُريا الطبخَ من حصة التدبير المنزلي.
تِلِفِزْيونٌ: (ج) تِلِفِزْيُونَاتٌ: جهاز نقل الصور والأصوات بواسطة الأمواج الكهربائية.Television	التلفزيون يعرضُ برامج مفيدةً. (صورة)
تِلِفُون: (ج) **تلفونات** الهاتف وهو جهاز كهربائي ينقل الأصوات من مكان إلى آخر.Telephone	اشتريتُ تلفونا جديدا. (صورة)

تَنُّورٌ (ج) تَنَانِيرُ: الفُرن يخبز فيه.Oven ، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ (قرآن): تَجْوِيفٌ أَرْضِيٌّ تَفُورُ مِنْهُ المِيَاهُ الحَارَّةُ.	الخباز يخبز بالتنور. (صورة)
ثَلاَّجَةٌ (ج) ثَلَّاجَاتٌ، اسم آلة من ثلج، جهاز تبريد يحفظ ما يُوضع فيه من أطعمة. (Refrigerator)	تحفظ الأطعمة داخل الثلاجة. (صورة)
جِدَارٌ: حائط. (Wall)	بُنِيَ جدار البيت من رخام. (صورة)
جَرَاجٌ: موقِف، كراج، مِرْآب. (Garage)	أوقف الأبُ سيارته في الجراج.
جَرَسُ البَابِ: آلة أو جهاز يوجد خارج المنزل يضغط عليه فيصدر صوتا للتنبيه، إلى وجود شخص خارج المنزل. (Doorbell)	الأطفال يلعبون بجرس الباب. (صورة)
جَرَّةٌ (ج) جَرٌّ، جِرَارَ: إناء من خزف.	قديماً كانت الجرة تُستخدم لتبريد الماء. (صورة)
حَاضِنَة كَهْرَبَائِيَّة: وسيلة صناعية لتدفئة البيض حتى يفقس، آلة التفريخ. Incubator	الحاضنة الكهربائية تدفيء بيض الدواجن والزواحف. (صورة)
حَبْلٌ: (ج) **حِبَالٌ وأَحْبَالٌ**، ما فتل من ليف ونحوه ليربط أو يقاد به. (–): العهد والميثاق	ربط الولدُ حذاءه بالحبل. (صورة) ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾
حُجْرَةُ الاِسْتِقْبَالِ: حجرة الجلوس. (Living room)	نستقبل الضيوف في حجرة الاستقبال. (صورة)
حُجْرَةُ النَّوْمِ: حجرة للنوم والاستراحة. Bedroom	حجرة النوم لا يدخلها أي شخص.

حَصِيْرٌ/ حصيرة: (ج) حُصُر، أحْصِرَة، حَصَائر: بساط يُنسج بطريقة يدوية من سعف النخيل وما شابه ذلك.	كانت المساجد قديماً تفرش بالحصير. (صورة)
حَمَّامٌ (ج) حمامات: دَوْرَةُ الْمِيَاهِ. Bathroom	في السوق حماماتٌ نظيفة. (صورة)
خُرْطُوْمُ الْمَاءِ: (ج) خَرَاطِيمُ الصنبور، آلة نقل الماء من الحنفية. Hose	استخدمتُ خرطوم الماء لسقي الأزهار. (صورة)
خَلاَءٌ: (ج) خَلاَءاتٌ: موضع قضاء الحاجة خارج البيوت. Toilet	المسلم يستعيذ بالله عند دخول الخلاء.
دُرْجٌ (ج) أَدْرَاجٌ: شبه صندوق يدخل في تجويف المكتب. Drawer	الأشياء الصغيرة تحفظ في الدرج.
دَلْوٌ: (ج) دِلاَءٌ: وعاء يُستقى به من البئر ونحوها. Pail	يؤخذ الماء من البئر بالدلو.
دَوْرٌ: (ج) أَدْوَارٌ: طَابَقٌ. (Floor)، وتستخدم كلمة (–):جزء من عمل أو مسرحية نحو: أدّى دوره ثم انصرف.	يعيش جَدّي في الدور الثاني. أدّى دوره ثمّ انصرف
دُوْلاَبٌ (ج) دَوَالِيبُ: خزانة الثياب أو الأواني ونحوها. Locker	رتّب كريمٌ ملابسه ووضعها في الدولاب.
رَفٌّ (ج) رُفُوفٌ، رِفاف: أداة يوضع عليها أشياء مثل الكتب. Shelf	الكتب مرتبَّة فوق الرف.
سَاعَةٌ (ج) سَاعَاتٌ: آلة يعرف بها الوقت. (Watch)	تدق الساعة بعد مُدّة وأخرى.

سِتَارَةٌ: (ج) سَتَائِرُ، ما يستر به. (Curtain)	علَّق ستارًا على نافذة الغرفة.
سَرِيْرٌ (ج) سُرُرٌ، أَسِرَّة: مكان للنوم، مُضْطَجَع. Bed	رقد على السرير.
سَقْفٌ (ج) سُقُوْفٌ وأَسْقُفٌ: أعلى البيت. (Ceiling, Roof)	في أعلى السقف ثريا.
سِكِّيْنٌ (ج) سَكَاكِينُ: آلة يقطع أو يذبح بها. Knife	الجزَّار يقطع اللَّحم بالسكين.
سُلَّمٌ (ج) سَلاَلِم: أداة يصعد عليها إلى المكان العالي. (Ladder)	الصعود بالسلم متعب.
سُوْرٌ (ج) أَسْوَارٌ: سياج، ما يحيط بالمنزل أو الحديقة أو الفيلا.Fence	سُورُ الحديقة مصنوع من الحديد.
شَامْبُوْ: (ج) شَامْبُهَاتٌ شيء مثل الصابون يستعمل لتنظيف الشعر. Shampoo	الشامبو يجعل الشعر ناعما.
شُبَّاكٌ (ج) شَبَابِيكُ: النافذة تشبك بالحديد أو الخشب.Window	نظرتُ إلى المدينة من شباك الطائرة.
شُرْفَةٌ (ج) شُرُفَاتٌ: بناء صغير خارج منه ما يشرف على ما حوله. (Balcony)	الشرفةُ مطِلّةٌ على الحديقة.
شَقَّةٌ(ج) شِقَقٌ: مسكن في مبنى مؤلف من عدة وحدات سكنية. (Apartment)	أسكنُ في شقة كبيرة وسط المدينة.
شَقّة أَرْضِيَّة: الدور الأرضي. Ground (floor)	السكن في شَقّة أرضية مزعج.

شَمْعَدَانٌ: (ج) شَمْعَدَانات وشَمَاعِدُ: عمود يزين ويركز عليه الشمع للاستضاءة به. Candlestick	تُحمل الشمعة بالشمعدان.
شَوْكَةٌ: (ج) شُوَكٌ: أداة ذات أصابع يتناول بها الطعام. Fork	نظام المطاعم وضع الشوكة والملعقة بجانب الطبق.
صَابُوْن: خليط من حوامض دهنية وقلي يستعمل للتنظيف. Soap	نظّف أحمدُ بلاط بيته بالصابون.
صَحْنٌ: (ج) صُحُونٌ وأَصْحُنُ، القدح العظيم، إناء من أواني الطعام، طبق. Plate	الصحن موضوع على الطاولة.
صُنْدُوْقُ الْبَرِيْدِ: (ج) صَنادِيقُ البَرِيدُ، مكان توضع فيه الرسالة. (Letter box)	بجانب باب العمارة رقم صندوق بريدنا.
صُوْرَةٌ (ج) صُوَرٌ: كل ما يصور. (Picture)	علّق عبدالرحمن صورة تخرجه في الجامعة على حائط غرفته.
طَبَقٌ: (ج) أَطْبَاقٌ: وعاء يؤكل فيه، وما يؤكل كذلك، صحن. Plate	صنعت هند طبقا من الحلوى.
فَانُوسٌ (ج) فَوَانِيسُ: مشكاة، جوانبها من الزجاج يوضع فيها المصباح ليقيه الهواء أو الكسر. Lantern	الفانوس من أدوات الإضاءة في القديم.
فَتَّاحَةٌ (ج) فَتَّاحَاتٌ: أداة لفتح العلب وأغطية الزجاجات وغيرها. Tin opener	المعلبات يتم فتحها بالفتاحة.
فِرَاشٌ: (ج) فُرش وأفرشة، ما يُفرش من متاع البيت، وما يوضع على السرير.	اشتريتُ فراشا أبيض.

Mattress	
فُرْشَةٌ، فُرْشَاةٌ: أداة من شعر تستعمل للتنظيف. Brush	تُنظف الأسنان بالفرشة.
فُرْشَاةُ الْأَسْنَانِ (ج) فُرَشُ الأَسْنانِ: أداة لها شُعيرات ليّنة تُستخدم لتنظيف الأسنان. Brush teeth	فرشاة الأسنان تزيل بقايا الأكل العالق في الفم.
فُرْشَةُ الْبَلاَطِ(ج) فُرَشُ البلاطِ: ممسحة الأرض. (Mop)	فرشة البلاط لشطف الأرضية المبللة.
فُرْشَاةُ الْمِرْحَاضِ(ج) فُرَشُ المرحاض: أداة لتنظيف المرحاض. Toilet brush	فرشاة المرحاض موجودة في كل بيت.
فِنْجَانٌ (ج) فناجين: قدح صغير من الخزف تشرب به القهوة ونحوها. cup	شربتُ كوبا من الشاي وفنجانا من القهوة.
فِيْلاَّ (ج) فِلَل وفِيلاَّتٌ: دار مستقلة صغيرة تسكنها أسرة واحدة. (Villa)	البيوت في بروناي مكونة من فِلَل.
قَدَحٌ (ج) أَقْدَاحٌ: إناء يشرب به الماء أو النبيذ أو نحوها.Glass	انسكب الماء من القدح.
قُفْلٌ (ج) أَقْفَالٌ–قُفُولٌ: جهاز من الحديد ونحوه يقفل بالباب ويفتح بالمفتاح.	ضيَّع عمر مفتاح القفل.
قُمْعٌ: (ج) أَقْمَاعٌ: إناء مخروطي الشكل يوضع في فم الوعاء ثم يصب فيه السائل. funnel	انقل الماء من الكوب إلى القارورة بواسطة القمع.
قِنْدِيلٌ (ج) قَنَادِيلُ: مصباح كالكوب في وسطه فتيل. يملأ بالماء والزيت ويشعل.	انقل الماء من الكوب إلى القارورة بواسطة القمع.

Lamp	
قِدْرٌ (ج) قُدُوْرٌ: إناء يطبخ فيه الطعام. (Pot)	صنعت الطعام في القدر.
قِطَعُ الْغِيَار: (ج) قِطَعُ الْغِيَارِ: الأجزاء الجديدة التي تحل محل الأجزاء التي تلفت عند صيانة الآلات. Spare part	اشترى المهندس قطع غيار لمعدّات قديمة.
كَانُونٌ (ج) كوانين: الموقد. Stove	الخبز يخبز بالكانون.
كُوبٌ (ج) أكواب–أكوب: قدح من الزجاج ونحوه مستدير الرأس لا عروة له وهو من آنية الشراب.Cup	قدّم صديقي العصير في أكواب زجاجية.
كُوزٌ (ج) كيزان: إناء بعروة يشرب به الماء.mug	في الكوز عصير.
كُرْسِيٌّ (ج) كَرَاسِي: مقعدٌ خشبي لجلوس شخص واحد. (Chair)	هذا الكرسي غير مريح.
كَنَبَةٌ (ج) كَنَبَات: أريكة منجدة تليقُ بشخص أو أكثر.	الجلوس على الكنبة أكثر راحة من الجلوس على الكرسي.
لِحَافٌ (ج) لِحَافَاتٌ: بطانية. Blanket	تحت اللحاف طفل نائم.
مَائِدَةٌ (ج) موائد: الخوان عليه الطعام والشراب. (Table)	الطعام على المائدة.
مَاسُوْرَةُ التَّصْرِيْفِ (ج) مَوَاسِيرُ: قناة أو أنبوب ماء. (Drainpipe)	انسداد ماسورة التصريف أدَّى إلى توقف المياه من الجريان.
مِحْبَرَةٌ: (ج) **مَحَابِرُ**: وعاء الحبر.	اِشْترى أحمدُ مِحْبَرَةً جديدة.

inkwell	
مِحْمَصَةُ خُبْزٍ (ج) مَحَامِصُ: **مَخْبَزٌ**، آلة يدفأ فيها الخبز. (Toaster)	محمصة الخبز تجعل الخبز حارا.
مَخَدَّةٌ (ج) مَخَادُّ: الوسادة يوضع عليها الخد. cushion	المخدة محشوة بالقطن.
مِدْخَنَةٌ (ج) مَدَاخِنُ: أنبوبة رأسية لتصريف الغازات المحترقة. (Chimney)	وضع يوسف مدخنة في المطبخ.
مِدْفَأَةٌ (ج) مدافئ: آلة الدفء توقد بالفحم أو الكهرباء وغيرهما. fireplace	البيوت في الأردن لا تخلو من المدفأة.
مِرْآةٌ (ج) مَرآءٍ ومرَايَا: أداة تعكس الصورة التي أمامها. Mirror	أتجمل أمام المرآة.
مِرْوَحَةٌ (ج) مَرَاوِحُ: آلة لتبريد الهواء. Fan	أكثر بيوت ماليزيا تستخدم المروحة.
مُشْطٌ (ج) أمشَاطٌ ومِشَاطٌ: أداة لمشط شعر الرأس. Comb (–) الناس سواءٌ كالمشط	مشطتْ الفتاةُ شعرها بالمشط
مِصْبَاحٌ (ج) مصابيح: سراج، آلة يستضاء بها. (Lamp)	رمى الولد الكرة فانكسر المصباح.
مَطْبَخٌ (ج) مطابخ: مكان للطبخ. (Kitchen)	من أدوات المطبخ الثلاجة.
مَعْجُوْنُ الأسنان: تركيبة كيمائية تستعمل مع فرشاة الأسنان. Tooth paste	أستخدمُ معجون الأسنان بنكهة النعناع.
مِغْرَفَةٌ (ج) مَغَارف: شبه ملعقة لكنها	أغرف الطعام بالمغرفة الخشبية.

أكبر، وهي ما يغرف بها الطعام. Ladle	
مَغْسَل/مغسلة (ج) مغاسل: ما يُغسل به الشيء.	أجمع الصحون المستخدمة وأضعها في المغسلة.
مِغْسَلَةٌ (ج) مغاسل: آلة الغسل. Washing machine	وضعت ملابسي في المغسلة.
مَغْسَلٌ – مصْبَغة: حجرة غسل الملابس. Laundry	أرسل محمد ملابسه إلى المغسل.
مِفْرَشٌ (ج) مَفَارِشُ: غطاء يبسط فوق المائدة ونحوها. (Carpet)	وضعت صاحبة البيت مفرشا تحت الطاولة.
مَفْرُوْشَاتٌ: (أثاث) ما نضعه في البيت من أسرة وخزائن وطاولات وكراسي. (Furniture)	المنزل فخم ولكنّ أثاثه قديم.
مِقْلاَةٌ (ج) مِقالٌ: آلة لطبخ الطعام، وهو ما يُقلى عليه. (Pan)	رقية تُقلي السمبوسة بالمقلاة.
مَكْتَبٌ (ج) مَكَاتِبُ: منضدة، مكان للكتابة والقراءة. (Desk)	وضع الموظف علبة أقلام على المكتب.
مُكَيِّفُ الْهَوَاءِ (ج) مكيفات الهواء: جهاز تديره القوة الكهربائية لخفض الحرارة صيفاً أو رفعها شتاءً. (Air conditioner)	لا نقوى على العيش من دون مكيف الهواء تحديداً في المناطق الحارة.
مِكْوَاةٌ (ج) مَكَاوٍ: أداة تستعمل في كَيِّ الْملابس. Iron	المكواة تُستخدمُ لكيّ الملابس بعد غسلها.
مِلْعَقَةٌ (ج) مَلاَعِق: أداة يتناول بها الطعام وغيره. Spoon	الأكل بالملعقة والشوكة أفضل من الأكل باليد.

مَنْزِلٌ (ج) مَنَازِلُ: بيت. House	منزل أستاذي قريب من الجامعة.
مِنْشَفَة (ج) مَنَاشِف: شيء من الملابس يستعمل بعد الغسل. Towel	جفف جسمه بالمنشفة.
مِكْنَسَةٌ (ج) مَكَانِسُ: آلة الكنس.broom	نظفتُ الصالة بالمكنسة.
مِكْنَسَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ: آلة الكنس تعمل بالكهرباء Sweeper	اشترى أحمدُ مكنسةً كهربائية.
مِنَصَّةٌ (ج) مَنَاص: كرسي أو سرير يعد للخطيب ليخطب أو للعروس لتجلى. platform	صعد مقدم البرنامج على المنصَّة.
مِنْضَدَة (ج) مَنَاضِدْ: ما يحمل عليه نضد البيت. وأداة ذات قوائم ثلاثة أو أكثر توضع عليها الأشياء.Table	وضعت شريفة الكتب على المنضدة.
مَهْدٌ (ج) مِهَادٌ ومُهُودٌ: السرير يهيأ للصبي ويوطأ لينام فيه.cradle	غطت الأم مهد طفلها بالناموسية.
نَاطِحَةٌ (ج) نَوَاطِحُ: ناطحة السحاب– البناء العالي الذاهب إلى السماء. skyscraper	تكثُر في نيويورك ناطحات السحاب.
نِبْرَاسُ: (ج) **نَبَارِيسُ**: المصباح، الفانوس. a nipper	النبراس ضوؤه خافت.
نجَفَةٌ (ج) نَجَفٌ– نِجَاف: مجموعة من المصابيح مختلفة الشكل منسقة الوضع باهرة الضوء وتُسمى بالثريا شبيهاَ بثريا السماء. chandeliers	زُيّن المسجد بنجفة كبيرة معلقة في سقفه.

نُمْرُقَة(ج) نَمَارِقْ: الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.Numbness	اتكأتُ على نمرقة جميلة.
نَامُوْسِيَّةٌ (ج) نَامُوسِيَّاتٌ: نسيج رقيق يوضع على السرير ونحوه وقاية من الناموس أو الذباب. Mosquito net	تُستعمل الناموسية للحماية من البعوض.
وِسَادَةٌ (ج) وسائد، وسادات: مِخَدَّة، ما يوضع تحت الرأس عند النوم. Pillow	يضع النائم رأسه فوق الوسادة.

نتائج الدّراسة ومقترحاتها وتوصياتها:

بعد التحليل الوصفي لصناعة المعجم التعليمي باستخدام نظرية الحقول الدّلالية، توصلت الدّراسة إلى بعض النتائج المهمة، والمأمول أن يكون عرضها مفيدا للفئات المستهدفة بالدّراسة من متخصصين في المجال. وستُعرض النتائج من خلال أسئلة الدّراسة مقرونةً بأهدافها، وهي كما يأتي:

أولا: ما مُحدِّدات بناء معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدّلالية؟

جاءت الإجابة عن هذا السؤال بأن يُراعى في ذلك معايير بناء المعجم التعليمي: شمول، وترتيب، واختيار المداخل المناسبة، وسهولة لغة الشرح، والإكثار من الأمثلة التوضيحية، وأن تُضمّن وظائف المعجم التعليمي وأهمها اعتماد طريقة ترتيب مناسبة لمحتوى المعجم، ويُجملُ ذلك في الآتي:

١– أن تكون الرموز المستخدمة في المعجم واضحة.

٢– أن تكون اللغة التي تُختار منها مداخل المعجم شاملة لحاجات المتعلمين.

٣– أن تتعدد الحقول الدّلالية.

٤– السهولة في الترتيب والأسلوب، وفي الأمثلة السياقية.

ثانيا: ما الحقول الدّلالية التي يُمكن أن يتضمنها المعجم التعليمي للناطقين بغير العربية؟

تبنت الدّراسة الحقول الدّلالية التي اقترحها عبد الرحمن تشيك، وذلك لأنه تجتمع حولها معظم كلمات المحتوى التعليمي لكتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، واختارتها لصناعة المعجم، وهي:

١– أعضاء الجسم.

٢– الملابس.

٣– المنزل.

٤– أثاث المنزل.

٥- الطعام والشراب.
٦- أدوات على مائدة الطعام.
٧- المطبخ.
٨- المدرسة.
٩- التدفئة والنور.
١٠- المدينة.
١١- القرية.
١٢- وسائل النقل.
١٣- العمل.
١٤- الحيوانات.
١٥- الألعاب والهوايات.
١٦- المهن والحرف.

ثالثا: ما المنهجية المقترحة لمعالجة صناعة المعجم التعليمي باستخدام نظرية الحقول الدّلالية؟

المنهجية المقترحة لصناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية باستخدام نظرية الحقول الدّلالية يمكن إجمالها في توضيح الآتي:

١- كتابة مقدّمة للمعجم تشتمل على التعريف به وطريقة استعماله، وتبيين خصائص اللغة العربية.
٢- توضيح الرموز والاختصار المستخدمة في المعجم.
٣- تحديد الحقول الدّلالية.
٤- توضيح العلاقات التي تحكم المداخل في الحقل الدّلالي.
٥- تحديد المداخل المعجمية.
٦- ترتيب المداخل.
٧- تبيين طرائق معالجة المادة المعجمية.
٨- مرجعية الشرح والتعريف.

رابعا: ما النموذج التطبيقي المقترح للمعجم التعليمي باستخدام الحقول الدّلالية؟

عرضت هذه الدراسة نموذجا معجميا لحقل (المنزل وأثاثه)، وأبانت من خلاله المعلومات التي ينبغي أن يتضمنها الحقل الدلالي، كما أبانت في الوقت نفسه ثراء اللغة العربية المعجمي، وما ينبغي أن يطّلع عليه متعلموها من أبعاد ثقافية.

الاقتراحات:

يقترح الباحث في ضوء ما توصلت إليه الدّراسة من نتائج الآتي:

١- تطبيق هذه الدّراسة عمليا باستكمال الحقول الدّلالية المقترحة في صناعة معجم تعليمي للناطقين بغير العربية.

٢- الاضطلاع بدراسة ميدانية لمعرفة رأي الخبراء في تحديث الحقول الدّلالية وتطويرها لتكون مناسبة للمحتوى التعليمي للناطقين بغير العربية.

٣- الاستفادة من المنهجية المقترحة في هذه الدّراسة في صناعة المعاجم التعليمية.

التوصيات:

يلاحظ الباحث –حسب اطّلاعه – خلو برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من المعاجم التعليمية التي تستخدم نظرية الحقول الدلالية في صناعة المعاجم، ولذلك فتوصي هذه الدراسة بضرورة استخدام نظرية الحقول الدلالية في صناعة معجم تعليمي، يكون قائما على المحتوى التعليمي لكتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وبناء معجم تعليمي يستدعي الوقوف على تجارب الآخرين، وتوظيف النظريات الحديثة وتطويرها في تعلّم اللغة وتعليمها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

إبراهيم بن مراد، المعجم العربي بين اللغة والخطاب، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية ١٤٣٧هـ.

إبراهيم، بن مراد، المقولة الدلالية في المعجم، مجلة المعجمية، تونس (٢٠٠١م)، عدد مزدوج ١٦و١٧، الصفحات: ١٦-٧٦.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق أنس محمّد الشامي، دار الحديث، ٢٠٠٨م.

أبو عمشة، خالد، دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلّمها للناطقين بغيرها، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية
(http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=25317)

أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٢ م.

أمبو سعيدي، مصطفى بن حسن بن سعود، المعجمية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، دار الفكر، جريدة الوطن العمانية، ١٨ مارس – ٢٠١٧م، (https://darfikr.com/article/).

أمرير، يوسف، دور المعجم في تعليم وتعلّم اللغة العربية وثقافتها: (معجم الغني الزاهر نموذجا)، مجلّة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني – العدد الثالث، ٢٠٢٠م، الصفحات: ٢٤٧ -٢٦٨.

بوشيبة، عبد القادر، محاضرات في علم المفردات وصناعة المعجم. وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة أبي بكر بلقايد/تلمسان – الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٤م - ٢٠١٥م.

تارش، جموعي، وبوجملين، لبوخ، المعجم التعليمي: مفهومه، خطوات صناعته، المعلومات المقدّمة فيه، مجلّة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، المجلّد ٢٠١٥، العدد ٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م، الصفحات: ١٥٧ -١٦٦.

حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

رياض زكي قاسم، المعجم العربي- بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

الرازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م.

ريمة خليفي، وسليمة بونعيجة راشدي، بنية المداخل في المعجم أحادي اللغة للناطقين بغير العربية: المعجم العربي الأساسي أنموذجًا،٢٠١٥ م.

سليمان، محمّد جلال الدّين، معايير تعليم المفردات في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها في ضوء نظرية الحقول الدّلالية، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد ٢، العدد ٢، ٢٠١٩م، الصفحات: ٨٥ – ١٢٢.

السّعيد، المعتز بالله، نحو معجم للغة العربية للناطقين بغيرها "معالجة حاسوبية إحصائية"، مجلّة التواصل اللساني – المجلّة الدولية لهندسة اللغة العربية واللسانيات العامة، فاس، المغرب، المجلّد ١٨، ٢٠١٥م، الصفحات ١-٣٧.

السيد دسوقي يوسف، المخصص في ضوء نظرية المجال الدلالي، دار الجامعيين للطباعة والتجليد، ٢٠١٢م.

شلواي، عمّار، نظرية الحقول الدلالية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٢م.

صبير، عبد الناصر عثمان، توظيف الحقول الدلالية في معجم الناطقين بغير العربية، ورقة عمل قُدّمت للجنة تأليف معجم جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.

صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية، أبحاث الدّورة التّدريبية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط: ٣١ مارس – ٨ أبريل ١٩٨١م.

عبد الرحمن تشيك، نظرية المجال الدلالي: كيفية الاستفادة منها في تعليم العربية للناطقين بغيرها، ورقة عمل قُدّمت في المؤتمر الدولي "حول قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن الواحد والعشرين"، المنعقد في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ٢٤-٢٦ أغسطس ١٩٩٦م.

عبد العزيز مطر، المعجم العربي الأساسي – إضاءة ونقد، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ١٣، ١٩٩٠م.

عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية – دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة – نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية – نماذج تركيبية ودلالية، (ضمن سلسلة المعرفة اللسانية، بإشراف عبد القادر الفهري)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

علي القاسمي، ترتيب المداخل في المعجم العربي، ندوة وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الأول، المادة اللغوية، المدينة النبوية ١-٧ جمادى الأولى ١٤٠١هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الصفحات ١٩ – ٤٥.

علي القاسمي، ماذا نتوخى في المعجم العربي للناطقين بلغات أخرى، دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد ٢٠، يونيو ١٩٨٣م، الصفحات (١١٣-١١٨).

عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

عمر، أحمد مختار، علم الدّلالة، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.

عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

القُطيطي، محمّد خميس، البناء المعجمي في معاجم الناطقين بغير العربية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠١٣م،

كريم زكي حسام الدين، التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية، دار الأنجلو المصرية ١٩٨٥م.

محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

محمد حاج هني، المصطلحات والمعاجم – الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٨م.

محمد خالد الفجر، نظرية معاجم الحقول الدلالية وإرهاصاتها في "فقه اللغة وسرّ العربية" للثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٧، الجزء١، الصفحات (١٥١ – ١٧٤).

محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، طبعة عام ٢٠٠١م.

محمود فهمي حجازي، الجانب السياقي في المعاجم والكتب في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، الجزء الأول (المادة اللغوية)، جامعة الرياض، بالمملكة العربية السعودية، ١٩٨٠م، الصفحات ٢٣٧ -٢٥١.

مدكور، عمر فرج، المعجم العربي بين يديك – دراسة في اختيار المداخل وشرحها، أعمال مؤتمر: اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية، معهد اللغويات الحديثة – جامعة الملك سعود، دار جامعة الملك سعود للنشر ١٤٣٥ هـ، ١٠- ١٢ فبراير ٢٠١٤م، ص ١٥٥ – ١٨٢.

المعجم العربي الأساسي، معجم المنظمة العربية للتربية، والثقافة، والعلوم الذي قام بتأليفه مجموعة من اللغويين العرب، ونال موافقة المجامع العربية، طُبع عام ١٩٨٩م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمّد علي النّجار، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول – تركيا.

منى بنت محمد عبد الله القرطوبي، بناء معجم تفاعلي حاسوبي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (من الألف إلى الجيم)، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العلوم الإنسانية، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠١٥م.

Bibliography

Ibrahym bin Murad (2016). **Al-Mu'jam Al-'Araby Bayn Al-Lugha Wal-Khitab**, Markaz Al-Malik 'Abdallah bin 'Abd Al-'Azyz Likhidmat Al-Lugha Al-'Arabiya.

Ibrahym, bin Murad, **Al-Magoula Al-Dalalia Fi Al-mu'jam**,Tunisia (2001),Al-Ma'jamia magazine, double edition 16, 17, pages: 16-76.

Ibn Faris, Abu Al-Husain Ahmed Bin Faris, **Magayees Al-Lugha**, Anas Mohammed Al-shami Review, Dar Al-Hadeeth, 2008.

Abu A'shma Khalid, **Dour Al-Ma'jam fi Ta'leem Al-Lugha Al-Arabia Lil-Natigeen Bighairiha**, Mujama' Al-Lugha Al-Arabia A'la Al-Shabaka Al-A'alamia

Ahmad, 'Azuz. (2002). **Osol Turathiya fi Nazariyat Al-huquol Addilaliya.** Itihad Al-Kitab Al-'Arab, Dimashq.

Ambu Saa'eedi, Mustafa Bin Hasan Bin Sa'ood, **Al-Ma'jamia fi Ta'leem Al-Lugha Al-Arabia Lil-Natigeen Bighairiha**, Dar Al-Fikr, Jareedat Alwatan Al-Omania, 18 March - 2017

Amreer, Yousif, **Dour Al-Ma'jam fe Ta'leem wa Ta'lm Al-lugha Al'arabiya wa Thaqafat-ha**: (ma'jm al-ghanee al-zahir namodhajha), majalat al-myadyn lldrasaat fe Al-'loom Al'nsaniya, al-mjld al-thany - al-'dad al-thalith, 2020, al-safhaat: 247-268.

Boshyba, Abdel Qadr, **Mohadraat fe `Ilm Almofradaat wa Sinaa`at Al-m`jm.** wazarat Al-t`leem wa Al-bahth Al`lmi, jam`at Aby bakr blqayid/tlmsan - Aljaza'r, Al-sana Al-jami`ya 2014 - 2015

Taarsh, Jamo`y, wa Bojmlyn, Lbokh, **Al-m`jm Al-ta`leemi: Mafhomho, Khatwaat Sinaa`tho, Al-M`lomaat Al-Moqadama Feeh**, Majlat Al-'athr, Jaam`at qaasdy Mrbaah, Al-Jaza`r, Al-mjld 2015, Al-`dd 23, Decembr 2015, Al-safhaat: 157-166

Hasan, Zaza. (2002). **Kalam Al-'Arab**, Min Qadaya Allugha Al-'Arabiya, Dar Annahda Al-'Arabiya, Bairout – Libnan, Attaba'a Al-'ula.

Riyad Zaki, Qasim. (1987). **Al-Mu'jam Al-'Araby**, Buhoth fi Al-Madda Walmanhaj Wattatbiq, Dar Al-Ma'rifa, Bairout, Attaba'a Al-'ula.

Al-razi, Mohamad bin Aby Bakr, Mukhtar Al-Sahah, **Dar Al-Kitab Al-`Araby**, Beirot - Libnan, 2007.

Khalyfi, Ryma Khalyfi, Warashidi, Salyma Bon'ija. (2010). **Binyat Al-Madakhil fi Al-Mu'jam Ahadi Allugha Linnatiqin bighair Al-'Arabiya: Al-Mu'jam Al-'Arabi Al-'Asasi Anmozhajan.**

Sleiman, Muhammad Jlal Al-deen, **M`ayyir Ta`leem Al-Mufardaat fe Barnaamj Ta`leem Al-`Arabiya Linnatiqeen Bighayriha fe Dow'**

Nazariyat Al-Hqol Al-Dalaliya, Al-majala Al-dowliya llbhoth fe Al-`lom Al-trboya, Al-mjld 2, Al-`add 2, 2019, Al-sfhaat: 85-122.

Al-sa`eed, Al-mu`taz billah, **Nahu Mu`jam Lilogha Al'Arabiya Linnatiqeen Bighayriha "Mu`alaja Hasobiya 'Ihsa'iya"**, majla Al-twasol Al-lsaani - Al-mjla Al-dowaliya lhandasa Al-logha Al-`arabiya wa Al-lsaniyaat Al-`aama, faas, Al-mghrib, Al-mjld 18, 2015, Al-safhaat 1-37.

Assayid Dusouqi, Yusuf. (2012). **Al-Mukhasas fi Dao' Nazariyat Al-Majal Addilali**, Dar Ajjami'iyin Littiba'a Wattajlid.

Shlowai, `ammaar, **Nazariyat Al-Hoqoul Al-Dlaliya**, Mjalat al-`lom al-`insaniya, jam`at Mohamed khydr bskra, Al-`adad Al-thani, younyo 2002.

Subair, Abdannasir `Uthman, **Towzeef Al-Hqol Al-Dlaliya Fe Mu'jm Al-Natiqeen Bighayr Al-`Arabiya**, Warqat `Aml Qodimat Lijjana Ta'leef Ma'jm Jam'at Um al-Qura, 1436

Sina'at Al-ma`jm Al-`arabi lighayr Al-natiqeen Bl`arabiya, **Abhaath Al-Dawra Al-Tadrisiya**, Al-mnazama Al-`arabiya lltarbiya wa Al-thaqaafa wa Al-`lom, Maktab tanseeq Al-ta`reeb, Al-rbaat: 31 Maris - 8 Abryl 1981.

'Abd Arrahman, Tashik. (1996). **Nazariyat Al-Majal Addilali: Kaifiyat Al-'Istifada Minha fi Ta'lim Al-'Arabiya Linnatiqin Bighairiha**, Waraqat 'Amal Quddimat fi Al-Mu'tamar Adduwali "Houl Qadaya Allugha Al-'Arabiya Watahadiyatiha fi Al-Qarn Al-wahid Wal-'ishrin", Al-Mun'aqid fi Ajjami'a Al-'islamiya Al-'Alamiya Bimalizia, Kuala Lumpur, 24 - 26 Aghustus.

'Abd Al-'Aziz, Matar. (1990). **Al-Mu'jam Al-'Arabi Al-'Asasi – 'Ida'a Wanaqd**, Hawliyat Kuliyat Al-'Insaniyat Wal'ulum Al-'Ijtima'iya, Jami'at Qatar, Al'adad 13.

'Abd Al-Qadir, 'Abd Al-Jalil. (2002). **'Ilm Allisaniyat Al-haditha – Nuzum Attahakum Waqawa'id Al-Bayanat**, Dar Safa' Linnashr Wattawzi' – 'Aman, Attaba'a Al-'ula.

'Abd Al'Qadir, 'Abd Al-Jalil. (1997). **Al-Madaris Al-Ma'jamiya – Dirasa fi Al-Binia Attarkibiya**, Dar Safa' Linnashr Wattawzi' – 'Aman, Attaba'a Al-'ula.

'Abd Al-Qadir Al-Fasi, Al-Fahri. (2000). **Allisaniyat Wallugha Al-'Arabiya – Namazhij Tarkibiya Wadilaliya**, (Dimn Silsilat Al-Ma'rifa Allisaniya, Bi'ishraf Abd Al-Qadir Al-Fahri), Dar Toubqal Linnashr, Addar Al-Baida' – Al-Maghrib, Attaba'a Arrabi'a.

Al-Qasimi, ‘Ali. (1401). **Tartib Al-Madakhil fi Al-Mu’jam Al-‘Arabi**, Nadwat Waqa’i’ Ta’lim Allugha Al-‘Arabiya Lighair Al-Natiqin Biha, Al-Juz’ Al-‘Awal, Al-Mada Allughawiya, Al-Madina Annabawiya 1 - 7 Jamada Al-‘Ula, Maktab Attarbiya Al-‘Arabi Lidoual Al-Khalij, Assafhat 19 – 45.

Al-Qasimi, ‘Ali. (1983). **Mazha Natwakha fi Al-Mu’jam Al-‘Arabi Linnatiqin Bilughat ‘Ukhra**, Dawriya Mutkhasisa Nisf Sanawiya Tasdur ‘An Maktab Tansiq Atta’rib, Al-Munazama Al-‘Arabiya Littarbiya Wathaqafa Wal’ulum, Al’adad 20, Yunyu, Assafhat (113 – 118).

‘Amr Ahmed Mukhtar, **Ma`jm Al-logha Al`arabiya Al-M`asira**, `Alam Al-ktb - Al-Qahira, Al-tb`at Al-'ola, 2008

‘Amr, Ahmad Mukhtar. (1998). **‘Ilm Addilala**, ‘Alam Al-Kutub, Al-Qahira, Attaba’a Al-Khamisa.

‘Amr, Ahmad Mukhtar. (1988). **Al-Bahth Allughawy ‘Ind Al-‘Arab ma’a Dirasa Liqadiyat Atta’thyr Watta’athur**, ‘Alam Al-Kutub, Al-Qahira, Attaba’a Assadisa.

Al-Qateeti, Mohammed Khames, **Al-bnaa’ Al-m`jami fe Ma`aajm Al-Natiqeen Bighayr Al-`Arabiya**, Dar Jareer llnashr wa Al-towzee`, `amaan, Al-’rdn, t 1, 2013

Karim Zaki, Husam Addin. (1985). **Atta’bir Al-‘Istilahi: Dirasa fi Ta’sil Al-Mustalih Wamafhuma Wamajalatihi Addilaliya Wa’anmatihi Attarkibiya**, Dar Al-‘Anjalou Al-Masriya.

Muhamad ‘Ahmad, Abu Al-Faraj. (1996). **Al-Ma’ajim Allughawiya fi Dau’ Dirasat ‘Ilm Allugha Al-Hadith**, Dar Annahda Al-‘Arabiya Littiba’a Wannashr.

Muhamad Haj Hunai. (2018). **Al-Mustalahat Walma’ajim – Al’Usus Annazariya Wal’ijra’at Attatbiqiya**, ‘Alam Al-Kutub Al-Hadith, ‘Irbid, Al-‘Urdun.

Muhamad Khalid, Al-Fajr. (2012). **Nazariyat Ma’ajim Al-Huqul Addilaliya Wa’irhasatiha fi “Fiqh Allugha Wasirr Al-‘Arabiya” Litha’alibi**, Majalat Mujamma’ Allugha Al-‘Arabiya Bidimashq, Al-Mujalad 87, Al-Juz’ 1, Assafhat (151 – 174).

Muhamad ‘Ali, Al-Khaouli. (2001). **‘Ilm Addilala, (‘Ilm Al-Ma’na)**, Dar Al-Falah Linnashr Wattawzi’.

Mahmoud Fahmi, Hijazi. (1980). **Ajjanib Assiyaqi fi Al-Ma’ajim Walkutub fi Majal Ta’lim Allugha Al-‘Arabiya Lighair Annatiqin Biha**, Assijil Al-‘Ilmi Linnadwa Al-‘Alamiya Al-‘Ula Lita’lim Al-‘Arabiya Lihgair Annatiqin Biha, Al-Juz’ Al-‘Awal (Al-

Mada Allughawiya), Jami'at Arriyad, Bilmamlaka Al-'Arabiya Assu'udiya, Assafhat 237 – 251.

Madkor, 'Amr farj, **Al-Ma'jm Al-`Arabi Bayn Yadayk - Drasa fe Ikhtiyar Al-Mdakhil wa Sharhaha**, A`maal Mo`tamar: Itijahaat hadeetha fe ta`leem Al-`arabiya Lugha thaniya, Ma'had Al-loghawiyat Al-hadeetha - Jaam'at Al-Malik Sa`od, Dar Jaam`at Al-Malk Sa'od llnashr 1435H, 12-10 February 2014m, 155-182.

Al-M`jm Al-`Arabi Al-`Asasi, Ma`jam Al-monzama Al-`arabiya Lltarbiya, wa Al-thaqaafa, wa Al-`olom Aladhi qaam bta'leefha majmo`a mn Al-lghouyeen Al-`arab, wa naal mwafiqa Al-jaami` Al-`arabiya, tob` `aam 1989.

Al-M`jm Al-waseet, **Mujma` Al-Logha Al-`Arabiya, Al-'Idaara Al-`Aamma Lilm`jmaat wa 'Ihyaa' At-toraath**, Qaam B'ikhraaj: 'ibraheem Mustafa, Ahmad Hasan Al-ziyat, Haamid `Abd Al-Qader, Mohammed Ali Alnajaar, Al-Mktaba Al-islamiya lltbaa`a wa Al-nashr wa Al-tawzee`, 'istaanbul - turkia.

Muna Bint Muhamad 'Abd 'Alla, Al-Qartoubi. (2015). **Bina' Mu'jam Tafa'uli Hasubi Litta'lim Allugha Al-'Arabiya Linnatiqin Bighairiha (Min Al-'Alif 'Ila Ajjim)**, Bahth Takmili Linaili Darajat Al-Majistair fi Al-'Ulum Al-'Insaniya, Kuliyat Ma'arif Al-Wahi Wal'ulum Al-'Insaniya, Ajjami'a Al-'Islamiya Al-'Alamiya Bimalizia.

المراجع الأجنبية

Boran, G. (2018). Semantic fields and EFL/ESL Teaching. International Online Journal of Education and Teaching (IOJET), 5(2), 391-399. http://iojet.org/index.php/IOJET/article/view/359/242.

Gao, Chunming, and Xu, Bin (2013) The Application of Semantic Field Theory to English Vocabulary Learning. ISSN 1799-2591.Theory and Practice in Language Studies, Vol. 3, No. 11, pp. 2030-2035, November 2013. © 2013 ACADEMY PUBLISHER Manufactured in Finland


١٣٨١
١٩٦١





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of
Arabic Language and Literature

Vol : 5 | Part : 2 | May - Aug 2022